

# دلیل المعاصرین

شرح

ریاض الصالحین

من کلام سید المرسلین

جميع الحقوق محفوظة للشارح

ودار الوسام للنشر

يحظر طبع أو نشر أو تصوير أي جزء من هذا الكتاب، بأية وسيلة إلكترونية

أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريح

يطلب من:

## دار الوسام

رقم الإيداع	الترقيم الدولي
٢٠١٢/١٤٧٥٧	٩٧٨-٩٧٧-٧١٦-٩٣٠-١

طبع بمطابع زمزم

# دليل المعاصرين

شرح

## رياض الصالحين

من كلام سيد المرسلين

لإمام الحافظ الحيث / محيي الدين أبي زكريا النووي

(٦٣١ - ٦٧٦ هـ)

اعتنى به وقام بالتعليق على أحاديثه وشرح أبوابه

ب/ محمد وسام الدين

الطبعة الرابعة

م ٤٤٣ - ه ١٤٤٣

تقدير فضيلة الأستاذ الدكتور

## أحمد عمر هاشم

أستاذ الحديث وعلومه، وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف،

والرئيس الأسبق لجامعة الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإن للسنة النبوية منزلتها ومكانتها في الإسلام، فهي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، فهي المفصلة لمجمله، والمقيّدة لمطلقه، والمُخصصة لعامه، والشارحة لأحكامه. بل جاءت بعض أحكام لم ترد صراحةً في القرآن، كتحرير زواج المرأة على عمتها أو خالتها، وأمر رب العزة سبحانه أن نأخذ ما آتانا به الرسول، وأن نتهي عما نهانا عنه: **﴿وَمَا ءانَّكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَنَّكُمْ عَنْهُ فَانْهُوا﴾**

[الحشر: ٧]

ومن أجل ذلك عني المسلمون منذ العهد الأول بحفظها وتدوينها وشرحها وتبسيتها.

ومن أعلام أئمة الحديث النبوي: الإمام النووي : ، فقد دوّن في كتابه النفيسي «رياض الصالحين» الأحاديث الصحيحة التي تدلّ قارئها على ما يكون طريقاً إلى الآخرة، واشتملت على أحاديث في الترغيب والترهيب، وعلى آداب السالكين، وأحاديث الزهد والأخلاق.

والالتزام الإمام النووي في كتابه: «رياض الصالحين» ألا يذكر إلا الأحاديث

الصحيحة، وصدر الأبواب بآياتٍ من القرآن الكريم، وقدّم توضيحاً لما يحتاج إلى توضيحٍ أو شرح.

وتتضح منزلةُ هذا الكتاب حيث سار في العالم مسيراً الضوء في الآفاق، وانتشر وذاع، وكثُرت شروحه وطبعاته؛ لأنَّ اللهَ تعالى باركَ فيه؛ لصحة نية صاحبه وإخلاصه وورعه وتقواه.

يقول الشيخ قطب الدين اليوناني: كان أوحد زمانه في العلم والورع والعبادة، وكان علماء عصره يعرفون له قدره، حتى إن الإمام السبكيَّ عندما سُكِنَ في قاعة دار الحديث الأشرفية سنة اثنين وأربعين وسبعمائة (٧٤٢هـ) كان يخُرُجُ في الليل إلى إيوانها فيتهجد ويُمْرِغُ وجهه على البساط الذي كان يجلس عليه النَّوَاوِيُّ وقت الدرس، ويقول في ذلك:

على بُسْطٍ لها أَصْبُو وَأَوِي	وفي دار الحديث لطيفٌ مَعْنَىٰ
مَكَانًا مَسَّهَ قَدْمُ النَّوَاوِي	عَسَى أَنِّي أَمَسَّ بِحَرَّ وَجْهِي

وقد تناول هذا الكتاب القييم «رياض الصالحين»، الأخ الفاضل الأستاذ الدكتور محمد وسام الدين، أكرمه الله، الذي سماه «دلیل المعاصرین شرح أبواب رياض الصالحين من كلام سید المرسلین».

فقام بالتعليق على أحاديثه، وشرح أبوابه؛ ليقرب معانيه، ويوضح مراميه، ويتفعَّ به كلُّ قارئٍ من المتخصصين في علوم الدين، ومن غيرهم المتعطشين للهُدِيَّ النبويِّ الذي رأوا فيه سعادتهم دنياً وأخرى.

مع حرصٍ جميل منه في تقديم الأمر بتنسيق حَسَنٍ، فسَهَّلَ بذلك على عموم الناسِ الاطلاعَ والفهمَ المُيسَّرَ لكتب التراث المباركة، وملاً بذلك الفجوةَ التي نشأت بين عمومِ الناس وتلك الكتب العظيمة.

أدعوا الله تعالى أن يُبارك في الكتاب، وفي الشرح والتعليق، وفي الأستاذ الدكتور محمد وسام الدين، وأن ينفع به، وأن يجزيه خير الجزاء، على ما قدّم من جهود يذكر فيشكراً.

ونسأل الله تعالى أن ينفعنا جميعاً بحديث رسول الله ﷺ، وأن يُشفعَّ فينا، وأن يغفر الله لنا ولوالدينا، ولسائر المسلمين؛ إنه سميع مجيب.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أ. د/ أحمد عمر هاشم

أستاذ الحديث وعلومه وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر

والرئيس الأسبق لجامعة الأزهر الشريف

تقریط فضیلۃ الأستاذ الدكتور

## عبد الغفار حامد هلال

العمید الأسبق لکلیة اللغة العربية جامعة الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

لقد قرأتُ الكتاب المسمى «دلیل المعاصرین شرح أبواب ریاض الصالحین»، لمؤلفه المهندس الدكتور محمد وسام الدين، حفظه الله.

الكتاب درة فريدة من نوعها في التأليف والتصنيف، حول شرح الأحاديث النبوية. وكتاب «ریاض الصالحین» هو للعلامة يحيی بن شرف النووی، التي كانت حياته قصيرة المدة لكنها كثيرة العمل، وكان من الصالحین، حتى رُوي عنـه أنه كان لا يتناول في اليوم إلا طعام العشاء فحسب، وكان وقتـه للقراءة.

وكذلك رأيت في المهندس الدكتور محمد وسام الدين، طابع الصلاح والتقوی إن شاء الله، أحـسـبـهـ كذلكـ، بـذـلـ جـهـدـاـ فيـ الشـرـحـ بماـ يـنـاسـبـ النـاسـ، فـهـيـاـ لـلـرـجـلـ العـادـيـ أنـ يـقـرـأـ فـيـ كـتـبـ الـعـلـمـ.

ونحن نحب أن يقرأ الناس في كتب العلم؛ ليعرفوا الصحيح من الفاسد.

وعلاجاً لبعد الزمن بيننا وبين أرباب العلم الفحول السابقين، برع المؤلف محمد وسام الدين، في تذليل صعوبات النصوص القديمة التي لا يعرفها إلا العلماء الفحول ذوى الخبرة الطويلة في فهم نصوص العلم القديم.

وقد برع أيضاً في شرح النصوص الغامضة على القارئ العادي بأسلوب العَصْرِ، وهو أمر ليس سهلاً، ويحتاج إلى مِراسٍ طويـلـ؛ لـكـيـ يـسـطـعـ أنـ يـنـزـلـ منـ البرـجـ العـاجـيـ إـلـىـ المستـوـيـ العـادـيـ.

فوجدتُ شرحاً ميسراً للحديث وضع فيه الشرح داخل النص، مما سهل على القارئ أن يعرف المراد بسرعة، لأن يبحث عنه في التعليقات والهوامش والحواشي.

ثم لاحظتُ أنه يعقب على كلّ بابٍ من أبواب الكتاب بشرح فكرة الباب شرحاً وافياً، معتمدًا على القرآن وال الحديث و الصحيح النصوص، مما يجعل الرجل العادي يفهم الموضوع فهماً دقيقاً، ويستطيع أن يقرأ في الكتاب بسهولةٍ، ولا يحتاج إلى مساعدٍ.

وعليك أيها القارئ الكريم، أن تنظر كثيراً في الأحاديث التي يضمها الكتاب فستجد ذلك واضحاً ملموساً.

ثم إن المؤلف ضبط النصوص الحديثية ضبطاً كاملاً وصحيحاً محققاً غاية التحقيق، وممِيز الحديث الصحيح من غيره، ورَكَزَ على صحيحي البخاري ومسلم في صدر الأحاديث، وثني بالكتب الصحاح الأخرى، كالترمذى والنَّسائي وابن ماجة وأبي داود وغيرها.

واستطاع أن يصل إلى المهم، وهو قلب القارئ وعقله، لا إلى سمعه فقط. فالكتاب في الواقع ثمينٌ، لا أقول الثمن الديني، ولكنه ثمينُ الثمن العلمي والأخروي.

وأرجو أن يتتفع القارئ به، وبما يبذل فيه من إخلاص وجهد لا يتوافر إلا للقليل من أصحاب النيات السليمة؛ فقد قال عليه السلام: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى».

ويظهر - كما سمعت من شارح هذا الكتاب - أنه هو الذي صمم طريقة الطبع، بما فيها من جهدٍ يستعصي على كثيرٍ؛ لأنَّه قلماً تجد طباعةً بهذا المستوى الناجح الصحيح الذي قد لا يحتوي على خطأ واحد، وجَلَّ من لا يسهو.

ولكن فيما قرأْتَ خالاً الكتاب من الأخطاء، وامتاز بحسن التنسيق، وحسن اختيار الألوان، مما يُنسب إلى نوع دقيق من الفن، فحينما علمتُ أن الشارح هو صاحبُ الجهد أدركتُ أنه يجمع بين فنَّ العلم وفن الإخراج، وهذا لا يتوافر لكثيرٍ من الناس.

**أ. د/ عبد الغفار حامد هلال**

**العميد الأسبق لكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر الشريف**

### تقرير فضيلة الأستاذ الدكتور

## وَهْبَةُ الرِّحْمَنِ الرِّحِيمِ

رئيس قسم الفقه الإسلامي بكلية الشريعة جامعة دمشق

عضو مجلس الافتاء الأعلى بسوريا

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

الأخ الفاضل، السيد الدكتور / محمد وسام الدين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد:

بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك، أقدم أخلص التهاني والتباريك، سائلاً المولى عزوجل أن يُعِيدَهُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَمْتَانِكُمْ بِالْخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ وَالنَّصْرِ، وَأَنْ يُشَدَّ أَرْزَكُمْ فِي مَتَابِعَةِ طَرِيقِ الدُّعَوَةِ إِلَى اللَّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.

وأكثركم الشكر والتقدير لشخصكم الكريم، ولقائكم الكريم في رحاب القاهرة، حيث غمرتني بالفضل والإحسان الكبير.

فأرجو منكم تخصيص صفحتين لتقديم كتابكم القيم «دليل المعاصرين شرح أبواب رياض الصالحين».

مع تكرار الدعوة لزيارة دمشق في أي وقت.

زادكم الله تعالى قرباً من جنابه، ومحبة لأهل العلم، والله يحب المحسنين.

الجمعة، آخر شعبان سنة ١٤٢٧ هـ = ٢٢ / ١٠ / ٢٠٠٦ م.

أ. د/ وهبة مصطفى الزحيلي

رئيس قسم الفقه الإسلامي بكلية الشريعة جامعة دمشق

عضو مجلس الافتاء الأعلى بسوريا

عضو مجمع الفقه الإسلامي بجدة

### تقدير فضيلة الأستاذ الدكتور

**سيد السيلي** رحمه الله

**أستاذ العقيدة بجامعة الأزهر، وعميد كلية الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمدُ لله رب العالمين، والصلوة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين. وبعد:

فهذه شروحٌ وتعليقاتٌ على كتاب «رياض الصالحين»، الذي كتب الله له الذِيوجَ  
والانتشار حتى كاد كُلُّ بيتٍ أن يقتنيه، ولا يكاد مطالعٌ له إلا ويستفيد مما فيه.

وقد تناولته الأفلامُ بالشرح والتفسير، ولكنها كانت في معظمها بين التقصير والتطويل، وفي دنيا الناس اليوم ما يشغلُهم عن الهوامش والحواشي.

فتدرك الشارح - جزاه الله خيراً - حاجة الناس إلى وسطيةٍ متميزةٍ في الشرح، وطريقةٍ مميزةٍ في العرض، تدفع القارئ في شغفٍ وشوقٍ، إلى أن يغترفَ من هذا المنبع العذب، ويستفيدَ من هذا المنهل السهل.

فجاء الكتابُ في ثوبه القشيب، مع هذه الشروح والتعليقات، وَسَطَا بين الإسهام المُمِلّ والإيجاز المُخْلِل، وأصبح له مذاقٌ خاصٌ لدى المطالعين، يجدون حلواته في مطالعته، ويجدون متعاته في سهو لته وسلامته.

وقد وضع الشارح بصماتِه الواضحةَ، التي جاءت بالجديد من التنسيق والشرح والتعليق، فقام بشرح الأبواب شرحاً مُيسراً ملحاً بالباب الذي يتعلّق به، وقام بضبط النصوص، وتوضيح الكلمات التي تحتاج إلى توضيح، واعتنى بعزو الأحاديث التي ساقها في شروحه على خطى الإمام التوزي : في ذلك.

فكان الشرح واضحاً، والتعليق علمياً، والتنسيق منطقياً، كل ذلك خطه محب للصالحين، ومبّلغ للدين، وداعية إلى دين رب العالمين.

فسلامت يمينه، وقوي بالله يقينه، وأحسن الله عمله، وحقق أمله، وأجرى الخير على يديه، وببارك الله فيه، وببارك عليه، جزاء ما بذل من جهد مشكور، وخير موفور، زاد من علم العلماء، ويسّر الفهم على البسطاء.

وقد أعطى عصارة قلمه، وخلاصة فكره، حتى صارت بفضل الله نوراً على الْدَّرْبِ لإرشاد السالكين وتنوير السائرين إلى رياض الصالحين، على طريق سيد الأولين والآخرين، صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

**أ. د/ سيد عبد العزيز السيلي**

**أستاذ العقيدة بجامعة الأزهر**

**عميد كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الإسلامية**

**تقرير فضيلة الأستاذ الدكتور**

## **أحمد ربيع يوسف**

**عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق بالأزهر الشريف**

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام الأتمان الأكملان على أشرف المرسلين، سيدنا محمد. اللهم صل على سيدنا محمد البشير النذير وسلم تسلیماً يا مولانا یھون كل عسیر. وبعد:

فلقد اتفقت كلمة الأمة الإسلامية على مكانة السنة النبوية في نفوس المسلمين، وموقعها من قلوبهم، وذلك باعتبارها المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، يضاف إلى مصدره الأول وعماده الأساس: القرآن الكريم، حيث تُفصل مُجمله، وتُوضّح غامضه، وتُقيّد مطلقه، وتُخصّص عامّه، وذلك فضلاً عن كون السنة المطهرة تمثّل المرأة العاكسة بصدق لحياة أشرف الخلق سيدنا محمد بن عبد الله عليه السلام، وطريقة تعاطيه لشئون دنياه العامة والخاصة.

ولما كان للسنة النبوية تلك المكانة؛ فقد عُني أوائل هذه الأمة بها أيمًا عناية، جمعًا وتدوينًا، وتنسيقاً وتبويغاً، وشرحًا وتحليلًا، ثم نالت تلك المؤلفات القديمة لاسيما كتب المتون عناية المُحدّثين بالشرح والتحليل، وذلك على نحو ما صنع علماؤنا مع « صحيح البخاري » الذي تلقّته الأمة بالقبول واهتممت به، وعكف على شرحه كثيرون في القديم والحديث، منهم: القسطلاني، والعيني، وابن الملقن، وابن حجر، وغيرهم. وما زالت الدراسات تقوم حوله.

ومثل ذلك فعلت الأمة مع « صحيح الإمام مسلم »؛ حيث شرحه النووي، والسيوطبي، وغيرهما، وما زالت الدراسات تقوم حوله، خاصة في بلاد المغرب. ولعل من أهم كتب السنة المباركة التي حظيت بعناية الشرح قديمًا وحديثًا، كتاب

«رياض الصالحين» للإمام النووي : ، والذي لا يكاد بيت من بيوت المسلمين يخلو منه، وذلك باعتباره كتاباً جامعاً لأمهات الأصول في العبادات والتشريعات والأخلاق.

ولقد كان من توفيق الله تعالى هذا الجهد الطيب المبارك للأخ العزيز المهندس الدكتور محمد وسام الدين، أن قصد هذا الأمر في العناية بكتاب «رياض الصالحين»، بعد معايشة وعلم وعمل، واقتداء وتخلُّق، بما جاء في الكتاب، فكان هذا التاج «دليل المعاصرين شرح أبواب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين».

وقد جاء جهده في هذا الباب متميّزاً بعدم التكلف، متسمّاً بطرح أفكاره بلغة عصرية توافق مقتضيات العصر، بحيث يستفيد منها القراء وإن اختلفت مشاربهم أو تنوعت معارفهم. ثم إنّه اعتمد أسلوب القصة كثيراً؛ لبيان فكرته وتوضيح معزّاهما، مما جعل الأسلوب معه مشوقاً، وهو بهذا الأسلوب وتلك العناية بالتحليل قد جاء كتابه جيداً في بابه أنيقاً في إخراجه مشوّقاً في طريقة عرضه.

أسأل الله العلي القدير أن ينفع به، وأن يجعله في موازين حسناته، وأن يفتح له قلوب قارئيه، ويرزقهم العمل بما يعلمون، ويكون لسان صدق في الآخرين.

وصلَى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أ. د/ أحمد ربيع يوسف

**عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق بالأزهر الشريف**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة الشارح

### مقدمة الطبعة الرابعة

الحمدُ لله رب العالمين، حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

والصلاوة والسلام على أشرف المرسلين الهادي المصطفى البشير النذير، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تسلیمًا كثيراً، وأله وصحبه أجمعین، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فإنَّه لا تكاد تخلو مكتبة إسلامية من كتاب «رياض الصالحين»، بل لا يكاد يخلو منه بيتٌ من بيوت المسلمين؛ ذلك أن الإمام النووي أراد أن يحمل عوامَ المسلمين - من لا طاقة لهم على تصفُّح أمَّهات الكتب لاستخراج المفاهيم والمعاني والمطلوبات الشرعية - على معرفة الأوامر الربانية والأحكام الشرعية والصفات الإيمانية والأخلاق والأداب النبوية، فأَلَّفَ هذا المؤلَّف السهل البسيط لتشجيعهم على تصفُّحه وتعلُّم مراد الله منه.

ولا يخفى علينا أن ذلك قد تمَّ منذ قرابة ثمانمائة عام؛ حيث وافق ذلك فصاحةَ الناس آنذاك وسهولة فَهُمْهم لغة القرآن والسُّنَّة بقليل من الشرح لبعض كلماته وألفاظه.

وقد قامت على مَرِّ هذه السنوات الثمانمائة كوكبةٌ من أهل العلم والفضل بشرح أحاديثه والتعليق والتفصيل لبعض أو كُلَّ أحكامه. فقدَّمْت بذلك خدمةً عظيمةً لعموم الأمة، علمائها وعوامُها.

يَدُ أن طول الزمان وصعوبة فهم العامة من الناس لغتهم العربية الفصيحة -

أضاع قَصْدَ مُؤْلِفِ الكتاب وشَرَّاحِه أَيْضًا مِنْ أَنْ يَكُونَ الْكِتَابُ مَرْجِعًا لَهُمْ يَسِيرًا فَهُمْهُمْ عَلَيْهِمْ يُمْكِنُهُمُ الْاسْتِفَادَةُ مِنْهُ وَالرُّجُوعُ إِلَيْهِ وَالاطْلَاعُ عَلَى أَبْوَابِهِ فِي كُلِّ كَبِيرَةٍ وَصَغِيرَةٍ فِي حَيَاتِهِمُ الْيَوْمِيَّةِ.

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عَزَّمْتُ بِتَوْفِيقٍ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ عَلَى أَنْ أُكَمِّلَ مَا بَدَأَهُ الْإِمامُ النُّوْوَيُّ : مِنَ الْعِنَايَةِ بِكِتَابِ «رِياض الصالِحِينَ»؛ لِكِي يَكُونَ كِتَابًا مَرْجِعًا بِسِيَطَةٍ وَسَهَلًا لِعِلْمِ الْأَمَّةِ، يُفِيدُهُمْ فِي مَعْرِفَةِ الْأَوَامِرِ الرِّبَانِيَّةِ وَالْأَحْكَامِ الشَّرِيعِيَّةِ وَالصَّفَاتِ الإِيمَانِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِ وَالآدَابِ النُّوبِيَّةِ.

وَكُنْتُ قَدْ اسْتَرْعَى اِنْتَباهِي أَنَّ مَعْظَمَ مَا نُشِرَ مِنْ نُسُخٍ وَطَبَعَاتِ لِكِتَابِ «رِياض الصالِحِينَ» قَدْ رَكَّزَ عَلَى شَرْحِ أَحَادِيثِهِ شَرْحًا مُوجَزًا أَوْ مُفْصَلًا، يُنَاسِبُ طَلَبَةِ الْعِلْمِ وَالرَّاغِبِينَ أَكْثَرَ مِنْ مَنَاسِبِهِ الْعَوَامِ، وَلَمْ يُنْتَبِّهَ إِلَى شَرْحِ الْأَبْوَابِ شَرْحًا مُفْصَلًا يُنَاسِبُ عَقُولَ الْعَوَامِ وَعُمُومَ الْأَمَّةِ؛ تَحْقِيقًا وَاسْتِكْمَالًا لِمَرَادِ مُؤْلِفِهِ النُّوْوَيِّ : الَّذِي وَجَّهَ اِنْتَباهَنَا إِلَى قِيمَةِ هَذِهِ الْأَبْوَابِ فِي حَيَاةِ كُلِّ مُسْلِمٍ، عَالَمًا كَانَ أَوْ عَامِيًّا.

لَذِلِكَ كَانَ مِنْ تَوْفِيقِ اللَّهِ لَنَا أَنْ تَنَبَّهَنَا لِضَعْفِ إِقْبَالِ الْعَوَامِ عَلَى الاطْلَاعِ الدَّائِمِ وَالْمُسْتَمِرِ عَلَى تَلَكَ النُّسُخَ وَالطَّبَعَاتِ؛ لِمَا ذَكَرْنَاهُ سَابِقًا مِنْ صَعْوَةِ فَهْمِ الْعَامَةِ لِمُصْطَلِحَاتِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَلِغَتْهُمُ الْبَلِيغَةِ.

فَقَمْنَا بِالْاِهْتِمَامِ بِشَرْحِ أَبْوَابِهِ شَرْحًا بِسِيَطَةٍ مُّيَسِّرًا، أَدْرَجْنَا فِيهِ شَيْئًا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَحَادِيثِ الْمَصْطَفِيِّ وَسَلَّمَ، وَآثَارِ السَّلْفِ الصَّالِحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، مِمَّا يُزِيدُ الْأَمْرُ إِيْضًا، وَأَلْحَقْنَا كُلَّ شَرْحٍ بِالْبَابِ الَّذِي يَتَعلَّقُ بِهِ.

وَقَدْ اسْتَعْمَلْنَا فِي ذَلِكَ أَحْسَنَ طُرُقِ الْعَرْضِ الَّتِي تُفْتَحُ الْقُلُوبَ عَلَى الاطْلَاعِ الْيَوْمِيِّ، وَذَلِكَ كَلَهُ لِكِي يَكُونَ فِي مَتَنَاؤِ الْعَامَةِ فَهُمْهُ وَالْقِيَامُ عَلَى دِينِهِمْ مِنْ خَالَلِهِ قِيَامًا صَحِيحًا.

وإنما أردنا بذلك أن نملاً الفجوة الموجودة بين كتب العلم - ببلاغتها وفصاحتها - وبين عامة الناس المُنشغلين بالكسب والمعاش مع صعوبة فهمهم للغة وانصرافهم عن طلب العلم.

ولقد سرنا أن نال كتاب **«دليل المعاصرين شرح أبواب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين»** استحساناً كبيراً، وأنه قد حاز القبول حتى أصبح في متناول الخاصة وال العامة، كما أنه خُص بتقديم وتقرير و مدح أهل العلم الأكابر، وتشجيعهم على إعادة طبعه مرات ومرات، مع مراعاة جَبْ الأخطاء البشرية التي لا يخلو منها كتاب.

وإني بذلك أضع بين أيديكم الطبعة الرابعة من كتاب **«دليل المعاصرين شرح رياض الصالحين»** للإمام النووي : في ثوبٍ جديد مبسط؛ كي يستطيع القارئ عاميًّا كان أو عالِمًا الاستفادة منه أفضلً استفادة، آملاً من الله تعالى أن يُحقق رجائي، وأن يجعله ذُخراً لي عنده، والله تعالى الموفق.

وقد نفذت الطبعة الأولى للكتاب والتي تم الفراغ منها في ليلة السبت التاسع من ذي الحجة ١٤٣٢ هـ الموافق ٥ نوفمبر ٢٠١١ م.

فقمت بطبعه طبعتين أخرىين فيما بعد (الطبعة الثانية والثالثة)، ونفذتا أيضاً؛ ذلك أن كثيراً من أهل الفضل أقبلوا على توزيعه بين ذويهم و معارفهم محتسبين في ذلك الأجر من الله تعالى، وذلك من بركات الإمام النووي في حياته التي امتدت وتمتد إلى زمن بعيد.

وهذا مما دفعنا إلى السير قدماً نحو إعادة طبعه في طبعة جديدة، وهي (الطبعة الرابعة)، تحوي موضوعات أخرى كثيرة مهمة، مما يحتاجه المسلم في يومه وليلته ولا غنى له عنه، لزيادة مساحة المعرفة والتعلم من خلاله، وحتى يلجم إلية القارئ

فيسعد بشموله لأكثر مناطي الحياة. فقمنا في الطبعة الأخيرة بإضافة بعض المعاني، وإعادة صياغة بعض آخر منها، وإعادة صياغة بعض الكلمات في شرحنا والتي رأينا صعوبتها أو غرابتها على بعض القراء؛ تيسيراً عليهم؛ لوصول الرسالة المطلوبة من الفهم والعمل الصحيح.

وقد آثرنا في ذلك عدم التكلف، وطرح أفكاره بلغةٍ يسيرة توافق العصر، بحيث يستفيد منه جميع القراء وإن اختلفت مشاربهم أو تنوعت معارفهم.

وقد ذكرنا بعض الأمور المتعلقة بالفتاوی، التي تسعد البسطاء والعوام على القيام بالعبادات في المساجد بطريقة لا تحدث خلافاً ولا تربك حياتهم.

نسأل الله العلي القدير أن ينفع به كل من يقوم على نشره وتوزيعه، وجميع قارئيه، وأن يجعله في موازين حسناتنا أجمعين، وأن يفتح له قلوبَ مُطَالِعِيهِ، ويرزقهم العمل بما يعلمون، ويكون ذلك لهم لسان صدق في الآخرين.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

كتبه وفرغ من الطبعة الرابعة

العبد الفقير إلى رحمة ربِّه

**د/ محمد وسام الدين**

غفر الله له ولوالديه

في يوم الثلاثاء ذكرى المولد النبوى الشريف

الثاني عشر من شهر ربيع الأول ١٤٤٣ هجرية

الموافق التاسع عشر من شهر أكتوبر ٢٠٢١ ميلادية

## عملنا في الكتاب

اشتمل عملنا في الكتاب على أمرين:

أولاً - تحقيق كتاب «**رياض الصالحين**» للإمام النووي : ، وذلك بما يلي:

١ - ضبط نص الكتاب ضبطاً تاماً؛ حتى يتمكّن القارئ للكتاب من قراءته قراءةً صحيحة.

٢ - شرح الكلمات الغريبة ببنط صغير بين قوسين هكذا (أي: مكان بين مكة والمدينة) من دون تعرُّضٍ لما قام الإمام النووي بشرحه؛ وذلك حتى يستطيع القارئ للكتاب فهم النصّ فهماً صحيحاً كما أراده مصنّفه، من دون إدراج حواش تنقل على القارئ وقد يهملها.

٣ - ضبط القول النبوى ضبطاً تاماً.

٤ - تخريج الأحاديث التي وردت في شروحنا والتي لم ترد في نص كتاب «**رياض الصالحين**»، بتنسيقها ببنط صغير.

٥ - تنسيق الكتاب، حيث اشتمل كتاب «**رياض الصالحين**» على تسعه عشر كتاباً، وأبواب متنوعة أتى المصنف على ذكرها قبل أو خلال بعض الكتب.

وقد اعتمدنا في تنسيق الكتاب على أحسن طرق العرض التي تيسّر على القارئ تصفحه الكتاب بسهولة ويسر، ويتمثل ذلك في الآتي:

- ترقيم الكتب، وتبدأ بكتاب «**الأدب**» برقم (١)، وكتاب أدب الطعام برقم (٢)، وهكذا، وفصلنا بين كل كتاب والذي يليه بفواصل من ثلاث نجمات في وسط السطر.

- ترقيم الأبواب المتنوعة، مثل باب (الإخلاص) برقم (١)، وباب التوبة برقم (٢).

- ترقيم الأحاديث المندرجة تحت كل باب.

- الآيات القرآنية قد رسمناها بالرسم العثماني بين أقواس مزهّة ﴿﴾، ووضعنا

- بجوارها عَزْوَ الآية - اسم السورة ورقم الآية - بينط صغير بين معقوفين [٢].
- وضعنا القول النبويَّ بين قوسين «» بينط عريض.
- وضعنا شرح الكلمات الغريبة في الكتاب بين قوسين () بينط صغير، من دون إدراج حواشٍ تنقل على القارئ وقد يهملها.
- جعلنا نصَّ الآيات والأحاديث والآثار بينط كبير.
- ثانياً - شرح أبواب «رياض الصالحين» للإمام النووي :** ، الذي سمَّيْناه (دليل المعاصرين شرح أبواب رياض الصالحين) وذلك بما يلي:
- ١- إضافة كُلٌّ شرح تلو الباب الخاص به في «رياض الصالحين».
  - ٢- إدراج بعض الآيات والأحاديث التي تزيد الشرح وضوحاً وجلاءً، من دون أن نُكرِّر ما قد أتى المصنفُ على ذِكره منها قدر المستطاع، إلا إذا دعت ضرورة إلى ذلك.
  - ٣- أدرجنا فَصَصًا في الشَّرْح تيسيرًا لإيصال المعاني المطلوبة إلى القارئ، تحت عنوان **قصة** باللون الأحمر؛ تمييزًا لها لسهولة العثور عليها.
  - ٤- ضبط نصَّ الشَّرْح ضبطًا جماليًّا خفيًّا، مع ضبط ما يُشكِّل من الكلمات الصعبة أو التي بنيت للمجهول ونحو ذلك.
  - ٥- شرح الكلمات الغريبة بين قوسين وبينط صغير (أي: )؛ وذلك حتى يستطيع القارئ فهم النصَّ فهماً صحيحةً.
  - ٦- ضبط وتشكيل القول النبوي ضبطًا تاماً.
  - ٧- تنسيق شرح الأبواب: وقد اعتمدنا في ذلك على أحسن طرق العرض التي تُيسِّر على القارئ تصفحَ شرحَ كُلِّ باب بسهولةٍ ويسرٍ، ويتمثل ذلك في الآتي:
  - أدرجنا ثلاثة نجمات في وسط السطر بعد انتهاء الباب وقبل الشروع في شرحه، مع وضع عنوان الشرح أسفل النجوم بين قوسين باللون الأحمر هكذا ( ).

— وبعد انتهاء الشرح وضعنا ثلاثة نجماتٍ في وسط السطر؛ لتبينه القارئ على انتهاء الشرح؛ وحتى يستطيع القارئ التمييز بين الشرح وأصل الكتاب \*

- الآيات القرآنية قد أدرجناها بالرسم العثماني بين أقواس مُزَهَّرة باللون الأحمر وبينط عريض ﴿﴾، ووضعنا بجوارها عَرْوَ الآية- اسم السورة ورقم الآية- بينط صغير بين معقوفين [ ].

- وضعنا القول النبوّيَّ بين قوسين باللون الأحمر وبين خط عريض «».

- وضعنا الآثار من أقوال السلف والعلماء المتقدمين باللون الأزرق.

ولم نلجم إلى ذكر توثيق تلك الآثار من الأحاديث وأقوال أهل العلم وحتى المراجع،  
بين دَفَّتِي الكتاب؛ ذلك لأن الهدف منه هو تبسيط العلم للراغبين فيه؛ ولإعطاء مساحة  
أكبر لتناول موضوعات أخرى في حاجة ماسة إلى الشرح والتوضيح؛ لما لها من وثيق  
الصلة بالواقع المعيش.

ورغبة منا في عدم تضخيم حجم الكتاب بما هو عليه؛ فقد اعتمدنا في ذلك على ما يوجد من آليات وتقنيات حديثة تُيسّر للباحث وعلى من أراد أن يبحث ويتحقق في الأحاديث والآثار المذكورة في الكتاب، الوصول إلى توثيقها بسهولة وسرعةٍ بما كان في الماضي، وذلك من خلال وسائل التكنولوجيا الحديثة، من الإنترن特، والموسوعات الإلكترونية، وغيرها من الوسائل الحديثة التي لم تكن متوفرة من قبل، والتي بات أمر البحث من خلالها والوصول إلى أدق المعلومات أيسير من الماضي، وموصلاً مباشرةً إلى التسليمة المرجوة من البحث.

وقد قمنا بالإحالة في بعض الموضوعات، إلى بعض مؤلفاتنا ليزداد الأمر وضوحاً في الشرح وذلك باللون الأحمر هكذا: (تبنيه: ينظر في كتاب «نفحات الرحمن في شهر رمضان» للمؤلف).

- وضعنا شر حنا باللون الأسود.

- وضعنا شرح الكلمات الغربية بين قوسين ببنط صغير (أي: )، من دون إدراج  
حواش تنقل على القارئ وقد يهملها.

وقد لجأنا في شرح تلك الكلمات، إلى استخراج معانيها من المعاجم المتخصصة في كل فن بعينه، ثم أعدنا صياغة الشرح بعبارات بسيطة ويسيرة، مناسبة للسياق ومفسرة له. كي يتمكن القارئ المبتدئ من أن يستوعبها ويفهمها بيسر وسهولة؛ حيث إن الهدف من الكتاب كما ذكرنا من قبل هو تبسيط العلم على الراغبين فيه من المبتدئين وال العامة؛ ولذلك لم نقم بتوثيق تلك المعاجم؛ لسهولة ويسر توثيق تلك المعاجم للباحث الراغب في التحقيق والتعقب.

### ثالثاً- منهج العمل في الأحاديث المتعلقة بالشرح :

الحديث الذي رُوي في الصحيحين أو في أحدهما يكتفى بذكر موضعه فيهما؛ لشهرتهما ولاتفاق العلماء على صحة ما ورد فيهما.

قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٤ / ١) : «اتفق العلماء على أن أصح الكتب بعد القرآن الكريم الصحيحان: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول».

وقال الإمام الجويني: «لو حلف إنسان بطلاق امرأته أن ما في كتابي البخاري ومسلم مما حكما بصحته من قول النبي ﷺ، لما ألمته الطلاق ولا حنته لإجماع علماء المسلمين على صحتهما». صيانة صحيح مسلم، ابن الصلاح (٨٦ / ١).

١- ما روي في غير الصحيحين كـ: أبي داود، الترمذى، النسائى، ابن ماجه، الموطأ، المسند لأحمد، سنت الدارمى، أو غير ذلك - اعتمدت في ذكر الحكم عليه من صحة أو ضعف على علماء الحديث (المتقدمين أو المتأخرین)، تقليداً لأهل الاختصاص والمعرفة بذلك من علماء الحديث، مع الاقتصار على نقل أقوالهم تصحيحاً وتضعيفاً؛ قال الله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الْذِكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ﴾ [٤٣] ﴿فَسْأَلُوا مُسْكِنِي﴾ [٥٩]

[النحل: ٤٣] وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَسْأَلُوا مُسْكِنِي﴾ [٥٩]

٢- ولا غرو في ذلك؛ فالإمام الشافعى العالم المجتهد الفقيه قال للإمام أحمد يوماً: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِالْحَدِيثِ وَالرِّجَالِ مِنِّي، فَإِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَأُخْبِرُنِي بِهِ حَتَّى أَذْهَبَ إِلَيْهِ شَامِيًّا أَوْ بَصْرِيًّا أَوْ كَوْفِيًّا». وهذا من كمال دين الشافعى وعقله حيث سلم هذا

العلم لأهله. [الانتقاء في فضائل الثلاثة، ابن عبد البر (١/٧٥)].

ومن الواضح لدى المنشغلين بالعلم أن تصحيح الحديث وتضعيقه خاضع للاجتهاد، وفيه تفاوت بين العلماء في العلم بأحوال الرجال وطرق الحديث، فما يعرفه بعضهم من حالٍ للراوي قد يخفى على غيره، وما يقف عليه آخر من شواهد ومتتابعات قد لا يتيسر لغيره، فيختلف حكمهم على الحديث الواحد تبعًا لذلك، ويختلف ترجيحهم تصحيحاً وتضعيفًا تبعًا لاجتهدهم في الراجح من حال الراوي، وفي الراجع من خلو طرق الحديث من الشذوذ والعلة... وهكذا.

يقول الإمام الترمذى: (وقد اختلف الأئمة من أهل العلم في تضعيف الرجال كما اختلفوا في سوى ذلك من العلم). [شرح علل الترمذى (٥٥٨/٢)].

**وقال الذهبي:** «فَكُم مِنْ حَدِيثٍ ترددَ فِيهِ الْحَفَاظُ: هُلْ هُوَ حَسْنٌ أَوْ ضَعِيفٌ أَوْ صَحِيقٌ؟ بَلْ الْحَافِظُ الْوَاحِدُ يَتَغَيَّرُ اجْتِهادُهُ فِي الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ، فَيُوْمًا يُصَفِّهُ بِالصَّحَّةِ وَيُوْمًا يُصَفِّهُ بِالْحَسْنِ وَلَرِبِّما اسْتَضْعَفَهُ». [الموقظة ص(٢٨)].

أما الحديث الضعيف فأذكره بصيغة التمريض لا بالجزم، وقد اتفق المحدثون أنه لا يسوغ روایة الضعيف بصيغة جازمة تؤكّد نسبة الحديث إلى النبي ﷺ كأن يقال في روایة الحديث الضعيف: قال رسول الله ﷺ كذا...، أو فعل، أو أمر، وما أشبه ذلك من الألفاظ الجازمة بصدوره عنه ﷺ. وإنما يقال فيه: روي عن رسول الله ﷺ، أو يُروى، أو ورد، أو يُحكي، أو يُنقل... وهكذا.

يقول الدكتور نور الدين عتر: «أما مجرد رواية الحديث الضعيف في غير العقائد وأحكام الحلال والحرام، كأن يروي في الترغيب والترهيب والقصص والمواعظ ونحو ذلك فقد أجاز العلماء المحدثون رواية ما سوى الحديث الموضوع وما يشابهه من غير اهتمام ببيان ضعفه، والآثار عنهم في ذلك كثيرة مستفيضة ذكر الخطيب البغدادي جملة منها في كفایته». (منهج النقد في علوم الحديث، ص(٢٩٦)).

- أدرجنا في نهاية الكتاب الفهرس الخاص به، ويشتمل على ما يلي:

- فهرس كتب وأبواب كتاب رياض الصالحين للإمام النووي (المتن الأصلى)،

وميزناه باللون الأسود.

- شروح كتبه وأبوابه، والمسمي بـ(**دليل المعاصرين**)، وميزنا شروحنا باللون الأحمر، ليسهل العثور عليها.

لاحظ أخي الكريم - يا من له باع في اللغة وطلب العلم - أننا تعمّدنا في شرحنا أبواب الكتاب التبسيط الشديد قدر وسعنا.

ليسهل على القارئ العامي البسيط - الذي لا يملك رصيداً لغوياً يتيح له فهم الألفاظ الصغيرة والتراكيب اللغوية المعقدة - فهم وإدراك شرح الأبواب.

لذا آثرنا التبسيط الشديد لتوصيل المعلومة بسهولة ويسر على حساب الصياغات الفصحى الموجزة التي قد لا يستطيع القارئ العامي البسيط أن يدرك مراميها.

وإني لأنتقدم بالشكر إلى كل من مدّ يد الجهد والمعونة والنصائح في هذا الجهد المتواضع، فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله. وألتمنس من القارئ الكريم غضّ الطرف عما قد يقع فيه القلم من سقطات أو زلات؛ ذلك أن الكمال لله تعالى وحده.

**قال النَّعَالِبِيُّ:** لا يكتب أحد كتاباً في بيته عنده ليلة إلا أحبّ في غيرها أن يزيد أو ينقص منه، هذا في ليلة، فكيف في سنين معدودة؟!

وقال العِمَادُ الأصبهانيُّ: إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غدِه: لو غير هذا لكان أحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

**قال العَنَّابِيُّ:** من قَرَضَ شَعْرًا أو وَضَعَ كِتَابًا فقد استهدف للخصوم واستشرف للألسن (أي: أصبح هدفاً للنقد)، إلا عند من نظر فيه بعين العدل، وحكم فيه بغير الهوى، وقليل ما هم.

نسأل الله عَزَّوجلَّ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يقبله عنده، وأن يجزي كل من شارك فيه خيراً الجزاء؛ فإنه نعم المولى ونعم النصير، وهو حسينا ونعم الوكيل، والله الموفق.

## مقدمة المؤلف (الإمام النووي)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مكور الليل على النهار؛ تذكرة لأولي القلوب والأ بصار، وتبصرة لذوي الألباب والاعياء، الذي أيقظ من خلقه من اصطفاه فزدهم في هذه الدار، وشغلهم بمراقبته وإدامة الإفكار (أي: التفكير)، وملازمته الاتعاظ والادخار (أي: التذكر)، ووقفتهم للآداب (أي: الاستمرار) في طاعته، والتأهيب لدار القرار، والحدار مما يُسخطه ويُوجب دار البوار (أي: الهلاك)، والمُحافظة على ذلك مع تغير الأحوال والأطوار، أحمسه أبلغ حمد وأركاه، وأشمله (أي: أعمّه) وأنماه، وأشهد أن لا إله إلا الله البر الكبير، الرءوف الرحيم، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد رسله، وحبه وخليله، الهادي إلى صراطِ مُستقِيم، والداعي إلى دين قويم، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى سائر النبيين، وعلى كل، وسائر الصالحين.

أما بعد، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ لَجْنَ وَلَإِنَسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ ﴾٥٦﴾ [الناريات: ٥٧، ٥٦]، وهذا تصريح بأنهم خلقو العبادة، فحق عليهم الاعتناء بما خلقو له والإعراض (أي: البعد) عن حظوظ الدنيا بالزهاد؛ فإنها دار نفاد (أي: فناء وزوال) لا محل إخلاص، ومركب عبر لا منزل حبور (أي: سرور)، ومشرع انفصام لا موطن دوام، فلهذا كان الأيقاظ من أهلها هم العباد، وأعقل الناس فيها هم الزهاد؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا شَلَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كُلَّهُ أَنْزَلَنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْنَطَ بِهِنَّبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَمُ حَقَّ إِذَا أَخْذَتِ الْأَرْضَ ذُرْفَهَا وَأَزَّيْنَتْ وَظَلَّ أَهْلَهَا أَنْهِمْ قَنْدِرُونَ عَيْنَاهَا أَتَنَاهَا أَمْرَنَا إِلَّا أَوْهَانَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَانَ لَمْ تَفْتَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْأَيَّتِ لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ ﴾٤٤﴾ [يونس: ٢٤]. والآيات في هذا المعنى كثيرة. ولقد أحسن القائل:

إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا فَطَنَ طَلَقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفَتَّا

أَنْهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنًا

صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُفْنَا

نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا

جَعَلُوهَا لُجَّةً (أي: بحرًا) وَاتَّخَذُوا

فإذا كان حالها ما وصفته، وحالنا وما خلقنا له ما قدّمه؛ فحق على المُكلَّف أن يذهب ببنفسه مذهب الأخيار، ويسلك مسلك أولي النهى (أي: العقول) والأبصار، ويتأهّب (أي: يستعد) لما أشرت إليه، وبهتم لما نبهت عليه، وأصوّب طريقه في ذلك، وأرشد ما يسلكه من المسالك، التاذب بما صح عن نبينا سيد الأولين والآخرين، وأكرم الساقين واللاحقين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِرْثِ وَالْغَنَوْيِ﴾ [المائدة: ٢].

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه». [مسلم برقم (٢٦٩٩)، وأنه قال: «من دل على حير فله مثل أجر فاعله»]. [مسلم برقم (١٨٩٣)، وأنه قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»]. [مسلم برقم (٢٦٧٤)، وأنه قال لعلي عليه السلام: «فوا لله، لأن يهدى الله يك رجلاً واحداً خيراً لك من حمر النعم (أي: الإبل الحمر)». [متفق عليه]].

فرأيت أن أجمع مختصراً من الأحاديث الصحيحة، مشتملاً على ما يكون طريقاً لصاحبها إلى الآخرة، ومحصلاً لأدابها الباطنة والظاهرة، جامعاً للترغيب والترهيب وسائر أنواع آداب السالكين: من أحاديث الرهد ورياضات النفوس، وتهذيب الأخلاق، وطهارات القلوب وعلاجها، وصيانة الجوارح وإزاله أعيجتها، وغير ذلك من مقاصد العارفين.

والتزم فيه ألا ذكر إلا حديثاً صحيحاً من الواضحت، مضافاً إلى الكتب الصحيحة المشهورات، وأصدر الأبواب من القرآن العزيز بآيات كريمات، وأوشح ما يحتاج إلى ضبط أو شرح معنى خفي بنفائس من التبيهات، وإذا قلت في آخر حديث: «متفق عليه». فمعناه: رواه البخاري وسلم.

وأرجو إن تم هذا الكتاب أن يكون سائقاً للمعني به إلى الخيرات، حاجزاً له عن أنواع القبائح والمهمليات، وأنا سائل أخا انتفع بشيء منه أن يدعولي، ولو الذي ومسايني وسائر أحبابنا، والمسلمين أجمعين. وعلى الله الكريم اعتمادي، وإليه تقويري واستنادي، وحسبني الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العزيز الحكيم.

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

## ١- باب الإخلاص وإحضار النية

**في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية**

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا أَمْرٌ وَمَا لَا يَعْبُدُوا إِلَهٌ مُخْلِصٌ لَهُ الَّذِينَ حُنْفَاءٌ وَيُقْسِمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا أَزْكَوْهُ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ ﴾ [البيت: ٥].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لَنْ يَتَأْلَمَ اللَّهُ لِتُوْمَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَا يَنْأِلَكُنْ يَنَالُهُ الْقَوَىٰ مِنْكُمْ ﴾ [الحج: ٣٧].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لَمْ تَخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْبَدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٢٩].

(١١) وعن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب بن فضيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قطرون  
 بن رزاح بن عديّ بن كعب بن لوييّ بن غالب القرشى العذوى قال: سمعتَ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 يقول: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ  
 وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةً يُنَكِّحُهَا،  
 فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ». متفق على صحته؛ رواه إماماً المحدثين، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة  
 بن برد ذهبه العجفاني البخاري، وأبو الحسين مسلم بن الحاجاج ابن مسلم القشيري النسابوري صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صحيحهمما اللذين هما أصح  
 الكتب المصنفة.

(١٢) وَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ، عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَغْرُوْ جَيْشُ الْكَعْبَةِ، فَإِذَا كَانُوا بِيَدِهِمْ (أَيْ: مَكَانَ بَيْنَ مَكَّةِ وَالْمَدِينَةِ) مِنَ الْأَرْضِ يُخْسِفُ بِأَوْلَاهُمْ وَآخِرَهُمْ». قَالَتْ: قَلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُخْسِفُ بِأَوْلَاهُمْ وَآخِرَهُمْ وَفِيهِمْ أَسْوَافُهُمْ (أَيْ: الرُّعْيَةُ وَأَوْسَاطُ النَّاسِ) وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟! قَالَ: «يُخْسِفُ بِأَوْلَاهُمْ وَآخِرَهُمْ ثُمَّ يُعَثِّنُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ». مُتَقَوْلَى عَلَيْهِ، وَهَذَا الْفَطْرَةُ الْبَخَارِيُّ.

(١٣) ) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا هجرة بعد الفتح، ولكل جهاد ونية، وإذا استئنفتم فانهروا (أي: إذا طلب منكم النصرة والعون فأجيبوا وأخرجو للإعانة)». متفق عليه.

وَمَعْنَاهُ: لَا هِجْرَةٌ مِّنْ مَكَّةَ؛ لَأَنَّهَا صَارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ.

(٤) وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري روى عنهما قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَّةٍ، فَقَالَ: «إِنَّ  
بِالْمَدِينَةِ لَرَجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًّا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْمَرْضُ». وَفِي  
روأية: «إِلَّا شَرِكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ». رواه مسلم.

ورواه البخاريُّ عن أنسٍ رضي الله عنه قال: رَجَعْنَا مِنْ عَزْوَةٍ تُبُوكَ مَعَ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله وسلامه، فقال: «إِنَّ أَقْوَامًا خَلَقْنَا بِالْمَدِينَةِ، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا» (أي: وهو الطريق بين جبلين) وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَاهُ، حَبَسَهُمُ الْعُدُرُ».

(١/٥) وعن أبي يَزِيدَ مَعْنَى بْنِ يَزِيدَ بْنِ الْأَخْنَسِ رضي الله عنه، وهو أَبُوهُ وَجَدُّهُ صَحَابِيُّونَ، قال: كَانَ أَبِي - يَزِيدُ - أَخْرَاجَ دَنَائِرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا، فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَجِئْتُ فَأَخْذَتُهَا فَأَتَيْتُهَا بِهَا، فَقَالَ: وَاللَّهِ، مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ. فَخَاصَّصْتُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه، فَقَالَ: «لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ مَا أَخْدَتَ يَا مَعْنُ». رواه البخاري.

(١/٦) وعن أبي إِسْحَاقَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصِ مَالِكِ بْنِ أَهْيَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ كَلَابِ بْنِ مُرَّةِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤْيٍ، الْقُرْشِيِّ الرُّهْرِيِّ رضي الله عنه، أَحَدُ الْعَشَرَةِ الْمَشْهُودُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، قَالَ: جَاءَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه يَعْوَدُنِي (أي: يَزُورُنِي وَأَنَا مُرِيضٌ) عَامَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مِنْ وَجْهِ اسْتَدَادِيِّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الْوَجْهِ مَا تَرَى، وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي، أَفَأَتَصَدِّقُ بِشُكْرِيِّ مَالِيِّ؟ قَالَ: «لَا». قُلْتُ: فَاللَّشْطُرُ (أي: النَّصْفُ) يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «لَا». قُلْتُ: فَاللَّثُثُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «اللَّثُثُ، وَاللَّثُثُ كَثِيرٌ - أَوْ كَبِيرٌ - إِنَّكَ أَنْ تَذَرَّ (أي: تُترِكُ) وَرَثْتَكَ أَعْنِيَاءَ خَيْرٍ مِنْ أَنْ تَذَرَّهُمْ عَالَةً» (أي: فَقَاءُ يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ (أي: يطلبون حاجاتهم من الناس)، وَإِنَّكَ لَنْ تُفْقِدَ نَفَقَةً تَبَتَّغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أَجْرَتَ عَلَيْهَا، حَتَّىٰ مَا تَجْعَلُ فِي فِي (أي: فِي) امْرَأِكَ». قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْلَفُ (أي: أُتُرِكُ) بَعْدَ أَصْحَابِيِّ (أي: سَأَلَ سَعْدَ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله وسلامه ذَلِكَ السُّؤُلُ لَا نَهُ كُرْهَ أَنْ يَتَخَلَّفَ فِيمَوْتُ فِي مَكَّةَ وَقَدْ خَرَجَ مِنْهَا مَهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ؟ قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلَ عَمَالًا تَبَتَّغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أَرْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرُفْعَةً، وَلَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ حَتَّىٰ يَسْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ أَخْرُونَ. اللَّهُمَّ أَمْضِ (أي: تَمِّ) لِأَصْحَابِيِّ هِبْرَتَهُمْ، وَلَا تُرَدِّهُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ، لَكِنَّ الْبَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةً». يَرِثِي لَهُ (أي: يحزن عليه) رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه أَنْ ماتَ بِمَكَّةَ. متفق عليه.

(١/٧) وعن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْتَظِرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يُنْظَرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ». رواه مسلم.

(١/٨) وعن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتَلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتَلُ حَمِيمَةً (أي: تعصي لقومه) وَيُقَاتَلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». متفق عليه.

(٩) وعن أبي سعيد بن الحارث التغفري قال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار». قلت: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه». متفق عليه.

(١٠) وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «صلوة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في سوقه وبنته بضعاً (أي: وهو عدد بين الثلاث إلى التسع) وعشرين درجة؛ وذلك أن أحد هم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد لا يريده إلا الصلاة، لا ينهره إلا الصلاة: لم يخط خطوة إلا رفع لها درجة، وخط عنده بها خطيبة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه، يقولون: اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، اللهم تب عليه. ما لم يؤذ فيه، ما لم يحدث فيه». متفق عليه، وهذا الفظ مسلم. قوله عليه السلام: «ينهره» هو يفتح الياء والهاء وبالزاي، أي: يخرج وجهه وينهضه.

(١١) وعن أبي العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: عن رسول الله صلوات الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم يئن ذلك، فمن هم بحسنة (أي: عزم على فعلها) فلم يعملها كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملوها كتبها الله عشر حسناً إلى سبعين حسنة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها (أي: خوفاً من الله) كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملوها كتبها الله سيئة واحدة». متفق عليه.

(١٢) وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «انطلق ثلاثة نفر (أي: وهو اسم يطلق على جماعة الرجال ما بين الثلاثة والعشرة) ممن كان قبلكم حتى أواهم الميت إلى غار فدخلوه، فأنحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيك من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أعيق (أي: ما كنت أقدم عليهم أحداً في شرب نصيهما من اللبن الذي يشربانه. والغبوق شرب آخر النهار مقابل الصبور) قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى (أي: بعد) بي طلب الشجر يوماً فلم أرجع (أي: أرجع) عليةما حتى ناما، فحلبت لهم عبوقةهما فوجدت هما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبقي قبلهما أهلاً أو مالاً، فلست

والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون (أي: يكون ويصيرون) عند قدمي، فاستيقظا فشربا عبودهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ايتغاء وجهك ففرج عننا ما نحن فيه من هذه الصخرة. فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه. قال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم، كانت أحبت الناس إلى».

وفي رواية: «كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء - فأردتها على نفسها (أي: أردت أن أخصبها نفسها لأجايدها) فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين (أي: وقعت في ضائقة وشدة) فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلّي بيدي وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها».

وفي رواية: «فلما قعدت بين رجليهما - قالت: آتى الله ولا تفض الخاتم (أي: كنایة عن الفرج والبكارة) إلا بحقه (أي: بالزواج المشروع)، فانصرفت عنها وهي أحبت الناس إلى وتركت الذهب الذي أعطيتها. اللهم إن كنت فعلت ذلك ايتغاء وجهك فافرج عننا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فتمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله، أدى إلي أجري. فقلت: كُل ما ترثى من أجرك: من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبد الله، لا تستهزئ بي! فقلت: لا تستهزئ بي. فأخذته كله فاستاقة فلما يترك منه شيئا. اللهم إن كنت فعلت ذلك ايتغاء وجهك فافرج عننا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون». متفق عليه.

\* \* \*

## (الإخلاص)

قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلّهِ الْدِينُ الْحَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]. وقال تعالى: ﴿فَنَنَّ كَانَ يَرْجُو الْقَاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلَ عَمَلًا صَلِحًا وَلَا يُشْرِكَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]. وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر (أي: يطلب به الثواب من الله والاشتهر بين الناس): ما له؟ قال: «لا شيء له». فأعادها الرجل ثلاثة، كل

ذلك يقول النبي ﷺ: «لَا شَيْءَ لِهِ». ثم قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبُلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ حَالِصًا وَابْتَغَى بِهِ وَجْهُهُ». النسائي برقم (٣١٤٠)، حسن البخاري (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٨٥٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيمة؟ فقال رضي الله عنه: «لَقَدْ ظَنَّتُ أَنَّهُ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ قَبْلَكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ». يا أبا هريرة، أسعد الناس شفاعتي من قال لا إله إلا الله حالصاً مخلصاً من قلبيه. البخاري برقم (٦٥٧٠). قال مكحول : ما أخلص عبداً قط أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه. وقال أبو سليمان الداراني : إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرّياء (أي: اشغله بنظر الناس إليه).

وقال ابن القيم : العمل بغير إخلاص ولا اقتداء (أي: بهدي النبي ﷺ) كالمسافر يملأ جرابه رملاً ينقله ولا ينفعه. والجواب: إناء من الجلد يضع فيه المسافر ما لديه من زاد للسفر.

قال أحد الأولياء: أخلص النبي في أعمالك يكفك القليل من العمل. وقال يحيى بن معاذ : الإخلاص يميز العمل (أي: ينقذه) من العيوب كتمييز اللَّبَنِ من الفَرْثِ (أي: الأمعاء والأحشاء) والدَّمِ.

وقال بعض الصالحين: في إخلاصِ ساعَةٍ نجاَةُ الأَبْدِ، ولكن الإخلاص عزيز (أي: قليل وصعب). وقال أيضاً: العلم بذر، والعمل زرع وماهِهُ الإخلاص.

وقال أيضاً: \* مراد الله من عمل الخالق الإخلاص فقط. وقال الجنيد : إن الله عباداً عَقَلُوا (أي: فهموا مراد الله تعالى)، فلما عَقَلُوا عَمِلُوا، فلما عملوا أخلصوا، فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البر أجمع.

وقال أيضاً: إذا أبغض الله عبداً أعطاه ثلاثاً ومنعه ثالثاً: أعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم، وأعطاه الأعمال الصالحة ومنعه الإخلاص فيها، وأعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها.

وقال رضي الله عنه: «إِنَّمَا يُنْصَرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأَمَّةُ بِضَعْفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ». النسائي برقم (٣١٧٨)، صححه البخاري (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٣٨٨). وقال رضي الله عنه: «بَشَّرَ هَذِهِ الْأَمَّةَ بِالْتَّسِيرِ وَالسَّنَاءِ» (أي: ارتفاع المترفة)، والرُّفَعَةِ بِالدِّينِ وَالْتَّمَكِينِ فِي الْبِلَادِ وَالنَّصْرِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعَمَلِ الْآخِرَةِ لِلَّدُنْنَا فَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ». أحمد (١٣٤/٥) برقم (٢١٢٥٨)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٨٢٥).

وقال ابن قتيبة في كتابه «عيون الأخبار»: حاصل مسلم بن عبد الملك حصناً، وكان في

ذلك الحصن نَقْبٌ (أي: نَقْبٌ في العائط) فنَدَبْ (أي: شجع) النَّاسَ إِلَى دُخُولِهِ فَمَا دَخَلَهُ أَحَدٌ، فجاء رَجُلٌ مِّنْ عُرْضِ الْجَيْشِ (أي: مِنْ عَائِتَةِ غَيْرِ مَعْرُوفٍ) فَدَخَلَهُ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ، فَنَادَى مَسْلِمَةً: أَيْنَ صَاحِبُ النَّقْبِ؟ فَمَا جَاءَهُ أَحَدٌ، فَنَادَى: إِنِّي قَدْ أَمْرَتُ الْأَذْنَ بِإِدْخَالِهِ سَاعَةً يَأْتِي، فَعَزَمْتُ عَلَيْهِ (أي: فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ وَرْجُونِهِ) إِلَّا جَاءَ. فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْأَذْنِ فَقَالَ: اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى الْأَمْيَرِ. فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ صَاحِبُ النَّقْبِ؟ قَالَ: أَنَا أَخْبَرُكُمْ عَنْهُ. فَأَتَى الْأَذْنُ إِلَى مَسْلِمَةَ فَأَخْبَرَهُ عَنْهُ فَأَذْنَ لَهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ لِمَسْلِمَةَ: إِنَّ صَاحِبَ النَّقْبِ يَأْخُذُ عَلَيْكُمْ (أي: يُشَرِّطُ) ثَلَاثًا: أَلَا تُسَوِّدُوا اسْمَهُ (أي: لَا تَكْتُبُوهُ فِي صَحِيفَةِ إِلَى الْخَلِيفَةِ)، وَلَا تَأْمُرُوا لَهُ بِشَيْءٍ (أي: كِنْتَهُ)، وَلَا تَسْأَلُوهُ مَنْ هُوَ (أي: مِنْ أَيِّ قَبْلَةِ هُوَ). قَالَ مَسْلِمَةُ: فَذَاكَ لَهُ . قَالَ الرَّجُلُ: أَنَا هُوَ. فَكَانَ مَسْلِمَةُ بَعْدَ هَذِهِ لَا يُصْلِي صَلَاةً إِلَّا قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مَعَ صَاحِبِ النَّقْبِ.

**إِخْلَاصُ النِّيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى:** قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتاب أرساله إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: مَنْ خَلَصَتْ نِيَّتُهُ كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَمَا بَيْنَ النَّاسِ (أي: فلا يشغل بمذاهتهم وطلب الأجور منهم)، وَمَنْ تَرَى بِمَا لِيَسْ فِي نَفْسِهِ شَاءَهُ (أي: عابه) اللَّهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبِلُ مِنَ الْعَبَادِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا، فَمَا ظُنِّكَ بِثَوَابِهِ عَنْهُ إِلَّا عَاجِلٌ رِزْقُهُ وَخَزَانَةُ رَحْمَتِهِ.

إِنَّمَا خَلَصَتْ نِيَّةُ الْعَبْدِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَكَانَ قَصْدُهُ وَهُمُّهُ فِي عَمَلِهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ تَعَالَى أَيَّدَهُ اللَّهُ وَأَعْنَاهُ . قال اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ أَتَقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

فرأسُ التقوى والإحسان هو إخلاص النية لله تعالى في إقامة الحق، والله تعالى لا غالب له، فمن كان الله في عونه ونصره فمن ذا الذي يغلبه أو يناله بسوء؟! ومن يخاف؟! وإن لم يكن الله في عونه فمن يرجو؟! وبِمَنْ يُشَرِّقُ؟! وبِمَنْ يَتَصَرُّ؟! فإذا قام العبد بالحق على نفسه وغيره، وكان مخلصاً في ذلك لله تعالى، لم تقف أمامه عقبة، ولو كاده خلائق عظام لکفاه الله وجعل له مخرجًا من كل كرب. أما إذا كان قيامه في نفسه وغيره بالباطل لم يُمْكِنْ له في الأرض ولم ينصر، وحتى لو نُصر ظاهراً فهو نصر زائف لا عاقبة له.

إِنَّمَا قَامَ الْعَبْدُ فِي نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ بِالْحَقِّ مِنْ دُونِ إِخْلَاصٍ، وَإِنَّمَا لَطْبُ الْحَمْدِ وَالْجَزَاءِ مِنَ النَّاسِ، أَوْ لِلْوُصُولِ إِلَى غَرْضٍ دُنْيَوِيٍّ مَحْضٍ، وَكَانَ الْقِيَامُ بِذَلِكَ الْحَقِّ هُوَ السَّبِيلُ إِلَيْهِ - فَلَا يَضْمِنُ نَصْرَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ضَمَّنَ النَّصْرَ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ وَقَاتَلَ لِتَكُونَ

كلمة الله هي العليا، فمن كان وسِم واتصف بذلك خرج من المتقين والمحسنين وكان من المرائين المنافقين. وحتى لو قُدر له النصر فإنه يكون بحسب القدر الذي هو عليه من الحق، فيكون النصر على حسيبه. وعلى هذا فإذا عزم العبد على فعل أمر ما فعليه أولاً أن يعلم هل هو طاعة الله أم لا، فإن لم يكن طاعة الله فلا يفعله، إلا أن يكون عملاً مباحاً فيستعين به على الطاعة، ومن ثم يُحسب عندئذ طاعة؛ لأن حكم الأمور عند الله بمقاصدها، وهذه قاعدة عظيمة مفروضة عليها من الأحكام ما لا يمكن حصره.

وقول عمر رضي الله عنه: **فَمَنْ تَرَى** (أي: أدعى) **بِمَا لَيْسَ فِيهِ شَانَةُ اللَّهِ** (أي: جعله معيناً بين الناس)، وهذا هو المنافق الذي يُظهر للناس أمراً ويُبطن في سره خلافه؛ ولذلك فإن الجزاء من جنس العمل: فالْمُخْلِصُ يُعْجَلُ لِهِ ثَوَابُ إِخْلَاصِهِ فِي عَمَلِهِ حَلَوةٌ يَجِدُهَا فِي قَلْبِهِ وَمَحْبَةٌ وَمَهَابَةٌ فِي قُلُوبِ النَّاسِ، وَأَمَّا الْمُتَزَّنِينَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ وَهُوَ الْمُنَافِقُ فَعَقُوبَتُهُ أَنَّ اللَّهَ يَفْضِلُهُ بَيْنَ النَّاسِ؛ لَأَنَّهُ خَالِفٌ سُرُّهُ عَلَيْنَا، فَأَبْطَنَ اللَّهُ خَلَافَ مَا يُظْهِرُ لِلنَّاسِ، فَكَانَ جَزَاؤُهُ أَنَّهُ أَظْهَرَ اللَّهَ عَيْوَبَهُ لِلنَّاسِ جَزَاءً مِنْ جَنْسِ عَمَلِهِ، وَالْإِخْلَاصُ فِي الطَّاعَةِ كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: تَرَكَ الرِّيَاءَ وَقَالُوا أَيْضًا: الإخلاص هو تخلص القلب من كل شائبة تفسد صفاءه.

وحقيقة الإخلاص هو التبرؤ من كل ما دون الله تعالى، فالإخلاص في الدين هو التبرؤ مما يدعوه اليهود من التشبيه، وما يدعوه النصارى من الشيش؛ قال الله تعالى: **﴿عَلَيْكُمْ لَهُ الدِّينُ﴾** [الأعراف: ٢٩]، وقال تعالى: **﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لَهُ﴾** [ النساء: ١٤٦].

قال ابن تيمية : فَالإخلاص الله هو أصل الدين، وقادته هي أصل الأصول، وقاعدة الدين في سوري «الإخلاص» و«الكافرون»؛ قال الله تعالى: **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾** [الإخلاص: ١]، وقال تعالى: **﴿قُلْ يَتَآمَّا الْكَافِرُونَ﴾** [الكافرون: ١].

فهي - أي سورة «الكافرون» - متضمنة توحيد الأفعال (أي: نية وقصد العبد) والعبودية لله وحده، فجميع الأعمال يجب أن تكون لله وحده، كالصلوة والدعاء والحجج والذبح والنذر، وغيرها من الأفعال. وهي إخلاص الدين الله بالقصد والإرادة (أي: بأن يقصد بالعمل إرضاء الله فقط لغيره)، فهي توحيد العمل والنية توحيداً عملياً. أما سورة الإخلاص فهي توحيد الله بالعلم والقول (أي: أن يعلم ذلك يقيناً بقلبه ويتلفظ به قوله بالسانه)، فالسورة تتضمن التوحيد القولي والعلمي.

**حقيقة الإخلاص:** كل شيء يتصور أن تشوّبه الشوائب، فإذا صفا وتخلاص من الشوائب خلاص وسمي خالصاً، فالشيء الخالص هو الصافي الذي لا تشوّبه الشوائب ولا يُخالطه شيء آخر؛ قال الله تعالى: ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثَ وَدَرِ لَبَنًا خَالصًا سَائِعًا لِلشَّرِّينَ﴾ [النحل: ٦٦]. والصافي هو الذي لا شائبة فيه، أما الخالص فهو الذي كانت فيه شوائب ثم زالت عنه فسمى خالصاً بعد ذلك.

**الفرق بين المخلص والمخلص:** أما المخلص فقد قال تعالى: ﴿الْأَعْبَادُكُمْ مِنْهُمُ الْمُخْلَصُونَ﴾ [الحجر: ٤٠]، فالملحقون هم الذين اختارهم الله تعالى، فهم المختارون، كالأنبياء والمرسلين؛ قال الله تعالى: ﴿وَذَكْرُ فِي الْكِتَبِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخَلَّصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [آل عمران: ٥١].

أما المخلص فهو المُوحَّد اللَّهُ تَعَالَى فِي عِبادَتِهِ؛ ولِهذا سُمِّيَتْ كَلْمَةُ التَّوْحِيدِ كَلْمَةُ الْإِخْلَاصِ، وَمِنْهَا سُمِّيَتْ سُورَةُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ سورة الإخلاص؛ لأنَّها خالصة في صفة الله تعالى؛ ولأنَّ المُتَلْفَظُ بِهَا قد أَخْلَصَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى.

قال أبو بكر المروزي : سمعت رجلاً يقول لأحمد بن حنبل وذَكَر له الصدق والإخلاص، فقال له ابن حنبل: بهذا ارفع القوم.

وُسْئَلَ ذُو الْنُونَ الْمَصْرِيَ : يوماً فِيمَ يَجِدُ الْعَبْدُ الْخَالصَ؟ فَقَالَ: الْخَالصُ فِي الْإِخْلَاصِ، فَإِذَا أَخْلَصَ تَخْلَصَ. وَقَالَ: مَنْ صَحَّ (أي: اتَّبعَ السُّنَّةَ) اسْتَرَاحَ، وَمَنْ صَفَّى (أي: أَخْلَصَ) صُفِّيَ لَهُ.

وقال سفيان بن عيينة : ما أَخْلَصَ عَبْدُ اللَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا إِلَّا أَنْبَتَ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فِي قَلْبِهِ نِيَّاتًا، وَأَنْطَقَ لِسَانَهُ بِهَا، وَبَصَرَهُ عِيوبَ الدُّنْيَا دَاءَهَا وَدَوَاهَا.

وقال أبو يزيد: مَنْ سَمِعَ الْكَلَامَ لِيَكْتَلِمَ مَعَ النَّاسِ رَزْقَهُ اللَّهُ فَهُمَّا يُكَلِّمُ بِهِ النَّاسَ، وَمَنْ سَمِعَهُ لِيُعَالِمَ بِهِ اللَّهُ رَزْقَهُ اللَّهُ فَهُمَّا يُنَاجِيَ بِهِ رَبَّهُ.

وقال سَهْلُ التُّسْتَرِي : ما مِنْ عَبْدٍ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنَ السُّنَّةِ (أي: مِنْ أَعْمَالِ الشَّرِيعَةِ) وَكَانَتْ نِيَّتُهُ مَتَقدِّمةً (أي: تَسْبِقُ الْعَمَلَ) فِي دُخُولِهِ اللَّهَ إِلَّا خَرَجَ الْجَهْلُ مِنْ سُرُّهُ، شَاءَ أَمْ أَبْيَ، وَلَا يَعْلَمُ الْجَهْلُ إِلَّا فَقِيهُ زَاهِدٌ حَكِيمٌ، وَلَا يَلْعَنُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ عِلْمِ النِّيَّةِ حَتَّى

يُدخله الله في ديوان أهل الصدق ويكون عالماً بعلم الكتاب وعلم الآثار (أي: أقوال الصحابة وأهل العلم) وعلم الافتداء (أي: السنة الصحيحة).

وقال يحيى بن معاذ الرازى : من أشخاص (أي: توجه خالصاً) بقلبه إلى الله افتتحت ينابيع الحكمة من قلبه وجرت على لسانه.

وقيل لحمدون بن أحمد : ما بال كلام السلف أفع من كلامنا؟ قال: لأنهم تكلّموا العز الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن، ونحن نتكلّم لعز النفوس وطلب الدنيا ورضا الخلق.

**الأعمال المتعلقة بالنية:** حينما يسمع الإنسان حديث النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرٍ مَا نَوَى» [متفق عليه] يتبرد إلى الذهن أن جميع الأعمال تدرج تحت هذا الحديث، ومن ثم يستفيد العبد من كل عمل حسب نيته في ذلك.

والحقيقة أن جميع الأعمال يمكن تقسيمها إلى: معاصٍ، وطاعات، ومباحات.

**ـ المعاصي:** فأما المعاشي فلا تقلب إلى طاعة أبداً، مهمماً تغيرت النية. مثال ذلك: من أراد أن يغتاب إنساناً لإدخال السرور على قلب غيره من الناس، أو أن يطعم فقيراً من مال مسروق، أو أن يبني مسجداً بمال حرام قاصداً وناوياً الخير، فهذا من الجهل، فإذا كان عارفاً ومدركاً لذلك صار من المعاندين والمستهزيئين بالشرع الحكيم، فالخير لا يعرف إلا عن طريق الشرع، وليس بهوى النفس، فلا يكون الشُّرُّ خيراً أبداً حتى ولو كانت النية حسنة.

يقول سهُلٌ : ما عَصَيَ اللَّهُ بِمُعْصِيَةِ أَعْظَمِ مِنْ جَهَلٍ (أي: يعني: مع الإصرار عليه). فسئل: هل تعرف شيئاً أشدّ من الجهل؟ قال: نعم، الجهل بالجهل (أي: يجهل الجاهل أنه جاهل)! وذلك لأن الجهل بالجهل يُسُدُّ طلب التعلم بالكلية على الإنسان، فكيف يطلب العلم من ظنّ نفسه أنه عالم؟! ولهذا فإن أفضل ما أطيع الله به هو العلم، ورأس العلم العلم بالعلم (أي: يعلم العبد قيمة العلم).

ولهذا قيل: إن من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معدور، إلا إذا كان قريب العهد بالإسلام ولم يجد بعد مهلاً للتعلم.

وقد قال الله تعالى: ﴿فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الحل: ٤٣].

وقيل في الآخر: لَا يَنْبَغِي لِلْجَاهِلِ أَنْ يَسْكُتَ عَلَى جَهْلِهِ. رواه الطبراني في الأوسط.

ولهذا فقول النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ» إنما يختص بالطاعات والمباحثات دون المعاشي، فالطاعة قد تنقلب إلى معصية بالقصد والإرادة، والمباح قد ينقلب إلى معصية أو إلى طاعة كذلك بالقصد والإرادة. أما المعصية فلا تنقلب إلى طاعة أبداً، حتى ولو قصدنا ذلك، والنية فيها قد تضاعف الضرر والإثم، وقد تدخل فيها نيات أخرى سيئة من استهزاء بالشرع الحنيف وما إلى ذلك.

## ٢- الطاعات: هنا أمراً يجب التنبه إليهما:

أ- أن الأصل في الطاعات أن يقصد بها العبد وينوي عبادة الله تعالى، بأن يقصد بها إرضاء وجهه الكريم لا غير. كقول رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ أَمْرٌ أَيْنَكُحُّهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ». متفق عليه.

فإذا قصد ونوى مرأة الناس انقلبت والعياذ بالله إلى معصية.

ب- أن الطاعات من الممكن مضاعفتها إلى أضعاف كثيرة إذا استطاع العبد أن ينوي بالطاعة الواحدة خيرات كثيرة، فيكون له بكل نية ثواب، وكل ثواب يضاعف عشرة أمثاله. مثال ذلك: الجلوس في داخل المسجد، فهو طاعة، ولكن يمكن للمرء أن ينوي به نيات كثيرة حتى يصير بها من المقربين إلى الله عزوجل، من ذلك:

أ- أن ينوي أن هذا بيت الله، فيقصد به زيارة ربّه فيه. فعن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ فَأَحْسَنَ الْوُصُوءَ ثُمَّ آتَى الْمَسْجِدَ فَهُوَ زائرُ اللَّهِ، وَحَقٌّ عَلَى الْمَزورِ أَنْ يُكْرَمَ الزائر». ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١١٥) برقم (٧)، صحيح البخاري (السلسلة الصحيحة) حديث (١١٦٩).

ب- أن ينوي انتظار الصلاة بعد الصلاة، كما قال في الحديث: **«فَذَلِكُ الْرِّبَاطُ»**. مسلم برقم (٢٥١).

ج- أن ينوي الاعتكاف، ليكشف أعضاءه عن المعصية أو الغفلة.

د- أن ينوي أن يختلي بربّه؛ ليذكره ولি�تفكر في نعمه وآلاءه.

- هـ- أن ينويَ أن يستفيدَ من العلم إن كان هناك تعلِّمُ.
- وـ- أن ينويَ أن يُعلِّم غيرَه ممن يحتاجون إلى تعلُّم علمٍ ما من الفرائض مثلاً، كالصلة والطهارة، أو إرشادٍ لخَيْر أو حلًّا لمشكلة إن كان يستطيع ذلك.
- زـ- أن ينويَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- حـ- أن ينويَ أن يتحصل أخَا في الله أو صاحبًا صالحًا؛ فإن المسجد بيتٌ كُلُّ تقىٍ.
- طـ- أن ينويَ بذلك ترك الذنوب بالانقطاع في المسجد.

فقال الحسنُ بن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من أدمن الاختلافَ إلى المسجد (أي: الذهاب والإياب) رزقه الله إحدى سبع خصال: أخَا مستفادةً في الله، أو رحمةً مستنزلة، أو علمًا مستظرفاً، أو كلمةً تدلُّ على هدَىً أو تصرفه عن رَدَىً (أي: هلاك)، أو يترك الذنوب خشيةً أو حياءً.

فهذا طريق تكثير النيات، وتسير على هذا سائر الطاعات؛ إذ ما من طاعة إلا وتحمل نياتٍ كثيرة، وإنما يأتي هذا في العبد بعلمٍ وتعلُّمٍ، وبالصبر والاجتهد في طلب الخير.

وروى عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا قال: «الَّذِي يُشَبِّعَ مَؤْمِنًا مِنْ خَيْرٍ حَتَّىٰ يَكُونَ مُتَهَاهَ الْجَنَّةِ». الترمذى برقم (٢٦٨٦) وحسنه، والحاكم في «المستدرك» (٤ / ١٤٤) برقم (٧١٧٥).

**٣- المباحثات:** ما من شيءٍ من المباحثات إلا وقد يحمل أكثرَ من نيةٍ، فيصير بها من أفضل القربات عند الله. ولا ينبغي للعبد أن يتعامل مع المباحثات تعامل البهائم والأنعام، فيتعاطاها عن سهوٍ وغفلةٍ، فالتلذُّذ والتنعم في الدنيا ليس بمعصيةٍ، إلا أن العبد يُسأل عنه، والمباح قد ينقلب إلى معصيةٍ أو إلى طاعةٍ بحسب النية والقصد.

مثال ذلك: استعمالُ العطور للرجال عند الخروج من البيت مثلاً، فقد يقصد به العبد التلذُّذ والتنعم، وهذا كما قلنا ليس بمعصيةٍ، ولكنه يُسأل عنه، وقد ضاع عليه الكثيرُ من الفرص للثواب والأجر. وقد يقصد بهذا المباح - وهو التطيب والتعطر - إظهار التفاخر على الناس ليدلُّ على كثرة ماله فيحسده أصحابه على ذلك، أو يقصد به الرِّياء والسمعة، بأن يذكر بينهم بطيب الرائحة لعلو مكانُه بينهم، أو ينوي به التودُّد والتقرب إلى النساء

الأجنبيات اللاتي لا يحلن له، فيصير فعله - وهو التطهير المباح - معصية؛ لسوء القصد والنية، فيصير بذلك وبالاً على صاحبه عند الله تعالى.

وقد يقصد به نيات حسنة، لأن ينوي به اتباع سنة النبي ﷺ؛ حيث كان أطيب الناس ريحًا، وأن ينوي به تعظيم المسجد إذا دخل للصلوة واحترام بيت الله؛ كما قال تعالى: **﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَكُلِّ مَسْجِد﴾** [الأعراف: ٣١]، فلا يدخل إلا طيب الرائحة، وأن ينوي به إدخال السرور على جiranه في المسجد مثلاً، أو أصدقائه في العمل بمجاوريهم بتلك الرائحة الطيبة فيسعدون بها، وأن ينوي بذلك أن يدفع الرائحة الكريهة عن نفسه من أثر العرق والتعب الذي قد يضايق مخالفطيه، ويكتف شره عن الناس - فإنها صدقة منه على نفسه. فعن أبي ذر رض قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: «**الإيمان بالله، والجهاد في سبيله**». قال: قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: «**أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً**». قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: **«تَعْيِنُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لَاخْرَقَ** (أي: الشخص لا يستطيع صنع الأشياء بنفسه)». قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن ضفت عن بعض العمل؟ قال: **«تَكْفُ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ؛ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ**. متفق عليه.

وقد يقصد به العبد أن يغلق باب الغيبة على المغتابين الذين قد يغتابونه بالرائحة الكريهة، فيكون ذلك سبباً لمعصيتهم لله؛ فإن المسبب إلى الشر قد يعد شريكًا فيه بحسب نيته، كما قال تعالى: **﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوُ اللَّهَ عَدُوًا يَغْيِرُ عِلْمَهُ**

﴿[الأنعام: ١٠٨]. وقد يقصد به معالجة رأسه وزيادة عقله؛ فإن الرائحة الزكية مفيدة للعقل، كما قال الشافعي : **«مِنْ طَابَ رِيحُهُ زَادَ عَقْلَهُ**.

وهكذا يستطيع صاحب العلم والفهم والفقه ومن يكثر الاستماع إلى الفضائل والترغيب والترهيب أن يكرر النوايا في المباحثات، كما قال النبي ﷺ في الحديث: **«حَتَّى الْلُّقْمَةُ تَضَعُهَا فِي فِي (أي: فَم) امْرَأَكَ لَكَ بِهَا صَدَقَةٌ»**. متفق عليه. وعن رسول الله ﷺ قال: **«إِنَّكَ لَنْ تُتْفَقَّدَ نَفَقَةً تَبْغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أَجْرَتْ عَلَيْهَا، حَتَّىٰ مَا تَجْعَلُ فِي فِمْ امْرَأَكَ»**. متفق عليه. وقال أيضًا ﷺ: **«فِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ»** (أي: جماع الرجل زوجته). مسلم برقم (١٠٠٦).

عن أبي ذر: أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله، ذهب أهل الدُّثور (أي: الأموال) بالأجور؛ يصلون كما نصلّى، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول (أي: الفضل ما زاد عن الحاجة) أموالهم. قال: «أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ، إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةِ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةِ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةِ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ». وفي بُضُع أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ». قالوا: يا رسول الله، أيّتني أحذنا شهوتَه ويكون له فيها أجر؟ قال: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ، فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ». مسلم برقم (١٠٠٦). وهذا أيضًا مرتبط بالتفكير في الآخرة، فمن غالب على قلبه تجارة الآخرة حضرته النيات الطيبة، وإنما الفلا.

وقال ابن القيم : في كتاب «الروح»: أنه قد تتشابه صور الأعمال الصالحة مع غير الصالحة، فمن ذلك: صورة التوكل على الله كأنها صورة العجز أو الضعف، وصورة النصح كأنها صورة التأديب أو التأنيب، وصورة حب الدعوة إلى الله وعلوه أمره تعالى كأنها صورة حب الرياسة والعلو في الأرض والمكانة في قلوب الناس، وصورة العفو تشبه صورة الذل، وصورة التواضع تشبه صورة المهانة، وصورة الهداية تشبه صورة الرشوة، وصورة الإخبار بالحال تشبه صورة الشكوى، فإن الأول من كل ما ذكر من الصور محمود، والثاني من الصور مذموم، فالصورة واحدة ولا فارق بينهما إلا القصد والنية.

وقال ابن المبارك : رُبَّ عملٍ صغِيرٍ تُعظِّمهُ النية، ورُبَّ عملٍ كَبِيرٍ تُصغِّرهُ النية.

\* \* \*

## ٢- باب التوبية

قال العلماء: التوبة واجبةٌ من كُلِّ ذنبٍ، فإنْ كانتِ المَعْصِيَةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى لَا تَعَلَّقُ بِحَقِّ آدَمِيٍّ، فَلَهَا ثَلَاثَةُ شُرُوطٍ:

أحدها: أنْ يُقلِّعَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ.

والثاني: أنْ يَنْدَمَ عَلَى فِعْلِهَا.

والثالث: أن يَعْزِمَ أَلَا يُعُودَ إِلَيْهَا أَبَدًا. فَإِنْ فُقدَ أَحَدُ الْثَّلَاثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوْبَتُهُ.  
وَإِنْ كَانَتِ الْمَعْصِيَّةُ تَتَعَلَّقُ بِأَدَمَّيِّ فَشُرُّ وَطُّهَا أَرْبَعَةُ: هَذِهِ الْثَّلَاثَةُ، وَأَنْ يَرَأُ مِنْ حَقِّ  
صَاحِبِهَا، فَإِنْ كَانَتْ مَالًا أَوْ نَحْوَهُ رَدَهُ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَتْ حَدًّا قَذْفِ وَنَحْوُهُ مَكَنَّهُ مِنْهُ أَوْ طَلَبَ  
عَفْوَهُ، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَهُ اسْتَحْلَلُهُ مِنْهَا. وَيُجَبُ أَنْ يَتُوبَ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ، فَإِنْ تَابَ مِنْ  
بَعْضِهَا صَحَّتْ تَوْبَتُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ وَيَقِيَ عَلَيْهِ الباقي. وَقَدْ تَظَاهَرَتْ  
ذَلِيلُ الْكِتَابِ وَالسُّسْتَةِ وَاجْمَاعُ الْأُمَّةِ عَلَىٰ وُجُوبِ التَّوْبَةِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَيْعَانِي أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٣١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَسْتَغْفِرُ رَبِّكُمْ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ مَا آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾ [التحرير: ٨].

(٢/١٣) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ يَقُولُ: «وَاللَّهُ إِنِّي لَا سَتَغْفِرُ اللَّهَ  
وَأَتُوْبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً». رواه البخاري.

(٢/١٤) وَعَنْ الأَغْرِيْرِ بْنِ يَسَارِ الْمُزَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى اللَّهِ  
وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنَّمَا أَتُوْبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةً». رواه مسلم.

(٢/١٥) وَعَنْ أَبِي حمزةِ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ - خادِمِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَىٰ بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَّا  
فِيهَا شَرَابٌ فَأَيْسَ (أَيْ: يَسِّ) مِنْهَا، فَأَتَىٰ شَجَرَةً فَاضْطَبَّعَ فِي ظِلِّهَا وَقَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحَلَتِهِ،  
فَيَسِّنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِهَا قَائِمًا عِنْدَهُ، فَأَخَدَ بِخَطَايَاهَا (أَيْ: الْجَبَلُ الَّذِي تُقَادِبُهُ) ثُمَّ قَالَ مِنْ  
شَدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ! أَخْطَأَ مِنْ شَدَّةِ الْفَرَحِ».

وَفِي رَوَايَةِ مُسْلِمٍ: «اللَّهُ أَشَدُ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَىٰ رَاحَلَتِهِ  
(أَيْ: الرَّاحَلَةُ: مَا يَصْلِحُ مِنَ الْإِبْلِ لِلأَسْفَارِ وَالْأَحْمَالِ) بِأَرْضِ فَلَّا، فَانْفَلَّتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ  
وَشَرَابُهُ فَأَيْسَ (أَيْ: يَسِّ) مِنْهَا، فَأَتَىٰ شَجَرَةً فَاضْطَبَّعَ فِي ظِلِّهَا وَقَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحَلَتِهِ،  
فَيَسِّنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِهَا قَائِمًا عِنْدَهُ، فَأَخَدَ بِخَطَايَاهَا (أَيْ: الْجَبَلُ الَّذِي تُقَادِبُهُ) ثُمَّ قَالَ مِنْ  
شَدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ! أَخْطَأَ مِنْ شَدَّةِ الْفَرَحِ».

(٢/١٦) وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يَسِّطُ  
يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوْبَ مُسِيْرُ النَّهَارِ، وَيَسِّطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوْبَ مُسِيْرُ اللَّيْلِ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ  
الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا». رواه مسلم.

(١٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ». رواه مسلم.

(١٨) وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: عن النبي صلوات الله عليه وسلام قال: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَنْ يَقْبُلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرِّغِرْ». (أي: ما لم تبلغ روحه الحلقوم). رواه الترمذى وقال: «حديث حسن».

(١٩) وعن زر بن حبيش رضي الله عنه قال: أتت صفوان بن عسال رضي الله عنه أسألة عن المسمح على الخفيين، فقال: ما جاء بك يا زر؟ فقلت: ايتقاء العلم. فقال: إن الملائكة تضع أجنبحتها لطالب العلم رضا بما يطلب. قلت: إنه قد حك في صدرى المسمح على الخفيين بعد الغائب والبول (أي: لم ينشرح صدرى لأمر المسمح على الخفيين بعد الغائب والبول وشككت فيه)، وكنت امراً من أصحاب النبي صلوات الله عليه وسلام; فجئت أأسأك: هل سمعته يذكر في ذلك شيئاً؟ قال: نعم، كان يأمرنا إذا كنا سفراً - أو مسافرين - لا نزع خفافنا ثلاثة أيام وليليهن إلا من جنابة، لكن من غايط وبول ونوم. قلت: هل سمعته يذكر في الهوى شيئاً؟ قال: نعم، كنا مع رسول الله صلوات الله عليه وسلام في سفر، فبينا نحن عنده إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري (أي: عال): يا محمد فأجابه رسول الله صلوات الله عليه وسلام نحوا من صوته: «هاؤم (أي: تعال)». (أي: ولانا رفع النبي صلوات الله عليه وسلام صوته شفقة عليه؛ لثلا يحيط عمله؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تَرْقَعُوا أَصْوَاتُكُمْ فَوْقَ صَوْتِ الْنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] فعنده لجهله، ورفع النبي صلوات الله عليه وسلام صوته حتى كان مثل صوته أو فوقه، لنفترط رأفته به). قلت له: ويحك (أي: كلمة ترحم وتوجه، تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها، وقد تقال في المدح والتعجب)! أغضض من صوتك؛ فإنك عند النبي صلوات الله عليه وسلام وقد نهيت عن هذا! فقال: والله لا أغضض. قال الأعرابي: المرء يحب القوم ولما يلحق بهم؟ قال النبي صلوات الله عليه وسلام: «المرء مع من أحب يوم القيمة». فما زال يحدثنا حتى ذكر بابا من المغرب مسيرة عرضيه - أو يسير الراكب في عرضه - أربعين أو سبعين عاماً. قال سفيان أحد الرواة: قبل الشام، خلق الله تعالى يوم خلق السموات والأرض مفتواها للتبوية لا يغلق حتى تطلع الشمس منه. رواه الترمذى وغيره، وقال: « الحديث صحيح ».

(٢٠) وعن أبي سعيد سعيد بن مالك بن سنان الخدرى رضي الله عنه: أنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام قال: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلِّلَ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَتَلَهُ فَكَمَلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلِّلَ عَلَى رَجُلٍ عَالَمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مائَةً نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ أَنْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا؛ فَإِنْ بَهَا أَنَا سَا

يَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى، فَأَعْبُدِ اللَّهَ مَعْهُمْ، وَلَا تَرْجِعُ إِلَى أَرْضِكَ؛ فَإِنَّهَا أَرْضٌ سُوءٌ. فَانْطَلَقَ حَتَّىٰ إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ (أي: سار نصف الطريق) أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: قَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِيًّا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ أَدَمٍ فَجَعَلُوهُ يَبْنَهُمْ - أَيِّ: حَكْمًا - فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَىٰ أَيِّهِمَا كَانَ أَدْنِي فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أَدْنِي إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ». متفق عليه.

وفي رواية في الصحيح: «فَكَانَ إِلَى الْقَرِيَةِ الصَّالِحةِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَجَعَلَ مِنْ أَهْلِهَا».

وفي رواية في الصحيح: «فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعِدِي، وَإِلَى هَذِهِ أَنْ تَقْرَبِي. وَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوَجَدُوهُ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَغَفَرَ لَهُ». وفي رواية: «فَنَأَى بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا».

(٢/٢١) وعن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان قائد كعب رضي الله عنه من بنين حيين عمبي، قال: سمعت كعب بن مالك رضي الله عنه يحدّث بحديثه حين تخلف عن رسول الله صلوات الله عليه وسلم في عزوة تبوك. قال كعب: لم تختلف عن رسول الله صلوات الله عليه وسلم في عزوة غزاهما فقط إلا في عزوة تبوك، غير أنّي قد تخلفت في عزوة بدر، ولم يعاتب أخذ تخلف عنّه؛ إنما خرج رسول الله صلوات الله عليه وسلم والمُسْلِمُونَ يُريدُونَ عير (أي: العبر: الإبل بأحمالها) قريش، حتّى جمّع الله تعالى بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد. ولقد شهدت مع رسول الله صلوات الله عليه وسلم كيلة العقبة حين توافقنا على الإسلام، وما أحب أنّ لي بها مشهداً بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلوات الله عليه وسلم في عزوة تبوك أنّي لم أكن قطّ أقوى ولا أيسّر مني حين تخلفت عنّه في تلك العزوة، والله ما جمّعت قبلها راحلتين قطّ حتّى جمعتهما في تلك العزوة، ولم يكن رسول الله صلوات الله عليه وسلم يُريد عزوة إلا ورأى بغيرها (أي: أو هم أنه يريد غيرها) حتّى كانت تلك العزوة، فغزاها رسول الله صلوات الله عليه وسلم في حر شديدة، واستقبل سفراً بعيداً ومفارزاً (أي: صحراء يخاف فيها الهاك)، واستقبل عدداً كثيراً، فجلّ (أي: أوضح) للمسلمين أمرهم ليتأهّلوا أهبة عزّوهم (أي: ليستعدوا لما هم مُقبلون عليه من الغزو)، فأخبرهم بوجههم الذي يُريد (أي: المكان الذي يقصد)، والمسلمون مع رسول الله كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ. يُريد بذلك

الديوان (أي: وهو دفتر يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء). قَالَ كَعْبٌ: فَقَلَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ سِيَخْفَىٰ بِهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ مِّنَ اللَّهِ، وَعَزَّازُ سُولَ اللَّهِ عَزَّلَهُ تَلَكَ الْغَزَوَةَ حِينَ طَابَتِ الشَّمَارُ وَالظَّلَالُ، فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْمَرُ (أي: أميل)، فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ عَزَّلَهُ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَطَفِقْتُ (أي: شَرَعْتُ) أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَىٰ ذَلِكَ إِذَا أَرْدَتُ. فَلَمْ يَزِلْ يَتَمَادِي بِي حَتَّىٰ اسْتَمَرَ بِالنَّاسِ الْجِدُّ (أي: العمل والاجتهداد) فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ عَزَّلَهُ غَادِيَا وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَفْضِ مِنْ جِهَازِي شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزِلْ ذَلِكَ يَتَمَادِي بِي حَتَّىٰ أَسْرَعُوا وَتَفَارَطُ (أي: تقدم الغزاة وسبقوها) الْغَزُورُ، فَهَمِمْتُ أَنْ أُرْتَحِلَ فَأُدْرِكُهُمْ، فَيَا لَيْسِي فَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يُقْدِرْ ذَلِكَ لِي، فَطَفِقْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ عَزَّلَهُ يَخْرُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً إِلَّا رَجُلًا مَعْمُومًا عَلَيْهِ فِي النَّفَاقِ (أي: مطعونًا في دينه متهمًا بالنفاق)، أَوْ رَجُلًا مِّمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْضُّعَفَاءِ. وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ عَزَّلَهُ حَتَّىٰ بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: «مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟». فَقَالَ رَجُلٌ مِّنْ بَنِي سَلِيمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّاظُرُ فِي عِطْفِيهِ (أي: كناية عن تكبره وافتخاره بنفسه) فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلَ عَلَيْهِ: بَئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا. فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ عَزَّلَهُ، فَبَيْنَا هُوَ عَلَىٰ ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا مُمِيَضًا (أي: يلبس ثيابًا يipse) يُرَوِّلُ بِهِ (أي: يتحرك به) السَّرَابُ (أي: السراب: ما يظهر في الصحاري للإنسان في وقت الظهيرة وقت اشتداد الحر كأنه ماء)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَزَّلَهُ: «كُنْ أَبَا خَيْشَمَةً». فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْشَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ (أي: عاب عليه) الْمُنَافِقُونَ. قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَزَّلَهُ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا (أي: راجعاً) مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَشِّيَ (أي: حزني)، فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ: بِمَ أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا؟ وَأَسْتَعِنُ عَلَىٰ ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِّنْ أَهْلِي. فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَزَّلَهُ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا (أي: اقترب قدمه)، زَاحَ (أي: زال) عَنِ الْبَاطِلِ حَتَّىٰ عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُو مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبْدَاهُ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَةً (أي: عزمت على لا أكذب عليه). وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ عَزَّلَهُ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأْ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ (أي: الذين لم يذهبوا معه للقتال) يَعْتَرِرُونَ إِلَيْهِ

وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضَعًا وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِيلَ مِنْهُمْ عَالَانِتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى الله تَعَالَى، حَتَّى جِئْتُ، فَلَمَّا سَلَّمَتْ تَبَسَّمَ الْمُغَصَّبُ ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَى». فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَاءَتْ بَيْنَ يَدِيهِ، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهَرَكَ (أي: اشتريت الإبل التي تركب عليها)؟». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي وَالله لَوْ جَاءَتْ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بُعْدِرٍ؛ لَقَدْ أُعْطِيْتُ جَدَلًا (أي: فَصَاحَةُ وَبِرَاعَة)، وَلَكِنِّي وَالله لَقَدْ عَلِمْتُ لَيْنَ حَدَثْتَكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرَضَى بِهِ عَنِّي لَيُوْشَكَنَّ الله أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَإِنْ حَدَثْتَكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ (أي: تَغْضِبُ) عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى الله بِعْدِكَ (أي: أَنْ يَخْلُفَهُ الله خَيْرًا)، وَالله مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَالله مَا كَنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَمَا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ الله فِيكَ». وَسَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَاتَّبَعُونِي فَقَالُوا لِي: وَالله مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَلَا تَكُونَ اعْتَدْرَتَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ بِمَا اعْتَدَرَ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ، فَقَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ الله ﷺ لَكَ. قَالَ: فَوَالله مَا زَالُوا يُؤْنِي لَهُ حَتَّى أَرْدَتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَأَكَذَّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيْتَ هَذَا مَعِيْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ، لَقِيْتَهُ مَعَكَ رَجُلًا مِثْلَ مَا قُلْتَ، وَقَيْلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ. قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ، وَهَلَالُ بْنُ أُمِيَّةَ الْوَاقِفِيُّ. قَالَ: فَدَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهَدا بِدُرَّا، فِيهِمَا أَسْوَةُ. قَالَ: فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي، وَنَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ كَلَامِنَا إِيَّاهَا الثَّلَاثَةَ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَبَبَنَا النَّاسُ - أَوْ قَالَ: تَعَيَّرُوا لَنَا - حَتَّى تَنَكَّرْتُ (أي: تَغْيِيرُتُهُ) لِي فِي نَفْسِي الْأَرْضُ، فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرَفُ، فَلَيَسْتَأْنَ عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَا صَاحِبَيَ فَاسْتَكَانَا (أي: ضَعِيفُوا) وَقَعَدَا فِي بَيْوِتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمَ (أي: أَصْغَرُهُمْ سَناً) وَأَجْلَدُهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطْوُفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتَيَ رَسُولَ الله ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدِ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أَصَلَّى قَرِيبًا مِنْهُ وَأَسْأَرَهُ النَّظَرَ (أي: أَنْظَرَ إِلَيْهِ فِي خَفْيَةِ)، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ وَإِذَا التَّفَتْ نَحْوَهُ أَعْرَضْتُ عَنِّي.

حَتَّىٰ إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ (أي: إعراضهم) مَشَيْتُ حَتَّىٰ تَسَوَّرْتُ جَدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ (أي: علوته وصعدت سورة)، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَوَاللهِ مَا رَدَ عَلَيَّ السَّلامُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أَحَبُّ اللهُ وَرَسُولَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ فَسَكَتَ، فَعَدْتُ فَنَاشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعَدْتُ فَنَاشَدْتُهُ فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَفَاضَتْ عَيْنَايَ (أي: بكى)، وَتَوَلَّتْ حَتَّىٰ تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ.

فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِيَ في سُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطَّيْ (أي: النبط: فلاحُ الْعَجْم) مِنْ بَطْ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَسِعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدْلُلُ عَلَىٰ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفَقَ (أي: أخذ) النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ، حَتَّىٰ جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كَتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَانَ، وَكُنْتُ كَاتِبًا، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بَدَارٍ هَوَانَ وَلَا مَضِيعَةٍ، فَالْحَقُّ بِنَا نُواِسَكَ. فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتَهَا: وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ، فَيَمْمَتُ (أي: قصدت) بِهَا التَّنُورَ (أي: الفرن) فَسَجَرْتُهَا (أي: أحرقتها)، حَتَّىٰ إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ وَاسْتَلْبَثَ (أي: أبطأ) الْوَحْيِي إِذَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَأْتِيَنِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَرِلَ امْرَاتِكَ. فَقُلْتُ: أَطْلَقْهَا أَمْ مَاذَا أَفْعُلُ؟ فَقَالَ: لَا، بَلْ اعْتَرِلْهَا فَلَا تَقْرَبَنَّهَا. وَأَرْسَلَ إِلَيَّ صَاحِبَيِّ بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأِي: الْحَقِّي بِأَهْلِكَ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ. فَجَاءَتِ امْرَأَهُ هِلَالٌ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَاعِ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرُهُ أَنْ أَخْدُمْهُ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكِ». فَقَالَتْ: إِنَّهُ وَاللهِ مَا بِهِ مِنْ حَرَكَةٍ إِلَيَّ شَيْءٍ، وَوَاللهِ مَا زَالَ يَكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا.

فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ فِي امْرَاتِكَ؛ فَقَدْ أَذِنَ لِامْرَأَهُ هِلَالَ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا يُدْرِينِي مَاذَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌ! فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ فَكُمِلَ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نُهِيَ عَنْ كَلَامِنَا، ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَىٰ ظَهَرِ بَيْتِ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَّا، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحْبَتْ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَىٰ سَلْعٍ (أي:

صعد جبلاً معروفاً بالمدينة يقول بأعلى صوته: يا كعب ابن مالك، أبشر. فخررت ساجداً، وعرفت أنه قد جاء فرج. فادن (أي: أخبر) رسول الله ﷺ الناس بتوبته الله تجل علمنا حين صلاته صلاة الفجر، فذهب الناس يشروننا، فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل إلى فرساً وسعى ساع من أسلم قبله، وأوفى (أي: صعد) على الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يشروني ترعت له ثوابي فكسوتهما إياه بشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت أتمم (أي: أقصد) رسول الله ﷺ يتلقاني الناس فوجاً يهشونني بالتوبة ويقولون لي: لتهنوك توبه الله عليك. حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ حالس حوله الناس، فقام طلحة بن عبيد الله عليهما يهروء حتى صافحني وهناني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره، فكان كعب لا ينساها طلحة. قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يرُف وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مر عليك مذ ولدتك أمك». فقلت: أمن عدك يا رسول الله أمن من عند الله؟ قال: «لا، بل من عند الله عجل». وكان رسول الله ﷺ إذا سرّ استار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع (أي: أخرج) من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله. فقال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بغض مالك، فهو خير لك». فقلت: إني أمسك سهمي الذي بخیر. وقلت: يا رسول الله، إن الله تعالى إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي إلا أحده إلا صدقًا ما بيقيت، فوالله ما علمت أحداً من المسلمين أبلغ الله تعالى في صدق الحديث مذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلغني الله تعالى، والله ما تعمدت كذبة مذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإنني لأرجو أن يحفظني الله تعالى فيما يتقى.

قال: فأنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى الَّذِي وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ أَتَبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ حتى بلغ ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وعلى الشاشة ﴿الَّذِينَ حَلَقُوا حَتَّى إِذَا صَاقَتْ عَنْهُمُ الْأَرْضُ إِبْرَاهِيمَ حَتَّى بَلَغَ﴾ آتقو الله وكونوا مع الصادقين ﴿ۖ﴾ [التوبة: ١١٧ - ١١٩].

قالَ كَعْبٌ: وَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهَ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللَّهُ لِلإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَلَا أَكُونَ كَدَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَدَبُوا؟ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِلَّذِينَ كَدَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَحْكُمُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْحِسْبَارِ لَكُمْ إِذَا أَنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتَرَضُوا عَنْهُمْ فَأَغْرِصُوكُمْ إِلَيْهِمْ يَوْمَ يَرْجُسُونَ وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٥﴾ يَحْكُمُونَ لَكُمْ لِتَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضِي عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ [التوبه: ٩٥، ٩٦].

قالَ كَعْبٌ: كُنَّا خُلُّفَنَا أَيْمَانَ الْثَّلَاثَةِ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبْلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَيَّنُوهُمْ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَأَرْجَأُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّىٰ قَضَى اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ بِذَلِكَ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الْثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ [التوبه: ١١٨]، لَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ مِمَّا خُلُّفَنَا تَخْلُُفُنَا عَنِ الْغَرْوِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ فَقِيلَ مِنْهُ. متفق عليه.

وفي رواية: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُخْرُجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ.

وفي رواية: وَكَانَ لَا يَقْدِمُ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا نَهَارًا فِي الصُّحَّى، فَإِذَا قَدِمَ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ فِيهِ.

(٢/٢٢) وَعَنْ أَبِي نُجَيْدٍ- بضمِّ النُّونِ وفتحِ الجيمِ- عُمَرَانَ بْنَ الْحُصَيْنِ الْخَرَاعِيِّ ﷺ: أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جَهَنَّمَةَ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الرِّنَّا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصِبْتُ حَدَّا فَأَفَمُهُ عَلَيَّ. فَدَعَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَلَيْهَا، فَقَالَ: «أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ فَأَتَنِي». فَفَعَلَ، فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَشَدَّتْ عَلَيْهَا شَيْبَهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرَجَمَتْ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ رَأَتْ؟ قَالَ: «لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِّمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهُلْ وَجَدْتَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا اللَّهُ تَعَالَى؟!». رواه مسلم.

(٢/٢٣) وَعَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ لَابْنِ آدَمَ وَادِيَا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانٌ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهٌ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوْبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ». متفق عليه.

(٢/٢٤) وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَضْحَكُ اللَّهُ - إِلَى رَجُلَيْنِ يُقتلُ أَحَدُهُمَا

الآخر يدخلان الجنة، يُقاتلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يُتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْلِمُ كُفُوْتَشَهَدُ». متفق عليه.



### (التوبة)

اعلم أن الخير والشر مختلطان في خلق الإنسان احتلاطاً شديداً، بحيث لا يخلصه إلا إحدى النارين: نار الندم في الدنيا، أو نار جهنم في الآخرة؛ قال الله تعالى: ﴿ وَنَقَرِسَ رَمًا سَوَّنَهَا ۚ فَأَمْمَهَا بُغْرَهَا وَنَقَنَهَا ۚ ۚ ﴾ [الشمس: ٨، ٧].

وقال رسول الله ﷺ: «كُلُّ أَبْنِ آدَمَ حَطَاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَائِينَ التَّوَابُونَ». أَحْمَدُ فِي «مسندِه» (١٩٨) برقـم (١٣٠٧٢). ولهذا كان الرجوع إلى الخير بعد الواقع في الشر حاجة ضرورية للناس جميعاً، والمبادرة إلى نار الندم في الحياة الدنيا أخف الشررين قبل فوات الأوان. والعبد تدور عبوديته لله بين ثلاثٍ: الصبر على المصائب، والشكر على النعم، والتوبة والإباتة من الذنوب والمعاصي. فالتبوية هي الرجوع من معصية الله إلى طاعته، فمن أساء في الفعل فعله الاعتذار بواحدة من ثلاثٍ: إما أن يُنكِرَ الفعل ويُكذب ويقول: لم أفعل وهي مصيبة. أو أن يُبَرِّرْ فعله ويقول: قد فعلت لأجل كذا وكذا. أو يقول: فعلت وأسأت، وقد أقلعت عن الذنب. وهذا القول الأخير هو معنى التوبة.

والتأئب هو الذي يترك الذنب لقبحه، ويندم على ما فرط فيه، ويعزم على ترك العودة إلى الذنب، بل يتدارك ما أمكنه أن يتداركه من الأعمال الصالحة بالإعادة لها، والله تعالى يقول: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا أَتَوَّبُ إِلَيْهِمْ ۚ ﴾ [البقرة: ١٦٠]. فالعبد التائب إلى الله، يتوب الله عليه، أي يقبل توبته ويوافقه للتوبة ويتفضل عليه بالمغفرة، وليس في الوجود من آدميٌ إلا وشهوته سابقةٌ على عقله، فغيريشه التي هي وسيلة الشيطان سابقة على عقله. ولهذا فالتبوية فرض عين في حق كل مسلم، وهي واجبة شرعاً بجميع شروطها، كالعلم بسوء فعله، وترك هذا الفعل، والندم عليه، والعزم على عدم العودة إليه مجدداً مرة أخرى أبداً.

فعلى العبد أن يعرف بذنبه، ويندم على فعلها، ويعزم على تركها.

فحينما يقول الرسول ﷺ: «لَا يَرْزُنِي الْزَانِي حِينَ يَرْزُنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرُبُ الْحَمْرَ حِينَ يَشْرُبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرُقُ حِينَ يَسْرُقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَتَهَبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» [متفق عليه]، فهو لا ينفي عنه العلم بوحданية الله وصفاته وكتبه ورسله؛ لأن المعاشي غير الشرك والكفر والإلحاد، وإنما أراد به أن العاصي غير مؤمن بأن الذنوب مهلكة للعبد، وأن الرزنا مبعد عن الله تعالى وموجب لمقتنه وغضبه، وهذا هو الذي قَصَدَه الرسول ﷺ بقوله: «وَهُوَ مُؤْمِنٌ». [كمافي الإحياء].

فالعاشي بالضرورة ناقص الإيمان، والإيمان بعض وسبعون شعبة كما ورد عن النبي ﷺ، والمعاصي مُضرة بالإيمان كالمأكولات المضرة بالأبدان، فإذا اجتمعت في البطن أفسدتها وأمرضت صاحبها، وقد تدفعه إلى الموت دفعاً. وكذلك المعاشي، فهي سموء ضارة بالدين والدنيا، فيجب على العبد الابتعاد عن تناولها حماية لحياته وأخراه ما دام في العمر مهلةً. وهذا معنى وجوب التوبة على الغور.

فإن كنت أيها العبد لا تبكي على معصيتك؛ فذلك لجهلك بمصيبة المعاشي، ومصيبيتك بجهلك أعظم من كل مصيبة، فالجهل مصيبة كبيرة، وبالأسف لا يعرف من أصيب به أنه صاحب مصيبة! وأكثر صياغ أهل النار من التسويف؛ لأن العاصي قد فعل المعصية الآن وجعل التوبة منها مؤجلة إلى حين. والقلب والعمرو وسائل أسباب الطاعة أمانة الله تعالى عند العبد، فمن خان الأمانة ولم يتدارك الخيانة فأمره إلى خطر عظيم، ﴿إِلَّا مَنْ أَقَّ اللَّهَ يَقْلِبُ سَلِيمِ﴾ ﴿[الشعراء: ٨٩]﴾، والقلب المظلم لا يقبله الله تعالى ليتعمّم بجواره في الجنة. فالثوب يتّسخ بالأعمال الدنيئة والخسيسة، وكذلك استعمال القلب في الشهوات يقدّر القلب ويُدنسه، وتكون نظافته بماء الدموع وحرقة الندم.

**شروط التوبة:** وللتوبة ثلاثة شروط كما قال النووي : ، وزاد عليها ابن عثيمين :

شرطين فصارت شروط التوبة خمسة :

**الشرط الأول:** الإخلاص في التوبة لله، فلا يقصد بذلك الرياء والتقرّب للناس من دون الله،

وإنما يقصد وجه الله والدار الآخرة وأن يغفر الله عن ذنبه.

**الشرط الثاني:** الندم على ما فعل من المعاشي، وهو دليل الصدق في التوبة، بحيث لا يرى أنه في حلٍ من الذنب حتى يتوب منه إلى الله.

**الشرط الثالث:** أن يُقلع عن الذنب الذي هو فيه، ويتركه ويبعد عنه، وهذا أهم شروطه، فعلى العبد مثلاً أن يترك عقوق الوالدين ويقوم ببرهما، ويترك قطيعة الأهل والأحباب والجيران ويصل الأرحام، ويترك أكل الربا والمال الحرام، ويترك الغش والكذب والخداع وخيانة الأمانة، ويترك الغيبة والنسمة، والتكلم في أعراض الناس.

أما المصير على المعاشي ويقول إنه تائب إلى الله، فهذا مستهزئ بالله عَجَّلَ.

وعلى كل حال فالإنسان لابد أن يُقلع عن الذنب الذي تاب منه، فإن لم يُقلع فتوبته مرفوضة ومردودة عليه. فإن كان الذنب يتعلق بحقوق الله: كترك الصلاة أو الصيام مثلاً، فيكتفي أن تتوَّب بينك وبين الله، وترجع إلى الفقهاء لتعويض ما فاتك.

ولا يجوز أن تُحدِّث الناس بما صنعت من الحرام أو تركت من الواجب؛ لأن الله قد منَّ عليك بالستر عن العباد؛ فلا تُحدِّث أحداً ثالثاً يكون هذا من المجاهرة، وقد جاء في الحديث: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافٍ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيلِ عَمَّا لَمْ يُصْبِحْ وَقَدْ سَرَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا. وَقَدْ بَاتَ يَسْوُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْتَسِفُ سُرَّ اللَّهِ عَنْهُ». متفق عليه.

أما إن كان الذنب بينك وبين الخلق: فلا تُقبل التوبة إلا بأداء الحقوق، كرد المال المسروق أو المُغتصب، وأما إن كانت غيبة لأحد أو سبّ له بين الناس فالأفضل إن علم بها أن تذهب إليه وتستحلله منها، وإن لم يكن علماً فلا تذهب إليه، بل استغفر له، وتحدث بمحاسنه في المجالس التي اغتبته فيها؛ فإن الحسنات يُذهبن السيئات، وكما روى عن ابن المبارك: «إِذَا اغْتَبَ رَجُلٌ رَجُلًا فَلَا يُخِرِّهُ؛ وَلَكِنْ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ». البهقي في (شعب الإيمان/ ٩٢٣).

**الشرط الرابع:** وهو العزم على ألا تعود في المستقبل إلى هذه المعصية وهذا الإثم؛ فإن

التبة لا تصح إن كنَتْ تنوِي الرجوع إلى المعصية حينما تأتي إليك الفرصة. فلعل عاصيًّا يتوب من الإنفاق في الحرام بسبب فقر أصابه، وكان في نيته أنه إذا عادت الأمور إلى مجاريها الأولى عاد للحرام، فهذا لا توبَة له؛ لأنَّه كاذبٌ، وتسُمَّى توبَته تلك توبَة العاجز؛ لأنَّه ليس ب قادر على فعل المعصية.

**الشرط الخامس:** أن تأتي التوبَة في زمان تُقبل فيه، وإلا لم تنفعه توبَته، فلا بد أن تكون التوبَة قبل حلول الأجل، فإنَّ الإنسان إذا حضرته الوفاة وأيس من حياته فات وقت التوبَة، قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ يَقْبِلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرِّغِرْ»**. [أحمد في «مسنده» (١٣٢/٢)، برقم (٦١٦٠)، حسنة الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٩٠٣)]؛ فهذه توبَة المضطرب الذي لا حيلة له في طاعة أو معصية. وأن تأتي التوبَة قبل أن تطلع الشمس من مغربها.

كما في الحديث: **«كَمْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»**. مسلم برقم (٤٨٧٢). والذنب يعظم بقدر علم ومعرفة صاحبه، فتعظم المعصية إذا صدرت من العالم، بما لا يكون من الجاهل؛ ولهذا يُزداد في عذاب العالم الفاجر على عذاب الجاهل الفاجر. وما ارتكب المرء ضد أخيه ذنباً أعظم من أن يُساعدَه على معصية ثم يُهونَها عليه. وطوبى لمن إذا ماتت ماتت ذنبُه معه.

ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: **ويل للعالم من الأتباع؛ يزُل زَلَّة ثم يرجع عنها، ويحملها الناس، فيذهبون بها في الآفاق**. وقال بعضهم: **مثل زَلَّة العالم مثل انكسار السفينة، تغرق ويغرق أهلها**. فعلى العلماء ترك الذنوب أو إخفاؤها، فكما تتضاعف أوزارهم على الذنوب تتضاعف حسناتهم على الأعمال الصالحة إذا أتبعوا. واعلم أن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد، وأن نعم الله أكثر من أن تحصي، ولكن إذا أصبح العبد تائباً وأمسى تائباً فقد نجا، فيبدأ يومه بالتوبَة عما كان بالليل، ويختتمه بتوبَة عما كان بالنهار. فالتبَة تُكمل النقص في الأعمال وتُظهر العبد من الذنوب.

وفي هذا قال ابن عمر رضي الله عنهما: **من ذكر خطيئة ألم بها (أي: وقع فيها) فوجل منها قلبه محيَّت عنه في أَمِّ الكتاب**. وقال: إن العبد قد يُذنب الذنب فلا يزال نادماً آسفًا عليه طيلة حياته حتى يدخل الجنة، ويقول إبليس: ليتنى لم أوقعه في الذنب.

وقال ابن عطاء الله السكندرى: رَبَّ مُعْصِيَةٍ أَوْرَثَتْ صَاحِبَهَا ذَلَّةً وَانْكَسَارًا (أى: كلما تذَرَّها) أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ.

وإذا تأملنا توبه الكافر في قوله تعالى: فَلِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرُ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ [الأنفال: ٣٨]؛ نرجو أن يكون المسلم عند الله أحسن حالاً، ولعل الله يقبل توبته بإسلام بعد إسلام، كما يقبل توبه الكافر عند إسلامه. وقال بعض الصالحين: أنا أعلم متى يغفر الله لي. قيل له: ومتى؟ قال: إذا تاب علَّيَ. يقصد: إذا وفقني للتوبة. ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اجلسوا إلى التوابين؛ فإنهم أرق أئدة.

**التوبة النصوح:** التوبة الصوح هي إعمال القلوب قبل الجوارح، وتُعنَى بتزويه القلب عن الذنوب، وعلامتها أن يكره العبد المعصية ويستقبحها، فلا تخطر له على بالٍ ولا ترد في خاطرٍ أصلاً، وتأكيد العزم على لا يعود للمعصية لا سرّاً ولا جهراً. وهذه التوبة هي التي تورث صاحبها الفلاح عاجلاً وآجلاً. ولا يمكن للعبد تركُ الذنب إلا إذا عرف أنه ذنب وإنما، فمعرفة الذنب إِذْنٌ واجبة شرعاً. والإنسان لا يخلو من معصية: إما بالجوارح، وإما بالقلب؛ ولهذا أمرنا بالتوبة المستمرة، فإنه لا يسلم أحدٌ من النقص. والذنب هو ما خالف أمراً للشرع الحكيم في أداء فعلٍ أو تركه.

### الصفات المُثيرة للذنب في الإنسان: وهي أربع:

**الصفات البهيمية في الإنسان:** فمنها يتشعب الشره والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج، والزنا، واللواء، والسرقة، وأكل مال اليتيم، وجامع حطام الدنيا بآية وسيلة. وهذا ظاهرٌ في صفات البهائم.

**الصفات السُّبُعية:** حيث تظهر في الإنسان صفات السباع الحيوانية، كالذئاب والشعال والكلاب وسائر أنواع السباع، فيتشعب منها الغضب، والحقد، والتهمج على الناس بالضرب والشتم والقتل ونهب الأموال وغضبها.

**الصفات الشيطانية:** فإذا اجتمعت في الإنسان الصفات البهيمية والسبعينية فاستخدم بعد ذلك عقله وحيلته في فعل السيئات يخرج منه الحسد والبغى والحيلة والخداع والمكر والغش والنفاق والأمر بالفساد والإفساد، وغير ذلك من سمات الشياطين.

**الصفات الاستعلائية أو الربوبيّة:** أي: التشبه بالأرباب، حيث يأتي منها الكِبَر والفخر والعجب وحب المدح والثناء، وطلب الغنى وطلب الاستعلاء عموماً على الخلق، كأنه يريد أن يقول: أنا ربكم الأعلى. ويتشعّب من هذه الصفة كبائر الذنوب؛ وقد قال تعالى في وصف من لا يستكرون: **فَتَكَ الدَّارُ الْأَخْرَةُ بِنَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعِقَبَةُ لِلْمُنَقِّبِينَ** ﴿٨٣﴾ [القصص: ٨٣]، فهذه أممـات الذنوب.

**الكبائر:** والكبائر هي الذنوب العظام التي يتّرتب على إتيانها إقامة عقوبة الحد على صاحبها، وقد توعّد الشرع عليها بعذاب النار واللعن والطرد من رحمة الله تعالى، أما من اجتنب الكبائر فقد قال الله تعالى فيه: **إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنَذْلُوكُمْ مُذْلِلَكُمْ كَرِيمًا** ﴿٣١﴾ [النساء: ٣١]

والكبائر كثيرة، وقد حصرها أبو طالب المكي : فقال: الكبائر سبع عشرة، وهي:  
**أربع في القلب:** وهي الشرك بالله تعالى، والإصرار على المعصية، والقنوط من الرحمة، والأمن من مكر الله.

**وأربع في اللسان:** وهي شهادة الزور، وقذف المُحْسَن، واليمين الغَمُوس (أي: وهي التي يتّرتب عليها بطلان حق أو إحقاق باطل في المال أو العرض)، وسُمِّيت غموساً لأنها تغمّس صاحبها في النار. ثم السحر.

**وثلاث في البطن:** وهي شُرب الخمر والمُسْكِر من كُل شراب، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الربا مع العلم به.

واثنتان في الفرج: وهما: الزنا، واللواثة.

واثنتان في اليدين: وهما: القتل، والسرقة.

وواحدة في الرجلين: وهي الفرار من الزحف.

**وواحدة في جميع الجسد:** وهي عقوق الوالدين. والعقوق أن يُقسم الأبوان على ابنهما في حق فلا يُرِيكَ قسمهما، وإن سألاه حاجة فلا يُطِيعهما، وإن سبَاه لسبب أو آخر يضرهما، وقد يجو عان فلا يطعمهما.

وعدد الكبائر لا يمكن حصره، ولعل الشرع قصد ذلك ليكون العباد على وجلٍ وخوف. **ويُقسّم بعض أهل العلم الكبائر إلى ثلاث مراتب:**

**فالمرتبة الأولى:** هي كل معصية أو ذنب يمنع أو يصد عن معرفة الله تعالى وعبوديته، فهذه مرتبة أكبر الكبائر التي توصل صاحبها للكفر والجحود.

**والمرتبة الثانية:** هي كل معصية أو ذنب يمنع ويسد باب المحافظة على النفوس، كالقتل وغيره.

**والمرتبة الثالثة:** هي كل معصية أو ذنب يمنع الكسب والمعايش التي بها حياة الناس، كالسرقة والغش والخداع. فكان حفظ المعرفة بالله أولًا، والحافظ على حياة الناس ثانياً، والحافظ على أموال الناس ثالثاً، كلها أمور ضرورية في مقصود الشريعة.

**أقسام الناس في الآخرة:** يقول الإمام الغزالى في «الإحياء»: إن الناس في الآخرة على أربعة أقسام: هالكين، ومُعذَّبين، وناجين، وفائزين.

**فأما الْهَالِكُون:** فهم الجاحدون والمُعرضون والمُكذبون الله ورسله، وهم الكُفار والمشركون والملحدون.

**وأما الْمُعذَّبُون:** فأولئك عندهم أصل الإيمان والتوحيد ولكن قصروا في أداء الأعمال، فمنهم من هو ظالم لنفسه أو ظالم للعباد.

**وأما الناجون:** فهم الذين سلّموا من العذاب، ولكن من دون مرتبة الفوز والسعادة الحقيقة، إنما كان فوزهم في النجاة فقط من العذاب، فلعل هذا حال من مات من المجانين وصيانت الكفار والمعتوهين، والذين لم تبلغهم دعوة الله في أقصاصي البلاد؛ حيث لا معرفة لهم ولا جحود بشرع ولا طاعة ولا معصية، فلا وسيلة تُقربُهم إلى الله، ولا جنابة تُبعدُهم عنه، فهم ليسوا من أهل الصلاح ولا من أهل الفساد، وهم أصحاب الأعراض. والله أعلم.

**وأما الفائزون:** فهم المقربون والسابقون والعلماء العارفون، وفي حقهم قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُم مِنْ قَرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٧].

وي ينبغي أن يعالج المرض بدواء مضاداً، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَنُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١١٤]، فينبغي أن تُمحى كل سيئة بحسنة من جنسها، فالبياض يُداوى بالسواد لا بالحرارة والبرودة؛ إذ لا مسلم إلا وهو جامعٌ بين طاعة الله ومعصيته.

وإذا أتيت الذنب بشمانية أعمال كان العفو مرجواً:

أربعة من أعمال القلوب: وهي العزم على التوبة، والإقلال عن الذنب، وخوف العقاب عليه، ورجاء المغفرة له.

وأربعة من أعمال الجوارح: كأن يُصلّي التائب عقيب ذنبه ركعتين، ثم يستغفر الله تعالى بعدهما سبعين مرة، ويقول: «**سبحان الله العظيم وبحمده**» مائة مرة، ثم يتصدق بصدقة، ثم يصوم. وقال رسول الله ﷺ: **اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِ حَسَنٍ**». أحمد في «مسنده» (٥/ ١٥٣) برقم (٢١٣٩٢)، حسنة الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٩٧). ولهذا قيل: صدقة السر تُكفر ذنوب الليل، وصدقة الجهر تُكفر ذنوب النهار. وللتوبة ثمرتان: إحداهما تكفيء السيئات حتى يصير التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والثانية تُلِّي الدرجات حتى يصير حبيباً لرب العالمين.

وُسُئل أحد الصالحين: إن لساني في بعض الأحوال يجري بالذكر والقرآن، ولكن قلبي غافل؟ فقال: اشكر الله؛ إذ استعمل جارحة من جوارحك في الخير ووعودها على الذكر والقرآن، ولم يستعملها في الشر ولم يُعوّدتها فضول وسيء الكلام.

وإياك أن تنظر فقط في الطاعات إلى مجرد العيوب والآفات، كالرياء والغفلة مما يُفتر ويعُصف رغبتك في العبادات. وقد قالت رابعة العَدُوِيَّةُ رحمها الله: استغفارنا يحتاج إلى استغفارٍ كبير. فهي لا تُدْمِ حركة اللسان من حيث ذِكرُ الله، بل تَدْمِ عَفْلَةَ القلب الذي يحتاج إلى استغفارين: واحدٌ للقلب، وأخرٌ للسان، فلا تُحْقِرْ ذرَّاتِ الطاعات والمعاصي. فهذا جعفر الصادق : يقول: إن الله خَبَأَ ثلَاثَةَ أشياءً في ثلاثة أشياء: خَبَأَ رضاه في طاعته؛ فلا تحقرن من الطاعة شيئاً فلعل رضاه فيه، وخبأ سخطه في معصيته؛ فلا تحقرن من المعصية شيئاً فلعل سخطه فيه، وخبأ أولياءه في خلقه، فلا تحقرن أحداً فلعله ذلك الولي.

ودواء التوبة خليط من حلاوة العلم ومرارة الصبر، ولكل داء دواء. وينبغي على أهل العلم أن يقوموا بدعاوة الناس وتعليمهم؛ لأنهم ورثة الأنبياء، فالأنبياء ما تركوا الناس على

جهلهم، بل كانوا يدعونهم في مجامعهم وأنديةهم ويدورون على أبوابهم وبيوتهم ويرشدونهم؛ ذلك أن مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم، ومن لا ينظر في المرأة لا يرى ما بوجهه. فعليك أن تجتهد في إرضاء خالقك فوق ما تجتهد في إرضاء نفسك، واعلم أن الدنيا عدو لأولياء الله ولأعداء الله أيضا؛ فأما أولياؤه فعمتهم بالابتلاءات، وأما أعداؤه فغرّتهم بالمعاصي.

فالتبة إذن هي ترك الذنب لقبحه، والندم على ما سبق منه، والعزيمة على ترك المعاودة إليه مجدداً، وتدارك ما أمكنه أن يتداركه من الأعمال بالإعادة والتكرار.

**التبة والإبابة والإيابة:** يقال لمن خاف العقاب وكف عن المعصية: هو صاحب توبة. كما قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَئِمَّةُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [٣١]. ويقال لمن يتوب ويطمع في ثواب ربه إنه صاحب إبابة. كما وصفهم الله تعالى في كتابه الكريم بقوله: ﴿وَجَاءَهُمْ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [٣٢]؛ لأن الإبابة ليست فقط الكف عن المعصي، بل هي أيضا الرجوع من الغفلة إلى الذكر، ومن الوحشة والابتعاد إلى الأنس والقرب. وأما الإيابة فهي الأعلى منها، فهي صفة الأنبياء والمرسلين؛ قال الله تعالى: ﴿نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّمَا أَوَّبَ﴾ [٣٠]؛ فالأنبياء ليسوا بأهل معاصٍ، فهم معصومون، بل هم أهل الطاعة والتوجيه إلى الذكر والأنس بالله.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«الندم توبه»**. أحمد في مسنده (١/٣٧٦) برقم (٣٥٦٨)، صححه الألباني (صحيف الجامع الصغير) حديث (٦٨٠٢). وروي أن امرأة سرقت في غزوة الفتح، فأتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر بها قُطعت يدها. قالت عائشة رضي الله عنها: فحسنت توبتها، وتزوجت، وكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. متفق عليه.

قال محمد بن كعب القرظي : **التبة يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، والإقلاغ بالأبدان، وإضمار ترك العود بالجنان** (أي: القلب)، **ومهاجرة سبع الإخوان**.

وقال يحيى بن معاذ : **الذي حجب الناس عن التوبة: طول الأمل**. وعلامة التائب: إسبال الدمعة، وحب الخلوة، والمحاسبة للنفس عند كل همة (أي: إذا هم بفعل ما).

وقال ابن القيم : إن التوبة هي حقيقة الإسلام؛ لأن الدين كله داخل في مسمى التوبة، وبهذا استحقَّ التائبُ أن يكونَ حبيبَ الله، فإنَّ الله يُحب التوابين ويحب المتطهرين.

فإذن تتحققَ التوبة باجتناب ما يُغضِّب الله، ظاهراً وباطناً، وإitan ما يحبه، ظاهراً وباطناً؛ ولهذا كانت التوبة غاية كل مؤمن، فهي بداية الأمر وخاتمه، وهي الغاية التي وُجد لأجلها الخلق، بل إن التوحيد هو جزء منها.

وأكثُر الناس لا يعرفون قدر التوبة ولا حقيقتها، فضلاً عن القيام بها عملاً وعملاً، ولم يجعل الله تعالى محبتَه للتوابين إلا لأنهم خواصُ الخلق لديه، ولو لا أن التوبة اسمُ جامع لشَرائِع الإسلام وحقائق الإيمان لم يكنَ الربُّ تعالى يفرح بتوبته عبده ذلك الفرح العظيم.

ومن فضائل التوبة أنَّ الله يتجلَّ برضوانه وإحسانه على التائب ويُقبل إليه أضعاف إقباله على العبد المطیع؛ لسعة رحمته يَغْفِلُهُ وَحْبَهُ وحبّه لتبة العباد، وتيسير التوبة عليهم.

\* \* \*

### ٣- باب الصبر

قالَ الله تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَأَصَابُرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وقالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَنَوْقٍ مِّنَ الْمُقْوِفِ وَالْجُمُوعِ وَتَقْصِنَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَكَسِيرِ الصَّدِيرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

وقالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل الزمر: ١٠].

وقالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأَمْوَالِ﴾ [آل الشورى: ٤٣].

وقالَ تَعَالَى: ﴿أَسْتَعِينُكُمْ بِالصَّابِرِ وَالصَّالِوْفِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل البقرة: ١٥٣].

وقالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَنَّ نَعْلَمُ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد: ٣١].

وَالآياتُ في الأمر بالصَّابِرِ وَبَيَانِ فَضْلِهِ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ.

(٣) وَعَنْ أَبِي مَالِكِ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمِ الْأَشْعَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الظُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ - أو: تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ

**السموات والأرض، والصلة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو علیك** (أي: حجة لك إذا امتنعت أمره واجتنبت نواهيه، وحجة عليك إن لم تمثل أمره ولم تجتنب نواهيه، وهذا ليس خاصاً بالقرآن وحده، بل يشمل كل العلوم)، **كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعُ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُوْيِقُهَا** (أي: إن كُلَّ إنسان يسعى بنفسه، فمنهم من يبعها الله تعالى بطاعته فيعتقها من العذاب، ومنهم من يبعها للشيطان والهوى باتباعهما فيهلكها)». رواه مسلم.

(٣/٢٦) وعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدرري: أنَّ نَاسًا من الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّىٰ نَفَدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ بَيْدِهِ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرُهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفُ يُعْفَنَهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَصْبِرَ يُصْبِرُهُ اللَّهُ. وَمَا أُعْطَيَ أَحَدٌ عَطَاءً حَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ». متفق عليه.

(٣/٢٧) وعن أبي يحيى صهيب بن سنان الصلabi قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ حَيْرًا، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَصَابَتْهُ سَرَّاءً (أي: ما يسره) شَكَرَ فَكَانَ حَيْرًا اللَّهُ، وَإِنَّ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءً (أي: ما يضره) صَبَرَ فَكَانَ حَيْرًا اللَّهُ». رواه مسلم.

(٣/٢٨) وعن أنس بن مالك قال: لَمَّا ثَقَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أي: اشتد مرضه وكبر سنه) جَعَلَ يَتَعَشَّأْهُ (أي: يصبه) الْكَرْبُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ بنت النبي: وَأَكْرَبَ أَبْتَاهُ! فَقَالَ: «لَيْسَ عَلَيَّ أَبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ». فَلَمَّا مَاتَ، قَالَتْ: يَا أَبْتَاهُ، أَجَابَ رَبِّا دَعَاهُ! يَا أَبْتَاهُ، جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ! يَا أَبْتَاهُ، إِلَى جَبْرِيلَ نَعْاهُ! فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ بنت النبي: أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا (أي: أن تضعوا) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التُّرَابَ؟! رواه البخاري.

(٣/٢٩) وعن أبي زيد أَسَامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجْهٍ وَابْنِ حِبْهٍ بن حارثة قال: أَرْسَلْتُ بُنْتَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ ابْنِي قَدْ احْتَضَرَ (أي: حضرته الوفاة) فَاَشْهَدَنَا. فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ وَيَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجْلٍ مُسَمَّى؛ فَلَا تَصْبِرُ وَلَا تَحْتَسِبْ». فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ تَقْسِيمٌ عَلَيْهِ لِيَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعاذُ بْنُ جَبَلَ، وَأَبْيَ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرَجَالٌ صلبيون، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّبِيُّ، فَأَقْعَدَهُ فِي حِجْرِهِ وَنَفْسُهُ تَقْعَدُ، فَقَاضَتْ عَيْنَاهُ (أي: سالت عيناه بالدموع)، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا؟ فَقَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ».

وفي رواية: «فِي قُلُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحْمَاءَ». متفق عليه.

وَمَعَنِي «تَقْعِيقُ»: تَسْرِحُ وَتَضْطَرُّ.

(٣٠) وَعَنْ صَهَيْبٍ صَدِيقِ الرَّسُولِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبَرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبَرْتُ، فَأَبْعَثْتُ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السَّحْرَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلَّمُهُ، وَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبًا، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ، وَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَيَنِمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَتَى عَلَى دَائِيَةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ. فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِي النَّاسُ. فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ.

فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بْنَيَّ، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُتَبَّلِّي، فَإِنِ اتَّبَلْتَ فَلَا تَدْلُلْ عَلَيَّ. وَكَانَ الْغُلَامُ يُبَرِّئُ الْأَكْمَةَ (أَي: الْذِي وُلِّدَ أَعْمَى) وَالْأَبْرَصَ (أَي: الْمَصَابُ بِالْبَرْصِ، وَهُوَ يَاضٌ يَظْهَرُ عَلَى الْجَلْدِ)، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ (أَي: الْأَمْرَاضِ)، فَسَمِعَ جَلِيلُسُ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةً، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفِيَتِي؟ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ تَعَالَى، فَإِنْ أَمْتَ بِاللَّهِ تَعَالَى دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ. فَآمَنَ بِاللَّهِ تَعَالَى فَشَفَاءُ اللَّهِ تَعَالَى، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجِلِّسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي. قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزُلْ يُعَذَّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ فَحِيَءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بْنَيَّ، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبَرِّئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ! فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ تَعَالَى.

فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزُلْ يُعَذَّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَحِيَءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَيَّ، فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ فَوُضَعَ الْمِنْشَارُ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَاهُ، ثُمَّ جَيَءَ بِجَلِيلِسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَيَّ، فَوُضَعَ الْمِنْشَارُ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ يَهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَاهُ. ثُمَّ جَيَءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَيَّ، فَدَفَعَهُ إِلَى

نَفَرٌ مِّنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعُدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرُحُوهُ (أي: ارموه).

فَذَهَبُوا بِهِ فَاصْعُدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى. فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِّنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ وَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْنِدُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَإِنْكَفَأْتَ بِهِمُ السَّفِينَةَ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى.

فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرَكَ بِهِ. قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلِبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِّنْ كِنَاتِنِي، ثُمَّ ضَعِّ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ (أي: وسطه) ثُمَّ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِ. ثُمَّ أَرْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي. فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخْذَ سَهْمًا مِّنْ كِنَاتِنِي، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِ. ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ فِي صُدْغِهِ (أي: ما بين عينيه إلى شحمة أذنه)، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِ. فَأَتَيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذِرُ قَدْ وَاللهِ نَزَّلَ بِكَ حَذْرَكَ؟ قَدْ آمَنَ النَّاسُ.

فَأَمْرَرَ بِالْأَخْدُودِ بِأَفْوَاهِ السَّكَكِ فَخُدَّثَ وَأَصْرَمَ فِيَهَا النَّيْرَانُ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يُرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَاقْحِمُهُ فِيَهَا - أو قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ - فَفَعَلُوا، حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيَهَا، فَقَالَ لَهَا الْغَلَامُ: يَا اُمَّهُ اصْبِرِي؛ فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ!». رواه مسلم.

«ذِرْوَةُ الْجَبَلِ»: أَعْلَاهُ، وَهِي بِكُسْرِ الدَّالِ الْمُعْجَمَةِ وَضَمِّهَا. وَالْقُرْقُورُ» بضم القافين: نوعٌ مِنَ السُّفنِ. وَالصَّعِيدُ» هُنَّا: الْأَرْضُ الْبَارِزَةُ. وَالْأَخْدُودُ»: الشُّقُوفُ فِي الْأَرْضِ كَالنَّهْرِ الصَّغِيرِ. وَأَصْرَمُ»: أُوْقَدَ. وَانْكَفَأْتُ» أي: انْكَلَبْتُ. وَتَقَاعَسَتْ»: تَوَقَّنْتُ وَجَبَتْ.

(٣) وعن أنس بن مالك قال: مر النبي عليه السلام بامرأة تبكي عند قبر، فقال: أتقي الله وأصبرني». فقالت: إليك عنني؛ فإنك لم تصب بمصيري. ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي عليه السلام، فأتت بباب النبي عليه السلام

فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَائِنَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفَكَ. قَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى». متفق عليه. وفي رواية لمسلم: «تَبْكِي عَلَى صَبَبِي لَهَا».

(٣٢) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيفَةً (أَيْ: مِنْ يَصْطَفِيهِ الإِنْسَانُ وَيَقْرِبُهُ إِلَيْ نَفْسِهِ) مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةَ». رواه البخاري.

(٣٣) وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَ: «أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ عَنِ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعُثُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقْعُ في الطَّاعُونِ فَيُمْكِثُ فِي بَلْدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَصِيبُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ». رواه البخاري.

(٣٤) وَعَنْ أَنَسِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ قَالَ: إِذَا ابْتَأَتْ عَبْدِي بِحَبِيبَتِهِ فَصَبَرَ عَوَّضَهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ». يريده عينيه. رواه البخاري.

(٣٥) وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَاسٍ قَالَ: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ فَقُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ قَالَتْ: إِنِّي أَصْرَعُ (أَيْ: يُصِيبُهَا الصُّرُعَ)، وَإِنِّي أَتَكَشِّفُ (أَيْ: يُنَكِّشِفُ شَيْءًا مِنْ جَسْدِي فِي أَثْنَاءِ الصُّرُعِ)، فَادْعُ اللَّهَ تَعَالَى لِي. قَالَ: «إِنْ شَاءَتْ صَبَرَتْ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شَاءَتْ دَعَوْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُعَافِيَكِ». فَقَالَتْ: أَصْبِرْ. فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشِّفُ؛ فَادْعُ اللَّهَ أَلَا أَتَكَشِّفَ. فَدَعَا لَهَا. متفق عليه.

(٣٦) وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْعُودٍ قَالَ: كَانَ أَنْظَرُ إِلَيْ رَسُولِ اللَّهِ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ صَرَبَةٌ قَوْمُهُ فَادَمُوهُ (أَيْ: جَرَحُوهُ)، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ». متفق عليه.

(٣٧) وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصْبٍ (أَيْ: تَعْبٌ)، وَلَا وَصَبٌ، وَلَا حَرَنٌ، وَلَا أَذَى، وَلَا غَمٌ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطاياهُ». متفق عليه. وَ«الوَصَبُ»: الْمَرْضُ.

(٣٨) وَعَنْ ابْنِ مُسْعُودٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ وَهُوَ يُوعَلُ، فَقَلَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تُوعَلُ وَعَكًا شَدِيدًا! قَالَ: «أَجَلُ، إِنِّي أَوْعَلُ كَمَا يُوعَلُ رَجُلًا مِنْكُمْ». قَلَتْ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرِينِ؟ قَالَ: «أَجَلُ، ذَلِكَ كَذِيلَكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذَى؛ شُوْكَةٌ فَمَا

فَوْقَهَا إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، وَحُطَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحُطُ الشَّجَرَةُ وَرَقَّهَا». متفق عليه.  
وَ«الْوَعْلُ»: مَغْثُ الْحُمَى، وَقَيْلُ الْحُمَى.

(٣٩) وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُرِدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصْبِبُ مِنْهُ». رواه البخاري. وَضَبَطُوا «يُصْبِبُ» بفتح الصاد وكسرها.

(٤٠) وعن أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَسَّنَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِصُرُّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعْلَمُ، فَلَيَقُولُ: اللَّهُمَّ أَحْسِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ حَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاءُ حَيْرًا لِي». متفق عليه.

(٤١) وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ حَبَّابَ بْنِ الْأَرْتِ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بِرَدَّةٍ (أي: مستند على برد، وهي نوع من النيل) لَهُ فِي ظَلِّ الْكَعْيَةِ، فَقُلْنَا: لَا تَسْتَنْصِرْ لَنَا؟ لَا تَدْعُونَا؟ فَقَالَ: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمِنْشَارِ فَيُوْضِعُ عَلَيْ رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظِيمِهِ، مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيَسْمَنَ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءِ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَحْافُ إِلَّا اللَّهُ وَالذَّئْبُ عَلَى عَنْبَهِ، وَلَكِنْكُمْ سَتَعْلَجُونَ». رواه البخاري.

وفي رواية: «وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بِرَدَّةٍ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً».

(٤٢) وعن ابن مسعود قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنَ أَثَرَ (أي: فَضَلَ) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَاسًا في القسمة، فأعطى الأقرع ابن حابس مائةً مِنَ الْإِيلِ، وأعطى عُسْنَةَ بْنَ حَصْنٍ مِثْلَ ذَلِكَ، وأعطى نَاسًا مِنْ أُشْرَافِ الْعَرَبِ وَآثَرُهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ. فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ قِسْمَةً مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أَرِيدُ فِيهَا وَجْهَ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا يُخْبَرُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَتُهُ بِمَا قَالَ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصَّرْفِ، ثُمَّ قَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟». ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى؟ قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ». فَقُلْتُ: لَا جَرْمَ، لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا. متفق عليه. وَقَوْلُهُ: «كَالصَّرْفِ» هُوَ بِكَسْرِ الصَّادِ الْمُهَمَّلَةُ، وَهُوَ صِيغَةُ أَحْمَرِ.

(٤٣) وَعَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعِيهِ السَّخَرَى عَجَلَ لَهُ الْعُقوَبَةُ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعِيهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بَدْنِيهِ حَتَّى يُوَافَى بِهِ يَوْمُ الْقِيَامَةِ».

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرَّضَاءُ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٤٤) وَعَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ أَبُى طَلْحَةَ يَشْتَكِي، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ، فَقَبِضَ

الصَّبِيُّ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: مَا فَعَلَ ابْنِي؟ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ وَهِيَ أُمُّ الصَّبِيِّ: هُوَ أَسْكَنُ مَا كَانَ. فَقَرَبَتْ إِلَيْهِ الْعَشَاءَ فَتَعَشَّى، ثُمَّ أَصَابَهُ مِنْهَا (أي: جامعها)، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَتْ: وَارُوا الصَّبِيَّ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «أَعَرَّسْتُمُ اللَّيْلَةَ (أي: كناية عن المعاشرة الزوجية)؟». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا». فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: أَحْمِلْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ. وَبَعَثَ مَعَهُ تَمَرَاتٍ، فَقَالَ: «أَمْعَهُ شَيْءٌ؟». قَالَ: نَعَمْ، تَمَرَاتٌ. فَأَخْذَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ أَخْذَهَا مِنْ فِيهِ (أي: فيه) فَجَعَلَهَا فِي الصَّبِيِّ، ثُمَّ حَنَّكَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدُ اللَّهِ. مُتَفَقِّلٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية للمبخاري: قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: فَرَأَيْتُ تِسْعَةَ أُولَادِ كُلُّهُمْ قَدْ قَرُءُوا الْقُرْآنَ. يَعْنِي: مِنْ أُولَادِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَوْلُودِ.

وفي رواية لمسلم: مَاتَ ابْنُ لَأْيَ طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا: لَا تُحَدِّثُو أَبَا طَلْحَةَ بِاِبْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحَدُهُنَّ. فَجَاءَهُ فَقَرَبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً فَأَكَلَ وَشَرَبَ، ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذَلِكَ فَوَقَعَ بِهَا (أي: جامعها)، فَلَمَّا أَنْ رَأَتْهُ قَدْ شَبَعَ وَأَصَابَهُ مِنْهَا قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، أَرَيْتَ لَو أَنَّ قَوْمًا أَعْاْرُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ، فَطَلَّبُوا عَارِيَتَهُمْ، أَلَّهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لَا. فَقَالَتْ: فَاحْتَسِبْ ابْنَكَ. قَالَ: فَغَضِبَ ثُمَّ قَالَ: تَرَكْتِنِي حَتَّى إِذَا تَلَطَّخْتُ (أي: تقدرت بالجماع) ثُمَّ أَخْبَرْتِنِي بِاِبْنِي؟! فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَارِكَ اللَّهُ فِي لَيْلَتِكُمَا». قَالَ: فَحَمَلَتْ. قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ لَا يَطْرُقُهَا طُرُوقًا (أي: لا يدخلها بالليل)، فَلَدَّوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ (أي: الطلق ووجع الولادة)، فَاحْتَبَسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ (أي: مكث معها)، وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يَا رَبَّ أَنِّي يَعْجِزُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ وَأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ، وَقَدْ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى. تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، مَا أَجُدُ الدِّيْنَ كُنْتُ أَجُدُ، انْطَلَقْ. فَانْطَلَقْنَا وَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِيمًا، فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: يَا أَنْسُ، لَا يُرِضِّعُهُ أَحَدٌ حَتَّى تَغْدُوَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلْتُهُ فَانْطَلَقْتُ إِلَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَذَكَرَ تَمَامَ الْجَهِيزِ.

(٤٥) وعن أبي هريرة رَجُلٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلُكُ

- نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ». متفق عليه. **وَالصُّرَعَةُ:** بضم الصاد وفتح الراء، وأصله عند العرب من يصرع الناس كثيرا.
- (٤٦) وعن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: كُنْتُ جالساً مع النبي صلوات الله عليه ورجلان يسببان، وأحد هما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه (أي: الأوداج: عروق تحيط بالعنق)، فقال رسول الله صلوات الله عليه: «إِنِّي لَا عَلِمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَحْدُدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ذَهَبَ مِنْهُ مَا يَحْدُدُ». فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه قَالَ: «تَعَوَّذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». متفق عليه.
- (٤٧) وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه: أن النبي صلوات الله عليه قال: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا (أي: حبس غضباً شديداً)، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَفِّذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ». عَلَى رُءُوسِ الْخَالِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُحَيِّرَهُ مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ مَا شَاءَ». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن».
- (٤٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي صلوات الله عليه: أوصني. قال: «لا تغضب». فردد مراراً، قال: «لا تغضب». رواه البخارى.
- (٤٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».
- (٥٠) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل معيثة بن حصن، فنزل على ابن أخيه الحرج بن قيس، وكان من الشرذم الذين يذن لهم (أي: يقر بهم) عمر رضي الله عنه، وكان القراء (أي: القراء: جمع قارئ) وهو القارئ للقرآن المفهم لمعانيه. وكان مسمى العلماء في حينه أصحاب مجلس عمر رضي الله عنه ومشاورته، كهولاً (أي: كباراً في السن) كانوا أو شباناً، فقال معيثة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه (أي: منزلة) عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه. فاستأذن فأذن له عمر، فلما دخل قال: هي (أي: هي: بكسر الهاء وسكون الياء، كلمة تهديد) يا بن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجazel (أي: ما تعطينا العطاء الكبير) ولا تحكم علينا بالعدل. فغضب عمر رضي الله عنه حتى هم أن يوقع به، فقال له الحرج: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبنيه صلوات الله عليه: **﴿خُذُ الْمَعْوَذَةَ مِنَ الْعَرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَهِيلِ﴾** [الأعراف: ١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاورها عمر حين تلها، وكان وقفًا عند كتاب الله تعالى. رواه البخارى.
- (٥١) وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه قال: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثْرَهُ وَأَمْرُهُ تُنْكِرُ وَنَهَا!». قالوا: يا رسول الله، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قال: **«تُؤْدُونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ**

الله الذي لكُمْ». متفق عليه. وـ«الآخرة»: الانفراد بالشيء عَمِّنْ لَهُ فِيهِ حَقٌّ.

(٣٥٢) وَعَنْ أَبِي يَحْيَى أَسِيدِ بْنِ حُضَيْرٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٌ وَبَرَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي (أَي: توظفني) كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلَانًا؟ فَقَالَ: «إِنْ كُمْ سَتَلْقُونَ بَعْدِي أَثْرَةً (أَي: الأنانية) فَاصْبِرُوْا حَتَّى تَلْقُونِي عَلَى الْحَوْضِ». متفق عليه.

وـ«أَسِيدٌ»: بضم الهمزة. وـ«حُضَيْرٌ»: بفتح الحاء المثلثة مهملاً مضموماً، وضاد معجمة مفتوحة. والله أعلم.

(٣٥٣) وَعَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٌ وَبَرَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٌ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ انتَظَرَ حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ (أَي: بدأت في الغروب) قَامَ فِيهِمْ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَّنُوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيْتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوْا، وَاعْلَمُوْا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّبُوفِ». ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٌ وَبَرَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ مُنْزَلُ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيُ السَّحَابِ، وَهَا زِمَانُ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ». متفق عليه. وبالله التوفيق.

\* \* \*

### (الصبر)

الصبر من أعلى مقامات الإيمان، وهو أحد أركان حُسن الخلق الأربع: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل، كما قال ابن القيم : . وقد قال الله تعالى مادحًا أهل الإيمان: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾** [إبراهيم: ٥].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٌ وَبَرَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلُّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ». مسلم برقم (٢٩٩٩).

وعن عبد الله بن مسعود صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٌ وَبَرَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الإيمان نصف صبر، ونصف شكر.

وقد سُمِّيَ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٌ وَبَرَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه صبوراً شكوراً، فهما وصفان من أوصاف الله تعالى واسمان من أسمائه؛ قال علي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٌ وَبَرَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا جسد لمن لا رأس له، ولا إيمان لمن لا صبر له.

والصبرُ من سمات ابن آدم، ولا يتصور ذلك في البهائم والملائكة، أما في البهائم فلأنها ناقصة العقل، وأما في الملائكة فلكمال عقولهم؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا أَسْتَعِنُ بِكَبِيرٍ وَالصَّلَوةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

والصبر هو حبس أو منع النفس عن الجزع والتسلط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجواح عن المعاشي، وترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله. فقد دعا أيوب عليه السلام ربه لدفع الضر عنه، قال تعالى: ﴿وَأَتُوكَبِإِذْنَادِي رَبِّهِ وَأَنِ مَسَنِيَ الْفُرُّ وَأَنَّ أَرْحَمَ الرَّحِيمِ﴾ [الأنياء: ٨٣]، فأثنى الله تعالى عليه قائلاً: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا عَمَّا عَبَدَ إِنَّهُ هُوَ أَوَّلُهُ﴾ [ص: ٤٤]. فالعبد إذا دعا ربّه تعالى في كشف الضرّ، لا يقدح ذلك في صبره.

والهوى هو أبغض إله عبد في الأرض، والعقل أعز موجود خلق على وجه الأرض. فالنفس قد تحبّ أشياء وتكره أشياء، والواجب على العبد أن يتصرف وفق إرادة الله ويتبع رسوله الكريم، وأن يلزم نفسه بذلك ويصبر عليه؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَتَيْفَأَهُمْ وَجْهَ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِثَارَ ذُنُوبِهِمْ سِرَّاً عَلَانِيَةً وَيَدِرُونَ بِالْحَسَنَةِ أَوْلَئِكَ لَمْ يُعْكِبُوا عَنِ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]، جئتُ عَلَيْنِ بِمَا خُلِونَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ أَبَاهِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَنْهُمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ [٢٣] سَلَمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَعَمِّ عَقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤-٢٥].

**أقسام الصبر:** قال الغزالى: الصبر ثلاثة أقسام:

**القسم الأول: الصبر على طاعة الله:** أي الصبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها، والصبر على الطاعة أمره شديد؛ لأن النفس بطبيعتها تنفر عن العبودية وتشتهي الاستعلاء والربوبية.

وقال بعض الصالحين: ما من نفس إلا وهي مضميرة ما أظهر فرعون من قوله: ﴿أَنَّا رَبُّكُمْ الْأَكْلَنَ﴾ [النازعات: ٢٤]، ولكن فرعون وجد مجالاً وقوياً فأظهره حين استخفَّ قومه. وما من أحد إلا وهو يحاول ذلك مع خدمه وأتباعه ومرءوسيه وكل من هو تحت قهره وطاعته وحكمه، ويمتنع عن إظهارها إلا إذا أغضبه أحدهم بسبب تقصيره في خدمته ما مما يكشف عن رداء الكبرياء الذي يحاول ارتداه دائمًا لينازع ربَّه ﷺ.

فالعبودية شاقة على النفس مطلقاً، وهناك من العبادات ما يكره بسبب حب الكسل كالصلوة، ومنها ما يكره بسبب البخل كالنذكارة، أو للسبعين كالحج والجهاد. فالصبر على الطاعة هو صبر على الشدائـد لا شك. وأما الحديث عن الصبر بين الناس: فهناك الصبر على الإحسان إلى الوالد، والوالدة، والزوجة، والولد، والعالم، والأكابر والجار، والضيـفـ. وقد أمرنا أن نؤدي لهم حقوقاً وواجباتـ، كزيارة الإخـوةـ في اللهـ، وعيادةـ المرضىـ، وشهـودـ الجنـازـاتـ، ومصاحـبةـ العلمـاءـ والأـخـيارـ، ومواصلةـ الأـرـحـامـ المقـطـوعـةـ، ومصاحـبةـ الأبـ والأـمـ الكـبـيرـينـ، وحسنـ الرـعاـيةـ لـهـمـ، وملـاطـفةـ الإـخـوةـ والأـخـواتـ، وكتـمـ الأـسـرـارـ، وسـتـرـ الأـعـراضـ. وغيرها من أـوـامرـ اللهـ الـكـثـيرـةـ. وفي هـذـاـ كـلـهـ نـحـتـاجـ إـلـىـ الصـبـرـ؛ قالـ اللهـ تـعـالـىـ: ﴿وَأَمْرَ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] وـقـالـ تـعـالـىـ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُوكَ رَبَّهُمْ بِالْفَدْوَةِ وَالشِّيْرِيْدُونَ وَجَهَمَّ﴾ [الـكـهـفـ: ٢٨].

**القسم الثاني: الصبر على ترك الماعـصـيـ:** ذلك لأن أول المـعـصـيـةـ لـذـذـةـ، وـآخـرـهاـ نـدـامـةـ، علىـ عـكـسـ الطـاعـةـ، فـأـوـلـهـاـ مـكـروـهـ وـآخـرـهـاـ سـعـادـةـ وـطـمـانـيـةـ؛ قالـ رسولـ اللهـ ﷺ: «حُجَّتِ النَّارِ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجَّتِ الْجَنَّةِ بِالْمَكَارِهِ» متفقـ عـلـيـهـ. ولـتـعـلـمـ أنـ أـشـدـ أنـوـاعـ الصـبـرـ هوـ صـبـرـ النـفـسـ علىـ تـرـكـ مـعـاـصـيـ صـارـتـ مـأـلـوـفـةـ لـنـاـ بـحـكـمـ العـادـةـ وـالـإـلـفـ فيـ حـيـاتـنـاـ، وـالـعـادـةـ لـلـأـسـفـ غالـبـةـ، فـمـعـلـومـ صـعـوبـةـ الصـبـرـ عـنـ مـعـاـصـيـ اللـسانـ منـ الغـيـرـةـ وـالـنـسـيـمـةـ وـالـكـذـبـ وـالـثـنـاءـ عـلـىـ النـفـسـ، إـمـاـ بـالـتـعـريـضـ أـوـ بـالـتـصـرـيـحـ؛ فـإـنـ فيـ اـسـتـحـقـارـ الـآخـرـينـ وـالـقـدـحـ فـيـهـمـ وـفـيـ أـحـوـالـهـمـ؛ فـيـ ظـاهـرـهـ غـيـرـةـ، وـفـيـ باـطـنـهـ مـدـحـاـ وـثـنـاءـ عـلـىـ النـفـسـ، فـهـوـ يـثـبـتـ فـضـلـ وـقـدـرـ نـفـسـهـ وـيـنـفـيـ ذـلـكـ عـنـ غـيـرـهـ. وـاعـلـمـ أـنـ الصـبـرـ عـلـىـ أـذـىـ النـاسـ مـنـ أـعـلـىـ مـرـاتـبـ الصـبـرـ؛ فـقـدـ سـئـلـ أحـدـ الصـالـحـينـ عـنـ أـعـظـمـ الصـبـرـ، فـقـالـ: الـصـبـرـ عـلـىـ صـحـةـ مـنـ لـاـ توـافـقـكـ أـخـلـاقـهـ، وـلـاـ يـمـكـنـكـ فـرـاقـهـ. وـذـلـكـ كـبـعـضـ الـأـهـلـ وـالـجـيـرانـ وـزـمـلـاءـ الـدـرـاسـةـ وـالـعـمـلـ مـثـلاـ.

ويختلف هذا الأمـرـ بـحـسـبـ قـوـةـ الإـيمـانـ وـضـعـفـهـ، فـالـمـرـءـ كـثـيرـاـ ماـ يـرـغـبـ فيـ أـنـ يـؤـدـبـ جـارـهـ الـذـيـ يـؤـذـيـهـ لـمـاـ قـدـ يـكـونـ فيـ ذـلـكـ مـنـ حـبـ لـلـتـعـالـىـ وـالـتـسـلـطـ وـكـراـهـةـ لـلـخـضـوعـ وـالـمـذـلةـ، وـكـثـيرـاـ ماـ يـكـرـهـ المـرـءـ أـنـ يـكـرـمـ أـوـ يـسـتـقـبـلـ بـعـضـ أـضـيـافـهـ، أـوـ قـدـ يـكـرـهـ أـنـ يـحـسـنـ

معاملة بعض أقاربه وأهله وجيرانه لسبب أو لآخر، أو أن يردد المظالم إلى أهلهما، أو قد يكره أن يُحسّن في بيته وشرائه. فترك مثل هذه الأمور يصعب على النفس، وفي هذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا سَتَوْيَ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي يَتَنَزَّلُ وَيَتَنَزَّلُ عَذَابًا كَانَتْ نَوْعَيْهِ حَمِيمٌ﴾ [٢٤] وَمَا يَلْقَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ [٢٥] [٢٦]

[فصلت: ٣٤، ٣٥]، وقال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِهَانِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِجَاهِهِ» [أحمد في مسنده ١/ ٢٩٩ برق ٢٧١٨)، صححة الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٢٧٠)، كما قال ﷺ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِعِ» (أي: الذي يعامل بمثل ما عولج به)، ولكنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قَطَعْتَ رَحْمَهُ وَصَلَّهَا». البخاري برق (٥٩٩١).

**القسم الثالث: الصبر على المصائب والأقدار المؤلمة وسائر أنواع البلاء:** وهو ما لا يدخل تحت اختيار العبد، وهو من أعلى مقامات الصبر، ولا يقدر عليه إلا الأنبياء والمرسلون صلواتُ الله وسلامُه عليهم جميعاً، وهذا دعاء النبي ﷺ حينما قال: «أَسْأَلُكَ مِنَ الْيَقِينِ مَا تُهُوَّنُ عَلَيَّ بِهِ مَصَائِبُ الدُّنْيَا». الترمذى بنحوه برق (٣٥٠٢)، حسنة الألبانى (تخریج الكلم الطيب) حديث (٢٢٦).

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوْنَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الْصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٥] [البقرة: ١٥٥]. وقال أيضاً: ﴿لَنَبْلُوْنَكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦]. وقال رسول الله ﷺ: «المُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِّنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ». الترمذى برق (٢٥٠٧)، صححة الألبانى (صحيح الجامع الصغير) حديث (٦٦٥١). فإن المؤمن الذي يخالط الناس ويدعوهم إلى الخير، ويدعوهم إلى الإسلام، ويصبر على ما يناله من أذى في سبيل دعوتهم وإيصال الخير إليهم، خيرٌ من المؤمن الذي يعزل عن الناس؛ لأن الأول صاحب نفع يصل خيره إلى الناس، والثانى صاحب نفع خاصٌ، فالحديث عام في جميع الناس. والله أعلم.

فالصبر على الزوج أو الزوجة أو الولد العاّق أو الجار المؤذى أو الضيف الثقيل أو الصاحب الخائن أو الصديق النمام أو الشريك السارق.. كلُّ هذا يحتاج إلى الصبر.

قال رسول الله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضُعُوا حَتَّى لَا يُفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ. مسلم برقم (٢٨٦٥). وقال ﷺ: مَا نَقَصْتُ صَدَقَةً مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعْنَا اللَّهُ. مسلم برقم (٢٥٨٨).

وليس المراد ألا تكون في نفسك كراهية للمقصيبة، فهذا لا اختيار لك فيه، وإنما النهي عن الجزء وشق الجيوب ولطم الخدود والمبالغة في الشكوى وإظهار الكآبة؛ فهي داخلة تحت اختيارك، ولا يخرجك عن حد الصبر توجع القلب ولا فيضان العين بالدموع، فهذا مقتضى الطبيعة البشرية، واذكر ما حدث مع رسول الله ﷺ حينما مات ابنه إبراهيم، فلا ينبغي أن يخرج الابتلاء صاحبه حتى عن مقام الرضا.

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في خطبته له: مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ وَعَوَّضَهُ مِنْهَا الصَّبْرُ إِلَّا كَانَ مَا عَوَّضَهُ مِنْهَا أَفْضَلَ مَا انتَزَعَ مِنْهُ، وَاقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّمَا يُوفِّ الصَّابِرُونَ أَجَرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠).

**حكم الصبر:** والصبر ينقسم باعتبار حكمه الشرعي إلى: واجب، ونفل، ومكروه، ومحرم. فالصبر على ترك الحرام و فعل الفرائض واجب، والصبر على ترك السرقة والزنا واجب، والصبر على أداء الصلاة وبر الوالدين واجب أيضاً. والصبر على ترك المكرورهات نافلة، كالصبر على ترك القيل والقال فيما لا طائل وراءه.

وأما الصبر المكروه فهو تحمل ما يؤذيك وأنت تستطيع أن تدفعه، كمن أراد أن يقطع يدك أو يسرق ولدك، إذ يجب عليك دفع الأذى عن نفسك بقدر ما تستطيع. فالصبر على هذا مكروه. وأما الصبر المحرّم فبكمّ الغيظ عند من يريد العبث بعرضك أو زوجك فتسكت على ذلك، فهذا الصبر محرّم ومنهنه عنك.

قال بعض العلماء: أهْلُ الصَّبْرِ عَلَى ثَلَاثَةِ مَقَامَاتٍ: أَوْلَاهَا: تَرْكُ الشَّهْوَةِ، وَهَذِهِ درجة التائبين. وثانيها: الرضا بالمقدر، وهذه درجة الزاهدين. وثالثها: المحبة لما يصنع به مولاه، وهذه درجة الصدّيقين.

وقال بعض الصالحين: البلاء يصبر عليه المؤمن، والعافية لا يصبر عليها إلا صديق.

وقال سهل : **الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء.**  
ويقول سليمان الداراني : **والله ما نصبر على ما نحب، فكيف نصبر على ما نكره؟ فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ويعلم أن هذه النعم أمانة عنده، وعليه رعاية حقوق الله تعالى وحقوق العباد فيها.**

**أنواع الصبر:** قال الفيروزآبادي : **الصبر على ثلاثة أنواع: صبر بالله، وصبر مع الله، وصبر الله.**  
**فأما الصبر بالله:** فهو التوكل عليه والاستعانة به في كل حاله حتى في الصبر نفسه، فهو الذي يعطيك الصبر، وهو معونة الرب لعبد، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبَرْكَ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تُكْفِرْ فِي ضَيْقٍ مَمَّا يَتَكَبَّرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٧].

فإن لم يمنحك الصبر فلا صبر لك. وأما الصبر لله: فهو التوحيد والإخلاص محبة لله ولو وجهه الكريم، وليس لإظهار قوة النفس على الصبر ولا انتظار لحمد الناس على الجلد والصبر، بل صبر خالص لوجه الله تعالى.

وأما الصبر مع الله: فهو الصبر الذي يدور على أحكام الشرع الحنيف، فيجعل صاحبه صابراً متمسكاً بدينه، جاعلاً نفسه وقفاً على أوامر الله تعالى. ولا شك أن هذا هو معنى الاستقامة. ولهذا قال الله في حقهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوكُنَا اللَّهُ ثُمَّ أَسْتَقْنَمُوا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَلَا بُشِّرُوا بِالْحَنَّةِ الَّتِي كُشِّرَتْ ثُمَّ عَكَدُوكُنَّ﴾ [فصلت: ٣٠]، وهو صبر الصديقين.

وسائل رجل الشافعي رحمه الله فقال: يا أبا عبد الله، أيهما أفضل للرجل: أن يمكن - أي من النعم والفضائل - فيشكر الله تعالى، أو يبتلى بالشر فيصبر؟ قال الشافعي رحمه الله: لا يمكن حتى يبتلى؛ فإن الله ابتلى نوحًا وإبراهيم ومحمدا صلوات الله عليهم جميعا، فلما صبروا مكنهم. فلا يظن أحد أن يخلص من الألم أبداً.

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدِونَ بِأَئِمَّةٍ لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا يَأْتِيَنَا يُؤْتَنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]. وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَأَتَقْوَا اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. أي: في الله إخلاصاً ورجاء ثوابه وخوف عقابه. ﴿وَصَابِرُوا﴾ أي: بالله استعانة بقوة الله ومعونته، فلا حول ولا قوة إلا

بِاللَّهِ. ﴿وَرَأَيْتُوا﴾ أي: مع الله مجاهدةً واستقامة على الأعمال.

وقيل: الصبر لله غناء، والصبر بالله بقاء، والصبر مع الله وفاء، والصبر عن الله جفاء، والصبر على استجابة الدعاء عنوان الفوز، والصبر على المحن عنوان الفرج.

وتختلف أسماء الصبر باختلاف موضعه: فإن كان حبس النفس لمصلية سمي صبراً، وإن كان محاربة سمي شجاعةً، وإن كان عن إمساك الكلام سمي كتماناً، وإن كان عن فضول العيش سمي زهداً، وإن كان عن شهوة الفرج سمي عفةً، وإن كان عن شهوة طعام سمي شرف النفس، وإن كان عن إجابة داعي الغضب سمي حلماً.

قال ابن تيمية : ذكر الله تعالى في كتابه: الصبر الجميل، والصفح الجميل، والهجر الجميل: فأما الصبر الجميل فهو الذي لا شكوى فيه ولا معه. وأما الصفحة الجميل فهو الذي لا اعتاب معه. وأما الهجر الجميل فهو الذي لا أذى معه.

ولهذا كما يقول ابن القيم : عن الصبر: إنه مرتبط بكل مقامات الدين. وهذا معنى قوله ﷺ: «وَمَنْ يَسْتَعْنِ يُغْنِي اللَّهُ، وَمَنْ يَكْسِبَ يُصْبِرُهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ». متفق عليه.

الفرق بين الصبر والرضا: قد سبق بيان الصبر، أما الرضا فهو طيب نفس الإنسان بما يُصيّبه من أقدارٍ أو يُقوّته من النعم مع التغيير، واعتقاده أن اختيار الله له هو الأفضل.

والرضا نوعان: أولهما: الرضا بفعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه، من غير تعد إلى محظوظ. وهذا الرضا واجب. والثاني: الرضا بالمصالib، كالفقر والمرض والذل، فهذا رضاً مُستحبٌ عند بعض أهل العلم. وقال ابن تيمية : إن الواجب هو الصبر. وقال الحسن البصري : الرضا غريرة، لكن الصبر مَعْوَلٌ (أي: أداة ووسيلة) المؤمن. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : خير عيش أدركناه بالصبر (أي: على المشقات والمصاعب).

وقال داود لسليمان عليهما السلام : يُستدلُّ على تقوى المؤمن بثلاثٍ: حُسْنُ التوكل فيما لم يَئِلْ، وحسن الرضا فيما قد نال، وحسن الصبر فيما قد فات.

**كيفية الصبر:**

**ولا بالقلب:** وهو حبس النفس عن التسخّط بالمقادير الإلهية التي تشمل الصبر على

فِعْلُ الطَّاعَاتِ وَتَرْكُ الْمَعَاصِي وَتَحْمِيلُ الْأَقْدَارِ الْمُؤْلَمَةِ.

**ثَانِيًّا: بِاللِّسَانِ:** وهو حَبْسُ اللِّسَانِ عَنِ الشُّكُورِ لِلْمُخْلوقِ، فَإِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنِ الشُّكُورِ فَلَا تَكُونُ إِلَّا لِاثْنَيْنِ: إِمَّا لِصَدِيقٍ هُوَ أَهْلُ لِلتَّقْوَى فَيُسَاعِدُ عَلَى الصَّبْرِ وَالتَّصْبِيرِ وَتَجَاوِزِ الْمِحَنِ بِمَا يُرْضِي اللَّهَ، أَوْ لِمَنْ هُوَ أَهْلُ لِلْقَضَاءِ فِي حُكْمِ بَيْنِهِ وَبَيْنِ خَصْمِهِ فِي الْقَضَايَا وَالْمَشَاكِلِ كَالْوَالِيِّ وَالْقَاضِيِّ وَالْحَاكِمِ وَالْأَمِيرِ.

**ثَالِثًا: بِالْجَوَارِحِ:** فِي حَبْسِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْمُعْصِيَةِ، كَاللَّطْمُ عَلَى الْوِجْهِ وَشُقُّ الشِّيَابِ وَتَنْفُذِ الشِّعْرِ، أَوْ مَا يُعْنِي التَّسْخُطُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ أَوْ حَتَّى أَخْلَاقِ الْبَشَرِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالْكََظِيمَنَ الْفَنِيظَ وَالْمَعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَصِلُّ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ وَتَصْفَحُ عَمَّا طَلَمَكَ» [أَحْمَدُ بْنُ حُنْوَرٍ فِي مَسَنْدِهِ (٤/ ١٤٨) بِرَقْمِ (١٧٣٧٢)، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدِرِكِ (٣٩١٢) وَقَالَ: حَدِيثٌ صَحِحٌ إِلَيْهِ].

وَتَخْتَلِفُ درْجَةُ الصَّبْرِ عَنْ النَّاسِ مِنْ وَاحِدٍ لِآخَرَ حَسْبَ حَالٍ كُلُّ مِنْهُمْ فِي قُدرَتِهِ عَلَى فِعْلِ الْأَمْرِ أَوْ تَرْكِ النَّهْيِ أَوْ تَحْمِيلِ الْأَقْدَارِ.

**قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ:** أَفْضَلُ الْعُدَّةِ الصَّبْرُ عَلَى الشَّدَّةِ.

وَقِيلَ فِي مَتْشُورِ الْحِكْمَةِ: مَنْ أَحَبَّ البقاءَ فَلَيُعِدَّ لِلْمَصَابِبِ قَلْبًا صَبُورًا.

وَقَالَ ابْنُ الْمُقْقَعَ: الصَّبَرُ صِبرَانِ: فَاللِّئَامُ أَصْبَرُ أَجْسَامًا، وَالْكِرَامُ أَصْبَرُ نُفُوسًا.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبِلٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: ذَكَرَ اللَّهُ الصَّبَرَ فِي الْقُرْآنِ فِي نَحْوِ تِسْعِينِ مَوْضِعًا.

وَقَالَ أَبُو عَلَيِّ الدَّفَاقِ : فاز الصابرون بعزم الدارين لأنهم نالوا من الله معينه؛ فإن الله مع الصابرين.

وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الخطَّابَ لِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي رِسَالَتِهِ لِهِ: عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الصَّبَرَ مِلَّا كُلُّ إِيمَانٍ؛ ذَلِكَ بِأَنَّ التَّقْوَى أَفْضَلُ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى بِالصَّبْرِ.

وَقَالَ عَلَيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: بُنِيَ الإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمٍ: الْيَقِينُ، وَالصَّبَرُ، وَالْجَهَادُ، وَالْعَدْلُ.

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: ذِرْوَةُ الإِيمَانِ الصَّبَرُ لِلْحُكْمِ وَالرَّضَا.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَرَأُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى

الله تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ حَاطِيَّةً». أَحْمَدُ فِي مَسَنْدِهِ (٢/ ٢٨٧) بِرَقْمِ (٧٨٤٦).

وقال ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ». الترمذى برقم (٢٣٩٦).

### الأمور التي تعين على الصبر:

- معرفة أن الحياة الدنيا زائلة لا دوام فيها.
- معرفة الإنسان أنه مملوك الله تعالى أولاً وآخراً، وأن مصيره إلى الله تعالى.
- التيقن بحسن الجزاء عند الله، وأن الصابرين يتظرون بأحسن الجزاء من الله، قال الله تعالى: ﴿فَوَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَدَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٦] [التحل: ٩٦].
- اليقين بأن نصر الله قريب، وأن فرجه آتٍ، وأن بعد الضيق سعة، وأن بعد العسر يسر، وأن ما وعد الله به للمبتلين من الجزاء لا بد أن يتحقق؛ قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يُعَذِّبُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَرَى﴾ [٦] [الشرح: ٦٥].
- الاستعانة بالله واللجوء إلى حماه، فيشعر المسلم الصابر بأن الله معه، وأنه في رعايته؛ قال الله تعالى: ﴿وَاصْدِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [٤٦] [الأنفال: ٤٦].
- الاقتداء بأهل الصبر والعزم، والتأمل في سير الصابرين وما لاقوه من ألوان البلاء والشدائد، وخاصة أئباء الله ورسله.
- الإيمان بقدر الله، وأن قضاءه نافذ لا محالة، وأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليُخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيه؛ قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَّا قَبْلَ أَنْ تَبَرَّاهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [٢٢] [الأنفال: ٢٢].
- الابتعاد عن الاستعجال والغضب وشدة الحزن والضيق واليأس من رحمة الله؛ لأن كل ذلك يضعف من الصبر والمثابرة.

## ٤- باب الصدق

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ مَا مَنَّا بِأَنْ تَقُولُوا إِلَهُ وَكُوْنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبه: ١١٩].

وقال تعالى: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا صَدَقُوا أَنَّهُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

وأما الأحاديث:

(٤/٥٤) فال الأول: عن ابن مسعود رض: عن النبي صل قال: «إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبَرِّ، وَإِنَّ الْبَرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَصُدُّقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَكُذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذِيبًا». متفق عليه.

(٤/٥٥) الثاني: عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب صل قال: حفظت من رسول الله صل: «دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ؛ فَإِنَّ الصَّدَقَ طَمَانِيَّةٌ، وَالْكَذِبَ رِيَبَّةٌ». رواه الترمذى، وقال: «حديث صحيح». قوله: «يرِيكَ» بفتح الياء وضمها، ومعناه: اترك ما تشك في حله واعدل إلى ما لا تشك فيه.

(٤/٥٦) الثالث: عن أبي سفيانَ صَحِيرَ بْنِ حَرْبَ رض في حديثه الطويل في قصة هرقل أي: وهو ملك من ملوك الروم: قال هرقل: فَمَاذا يَأْمُرُكُمْ؟ يعني النبي صل. قال أبو سفيان: قلت: يقول: «اعبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتُّرْكُوا مَا يَقُولُ آباؤُكُمْ». ويأمرنا بالصلة، والصدق، والعفاف أي: الكف عن المحارم)، والصلة أي: صلة الأرحام. متفق عليه.

(٤/٥٧) الرابع: عن أبي ثابت - وقيل: أبي سعيد، وقيل: أبي الوليد - سهل بن حنيف رض و هو بدري أي: ممن شهد وقعة بدرا قال: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ». رواه مسلم.

(٤/٥٨) الخامس: عن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله صل: «غَرَّا نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أي: وهو يوشع بن نون صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَبْعَدُنِي رَجُلٌ مَلَكٌ بُضْعَ امْرَأَةٍ أي: تزوج حديثا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْيَنَ بَهَا أي: يدخل بها وَلَمَّا أي: لم يَبْيَنَ بَهَا، وَلَا أَحَدُ بَنَى بُيُوتًا لَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلَا أَحَدُ اشْتَرَى عَنَّمَا أَوْ خَلْفَاتٍ وَهُوَ يَسْتَظِرُ أَوْ لَادَهَا. فَغَرَّا فَدَنَا أي: اقترب مِنَ الْقَرِيَّةِ صَلَاةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكَ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا

مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا. فَهِيَ سُنْتُ حَتَّىٰ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَجَمِعَ الْغَنَائِمَ، فَجَاءَتْ - يعنى النَّارَ - لِتَأْكُلُهَا، فَلَمْ تَطْعَمْهَا.

(أي: وكانت عادة الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه في الغنائم أن يجمعوها فتحيء نار من السماء فتأكلها، فيعلمون بذلك قبولها وعدم الغلوط والسرقة فيها، فإذا لم تأكلها النار علم أن فيها غلوطاً).

فَقَالَ: إِنَّ فِيمُكُمْ غُلُولًا، فَإِنِّي أَعْنِي مِنْ كُلِّ قَبْيلَةٍ رَجُلٌ. فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: فِيكُمُ الْغُلُولُ، فَإِنِّي أَعْنِي قَبْيلَتَكُمْ. فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ بِيَدِهِ. فَقَالَ: فِيكُمُ الْغُلُولُ. فَجَاءَوَا بِرَأْسٍ مُثْلِّدٍ بَقَرَّةٍ مِنَ الْذَّهَبِ، فَوَضَعَهَا فَجَاءَتِ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا. فَلَمْ تَحَلِّ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ قَبْلَنَا، ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ عَلَيْنَا الْغَنَائِمَ لَمَّا رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا». متفق عليه. (أي: والغلوط: هو الأخذ من الغنيمة في خفية قبل قسمتها. وكانت علامة الغلوط عندهم التصاق يد الغال بيد نبي ذلك الزمان، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

«الحَلِفَاتُ»: بفتح الحاء الممعجمة وكسر اللام: جمع خلقة، وهي الناقة الحامل.

(٤٥٩) السادس: عَنْ أَبِي خَالدِ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ: «البَيْعَانُ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَنْفَرَقَ» (أي: كل من البائع والمشتري يختار ما يريد ماما في مكان العقد)، فَإِنْ صَدَقاً وَبَيْنَاهُ بُورْكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَّتْ (أي: تُزِّعَتْ) بِرَكَةُ بَيْعِهِمَا». متفق عليه.



### (الصدق)

إذا كانت أعمال العبودية تدور بين الصبر والشکر والتوبة، فإن الصدق هو روح هذه الأعمال، وهو أعظم الأخلاق وأعلاها، وهو الباب الذي يدخل منه الصالحون إلى حضرة ذي الجلال والإكرام.

والصدق معناه استواء السر والعلانية، والظاهر والباطن. وهو خلاف الكذب، وذلك بـألا تخالف أحوال قلب العبد أعماله، ولا أعماله أحواله. فالصدق هو أحد أسس الدين المتينة، فهو أساس الإسلام والإيمان، وهو الذي يميز أهل الإيمان عن أهل النفاق.

والناس عند الله إما صادقٌ وإما منافق؛ وقد أخبر الله تعالى عن جزاء كلِّ منها بقوله: ﴿لَيَجْزِيَ اللَّهُ الْصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَفِّقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤]؛ لأنَّ الإيمان أساسُه الصدق، والنفاق أساسُه الكذب، يبدأ بكذب اللسان وينتهي إلى كذب القلب نفاقاً، فلا يجتمعان؛ ولهذا أمرَ الله تعالى المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُوْنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبه: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمُبَتَّئِنَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهِداءَ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

والصادقون لهم منزلةُ القرب من الله، وقد أثنى الله تعالى على أهل الإيمان بأعمالهم من الإيمان والإسلام والصدقة والصبر، ثم توجّهم بتاج الصدق، وجعله الأعلى في وصفهم، فقال تعالى: ﴿وَلِكُنَّ الَّرِّبَّ مِنْ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمُلْكَةَ وَالْكِتَبِ وَالَّذِينَ عَنِ الْمَالِ عَلَىٰ حِبْهِهِ دَوَىٰ الْفُرْقَانَ وَالْيَتَمَّ وَالْمَسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقْامَ الْمُصْلَوةَ وَعَنِ الْأَنْوَارِ وَالْمُؤْمِنُونَ يَعْمَدُهُمْ إِذَا عَنْهُدُوا لِلصَّابِرِينَ فِي الْأَبْاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَجِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُنْقُوتُونَ﴾ [البرة: ١٧٧].

ويوم القيمة لا ينفع العبد ولا ينجيه من العذاب إلا صدقه، قال الله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبْدَارُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضْوَانُهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُنْقُوتُونَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

والصدق خُلقُ أعمُّ وأوسعُ من الإخلاص، وقد قيل: كُلُّ صادقٍ مخلصٌ، وليس كُلُّ مخلصٍ صادقاً.

وسئل الجنيد : أهُمَا واحِدٌ أَمْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ؟ فقال: الصدقُ أصلٌ، والإخلاص فرعٌ، والصدق أصلٌ كُلُّ شيءٍ؛ لأنَّ الإخلاص لا يكون إلا بعد دخولِ العبد في العمل، والأعمال لا تكون مقبولةً إلا بهما.

وقال الفضيري : الصدقُ ألا يكون في أحوالك شُوبٌ (أي: رباء ونفاق وخداع وكذب)، ولا في اعتقادك رَيْبٌ (أي: شك)، ولا في أعمالك عيبٌ.

**معاني الصدق:** والصدق يُستعمل في ستة معانٍ: الصدق في القول، والصدق في النية والإرادة، والصدق في العزم، والصدق في الوفاء بالعزم، والصدق في العمل، والصدق في تحقيق مقامات الدين كلها.

**الصدق الأول: الصدق في الأقوال:** أي استقامة اللسان على الصدق، وحفظ اللسان من الكذب. فحق على كل عبد أن يحفظ لسانه، فلا يتكلّم إلا بالصدق، ولا ينافي أيضًا الصدق الجوء إلى المعارض، وهي التورية بإنفاسه وستر بعض الأمور في الكلام، بأن يقول الشخص كلامًا يحتمل عدة أمور، وقد روي عن عمران بن الحصين: «إِنَّ فِي الْمَعَارِضِ لَمَنْدُوحةً» (أي: فسحةً ومتسعًا) عن **الكذب**». البخاري في الأدب المفرد برقم (٨٥٧).

والإسلام يعتبر وبهتم بالصالح، فمن اضطر إلى ذلك فصدقه في قصده ونيته وإرادة الخير، بصرف النظر عن نطقه. وكان رسول الله ﷺ إذا توجه لسفرٍ (أي: لمقابلة عدو) ورأى (أي: أخفي وأوهم) بغيره. [متفق عليه]، وليس هذا من الكذب في شيء.

عن أم كلثوم بنت عمّة بن أبي معيط وعن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَيَسِ الْكَذَابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيُنْمِي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ حَيْرًا» متفق عليه وفي رواية مسلم [ الحديث رقم ٢٦٠٥] زيادة، قالت: ولَمْ أَسْمَعْهُ يُرْخَصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُهُ النَّاسُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ. تعني: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأه، وحديث المرأة زوجها.

وقال عليه السلام أيضًا: «الْحَرْبُ حَدْعَةٌ». متفق عليه. ومن الكمال في الصدق في القول أن يراعي معنى الصدق في الألفاظ التي يُناجي فيها ربّه، كقوله: «إِنَّ وَجْهَتِي وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» [الأعراف: ٧٩]. فإنه إن كان القلب منصرفًا عن الله تعالى مشغولاً بأمني الدنيا وشهواتها كان كاذباً، وك قوله: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» [الفاتحة: ٥]، فإذا لم يتصرف حاله وقت قوله ذلك بحقيقة العبودية لم يكن صادقاً. ولهذا قال النبي ﷺ: «تَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالقَطِيفَةِ وَالْحَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطَيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ». البخاري برقم (٢٨٨٧). وحتى عند نومه حين يقول ما قاله النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ». متفق عليه.

فلا يتكلّم إلا بالصدق، إلا ما تجاوز عنده الشرع الحكيم.

**الصدق الثاني: الصدق في النية والإرادة:** وهذا من الإخلاص، فإن كان عمله تشويه حظوظ النفس صارت نيتها كاذبة، كما في حديث الثلاثة الذين يدخلون النار: العالم، والجواب، والشهيد، فكان كذب كل منهم ليس في فعله، ولم يقل الله تعالى: لم يعملوا، وإنما كان كذبهم في الإرادة والنية، فكل منهم كان قد قام بعمل حسن، من قراءة للقرآن أو تصدق أو قتال.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول الناس يقضى يوم القيمة عليه: رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمته فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء فقد قيل. ثم أمر به فسحاب على وجهه حتى أقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمته فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلم العلم وعلمه وقرأ فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلم ليقال: عالم، وقرأ القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل. ثم أمر به فسحاب على وجهه حتى أقي في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف الممال فأتي به فعرفه نعمته فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: هو جواد! فقد قيل. ثم أمر به فسحاب على وجهه ثم أقي في النار». رواه مسلم برقم (١٩٠٥).

وقد كذب الله تعالى المنافقين في نياتهم لا من حيث نطق اللسان، ولكن من حيث ضمير القلب، فقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا شَهَدْنَا أَنَّكُمْ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكُمْ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشَهِدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَذِبُونَ﴾ [المافقون: ١]. فأخذ معاني الصدق هو إخلاص النية، فكل صادق مخلص، وليس بالضرورة كل مخلص صادقاً.

**الصدق الثالث: الصدق في العزيمة والهمة:** فإن الإنسان قد يقدم العزم على العمل، فيقول في نفسه: إن آتاني الله مالا تصدق به جميعه، أو إن أعطاني الله ولاية (أي: سلطة أو وزارة) عدلت فيها ولم أعص الله تعالى بظلمٍ وخيانةٍ. فقد يجد العبد هذه العزيمة من نفسه، وهي عزيمة جازمة صادقة، وقد يكون في عزمه ميلٌ وترددٌ وضعفٌ، وهذا مُناٰف للصدق في

العزم والهمة، فالصادق هو الذي لا تردد عزيمته ولا تضعف، ولا تميل حتى يمتلك الأسباب لفعله، فهو المصمم الجازم أبداً على فعل الخيرات، وهو الذي لا تتغير همته أبداً، كالذي قال للنبي ﷺ عند توزيع الغنائم: وَاللَّهُ مَا عَلَىٰ هَذَا اتَّبَعْتُكُمْ على أن أرمي بسهم هاهنا فاقتلت فأدخل الجنة.

النسائي برقم (١٩٥٣).

**الصدق الرابع: الصدق في الوفاء بالعزم:** إن النفس قد تعزم على الفعل، فإذا حصل التمكّن من الأسباب وفّت بوعدها صدقاً لعزيمتها؛ ولذلك قال الله تعالى مادحاً لهم: فِيمَنِ الْمُؤْمِنُونَ يَرْجُوا صَدَقَوْمَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ [الأحزاب: ٢٣]، وفي قصة أنس بن النّصر في غزوة أحد دليل الصدق في الوفاء بالعزم. فعن أنس رضي الله عنه قال: غَابَ عَمِّي أَنْسُ بْنُ النَّصْرِ عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركيين، لئن الله أشهدني قتال المشركيين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد انكشف المسلمين فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء (أي: يعني: أصحابه) وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء (أي: يعني: المشركيين) ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النصر، إني أجد ريحها من دون أحد. فقال سعد: فما استطعت يا رسول الله مما صنع.

قال أنس: فوجدنا به بضمها ونماين ضربة بالسيف، أو طعننا برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل ومثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخذه بيانيه (أي: إصبعه). قال أنس: كنا نرى - أو نظن - أن هذه الآية نزلت فيه وفي أصحابه: فِيمَنِ الْمُؤْمِنُونَ يَرْجُوا صَدَقَوْمَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فِيمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ [الأحزاب: ٢٣] إلى آخرها. متفق عليه.

وقد تعزم النفس على الفعل، فإذا حصل التمكّن من الأسباب وغلبت الشهوات خارت العزيمة وضفت الهمة وأخللت بالعهد، فهذا يُضادُ الصدق؛ ولذلك قال الله تعالى: \* وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَيْتَ مَا تَنَزَّلَ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَدِقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الظَّالِمِينَ ٧٥ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِمَّنْ فَضْلِهِ بَخْلُوا بِهِ وَتَوَلُّوا وَهُمْ مُعَرِّضُونَ ٧٦ فَاعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْهُمْ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْنِيُونَ ٧٧

[التوراة: ٧٥-٧٧]. فمن الصدق: الوفاء بالعزم، وليس فقط العزم.

**الصدق الخامس: الصدق في الأعمال:** وهو أن يجعل سره كعلانيته، فيجتهد في ألا تدل أعماله الظاهرة على الصلاح والتقوى والوقار حال كون باطنه مشغولاً بالدنيا وشهواتها، فهذه الأعمال هو فيها كاذب، وهو غير صادق في عمله، صحيح أنه لم ينوي رياء بعمله؛ فلا يؤمر بتترك العمل، ولكنه يؤمر بأن يجعل الباطن موافقاً للظاهر، فلا ينجو إلا باستواء السريرة والعلانية، فمخالفته الظاهر للباطن إن كانت عن قصد سُمِّيت رياءً وضاع بها الإخلاص، وإن كانت عن غير قصد ضاع بها الصدق.

قال مطرّف : إذا استوت سريرة العبد وعلاناته قال الله: هذا عبدي حقاً.

وقال عبد الواحد بن زيد : كان الحسن البصري إذا أمر بشيء كان من أعمال الناس به، وإذا نهى عن شيء كان من أترك الناس له، ولم أر أحداً قط أشبة سريرة بعلانية منه.

وقال أبو يعقوب : الصدق موافقة الحق في السرّ والعلانية.

وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود، من صدقي في سيرته صدقته في علانيته عند خلقني.

وقال بعضهم: ثالث خصال إذا صحت فيها النجاة ولا يتم بعضها إلا ببعضِ الإسلام الخالص عن البدعة والهوى، والصدق لله تعالى في الأعمال، وطيب المطعم.

**الصدق السادس: الصدق في الأحوال:** وهو أعلى الدرجات وأعظمها، وهو الصدق في كل مقامات الدين. فعل العبد أن يكون صادقاً مع ربه حال الخوف والرجاء والزهد والرضا والحب والتوكل، وسائر هذه المقامات والأحوال، فيكون خوفه وتوكله وصبره وشكوه بصدق، فإن الله يأمر المؤمنين ألا يرتابوا عند قيامهم بأعمالهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَهَهُوا بِآمُونَتِهِمْ وَأَنْفَسُهُمْ فِي سَكِيلِ اللَّهِ أُوْتَيْتُكُمْ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة الله تعالى وتعظيمه، والخوف منه بصدق.

قال سفيان الثوري : في قول الله تعالى: ﴿وَيَعْمَلُ الْقِيمَةَ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجْهُهُمْ مُسَوَّدَةٌ﴾ [النمر: ٦٠]: هم الذين أدعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا بها صادقين.

فإن الكاذب يخاف من السلطان ويرتعد، ولا يخاف من النار عند فعل المعصية، ولكن الصادق يصدق في خوفه ورجائه وزهده وتوكله وسائر مقامات دينه.

وقال أبو بكر الوراق : الصدق ثلاثة: صدق التوحيد، وصدق الطاعة، وصدق المعرفة.

فالصدق إذا هو سنت مراتب، فإذا اكتملت هذه المراتب سُمِّي العبد صديقاً، والصادق أبلغ في المعنى من الصادق، وأعلاهم درجة الصديق، أي الدائم التصديق، والذي يُصدق قوله فعله، أو هو المبالغ في الصدق.

والصادقون هم الدرجة التالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين، والتي من مساكنهم في الجنة تجري العيون والأنهار إلى مساكن هؤلاء الصديقين، والرسول ﷺ هو إمام الصادقين، فهو أفضل مثال للإنسان الكامل الذي اتخذ من الصدق في القول والأمانة في المعاملة منهجاً لا يَحِدُّ ويبتعد عنه، فهو الصادق الأمين.

وأما الصديق أبو بكر رضي الله عنه فهو الذي سمّاه الرسول ﷺ بذلك حين كذبه الناس في الإسراء والمعراج، فقال أبو بكر: فوالله إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء يأتيه في غدوة أو رُوحةٍ. ثم أقبل على النبي ﷺ يسأله عما أخبر به الناس، ثم قال له: صَدَقْتَ، أشهد أنك رسول الله. فقال النبي ﷺ: وَأَنْتَ يَا أَبا بَكْرٍ الصَّدِيقُ

[الحاكم في «مستدركه» (٣/٦٥) برقم (٤٤٠٧)].

فمن ذئب سمي الصديق؛ ولهذا كان أبو بكر رضي الله عنه أكمل الأمة في الصديقية؛ لكمال هذا في كل أحواله، فكان مصدقاً للرسول في كل كلامه، ولم يتلعم، وكان صادقاً في أعماله؛ فقد خرج من ماله أربع مرات حتى صار فقيراً، وهاجر معه وترك أهله وأمواله، وكان صادقاً الحال كذلك حينما صار خليفة المسلمين. فالصادقية هي كمال الانقياد للرسول ﷺ بالاتّباع، مع كمال الإخلاص لله تعالى.

وقد أمرنا الله تعالى بأشكال من الصدق، فقال تعالى: ﴿ وَلْلَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُ إِنَّمَا يَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ ۸۰﴾ [الإسراء: ٨٠]، وقال: ﴿ وَلَجَهَكُلَّ لِسَانٍ صِدِيقٌ فِي الْأَكْرَمِينَ ۚ ۸۱﴾ [الشعراء: ٨٤]، وقال تعالى: ﴿ وَشَرِّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدِيقٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ ۸۲﴾ [إيونس: ٢]، وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَّهُنَّ بِرٌّ ۚ ۸۳﴾

**فِي مَقْعِدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْنَدِيرِ ﴿٦٥﴾** [القرآن: ٥٤، ٥٥]. فهذا خمسة أشكالٌ: مدخل الصدق، ومخرج الصدق، ولسان الصدق، وقدم الصدق، ومقعد الصدق.

**فِمُدْخَلِ الصِّدْقِ وَمُخْرَجِ الصِّدْقِ أَنْ يَكُونَ دُخُولُهُ وَخْرُوجُهُ لِلَّهِ تَعَالَى فَقْطًا؛ طَلَبًا لِمَرْضَاتِهِ، وَهُوَ ضَدُّ مُخْرَجِ الْكَذْبِ وَمُدْخَلِهِ، الَّذِي لَا هُدُفُ لَهُ إِلَّا الْبَاطِلُ.**

**فِمُدْخَلِ الصِّدْقِ** هو دخول العبد بالصدق في الأمور كلّها، كدخول النبي ﷺ المدينة المنورة لنصرة دين الله بالصدق، لا رياء ولا نفاقاً، فايتاه الله ونصره، بخلاف مدخل الكذب الذي طلبه أعداؤه يوم الأحزاب أن يدخلوا المدينة المنورة معاذة للحق ومحاربةً للله والرسول، فكان جزاؤهم الخذلان والهزيمة.

**وَمُخْرَجِ الصِّدْقِ** كخروج النبي ﷺ للدفاع عن دين الله يوم بدر، وهو عكس مخرج أعدائه في ذلك الغزو، فهو مخرج كذب. فيجب أن تكون حركة العبد دخولاً وخروجاً لله صدقًا لا رياءً وكذباً.

**ولسانُ الصِّدْقِ** هو السعي الصادق بلا رياء ولا سمعة في طلب الثناء الحسن عليه من سائر الناس إلى يوم القيمة، وهو الذي سأله إبراهيم ربّه، في قول الله تعالى: **﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرَةِ ﴾٨٤﴾** [الشعراء: ٨٤]، وأثنى الله تعالى الثناء الحسن على المرسلين فقال: **﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلَيْهَا ﴾٥٠﴾** [مريم: ٥٠].

وأما قدم الصدق فهو ما يقدمه العبد من عمل صالح إيماناً بالله وتصديقاً بمحمد ﷺ وطلبًا للرضوان.

**ومقعد الصدق** أن يقعد الناس مقاعدهم في المجتمع والأسواق وغيرها مليئة بالذكر والدعاء والعمل الصالح بعيدة عن الغيبة والنميمة، وأعلى هذه المقاعد هو الجنة عند الله تعالى عند ملك مقتدر.

ومن علامات الصدق طمأنينة القلب إليه، ومن علامات الكذب التشكيك والريبة؛

قال رسول الله ﷺ: **«فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَانِيَّةٌ، وَالْكَذْبَ رِبَيْةٌ»**. أحمد في «مسنده» (١/ ٢٠٠) برقم (١٧٢٣).

وقال ﷺ: **«إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبَرِّ، وَإِنَّ الْبَرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصُدُّ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْيقًا. وَإِنَّ الْكَذْبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ**

**الرَّجُلُ لِيَكْذِبُ حَتَّىٰ يُكَتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا**. متفق عليه.

فالصدق مفتاح درجة الصدقية، فلا ينالها كاذب، فالكافر على الله في أسمائه وصفاته بمعنى ما أثبته لنفسه من أسماء وصفات، أو العكس بإثبات ما نفاه عن نفسه، فليس هذا من الصدقية في شيء، وكذلك الكاذب على دينه وشرعه الحكيم بتحليل ما حرم وتحريم ما أحل، أو إسقاط ما أوجبه أو إيجاب ما أسقطه، أو كراهة ما أحبه أو استحباب ما لم يحبه. كل ذلك منافٍ للصدقية.

فالكافر في الأفعال يتحلى بحلية الصديقين، وليس هو كذلك؛ فالصدقية كمال الإخلاص والانقياد والمتابعة في كل الأمور ظاهراً وباطناً، حتى إن الصدق يحمل البركة في البيع، والكذب يمحو البركة، كما قال رسول الله ﷺ: «البياعان بالخيار ما لم يتفرقَا، فإن صدقاً وبياناً بوركَ لهما في بيتهما، وإن كتماً وكمياً محرقتْ بركةٌ بيعهما». متفق عليه.

**كلمات في حقيقة الصدق**: قال عبد الواحد بن زيد : الصدق هو الوفاء لله بالعمل.  
وقيل: إن الصدق هو قول الحق في مواطن الهملاك. وقيل: هو كلمة الحق عند من تخارفه وترجوه.

وذلك لأن الخوف وحده قد يمنع صاحبه من قول الحق، أما إذا اخالط بالرجاء في صفات المخاطب الكريمة فذلك قد يشجعه على قول الصدق، وأولى بذلك خوفه من الله وطمعه في كرمه وسعة مغفرته وعفوه، مما يحمله على التوبة والندم والصدق مع الله.  
وقال سهل بن عبد الله: لَا تُشْمُ رائحة الصدق من عبْدِ داهِنَ (أي: نافق) نفسه أو غيره.

وقال أبو سعيد القرشي: الصادق هو الذي يتهيأ له أن يموت ولا يستحيي من انكشف سره، قال الله تعالى: ﴿فَتَمَّتُوا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [القرآن: ٩٤].

قال إبراهيم الخواص : الصادق لا تراه إلا في فرضٍ يؤديه أو فضلٍ يعمل فيه.

قال الجنيد : حقيقة الصدق أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب.

قال ابن عباس رض: أربع من كُنَّ فيه فقد رَبِحَ: الصدق، والحياء، وحسن الخلق، والشكر.

وسئل حكيم: ما رأيت صادقاً. فقال للسائل: لو كنت صادقاً لعَرَفْتَ الصادقين.

وقال محمد بن علي الكتاني : وَجَدْنَا دِينَ اللَّهِ تَعَالَى مَبْنِيًّا عَلَى ثَلَاثَةِ أَرْكَانٍ: على الحق، والصدق، والعدل. فالحق على الجوارح، والصدق على العقول، والعدل على القلوب.

وقال بشير بن الحارث : مَنْ عَامَلَ اللَّهَ بِصَدْقٍ اسْتَوْحَشَ مِنَ النَّاسِ (أي: فَرَّ مِنَ الْخُلُطِ الَّذِي لَا طَائِلَ وَرَاءِهِ).

وقال أبو بكر الوراق : احفظ الصدق فيما بينك وبين الله تعالى، والرفق فيما بينك وبين الخلق. وقيل لسهل : ما أصل هذا الأمر الذي نحن عليه؟ فقال: الصدق، والسخاء، والشجاعة. فقيل : زدنا. فقال: التقوى، والحياء، وطيب الغذاء.

وقيل : من طلب الله بالصدق أعطاه مرأة يصر بها الحق والباطل.

وقال منصور الدينوري : أحسن ما توجه العبد به إلى الله الصدق، وأقبح ما توجه به الكذب. وقيل : من قلل صدقه قل صديقه. أي: الصديق الصالح.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لأن يضعني (أي: ينزل قدرني) الصدق - وقلما يضع - أحب إلي من أن يرفعني الكذب، وقلما يفعل.

وقال حكيم : الصدق من حيك وإن خفتَه، والكذب مُردِيك (أي: مهلكك) وإن أمتته. وقيل : ثلاثة لا تخطئ الصادق: الحلاوة، والملاحة، والهيبة.

وقال يوسف بن أسباط : لأن أبَيْت ليلَةً أَعْمَلَ اللَّهَ بِالصَّدْقِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَضْرِبَ بِسِيفِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وقال بعضهم : من لم يؤدِ الفرض الدائم لم يقبل منه الفرض المؤقت. قيل: وما الفرض الدائم؟ قال: الصدق. وقيل : عليك بالصدق حيث تخاف أن يضررك؛ فإنه ينفعك، ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك؛ فإنه يضررك. وقيل : ما أملأ تاجر صدقة (أي: ما أصابه الفقر).

**قصة:** في حوالي العام المائتين والخمسين قبل الميلاد، في الصين القديمة، كان أمير منطقة ما على وشك أن يتزوج ملكاً، ولكن كان عليه أن يتزوج أولاً، بحسب القانون، وبما أن الأمر يتعلق باختيار إمبراطورة مقبلة، كان على الأمير أن يجد فتاةً يستطيع أن يمنحها ثقته العمياء، وتبعاً لنصيحة أحد الحكماء قرر أن يدعوا بنات المنطقة جميعاً لكي يجد الأجرأ بينهن. وعندما سمعت امرأة عجوز وهي خادمة في القصر لعدة سنوات - بهذه الاستعدادات للجلسة، شعرت بحزنٍ جامح؛ لأن ابنتها

تُكِنْ حَبًّا دفيناً للأمير، وعندما عادت إلى بيتها حَكَتِ الأمْرَ لابنتها، ففوجئت بأن ابنته تنوی أن تتقدّم للمسابقة هي أيضًا. أحاط اليأس بالمرأة وقالت: وماذا ستفعلين هناك يا ابنتي؟! وسيتقدّم أجمل الفتيات وأغناهن، اطريدي هذه الفكرة السخيفة من رأسك، أعرِف تماماً أنكِ تتآلمين، ولكن لا تُحوّلي الألم إلى جنون. أجبتها الفتاة: يا أمي العزيزة، أنا لا أتألم، ولا أزال أقلّ جنونًا، أنا أعرف تماماً أني لن أختار، ولكنها فرصتي في أن أجذ نفسي لبعض لحظات إلى جانبِ الأمير، فهذا يُسعدني حتى لو أني أعرف أن هذا ليس قدرني.

وفي المساء، عندما وصلت الفتاة، كانت أجمل الفتيات قد وصلن إلى القصر، وهُنَّ يرتدين أجمل الملابس وأروع الحُلُّيَّ، وهن مستعداتٌ للتنافس بشتى الوسائل من أجل الفرصة التي ستحت لهن. وقد أعلن الأمير محاطاً بحاشيته بدء المنافسة وقال: سوف أعطي كلَّ واحدة منكن بذرةً، ومن تأتيني بعد ستة أشهر حاملةً أجمل زهرة، ستكون إمبراطورة الصين المقبلة. حملت الفتاة بذرتها وزرعتها في «أصيص» من الفخار، وبما أنها لم تكن ماهرةً جدًا في فن الزراعة، فقد اعترت بالتربيبة بكثير من الأناة والنعومة؛ لأنها كانت تعتقد أن الأزهار كلما كبرت زاد حبها للأمير، فلا ينبغي أن تقلق من النتيجة.

مرّت ثلاثة أشهر، ولم ينم شيءٌ، جرّبت الفتاة شتى الوسائل، وسألت المزارعين وال فلاحين فعلموها طرقاً مختلفة جدًا، ولكن لم تحصل على أية نتيجة، ويومًا بعد يوم أخذ حلمها يتلاشى، رغم أن حبّها ظل متاججاً، مضت الأشهر الستة، ولم يظهر شيءٌ في أصصها، ورغم أنها كانت تعلم أنها لا تملك شيئاً تقدّمه للأمير، فقد كانت واعيةً تماماً لجهودها المبذولة ولإخلاصها طوال هذه المدة، وأعلنت لأمها أنها ستقدّم إلى البلاط في الموعد وال الساعة المحدّدين، كانت تعلم في قراره نفسها أن هذه فرصتها الأخيرة لرؤيه حبيبها، وهي لا تنوی أن تفوتها من أجل أي شيء في العالم.

حلَّ يوم الجلسة الجديدة، وتقدَّمت الفتاة مع أصيصها الخالي من أية نبطة، ورأت أن الأخريات جميعاً حصلنَ على نتائج جيدة؛ وكانت أزهارُ كُلُّ واحدة منها أجمل من الأخرى، وهي من جميع الأشكال والألوان.

وأخيراً أتت اللحظة المنتظرة، دخل الأمير ونظر إلى كُلِّ المتنافسات بكثيرٍ من الاهتمام والانتباه، وبعد أن مرَّ أمام الجميع أعلن قراره، وأشار إلى ابنة خادمته على أنها الإمبراطورة الجديدة.

احتَجَّت الفتيات جميعاً قائلات: إنه اختار تلك التي لم تزرع شيئاً. وعند ذلك فسرَ الأمير سبب هذا التحدي قائلاً: هي وحدها التي زرعت الزهرة تلك التي تجعلها جديرة بأنْ تُصبح إمبراطورة؛ زهرة الشرف، فكل البذور التي أعطيتُكَن إياها كانت عقيمة، ولا يُمكنها أن تنمو بأية طريقة.

فالمسلم عليه أن يكون صادقاً مع الله وصادقاً مع الناس وصادقاً مع نفسه.

الصدق مع الله: بإخلاص الأعمال كُلُّها لله، فلا يكون فيها ريبة ولا سمعة، فمن عمل عملاً لم يُخلص فيه النية لله لم يتقبل الله منه عمله. وال المسلم يُخلص في جميع الطاعات بإعطائها حقَّها، وأدائها على الوجه المطلوب منه.

والصدق مع الناس: بـألا يكذب المسلم في حديثه مع الآخرين، ومما يروى عن سفيان بن أبي الحضرمي يرفعه: «**كَبَرْتْ خِيَانَةً أَنْ تُحَدَّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ كَاذِبٌ**». البخاري في الأدب المفرد برقم (٣٩٣).

والصدق مع النفس: بـألا يخدع نفسه، ويعرف بعيوبه وأخطائه، ويُصحّحها، والعلم بأن الصدق طريق النجاة، قال ﷺ: «**دَعْ مَا يَرِيُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيُكَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ رِبْءٌ وَالصَّدْقَ طُمَانٌ**». أحمد في «مسنده» (١/٢٠٠) برقم (١٧٢٢)، صحيح الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٣٧٨).

## ٥- باب المراقبة

قال الله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَكَبُ حِينَ تَقُومُ وَتَنْقَلِبُ فِي السَّجْدَتَيْنِ﴾ [الشعراء: ٢١٩، ٢١٨].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُشِّمْ﴾ [الحديد: ٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفِي عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِيَأْمُرُ صَادِ﴾ [النَّجْرُونَ: ١٤].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ حَائِثَةً الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

والآيات في الباب كثيرة معلومة. وأما الأحاديث:

(٦٠) فالاول: عن عمر بن الخطاب قَالَ: يَسِّنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدٌ بِيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدٌ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثْرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرُفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ فَأَسْنَدَ رُكْبَتِيهِ إِلَى رُكْبَتِيهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ (أي: وضع كفيه على فخذي نفسه لا على فخذ النبي ﷺ)، وهذا من كمال الأدب في جلسة المتعلم أَمَامِ الْمُعْلِمِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «الإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَتَقْيِيمُ الصَّلَاةِ، وَتَؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحْجُجَ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا».

قال: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

قال: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَانَكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمِ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارِتِهِ. قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمْمَةَ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرْعَى السُّحْفَةَ الْعُرَاءَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَوَّلُونَ فِي الْبَيْنَانِ».

ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَيْشُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟». قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعْلَمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ». رواه مسلم. معنى «تَلِدُ الْأَمْمَةَ رَبَّتَهَا» أي:

**سَيِّدَتْهَا، وَمَعْنَاهُ: أَنْ تَكُونُ السَّرَّارِي** (أي: جمع «سُرِّيَّة»، وهي الأمة المتخذة للجماع)، حَتَّى تَلَدَّ الْأَمَةُ السُّرِّيَّةُ بِتَنَّ سَيِّدَهَا، وَبَنْتُ السَّيِّدِ فِي مَعْنَى السَّيِّدِ، وَقِيلَ عَيْرُ ذَلِكَ. وَالْعَالَةُ: الْفُقَرَاءُ. وَقَوْلُهُ: «مَلِيًا» أي: رَمَنَا طَوِيلًا، وَكَانَ ذَلِكَ ثَلَاثًا.

(٥ / ٦١) الثاني: عَنْ أَبِي ذَرٍ جُنَاحَبِ بْنِ جُنَادَةَ، وَأَبِي عبد الرحمن معاذِ بْنِ جبَلٍ رض: عَنْ رَسُولِ اللهِ صل قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَيْثِمًا كُنْتَ، وَأَتَيْتُ السَّيِّدَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقَ النَّاسَ بِخُلُقِ حَسَنٍ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٥ / ٦٢) الثالث: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رض قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صل يوْمًا، فَقَالَ: «يَا عَلَامُ، إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلْمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ إِنِّي: بِاِمْتِشَالِ اُوامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ يَحْفَظُكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَحْدُهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمَةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْقُعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْقُعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضْرُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضْرُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ (أي: فِي غِيَرَةِ الْأَمْرِ وَجَفَّتِ كِتَابَتِهِ، وَهَذَا كَنَيْةٌ عَنْ تَقْدُمِ كِتَابَةِ الْمَقَادِيرِ كُلُّهَا وَالْفَرَاغِ مِنْهَا)». رواه الترمذى، وقال: « الحديث حسن صحيح».

وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِ التَّرْمِذِيِّ: «احْفَظِ اللَّهَ تَحْدُهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفُ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأْكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّابِرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».

(٥ / ٦٣) الرابع: عَنْ أَنْسٍ رض قَالَ: إِنْكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدُقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا نُعْذَّبَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صل مِنَ الْمُوْبِقاتِ. رواه البخارى. **وَقَالَ:** «الْمُوْبِقَاتُ: الْمُهَلَّكَاتُ».

(٥ / ٦٤) الخامس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رض: عَنِ النَّبِيِّ صل قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْارُ، وَغَيْرُهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَأْتِيَ الْمَرْءُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ». متفق عليه. **وَالْغَيْرُ:** يُفْشِيَ الْغَيْنَ، وَأَصْلَهُ الْأَنْفَةَ.

(٥ / ٦٥) السادس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رض: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيِّ صل يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصُ، وَأَقْرَعُ، وَأَعْمَى، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيهِمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنُ حَسَنٌ، وَجِلْدُ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِي الَّذِي قَدْ قَدِرَنِي النَّاسُ. فَمَسَحَهُ فَدَهَبَ عَنْهُ قَدْرُهُ وَأَعْطَيَ لَوْنًا حَسَنًا. فَقَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبْلُ - أوَ قَالَ: الْبَقَرُ، شَكَّ الراوى - فَأَعْطَيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا. فَأَتَى الْأَقْرَعَ

فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَدْهَبُ عَنِي هَذَا الَّذِي قَدِرْنِي النَّاسُ. فَمَسَحَهُ فَلَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقْرُ، فَأُعْطِيَ بَقْرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: بَارِكُ اللَّهُ لَكَ فِيهَا.

فَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يُرِدَ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَابْصِرَ النَّاسَ. فَمَسَحَهُ فَرَدَ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ. فَأُعْطِيَ شَاةً وَالدَّا، فَأَنْتَجَ هَذَانِ وَوَلَدَهُذَا، فَكَانَ لَهُذَا وَادِي مِنَ الْإِبْلِ، وَلَهُذَا وَادِي مِنَ الْبَقَرِ. وَلَهُذَا وَادِي مِنَ الْغَنَمِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيَّئَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَدْ انْقَطَعَتْ بِي الْجِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا يَلْعَبُ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْحِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ، بَعِيرًا أَتَبْلُغُ بِهِ فِي سَفَرِي. فَقَالَ: السُّحُوقُ كَثِيرٌ. فَقَالَ: كَانَى أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْدِرُكَ النَّاسُ، فَقَرِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ! فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَادِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الْأَفْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيَّئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لَهُذَا، وَرَدَ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَادِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ. وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيَّئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، انْقَطَعَتْ بِي الْجِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا يَلْعَبُ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبْلُغُ بِهَا فِي سَفَرِي. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي؛ فَخُدْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيءٍ إِخْدَتُهُ اللَّهُ يَعْلَمُ. فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا أَبْتَلِيْتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخَطَ عَلَى صَاحِبِكَ». متفق عليه. وَالنَّاقَةُ الْعَشَرَاءُ: بضم العين وفتح الشين وبالمد، هي: الحاصل. قوله: «أَنْتَجَ» وفي رواية: «أَنْتَجَ» معناه: توَلَى نتاجها، والناتج للناقة كالقابلة (أي: القابلة: المرأة التي تساعد الوالدة تلقى الولد عند الولادة) للمرأة. وقوله: وَلَدَ هَذَا: هو بتشديد اللام، أي: توْلى ولادتها، وهو بمعنى أَنْتَجَ في الناقة، فالمولد والناتج والقابلة بمعنى؛ لكن هَذَا لـحيوان وذلك لغيره. وقوله: انْقَطَعَتْ بِي الْجِبَالُ: هو بالحاء المهملة والباء الموحدة، أي: الأسَابِبُ. وقوله: «لَا أَجْهَدُكَ» معناه: لا أُشْتُقُ عَلَيْكَ فِي رَدِّ شَيْءٍ تَأْخُذُهُ أَوْ تَطْلُبُهُ مِنْ مَالِي.

وَفِي رَوَايَةِ الْبُخَارِيِّ: لَا أَحْمَدُكَ بالحاء المهملة والميم، ومعناه: لا أَحْمَدُكَ بِتَرْكِ شَيْءٍ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، كما قالوا: لَيْسَ عَلَى طُولِ الْحَيَاةِ نَدَمٌ، أي: عَلَى فَوَاتِ طُولِهَا.

٥/٦٦) السابع: عَنْ أَبِي يَعْلَمَ شَدَادَ بْنَ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ وَصَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْكَيْسُ أَيْ: الْعَاقِلُ الْمُتَبَرِّسُ فِي الْأُمُورِ النَّاظِرُ فِي الْعَوْاقِبِ» مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتَى نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

قَالَ التَّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَعْنَى «دَانَ نَفْسَهُ»: حَاسِبَهَا.

٥/٦٧) الثامن: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرءِ تَرُكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ». حديث حسن، رواه الترمذى وغيره.

٥/٦٨) التاسع: عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ وَصَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُسْأَلُ الرَّجُلُ فِيمَ ضَرَبَ امْرَأَهُ». رواه أبو داود وغيره.



## (المراقبة)

يعرف أصحاب العقول والبصائر أن الله تعالى بالمرصاد، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِيَأْمُرَ صَادِ﴾ [الحجر: ١٤]، وأنهم سيُناقشون الحساب، ويُطّالبون بمثاقيل الذرّ - أي: في الدقة والصغر - من الأعمال، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا كَرَهًا﴾ [الزلزال: ٨]، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرُهُ﴾ [الزلزال: ٧]، ولا نجاة لهم إلا بالتزمام محاسبة النفس، وصدق مراقبتها، ومجاهاحتها. فمن حاسب نفسه على أعماله قبل أن يحاسب خفّ يوم القيمة حسابه، وحضر عند ذلك جوابه، وحسن بعد ذلك مُقلّبه وما به، إلى جنة عرضها السموات والأرض، يقول الله تعالى: ﴿وَنَصَّعُ الْمَوْزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا ظُلْمُ فِي يَوْمِ الْقِيَمَةِ شَيْئًا وَإِنَّ كَانَ مِنْ قَالَ حَبَكُوكَ مِنْ خَرْدِلِ آتِينَا بِهَا وَكَفَى بِسَاحِرِيْنَ﴾ [الأنياء: ٤٧]. ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته، وطالت في أهوال يوم القيمة وقفاتها، وذهب إلى الخزي والندامة، يقول الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكَتَبُ فَتَرَى الْمُجْرِمِ مُشْفِقِينَ مَتَافِهِ وَيَقُولُونَ يَوْمَنَا مَا لَهَا أَلْكِتَبٌ لَا يُفَادُ صَغِيرَةً وَلَا كِبِيرَةً إِلَّا أَخْحَصَهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

واعلم أن كل نفسٍ من أنفاس العُمر إنما هو جوهرةٌ نفيسة لا عِوض لها، ويُمكن أن يشتري بها العبد الصالح كَنْزًا من كنوز الجنة التي لا ينتهي نعيمها أبداً، وفي هذا يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوها قبل أن تُوزنوا، وتهبّوا للعرض الأكبر. وقال أيضًا لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة. وقال لقمان الحكيم : إن المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن الندامة.

فالمراقبة أن يعلم ويتيقن العبد، بقلبه وجوارحه، أن الله تعالى دائم الاطلاع على ظاهره وباطنه، في السكون والحركة، علمًا لازمًا وقييناً صافياً، يقول الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ [آل عمران: ٥]. وأول دليل على صدق العبد بالإيمان بها أن يعلم بقلبه أن الله قريبٌ من عباده، يقول الله تعالى: يَعْلَمُ حَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٦﴾ [غافر: ١٩]، ويقول تعالى: وَهُوَ مَعْلُوٌ أَيْنَ مَا كُتِّمَ ﴿١٧﴾ [الحديد: ٤]. ولنذكر العبد منا قول الله تعالى: أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ [العلق: ١٤]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَانَكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ متفق عليه.

قال ابن عطاء : أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات.

وقال الجرجيري : أمرنا هذا (أي: يقصد الدين) مبني على أصلين، وهما: أن تلزم نفسك المراقبة لله عجل، ويكون العلم على ظاهرك قائمًا. أي: يظهر أثر علمك على ظاهرك وعملك. وقال أبو عثمان : قال لي أبو حفص: إذا جلسَ للناس (أي: للوضع والتعليم) فكُنْ واعظًا لنفسك وقلبك، ولا يغُرّك اجتماعهم عليك؛ فإنهم يُراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك.

وقال سهل : لم يتَّرَّنِ القلب بشيءٍ أَفْضَلَ وَلَا أَشْرَفَ مِنْ عِلْمِ الْعَبْدِ أَنَّ اللَّهَ مُشَاهِدُهُ حِيثَ كَانَ. وُسُئِلَ بعُضُّهُمْ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضِيَ عَنْهُمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبُّهُمْ ﴿٨﴾ [البيهقي: ٨]، فقال: معناه: ذلك لمن راقب ربَّه عجل، وحاسب نفسه، وتزود لمعاده.

وُسُئِلَ ذُو النُّون : يَمْ يَنَالُ الْعَبْدُ الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ: بِخَمْسٍ: إِسْتِقَامَةٍ لِّيْسَ فِيهَا رَوْغَانٌ (أي: ليس فيها مماطلة وخداع)، واجتِهادٍ لِّيْسَ مَعَهُ سَهْوٌ (أي: تهاون)، ومُراقبة الله تعالى في السرّ والعلانية، وانتظار الموت بالتأهب له، ومحاسبة نفسك قبل أن تُحاسب.

وقال حميد الطوئيل لسليمان بن عليٍّ: عظني. فقال: لئن كنت إذا عصيت الله خاليًا ظنت أن الله يراك فقد اجترأت على أمرٍ عظيم، وإن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت.

وقال سفيان الثوري : عليك بالمراقبة ممن لا تخفي عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء، وعليك بالحذر من يملك العقوبة. وقال فرقان السنجي : إن المنافق ينظر، فإذا لم ير أحدًا دخل السوء، وإنما ير أقرب الناس ولا ير أقرب الله تعالى.

وقال عبد الله بن دينار : خرجت مع عمر بن الخطاب (أي: وهو أمير المؤمنين إذ ذاك) إلى مكة، فاسترخنا في ناحية في بعض الطريق، فانحدر عليه راعٍ من الجبل فقال له: يا راعي، يعني شاةً من هذه الغنم. فقال: إني مملوك. فقال: قل لسيديك: أكلها الذئب (أي: وإنما أراد معرفة تقواه). فقال الراعي: وأين الله؟ قال: فبكى عمر ، ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه، وقال: أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تعتقك في الآخرة.

وقال الحسن البصري : رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا وَقَفَ عَنْهُمْ (أي: ساعة عزمه على القيام بعمل ما) فإن كان الله مضى فيه وإن كان لغيره توقف. وقال محمد بن عليٍّ : إن المؤمن وقف متأنٍ، يقف عند هممه (أي عند عزمه على القيام بفعل شيء)، ليس كحاطب ليل (أي: فعليه أن يفكر في الأمر قبل فعله ولا يكون كالذى يحتطب ليلاً ويحمل حزاماً من الحطب قد تحمل فيها أفاعٍ وثعابين وهو لا يدرى).

واعلم أنه لا يقوى على المراقبة قبل العمل ليكون عمله خالصاً لله إلا من له علمٌ متينٌ ومعرفة حقيقة بأغوار النفس ومكاييد الشيطان. ومن لا يعرف نفسه ولا عدوه إيليس، ولم يعرف هوه ولا ما يحبه ربُّه ويرضاه، في حرّاته وسكناته - فلا يسلم في هذه المراقبة.

والجاهل عاجزٌ بجهله، والأكثرون يرتكبون المعااصي بسبب جهلهم بما يكرهه الله، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً؛ ولهذا كان «طلب العلم فريضة على كل مسلم» كما قال المصطفى ﷺ [ ابن ماجه برقم (٢٢٤)]، وكانت ركعتان من عالمٍ أفضل من ألف ركعةٍ من غير عالم؛ لأن العالم يعلم آفات النفوس ومكاييد إيليس ومواضع الغرور والهوى، والجاهل بعيدٌ عن ذلك.

ومما يروى في هذا الباب عن عمران بن حصين مرفوعاً: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْبَصَرَ النَّاقِدَ عِنْدَ وُرُودِ الشُّبَهَاتِ» (أي: ما يلتبس من أمرٍ بين الحلال والحرام)، «وَالْعُقْلُ الْكَامِلُ عِنْدَ هُجُومِ الشَّهَوَاتِ». ذكره

وانظر إلى دعاء الصديق رضي الله عنه وهو من هو: اللهم أرني الحقَّ حَقًا وارزقني اتّباعه، وأرني الباطلَ باطلًا وارزقني اجتنابه، ولا تجعله مُشتبهًا علىَّ فاتّبعَ الهوى.

وقيل: إن عيسى عليه السلام قال: الأمور ثلاثةٌ: أمرٌ استبان رُشدُه فاتّبعْه، وأمرٌ استبان غَيْرُه فاجتَنَبَه، وأمرٌ أَشْكَلَ عَلَيْكَ فَكِلْهُ إِلَى عَالَمٍ. أي: فسائل أهل العلم.

واعلم أن العبد لا يخلو أن يكونَ إما في طاعةٍ، أو معصية، أو مباح: فمراقبة الله في الطاعة: بالإخلاص له، وإكمال وإتمام الأعمال، ومراعاة الأدب، والتحرّز من آفات الأعمال. وإن كان العبد في معصية: فمراقبة الله أن يتوبَ ويندم ويُقلع عن المعصية، ويستحيي من ربِّه، وينشغل بالذِّكر والدعاء والاستغفار. وإن كان في مباح: فمراقبة الله أن يُراعي التأدب في عمله، ورؤيه قُدرة المُنْعِم وإعجازه في النعم المختلفة، وتقدير الشكر له عليها. ولا يخلو المرء في جملة حياته من بلاءٍ يُصيبه فلا بد من الصبر عليه، ونعمَّةٌ تأتي له فلا بد له من الشكر عليها، وكلُّ هذا من حُسن المراقبة.

وعلى العبد المسارعة إلى التوبة والاستغفار من كُل ذنبٍ وتصحير، ولتفقد أوقاته: فإن فرغ من أداء ما فُرض عليه من الأعمال في العبادات والمعاملات وغيرها فليتزوَّد بالنواقل والفضائل بعد ذلك؛ ليشغل وقته بها؛ فإن الأعمار قصيرة.

قال أبو ذر رضي الله عنه: على العاقل أن تكون له أربع ساعاتٍ (أي: أجزاء مرتبة بحسب الحاجة): ساعةٌ يُناجي فيها ربَّه، وساعةٌ يُحاسب فيها نفسه، وساعةٌ يتذكر فيها في صُنع الله تعالى، وساعةٌ يخلو فيها للمطعم والمشرب. وقيل: لا يكون المؤمن إلا في ثلاثٍ: تزوُّد لمعايد، أو مرآمةً لمعاشٍ، أو لذَّةٍ في غير مُحرَّم. وقال ميمون بن مهران : لا يكون العبد من المتقين حتى يُحاسب نفسه أشدَّ من محاسبة شريكه.

وقال الحسن البصري : المؤمن قَوَّامٌ على نفسه يُحاسبها الله، وإنما خفَّ الحساب على قوم حاسبو أنفسهم في الدنيا، وإنما شقَّ الحساب يوم القيمة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة. وقال أنسُ بن مالك رضي الله عنه: سمعت عمرَ بن الخطَّاب رضي الله عنه حينما دخل حائطاً

(أي: حديقة) فسمعته يقول وبينه جدار لا يراني وهو في الحائط: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، بخ بخ (أي: عظم الأمر)، والله لستَنِ الله أو ليعذبنَكَ. قال الحسن : في قوله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفَسِ الْوَامِدِ﴾ [القيامة: ٢] قال: لا تلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه: ماذا أردت بعملي؟ وماذا أردت بكلامي؟ وماذا أردت بطعامي؟ أما الفاجر فيمضي قدماً لا يعاتب نفسه. فينبغي أن يكون للعبد ساعة في آخر نهاره يطالب فيها النفس ويحاسبها على حركاتها وسكناتها كحساب التجار في الدنيا مع شركائهم.

واعلم أنه لو حاسب الإنسان نفسه على جميع عمره، يوماً يوماً، وساعةً ساعةً، على القلب والجوارح وقد صدرت منها كل يوم عشر سيناتٍ، بقلبه ولسانه وجوارحه (أي: كالغيبة والنمية، والغنم واللمز، والاستهزاء، وإنفلات النظر والسمع)، وغفل عن التوبة والاستغفار منها، فحسب حسابه بعد مرور ستين سنة من عمره لوَجَدَ أن سيناته قد تجاوزت مائة وخمسين ألفَ سيئة. ولو رمى العبد بكل معصية حجراً في داره لامتلأت داره في مدة يسيرة من عمره، ولكنه ينسى ويغفل، لكن الملائكة الموكلين به يحفظان عليه ذلك، ﴿أَخْصَصَهُ اللَّهُ وَكَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

وبالمراقبة يأتي الخوف من الله في القلوب، والرجاء في عفوه ورضاه. واعلم أن المراقبة تؤمن صاحبها من الفزع يوم الفزع الأكبر، وهو يوم القيمة، وهي دليل على صلاح العبد واستقامته، وثمرتها محبة الله تعالى ورضاه، وهي تقوده إلى حسن الخاتمة.

\* \* \*

## ٦- باب في التقوى

قال الله تعالى: ﴿يَعَاهِدُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقْوَاهُ اللَّهُ حَقَّ تَقْوَاهُ، وَلَا تَمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. وقال تعالى: ﴿فَأَنْقُضُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطَعْنَا﴾ [التغابن: ١٦]. وهذه الآية مبينة للمراد من الأولى. وقال تعالى: ﴿يَعَاهِدُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقْوَاهُ اللَّهُ وَقُولُوا قَلَا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]. والآيات في الأمر بالتقى كثيرة معلومة.

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مُخْرِجًا ۚ وَمَنْ يَرْفَعَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ۲﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا تَنَقُّلُوا اللَّهَ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرَقَانًا عَنْ حِكْمَتِهِمْ سَيِّئَاتُكُمْ وَيَغْرِي لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْأَفْضَلِ الْعَظِيمِ ۖ ۶۹﴾ [الأنفال: ٦٩].

وَالآياتُ فِي الْبَابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ. وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ :

(٦) فَالْأُولَى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَكْرَمُهُمْ». فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكُ؟ قَالَ: «فَيُوْسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيٍّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيٍّ اللَّهِ ابْنِ حَلِيلِ اللَّهِ أَيْ: هُوَ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنُ إِسْحَاقَ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ». قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكُ. قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ (أَيْ: أَصْوَلَهُمْ وَأَسْبَهُمْ) تَسْأَلُونِي؟ خَيْرُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خَيْرُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَهُوهُ». متفق عليه.

وَ«فَقَهُوهُ»: يَضْمِنُ الْقَافِ عَلَى الْمَشْهُورِ وَحُكْمِيَّ كَسْرُهَا، أَيْ: عَلِمُوا أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ.

(٧٠) الثَّانِي: عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْحُدْرِيِّ قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ حَضِرَةُ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَحْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ». رواه مسلم.

(٧١) الثَّالِثُ: عَنْ إِبْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى، وَالْتُّقْيَى، وَالْعَفَافَ، وَالْغَنَى». رواه مسلم.

(٧٢) الرَّابِعُ: عَنْ أَبِي طَرِيفٍ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمِ الطَّائِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ ثُمَّ رَأَى اللَّهَ مِنْهَا فَلِيَأْتِ التَّقْوَى». رواه مسلم.

(٧٣) الْخَامِسُ: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ صُدَىًّ بْنِ عَبْجَلَانَ الْبَاهْلِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَقَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ وَاصْلُوا حَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُوا زَكَاتَكُمْ، وَأَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا أُمَّرَاءَكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ». رواه الترمذى في آخر كتاب الصلاة، وقال: «حديث حسن صحيح».

## (الْتَّقْوَى)

سأله رجلٌ أبا هريرة رضي الله عنه: ما التَّقْوَى؟ قال: هل أخذت طرِيقاً ذا شوك؟ قال: نعم. قال: فكيف صنعت به؟ قال: إذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه. قال: ذاك التقوى. فالمعاصي مخاطر وأشواك في طريق السائرين إلى الله، فمن أراد الوصول إلى رضا ربّه فليتقى المعاصي والآثام، فتقوى العبد الله أن يجعل بينه وبين ما يخشاه وقاية تقىه منه. فهي امثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، بفعل كل مأمور به وترك كل منهى عنه حسب الطاقة؛ لقوله تعالى: فَإِنَّقُولَةَ اللَّهِ مَا أَسْطَعْتُمْ [التغابن: ١٦]. وهي ترك حظوظ النفس مما نهى عنه الشرع، والبعد عن الهوى، واجتناب كل ما فيه ضرر من المعصية والفضول (أي: ما زاد على الحاجة من طعام وشراب وكلام ونحوها) حسب الطاقة، فالمراد من التقوى هو وقاية العبد نفسه من النار؛ ولهذا قال الرسول صلوات الله عليه: اتَّقُوا النَّارَ وَلَا بِشَقِّ تَهْرِةٍ متفق عليه.

وسأله أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قائلاً: أوصني. قال: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ؛ فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ؛ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ وَتَلَوْرَةِ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ رَوْحُكَ فِي السَّمَاءِ وَذِكْرُكَ فِي الْأَرْضِ. أحمد في «مسند» (٨٢ / ٣)، برقم (١١٧٩١).

ويقول النبي صلوات الله عليه: الْحَسْبُ (أي: ما يحصل به الجاه في الدنيا) الْمَالُ، وَالْكَرْمُ (أي: ما يكرّم به العبد في الآخرة) الْتَّقْوَى. أحمد في «مسند» (٨٢ / ٣)، برقم (١١٧٩١)، حسنة الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٥٤٣).

وقال رسول الله صلوات الله عليه: مَنْ يَأْخُذْ عَنِي هَوْلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعْلَمُ مِنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟ فقال أبو هريرة: قلت: أنا يا رسول الله. فأخذ بيدي فعدّ خمساً وقال: أَتَقَ المَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسَ، وَأَرْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسَ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمَنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كُثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ. أحمد في «مسند» (٣١٠ / ٢)، برقم (٨٠٨١).

وعن رفاعة رضي الله عنه: أنه خرج مع النبي صلوات الله عليه، فرأى الناس يتبايعون، فقال: (يَا مَعْشَرَ التُّجَارِ). فاستجابوا للرسول صلوات الله عليه، ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه، فقال: إِنَّ التُّجَارَ يُعِشُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

**فُجَارًا، إِلَّا مِنْ أَتَقَى اللَّهَ وَبَرَّ وَصَدَقَ**». الترمذى برقم (١٢١٠)، وقال: حديث حسن صحيح.

وقال مالك بن أنس رضي الله عنه: بلغني أن رجلاً من بعض الفقهاء كتب إلى ابن الزبير رضي الله عنه يقول: ألا إن لأهل التقوى علاماتٍ يُعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم: من رضي بالقضاء، وصَبَرَ على البلاء، وشَكَرَ على النعماء، وصَدَقَ باللسان، ووَفَّى بالوعد والوعيد، وذَلَّ لأحكام القرآن. وإنما الإمام كمثل السوق من الأسواق: فإن كان من أهل الحق حَمَلَ إليه أهل الحق بضاعتهم وجاءوا إليه، وإن كان من أهل الباطل حَمَلَ إليه أهل الباطل بضاعتهم وجاءوا إليه بها.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: تمام التقوى أن يتَّقي العبد الله، حتى يتَّقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً فيكون حجاباً بينه وبين الحرام.

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: آخِي: اتخذ الإخوان على قدر التقوى (أي: تواهم).

ويقول طلاق بن حبيب : التقوى: العمل بطاعة الله على نور من الله رجاء رحمة الله، والتقوى: ترك معاصي الله على نور الله مخافة عذاب الله.

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخلص فيما بين ذلك (أي: فعل المعاصي طوال النهار)، ولكن تقوى الله: ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، وأتقان الشبهات. فَمَنْ رُزِقَ بعْدَ ذَلِكَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ إِلَى خَيْرٍ.

**الفرقُ بين التقوى والورع:** أما التقوى فهي الاستعداد للدخول في الأعمال بالإخلاص، وبالاحتراز عن المفاسد والسيئات، وأما الورع فهو البعد عن الأعمال المتشابهة أصلًا وتركها. فالمعنى يدخل العمل ويقوم به ويتجنب الشبهة ويتقي الله فيه، أما الورع فلا يقوم بذلك العمل ويبتعد أصلًا عنه ورعا. فالقوى عمل، والورع ترك؛ لهذا كانت التقوى واجبة في حق المؤمنين، أما الورع فهو من الكمالات، وهو مندوب إليه ولكنه ليس بواجب؛ ولهذا روي في الآخر: «لَا يُلْعِنُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدْعَ مَا لَا يَأْسَ بِهِ حَنَرًا مِمَّا يِهِ الْبَأْسُ». الترمذى برقم (٢٤٥١)، وقال: حديث حسن.

**الفرقُ بين الوقاية والتقوى:** إن الوقاية تتعلق بالإنسان في بدنِه ومعاشه وممتلكاته، وغير ذلك من الأمور المادية المحسوسة، كما أنها قد تكون من الله للإنسان أو من الإنسان لغيره. أما التقوى فهي جعل النفس في وقايةٍ مما تخاف، فكل تقوى وقاية، ولا عكس.

ويقول البيضاوي في «تفسيره»: إن للتقوى ثلات مراتب: الأولى: التوقي عن عذاب الخلود في النار، بالبعد عما يوجبه، كالشرك والتفاق. الثانية: التجنب لكل ما فيه إثم أو معصية، حتى الصغار؛ خشية عذاب النار المؤقت. الثالثة: أن يتزئرَ بما يشغل قلبه وضميره عن الله تعالى، بل ويتبتَّل إليه تبتلاً، وهو أكمل درجات التقوى ومُستَهْيَى مراتبها. وقيل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ مَاءَمُوا آتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَانِيدِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]: أن يُطاع فلا يعصى، وأن يُذكر فلا ينسى، وأن يُشكر فلا يُكفر.

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقَ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَغْرِبًا﴾ [الطلاق: ٢]: أي من كَرْب الدنيا والآخرة. ﴿وَرِزْقُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣]: أي من حيث لا يخطر بباله.

ويُروى أن سالم بن عوف بن مالك الأشعجي رضي الله عنه أسره العدو، فشكأ أبوه إلى رسول الله صلوات الله عليه وسلم، فقال: «اتَّقِ اللَّهَ، وَأَكْثِرْ مِنْ قَوْلٍ: لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ». ففعل، فبينما هو في بيته إذ قرَّع ابنه الباب وقد فَكَّ أسره وعاد ومعه مائة من الإبل، حيث غفل عنه العدو فاستلقها أمامه بحول الله وقوته. الزيلعي في «تخيير أحاديث الكشاف» (٤ / ٥١) برقم (١٣٦٩).

وقيل في قول رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «فَاتَّقُوا الدُّنْيَا»: أي اجتنبوا فتنتها، واحذرؤا أن تُميِّلكم محبتها والاغترار بها عن أوامر الله تعالى. «وَاتَّقُوا النِّسَاءَ»: أي اجتنبوا الافتتان بهن أن يمنعكم عن القيام بأداء حقوق العبودية والتقرُّب إلى مرضاه الله تعالى، حتى لو كُنَّ من الزوجات.

**قصة:** قال نافع: خرجت مع ابن عمر رضي الله عنهما في بعض نواحي المدينة، فوضعوا سُفْرَة (أي: طعاماً)، فمرَّ بهم راعٍ فقال له عبد الله: هَلْمَ يا راعي (أي: شاركتنا طعامنا). فقال الراعي: إني صائم. قال ابنُ عمر: في مثل هذا اليوم الشديد حرّه، في هذه الشَّعَاب (أي: جمع «شعب»، وهو الطريق بين جبلين)! قال الراعي: أبادر أيامي (أي: أحَاوَلْ أن أسبق العَمَرَ قبل انتصافه). قال ابنُ عمر: هل لك أن تبيعنا شاةً ونعطيك من لحمها ما تُفطر عليه؟ قال الراعي: إنها لمولاي. قال ابنُ عمر: فما عسى أن تقول لمولاك إن قُلتَ: أَكَلَهَا الذئبُ؟ فمضى الراعي وهو رافع إصبعه إلى السماء يقول: فأين الله؟ فبعث ابنُ عمر إلى سيد الراعي فاشترى منه الغنم والراعي، فأعتق الراعي ووهب له الغنم. اهـ.

ومن ثمرات التقوى المعرفة التي تنجلي بها الأمور، والنور الذي تنشرح به الصدور، فمن انشرح صدره واستثار قلبه بالتوحيد وأنه لا شريك لله في ملكه ولا في شيء من أفعاله، تيقن أنه لا حول له ولا قوة إلا بالله، وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، وأن المقادير كلها بيد الله تعالى. واعلم أن اليقين والتوكل هما من ثمرات التقوى، وأهل التقوى هم أهل المعية الإلهية والتكريم، وهم أهل العون والنصرة، وأهل محبة الله تعالى.

\* \* \*

## ٧- باب في اليقين والتوكل

قال الله تعالى: ﴿فَوَمَا رَأَيْتُمْ مِّنَ الْأَخْرَابِ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشُوْهُمْ فَزَادُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسِبْنَا اللَّهَ وَنَعْمَمُ الْوَكِيلَ﴾ [١٦٣] فَانْقَلَبُوا بِإِنْعَمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضَلِّلَ لَهُمْ يَمْسَسُهُمْ سُوءٌ وَأَشْبَعُوهُمْ رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [١٦٤] [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَسْتَوْكِلُ كُلُّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [١٦٦] [آل عمران: ١٢٢].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَّزْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والآيات في الأمر بالتوكل كثيرة معلومة.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسِيبٌ﴾ [الطلاق: ٣] أي: كافيه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيتْ عَلَيْهِمْ أَيْمَنُهُمْ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [١] [آل الأنفال: ٢].

والآيات في فضل التوكل كثيرة معروفة. وأما الأحاديث:

(٧٤) فالأول: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمُّ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهْيَطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلُانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَّتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، وَلَكِنَّ أَنْظَرْتُ إِلَى الْأَفْقِ، فَنَظَرَتُ فَإِذَا سَوَادٌ (أي: السواد: الجماعة الكثيرة) عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: أَنْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ الْآخَرِ. فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمُّكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ الْفَأْرَافَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ». ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزَلَهُ فَخَاطَ (أي: تكلم) النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعْلَهُمُ الَّذِينَ صَاحَبُوا رَسُولَ الله صلوات الله عليه وسلم. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعْلَهُمُ الَّذِينَ وَلَدُوا فِي الإِسْلَامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا. وَذَكَرُوا أَشْيَاءً، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله صلوات الله عليه وسلم فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَحْوُضُونَ فِيهِ؟». فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ».

(أي: الذين لا يرقون ولا يطلبون من أحد أن يقرأ بكلام من رُقَى الكفار أو الرقى المجهولة. وأما الرقى

بآيات القرآن والأذكار المعروفة فلا نبي فيها، بل هي سنة).

وَلَا يَتَطَيِّرُونَ (أي: ولا يتشارعون)، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». فقام عُكَاشة بن مِحْصَن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «أنت منهم». ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «سبِّقْكَ بِهَا عُكَاشَةُ». متفق عليه. **الرُّهْيَطُ:** بضم الراء تصغير رهط، وهم دون عشرة أنفس. **وَالْأَفْقُ:** الناحية والجانب. **وَعُكَاشَةُ:** بضم العين وتشديد الكاف و بتخفيفها، والتشديد أصلح.

(٧٥) الثاني: عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً: أنَّ رَسُولَ اللهِ صلوات الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ أَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ، وَبِكَ خَاصَّمْتُ. اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِعَزْتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْحِنْ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ». متفق عليه، وهذا لفظ مسلم، واختصره البخاري.

(٧٦) الثالث: عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً قال: «حَسِبْنَا اللَّهَ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ» قال لها إبراهيم صلوات الله عليه وسلم حينَ أُلْقِيَ في النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صلوات الله عليه وسلم حينَ قَالُوا: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ. فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا: حَسِبْنَا اللَّهَ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ. رواه البخاري.

وفي رواية له عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان آخر قول إبراهيم صلوات الله عليه وسلم حين أُلْقِي في النار: حَسِبْيَ اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ.

(٧٧) الرابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلام قال: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ فَنِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْنَدِهِ الطَّيْرِ». رواه مسلم. قيل: معناه متوكلون، وقيل: قلوبهم رقيقة.

(٧٨) الخامس: عن جابر رضي الله عنه: أَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلام قَبْلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ (أي: رجع) رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام قَفَلَ مَعَهُمْ، فَأَدْرَكَتُهُمُ الْقَائِلَةُ (أي: أُتُّ عَلَيْهِمْ وَقْتُ الظَّهِيرَةِ) فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاءِ، فَتَرَأَّسَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام وَتَرَقَ النَّاسُ يَسْتَطِلُونَ بِالشَّجَرِ، وَنَزَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام تَحْتَ سَمَّرَةَ فَعَلَّ بِهَا سَيْفُهُ وَنَمَنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام يَدْعُونَا وَإِذَا عِنْدُهُ أَعْرَابٍ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا الْخَرْطَأَ عَلَيَّ سَيِّفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ ثَلَاثًا». وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَّسَ. متفق عليه.

وفي رواية: قال جابر: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام بِذَاتِ الرِّقَاعِ (أي: غزوة للنبي صلوات الله عليه وسلام، كانت في سنة خمس من الهجرة بأرض عطفان من نجد)، فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكَنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام، فجاء رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَسَيِّفُ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام مَعْلَقٌ بِالشَّجَرَةِ فَاخْتَرَطَهُ، فَقَالَ تَخَافُنِي؟ قَالَ: «لَا». فَقَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «اللَّهُ».

وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي في «صحيحه»: قال: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قال: «الله». قال: فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخْدَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام السَّيْفَ فَقَالَ: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟». فَقَالَ: كُنْ خَيْرًا أَخِذُهُ، فَقَالَ: «تَشَهِّدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟». قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ إِلَّا أَقْتَلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَيِّلَهُ، فَأَتَى أَصْحَابَهُ، فَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ عَنْدِ خَيْرِ النَّاسِ، قَوْلُهُ: «قَفَلَ»: أي رجع. و«الْعِضَاءُ»: الشجر الذي له شوك. و«السَّمَرَةُ»: بفتح السين وضم الميم: الشجرة من الطلح، وهي العظام من شجر العضاء. و«الْخَرْطَأَ»: أي سلة وهو في يده. «صَلْتَا»: أي مسلولاً، وهو بفتح الصاد وضمها.

(٧٩) السادس: عن عمر رضي الله عنه قال: سمعتَ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام يقول: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكِّلِهِ لِرَزْقِكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خَمَاصًا وَتَرُوْخَ بَطَانًا». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن». معناه: تذهبُ أَوَّلَ النَّهَارِ «خَمَاصًا»: أي ضامرة البطن من الجوع، وترجع آخر النهار. «بَطَانًا»: أي مُمْتَنَةَ الْبُطْرُونِ.

(٧) السابع: عن أبي عمارة البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا فُلَانُ، إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ؛ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأً وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ؛ وَبِئْبَاتِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَإِنَّكَ إِنْ مِنْ لَيْلَاتَكَ مِتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبَّتَ خَيْرًا». متفق عليه.

وفي رواية في الصحيحين: عن البراء رضي الله عنه قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ (أي: مكان نومك) فَتَوَضَّأْ وَصُوَءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَبَعْ عَلَى شِقْكَ الْأَيْمَنِ، وَقُلْ...». وَذَكَرَ حَوْهُ ثُمَّ قَالَ: «وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ». أي: حَوْهُ ثُمَّ قَالَ: «وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ».

(٨) الثامن: عن أبي بكر الصديق عبد الله بن عمر بن عثمان بن عمار بن سعيد بن تميم بن مُرَّةَ بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التميمي رضي الله عنه، وهو أبوه وأمه صاحبة رضي الله عنه، قال: نَظَرْتُ إِلَى أَفْدَامِ الْمُشْرِكِينَ وَنَحْنُ فِي الْغَارِ وَهُمْ عَلَى رُؤوسِنَا فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنْ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدْمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا! فَقَالَ: «مَا ظُنِّكَ يَا أبا بكرِ باشِئِنَ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟». متفق عليه.

(٩) التاسع: عن أم المؤمنين أم سلمة، واسمها هند بنت أبي أمية حذيفة المخزومية رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وسلم كان إذا خرج من بيته قال: «بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضْلَلَ أَوْ أَضْلَلُ، أَوْ أَرْزَلَ أَوْ أَرْزَلُ، أَوْ أَظْلَمَ أَوْ أَظْلَمُ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ». حديث صحيح، رواه أبو داود والترمذى وغيرهما بأسانيد صحيح، قال الترمذى: «حديث حسن صحيح»، وهذا لفظ أبي داود.

(١٠) العاشر: عن أنس رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ - يعني: إذا خرج من بيته - بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، يُقَالُ لَهُ: هُدِيَتْ، وَكُفِيتْ، وَوُقِيتْ. وَتَنَحَّى (أي: بَعْدِ) عَنْهُ الشَّيْطَانُ». رواه أبو داود والترمذى والنَّسائى وغيرهم، وقال الترمذى: « الحديث حسن ». أي: بَعْدِ عَنْهُ الشَّيْطَانُ.

زاد أبو داود: «فيقول - يعني: الشيطان - لـشَيْطَانٍ آخر: كَيْفَ لَكَ بِرْجُلٌ قُدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟».

(١١) الحادى عشر: وعن أنس رضي الله عنه قال: كَانَ أَخْوَانِي عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلم، وَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ صلوات الله عليه وسلم وَالآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ لِلنَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلم، فَقَالَ: «لَعْلَكَ تُرَزَّقُ بِهِ». رواه الترمذى بإسناد صحيح على شرط مسلم. «يَحْتَرِفُ»: يَكْسِبُ وَيَتَسَبَّبُ.



## (اليقين)

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **الْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ**. واليقين: هو أن تعلم حقيقة الشيء ولا تخيل أو تظن خلافه، فهو العلم الذي لا شك فيه، حيث نقول على من أصبح متيناً من أنه جاءه العلم بالشيء بعد أن كان شاكاً فيه: لقد زال الشك عنه وتحقق من الأمر فصار متيناً به. فهو إذن الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع، وهذا الاعتقاد الجازم رأيناه في ثقة إبراهيم عليه السلام في نصرة رب له حينما أُلقي في النار مجرداً من أسباب النجاة الظاهرة فقال: حسبي الله ونعم الوكيل.

ورأيناه أيضاً في ثبات موسى عليه السلام لما وصل إلى البحر مع أصحابه وانقطعت أمامهم أسباب النجاة؛ فالعدو الجبار بعده وעתاده وراءهم، والبحر بلا سفينة أو مركب اعترض طريقهم، فقالوا: **إِنَّا مَذْكُونٌ ﴿٦﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِنَّا رَبٌّ سَيِّدُنَا ﴿٦﴾** [الشعراء: ٦٢، ٦١].

ورأيناه في يقين وثقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الغار مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي يخشى رؤية المشركين للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيطمئنه النبي قائلاً له: «**مَا ظَنْكَ بِأُشْيِنِ اللَّهَ ثَالِثَهُمَا؟**». متفق عليه. فمع انعدام أسباب النجاة الظاهرة للعيان كان متيناً من وعد رب بالنجاة.

**قال الجنيد :** **الْيَقِينُ** هو استقرار العلم الذي لا يحول ولا ينقلب ولا يتغير في **القلب**. ولو اعتبرنا أن الإيمان للعبد بمنزلة الجسد، فإن اليقين بمنزلة الروح فيه، وفيه قد تنافس المتنافسون وشمر إليه العاملون.

إذا اجتمع للعبد صفتا الصبر مع اليقين صارت له الإمامة في الدين، لقول الله تعالى: **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِآتِرِنَا لَمَا صَبَرُوا وَكَانُوا يَأْتِنَا بِوْقَنُونَ ﴿٩﴾** [السجدة: ٩]. وهكذا كان الصحابة الكرام، لما تحملوا المشاق بصبر ويقين وثقة من وعد الله لهم بالنصر والكرامة أصبحوا أعلام الناس ومصابيح الهدى وأئمة العلم الرباني.

وهناك فرق بين التصديق بشيء ما واليقين به، فقد تشاهد تجربة ما ويأتي لك اليقين بها وأنها قد حدثت فعلاً، ولكنك لا تزال غير مصدق، كمن شاهد معجزة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يصدق بنبوته، كما قال أبو جهل: يا محمد، إنك لصادق فيما، ولكننا نكذب ما جئت به... الحديث. فهو متيقن بمعجزاته وغير مصدق بنبوته.

وهذا في أمر الدنيا، أما في أحوال الآخرة فإن التصديق يكون مقدماً على اليقين، أي في الحياة الدنيا؛ إذ لا يحدث اليقين بأحوال الآخرة إلا بتصديق النبي ﷺ فيما أخبر به عن ربّه في ذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَ الظَّالِمِينَ يُبَايِنُوكُمْ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ حَدُودَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فهم متيقّنون من شخصه وأخلاقه ومعجزاته، ولكنهم غير مصدقين برسالته ونبوته، وكذلك أهل الكتاب حينما وصفهم القرآن، حيث قال الله تعالى: ﴿أَلَذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَلَنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْنُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وفي الآخرة لا يدخل الجنة إلا من صدق الله ورسوله ﷺ في الحياة الدنيا وأمن به برسالته، فيحدث له اليقين يوم القيمة بحقيقة الأمر وبما أخبر به رسول الله ﷺ.

وقال بعضهم: رأيت الجنة والنار حقيقة. قيل له: كيف؟ قال: رأيتهما بعيني رسول الله ﷺ، ورؤيتي لهما بعينيه أو ثق عندي من رؤيتي لهما بعيني، فإن بصري قد يخطئ بخلاف بصريه ﷺ. واليقين هو روح أعمال القلوب، كالحب والخوف والرجاء، والتي هي أرواح أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصدقية.

واليقين قرين التوكل؛ ولهذا فسر التوكل بقوة اليقين أو ثمرته و نتيجته. مثال ذلك: لو أن غلاماً صغيراً اتراك مع آخر أقوى منه قليلاً وأحسن بضعفه ويقرب هزيمته، ثم لاح له من بعيد أخيه الأكبر القوي المفترض العضلات، فلما اقترب منها استشعر اليقين بالغلبة على خصمه، ومن ثم جاءته لحظة التوكل على أخيه وبدأ في ضرب الصبي الآخر متوكلاً على قوة أخيه.

ولله المثل الأعلى حينما يحارب العبد نفسه وشيطانه ثم يتيقّن معونة ربّه ﷺ فإنه يضرب بفأس الأعمال الصالحة على رأس الباطل، ثقة في نصر الله ووعده؛ لقول الله تعالى: ﴿إِن تَصْرُوا اللَّهُ يَصْرُكُمْ وَيَسِّرْتُ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

ومتي وصل اليقين إلى القلب امتلاً نوراً وإشراقاً وانتفى عنه كل شكٌ وريبٌ وهمٌ وغمٌ، فامتلاً قلب العبد بمحبة الله والخوف منه أيضاً، والرجاء به والشكر له والتوكل عليه والإذابة إليه. قال سفيان الثوري : لو أن اليقين استقر في القلب كما ينبغي لطار فرحاً وحزناً؛ شوقاً إلى الجنة أو خوفاً من النار.

وقد يحمله هذا على التضحيات العظيمة ومبشرة الأهوال وركوب الأخطار في سبيل مولاه العظيم، لا يخالط الناس إلا في الحق، كتعليم ودعوة وأعمال صالحة، ولا يتضرر مدحياً في العطية، سواء له أو عليه، ولا يشغله المعنون منهم بالذم والاستنكار، فهو ينظر إلى الله في كل شيء، ويرجع إليه في كل أمر، ويستعين به في كل حال.

قال ذو النون : اليقين يدعو إلى قصر الأمل، وقصر الأمل يدعو إلى الزهد، والزهد يورث الحكمة، وهي تورث النظر في عواقب الأمور.

وقال أيضاً: ثلاثة من علامات اليقين: قلة مخالطة الناس في العشرة، وترك المدح لهم في العطية، والتنزه عن ذمهم عند المعنون. ومن علاماته أيضاً: النظر إلى الله في كل شيء، والرجوع إليه في كل أمر، والاستعانة به في كل حال.

**أنواع اليقين:** قال أبو بكر الوراق : اليقين على ثلاثة أوجه: يقين خبر، ويقين دلالة، ويقين مشاهدة: فيقين الخبر هو اطمئنان القلب وسكونه إلى خبر المخبر والثقة فيه.

وأما يقين الدلالة فهو يعني أنَّ من جاءك بالخبر مع وثائقه وتصديقه إيهام جاءك معه بالأدلة والبراهين الدالة على ما أخبرك به، وهذا كعامة ما جاء من أخبار الإيمان والتوحيد في القرآن؛ فإنَّ الله مع كونه أصدق الصادقين يأتي لعباده بالأدلة والبراهين على صدق أخباره، ف يأتي لهم باليقين من الجهتين: الخبر، والدلالة.

فإذا اجتمع للعبد نوعاً يقين بالخبر والدلالة، ارتقى يقين المشاهدة، كأنَّه يرى ويُعاين بعينه ما أُخبر به، وهذا أعلى أنواع اليقين، وهو ما أشار إليه عامر بن قيس في قوله: لو كُشف الغطاء ما ازدلت إيماناً. أي: لو كُشفت حجب الغيب.

**درجات اليقين:** إذا أخبرك شخص أنَّ عنده عسلاً، وأنَّك تعرف من صاحبك أنه لا يكذب، فلا تشک في صدقه، فهذا يسمى علم اليقين؛ لأنَّه بُني على علمك وتصديقك، ثم أراك صاحبُك العسل عيناً فازدلت فيه يقيناً فصار عين اليقين؛ لأنَّك عايتها، ثم أذاقت من العسل شيئاً فصار عندك حقيقة اليقين. مما نعلمك الآن من قول الله تعالى وقول الرسول عليه السلام عن الجنة والنار وتصديقنا به يسمى علم اليقين، إيماناً وثقة بالشرع الحكيم، وهذا

يَقِينُ الْخَبْرِ، فَإِذَا قَامَتِ الْقِيَامَةَ وَفَرَّبَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَقِينَ وَشَاهِدَهَا الْخَلَاقُ وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ وَعَيْنَهَا الْخَلَاقُ فَذَلِكَ عَيْنُ الْيَقِينِ، وَهُوَ يَقِينُ الدَّلَالَةِ، فَإِذَا دَخَلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ فَذَلِكَ حِسْنَدُ حَقِّ الْيَقِينِ، وَهُوَ يَقِينُ الْمُشَاهَدَةِ.

وقال أبو بكر الوراق : الْيَقِينُ مِلَاكُ الْقُلُوبِ، وَبِهِ كَمَالُ الْإِيمَانِ، وَبِالْيَقِينِ عُرِفَ اللَّهُ، وَبِالْعُقْلِ عُقِلَ عَنِ اللَّهِ.

وقال النَّهَرُجُوريُّ : إِذَا اسْتَكْمَلَ الْعَبْدُ حَقَّاتِ الْيَقِينِ صَارَ الْبَلَاءُ عِنْدَهُ نَعْمَةً، وَالرَّخَاءُ مَصِيَّةٌ، وَالْيَقِينُ هُوَلُبُ الدِّينِ وَمَقْصُودُهُ الْأَعْظَمُ.

وقد أمرنا الشارعُ الحكيم أن نبني أحکامنا على اليقين لا الشك؛ فلما سُئل رسول الله ﷺ عن الرجل الذي يُخيلي إليه أنه يجد الشيء في الصلاة - يقصد ريحًا، وإنما قال ذلك تأدبياً مع النبي ﷺ - فقال ﷺ: «لَا يَنْفَتِلُ - أَوْ لَا يَنْصَرِفُ - حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتاً أَوْ يَحِدَّ رِيحَاً» متفق عليه. وقال ﷺ: «الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ، وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ عَنِّيَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فَاسْأَلُوهُ وَأَتُؤْمِنُ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِيْبُ لِعِبْدٍ دَعَاهُ عَنْ ظَاهِرِ قَلْبٍ غَافِلٍ». أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٢/١٧٧) بِرَقْمِ (٦٦٥٥).

**قصة:** عندما أراد سعد بن أبي وقاص : فتح المدائن - وكانت على شاطئ دجلة في العراق، وكان النهر في حالة فيضان - لم يجد وسيلةً لعبور البحر، فكُون كتيبةً سميت كتيبة الأهوال، وعبرت النهر وأخلت الشاطئ نسبياً من قوات الفرس. لمّا عبرت كتيبة الأهوال النهر، وكانوا ستمائة رجل، تبعهم سعد بن أبي وقاص بكامل الجيش، وأمر جنده قائلاً: قولوا: نستعين بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فجعلوا يمشون على الماء كأنهم يمشون على الأرض، حتى إن الفرس عندما رأوا هذا الموقف قالوا: ديوانا ديوانا. أي: مجانيين مجانيين، وعندما رأوه لا يغرقون قالوا بالفارسية: والله إنكم لا تقاتلون إنساناً، بل تقاتلون جنّاً. اهـ.

واعلم أنه باليقين يزيد العبد خصوصاً واستكانة لمولاه، ويورثه التوكل على الله والزهد فيما عند الناس، فيعقبه بذلك عزةً ورفعة، ويأخذ بيده إلى الإخلاص والصدق.

## (التوكل)

يقول ابن القيم والفيروزآبادي رحمهما الله: التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة (أي: الطاعة والرجوع إلى الله). فإن الدين استعانة وعبادة، والتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة، وذلك تحقيق قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مُبَدِّلٌ وَإِنَّكَ نَسْعِيْتُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ولقوله عليه السلام: وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [الأفال: ٤٩]، أراد أنه عزيز فلا يذلّ من استجار بحماه، ولا يضيع من التجأ إلى كنهه وجناه، وأيضاً هو حكيم فلا يعجزه تدبير حال من توكل عليه.

وقد قال عليه السلام أيضاً: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ [الأعراف: ١٩٤]، فيبين أن كلّ ما سوى الله تبارك وتعالي إنما هو عبد مُسخرٌ من قبله، فله مثل حاجة البشر، فكيف تتوكل على من هو محتاجٌ وناقص، وهذا شاملٌ لكل المخلوقات، كما قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْشِرُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَأَعْبُدُوهُ [العنكبوت: ١٧].

وروي أنه قد أوحى الله تعالى لداود عليه السلام: يا داود، ما من عبد يعتزم بي دون خلقي فتكيده السموات والأرض إلا جعلت له مخرجاً.

فالتوكل هو إظهار العجز في الأمر، والاعتماد على الله، واعتباره نائباً عنك. والمتوكل على الله هو الذي علم أن الله كافل رزقه وأمره، فيتوكّل عليه وحده، ولا يرکن إلى غيره. والله هو الوكيل، أي القائم والكفيل بأرزاق العباد، الموكول إليه كل الأمور، والأمور مفوضة إليه ليأتي بالخير ويدفع الشر عن العبيد، ولا يصح هذا إلا لله وحده عليه السلام؛ ولهذا يقول الفقهاء: إن التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله عليه في جلب المصالح ودفع المضار والأذى من أمور الدنيا والآخرة.

فإن العبد يعلم أن الأمور كلّها الله وراجعة إليه، ويؤمن أنه لا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع إلا هو عليه. قال سعيد بن جبير : التوكل على الله عليه جماع الإيمان. ويقول الجرجاني : التوكل هو الثقة بما عند الله، واليأس بما في أيدي الناس.

ويقول ابن القيم : إن التوكّل من أعظم الطرق التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكرور، ومن أنكر استعمال الأسباب لم يستقم على التوكّل. ويقول أيضًا: إن من تمام التوكّل عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، وليس الجوارح، فيكون حاً قلبه استعanaً بالله وتوكلاً عليه، وحال بدنه وجوارحه استعمال الأسباب الموصلة.

والتوّكل أن تستعين بالله كاملاً وكأنه لا سبب معك البة، فهذا حال القلب، وأما حال الجوارح فاستعمال الأسباب كاملةً وكأنه لا مُعين لك البة، فالأسباب هي محل حكمة الله في الأوامر والنواهي، أي: أفعل هذا ولا تفعل هذا.

فالشريعة تنظم الحقوق والواجبات في الأوامر والنواهي، أما التوكّل فهو متعلق بقبول قدر الله وقضائه، أي متعلق بالربوبية، فلا تصح العبودية من الإقبال على الطاعات والانتهاء عن المعاصي إلا بالتوّكل على صاحب الحول والقوّة، كذلك لا تقوم بالتوّكل إلا من خلال استعمال أسباب الطاعات والامثال لأوامر الله والانتهاء عماني.

### التوّكل والتوكّل أو الاتّكال:

التوّكل المأمور به هو: الأخذ بالأسباب مع تفويض أمر النجاح لله تعالى، والثقة بأنه لا فاعل على الحقيقة إلا الله تعالى، وأن كلّ موجود من خلقٍ ورزقٍ وعطاءٍ ومنعٍ وحياةٍ وموتٍ وغنىٍ وفقر... إلى غير ذلك، المُتفردُ بإبداعه واختراعه هو الله تعالى لا شريك له فيه، والثقة بأنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

أما القعود عن استعمال الأسباب، وعدم السعي، فليس من التوكّل في شيء، وإنما هو اتّكال أو تواكل، وقد حذّرنا منه المصطفى ﷺ، ونهى عن الركون إلى الأسباب المؤدية لترك السعي واستعمال الأسباب الشرعية الصحيحة، كما قال ﷺ لمعاذ بن جبل: «يا معاذ، ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟». قال معاذ: قلت: الله ورسوله أعلم.

وقال ﷺ: «فإنَّ حَقَ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذَّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». قال: قلت: يا رسول الله، أفلأ بشّر الناس؟ قال: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَلُّوا». متفق عليه. فأرسى الرسول ﷺ لهمًا صحيحًا في كلّ ما يؤدّي

إلى ترك العمل واستعمال الأسباب، أو ما يكون حتى مظهراً للاتكال، وهو ليس من التوكل في شيء.

ولقد راجع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسول الله صلوات الله عليه وسلامه مرةً حين قال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أبعثت أبا هريرة بن عبد الله رضي الله عنه أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة؟ قال: **نعم**. قال عمر: فلا تفعل؛ فإني أخشى أن يتکل الناس عليها، فخالهم يعملون. فقال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه: **فَخَلُّوهُمْ يَعْمَلُونَ**. مسلم برقم (٣١).

ولما بُويع الصديق رضي الله عنه بالخلافة نزل السوق فقال المسلمين: كيف تفعل ذلك وقد صررت خليفة؟ فقال: لا تشغلي عن عيالي، فإني إن أضعتمهم كنت لما سواهم أضيع. حتى فرضوا له حقاً في بيت المال ليتفرق للخلافة، والصديق هو من هو، وليس هناك من هو أولي منه بالتوكل على الله بعد رسول الله صلوات الله عليه وسلامه.

ومما يدل على أن التداوي غير مناقض للتوكيل، فعل رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وقوله وأمره به، فقد قال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه: **(تَدَاوِوا عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضْعِ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، إِلَّا دَاءً وَاحِدًا هُوَ الْهَرَمُ)**. أحمد في «مسنده» (٤ / ٢٧٨) برقم (١٨٤٧٨)، صحيحه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٩٣٠).

ومسبب الأسباب رضي الله عنه أجرى سنته بربط المسببات بالأسباب إظهاراً للحكمة، والأدوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الأسباب، فكما أن الخبز دواء الجوع، والماء دواء العطش، كذلك بعض الأدوية دواء لبعض الأمراض فلا يضر المُتوكل استعمال الدواء مع النظر إلى مسبب الأسباب وليس الطيب والدواء. فإن الاتكال هو ترك استعمال الأسباب، وترك الأعمال، وهو ليس من التوكل في شيء.

### التوكُلُ والتَّفَوِيقُ وَالثَّقَةُ بِاللَّهِ عَزَّلَكُ:

جاء التوكُلُ في القرآن في مواضع عديدة، وأمر الله به نبيه المصطفى صلوات الله عليه وسلامه.

أما التَّفَوِيقُ فلم يجيء إلا إخباراً عن مؤمن آل فرعون: **وَأَفْوَضْ أَمْرِيَتُ إِلَى اللَّهِ** [غافر: ٤٤]، يقول ابن القاسم : **إِن اتَّخَذَ الْمَوْلَى عَزَّلَكَ وَكِبَلَاهُ** هو مخصوص العبودية وحالص التوحيد، إذا قام به صاحبه حقيقةً، وهو بذلك أوسع من التفويض وأعلى وأرفع.

وقال أيضًا : **وَالثِّقَةُ بِاللَّهِ هِيَ خَلاصَةُ التَّوْكِلِ، وَهِيَ سَوَادُ عَيْنِ التَّوْكِلِ، فَسَوَادُ الْعَيْنِ أَشَرَّفُ مَا فِيهَا، وَفِي وَصْفِ أَمِ مُوسَى مَا يُؤكِّدُ ثُقَّتَهَا بِاللَّهِ؛ لَهُذَا أَمْرَهَا** ﴿فَإِذَا خَفَتِ عَيْنِهِ فَأَلْقِهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافُ وَلَا تَحْزَقُ﴾ [القصص: ٧]، فَلَوْلَا كَمَالُ ثُقَّتَهَا بِرَبِّهَا لَمَّا أَلْقَتْ بُولَهَا فِي تِيَارِ الْمَيَاهِ، فَالثِّقَةُ بِاللَّهِ هِيَ مَا يَدُورُ عَلَيْهِ التَّفْوِيسُ.

والتوكل يشمل معنى الثقة بالله، والتفسير كذلك، فالمتوكّل يوكل أمره لمن اطمأنّت إليه نفسه ووثق به ولم يتهمه بتقصير أو يعتقد فيه عجزاً أو قصوراً، فهذا اعتماد القلب على الوكيل وحده، والتوكل على الله مطلوب في كلّ شئون الحياة عند طلب النصر والفرج، وإذا أعرض عنك الناس، وإذا طلبت الصلح والإصلاح، وإذا تأمر عليك الأعداء فاجعل الله وكيلاً في كل حالٍ، قال تعالى: **وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا** [النساء: ٨١].

وقال رسول الله ﷺ: **كَيْفُ أَنْعَمْ وَصَاحِبُ الْقَرْنَنِ قَدِ الْسَّقَمَ الْقَرْنَنَ وَاسْتَمَعَ إِذْنَ مَتَّى يُومُرُ بِالنَّفْخِ فَيُنْفَخُ**. فـكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ فقال لهم: **قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنُعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا**. أـحمد في «مسند» (١/ ٣٢٦) برقم (٣٠١٠). فـلستوكّل على الله جميـعاً في النجـاة من أـهوال يوم القيـامة، فهو القـادر وحـده على خلاصـنا وفـوزـنا ونجـاتـنا.

قال الإمام أحمد : **يُنْبَغِي لِلنَّاسِ كُلَّهُمْ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ بَعْدَكَ، وَلَكِنْ يُعَوِّدُونَ أَنفُسَهُمْ بِالْكَسْبِ** (أـي: استعمال الأسباب في طلب الرزق)، فـمـن قال بخلاف هذا القـول فـهـذا قولـ إـنسـانـ أـحمـقـ. وقـالـ أيـضاـ: **الـاسـتـغـنـاءـ عـنـ النـاسـ بـطـلـبـ الـعـمـلـ أـعـجـبـ** (أـي: أـحـبـ وأـفـضـلـ) إـلـيـنا من الجـلوـسـ وـانتـظـارـ ماـ فـيـ أـيـديـ النـاسـ.

وقـالـ أيـضاـ: **صـدـقـ الـمـتـوـكـلـ عـلـىـ اللـهـ بـعـدـكـ أـنـ يـتـوـكـلـ عـلـىـ اللـهـ وـأـلـاـ يـكـونـ فـيـ قـلـبـهـ أـحـدـ مـنـ الـآـدـمـيـنـ يـطـمـعـ أـنـ يـجـيـئـ بـشـيـءـ، فـإـذـاـ كـانـ كـذـلـكـ كـانـ اللـهـ يـرـزـقـهـ، وـكـانـ مـتـوـكـلـاـ.**

وقـالـ ابنـ الـقيـمـ : **الـتـوـكـلـ مـنـ أـقـوىـ الـأـسـبـابـ الـتـيـ يـدـفـعـ بـهـ الـعـبـدـ مـاـ لـاـ يـطـيقـ مـنـ أـدـىـ الـخـلـقـ وـظـلـمـهـ وـعـدـوـنـهـ.**

والمتوكّل على الله قد قطع بـتوـكـلهـ الطـمـعـ فـيـ أـيـديـ النـاسـ ثـقـةـ بـمـاـ فـيـ يـدـ اللهـ. وـكـانـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺ إـذـاـ غـرـاـ قـالـ: **الـلـهـ أـنـتـ عـصـدـيـ وـنـصـيـرـيـ، بـكـ أـهـوـلـ وـبـكـ أـجـوـلـ، وـبـكـ أـصـوـلـ وـبـكـ أـقـاتـلـ**. أبو داود برقم (٢٦٣٢).

ولا يتم التوكل إلا بقوة القلب وقوه اليقين جمِيعاً؛ إذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينة، فالسكون في القلب شيءٌ واليقين شيءٌ آخر، فكم من يقين لا طمأنينة معه، كما قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَ لَّيَطْمَئِنُ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فالتمس مِن مولاه أن يشاهد عملية إحياء الموتى بعينيه ليستقر ذلك في خياله؛ فإن النفس تتبع الخيال وتطمئنُ به ولا تطمئنُ باليقين في ابتداء أمرها إلى أن تصل عند الآخرة إلى درجة النفس المطمئنة؛ لما عاينت من الحق.

وكم من مُطمئنٌ لا يقين له، كمن ينام في غرفته المظلمة ليلاً ويعلم يقيناً أنه لا أحد معه، ولكنه قد يكون خائفاً غير مطمئن القلب. فاليقين شيءٌ والطمأنينة شيءٌ آخر.

وإذا نظرت إلى أصحاب الملل والمذاهب الباطلة وجدت أحدهم مطمئنَ القلب إلى باطله ولكن لا يقين له أصلاً ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوِي الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْمُهْدَى﴾ [النجم: ٢٣]، وهو سبب اليقين، إلا أنهم معرضون عنه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: اختلاف الناس في كل شيء إلا في الرزق والأجل، فإنهم أجمعوا على أنه لا رزاق ولا يحيط إلا الله تعالى.

وقال بعض العلماء: لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضييع أمر آخرتك ولا تناول من الدنيا إلا ما قد كتب الله لك.

فلا يصح التوكل إلا مع الزهد في الدنيا، وإن كان يصح الرُّهُد دون التوكل.

### قصص في التوكل:

**قصة:** كان لدى أحد الملوك وزير، وكان هذا الوزير يتوكّل على الله في جميع أموره، وفي يوم من الأيام قطع للملك إحدى أصابعه وخرج دم، وعندما رأه الوزير قال: خير، خير إن شاء الله. وعند ذلك غضب الملك على الوزير وقال: أين الخير والدم يجري من إصبعي؟! وبعدها أمر الملك بسجنه الوزير، وما كان من الوزير إلا أن قال كعادته: خير، خير إن شاء الله. وذهب إلى السجن.

وكان من عادة الملك في كل يوم جمعة أن يذهب للتنزه، وفي آخر نزهة حطَّ رَحْلَه قريباً من غابة كبيرة، وبعد استراحة قصيرة دخل الملك الغابة، وكانت المفاجأة أن الغابة بها أناس يعبدون صنماً لهم، وكان ذلك اليوم هو يوم عيد الصنم لديهم، وكانوا يبحثون عن قربان يقدمونه للصنم، وصادف أنهم وجدوا الملك وألقوا القبض عليه ليُقدِّموه قرباناً إلى آلهتهم، وقد رأوا إصبعه مقطوعةً فقالوا: هذا فيه عيبٌ، ولا يُستحسن أن نقدمه قرباناً. وأطلقوا سراحه، حينها تذكَّر الملك قولَ الوزير عند قطع إصبعه: خير، خير إن شاء الله.

وبعد ذلك رجع الملك من الرحلة وأطلق سراح الوزير من السجن، وأخبره بالقصة التي حدثت له في الغابة، وقال له: فعلاً كان قطع الإصبع فيه خيرٌ لي، ولكنني أسألك سؤالاً، وأنت ذاهب إلى السجن سمعتك تقول: خير، خير إن شاء الله، وأين الخير وأنت ذاهب إلى السجن؟! قال الوزير: أنا وزيرك، ودائماً معك، ولو لم أدخل السجن لكنت معك في الغابة، وبالتالي لقبض على عبدة الصنم، وقدّموني قرباناً لآلهتهم، وأنا لا يوجد بي عيب؛ ولذلك كان دخولي السجن خيراً لي. اهـ

**قصة:** لما فتح عبد الله بن علي العباسى دمشق قتل في ساعة واحدة ستةً وثلاثين ألفاً من المسلمين، وأدخل بغاله وخيوله في المسجد الأموي الكبير، ثم جلس للناس وقال للوزراء: هل يعارضني أحد؟ قالوا: لا. قال: هل ترون أحداً سوف يعرض علىي؟ قالوا: إن كان فالاً وزاعي، وهو محدث. فقال أمير المؤمنين: تعالوا به.

فذهب الجنود للأوزاعي بما تحرَّك من مكانه، قالوا: يريده عبد الله بن علي. قال: حسينا الله ونعم الوكيل، انتظروني قليلاً. فذهب فاغتسل ولبس أكفانه تحت الشياطين؛ لأنَّه يعرف أنَّ المسألة مسألة موت وقتل ودمار، ثم قال لنفسه: الآن آنَ لك يا أوزاعي أن تقول كلمة الحق لا تخشى في الله لومةً لائمٍ.

دخل الأوزاعي على هذا السلطان الجبار: قال وهو يصف هذا الموقف - وهذا هو لبُ الموضوع، فتأمله بارك الله تعالى فيك أخي الكريم: فدخلت فإذا أساطين من الجنود (أي: عدد عظيم من الجنود) صفين قد سلُّوا السيف، فدخلت من تحت السيف حتى بلغت إليه وقد جلس على السرير وبيه خيرزان (أي: عود) وقد انعقد جيشه عقدةً من الغضب.

قال: فلما رأيته والله الذي لا إله إلا هو كأنه أمامي دبابة، فقلت: حسبنا الله ونعم الوكيل. قال: فما تذكرت أحداً لا أهلاً ولا مالاً ولا زوجة، وإنما تذكرت عرش الرحمن إذا برب الناس يوم الحساب، قال: يا أوزاعي، ما تقول في الدماء التي أرقناها وأهرقناها؟ قال الأوزاعي: حدثنا فلان عن فلان.. حدثنا ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشَهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا يَإِحْدَى ثَلَاثَةِ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيْبُ الرَّازِيُّ، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ» [متفق عليه]، فإن كان من قتلتهم من هؤلاء فقد أصبت، وإن لم يكن منهم فدماؤهم في عنقك.

قال: فنكت بالخيزران (أي: ضرب الأرض بالعود فترك فيها آثاراً) ورفعت عمانتي أنظر السيف، ورأيت الوزراء يستجمعون ثيابهم ويرفعونها عن الدم، قال: وما رأيك في الأموال؟ قال الأوزاعي: إن كانت حلالاً فحساب، وإن كانت حراماً فعقاب.

قال: خذ هذا الكيس المملوء من الذهب. قال الأوزاعي: لا أريد المال. قال: فغمزني أحد الوزراء يعني خذها؛ لأنه يريد أدنى علة ليقتل.

قال: فأخذت الكيس وزرته على الجنود، حتى بقي الكيس فارغاً، فرميت به وخرجت، فلما خرجت قلت: حسبنا الله ونعم الوكيل، قلناها يوم دخلنا، وقلناها يوم خرجنا؛ ﴿فَانْقَلِبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِ لَمْ يَمْسِسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

ويقال: إن عبد الله بن علي العباسي ذلك السلطان المتجبر كان يقول كلما مر بقبر الأوزاعي: والله لا أخاف في هذه الدنيا من رجل كهذا الرجل؛ فإني كلما رأيته يخيل إلي أنني أمام أسد. فسبحان الله! الأوزاعي رأه كالذباب وهو يرى الأوزاعي كالأسد، فانظر لعزة التوكل. اهـ.

\* \* \*

## ٨- باب في الاستقامة

قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمْرَتَ﴾ [هود: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ أَنَّهُمْ أَسْتَقْمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَابْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [٣٥] نَحْنُ أَوْلَئَكُمْ فِي الْحَيَاةِ

الذينَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا شَهِيْدَ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَعُونَ ﴿٣١﴾ نَرَأَيْنَ عَفْوُرَ رَحِيمٌ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٢-٣٠].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبِّهَا أَللَّهَ تَعَالَى مَمَّا سَتَّقُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَلَدِينَ فِيهَا جَزَاءً مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [الأحقاف: ١٤، ١٣].

٨/٨٥) وعن أبي عمرو - وقيل: أبي عمارة - سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرِكَ. قَالَ: «قُلْ: أَمْنَتْ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقْمُ». رواه مسلم.

٨/٨٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «قَارِبُوا، وَسَدِّدُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ». قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا إِنَّمَا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي (أَي: يَشْمَلِي) اللَّهُ بِرَحْمَةِ مِنْهُ وَفَضْلِهِ». رواه مسلم. وـ«المُقَارَبَةُ»: القصدُ الَّذِي لَا غُلوْ فِيهِ وَلَا تَقْصِيرٌ. وـ«السَّدَادُ»: الاستقامة والاصابة. وـ«يَعْمَدُنِي»: يُلِيسِني وَيَسْتُرِنِي. قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَى الاستقامة: لِزُومُ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالُوا: وَهِيَ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَهِيَ نِظامُ الْأُمُورِ. بِاللَّهِ التَّوَفِيقُ.



### (الاستقامة)

الاستقامةُ كُلْمَةٌ جامِعةٌ، وَهِيَ الْقِيَامُ بَيْنِ يَدِيِ اللَّهِ تَبارَكَ وَتَعَالَى بِحَقِيقَةِ الصِّدْقِ مَعَ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ الَّذِي بَيَّنَا وَبَيَّنَ اللَّهُ، فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالنِّيَّاتِ، اللَّهُ إِخْلَاصًا، وَبِاللَّهِ اسْتِعْنَانَّ وَتَوْكِلاً، وَعَلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَسَنَةِ نَبِيِّ الْكَرِيمِ صلوات الله عليه طَرِيقَةً وَمِنْهَا جَأْ.

وَهِيَ سُلُوكُ الْصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي هُوَ الدِّينُ الْقَوِيمُ، بِلَا اعْوَاجٍ وَلَا إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ، وَهُوَ مَا أَمْرَنَا بِهِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ، وَيَكُونُ ذَلِكَ كُلُّهُ بِفَعْلِ الطَّاعَاتِ كُلُّهَا ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، وَتَرْكُ الْمَنْهَى تَرْكَ كُلُّهَا كَذَلِكَ. فَيُجْمِعُ الْعَبْدُ الْمُسْتَقِيمُ بَيْنَ أَدَاءِ الطَّاعَاتِ وَاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي، عَلَى هَدْيِي مِنَ الشَّرِيعَةِ الْحَكِيمِ وَالْعُقْلِ السَّلِيمِ. وَالْإِسْتِقَامَةُ فِي اصطلاحِ أَهْلِ الْعِلْمِ: لِزُومُ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ كُلُّهَا، وَلِزُومُ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، مَعَ مِرَاعَاةِ التَّوْسُطِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ الْدِينِيَّةِ وَالْدِينِيَّةِ، مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَغَيْرِهِما.

وَأَصْلُ الْإِسْتِقَامَةِ إِسْتِقَامَةُ الْقَلْبِ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَقَدْ فَسَّرَ أَبُو بَكْرَ الصَّدِيقَ رضي الله عنه

الاستقامة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ أَعْلَمُ بِمَا هُمْ يَفْسِدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠] بأنها عدم الالتفات إلى غير الله تعالى.

فمتى استقام القلب على معرفة الله وعلى خشيته وإجلاله ومحبته وإرادته ورجائه ودعائه والتوكيل عليه والإعراض عما سواه، استقامت الجوارح كلها على طاعته، فإن القلب هو ملك الأعضاء، التي هي جنوده، فإذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه. وأعظم ما يُراعي استقامتُه بعد القلب من الجوارح اللسان؛ فإنه المُعتبر عما فيه. فالاستقامة في القلب: لزوم التوحيد الخالص، وإخلاص الدين لله، والعمل حتى الممات. وقد سُئل الصديق رضي الله عنه عن الاستقامة، قال: ألا تُشرك بالله شيئاً... أراد رضي الله عنه الاستقامة على التوحيد الخالص.

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: استقاموا: أخلصوا العمل الله.

وقال مجاهد : : استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالحق.

وأما الاستقامة في البدن، فلزم الطاعات، وأداء الفرائض، واجتناب المعاصي، قوله عملاً، سراً وعلانية؛ ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروع روغان الشغل (أي: الروغان: العدول عن الأمر في خفية).

وقال علي وابن عباس رضي الله عنهما: استقاموا: أدوا الفرائض (أي: كل المفروضات من الأعمال).

وهذا أبو هريرة رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلَهُ الْجَنَّةَ». قالوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ بِغَضْلٍ وَرَحْمَةٍ فَسَدَّدُوا وَقَارَبُوا، وَلَا يَتَمَنَّنَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ؛ إِنَّمَا مُحْسِنًا فَلَعْلَهُ أَنْ يَزْدَادَ حَيْرًا، وَإِنَّمَا مُسِيَّا فَلَعْلَهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ» متفق عليه.

فأَمَرَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وسلم في هذا الحديث بالسَّداد، أي الاستقامة ولزوم الطاعة كما سبق، فإن لم يَسْتَطِعْ فعليه أن يقترب من الكمال في الأعمال مع الاستقامة، لقول النبي صلوات الله عليه وسلم: «وَقَارَبُوا» أي: كونوا قريين من المطلوب على الأقل، أي بحسب الوضع والطاقة، كمن يرمي بسهمٍ إلى هدفٍ، فإنه إن لم يستطع أن يُصِيب الهدف يحاول الاقتراب منه.

ومع هذا فإن الاستقامة والمُقاربة لا تنجي العبد يوم القيمة؛ لأنَّه لا يخلو من تقسيمٍ، فلا يركن ولا يعتمد أحدٌ على عمله، وإنما النجاة برحمَة الله وعفوه وغفرانه وفضله. والاستقامة حقيقتها عدم الاعوجاج والميل، فيكون العبد وسطاً غير مائلٍ، لا إلى الإفراط ولا إلى التفريط.

وقال بعض السلف: ما أمر الله بأمر إلا للشيطان فيه نزعتان: إِنَّمَا أَنْ يَأْخُذُ الْعَبْدَ إِلَى تفريطٍ وضياعٍ، وَإِنَّمَا أَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى مجاوزَةٍ وِإِفْرَاطٍ، وَلَا يُبَالِي بِأَيِّهِمَا فَازَ وَظَفَرَ مِنَ الْعَبْدِ، فَكُلَّاهُمَا شُرٌّ وَخَسَارَةٌ.

فكمال الاعتقاد راجع إلى الاستقامة، وهي أساس الأعمال الصالحة، وتطلق أيضاً على ما يجمع بين معنى حُسن العمل والسير على الحق والصدق.

والاستقامة أمر زائد على الإقرار بالتوحيد لله؛ لأنها تشتمل عليه وتشمل أيضاً الثبات عليه والعمل بما يستدعيه؛ ولهذا قال أبو عمرو سفيان بن عبد الله رضي الله عنه: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ. قَالَ: «قُلْ: آتَمْتُ بِاللهِ ثَمَّ اسْتَقَمْ». رواه مسلم.

وإنما كانت الاستقامة عظيمة في دين الله؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى خلق الأحوال متغيرة حول ابن آدم، من صحةٍ ومرض، وسفر وإقامة، وضيق في الرزق وسعةٍ، ورخاء وشدة، ويسير وعسر. قال الله تعالى: ﴿وَتَلَكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ أَنَّا سِرَّ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وقال أيضاً: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ فِي كَجْدِ﴾ [البلد: ٤]. فقد أمر العبد بالاستقامة على فعل الطاعات ظاهراً وباطناً، واجتناب المعاصي في كل الأحوال، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«تَعْرَفُ إِلَى اللهِ فِي الرَّحَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ». أَحْمَدَ فِي [مسنده] (١/ ٣٠٧) برقم (٢٨٠٤).

فالمحصود بالاستقامة هو لزوم الطاعات المختلفة في أحوال العبد كافةً، واجتناب المعاصي المختلفة في جميع أحواله، ومن هنا كانت الاستقامة شرفاً لصاحبها وكرامةً له حيث صبر عليها.

قال ابن تيمية : أَعْظُمُ الْكَرَامَةِ لِزُومُ الْاسْتِقَامَةِ. ويقصد بالكرامة: الخوارق والمعجزات.

وقال بعضهم: كُنْ أَيْهَا الْعَبْدُ صَاحِبَ اسْتِقَامَةٍ لَا طَالَبَ كَرَامَةً؛ فإن نفسك تتحرّك وتسعى لإظهار الكرامة، وربك يطالبك بالاستقامة.

واعلم أنه على قدر ثبات العبد على الصراط المستقيم الذي نصبه الله لعباده في دار الدنيا من أوامر ونواهٍ، يكون ثبات قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وبنفس همته وسعيه في السير عليه في الدنيا يكون سعيه وسيره على ذلك الصراط يوم القيمة.

وليجنّب العبد الشبهات والشهوات التي تعلوه في الدنيا؛ فإنها بمثابة الكلاليب، وهي حديد معوج الرأس يُنزع به اللحم من القِدْر، وذلك على جانبي الصراط يوم القيمة التي تخطفه وتُعلوّقه عن المرور عليه.

**قال رسول الله ﷺ: «استقيموا ولن تُحصوا، واعملوا، وَخَيْرُ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ».** أحمد في «مسنده» (٥/٢٧٦) برقم (٢٤٣٢).

**وقال رسول الله ﷺ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ».** أحمد في «مسنده» (٣/١٩٨) برقم (١٣٠٧١).

فالاستقامة من حُسن الإسلام وكمال الإيمان، وهي الكرامة التي تُوصل صاحبها لأعلى المقامات.

\* \* \*

**٩- باب في التَّفْكِيرِ فِي عَظِيمِ مَخْلوقَاتِ اللهِ تَعَالَى، وَفَنَاءِ الدُّنْيَا، وَأَهْوَالِ الْآخِرَةِ وَسَائِرِ أَمْوَاهَا، وَتَقْصِيرِ النَّفْسِ وَتَهْذِيهَا وَحَمْلِهَا عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ**

**قال الله تعالى:** ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْهَةِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْفَعَةً وَفَرَدَى ثُمَّ شَفَّكُرُوا ﴾ [سبأ: ٤٦].

**وقال تعالى:** ﴿ إِنَّكَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ الْأَيَّلِ وَالنَّهَارِ لَا يَنْتَلِأُ ذُلْلَى أَلَّا لَبَبٌ ﴾ [١٦] الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ فِي نَمَاءٍ وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بِنَطْلَا سُبِّحْتَكَ ﴿ ١٩١، ١٩٠﴾ [آل عمران: ١٩١، ١٩٠].

**وقال تعالى:** ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَيْلِ كَيْفَ خُلِقَتِ ﴾ [١٧] ﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتِ ﴾ [١٨] ﴿ وَإِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتِ ﴾ [١٩] ﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتِ ﴾ [٢٠] ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنَّ مَذَكَّرْ ﴾ [٢١]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾ [آل عمران: ١٠٩، يوسف: ٨٢، محمد: ١٠].  
والآيات في الباب كثيرة. ومن الأحاديث الحديث السابقة: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ».



### (عبادة التفكير في عظيم مخلوقات الله تعالى)

لقد أمر الله تعالى بالتفكير والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تُحصى، وأنهى على المتفكرین، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذَكُرُونَ اللَّهَ قَيْمَانَ وَقُعُودًا عَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَنْتَكِرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بِنَطْلًا﴾ [آل عمران: ١٩١].

ولما دخل بلال عليه رضي الله عنه يؤذنه بصلوة الصبح، وجده يكي، فسألته: ما يُريك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: وَيَحْكَ يَا بِلَالُ، وَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَبْكِي وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ: إِنَّكَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفَ أَيْنَ لَوْلَا لَأَيْتَ لِأَوْلَى الْأَلْبَابِ ﴿١٠﴾؟ [آل عمران: ١٩٠]، ثم قال: وَإِنِّي لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَكَبَّرْ فِيهَا [ابن حبان في صحيحه] (٢/٣٨٦) برق (٦٢٠). فقيل للأوزاعي : ما غاية التفكير فيهن؟ قال: يقرؤهن ويعقلهن.

والفكر هو التأمل وإعمال الخاطر في الشيء، وهو تصرف القلب في معاني الأشياء لإدراك الحكمة والمطلوب منها. وقيل لإبراهيم بن أدهم : إنك تُطيل التفكير؟ فقال: الْفِكْرَةُ مُنْعِنُ الْعُقْلِ. وقيل في قول الله تعالى: فَهُوَ سَاقِرٌ فَعَنْ أَيَّتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ يُغَيِّرُ الْعَقْلَ ﴿١٤٦﴾ [الأعراف: ١٤٦]: أمنع قلوبهم التفكير في أمري.

فعلى كلّ عاقل أن يعطي حظه من العبادة من النّظر في المصحف والتفكير فيه والاعتبار من عجائبها وأياته، فالفكرة تولّد العلوم التي تحرّض على الأعمال.

ويقول وَهْبُ بْنُ مُنْبَهٍ : ما طالت فكرة (أي: تفكير) امرئٍ قطًّا إلا علم (أي: صار عالمًا)، وما علم امرؤًّا قطًّا إلا عمل.

وقال الشافعي رضي الله عنه: استعينوا على الكلام بالصمت، وعلى الاستنباط بالتفكير. وقال أيضًا رضي الله عنه: صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور، والعزم في الرأي سلامه من التفريط، والنندم والرويّة والتفكير يكشفان عن الحزم، والفتنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس

وقوة في البصيرة؛ ففكّر قبل أن تزعم، وتدبّر قبل أن تهجم، وشاور قبل أن تقدّم. وقال أيضًا الفضائل أربعٌ:

إحداها: الحكمة، وقوامها الفكرة (أي: التفكير).

الثانية: العفة، وقوامها في الشهوة (أي: في ضبط الشهوة).

والثالثة: القوة، وقوامها في الغضب (أي: في ضبط الغضب).

والرابعة: العدل، وقوامه في اعتدال قوى النفس.

وأما ثمرة الفكر والتفكير فتكون في العلوم والأحوال والأعمال، فإذا كان التفكير حصل العلم في القلب؛ فتغير حال القلب؛ ومن ثم تغيرت بذلك أعمال الجوارح إلى الصلاح والتقواي.

وقالت امرأة صالحة كانت تسكن الباذية قريباً من مكة: لو تطالعت قلوب المتقين يفكّرها إلى ما قد أدخل لها في حجب الغيب من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش، ولم تقرّ لهم في الدنيا عين.

فالعمل تابع للحال، والحال يقصد به ما يحدث في القلب من حبٍ وإقبال على الله ومعرفة به وإخلاص وانقياد.. وغير ذلك، والحال تابع للعلم، والعلم تابع للتفكير؛ فالتفكير إدّا هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلّها.

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: الفكرة (أي: التفكير) في نعم الله عليه السلام أفضل من العبادة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ركعتان مقتضتان في تفكير خير من قيام ليلة بلا قلب؛ لأنّ التفكير في حد ذاته ذكر وزيادة، وذكر القلب خير من عمل الجوارح، بل شرف العمل أصلاً لما فيه من ذكر الله تعالى؛ ولذِكْرُ اللَّهِ أَكْثَرُ العنكبوت: ٤٥. فالتفكير أفضل من جملة الأعمال؛ لأنّه يأتي بالذكر والعلم والحال.

وعن الحسن : قال: تفكّر ساعة خير من قيام ليلة. فعلى كُلّ إنسان أن يُفتش صيحة كُلّ يوم جميع أعضائه: هل هو مرتكب أو متلبس بمعصية؟ فليتركها، ولعلها كانت بالأمس فيتداركها بالترك والندم، أو لعله معرض لها في يومه هذا فيستعد للاحتراز والابتعاد عنها. وعن الفضيل بن عياض : قال: الفِكْرُ مِرَاةُ تُرِيكَ حَسَنَاتِكَ وَسَيَّئَاتِكَ.

وعلية أيضًا أن ينظر في الطاعات، فلينظر أولاً في الفرائض المكتوبة عليه كيف يؤدي إليها؟ وكيف ينأى بها عن النقصان والتقصير؟ ثم يتفكر في استكمال أعماله بالنواقل ليجبر النقصان ويرفع الدرجات. ويُفتش عن جميع أخطائه وأمواله، فهي أدوات وأسباب طاعته، فيُبادر إلى إخلاص النية فيها، ويؤدي حق الله تعالى ثم العباد فيها أيضًا.

وسئل أحد الصالحين: ما يُكثِيك؟ فقال: تفَكَّرت في ذهاب عمرِي، وقلة عملي، واقتراض أجيلى.

ثم على العبد أن يُطهِر نفسه من المُهملَات التي محلها القلب، من غلبة الشهوة والغضب على القلب، والبخل، والكِبْر والعجب، والرياء، والحسد، وسوء الظن، والغفلة، وغير ذلك. ولِيُعالِجها ما استطاع، ولِيتعلَّم ذلك من أهل هذه الفنون.

وعلية أيضًا أن يحرص على أن يتفكر في التحليل بالصفات المُنجية، مثل: التوبَة، والنَّدَم على الذُّنُوب، والصَّبَر على البلاء، والشُّكْر على النعماء، والخوف والرجاء، والزُّهْد في الدنيا، والإخلاص والصدق في الطاعات، ومحبة الله وتعظيمه، والرضا منه، والشوق إليه، والخشوع والتواضع له.

وليتَفَكَّر العبد كل يوم في قلبه: ما الذي ينقصُه من هذه الصفات المقربة لله تعالى؟ فمن أراد أن يُحيي في قلبه حَال الشُّكْر مثلاً فلينظر في إحسان الله إليه، وكثير عطاياه ونعمه، وجميل ستره عليه، وغير ذلك مما يستثير حَال الشُّكْر في قلبه. ومن أراد أن يُحيي في قلبه حَال الخوف فعليه أن ينظر أولاً في ذنبه، وينظر في الموت وسُكراته، وعدَاب القبر، ومبَكِّر ونَكِير، وهوَل النداء يوم القيمة، ونفخة الصور، والمرور على الصراط، والحساب، وغير ذلك مما يستثير حَال الخوف في قلبه.

وهكذا في كُل الأحوال التي يحتاج لها العبد في قلبه. وقال حاتم الأصم : من العبرة (أي: الاعتبار) بيزيد العلم، ومن الذِّكر بيزيد الحبُّ، والتفكير بيزيد الخوف.

وهذا هو طريق الفكر والتفكير الذي يكون بطلب العلم، ومجالسة العلماء، ومعرفة فضائل الأعمال وعقاب السيئات؛ لجلب أحوال محبوبة والتَّرُّه عن صفات مذمومة.

وأنفع ذلك هو قراءة القرآن بِفِكْرٍ وتدبُّرٍ وعناء؛ فإنه جامع لكل الأحوال والمقامات،

وفيه شفاءً للعالمين؛ ففيه ما يورث الخوف والرجاء، والصبر والشکر، والمحبة والشوق، وسائل الأحوال، وفيه أيضًا ما يُزجر عن الصفات المذمومة؛ فينبغي للعبد أن يقرأه ويردد الآيات التي تحتاج للتفكير مرةً تلو الأخرى، ولو لعشرات المرات، فقراءة آية بتفكير وفهم خيرٍ من ختمه بغير تدبر وفهم. ولو توقف كلٌّ منا متأملاً فيما يقرأ ولو لآية واحدة، متأملاً فيها ولو ليلةً كاملةً لفتحت له في كلٌّ كلمةٍ أسرار لا تُحصى، ولا يفتح فيها على العبد إلا بدقيقِ الفكر وصفاء القلب وصدق التعامل مع الله.

وعن محمد بن كعب القرطي : قال: لأن أقرأ في ليالي حتى أصبح بـ«إذا زلت» «القارعة» لا أزيد عليهما، وأتردَّد فيهما (أي: أكررهما) وأتفكر، أحب إلى من أن أهدى القرآنَ (أي: الهدى: القراءة السريعة) ليلتي هذا أو أثره ثرًا (أي: أفروه على مهل). وكذلك مطالعة أخبار النبي الكريم ﷺ؛ فإنه قد أُوقي جوامع الكلم، وكلُّ كلمةٍ من كلماته بحرٌ من بحور الحكمة لا يكفي العمرُ لبلوغ أطراfe. فلا تغفل أيها العبد عن التفكير في نفسك، وفي صفاتك التي تُبعنك عن الله تعالى، وفي أحوالك التي تُقربك إليه ﷺ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : التفكير في الخير يدعو إلى العمل به، والنندم على الشر يدعو إلى تركه.

### الصّفات المُهلكة والصّفات المنجية :

ويا ليت لكَلَّ منا صحفة يكتب فيها مجموع الصفات المهلكة والصفات المنجية، وجملة المعاصي والطاعات، ويعرض نفسه كلَّ يوم عليها، وقد يكفيه عند النظر في الصفات المهلكات أن ينظر في عشر، فإن سلم منها سلم من غيرها، وهي: (البخل، والكبَر، والعجب، والرياء، والحسد، وشدة الغضب، وشره الطعام، وشره الواقع، وحب المال، وحب الجاه). وأما المنجيات العشر فهي: (الندم على الذنوب، والصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، والشُّكْر على النعماء، واعتدال الخوف والرجاء، والرُّزْهُد في الدنيا، والإخلاص في الأعمال، وحسن الخُلق مع الخلق، وحب الله تعالى، والخشوع له).

واعلم أن ذلك لا يتم إلا بتوفيق الله تعالى وعونه، ولو وَكَلَكَ إلى نفسك لم تقدر على

أن تمحو أقل الرذائل، ولا أن تجلب أبسط الفضائل. وعلى كل عبد أن يبدأ في تقدّم أنواع المعاصي التي تغلب على مثل حاله، فلا يُفکر الأغنياء مثلاً في تجنب المعاصي التي تأتي من الفقر، ولا يتفرّك الفقراء في معاصي الأموال والأملاك، وعلى كلّ منا أن ينظر حاله وظروفه والمعاصي التي من الممكن أن يقع فيها ولا يشغل بغیرها.

واعلم أن التفكير في جلال الله وعظمته وكبرياته هو أعلى مقامات الفكر والتفكير.

قال بشر : **لَوْ تَفْكِرَ النَّاسُ فِي عَظَمَةِ اللَّهِ مَا عَصَوْا اللَّهَ تَعَالَى.** ولا تعرّض للتفكير في ذات الله سبحانه، فهذا مما لا تتحمّله العقول، لكن فكر في مقام الله وأقداره وسنته وعجائب صنعه وبدائع أمره في خلقه؛ لأنها تدلّ على جلاله وكبرياته وقدسيته وعلوّ شأنه تَعَالَى. ويقول أبو سليمان الداراني : **إِنِّي لَاخْرُجُ مِنْ مَنْزِلِي فَمَا يَقَعُ بَصَرِي عَلَى شَيْءٍ إِلَّا رَأَيْتُ اللَّهَ فِي نِعْمَةٍ وَلِي فِيهِ عِبْرَةً.**

وإياك أن تكون غافلاً عن التفكير، مشغولاً بيطنك وفريجك، ولا تعرف من نفسك إلا أن تجوع فتأكل، وتشبع فتتسلّم، وتشتهي فتُجتمع، وتغضب فتُقاتل، فالبهائم كلّها تشاركت في كل ذلك. وإنما كرامة الإنسان وتميزه بمعرفته الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والأرض وعجائب الآفاق والأنفس؛ حيث يدخل بها العبد في زمرة الملائكة المقربين، ويُحشر مع النبيين والصديقين والمُقرّبين من حضرة رب العالمين. وليس هذه المترلة للبهائم، ولا لإنسانٍ رضي من الدنيا بشهوات البهائم؛ فإنه شرٌّ من البهائم بكثيرٍ، كما بين القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿أَوْلَئِكَ الْأَغْنِمُ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَئِكَ هُمُ الْفَنَفُولُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. قال ابن القيم : إن أصل الخير والشرّ من قبل التفكير وأنفع الفكر ما كان في صالح الآخرة وطرق الوصول إليها، وفي دفع المفاسد وفي طرق اجتنابها.

يقول لقمان الحكيم : إن طول الوحدة أفهم للفكرة، وطول الفكر دليل على طريق الجنة. ولما سُئلت أم الدرداء: عن أفضل عبادة أبي الدرداء قالت: التفكير والاعتبار. وقيل: إن الحواريين قالوا العيسى ابن مريم الصلحة: يا روح الله، هل على الأرض اليوم مثلك؟ قال: نعم، من كان منطقه ذكراً، وصيانته فكراً، ونظره عبرة، فإنه مثلي.

وقال أبو سليمان : عَوْدُوا أَعْيُنُكُمُ الْبَكَاءَ، وَقُلُوبُكُمُ التَّفْكِيرُ. وقال أيضًا: الْفَكْرُ فِي الدُّنْيَا حِجَابٌ عَنِ الْآخِرَةِ وَعَقْوَبَةٌ لِأَهْلِ الْوَلَايَةِ، وَالْفَكْرُ فِي الْآخِرَةِ يُورِثُ الْحِكْمَةَ وَيُحَيِّي القلوبَ. وقال الحسن : مَنْ لَمْ يَكُنْ كَلَامُهُ حِكْمَةً فَهُوَ لَغُو (أي: كلام لا نفع فيه)، ومن لم يكن سكوتُه تفكراً فهو سهوٌ، ومن لم يكن نظرة اعتباراً فهو لهوٌ.

إن عبادة التفكير تورث الحكمة، وتحيي القلوب، وترى الصدور، وتورث الاعتبار والخشية من الله تعالى.

\* \* \*

## ١٠- بَابُ فِي الْمُبَادِرَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَحَثٌّ مِنْ تَوَجُّهِ لِخَيْرٍ عَلَى الإِقْبَالِ عَلَيْهِ بِالْجَدِّ مِنْ غَيْرِ تَرْدِدٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَاحَةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعَدَّتُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وأما الأحاديث:

(١٠) فال الأول: عن أبي هريرة رض: أن رسول الله صل قال: «بادروا بالأعمال فتنًا» (أي: أسرعوا إلى إثبات الأفعال الصالحة قبل فتن) كَفْطَعَ اللَّيْلَ الْمُظْلَمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبْيَعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ (أي: متاع دني) من الدنيا». رواه مسلم.

(١٠) الثاني: عن أبي سرعة رض: بكسر السين المهملة وفتحها - عقبة بن الحارث رض قال: صَلَّيْتُ وراءَ النَّبِيِّ صل بالمدينة العصر، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا، فَتَخَطَّى رَقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَّرِ نِسَائِهِ، فَفَزَعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَنَّهُمْ قَدْ عَجَبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ، قَالَ: «ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرِ عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْسَنَنِي فَأَمْرَتُ بِقِسْمَتِهِ». رواه البخاري.

وفي رواية له: «كُنْتُ خَلَقْتُ فِي الْبَيْتِ تِبْرًا مِنَ الصَّدَقَةِ فَكَرِهْتُ أَنْ يُبَيِّتَهُ». الْبَيْرُ: قطع ذَهَبٌ أوْ فِضَّةٌ.

(١٠) الثالث: عن جابر رض: قال: قال رجل للنبي صل يوم أحد: أرأيت إن قُتلت، فَأَيْنَ أَنَا؟ قال: فِي الْجَنَّةِ. فأَلْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ فِي يَدِهِ ثُمَّ قاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. متفق عليه.

(٩٠) الرابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلوات الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرا؟ قال: «أن تصدق وانت صحيحاً شحيحاً تخشى الفقر وتأمل الغنى (أي: تخشى ضياع المال تحسباً لطول العمر)، ولا ثمْهُل (أي: لا ترجي الصدقة وتؤخر أداءها) حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان». متفق عليه. (أي: قلت لفلان على صدقة، ولآخر صدقة، وقد أصبح المال لغيرك، أي للذي يرثك). الحلقوم: مجرى النفس. والمرىء: مجرى الطعام والشراب.

(٩١) الخامس: عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم أخذ سيفاً يوم أحد، فقال: «من يأخذ مني هذا؟». فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا، أنا. قال: «فمن يأخذ به حقه؟». فأحجم القوم، فقال أبو دجابة رضي الله عنه: أنا أخذته بحقه. فأخذه فقلق به هام المشركيَّن. رواه مسلم. اسم أبي دجابة: سماك بن خرشة. قوله: أحجم القوم; أي: توقيعه. وفالقي به; أي: شق. هام المشركيَّن; أي: روسهم.

(٩٢) السادس: عن الزبير بن عديٌّ، قال: أتينا أنسَ بن مالك رضي الله عنه فشكونا إلينه ما نلقى من الحجاج. فقال: «اصبروا؛ فإنه لا يأتي زمان إلاَّ والذِي يَعْدُ شرَّ مِنْهُ حَتَّى تلقوا رَبَّكم». سمعتهُ مِنْ نَبِيِّكم صلوات الله عليه وسلم. رواه البخاري.

(٩٣) السابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم قال: «بادروا بالأعمال سبعاً، هل تستظرون إلا فقراً مُنسِيَاً، أو غنِيًّا مُطْغِياً، أو مَرْضًا مُفْسِداً، أو هرماً مُفْنِداً (أي: الهرم: الكبير، والمراد: كبراً في السن يُبلغ إلى نقص العقل وسوء الفعل والخرف والهذاب)، أو موتاً مُجْهِراً، أو الدجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُتَظَّرُ، أو السَّاعَةَ فالسَّاعَةَ أَدْهَى وَأَمْرٌ». رواه الترمذى، وقال: (حديث حسن).

(٩٤) الثامن: عن عَنْهُ: أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم قال يوم خير: «لأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدِيهِ». قال عمر رضي الله عنه: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، فتساورت لها رجاءً أن أدعى لها، فدعا رسول الله صلوات الله عليه وسلم عليًّا بن أبي طالب رضي الله عنه فأعطاه إياها، وقال: «امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك». فسار على شيئاً ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله، على ماذا أقاتل الناس؟ قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله». رواه مسلم. قتساورت: هو بالسين المهملة؛ أي: وثبت متطلعاً.

## ١١- باب في المُجاهدة

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَهَدُوا فِي سَبِيلِنَا وَلِنَعْلَمَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُ رَبِّكَ حَتَّى يَأْنِيكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ وَتَبَّلَّ إِلَيْهِ تَبَّلِلاً﴾ [المزمل: ٨]؛ أي: انقطع إليه.

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلوة: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا نُقِيمُوا لِأَنْشِكُونَ خَيْرٌ تَحْدُوْهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَشْفَقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يُوَلِّ عَلِيهِمْ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

والآيات في الباب كثيرة معلومة. وأما الأحاديث:

(١١) فالاول: عن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله صل: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَنِي لِيَ وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَّالَ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أُحِبَّتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبَصِّرُ بِهِ، وَيَدُهُ الَّتِي يُبَطِّشُ بِهَا، وَرَجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلْنِي أَعْطِيَتُهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِذَنَهُ». رواه البخاري. «آذَنْتُهُ»: أعلمته بأني محارب له. «اسْتَعَاذَنِي»: روی بالنو وبالباء.

(١١) الثاني: عن أنس رض: عن النبي صل فيما يرويه عن ربه ع قال: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شَبِّرًا تَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبَتْ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَنْتَيْتُهُ هَرْوَلَةً (أي: مسرعاً) ». رواه البخاري.

(١١) الثالث: عن ابن عباس رض قال: قال رسول الله صل: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونُ فِيهِمَا (أي: خاسر فيهما) كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ». رواه البخاري.

(١١) الرابع: عن عائشة رض: أنَّ النَّبِيَّ صل كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَنَطَّرَ (أي: تششقق) قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَدُّا شَكُورًا؟». منقى عليه، هذا الفظ البخاري. ونحوه في الصحيحين من رواية المغيرة بن شعبة.

(١١) الخامس: عن عائشة رض أنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صل إِذَا دَخَلَ الْعَشْرَ أَحْيَا اللَّيْلَ،

وأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَ وَشَدَّ الْمِتْرَرِ. متفق عليه. والمراد: العشر الأواخر مِنْ شهر رمضان. وـالْمِتْرَرُ: الإزار، وَهُوَ كناية عن اعتزال النساء. وقيل: المراد: تَسْمِيرُهُ لِلِّعْبَادَةِ؛ يُقَالُ: شَدَدْتُ لِهَا الْأَمْرِ مِتْرَرِي، أي: تَشَمَّرْتُ وَتَغَرَّغَتُ لَهُ.

(١٠٠) السادس: عن أبي هريرة رض قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الْمُسْعِفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَنْقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرَ اللَّهُ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ». رواه مسلم.

(١٠١) السابع: عن عَنْهُ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**حُجَّبَتِ النَّارُ** بالشَّهْوَاتِ، وَ**حُجَّبَتِ الْجَنَّةُ** بِالْمَكَارِهِ». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «**حُجَّتْ** بدل **حُجَّبَتْ**»، وَهُوَ بمعناه، أي: بينه وبينها هَذَا الحجاب، فإذا فعله دخلها.

(١٠٢) الثامن: عن أبي عبد الله حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذاتَ لَيْلَةٍ فَأَفْتَسَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمَائِةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَسَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَسَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً (أي): غَيْرَ مُسْتَعِجِلٍ؛ إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعْوِذَ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيِ الْعَظِيمِ». فَكَانَ رُوكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ، رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ». ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيِ الْأَعْلَى». فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ. رواه مسلم.

(١٠٣) التاسع: عن ابن مسعود رض قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً، فَأَطَالَ الْقِيَامَ حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرٍ سُوءٍ! قيل: وما هَمَمْتَ بِهِ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدْعُهُ. متفق عليه.

(١٠٤) العاشر: عن أنس رض قَالَ: يَتَبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمْلُهُ، فَيَرْجِعُ أَثْنَانِ وَيَقْنَى وَاحِدُ: بِرْجُعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَقْنَى عَمْلُهُ». متفق عليه.

(١٠٥) الحادي عشر: عن ابن مسعود رض قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شَرِائِكَ نَعْلِهِ (أي: سير العل الذي يكون على ظهر الحداة)، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ». رواه البخاري.

(١٠٦) الثاني عشر: عن أبي فراس ربيعة بن كعب رض خادِم رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن أهل الصفة (أي: فقراء

المهاجرين ومن ليس له منزل، الذين يذهبون إلى موضع مُطلَل بمسجد المدينة ﷺ قال: كنتُ أئِيتُ مَعَ رسول الله ﷺ فاتَّيْهِ بِوَضُوئِهِ (أي: الماء الذي يتوضأ به) وَحاجَتِهِ، فَقَالَ: «سَلْنِي». فَقُلْتُ: اسْأَلْكَ مُرَافِقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَ: «أَوْغَيْرَ ذِلِّكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: «فَأَعِنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ». رواه مسلم.

(١١/١٠٧) الثالث عشر: عن أبي عبد الله، ويقال: أبو عبد الرحمن ثوبان - مولى رسول الله ﷺ قال:

سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ اللَّهَ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَ اللَّهُ بِهَا دَرْجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً». رواه مسلم.

(١١/١٠٨) الرابع عشر: عن أبي صفوان عبد الله بن بُشْرِ الأَسْلَمِيِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحُسْنَ عَمَلُهُ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن». بُشْرٌ: بضم الباء وبالسين المهملة.

(١١/١٠٩) الخامس عشر: عن أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر رضي الله عنه عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركيين، لئن الله أشهدهن قتال المشركيين ليりين الله ما صنع. فلما كان يوم أحد انكشف المسلمين، فقال: اللهم اعذر ليك مما صنع هؤلاء - يعني: أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني: المشركيين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر إنني أحذر ريحها من دون أحد. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع! قال أنس: فوجدنا به بضمها وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنها برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتلَ ومثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا اخته بينانه (أي: إصبعه). قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشبايه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [آل آخرها [الأحزاب: ٢٣]. متفق عليه. قوله: «لَيْرَبِّنَ اللَّهُ»: روی بضم الياء وكسر الراء؛ أي: لیظہرنَ اللَّهُ ذلِكَ للناس، وروی بفتحهما ومعناه ظاهر. والله أعلم.

(١١/١١٠) السادس عشر: عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنباري البدرى رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَّلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ كُنَّا نُحَامِلُ عَلَى ظُهُورِنَا، فَجَاءَ رَجُلٌ فَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالُوا: مُرَاءٌ (أي: يفعل هذا نفاقاً ورياءً)، وَجَاءَ رَجُلٌ آخَرُ فَتَصَدَّقَ بِصَاعَ، فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيَّ عَنْ صَاعِ هَذَا! فَنَزَّلَتْ: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَوَّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَحِدُّونَ إِلَّا جُهَدَهُم﴾ [التوبه: ٧٩]. متفق عليه، هذا لفظ البخاري.

وَنُحَامِلُ: بضم النون وبالحاء المهملة؛ أي: يحمل أحذنا على ظهره بالأجرة ويتصدق بها.

(١١/١١١) السابع عشر: عن سعيد بن عبد العزيز، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الحولاني، عن أبي ذر جندي بن جنادة رض: عن النبي ﷺ فيما يروي عن الله تبارك وتعالى، أنه قال: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا. يا عبادي، كلكم ضال إلا من هدته فاستهدوني أهديكم». يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي، كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم. يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضرونني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي، لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا على آنفني قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي، لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أfiber قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً. يا عبادي، لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط (أي: الإبرة) إذا دخل البحر. يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه». قال سعيد: كان أبو إدريس إذا حدث بهذا الحديث جنا على ركبتيه (أي: جلس على ركبتيه). رواه مسلم.

وروىينا عن الإمام أحمد بن حنبل : قال: ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث.

\* \* \*

## المجاهدة

**مجاهدة النفس:** هي محاربة النفس الأئمّارة بالسوء، وذلك بتحميلها ما يشُقُّ عليها من أوامر الشرع الحنيف، وترك المنهيات، حيث يحمل نفسه على المشاق البدنية ومعالفة الهوى، فيبذل المستطاع في أمر المطاع وهو المولى تعالى. وعليه أيضاً أن يكفّ نفسه عن رغبتها في الانشغال بغير الطاعة والعبادة.

**قال الغزالى :** قد انفق العلماء على أنه لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنهاي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات، فالإيمان بهذا واجب.

**وقال ابن بطال :** جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكبر، قال الله تعالى: ﴿وَآمَّا مَنْ

**خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهُوَى** ﴿٤٠﴾ **فَإِنَّ الْجُنَاحَةَ هِيَ الْمَأْوَى** ﴿٤١﴾ [الزلزلة: ٤٠، ٤١] فيمعن نفسه عن المعاصي والشبهات، ويمنعها أيضًا عن الإكثار من الشهوات المباحة؛ لئلا يعتاد ذلك، فقد يجره إلى الحرام.

قال أبو بكر رضي الله عنه في وصيّته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين استخلفه: إِنَّ أَوَّلَ مَا أَحْذَرْتُكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنَبَيْكَ.

وقال سفيان الثوري : ما عالجت شيئاً أشدّ علىّ من نفسي، مرةً لي ومرةً علىّ.

### أنواع النفس:

**النفس الأمارة**: وهي النفس التي تميل إلى لذات البدن والشهوات الحسية، فتجذب القلب بعيداً عن الجهة العلوية وهي الروح إلى الجهة السفلية وهي البدن؛ فهي مأوى الشرور ومنيع الأخلاق الذميمة، وهي التي يجب مجاહتها.

**والنفس اللوامة**: وهي النفس المتنورة بالإيمان، كلما صدرت منها سيئة بحكم الجلة والخلقة أخذت تلوم نفسها لترجع إلى الحق.

**والنفس الطمأنة**: وهي التي تمّ لها الإيمانُ والتور الكامل، فتركَت الصفاتِ الذميمة وتحلّت بالأخلاق الحميدة، كنفوس الأنبياء والصديقين.

**مراتب جهاد النفس**: قال ابن القيم : جهاد النفس على أربع مراتب:  
الأولى: مجاهدتها على تعلم الهدى ودين الحق.

الثانية: مجاهدتها على العمل به (أي: بالهدى ودين الحق) بعد علمه.

والثالثة: مجاهدتها على الدعوة إلى الحق.

والرابعة: مجاهدتها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق، وليتحمل ذلك كله الله. ثم قال: فإذا استكمل المسلم هذه المراتب الأربع صار من الرّبّانيين.

فإن السلف مجتمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربّانياً حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلّمه للناس، فمن علِمَ وعَمِلَ وعَلِمَ فذاك يُدعى عظيمًا في ملوك السموات.

وذلك تحقيقاً لما جاء في سورة العصر كما اشتهر عن الشافعى : عن قوله فيها: لو ما أنزل الله حجّة على خلقه إلا هذه السورة لـكفّتهم. أي: في بيان مراد الله الأعظم من الخلق.

قال عيسى عليه السلام: طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لم يعود غائب لم يره. وسأل أحدُهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن الجهاد؟ فقال: ابدأ بنفسك فجاهدها، وابداً بنفسك فاغزها. وعن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال: ثلث من جمعهن جمع الإيمان: الإنفاق من نفسه، والإنفاق من الإنفاق (أي: الإنفاق رغم قلة المال)، وبذل السلام للعالم (أي: السلام على العلماء). وقال إبراهيم بن علقمة : لقوم جاءوا من الغزو: قد جئتم من الجهاد الأصغر، مما فعلتم في الجهاد الأكبر؟ قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد القلب.

وقال الحسن : ما الدابة الجموح (أي: الدابة التي تعصي أمر صاحبها) بأحوج من اللجام الشديد من نفسك.

وقال ابن القيم : لا يُسيء الظن بنفسه إلا من عرفها، ومن أحسن الظن بنفسه فهو من أجهل الناس بنفسه.

وقال الغزالى : إن النفس عدو مُنازع يجب علينا مجahدتها.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْمَوْىٰ فَإِنَّ لَجْنَةَ هِيَ الْمَاوَىٰ﴾ [الزلزال: ٤١، ٤٠]. فالطريق إلى الجنة خطوتان: واحدة على النفس، والثانية إلى الجنة.

مجاهدة الشيطان: يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُوْنُ عَدُوٌ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ أَسْعِيرٍ﴾ [فاطر: ٦]. فهو العدو المبين للإنسان، ومن ثم وجبت مجاهدته تمهيداً لمجاهدة النفس في الداخل ومجاهدة الكفر والنفاق في الخارج، وتعني هذه المجاهدة مقاومة ما يأتي به الشيطان من الشبهات وما يزيّنه من الشهوات.

مراتب مجاهدة الشيطان: ولجهاد الشيطان - كما يقول ابن القيم : - مرتبات:

الأولى: جهاده ومقاومته على دفع ما يُلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك في أسماء الله وصفاته وأقداره وأفعاله وعدله وحكمته ورحمته.

الثانية: جهاده على ما يُلقي إليه من الرغبات الفاسدة والشهوات الدنيئة، فإذا جاهده

على الشبهات رزقه الله بعدها اليقين، وإذا قاوم شهواته رزقه الصبر؛ قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَرَّوا وَكَانُوا يَأْتِنَا لِوْقَنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

فيَّن سبحانه وتعالي أن شَرَفَ وإمامَةَ الدين إنما تُنال بالصبر واليقين؛ فالصبر يدفع الشهوات والرغبات والإرادات الفاسدة، واليقين يدفع الشكوك والشبهات.

ولما كان لا يخلو قلب من شهوةٍ وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات الشر المتشعبه عن الهوى فلا جرم ألا يخلو قلب من أن يكون فيه جولان بالوسوسة. ويقول النبي ﷺ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ شَيْطَانٌ). قالوا وأنت يا رسول الله؟ قال: (وَأَنَا إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُ إِلَّا بِخَيْرٍ) مسلم برقم (٦٩).

وهذا لأن الشيطان لا يمتلك على الإنسان إلا إذا تصرف بمقتضى الشهوة، فمن أعاشه الله تعالى على شهوته حتى صارت لا تهيج إلا عند حد الاعتدال الذي ينبغي له فهنا شهوته لا تدعو إلى الشر، فلا سبيل للشيطان عليه، فلا يأمر إلا بخير، فإذا غلب على القلب طلب الدنيا وذكرها وحب الهوى، وجد الشيطان ميدانًا له، وإذا غلب على القلب حب الآخرة وذكر الله، ارتحل الشيطان وجاء الملك وأهلهم الإنسان الخير، فالقلب الخالي من الهوى لا يدخله الشيطان كاليت الفارغ لا يدخله اللصوص، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عَبَادِي لَتَسَ لَّكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْفَاسِدِينَ ﴾ [الحجر: ٤٢].

فمن اتبع الهوى فقد عبد الهوى وما عبد الله فلذلك سلط الله عليه الشيطان، قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَبَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ [الجاثية: ٢٣]، فيه إشارة إلى أن الهوى إلهه ومعبد ف فهو عبد الهوى لا عبد الله. لذلك قال عمرو بن العاص رضي الله عنه للنبي ﷺ: يا رسول الله، حال الشيطان بيسي وبراءتي فقال: (ذلِكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ: حُزْبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتُهُ فَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَأَنْقُلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا) قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني. [رواوه مسلم].

ولا يعالج شيء إلا بضده، فذكر الله هو السبيل لطرد وساوس الشيطان، قال الله تعالى: ﴿ أَلَّذِينَ أَتَقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ كَلَّفَتْ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا إِذَا هُمْ مُبَصِّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، فهكذا التضاد بين النور والظلام والليل والنهار، قال الله سبحانه وتعالي:

﴿أَسْتَحْوِدُ عَلَيْهِمُ الْشَّيْطَنَ فَأَنْسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩]، وأخبرنا القرآن عن إبليس: ﴿قَالَ مِمَّا أَغْوَيْتِنِي لَا قَعْدَنَ لَهُمْ صِرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ ١٦﴾ ١٦ ﴿لَا تَرَسِّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِيلِهِمْ وَلَا تَمْجِدْ أَكْثَرَهُمْ شَكِيرِينَ ١٧﴾ [الأعراف: ١٧، ١٦].

ولهذا فإن الوقوف على خداع النفس ومكايد الشيطان هو فرض عين على كل مُكَلَّف، وهو للأسف علم أهمله الناس. ولا ينجو العبد من كثرة الوساوس التي ترد على خاطره فتؤثر على حواسه الخمس، إلا بالمحافظة على تلك الحواس من الانغماس في الشهوات وعلاقة الدنيا. وأما ما يأتي للإنسان من تصورات وتخيلات من باطنها فإنه لا يدفع ذلك إلا بذكر الله تعالى، وهكذا الصراع بين الشيطان والإنسان بالمجاهدة إلى الموت إذ لا يتخلص أحد من الشيطان ما دام حيًّا؛ فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلب العبد لا تغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيره ولا يستطيع دفع الشيطان إلا بحراسة هذه الأبواب.

قال رجل للحسن : : يا أبا سعيد، أينام الشيطان؟ فتبسم، وقال: لو نام لاسترنا.

ومع ذلك قال ابن مسعود رض: شيطان المؤمن مهزول.

وقال قيس بن الحجاج: قال لي شيطاني: دخلت فيك وأنا مثل الجَزُور (أي: الجمل الكبير) وأنا الآن مثل العصفور. قلت: ولم ذاك؟ قال: تذيني بذكر الله تعالى.

فحماية القلب عن وسواس الشيطان واجبة وهي فرض عين على كل عبد مكلَّف. وما لا يُتوصل إلى الواجب إلا به فهو أَيْضًا واجب، وذلك بمعرفة مداخل الشيطان، وهي أبواب كثيرة:

### **أعظم أبواب الشياطين:**

١ - الغضب والشهوة: وروي أن بعض الأولياء قال لإبليس: أرأني كيف تغلب ابن آدم؟ قال آخذه عند الغضب وعند الهوى.

وظهر إبليس لراهب فقال له الراهب: أي أخلاق بني آدم أعون لك؟ قال: الحدة - أي: الغضب - فإن العبد إذا كان حديداً قلبه كما يقلب الصبيان الكرة.

وقيل: إن الشيطان يقول: كيف يغلبني ابن آدم (أي: يستنكِر ذلك)؟ إذا رضي جئت حتى أكون في قلبه، وإذا غضب طرطحتي أكون في رأسه.

٢- الحسد والحرص: فحب الإنسان للشيء يعمي ويصم، فالحسد صار إبليس لعيناً وشيطاناً رجيمًا، وبالحرص أخرج آدم من الجنة لأنه حرث على الشجرة الممنوع منها.

٣- الشَّبَعُ مِنَ الطَّعَامِ وَإِنْ كَانَ حَلَالًا صَافِيًّا: ذلك أن الشبع يقوّي الشهوات، وهي أسلحة إبليس. وفي كثرة الأكل ستُ خصالٍ مذمومة: أن يذهب خوف الله من قلبه، وأن تذهب رحمة الخلق من قلبه؛ لأنَّه يظن أنهم كلهم شباع، وأنه يغفل عن الطاعة، وأنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له تأثيراً، وأنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس، وأنه يهيج فيه الأمراض.

٤- حب التزيين من الأثاث والثياب والدار: حيث يجره الشيطان إلى أن يُسخر نفسه طول عمره في التزيين، إما في الدار وإما في الثياب وإما في الأثاث، فلا يزال يتنتقل من شيءٍ لآخر حتى يُساق لأجله كما قال النبي ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقطِيفَةِ، وَالخَمِيسَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَّ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضِ». [رواية البخاري برقم (٢٨٨٦)]. فيخشى من ذلك سوء العاقبة.

٥- الطمع في الناس: فمن طمع في دنيا الناس بالمباغة تزين لهم وتصنع مراءياً حتى صار كأنه عبد للناس، فيتودد ويتحبب للناس، فيداهن ويرائي، وقد يترك في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا يغضب الناس منه.

وروى صفوان بن سليم: أن إبليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال له: يا ابن حنظلة، احفظ عندي شيئاً أعلمك به. فقال: لاحاجة لي به. فقال: انظر، فإن كان خيراً أخذت، وإن كان شراً رددت. يا ابن حنظلة، لا تسأل أحداً غير الله سؤال رغبة (أي: بذلة ومسكنة)، وانظر كيف تكون إذا غضبت فإني أملكك إذا غضبت.

## ٦- العجلة وترك التثبت في الأمور: قال النبي ﷺ: «العجلة من الشيطان والثانية من الله تعالى».

أبو يعلى الموصلي في مسنده برقم (٤٢٥٦)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (١٧٩٥). وقال الله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَنُ مِنْ عَجَلٍ سَأْوَرِيكُمْ إِيمَّتِي فَلَا سَتَعْجِلُونَ﴾ [آل عمران: ٣٧]. وقال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَنَ إِلَى سَرِّ دُعَاءِهِ بِالْحَيْثِ وَكَانَ إِنْسَنٌ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١]. حتى إنه قال للنبي ﷺ: ﴿فَعَلَّمَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْضِيَ إِلَيْكَ وَحْيَهُ وَقُلْ رَبِّ زَدْ فِي عِلْمَكَ﴾ [طه: ١١٤].

ذلك لأن الأعمال يجب أن تكون بعد التبصر في العواقب والتأمل فيها والتعجل يمنع ذلك. وقد قال الشيطان لأعوانه: اتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة.

## ٧- الدرارهم والدنانير وسائر الأموال: قال الله تعالى: ﴿رِزْقُنَّ لِلنَّاسِ حُبُّ الْشَّهَوَاتِ مِنْ النَّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنَّطَرَةِ مِنَ الدَّهَرِ وَالْفَضْكَةِ وَالْغَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْقَمَةِ وَالْحَرْبَثِ ذَلِكَ مَتَكِّعُ الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا وَاللَّهُ عَنْهُدُ هُنَّ مُغَابِرُ﴾ [آل عمران: ١٤]. ذلك أنه لما بعث الله نبيه محمدًا ﷺ وقال أعوان إيليس له: ما صحبنا قوماً قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فيمحى ذلك- قال لهم إيليس: رويداً بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فنصيب منهم حاجتنا.

ولهذا قال رسول الله ﷺ محدراً: «أَبْشِرُوا وَأَمْلِوا مَا يُسْرُكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلِكُنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسْطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتُهُمْ». فما زاد على قدر الحاجة وهو أمر نسيبي فهو المستهدف للشيطان. متفق عليه: البخاري برقم (٤٠١٥)، ومسلم برقم (٢٩٦١).

## ٨- البخل وخوف الفقر: فالبخل وخوف الفقر يمنعان ابن آدم الإنفاق ويدعوانه للكتنِ وعذابه معلوم، ويقول الشيطان: ما غلبني ابن آدم فلن يغلبني على ثلاث: أن أمره أن يأخذ المال من غير حقه، وإنفاقه في غير حقه، ومنعه من حقه.

وقال سفيان : ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر، فإذا قُبِلَ ذلك منه أخذ في الباطل، ومنع من الحق، وتتكلم بالهوى وظن بربه السوء.

ومن مصائب ذلك ملازمة الأسواق لجمع المال فهي مجالس الشيطان.

#### **٩- التعصب للأهواء والأراء والمذاهب والحقد على الخصوم والنظر إليهم بعين**

**الازدراء والاستهقار:** وهذه صفة شيطانية، فترى الناس يتعصبون لآرائهم أو مذاهبيهم فيخر جهم ذلك عن حد الاعتدال وترى الفساق يعيشون في الأرض الفساد ويقولون: نحن نحب فلاناً وفلاناً من الصالحين، ويخليل إليهم أنهم إذا ماتوا محبين للصحابة أبي بكر وعمر وعلي بالذات، فإن ذلك شفيع لهم بدون أعمال صالحة، وذلك كمن أخذ يضرب ابنًا عزيزًا على أبيه وأمه ويمزقه ويتفت شعره ويقطعه ويُدعى حب أبيه وأمه وولاه لهما وهو هو النبي ﷺ يقول لفاطمة وهي بضعة منه: «اعملني؛ فإني لا أُغنى عنك من الله شيئاً». البزار في مسنده برقم (٢٩١٩)، والشجري في الأمالي الخاميسية برقم (١٤٧٨). وهذا مما يحدث في التعصب للمذاهب حتى إنه يشغل الإنسان عن تزكية وصلاح نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس.

**قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:** جلس قوم يذكرون الله، فأتاهم الشيطان ليفرقهم فما استطاع، فأتى رفقة (أي: مجموعة) من الناس يتحدثون في الدنيا فأفسد بينهم، فقاموا يقتلون فقام الذين يذكرون الله ليفصلوا بينهم، وهذا هو مراد إبليس.

**١٠- حمل العوام على التفكير في ذات الله وصفاته وليسوا بأهل علم، وذلك حتى يشككهم في الدين أو يُوقعهم في خيالات يصيرون بها كفارًا دون أن يدرروا ظانين أنها المعرفة وال بصيرة.** قال النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَكَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَإِذَا وَجَدَ أَحَدَكُمْ ذَلِكَ فَلِيقلْ: آمَنْتَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَإِنْ ذَلِكَ يَذْهَبُ عَنْهُ». مسلم برقم (٢١٢).

لهذا قال العلماء: إن العوام عليهم أن يؤمّنوا ويُسلِّمُوا ويشتغلوا بالعبادات والمعايش ويتركوا هذا العلم للعلماء فإن من تكلم في هذا بغير علم قد يقع في الكفر من حيث لا يدري.

**١١- سوء الظن بال المسلمين:** إن سوء الظن يبعث على الحكم بالشر على الآخرين فيجرّه ذلك إلى الغيبة أو التقصير في حقه أو النظر له بالاحتقار، وكل ذلك من المهلكات،

قال النبي ﷺ: **«إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»**. [متفق عليه: البخاري برقم (٢٠٣٨)، مسلم برقم (٢٣)]. فمهما يكن الإنسان ورعاً لا ينظر الناس إليه بعين الرضا فقط.

قال يحيى بن معاذ : **«أعداء الإنسان ثلاثة: دنياه، وشيطانه، ونفسه؛ فاحترس من الدنيا بالزهد فيها، ومن الشيطان بمخالفته، ومن النفس بترك الشهوات.**

\* \* \*

## ١٢- باب الحث على الأزيد من الخير في أواخر العمر

قال الله تعالى: **«أولئك عِمرُكُمْ مَا يَنَذَّكِرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاهَ كُمُّ النَّذِيرِ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ** [فاطر: ٣٧].

قال ابن عباس والمحققون: معناه أولئك عمركم سنتين سنة؟ ويؤيد الحديث الذي سنذكره إن شاء الله تعالى. وقيل: معناه ثمانى عشرة سنة، وقيل: أربعين سنة، قاله الحسن والكلبي ومسروق، ونقل عن ابن عباس أيضاً. ونقلوا أن أهل المدينة كانوا إذا بلغ أحدهم أربعين سنة تفرغ للعبادة، وقيل: هو البلوغ.

وقوله تعالى: **«وَجَاهَ كُمُّ النَّذِيرِ** [فاطر: ٣٧]، قال ابن عباس والجمهور: هو النبي ﷺ، وقيل: الشّيّب، قاله عكرمة وابن عبيدة وغيرهما. والله أعلم.

وأما الأحاديث:

(١٢/١١٢) فالاول: عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «أعذر الله إلى امرئ آخر أجله حتى بلغ سنتين سنة». رواه البخاري.

قال العلماء: معناه لم يترك له عذر إلا أمهله هذه المدة. يقال: أعذر الرجل إذا بلغ الغاية في العذر.

(١٢/١١٣) الثاني: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر رضي الله عنه يدخلني مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وجد (أي: حزن وغضب) في نفسه، فقال: لِمَ يَدْخُلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءُ مِثْلُهُ؟! فقال عمر: إنَّهُ مَنْ حَيَثُ عَلِمْتُمْ! فدعاني ذات يوم فأدخلني معهم فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريحهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: **«إِذَا جَاءَهُ نَصَرُ اللَّهِ**

**الفتح ①** [النصر: ١]؟ فَقَالَ بعضاً مِّنْهُمْ: أُمِرْنَا أَن نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نَصَرَنَا وَفَتَحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بعضاً مِّنْهُمْ قَلَمْ يَقُلُ شَيئاً. فَقَالَ لِي: أَكَذِّلَكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لَا. قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجْلُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْلَمُهُ لَهُ، قَالَ: هُوَ إِذَا جَاءَهُ نَصْرًا اللَّهُ وَالْفَتْحُ ① [النصر: ١] وَذَلِكَ عَلَمَةُ أَجْلِكَ فَسَيِّعْ مُحَمَّدَ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا ② [النصر: ٣]. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ. رواه البخاري.

(١٢ / ١١٤) الثالث: عن عائشة ـ قالت: ما صلَّى رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَلَوةً بَعْدَ أَنْ نَزَّلْتُ عَلَيْهِ هُوَ إِذَا جَاءَهُ نَصْرًا اللَّهُ وَالْفَتْحُ ① [النصر: ١] إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: «سُبْحَانَكَ رَبِّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي». متفق عليه.

وفي رواية في الصحيحين عنها: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ.

معنى: **يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ** أي: يعمل ما أمر به في القرآن في قوله تعالى: **فَسَيِّعْ مُحَمَّدَ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا ③** [النصر: ٣].

وفي رواية لمسلم: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ». قَالَتْ عائشة: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَرَاكَ أَحْدَثَتْهَا تَقُولُهَا؟ قَالَ: «جَعَلْتُ لِي عَلَمَةً فِي أُمَّتِي إِذَا رَأَيْتُهَا قُلْتُهَا: هُوَ إِذَا جَاءَهُ نَصْرًا اللَّهُ وَالْفَتْحُ ① ...» إلى آخر السورة.

وفي رواية له: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهِ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ». قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَاكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهِ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ: «أَخْبَرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَمَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهِ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَدْ رَأَيْتُهَا: هُوَ إِذَا جَاءَهُ نَصْرًا اللَّهُ وَالْفَتْحُ ① ... وَرَأَيْتُ أَنَّ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَيِّعْ مُحَمَّدَ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا ③ [النصر: ١ - ٣].

(١٢ / ١١٥) الرابع: عن أنس ـ قال: إِنَّ اللَّهَ وَجْهَكَ تَابَعَ الْوَحْيَ (أي: أَنْزَلَهُ كَثِيرًا) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامِ قَبْلَ وَفَاتِهِ حَتَّى تُوْفَى أَكْثَرَ مَا كَانَ الْوَحْيُ. متفق عليه.

(١٢ / ١١٦) الخامس: عن جابر ـ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يُيَعُثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ». رواه مسلم.

### ١٣- باب في بيان كثرة طرق الخير

قال الله تعالى: ﴿وَمَا نَفَعُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يُعْلِمُ﴾ [٢١٥] (٢١٥).

وقال تعالى: ﴿وَمَا نَفَعُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ [١٩٧] (١٩٧).

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [٧] (٧) (الزلزال: ٧).

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَانْفَسِهِ﴾ [١٥] (١٥) (الجاثية: ١٥).

والآيات في الباب كثيرة.

وأما الأحاديث فكثيرة جدًا، وهي غير منحصرة، فنذكر طرفاً منها:

(١١٧) الأول: عن أبي ذرٌ جندب بن جنادة رض قال: قلتُ: يا رسول الله، أئُ الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان بالله، والجهاد في سبيله». قلتُ: أئُ الرقاب أفضل؟ قال: «أنفسها (أي: أفضلها) عِنْدَ أهْلِهَا وَأَكْثُرُهَا ثَمَنًا». قلتُ: فإن لم أفعُل؟ قال: «تُعِينُ صَانِعًا، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ». قلتُ: يا رسول الله، أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: «تُكْفُ شَرَكَ عَنِ النَّاسِ؛ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ». متفق عليه.  
الصانع بالصاد المهملة هـا هو المشهور، روي صائعا بالمعجمة؛ أي: ذات صياع من فقر أو عيال ونحو ذلك. والأخرق: الذي لا يتحقق ما يحاول فعله.

(١١٨) الثاني: عن أبي ذرٌ أيضًا رض قال: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامٍ مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِي مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الصَّحَّى». رواه مسلم. السلامي: بضم السين المهملة وتحقيق اللام وفتح الميم: المفصل.

(١١٩) الثالث: عنه رض قال: قال النبي صل: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنَهَا وَسَيِّدَهَا فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذْيَى يُمَاطُ (أي: يُزال) عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِيِّ أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ (أي: النخاع: ما يخرجه الإنسان من حلقه من البلغم) تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ». رواه مسلم.

(١٢٠) الرابع: عنه رض: أنَّ نَاسًا قالوا: يا رسول الله، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّنْوَرِ (أي: أصحاب

**(الأموال)** بالأُجور، يصلونَ كَمَا نُصْلِي، ويصوّرونَ كَمَا نُصْوِمُ، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: «أَوْلَئِسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ بِهِ: إِنَّ بَكْلُ تَسْبِيحَةً صَدَقَةً، وَكُلُّ تَكْبِيرَةً صَدَقَةً، وَكُلُّ تَحْمِيدَةً صَدَقَةً، وَكُلُّ تَهْلِيلَةً صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةً، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةً، وَفِي بُضُعِ أَحَدِكُمْ (أي: معاشرة أحدكم زوجته) صَدَقَةً». قالوا: يا رسول الله، أيأتيَ أَحدُنَا شهوةً وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قال: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامِ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ». رواه مسلم. **(الدُّخُور)**: بالثاء المثلثة للأموال، وَاحِدُهَا «دُخُور».

**(١٢١ / ١٢١)** الخامس: عنْهُ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَحْقِرُنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ». رواه مسلم.

**(١٢٢ / ١٢٢)** السادس: عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رض قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صل: «كُلُّ سُلَاقَى (أي: مفصل) مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطَلُّعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ الْأَثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَائِرَتِهِ، فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَةً صَدَقَةٌ، وَالْكَلْمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمْيِطُ الْأَذَى عَنِ الْطَّرِيقِ صَدَقَةٌ». متفق عليه.

ورواه مسلم أيضاً من رواية عائشة رض قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صل: «إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمَائَةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَرَ اللَّهُ، وَحَمِدَ اللَّهُ، وَهَلَّ اللَّهُ، وَسَبَّحَ اللَّهُ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهُ، وَعَرَّأَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شُوَكَةً، أَوْ عَظِيمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ أَمْرَ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيَ عَنْ مُنْكَرٍ، عَدَدُ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِمَائَةِ، فَإِنَّهُ يُمْسِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ رَحَّزَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ».

**(١٢٣ / ١٢٣)** السابعة: عنْهُ: عن النَّبِيِّ صل قَالَ: «مَنْ غَدَا (أي: ذهب) إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعْدَ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ». متفق عليه. **النُّزُول**: القُوتُ والرُّزُقُ وَمَا يُهِبُّ لِلضَّيْفِ.

**(١٢٤ / ١٢٤)** الثامن: عنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صل: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرْنَ حَارَةً لِحَارَتِهَا وَلَوْ فِرِسْنَ شَاءِ». متفق عليه. **الجوهري**: **الغُرْسُونُ مِنَ الْعَيْرِ كَالْحَافِرِ مِنَ الدَّاهِيَةِ**. قَالَ: وَرَبَّا اسْتُعِيرَ فِي الشَّاءِ.

**(١٢٥ / ١٢٥)** التاسع: عنْهُ: عن النَّبِيِّ صل قَالَ: «الإِيمَانُ بِضُعْ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضُعْ وَسُتُونَ - شُبْعَةً: فَأَفْضَلُهَا قَوْلٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدَنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الْطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُبْعَةٌ مِنَ

**الإيمان**». متفق عليه. **«البضم»**: مِنْ ثَلَاثَةِ إِلَىْ تِسْعَةِ بَكْسِرِ الْبَاءِ، وَقَدْ تُفْتَحُ. و **«الشعبة»**: القطعه.

(١٢٦) العاشر: عنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَبْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطْشُ، فَوَجَدَ بَئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرَبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كُلْبٌ يَلْهُثُ يَأْكُلُ التَّرَابَ مِنَ الْعَطْشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكُلْبُ مِنَ الْعَطْشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِي فَنَزَلَ الْبَئْرُ فَمَلَأَ حُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّىٰ رَقِيَ، فَسَقَى الْكُلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ». قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: «فِي كُلِّ كَيدِ رَطْبَةٍ أَجْرٌ». متفق عليه. وَفِي رِوَايَةِ لِبْخَارِيٍّ: «فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ، فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ».

وَفِي رِوَايَةِ لَهُمَا: «يَبْنَمَا كُلْبٌ يُطِيفُ بِرَكَّيَةَ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطْشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغْيٌ (أي: فاجرة زانية) مِنْ بَغَائِيَّةِ إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوْقَهَا فَاسْتَقْتَلَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَتْهُ فَغُفرَ لَهَا بِهِ».

**«الْمُوقُ**»: **الْخُفُّ** و **«الْيُطِيفُ»**: يَدُورُ حَوْلَ. **«رَكَّيَةَ»**: وَهِيَ السُّرُّ.

(١٢٧) الحادي عشر: عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ (أي: ينعم وينذهب حيث يشاء) فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهَرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤَذِّي الْمُسْلِمِينَ». رواه مسلم. وَفِي رِوَايَةِ: «مَرَّ رَجُلٌ بِعُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهَرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُنْهِيَنَّ (أي: أبعده عن طريقهم) هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيَهُمْ. فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ».

وفي رواية لهما: «يَبْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ عُصْنَ شَوِكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخْرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ».

(١٢٨) الثاني عشر: عنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ عُفْرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ وَزِيَادَةً ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الْحَصَاصَا فَقَدْ لَغَ». رواه مسلم.

(١٢٩) الثالث عشر: عنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ، أَوِ الْمُؤْمِنُ فَعَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيَّةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعِينِيهِ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيَّةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيَّةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخرِ قَطْرِ الْمَاءِ حَتَّىٰ يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الدُّنُوبِ». رواه مسلم.

(١٣٠) الرابع عشر: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ قَالَ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفَّرَاتٌ لِمَا بَيْتَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبْتُمُ الْكَبَائِرِ». رواه مسلم.

(١٣١) الخامس عشر: عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: «أَلَا أَدْلُكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ (أَيِّ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ: إِتَّمامُهُ، وَالْمَكَارَهُ تَكُونُ بِشَدَّةِ الْبَرْدِ وَأَلْمِ الْجَسْمِ وَنَحْوِ ذَلِكِ)، وَكُثْرَهُ الْخُطَطِيِّ إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذِلِكُمُ الرِّبَاطُ (أَيِّ: الرِّبَاطُ الْمُرْغَبُ فِيهِ، وَالرِّبَاطُ حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى الطَّاعَاتِ الْمُشْرُوعَاتِ)». رواه مسلم.

(١٣٢) السادس عشر: عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: «مَنْ صَلَّى الْبَرَدِينَ دَخَلَ الْجَنَّةَ». متفق عليه. البردان: الصُّحُفُ والعصرُ.

(١٣٣) السابع عشر: عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: «إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا». رواه البخاري.

(١٣٤) الثامن عشر: عن جابر بن عبد الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ». رواه البخاري، ورواه مسلم من رواية حذيفة.

(١٣٥) التاسع عشر: عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلَا يَرْزُوُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ». رواه مسلم. وفي رواية له: «فَلَا يَغْرِسُ الْمُسْلِمُ غَرْسًا قَيْأُكَلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا طَيرٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وفي رواية له: «لَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا، وَلَا يَزَرِعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً». ورويابه جميماً من رواية أنس.

قوله: «بِرَزُوقُهُ أي: ينفقه.

(١٣٦) العشرون: عَنْهُ قَالَ: أَرَادَ بْنُو سَلِمَةَ أَنْ يَتَقْلِلُوا قَرْبَ الْمَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ لَهُمْ: «إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْتَقْلُوا قُربَ الْمَسْجِدِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ. فَقَالَ: «إِنِّي سَلِمَةٌ، دِيَارُكُمْ، تُكْتَبُ آثَارُكُمْ، دِيَارُكُمْ تُكْتَبُ آثَارُكُمْ». رواه مسلم. وفي رواية: «إِنَّ بِكُلِّ خَطْوَةٍ دَرَجَةً». رواه مسلم، رواه البخاري أيضاً معناه من رواية أنس.

و«بَنُو سَلِمَةَ بكسر اللام: قبيلة معروفة من الأنصار.

و«آثَارُهُمْ: خطائهم.

(١٣٧) الحادي والعشرون: عن أبي المتندر أبى بن كعب رضي الله عنه قال: كَانَ رَجُلٌ لَا أَعْلَمُ رَجَلًا أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَ لَا تُخْطِهُ صَلَاةٌ، فَقَيْلَ لَهُ أَوْ قُتْلُ لَهُ: لَوْ اشْتَرَتْ حِمَارًا تَرَكَهُ فِي الظَّلَمَاءِ وَفِي الرَّمَضَاءِ؟ فَقَالَ: مَا يَسِّرُنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ؛ إِنِّي أَرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه. قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ». رواه مسلم.

وفي رواية: «إِنَّ لَكَ مَا احْتَسِبْتَ». الرمضان: الأرض التي أصاها حر الشديد.

(١٣٨) الثاني والعشرون: عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه: «أَرْبَعُونَ حَصْلَةً: أَعْلَاهَا مَيْحَةُ الْعَزِيزِ، مَا مِنْ عَالِمٍ يَعْمَلُ بِحَصْلَةٍ مِنْهَا، رَجَاءُهُ تَوَابَهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعِدِهَا إِلَّا دُخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الْجَنَّةَ». رواه البخاري.

الميحة: أَنْ يُعْطِيهِ إِيَّاهَا لِيَأْكُلَ لَبَنَهَا نَمْ يُرَدَّهَا إِلَيْهِ.

(١٣٩) الثالث والعشرون: عن عَدَيْ بْنِ حَاتَمٍ رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشَقٍّ (أي: نصف) تَمَرَّةً». متفق عليه.

وفي رواية لهما عنده قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيْكَلُمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ (أي: واسطة أو مترجم)، فَيَنْظُرُ إِيمَانَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشَأْمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدِيهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقاءَ وَجْهِهِ، فَانْقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشَقٍّ تَمَرَّةً، فَمَنْ لَمْ يَحْدُ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةً».

(١٤٠) الرابع والعشرون: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا». رواه مسلم.

والأكلة بفتح المهمزة، وهي: الثَّنَوْةُ أو العَشْوُةُ.

(١٤١) الخامس والعشرون: عن أبي موسى رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ». قال: أرأيت إن لم يجد؟ قال: «يَعْمَلُ بِيَدِيهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ». قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «يُعِينُ دَائِرَةَ الْمَلْهُوفَ». قال: أرأيت إن لم يستطع، قال: «يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوِ الْخَيْرِ». قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: «يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ». متفق عليه.



## (كثرة طرق الخير)

ذكر ابن عبد البر في كتابه «التمهيد»: كتب العمري العابد إلى الإمام مالك رسالتاً يحضنه فيها على الانفراد والعمل واعتزال الناس، وألا يشغل بتعليمهم ودعوتهم (أي: العزلة عن الناس ظناً منه أنه أفضل وأخلص لله)، فرد عليه الإمام مالك : إن الله تعالى قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فربَّ رجل فتح له في الصلاة (أي: في صلاة التوافل وقيام الليل) ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصيام، وآخر فتح له في الجهاد ولم يفتح له في الصلاة. ونشر العلم وتعليمه من أشرف أعمال البر، وقد رضي بهما فتح الله عزّل على فيه من ذلك، وما أظن ما أنا فيه بدون (أي: بأفل) مما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خيرٍ وبرٍ، ويجب على كلٍّ منا أن يرضى بما قسم له، والسلام.

إن الاختلاف الفطري في البشر وكذلك التباين في التكوين النفسي والميول والأمزجة والطبعات أمر طبيعي في الناس، ولكل حقه في هذا التنوع.

فهناك من يفضل المخالطة مع الناس والاجتماع إليهم والتحبب لهم، ويرى الآخر تفضيل العزلة والانفراد.

وبعضهم يميل إلى التواضع والسوء في الهيئة والحال، من المسكن والملابس والمطعم، ويميل غيره إلى حب التجمُّل والتزيين في حدود ما أحلَّ الله تعالى.

وتجد البعض يميل إلى الورع والحيطة في أمره. ويتجه الآخر إلى التوسيعة على الناس، ويأخذ في اعتباره الأعذار والحاجة والضرورة.

وهكذا يكون الناس، فمنهم الأصحاب الكرام، والتابعون، والأئمة، وقادة الناس وعواصمهم.

وكان عمر بن عبد العزيز يقول: ما يسرني أن أصحابَ محمد ﷺ لم يختلفوا؛ لأنَّهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة (أي: لم تكن هناك الرخص الشرعية في العبادات والمعاملات).

وقد طلب أبو جعفر المنصور : من الإمام مالك : اعتماد مذهبه فقط وتعيميه في كل أمصار الدولة العباسية وتترك ما سواه من المذاهب، فطلب منه الإمام مالك ألا

**يفعل ذلك قائلاً: إن الناسَ سيقت إلَيْهم أقاوِيلُ وسمعوا أحاديثَ ورُووا رواياتٍ، فدعِ الناسَ وما هم عليه وما اختار أهْلُ بلدِهِ منهم لأنفسهم.**

إن الاختلافُ والتنوعُ أمرٌ حتميٌ لا سبيلٌ إلى تجاوزه أو إلغائه، مع الاتفاق على الحبِّ والمودة؛ فإن الاختلافَ في الرأي لا يفسد لللُّوْدِ قضيةً.

**فكان أبو حنيفة :** أميل إلى الفقه، وكان **أحمد بن حنبل** أميل إلى الحديث، ومالك والشافعي رحمهما الله - وإن كانا معدودين في مدرسة الحديث - فإن لهما بصراً ونظرًا في الفقه قل نظيره. **وكان الشافعي :** يقول: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

إن كثرة طرق الخير وتعدد أنواع الطاعات بحسب الطبع وبحسب الأماكن والظروف لهو سمة هذا الشرع الحنيف. فمن أراد حمل الناس على طريق واحدٍ من نوع الطاعات فيه عُسرٌ ومشقة قد غفل عن تفاوت طبائع الناس واختلاف ظروفهم وإمكاناتهم.

فكان الإمام أحمد بن حنبل : يميل إلى الزهد والتقشف والبساطة والتواضع في الملبس والمسكن والمطعم، وقد روي في مناقبه: أنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلَ كَانَ يَرْهَنُ نَعْلَهُ عِنْدَ خَبَازٍ عَلَى طَعَامٍ أَخْذَهُ مِنْهُ، وَيَاعُجَّبَتْهُ (أي: عباءته) مَرَّةً لِيُطْلَبْ طَعَاماً لَهُ.

وذكر أن الإمام أحمد : قد أرسل حداءً مرة ليصلحه عند الإسكافي الذي يصلح الأحادية، وكان قد لبسه سبع عشرة سنةً، وفيه خمسة مواضع من الرّتوق والتّصليح ظاهرة للعيان. وأما الإمام مالك : فكان يعني بثيابه أتم العناية، ويعتبر ذلك من تعظيم العلم ورفع قدر العالم، ويقول: إن من مروءة العالم أن يختار الثوب الحسن يرتديه ويظهر به، وإنه لا ينبغي أن تراه العيون إلا بكمال الشياب حتى العمامة الجيدة.

وكان يلبس أغلى الثياب وأجودها وأجملها منظراً من الثياب العدنية الحديثة آنذاك، نسبة إلى عدن باليمن، والملاسers الخ اسانية نسبة إلى خراسان، والمصرية غالياً الشمن.

وروى بشر بن الحارث: أنه دَخَلَ عَلَى الإِمَامِ مَالِكٍ فَرَأَى عَلَيْهِ طَيْلَسَانًا (أي: غطاء يلبس على الرأس والكتفين) يُساوِي حَمْسَمِائَة، وقد وَقَعَ طَرْفَا الطَّيلِسانِ عَلَى عَيْنِيهِ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِالْمُلُوكِ.

وكان مالك : لا يُحب الصوف الغليظ ويقول: لا خير في لباسه إلا في سفر؛ لأنَّه لباس شهرة. حيث كان في زمانه يعني تظاهراً بالزهد، ثم قال: وإنَّه لقيح بالرجل أنْ يُعرف دينه بلباسه.

وقد نَقل الإمام مالك رضي الله عنه عن فقهاء المدينة حِرصَهم على الشِّيَاب الحسنة، فقال: ما أَحَبْ لَأَحَدٍ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَّا وَيُرَى أَتْرُّ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَخَاصَّةً أَهْلَ الْعِلْمِ، يَنْبَغِي أَنْ يُظْهِرُوا مِرْوِعَتِهِمْ فِي شِيَابِهِمْ إِجْلَالًا لِلْعِلْمِ.

بل كان يكره الثوب الحَقَّ القديم ويعيب لُبسه. روى الذهبي : عن الإمام مالك : كان من الكباء السعداء، والصادفة العلماء، ذا حشمة وتجمل وعيده ودار فاخرة، ونِعْمَةٌ ظاهرة ورَفِعةٌ في الدنيا والآخرة، وكان يقبل الهداية ويأكل طيباً ويعمل صالحاً.

وذكر ابن أبي أُويس : بَيْعَ مَا فِي مَنْزِلِ مَالِكٍ يَوْمَ مَاتَ مِنْ بَرَادَعَ (أي: جمع برادة)، وهي ما يوضع على الحمار أو البغل ليُركَب عليه) وبُسْط (أي: فُرش) ومَخَادَ (أي: جمع مَخَادَة) محسنة بريشٍ وغير ذلك بما يَنْتَفِ (أي: يزيد) على خمسِمائة دينارٍ، وقد أحصى ما تَرَكَ فُوجِدَ خمسَمائَة زوج من النَّعل، ومائة عمامة، وترَكَ من الذهب والفضة ألفين وتسعمائة وتسعين وعشرين ديناراً وألف درهم.

ولنذكر قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ كُلُّوا مِنَ الطَّيَّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَلِحَّاتٍ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقول رسول الله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُرَى أَتْرُّ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ [أحمد في (مسنده) ٢/٣١١، برقم ٩٠٩٢)، حسن الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث ١٨٨٧].

فمن الخطأ أنْ يُعبَدُ العالمُ بعناه، أو يُعبَدُ بحسن مظهره، وكان المؤسس علامَة التقوى، **فِإِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ**. مسلم برقم (٩١).

وكان الشافعى وأبو حنيفة أميل لطريقة الإمام مالك رحمهم الله جميعاً.

ومن الناس من يميل بطريقه إلى حب الأشياء المستحسنة والاستمتاع بها، ومنهم من هو أميل إلى الزهد والتبذل.

وأما حديث النبي ﷺ حينما ذَكَرَ أَصْحَابَهُ يَوْمًا عِنْدَ الدُّنْيَا، فَقَالَ مُنْبَهًا لَهُمْ: **إِنَّ الْبَذَادَةَ** (أي: سوء الهيئة) **مِنَ الْإِيمَانِ** [أبو داود برقم (٤٦٦١)، صحيح الألباني (صحيح الجامع الصغير)]

حديث (٢٨٧٩)، فالحديث محمول على أن التبسط في الملبس والمأكل لمن لا يقدر، أو لمن يكون طبعه إليه أميل مع حرصه على النظافة في الطهارة، وحتى في الشهرة فمن الناس من تفسده الشهرة وتضرره، ومنهم من لا تزيده إلا خيراً ونفعاً للأمة، مع فهمه لنفسه ومعرفته بها بعدم اغترار.

وقد قال النبي ﷺ لأبي ذرٍ رضي الله عنه حينما سأله أن يتولى إماراة أو ولاية: «يا أبا ذرٍ، إني أراك ضعيفاً، وإنني أحب لك ما أحب لنفسِي، لا تأمرنَّ عَلَى ائْتِينِ». مسلم برقم (١٨٢٦).

فعلم من هذا أن هناك من يصلح للإماراة والرياسة، وهناك من لا يصلح لها، ومع هذا فقد قال رسول الله ﷺ في وصف ومدح أبي ذرٍ رضي الله عنه: «مَا أَفْلَتِ الْغَيْرَاءُ وَلَا أَظْلَلَتِ الْخَضْرَاءُ» (أي: ما حملت الأرض ولا أظللت السماء) مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ لَهُجَّةً مِنْ أَبِيهِ ذرٍ. أحمد في مسنده (٣٨٧ / ٣) برقم (٦٦٣٠)، صحيح الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٥٥٣٧).

إن السعة الموجودة في الشرع الحنيف، وتعدد أوجه الخير والطاعات وكثرتها، إنما يفسحان المجال لكل عبدٍ كي يقدّم من نفسه ومما أعطاه الله ما يدلّ على تقواه وتدينه.

وقد كان أصحابُ النبي ﷺ على قدرهم وعلو شأنهم قد تنوّعت فيهم أوجه الطاعة، حيث يُروى أن النبي ﷺ قال: «أَرْحَمُ أُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُهُمْ فِي اللَّهِ عُمَرٌ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَفْضَاهُمْ عَلِيٌّ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابَتٍ، وَأَفْرَقُهُمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ. وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عَبْيَدَةَ بْنُ الْجَرَاحِ» متفق عليه.

وإن من لطف الله بخلقه وتفضله عليهم أن جعل لهم من جنس كل فريضة نوافل، وأثابهم على ذلك، وحبيها إليهم، وجعل لهم بالحسنة عشرًا؛ ليضاعف ثواب فاعلها ولا يعاقب تاركها.

**حال الكمال وحال الجواز** (أي: الحد الأدنى من العبادة): ومن لطيف حكمة الله أن جعل لكل عبادة حالي: حال كمال، وحال جواز. فأعطي لصاحب الهمة من الأعمال ما يصل به إلى درجاتِ الكمال، كالصحابـ الكرام رضي الله عنـهم، فكانوا يسألون دائمًا عن الكمالات، وهناك

من لا صبر له على أداء الأكمل، كالْأَعْرَابِيُّ الذي سأله الرسول ﷺ عن شرائع الإسلام فدلَّه على الفرائض فقط، فقال الأعرابيُّ: والله لا أزيد ولا أنقص. فقال النبي ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ» متفق عليه.

فيجوز للعبد أن يقدّم لوناً من النوافل يتناسب معه، ويترك غيره دون أن يقدح ذلك في دينه، بل يجوز له أن يقوم بالفرائض فقط وهو دون الأكمال لا شك وقد أفلح إن صدق، وهذا حال الجواز. فعلى كُلِّ منا أن ينظر في عطاء الله له، ويتفعّل منه قدر ما يستطيع؛ ليتحقق بذلك مرتبة العبودية الحقَّ لله رب العالمين، وينظر إلى التنوّع على أنه رحمة وثراء للأمة، وأن طرق الخير كثيرة وعظيمة، توسيعة للأمة إلى يوم القيمة.

## **١٤- باب في الاقتصاد في العادة**

١٦ ﴿ طه ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ طه ﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتُشْفَعَ [ طه : ٢٠ ].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْأَعْسَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

(١٤) وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ قَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟» قَالَتْ: هَذِهِ فُلَانَةٌ تَذَكَّرُ مِنْ صَلَاتِهَا. قَالَ: «مَهُ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لَا يَمْلِلُ اللَّهُ حَتَّى تَمْلُوَا». وَكَانَ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَأَوَمَ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ. متفق عليه.

وَمِمْهُ: كَلِمَةٌ نَهَىٰ وَرَجَحَهُ. وَمَعْنَى «لَا يَمْلِلُ اللَّهُ»: لَا يَقْطَعُ تَوَابَةَ عَكْمٍ وَجَرَاءَ أَعْمَالِكُمْ وَيُعَامِلُكُمْ مُعَامَلَةً لِمَالٍ حَتَّىٰ تَمْلُوَ فَسَرَّكُوا، فَيَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مَا تُطْقِيُونَ الدَّوَامَ عَلَيْهِ لِيُدُومَ تَوَابَةُكُمْ وَفَضْلُهُ عَلَيْكُمْ.

(١٤) وَعِنْ أَنْسٍ قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ (أَيْ: مَا دُونَ عَشَرَةَ أَنْفُسٍ) إِلَى يُوْتَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ فَلَمَّا أَخْبَرُوا كَانُوكُمْ تَقَالُوا هَا (أَيْ: رَوَاهَا قَلِيلَةً) وَقَالُوكُمْ أَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ وَقَدْ غُرِبَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَبَّيْهِ وَمَا تَأْخَرَ. قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَأَصْلِي اللَّيلَ أَبْدًا. وَقَالَ الْآخَرُ: وَأَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ أَبْدًا وَلَا أَفْطُرُ. وَقَالَ الْآخَرُ: وَأَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَرْوَجُ أَبْدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَتُؤْمِنُ الَّذِينَ قَلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَا خَشَاكُمْ اللهُ وَأَقْتَاكُمْ لَهُ، لَكُنِّي أَصُومُ وَأَفْطُرُ، وَأَصْلِي وَأَرْقُدُ، وَأَتَرْوَجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغَبَ (أَيْ: أَعْرَضَ) عَنْ سُتُّنِي (أَيْ: شَرِيعَتِي وَمِنْهَجِي) فَأَنِيْسَ مِنِّي». متفق عليه.

(١٤٤) وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه عليه قَالَ: «هَلْكَ الْمُنْتَطَعُونَ». قالها ثلثاً. رواه مسلم.

**«المُنْتَطَعُونَ»:** المتعمدون المُشَدِّدون في غير موضع الشدائد.

(١٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه عليه قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَ الدِّينُ إِلَّا غَلَبَهُ» (أي: من المشادة، وهي المغالبة، والمعنى: لا يتشدد أحدكم في الدين في موضع اليسر فيترك الرفق إلا غالب الدين عليه وعجز ذلك المتعمم وانصرف عن عمله الصالح كله أو بعضه)، فَسَدَّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِّنَ الدُّلْجَةِ». رواه البخاري.

وفي رواية له: «سَدَّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَغْدُوا وَرُوْحُوا، وَشَيْءٌ مِّنَ الدُّلْجَةِ، الْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا». قوله: «الدِّينُ»: هو مرفع على ماله يسمى فاعله. وروي منصوباً، وروي: «لَنْ يُشَادَ الدِّينُ أَحَدٌ».

وقوله صلوات الله عليه عليه: «إِلَّا غَلَبَهُ» أي: غالبة الدين وعجز ذلك المشاد عن مقاومة الدين لكثره طرقه.

و«الْغَدْوَةُ»: سير أول النهار. و«الرَّوْحَةُ»: آخر النهار. و«الدُّلْجَةُ»: آخر الليل. وهذا استعارة وتمثيل. ومعناه: استعينوا على طاعة الله تعالى بالأعمال في وقت نشاطكم وفراغ قلوبكم بحيث تست libidoون العبادة ولا تستأمون، وتبلغون مقصودكم، كما أن المسافر الحاذق يسير في هذه الأوقات ويستريح هو وذاته في غيرها ف يصل المقصود بغير تعب. والله أعلم.

(١٤٦) وعن أنس رضي الله عنه: قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه عليه الْمَسْجِدَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ (أي: العمودين)، فَقَالَ: «مَا هَذَا الْحَبْلُ؟» قَالُوا: هَذَا حَبْلُ لِرَبِّنَبَ، فَإِذَا فَرَّتْ (أي: ضعفت) تَعْلَقَتْ بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه عليه: «حُلُوهُ، لِيُصْلِلَ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَرَّ فَلَيْرُ قدْ». متفق عليه.

(١٤٧) وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه عليه قَالَ: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلَيْرُ قدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ التَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَا يَدْرِي لَعَلَهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسْبُبُ نَفْسَهُ». متفق عليه.

(١٤٨) وعن أبي عبد الله جابر بن سمرة رضي الله عنه: قَالَ: كُنْتُ أَصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صلوات الله عليه عليه الصَّلَوَاتِ، فَكَانَتْ صَلَاتُهُ فَصْدًا وَخُطْبَتُهُ فَصْدًا. قوله: «فَصْدًا» أي: بين الطول والقصر.

(١٤٩) وعن أبي جعيفه وَهُبَّ بن عبد الله رضي الله عنه: قَالَ: آخِي النَّبِيُّ صلوات الله عليه عليه بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أَمَّ الدَّرَدَاءِ مُتَبَدِّلًا (أي: لابسة ثياب المهنة تاركة ثياب الزينة)، فَقَالَ: مَا شَانِكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرَدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرَدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ

طعاماً، فَقَالَ لَهُ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ. قَالَ: مَا أَنَا بَآكِلُ حَتَّى تَأْكُلَ. فَآكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرَدَاءِ يَقُولُ، فَقَالَ لَهُ: نَمْ. فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُولُ فَقَالَ لَهُ: نَمْ. فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمْ الآن، فَصَلَّى جَمِيعاً، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ رَبَّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلَا هُلْكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ». رواه البخاري.

(١٤ / ١٥٠) وعن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رض قال: أخبر النبي ﷺ أني أقول: والله لا أصومَ النَّهارَ، ولا قومنَ اللَّيلَ مَا عَشْتُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ ذَلِكَ؟» فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُهُ بِأَيِّ أَنْتَ وَأَمِيْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِعُ ذَلِكَ، فَصُومْ وَأَفْطِرْ، وَنَمْ وَقُمْ، وَصُومْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ». قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «فَصُومْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ». قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «فَصُومْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا فَذَلِكَ صِيَامُ دَاؤِدَةِ وَهُوَ أَعْدَلُ الصَّيَامِ - وفي رواية: هُوَ أَفْضَلُ الصَّيَامِ - فَقُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ»، وَلَأَنَّكُونَ قِبِلْتُ الثَّلَاثَةِ الْأَيَّامِ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي».

وفي رواية: «أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهارَ وَتَقُومُ اللَّيلَ؟» قُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَلَا تَفْعِلْ: صُومْ وَأَفْطِرْ، وَنَمْ وَقُمْ؛ فَإِنَّ لِجَسِدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعِينِيكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرُوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرُؤُورِكَ (أي: من يزورك) عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ بَحْسِبِكَ أَنْ تَصُومَ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ». فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَحِدُ قُوَّةٍ، قَالَ: «صُومْ صِيَامَ نَبِيِّ اللهِ دَاؤِدَةً وَلَا تَرْدُ عَلَيْهِ». قُلْتُ: وَمَا كَانَ صِيَامُ دَاؤِدَةً؟ قَالَ: «نِصْفُ الدَّهْرِ». فَكَانَ عَبْدُ اللهِ يَقُولُ بَعْدَمَا كَبِيرًا: يَا لَيْتَنِي قِبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وفي رواية: «أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ، وَتَقْرُأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْتَهُ؟» فَقُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَمْ أُرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ، قَالَ: «فَصُومْ صَوْمَ نَبِيِّ اللهِ دَاؤِدَةً؛ فَإِنَّهُ كَانَ أَعْبَدَ النَّاسَ، وَأَقْرَأَ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ». قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: «فَاقْرُأْهُ فِي كُلِّ عِشْرِينَ». قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: «فَاقْرُأْهُ فِي

كُلَّ عَشْرٍ». قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْصَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعَ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ». فَشَدَّدْتُ فَشُدَّدَ عَلَيَّ، وَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمُرُ». قَالَ: فَصِرْتُ إِلَى الدِّيْنِ قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا كَبَرْتُ وَدِدتُ أَنِّي كُنْتُ قَبْلَتُ رُحْصَةَ نَبِيٍّ اللَّهِ ﷺ.

وَفِي رَوْاْيَة: «وَإِنَّ لِوَالِدِكَ عَلَيْكَ حَقًا». وَفِي رَوْاْيَة: «لَا صَامَ مَنْ صَامَ الْأَبَدَ» ثَلَاثًا.

وَفِي رَوْاْيَة: «أَحَبُّ الصَّيَامَ إِلَى اللهِ تَعَالَى صَيَامُ دَاؤَدَ، وَأَحَبُّ الصَّلَاةَ إِلَى اللهِ تَعَالَى صَلَاةُ دَاؤَدَ: كَانَ يَسَّاً مِنْ نِصْفِ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلَثَةَ، وَيَنْامُ سُدُسَهُ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَلَا يَنْهِرُ إِذَا لَاقَنِي».

وَفِي رَوْاْيَةٍ قَالَ: أَنَّكَحْنِي أَبِي امْرَأَهُ ذَاتَ حَسَبٍ، وَكَانَ يَتَعَااهِدُ كَتَهُ (أَي: يَتَرَدَّدُ إِلَيْهَا) -أَي: امْرَأَهُ وَلَدِهِ- فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا (أَي: زوجها). فَتَقُولُ لَهُ: نَعَمْ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطِلُّ لَنَا فِرَاشاً (أَي: لَمْ يُجَامِعَنَا حَتَّى يَطِلُّ فِرَاشَنَا)، وَلَمْ يُعْتَشِّ لَنَا كَنَفًا (أَي: الْكِنْفُ: الستِّرُ). مُنْذُ آتَيْنَاهُ فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «الْقَنِي بِهِ». فَلَقِيَتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَصُومُ؟» قُلْتُ: كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: «وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟» قُلْتُ: كُلَّ لَيْلَةٍ، وَذَكَرَ نَحْوَ مَا سَبَقَ، وَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السَّبْعَ الَّذِي يَقْرُؤُهُ، يَعْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ لِيُكُونَ أَخْفَى عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّى أَفْطَرَ أَيَّامًا وَأَخْصَى وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَّةً أَنْ يَتُرُكَ شَيْئًا فَارَقَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ. كُلُّ هَذِهِ الرَّوَايَاتِ صَحِيحَةٌ، مُعَظُّهُنَا فِي الصَّحِيفَيْنِ، وَقَلِيلٌ مِنْهَا فِي أَحَدِهِمَا.

(١٤) وَعَنْ أَبِي رِبِيعِ حَنْظَلَةَ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَسْبَدِيِّ الْكَاتِبِ أَحَدِ كَتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: لَقِينَيْ أَبُو بَكْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ! قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟! قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالجَنَّةِ وَالنَّارِ كَانَا رَأَيْ عَيْنِ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأُوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا. قَالَ أَبُو بَكْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا. فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرَ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ

تذكّرنا بالنّارِ والجَهَنَّمَ كاتَنَ رأيَ العَيْنِ، فِإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْواجَ وَالْأُولَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ تَدْعُونَ عَلَىٰ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الدُّكْرِ، لصَافَّحَتُكُمُ الْمَلائِكَةُ عَلَىٰ فُرُشَكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، لَكُنْ يَا حَظْلَةً سَاعَةً وَسَاعَةً». ثَلَاثَ مَرَاتٍ. رواه مسلم. قوله: «رَبِيعٌ» بكسر الراء. و«الْأَسِيدِي» بضم الهمزة وفتح السين وبعدها ياء مكسورة مشددة. قوله: «عَافَسْنَا» هو بالعين والسين المهملتين، أي: عالجنا ولاعبنا. و«الضَّيْعَاتُ»: المعايش.

(١٤ / ١٥٢) وعن ابن عباس رض قال: بينما النبي صل يخطب إذا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ فسأله عنْهُ، فقالوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ نَذَرَ أَنْ يَقُومَ فِي الشَّمْسِ وَلَا يَقْعُدُ، وَلَا يَسْتَظِلُّ، وَلَا يَتَكَلَّمُ، وَلَا يَصُومُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صل: «مُرُوهٌ، فَلَيَتَكَلَّمُ، وَلَيَسْتَظِلُّ، وَلَيَقْعُدُ، وَلَيَسِمَ صَوْمَهُ». رواه البخاري.

\* \* \*

### (الاقتصاد في العبادة)

كان السَّلْفُ الصَّالِحُ رض يهتمُون بأصلين عظيمين، وهما: الاقتصاد في العبادة، والاعتصام بالشريعة الصحيحة وهي السنة النبوية المشرفة.

ذلك أن الشيطان يدخل في قلب العبد، فإن رأى فيه ميلاً للابتهاج والانحراف عن السنة والإعراض عنها أخرجه من هذا الباب إلى البدعة والضلال، وإن وجد فيه حرصاً على السنة وأدابها أمره بالاجتهاد الزائد على حد الاعتدال وحثه على الإفراط في التشدد والقيام بالأعمال الصالحة مجاوزاً احتمال النفس والطاقة، وقال له: هذا خير وطاعة، والزيادة والاجتهاد فيه أولى، فلا تفتر مع أهل الفتور، ولا تنم مع أهل النوم.

فلا يزال يحثه ويحرّضه حتى يخرجه عن حد الاعتدال والاقتصاد فيها، فكما أن الأول خرج ببدعة وضلاله عن حد الاعتدال، كذلك خرج الآخر بتجاوزه حد الاقتصاد، وهكذا كان حال الخوارج الذين نبذوا عنهم رسول الله صل، حيث يحتقر أهل الاستقامة صلاتهم وصائمهم مع صيامهم.

قال بعض السلف: ما أَمْرَ اللهُ بِأَمْرٍ إِلَّا وَكَانَ لِلشَّيْطَانِ فِيهِ تَرْعِتَانٌ: إِمَّا إِلَى تَفْرِيظٍ وَإِمَّا إِلَى مُجاوزَةٍ وَإِفْرَاطٍ، وَلَا يُبَالِي بِأَيِّهِمَا فازَ وَظَفَرَ، سُوَاءٌ بِالْزِيَادَةِ أَوِ النَّقْصَانِ.

فالخير كل الخير في الاجتهاد، ولكن باقتصادٍ يواافق السنة وبإخلاصٍ يواافق الشريعة. فالاقتصاد هو التوسط فيتحرر المسلم القصد والمراد من الشعاع الحكيم بالاعتدال ويبعد عن التطرف قوله وفعلاً، بحيث لا يقصّر ولا يغالى.

فلا إفراط ولا تفريط، وقد قال ابن الأثير : كُلُّ خَحْصَلَةٍ مُحَمَّدَةٌ لَهَا طَرْفَانٌ مذمومان: فالسخاء وسطٌ بين البخل والتبذير، والشجاعة وسطٌ بين الجبن والتهور. والإنسان مأمور أن يتتجنب كلّ وصف مذموم، وكلما ازداد منه بعداً ازداد إلى الوسط قرباً، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال ابن القيم : الوَسْطُ الموضوع بين طرف الإفراط والتفريط هو العدل. وهو الذي عليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، بل حتى مصلحة البدن لا تقوم إلا بالعدل والوسط في النوم والسهر والأكل والشرب والحركة... وغير ذلك.

قال رسول الله ﷺ: إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْتَعْجِمَ الْقُرْآنَ عَلَى لِسَانِهِ فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ فَلْيَضْطَعْ. مسلم برقم (٧٨٧). وقال أيضاً: إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيُسْبِبُ نَفْسَهُ. متفق عليه.

وقالت عائشة رضي الله عنها: دخلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟». فَقُلْتُ: امْرَأَةٌ لَا تَنَامُ تُصَلِّي. قَالَ: «عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لَا يَمْلُّ اللهُ حَتَّى تَمْلُوا». وَكَانَ أَحَبَ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَأَوْمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ. متفق عليه.

وسئل النبي ﷺ: أيُّ الأعمال أحب إلى الله؟ قال: أَدْوُمُهَا وَإِنْ قَلَّ. وَقَالَ: إِكْلُفُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ. متفق عليه.

وعن أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر حتى نظنَّ ألا يصوم، ويصوم حتى نظنَّ ألا يفطر منه شيئاً، وكان لا تشأ أن تراه من الليل مصليناً إلا رأيته، ولا نائماً إلا رأيته. متفق عليه، والله أعلم.

وقال وَهْبُ بْنُ مُتَّبٍ : إِنْ لَكُلُّ شَيْءٍ طَرْفَيْنِ وَوَسَطًا، فإذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر، فإذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان، فعليكم بالأوسط من الأشياء.

وقال محمد بن الحنفية : الكمال في ثلاثة: العفة في الدين، والصبر على النوائب، والاقتصاد وحسن التدبير في المعيشة.

وقال الحسن البصري : خير الأمور أوساطها.

وقال الأوزاعي : ما من أمرٍ أمر الله به إلا عارض الشيطان فيه بخصلتين ولا يبالى أيهما أصاب: الغلو (أي: الشدد) أو التقصير (أي: التفريط).

فالاقتصاد هو الوسط للوصول إلى المقصود وهو دليل كمال العقل وتمام الرشد عند العبد، وهو الأمان والبركة والنجاة، وهو صفة الأمة المميزة لها.

### (الرُّحْصُ الشَّرِيعَةُ: أَحْكَامُهَا وضوابطُهَا)

إن الشُّمول واليُسر هما الصفتان اللتان جعلتا من الشريعة الإسلامية شريعة خالدة صالحةً لكل زمان ومكان. فأما شموليتها فإن المسلم لا يعجزه أن يجد في الشريعة حكمًا لكل جزئية أو حادثة تستجُدُّ، يفهم ذلك من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أو يستنبط بطريق التأمل في روح الشريعة ومقاصدها.

وشرعية الله تعالى مع شمولها تُراعي أحوال الناس وما يطرأ عليهم من ظروف وأحوال تخرجهم فيها عن الالتزام بالأحكام الأصلية التي شرعت ابتداء.

والناس في مفهوم اليُسر في الدين على شقين: بين متساهل حتى يتفلَّ من ثواب الشرع العامة تحت ضغط تبرير الواقع الذي يعيشه المسلمون، وبين مُتشدِّدٍ يلتزم بظواهر النصوص دون النظر في مقاصد التشريع.

وإن قوة الفقه الإسلامي هي في التعامل في خصوبة وحيوية ومرونة مع اختلاف الزمان وتغير الأعراف والمستجدات وفقًا لأصول وقواعد وضوابط وضعها الفقهاء والعلماء.

وثمرة الفقه هي الموازنة بين المصالح والمفاسد التي هي لب وروح الشريعة في التعامل مع الأحداث والواقع والمستجدات في الحياة. والشريعة الإسلامية تبني على مقاصد شرعت لتحقيقها، تلك المقاصد هي الغايات التي فرضها الشارع لتحقيق مصالح الخلق وتكميلاً ودرء المفاسد عنهم وتقليلها.

إن الشريعة الإسلامية قد أسقطت بعض الواجبات الشرعية عن أي شخصٍ منته

الضرورة من أدائها، ورخصت له ترك الواجب أو فعل الممحظور في حال كونه متلبساً بهذه الظروف الطارئة؛ ليقيِّ المكلف دائمًا داخل إطار الشريعة في كل أعماله.

وتلك الرخص مجرد استثناء للسماحة واليُسر ورفع الحرج، على أن يسعى الإنسان المُكلَّف إلى تغيير الواقع الذي تسبَّب فيه، ولو لا عجز البشر وضعفهم لما شرعت أحكام الرخص.

### **خصائص الشريعة الإسلامية:** والشريعة الإسلامية لها مميزات وخصائص:

**أ- الربانية:** فهي ليست من صنع البشر، وإنما هي تشريع خالق البشر، وهو أدرى منهم بأنفسهم وبمصالحهم، لقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنْ مِنَ اللَّهِ حَكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقَنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

**ب- الشمولية:** فقد اشتملت على نظم وأحكام في مختلف نواحي الحياة والمجتمع، وجاءت بأحكام كافية وقواعد في جميع نواحي الحياة، قال الله تعالى: ﴿مَا فَرَّطَنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

**ج- اليُسر:** فقد رفعت الحرج عن المكلفين عند وجود الحرج، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ يُكْثِمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ يُكْثِمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. حيث بلغ اليُسر درجة التخفيف من الواجبات عند وجود الحرج، والسماح بتناول القدر الضروري من المحظورات عند الحاجة، فأبيح التيمُّل من لا يستطيع استعمال الماء.

**د- رعاية مصالح العباد:** فرعاية مصالح الناس هي قصد الشريعة، وقد وضع العلماء لأجلها القواعد الخاصة برفع المشقة والحرج، كقاعدة المشقة تجلب التيسير، وقاعدة الضرر يُزال، وقاعدة الضرر لا يُزال بالضرر، وقاعدة يتحمل الضررُ الخاص لدفع الضرر العام، وقاعدة يُرتكب أخفُّ الضررين لدفع أشدُّهما.

**هـ الواقعية:** تظهر واقعية الإسلام عند الشدة والضيق، فهو يضع الحلول والتيسيرات المشروعة للمسلم في أوقات الشدة والضيق، وعدم إلزامه بما كان واجبًا عليه أو لازمًا له أو محظوظًا عليه في الأوقات العادية، وعلى هذا جاءت الرخص؛ لأن النفوس قد لا تقوى على الاستمرار فيما يريده الإسلام من الكمال والهمة في الظروف القاسية.

**و- عدم التكليف بالشاق:** فلم تقصد الشريعة إعنات الناس أو إشقائهم، وليس من وسائل علامات الخضوع والانقياد أن تُحَمِّلُهم فوق ما يُطِيقون، وإنما شُرعت الأحكام في حدود الوُسْع والطاقة؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَحَّاَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسَوَّسْتُ بِهِ صُدُورُهُمَا مَالَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ». متفق عليه.

**ز- الوسطية:** فمنهج الشريعة الإسلامية وسط بين الإفراط والتفريط، كما قال الله تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾** [آل عمران: ١٤٣].

**العزيمة والرخصة:** أما العزيمة: فهي أَخْدُ الأَمْر بِجِدٍ في امتثال أوامر الشرع واجتناب نواهيه على الإطلاق والعموم، سواءً أكانت أوامر وجوب أو نَدْبٍ، أو كانت النواهي تحريمًا أو كراهيَةً. وأما الرخصة: فهي التسهيل في الأمر والتيسير، وهي إذنٌ من الله أن ينال العبد حظًّا من الحظوظ، ويدخل فيها كل ما كان تخفيفًا وتوسيعًا على المكلف.

والعزائم حقُّ الله على العباد، والرخص حظُّ العباد من لطف الله تعالى. وهكذا تشرك المباحثات مع الرخص من حيث إنها توسيعٌ على العباد ورفع حرج مشقة.

### أقسام العزيمة:

- ١ - واجبة: كوجوب النطق بالشهادتين، ووجوب الصلاة والصوم مثلاً.
- ٢ - مندوبة: كلزم حضور القلب والخشوع في الصلاة مثلاً.
- ٣ - محرمة: كحرمة الإشراك بالله وعقوق الوالدين.
- ٤ - مكروهة: ككراهة الالتفات في الصلاة؛ لأنَّه اختلاس يختلسه الشيطان.
- ٥ - مباحة: كإباحة الأكل والشرب والنوم.

### أنواع الرخص:

- ١ - رخصة واجبة: كأكل الميتة للمضطر، والfast لمن خاف الهلاك فغلبه الجوع أو العطش، حتى لو كان مقيماً صحيحاً غير مريض، وغمس اللقبة بالخمر، وما كان كذلك فاستعمال الرخصة واجب؛ لأنَّ النفوس ملك الله تعالى.

**٢- رخصة مندوبة:** كالقصر في الصلاة في السفر، وكالفطر لمن يشق عليه الصيام في السفر أو المرض.

**٣- رخصة مباحة:** كمن أكره على كلمة الكفر (أي: فيباح له بلسانه مع اطمئنان قلبه بالإيمان).

**٤- رخصة على خلاف الأولى:** مثل الذي يُفطر في السفر مع أنه غير متضرر بالصوم؛  
قول الله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خِيرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٤].

**الأسباب المحبحة للرخصة الشرعية** (أي: الأعذار الشرعية):

- ١- الضرورة. ٢- المشقة. ٣- السفر. ٤- الإكراه. ٥- المرض.
- ٦- النسيان. ٧- الخطأ. ٨- الجهل. ٩- عموم البلوى. ١٠- النقص.

**١- الضرورة:** وهي المصالح الإنسانية التي تتوقف عليها حياة الناس وقيام المجتمع واستقراره، كأركان الإسلام والإيمان، بحيث إذا اختلت اخْتَلَ نظام الحياة وعممت أمور الناس الفوضى والاضطرابات ولحقهم الشقاء في الدنيا والآخرة.

**والضروريات للبشر خمس:** حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

فكل ما يؤدي إلى حفظ هذه الضروريات الخمس التي هي دعائم الحياة الإنسانية دعت إليه الشريعة وحرض الشارع عليه، وكل ما يهدف لإلغاء هذه الضروريات أو تعطيلها فقد حذر الشارع منه وشدد عليه وحاربه.

### ضوابط الضرورة:

أ- أن تكون الضرورة حقيقة غير متوهمة؛ فقد يتوجه الإنسان أن الأمور التي يمر بها صعبة، وهي ليست كذلك إلا بمحض التوهّم، كقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَهَّمُونَ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمُونَ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كَمَا مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَنْتُمْ اللَّهُ وَاسِعَةً فَنَهَا حِرْرًا فَإِنَّكَ مَاؤِنْهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [ النساء: ٩٧].

فالضرورة المحققة هي تلك التي لا يستطيع الإنسان أن ينفك عنها، كالإنسان الذي يُصيّبه مرضٌ فيعجزه عن القيام في الصلاة، أو من أصابه جوع شديد ولم يجد إلا حراماً فإن لم يتناوله تلفت نفسه.

**بـ- ألا تؤدي إزالتها إلى ضرر أكبر منها، ومعنى ذلك أنه إذا تعارضت في أمر ما المصالح والمفاسد، حينها يرجح الجانب الذي نفعه أكبر، ويتجنب الجانب الذي ضرره أعظم.**

**جـ- أن تقدر الضرورة بقدرتها، ومعناه أن ما أتيح للضرورة يمنع بمجرد زوال الضرورة.**

**دـ- أن تكون محققة لمقاصد الشارع، فقد يظن بعض الناس أن البحر إذا هاج على القوم فاضطروا إلى تخفيف السفينة بعمل قرعة تضرب عليهم ليلقى أحدهم في الماء تخفيفاً على السفينة وحافظاً على حياة الآخرين أن هذا صحيح، وهذا فاسد؛ لأنه ضياع لنفس إنسانية، وإنما قد يتاتي ذلك في الأموال، ولا يجوز رمي بعضهم بعضاً.**

**٢- المشقة:** وهي الشدة والعسر الذي يلحق النفس والبدن، فالأحكام التي ينشأ عن تطبيقها حرج على المكلّف ومتشقة في نفسه أو ماله تخفّفها الشريعة.

#### أنواع المشقة:

**أولاً:** المشقة المعتادة: فلا يخلو عمل مطلوب شرعاً من مشقة وتعب، وهذا القدر من المشقة ليس مانعاً من التكليف وليس داعياً إلى الترخص؛ لقول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

**ثانياً:** المشقة غير المعتادة: وهي المشقة الزائدة عن الطاقة، حيث تتجاوز الحدود العادلة فتفسد على الناس حياتهم وتُحدث فيهم الخلل، فمن هنا شرعت التخفيفات والمتيسيرات.

**ضوابط المشقة:** إما أن تكون مشقةً خفيفة، كصداع خفيف في أثناء الصوم، فلا توجب تخفيفاً؛ لأن فائدة الصوم أعظم من الاستجابة لهذه المشقة. وإما أن تكون فادحةً فيخاف فيها على النفس غير المعتادة على المشقات، فهذه التي توجب التخفيف.

والمشقة يُسند أمرها إلى المسلم البالغ العاقل نفسه لصعوبة ضبطها، فهي تختلف باختلاف مراتب العبادات واختلاف المكلفين، فيؤمن المسلم عليها وعلى تقديرها.

ولقد سمح للمكلف بارتكاب كثير من المنهيّات في سبيل درء وإبعاد مفسدةٍ أخطر من مفسدة الإقدام على المنهي عنه، على لا يتجاوز المكلف حد التخفيف إلى التفريط، كمن يترك الصلاة أصلاً متعللاً بالمشقة.

**٤- السفر:** للعلماء في تحديد مسافة السفر أقوال كثيرة، وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية : إلى أن الأظهر جواز القصر في كل سفر، قصيراً كان أو طويلاً. فمن أراد السفر فإن له أن يترخص إذا فارق جميع بيوت مدنته أو بلدته التي خرج منها.

**مفارقة المسافر بحراً:** من كانت إقامته في بلد ساحلية على البحر، وأراد أن يستقل سفينةً في سفره فالمعتبر للتريخيص هو مجاوزة هذه السفينة وبعدها عن البلد ومجاوزة العمران، فإن كانت راسيةً على مسافة واحتاج المسافر إلى زورق للانتقال إليها فإن الرخصة تبدأ له من مغادرة الزورق وركوب السفينة، إلا إذا كانت طبيعة عمله تتضمن ذلك، أن يذهب ويعود إليها، فليس له أن يأخذ بالرخصة.

**مفارقة المسافر جواً:** من سافر بالطائرة، فالمفارة المعتبرة له أن تتجاوز الطائرة العمران، وعند الهبوط لا يزال في سفر حتى تتحادي الطائرة العمران إذا كان المطار داخل البلد.

**المطارات والموانئ:** إذا كان المطار أو الميناء خارج المدينة وقد فارق العمران فإن للمسافر حيثئد أن يأخذ بالرخص، أما إذا كان داخلاً لها فلا يحصل به الترخص إلا ما سبق من ركوب الطائرة أو السفينة على النحو الذي ذكر من قبل. ومن كان مسافراً ولكن على لائحة الانتظار، أو خرج مودعاً أو يفكر في السفر مع أصحابه فلا يجوز لهم الترخص.

**المسح على الخفين:** هي سنة لا اختلاف على جوازها، وبالنسبة لتوقيت المسح ففي حق المقيم أو من في الحَضْر يوماً وليلة، وأما في حق المسافر ثلاثة أيام بلياليها، ويكون المسح مرة واحدة على ظاهر الخُفْ، ولا يُمْنَع من المسح على ما يلبسه مِنْ خُفْ أو جورب ونحوهما حتى لو كان فيه خَرْقٌ يسير، حيث كان معظم الصحابة لا يجدون إلا التالفة من الخفاف والأحذية من كثرة الاستعمال.

ويجوز المسح على الجوربين إذا لم يسقطا عند المشي فيهما.

**القصر للمسافر:** يجوز للمسافر أن يقصر الصلاة إذا بلغ مسافة القصر وهي ٨٣, ٥ كيلومتراً، ومعنى أنه يصل إلى الرباعية (الظهر والعصر والعشاء) ركعتين، والقصر غير لازم للجمع، فيمكن للمسافر أن يقصر الصلاة دون أن يجمعها، وصلاتاً الصبح والمغرب لا تقتصران، وأن يجمع بين الظهر والعصر فيصليهما في وقت أيهما شاء، وكذلك المغرب والعشاء يجمع بينهما في وقت أيهما شاء، ويجوز للمسافر أن يجمع مع قصر الرباعية، ويجوز له أن يجمع مع الإتمام من غير قصر. فإن جمع المسافر جمع تأخيره أن ينوي قبل خروج وقت الصلاة الأولى أنه يجمعها تأخيراً مع وقت الصلاة الثانية. والمسافر إذا صاح سفره يظل على حكم السفر فيما يخص الصلاة من قصر وجمع، ولا يتغير هذا الحكم إلا إذا نوى الإقامة، أو دخل وطنه، فحيث تزول حالة السفر، ويصبح مقيماً تنطبق عليه أحكام المقيم، والمدة المعتبرة في الإقامة هي أربعة أيام غير يومي الدخول والخروج، فإذا نوى الإقامة أربعة أيام فأكثر غير يومي الدخول والخروج يتم صلاته ولا يجمعها، وبين التعامل كمقيم من أول يوم بعد يوم الوصول، وأما إن نوى الإقامة أقل من ذلك أو لم ينو، فيظل على رخصة القصر والجمع إلى أن يتم أربعة أيام، ولا يحسب من الأيام يوماً الوصول والرجوع.

فالرخصة أن يجمع ويقصر (٢٠) صلاة (أربعة أيام بلياليهن) إن نوى الإقامة هذه المدة فأقل، أما إن نوى أكثر من ذلك فيتم من أول يوم بعد يوم الوصول.

ولو لم ينِ المسافر الإقامة بعد وصوله، وكانت له حاجة يتوقع انقضائِها في أي وقت، وأنه متى قضيت رجع من سفره ولم ينِ الإقامة، فله أن يقصر الصلاة ثانية عشر يوماً صاححاً. ومن نوى الإقامة في بلده سافر إليه لطلب العلم في الجامعات وقد يرجع إلى بلده كُلَّ فترة زمنية معينة في الإجازات مثلاً فليعلم أن كُلَّ من الإتمام والقصر سائع في حقه، فمن قصر لا ينكر عليه، ومن أتم لا ينكر عليه. ويُرخص للمسافر إذا لم يتمكن من متابعة اتجاه القبلة أن يتركها ويصلِّي حيثما توجهت به راحلته، وليس ذلك إلا في التوافل.

**الجمعة:** لا تجب صلاة الجمعة على المسافر ما لم يدركه زوال الشمس في بلده، فعن النبي ﷺ قال: **«الجمعةُ واجبةٌ إلَى امْرَأٍ، أو صَبِّيًّا، أو مَرِيضٍ، أو عَيْدٍ، أو مُسَافِرٍ»**. الطبراني في الكبير (٢/٥١) برقم (١٢٥٧)، صحيح الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣١١٣). وإذا زالت الشمس؛ أي: عن وسط السماء، إلى جهة الغرب وصار ظل الرجل كطولة قبيل صلاة العصر.

**الجمع بين الصالاتين:** يجوز الجمع بين الصالاتين في السفر والمطر والمرض، فالجمع لا يختص بالسفر الطويل، بل يُجمع للمطر والمرض.

**رخصة الفطر في رمضان:** للمسافر سفراً صالحاً في غير معيديه أن يُفطر قبل خروجه من الموضع الذي أراد السفر منه، فيجوز الإفطار للمسافر قبل مجاوزته البيوت. وللمسافر أن يُفطر أيضاً بعد خروجه للسفر وإن كان صائمًا؛ والأفضل أن يصوم من قدر على الصيام في السفر دونما جهدٍ.

**٤- الإكراه:** هو أن يدفع البعض غيره إلى فعل أمرٍ لا اختيار له فيه ولا رضا، ويكون الشخص الدافع على الإكراه قادرًا على إيقاع الضرر بالمحكوم له إن امتنع عن فعل ذلك الأمر الممنوع شرعاً. وهناك ظالمٌ مُكره للناس، وهناك مظلومٌ مُكره على فعل الحرام، وهناك وسيلة للإكراه، ثم أخيراً الفعل المطلوب بالإكراه عليه.

**حد الإكراه:** هو الحد الذي إذا بلغه من أُكِرَه على فعل ممنوع جاز له أن يأتي بالرخصة

باعتباره مُكرّهاً على ذلك، حيث يخاف فيه المُكرّه من ذهاب حياته أو تلف أحد أعضائه أو تلف كثيرٍ من ماله، فهذا هو الإكراه الذي تجوز معه الرخصة، أما الإكراه اليسير الذي لا يُخشى فيه فواتُ النفس أو تلفُ المال فيجب تحمله، فهو إكراهٌ غير ملجمٍ.

وأغلب تصرّفات المُكرّه لاغية ولا أثر لها إطلاقاً، فأقواله كلُّها لغو: كفره وإيمانه وطلاقه؛ لقول الله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَشَرَهُ وَقَبَّلَهُ مُطْمِئِنٌ بِإِيمَانِهِ وَلَا كُنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفُرِ صَدِّرَ أَعْلَمَهُ غَضَبَتْ مِنْهُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]، ولقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمُّتِي الْخَطَا، وَالنَّسِيَانَ، وَمَا اسْتَكْرِهُوَا عَلَيْهِ». ابن ماجه برقم (٢٠٤٣)، صحيحه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٨٣٦).

ولا يصحُّ نكاحُ المُكرّه، فالمرأة عند ذلك مُخيّرة بين الإبقاء أو ردّ الزواج، كما لا يصح طلاق المُكرّه. وإذا أُكره شخصٌ على إتلاف مالٍ غيره إكراهاً شديداً ملجمًا فإنه يُرخص له ذلك.

### ضوابط الإكراه:

- ١ - التهديد والوعيد بما يُسبّب الإتلاف والضرر الشديدين بالنفس أو العقل أو العرض أو النسل أو المال.
- ٢ - أن يغلب على ظن المُكرّه واعتقاده أنَّ من أكرهه على ذلك قادرٌ على تنفيذ وعيده وتهدیده ولا مفرّ منه.
- ٣ - أن يكون الفعل المُكرّه عليه فيه مخالفٌ للشرع قبل الإكراه أصلًا.
- ٤ - أن يترتب على اضطرار المُكرّه على الفعل التخلص من التهديد والوعيد، أما إذا كان أمرُ التهديد والوعيد بسيطاً ويمكن تحمله فلا، كما أنه لا يجوز له طاعة من أكرهه على فعل يؤدي إلى إتلاف نفسه أو عضو من أعضائه، كمن أمر غيره برمي نفسه في البحر وهو لا يحسن السباحة، فلا يجوز له الإقدام على ذلك، بل يقاوم ويدفع عن نفسه.

٥- ألا يُبالغ المُكره في فعل الممنوع، كأن يزيد الطلاق الواحد لثلاث، فهذا ليس من الإكراه.

٦- أن يكون الوعيد بأمر يقع حالاً وعاجلاً لا آجلاً.

### **٥- المرض: الأحكام التي يُباح فيها الترخيص للمرض:**

**الطهارة:** يُرخص للمريض أن يتيمم إذا وجد أن استعمال الماء يُسبّب له تلف نفسه أو عضو من أعضائه أو زيادة مرض أو تأخر شفاء أو تشويههاً لبدن، وله أيضاً أن يمسح على الجبيرة مع التيمم أيضاً إذا كان الماء يسبب تلفاً للجسم. أما إذا كان الجرح أو المرض في جزء محدود من الجسم بحيث يمكن غسل غيره والمسح على الجزء المصابة فيجب على المريض غسل ما أمكن والمسح على الباقى ولا يتيمم.

**الصلاه:** إن المريض إذا لم يستطع القيام في الصلاة سقط عنه فرض القيام، وله أن يصلى قاعداً أو على جنبه، وذلك عند حدوث المشقة الشديدة أو الخوف من المرض أو الهلاك، كراكب السفينة أو المجاهد الذي يخشى عند قيامه رؤية العدو له، وللمريض والخائف ترك الجمعة والجماعات، وللمريض أيضاً الجمع بين الصالاتين في الحضر.

**الصوم:** يُرخص للمريض الفطر في رمضان، وأعذار الصوم خفيفة كالسفر والمرض، فإذا كان الخوف على البدن أو الروح فهما أولى بالفطر.

**الحج:** يُرخص للحج أو المعتمر التداوى عند الفتوى له بذلك بِفعل المحظورات، كحلق الشعر أو تغطية الرأس أو الرقود في المستشفى ومنعه إتمام النسك حرضاً على حياته.

وللمريض أن يتراخى في عدم إكمال الحج أو حتى الانتفاع منه لحادته أو شدّة زحام مما يُعطله عن أداء الفرائض، وله بعد ذلك أن يتخلّى بعمره بعد شفائه.

وللمريض أيضاً أن يستنيب عنه غيره في رمي الجمار إذا عجز بنفسه؛ لمرضٍ أو لحمل أو لـكبير سنٌ، سواء كان بالأجرة أو التطوع، رجالاً كان أو امرأة. كما يجوز للمريض أن يُخدر بمواد مخدرة، كالبنج مثلاً، في العمليات الجراحية لوجود الحاجة

والضرورة للتخدير، ويجوز للمريض تعاطي المخدر للتداوي للضرورة وال الحاجة بعد سؤال أهل العلم والفتوى. كما يشرع للمريض كشف ما دعت إليه الحاجة من جسمه لأجل الفحص الطبي أو العلاج أو الجراح، كما يشرع للطبيب النظر لموضع الحاجة.

**٦-النسيان:** فالنسيان يهجم قهراً على العبد ولا حيلة له في دفعه؛ فلذلك كان النسيان معفواً عنه.

#### ضوابط النسيان:

١ - حقوق العباد لا يُعتبر النسيان عذرًا في إسقاطها، إنما يسقط الإثم، أما ضمان الحق؛ أي: كالأموال المختلفة مثلاً فواجب؛ لأن حقوق العباد مبنية على المقاضاة، وحقوق العباد محترمة.

٢ - حقوق الله مبنية على العفو والمسامحة؛ ولذلك يُعتبر النسيان عذرًا معتبراً في حقوق الله إما بالإسقاط أو التخفيف، فإذا كان مما يمكن تداركه كالصلوة والصوم والحج والعمرة والكفارات والنذور فلا يسقط بالنسيان، وأما إذا كان لا يمكن تداركه كالجهاد والجماعات والكسوف والرواتب فيسقط بفوائده.

٣-ألا يكون هناك تقصير ظاهر من المكلّف، فمن تغافل عن الدرس والتكرار حتى نسي فهو ملُوم، وأما من واظب ودرس ولكنه بعد ذلك نسي فلا إثم عليه.

**٤-الخطأ:** هو ما يصدر عن المكلّف من قولٍ أو فعلٍ يخالف الشرع من غير قصد منه ولا نية مسبقة، ويُرفع عن المخطئ إثم الخطأ لذات الخطأ؛ لأن كلّبني آدم خطأ.

#### أقسام الخطأ:

١ - خطأ في الفعل والقول، كأن يقصد المكلّف بفعله هدفاً معيناً فأخطأ وأصاب إنساناً فقتلته أو جرّه، أو أراد أن ينطق بلغة فسيق لسانه إلى لفظ الطلاق فلا عقوبة عليه ولكنه تلزمته الآثار المادية والمالية المترتبة عليه.

٢ - خطأ في القصد، كأن يقصد هدفاً يظنه صيداً فتبيّن أنه إنسان، فهو قد أخطأ في القصد لا الفعل، وله نفس الحكم السابق مع إسقاط العقوبات البدنية المترتبة عليه.

٣- خطأ في التقدير، كأخطاء الأطباء في وصف الداء والدواء، فمن كان حاذفًا في مهنته ثم أخطأ فلا مسؤولية عليه ولا ضمان، حتى لو مات المريض بسبب خطئه، وأما إذا صدر عنن لم يعرف الطب فهو مسؤول وضامن، وحتى لو أخطأ الطبيب الحاذق وقطع عضواً أو طرفاً من الأطراف ثم تبين له خطأ ذلك فلا مسؤولية ولا ضمان عليه، وكالحاكم الذي اجتهد في حكم فأخطأ فلا إثم عليه.

#### **أحكام الخطأ:** بالنسبة لحقوق العباد: مَنْ أَتَلَفَ مَا لَغَيْرِهِ فَعَلَيْهِ ضَمَانُهُ.

بالنسبة لحقوق الله: يسقط بالخطأ إثمه ولا يطالب الشارع بإعادتها، فَمَنْ اجتهد في معرفة القبلة فأخطأ فصلاته صحيحة ولا يعيدها.

**٤- الجهل:** العذر بالجهل يتناسب مع التجاوز عن النقص البشريّ، كما يتناسب مع مراعاة أحوال الناس ودرجاتهم في العلم والفهم، كما يتناسب مع اعتبار الأزمنة والأماكن المختلفة وانتشار العلم وأوضاعه. فقد يعرف البعض ما لا يعرفه الآخرون، فهناك جهلٌ يتعدّر الاحتراز منه، وهناك ما لا يتعدّر منه، والجهل مُسقط للإثم مطلقاً، لكن يجب تدارك ما تُرِك جهلاً إذا كان مأموراً به. ومن فعل مُنْهياً عنه جهلاً فلم يتلف بسيبه شيءٌ فلا شيء عليه، وما كان فيه إتلاف فعليه الضمان المالي، والجهل شبهة تسقط العقوبة.

**٥- عموم البلوى:** وهو شيع البلاء وانتشاره بحيث يتعدّر على الإنسان أن يتخلص منه أو يتبعده عنه، وعموم البلوى يشمل العبادات والطهارات والنجاسات والمعاملات المالية. فهو مشقة تلحق النفس لعدم القدرة على تجنب الشيء، وشيع البلاء بحيث يصعب على المرء التخلص أو الابتعاد عنه لميسى الحاجة إليه.

**٦- النقص:** وهو خاصية أو وصف في المسلم البالغ العاقل، إما أن يكون صفةً طبيعية كالسفه والعute مثلاً، أو دائمة، أو مؤقتة، بحيث تؤدي إلى إسقاط التكليف بشكل كليٍّ أو جزئيٍّ. فالنقص عكس الكمال، وهو من الأسباب المعتبرة شرعاً للتراخيص والتخفيف رفعاً للحرج؛ لأن الله تعالى كلف الإنسان ما هو على قدر استطاعته.

ومن أمثلة النقص المؤقت الـيُّتم، والنوم.

**ضوابط النقص:**

**أ- عوامل دائمة:** كعجز الشيخوخة، وأنوثة المرأة الطبيعية، فهي مطعم الرجال وأمرها دائم، وعُذرَت به فسقط عنها وجوب الجمعة والجماعة والعبدان والجهاد.

**ب- عوامل مؤقتة:** كالحيض والنفاس، وهو أمران طبيعيان يمنعان المرأة من أداء الصيام والصلوة والطواف ودخول المسجد، فأسقط عنها الصلاة أبداً من دون قضاء، وأما الصيام فإسقاط مؤقت، والطفولة والصبا، فإذا بلغ راشداً كُلُّف، وإنما بلغ معنوناً أو معتوهَا فله حكمهما.

**ج- عوامل طبيعية ليست في أصل الخلقة، دائمة أو مؤقتة:** فالمولود بالعمى يسقط عنه بعد البلوغ وجُوبُ الصلاة في الجماعة إذا لم يوجدَ مَنْ يوصله للمسجد، ولا يأثم في إتلاف مال غيره. فكل من أصابته عاهة تؤثِّر في أداء التكاليف يسقط عنه بقدرها، كمن أصيَّت رجله فلا يصلِّي قائماً.

**د- نقص لعامل حكمي أو عرفي أو اجتماعي:** كالرُّقْ والعبودية مثلًا.

**ملخص:**

- ١- الفقه الإسلامي يتمتع بالمرونة والشمولية لمجالات الحياة.
- ٢- الشريعة الإسلامية مبنية على رفع المشقة والحرج عن الناس، وتحقيق مصالحهم.
- ٣- المشقة تجلب التيسير، وهي أصل شرعي يستمد قوته من النصوص الشرعية.
- ٤- للشخصية الشرعية ضوابط تخضع لها كفيلة للفصل بين المشقة المتشوهة والحقيقة، وعلى المفتى أن يحيط بهذه الضوابط ولا يتزلق في الشخصية في غير محلها.
- ٥- ضوابط الشخص الشرعية هي المعيار الأصلي الذي ينبغي الاستناد إليه فيما يباح بالشخص وما لا يباح.
- ٦- فهم مقاصيد الشريعة أمر مهم للغاية.
- ٧- إباحة الشخصية تُسقط الإثم في حق الله، ولا تسقط حق الآخرين من الضمان والتعويض.



## ١٥- باب في المحافظة على الأعمال

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحُقْقَىٰ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أَرْتُوا الْكِتَبَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَطَ قُلُوبُهُمْ﴾ [الجديد: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا بِعِيسَىٰ أَنْ مَرِيدٌ وَمَا تَيَّنَّتْ لَهُ الْإِيمَانُ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ أَبْعَوْهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَهَبَائِنَةً أَبْدَعُوهَا مَا كَنَبَنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانَ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقٌّ رِعَايَتِهَا﴾ [الجديد: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَرَلَاهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَثَاهَا﴾ [النحل: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدْرِبَكَ حَقَّ يَأْنِيكَ الْيَقِينُ﴾ [١١] [الحجر: ٩٩]. وأما الأحاديث فمنها:

حديث عائشة: وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه. وقد سبق في الباب قبله.

(١٥٣) وعن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «من نام عن حزبه (أي: الحزب) ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة أو صلاة) من الليل، أو عن شيء منه، فقراءة ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل». رواه مسلم.

(١٥٤) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عبد الله، لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل». متفق عليه.

(١٥٥) وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من الليل من واجع أو غيره صلى من النهار شتني عشرة ركعة. رواه مسلم.

## ١٦- باب في الأمر بالمحافظة على السنّة وأدابها

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْكُمُ الرَّسُولُ فَحْذِرُوهُ وَمَا هَمُوكُمْ عَنْهُ فَانْهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَيْ﴾ [٢] ﴿إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ مُوحَّنٌ﴾ [٤، ٣] [الجم].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُجْعَلُونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يَعِيشُكُمْ اللَّهُ وَيَفْعِلُ كُمْ ذُنُوبُكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَأُهُمْ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾

[الأحزاب: ٢١].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَلَا وَرِبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بِيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحْدُثُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مَمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [٦٥] [النساء: ٦٥].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَإِن نَزَّلْنَا عَلَيْكُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [٥٩] [النساء: ٥٩].

قال العلماء: معناه إلى الكتاب والسنّة.

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أطَاعَ اللَّهَ﴾ [٨٠] [النساء: ٨٠].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٥٧] [الشورى: ٥٧].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَلَيَحْذَرِ الَّذِينَ يَخْالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٦٣] [النور: ٦٣].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَأَذْكُرْنَاهُ مَا يُشَائِرُ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، والآيات في الباب كثيرة. وأما الأحاديث:

(١٦ / ١٥٦) فال الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه قال: «دعوني ما تركتكم، إنما أهلك منْ كان قبلكم كثرة سؤالهم واحتلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم». متفق عليه.

(١٦ / ١٥٧) الثاني: عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه: قال: وعظنا رسول الله صلوات الله عليه موعظة بليغةً وحِلتْ (أي: خافت) منها القلوب، ودرفت منها العيون (أي: سالت منها العيون بالدموع)، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع؛ فأوصينا. قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمعة والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي، وإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بستتي وسنتة الحلفاء الراشدين المهددين، عصوا عليهما بالنواجد، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلاله». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح». **«النواجد» بالذال المعجمة: الآيات، وقيل: الأضراس.**

(١٦ / ١٥٨) الثالث: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي (أي: امتنع ورفض). قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى». رواه البخاري.

(١٥٩/١٦) الرابع: عن أبي مسلم - وقيل: أبي إياس - سلمة بن عمرو بن الأكوع رض: أن رجلاً أكلَ عندَ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلُّ بِيمِينِكَ». قَالَ: لا أُسْتَطِعُ. قَالَ: «لا استَطَعْتَ». مَا مَنَعَكَ إِلَّا الْكِبْرُ. فَمَا رَفَعَهَا إِلَيْ فِيهِ» (أي: فمه). رواه مسلم.

(١٦٠/١٦) الخامس: عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رض قال: سمعتُ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «التسونَ صُفُوفُكُمْ، أَوْ لِيَخَالِفُنَ اللَّهَ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: كانَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسُوِّي صُفُوفَنا حتَّى كَانَنَا يُسُوِّي بَهَا الْقِدَاحَ (أي: السهام) حتَّى إِذَا رَأَى أَنَا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ. ثُمَّ خَرَجَ يَوْمًا فَقَامَ حَتَّى كَادَ أَنْ يُكَبِّرَ فَرَأَى رَجُلًا بِادِيَّ صَدْرِهِ، فَقَالَ: «عِبَادَ اللَّهِ، لَتُسُونَ صُفُوفَكُمْ أَوْ لِيَخَالِفُنَ اللَّهَ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ».

(١٦١/١٦) السادس: عن أبي موسى رض قال: احْتَرَقَ بَيْتُ الْمَدِيَّةِ عَلَى أَهْلِهِ مِنَ اللَّيلِ، فَلَمَّا حَدَّثَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَانِهِمْ، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ النَّارَ عَدُوُّ لَكُمْ، فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُهَا عَنْكُمْ». متفق عليه.

(١٦٢/١٦) السابع: عنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مَثَلَ مَا يَعْشَى اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْعِلْمِ كَمَثَلٍ عَيْثٍ (أي: مطر) أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبْلَتِ الْمَاءَ فَأَبْيَتِ الْكَلَّا (أي: ما بنيت حول موضع الماء) وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ (أي: أراضٍ صلبة تمسك الماء ولا تشربه سريعاً) أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَأَعُوا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ (أي: أراضٍ مستوية ملساء لا نبات فيها) لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْتَ كَلَّا، فَذَلِكَ مَثُلٌ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ بِمَا يَعْشَى اللَّهُ بِهِ فَعِلْمٌ وَعِلْمٌ، وَمَثُلٌ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِيَدِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبِلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلْتُ بِهِ». متفق عليه. «فَقْهٌ» بضم القافِ عَلَى المشهورِ، وقيل بكسرها، أي: صار فقيها.

(١٦٣/١٦) الثامن: عن جابر رض قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْ قَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقْعُنُ فِيهَا وَهُوَ يُدْبِهِنَ (أي: يدفعهن ويمنهن ويبعدهن) عَنْهَا، وَأَنَا آخُذُ بِحُجَّزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَنَلَّتُونَ مِنْ يَدِيَّ» (أي: يديه). رواه مسلم. «الْجَنَادِبُ»: نحو الجراد والفراش، هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ الَّذِي يَقْعُنُ فِي النَّارِ. و«الْحُجَّزُ»: جَمْعُ حُجَّزٍ وَهِيَ مَعْقِدُ الْإِزَارَ وَالسَّراويلِ.

(١٦٤/١٦) التاسع: عنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِلَعْقِ الْأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ (أي: وهي إماء كالقصبة)، وَقَالَ: «إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّهَا الْبَرَكَةُ». رواه مسلم.

وفي رواية له: «إِذَا وَقَعْتُ لِلْقَمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا، فَلَيُمِطْ (أي: فَلْيُرُول) مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذَى، وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ، وَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالْمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابَعَهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَّ كُثُرٌ».

وفي رواية له: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَائِئِهِ، حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمُ الْلَّقَمَةُ فَلَيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذَى، فَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ».

(١٦٥) العاشر: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم بِمَوْعِظَةٍ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى حُفَّةً عَرَّاهُ غُرْلًا» ﴿كَمَابَدَانَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ صلوات الله عليه وسلم، أَلَا وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرَجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِيِّ. فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دَمَتُ فِيهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَنْتَ الْمَغِيرُ لِلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨، ١١٧] فَيُقَالُ لِي: «إِنَّهُمْ لَمْ يَرَوُوا مُرْتَدِينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقُهُمْ». متفق عليه. «غُرْلًا﴾ أي: غير مخوّنين.

(١٦٦) الحادي عشر: عن أبي سعيد عبد الله بن مغفل رضي الله عنهما قال: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم عَنِ الْخَدْفِ (أي: العبث بالطيور وتعذيبها برميها بالحصى)، وقال: «إِنَّهُ لَا يَقْتُلُ الصَّيْدَ، وَلَا يَنْكِأُ (أي: لا يقتل) الْعَدُوَّ، وَإِنَّهُ يَفْقَأُ الْعَيْنَ، وَيَكْسِرُ السِّنَّ». متفق عليه.

وفي رواية: أنَّ قَرِيبًا لَابْنِ مُعْفَلَ خَدَفَ فَنَهَاهُ، وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم نَهَى عَنِ الْخَدْفِ، وَقَالَ: «إِنَّهَا لَا تَصِيدُ صَيْدًا». ثُمَّ عَادَ فَقَالَ: أَحَدُكُوكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم نَهَى عَنْهُ، ثُمَّ عُدْتَ تَخْدُفُ؟! لَا أَكُمُكَ أَكَدًا».

(١٦٧) الثاني عشر: وعن عَابِسِ بْنِ رَبِيعَةَ، قال: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الخطَّابَ رضي الله عنهما يُقْبَلُ الْحَجَرَ - يعني: الأسود - وَيَقُولُ: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ مَا تَنْفُعُ وَلَا تَضُرُّ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم يُقْبِلُكَ مَا قَبْلَتَكَ. متفق عليه.

\* \* \*

### (السُّنَّةُ النَّبُوَّيَّةُ الشَّرِيفَةُ)

**• السُّنَّةُ لَفْتَةُ:** هي الطريقة، سواءً كانت محمودةً أو مذمومةً، ومنها قول النبي صلوات الله عليه وسلم: «لَتَبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ» متفق عليه.

**السنة شرعاً: أولاً: في اصطلاح المحدثين:** هي ما أضيف إلى النبي ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفةٍ خلقيَّة أو خُلقيَّة، وكذلك ما أضيف إلى الصحابي أو التابعِي مما ليس للاجتِهاد فيه مدخلٌ، ولا للرأي فيه نصيْبٌ.

**ثانياً: في اصطلاح الفقهاء:** هو الأمر الذي ليس بواجبٍ ولا فريضةٍ في العبادات والمعاملات كسنن الصلاة والصيام وغيرها، حيث طلب الشارع الحكيم فعله من المكلَف طلباً في غير حِتمٍ ولا بصيغةٍ تدل على حِتمية فعله، كأن يقول يسِنْ كذا، أو يندِبْ كذا، كما لو دَلَّتْ القرينة على أنه للنَدب فقط.

**ثالثاً: في اصطلاح الأصوليين:** هي ما نُقل عن النبي ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ، وتقريرُه ﷺ هو سكوته على فعلٍ يُفعَلُ أمامه مع عدم إنكاره على صاحب ذلك الفعل، أو سماعه عن أمرٍ يُفعَلُ ولا يُنكرُ.

قال ابن تيمية : **السنة هي ما شرَّعه الله ورسوله من الدين.. والسنة التي يحب أتباعها ويُحَمَّدُ أهلُها ويُؤْدَمُ مَن خالفَها هي سنة رسول الله ﷺ في أمور الاعتقاد وأمور العبادات وسائر أمور الديانات، وذلك إنما يُعرَف بمعرفة أحاديث النبي ﷺ الثابتة عنه في أقواله وأفعاله وما ترَكَه مِن قولٍ وعملٍ، ثم ما كان عليه السابقون والتابعون لهم بإحسان..**

والسنة أيضًا ما تلقَاه الصحابة عن رسول الله ﷺ من الشَّرع والدين والهدي الظاهر والباطن وتلقَاه عنهم التابعون ثم تابعواهم ثم أئمَّة الهدى العلماء العدول المقتدون بهم ومن سَلَكَ سبيَّلَهُم إلى يوم القيمة.

وقد أطلق علماء السلف مصطلح **السنة** على أصول الدين وفرائض الإسلام وأمور الاعتقاد والأحكام القطعية في الدين؛ وللهذا كان الأئمَّة مثل الإمام أحمد : وغيره يُصنِّفون كتبَ ورسائل الاعتقاد باسم **السنة**.

ويقول ابن رجب الحنبلي : **فالسنة تُطلق عندهم على ما سَلِمَ من الشُّبهات في الاعتقادات، خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكذلك في مسائل القدر وفضائل الصحابة.**

فالسُّنَّة هي الاعتقاد الصحيح المقابل لاعتقاد أهل البدع والباطل، وكان العلماء يُقرّرون في هذا بين السُّنَّة والحديث.

وقد سُئل ابن الصلاح : عن الفرق بين قولهم عن مالك: إنه جَمَع بين السُّنَّة والحديث، فما الفرق بين السُّنَّة والحديث؟ فأجاب : السُّنَّة ها هنا ضد البدعة، وقد يكون الإنسان من أهل الحديث وهو مبتدع، ومالك : جَمَع بين الأمرين، فكان عالمًا بالسُّنَّة (أي: الحديث) ومعتقدًا للسُّنَّة (أي: كان مذهبـه مذهبـ أهل الحقـ من غير بدعة).

قال النبي ﷺ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعًا؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْشُ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنْنَتِي وَسُنْنَةِ الْحُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيَّينَ، فَنَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدُعَةٍ، وَكُلَّ بِدُعَةٍ صَلَالَةٌ». أبو داود برقم (٤٦٠٧)، صحيحه الألباني (سلسلة الصحيحة) حديث (٢٧٣٥).

### مصادر التشريع:

**أولاً: القرآن الكريم:** هو المعجزة الكبرى لمحمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو الكتاب المحفوظ من قِبَل الله تعالى حفظاً كاملاً، كلمةً كلمةً، وحرفًـ حرفاً، على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] وهو المصدر الأول للتشريع، مقطوع بثبوته من أوله إلى آخره.

**ثانياً: السنة النبوية:** هي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، كما قال الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ: ﴿وَأَنَّزَنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فالرسول ﷺ هو المبين والمفسر للقرآن الكريم.

**وهذا الإمام الشوكاني :** يقول في كتابه «إرشاد الفحول»: اعلم أنه قد اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السُّنَّة المطهرة مُستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام.

والحاصل أن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام، وأن القرآن العظيم والسنة النبوية المطهرة هما طوق النجاة لكل إنسان في هذا الوجود، سواء كان ذلك في حياته، أو في سكرات الموت عند وفاته، أو في وحدته ووحشته في قبره وعند حسابه، أو عند فجأة البعث وأهواله، وأنباء الحساب ورهبته، أو وقت ينصب الميزان للعباد، أو عند عبور الصراط؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِ بَنَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

**منزلة السنة في الإسلام:** السنة هي التفسير العملي للقرآن، والتطبيق الواقعي للإسلام، وقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قالت أم المؤمنين عائشة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كان خلقه القرآن» [أحمد في مسنده (٦/٩١) برقم (٢٤٦٤٥)]، فالسنة مبينة وموضحة ومفسرة للقرآن. وكما شمل القرآن المنهج الكامل الجامع للإنسانية، كذلك منهج السنة، قد شمل حياة الإنسان من المهد إلى اللحد، وكذلك شمل جميع مجالات الحياة كلها في البيت والسوق، وفي المسجد، وفي العمل، وفي الطريق، وشمل أيضاً العلاقات مع الله ومع الناس، ومع المسلم وغير المسلم، بل مع الحيوانات والجمادات، وامتدت هذه المجالات حتى شملت نفس الإنسان الباطنة وتعرضت لقلبه وعقله ونياته، فتعرّضت لعمق الحياة ومقصودها.

فالسنة منهج متكملاً يشمل جميع جوانب الحياة بواقعية؛ فلا يتعامل مع الناس على أنهم ملائكة، ويراعي ضعفهم، ويأخذهم من حد الكمال الأعلى إلى حد الجواز الأدنى، مرعاياً حالهم، متميزاً بالسهولة واليسير والسماعة، ومتوازناً بين طلبات الروح والجسد، وبين العاطفة والعقل، وبين الدنيا والآخرة، وبين الفرد والجماعة؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا لَنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٣].

**واجب المسلمين نحو السنة:** عن أسماء بن زيد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «يتحمل هذا العلم من كُلِّ خلَفٍ عُدُولُهُ، ينفونَ عَنْهُ: تَحْرِيفَ الْغَالِيَنَ وَاتِّحَادَ الْمُبْطَلِيَنَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِيَّنَ». البيهقي في الكبرى (١٠/٢٠٩) برقم (٢٠٧٠٠)، صصحه الألباني (تحقيق مشكاة المصايح) حديث (٢٤٨).

**• تحريف الغالين (المتشدد़ين):** هو تجاوز الحق إلى الباطل وهوئ النفس، بالتشدد على الناس في غير موضع التشدد، كما قال الله تعالى: ﴿فَلْ يَأْمُلَ الْكَتِبِ لَا تَنْتَلُوْا فِي دِينِكُمْ عَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَبَعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلَّوْا مِنْ قَبْلٍ وَأَضَلُّوْنَكُمْ شَيْرًا وَضَلَّوْا عَنْ سَوَاءِ أَسْكِيلِهِ﴾ [المائدة: ٢٧]، وكما نقل ابن عباس رض عن النبي ﷺ قوله: «إِيَاكُمْ وَالْغُلُوْفُ فِي الدِّينِ؛ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». أَحمد في مسنده (١٨٥١) برقم (٢١٥). وهذا ابن مسعود رض عن رسول الله ﷺ قوله: «هَلْكَ الْمُتَنَطَّعُونَ» قالها ثلاثة [مسلم برقم (٢٦٧٠)]، يعني: هلك المتشددون في غير موضع التشدد.

فالإسلام هو دين الوسطية والسمامة واليُسر، في غير غلوٌ ولا شططٍ.

ويقول سفيان الثوري : التشدد يحسنه كل أحد، أما العلم فهو الرخصة من ثقةٍ.

**• وأما اتحال المبطلين:** فهو محاولة إصاق ما ليس من هذا المنهج الرباني والسنّة النبوية من البداع والمختارات والمحدثات إليه؛ وقد عجز أهل الباطل على مر السنين مراراً وتكراراً في القرآن العظيم، فحاولوا ذلك في السنة ظناً منهم أنها غير محفوظة كحفظ القرآن، ولكن الله قيّض لحفظ السنة فرساناً فقعدوا لهم كل مرصد وسدوا عليهم كل طريق للکذب والاحتیال، فجزاهم الله عن الإسلام خيراً. وهؤلاء الأعلام لم يقبلوا حديثاً بغير سند دون أن يشرحوا رواته، واحداً واحداً، حتى تُعرَف عينه وحاله من مولده إلى وفاته، ومن أي حلقه كان هو، ومن هم شيوخه، ومن هم رفاقه، ومن هم تلامذته، وما مدى أمانته وقواه، ومدى حفظه وضبطه، ومدى موافقته للثقات المشاهير أو انفراده بالغريب من الحديث؛ ولهذا قال ابن المبارك : الإسناد من الدين، ولو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء. ويقصد بالإسناد: انتساب الحديث إلى من رواه، ومعرفة سلسلة السند التي ورد عنها الحديث أو الأثر، ومعرفة صحة الحديث من ضعفه.

وهذا أحد العلماء الألمان يقول في ذلك: لقد اعنى المسلمون بحياة نبيهم وتتبعُ أقواله وأفعاله، والاعتناء بحياة المتبّعين أنفسهم، أعني الرواية عنه، وليس في الدنيا أحدُ عُني به مثل هذه العناية، بكل من لقيه، وبكل من روى عنه شيئاً، وبمن روى عنمن روى... إلخ، وألّف فيهم الكتب، فكتبت «طبقات ابن سعد»، و«طبقات ابن ماكولا»، وكتاب

«الصحابة» لابن السكن، وابن الجارود، والعقيلي، وابن أبي حاتم الرازي، وأبي زُرعة الرازي، والأزرق، والدولابي، والبغوي، و«أسد الغابة»، و«الاستيعاب»، و«الإصابة»، وكتب أسماء الرجال من التابعين وتابعـيـ التابعين.. ثم قال: إن الدنيا لم تـر ولن تـرى أمةً مثل المسلمين، فقد درسوا بفضل عـلـمـ الرجال الذي أوجدوه حـيـاةـ نصفـ مـلـيـونـ رـجـلـ.

**• وأما تأوـيلـ العـاجـاهـلـينـ:** فالـمـقصـودـ بهـ التـأـوـيلـ السـيـئـ وـالفـهـمـ الرـديـءـ، وهذاـ بـسـبـبـ الجـهـلـ وـقـصـورـ العـقـلـ وـادـعـاءـ الـعـلـمـ لـمـنـ لـيـسـ بـأـهـلـهـ؛ فـيـعـرـضـ أـهـلـ الجـهـلـ عنـ مـحـكـمـ الـدـيـنـ وـيـتـبـعـونـ مـتـشـاـبـهـ اـبـتـغـاءـ الـفـتـنـةـ وـابـتـغـاءـ تـأـوـيلـهـ، وـمـاـ هـلـكـتـ الـفـرـقـ الـضـالـلـ إـلـاـ بـسـوـءـ التـأـوـيلـ وـسـوـءـ الـفـهـمـ عـنـ اللـهـ تـعـالـىـ وـرـسـوـلـهـ الـمـصـطـفـيـ ﷺـ، وـهـذـاـ أـصـلـ كـلـ بـدـعـةـ وـضـلـالـةـ فـيـ الدـيـنـ، وـخـاصـةـ لـوـ اـنـضـمـ إـلـيـهـ سـوـءـ الـقـصـدـ، فـإـنـ الـأـصـلـ (أـيـ: الـقـرـآنـ وـالـحـدـيـثـ) مـعـصـومـ مـنـ الـخـطـأـ وـالـزـلـالـ، وـلـكـنـ الـفـرعـ (أـيـ: وـهـوـ الـفـهـمـ) لـاـ شـكـ غـيرـ مـعـصـومـ.

فالواجب أن نـرـدـ الفـرعـ إـلـىـ الـأـصـلـ، أوـ غـيرـ الـمـعـصـومـ إـلـىـ الـمـعـصـومـ، فـلـاـ نـلـوـيـ السـنـةـ اـنـتـصـارـاـ لـمـذـاهـبـناـ وـآرـائـنـاـ، بلـ نـقـولـ كـمـاـ قـالـ اللـهـ تـعـالـىـ: ﴿ قُلْ يـأـهـلـ الـكـتـبـ لـأـ تـعـلـمـ فـيـ دـيـنـكـمـ غـيـرـ الـحـقـ وـلـأـ تـتـبـعـواـ أـهـمـةـ قـوـمـ قـدـ ضـلـلـوـ مـنـ قـبـلـ وـأـضـلـلـوـ كـثـيرـاـ وـأـضـلـلـوـ عـنـ سـوـاءـ الـسـكـبـيـلـ ﴾ [المائدة: ٧٧]. فـعـلـيـنـاـ أـنـ نـسـتوـقـنـ مـنـ السـنـةـ الصـحـيـحةـ بـالـرـجـوعـ إـلـىـ أـهـلـهـاـ وـمـصـادـرـهـاـ الصـحـيـحةـ أـيـضاـ، وـأـنـ نـحـسـنـ فـهـمـ هـذـهـ السـنـنـ وـفـقـ الـقـوـاـدـ الـعـلـمـيـةـ الـمـعـمـولـ بـهـاـ، وـنـعـرـفـ مـاـ كـانـ مـنـ السـنـةـ تـشـرـيـعاـ وـمـاـ لـيـسـ بـتـشـرـيـعـ.

**شـبـهـ أـعـدـاءـ السـنـةـ:** أـعـدـاءـ السـنـةـ هـمـ مـنـكـرـوـ السـنـةـ الـذـيـنـ يـرـيدـونـ الـاـكـتـفـاءـ بـالـقـرـآنـ وـإـنـكـارـ السـنـةـ. وـبـخـصـوصـ شـبـهـ هـؤـلـاءـ وـهـيـ قـوـلـهـمـ: إـنـ الـقـرـآنـ يـكـفـيـنـاـ؛ لـأـنـهـ التـبـيـانـ لـكـلـ شـيـءـ - يـقـولـ الـعـلـمـاءـ: إـنـ السـنـةـ هـيـ بـيـانـ لـلـقـرـآنـ مـنـ غـيرـ شـكـ، وـهـيـ التـيـ تـفـصـلـ مـاـ قـدـ أـجـمـلـهـ الـقـرـآنـ، وـتـخـصـصـ مـاـ كـانـ عـامـاـ مـنـهـ، وـتـقـيـدـ مـاـ كـانـ مـطـلـقاـ، وـلـوـ لـاـ السـنـةـ مـاـ عـرـفـنـاـ تـفـاصـيلـ الصـلـاـةـ وـالـصـيـامـ وـالـزـكـاـةـ وـالـحـجـ وـغـيرـهـ؛ لـذـاـ قـدـ قـالـ تـعـالـىـ: ﴿ يـأـلـيـتـنـاـ وـأـلـيـرـ وـأـنـزـلـنـاـ إـلـيـكـ أـلـذـكـرـ لـتـبـيـنـ لـلـنـاسـ مـاـ نـزـلـ إـلـيـهـ وـلـعـلـهـمـ يـنـفـكـرـوـنـ ﴾ [النـحلـ: ٤٤ـ].

وـقـدـ أـمـرـنـاـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ بـطـاعـةـ الرـسـوـلـ ﷺـ؛ قـالـ تـعـالـىـ: ﴿ يـأـيـهـاـ الـذـيـنـ مـاـمـنـوـاـ أـطـيـعـواـ اللـهـ وـأـطـيـعـواـ الرـسـوـلـ وـأـوـلـىـ الـأـمـرـ مـنـكـمـ فـإـنـ نـزـعـمـ فـيـ شـيـءـ قـرـدـوـهـ إـلـىـ اللـهـ وـالـرـسـوـلـ إـنـ كـمـنـ تـوـمـنـوـ بـإـلـهـ وـأـلـيـومـ الـآـخـرـ ذـلـكـ خـيـرـ وـأـحـسـنـ تـأـوـيـلـاـ ﴾ [الـنـسـاءـ: ٥٩ـ]. وـقـدـ أـجـمـعـ الـعـلـمـاءـ عـلـىـ أـنـ الرـدـ

إلى الله معناه إلى القرآن، والرد إلى الرسول ﷺ يعني إلى السنة.

**قال الإمام الشاطبي :** في «المواقفات»: إِنْ حَفْظَ الْقُرْآنَ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ تَعَالَى يَتَضَمَّنُ حِفْظَ السُّنَّةِ كذلك؛ لأنها بيان له، وحفظ شيء يستلزم حفظ ما يُبَيِّنُه ويُفَسِّرُه، فهو من دواعي ولوازم ذلك الحفظ؛ قال رسول الله ﷺ: (لَا أَكِنَّا لَأَجِدَنَا مُتَكَبِّنَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَا). الترمذى برقم (٢٦٦٣)، صحة الألبانى (تحقيق مشكاة المصايح) حديث (١٦٢).

فالخطأ الأساسي الذي وقع فيه هؤلاء المُنكرُون إنما هو قياس الغائب على الشاهد، والآخرة على الدنيا، وهو قياس مع الفارق؛ فلكل دار قوانينها وسننها.

والسنة هي المصدر الثانى للفقه والتشريع بعد كتاب الله تعالى، وهي أصلٌ ودليلٌ للأحكام الشرعية؛ قال الأوزاعي : نَقَلاً عَنْ مَكْحُولٍ : الْقُرْآنُ أَحْوَجُ إِلَى السُّنَّةِ مِنَ السُّنَّةِ إِلَى الْقُرْآنِ؛ حيث هي المُبَيِّنَةُ والمُفَسِّرَةُ للكتاب، فهي التي تفسّر ما أجمله، وتُقيّد ما أطلقه، وتُخَصِّصُ ما عَمِّمه.

فالسنة كما قال الإمام أحمد : مُبَيِّنَةُ لِكِتَابٍ؛ فهي تُبَيِّنُ الكتاب من وجهه، وهي من وجہ آخر تدور في فَلَكِ الكتاب ولا تخرج عنه، وهو أمر لا نزاع فيه أنها المصدر الثانى للتشريع في العبادات والمعاملات للفرد والأسرة والمجتمع والدولة والعلاقات الدولية وجميع أمور العيش كافة، حتى إنك تجد في كتب الفقه الإسلامي في كل المذاهب ما يؤيد ذلك، فما من حكم إلا وتجد له الاستدلالات العظيمة والكثيرة من السنة، سواء بالقول أو الفعل أو التقرير، فهو مبدأ مُسَلِّمٌ به بين العلماء، والخلاف بين العلماء إنما هو في التأكيد من صحة ما وصل إليهم من السنة أو خطئه، فالاختلاف إذن في ذلك يتبع الاختلاف في التطبيق حسب درجة الصحة وقبول الأحاديث والعمل بها.

**ما ليس تشريعاً من أقوال الرسول ﷺ وأفعاله :** كُلُّ ما صدر عن الرسول ﷺ من أقوالٍ أو أفعالٍ فهو حجة على المسلمين واجب الاتّباع، وذلك إذا صدر عنه بوصفه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وكان المقصود منه التشريع العام والاقتداء، والرسول ﷺ إنسان كسائر البشر، قد اصطفاه الله تبارك وتعالى رسولاً وأرسله إليهم، كما قال تعالى:

﴿فَلِمَّا آتَيْنَا نَبِيًّا مِّنْكُمْ بُوَحَّى إِلَيْهِ﴾ [الكهف: ١١٠]

١- ما صَدَرَ عن النَّبِيِّ ﷺ بِمُقْتَضَى طَبِيعَتِهِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ، مِنْ قِيَامٍ وَقَعْدَةٍ وَمَشَيٍّ وَنُومٍ  
وَأَكْلٍ وَشَرْبٍ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِتَشْرِيعٍ، وَهَذَا لَيْسَ مَصْدَرَهُ رَسَالَتُهُ مِنْ وَحْيِ السَّمَاءِ،  
وَإِنَّمَا هُوَ صَدَرٌ مِنْ كَفْعَلٍ إِنْسَانِيٍّ، أَمَا إِذَا صَدَرَ ذَلِكَ وَدَلَّ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ  
فَعْلِهِ الْاِقْتِدَاءُ بِهِ كَانَ ذَلِكَ تَشْرِيعًا بِهَذَا الدَّلِيلِ.

٢- ما صدر عنه بحكم الخبرة الإنسانية والصدق والتجارب التي اكتسبها في شؤون الدنيا، من تجارةٍ وزراعةٍ وتنظيم جيوشٍ وتدبير حربيٍّ ووصفٍ دوائِ لمرضٍ وأمثال هذا، فهذا أيضاً ليس تشريعاً؛ لأنَّه ما صدر عن رسالته ووحيه، وإنما صدر عن خبرته الدنيوية وتقديره الشخصي.

ويدل على ذلك ما روى عن الحباب بن المنذر في غزوة بدر بقوله: لهذا منزل<sup>١</sup>  
أنزل الله، أم هو الرأي وال الحرب والمكيدة؟ فقال<sup>٢</sup>: «بُلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ». فـ<sup>٣</sup>  
قال ابن المنذر: ليس هذا بمنزل. وأشار إلى مكان آخر للنزول، وقبل<sup>٤</sup> الرسول<sup>٥</sup> منه  
ذلك [البيهقي في «الدلائل» (٣٥ / ٣)]. فلو كان وحيًا لما تمت المناقشة على<sup>٦</sup> هذا الوجه.

كما يدل على ذلك أيضاً ما رُويَ من أنَّ الرَّسُولَ ﷺ لما رأى أهْلَ المَدِينَةِ يُؤْبِرُونَ النَّخْلَ (أي: يُلْقِحُونَهَا وَيُنْذِرُونَهَا) أشارَ عَلَيْهِمْ أَلَا يَفْعُلُوا، فَتَلَفَّ الشَّمْرُ بِذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِّنْ أَمْرِ دِينِكُمْ فَحُذِّرُوا بِهِ وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِّنْ دُنْيَاكُمْ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ <sup>صحيح ابن حبان (١/٢٠٢) برقم (٢٣)، ويلفظ آخر جمه مسلم برقم (٢٣٦١).</sup>

٣- ما صَدَرَ عن رَسُولِ اللَّهِ وَدَلَّتِ الْأَدْلَةُ الشَّرِعِيَّةُ عَلَىٰ أَنَّهُ خَاصٌّ بِهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ،  
وَأَنَّهُ لَيْسَ تَشْرِيعًا نَقْدِيًّا فِيهِ بَفْعَلَةٍ؛ وَذَلِكَ كَزِوَاجِهِ بِأَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعِ زَوْجَاتٍ.

**الخلاصة:** أن ما صدر عن رسول الله ﷺ من أقوالٍ وأفعال في الحالات الثلاث التي بيّناها إنما هو من سنته، ولكنه ليس تشريعاً ولا قانوناً واجباً اتباعه؛ وأما ما صدر من أقوالٍ وأفعالٍ بوصف أنه رسولٌ ومقصود به التشريع العام واقتداء المسلمين به فهو حجة على المسلمين وقانون واجب اتباعه؛ أي هو كل ما صدر عنه من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ قصدَ به التشريع واقتداء الناس به لهدايتهم.



## ١٧- باب في وجوب الانقياد لحكم الله وما يقوله من دعوى إلى ذلك وأمر بمعروف أو نهي عن منكر

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرِبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَقَّنِي حُكْمُكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحْدُو فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مَمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَنْلَهْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

وفيه من الأحاديث: حديث أبي هريرة المذكور في أول الباب قبله، وغيره من الأحاديث فيه.

(١٧ / ١٦٨) عن أبي هريرة رض قال: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَلَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدِوْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفِهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ أَعْلَمُ﴾ الآية [البقرة: ٢٨٤] اشتدَّ ذلك على أصحاب رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأتوا رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم برزوا على الركب، فقالوا: أي (أي: حرف نداء لل قريب) رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والجهاد والصيام والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها. قال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين (أي: اليهود والنصارى) من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير». قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقتربوا (أي: فرقها) القوم، وذلت بها ألسنتهم أنزل الله تعالى في أثرها: ﴿إِنَّمَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَآ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكَذِّبُهُ وَرَسُولِهِ لَا يُنَزِّفُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَاتَلُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفرانك ربنا وإليك المصير﴾ [البقرة: ٢٨٥]. فلما فعلوا ذلك سخنها الله تعالى، فأنزل الله عز جل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسِّعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذنَا إِنَّ سَيِّئَاتِنَا أَوْ أَخْطَأَنَا﴾ قال: «نعم». ﴿رَبَّنَا وَلَا تَعْمَلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال: «نعم». ﴿وَأَعْفُنَا وَأَغْفِرْنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال: «نعم». رواه مسلم.

## (أقسام الحكم التكليفي للأمة)

تنقسم الأحكام الشرعية أو التكليفية - أي ما كُلّف به المسلمين - إلى خمسة أقسام هي: الواجب، والمندوب، والمحرم، والمكروه، والماضي.

**الوجوب:** هو الأمر الواجب الذي طلب الشارع الحكيم فعله من المكلف طلباً حتمياً بدليل من القرآن والسنة دلّ عليه أو بصيغة الأمر الواجب؛ أو بترتيب العقوبة على تركه؛ أو بأي قرينة شرعية أخرى، وهذه الأوامر مثل الصيام والصلوة والزكاة والحج وبر الوالدين... إلخ، من المأمورات التي وردت بصيغة الأمر المطلق.

**الندب:** هو الأمر الذي طلب الشارع الحكيم فعله من المكلف طلباً في غير حتم ولا بصيغة تدل على حتمية فعله كأن يقول يسن كذا، أو يندب كذا، كما لو دلت القرينة على أنه للندب فقط كما قال في آية الدين: ﴿يَتَائِمَا الَّذِينَ إِمَّا مُؤْمِنُوا إِذَا تَدَابَّنْتُمْ بِدِينِ إِلَهٍ أَكْثَرُكُمْ فَأَكْتَبُوهُ﴾ [آل عمران: ٢٨٢] فإن الأمر فيها ليس واجباً، وإنما للندب فقط بدليل القرينة التي في الآية نفسها وهي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَإِيَّوْدَ الَّذِي أَوْتُمْ أَمْتَنَتْ﴾ [آل عمران: ٢٨٣] فقد أشارت إلى أن للدائن حقاً في أن يشق بمدينه ويأتمنه بغير كتابة هذا الدين عليه.

**التحريم:** هو الأمر الذي طلب الشارع الحكيم الكف عن فعله طلباً حتمياً كأن تكون صيغة الطلب حتمية أيضاً كقوله تعالى: ﴿حِرَّمْتَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمْ وَلَحْمُ الْخَنِزِيرِ﴾ [المائد: ٣٢]، أو أن يكون النهي عن الفعل مقترباً بدليل حتمي من الشرع كقوله تعالى: ﴿وَلَا نَنْهَاكُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا فَرِحَّشَةً وَسَاءَ سَيِّلًا﴾ [آل عمران: ٢٢]، أو أن يتربّط على الفعل عقوبة مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَيْحَى شَهَادَةً فَاجْلِدُوهُنَّ ذِينَ جَلَدَهُ﴾ [آل عمران: ٤].

**الكرابة:** هو الأمر الذي طلب الشارع الحكيم من المكلف اجتنابه طلباً في غير حتم، حيث تكون الصيغة نفسها دالة على ذلك كما ورد في الحديث الشريف: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهُ لِكُمْ قِيلَ وَقَالَ» [صحيف البخاري (٢٥١ / ٨) برقم ٢٢٣١]، أو كان النهي بقرينة تدل على الكرابة وليس

التحريم مثل قوله تعالى: ﴿يَهَايْهَا الَّذِينَ مَأْمَنُوا لَا تَسْتَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدَّ لَكُمْ نَسْوَمْكُم﴾ [المائدة: ١٠١].

**الإباحة:** هو الأمر الذي خير الشارع الحكيم المكلّف بين فعله وتركه على وجه التخيير؛ فلم يطلب منه أن يفعله، أو أن يكتفى عنه كقوله عليه السلام: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الْأَصْلَوْنَةُ فَأَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠]، وكقوله أيضًا: ﴿وَكُلُوا وَأَشْرُبُوا﴾ [البقرة: ١٨٧]

\* \* \*

## ١٨- باب في النهي عن البدع ومحدثات الأمور

قال الله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِيقَ لَا الْأَنْذَلَ﴾ [يونس: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿مَا فَرَطَنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ نَزَّلْنَاهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [ النساء: ٥٩]؛ أي الكتاب والسنة.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْبِغِي أَسْبُلَ فَنَفَرَقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأعراف: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُجْهُونُ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُعِينُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

والآيات في الباب كثيرة معلومة.

وأما الأحاديث فكثيرة جدًا، وهي مشهورة فنقتصر على طرف منها:

(١٨ / ١٦٩) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» (أي: مردود عليه). متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

(١٨ / ١٧٠) وعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه إذا خطب احرمرت عيناه، وعلاصوته، وأشتد غضبه، حتى كانه منذر جيش، يقول: «صَبَّحْكُمْ وَمَسَّاْكُمْ». ويقول: «بِعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ». ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ حَيْرَ

الحاديـث كـتاب الله، وـحـير الـهـدـي هـدـي مـحـمـدـي شـرـق الـأـمـرـمـوـر مـحـدـثـاتـهـا، وـكـلـ بـدـعـةـةـ صـلـالـةـهـاـ. ثـمـ يـقـوـلـ: «ـأـنـاـ أـوـلـىـ بـكـلـ مـؤـمـنـ مـنـ نـفـسـهـ، مـنـ تـرـكـ مـالـاـ فـلـأـهـلـهـ، وـمـنـ تـرـكـ دـيـنـاـ أـوـ ضـيـاعـاـ (أـيـ: عـيـالـاـ) فـإـلـيـ وـعـلـيـ»ـ. رـوـاهـ مـسـلـمـ.

وعن العـربـيـاضـ بنـ سـارـيـةـ حـدـيـثـهـ السـابـقـ فـيـ بـابـ الـمـحـافـظـةـ عـلـىـ الـسـنـةـ.



### (الابتداء)

**البدعة في الدين:** هي التي لم يدلّ عليها دليلٌ شرعيٌّ، لا من كتابٍ، ولا من سُنّةٍ، ولا من إجماعٍ، ولا من استدلالٍ معتبرٍ عند أهل العلم، لا في الجملة ولا في التفصيل؛ فهي شيءٌ مُخترَّ على غير مثالٍ سابقٍ.

**أحكام البدعة بنوعيها:** وللسادة العلماء في تعريف البدعة شرعاً مسلكان:

**المسلك الأول:** وهو مسلك الإمام العزّ بن عبد السلام؛ حيث اعتبر أن ما لم يفعله النبي ﷺ فهو بدعة، وقسمها إلى أحكام، قال في «قواعد الأحكام في مصالح الأنماط»: البدعة فعل ما لم يعهدْ في عصر رسول الله ﷺ، وهي منقسمة إلى: بدعة واجبة، وبدعة محمرة، وبدعة مندوبة، وبدعة مكرروهه، وبدعة مباحة، والطريق في معرفة ذلك أن تعرّض البدعة على قواعد الشريعة: فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، وإن دخلت في قواعد التحرير فهي محمرة، وإن دخلت في قواعد المندوب فهي مندوبة، وإن دخلت في قواعد المكرر فهي مكرروهه، وإن دخلت في قواعد المباح فهي مباحة.

**وأكـدـ الإـلـمـاـنـ الـحـاـفـظـ اـبـنـ حـجـرـ العـسـقلـانـيـ** هذا المعنى؛ حيث قال في «فتح الباري»: وكل ما لم يكن في زمانه يسمى بـدـعـةـ، لكنـ منها ما يكون حـسـناـ، ومنها ما يكون بـخـلـافـ ذـلـكـ.

**وـالـمـسـلـكـ الثـالـثـ**: رـفـضـ فـيـ الإـلـمـاـنـ الشـاطـبـيـ : التقسيـمـ الأولـ وـبـالـغـ فـيـ رـدـهـ، وـاعـتـبرـ أنـ هـذـاـ التـقـسـيمـ أـمـرـ مـخـرـجـ لـاـ يـدـلـ عـلـيـهـ دـلـلـ شـرـعـيـ؛ حيث اـعـتـبـرـ الـبـدـعـةـ مـعـ السـنـةـ تـقـسـيمـ

إلى ثلاثةٍ:

- سُنَّة، وهي ما فُعِلَ في الصَّدْرِ الأوَّل وشَهَدَ لَهُ أَصْلُ مِنْ أَصْوَلِ الشَّرْعِ.

- وَبِدْعَة، وهي مَا لَمْ يُفْعَلْ فِي الصَّدْرِ الأوَّل وَلَمْ يَشَهَدْ لَهُ الْأَصْلُ.

- وَمُشَبِّهَاتٍ، وهي مَا لَمْ يُفْعَلْ فِي الصَّدْرِ الأوَّل وَشَهَدَ لَهُ الْأَصْلُ.

فِي رِسْالَةِ الشَّاطِبِيِّ بِذَلِكَ أَنَّ الْبَدْعَةَ لَا تَكُونُ وَاجِهًةً وَلَا مَنْدُوبَةً وَلَا مَبَاحَةً، إِنَّمَا تَكُونُ قَبِيحَةً مِنْهَا، وَبِالْتَّالِي إِنَّ أَمْثَلَ الْبَدْعَةِ الْوَاجِهَةُ وَالْمَنْدُوبَةُ وَالْمَبَاحَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا الْقَرَافِيُّ وَشِیْخُهُ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ لَا تَخْرُجُ عَنْ كَوْنِهَا إِمَّا مَمَّا لَهُ أَصْلٌ فِي الدِّينِ وَمِنَ الْمَصَالِحِ الْمَرْسَلَةِ، وَإِمَّا عَنْ كَوْنِهَا مِنَ الْعَادِيَاتِ.

وَيَرِى الشَّاطِبِيُّ أَنَّ مَا كَانَ لَهُ أَصْلٌ فِي الدِّينِ وَمِنَ الْمَصَالِحِ الْمَرْسَلَةِ لَا يُعَدُّ مِنَ الْبَدْعِ؛ لِأَنَّ مَفْهُومَ الْبَدْعَةِ أَنَّهَا خَارِجَةٌ عَمَّا رَسَمَهُ الشَّرْعُ؛ إِذْ هِيَ طَرِيقَةٌ فِي الدِّينِ ابْتُدَعَتْ عَلَى غَيْرِ مَثَالٍ سَبَقَهَا لِتَشَابَهِ مَعَ الشَّرِيعَةِ، وَيُقَصَّدُ بِفِعْلِهَا الْمُبَالَغَةُ مِنْ صَاحْبِهَا فِي التَّعْبُدِ لِللهِ.

فَتَمَيَّزَتِ الْبَدْعَةُ وَانْفَضَّلَتْ بِهَذَا الْفَهْمِ عَنْ كُلِّ مَا ظَهَرَ وَاخْتَرَعَ مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالدِّينِ، كَعْلَمِ النَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَمَفَرَّدَاتِ اللُّغَةِ وَأَصْوَلِ الْفَقْهِ وَسَائِرِ الْعِلُومِ الْخَادِمَةِ لِلشَّرِيعَةِ.

وَهُوَ بِهَذَا قَدْ جَعَلَ مَفْهُومَ الْبَدْعَةِ فِي الشَّرِيعَةِ أَخَصَّ مِنْهُ فِي الْلُّغَةِ، فَجَعَلَ الْبَدْعَةَ هِيَ الْمَذْمُومَةُ فَقَطُّ، وَلَمْ يَسْمِ الْبَدْعَةَ الْوَاجِهَةَ وَالْمَنْدُوبَةَ وَالْمَبَاحَةَ وَالْمَكْرُوهَةَ بَدْعًا كَمَا فَعَلَ الْإِمامُ الْعَزِيزُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ، وَإِنَّمَا افْتَصَرَ مَفْهُومَ الْبَدْعَةِ عَنْهُ عَلَى الْمُحَرَّمَةِ.

وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْإِيمَامِ ابْنِ رَجَبِ الْحَنْبَلِيِّ، وَبَيَّنَ مَعْنَى فِي قَوْلِهِ فِي «جَامِعِ الْعِلُومِ وَالْحِكْمَةِ»: الْمَرَادُ بِالْبَدْعَةِ مَا أَحَدَثَ مَا لَا أَصْلَ لَهُ فِي الشَّرِيعَةِ يَدِلُّ عَلَيْهِ، فَأَمَّا مَا كَانَ لَهُ أَصْلٌ فِي الشَّرِيعَةِ يَدِلُّ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ بِبَدْعَةٍ شَرِيعَةٌ، وَإِنْ كَانَ بَدْعَةٌ لِغَةً.

قَالَ الشَّاطِبِيُّ : الْبَدْعَةُ طَرِيقَةٌ فِي الدِّينِ مُخْتَرَعَةٌ تُضاهِي (أَيْ: تُشَابِه) الشَّرِيعَةِ، وَيَقْصِدُ بِهَا صَاحِبُهَا الْمُبَالَغَةُ فِي التَّعْبُدِ لِللهِ تَعَالَى، فَالْمُبَتَدِعُ يَقُولُ أَوْ يَفْعُلُ شَيْئًا لَمْ يُقْتَلِّدْ فِيهِ الْعُلَمَاءُ وَلَمْ يَسْتَعِنْ فِيهِ بِالشَّرِيعَةِ وَلَا بِصَاحِبِهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وفي الحقيقة فإن المسلكين اتفقا على حقيقة مفهوم البدعة المذمومة شرعاً، وإنما الاختلاف في المدخل للوصول إلى هذا المفهوم المُتَّقِّي عليه، وهو أن البدعة المذمومة التي يأثم فاعلها شرعاً هي التي ليس لها أصل في الشريعة يدل عليها، وهي المراد من قوله عليه السلام فيما أخرجه مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «كل بيعة ضلاله». وكان على هذا الفهم الواضح الصريح أئمة الفقهاء وعلماء الأمة المتبعون.

فقد روى أبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «مناقب الشافعى»، عن الإمام الشافعى رحمه الله أنه قال: المحدثات من الأمور ضربان؛ أحدهما: ما أحاديث مما يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً، فهذه البدعة الضلالة، والثانى: ما أحاديث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، وهذه محدثة غير مذمومة.

وقال حجة الإسلام أبو حامد الغزالى رحمه الله في «إحياء علوم الدين»: ليس كل ما أبدع مهيناً عنه، بل المنهي عنه بدعة تضاد سنة ثابتة، وترفع أمراً من الشرع.

وقد نقل الإمام التّنوي رحمه الله عن سلطان العلماء الإمام العز بن عبد السلام ذلك، فقال في «الأذكار»: قال الشيخ الإمام المجمع على جلالته وتمكّنه من أنواع العلوم وبراعته، أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام، رحمة الله ورضي عنه، في آخر كتاب القواعد: البدعة منقسمة إلى واجبة ومحرمة ومندوبة ومتاحة... إلخ.

قال الإمام التّنوي رحمه الله في حديثه عن المصافحة عقب الصلاة: واعلم أن هذه المصافحة مُستحبة عند كل لقاء، وأما ما اعتاده الناس من المصافحة بعد صلاتي الصبح والعصر فلا أصل له في الشرع على هذا الوجه، ولكن لا بأس به، فإن أصل المصافحة سُنة، وكوئنهم حافظوا عليها في بعض الأحوال وفرطوا فيها في كثير من الأحوال أو أكثرها، لا يخرج ذلك البعض عن كونه من المصافحة التي ورد الشرع بأصلها.

وقال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث»: البدعة بدعتان: بِدْعَةُ هُدَى، وبِدْعَةُ ضَلَالٍ، فما كان في خلاف ما أمر الله به رسوله صلوات الله عليه وسلم؛ فهو في حَيْزِ الدَّمْ والإنكار، وما كان واقعاً تحت عموم ما نَدَبَ إليه وحَضَّ عليه الله أو رسوله فهو في

حَيْزِ الْمَدْحُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثْلٌ مُوجُودٌ كَنْوَعٌ مِنَ الْجُودِ وَالسَّخَاءِ وَفِعْلِ الْمَعْرُوفِ فَهُوَ مِنَ الْأَفْعَالِ الْمَحْمُودَةِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي خِلَافٍ مَا وَرَدَ الشَّرْعُ بِهِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ جَعَلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ثَوَابًا، فَقَالَ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا...»، وَقَالَ فِي ضَدِّهِ: «وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا...» [روايه الإمام أحمد من طريق جرير بن عبد الله رض]، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ فِي خِلَافٍ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ قَوْلُ عُمَرَ رض: نِعْمَتِ الْبَدْعَةُ هَذِهِ (يَقْصُدُ: صَلَاةَ التَّرَاوِيْحِ). لَمَّا كَانَتْ مِنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ وَدَاخِلَةً فِي حَيْزِ الْمَدْحُ سَمَّاهَا بَدْعَةً وَمَدْحَاهَا؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَسْنَهَا لَهُمْ، وَإِنَّمَا صَلَالُهَا لَيَالِي ثُمَّ تُرْكَهَا وَلَمْ يَحْفَظْهَا عَلَيْهَا وَلَا جَمَعَ النَّاسَ لَهَا، وَلَا كَانَتْ فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ، وَإِنَّمَا جَمَعَ عُمَرَ رض النَّاسَ عَلَيْهَا وَنَذَبَهُمْ إِلَيْهَا، فَبِهَا سَمَّاهَا بَدْعَةً، وَهِيَ عَلَى الْحَقِيقَةِ سُنَّةٌ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بُسْتَنِي وَسُنَّةُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي» [روايه الإمام أحمد من طريق عرباتِ بْنِ سَارِيَةَ رض]، وَقَوْلُهُ: «اَقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ» [روايه الإمام أحمد من طريق حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رض]، وَعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ يُحْمَلُ الْحَدِيثُ الْآخِرُ: «كُلُّ مُحَدَّثٍ بِدُعَةٍ». إِنَّمَا يُرِيدُ مَا خَالَفُ أَصْوَلَ الشَّرِيعَةِ وَلَمْ يَوْافِقْ السُّنَّةَ.

وَضَرَبَ الْعُلَمَاءُ أَمْثَلَةً لِلْبَدْعِ الَّتِي تَعْتَرَبُهَا الْأَحْكَامُ التَّكْلِيفِيَّةُ:

١ - بَدْعَةُ وَاجْبَةٍ عَلَى الْكَفَايَةِ؛ أَيْ إِذَا قَامَ بِهَا الْبَعْضُ كَفِيَّ بِهَا الْآخَرُينَ: مَثَلُ تَعْلُمِ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتُوقَّفٌ عَلَيْهَا فَهُمُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، مَثَلُ النَّحْوِ وَالصِّرْفِ وَاللُّغَةِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقِيَامَ بِالشَّرِيعَةِ أَصْلًا فَرْضٌ كَفَايَةٌ، وَلَا يَتَأَتَّ الْقِيَامُ بِهَا إِلَّا بِاللُّغَةِ، فَكَانَتْ بَدْعَةً وَاجْبَةً عَلَى الْكَفَايَةِ.

٢ - بَدْعَةُ مُحَرَّمَةٍ، مُثَلُ مَذَاهِبِ أَهْلِ الْبَدْعِ الْمُخَالِفَةِ لِمَا عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، كَالْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَالْمُعْتَرِّلَةِ وَالشِّيَعَةِ.

٣ - بَدْعَةُ مَنْدُوبَةٍ مُسْتَحَبَّةٍ، مُثَلُ نَقَاطِ حِرَاسَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِشَاءِ الْمَعَاهِدِ وَالْمَدَارِسِ الدِّينِيَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَالْقَنْوَاتِ الْفَضَائِيَّةِ الدِّينِيَّةِ، وَتَمْيِيزِ الْعُلَمَاءِ بِزَيِّ خَاصٍ مُمِيزٍ وَنَحْوِهِ.

٤- بدعة مكرورة، مثل: تزيين المساجد وتربيين المصاحف بشكلٍ يُلهي عن المقصود ويشغل المصلحي أو القارئ.

٥- بدعة مباحة، مثل التوسيع في لذذ الأكل والشرب واللباس والحلال الذي لا يؤدي إلى الفخر والعجب والخيلاء.

واستدلوا الرأيهم في تقسيم البدعة إلى الأحكام الخمسة بأدلة، منها:

أ- قول سيدنا عمر رض في صلاة التراويح جماعة في المسجد في رمضان: نعمت البدعة هذه؛ روى البخاري في «صحيحه» عن التابعي الجليل عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رض ليلاً في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع مُنفرّقون، يُصلّي الرجل لنفسه، ويصلّي الرجل فيصلي بصلاته الرّهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل. ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلاً أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعم البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون. يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون آوله.

ب- تسمية ابن عمر رض صلاة الضحى جماعة في المسجد بدعة، وهي من الأمور الحسنة؛ روى البخاري ومسلم في صحيحهما: عن مجاهد قال: دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد، فإذا عبد الله بن عمر جالس إلى حجرة عائشة، وإذا ناس يصلون في المسجد صلاة الضحى، فسألناه عن صلاتهم، فقال: بدعة.

وقد قال عليه السلام: «فَعَلَيْكُمْ سُرْتِي، وَسُنَّةُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيَّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْها بِالْتَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالٌ».

#### أسباب البدعة:

١- سكوت كثير من أهل العلم، فيظن العوام أن سكتهم على أمر ما يعني أنه لا يخالف الشرع.

٢- تهافت بعض أهل العلم على طلب الشهرة بين الناس وطلب الوجاهة والمكانة

لينالوا بذلك دُنيا زائلةً.

٣- القول في الدين بغير علم في الفتوى والتعليم.

٤- الجهل بالسُّنة، والمقصود بالسُّنة الشريعة الصحيحة.

فالبدع لا تدخل إلا في العبادات- أي ما قُصد به التعبُّد عن اعتقاد يترتب عليه فعل البدع- فلا تكون بدعاً إلا إذا قُصد بفعلها التعبد لله، فكل ما اخترع من الأفعال في الدين مما يشابه الأعمال المشروعة ولم يقصد به التعبد فقد خرج عن مسمى البدعة وعن كونه بدعةً. فكل من منع نفسه من أداء أو تناول ما أحلَ الله مِنْ غير عذرٍ شرعيٍ فهو خارج عن سُنة النبي ﷺ، فمن امتنع لعذر شرعي من مرض ونحوه فليس بمبتدع، كمن يمتنع عن طعام بعينه لمرض، أما إن امتنع عنه تديناً فهذا هو المبتدع بعينه، فإن كان امتناع العبد عن أداء واجب تكاسلًا فهو في حُقُّه معصية وليس ببدعة، والله تعالى يقول: ﴿يَتَآتِيهَا الَّذِينَ مَا آمَنُوا لَا تُحِرِّمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [٨٧]

[المائدة: ٨٧]. وقال ﷺ: «مَنْ رَغَبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» متفق عليه.

وعن أبي أمية قال: أتيتُ أبا ثعلبة الحُشَنِي فقلت: يا أبا ثعلبة، كيف تقول في هذه الآية: ﴿يَتَآتِيهَا الَّذِينَ مَا آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرِجَّعُكُمْ جَمِيعًا فَيُثْنِيَنَّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [١٥] [المائدة: ١٠٥]؟ فقال: أما والله لقد سألت عنها خيراً؛

سألتُ عنها رسول الله ﷺ فقال: «بَلْ اشْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهُوا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوَى مُتَبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ أَمْرٌ نَفِسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَوَامِ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ قُبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَالَمِ فِيهَا مِثْلُ أَجْرٍ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ». وزاد: يا رسول الله، أجر خمسين منهم؟ قال: «أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ». أبو داود برقم (٤٣٤١)، والترمذى برقم (٣٠٥٨)، وقال: حديث حسن.

وقال حُذَيْفة بن اليمان (رضي الله عنه): كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشّرّ مخافة أن يُدركوني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشّرّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرّ؟ قال: «نعم». قلت: وهل بعد ذلك الشّرّ من خير؟

قال: «نعم، وَفِيهِ دَخْنٌ» (أي: شوائب). قلت: وما دَخْنُه؟ قال: «قَوْمٌ يَهُدُونَ بِغَيْرِ هَدْبِيِّ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ». قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نَعَمْ، دُعَاءُ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مِنْ أَجْبَابِهِمْ إِلَيْهَا قَدْفُوهُ فِيهَا». قلت: يا رسول الله، صِفْهُمْ لَنَا. قال: «هُمْ مِنْ جِلْدِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِالْسِيَّرَةِ». قلت: فما تأمرني إن أدركتني ذلك؟ قال: «تَلْزُمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِيمَامَهُمْ». قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فَاغْتَرِّ بِتِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنَّ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةِ حَتَّى يُدْرِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ» متفق عليه.

قال أبو العالية : ما أدرى أي النعمتين أفضل: أن هداي الله للإسلام، أو عافاني من هذه الأهواء؟

وقال عمر بن عبد العزيز : سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنتاً الأخذ بها اعتصام بكتاب الله وقوه على دين الله، وليس لأحدٍ تبديلها ولا تغييرها ولا النظر فيها امر خالفها، من اهتدى بها فهو المهتدي، ومن استنصر بها فهو المنصور، ومن ترکها وأتّبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما توّلَ وأصلاه جهنَّم وساعت مصيرًا.

وقال أيضًا: أيها الناس، إنه ليس بعد نبيكم نبيٌّ، ولا بعد كتابكم كتابٌ، ولا بعد سنتكم سُنة، ولا بعد أمتكم أمة، ألا وإن الحلال ما أحل الله في كتابه على لسان نبيه: حلال إلى يوم القيمة، ألا وإن الحرام ما حرم الله في كتابه على لسان نبيه: حرام إلى يوم القيمة، ألا وإنني لست بمُبْدِعٍ ولكني مُتَّبعٌ.

وقال محمد بن سيرين : لم يكونوا يسألون عن الإسناد (أي: رواة الأحاديث)، فلما وقعت الفتنة قالوا لنا: سمو النار رجالكم. فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ عنهم حديثهم.

وسئل الحسن البصري : عن الصلاة خلف صاحب البدعة، فقال: صل خلفه وعليه بدعته.

وقال الحسن البصري : السنة، والذى لا إله إلا هو، بين الغالى والجافى (أى: المتشدد والمقصر المبتعد)، فاصبروا عليها رحمة الله؛ فإن أهل السنة كانوا أقل الناس

فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم ولا مع أهل البدع في بدعهم وصبروا على ستمهم حتى لقوا ربهم، فكذلك فكونوا.

وقال أيضًا : لَنْ يَزَالَ اللَّهُ نُصَحَّاءِ (أي: علماء ودعاة) فِي الْأَرْضِ مِنْ عِبَادِهِ

يعرضون أعمال العباد على كتاب الله، فإذا وافقوه حمدوا الله، وإذا خالفوه عرفوا بكتاب الله ضلاله من ضلّ وهدي من اهتدى، فأولئك خلفاء الله.

وقال أيضًا: لَا يَقْبِلُ اللَّهُ لِصَاحِبِ بَدْعَةِ صَلَاةً وَلَا صِيَامًا وَلَا حَجَّاً وَلَا عُمْرَةً، وَلَا  
يَزِدُّ اجْتِهَادًا وَصِيَامًا وَصَلَاةً إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللَّهِ بُعْدًا.

وَلَا تُجَالِسُ صَاحِبَ بَدْعَةً؛ فَإِنَّهُ يُمْرِضُ قَلْبَكَ؛ قَالَ حَسَانُ بْنُ عَطِيَّةَ : مَا ابْتَدَعَ  
قَوْمٌ بَدْعَةً فِي دِينِهِمْ إِلَّا نَزَعَ اللَّهُ مِنْ سَتَّهُمْ مِثْلَهَا، ثُمَّ لَا يُعِيدُهَا إِلَيْهِمْ إِلَيْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وقد علق ابن تيمية رحمه الله على قول الشافعي رحمه الله إن البدعة بدعatan بقوله: على شرط أن يستحبها واحد من أهل العلم المقتدى بهم. وذكر في كتابه المشهور «اقتضاء الصراط المستقيم»: أن تعظيم الموالد الذي يفعله العوام واتخاذ ذلك مواسم للاحتفال والفرح قد يفعله البعض ويكون له فيه أجر عظيم؛ وذلك لحسن قصده وتعظيمه وحبه للرسول لا على الفعل نفسه.

ومما سبق يتضح أن هناك مسلكين:

مَسْلَكُ إِجْمَالِيٍّ: وهو الذي ذهب إليه الإمام ابن رجب الحنبلي وغيره، وهو أن الأفعال التي يثاب المرء عليها ويشرع لها فعلها - بعد تحقيق الأصول الشرعية والأدلة المرجعية عند الأصوليين - لا تسمى بداعه شرعاً، وإن صدّق عليها الاسم في اللغة، وهو يقصد أنها لا تسمى بداعه مذومة شرعاً.

وَمَسْلَكُ تَفْصِيلِيٍّ: وهو ما ذكره الإمام العز بن عبد السلام وقد أورده تفصيلاً. والقاسم المشترك بين المسلكين أنه ليس كل محدث في العبادات أو المعاملات منهيا عنه؛ بل الأمور المحدثة تعرّيها الأحكام التكليفية بحسب ما تدل عليه الأصول الشرعية، أما الزّعم بأنها محرّمة اتكاء على تسميتها بداعه عند بعض العلماء، فغير سديد؛ لأنّه يسُدُّ باب الاجتهاد المعمول به والمُستقر بين العلماء، وهذا هو عين البدعة المذمومة التي جاء الشرع بالنهي عنها.

ونَعْرِضُ لبعضِ مِنَ الأمثلة مِن البدع والمحدثات التي استُحدِثَتْ فِي حِيَاةِ النَّاسِ وَالَّتِي تُقْسَمُ بحسب ما يراه أهل الفقه: إِلَى بِدْعَةٍ هُدَىٰ أَوْ بِدْعَةٍ ضَلَالٌ؛ منها: ما استُحدِثَهُ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ خَبَابُ بْنُ الْأَرْتَ فِي صَلَاةِ رُكُوعِيْنَ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَهَذَا كَانَ فِي زَمْنِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَمِنْهَا: مَا فَعَلَهُ أَبُو بَكْرُ الصَّدِيقُ ؓ فِي تَعْيِينِ الْخَلِيفَةِ، وَمَا تَمَّ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ فِي عَهْدِهِ ؓ، وَقَتَالَ أَهْلَ الرِّدَّةِ عَلَى يَدِيهِ ؓ.

وَمِنْهَا: قَسْمُ أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ ؓ أَمْوَالَ الْغَنَائِمِ وَالْفَيْءِ عَلَى نَحْوِ خَالَفَهُ فِيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَابِ ؓ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَتَى بَعْدِهِمْ، كُلُّ عَمَلٍ فِيهِ بِرَأْيٍ إِمَّا مُوافِقاً أَوْ مُخَالِفاً.

وَمِنْهَا: مَا فَعَلَهُ عُمَرُ ؓ فِي تَعْيِينِ مَجْلِسِ الْشُّورِيِّ لِتَعْيِينِ الْخَلِيفَةِ، وَصَلَاةِ التَّرَاوِيْحِ بِالشَّكْلِ الَّذِي نَعْهَدَهُ لِلآنِ. وَمَا قَامَ بِهِ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ صَلَاةِ الضَّحْئَى جَمَاعَةً فِي الْمَسْجِدِ.

وَمِنْهَا: مَا تَمَّ مِنْ تَخْصِيصِ مُرْتَبٍ مَالِيٍّ لِلْخَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ.

وَمِنْهَا: مَا استُحدِثَ مِنْ جَعْلِ أَذَانِنِ الْجَمَعَةِ فِي زَمْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ ؓ.

وَمِنْهَا: الْجَمْعُ الثَّانِي لِلْمَصْحَفِ وَتَوْحِيدُ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ مِنْ الْمَصْحَفِ الْإِيمَامِ الَّذِي تَمَّ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ ؓ.

وَمِنْهَا: مَا حَدَثَ مِنْ قَتَالِ بَيْنِ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ فَقَدْ قَاتَلَ عَلَى ؓ الْمُنَاؤِيْنَ لَهُ.

وَمِنْهَا: مَا استُحدِثَ مِنْ لِبَاسِ أَهْلِ الْعِلْمِ كَلْبَاسِ أَهْلِ الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ.

وَمِنْهَا: مَا استُحدِثَ مِنْ إِنْشَاءِ الْمَدَارِسِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِتَرْتِيبِ مَنَاهِجِهَا وَالدَّرَجَاتِ الْعُلْمَيَّةِ وَتَقْسِيمِ الْفَصُولِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَمِنْهَا: مَا استُحدِثَ مِنْ كِتَابَةِ وَطَبَاعَةِ الْكِتَابِ بِأَنْوَاعِهَا وَأَصْنَافِهَا، فِي التَّفْسِيرِ وَالْوَعْظِ وَالْأَحَادِيثِ الْمُخْتَلِفَةِ.

وَمِنْهَا: مَا استُحدِثَ مِنْ اسْتِعْمَالِ أَدْوَاتٍ جَدِيدَةٍ فِي نَسْرِ الْعِلْمِ، كَالْتَّلِيفِيَّزِيُّونَاتِ وَالسِّيَديَّاتِ وَالْكِتَابِ الرَّقْمِيِّ، وَاسْتِعْمَالِ بَعْضِ الْأَدْوَاتِ لِمَصْلَحةِ الْعِبَادَةِ كَاسْتِعْمَالِ الْمَيْكَرُوفُونِ فِي الصَّلَاةِ وَاسْتِحْدَاثِ الْمَنَابِرِ الْحَدِيثَةِ، وَمَا تَمَّ مِنْ زَخْرَفَةِ الْمَسَاجِدِ

والعنابة البليغة فيها على مثال المسجد النبوي الشريف الآن.  
ومنها: ما استحدث من تخصيص أيام معينة ومحددة للدروس الأسبوعية أو  
الشهرية أو التليفزيونية.

ومنها: ما استحدث من احتفالات بالمواسم الدينية الشريفة المختلفة، وكتابة  
الأحاديث النبوية الشريفة وتصنيف الكتب فيها على طائق شتى، واستعمال  
السيارات في تشيع الجنائز، وغير ذلك مما لا يتسع المجال لسرده.

فهذا مما قد يدخل في نظر البعض في البدع المذمومة، وفي نظر آخرين في البدع  
المحمودة، وقد يدخل في باب من سنّة حسنة، وقد يضعه البعض في باب  
المصالح المرسلة حيث حث الشرع الكريم على مراعاة المقاصد الكلية الخمس،  
وهي: حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

\* \* \*

## ١٩- باب في من سنّ سنة حسنة أو سيئة

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هُبَّ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةً أَعْيُنٍ وَجَعَلْنَا لِلنَّاسِ إِيمَانًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنياء: ٧٣].

(١٩ / ١٧١) عن أبي عمرو جرير بن عبد الله رض قال: كنا في صدر النهار عند رسول الله صل فجاءه  
قوم عڑاء مُجتابي النمار أو العباء، مُقلدي السيف، عامتهم من مضر بل كُلُّهم مِنْ  
مضر، فتمعر وجه رسول الله صل لما رأى بهم من الفاقة (أي: شدة الاحتياج)، فدخل ثم  
خرج، فامر بلا فاذن وأقام، فصل ثم خطب، فقال: «يَا إِيَّاهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ  
مِنْ تَقْسِيمٍ» - إلى آخر الآية فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) [النساء: ١]، والأية الأخرى التي في  
آخر الحشر: يَا إِيَّاهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْعُوا اللَّهَ وَلَتَنْظَرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَيْرِهِ (٢) [الحجر: ١٨] -

تَسْدِيقَ رَجُلٍ مِنْ دِيَارِهِ، مِنْ دِرْهِمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرْهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بَشَقَ تَمْرَةً». فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بُصْرَةَ كَادَتْ كَفَهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، ثُمَّ تَبَاعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمِينِ مِنْ طَعَامٍ وَتِبَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَنْهَلُ كَاهَةَ مُدْهَبَةً. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِرْرُهَا، وَوِرْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُوْزَارِهِمْ شَيْءٌ». رواه مسلم. قوله: **«مُجْتَابِي النَّبَارِ»**: هُوَ بالجِيمِ وَبَعْدِ الْأَلْفِ بِاءً مُوَحَّدَةً، وَالنَّمَارُ جَمْعُ نَمَرَةٍ، وَهِيَ كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ مُخَطَّطٍ. وَمَعْنَى **«مُجْتَابِيهَا»**، أي: لَابِسِيهَا قَدْ خَرَقَهَا فِي رُؤُسِهِمْ. وَ**«الْجَوْبُ»** القطعُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَتَمُودُ الَّذِينَ جَاءُوكُمْ أَصْنَحُرٍ إِلَيْكُمْ﴾** [النَّجْم: ٩] أي: تَحْتُهُ وَقَطَعُهُ. وَقَوْلُهُ: **«تَمَعَرَّ»** هُوَ بالعينِ المُهَمَّلَةِ، أي: تَغَيَّرَ. وَقَوْلُهُ: **«رَأَيْتُ كَوْمِينَ»** بفتح الكافِ وَضَمِّهَا، أي: صُبَرَّتِينَ. وَقَوْلُهُ: **«كَاهَةً مُدْهَبَةً»** هُوَ بِالذَّالِّ الْمُعْجَمَةِ وَفَتحِ الْهَاءِ وَبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ، قَالَهُ الْقَاضِي عِياضٌ وَغَيْرُهُ. وَصَحَّفَهُ بِعَصْبُهُمْ، فَقَالَ: **«مُدْهَبَةً»** بِذَالِّ مُهَمَّلَةِ وَضَمِّ الْهَاءِ وَبِالثَّوْنِ، وَكَذَا ضَبَطَهُ الْحُمَيْدِيُّ. وَالصَّحِيفَ الشَّهُورُ هُوَ الْأَوَّلُ. وَالمرادُ بِهِ عَلَى الْوَجَهِينِ: الصَّفَاءُ وَالْاسْتِنَارَةُ.

(١٦) وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ (أَيْ: نَصِيبٌ) مِنْ دَمَهَا، لَا يَهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ». متفق عليه.

## ٢٠- باب في الدلالة على خير والدعاة إلى هدى أو ضلاله

قَالَ تَعَالَى: **﴿وَأَدْعُ إِلَيَّ رَبِّكَ﴾** [الحج: ٦٧].

وَقَالَ تَعَالَى: **﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوَاعِظِ الْحَسَنَةِ﴾** [النحل: ١٢٥].

وَقَالَ تَعَالَى: **﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالثَّقَوْفَى﴾** [المائدة: ٢].

وَقَالَ تَعَالَى: **﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾** [آل عمران: ١٠٤].

(١٧) وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقَيْدَةَ بْنِ عُمَرَ وَالْأَنْصَارِيِّ الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى حَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ». رواه مسلم.

(١٨) وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدَىٰ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أَجْوَرِ مَنْ تَبَعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَثْمِ مِثْلُ أَثَامِ مَنْ تَبَعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَثَامِهِمْ شَيْئًا». رواه مسلم.

(٢٠ / ١٧٥) وعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْرٍ: «لِأَعْطِيْنَ الرَّأْيَةَ غَدَّاً رَجَلًا يَفْتَحُ اللَّهَ عَلَىٰ يَدِيهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ». فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لِيَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطِاهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ عَدُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطِاهَا. فَقَالَ: «أَيْنَ عَلَيْيِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقَيْلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ يَشْتَكِي عَيْنِيهِ. قَالَ: «فَأَرْسِلُوهُ إِلَيْهِ». فَأَتَيْتَهُ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنِيهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَىءَ حَتَّىٰ كَانَ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجْعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّأْيَةَ، فَقَالَ عَلَيْ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقَاتِلُهُمْ حَتَّىٰ يَكُونُوا مِثْنَانِ؟ فَقَالَ: «إِنْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحِتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىِ الْإِسْلَامِ، وَأَخْرِهُمْ بِمَا يَحِبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَىٰ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَا نَيْهُدِي اللَّهُ بِكَ رَجَلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعْمِ (أي: الإبل الحمر)، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء». متفق عليه. قوله: «يَدُوكُونَ أي: يَخُوضُونَ وَيَتَحَدَّثُونَ. قوله: «رِسْلِكَ بكسر الراء وبفتحها للغتان، والكسر أفعى.

(٢٠ / ١٧٦) وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ فتَّيَّا مِنْ أَسْلَمَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرِيدُ الغَرْوَ وَلَيْسَ معي مَا أَتَجَهَّزَ بِهِ؟ قَالَ: «إِئْتِ فُلَانًا فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ فَمَرَضَ». فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقِرِّئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ: أَعْطِنِي الَّذِي تَجَهَّزَتْ بِهِ». فَقَالَ: يَا فُلَانَهُ، أَعْطِيَهُ الَّذِي تَجَهَّزَتْ بِهِ، وَلَا تَحْبِسِي مِنْهُ شَيْئًا، فَوَاللَّهِ لَا تَحْبِسِينِ مِنْهُ شَيْئًا فَيُبَارِكَ لَكَ فِيهِ. رواه مسلم.



## الدُّعَوةُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قد أَوْدَعَ فِي الْإِنْسَانِ أَسْبَابَ النِّجَاحِ وَأَسْبَابَ الْفَشَلِ، وَالْأَسْبَابِ الْمُؤَدِّيَّةِ لِلْسَّعَادَةِ وَالْأَسْبَابِ الْمُؤَدِّيَّةِ لِلسُّقُمِ، وَاللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ أَعْنَانُ الْإِنْسَانِ بِأَصْلِ الْإِيمَانِ وَأَوْدَعَهُ فِي قَلْبِهِ، وَخَلَقَهُ عَلَىِ الْفَطْرَةِ السَّلِيمَةِ.

فقد رُوِيَ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَأَبْوَاهُ يُهَوِّدُهُ وَيُنَصِّرُهُ وَيُمَجِّسُهُ، كَمَا تُتَّبِعُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هُلْ تُحِسِّنُ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟» متفق عليه.

قال تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشَهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَاتُلُوا بِلِّ شَهِيدًا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾

[الأعراف: ١٧٢]، فالله تبارك وتعالى جَمَعَ الْخَلْقَ في عالم الذَّرِ والأرواح وأشهدهم على أنفسهم أنه الرَّبُّ والمُدَبِّر لهذه الحياة، وقد شَهَدَ الناس جميعاً بذلك، مؤمنُهم وكافرُهم، صالحُهم وطالحُهم، ثم بعثُهم إلى الحياة؛ وقد قال جل جلاله في ذلك:

**﴿وَنَقَسٌ وَمَا سَوَّنَهَا ﴾٧﴾ فَالْمَمْهَأْ بِغُورِهَا وَتَقْوَنَهَا ﴾٨﴾** [الشمس: ٨-٧].

وفي الحقيقة، فإنَّ الله تبارك وتعالى قد أعاَنَ البشر بوسائل مُتَعَدِّدة، ليتَعَمَّموا بجهةٍ عَرْضُها السموات والأرض، فخَلَقَ سبحانه وتعالى لِيُعْطِي لَا يَأْخُذُ؛ لأنَّ الْكَرِيمُ الَّذِي لا تَنْفَدِ نَعْمَهُ وعطاَاته؛ ولهذا أرسَلَ الله تبارك وتعالى الأنبياء لِيُسْتَخْرِجُوا مَا في قلوبِ الناس مِنْ أصل الإيمان، لا يُنْسِئُوا فيهم الإيمانَ نَفْسَهُ، فأصل الدُّعَوةِ هي استخراجُ ما في قلبِ الناس من الإيمان الذي أودعَ في الزمانِ الأوَّلِ في عالم الذَّرِ والأرواح، وكثيراً ما كان يقول النبي ﷺ لبعضِهم: «أَمَا آنَ لَكَ أَنْ تُسْلِمَ».

فالنبي ﷺ وهو خاتم الأنبياء والمرسلين ما كان يتكلَّم لِإقناعِ الناسِ بأصل الإيمان، وإنما لاستدعاء الإيمان، وكان يقول لهم: **«قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُقْلِحُوهَا**» رواه الإمام أحمد في «مسنده» من طريق ربيعة بن عبد الدليلي.

فالدُّعَوةُ لا تحتاج إلى إقناع، ولكن إلى لِيَنْ في قلبِ المستمع وحِكْمَةٌ في قولِ الداعي، وبينة صالحةٌ تُهْبِي للطرفين قبولَ الحقِّ، فكُلُّنا يعلمُ أنَّ إبليسَ معَ أَنَّهُ كانَ في وسطِ الملائكةِ إِلَّا أَنَّهُ لم يقبلَ الحقَّ معَ أَنَّهُ يعرِفُهُ، فالعبرةُ بالقبولِ لا بالمعرفةِ أَصْلًا؛ ولهذا كانَ الأنبياءُ لا يجتهدون في إقناعِ الناسِ معَ قدرتهم على هذا.

فلا يَظُرَّ ظانٌ أَنَّ إبليسَ لا يُعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ أَحَدٌ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حُقُّ، وَأَنَّ النَّارَ حُقُّ، ولكنه كانَ فاسدَ النَّفْسِ وَلَمْ يَشْتَمِلْ قلبه على الطاعةِ وَلَا التَّقْوَى.

فالدُّعَوةُ هي تهيئةُ القلوبِ لِتَلِينَ وَتَقْبِلَ الْحَقَّ طَوَاعِيَّةً وَرَغْبَةً في الله تبارك وتعالى؛ ولهذا اجتهدَ الأنبياءُ في تَلِينِ قلوبِ الناسِ، فَآمَنُوا مَعَهُمْ مَنْ آمَنُوا، ثُمَّ تكونَت الصَّحَّةُ الصالحةُ التي أَعانتَ على دخولِ الناسِ شيئاً فشيئاً لِلإِيمَانِ، ثُمَّ نَشَأَ في قلوبِ الناسِ الوعاظُ والضميرُ الَّذِي يُحرِّضُهُمْ وَيُحَفِّزُهُمْ عَلَى فِعْلِ الْحَقِّ وَتَرْكِ الْبَاطِلِ.

إِذَا ماتَ نَبِيُّ ذَلِكَ الزَّمَانِ بَقَيَتِ الصُّحْبَةُ الصَّالِحةُ وَبَقَيَ الْضَّمِيرُ وَالوَاعِظُ فِي الْقَلْبِ، إِذَا فَنَى الصَّالِحُونَ بَقَى الْوَاعِظُ، وَإِذَا غَابَ هَذَا اسْتَحْقَاقُ النَّاسِ أَنْ يُرْسَلَ إِلَيْهِمْ نَبِيٌّ جَدِيدٌ، إِلَى أَنْ قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ هَنَاكَ نَبِيٌّ لَآخِرِ الزَّمَانِ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، جَاءَ بِالرَّسُولَةِ وَاجْتَهَدَ لِيَعْلَمَ النَّاسَ شَرِيعَةَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلِيَعْلَمُهُمْ أَيْضًا كَيْفَ يُنْشِرُونَ الإِيمَانَ بِهَذِهِ الشَّرِيعَةِ فِي الْأَرْضِ إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ قَوْلًا وَفَعْلًا؛ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ يَقُولُ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رِبِّكَ وَإِنْ لَتَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعِصِّمُكَ مِنَ الْأَنَاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهِدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]، فَاشْتَرَطَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ قَوْلًا وَفَعْلًا، وَلَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ قَوْلًا بِدُونِ فَعْلٍ.

فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِتَكْوِينِ الصُّحْبَةِ وَالبيئةِ الصَّالِحةِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، وَعَلَمَهُمْ أَصْوَلَ الدُّعَوَةِ وَنَسْرَ دِينِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، قَوْلًا وَفَعْلًا أَمَامَهُمْ حَتَّى دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، وَانْتَقَلَ إِلَى رَبِّهِ ﷺ وَقَدْ دَانَتْ لَهُ جُزِيرَةُ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَرَكَ أَصْحَابَهُ وَسَائِرَ الْأَمَةِ عَلَى الْمَحَاجَةِ الْبَيْضَاءِ وَقَدْ ضَمَّنَ اللَّهُ لَهُذِهِ الْأَمَةِ بَقَاءَ الصَّحَّةِ الصَّالِحةِ وَالوَاعِظِ الْقَلْبِيِّ وَالْضَّمِيرِ؛ لَأَنَّهُ لَا نَبِيٌّ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ فِي حَقِّهِمْ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ الآية [آل عمران: ١١٠].

وَلَهُذَا كَانَتِ الدُّعَوَةُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَمُّ بِإِيَجادِ الصُّحْبَةِ الصَّالِحةِ، وَالْقِيَامُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ، فِي بَيْتِهِ كَالْمَسَاجِدِ صَالِحةٌ، وَاسْتِدَاعَهُ أَهْلَ الْغَفْلَةِ وَالْمَعَاصِي؛ حَتَّى يَسْتَعِدُوا ذَاكِرَةَ الإِيمَانِ فِي قُلُوبِهِمْ بِرَوْيَةِ الصَّالِحِينَ وَمَجَالِسِهِمْ وَالْقِيَامُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ مَعَهُمْ، عَنْدَ ذَلِكَ تَنْفَجَرُ فِي قُلُوبِهِمْ يَنَابِعُ الإِيمَانِ الَّتِي كَانَتِ فِي الزَّمْنِ الْأَوَّلِ وَالَّتِي وُلِّدُوا بِهَا عَلَى الْفَطْرَةِ.

فَالْأَنْبِيَاءُ قَدْ أُرْسَلُوا لِلْدُعَوَةِ وَلَيْسَ لِقَتْلِ النَّاسِ وَالتَّخْلُصِ مِنْهُمْ؛ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّعْمَانُ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًّا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَرَاجًا مُنِيرًا وَنَهَّرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مَنْ أَنْهَا اللَّهُ فَضْلًا كَيْرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٧].

ثُمَّ لَمَّا رَفَضَ أَصْحَابُ الْمَصَالِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ انتِشَارَ أَمْرِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، كَلَّفَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَبِيَّهُ الْكَرِيمَ وَأَصْحَابَهُ الْكَرَامَ بَعْدَ حِينٍ مِنَ الْوَقْتِ حَوَالِيْ خَمْسَ عَشْرَةَ

سنة، أي في السنة الثانية من الهجرة، أن يُدافعوا عن حرية الاعتقاد، حيث جاء مشركون قریش لقتال النبي ﷺ في المدينة المنورة، فأعان الله عليهم ونصر المسلمين، ثم فرض عليهم بعد ذلك أن يدافعوا عن أنفسهم وأن ينشروا دعوة الله في الأرض حاملين معهم سلاحهم دفاعاً عن نفوسهم وقتالاً لمن يمنعون نشر هذه الشريعة في الأرض، فالقتال ليس مقصوداً لذاته.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّكُمْ أَيَّمْتُمُوهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتَلُوكُمْ أَلْكُفَّارُ إِنَّهُمْ لَا يَأْمَنُنَّ لَهُمْ لَعْنَاهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبه: ١٢]، وهو ملخص ما يفعله هؤلاء الكافرون الذين يمنعون الدعوة ويرفضونها ويحرمون الضعفاء والمساكين والفقراة من التعرّف على الدين الجديد الذي نزل على الأرض في آخر الزمان.

فكان لزاماً على النبي ﷺ وأصحابه الكرام أن يُدافعوا عن حقّ هؤلاء الضعفاء في الوصول إلى الله بطريقة صحيحة، ومن هنا فرض المعنى الواسع للجهاد؛ أي دعوة الناس أولاً.

وعلى ذلك كانت الدعوة هي المقصود الأصيل، وكان السلاح لحماية الدعوة من القتل، أما قبول الناس لهذا الأمر فالله جعله مطلقاً لكل إنسان أن يقبل أو يرفض، وليس هناك إكراه في الدين كما قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ بَيَّنَ الرَّسُولُ مِنَ الْغَيْرِ فَمَنْ يَكْفُرُ بِالظَّلْغَوْتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ أَسْتَمْسَكَ بِالْمُرْءَةِ الْوَثِيقَ لَا أَفْصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَيِّعُ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وإنما الحرب ضد من يمنع معرفة الناس بهذا الدين الجديد الذي كلف الله نبيه الكريم ﷺ وأصحابه بتعریف الناس به، وبأن هناك نبياً في آخر الزمان، وهناك تشعيراً جديداً عليهم أن يعرفوه، فإن قيلوا به نجحوا وفلحوا وإلا فالأمر إليهم كما قال تعالى: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كُفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

فالدعوة إلى الله هي الأصل الأصيل الذي أرسل من أجله الأنبياء جميعاً، وعلى رأسهم النبي ﷺ، وأما الترتيبات الأخرى التي تأتي للدفاع عن نشر الدعوة ليست لإجبار الناس على قبول الدين، وإنما هي وسائل حماية ليست مقصودة لذاتها، فالقتال ليس

مقصوداً لذاته وإنما المقصود هو هداية البشرية والإتيان بهم إلى حظيرة الإيمان؛ قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الأنياء: ١٠٧] ، وقال عليه السلام: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» رواه الإمام مالك في «موطنه».

لهذا كانت الدعوة إلى الله هي ترتيب البيئة الآمنة مع تيسير الحياة والقيام بالأعمال الصالحة في هذه البيئة الصالحة حتى يستعيد قلب الإنسان العهد الأول فتندفع أشواقه إلى طاعة الله وتدب فيه روح المسؤولية عن نفسه وعمن كُلف بهم من أهله وولده ومجتمعه، وهذا الذي حدث في الزمن الأول فدخل الناس في دين الله أفواجاً بسبب ما عاينوه من صلاح الصحابة الكرام وجهدهم الصحيح في بلدتهم ومساجدهم وبيوتهم.

فالدعوة إلى الله هي دعوة الناس إلى الإسلام بالقول والفعل.

قال العلامة ابن القيم : إذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها، فهي لا تُحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد أقصى يصل إليه السعي، ويكفي هذا في شرف العلم أن صاحبه يحوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء.

قال ابنُ كثیر : في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَخْسَنُ فَوْلَادًا مَّمَنْ دَعَاهُ إِلَيَّ اللَّهِ وَعَمِلَ صَلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]: أي: وهو في نفسه مهتدٍ بما يقول، فنفعه لنفسه ولغيره، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى، وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتدٍ، ورسوله عليه السلام أولى الناس بذلك.

وعن ابن القيم : قوله في معنى قوله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْمُحَسَّنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]: ذكر عليه السلام مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعى: فإنه إما أن يكون طالباً للحق محبّاً له مؤثراً له على غيره إذا عرفه، فهذا

يُدعى بالحكمة، ولا يحتاج إلى موعظٍ وجداً. وإنما أن يكون مشتغلًا بضد الحقّ، ولكن لو عرفه آثره واتبعه، فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب. وإنما أن يكون معاندًا معارضًا، فهذا يجادل بالتي هي أحسن، فإن رجع وإنما انتقل معه إلى الجدال إن أمكن.

### آداب الدعوة إلى الله :

تبليغ الدعوة إلى الله يكون بالقول وبالعمل وبسيرة الداعي التي تجعله قدوةً حسنة لغيره، فتجذبهم إلى الإسلام.

ولابد أن يستعين الداعي إلى الله بأساليب الدعوة الإسلامية، وهي:

- بالحكمة لطلاب الحق الباحثين عنه، والوعظ عن طريق الترغيب والترهيب لطلاب الحق الغافلين عنه، وبالجدل والحوار وإقامة الحجة للمعanدين، وذلك على أهل العلم والاختصاص.
- وبالقدوة الحسنة والصحبة، لل التربية والتعليم والتشجيع واستخدام العلم ونظرياته واكتشافاته.
- وبالنصح والإرشاد في حق المسؤولين وولاة الأمور، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- وبالإعلام والتأليف والكتابة والتحقيق والتخرير للأحاديث وأقوال أهل العلم ودورس المساجد والخروج في الدعوة إلى القرى والمساجد والمدن، والاهتمام بتنمية العقل والاهتمام بالروح وتزكية النفس وأعمال البر جميًعاً.

**عن الحسن البصري :** أنه تلا هذه الآية: **وَمَنْ أَخْسَنْ فَوْلَادَ مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴿٣﴾ [فصلت: ٣٣]، فقال: هذا حبيب الله، هذا ولبي الله، هذا صفة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، وقال:

إنني من المسلمين، هذا خليفة الله.

وعن قتادة : في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنَ قَوْلًا مَّمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَنْلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٢٣] ، قال: هذا عبدٌ صدَّقَ قوله وعمله، ومولجه ومخرجه، وسيره وعلانئيه مشهده ومغيبة.

قال العلامة ابن القيم : في سياق قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلٌ﴾ [يوسف: ١٠٨]: إن الله عَزَّ ذِكْرُهُ أمر رسوله أن يُخْبِرَ أن سبيله الدعوة إلى الله، فمن دعا إلى الله تعالى فهو على سبيل رسوله عَزَّ ذِكْرُهُ، وهو على بصيرة، وهو من أتباعه، ومن دعا إلى غير ذلك فليس على سبيله، ولا هو على بصيرة، ولا هو من أتباعه.

فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفةُ المُرْسَلِينَ وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل في أممهم، والناس تَبَعُ لهم، والله عَزَّ ذِكْرُهُ قد أمر رسوله أن يُبَلِّغَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وضمن له حفظه وعصمته من الناس، وَهُؤُلَاءِ الْمُبْلَغُونَ عَنْهُ مِنْ أُمْتَهُ لَهُمْ مِنْ حَفْظِ اللَّهِ وَعَصْمَتْهُ إِيَّاهُمْ بِحَسْبِ قِيَامِهِمْ بِدِينِهِ، وَتَبْلِيغُهُمْ لَهُ.

وقد أمر النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلَّغَ عنه ولو حدثاً، وتبليغ سُنتَهُ إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نُحُور (أي: صدور) العدو، لأن تبليغ السهام يفعله كثيرٌ من الناس، وأما تبليغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله منهم بمنه وكَرَمه.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز : الواجب على جميع القادرين من العلماء وحكَّام المسلمين والدعاة الدعوة إلى الله عَزَّ ذِكْرُهُ حتى يصل البلاغ إلى العالم كافة في جميع أنحاء المعمورة، وهذا هو البلاغ الذي أمر الله به، قال الله تعالى لنبِيِّهِ: ﴿يَأَيُّهَا رَبَّنَا أَرْسُلْ بَلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدَة: ٦٧].

فالرسُولُ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه البلاغ، وهكذا الرسل جميعاً عليهم البلاغ صلوات الله وسلامه عليهم، وعلى أتباع الرسل أن يُلْغِوا، قال النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آتَيْتُهُ» [البخاري برقم (٣٤٦١)]، وكان إذا خطَّبَ الناسَ يقول: «فَلَيَبْلُغَ الشَّاهِدُ» [أي: الحاضر في مجلس

رسول الله ﷺ **الْغَائِبُ** (أي: الغائب عنه)، **فَرُّبَّ مُبَلَّغٍ** (أي: شخص أبلغ بالخبر) **أَوْعَنِي مِنْ سَامِعٍ** (أي: أكثر فهمًا من شهده وحضره وسمعه)».

فعلى جميع الأمة حُكَّاماً وعلماء وتجاراً وغيرهم أن يُلْغِوا عن الله وعن رسوله **عَنْكُلُّهِ هَذَا الدِّينَ**، وأن يشرحوه للناس بشتى اللغات الحية المستعملة.

وليس الخافي على كُلّ من له أدنى علمٍ أو بصيرةٍ أن العالم الإسلاميَّ اليوم بل العالم كله في أشد الحاجة إلى الدعوة الإسلامية الواضحة الجلية التي تشرح للناس حقيقة الإسلام، وتُوضّح لهم أحكامه ومحاسنه.

وبذلك يتضح لكل مسلم طالب علمٍ أن الدعوة إلى الله من أهم المهام، وأن الأمة في كُلّ زمانٍ ومكانٍ في أشد الحاجة إليها، بل في أشد الضرورة إلى ذلك.

فالواجب على أهل العلم أينما كانوا أن يُلْغِوا دعوة الله، وأن يصبروا على ذلك، وأن تكون دعوتهم نابعةً من كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة عليه الصلاة والسلام، وعلى طريق الرسول ﷺ وأصحابه، ومنهج السلف الصالح **طَهِّيرٍ**.

وفي الدعوة إلى الله دلالة الناس على الخير وهدايتهم إليه، وهي دليلٌ على صلاح العبد واستقامته، وتشمر محبة الله ومحبة الناس.

وفيها التشبيه بالأنبياء والصالحين وسلوك مسالكهم، وتنشر بها الفضيلة وتحارب الرذيلة، وبها يتقرَّب العبد من ربِّه ويفوز بمحبته.

فهي النصيحة إلى الله ورسوله والمؤمنين، ولا يفوز بها إلا الصالحون، وتُكَسِّب الداعي برَّكة دعوة المصطفى **عَنْكُلُّهِ** بأن يُنْصَر الله وجهه، وتشرح للعالم كُلُّه سُبُّل الإسلام السَّمْحة وتردُّ على الدعاوى الباطلة التي يُلْصِقُها المُغَرِّضُون بالدين الحنيف.

وللداعي أَجْرٌ عظيم يتضاعف بعد الذين يستجيبون له.



## ٢١- باب في التعاون على البر والتقوى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَعَاوِنُوا عَلَى الْبَرِّ وَالثَّقَوْيِ﴾ [المائدة: ٢].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَالْعَصْرِ ۚ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خُسْرٍ ۚ إِلَّا الَّذِينَ أَمْنَوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ ۚ﴾ [العصر: ۱-۳] ، قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ : كلامًا مَعْنَاهُ : أَنَّ النَّاسَ أَوْ أَكْثَرَهُمْ فِي غَفْلَةٍ عَنْ تَدْبِيرِ هَذِهِ السُّورَةِ .

٢١ / ١٧٧) وعن أبي عبد الرحمن زيد بن خالد الجهمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ جَهَزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَرَّ، وَمَنْ حَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَرَّ». متفق عليه.

٢١) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثاً (أي: الجيش الغازي في سبيل الله إلىبني لحيان من هذيل)، فقال: ليُبَيِّنَ ثُمَّ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا وَالْأَجْرُ بِيَتَهُمَا». رواه مسلم.

٢١) وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ رَكِبًا بِالرَّوْحَاءِ (أي: موضع يبعد من المدينة نحو أربعين ميلًا)، فَقَالَ: «مَنِ الْقَوْمُ؟» قَالُوا: الْمُسْلِمُونَ. فَقَالُوا: مَنِ أَنْتَ؟ قَالَ: «رَسُولُ اللَّهِ». فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيَّاً، فَقَالَتْ: أَلَهَذَا حَجَّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ». رواه مسلم.

(٢١) / ١٨٠) وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الخازنُ الْمُسْلِمُ الْأَمِينُ الَّذِي يُنْفَدِدُ مَا أَمْرَ بِهِ فَيُعْطِيهِ كَامِلًا مُوْفَرًا طَيِّبًا بِهِ نَفْسُهُ فَيُدْفَعُ إِلَيْهِ الَّذِي أَمْرَ لَهُ بِهِ، أَحَدُ الْمُنَصَّدِقَيْنَ». متفق عليه.

وفي رواية: «الَّذِي يُعْطِي مَا أُمِرَ بِهِ». وضبتوا«المُنْصَدِّقِينَ» بفتح القاف مع كسر النون على الثانية، وعكسه على الجمع وكلاهما صحيح.

• • •

## (التعاون على البر والتقوى)

التعاون على البر والتقوى هو مساعدة المسلم أخيه على فعل الخيرات وعلى طاعة الله تعالى وتجنب معصيته. وقد قسم الإمام الماوردي : الناس بعد شرحه لمعنى

الإخوة فقال: من طلب إخوانًا تتفق أحوال جميعهم طلب مُتعذّرًا (أي: أمرًا صعبًا)، فليس الواحد من الإخوان يُمكن الاستعانة به في كُلّ حال، وإنما بالاختلاف يكون الاتلاف.

ويقول بعض الحكماء: ليس بليبيٍ من لم يعاشر بالمعرفة من لم يجد من معاشرته بُدًّا (أي: كالآقارب والأرحام والجيران). والأصحاب والإخوان ثلات طبقات: طبقة كالغذاء لا يُستغنِّي عنه، وطبقة كالدواء يُحتاج إليه أحياناً، وطبقة كالداء لا يُحتاج إليه أبداً.

وقيل: إن حيلة المرء كثرة إخوانه.

**أقسام الأخوة:** وتنقسم أحوال الأخوة إلى أربعة أقسام: منهم من يُعين ويستعين، ومنهم من لا يُعين ولا يستعين، ومنهم من يستعين ولا يُعين، ومنهم من يُعين ولا يستعين.

فأما المُعين والمستعين فهو الذي أنصف من نفسه، فُؤدي ما عليه ويستوفي حقه فهو شبيه بمُقرض المال يُسعف صاحبه عند الحاجة ويُسدد ماله عندما يستغني صاحبه.

وأما من لا يُعين ولا يستعين فهو شخص متراكٌ ومُتجنّبٌ، يمنع ما عنده من الخير ويقع مع شرّه كذلك، فلا يطلب معونة أحدٍ، ولا يعتبر صديقاً يرجى عونه.

وقال المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه): التارك للإخوان (أي: الأصحاب والأصدقاء) متراكٌ، فلا هو مذموم لأنَّه لم يُكلَّف شيئاً، ولا هو مشكور لأنَّه منع مساعدته وعونه.

فعلى الأقل نشكّره لكتفه لكافٍ أذاه عن الناس بطلب المعونة. وأما من يستعين ولا يُعين فهو أَلَمُ الإخوان، وهو كُلٌّ عليهم مهين الأخلاق ذليل السلوك، فلا خيره يُرجى من المعونة والبر، ولا شرّه يؤمن؛ لأنَّ دائم الطلب للمساعدة، وليس لمثله في الإخاء حظٌ، ولا في الوداد نصيب؛ قال بعض الحكماء: شرُّ ما في الكريمة أن يمنعك خيرها، وخير ما في اللئيم أن يكفَّ عنك شرّه. فهذا أسوأ الإخوان.

وأما من يُعين ولا يستعين فهو أفضّلهم، كريم الطبع مشكور الصنع، فلا يرى متناقلاً عن طلب المعونة، فهو أشرف الإخوان نفسها وأكرمهم طبعاً، وبينما يُنادي لمثل هذا أن يُصبر عليه إذا أظهر خلُقاً يُنكر منه؛ لأنَّ اليسير مغفورٌ والكمال صعبٌ وقليل في الناس.

يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: معاتبة الأخ خير لك من فقده.

وقال جعفر بن محمد الأمين : يا بني، من غضب من إخوانك ثلاث مرات فلم يقل فيك سوءاً فاتخذن لنفسك خليلاً.

وروى عن علي رضي الله عنه في قول الله تعالى: **﴿فَاصْفَحْ الصَّفَحَ الْجَمِيلَ﴾** [الحجر: ٨٥] قال: الرضا بغير عتاب.

واعلم أن الله تعالى ببالغ حكمته ونافذ قدرته قد خلق الناس محتاجين وعجزين بالفطرة؛ ليتفرد سبحانه بالغنى والقدرة، فيكون ذلك باعثاً لهم على فهم حكمته، فنشر بقدرته على أنه خالق، وبغناه على أنه رازق، فيزيد الناس رغبةً ورهبةً، ويُقْرُون بعجزهم و حاجتهم. يجعل سبحانه الإنسان أكثر حاجةً من جميع الأحياء؛ لأن هناك من الحيوان من يستقل بنفسه عنبني جنسه ويكون له اكتفاء ذاتي.

أما الإنسان فهو مطبوع على الافتقار لبني جنسه، قال الله تعالى: **﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَنَ ضَعِيفًا﴾** [النساء: ٢٨] يعني عن الصبر عما هو إليه مفتقر، وضعيف أيضاً عن احتمال ما عجز عنه. ولهذا كان الاجتماع والتعاون ضروريًّا للنوع الإنساني لعمارة الأرض واستمرار الحياة وتحقيق الخلافة في الأرض. فعن رسول الله صلوات الله عليه وسلم قال: **«المُؤْمِنُ مِرْأَةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكْفُ عَلَيْهِ ضَيْعَتُهُ وَيَحُوْطُهُ مِنْ وَرَائِهِ»**. أبو داود برقم (٤٩١٨).

وعن النبي صلوات الله عليه وسلم قال: **«مَنْ أَكَالَ مُسْلِمًا (أي: من رفع عن مسلم عثرته وفَرَّجَ كربه) أَكَالَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**. أبو داود برقم (٣٤٦٠)، صحيح الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٦٠٦٦)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: عليك يا إخوان الصدق فعش في أكبافهم؛ فإنهم زين في الرخاء  وعدة في البلاء. وقال أيضاً: آخر الإخوان على قدر التقوى، ولا تَضَعْ حاجتك إلا عند من يُحب قضاءها. وقال أبو جعفر بن صهبان : كان يقال: أول المودة طلاقة الوجه، والثانية التوడد، والثالثة قضاء حوائج الناس.

وطلب أحدهم الوصية من داود الطائي : قال له: اصْبِ أهلَ التقوى؛ فإنهم أيسرُ أهلَ الدنيا مثونَةً عليك، وأكثر لك معونة.

وسئل أبو حمزة الشيباني : عن الإخوان في الله: من هم؟ قال: هم العاملون بطاعة الله. وقال ابن المعتر : من اتَّخَذَ إخْوَانًا كَانُوا لَهُ أَعْوَانًا.

وقيل: من جاءك بمودته فقد جعلك عدیل نفسه، فأول حقوقه اعتقاد مودته، ثم إيناسه بالتبسيط معه في غير حرام، ثم إبداء النصيحة له في السر والعلنية وتحفيض الأعباء والأثقال عنه ما استطعت، ثم معاونته فيما ينوبه من حادثة أو يناله من نكبات؛ لأن الصحبة فقط على الظاهر دون معرفة نفاق، وتركته في الشدة لؤم.

إن التعاون على البر والتقوى ينزع الحقد من القلوب ويُزيل الحسد منها.

\* \* \*

## ٤٢- باب في النصيحة

قَالَ تَعَالَى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وَقَالَ تَعَالَى - إِخْبَارًا عَنْ نُوحَ السَّلَّيْلَةِ : ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢].

وَعَنْ هُودَ السَّلَّيْلَةِ : ﴿وَأَنَّ الْكُفَّارَ نَاصِحُّ أَمِينٌ﴾ [٦٨] [الأعراف: ٦٨].

وأما الأحاديث:

(١٨١) فالأول: عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه: أن النبي صلوات الله عليه قال: «الدين النصيحة».

قلنا: لمن؟ قال: «الله ولكتابه ولرسوله ولآئمة المسلمين وعامتهم». رواه مسلم.

(١٨٢) الثاني: عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «بَيَاعْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ». متفق عليه.

(١٨٣) الثالث: عن أنس رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». متفق عليه.

## ٤٣- باب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَلَنَكُنْ مِنْكُمْ أَمَةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١٥٦] [آل عمران: ١٠٤].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿كُتُمْ خَيْرًا أَمْنَى أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ تَأْمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ خُذُ الْعِقْوَنَ وَأَمْرِهِ بِالْمَعْرُوفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَنِحِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ يَصْنَعُنَ أَوْلَاهُمْ بَعْضُهُنَّ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [التوبه: ٧١].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لَعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِتِ إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاؤِدَ وَعِيسَى أَبْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [٧٨] كَانُوا لَا يَتَنَاهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لِيُئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [٧٩] [المائدة: ٧٨، ٧٩].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلِيَتُوْمِنَ وَمَنْ شَاءَ فَلِيَكُفَرْ ﴾ [الكهف: ٢٩].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَيْمَاتُهُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [٩٤] [الحجر: ٩٤].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَاوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخْذَنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بِعِيسَى بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ ﴾ [١٦٥] [الأعراف: ١٦٥].

وَالآيات في الباب كثيرة معلومة. وأما الأحاديث:

(٢٣ / ١٨٤) فال الأول: عن أبي سعيد الخدري رض قال: سمعت رسول الله صل يقول: «من رأى منكم منكراً فليغیره بيده، فإن لم يستطع فقلبه، وإن لم يستطع فقلبه، وإن ذلك أضعف الإيمان». رواه مسلم.

(٢٣ / ١٨٥) الثاني: عن ابن مسعود رض: أن رسول الله صل قال: «ما من نبيٍّ بعثه الله في أمّة قبله إلا كان له من أمته حواريون أي: خلقاء وأنصار وأصحابٌ يأخذون بستره ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف أي: أقوام لا حقوق يقولون ما لا يفعلون وي فعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل». رواه مسلم.

(٢٣ / ١٨٦) الثالث: عن أبي الوليد عبادة بن الصامت رض قال: بماينا رسول الله صل على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثره علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله تعالى فيه برهان، وعلى أن تقول بالحق أينما كننا لا نخاف في الله لومة لائم. متفق عليه. **«المنشط والمكره»** بفتح ميميهما، أي: في السهل والصعب.

و«الآتُرُ»: الاختصاص بالمشتركِ، وقد سبق بيانها. **«بَوَاحًا»** بفتح الباء المودحة بعدها واءً ثم ألفاً ثم حاءً مهملة، أي: ظاهراً لا يتحمل تأويلاً.

**١٨٧) (٢٣) الرابع:** عن النعمان بن بشير: عن النبي ﷺ قال: «مَثْلُ الْقَائِمِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثْلِ قَوْمٍ أَسْتَهْمُوْا عَلَىٰ سَفِينَةٍ فَصَارُ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، وَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا أَسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُوا عَلَىٰ مَنْ فَوْقُهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا حَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِنْ مِنْ فَوْقَنَا، فَإِنَّ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخْذُوا عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا». رواه البخاري. **«الْقَائِمُ فِي حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَىٰ»** معناه: المنكر لَهَا القائم في دفعها وإزالتها، والمُراد بالحدود: مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ. **«أَسْتَهْمُوْا»**: افْتَرَعُوا.

**١٨٨) (٢٣) الخامس:** عن أم المؤمنين أم سَلَمَةَ هِنْدِ بْنَتِ أَبِي أُمِّيَّةَ حُذَيْفَةَ **«بَوَاحًا»**: عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أَمْرًا فَتَعْرِفُونَ وَتُنَكِّرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَ». قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا، مَا أَفَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ». رواه مسلم. معناه: مَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَسْتَطِعْ إِنْكَارًا بِيَدِهِ وَلَا لِسَانٍ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الْإِثْمِ وَأَدَى وَظِيقَتَهُ، وَمَنْ أَنْكَرَ بِحَسْبِ طَاقَتِهِ فَقَدْ سَلِمَ مِنْ هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ، وَمَنْ رَضِيَ بِيَعْلَمِهِمْ وَتَابَعَهُمْ فَهُوَ الْعَاصِي.

**١٨٩) (٢٣) السادس:** عن أم المؤمنين أم الحكم زينب بنت جحش **«بَوَاحًا»**: أن النبي ﷺ دخل علىها فزعاً يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يُلْكُلُ الْعَرَبُ مِنْ شَرِّ قِدْ أَفْرَبَ، فُحْ الْيَوْمُ مِنْ رَدْمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ»، وَحَلَقَ بِأَصْبَعِيهِ الإِبَاهَمِ وَالَّتِي تليها، فقلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْهَلْكَ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْجَبَثُ **(أي: الفسق والفحور والمجاصد)**». متفق عليه.

**١٩٠) (٢٣) السابع:** عن أبي سعيد الخدري **«بَوَاحًا»**: عن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطَّرْقَاتِ!» فقلوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدُّ، نَتَحَدَّثُ فِيهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **«بَوَاحًا»**: «إِنَّمَا أَبِيَتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ، فَأَعْطُوْا الطَّرِيقَ حَقَّهُ». قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «غَضْنَ البَصَرِ، وَكَفُّ الْأَدَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهِيُّ عَنِ الْمُنْكَرِ». متفق عليه.

**١٩١) (٢٣) الثامن:** عن ابن عباس **«بَوَاحًا»**: أن رَسُولَ اللَّهِ **«بَوَاحًا»** رَأَى خاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ، وَقَالَ: «يَعْمَدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ!» فَقَيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَمَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ **«بَوَاحًا»**: خُذْ خاتَمَكَ اتَّفَعْ بِهِ. قَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ **«بَوَاحًا»**. رواه مسلم.

(٢٣ / ١٩٢) **الناسع:** عن أبي سعيد الحسن البصري: أن عائداً بن عمرو رضي الله عنه دخل على عبيد الله بن زياد، فقال: أي بني، إني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ شَرَ الرِّعَاءَ الْحُطْمَةَ (أي: العنيف في رعاية الإبل)». فَإِنَّكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، فقال له: أجلسن فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ خَالَةٍ (أي: نخالة) **الدقيق:** قشوره، والمراد هنا: لست من علمائهم وفضلاهم) أصحاب محمد صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: وهل كانت لهم نخالة إنما كانت النخالة بعد هم وفي غيرهم. رواه مسلم.

(٢٣ / ١٩٣) **العاشر:** عن حذيفة رضي الله عنه: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَاوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجِابُ لَكُمْ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٣ / ١٩٤) **الحادي عشر:** عن أبي سعيد الحذرى رضي الله عنه: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَاهِرٍ». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٣ / ١٩٥) **الثاني عشر:** عن أبي عبد الله طارق بن شهاب البجلي الأحمسي رضي الله عنه: أن رجلاً سأله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد وضع رجله في الغرز: أي الجهاد أفضل؟ قال: «كلمة حق عند سلطان جاهير». رواه النسائي بإسناد صحيح. **الغرز:** بغين معجمة مفتوحة ثم راء ساكنة ثم زاي، وهو ركب كور (أي: الكور: ما يفرض على ظهر الناقة ونحوها) الجمل إذا كان من جلد أو خشب، وقيل: لا يختص بجلد وخشب.

(٢٣ / ١٩٦) **الثالث عشر:** عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّفْسَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، أَتَقْ أَنْتَ اللَّهُ وَدْعَ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بَعْضَهُ». ثم قال: ﴿لَعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاؤِهِ وَعَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَمُوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾٧٦﴾ **كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ليس ما كانوا يفعلون** ﴿تَرَى كَيْثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُنَسَّ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ إلى قوله: **﴿فَدِسْقُونَ﴾** [المادة: ٨١ - ٧٧]، ثم قال: «كلا، والله لن تأمرن بالمعروف، ولتهون عن المunkar، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطربن على الحق أطرا، ولتقصرن على الحق قصارا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليعننك كاما لعنهم». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن». هذا النظـ أبى داود.

**ولفظ الترمذى:** قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا وَقَعْتُ بْنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْمَعَاصِي نَهَتُهُمْ عَلَمَاؤُهُمْ

فَلَمْ يَتَهَوْا، فَجَاهُوهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ، وَوَأَكْلُوهُمْ وَشَارِبُوهُمْ، فَضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِعَضًّ، وَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ دَاؤِدٍ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ». فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ مُتَكَبِّئًا، فَقَالَ: «لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى تَأْطِرُوهُمْ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا». قَوْلُهُ: «تَأْطِرُوهُمْ أَطْرًا» أي: «تَعْطُفُوهُمْ». «وَلِتَقْصُّرُهُمْ» أي: «لِتُحِسِّسُهُمْ».

(٢٣) الرابع عشر: عن أبي بكر الصديق رض قال: يا أيها الناس، إنكم لتقرعون هذه الآية: ﴿إِنَّمَا الَّذِينَ آمَنُوا عَيْنَكُمْ أَفْسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٥٥] وإن سمعت رسول الله صل يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدِيهِ أَوْ شَاكَ أَنْ يُعَذَّبُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِّنْهُ». رواه أبو داود والترمذى والمسانى بأسانيد صحيحة.



## (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

المعروف: هو ما يُستحسن من الأقوال والأفعال، وهو اسم جامع لكلّ ما عُرف من طاعة الله والتقرب إليه، وإحسان إلى الناس، وكلّ ما ندب إليه الشرع.

أما المنكر: فهو كلّ ما قَبَّحه الشرع وحرّمه ونهى عنه.

فالأمر بالمعروف هو الدلالة على الخير بما يوافق الشرع الحكيم، والنهي عن المنكر هو المنع من الشر وما تميل إليه النفس من الشهوة المذمومة. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر واجب شرعاً أرشدت إلى الآيات والأحاديث وأجمعـت عليه الأمة وأنكرت على من ضيّعه وأهمله، فقال تعالى: ﴿وَلَنَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. فهو أمر واجب، كما أنه فرض كفاية لا فرض عين، إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، وللقائم به فضل على الباقيـن؛ إذ أسقط الفرض عن نفسه وعن غيره.

قال صل: «الْتَّائِمُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَحَاضِنَنَّ عَلَى الْخَيْرِ أَوْ لَيْسِ حَتَّنَكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا بِعَذَابٍ، أَوْ لَيْوَمَنَّ عَلَيْكُمْ شَرَارُكُمْ ثُمَّ يَدْعُو خَيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ». أحمد في

وقال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: أولُ ما تُغلَّبونْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَهَادِ الْجَهَادُ بِأَيْدِيكُمْ، ثم الْجَهَادُ بِالسُّتُّوكِمْ، ثم الْجَهَادُ بِقُلُوبِكُمْ، فإذا لم يعرِفَ القلبُ المعروفةَ ولم ينكرَ المنكرَ نُكِسَ فَجُعِلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ.

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو مقصود بعثة الأنبياء أجمعين، ولو ضاع لقطعت أعمال النبوة بالكامل، وذهب الدين وفشت الضلالة وانتشر الجهل والفساد وهلك الناس حتى تأقى عليهم القيامة.

وأما من قام بأعباء هذه السنة العظيمة متكفلاً ببعتها مجتهداً في تنفيذها مُضيّحاً بالغالي والنفيس لنشرها مؤمناً صادقاً بها، لا تأخذه في الله لومةً لائم، قائماً بالعدل والاتزان والسعنة والتيسير، لا بالعلو ولا بالتفريط، فإنه شامة الزمان وشرف الأعيان بين الناس، يعامله الله معاملة خاصة ويرفع قدره بين العالمين، حيث يقول تعالى في مدحهم: ﴿وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] ويقول: ﴿كُسْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاكُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْمَاتُ أَهْلِ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَسِيْحُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، على أن يتصل بطلب العلم الصحيح، والورع، وحسن الخلق، فيعلم الحقوق والواجبات الشرعية، ويترعرع عن محاسبة الناس ناسيًّا نفسه. ول يكن حسن الأخلاق متاطفاً هيناً ليناً، فقد يفوته من العلم ما يفوته، وكذلك من الورع، فإن العلم والورع لا يكفيان لقبول الناس له، بل عليه أن يملك نفسه عند الغضب، ولি�صبر على ما يُصيبه من الأذى والتقسان في ماله ونفسه وعِرضه.

واعلم أن أكثر الناس جاهلون بالشرع، حتى إن كلَّ تقاوِعٍ وقعودٍ عن التحرك لتعليم الناس ودعوتهم وحملهم على المعرفات إنما هو تضييع للدين وللأمة جميعاً، ولا يسقط الحرج عن الأمة جميعاً ما دام يبقى على وجه الأرض جاهلٌ بفرض من فروض دينه وهو قادرٌ على أن يسعى إليه بنفسه أو بإرسال غيره إليه؛ ليُعلّمه فروض دينه.

وهذا الضياع إنما كان لأنَّ الجاهل بسبب جهله بقيمة وفضل دينه فَصَرَّ في التعليم، وأن بعض أهل العلم قَصَرُوا في الخروج لدعوة وتعليم الجهال. والإنسان لا

يُولد عالماً بالشرع، وإنما يجب التبليغ على أهل العلم، فكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها، وكل عامي عرف شروط الصلاة أو شيئاً من دينه فعليه أن يُعرف غيره، وإلا فهو شريك في الإثم. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الحرج عن الباقيين، وإذا ترك الجميع أثيم الكل.

وقالت أم الدرداء فَعَنْهَا: مَنْ وَعَظَ أخاه سرّاً فقد زانه (أي: أحسن إليه)، ومن وعظه علانيةً فقد شانه (أي: عابه وأهانه).

قال رسول الله ﷺ: مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقُلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَافُ الْإِيمَانِ.

حيث يرى أكثر أهل العلم، وعلى رأسهم أحمد بن حنبل رحمه الله، أنه يكفي للقيام بهذا الواجب القلب واللسان إن قدر عليه، ولا يصح الالتجاء إلى القوة، وقد فعل ذلك من الصحابة أمثال سعد بن أبي وقاص وأسامة بن زيد وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وهم من عظماء الصحابة؛ إذ اعززوا القتال بين علي ومعاوية رضي الله عنهم أجمعين.

ومن أهم الاعتبارات في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تكون مثمرة ولا تؤدي إلى أن يغالى مرتكب المنكر إلى منكر أكبر منه.

فالأمر والنهي واجب عندما يتحقق النفع دون أن يصيب الداعي ضرر بليغ، ومستحب إذا كان مفيداً وإن حدث ضرر للداعي قليل، ويستحب أيضاً إذا لم ينفع ولم يضر وإنما فقط لإظهار المحافظة على صورة الدين وشعيرته الصحيحة بين الناس.

ولما سُئل رسول الله ﷺ: ألا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله؟ أجاب: «بَلْ مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَإِنْ لَمْ تَعْمَلُوا بِهِ كُلَّهُ، وَانهُوا عَنِ الْمَنْكَرِ وَإِنْ لَمْ تَجْتَنِبُوهُ كُلَّهُ». رواه الطبراني في «الأوسط».

ويشترط فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يحافظ على هذه الشروط:  
الشرط الأول: أن يكون عالماً بحكم الشرع فيما أمر الله به أو نهى عنه، ولا

يعتمد في ذلك على رأيه الخاص أو عادات الناس، بل يحكم بما أنزل الله؛ قال تعالى: ﴿فَاحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَنَعَّجْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٨].

فلو رأى شخصاً يفعل شيئاً الأصل فيه أنه حلال، فلا يحل له أن ينهاه حتى يتتأكد من أنه حرام أو منهي عنه، وكذلك إذا رأى شخصاً ترك أمراً ما ظنّاً أنه ليس من الدين فإنه لا يحل له أن يأمره حتى يقول ماذا يقول فيه الشرع.

الشرط الثاني: أن يعلم بحال العبد المكلف من الله: هل هذا النهي يخصه ومتوجه إليه، أم لا؟ فإن شك يكون ذلك في صالح المكلف؛ فلا يأمره ولا ينهاه إلا إذا تأكد أنه معنوي بذلك.

الشرط الثالث: أن يعلم حال المُكَلَّفِ بذلك، فقد يكون في مرض أو سفر أو ما شابه، فلا ينكر عليه فعله حتى يستقصي حال الرجل أولاً.

الشرط الرابع: أن يكون الأمر أو الناهي عن المنكر قادراً على القيام بهذا الأمر دون أن يلحقه ضرر كبير، فإن علم أنه سيلحقه ضرر لا يقدر عليه لا يجب عليه وإن كان القيام به أفضل لأن استطاع أن يتحمل وكان في السعة والطاقة؛ قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [آل عمران: ٢٨٦]. فإذا شعر أنه إذا أمر شخصاً بمعرفة أنه قد يقتله أو يتسبب بذلك في حبس وما شابه، فإن له أن يترك ذلك ولا يلزمه أن يأمره، بل قد يحرم عليه عندئذٍ.

سؤال إسحاق بن راهويه الإمام أحمد بن حنبل رحمهما الله قال: رجل تكلم بكلام سوءٍ، يجب علىٰ فيه أن أغيّره في ذلك الوقت فلا أقدر علىٰ تغييره، وليس لي أعونٌ يعينوني عليه؟ قال الإمام أحمد: إذا علم الله من قلبك أنك منكر لذلك فأرجو ألا يكون عليك شيء.

الشرط الخامس: لا يترتب علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مفسدةً أعظمً من السكوت، فإنه لا يلزمه بل لا يجوز له أن يفعل ذلك؛ ولهذا قال العلماء: إن الإنكار قد يتبع منه أحوال أربعة:

الحالة الأولى: أن يزول المنكر، فهنا الإنكار واجب.

الحالة الثانية: أن يتحول بسبب ذلك إلى ضرر أخف أو فعل أخف، فكذلك يكون الإنكار هنا واجباً.

الحالة الثالثة: أن يتحول المنكر إلى منكر مثله في جانب آخر، ففي هذه الحالة الأمر محل نظر يرجع فيه لأهل الاختصاص.

الحالة الرابعة: أن يتحول النهي إلى مصيبة أعظم، فلا يجوز عند ذلك الإنكار؛ لأن المقصود إزالة المنكر أو التخفيف، وليس أن يزداد سوءاً، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُسْبِّحُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٨]؛ حيث يتربّ على سب إلهة المشركين أمر أعظم وهو سب الله عذراً بغير علم.

الشرط السادس: أن يكون صاحب الأمر أو النهي حريضاً على الالتزام أصلاً بهذا الأمر، ومن هنا تختلف حالة الأمر والنهي عن حالة الدعوة؛ فالامر الناهي له فوقية وله استطاعة فلا يجوز له أن يأمر بما لا يفعل، أما الداعي إلى الله فإنه يدل الناس على التقصير وعلى الغفلة والتي علينا جميعاً ونريد أن نصلحها جميعاً، فهو لا يستطيع على أمر ولا نهي، فهناك فارق. قال ابن كثير:  فعل المعروف والدعوة إليه أمران عظيمان، فلا يسقط أحدهما بترك الآخر.

وقال سفيان الثوري : لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثالث : رفيقاً بما يأمر، رفيقاً بما ينهى، عدلاً بما يأمر، عدلاً بما ينهى، عالماً بما يأمر، عالماً بما ينهى . فهو رفيق في خلقه ودعوته، معتدل متوازن في أمره، وبصير وعالماً بما يتكلم. وسئل الإمام أحمد : عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كيف ينبغي له أن يأمر؟ قال: يأمر بالرفق والخضوع. ثم قال: إن أسمعوا ما يكره فلا يغضب، وإنما يُريد أن يتصر لنفسه.

واعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو صلاح هذه الأمة وضمان نجاحها ورفعتها، وبسببه تتكون البنية الصالحة التي تنمو فيها الفضائل وتموت فيها الرذائل وتحرس فيها الأخلاق والأعراض والأموال، وهو سبب لنصرة الله وتأييده،

وسُرُّ فضيلة هذه الأمة ﴿كُتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠].

#### **٤٤- باب تغليظ عقوبة من أمر بمعروف أو نهي عن منكر وخالف قوله فعله**

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِيمَانِ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَتُمْ نَذِلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا  
تَعْقِلُونَ ﴾ [آلْبَقْرَةَ : ٤٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَقْعُلُونَ ۚ كَبُّرُ مُؤْمِنًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَقْعُلُونَ ۚ﴾ [الصف: ٢٠٣].

وَقَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ شَعِيبَ التَّمِيمِيِّ: ﴿ وَمَا أَرِيدُ أَنْ تُخَالِفُكُمْ إِنْ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾

[۸۸]: [هود:]

(٢٤) وعن أبي زيد أَسْأَمَّةَ بْنَ حَارِثَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يُؤْتَى  
بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدْوِرُ بَهَا كَمَا يَدْوِرُ الْحِمَارُ  
فِي الرَّحْىِ» (أي: المراد: دورانه حول مربطه)، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فَلَانُ، مَا  
لَكَ؟ أَلَمْ تَكُ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، كُنْتُ أَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ  
وَلَا أَنْهَا، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتَيْهِ». متفق عليه. قوله: **«تَنْدَلِقُ»** هُوَ بِالدَّالِ المَهْمَلَةِ، وَمَعْنَاهُ: تَخْرُجُ.  
وَ**«الْأَقْتَابُ»**: الْأَمْعَاءُ، وَاحِدُهَا **قَبْبُ**.

## ٢٥- باب الامر باداء الامانة

**قالَ اللَّهُ تَعَالَى:** ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤْتُوا الْأَمْوَالَ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ أَهْلُهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْتُ أَنْ يَحْمِلُنَا وَأَشْفَقْنَاهَا وَحَمَلَهَا إِلَّا نَسْنَنٌ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

٢٥ / ١٩٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «آية (أي: علامه) المُنافِقِ ثلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُوْتُمْنَ خَانَ». متفق عليه.

وفي رواية: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ».

(٢٥ / ٢٠٠) وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً قد رأيت أحد هم وأنا أنتظر الآخر: حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة. ثم حدثنا عن رفع الأمانة، فقال: **«يَامُ الرَّجُلِ النَّوْمَةُ**

فَتُقْبِضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظْلِلُ أَثْرَهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنْأِمُ النَّوْمَةَ فَتُقْبِضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظْلِلُ أَثْرَهَا مِثْلَ الْمَجْلِ، كَجَمْرِ دَحْرَ جَتَّهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ (أي: روم موضعه)، فَتَرَاهُ مُسْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ». ثُمَّ أَخَذَ حَصَّةً فَدَحْرَ جَهُ عَلَى رِجْلِهِ «يُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَاعِيُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانَ رَجُلًا أَمِينًا، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ! مَا أَظْرَفَهُ! مَا أَعْقَلَهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِنْ قَالُ حَبَّةٍ مِنْ حَرَدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ». وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيْكُمْ بَأَيْعُتُ: لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَعْرِدَهُ عَلَيَّ دِينُهُ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَعْرِدَهُ عَلَيَّ سَاعِيَهِ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ أَبَايُعُ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا. متفق عليه. قوله: **«جَنْزُ»** بفتح الجيم وإسكان الذال المعجمة، وهو: أصل الشيء. و**«الْوَكْتُ»** بالباء المتشاء من فوق: الآخر اليسير. و**«الْمَجْلُ»** بفتح الميم وإسكان الجيم، وهو: تنفس في اليد ونحوها من أثر عمل وغيره. قوله: **«مُسْتَبِرًا»**: مرتفعاً. قوله: **«سَاعِيَهِ»**: الوالي عليه.

(٢٥) وعن حديقة وأبي هريرة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف (أي: تُنَزَّلَ) لهم الجنة، فيأتون آدم صلوات الله عليه، فيقولون: يا أباانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا حَطَبَيْهُ أَبِيكُمْ! لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ». قال: فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمَدُوا إِلَى مُوسَى الَّذِي كَلَمَةُ اللَّهِ تَكْلِيمًا. فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلْمَةُ اللَّهِ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صلوات الله عليه وسلم فَيَقُولُ فَيَقُولُ فَيَقُولُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحْمُ فَتَقُومُ مَنِ جَنَّبَتِ الْصَّرَاطِ يَمِينًا وَشَمَائِلًا فَيَمْرُرُ أَوْلُكُمْ كَالْبَرْقِ». قُلْتُ: بأبي وأمي، أي شيء كمر البرق؟ قال: «أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ يَمْرُ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، ثُمَّ كَمَرَ الرِّيحَ، ثُمَّ كَمَرَ الطَّيْرَ، وَشَدَّ الرِّجَالَ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَبَيْسِكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصَّرَاطِ، يَقُولُ: رَبِّ سَلْمَ سَلْمَ، حَتَّى تَعِزِّزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَحِيِّ إِلَيْهِ الرَّجُلُ لَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا رَحْفًا، وَفِي حَافَّيِ الْصَّرَاطِ كَلَالِيْبُ مَعْلَقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِهِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَحْدُوشٌ نَاجٌ، وَمُكَرَّدٌ (أي: المكرد) الذي جمعت يداه ورجلاه وأوثقنا في النار». والذِي نَفَسْ أَبِي هُرِيْرَةَ بِيَدِهِ، إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبَعُونَ خَرِيفًا (أي: الخريف: السنة). رواه مسلم.

قوله: **«وَرَاءَ وَرَاءَ»** هو بالفتح فيهما، وقيل: بالضم بلا تنوين، ومعناه: لست بتلك الدرجة الرفيعة، وهي كلمة تذكر على سبيل التواضع. وقد بسطت معناها في «شرح صحيح مسلم». والله أعلم.

(٢٥) وعن أبي حبيبٍ -بضم الخاء المعجمة- عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: لَمَّا وَقَفَ الرُّزْبِيرُ يَوْمَ الْجَمْلِ دَعَانِي فَقَمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَقَالَ: يَا بْنَيَّ، إِنَّهُ لَا يُقْتَلُ الْيَوْمَ إِلَّا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ، وَإِنِّي لَا أُرِنِي إِلَّا سَأُقْتَلُ الْيَوْمَ مُظْلومًا، وَإِنْ مِنْ أَكْبَرَ هَمِّي لَدِينِي، أَفَتَرَى دِينَنَا يُبَقِّي مِنْ مَالِنَا شَيْئًا؟ ثُمَّ قَالَ: يَا بْنَيَّ، بِعْ مَا لَنَا وَاقْضِي دِينِي. وَأَوْصَى بِالثُّلُثِ وَثُلُثِهِ لِنِيَّهِ، يَعْنِي لِبْنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرُّزْبِيرِ ثُلُثَ الثُّلُثِ. قَالَ: فَإِنْ فَضَلَ مِنْ مَالِنَا بَعْدَ قَضَاءِ الدِّينِ شَيْءٌ فَثُلُثَهُ لِبْنَيَّ.

(يوم الجمل): وقعة مشهورة بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه، وبين زوج النبي عائشة رضي الله عنها ومن معها، وكانت بسبب فتنة وقعت بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ومطالبة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لعلي بالقصاص من قتلها، ودارت بسببها حرب مشهورة وهي ما تعرف بوقعة الجمل، وسميت بهذا الاسم لأنها رضي الله عنها كانت راكبةً على جمل عظيم والناس يقاتلون حول الجمل حتى عُقر الجمل).

قَالَ هِشَامٌ: وَكَانَ بَعْضُ وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ وَازِي (أي: ساوى) بَعْضَ بَنِي الرُّزْبِيرِ خَبِيبٍ وَعَبَادٍ، وَلَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعَةُ بَنِينَ وَتِسْعَ بَنَاتٍ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَجَعَلَ يُوصِينِي بَدِينِي وَيَقُولُ: يَا بْنَيَّ، إِنَّ عَجَزْتَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِمَوْلَايِ (أي: يقصد ربه صلوات الله عليه). قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرِيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبْتَ مَنْ مَوْلَاكَ؟ قَالَ: اللَّهُ قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَيْهِ إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الرُّزْبِيرِ اقْضِ عَنْهُ دِينَهُ، فَيَقْضِيهُ.

قَالَ: فُقِتِلَ الرُّزْبِيرُ وَلَمْ يَدْعُ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِلَّا أَرْضِينَ، مِنْهَا الْغَابَةُ (أي: وهي موضع قرب المدينة من ناحية الشام) وَإِحدَى عَشَرَةَ دَارًَا بِالْمَدِينَةِ، وَدَارَيْنِ بِالْبَصَرَةِ، وَدَارًَا بِالْكُوفَةِ، وَدَارًَا بِمِصْرَ. قَالَ: وَإِنَّمَا كَانَ دِينُهُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَأْتِيهِ بِالْمَالِ فَيَسْتَوْدِعُهُ إِيَّاهُ فَيَقُولُ الرُّزْبِيرُ: لَا، وَلَكِنْ هُوَ سَلَفٌ، إِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ الصَّبِيعَةَ (أي: الْهَلاكُ وَالتَّلْفُ).

وَمَا وَلَيَ إِمَارَةَ قَطُّ وَلَا جِبَائِيَّةَ (أي: الجباية: جمع واستخراج الأموال من مظانها الشرعية) وَلَا خِرَاجًا (أي: الخراج: هو ما يفرضه الإمام على الأرض ذات الغلة من مال أو سلع إلى بيت المال كل سنة، وتنوّل الدولة أمر جمعه وصرفه في الوجه المستحق له) وَلَا شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي غَزْوٍ مَعَ رَسُولِ الله صلوات الله عليه أَوْ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ رضي الله عنهم.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَحَسِبْتُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ فَوَجَدْتُهُ الْفِي أَلْفِ وَمِائَتَيْ أَلْفِ! فَلَقِيَ حَكِيمًا بْنَ حِزَامَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الرِّزَيْرِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، كَمْ عَلَى أَخِي مِنَ الدِّينِ؟ فَكَتَمْتُهُ وَقُلْتُ: مِائَةُ أَلْفٍ. فَقَالَ حَكِيمٌ: وَاللَّهِ مَا أَرَى أَمْوَالَكُمْ تَسْعَ هَذِهِهِ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَرَأَيْتُكَ إِنْ كَانَتِ الْفِي أَلْفِ وَمِائَتَيِّ أَلْفٍ؟ قَالَ: مَا أَرَاكُمْ تُطْقِيُونَ هَذَا، فَإِنَّ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِنُوا بِي. قَالَ: وَكَانَ الرِّزَيْرُ قَدْ اشْتَرَى الغَابَةَ سِبْعِينَ وَمِائَةَ أَلْفٍ، فَبَاعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بِأَلْفِ أَلْفٍ وَسِتِّمِائَةِ أَلْفٍ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الرِّزَيْرِ شَيْءٌ فَلْيُوافِنَا بِالغَابَةِ، فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرَ، وَكَانَ لَهُ عَلَى الرِّزَيْرِ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفٍ، فَقَالَ لَعَبْدِ اللَّهِ: إِنْ شِئْتُمْ تَرْكُتُهَا لَكُمْ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَا، قَالَ: فَإِنْ شِئْتُمْ جَعَلْتُمُوهَا فِيمَا تَوْخِرُونَ إِنْ أَخْرُتُمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَا، قَالَ: فَاقْطُعُوا إِلَيْيَ قطْعَةً، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَكَ مِنْ هَا هُنَا إِلَى هَا هُنَا.

فَبَاعَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْهَا فَقَضَى عَنْهُ دِينَهُ وَأَوْفَاهُ، وَبَيْقَى مِنْهَا أَرْبَعَةَ أَسْهُمٍ وَنِصْفً، فَقَدِمَ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، وَالْمُنْذِرُ بْنُ الرِّزَيْرِ، وَابْنُ زَمْعَةَ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: كَمْ قُوْمَتِ الْغَابَةُ؟ قَالَ: كُلُّ سَهْمٍ بِمِائَةِ أَلْفٍ، قَالَ: كَمْ بَيْقَى مِنْهَا؟ قَالَ: أَرْبَعَةَ أَسْهُمٍ وَنِصْفً، فَقَالَ الْمُنْذِرُ بْنُ الرِّزَيْرِ: قَدْ أَخَذْتُ مِنْهَا سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، قَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ: قَدْ أَخَذْتُ مِنْهَا سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ. وَقَالَ ابْنُ زَمْعَةَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ: كَمْ بَيْقَى مِنْهَا؟ قَالَ: سَهْمٌ وَنِصْفُ سَهْمٍ، قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُ بِخَمْسِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ. قَالَ: وَبَاعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرَ نَصِيبَهُ مِنْ مَعَاوِيَةَ بِسِتِّمِائَةِ أَلْفٍ، فَلَمَّا فَرَغَ ابْنُ الرِّزَيْرِ مِنْ قَضَاءِ دِينِهِ، قَالَ بَنُو الرِّزَيْرِ: اقْسُمْ بَيْنَنَا مِيراثَنَا، قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ حَتَّى أَنْادِيَ بِالْمَوْسِمِ أَرْبَعَ سِنِينَ: أَلَا مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الرِّزَيْرِ دِينٌ فَلْيَأْتِنَا فَلَنْقُضِيهِ. فَجَعَلَ كُلَّ سِنَةً يُنَادِي فِي الْمَوْسِمِ، فَلَمَّا مَضَى أَرْبَعُ سِنِينَ قَسَمَ بَيْنَهُمْ وَدَفَعَ الثُّلُثَةَ. وَكَانَ لِلرِّزَيْرِ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ، فَأَصَابَ كُلَّ امرأَةً أَلْفُ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ أَلْفٍ، فَجَمِيعُ مَالِهِ خَمْسُونَ أَلْفَ أَلْفٍ وَمِائَتَانِ أَلْفٍ. رواه البخاري.

\* \* \*

### (الأمانة)

الأمانة هي خلقٌ كريم ثابت في النفس، يعُفُ بها الإنسان عما لا يحلُ له وما ليس له

بحقٌ، حتى إن تهياًت الظروفُ له للتعدي وأخذ ما ليس له من - دون أن يكون معرضاً للإدانة أمام الناس أو القانون - لم يتعدَّ أو يتجاوز على ما لا يحل له، بل إن هذا الخلق يدفعه إلى أن يؤدّي ما عليه من حقٍ لغيره حتى لو كان صاحبُ الحق ضعيفاً ولا يستطيع أن يأخذ منه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجَبَالِ فَأَبَيْتَ أَنْ يَحْمِلُنَا وَأَشْفَقْنَا مِنْهَا وَحَمَلَهَا إِلَيْنَا إِنَّمَا كَانَ ظَلَوْمًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وقد فسره ابن عباس رض: بأن الطاعة (أي: بالاختيار لا بالإجبار) عرضها الله على السموات والأرض والجبال قبل آدم فلم تُطِقْها، فقال آدم: إني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم تُطِقْها، فهل أنت أَخِذْ بما فيها؟ فقال: يا رب، وما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيرتَ، وإن أساءت عوقبتَ. فأخذها آدم فتحمّلها.

فالأمانة هي ما منحه الله للإنسان من عقل يميز به بين الحق والباطل، وما كلفه به من تكاليف شرعية تقوده إلى رضوان الله، ومن آثار تدله على الربوبية؛ ليُظهر ذلك كله ولا يكتُمه، فقد اتمن الله الإنسان على الفرائض والأموال والأسرار والحرمات. والأمانة هي أبرز خلق الرسل جميعاً، وبها بدأ رسول الكريم دعوته، حيث جمع الناس وسائلهم: «مَا تَقُولُونَ فِي؟» قالوا: صادق أمين. وكان الناس مع أنهم مخالفون للنبي صلوات الله عليه وسلم في الرأي والعقيدة يختارونه لحفظ ودائعهم عنده، حيث وَكَلَ بها علي بن أبي طالب عند الهجرة كما هو معلوم. وقد وصف الله تعالى جبريل صلوات الله عليه وسلم مادحاً له فقال: ﴿نَزَّلْنَا إِلَيْهِ الْأُوحَادُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

والأمانة تدخل في كل المجالات، كالدين والعرض، والأموال، والأجسام والأرواح، والمعارف والعلوم، والشهادة والوصاية، والولاية والقضاء، ونقل الأحاديث والرسالات، والأسماء والأبصار وسائر الحواس.

قال النبي صلوات الله عليه وسلم: «أَدَّ الْأُمَانَةَ إِلَى مَنِ اتَّسَمَّنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ حَانَكَ». أحمد في «مسنده» (٤١٤ / ٣) برقم (١٥٤٦٢)، صحيح البخاري (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٤٠). وقال أيضاً: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ التَّقَتَ (أي: أنهى حواره وتحديث الناس) فَهِيَ أَمَانَةٌ (أي: صار حفظ الحديث أمانة)». الترمذى برقم

(١٩٥٩)، حسن الألباني (تحقيق المشكاة) حديث (٥٠٦١). وقال أيضًا: «الإمام ضامن (أي: على حفظ الطهارة والصلة بأركانها وآدابها)، والمؤذن مؤتمن (أي: على مواقف صلاتهم وصيامهم إفطاراً وإمساكاً)، اللَّهُمَّ أَرْشِدِ الْأَئِمَّةَ وَاغْفِرْ لِلْمُؤْذِنِينَ. أحمد في «مسنده» (٢٣٢ / ٢٣٢) برقم (٧١٦٩).

ومن علامات الساعة ما قاله الرسول ﷺ: إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ. قال رجل: وكيف إضاعتكم؟ قال: إِذَا وُسِّدَ (أي: أعطي) الْأَمْرُ (أي: الولاية والمناصب) إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ. البخاري برقم (٥٩). وقال النبي ﷺ: الْخَارِزُ الْأَمِينُ الدِّي يُؤْدَى مَا أُمِرَ بِهِ طَسِّهُ، أَحَدُ الْمُتَصَدِّقِينَ (أي: هو متصدق من المتصدقين) متفق عليه.

وقال أيضًا: كَيْفَ بِكُمْ وَبِرَمَانِ يُوشِكُ أَنْ يُأْتِيَ يُغَرِّبُلُ (أي: يُستنقى)، والمراد: يذهب خيار الناس ويبيقى أرذلهم) النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً، قَدْ تَبَقَّى حُثَالَةُ مِنَ النَّاسِ قَدْ مَرَجَتْ (أي: فسدت) عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ فَاخْتَلَفُوا هَكَذَا وشبّك بين أصابعه، قالوا: كيف بنا يا رسول الله إذا كان ذلك؟ قال: تَأْخُذُونَ مَا تَعْرُفُونَ وَتَدَعُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى خَاصَّتِكُمْ وَتَدْرُونَ أَمْرَ عَوَامِكُمْ. أحمد في «مسنده» (٢٢١ / ٢) برقم (٧٠٦٣)، صحيح الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٤٥٩٤).

وقال النبي ﷺ لأهل نجران: لَا يَعْنَنَنَ عَلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ فاستشراف (أي: طلبها) أصحاب النبي ﷺ، بعث أبا عبيدة. متفق عليه.

وقال رسول الله ﷺ: الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمِنٌ (أي: أن الله سائله عن مشورته وأماناته في رأيه). أحمد في «مسنده» (٥ / ٢٧٤) برقم (٢٢٤١٤)، صحيح الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٦٧٠٠).

وقال رسول الله ﷺ: الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمْنَهُ النَّاسُ عَلَى دَمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ. أحمد في «مسنده» (٢ / ٣٧٩) برقم (٨٩١٨).

عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني (أي: في الولاية)؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: يَا أَبَا ذَرٍ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَرْبٌ وَنَدَاءٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا. مسلم برقم (١٨٢٥).

وانظر لأمانة أبي ذر رض نفسه الذي يروي حديثاً يقال له فيه: إِنَّكَ ضَعِيفٌ، إِنَّهَا أَمَانَةٌ، وأيُّ أمانةٌ هذه! وإنما قصد الرسول في ما يعني الولاية والإماراة لا مطلق الأمانة.

**وقال البخاري :** أداء الأمانة أحق من تطوع الوصية. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يرخص الله لمعسir ولا لموسي أن يمسك الأمانة (أي: ينكر الأمانة ويخلسها لنفسه).

ونحن في زمان قلت فيه الأمانة، وكثرت فيه الخيانة، وأصبح كثير من الناس لا يؤتمنون، وإذا أؤتمنوا خانوا، وأصبحوا يتباينون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، حتى أصبح يقال: إن فيبني فلان رجلاً أميناً؛ لندرة الأمانة بين الخلق، وكأن الناس ما علموا أن الأمانة والرحم يقفان يوم القيمة على جنبي الصراط يميناً وشمالاً؛ لعظم أمرهما وكبر موقعهما، يطالبان من يريد الجواز بحقهما.

**قصة:** أما السلف الصالحون فقد نبت الأمانة في قلوبهم، فيها يتباينون ويتعاملون، ولهم في ذلك قصص وأخبار، من ذلك ما حكاه ابن عقيل عن نفسه: حَجَّتْ فَالْتَّقَطَتْ عِقْدَ لَوْلَوِ فِيهِ خِيطَ أَحْمَرَ، فَإِذَا شِيْخُ يَنْشِدُهُ، وَيَبْذِلُ لِمُلْتَقِطِهِ مائةً دِيناراً، فَرَدَّتْهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: خُذِ الدِّينارِ. فَامْتَنَعَتْ وَخَرَجَتْ إِلَى الشَّامِ، وَزَرَتِ الْقَدْسَ، وَقَصَدَتِ بَغْدَادَ، فَأَوْيَتْ بِحلْبِ إِلَى مَسْجِدٍ وَأَنَا جَائِعٌ أَشْعَرُ بِالْبَرْدِ، فَقَدِمَوْنِي فَصَلَّيْتُ بِهِمْ، وَأَطْعَمَوْنِي، وَكَانَ أَوَّلُ رَمَضَانَ، فَقَالُوا: إِمَامًا تُوْفَى فِي فَصْلِ بَنَا هَذَا الشَّهْرِ. فَفَعَلَتْ، فَقَالُوا: لِإِمَامًا بَنْتَ فُرُوجْتُ بِهَا، فَأَقْمَتْ مَعَهَا سَنَةً، وَأَوْلَدَتْهَا وَلَدًا بَكْرًا، فَمَرْضَتْ فِي نَفَاسَهَا، فَتَأْمَلَتْهَا يَوْمًا فَإِذَا فِي عُقْدِهَا الْعِقْدُ بَعْنِيهِ بِخِيطِهِ الأَحْمَرِ، فَقَلَّتْ لَهَا: لَهَا قَصَّةُ وَحْكَيْتُ لَهَا، فَبَكَتْ وَقَالَتْ: أَنْتَ هُوَ اللَّهُ، لَقَدْ كَانَ أَبِي يَبْكِي وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْ أَبْنَتِي مِثْلَ الَّذِي رَدَّ الْعَدْدَ عَلَيَّ. وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ مِنْهُ. ثُمَّ مَاتَتْ، فَأَخْذَتْ الْعِقدَ وَالْمِيرَاثَ، وَعَدَتْ إِلَى بَغْدَادَ. اهـ.

**قصة:** وقال ابن المبارك : استعرت قلماً بأرض الشام، فذهبت على أن أرده، فلما قدمت بلدة مرو نظرت فإذا هو معي، فرجعت إلى الشام حتى رددته على صاحبه. اهـ.

واعلم أن الأمين محبوب من الله محبوب من الناس، وبه تحفظ البلاد والأعراض والأموال.

## ٢٦- باب تحرير الظلم والأمر برد المظالم

قال الله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [الحج: ٧١].

وأماماً للأحاديث فمنها: حديث أبي درثة المتقدم في آخر باب المجاهدة.

(٢٦) وعن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيمة. واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم». رواه مسلم.

(٢٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «اللؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيمة، حتى يقاد للشاة الجلحاء (أي: التي لا قرن لها) من الشاة القرناء». رواه مسلم.

(٢٦) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: قال: كنا نتتحدث عن حجّة الوداع، والنبي صلوات الله عليه وآله وسلامه يَنْأَى أَطْهَرُنَا، ولا ندري ما حجّة الوداع حتى حمد الله رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وأثنى عليه ثم ذكر المسيح الدجال فأاطلب (أي: أطال في الكلام) في ذكره، وقال: «ما بعث الله من نبي إلا أنذره أمته؛ أنذره فُوحَّ والنبيون من بعده، وإنَّه إن يخرج فيكم فما خفي عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم، إنَّ ربيكم ليس بأعور وإنَّه أعور عين اليمنى، كان عينه عنبه طافية. لا إنَّ الله حرام عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا، في بلادكم هذا، في شهركم هذا، إلا هل بلغت؟» قالوا: نعم، قال: «اللَّهُمَّ اشهد». ثلاثاً «ويَلَكُمْ - أو: وَيَحْكُمْ - انظروا: لا ترجعوا بعدي كُفَّارًا يضرب بعضكم رقاب بعض». رواه البخاري، وروى مسلم بعضه.

(٢٦) وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «من ظلم قيد (أي: قدر) شبرٍ من الأرض، طوقة من سبع أرضين». متفق عليه.

(٢٦) وعن أبي موسى رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «إنَّ الله ليُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخْذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». ثمَّ قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذَنَاكَ إِذَا أَخْذَنَا الْقَرَىٰ وَهِيَ ظَلَمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُمْ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [١٠٦].

[هود: ١٠٢]. متفق عليه.

(٢٦) وعن معاذ رضي الله عنه: قال: يعثني رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فقال: «إنَّكَ تأتِي قوماً من أهل الكتاب فادعُهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وآني رسول الله، فإنْ هُمْ أطاعُوا الذِّلْكَ، فَاعلِمْهُمْ أنَّ

الله قد افترض عليهم خمس صلواتٍ في كل يوم وليلة، فإنهم أطاعوا بذلك، فأعلمهم  
أنَّ الله قد افترض عليهم صدقةٍ تؤخذ من أغراضِهم فتردُّ على فقرائهم، فإنهم أطاعوا  
ذلك، فَإِيَّاكَ وَكَرَامَ أَمْوَالِهِمْ (أي: نفائسها وأفضلها التي تتعلق بها نفس مالكها)، وَاتَّقِ دُعَوةَ  
المظلوم؛ فإنَّه لَيْسَ بِنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ». متفق عليه.

(٢٦) وعن أبي حميد عبد الرحمن بن سعيد الساعدي قال: استعمل النبي ﷺ رجلاً من  
الأَزْد (أي: الأَزْد مجموعة من القبائل الكثيرة في اليمن) يُقال له: ابن اللُّتُسْتَيَّةَ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ  
قَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أَهْدِيَ إِلَيَّ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ  
قَالَ: «أَمَا بَعْدُ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مَمَّا وَلَانِي اللَّهُ، فَيَأْتِيَ فَيَقُولُ: هَذَا  
لَكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةً أَهْدِيَتْ إِلَيَّ، أَفْلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ أَمِهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ إِنْ كَانَ  
صَادِقًا، وَاللَّهُ لَا يَأْخُذُ أَحَدًا مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا لِقَيَ اللَّهُ تَعَالَى، يَحْمِلُهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَلَا  
أُعْرِفُ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّهُ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءً (أي: الرغاء: صوت البعير)، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوارً  
(أي: الخوار: صوت البقر)، أَوْ شَاةً تَيْعَرَ (أي: تصريح، وصوت الشاة يسمى العيار). ثُمَّ رفع يديه حَتَّى  
رُئِيَّ بِيَاضِ إِبْطِيهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟» ثُلَاثًا. متفق عليه.

(٢٦) وعن أبي هريرة ﷺ: عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ، مِنْ  
عِرْضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَلَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ؛ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ  
صَالِحٌ أُخْدِيَ مِنْهُ بِقُدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخْدِيَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ  
عَلَيْهِ». رواه البخاري.

(٢٦) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ: عن النبي ﷺ قال: «الْمُسْلِمُ مِنْ سَلِيمَ  
الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مِنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ». متفق عليه.

(٢٦) وعن النبي ﷺ قال: كانَ عَلَى ثَلَقَ النَّبِيِّ (أي: الثلثل: ما يحمله المسافر معه من حاجاته، والمراد:  
كان يتولى حمل متع النبي) ﷺ رجُلٌ يُقالُ لَهُ كِرِكْرَةُ، فَمَاتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُوَ فِي  
النَّارِ». فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا (أي: سرقها). رواه البخاري.

(٢٦) وعن أبي بَكْرَةَ نُعْيَنَ بْنَ الْحَارِثِ ﷺ: عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهْيَهِه  
يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ: السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةُ حُرُومٌ: ثَلَاثٌ  
مُتَوَالِيَّاتُ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُصَرَّ (أي: أضاف النبي ﷺ إلى مصر؛  
لأنَّهم كانوا يعظمونه أكثر من غيرهم) الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ

وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَّتَ حَتَّىٰ ظَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةَ؟» قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَّتَ حَتَّىٰ ظَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. قَالَ: «أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ؟» قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَّتَ حَتَّىٰ ظَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمُ التَّحْرِيرَ؟» قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كُحْرُمَةٌ يَوْمَكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبِّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرُبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لَيَلْعَلَّ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَلْعُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟» قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهُدْ». متفق عليه.

(٤) (٢٦) وعن أبي أمامة إياس بن نعابة الحارثي رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ اقْتَطَعَ حَقًّا أُمْرِئٌ مُسْلِمٌ بِيَمِينِهِ (أي: بِقُسْمٍ وَحْلَفٍ يَمِينِ)، فَقُدْ أُوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ». فَقَالَ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «وَإِنْ قَضِيَّا مِنْ أَرَاكَ (أي: خشبة السواك)». رواه مسلم.

(٥) (٢٦) وعن عَلَيِّي بْنِ عَمِيرَةَ رضي الله عنه: قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ اسْتَعْمَنْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا (أي: إبرة) فَمَا فَوْقَهُ، كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ أَسْوَدٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يُنْظَرُ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اقْبِلْ عَنِّي عَمَلَكَ، قَالَ: «وَمَا لَكَ؟» قَالَ: سَمِعْتَكَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «وَأَنَا أَقُولُهُ الآنَ: مَنْ اسْتَعْمَنْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَلَيَحْرُرْ بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ، فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَخْذَ، وَمَا نُهِيَ عَنْهُ أَنْتَهَى». رواه مسلم.

(٦) (٢٦) وعن عمرَ بْنِ الخطَّابِ رضي الله عنه: قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْرٍ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: فُلَانُ شَهِيدٌ، وَفُلَانُ شَهِيدٌ، حَتَّىٰ مَرُوا عَلَى رَجُلٍ، فَقَالُوا: فُلَانُ شَهِيدٌ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةً (أي: سُرْفَهَا قَبْلَ تَوزِيعِ الْغَنَائِمِ)». رواه مسلم.

(٧) (٢٦) وعن أبي قَادَّةَ الْحَارِثِ بْنِ رَبِيعٍ رضي الله عنه: عن رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ، فَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالإِيمَانَ بِاللَّهِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايِ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْلِلٌ عَيْرُ مُدْبِرٍ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» قَالَ: أَرَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايِ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ

الله عَزَّ ذِلْكَ: «نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلَّا الدِّينَ؛ إِنَّ جِبْرِيلَ السَّلَّيْلَةَ قَالَ لِي ذَلِكَ». رواه مسلم.

(٢٦/٢١٨) وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةً، وَيَأْتِي وَقْدَ شَتَمَ هَذَا، وَقَدَّفَ هَذَا (أي: ادعى بالباطل على غيره بالزنا أو ما في معناه)، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيتَ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخْدَى مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ». رواه مسلم.

(٢٦/٢١٩) وَعَنْ أَمْ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنْكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنْ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَاقْضِي لَهُ بِنَحْوِ مَا أَسْمَعَ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ». متفق عليه. **الْحَنْ** أي: أعلم.

(٢٦) وَعَنْ أَبْنَىٰ عَمِرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَنْ يَرَأَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ» (أي: سعة) مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصْبِبْ دَمًا حَرَامًا». رواه البخاري.

٢٦) وعن حَوْلَةَ بُنْتِ عَامِرٍ الْأَنصَارِيَّةَ - وهي امرأة حمزة رضي الله عنه وعنها - قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ رِجَالًا يَتَحَوَّلُونَ (أي: يتصرفون) فِي مَا لِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» . رواه البخاري.

(الظالم)

الظلم: هو الخروج عن حد الاعتدال في جميع الأمور، بالإسراف أو التقصير، بالإضافة إلى النقص، ووضع الشيء في غير موضعه، والتصريف في حق الغير وتجاوزه حد الشرع الحنيف، وأخذ أموال الناس بغير الحق، والتصريف في أملاك الغير وتجاوزه الحدود فيها، والمطالبة بما لا يُستحق ولا يجب من الحقوق و فعل أمر في غير موضعها ولا أوقاتها ولا بالقدر الواجب ولا على الوجه الذي يجب. فالظلم انحراف عن العدل والتعدي على الحق وتجاوزه إلى الدخول في الباطل.

والظلم له أسماء: كالجُور، ومجاوزة الحد، والنقص عن الحد أيضًا، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [الكهف: ٢٣]؛ أي لم تقص منه شيئاً.

والشرك ظلم كذلك، كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ مَا مَنُوا وَلَمْ يَلِسُوا إِمْنَانُهُمْ يُظْلَمُونَ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُتَنَاهُونَ﴾ [الأعجم: ٨٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْشَّرَكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [القمان: ١٣]، فالميل عن المقصود ظلم، والظلمة هم المانعون أهل الحقوق حقوقهم.

### كيف يظلم العبد نفسه؟ ويظلم العبد نفسه بثلاثة طرق:

أولها: أن يظلم نفسه بينه وبين ربّه تعالى، فالكفر والشرك والنفاق ظلم يوقع العبد نفسه فيه.

وثانيها: أن يظلم نفسه في ظلمه للناس حوله، بأكله حقوق الغير وتجاوز الشرع فيه.

والثالث: أن يظلم نفسه بتقصيره في حقّ نفسه فيميل بها عن الحقّ.

والظلم عامّة يكون بأكل أموال الناس وأخذها ظلماً وظلم الناس بالضرب والشتم والتعدّي على ضعفائهم، وهو من الكبائر. وقال بعض السلف: لا تظلم الضعفاء فتكون من شرار الأقواء. ثم عدّ صوراً من الظلم منها: أخذ مال اليتيم، والمماطلة في أداء الحقوق مع القدرة على السداد، وظلم المرأة حقّها في الصداق والكسوة والمعيشة، وظلم الأجير بعدم إعطائه حقّه أو بخس حقّه. قال عليه السلام: «اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنّه ليس بيته وبيته الله حجاب» [متفق عليه]، وما يروى في هذا الباب: «إذا رأيتم أمّتي تهاب الظالم أن تقول له: إنّك ظالم، فقد تودع منهنّم» (أي: استوى وجودهم وعدمهم، وخلوا وخلّي بينهم وبين ما يرتكبون من المعاصي. أصله من التوديع، وهو الترك)». أحمد في مستنه (٢/ ١٦٣) برقم (٦٥٢١).

وعن النبي ص أنه قال: «إذا خالص المؤمنون من النار حسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتناصرون مظالم كانوا بيّنهم في الدنيا، حتى إذا نفوا وهدوا أذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لا أحد لهم بمسكبيه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا».

البخاري برقم (٢٤٤٠). وقال عليهما السلام: **«ثلاث دعوات مُستجَبات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوه المسافر، ودعوه الوالد على ولده»**. أحمد في مسنده (٢٥٨ / ٢) برقم (٧٥٠١).

كما قال عليهما السلام: **«ثلاثة لا ترد دعوتهن: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوه المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وينفتح لها أبواب السماء، ويقول رب: وعزتي لأنصرناك ولو بعد حين»**. الترمذى برقم (٣٥٩٨)، وقال: حديث حسن.

وقال عليهما السلام: **«صنفان من أمتي لا تناولهما شفاعتي: سلطان ظلوم غشوم، وكل غال مارق (أي: من خرج بتشدده وتعسفه عن الحق)»**. الطبراني في الأوسط (٢١٣ / ٢٠) برقم (٤٩٥).

وقال عليهما السلام: **«مطلب الغني ظلم»** (أي: تأخير أداء ما عليه من دين)، **فإذا أتيت به** (أي: أحيى) **أحدكم على مليء** (أي: موسر غني) **فليتبع** (أي: فليقبل وليتحول إليه)». متفق عليه.

وقال عليهما السلام: **«أربعة يغضبهم الله عذاب: البياع الحلاق، والفقير المحتال (أي: المتكبر)، والشیخ (أي: يقصد كبير السن) الزانى، والإمام الجائز (أي: الظالم)»**. النسائي برقم (٢٥٧٦).

وقال عليهما السلام: **«القضاء ثلاثة، وأحد في الجنة وأثنان في النار: فاما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجاز (أي: ظلم) في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار»**. أبو داود برقم (٣٥٧٣).

وقال عمر بن عبد العزيز عليهما السلام: **إذا دعْتَكَ قدرتكَ على ظلم الناس فاذْكُر قدرة الله تعالى عليكَ**. وقال علي بن أبي طالب عليهما السلام: **إنما أهلكَ من كان قبلكم أنهم منعوا الحق حتى اشتري (أي: أصحى أصحابه يدفعون نظر الحصول على حقوقهم)، وبسطوا الجور (أي: نشروا الظلم) حتى افتدي (أي: دفع المظلومون أموالهم للظلمة هرباً من الظلم).**

وقال ابن الجوزي : **الظلم يشمل على معصيَّتين: أحذ مال الغير بغير حق، ومبارزة رب العزة بالمعصية والمخالفَة. ومعصية الظالم أشد من غيرها؛ لأن الظالم إنما يكون في قلب الظالم ظلاماً.**

ويقول ابن تيمية : **ينصر الله الدولة العادلة ولو كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمَة وإن كانت مؤمنة.**

ويقول ابن القيم : **إن الإنسان خلق ظلوماً جهولاً، فلو لا شرع الله الحكيم لما**

خرج عن دائرة الظلم والجهل، وإنما أصل كل شر في الإنسان.

**دواوين العباد يوم القيمة:** والظلم يوم القيمة له دواوين ثلاثة:

- ديوان لا يغفر الله منه شيئاً وهو الشرك بالله.

- وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئاً وهو ظلم العباد بعضهم لبعض؛ فإن الله ليستوفي من الظالم حق المظلوم كله.

- وديوان لا يعبأ الله به، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربّه عَزَّلَهُ، فهو أخف الدواوين وأسرعها مَحْواً، وذلك بالتوبة والاستغفار والحسنات التي تمحو السيئات والصبر على المصائب.

فديوان الشرك يُمحى بالتوحيد، وديوان مظالم العباد يُمحى برد الحقوق. وقال ابن هبيرة : إن الله يُحب أن يُجهر المظلوم بالشكوى أمام الناس ليكون ذلك عذرًا من الله أمام الناس، حيث أتاح له الفرصة في التوبة، فإن ذلك يجعل الناس يقبلون انتقام الله من الظالم، ويكون ذلك زَجْرًا للظلمة وتخويفاً لهم.

ويروى أنه: **«يُنَادِي مَنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الظَّلَمَةُ وَأَتَابُاعُ الظَّلَمَةِ وَأَعْوَانُ الظَّلَمَةِ حَتَّىٰ مَنْ لَوْمَلَهُمْ دَوَّاً أَوْ بَرَىٰ لَهُمْ قَلَمًا** (أي: حتى من عاونهم في الحبر الذي يكتبون به، والأقلام التي يكتبون بها) **كَيْجَمَعُونَ فِي تَائُوبٍ وَاحِدٍ فَيُرَمَّى بِهِ فِي جَهَنَّمَ»**. الديلمي في الفردوس بتأثر الخطاب (١/٢٥٥) برقم (٩٨٩).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ يَا بَنِي إِلَاءِ الْمُكَافَأَم﴾ [البقرة: ١٨٨]، قال: هذا في الرجل يكون عليه مالٌ وليس عليه فيه بيضة، فيجدد المال ويُخاصِّمه إلى الحُكَّام، وهو يعرف أن الحقّ عليه، وقد علم إثْمَ أكْلِ الْحَرَام. وقال وهب بن مُنبه : لو قُمتَ مقام هذه السارية (أي: العمود، والمراد: لو طال وقوفك للصلوة في المسجد مكان هذا العمود) لم ينفعك شيءٌ حتى تنظر ما يدخل في بطنك حلالٌ أو حرامٌ.

**قصة:** يُروى أن صياداً لديه زوجةٌ وعيالٌ، لم يرزقه الله بالصيد عدة أيام، حتى بدأ الزاد ينفد من البيت، وكان صابرًا محتسباً، وبدأ الجوع يسري في الأبناء، والصياد كل يومٍ يخرج للبحر إلا أنه لا يرجع بشيءٍ، وظلَّ على هذه الحال عدة أيام.

وذات يوم يئس من كثرة المحاولات، فقرر أن يرمي الشبكة لآخر مرة، وإن لم يظهر بها شيء فسيعود للمنزل ويُكرر المحاولة في اليوم التالي، فدعوا الله ورمي الشبكة، وعندما بدأ بسحبها أحـسـ بثقلها، فاستبشر وفرح، وعندما أخرجها وجد بها سمكة كبيرة جـداـ لم يـرـ مثلها في حياته، فأمسكها بيده، وظل يسبـحـ في الخيال: ماذا سيفعل بهذه السمكة الكـبـيرـةـ؟ فأخذ يـحـدـثـ نفسه: سـأـطـعـمـ أـبـنـائـيـ منـ هـذـهـ السـمـكـةـ، سـأـحتـفـظـ بـجـزـءـ مـنـهـاـ للوجـباتـ الأـخـرىـ، سـأـتـصـدـقـ بـجـزـءـ مـنـهـاـ عـلـىـ الـجـيـرانـ، سـأـيـعـ الـجـزـءـ الـبـاقـيـ مـنـهـاـ.

وقطـعـ عليهـ أحـلـامـهـ صـوـتـ جـنـودـ الـمـلـكـ، يـطـلـبـونـ مـنـهـ إـعـطـاءـهـمـ السـمـكـةـ؛ لأنـ الـمـلـكـ أـعـجـبـ بـهـاـ، فـلـقـدـ قـدـرـ اللـهـ أـنـ يـمـرـ الـمـلـكـ مـعـ موـكـبـهـ فـيـ هـذـهـ الـلـحظـةـ بـجـانـبـ الصـيـادـ وـبـرـيـ السـمـكـةـ وـيـعـجـبـ بـهـاـ، فـأـمـرـ جـنـوـدـهـ بـإـحـضـارـهـاـ، فـرـفـضـ الصـيـادـ إـعـطـاءـهـمـ السـمـكـةـ، فـهـيـ رـزـقـهـ وـطـعـامـ أـبـنـائـهـ، وـطـلـبـ مـنـهـمـ دـفـعـ ثـمـنـهـاـ أـوـلـاـ، إـلـاـ أـنـهـ أـخـذـوـهـاـ مـنـهـ بـالـقـوـةـ.

وفي القصر طلب الحاكم من الطـبـاخـ أـنـ يـجـهـزـ السـمـكـةـ الـكـبـيرـةـ ليـتـنـاـولـهـاـ عـلـىـ العـشـاءـ، وـبـعـدـ أـيـامـ أـصـابـ الـمـلـكـ دـاءـ «ـالـغـرـغـرـيـةـ»ـ، وـكـانـ يـطـلـقـ عـلـيـهـ اـسـمـ غـيـرـ هـذـاـ فـيـ ذـلـكـ زـمـانـ، فـاسـتـدـعـيـ الـأـطـبـاءـ فـكـشـفـوـاـ عـلـيـهـ وـأـخـبـرـوـهـ بـأـنـ عـلـيـهـمـ قـطـعـ إـصـبـعـ رـجـلـهـ حـتـىـ لاـ يـتـقـلـلـ الـمـرـضـ لـسـاقـهـ، فـرـفـضـ الـمـلـكـ بـشـدـةـ وـأـمـرـ بـالـبـحـثـ عـنـ دـوـاءـ لـهـ.

وـبـعـدـ مـدـةـ، أـمـرـ بـإـحـضـارـ الـأـطـبـاءـ مـنـ خـارـجـ مـديـتـيـتـهـ، وـعـنـدـمـاـ كـشـفـ الـأـطـبـاءـ عـلـيـهـ، أـخـبـرـوـهـ بـوـجـوبـ بـئـرـ قـدـمهـ؛ لأنـ الـمـرـضـ اـنـتـقـلـ إـلـيـهـاـ، وـلـكـنـهـ أـيـضاـ عـارـضـ بـشـدـةـ، وـبـعـدـ وـقـتـ لـيـسـ بـالـطـوـيلـ كـشـفـ الـأـطـبـاءـ عـلـيـهـ مـرـةـ ثـالـثـةـ، فـرـأـواـ أـنـ الـمـرـضـ قدـ وـصـلـ لـرـكـبـتـهـ، فـأـلـحـوـاـ عـلـىـ الـمـلـكـ لـيـوـافـقـ عـلـىـ قـطـعـ سـاقـهـ لـكـيـ لـاـ يـتـشـرـرـ الـمـرـضـ أـكـثـرـ، فـوـافـقـ الـمـلـكـ.

وـفـعـلـاـ قـطـعـتـ سـاقـهـ، وـفـيـ هـذـهـ الـأـثـنـاءـ حـدـثـتـ اـضـطـرـابـاتـ فـيـ الـبـلـادـ، وـبـدـأـ النـاسـ يـتـذـمـرـونـ، فـتـعـجـبـ الـمـلـكـ مـنـ هـذـهـ الـأـحـدـاثـ، أـوـلـهـاـ الـمـرـضـ، وـثـانـيهـاـ الـاـضـطـرـابـاتـ، فـاسـتـدـعـيـ أـحـدـ حـكـماءـ الـمـدـيـنـةـ، وـسـأـلـهـ عـنـ رـأـيـهـ فـيـمـاـ حـدـثـ؟ـ فـأـجـابـهـ الـحـكـيمـ: لـابـدـ أـنـكـ قدـ ظـلـمـتـ أـحـدـاـ!ـ فـأـجـابـ الـمـلـكـ بـتـعـجـبـ:ـ لـكـنـيـ لـاـ أـذـكـرـ أـنـيـ ظـلـمـتـ أـحـدـاـ مـنـ رـعـيـتـيـ!ـ فـقـالـ الـحـكـيمـ: تـذـكـرـ جـيدـاـ، فـلـابـدـ أـنـ هـذـاـ نـتـيـجـةـ ظـلـمـكـ لـأـحـدـ.

فتذكر الملك السمكة الكبيرة والصياد، وأمر الجنواد بالبحث عن هذا الصياد وإحضاره على الفور، فتوجه الجنود للشاطئ، فوجدوا الصياد هناك، فأحضروه للملك، فخاطب الملك الصياد قائلاً: أصدقني القول، ماذا فعلت عندما أخذت منك السمكة الكبيرة؟ فتكلم الصياد بخوف: لم أفعل شيئاً. فقال الملك: تكلم ولد الأمان. فاطمأن قلب الصياد قليلاً وقال: توجهت إلى الله بالدعاء قائلاً: اللهم لقد أراني قوتة علىي، فأرجوك قوتك عليه. اهـ.

واعلم أن الظالم خسيس النفس ودنيء، أوجب غضب الرب وسخطه عليه، وهو محروم من إجابة الدعاء، ومحروم من شفاعة الرسول يوم القيمة.

\* \* \*

## ٢٧- باب تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم

### والشفقة عليهم ورحمتهم

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعْبَرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْفَلُوْبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا خِفْضَ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

(٢٢٢) وعن أبي موسى رض قال: قال رسول الله صل: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه ببعض». وشبّك بين أصابعه. متفق عليه.

(٢٢٣) وعن النبي صل قال: قال رسول الله صل: «من مر في شيء من مساجدنا، أو أسواقنا، وملأه كيل فليمسك، أو ليقبض على نصالها (أي: النصل: حدبة السهم) بكفه، أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشيء». متفق عليه.

(٢٢٤) وعن التعمان بن بشير رض قال: قال رسول الله صل: «مثل المؤمن في توادهم وترحّمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا استكى منه عضو تداعى (أي: استجاب) له سائر الجسد بالسهر والحمى». متفق عليه.

(٢٧ / ٢٢٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبْلَ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلم الْحَسَنَ بْنَ عَلَيٍّ رضي الله عنهما، وَعِنْهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنِّي عَشَرَةً مِنَ الْوَالِدِ مَا قَبَلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا. فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم، فَقَالَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ!». متفق عليه.

(٢٧ / ٢٢٦) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم، فَقَالُوا: أَتَبْسُلُونَ صِبِيَانَكُمْ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ». قَالُوا: كَيْنَا وَاللَّهِ مَا تَقْبِلُ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم: «أَوْ أَمْلِكْ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْ قُلُوبِكُمُ الرَّحْمَةَ!». متفق عليه.

(٢٧ / ٢٢٧) وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم: «مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ لَا يُرْحَمُهُ اللَّهُ». متفق عليه.

(٢٧ / ٢٢٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخْفِفْ، فَإِنْ فِيهِمُ الْضَّعِيفُ وَالسَّقِيمُ وَالكَبِيرُ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطْوَلْ مَا شَاءَ». متفق عليه. وفي رواية: «وَذَا الْحَاجَةَ».

(٢٧ / ٢٢٩) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إِنَّ كَانَ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم لَيَدْعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةً أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ. متفق عليه.

(٢٧ / ٢٣٠) وعنها رضي الله عنها قالت: نَهَا هُنْمُ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلم عَنِ الْوَصَالِ (أي: موافقة الصيام بين الأيام من غير إفطار) رَحْمَةً لَهُمْ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ؟ قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ كَهَيَّتُكُمْ، إِنِّي أَبِيْتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي». متفق عليه. ومعناه: يَجْعَلُ فِي قُوَّةٍ مِنْ أَكْلٍ وَسَبَبٍ.

(٢٧ / ٢٣١) وعن أبي قتادة الحارث بن ربيع رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم: «إِنِّي لِأَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ، وَأُرِيدُ أَنْ أَطْوَلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَحَوَّزُ (أي: أخفف وأقلل) فِي صَلَاةِ كَرَاهِيَةِ أَنْ أَشْقَى (أي: أشق) عَلَى أُمِّهِ». رواه البخاري.

(٢٧ / ٢٣٢) وعن جُنْدِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم: «مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذَمَّةِ (أي: الذمة: الضمان، وقيل: الأمان) اللَّهِ فَلَا يَطْلُبُنَّكُمُ اللَّهُ مِنْ ذَمَّتِهِ بَشِيءٍ، فَإِنَّمَا مِنْ يَطْلُبُهُ مِنْ ذَمَّتِهِ بَشِيءٍ يُدْرِكُهُ، ثُمَّ يَكُبُّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ». رواه مسلم.

(٢٧ / ٢٣٣) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَرَّ مُسْلِمًا سَرَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». متفق عليه.

(٢٣٤ / ٢٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَحْوِنُهُ، وَلَا يُكَذِّبُهُ، وَلَا يَحْذِلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَدُمُّهُ، التَّقْوَىٰ هَا هُنَّا، بِحَسْبِ اُمْرِيٍّ مِّنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمِ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٣٥ / ٢٧) عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «لَا تَحَاسِدُوا، وَلَا تَنَاجِشُوا، وَلَا تَبَاغِضُوا، وَلَا تَدَابِرُوا، وَلَا يَعْبُدُوكُمْ عَلَىٰ بَعْضِكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، وَلَا يَحْذِلُهُ، التَّقْوَىٰ هَا هُنَّا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بِحَسْبِ اُمْرِيٍّ مِّنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمِ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دُمُّهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ». رواه مسلم. التجشن: أَنْ يَزِيدَ فِي تَمْنُنِ سُلْطَةِ يُنَادَىٰ عَلَيْهَا فِي السُّوقِ وَتَحْوِهِ، وَلَا رَغْبَةَ لَهُ فِي شَرائِهَا بَلْ يَقْصُدُ أَنْ يَعْرُجَ عَيْرُهُ، وَهَذَا حَرَامٌ. والتَّدَابِرُ: أَنْ يُعْرِضَ عَنِ الْإِنْسَانِ وَيَهْجُرُهُ وَيَجْعَلُهُ كَالشَّيْءِ الَّذِي وَرَاءَ الظَّهَرَ وَالدُّبُرِ.

(٢٣٦ / ٢٧) وعن أنس رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلم قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». متفق عليه.

(٢٣٧ / ٢٧) عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «اَنْصُرْ اَخَاكَ ظَالِمًا اَوْ مَظْلُومًا». فقال رجل: يا رسول الله، أَنْصُرْهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَرَيْتَ إِنْ كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قال: «تَحْجُزُهُ - أَوْ تَمْنَعُهُ - مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرٌ». رواه البخاري.

(٢٣٨ / ٢٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلم قال: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيمُ الْعَاطِسِ». متفق عليه. وفي رواية لمسلم: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سَتٌّ: إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَتَصَحَّكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِّدْ اللَّهَ فَشَمَّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبَعْهُ».

(٢٣٩ / ٢٧) وعن أبي عمارة البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله صلوات الله عليه وسلم بسبعين ونهانا عن سبع: أمرنا بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميم العاطس، وإبار المقصيم، ونصر المظلوم، وإجابة الداعي، وإفساء السلام، ونهانا عن خواتيم أو تختم بالذهب، وعن

**شُرُب بالفِضَّةِ، وَعَنِ الْمَيَاثِرِ الْحُمْرِ، وَعَنِ الْقَسْسِيِّ، وَعَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ وَالْإِسْتَبْرِقِ وَالدِّيَاجِ.** متفق عليه.

**وفي رواية: وإن شاد الصالة في السبع الأول.** «المياثر» بباء مثناة قبل الألف، وثناء مثلاة بعدها، وهي: جَمْعُ مِيشَرة، وهي: شيء يُتَّخَذُ منْ حَرِيرٍ وَيُحْشَى قطناً أوْ غَيْرَهُ، وَيُجْعَلُ فِي السَّرِّيجِ وَكُورِي (أي: الكور): ما يُفْرَشُ عَلَى ظَهَرِ النَّاقَةِ وَنَحْوِهَا) البَعْير يجلس عَلَيْهِ الرَّاكِبُ. «الْقَسْسِيُّ» بفتح القاف وكسر السين المهملة المشددة، وهي: ثِيَابٌ تُسَسَّجُ مِنْ حَرِيرٍ وَكَتَانٍ مُخْتَلِطِيْنَ. «وَإِنْ شَادَ الصَّالَةَ»: تعريفها.

\* \* \*

## ٢٨ - باب قضاة حواجر المسلمين

قال الله تعالى: ﴿وَفَعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُمْلَحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

(٢٩) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَسُولَ اللهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كَرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَرَّ مُسْلِمًا سَرَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». متفق عليه.

(٢٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قَالَ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كَرَبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كَرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَرَّ مُسْلِمًا سَرَّهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنَى العَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنَى أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَّكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَيْهِ الْجَنَّةَ. وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتِ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَّلْتُ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيتُهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرُهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ. وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسْبَهُ». رواه مسلم.

\* \* \*

## ٢٩ - باب ستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تُشَيَّعَ الْفَحْشَةُ فِي الَّذِينَ أَمَّا مَا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

(٢٤٠/٢٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلام قال: «لا يُسْتُر عَبْدٌ عَبْدًا في الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رواه مسلم.

(٢٤١/٢٨) وعنه رضي الله عنه: قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلام يقول: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافٍ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ (أي: الذين جاهروا بمعاصيهم وأظهروها وكشفوا ما ستر الله تعالى عليهم، فيتحدثون بها لغير ضرورة ولا حاجة)، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيلِ عَمَالًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتَ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتَرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سَتْرَ اللَّهِ عَنْهُ». متفق عليه.

(٢٤٢/٢٨) وعنه رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلام قال: «إِذَا رَأَتِ الْأُمَّةُ فَتَبَيَّنَ زَنَاهَا فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ وَلَا يُتَرَبَّ عَلَيْهَا، ثُمَّ إِنْ رَأَتِ الثَّانِيَةَ فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ وَلَا يُتَرَبَّ عَلَيْهَا، ثُمَّ إِنْ رَأَتِ الثَّالِثَةَ فَلْيَعْلُمْهَا وَلَوْ بِحَبْلٍ مِنْ شَعَرٍ». متفق عليه. التَّوْبِيق: الشرب.

(٢٤٣/٢٨) وعنه رضي الله عنه: أتى النبي صلوات الله عليه وسلام برجل قد شرب حمراء، قال: «اضربوه». قال أبو هريرة: فَمِنَ الضَّارِبُ بِيَدِهِ، وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: أَخْرَاكَ اللَّهُ. قَالَ: «لَا تَقُولُوا هَكَذَا، لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ». رواه البخاري.

\* \* \*

### (الستر)

الستر: هو تغطية الشيء. والسترة: ما استرت به من شيء كائناً ما كان.

فالستر المقصود شرعاً هو الستر على المسلم، بإخفاء عيوبه وفلاته وهفواته، وفي الحديث الشريف: «وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [متفق عليه]، أي من رأه على قبيح فلم يظهره للناس. كذلك من الستر أن يستر الإنسان عورات نفسه عن الناس، كما في الحديث: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافٍ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ» متفق عليه. والمقصود أن الستر يكون في معصية قد انقضت، أما في معصية تعود عليها صاحبها فيجب الإنكار عليه فيها، فإذا كانت مما يعم ضررها جماعة الناس وجب أن ترفع للحاكم أو المسئول أوولي أمره.

ويفسر الإمام النووي المراد بالستر بأن الستر يكون على أصحاب المناصب والهيئات، سواءً في الدين أو الدنيا، ممن لا يعرف عنهم إثم أو رذيلة أو فساد، أما إن كان

معروفاً بالفساد ومشهوراً به فُيستحب ألا يُسْتَرَ عليه، بل يُبلغ ولِيَ الْأَمْرِ إذا لم يكن وراء ذلك مفسدةً للمُبْلَغِ أو ضررٌ أو أذى يحدث له؛ ذلك لأن الستر على أصحاب المعا�ي المجاهرين بها إنما يُطْعِمُهم في زيادة الفساد.

وأما ما يكون من جرح (أي: قذح وعيوب) لبعض رواة أحاديث النبي ﷺ فلا يجب السّتُّرُ فيه، وكذلك فَضْحُ شُهَدَاءِ الرُّزُورِ والمُؤْظَفِينِ المؤتمنين على الأموال العامة وأموال اليتامي ونحو ذلك، فلا يَحِلُّ السّتُّرُ عليهم إذا رُئيَ منهم ما يُقدح في شرفهم وأماناتهم، وليس هذا من العينة المحرّمة، بل هذا من النصيحة الواجبة على كُلِّ مسلمٍ.

**الفرق بين الستر والغفران:** الغفران في الشرع: إسقاط العقوبة في الآخرة، ويكون من الله تعالى للمؤمنين يوم القيمة، أما الستر فيكون في الدنيا والآخرة أيضاً، ولا يعني المغفرة والمسامحة، كما في الحديث: (سَرَّتْهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ). متفق عليه.

ويجوز الستر في الدنيا على الكافر والفاشق، وهذا من حسابات المصالح والمفاسد أيهما أولى، ففي الحديث: (لَا يَسْتُرُ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَرَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). مسلم برق (٢٥٩٠). وقال رسول الله ﷺ وحوله جماعة من أصحابه: (بَا يَعُونِي عَلَى إِلَّا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرُقُوا، وَلَا تَرْزُنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِهُنَّا تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيْكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوْقَبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةً لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَرَّهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَفَّا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ) فبایعنانه على ذلك. متفق عليه.

ومما روى عن عقبة بن عامر مرفوعاً: (مَنْ رَأَى عَوْرَةً فَسَرَّهَا كَانَ كَمَنْ اسْتَحْيَا مَوْءُودَةً) (أي: الوليدة التي دفنتها أبوها وهي حية) (مِنْ قَبْرِهَا). أحمد في مسنده (٤ / ١٥٨) برقم (١٧٤٨٣).

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني عالجت امرأةً - أي استمتعت بها - في أقصى المدينة، وإنني أصبحت منها ماء دون أن أمسّها (أي: أنزلت من دون أن أمسّها)، فهذا أنا ذا، فاقض ما شئت. فقال له عمر: لقد سترك الله، لو سترت نفسك! قال: فلم يرُدَ النَّبِيُّ ﷺ

شيئاً كأنه وافق على قول عمر، فقام الرجل فانطلق، فاتبعه النبي ﷺ رجلاً دعاه وتلا عليه هذه الآية: **﴿وَأَقِمِ الْأَصْلَوَةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَزُلْفَامِ الْأَيَّلِ إِنَّ الْمُحَسِّنَتِ يُذَهِّنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَرْكَى لِلَّذِكَرِ﴾** [هود: ١١٤]. فقال رجل من القوم: يا نبي الله، هذا له خاصة؟ قال: «بَلْ لِلنَّاسِ كَافَةً» [متفق عليه]. وهذا ليس إذناً بالمعصية، وإنما هو دعوة إلى أن نستر على العاصي غير المجاهر بمعصيته؛ ليسهل عليه التوبة والرجوع إلى الحق.

فالنبي ﷺ قد دعانا إلى ستر عوراتنا، وما يروى عنه في هذا الباب: **«إِيَّاكُمْ وَالْتَّعَرُّي؛ فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدُ الْغَائِطِ وَحِينَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ»**. الترمذى برقم (٢٨٠٠).

وقال رسول الله ﷺ: **«سَتْرٌ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمِ إِذَا دَخَلَ الْحَلَاءَ** (أي: مكان قضاء الحاجة) **أَنْ يَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ**». الترمذى برقم (٦٠٦)، صحيحه الألبانى (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٦١). وقال رسول الله ﷺ: **«مَا مِنْ امْرَأٍ تَخْلُعُ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِهَا إِلَّا هَتَّكَتْ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى**». أحمد في مسنده (٦/ ١٧٣) برقم (٢٥٤٤٦)، صحيحه الألبانى (صحيح الجامع الصغير) حديث (٥٦٩١).

مع الأخذ في الاعتبار أن نزع الشياب هنا المراد به نزعها لمن لا تحل له من الرجال كي يستحل منها أمراً محراً من جماع ونحوه، بخلاف ما لو كان النزع لضرورة معتبرة شرعاً، كمرض أو صحبة صالحة، وخلافه. ومن الستر أيضاً ألا تحكي إحداهن عن الأخرى لزوجها أو محارمها؛ قال النبي ﷺ: **«لَا تُبَاشِرِ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَطُّهَا لِزَوْجِهَا كَانَهُ يُظْرِئُ إِلَيْهَا**». البخارى برقم (٥٢٤٠). وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: **لَوْ أَخْذَتْ سَارِقًا** (أي: أمسكت به متلبساً) **لَأَحْبَبَتْ أَنْ يَسْتَرَهُ اللَّهُ، وَلَوْ أَخْذَتْ شَارِبَ خَمْرًا لَأَحْبَبَتْ أَنْ يَسْتَرَهُ اللَّهُ**.

وقالت امرأة لعائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين، إن أحدهم قد أخذ برجلي وأنا محمرة (أي: حاول مغازلتها؛ وذلك لحداثة الإسلام وقلة علم الناس الجدد بأحكامه) فقالت عائشة: يا نساء المؤمنين، إذا أذنست إحداكن ذنباً فلا تُخْبِرَنَّ به الناس، ولتستغفرنَ الله ولتُتبَّ إلية، فإن العباد يُعِيرُون ولا يُغَيِّرُون، والله يُغَيِّرُ ولا يُعِيرُ.

**التعير:** وهو فضح المرأة والعيب عليه، وهو عكس الستر، أي إن العباد قد يفضح بعضهم بعضاً ولكن الله يغار على الأعراض ولهذا يحبُّ الستر. وقال أحدهم: لا يُعذب الله قوماً يسترون الذنوب. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [القمان: ٢٠] يقول المفسّر الضحاك : : أما النعمة الظاهرة فهي الإسلام والقرآن، وأما الباطنة فما ستره الله من العيوب والمعاصي.

وقال الحسن البصري : : مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ سُرْ فَلَا يَكْشِفُهُ. (أي: سواء كان هذا الستر مادياً أو معنوياً). وقال ابن تيمية : : إِنَّ الْمَرْأَةَ حَتَّى لَوْ صَلَّتْ وَحْدَهَا كَانَتْ مَأْمُورَةً بِالْأَخْتِمَارِ. وقال بعض أهل العلم : مَنْ سَمِعَ بِفَاحِشَةٍ فَأَفْشَاهَا كَانَ فِيهَا كَالَّذِي بَدَأَهَا. وسائل رجل الحسن البصري : فَقَالَ : يا أبا سعيد، رَجُلٌ عَلِمَ مِنْ رَجُلٍ شَيْئًا، أَيْفَشَى عَلَيْهِ؟ قال: يا سبحان الله! لا.

**قصة:** ونسوق إليكم هذه الواقعة التي تحدثت بها كتب التراث: قال أَحْمَدُ بْنُ مَهْدِيٍّ : : جاءتنني امرأةً ببغداد، في ليلةٍ من الليالي، فذكرت أنها من بنات الناس، وقالت: أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ أَنْ تُسْتَرِنِي. فقلت: وما محتك؟! قالت: أُكْرِهْتُ عَلَيْ نَفْسِي (أي: يَدُوْ أَنْهَا اغْتَصَبَتْ) وأنا الآن حُبْلِي، وبما أنني أتوقع منك الخير والمعرفة، فقد ذكرت لكل من يعرفي أنك زوجي، وأن ما بي من حبل إنما هو منك، فأرجوك لا تفضحني، استرنني سترك الله عَزَّلَكَ. فسمعتُ كلامها وسكتُ عنها، ثم مَضَتْ.

وبعد فترةٍ وضعتُ مولوداً، وإذا بي أتفاجأ بِإمام المسجد يأتي إلى داري ومعه مجموعة من الجيران يُهشّئونني ويُباركون لي بالمولود، فأظهرت لهم الفرح والتهلل، ودخلت حجرتي وأتتني بمائة درهم وأعطيتها للإمام قائلاً: أنت تعرف أنني قد طلقتُ تلك المرأة، غير أنني مُلَمْ بِالنفقة على المولود، وهذه المائة أرجوك أن تُعطيها للأم لكي تصرفَ عَلَيْ ابنها، هي عادةٌ سوف أتكفل بها مع مطلع كل شهر، وأتمن شهودٌ على ذلك. واستمررت على هذا المنوال دون أن أرى المرأة ومولودها، وبعدما قارب العامين توفي المولود، فجاءني الناس يُعزوونني، فكنت أُظْهِرُ لهم التسليم بقضاء الله وقدره، ويعلم الله أن حزناً عظيماً قد تملّكتني لأنني تخيلت المصيبة التي حلّت بتلك الأم المكلومة (أي: التي أصبت بمصيبة).

وفي ليلةٍ من الليالي، وإذا ببابِ داري يُقْرَعُ، وعندما فتحتُ الباب، إذا بي أتفاجأً بتلك المرأة ومعها صُرَّة (أي: كيس يوضع فيه النقود) مماثلةً بالدرارِم، وقالت لي وهي تبكي: هذه هي الدرارِم التي كنت تبعثها لي كلَّ شهر مع إمام المسجد، سترك الله كما سترني. حاولتُ أنْ أرجعها لها غير أنها رفَضَتْ، ومَضَتْ إلى حال سبيلها، وما هي إلَّا سَنَةٌ وإذا بها تتزوج من رجلٍ مقتدر وصاحبٍ فضلٍ، أشركتني معه في تجارتِه، وفتح الله عَلَيَّ بعدها أبوابَ الرِّزق من حِيثُ لا أحتسِبُ. اهـ.

واعلم أن العبدَ إذا فعلَ المعصيةَ وتابَ بعدها ستره اللهُ في الدنيا وذَكَرَهُ بها في الآخرة ثم عفا عنه. ومن الستر أيضًا كتمُ أسرارِ الناس. فالستر صفةٌ محمودةٌ عند الله وبين الناس، فالذى يُسْتَر عيوبَ الناس محبوبٌ لديهم كريمٌ عليهم.

\* \* \*

### (حقوق الأخوة والصحبة)

اعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُصلِحُ لِلصَّحْبَةِ وَالْأَخْوَةِ الْحَقِيقَيَّةِ كُلُّ إِنْسَانٍ، فَهَذَا قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ:  
**«الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلَيُنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ** (أي: من يتَّخِذُهُ صَاحِبًا). أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٣٠٣ / ٢).

برقم (٨٠)، حسنَةُ الألباني (صحيحُ الجامِع الصَّغِير) حديث (٣٥٤٥).

**وقال الحسن البصري :** انتقوا الإخوان والأصحاب والمجالس.

**وقيل:** إنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: **إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَنِي وَأَخْتَارَ لِي أَصْحَابًا وَأَنْصَارًا، وَجَعَلَ لِي مِنْهُمْ**  
**وَزَرَاءً وَأَصْهَارًا**. الحاكم في «المُسْتَدِرِك» (٣ / ٧٣٢) برقم (٦٦٥٦)، وقال: هذا حديث صحيحُ الإسناد ولم يخرجاه.

فلا بد أن يتميَّز الإنسانُ المرغوبُ في صحبته بصفاتهِ وخصائِلِ تُرْغَبُ في صحبته، فبحسب المطلوبِ من وراء الصُّحبة تكون الشروطُ المطلوبةُ في الصَّاحِبِ.

قال ﷺ: **مَثُلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِبِيرِ** (أي: آلة لنفخ النار وإشعالها)، **فَكَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ** (أي: يعطيك) **وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَحِدَّ** منهِ **رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَحِدَّ مِنْهُ رِيحًا حَبِيشَةً**. متفقٌ عليه.

**وقال حكيم:** الإخوانُ بمنزلةِ النار: قليلُها مَتَاعٌ، وكثيرُها بَوارٌ، فلا تُسْرِفُ في كثرةِ

الإخوان إذالم يكونوا أخياراً.

**قواعد الصحبة:** وقواعد الصحبة هي:

**إما دنيوية:** كالانتفاع بماله، أو سلطانه وجاهه، أو علمه الدنيوي، أو نسبه، أو الأنس بالجيرة والمشاهدة، وهذا ليس الغرض من حديثنا.

**واما دينية:** وفيها أمور متداخلة مع بعضها: فمنها الاستفادة من العلم النافع، والاستفادة من العمل الصالح؛ لنشر العلوم الشرعية وروح التضحية والرغبة في العمل الصالح. ومنها الاستفادة من الجاه للتحصّن به من الإيذاء.

ومنها الاستفادة من المال من صاحبك؛ ليكفيك به تضييع الوقت الكثير في طلب المعاش الذي يضييع به كثيرٌ من رأس مال الإنسان وهو وقتُه وصحته اللذان يستفيد بهما في طلب آخرته. ومنها الاستفادة به في المهام والمصائب والأحوال الشديدة.

ومنها التبرُّك بدعائه، وخاصة بظهور الغيب. ومنها انتظار شفاعته في الآخرة.

قال بعض السلف رحمهم الله: استكثروا من الإخوان والأصحاب؛ فإن لكل مؤمن شفاعةً، فلعلك تدخل في شفاعة أخيك. ويُقال: إذا غفر الله للعبد شُفْعٌ في إخوانه.

وهذه هي فضيلة الصحبة والألفة والمخالطة على العزلة والانفراد.

**حقوق الأخوة:** فرابطة الأخوة والصحبة بين الشخصين في قدرها وشأنها أشبه ما تكون برابطة الزواج بين الزوجين مع الفارق، فرابطة الأخوة تقتضي حقوقاً، منها:

**١- حق في المال:** يقتضي هذا الحق التعاون في السرَّاء والضرَّاء. والمواساة بالمال على ثلاثة مراتب:

أ- القيام بحاجته من فضل مالِك عند القدرة على ذلك، والأفضل ألا تُحوِّجه إلى السؤال، فذلك تقصيرٌ منه، وتقوم بهذا مع البشاشة والاستبشار.

ب- أن تُنزلَه منزلة نفسِك، فيشرِّك في مالِك.

جـ- أن تقدّم حاجاتك على حوائج النفس، وهذه رتبة الصديق الذي قدّم حاجات النبي عليه السلام على حاجات نفسه تماماً.

وقد أهدى ابن عمر رضي الله عنهما لرجل من أصحاب النبي عليهما السلام رأس شاة، فقال: أخي فلان أحوج مني إليه. بعث به إليه، بعث ذلك الإنسان إلى آخر، فلم ينزل بعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة.

قال أبو سليمان الداراني : لو أن الدنيا كلّها لي فجعلتها في فم أخي من إخواني لاستقلّت بها، وإنما لأقيم اللّقمَة أخاً من إخواني فأجد طعمها في حلقي.

وكان الإنفاق على الإخوان أحب وأفضل من الصدقات؛ فقد قال عائشة عليهما السلام: لعشرون درهماً أعطيها أخي في الله أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين.

وقال علي عليهما السلام: لأن أصنع طعاماً وأجمع عليه إخواني في الله أحب إلي من أن أعتق رقبة.

وإن التبسيط وترك التكلف في بيوت الأصدقاء والأحباء دليل على الأخوة في الله، وقد كان بعض السلف يتقدّم عيال أخيه بعد موته أربعين سنة فيقضي حاجتهم.

وقال بعضهم: إذا طلبت من أخيك مالاً فسألوك قائلًا: ما تصنع به؟ فقد ترك حق الاخاء.

**٢- حق الإعابة بالنفس في قضاء الحاجات:** وهو درجات، أدناها القيام بتلك الحاجات عند السؤال والقدرة، مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح.

قال ابن شبرمة : إذا سألت أخيك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوّضاً وضوءك للصلاه وكبير عليه أربع تكبيرات. وقال ابن مهران : من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته. وقال حكيم: إذا آخى أحدكم رجلاً فليس له عن اسمه واسم أبيه وقبيلته ومنزله، وإن كان مريضاً عاده، وإن كان مشغولاً أعاشه؛ فإنه من واجب الحق والإخاء.

وقال سعيد بن العاص : لجلسي على ثلات خصال: إذا دنا رحبت به، وإذا جلس أوسعت له، وإذا حدث أقبلت عليه. بل كذلك من علامات الأخوة ألا ينفرد بطعم لذيد أو بحضوره في مسيرة دونه، بل يحزن لفراقه ويستوحش لبعده عن أخيه.

**٣- حق في اللسان:** والحق في اللسان إما بالسکوت تارة، وإما بالنطق تارة أخرى، بأن:

- يسكت عن ذكر عيوب صاحبه وأخيه ومساويه في غيبته بآلا يغتابه.
- لا يتعمّد الردّ عليه فيما يتكلّم به ولا يجاريه في الإطراء.
- لا يتجمّس عليه، ولا يسأل عما يكره ظهوره من أحواله.
- لا يسأله إن كان في طريق يلتسم حاجةً إلى أين؟ أو ماذا تفعل؟ خاصة إذا شعر أنه لا يحرص على إعلامه بذلك حتى لا يضطره إلى الكذب.
- يكتُم سرّه حتى لو إلى أصفى أصفيائه، ولا يكشف شيئاً منه ولو حدث بينهما قطيعة ووحشة، فإذا حدث هذا فإنما يدل على لوم الطبع وخبث الباطن.
- لا يقدح ولا يتقدّم أحبابه وأهله وولده، ولا يحكى له قدح غيره فيه.

فعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه لا يواجه أحداً بشيء يكرهه [أحمد في مسنده (٣) / برقم (١٢٣٩٠)، لأن التأذى يحدث أولاً من المبلغ ثم من القائل؛ ولهذا ترى أن من يبلغه ذلك تثور ثائرته بمجرد السمع ويغضب غضباً شديداً،عكس ما يسمع من الثناء عليه؛ فإن السرور أولاً يحصل من المبلغ لل مدح، ثم بعد ذلك من القائل. ولتعلم أن إخفاء الثناء عليه من الحسد.

- يسكت عموماً عن كلّ كلام يكرهه جملةً وتفصيلاً، إلا إذا وجّب على المرء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فليقل ذلك بشروطه التي تزيد المحبة ولا تتسبّب في إفساد المودة على العموم.

- لا يذكر مساوئه وعيوبه حتى في أهله، فهذا من الغيبة الحرام في حق كل مسلم، فإذا أردت أن تطلب رجلاً مُتزّهاً عن العيوب لاعتزلت عن الخلق كافة ولن تجد من تصاحبه أصلاً، فما من أحدٍ من الناس إلا وله محسنون ومساوون، فإذا غلبت المحسنون المساوين فتلك هي الغاية والمتّهى، فالمؤمن من الكريم دائمًا يذكّر في نفسه محسنون أخوه حتى يجد له في قلبه الود والاحترام، وأما المنافق اللئيم فإنه دائمًا يلاحظ المساوين والعيوب.

قال ابن المبارك : المؤمن يطلب المعاذير (أي: الأعذار)، والمنافق يطلب العثرات (أي:

**الزلات والسقطات**). وما من شخصٍ إلا وُيمكن تحسينُ حاله بخصالٍ فيه، ويمكن أيضًا تقبيله. قال الإمام الشافعى رحمه الله: ما أحدٌ من المسلمين يطيع الله ولا يعصيه، ولا أحدٌ يعصي الله ولا يطيعه، فمن كانت طاعته أكثر من معاصيه فهو عدلٌ، فإذا جعل مثل هذا عدلاً في حق الله فإن تراه عدلاً في حق نفسك وإن خوانك فهذا أولى.

يقول الشاعر:

**وَلَسْتَ بِمُمْسِتٍ أَخَا لَائِمٌ  
عَلَى شَعْثٍ أَيِ الرَّجَالِ الْمُهَذَّبِ**

(أي: إنك لن تستطيع أن تبقي على أخوة بين الناس إذا لم تحتمل ما فيهم من عيوب، وقد لا تستطيع أن تصلحهم لشدة عيوبهم).

وقد روی عن أبي هريرة مرفوعاً: «اسْتَعِنُوا بِاللهِ مِنْ جَارِ السُّوءِ (أي: ما علامته) الذي إن رأى خيراً ستره، وإن رأى شرًا أظهره». العراقي في «تخریج أحاديث الإحياء» (١/٤٧٤، ١٨٠٣) برقم (٤٧٤)، وعزاه للبخاري في «تاریخه».

- يسكت بالقلب أيضًا كما يسكت باللسان، فكما يجب السكوتُ عن الصديق باللسان يجب أيضًا السكوت عنه بالقلب، أي بتترك إساءة الظن فيه، فإساءة الظن هي غيبة القلب، فلا تتحمل فعله على أمر سبئ طالما يمكن أن تحمله على أمر حسن، وتغافل عن أنحطائه قدر ما أمكنك طالما كانت من اللهم والزلل؛ قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنُّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ». متفق عليه.

قال علي رضي الله عنه: لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ صديقه في غيبته وبعد وفاته. وقال عمر رضي الله عنه: لا يحل لامرئ مسلمٍ سمع من أخيه كلمةً أن يظن بها سوءاً وهو يجد لها في شيء من الخير مخرجًا.

وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتحسّن؛ وقد قال صلوات الله عليه وآله وسلامه: «وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا» [متفق عليه]، فالتجسس هو تطلع الأخبار والعيارات وخفاياها، والتحسّن هو استخدام الحواس في تتبع العورات، وخاصة بالعين.

قال عيسى صلوات الله عليه وآله وسلامه: كيف تصنون إذا رأيتم أحكام نائماً وقد كشف الريح الثوب عنه؟

قالوا: نستره ونُغطيه. قال: بل تكشفون عورته. قالوا: سبحان الله! مَن يفعل هذا؟ فقال: أحَدُكُمْ يسمع بالكلمة في أخيه (أي: الغيبة) فيزيد عليها ويُشيعها بأعظم منها. كما في «الإِحْيَا». واعلم أن من تمام إيمان المرء أن يُحب لأخيه ما يحب لنفسه.

قال رسول الله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». متفق عليه. والعجيب أن تتضرر من أخيك سُرُّ العورة والسكوت عن المساوى والعيوب، وتغضب ويشتد غضبك إذا أظهر عيوبك ولم يسترها، وتقع أنت في ذلك! قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلْمُطَفَّفِينَ ۖ ۚ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۚ ۚ وَإِذَا كَلُُومُهُمْ أَوْ وَزَوْهُمْ يُخْسِرُونَ ۚ ۚ﴾ [المطففين: ١-٣].

فما الذي يبعثك على كشف عورة أخيك وسوء الظن به؟!

فعلى المرء تُجاه صديقه أن يسكت أيضاً عن إفشاء سرّه الذي استودعه إياه، فليس الصدق واجباً في كل مقام، فإنه يجوز إخفاء عيوبك وأسرارك، وكذلك عيوب صديقك وأسراره؛ ففي الحديث: «وَمَنْ سَرَّ مُسْلِمًا سَرَّهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ». متفق عليه.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة، ولا يحل لأحدهما أن يُنشي على صاحبه ما يكره. وقيل لبعض الأدباء: كيف حفظك للسر؟ قال: أنا قبره.

إن قلب الأحمق في لسانه، ولسان العاقل في قلبه، فالأحمق لا يستطيع إخفاء ما في قلبه فيُديه من حيث لا يدرى، ومن هنا يجب الحذر من الحمقى لإفشائهم الأسرار.

وقد أُفشي بعض الصالحين إلى أخيه سرّاً ثم قال له: حفظت؟ فقال: بل نسيت.

قال أبو سعيد التورئي : إذا أردت أن تؤاخِي رجلاً فأغضِبْه ثم دُسْ عليه من يسأله عنك وعن أسرارك، فإن قال خيراً وكتم سرّك فاصحبه. وقيل لأبي يزيد : من تصحب من الناس؟ قال: مَنْ يعلم منك ما يعلم الله، ثم يستر عليك كما يستر الله.

وقال ذو النون رضي الله عنه: لا خير في صحة من لا يُحِبُّ أن يراها إلا معصوماً، ومن أُفشي السرّ من الغضب فهو اللئيم؛ لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة.

وقال حكيم: لا تصحب مَنْ يتغَيَّرُ عليك عند أربعةٍ: عند غضبِه ورضاه، وعند طمعه وهواد.

- أن يترك المماراة (أي: شدة الجدل) والخصام، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تُمارِ

سفيهاً فيؤذيك، ولا حليمًا فيقليلك (أي: يهجرك)، وكفى بك ظلماً ألا تزال مخاصمًا، وكفى بك إثماً أن تكون مماريًا. وقال ابن مسعود: ما أماري (أي: أجادل) أخي أبداً؛ لأنني أرى إما أن أكذبه أو أغضبه. فالخصوصة تتحقق الدين، وتُنبت الشحنة في صدور الرجال، قال عبد الله بن الحسين المراء رائد الغضب.

وقيل لعبد الله بن الحسين ما تقول في المرأة؟ قال: ما عسى أن أقول في شيءٍ يفسد الصدقة القديمة، ويُحل العقدة الوثيقة، وإن كان لأقل ما فيه أن يكون ذريعةً للمغالبة (أي: يغلب صاحبه قهراً)، والمغالبة من أمنن أسباب الفتنة.

وقال معاذ بن جبل إذا كان لك أخ في الله فلا تماره أبداً ولا تشاره (أي: لانفعل به شرًا يحوجه إلى أن يفعل بك مثله).

ولهذا قال النبي ﷺ: «أنا زعيمٌ بيته في ربض الجنة» (أي: المراد: ما حول الجنة وفي أطرافها) لمن ترك المرأة وإن كان محقاً [أبو داود برقم (٤٨٠٠)].

فالمراء من أشدّ أسباب إثارة الحقد؛ حيث يؤدي إلى الرغبة في الانتصار للرأي بين الإخوان، والجدل والخصومة، ومنه ينشأ التدابر الذي نهينا عنه.

فالتدابر والتقاطع يبدأ أولاً بالآراء، ثم بالأقوال، أي الألفاظ الشديدة والتهمة بالألفاظ الشديدة، ثم بالأبدان من هجّ وضربٍ وخلافه.

قال ﷺ: «لا تدابروا ولا تبغضوا ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً». [متفق عليه]، كما قال ﷺ: «المسلمُ أخُو المُسْلِمِ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهُنا - ثلاث مرات - بحسب امرئٍ من الشَّرِّ أن يُحقر أخاهُ المُسْلِمِ». [مسلم برقم (٢٥٦٤)]؛ فلا تردد على أخيك رأيه بما يُوغر صدره، فقد يعتبره احتقاراً له؛ حيث إنك ترده إلى الجهل أو الغفلة أو النسيان ونحو ذلك. وقال عبد الله بن الحسين إياك ومماراة الرجال؛ فإنك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم (أي: إن أكثرت الجدال والمراء).

قال بعض السلف: إن أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان، وأعجز منه من ضيق من ظفر به منهم؛ وكثرة المماراة توجب القطيعة وتورث العداوة.

**وقال الحسن** رضي الله عنه: لا تشتري عداوة رجل بمودة ألف رجل.

فلا تُضحك بإنشاء عداوة مع واحد من الناس مقابل أن تكسب مودة ألف واحد، حيث إن عود الثواب مع صغر شأنه قد يُشعل مدينة بأكملها؛ فاحذر إنشاء العداوات، فمعظم النار من مستصغر الشرر. فقوام الأخوة الاتفاق والانسجام في الكلام والفعل والشفقة، والتوافق مع الإخوان خيرٌ من الشفقة عليهم.

\* \* \*

### ٣٠- باب الشفاعة

قال الله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعَ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنَ لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

(٣٠ / ٢٤٦) وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه إذا أتاهم طالب حاجَةً أقبلَ على جلسائه، فقال: «اشفعوا توجروا، ويقضى الله على لسان نبيه ما أحب». متفق عليه.

وفي رواية: «ما شاء».

(٣٠ / ٢٤٧) وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قصَّةِ بَرِيرَةَ وَرَوْجَهَا، قال: قال لها النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه: «لَوْ رَاجَعْتِهِ؟» قالت: يا رسول الله، تأْمُرُني؟ قال: «إِنَّمَا أَشْفَعَ». قالت: لا حاجةَ لي فيه. رواه البخاري.

(أي: وعلم من ذلك أن الشفاعة ليست أمراً واجباً في حق المشفوع عنده؛ فمع جلاله قدر النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه إلا أنه احترم حق المرأة في اختيار زوجها وعليها أن تقتدي به في ذلك).

### ٣١- باب الإصلاح بين الناس

قال الله تعالى: ﴿لَا خَيْرٌ فِي كَيْثِيرٍ مِّنْ تَجْوِيْهِمْ إِلَّا مَنْ أَمْرَيْصَدَقَيْأَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿وَالْأَصْلَحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاصْلِحُوا ذَاتَ يَتِيمَّكُمْ﴾ [الأفال: ١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ لِحَوَّةٍ فَاصْلِحُوهُ أَيْنَ أَخْوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

(٣١ / ٢٤٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «كُلُّ سُلَامٍ (أي: مفصل) مِنَ النَّاسِ

عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ الْأَثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتَعْدِلُ الرَّجُلَ فِي دَائِبَتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَةً صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمْيِطُ الْأَذْى عَنِ الظَّرِيقِ صَدَقَةٌ». متفق عليه.

وَمِنْعِنِي «تَعْدِلُ بَيْنَهُمَا»: تُصلِحُ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ.

(٣١) / ٢٤٩) وعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رض قالت: سمعت رسول الله ص يقول: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ قَيْنُومِ حَيْرًا، أَوْ يُقُولُ حَيْرًا». متفق عليه.

وفي رواية مسلم زيادة: قالت: وَلَمْ أسمِعْهُ يُرِخْصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُهُ النَّاسُ إِلَّا في ثَلَاثٍ، تَعْنِي: الْحَرْبَ، وَالإِصْلَاحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثَ الرَّجُلِ امْرَأَتُهُ، وَحَدِيثَ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا.

(٣١) / ٢٥٠) وعن عائشة رض قالت: سمع رسول الله ص صوت خصوم بالباب عاليه أصواتهم، وإذا أحدُهُمَا يُسْتَوْضِعُ الْآخَرُ وَيُسْتَرْفَقُهُ فِي شَيْءٍ، وَهُوَ يَقُولُ: وَالله لا أَفْعُلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رسول الله ص فقال: «أَيْنَ الْمُتَّالِي عَلَى الله لا يَفْعُلُ الْمَعْرُوفَ؟» فقال: أَنَا يَا رسول الله، فَلَمَّا أَيْتُ ذَلِكَ أَحَبَّ. متفق عليه. معنى «يُسْتَوْضِعُهُ»: يَسْأَلُهُ أَنْ يَصْبِعَ عَنْهُ بَعْضَ دَيْهِ. «وَيُسْتَرْفَقُهُ»: يَسْأَلُهُ الرِّفْقَ. «وَالْمُتَّالِي»: الْحَالِفُ.

(٣١) / ٢٥١) وعن أبي العباس سهل بن سعيد الساعدي رض: أنَّ رَسُولَ الله ص بالغه أَنَّ بَنِي عَمْرو بن عوفٍ كَانَ بَيْنَهُمْ شُرٌّ، فَخَرَجَ ص يُصْلِحُ بَيْنَهُمْ فِي أَنْاسٍ مَعَهُ، فَجُبِسَ رَسُولُ الله ص وَحَانَتِ الصَّلَاةُ، فَجَاءَ بِلَالٌ إِلَيْ أَبِي بَكْرٍ رض، فَقَالَ: يَا أَبا بَكْرٍ، إِنَّ رَسُولَ الله ص قَدْ حُبِسَ وَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَهَلْ لَكَ أَنْ تَؤْمِنَ النَّاسَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنْ شِئْتَ، فَاقْفَأْ مَبَالِلُ الصَّلَاةِ، وَتَقْدَمْ أَبُو بَكْرٍ فَكَبَرَ وَكَبَرَ النَّاسُ، وَجَاءَ رَسُولُ الله ص يَمْشِي فِي الصُّفُوفِ حَتَّى قَامَ فِي الصَّفَّ، فَأَخَذَ النَّاسَ فِي التَّصْفِيقِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رض لَا يَلْتَفِتُ فِي الصَّلَاةِ، فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ فِي التَّصْفِيقِ الْتَّفَتَ، فَإِذَا رَسُولُ الله ص، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ص فَرَفعَ أَبُو بَكْرٍ رض يَدَهُ فَحَمَدَ الله، وَرَجَعَ الْقَهْقَرَى (أَيْ: مَشَى إِلَى الْخَلْفِ) وَرَاءَهُ حَتَّى قَامَ فِي الصَّفَّ، فَتَقدَّمَ رَسُولُ الله ص، فَصَلَّى لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَرَغَ أَفْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «أَيْهَا النَّاسُ، مَا لَكُمْ

جِينَ تَابُكُمْ شَيْءٌ فِي الصَّلَاةِ أَخْدُتُمْ فِي التَّصْفِيقِ؟! إِنَّمَا التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ، مَنْ تَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلَاةِهِ فَلِيُقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ حِينَ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، إِلَّا التَّفَتَ، يَا أَبَا بَكْرٍ؛ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّي بِالنَّاسِ حِينَ أَشْرَتُ إِلَيْكَ؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا كَانَ يَنْبَغِي لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. متفق عليه. معنى «حبس»: أَمْسَكُوهُ لِيُضَيِّفُوهُ.

### ٣٢ - باب فضل ضعفة المسلمين والقراء والخاملين

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالشَّيْرِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨].

(٢٥٢) وعن حارثة بن وهب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُنْصَعِفٍ (أي: يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه)، لو أقسم على الله لغيره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كُلُّ عُتُلٌ جَوَاظٌ مُسْتَكْبِرٌ». متفق عليه.

«العتل»: الغليظ الجافي. «الجواظ»: بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة: وهو الجموع الممنوع (أي: الذي يجمع المال ويخل به)، وقيل: الضخم المختال في مشيئه، وقيل: القصير البطين.

(٢٥٣) وعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: مر رجل على النبي ﷺ فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟» فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حريري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع. فسكت رسول الله ﷺ، ثم مر رجل آخر، فقال له رسول الله ﷺ: «ما رأيك في هذا؟» فقال: يا رسول الله، هذا رجل من قراء المسلمين، هذا حريري إن خطب إلا ينكح، وإن شفع إلا يشفع، وإن قال ألا يسمع لقوله. فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا». متفق عليه.

قوله: «حريري» هو بفتح الحاء وكسر الراء وتشديد الياء، أي: حقيق. قوله: «شفع»: بفتح الفاء.

(٢٥٤) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «احتججت (أي: تجادلت وتخاصمتا) الجنة والنار، فقالت النار: في العجائز والمتكبرون. وقالت الجنة: في ضعفاء الناس وممساكينهم. فقضى الله بينهما: إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أساء، وإنك النار عذابي أعذبك من أساء، ولكلكمما على ملؤها». رواه مسلم.

(٢٥٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل السمين العظيم يوم

**القيامة لا يزعن عنده الله جناح بعوضة**. متفق عليه.

(٣٢ / ٢٥٦) وعنـه: أـن اـمـرـأ سـوـدـاء كـانـت تـقـمـسـجـدـا، أـو شـابـا، فـفـقـدـها، أـو فـقـدـه رـسـوـلـ الله عـلـيـهـ، فـسـأـلـ عـنـهـا، أـو عـنـهـ، فـقـالـوا: مـاتـ. قـالـ: «أـفـلا كـتـمـ آذـنـتـمـونـيـ!» فـكـانـهـ صـغـرـوا أـمـرـهـ، أـو أـمـرـهـ، فـقـالـ: «ذـلـونـيـ عـلـىـ قـبـرـهـ». فـدـلـلـوـهـ فـصـلـىـ عـلـيـهـا، ثـمـ قـالـ: «إـنـ هـذـهـ الـقـبـورـ مـمـلـوـعـةـ ظـلـمـةـ عـلـىـ أـهـلـهـا، وـإـنـ اللهـ تـعـالـىـ يـنـورـهـاـ لـهـمـ بـصـلـاتـيـ عـلـيـهـمـ». مـتـفـقـ عـلـيـهـ. قـولـهـ: (تقـمـ)  
هـوـ بـفـتـحـ التـاءـ وـضـمـ الـقـافـ، أـيـ: تـكـنـسـ. (والـقـمـامـةـ: الـكـنـاسـةـ. وـآذـنـتـمـونـيـ) بـمـدـ الـهـمـزةـ، أـيـ: أـعـلـمـتـمـونـيـ.

(٣٢ / ٢٥٧) وـعـنـهـ قـالـ: قـالـ رـسـوـلـ اللهـ عـلـيـهـ: «رـبـ أـشـعـتـ أـغـرـ مـدـفـوعـ بـالـأـبـوـاـبـ لـوـ أـقـسـمـ عـلـىـ  
الـلـهـ لـأـبـرـهـ». روـاهـ مـسـلـمـ.

(٣٢ / ٢٥٨) وـعـنـ أـسـمـاءـ عـلـيـهـ: عـنـ النـبـيـ عـلـيـهـ السـلـيـنـ قالـ: «قـمـتـ عـلـىـ بـاـبـ الـجـنـةـ، فـإـذـا عـامـةـ مـنـ دـخـلـهـا  
الـمـسـاـكـينـ، وـأـصـحـاحـبـ الـجـدـ مـحـبـوـسـونـ، غـيـرـ أـنـ أـصـحـاحـبـ النـارـ قـدـ أـمـرـ بـهـمـ إـلـىـ النـارـ،  
وـقـمـتـ عـلـىـ بـاـبـ النـارـ فـإـذـا عـامـةـ مـنـ دـخـلـهـا السـاءـ». مـتـفـقـ عـلـيـهـ.

**وـالـجـدـ**: بـفـتـحـ الـجـيمـ: الـحـظـ وـالـغـنـىـ. وـقـولـهـ: (مـحـبـوـسـونـ) أـيـ: كـمـ يـؤـذـنـ لـهـمـ بـعـدـ فيـ دـخـولـ الـجـنـةـ.

(٣٢ / ٢٥٩) وـعـنـ أـبـيـ هـرـيـةـ عـلـيـهـ السـلـيـنـ قالـ: «لـمـ يـتـكـلـمـ فـيـ المـهـدـ إـلـىـ ثـلـاثـةـ: عـيسـىـ اـبـنـ  
مـرـيـمـ، وـصـاحـبـ جـرـيـحـ؛ وـكـانـ جـرـيـحـ رـجـلـاـ، فـاتـخـذـ صـوـمـعـةـ فـكـانـ فـيـهـاـ، فـأـتـهـ أـمـهـ  
وـهـوـ يـصـلـيـ، فـقـالـتـ: يـاـ رـبـ أـمـيـ وـصـلـاتـيـ. فـقـالـ: يـاـ جـرـيـحـ. فـقـالـ: أـيـ رـبـ أـمـيـ  
وـصـلـاتـيـ. فـأـقـبـلـ عـلـىـ صـلـاتـهـ، فـلـمـ كـانـ مـنـ الـغـدـ أـتـهـ وـهـوـ يـصـلـيـ، فـقـالـتـ: يـاـ جـرـيـحـ. فـقـالـ:  
أـيـ رـبـ أـمـيـ وـصـلـاتـيـ. فـأـقـبـلـ عـلـىـ صـلـاتـهـ، فـقـالـتـ: اللـهـمـ لـاـ تـمـتـهـ حـتـىـ يـنـظـرـ إـلـىـ وـجـوهـ  
الـمـوـمـسـاتـ. فـتـذـاـكـرـ بـنـوـ إـسـرـائـيلـ جـرـيـحـاـ وـعـبـادـتـهـ، وـكـانـتـ اـمـرـأـ بـغـيـيـ يـمـثـلـ بـحـسـنـهـ،  
فـقـالـتـ: إـنـ شـتـمـ لـأـفـتـنـتـهـ، فـتـعـرـضـتـ لـهـ، فـلـمـ يـلـتـفـتـ إـلـيـهـ، فـأـتـتـ رـاعـيـاـ كـانـ يـأـويـ إـلـىـ  
صـوـمـعـةـهـ، فـأـمـكـتـهـ مـنـ نـفـسـهـاـ فـوـقـ عـلـيـهـاـ، فـحـمـلـتـ، فـلـمـاـ وـلـدـتـ، قـالـتـ: هـوـ مـنـ جـرـيـحـ.  
فـأـتـهـ فـأـسـتـزـلـوـهـ وـهـدـمـوـاـ صـوـمـعـةـهـ، وـجـعـلـوـاـ يـضـرـبـوـنـهـ، فـقـالـ: مـاـ شـأـنـكـمـ؟ قـالـوـاـ: زـيـنـتـ بـهـدـهـ  
الـبـغـيـيـ فـوـلـدـتـ مـنـكـ. قـالـ: أـيـنـ الصـبـيـ؟ فـجـاءـوـاـ بـهـ، فـقـالـ: دـعـونـيـ حـتـىـ أـصـلـيـ. فـصـلـىـ فـلـمـاـ  
أـنـصـرـفـ أـتـيـنـ الصـبـيـ فـطـعـنـ فـيـ بـطـنـهـ، وـقـالـ: يـاـ غـلامـ مـنـ أـبـوكـ؟ قـالـ: فـلـانـ الرـاعـيـ. فـأـقـبـلـوـاـ  
عـلـىـ جـرـيـحـ يـقـبـلـوـنـهـ وـيـسـمـسـحـوـنـ بـهـ، وـقـالـوـاـ: نـبـنيـ لـكـ صـوـمـعـتـكـ مـنـ ذـهـبـ. قـالـ: لـاـ،

أعْيُدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ. فَفَعَلُوا. وَيَسِّنَا صَبِّيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَاهِيَةٍ وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَبْنِي مِثْلَ هَذَا. فَتَرَكَ الْتَّدْبِيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى تَدْبِيَهُ فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ، فَكَانَيْ أَنْظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِصَاعَهُ بِاِصْبَاعِهِ السَّبَابَيَةِ فِي فِيهِ، فَجَعَلَ يَمْصُصُهَا. قَالَ: (وَمَرُوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا، وَيَقُولُونَ: زَنِيتْ، سَرَقْتِ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ). فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ أَبْنِي مِثْلَهَا. فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا. فَهُنَالِكَ تَرَاجَعاً الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ: مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيَّةِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَبْنِي مِثْلَهُ. فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. وَمَرُوا بِهِذِهِ الْأُمَّةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنِيتْ، سَرَقْتِ. فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ أَبْنِي مِثْلَهَا. فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا؟! قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَارًا، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا: زَنِيتْ، وَلَمْ تَزِنْ، وَسَرَقْتِ، وَلَمْ تَسْرِقْ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا». متفق عليه. «الموسادُ يضم الميم الأولى»، وإسكان الواو وكسر الميم الثانية وبالسين المهملة، وهنَّ الزَّوَافِي. والمُوسَدُ: الزَّانِيُّ. وقوله: «دَاهِيَةٌ فَارِهَةٌ» بِالْفَاءِ، أي: حَادِهَةٌ نَفِيسَةٌ. «والشارَةُ بالشين المعجمة وتخفيف الراءِ، وهي: الجَمَالُ الظَّاهِرُ فِي الْهَيَّةِ وَالْمَلَسِ. وَمَعْنَى «تَرَاجَعاً الْحَدِيثَ» أي: حَدَثَ الصَّبِيُّ وَحَدَثَهُ، وَاللهُ أَعْلَم.

### ٣٣ - باب ملاطفة اليتيم والبنات

#### وسائل الضعف والمساكين والمنكسرات

#### والإحسان إليهم والشفقة عليهم والتواضع معهم وخفض الجناح لهم

قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا خِفْضَ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

وقالَ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفَدْوَةِ وَالْعَشَيِّ بُرِيدُونَ وَجَهَهُ، وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ثِرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا الْيَتَيمَ فَلَا فَتَهْرَ ① وَإِنَّمَا السَّائِلَ فَلَا ثَنَهْرَ ②﴾ [الضحى: ٩، ١٠].

وقالَ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ③ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتَيمَ ④ وَلَا يَخْصُّ عَنْ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ⑤﴾ [الماعون: ٣ - ١].

(٣٣ / ٢٦٠) وعن سعيد بن أبي وَفَّاص رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلوات الله عليه سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ

للنبي ﷺ: اطْرُدْ هُؤلَاءِ لَا يَجْتَرُؤُنَ عَلَيْنَا. وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هُدَيْلٍ وَبِلَالٌ وَرَجُلَانِ لَسْتُ أَسْمِيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرُبُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْفَةِ وَالْمَشْتِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعم: ٥٢]. رواه مسلم.

(٢٦١) (٣٣) وعن أبي هُبَيْرَةَ عَائِدِ بْنِ عَمْرُو الْمُزْنِيِّ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ ﷺ: أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبَ وَبَلَالَ فِي نَفْرٍ، فَقَالُوا: مَا أَخْدَتْ سُبُّوْفَ اللَّهِ مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ مَا خَدَّهَا. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشِيْخِ قُرْيُشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَعَلَّكَ أَغَضَّبْتُهُمْ؛ لَئِنْ كُنْتَ أَغَضَّبْتَهُمْ لَقَدْ أَغَضَّبْتَ رَبَّكَ». فَأَتَاهُمْ فَقَالُوا: يَا إِخْوَتَاهُ، أَغَضَّبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي. رواه مسلم. قوله: «مَا خَدَّهَا» أي: لَمْ تَسْتَوِ حَقَّهَا مِنْهُ. قوله: «يَا أَخِي» رُوِيَ بفتح الهمزة وكسر الخاء وتخفيف الياء، وروي بضم الهمزة وفتح الخاء وتشديد الياء.

(٢٦٢) (٣٣) وعن سهيل بن سعيد ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا وَكَافُلُ الْيَتَمِّ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا». وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَىِ، وَفَرَّجَ يَمْهُمَا. رواه البخاري. و«كَافُلُ الْيَتَمِّ»: القائم بآموره.

(٢٦٣) (٣٣) وعن أبي هُبَيْرَةَ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَافُلُ الْيَتَمِّ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاهَتِينِ فِي الْجَنَّةِ». وَأَشَارَ الرَّاوِي - وَهُوَ مَالِكُ بْنُ أَنْسٍ - بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَىِ. رواه مسلم. قوله ﷺ: «الْيَتَمِّ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ» معناه: قَرِيبُهُ، أَوِ الْأَجَبَيُّ مِنْهُ، فَالقَرِيبُ مِثْلُ أَنْ تَكْفُلَهُ أُمُّهُ أَوْ جَدُّهُ أَوْ أُخْرُهُ أَوْ غَيْرُهُمْ مِنْ قَرَائِتِهِ. والله أعلم.

(٢٦٤) (٣٣) وعنده قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تُرْدُهُ التَّمْرَةُ وَالْتَّمَرَتَانِ، وَلَا الْلُّقْمَةُ وَالْلُّقْمَتَانِ، إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ». متفق عليه.

وفي رواية في «الصحابيين»: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تُرْدُهُ الْلُّقْمَةُ وَالْلُّقْمَتَانِ، وَالْتَّمْرَةُ وَالْتَّمَرَتَانِ، وَلَكِنَّ الْمِسْكِينَ الَّذِي لَا يَحِدُّ غُنْيَيْهِ، وَلَا يُفْطِنُ بِهِ كَيْنَ صَدَقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُولُ فَيَسَّأَلُ النَّاسَ». .

(٢٦٥) (٣٣) عنه: عن النبي ﷺ قال: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». وَأَحَسَبَهُ قَالَ: «وَكَالْقَائِمِ الَّذِي لَا يَنْفِرُ، وَكَالصَّائِمِ الَّذِي لَا يُفْطِرُ». متفق عليه.

(٢٦٦) (٣٣) عنه: عن النبي ﷺ قال: «شُرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ، يُمْنَعُهَا مِنْ يَأْتِيَهَا،

وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا، وَمَنْ لَمْ يُحِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ». رواه مسلم.  
وفي رواية في «الصحيحين»، عن أبي هريرة من قوله: «بِئْسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى إِلَيْهَا الْأَغْنِيَاءُ وَيُتَرَكُ الْفُقَرَاءُ».

(٣٣ / ٢٦٧) وعن أنس رض: عن النبي صل قال: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ (أي: قام عليهما بالمؤنة والتربيـة، والجاريـة: الأمة المملوـكة أو الطفلـة الصغـيرـة) حَتَّى تَبْلُغا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ». وَضَمَّ أَصَابِعَهُ رواه مسلم. «جَارِيَتَيْنِ» أي: بنتين.

(٣٣ / ٢٦٨) وعن عائشة رض قالت: دَخَلَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابْتَانَ لَهَا، تَسْأَلُ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئاً غَيْرَ تَمْرَةً وَاحِدَةً، فَأَعْطَيْتُهَا إِلَيْهَا فَقَسَّمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صل عَلَيْنَا، فَأَخْبَرَتْهُ فَقَالَ: «مَنْ ابْتُلَى مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَخْسِنْ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتَّرًا مِنَ النَّارِ». متفق عليه.

(٣٣ / ٢٦٩) وعن عائشة رض قالت: جاءتنـي مـسـكـينة تـحملـ ابـنتـيـنـ لـهـاـ، فـأـطـعـمـتـهـاـ ثـلـاثـ تـمـرـاتـ، فـأـعـطـتـ كـلـ وـاحـدـةـ مـنـهـمـاـ تـمـرـةـ وـرـفـعـتـ إـلـىـ فـيـهـاـ تـمـرـةـ لـتـأـكـلـهـاـ، فـأـسـطـعـمـتـهـاـ ابـنـتـهـاـ، فـشـقـقـتـ التـمـرـةـ الـتـيـ كـانـتـ تـرـيدـ أـنـ تـأـكـلـهـاـ بـيـنـهـمـاـ، فـأـعـجـبـنـيـ شـائـهـاـ، فـذـكـرـتـ الـذـيـ صـنـعـتـ لـرـسـوـلـ اللـهـ صل فـقـالـ: «إـنـ اللـهـ قـدـ أـوـجـبـ لـهـاـ بـهـاـ الـجـنـةـ، أـوـ أـعـنـقـهـاـ بـهـاـ مـنـ النـارـ». رواه مسلم.

(٣٣ / ٢٧٠) وعن أبي شرـيـحـ خـوـيلـدـ بنـ عـمـرـ وـالـخـزـاعـيـ رض قـالـ: قـالـ النـبـيـ صل: «اللـهـمـ إـنـيـ أـحـرـجـ حـقـ الـضـعـيـفـيـنـ: الـيـتـيمـ وـالـمـرـأـةـ». حـدـيـثـ حـسـنـ روـاهـ النـسـائـيـ يـاـسـنـادـ جـيـدـ. وـمـعـنـيـ «أـحـرـجـ»: الـحـقـ الـحـرـاجـ وـهـوـ الـإـثـمـ بـمـنـ ضـيـعـ حـقـهـمـاـ، وـأـخـدـرـ مـنـ ذـلـكـ تـحـذـيرـاـ بـلـيـغاـ، وـأـخـرـجـ عـنـهـ رـجـراـ أـكـيدـاـ.

(٣٣ / ٢٧١) وعن مصعب بن أبي واصـفـ رض قـالـ: رـأـيـ سـعـدـ أـنـ لـهـ فـضـلـاـ عـلـىـ مـنـ دـوـنـهـ، فـقـالـ النـبـيـ صل: «هـلـ تـنـصـرـونـ وـتـرـقـونـ إـلـاـ بـضـعـفـائـكـمـ». رواه البخارـيـ هـكـذـا مـرـسـلـاـ،

فـانـ مـصـبـعـ بـنـ سـعـدـ تـابـعـيـ. وـرـوـاهـ الـحـافـظـ أـبـوـ بـكـرـ الـبرـقـانـيـ فـيـ صـحـيـحـهـ مـتـصـلـاـ عـنـ أـبـيهـ رض.

(٣٣ / ٢٧٢) وعن أبي الدـرـداءـ عـوـيـمـ رض قـالـ: سـمـعـتـ رـسـوـلـ اللـهـ صل يـقـولـ: «أـبـغـونـ الـضـعـقـاءـ؛ فـإـنـمـاـ تـنـصـرـونـ وـتـرـقـونـ بـضـعـفـائـكـمـ». رـوـاهـ أـبـوـ دـاـودـ يـاـسـنـادـ جـيـدـ.

## كفالة اليتيم ()

اليتيم هو من فقد الأب، وأما من فقد الأم فهو المنقطع، ومن فقد أبويه فهو اللطيم. فاليتيم في الناس من قبل الأب، وفي البهائم من قبل الأم، وكل شيء مفرد يعزز ويندر وجود نظير له يسمى يتيمًا، ومنه سميت الدرر الثمينة اليتيمية؛ لندرة نظائرها. فاليتيم هو الانفراد، فاليتيم إنسان بلا أب، وحيوان بلا أم، وجوهر بلا نظير. واليتيم في الطيور من قبل الأب والأم معاً؛ لأنهما يقومان بإطعام الطائر كل على حدة. وأما كافل اليتيم فهو القيم بأمره ومصالحه المُرْبِّي له، فإذا كان اليتيم طفلاً صغيراً كانت كفالته حينئذ هي القيام بأمور رعايته وهو صغير، وتفقد مصالحه وتربيته والإحسان إليه حتى يبلغ مبلغ الرجال إن كان ذكرًا، أما الأنثى فيحسن إليها حتى تتزوج.

**قال رسول الله ﷺ:** «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحْرِجُ عَلَيْكُمْ حَقَّ الْضَّعِيفَيْنَ» (أي: تضييع حقهما)؛ **البيتيم والمرأة**». أحمد في «مسنده» (٤٣٩ / ٢)، برق (٩٦٦٤)، صحيح الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٤٤٧).

فهو يُحدّر من ضياع حقوقهما تحديداً بلاغاً، وذلك لضعفهما عن المطالبة بحقوقهما، والمرأة التي ترعى صغارها اليتامي لها الأجر العظيم، قالت أم سلمة رحمها الله: يا رسول الله، ألي أجر أن أنفق على بني أبي سلمة، إنما هم بنى؟

**فقال رسول الله ﷺ:** «أَفِيقِي عَلَيْهِمْ فَلَكِ أَجْرٌ مَا أَنفَقْتَ عَلَيْهِمْ» متفق عليه.

وروى أيضاً: **«الرَّابُّ كَافِلٌ»** [ذكره ابن الجوزي في «غريب الحديث» (٢ / ٢٩٧)].

**والرَّابُّ**: هو زوج أم اليتيم؛ لأنه يكفل تربيتها ويقوم بأمره مع أمّه، فأجره في كفالة اليتيم عظيم. **وقال علي عليه السلام**: حفظت عن رسول الله ﷺ: «لَا يُتَمَّ بَعْدَ اخْتِلَامٍ» (أي: يسقط مسمى اليتيم على من بلغ الاحتلام من الذكور والإثاث) **وَلَا صُمَّاتٍ يَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ** (أي: السكوت عن الكلام بلا مبرر شرعي) ». أبو داود برق (٢٨٧٣)، حسن الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٧٦٠٩). وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني فقير ليس لي شيء، ولدي يتيم (أي: يعني أخذه)؟ فقال له النبي ﷺ: «**كُلُّ مِنْ مَا لِي تَيِّمِكَ غَيْرُ مُسْرِفٍ وَلَا مُبَدِّرٌ وَلَا مُتَائِلٌ**» (أي: لا تدخل لتجارتك). أحمد في «مسنده» (٢ / ٢١٥)، برق (٧٠٢٢).

وعلى كل من لا يجد في نفسه قوّة لكفالة اليتيم أن يتأنّر ولا يتصدى لذلك؛ فقد قال رض مُحَمَّداً أبا ذرًّا: **«إِنَّ أَبَا ذَرٍّ إِنَّمَا أَرَأَكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأْمَرْنَ عَلَى اثْنَيْنِ وَلَا تَوَلَّنَ مَالَ يَتِيمٍ»**. مسلم برق (١٨٢٦).

وقال عمر رض لما صار خليفةً للمسلمين: **«إِنِّي أَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالِ اللَّهِ (أي: بيت مال المسلمين) بِمَنْزِلَةِ وَلِيِّ الْيَتَيمِ، إِنِّي أَسْتَغْنَيْتُ أَسْتَعْفَفُ (أي: إذا جاءني مالٌ من غير بيت مال المسلمين استعففت عن بيت المال) وَإِنِّي أَحْجَتُ أَخْذَتْ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، فَإِذَا أَسْرَرْتُ قَضَيْتُ (أي: اعتبرته ديناً إن جاء مال سدّدت ديني). وهذا من ورّاعه، وإن كان الفقه لا يُحرّم عليه أَخْذَ نفقةه من بيت مال المسلمين؛ لقوله تعالى: **﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلَيَسْتَعْفَفَ﴾** [النساء: ٦].**

وقال ابن عباس رض في هذه الآية: إن كان غنياً فلا يحل له أن يأكل من مال اليتيم شيئاً، وإن كان فقيراً فليستقرض منه، فإذا وجد ميسرةً (أي: من المال) فليعطيه ما استقرض منه، فذلك أكله بالمعروف. والرأي فيه خلاف.

وقد ذكر ابن الجوزي في الأكل من مال اليتيم أوجهها أربعاً:

الأول: أن يأخذ من ماله على وجه القرض.

الثاني: أن يأكل بمقدار الحاجة من غير إسراف.

والثالث: أن يأخذ أجرة ما يقوم به من عمل لليتيم.

الرابع: أن يأخذ عند الضرورة، فإن حضره مال فليقض، وإن لم يأته مال فهو في حلّ.

وقال العلماء في قوله تعالى: **﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتَمَ﴾** [الماعون: ٢٠]: أي

يدفعه عن حقه ويقهره ويظلمه. **وقال قتادة** : كُن لليتيم كالآب الرحيم.

وقال النّيَسَابُوريُّ : قال أهل التحقيق: الحكمة في يُتم النبي صل أن يعرف قدر

الأيتام، فقوم بأمرهم، وأن يكرم اليتيم المشارك له في الاسم.

وقيل لـ محمد بن جعفر الصادق : **لَمْ أُتُمِّ النَّبِيُّ صل مِنْ أَبْوِيهِ (أي: جعل يتاماً)؟**

فقال: **لَئِنْ يَكُونَ لِمَخْلُوقٍ عَلَيْهِ حُكْمٌ**. والله أعلم.

وكفالة اليتيم تكون من الرجل إذا تزوج ذات أيتام مثلاً، وتكون من المرأة التي مات

زوجها فتكلفَت صغارها، فهي كذلك مع النبي ﷺ في الجنة، وكفى بها صحبة.



### ٣٤- باب الوصية بالنساء

قال الله تعالى: ﴿وَعَالِمُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِعُوا أَنْ تَعْدُلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَا حَرَصْتُمْ فَلَا تَمْلِأُا كُلَّ أَمْيَلٍ فَتَذَرُّوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوهَا وَتَتَقْوَى فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [١٢٩].

[النساء: ١٢٩].

(٣٤) / ٢٧٣ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً؛ فإن المرأة خلقت من ضلوع، وإن أعواج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرتها، وإن تركته، لم ينزل أعواج، فاستوصوا بالنساء». متفق عليه.

وفي رواية في الصحيحين: «المرأة كالضلوع إن أقيمتها كسرتها، وإن استمتعت بها، استمتعت وفيها عوج».

وفي رواية لمسلم: «إن المرأة خلقت من ضلوع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت فيها وفيهما عوج، وإن ذهبت تقيمهها كسرتها، وكسروها طلاقها».

قوله: «عوج» هو بفتح العين والواو.

(٣٤) / ٢٧٤ وعن عبد الله بن زمعة رضي الله عنه: أن الله سمع النبي ﷺ يخطب، وذكر الناقة والذى عقرها، فقال رسول الله ﷺ: «إذا أبئثت أشقنتها» [١٢] [الشمس: ١٢]. أبئث لها رجل عزيز، عارم منبع في رهطه. ثم ذكر النساء، فوعظ فيهن، فقال: «يعمد أحدهم فيجلد أمراته جلد العبد فلعله يضايقها من آخر يومه». ثم وعظهم في صحيكهم من الضرطة، وقال: «لم يضحك أحدكم مما يفعل؟!». متفق عليه.

«والعارم» بالعين المهملة والراء، هو الشير المفسد. قوله: «أبئث» أي: قام بسرعة.

(٣٤) / ٢٧٥ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقها رضي منها آخر»، أو قال: «غيره». رواه مسلم. قوله: «يفرك» هو بفتح الياء وإسكان الفاء وفتح الراء، معناه: يغض، يقال: فركت المرأة زوجها، وفركتها زوجها، بكسر الراء يفركها بفتحها، أي: أبغضها. والله أعلم.

(٣٤ / ٢٧٦) وعن عمرو بن الأحوص الجشمي رضي الله عنه: أنه سمع النبي صلوات الله عليه في حجّة الوداع يقول بعدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى، وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَرَ وَوَعَظَ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا وَأَسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ (أي: معصية ظاهرة لا تحل ولا يتبيّن فيها عذر)، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاصْرِبُوهُنَّ ضَرِبًا غَيْرَ مُبِرِّحٍ، فَإِنْ أَطْعَنُكُمْ فَلَا تَبْغُو عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا؛ أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا؛ فَحَقُّكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَا يُوْطِئُنَّ فُرْشَكُمْ مَنْ تَكْرُهُونَ، وَلَا يَأْذَنَ فِي بُيُوتِكُمْ لِهِنَّ تَكْرُهُونَ؛ أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ». رواه الترمذى، وقال:

«حديث حسن صحيح».

قوله صلوات الله عليه: «عوان» أي: أسيرات جمّع عانية، بالعني المهمّلة، وهي الأسيرة، والعاني: الأسير. شبهه رسول الله صلوات الله عليه المرأة في دخولها تحت حكم الزوج بالأسيير. والضرب المرح: هو الشاق الشديد. وقوله صلوات الله عليه: «فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا» أي: لا تطلبوا طريقاً تختجرون به عاليهن وتدوينهن به. والله أعلم.

(٣٤ / ٢٧٧) وعن معاوية بن حميد رضي الله عنه: قال: قلت: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدينا عليه؟ قال: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طِعْمَتَ، وَتَكْسُوْهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا تُقْبِحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ». حديث حسن رواه أبو داود. وقال: معنى «لا تُقْبِحْ» أي: لا تقل: قبح الله.

(٣٤ / ٢٧٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ حُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرًا لِنِسَائِهِمْ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٣٤ / ٢٧٩) وعن إِيَّاسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي دَبَابٍ رضي الله عنه: قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «لَا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللَّهِ». فجاءَ عُمَرُ رضي الله عنه إِلَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه فَقَالَ: ذَرْنَ النِّسَاءَ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ. فَرَأَخْصَ فِي ضَرِبِهِنَّ، فَأَطَافَ بِالِّ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه نِسَاءً كَثِيرًا يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «لَقَدْ أَطَافَ بِالِّ بَيْتُ مُحَمَّدٍ نِسَاءً كَثِيرًا يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ لَيْسَ أُولَئِكَ بِخَيْرٍ كُمْ». رواه أبو داود بإسناد صحيح. قوله: «ذَرْنَ» هو بدائل معجمة مفتوحة، ثم همزة مكسورة، ثم راء ساكنة، ثم ثون، أي: انجرآن. قوله: «أَطَافَ» أي: أخطأ.

(٣٤ / ٢٨٠) وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه قَالَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحةُ». رواه مسلم.

## ( حقوق الزوجة والوصية بها )

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ أَيْمَنِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ ﴾ [الروم: ٢١] فذكر المواجهة حيث الاتفاق، وذكر الرحمة حيث الاختلاف، أو المودة حين أحبتها، والرحمة إذا كرهها.

قال تعالى: ﴿ وَعَاشُرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: ١٩]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم: كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: وَالْأَمِيرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالمرأة رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ. متفق عليه. وقال صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ». الترمذى برقم (٣٨٩٥).

قال العلماء: إن إضاعة حقوق الزوجات أعظم من إضاعة حقوق الأزواج؛ لأن الزوجة مثل الأسير لا تدرى حينئذ ماذا تفعل ولا أين تذهب، وأما الرجل فإنه يستطيع أن يطلق؛ ولهذا فإن ظلم النساء في حقوقهن أمر عظيم.

وقال صلى الله عليه وسلم بعد أن أثني على الله وذكر ووعظ، قال: (إسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ حَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذِلِّكَ). الترمذى برقم (٣٨٩٥). عوانٍ أي: أسيرات، شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة في دخولها تحت حكم الزوج بالأسير.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْظِمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال صلى الله عليه وسلم: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَخْرَجْتُ حَقَ الْمُسْعِفَينَ: الْيَتِيمَ وَالْمَرْأَةَ). أحمد في مسنده (٢/ ٤٣٩) برقم (٩٦٦٤). و«أَخْرَجْ»: أي أخرج العرّاج، وهو الإثم، بمن ضيع حقهما، وأحذر من ذلك تحذيراً بليغاً، وأزجر عنه زجراً أكيداً.

**تعليم الإيمان والإسلام:** وأول حقوق الزوجة أن يأمرها بطاعة الله تعالى، وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم؛ أي أن يأخذ بيدها إلى القيام الصحيح على دين الله تبارك وتعالى.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَمْرُ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَرَ عَلَيْهَا لَا سَكَّرَ رِزْقًا نَغْنَى تَرْزُقُكَ وَالْعَنْقَبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه: ١٣٢]. فالرجل هو المسئول عن رعاية هذه المرأة لدينها، فيرعى إيمانها،

ويقويه بحلقات التعليم والإيمان، ويرعى إسلامها وتعليمها أحكام الطهارة والصلاة والصوم، وغيره مما يجب عليها: إما بالتعليم المباشر، أو بنقل الفتاوى إليها.

فالذى يُساعد المرأة على القيام بدينها وواجباتها تجاه أسرتها وزوجها على وجه الخصوص قوة إيمانها وقوة يقينها بوعد الله تبارك وتعالى. وبالتفريط في هذا الحق من الزوج ضاعت كثيرون من البيوت وانتهكَتْ كثيرون من الحرمات، وضاع الأولاد.

فالذى يقوم على هذا الحق في النساء والصّرّاء والعُسْر واليُسْر والشغل والفراغ، يضع الله له القبُول والمحبة والمهابة في قلب زوجه وولده. وممّا يعين على ذلك:

**١ - حديث رسول الله ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولجمالها، وحسبها ونسبها، ولديتها. فاطفر بذات الدين تربت يداك»** متفق عليه.

٢ - أن يكون الباعث على النصيحة هو مرضاة الله تعالى، وليس السمعة أو العاطفة، لأن يقول لها: فضحتني، ماذا سيقولون عنِّي؛ ولهذا تفشل كثيرون من المواجهات بسبب فساد هذه النية.

٣ - أن يكون لها إماماً وقدوةً ومثلاً يحتدّى، فلا يأمرها بما لا يقوم به غفلةً واستهتاراً، ولا يقصد بهذا أن يظهر لها بمظاهر الورع التقى رياً، بل يكون حريصاً على زيادة دينه وتقواه وقيامه على مسئولية هذا الدين ولو كان أقلّ منها بعض الشيء، ولكن تجده محاولاً راغباً مستقيماً.

٤ - أن يقوم بهذا بروح ومزاج الداعي إلى الله لا بروح السلطان الأمر الواعد الراجر، بل باللطف واللُّوْدِ والكلام الطيب الذي فيه الترغيب والترهيب، ولا يُقبح ولا يعيب ولا يلوم على مجرد رؤية الخطأ، فهذا يُسبّب النفور في قلبها وأنها تُخفي عليه حالها ولا تسأله عن شيءٍ مخافةً أن يزجرها أو يضرّ بها مثلاً وأو يفضحها عند الأقارب والأصحاب والناس، فإن هذا مما يُوغر الصدور، قال الله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَيِّلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِإِلَيْقِ هِيَ أَحَسَنُ إِنَّ

**رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ** ﴿١٢٥﴾ [التحل: ١٢٥].

٥- تبشير الزوج الصالح بأن الله تعالى بعد أن قال: **﴿وَأَمْرَ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَرَ عَلَيْهَا لَا شَكَّ رِزْقًا مُّخْنَثًا نَرْقُكَ وَالْمَقْبَةُ لِلنَّقْوَى﴾** ﴿١٣٢﴾ [طه: ١٣٢]، بشره بأن من يقيم بيته على دين الله تبارك وتعالى وعلى سنة رسوله الكريم ﷺ كان ذلك طريقة للبركة والرزق.

وعلى هذا نقول: إن على الزوج تجاه زوجته:

- أ- أن يعلّمها الإيمان الصحيح واعتقاد أهل السنة والجماعة، تعليماً يتناسب مع ظروفها وعقلها واستعدادها، ولا يصعب عليها ذلك، بل بالسهولة واليُسر.
- ب- أن يراعي ألا تقع في بدعة أو ضلال، فعليه مراقبة ذلك ومراعاته.

ج- أن يراعي استعمال الترغيب والترهيب في حثها على أمر دينها؛ لئلا تساهل في ذلك.

د- يعلّمها أحكام الطهارة والصلوة والصيام، وغيرها مما يجب عليها، وخاصة أحكام الطهارة؛ لشيوخ الخطأ فيها.

وعلى الزوج أن يسمح لزوجته بالخروج لطلب العلم، ولكن ليس لها أن تخرج إلا برضاه، سواء كان الخروج لمجلس ذكر أو علم؛ قال ﷺ: **«لَا تَمْعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ»**. متفق عليه. فإن أهملت في طلب العلم الضروري ولم يجتهد في تعليمها وإيصال العلم الواجب لها كان شريكاً في الإثم. فالخروج مباح للمرأة العفيفة بربا زوجها، وإن كان القعود أسلم، فلا تخرج إلا لمعنى، وينبغي لها أن تخفي نفسها عن الرجال.

**النفقة:** قال تعالى: **﴿لِيُنْفِقُ ذُو سَعْةٍ مِّنْ سَعْتِهِ، وَمَنْ فُرِّدَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، فَلَيُنْفِقْ مِمَّا أَنْهَ اللَّهُ لَا يُكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا أَتَاهَا إِنَّمَا يَسْأَلُ اللَّهَ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾** ﴿٧﴾ [الطلاق: ٧]، وهذا أمران:

أ- وجوب النفقة، قال تعالى: **﴿أَلِرِجَالُ قَوْمُونَ عَلَى النِّسَاءِ إِمَّا فَضَكَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَإِمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾** [النساء: ٣٤]، فالرجل له فضل على المرأة

بالقيام على نفقتها.

بـ- النفقه مقيّدة بحال الرجل، فالغني يُنفق على قدر غناه **لِيُنْفِقْ دُوْسَعَةً مِنْ سَعْيَتِهِ**، والفقير يُنفق على قدر فقره **وَمَنْ قُدْرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلَيُنْفِقْ مِمَّا أَنْهَا اللَّهُ**.

والنبي ﷺ أباح لهند بنت عتبة، زوجة أبي سفيان لما شكت إليه شح زوجها، أن تأخذ من مال زوجها ما يكفيها وولدها بالمعروف. متفق عليه.

وقد قال ﷺ: **وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ**. الترمذى برقم (١١٦٣)، حسن الألبانى (صحيح الجامع الصغير) حديث (٧٨٨٠). ذلك أن الله تعالى لما أمر المرأة أن تقوم على رعاية زوجها وحسن التباعل له وتهيئة نفسها ورعايتها حشمه وولده وحفظ ماله، فأكرّ لها وللمهربنها بالنزول إلى حلبة الحياة لطلب الرزق والتكمب، احتراماً لذاتها وصيانةً لعرضها وتشريفاً لقدرها، فأوجب على الزوج النفقة واعتبره إثماً إذا ضيّعها.

قال ﷺ: **كَمَّيْ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مِنْ يَكْنُوتُ** (أي: من تلزم به نفقته). أبو داود برقم (١٦٩٢).

وقال ﷺ: **إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ**. الترمذى برقم (١٧٠٥).

وأما النفقة فتكون في:

أـ- المهر: وهو حق للزوجة، ويرجع فيه إلى العلماء وكتب الفقه.

بـ- الإطعام، وهو ملزّم به شرعاً باعتدال، بلا إفراط ولا تفريط، وللمرأة أن تأخذ المال بيدها طالما ثبت أنها تحسّن التصرف.

جـ- الكسوة، وهذه الكسوة بالمعروف الشرعي.

دـ- السكن، وهو أيضاً بالمعروف الشرعي.

ونقول: إن على الزوج الاعتدال في النفقة عموماً، فيطعمها ويكسوها على قدر حالها هي قبل الزواج، فالمرأة التي لها مكانة لا يعاملها معاملة الفقراء والضعفاء، فإن ذلك فيه من الضرر والأذى ما لا يخفى، وإن كان على المرأة أن تصبر على ظروف زوجها إن إصابته أحوال مغايرة.

**حسن الخلق:** كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالنساء والصبيان، فقد قال ﷺ: **«لا يُفْرِكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَّ مِنْهَا آخَرٌ»**. مسلم برقم (١٤٦٩).

قال لقمان لابنه: ينبعي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي، وإذا كان في القوم وجد رجلاً فحسن الخلق صفة الكرام، فلا يكرمهن إلا كريم، ولا يهينهن إلا لئيم.

والمعاملة الكريمة تكون في التالي:

١ - أن تعاملها بالأخلاق الحسنة، قال ﷺ: **«وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا تُنْقِبْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا**

**فِي الْبَيْتِ»**. أحمد في مسنده (٤ / ٤٤٦) برقم (٢٠٠٢٥)، حسن الألباني (تحقيق المشكاة) حديث (٣٢٥٩). فعلى الزوج أن يراعي الاعتدال، ويحافظ على هيبته وتحفظه لو رأى منكراً، ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات وما يخالف الشرع والمروءة.

٢ - احتمال الأذى والصبر والرحمة عليهم، فيحمل على غضبها، فيجب على الرجل أن يكون في بيته زوجاً مع زوجته، وأباً مع أولاده، وفي مسجده شيخاً عابداً، وفي عمله صانعاً أو عاملاً أو مهندساً، ولا يخلط بين هذا أو ذاك، فلا يكون في بيته الأمر الناهي، أو المدير العام، أو رئيس مجلس الإدارة، فيعامل أهله كأنها السكرتيرة أو المساعي أو الموظف عنده.

٣ - الاعتدال في حياته، بالممازحة والانبساط واللين.

٤ - الاعتدال في الغيرة، فلا يتغافل عن بدايات الأمور التي تخشى عواليها، كالاختلاط مع الرجال أو النساء الفاسدات، أو كثرة التزين بغير حاجة، أو كثرة الخروج بغير سبب مقبول، كذلك لا يبالغ في إساءة الظن والتعمق في السؤال عنها والتجسس على مواطن أمرها.

قال علي رضي الله عنه: **«لَا تُكْثِرِ الْغَيْرَةَ عَلَى أَهْلَكَ فُرُمِي** (أي: فَسَّهُم) **بِالسُّوءِ مِنْ أَجْلِكَ**. وأما الغيرة في محلها فلابد منها، وهي صفة محمودة.

وقد كان الحسن يقول: **«فَبَحَّ اللَّهُ مِنْ لَا يَغَارُ**.

٥- التزين لها بما تحب، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إني أُحِبُّ أن أَتَزَينَ لِأَمْرَأِي كَمَا أُحِبُّ أَن تَزَينَ لِي. وليرحص كلُّ رجلٍ على التزيين في بيته والتعطر، وتنظيف الجسم، مثل الإبط والعانة، وتخليل الفم وغسل الأسنان وتغيير الثياب وتعطير نفسه عند النوم، وترك العادات السيئة في النظافة، مثل ترك الأظافر، وترك الاستحمام فتراتٍ طويلةً، واستعمال الثياب المبتذلة (المهينة السيئة).

٦- الإحسان إلى أهلها، وخاصة مع والديها، ولا يذكر أهل الزوج أو الزوجة بالنقائص، فهذا مما يفسد العلاقة الزوجية، كما يحدث حين يكون شجارٌ بين المرأة وأهلها فتأنس لزوجها ثم تفضح أهلها وتقصُّ عليه بعض النقائص مما يحرّق أهلها في نظر الزوج، وهذا مما يسبّ المشاكل التي قد تؤدي إلى الطلاق، فلا ينبغي لها أن تُفشي سره ولا يفشي هو سرها، حتى وإن طلّقها، فقد قال عليه السلام: «إِنْ مِنْ شَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزَلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى الْمَرْأَةِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سَرَّهَا». مسلم برق (١٤٣٧).

وأراد أحد الصالحين طلاق امرأته، فقيل له: ما بها؟ وما يريبك بها؟ قال: العاقل لا يهتك سرُّ امرأته. فلما طلّقها قيل له: الآن قل لنا لم طلقتها؟ قال: الآن ما لي ولها، إنما هي الآن لعلها تكون امرأة غيري، فلا أتكلّم عن عرض غيري.

٧- حق الإعفاف، فقد يُضيّع الرجل حق امرأته بالسهر خارج البيت كثيراً، فيرجع متعباً كسان خاماً، وفي هذا تضييع لحقها وحرمانها من العطف والحنان، وحرمانها من الإعفاف والإحسان، فالسهر دمَر بيوت المسلمين، والعشرة تحتاج إلى شيءٍ من التضحية وتبادل مشاعر الود والحب والحنان، فينبغي أن نُضحي ببعض أوقاتنا الخاصة من أجل حقوق الزوجات، سواء كانت في ديننا أو ديننا، أو لهوننا.

### ملخص حقوق الزوجة والعشرة الحسنة:

- أن يُحسن معاشرتها بالكرم وحسن الخلق.
- أن يصبر على الأذى إذا صدر منها وإن تجاوزت بعض الشيء.

- أن يغفو عن زلتها وأخطائها التي لا تقدح في شرفه ولا كرامته.
- أن يخدمها إن احتاجت إلى الخدمة، وله في الرسول الكريم أسوة.
- أن يصبر عليها إذا مرضت أو ضعفت أو كبرت في السن.
- أن يُعلّمها ما تحتاج إليه من أحكام دينها، كالطهارة والوضوء والصلاحة مما لا بد لها من معرفته أو يدلها على من يعلمها ويسر لها ذلك.
- ألا يظلمها شيئاً من حقوقها المذكورة سابقاً.
- ألا يفرض عليها خدمته قسراً وقهراً، وإنما احتراماً للعادات والمعروف والفضل بينهما.
- ألا يلبس ولا يأكل ما يؤذيها فإن لها حفاظاً مثل حقه في التجمل والتلطف والتعطر.
- ألا يمنعها زيارة والديها ولا الخروج للمسجد إلا لعذر.
- ألا يؤنسها ويلاعبها ويتلطف معها دون أن يعلمها ما يفسدها.
- أن يتزرن لها ويتجمل كما يحب أن تتزرين له كذلك.
- ألا يطيل التكاسل أو تعمد إهمال المباشرة واللقاء - أي: الواقع - بغير عذر مقبول، وخاصة عند رجوعه من السفر؛ لِإعفافها.
- ألا يجرح مشاعرها مع أقاربها وأهلها بذكر ما تكره من الأعمال أو التصرفات أو الخصال، بل عليه أن يمدحها ويحترمها، ولا يهينها أمام أهلها أو أقاربها ولا يتكلم معهم بفحش الكلام عنها.
- ألا يُفضي لها سرّاً ولا يفضحها بل عليه أن يكتم السر عملاً بالشرع.
- أن يهديها في المناسبات وغيرها لإنشاء الحب والود.
- أن يقدم الشكر لها على خدماتها وأعمالها له وللأسرة، وأن يذكر محسانها أمامها وأمام الأولاد وأمام أسرتها وأسرته.
- أن يستحسن فعلها عند التجمل له، وأن يبدي الإعجاب والود والكلام اللطيف؛

مما يساعدها على تكرار ذلك الفعل له، مع لطيف الكلام في التليفون مثلاً وعند اللقاء والسلام وكأنها زوجة جديدة معه في فترة الخطوبة.

• أن يجتمعوا معاً على طعام كالعشاء مثلاً كلَّ فترة، مع ترك الأولاد مع ذويهم إن أمكنه ذلك، فإن هذا مما يقوى العاطفة ويساعد الزوجة على كثير من الصبر على مشكلات الحياة، ويُوحِّد نوعاً من الذكريات الجميلة.

• ألا يمدح أمامها امرأة أبداً في شيءٍ من أعمال الدين أو الدنيا، وخاصة لو كانت في مثل سنها حيث إن الغيرة طبع في النساء وكلنا يذكر ما فعلت أمها عائشة حينما ذكرت أمامها خديجة رض، فلا تقارنها بامرأة وإن كانت منها، فهذا مما يبعث الضيق في نفسها والغيرة.

• ألا يُمْنَنَ عليها بهداياه وأفعاله وصفاته؛ قال تعالى: ﴿يَتَائِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَآتَبْلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمِنَ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤]، بل عليه أن يجعل أخلاقه وسلوكياته فرصة لها حتى تشكر تلك النعمة عن طريق ترك المَنْ عليها.

• ألا يعاملها معاملة يضطرها فيها لإساءة معاملته ثم يندم بعد ذلك، ولكن بالتي هي أحسن؛ أي بسعة الأخلاق وكرم النفقة.

وأخيراً: المرأة مخلوقٌ رقيقٌ وجميلٌ، ومن اليسير على الرجال المميزين بالعقل والأفهام والقوة والصبر أن يَحْتُووا هذا المخلوق.

### (أدوار الحياة الزوجية)

أحد أهمّ أسباب الطلاق المُبِّكِر بين الأزواج هو عدم فهم كُلُّ طرفٍ دور الطرف الآخر في الحياة، وعدم معرفة كُلُّ منهما بما عليه من واجبات وما له من حقوق.

إن لـكُلِّ منا أدواراً في الحياة تختلف من حينٍ لآخر، ومن ظرفٍ لآخر، ومن نوع لآخر، وعلى كُلِّ منا أن يُعين الطرف الآخر في تحقيق المصلحة العليا والفضلية من دوره

في الحياة؛ لتمضي المسيرة صحيةً وتخرج ثمرتها أطفالاً يعيشون في كنف أبوين عاقلين صالحين في مجتمع سويٌ ناضج تختفي أو تقلُّ فيه دعوى الطلاق المبكر وفضائح ساحات القضاء وظاهرة أطفال الشوارع.

إن للمرأة ثلاثة أدوار في حياتها الزوجية: فهي زوجة، وأم، وربة منزل.

• فهي الزوجة الجميلة التي تحسن التزين لزوجها في الوقت المناسب، تتحمّل فيه الملابس والألفاظ والروائح التي تتحقق لحظات المودة والحب والسعادة.

وهي أحد أهم أركان الزواج، فعلى المرأة إلا تضيّع هذا الدور انشغالاً بدورها كأم أو ربة منزل، وبخاصة في أول الزواج، حيث الأمومة لم تنشأ بعد، وعليها أن تعلم أنه أمر عظيم، إذا تم الاستغناء عنه أو الإهمال فيه فستخسر فيه كثيراً جداً، فلا يصح مثلاً أن تُحدّثه عن متاعب المنزل أو آية مشاكل أو خلافات من أي نوع لحظة آدائها لدور الزوجة، ولتطرح كل الأدوار خلف ظهرها وكأنها لا تلعب في حياتها إلا هذا الدور.

وعليك أيها الزوج الكريم أن تساعدها على النجاح في هذا الدور شيئاً فشيئاً، فلا تتغافل عن أناقتها وتعبيها في وضع أدوات الجمال في شكلها وملابسها، ولا عن تفرُّغها المتعمد لهذا الدور، فلا تُحاسبها في هذا الوقت عن دور ربة المنزل وتطلب طعاماً خاصاً أو مشروباً يتطلب مجهوداً أو أن تُنظف الغرفة وما إلى ذلك.

بل من الأفضل لمن كان لديه سَعَة في ماله أن يخرج هو وزوجته معًا لتناول طعامهما في مكان جميل، أو سفر قصير كل شهر أو حتى شهرين لقضاء ليلة جميلة بعيداً عن الأدوار الأخرى، أو حتى لقضاء ليلة تحت أضواء الشموع لمن تسمح له حياته بذلك.

فالنصيحة: ساعدوها ببعضكم في نجاح هذا الدور المهم.

• والدور الثاني دورها كأم لأولادها، تُريّهم وتعلّمهم وتطعمهم، وتعتنى بتفاصيل حياتهم ليخرجوا رجالاً ونساءً محترمين، تفخر بهم أمّتهم؛ فالأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق. وهو دور مهمٌ وعظيم، لا يقل أهميةً عن باقي الأدوار، فعلى

الزوجة أن تُعطي اهتماماً مناسباً في الوقت بهذا الدور، وتتغاضى في ذلك الوقت عن أدوارها الأخرى قليلاً، وتُعطي أولادها اهتماماً أكبر.

وعلى الزوج المحترم أن يُساعدَها في هذا الوقت على إنجاح دورها، ولا يشغلها فيه بطلب دور الزوجية، ويتعلل ويقول: أصبحت أكثر اهتماماً بالأولاد. وينسى أنه من الضروري أن تُحسن أداء هذا الدور، وإلا فإنه عند فشل الأولاد فلن يرحم بعضنا بعضاً، وقد تفسد الحياة، ويحدث الطلاق الذي يأتي حلاً لعقول لم تستوعب أدوارها.

• والدور الثالث دورُها كرَبة منزل، تقوم فيه الزوجة الصالحة برعاية المنزل، وتوفير أسباب الراحة فيه: من نظافة، ونظام، وسهولة حياة، من طعام وشراب ونوم هادئ مريح. مما قد يتطلّب فراغاً وصحة وقتاً، قد تُهمِل فيه المرأة شكلها الجميل أمام زوجها بسبب عمليات النظافة والترتيب، فلا يعقل أن تقوم بإفساد ملابسها الجميلة في أثناء إعداد الطعام أو تنظيف الحمام أو خلافه تقليداً للممثلات التلفزيون.

فلا تنسِ أيها الزوج الكريم أن ما يحدث في التليفزيون إنما هو أدبيات الدراما يظهر فيها الأطراف المختلفون في أجمل صورهم لتحقيق أعلى نسبة مشاهدةٍ وصولاً للشهرة والمكسب ليس إلا، وإن هناك الكثير من تراهنَّ في الأفلام والمسلسلات مطلقات وعوانس أيضاً ويعيشنَ مشكلات كبقية النساء. فلا تنخدع بهذه الأشكال بحثاً عن وهم وشكل مثالي غير موجود في الحياة، وسائل وستعرف!

فعلى الزوج أن يتوارى حينئذ بعيداً عن زوجته، ولا يقتصر دورها أثناء تنظيف البيت أو إعداد الطعام، بل من الأولى أن يتصل تليفونياً قبل مجئه بوقتٍ كافٍ يسمح لها بالانتهاء مما في يديها ليترك لها وقتاً كافياً لتنظف نفسها وتتزين له التزيين المناسب.

وعلى الزوجة العاقلة أن تختار أوقات غياب زوجها إن أمكن أو تستأذن منه أن يسمح لها بأداء هذا الدور بعيداً عن عينيه.

• والله دُرُّ المرأة التي اضطُررت إلى العمل اضطراراً، فعندها دور رابع، كان الله في

عوتها، وهو قيامها بالعمل والنفقة أحياناً على بيتها تعاوناً مع زوجها.

فعلى الزوج العاقل أن يتفهم هذا الدور ويعينها ويساعدها قدر المستطاع على أداء باقي أدوارها. ولا ننسَ أنَّ رسول الله ﷺ كان في مهنة أهله يُساعد ويتعاون [البخاري برقم ٦٧٦]، وهو مَنْ هو في المسئولية والانشغال وعِظَمَ دوره في الحياة، فليس هناك من هو أعظم منه انشغالاً ولا أهمية في مسؤوليته تجاه هداية البشرية جميعاً، ومع ذلك لم ينسَ دوره كزوج، فكان يعطي من مشاعره ويتفاعل مع زوجاته الكرام.

والكلام نفسه نقوله عن أدوار الرجل، فهو الزوج الحنون، والأب المحترم، ورب المنزل الكريم، وعلى الزوجة العاقلة أن تتفهم اختلاف الأدوار والأداء في كُلِّ حين وظرف، فقد يعود للمنزل مُحمَّلاً بأعباء الحياة والحصول على الرزق الحلال، وما أدركه بصعوبته في وسط الدنيا الآن، فهو يحتاج لحظة عودته إلى الزوجة الحنون في استقبالها الجميل، وعنياتها الشخصية التي تنسى في هذه اللحظات القليلة أدوارها كأم، فلا تحكي مشكلة الأولاد المهملين في دروسهم، ولا مشكلة السباك، ولا الكهربائي، ولا... ولا... بل زوجة جميلة تستقبل رجلاً كريماً مُتَعِّباً يُنشد الراحة والتلذذ بالحياة بصحبة امرأة واعية ذكية تسُرُّ إذا نظر إليها.

وعلى الزوج أن يعرف أن هذا الدور من كليهما يتطلَّب عدم التطرق لنظافة المنزل، ولا مشاكل الأولاد، ول يجعل النقاش والحوار حول هذه الموضوعات المهمة في وقتٍ يقوم فيه الطرفان بدور أرباب المنزل كآباء وأمهات.

وفي بعض الأحيان يمارس الرجل دوره كرب المنزل فيطلب أشياء ويسأل عن أشياء وينشغل حينئذ بعمله وباتصالات ضرورية لإنجاز مهمة حياته، فلا ينبغي أن تلومه الزوجة أو تؤنبه على ذلك، بل ينبغي عليها أن تساعده على التفرغ للأمور الأخرى في أنساب وقت، ولتفهم صعوبة حياته ومهنته في بعض الأحيان.

ثم إذا قام بدور الأب في وجود الأولاد فعليها أن تتحترمه في وجوده ومن وراء ظهره

كذلك، لينشأ الأولاد على احترام عقد الزوجية، فلا يعقل أن تنقل المرأة مشكلاتها لأولادها وتُطلعهم على تقصيره في أدوار الزوجية أو ربوبيتها المتزل.

وعليها أن تحترم دوره كأب ولا تُضعفه أمام الأولاد، فلا تخلط الأوراق، فإذا حدث بين الأطراف نزاعٌ في دور الزوجية فلا تنقله لدور الأبوة والأمومة، بل تحاول حلّه بعيداً عن أسماع وأعين الأولاد.

إن معرفة كلٌّ منا بأدواره وأدوار غيره في الحياة شيء مهم لنجاح مهمتنا في هذه الدنيا، فلا يعقل بعد الزواج والارتباط أن نُطالب بعضاًنا بأشياء ومهام ووظائف دون معرفة الوقت المناسب والشكل المطلوب والأسباب لها. إن هذا كله يتطلب دراية وعلماً بفقه الأولويات في حياتنا، فنجاح حياتنا مرتبط بفهمنا واستيعابنا لمهمة الأسرة في الحياة.

ولنعلم أن حياتنا الأصلية هي في الدار الآخرة، وأن في قيامنا بدور من أدوار حياتنا ثواباً لمن أحسن فيه وعقاباً لمن أساء فيه، وأن الحياة فيها أوقات سعيدة وجميلة لمن يحسن فهمها ويعرف أدوارها.

والكلام يطول، لكن انظر حولك وابحث عن صديقٍ صدوقٍ يُعينك على فهم حياتك، أو عالمٍ فاضلٍ تتعلم منه شيئاً نافعاً. وحافظْ جيداً على أسرتك وعائلتك، وكن عوناً على الحق والبر والخير. وأسأل الله أن يُعينني أن أُعدَّ مؤلِّفاً في هذا الأمر يكون عوناً للأزواج في مسيرة حياتهم ومرجعاً لهم عند الظروف المختلفة.

\* \* \*

### ٣٥- باب حق الزوج على المرأة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالرِّجَالُ قَوَّامُونَ بَلَى إِنَّكُمْ إِذَا قُضِيَتْ أَنْفُسُكُمْ إِذَا قُضِيَتْ أَنْفُسُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَإِمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَاصَ لِهِنَّ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ إِيمَانَ حَفِظَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [النساء: ٣٤].

وأما الأحاديث فمنها حديث عمرو بن الأحوصي السابق في الباب قبله.

(٣٥) / ٢٨١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «إذا دعا الرجل امرأة إلى فراشه فلما تأنه، فبات غضباناً عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح». متفق عليه.

وفي رواية لهما: «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح».

وفي رواية: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «والذي نفس بيده ما من رجل يدعوه امرأة إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضي عنها».

(٣٥) / ٢٨٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلام قال: «لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه». متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

(٣٥) / ٢٨٣) وعن ابن عمر رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلام قال: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته؛ والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمراة راعية على بيتها زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته». متفق عليه.

(٣٥) / ٢٨٤) وعن أبي علي طلاق بن علي رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلام قال: «إذا دعا الرجل زوجته ل حاجته فلتأنه وإن كانت على التئور (أي: التئور: الفتن الذي يُخْبِرُ فيه)». رواه الترمذى والنمساوى، وقال الترمذى: «حديث حسن صحيح».

(٣٥) / ٢٨٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلام قال: «لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد لا أمرت المرأة أن تسجد لزوجها». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٣٥) / ٢٨٦) وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «أيما امرأة ماتت، وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة». رواه الترمذى، وقال: « الحديث حسن».

(٣٥) / ٢٨٧) وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلام قال: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من العور العين لا تؤذيه قاتلك الله! فإنما هو عندك دخيل» (أي: ضيف) يوشك أن يفارقك إلينا». رواه الترمذى، وقال: « الحديث حسن».

(٣٥) / ٢٨٨) وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلام قال: «ما تركت بعدي فتنه هي أضر على الرجال من النساء». متفق عليه.

## (حق الزوج على زوجته)

إن صلاح الإنسان بقيامه على ما أُمِرَ به، وليس على ما يراه هو بنفسه، فصلاح المرأة بقيامها على طاعة أوامر الله تبارك وتعالى وأوامر زوجها الصالح؛ قال الله تعالى:

**﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَمَا لَوْلَاهُ بِنِعْمَةٍ حَسَنَتْنَا وَبِنِعْمَةِ الْقُرْبَىٰ وَأَلْيَسْتَمِنَ وَالْمَسْكِينُونَ وَالْجَارُ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارُ الْجُنُبُ وَالصَّاحِبُ بِالْجُنُبِ وَأَبْنُ الْسَّيِّلِ وَمَا مَلَكْتُ أَيْمَنُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ بَنَانِ كَانَ مُخْتَالًا كَفُورًا﴾** [ النساء: ٣٧، ٣٦].

فالله تبارك وتعالى نهانا عن اختيار شكل العبودية المحبوب لدينا وفقاً لهوانا، فلا يتمنى أحذنا أن يسلب نعمة غيره ليأخذها هو، وإنما يرجو أن يعطى أسباب العبودية وأسباب النجاح فيها، ويعلمنا أن نسأله تبارك وتعالى من جميع مصالحنا الدينية والدنيوية.

فعلى النساء ألا ينظرن إلى خلقة الرجال ويقلن: لماذا لم يخلقنا الله رجالاً؟ ولماذا لم نعط مثل حقوقهم؟ لأن الله كان بكل شيء عليماً، فهو أعلم بمصلحة خلقه؛ لهذا يعطي من يراه أهلاً لذلك ويمنع ومن يعلمه غير مستحق لذلك، وهذا رحمة منه ومعونة على تحقيق عبوديتنا له؛ قال الله تعالى:

**﴿الرِّجَالُ قَوَّمُوكَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّدِيقُونَ قَنِيتُ حَفِظَاتٌ لِلْغَيِّبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾** [ النساء: ٣٤].

## حقوق الزوج:

**١- حق القوامة:** وهو تكليف من الله تعالى للرجال بالقيام بإلزام النساء بأداء حقوق الله تعالى من أركان الدين وفرائضه، والمحافظة عليها، وكفها عن المفاسد، وكذلك الإنفاق عليهم من الطعام والكسوة والسكن. أي إن القوامة هي رعاية دينهن ودنياهن.

وهذا الحق أعطاء الله تبارك وتعالى للزوج، ولا يكون الاستقرار إلا به، وبالتفريط في هذا الحق تأتي معظم المشكلات، ويأتي بسبب ذلك الفشل الزوجي والطلاق.

ومن دلائله الشرعية أن الله جعل النبوة والرسالات والولايات في الرجال مطلقاً، فلا

تحاول المرأة أن تشرع الرجل حقه في هذا أبداً. فقد جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقال لها: **«أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ؟»** قال: نعم. قال: **«فَإِنَّ أَنْتَ مِنْهُ؟»** قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه (أي: لا أقصـر عن شيء أقدر عليه) قال: **«فَإِنَّ أَنْتِ لَهُ؛ فَإِنَّهُ جَنَاحٌ وَنَارٌ إِلَيْكَ»**. أـحمد في «مسندـه» (٤) / (٣٤١) بـرقم (١٩٠٢٥)، حـسنـه الأـلبـانـي (صـحـيقـ الجـامـعـ الصـغـيرـ) حـدـيـث (١٥٠٩).

فالـقوـامةـ هيـ حـقـ تـدبـيرـ الـأـمـورـ الـدـينـيـةـ وـالـدـنـيـوـيـةـ بـالـاجـهـادـ وـالـنـظـرـ وـتـنـفـيـذـ ماـ رـآـهـ حـسـنـاـ لهـ وـلـأـسـرـتـهـ، أيـ حـقـ تـوجـيهـ وـإـرـشـادـ وـتـعـلـيمـ، وـلـيـسـ حـقـ اـسـبـدـادـ وـاسـتـبـادـ وـقـهـرـ وـضـرـرـ؛ـ فـلـهـذـاـ يـجـبـ عـلـىـ الـمـرـأـةـ أـنـ تـخـضـعـ وـتـقـبـلـ هـذـاـ الـحـقـ.

وعـلـىـ الرـجـلـ أـلـاـ يـمـنـعـهاـ مـشـارـكـتـهـ فـيـ كـلـ الـآـرـاءـ،ـ بـلـ يـأـخـذـ بـرـأـيـهاـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ الـأـمـورـ،ـ وـعـلـيـهاـ أـنـ تـقـبـلـ أـنـ يـكـونـ فـصـلـ وـرـأـيـ الـأـخـيـرـ لـلـزـوـجـ وـحـدـهـ.

وـنـلـاحـظـ أـنـ الـمـرـأـةـ كـثـيرـاـ مـاـ تـحـاـولـ أـنـ تـنـتـعـ هـذـاـ الـحـقـ مـنـ الرـجـالـ،ـ وـأـكـثـرـ مـاـ يـكـونـ عـنـدـ كـبـرـ سـنـ الرـجـالـ،ـ وـنـحـذرـ مـنـ ذـلـكـ؛ـ لـأـنـ فـيـ ضـيـاعـ الـقـيـمـ الـتـيـ اـرـتـضـاهـاـ اللـهـ،ـ كـمـاـ أـنـهـ يـخـالـفـ الـفـطـرـةـ؛ـ وـهـذـاـ مـاـ لـيـخـفـيـ عـلـيـنـاـ مـشـرـوـطـ بـحـسـنـ قـيـامـ الرـجـالـ عـلـىـ دـيـنـهـ وـدـيـنـاهـمـ بـالـحـقـ وـالـعـدـلـ.

فـعـلـىـ الرـجـلـ الـقـيـامـ بـالـحـقـ وـالـعـدـلـ،ـ وـعـلـىـ الـمـرـأـةـ أـلـاـ تـسـعـيـ لـإـفـسـادـ هـذـاـ الـحـقـ عـلـىـ الرـجـلـ،ـ بـلـ تـسـعـيـ فـيـ مـسـاـعـدـتـهـ عـلـىـ الـقـيـامـ بـهـ،ـ وـبـخـاصـةـ مـعـ أـوـلـادـهـ.

**٢- حق الطاعة:** فالـمـرـأـةـ مـأـمـورـةـ بـأـنـ تـطـيعـ زـوـجـهـاـ مـطـلـقاـ فـيـ كـلـ مـاـ طـلـبـ مـنـهـاـ فـيـ نـفـسـهـاـ مـمـاـ لـاـ مـعـصـيـةـ فـيـهـ،ـ وـهـذـاـ مـشـرـوـطـ بـطـاعـةـ زـوـجـهـاـ اللـهـ،ـ فـإـنـ كـانـ فـيـ أـمـرـ وـاجـبـ أـوـ فـرـضـ صـارـ أـكـيدـاـ.

قال ﷺ: **«إـذـاـ صـلـلـتـ الـمـرـأـةـ خـمـسـهـاـ،ـ وـصـامـتـ شـهـرـهـاـ،ـ وـحـفـظـتـ فـرـجـهـاـ،ـ وـأـطـاعـتـ زـوـجـهـاـ،ـ قـيلـ لـهـاـ:ـ اـدـخـلـيـ مـنـ أـيـ أـبـوـابـ الـجـنـةـ شـيـئـتـ»** [أـحـمدـ فـيـ مـسـنـدـهـ (١١) / (١٩١) بـرـقـمـ (١٦٦١)].

وقـالـ ﷺ: **«لـوـ كـنـتـ آـمـرـأـ أـحـدـاـ أـنـ يـسـجـدـ لـأـحـدـ لـأـمـرـتـ الـمـرـأـةـ أـنـ تـسـجـدـ لـزـوـجـهـاـ»** [أـحـمدـ فـيـ مـسـنـدـهـ (٤) / (٣٨١) بـرـقـمـ (١٩٤٢٢)].

وقـالـ ﷺ: **«أـيـمـاـ اـمـرـأـةـ مـاتـ وـرـزـوـجـهـاـ عـنـهـاـ رـاضـ دـحـلـتـ الـجـنـةـ»**.ـ التـرمـذـيـ بـرـقـمـ (١١٦١)،ـ وـقـالـ:ـ حـدـيـثـ

حسن غريب. فعلى المرأة طاعة زوجها في السر والعلانية، فيما لا معصية فيه لله ولرسوله، وأول مظاهر هذه الطاعة:

أ- في حق نفسه: إذا دعاها لاعفاف نفسه عن الحرام؛ قال ﷺ: **إِذَا دعا الرَّجُلُ امْرَأَةً إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ فَبَاتْ غَضِيَانًا عَلَيْهَا لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ** [متفق عليه].

ويُستثنى من ذلك ما إذا كانت مريضة أو ذات عذر، فيحق لها فيه الاعتذار، وينبغي لها أن تعذر بطريقة تظهر بها أن الأمر خارج عن إرادتها، باللطف واللين.

ب- لا تصوم طوعاً إلا بإذنه: حفاظاً على هذا الحق؛ قال ﷺ: **لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ**. [متفق عليه].

ج- لا تخرج من بيته إلا بإذنه: وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: **إِذَا اسْتَأْذَنْتُ أَحَدَكُمْ امْرَأَتُهُ فِي الْمَسْجِدِ فَلْيَأْذُنْ لَهَا** [متفق عليه]، فإذا كانت الصلاة وهي أعظم شعائر الدين بعد الشهادتين لا تخرج لها المرأة إلا بإذن زوجها، فمن الأولى إلا تخرج لأي سبب آخر أيضاً إلا بإذنه، ومع اعتياد خروجها بدون إذن الزوج تصير ناشزاً مما يُضيق عليها حقوقاً كثيرة.

ومما يروى في هذا الباب عن ابن عمر مرفوعاً: **إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا وَزَوْجُهَا كَارِهٌ لَعْنَهَا كُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ وَكُلُّ شَيْءٍ مَرَّتْ عَلَيْهِ غَيْرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ حَتَّى تَرْجِعَ**. الطبراني في «الأوسط» (١٦٤) برقم (٥١٣). فإذا خرجت الزوجة فبالأدب والتخفيف، وتطلب الموضع الخالية بعيدة عن الاختلاط، وتتنكر على من تظن أنه يعرفها وترفره.

د- الأمانة والستر والصيانة لنفسها: فلا تأذن لأحد أن يدخل بيت زوجها إلا بإذنه؛ قال ﷺ: **وَلَا تَأْذِنْ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ** [متفق عليه]، وبالضوابط الشرعية، فلا تسمح بدخول الرجال؛ أمثال أخي الزوج وابن العم وابن الخال وغيرهم من لا يحل لهم الاختلاء بها في غير حضرته؛ قال ﷺ لما سئل عن الحمو: **الْحَمْوُ** (أي: أقارب الزوج من الرجال **كَالْأَخْ وَالْأَبِ**) **الْمَوْتُ**. كذلك للزوج الحق في منع دخول بعض أقاربه عليها إذا كان

المعروف بالإفساد، وله أن يمنع من يتدخل في الإفساد بينه وبين زوجته، حتى لو كان من المحارم، إلا في وجوده، حتى لا يفسد صلة الأرحام، وله أيضاً إلا تكلم رجلاً من غير محارمها إلا بإذنه.

هـ - حفظ مال الزوج: فلها أن تأخذ من ماله ما تعلم رضاه به، وقد رخص لها في إهداء الطعام الذي أوشك على الفساد؛ قال ﷺ: **إِذَا أَنْفَقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ طَعَامٍ بَيْتَهَا عَيْرَ مُفْسِدَةٍ كَانَ لَهَا أَجْرُهَا بِمَا أَنْفَقَتْ وَلِزُوْجِهَا أَجْرُهُ بِمَا كَسَبَ** [متفق عليه]، وفي حديث هند الذي قال فيه ﷺ: **الْحُدْيِيْ مَا يَكْفِيْكِ وَوَلَدُكِ بِالْمَعْرُوفِ** [متفق عليه].

وـ حفظ فراشه في حال غيابه عنها: سواء في عمل أو سفر؛ قال تعالى: **فَالصَّدِيقُونَ قَدِينَتُ حَفْظَتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفَظَ اللَّهُ** [ النساء: ٣٤]؛ ولذلك يلزمها عدم الاسترسال مع أصدقاء الزوج في التليفونات غيره على نفسها وعليه.

زـ حفظ أسرار الزوج وأموره الخاصة: ويسألنـ في حال التعليم، أو الشكوى من الظلم للقاضي أو لمن له قدرة على الفصل في الأحكام.

قال ﷺ: **إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزَلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى الْمَرْأَةِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَتَشَرُّ سِرَّهَا** [مسلم برقم (١٤٣٧)].

ومما يروى عن النبي ﷺ: **ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبُلُ اللَّهُ لَهُمْ صَلَاةً وَلَا تَصْعُدُ لَهُمْ حَسَنَةً: الْعَبْدُ الْآبِقُ حَتَّى يُرْجَعَ إِلَى مَوَالِيهِ كَيْصَعْ يَكُدُّ فِي أَيْدِيهِمْ، وَالْمَرْأَةُ السَّاخِطُ عَلَيْهَا زَوْجُهَا حَتَّى يَرْضَى، وَالسَّكْرَانُ حَتَّى يَصْحُو** [ابن خزيمة في صحيحه (٢/٦٩) برقم (٩٤٠)]، وبخاصة عند الخصام، فقد تشكو من باب الفضيحة له، وذلك غالباً ما يحدث في حالات الطلاق وبعده.

حـ حُسْنُ التَّبْعُلُ وَأَدَاءُ حَقِّ الْزَوْجِ وَالتَّرْتِينَ لَهُ: وهو من دواعي الفطرة السليمة، ومما ينبغي لوالديها تأدبيها به قبل نقلها إلى بيت زوجها، فالتنفس بعد كل عمل من أعمال المنزل وارتداء الثياب المناسبة للزوج من أهم عوامل نجاح الحياة بين الزوجين.

طـ الخدمة، وقد أجمع العلماء على مشروعية خدمة المرأة لزوجها والقيام على رعايته؛

لأنه ليس هناك أفضل من أمهات المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ مِثُلَ الَّذِي عَلَيْهِنَّ  
بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فللمرأة حقوق وعليها واجبات، فعلى المرأة أن تخدم زوجها في البيت حتى تفرغه لل مهمة المطلوبة منه خارجه، سواء لخدمة دينه أو للتكسب والنفقة على أهله وعياله، فلا تُحمله بأعباء بيته وتعيش هي مترفة وتقول: لا خدمة عاليٌّ، أو تكلّفه ما لا يطيق من أعباء الخدمة. ولا بأس من أن تطلب المرأة من يساعدها في الخدمة من الآلات أو الخدم بما يتناسب مع ظروفهما، ونقول للرجال: تعاونوا في ذلك إذا وجدت الضرورة أو الحاجة، فلا بأس من المساعدة.

وأما خدمة الرجل لأهله إذا كانت مريضةً أو ذات عذر فهو دليل على مكارم الأخلاق، وهو شأن أهل الفضل والكرم؛ قال عليه السلام: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ». الترمذى برقم (٣٨٩٥). فإذا كانت نظيراتها ممن يجري العُرف على خدمتها فلزم الزوج أن يأتي لها بخدم ويستأجرهم لها دون تضييع للحقوق الأخرى. والعلماء على خلاف بينهم في حكم خدمة المرأة لزوجها: فمنهم من رأها واجبة، ومنهم من رأها مستحبة.

قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في مهنة أهله (أي: تعنى في مساعدتهم)، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة. البخاري برقم (٦٧٦). فعلى الزوج مراعاة ظروف زوجته، فلا يحملها ما لا تطيق.

### ملخص حقوق الزوج على زوجته والعشرة الحسنة:

- أن تطيعه فيما يأمرها به سرًا وعلانيةً في غير معصية.
- أن تحفظ مال الزوج وترعاه وتصونه بالمعروف.
- أن تقنع بحياتها التي قسم الله لها طالما بذل ما في وسعه.
- أن تبره في قسمه إذا أقسم عليها في غير معصية أو إثم.
- ألا تكفر نعمته ولا تجحد نفقته وإكرامه لها.
- ألا تخرج من بيته إلا بإذنه.

- ألا تصوم تطوعاً إلا بإذنه.
- ألا تأذن في بيته بأشخاص أو أفعال يكرهها في بيته.
- ألا تأكل ولا تلبس ما يؤذيه، بل تحسن التزين والتعلل له.
- ألا تكلم رجلاً من غير محارمها إلا بإذنه.
- أن ترافق بأقاربه وتتأدب مع إخوته وأعمامه وأخواله.
- أن ترعى أولاده في حياته وبعد مماته.
- أن تأخذ من ماله ما تعلم رضاها به، وأنه لا يغضب لسيبه.
- ألا تتزوج بعده إن كان صالحًا لتكون زوجته في الجنة؛ فإن المرأة لآخر أزواجها.

### نصائح للزوجات:

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْكِمَنَّ لَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِإِحْسَانِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

ولأن الزوجية عمل عظيم فلا يصلح عمل الزوجة مع زوجها إلا بالإخلاص والاتباع، وهذه نصائح لمن أرادت قبول عملها عند الله تعالى:

- ١ - أن تقبل قدر الله لها، وتعرف أن الزواج قضية تعبدية بين الرجال والنساء، وأنها مكلفة بتبسيير حياة الرجال للقيام على مهامهم، مما يجعلها تصر على مشاقها.
- ٢ - الدعاء والسؤال لله وَعَلَيْكَ أَنْ يساعدها على ذلك.
- ٣ - أن تتبعي رضا الله وَعَلَيْكَ في ذلك.
- ٤ - أن تستعين بصاحبات الخير اللاتي يساعدنها على ذلك، وتبعد عن صاحباتسوء اللاتي يحرّضنها على التمرد والنشوز.
- ٥ - أن تتأسى بزوجات النبي ﷺ وزوجات الصحابة الكرام، وتذكرة سيرتهن في كتب السيرة.

٦- أن تصبر على أذى الزوج وأهله.

٧- أن تشكر نعم الزوج وتحسن إليه بالتبسط وحسن الكلام.

٨- ألا تسبه أو تهينه، سواء في حضوره أو غيابه.

**الوصية للزوجة:** كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا احتفلوا لامرأة على زوجها يأمرنها بخدمة الزوج ورعايته حقّه: فقد أوصى عبد الله بن جعفر رض ابنته قائلًا: إياك والغيرة؛ فإنها مفتاح الطلاق. وإياك وكثرة الغضب؛ فإنه يورث البغضاء. وعليك بالكحل؛ فإنه زين الزينة، وأطيب الطيب الماء.

وقال أبو الدرداء رض لامرأته: إذا رأيتني غضبت فرّضني، وإذا رأيتكم غضبتم رضيتك، إلا لم نصطحب.

وهذه وصيّة أمامة بنت الحارث لابتها أم إيس: أي بنيّة، إن الوصية لو تركت لفضل أدبٍ لترك ذلك لك، ولكنها تذكره للغافل ومعونةً للعاقل، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبوها وشدة حاجتها إليها كُنت أغنی الناس عنه، ولكن النساء خلقت للرجال، ولهم خلق الرجال.

أي بنيّة، إنك فارقتي الجو الذي منه خرجت، وخَلَفت العُش الذي فيه درجت، إلى وَكْر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بمثلك عليك رقياً ومليكاً، فكوفي له أمةً يكن لك عبداً، واحفظي له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً:

أما الأولى والثانية: فالصحة له بالقناعة، وحسن السمع والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواقع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه؛ فإن حرارة الجوع ملهمة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتفاظ بماله، والإرعاء على حشمه وعياله، ومِلَك الأمر في المال حُسْن التقدير، وفي العيال حُسْن التدبير.

وأما التاسعة والعشرة: فلا تعصين له أمراً، ولا تفسين له سرّاً؛ فإنك إن خالفت أمره أُوغَرْتِ صَدْرَه، وإن أَفْشَيْتِ سرّه لم تأمني غدره. ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهتمماً، والكابة بين يديه إن كان فرحاً.

وهذا أسماء بن خارجة قد أوصى ابنته ليلة بناها فقال: يا بنتي، كان النساء أحق بتأدبك، ولا بد من تأدبك، كوني لزوجك أمة يكن لك عبداً، ولا تقربي منه جبراً فيمَلَك أو تَمَلِّيه، ولا تباعدي عنه فتشقلي عليه.

ومما يروى في هذا الباب عن ابن عباس مرفوعاً قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإن يُصيروا أجرُوا، وإن قُتلوا كانوا أحياء عند ربهم يُرزقون، ونحن عشر النساء نقوم عليهم، فما لنا من ذلك؟ فقال ﷺ: **أَبْلِغِي مَنْ لَقِيتَ مِنَ النِّسَاءِ أَنَّ طَاعَةَ الرَّزْوِجِ وَأَعْتِرْأَفِي حَقِّهِ يَعْدِلُ ذَلِكَ، وَقَلِيلٌ مِنْكُنَّ مَنْ يَفْعَلُهُ.** [البزار في مسنده (٢/٤) برقم (٥٢٠٩)].

\* \* \*

### ٣٦- باب النفقة على العيال

قال الله تعالى: **وَعَلَى الْمَوْلَدِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكَسْوَاهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** [البقرة: ٢٣٣].

وقال تعالى: **لَيْسَقُ ذُو سَعْيَةٍ مِنْ سَعْيِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلَا يُغْنِي مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكْفِلُ اللَّهُ نَفْسًا لِلآمَاءَ أَنَّهَا** [الطلاق: ٧].

وقال تعالى: **وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ وَفَهُوَ مُتَّلِفٌ مَذْهَبٌ** [سورة الأعراف: ٣٩].

(٣٦) / ٢٨٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقية، (أي: في عتق رقبة) ودينار تصدق به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك». رواه مسلم.

(٣٦) / ٢٩٠) وعن أبي عبد الله - ويقال له: أبو عبد الرحمن - ثوبان بن بجحد مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أفضل دينار ينفقه الرجل: دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه على ذاته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله». رواه مسلم.

(٣٦ / ٢٩١) وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ لِي أَجْرٌ فِي بَنِي أَبِي سَلَمَةَ أَنْ أَنْفَقَ عَلَيْهِمْ، وَلَسْتُ بِتَارِكِهِمْ هَكَذَا وَهَكَذَا إِنَّمَا هُمْ بَنِيَّ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، لَكِ أَجْرٌ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ». متفق عليه.

(٣٦ / ٢٩٢) وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في حديثه الطويل الذي قدمناه في أول الكتاب في باب النية: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلامه قال له: «وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أَجْرَتَ بِهَا حَتَّىٰ مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرِتِكَ». متفق عليه.

(٣٦ / ٢٩٣) وعن أبي مسعود البدرى رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلامه قال: «إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَىٰ أَهْلِهِ نَفَقَةً يَحْتَسِبُهَا فَهِيَ لَهُ صَدَقَةٌ». متفق عليه.

(٣٦ / ٢٩٤) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه: «كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُولُ». حديث صحيح رواه أبو داود وغيره.

ورواه مسلم في صحيحه بمعناه، قال: «كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ».

(٣٦ / ٢٩٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلوات الله عليه وسلامه قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزَلُانِ، فَيَقُولُ أحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً حَلَفاً، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا».

متفق عليه.

(٣٦ / ٢٩٦) عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلامه قال: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَأَبْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهِيرَةِ غِنَىٰ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعْفَهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِيْ يُغْنِيْ اللَّهُ». رواه البخاري.

### ٣٧ - باب الإنفاق مما يحب ومن الجيد

قال الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْأَرْحَقَ تُنْفِقُوا مِمَّا شَبَوْتُمْ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿يَنَّا لِهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيَّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَنْجَحْتَ الْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيْمِمُوا الْغَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

(٣٧ / ٢٩٧) عن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من تحمل، وكان أحب أمواله إليه يبرحاء، وكانت مُستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلوات الله عليه وسلامه يدخلها

وَيُشْرِبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيْبٌ. قَالَ أَنَّسٌ: فَلَمَّا تَرَكْتُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ نَنَأِلُوا إِلَيْهِ حَقَّ تُنْفِقُوا مِمَّا شِبْعُونَ﴾ قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْكَ: ﴿إِنَّ نَنَأِلُوا إِلَيْهِ حَقَّ تُنْفِقُوا مِمَّا شِبْعُونَ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ مَالِي إِلَيَّ بَيْرَحَاءُ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ اللَّهُ تَعَالَى، أَرْجُو بَرَّهَا، وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَخْ» (أي: بخ: كَلْمَةٌ تُقالُ عِنْدَ الْمَدْحِ وَالرِّضَا بِالشَّيءِ، وَقَدْ تُكَرَّرَ لِلْمُبَالَغَةِ)! ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبَيْنِ»، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَّمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقْارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ. متفق عليه.

قوله ﷺ: «مال رابع»، رُوِيَ في الصحيحين «رابع» و«رابع» بالياء المودحة وبالياء المثنوية، أي: رابع عَلَيْكَ نفعه. و«بَيْرَحَاءُ»: حديقة نخلٍ، وروي بكسر الباء وفتحها.

### ٣٨- باب وجوب أمره أهله وأولاده المميزين وسائر من في رعيته بطاعة الله تعالى ونهيهم عن المخالفه وتأديبهم ومنعهم من ارتكاب منهی عنه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمْرُ أَهْلَكَ بِالصَّلَوةِ وَأَصْطَرَ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِذَا مَنَّا وَأَنْوَاقُوا أَنفُسَكُوْنَاهُلِيْكُوْنَارًا﴾ [التبريم: ٦].

(٣٨/٢٩٨) عن أبي هريرة رض قال: أخذ الحسن بن علي رض تمرةً مِنْ تَمْرَ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا في في فيه، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْ كُنْ كُنْ ارْمِ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟!». متفق عليه.

وفي رواية: «أَنَّا لَا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ». قوله: «كُنْ كُنْ كُنْ» يقال: ياسكان الخاء، ويقال: بكسرها مع التَّنْوين، وهي: كلمة زجر للصبي عن المستقدرات، وكان الحسن رض صِبِّيًّا.

(٣٨/٢٩٩) وعن أبي حفص عمر بن أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد ربيب رسول الله رض قال: كُنْتُ غَلَامًا في حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهُ تَعَالَى، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ». فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي (أي: الْهَيْئَةِ الَّتِي آكَلَ بِهَا) بَعْدُ. متفق عليه. «وَتَطِيشُ»: تدور في نواحي الصحفة.

(٣٨/٣٠٠) وعن ابن عمر رض قال: سمعتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ،

والمرأة راعيةٌ في بيتِ رُوْجَهَا وَمَسْؤُلَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالحَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». متفق عليه.

(٣٨ / ٣٠١) وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عليه السلام قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه: «مُرُوا أُولادُكُمْ بالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ». حديث حسن رواه أبو داود بإسناد حسن.

(٣٨ / ٣٠٢) وعن أبي ثريَّةَ سَبْرَةَ بْنَ مَعْدِدِ الْجُحَنِيِّ عليه السلام قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه: «عَلَّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا أَبْنَاءَ عَشْرِ سِنِينَ». حديث حسن رواه أبو داود والترمذني، وقال: «حديث حسن».

ولفظ أبي داود: (مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ»).

\* \* \*

### ( حقوق الأبناء على الوالدين )

الأولاد من النعم الغالية، فالله تبارك وتعالى أعطانا هذه النعمة لنستفيد منها في الدنيا والآخرة: في الدنيا كي يكونوا عوناً لنا على الحياة، وفي الآخرة للدعاء لنا بعد الممات وثواباً؛ لهذا كان دعاء الصالحين على هذه الشاكلة عبر الزمان. قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي أَوْزَعَنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَلَدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَلِحًا تَرَضِهَ وَأَصْلِحَ لِي فِي دُرْبِي﴾ [الأحقاف: ١٥].

فالعامل كما يرى والديه يطلب صلاح ذريته كذلك، وإن فمن نسي حقوق أبنائه خسر هذه التجارة أمام الله تبارك وتعالى؛ قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذِرْبَرَبَنَا فُرَّةَ أَعْيُنِ وَأَجْعَنَنَا لِلْمُنْقَبِينَ إِمَاماً﴾ [٦٧] [الفرقان: ٧٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «إِذَا ماتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُتَسْعَى بِهِ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ». مسلم برقم (١٦٣١). وقد روي عن عائشة مرفوعاً أيضاً: «الْوَلَدُ الصَّالِحُ مِنْ رَيْحَانِ الْجَنَّةِ». ابن عدي في الصغراء (٢٢١/٢).

ومما روي أنَّ الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه نظر يوماً إلى الحسن والحسين فقال: «إِنَّكُمْ لَتَجَبِّنُونَ وَتُبَخَّلُونَ، وَإِنَّكُمْ لَمِنْ رَيْحَانِ اللهِ». أحمد في مسنده (٦/ ٤٠٩) برقم (٢٧٣٥٥).

وقد روی عن عمرو بن سعید بن العاص مرفوعاً: **«مَا نَحَلَ (أي: أعطى) وَالدُّولَهُ خَيْرًا مِنْ أَدَبِ حَسَنٍ»**. أَحمد في مسنده (٤١٢ / ٣) برقم (٤٥٤٣٩).

فأكبر نعمةٍ تعطيها لولدك هي الأدب الحسن، فالأولاد أحب القرابات إلى قلوبنا؛ وإن للولد حقاً زائداً في العناية عند الآباء، خاصةً أن الولد ملكُ لأبيه، فهو المسئول أوّلاً أمام الله تعالى عن رعايته، ومن ثم والدته. والمقصود بالولد الأبناء، من بنين وبناتٍ.

**حقوق الأولاد على آبائهم:** ومن حقوق الولد على أبيه:

**الحق الأول: اختيار الأم ذات الشرف والنسب والدين:** فإذا اختار الإنسان زوجةً أعجبته ونسى دينها فقد أساء إلى أولاده إساءةً بالغةً؛ لهذا قال النبي ﷺ في معرض اختيار الزوجة: **«فَاظْفُرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»** [متفق عليه]؛ وإنما قال النبي ﷺ ذلك حفظاً لحقك وحق ولدك، كي لا يُعِيرَ بها في حياته وبعد ذلك تكون سبباً لخزيه وعاره.

**قصة:** كان أحد الأباء دائمًا ما يُعِيرُ ولده بأمه ويقول له: أمك، أمك. ويدرك أنه كثيراً بالسوء. فقال له ابنه: يا أبي، والله قد أحسنت أمري إليَّ وأنت الذي أساءت. فقال له أبوه: كيف تقول ذلك؟ قال: أمي قد أحسنت اختيارها فاختارتني أنت ابن الملوك، وأنت الذي أساءت فاخترتها؛ فلا ذنب لها. فسكت الأب. اهـ.

وهذه المسئولية مشتركة بين الأب والأم، فعلى الوالد أن يختار أمًا صالحة تحفظ ولا تُضيّع، تربّي وترعى شئون أبنائها. فالذي يختار المرأة لجمالها أو لحسبها أو لمالها غافلاً عن دينها فقد أساء إلى ولده قبل أن يُولَد، وسوف يُحمله الله جل في علاه الإثم والوزر لما يكون منها من إساءة إلى ولدتها بعد ذلك.

وكذلك على المرأة أن تختار زوجاً صالحًا ترضي دينه وأمانته وخلقه، فمن تساهلت في ذلك وضيّعت فقد أساءت لولدتها قبل أن يُولَد، وإن الله سوف يحاسبها عما يكون من إثم ذلك الزوج مع ولده بعد ذلك. ولهذا قال رسول الله ﷺ: **«تَخِيرُوا لِطَفِّكُمْ، فَإِنْ كَحُوا الْأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ»**. ابن ماجه برقم (١٩٦٨)، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٩٢٨).

وكان أبو الأسود الدؤلي يقول لبنيه: يا بنائي، قد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً، وقبل أن تُولَدوا. قالوا: وكيف ذلك؟ قال: التمسُّت لكم من النساء الموضع الذي لا تُعابون به.

وهذا فعل الحريص على أبنائه المتبني لحقوقهم والمتملمس لمرضاة الله تبارك وتعالى في الآخرة. فيترتب على الزواج مسئولية إعداد أولادنا وشبابنا ليكونوا رجال ونساء المستقبل، فالأب والأم اللذان يُفرّطان في تربية أبنائهما إنما يفترطان في مجتمع بالكامل، وما نراه الآن من سوء تربية الأبناء سببه تفريط الأجداد والأسلاف من قبل شيئاً فشيئاً حتى صار ما وجدناه من فساد في الأجيال التي لم تُرْبَّ بسبب عدم تربية ذويهم في الصغر.

ومع ذلك نقول: لا نیاس، فكما أن الله وعدنا أنه لا يُضيع أجر من أحسن عملاً، فإننا إذا ابْتُلِيْنا بزوج أو زوجة مقصّرة فلنعلم أن الله تعالى قادر على أن يُخرج الحي من الميت.

إذا قام كل إنسان منا على رعاية أبنائه - رغم ما ابْتُلِيْ به من زوج أو زوجة فيه أو فيها شيء من التقصير - فلا نیاس، ولنعلم أن الله تعالى قد أخرج من صلب كفار قريش أصحاباً للنبي ﷺ من أمثل: عكرمة بن أبي جهل، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، رضي الله عنهم أجمعين.

**الحق الثاني: حق اختيار الاسم الحسن (حق التسمية):** وهذا الحق رغم ما يظنه البعض من عدم أهميته فإننا قد وجدنا أن الأسماء الصالحة للأبناء كثيراً ما تكون سبباً لدعوتهم إلى الحق؛ لما في أسمائهم من معانٍ جميلة صالحة. وكم من أسماء تحمل من معاني الفساد والغفلة قد ذهبت بأصحابها إلى الفساد والغفلة، فلعل لكلّ منا نصيباً من اسمه.

فقد روى عن أبي الدرداء مرفوعاً: **«إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ أَبَائِكُمْ؛ فَحَسِّنُوا أَسْمَاءَكُمْ»** [أحمد في مسنده (١٩٤) برقم (٢١٧٣٩)، أي حسّنوا اختيار أسماء أبنائكم؛ كي لا يكون ذلك سبباً في إيداء الأبناء بأسماء يُغيّرون بها أو يتآذون منها حين يُدْعَوْنَ أمام الناس، بما بالكم يوم القيمة كذلك!]

قال رسول الله ﷺ: **«أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَيَّ اللَّهِ تَعَالَى عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ»** [مسلم برقم (٢١٣٢)].  
وذلك لما فيهما من توجيه إلى العبودية لله وتذكير وتعظيم لأسماء الله تبارك وتعالى.

ومما يروى في هذا الباب: **«تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَيَّ اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ**

**وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَامٌ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمُرَّةٌ**. أَحمد فِي مسنده (٤ / ٣٤٥) بِرَقْم (١٩٥٤). فَكَثِيرًا مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُغَيِّرُ مِنْ أَسْمَاءِ أَصْحَابِهِ الَّتِي فِيهَا الْحَزَنُ وَالصَّعْوَةُ وَالْكَبَّةُ إِلَى الْأَسْمَاءِ الَّتِي فِيهَا الْبَشَرِيَّةُ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ.

**عَنْ عُمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ :** عَجَّلُوا بِتَسْمِيَةِ أَوْلَادِكُمْ؛ لَا تُسْرِعُ إِلَيْهِمُ الْأَلْقَابُ السُّوءُ.

فَإِذَا فَرَّطَ الْإِنْسَانُ فِي تَسْمِيَةِ وَلَدِهِ فَقَدْ يُتَلِّيُّ بِأَسْمَاءٍ تَلْتَصِقُ بِهِ طَوَالُ حَيَاتِهِ، وَفِيهَا مَا فِيهَا مِنَ الْإِهَانَةِ وَالسُّوءِ وَالخَلَاعَةِ وَالْمَجْوَنِ، أَمْثَالُهُ «زُقْلُطٌ»، وَ«بِلْيَةٌ»، وَ«زَعْلَةٌ»، وَالسَّبِبُ هُوَ تَفْرِيظُ الْأَبَاءِ فِي هَذَا الْحَقِّ مِنْ حَقُوقِ أَبْنَائِهِمْ.

**وَقَالَ عَلَيٰ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :** يَنْبَغِي لِأَحْدَكُمْ أَنْ يَتَّخِذَ لَوْلَدَهُ إِذَا وُلِدَ الْاسْمُ الْحَسَنُ.

**الْحَقُّ الْثَالِثُ: الْعَقِيقَةُ وَالْخَتَانُ :** الْعَقِيقَةُ: هِيَ مَا يُذْبِحُ لِلْمَوْلُودِ فِي يَوْمِهِ السَّابِعُ أَوِ الْرَابِعُ عَشَرُ أَوِ الْحَادِي وَالْعَشَرِينَ بَعْدَ وَلَادَتِهِ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **كُلُّ غُلَامٍ رَاهِنَةٌ بِعَقِيقَتِهِ تُدَرَّجُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِيعِهِ وَيُسَمَّى**». أَحْمَد فِي مسنده (٥ / ٧) بِرَقْم (٢٠٠٩٥)، صَحَّحَهُ الْأَبْنَيُ (صَحِيحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ) حَدِيث (٤١٨٤).

وَقَدْ أَجَازَ الْعُلَمَاءُ التَّسْمِيَّةُ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ؛ لِمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«وُلَدَ لِي الْيَوْمِ وَلَدٌ، وَسَمَّيْتُهُ إِبْرَاهِيمَ»**. مُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٣١٥).

**السُّنْنُ الْمُتَبَعَّةُ لِلْاحْتِفَالِ بِالْمَوْلُودِ :** وَمِنَ السُّنُنِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تُرَاعَى فِي حَقِّ الْمَوْلُودِ بَعْدَ وَلَادَتِهِ:

- ١ - أَنْ يُؤْذَنَ فِي أُذْنِهِ الْيَمِنِيِّ وَقَتْ وَلَادَتِهِ الْأَذَانُ الْمُعْرُوفَةُ، وَتُقْطَعُ الصَّلَاةُ فِي أُذْنِهِ الْيَسِيرِيِّ الْإِقَامَةُ الْمُعْرُوفَةُ، وَيُحَنَّكَ بِتَمْرَةٍ، أَيْ تُوْضَعُ قَطْعَةٌ سَعِيرَةٌ مِنَ التَّمْرِ الْمُبَلَّلِ عَلَى لِسَانِهِ.

- ٢ - أَنْ يُحَلَّقَ لَهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ، وَيُمَاطَ عَنْ رَأْسِهِ الْأَذْيَى، وَيُوزَنَ شَعْرُهُ الْمُحْلَوْقُ وَيُؤْتَى بِوزْنِهِ فَضْلَةٌ وَيُتَصَدِّقُ بِهَا عَلَى الْفَقَرَاءِ.

- ٣ - أَنْ يُسَمَّى بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ وَالْأَطْفَهَا، وَيُرَاعَى فِي ذَلِكَ تَجْنُبُ الْأَسْمَاءِ الْقَبِيحةِ أَوِ الْمَذْمُومَةِ الَّتِي تَحْثُلُ عَلَى الْبَاطِلِ كَمَا ذَكَرْنَا مِنْ قَبْلِهِ، كَأَسْمَاءِ الْفُسَاقِ، أَوْ تَلْكَ الَّتِي فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْخَلَاعَةِ وَالْمَجْوَنِ.

فِي خَتَارِ لِلصَّبِيِّ اسْمٌ يَتَنَاسَبُ مَعَ خَشْوَنَةِ الرِّجَالِ، وَالْعَكْسُ بِالنِّسَبةِ لِلْبَنْتِ، أَيْ بِاِخْتِيَارِ اسْمٍ جَمِيلٍ لَهَا لَا يُشَبِّهُهَا بِأَسْمَاءِ الرِّجَالِ.

وكان العرب تُسمّي أسماء أبنائهن نكاشة وتخويفاً لأعدائهم، مثل: مصعب الذي يشير إلى السيد من الرجال العسير الشديد، وبكر - وهو الجمل الشاب - الذي يشير إلى القوة والشباب، ومعاوية - وهي أثى الكلب التي تقوم بحماية أولادها، وكان العرب يستخدمون الكلاب كثيراً في حراستهم، لما يعرفون من شدة دفعها لأعدائهم؛ فسمّوا أولادهم بأسمائهم - ومثل: كعب، وصخر، وحرب. وما إلى ذلك.

كما كانت العرب تُسمّي أسماء العبيد والإماء تطبيقاً لأنفسهم، أي تلك الأسماء التي فيها ليونة وسهولة، مثل بلال وثوبان وسهل، وتُسمّي أسماء بناتها بالأسماء الجميلة الناعمة، مثل: خديجة، وعائشة، وفاطمة أي فاطمة الأولاد.

**فليتبّه إلى أن أسماء البنات لا ينبغي أن تكون شيئاً بأسماء الرجال.**

٤ - أن تُذبح له عقيقه، بذبح شاتين عن الذكر، وشاة عن البنت.

والحقيقة ليست بالضرورة ملزمة لمن لم يُعَقَّ عنه، وإنما هي على الأرجح سنة.

٥ - أن يُختن؛ فالختان مشروع فهو سنة للذكور ومكرمة للإناث بمعرفة أهل الاختصاص.

**الحق الرابع: حسن التربية والرعاية له:** وقد روي عن عمرو بن سعيد بن العاص مرفوعاً: «مَا تَحَلَّ (أي: وَهَبَ وَأَعْطَى) وَالْدُّولَةُ أَفْضَلُ مِنْ أَدَبِ حَسَنٍ». أحمد في مسنده (٤١٢ / ٣) برقم (١٥٤٣٩). روي عن أنس بن مالك مرفوعاً: «أَكْرِمُوا أُولَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ». ابن ماجه برقم (٣٦٧١). قال محمد بن سيرين: أَكْرِمْ ولدك وَأَحْسِنْ أدبه. وقال أيضاً: مَنْ أَدَبَ ولدَهْ أَرْغَمَ أَنْفُ عدوه (أي: كاد وغاظ عدوه؛ حيث لم يجد مدخلًا للإضرار به من أقربائه). كما قال: مَنْ أَدَبَ ولدَهْ غَمَ حَاسِدَه (أي: أصابه الغم والكدر).

وقال الحسن البصري: التعلُّم في الصغر كالنقش على الحجر. وقال أيضاً: أَطْبَعْ الطين (أي: أكثره قابلية للتشكل) ما كان رطباً.

وروي أن سليمان بن داود عليهما السلام كان يقول: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَغْيِظَ عَدُوَّهْ فَلَا يَرْفَعَ العصا عن ولده. وذلك تأديباً، فالآدب محمود في كل زمان ومكان.

قال لقمان الحكيم: ضرب الوالد للولد كالسماد للزرع.

ولا بد أن يُراعى هنا أنه عند وضع السماد للزرع فلابد أن يكون بقدر، فإن زاد أو قلل يفسد الزرع، كذلك الضرب للولد يحتاج إلى حكمة، ليس بالشدة التي تجعله يفسد، ولا بالعكس كذلك.

وقيل: من أدب ابنه صغيراً فقرت به عينه كبيراً. كما قيل: من قعد به حسنه نهض به أدبه.  
فإنك عند تربيتك لابنك يُعوّضك عن فَقْرِك الذي أنت فيه، فهذا يزيده نسباً ويعوضه عن الفقر. وقيل: الأدب من الآباء والصلاح من الله.

فأنت المسئول عن أدب ابنك، أما صلاحه فمن الله تعالى، فأحياناً تُجبر أولادنا على الصلاح ونسى تأديبهم، فعند الكبار لا يصير متادباً ويترك الصلاح، فلا تستفيد من هذا ولا ذاك. فالطريقة بالتعليم والتربية وليس بالجبر، فهو الآن طائع لك يؤدي ما عليه خوفاً منك، ولكن كما أن تأديبه عليك فإن الله تعالى يتولى أمر صلاحته.

قال بعض الحكماء: أفضل ما يورث الآباء الأبناء: الثناء الحسن، والأدب النافع، والإخوان الصالحون. وقيل: ومن أدب وَلَدِه صغيراً سرّ به كبيراً.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: من لم يجلس في الصغر حيث يكره لم يجلس في الكبر حيث يُحبُّ. فلابد أن تساعد ابنك على ذلك. وقيل: ما أشدّ فطام الكبير وأعسر رياضة الهرم. ففطام الولد الكبير أصعب وأشد على الأم من الولد الصغير، كذلك تعلم الرياضة للكبير أصعب. والمعنى لا تُوجّل تربية ابنك حتى يكبر.

قال عمرو بن عتبة لمعمل ولده: ليكنْ أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك؛ فإن عيوبهم معروفة بعينيك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبح عندهم ما تركت، علّمهم كتاب الله ولا تُكرههم عليه فيملوه، ولا ترکهم منه فيهجروه، رواهم من الحديث أشرفه، وعلّمهم سنن الحكماء.

فقد كانوا قدّيماً يستأجرون معلمين لأولادهم وكانوا يوصونهم بذلك. والأدب في الصغر علامة نجابة الأولاد، فقد قيل: يُستدل على نجابة الصبي بشيءين: الحياة، وحب الكرامة. أما

الحياة فهو خير كلِّه، وأما حب الكراهة فتدعوا إلى اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل.

وقال وهب بن مُنبئ : **خَصْلَتَانِ إِذَا كَانَتِ فِي الْغَلَامِ رُجِيتْ نَجَابَتِهِ:** الرهبة، والحياة.

واعلم أن خير الآباء للأبناء من لم يدعه الحب إلى التفريط، وخير الأبناء للأباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق. وسأل معاوية رض الأحلف بن قيس : عن الولد، فقال: يا أمير المؤمنين، أولادنا ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، نحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، وبهم نصوّل عند كل جليلة (أي: ننشط بهم في الأمور الصعب)، فإن طلبو فأعطيهم، ولا تكن عليهم قفالاً (أي: عسيراً) فيتمنوا موتك ويكرهوا قربك ويملؤوا حياتك.

فالذي يربى في الصغر ويحسن تربية أولاده رأى بأم عينيه قبل أن يموت حسن العاقبة في ولده، فيقفون في جواره يساعدونه ويقومون على شأنه، يحفظون له أمواله ويرعون حقه. وعلى العكس من ذلك، فمن ضيّع أبناءه رأى قبل موته شؤم ما كان من تقصيره من أذى ومكايد وذلة من أولاده حين يكبرون، وهذا لسوء تربيته لهم في الصغر. نسأل الله السلامة والعافية. لذلك رغب النبي صل في هذا العمل الصالح.

فقد قال رسول الله صل: **إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةِ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُتَفَّعَّلُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهِ**. مسلم برق (٢٦٨٢).

وعن أنس رض، عن النبي صل، قال: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ كَهَائِيْنِ» وضمّ أصابعه. مسلم برق (٢٦٣١).

وعن أبي عبد الله - ويقال له: أبو عبد الرحمن - ثوبان رض، مولى رسول الله صل قال: قال رسول الله صل: **أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ: دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى دَائِيَّهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ**. مسلم برق (٩٩٤).

وعن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله صل: **(الْيَدُ الْعُلِيَا حَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَإِنَّمَا بِمَنْ تَعُولُ، وَحَيْرٌ الصَّدَقَةٌ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنَّى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعْفَهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِيْ يُغْنِيْ اللَّهُ)**. متفق عليه.

**- أول ما يربى عليه الأبناء:** وأول ما يربى عليه الأبناء أن تغرس في قلوبهم الإيمان بالله عز،

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَذِكْرُ لِقَمَنَ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعْظُلُهُ يَبْيَقُ لَا شُرِيكَ لِإِلَهٍ إِلَّا  
شُرِيكٌ أَظْلَفُ عَظِيمٌ﴾ [القمان: ١٣]، فأول شيء هو توجيه الابن إلى حق الله جل جلاله، فقد  
بدأ لقمان بهذا الأصل العظيم.

وقال العلماء: إن الصبيًّاً أمانةٌ في أعناق والديه، وقلبه مثل الجوهرة النقيَّة قبلة للنُّفُش والتشكيل. وقد قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبْوَاهُ يُهَوِّدُانِيهُ أَوْ يُمْجِسُانِيهُ أَوْ يُنَصَّرُانِيهُ» [متفق عليه]. فيجب أن يُغرس في الصبيِّ والفتاة توحيد الله تعالى.

وعن ابن عباس قَالَ: كُنْت خَلْف النَّبِيِّ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَام، إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظُكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجْهِدُهُ تَجَاهِلُكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعْتَ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحْفُ». أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٢٩٣) بِرَقْمِ (٢٦٦٩).

فَيَنْبُغِي عَلَى الْوَالَّد أَن يَذْكُر ابْنَه بِوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ خَالِقُ الْكَوْنِ وَمُدَبِّرُهُ، وَفِي هَذَا صَلَاحُ دِينِهِ وَدِنْيَاهُ.

**ثاني ما يُرِبَّى عليه الأبناء:** فَيُدْأَ بِتَعْلِيمِ الْأَبْنَاءِ الصَّلَاةَ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَمْرَ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَلِّ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]. وَعَنْ عُمَرَ بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَيْمَهُ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاصْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوهُمْ بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ». أَبُو دَاوُدْ بِرْ قَمْ (٤٩٥). ثُمَّ تَعْلِيمُهُمْ أَحْكَامَ الطَّهَارَةِ وَالوضُوءِ وَاسْتِقْبَالِ الْقَبْلَةِ وَصَفَةِ الصَّلَاةِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ التِّجَارَةِ مَعَ اللَّهِ، فَلَا قِيمَةَ لِلْوَلْدِ إِنْ لَمْ يَقُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَجْهَكَ.

**قال رسول الله ﷺ: (مَنْ دَعَا إِلَيِّ هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ قَبْلَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا).** مسلم برقم (٢٦٧٤).

وَعَنْ أَبِي مُسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنَ عُمَرَ الْأَنْصَارِيِّ الْبَدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ

**دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرٍ فَاعْلِمْهُ**». مسلم برقم (١٨٩٣).

ومن ضيق حَقَ الله تبارك وتعالى فسيضيق حق أبيه وأمه وسائر من حوله من باب أولى والعياذ بالله. وهذا الباب من أعظم الحقوق الضائعة على أولادنا، وهو حق تربية الإيمان وتربية تعليم الإسلام.

ثم يأتي بعد ذلك التربية على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿يَبْشِّرُ أَقْرَبَ الظَّلَّةِ وَأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِيرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمْرِ﴾<sup>١٧</sup> ﴿وَلَا تُصْعِرْ خَدَكَ لِلْتَّائِسِ وَلَا تَنْتَشِرْ فِي الْأَرْضِ مَرَحَّاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْنَالٍ فَخُورٍ﴾<sup>١٨</sup> ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكٍ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتِ الْمُغَيْرِ﴾<sup>١٩</sup> [العنان: ١٧ - ١٩].

وهذه الآيات جمعت بين حق الله وحق عباده منهجاً في التربية الكاملة، حيث يربى الأبناء ويعودون على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات في الأقوال والأعمال، فتكون قلوبهم قد غرس فيها حب المسلمين لا الحقد عليهم، وحب أهل الدين والعلماء والصالحين والقرب منهم. فال التربية على الأخلاق الفاضلة تم إما بالتعليم المباشر أو بالقصص؛ كي يستطيع الأبناء تفهم هذه المعاني من صفات أهل الإيمان، مثل الجود والكرم والإيثار والحلم والحياة والصدق والصبر والشكرا.

حيث تُروى على الأبناء صفات النبوة العالية وصفات الصحابة الكرام، ويعودون على الذكر والاستغفار والدعاء والتبتل، وتجنب الصفات السيئة الذميمة قدر المستطاع، وكذلك الكِبر والعجب والخيلاء، والحدق والحسد والغصب، والبخل والحرص والطمع، وتجنب آفات اللسان من الغيبة والنميمة والكذب، كما يتعلمون أيضاً حسن معاملة الكبار والطفف على الصغار.

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رض قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرَنَا»**. أبو داود برقم (٤٩٤٣).

**الأسباب التي تعين على التربية الصالحة:**

**١- الدعاء:** الدعاء من أعظم الأسباب لصلاح الأبناء. قال ابن مسعود رض: **ثلاثة لا تُردُّ**

دعوتهم: الوالد، والمظلوم، والمسافر. ويقول الحسن البصري : دعاء الوالدين يُبَتَّ (أي: يحفظ) المال والولد. وسأل رجلُ الحسنَ البصريَّ: ما دعاءُ الوالد لولده؟ قال: نجاة. ويقول مجاهد : ثلاثٌ لا يُحْجِنُ من الله ﷺ: دعوة الوالد لولده، والمظلوم، وشهادة أن لا إله إلا الله. وجاء في كتاب الله تبارك وتعاليٰ: **﴿وَاصْلَحْ لِي فِي دُرْبِيَّةٍ بَتَّ إِلَيْكَ وَلَيْكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾** [الأحقاف: ١٥]، فكم من ولدٍ صلح بداعاء والديه، ويجب ألا نسام ولا نئس بل نحسن الظن بالله ﷺ.

**٢- القدوة الحسنة:** فالابوان مقدسان في نظر الطفل، فصلاح واستقامة الآباء والأمهات له التأثير المباشر على صلاح واستقامة الأولاد، وبمقدار اختلاف أقوالهما وأفعالهما ينشأ في الأولاد النفاق في الأعمال والفرق بين الأقوال والأفعال، وهو من أكبر المصائب.

**الحق الخامس: العدل بين الأبناء:** عن النعمان بن بشير " أَنَّ أَبَاهُ أَتَىْ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي نَحْلَتُ (أي: أعطيت) أَبْنِي هَذَا عُلَامًا كَانَ لِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَكُلَّ وَلَدَكَ نَحْلَتُهُ (أي: أعطيته) مِثْلَ هَذَا؟". فقال: لا. فقال رسول الله ﷺ: «فَأَرْجِعُهُ» متفق عليه.

فلا يجوز تفضيل ولد على آخر، إنما يعدل بين الجميع، وكان السلف رحمهم الله يعدلون بين الأبناء حتى في القبلة؛ قال الشافعى رحمه الله: لأنه يقع في نفس المفضول ما يمنعه من بر أبيه أو أمه. ولأن الأقارب قد يحدِّد بعضهم على بعض ما لا يحدِّد الأعداء، وهذا من أكثر الأسباب الداعية للعداوة بين الإخوة عموماً. ولا ننسى أن الحقد بين الأبناء قد ينشأ حتى لمجرد شعور الأبناء أو توهّمهم بذلك، كما حدث لأبناء يعقوب عليه السلام: **﴿إِذْ قَاتُلَ الْيُوسُفَ وَأَخْوَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ أَبِيهِنَا وَتَحْنَ عَصَبَةً إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾** [يوسف: ٨].

والعدل بين الأبناء قد يتضمن أن يُخص أحدهم بالعطية لسبب من الأسباب المقبولة، كالتعليم والدروس الخصوصية، أو لظروف تعليم خاصة أو لأوضاع صحية أو خلافه، ولا يلزم الآباء أن يُسوّوا بينهم في ذلك، سواء كانوا ذكراناً أو إناثاً، كما ينبغي مراعاة الأحساس والمشاعر، وأن يحاط كل ذلك بالعدل بينهم.

وقد روی عن رسول الله أنه قال: **«رَحِمَ اللَّهُ تَعَالَى وَالَّذَا أَعَانَ وَلَدَهُ عَلَى بِرَّهُ»**. ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/٢١٩) برقم (١٥٤٢). كذلك من العدل بين الأبناء ألا نربّي أولادنا على أن الذكر

يمتلك الحق الكامل في التسلط على أخيه الأئمّة باسم الدين لأنّه فقط مجرد ذكر، ولا أن يُخضعها لخدمته تحت هذا المسمى، ولا أن يتدخل في سير حياتها فـيُراقب ويضبط ويتصرّف كأن له حق التسلط دون قيد أو شرط، بل يتعاون ويتشاور وينفع الآخرين، بل يتعلّم كيف يحترم أخيه؛ لأنّها أمّه وأخته وزوجته وابنته، عليه أن يثق بها.

ولابد أن نعلمه أنه ليس عليها خدمته في البيت، بل عليه نفس الأعباء المنزليّة، وإن اختلفت الأدوار والمناسبات. ذكره العراقي في تخرّيج أحاديث الإحياء (١/٥٣٣) برقم (٢٠٦٨) وعذاه لابن حبان في الثواب.

كما يجب أن يتعلّم الأولاد احترام أخيهم الأكبر احتراماً كبيراً، ويتم هذا بـالآتي:

تبيّنه أمّاهم، ولا تصحيح أخطائه أمّاهم أبداً، بل يجب أن نجعلهم يحترمونه، وكذلك نجلس معه ونعلمه كيف يعطّف عليهم. روي عن سعيد بن عمرو بن العاص مرفوعاً: «إِنَّ حَقَّ الْكِبِيرِ إِلَّا حُوَّةُ عَلَى صَغِيرِهِمْ كَحَقِّ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ».

قال خارجة بن مصعب : يجب على الوالد أن يعطي ابنه ويعحسن إليه حتى يبره.

وقال أبو الليث : كان بعض الصالحين لا يأمر ولده بأمر مخافة أن يعصيه في ذلك الأمر فيستوجب النار. ويقول ابن عمر رض: ما سُمُّوا أبراً حتى أبراً الآباء الأبناء والأباء الآباء. ويقول سفيان بن عيينة والحسن رض: الأبرار الذين لا يؤذون الذرية.

وقال الفضل : من تمام المروءة حُسْنُ الْخُلُقِ مع الأبناء.

وكان يقال: ولدك سبع سنين أسيّر، وسبعين سنين أمير، وسبعين سنين وزير، ثم إن أحّسن إلىه فنظير ونصير (أي: فشيّبه لك ومعين)، وإن أساءت إليه فعسّير وبصير (أي: إن أسأت إليه صعب عليك معاملته، وجعلته متبعاً لعيوبك وزلاتك مُتّبصراً بها).

### ملخص لحقوق الولد:

- ١- أن يُحسن أبوه اختيار أمّه؛ لئلا يُعيّر بها وتسييء تربيتها؛ وهذا لأنّ الوالد هو الذي يختار أولاً الزوجة، فصار حقاً عليه أولاً، ومن ثم على أمّه أن تختار صاحب الدين.
- ٢- أن يُحسن اختيار اسمه وتأدبيه بالقيم والمبادئ وسائل آداب الحياة الكريمة.
- ٣- أن يعلمه الكتاب (القرآن الكريم) إذا عقل.
- ٤- أن ينفق عليه ويسوّه.

٥- أن يسوّي بين أولاده في العطاء قدر المستطاع، بين غنيّهم وفقيرهم، ذكورهم وإناثهم، حتى يسوّي بينهم في التقبيل.

٦- أن يعلم حرفه يتكسب منها وينمي مهاراته وقدراته ليستطيع أن يواجه بها حياته ويحمل بها مسئولياته بعد ذلك.

٧- أن يزوجه إذا بلغ، وهذا على سبيل الاستحباب.

\* \* \*

### ٣٩- باب حق الجار والوصية به

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَإِلَوَالَّذِينَ إِحْسَنُوا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْجَارِ ذُرِّيَّ الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَأَبْنِ الْسَّيِّلِ وَمَامَلَكَتْ أَيْمَنَكُمْ ﴾ [النساء: ٣٦].

(٣٩/٣٠٣) وعن ابن عمر وعاشرة رضي الله عنها قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظنت أن الله سيورثه». متفق عليه.

(٣٩/٣٠٤) وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «يا أبا ذر، إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها، وتعاهد جيراً ناك». رواه مسلم.

وفي رواية له عن أبي ذر، قال: إنَّ خليلي رضي الله عنه أو صاباني: «إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها، ثم انظر أهل بيتك منْ جيراً ناك، فأصبههم منها بمعروف».

(٣٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن!». قيل: من يأْمُنُ الله؟ قال: «الذِي لا يَأْمُنُ جاره بِوائِقَه». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «لا يدخلُ الجنةَ مَنْ لَا يَأْمُنُ جاره بِوائِقَه». (البواق): الغرائل والشروع.

(٣٩/٣٠٦) عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «يا نساء المسلمين، لا تحرقنَ جارة لجارتها ولَوْ فِرِسَنَ (أي: الفرسن للشاة كالقدم للإنسان، وهي الحافر) شَاءَ». متفق عليه.

(٣٩/٣٠٧) وعنه: أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره». ثم يقول أبو هريرة: «ما لي أراكُم عَنْهَا مُعْرِضِينَ! والله لازمِينَ بَهَا بَيْنَ أَكْنَافِكُمْ». متفق عليه.

روي **«خشبة»** بالإضافة والجمع، وروي **«خشبة»** بالثنين على الإفراد. قوله: ما لي أراك عنها مُعْرِضِينَ: يعني عن هذه السنة.

(٣٩ / ٣٠٨) وعن: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِنُ جَارُهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيُكْرِمْ صَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيُقْلِّ خَيْرًا أَوْ لِيُسْكُنْ». متفق عليه.

(٣٩ / ٣٠٩) وعن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيُكْرِمْ صَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيُقْلِّ خَيْرًا أَوْ لِيُسْكُنْ». رواه مسلم بهذا النطق، وروى البخاري بعضه.

(٣٩ / ٣١٠) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إنَّ لِي جارَيْنِ، فِإِلَى أَيِّهِمَا أَهْدِي؟ قال: «إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكَ بَابًا». رواه البخاري.

(٣٩ / ٣١١) وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الْأَصْحَاحِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْحِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

\* \* \*

### (حق الجار)

قال ابن حجر: **اسم الجار** يشمل المسلم وغير المسلم، والعابد والفاقد، والصديق والعدو، والغريب والبلدي (أي: الذي هو من أهل البلد)، والنافع والضار، والقريب والأجنبي، والأقرب داراً والأبعد.

**مراتب الجيرة:** أما أعلى المراتب فهو من اجتمع في الصفات الجميلة كلها أو أكثرها وهلَّ جرًّا، كلما نقصت صفة من صفاته الجميلة نقصت مرتبته، وكذلك من اجتمع في الصفات الأخرى كان أقلَّ الجيران حقًّا، وهكذا كلُّ حق بحسب حالة صاحبه.

أما حدُّ الجار وإلى أي مسافة يُعتبر الجار؛ فقال علي رضي الله عنه: من سمع نداء الصلاة مثلُك فهو جارك. وقيل: **من صلى معك صلاة الصبح في المسجد فهو جار؛** وذلك لأنَّ

من يُصلّى الفجر في الغالب لا يركب ركوبه، فبيته قريب.

وقالت عائشة: حدُّ الجوار أربعون داراً من كُلِّ جانب. وإن كانت الديار في زمانهم أشبأه بالبيوت الصغيرة، وليس الأبنية العالية التي قد تصل إلى عشرة أو عشرين أو ثلاثين طابقاً.

وقيل: إن الجار القريب يقصد به الجار الذي بينك وبينه قرابة، بعكس الجار الجُنْبُ فهو جار لك وليس بينك وبينه قرابة.

وروي عن عمرو بن الحمق مرفوعاً: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدِ خَيْرًا عَسَلَهُ قيل: وما عَسَلَه؟ قال: يُحِبُّهُ إِلَى حِيرَانِهِ الخرائطي (مكارم الأخلاق) برقم (٢٦٦). وقال مَا آتَنَّ بِي مَنْ بَاتَ شَبَّعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ. الحاكم في المستدرك (٢/ ١٥) برقم (٢١٦٦).

وجاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو جاره، فقال: إِذْهَبْ فَاصْبِرْ. فأتاه مرتين أو ثلاثة فقال: إِذْهَبْ فَاطْرُحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ. فطرح متاعه في الطريق، فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره، فجعل الناس يلعنون جاره: فعل الله به وفعل وفعل. فجاء إليه جاره فقال له: ارجع لا ترى مني شيئاً تكرهه. صحيح ابن حبان برقم (٥٢٠).

وقال مَا تَقُولُونَ فِي الْزَّنَادِ؟. قالوا: حرام؛ حرّمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيمة. قال رسول الله ﷺ: لَأَنْ يَرْزُنِي الرَّجُلُ بِعَشْرِ نِسْوَةٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْزُنِي بِامْرَأَةٍ جَارِهِ. ما تقولون في السرقة؟ قالوا: حرام؛ حرّمها الله ورسوله، فهي حرام إلى يوم القيمة. قال: لَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشَرَةِ أَبِيَاتٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ بَيْتَ جَارِهِ. البخاري في الأدب المفرد برقم (١١٦)، صحيح الألباني (صحيف الأدب المفرد) ص (٦٨).

ومما يروى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً: أَنْدِرِي مَا حَقُّ الْجَارِ؟ إِذَا اسْتَعَانَكَ أَعْتَهُ، وَإِذَا اسْتَقْرَضَكَ أَفْرَضْتُهُ، وَإِذَا افْتَقَرَ عُدْتَ عَلَيْهِ، وَإِذَا مَرَضَ عُدْتَهُ، وَإِذَا أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَّاثٌ، وَإِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيَّةٌ عَزَّيْتُهُ، وَإِذَا مَاتَ اتَّبَعْتَ جِنَاحَتَهُ، وَلَا تَسْتَطِلُّ عَلَيْهِ بِالبُنْيَانِ فَتَحْجُبَ عَنْهُ الرِّيحَ إِلَّا يَإِذْنِهِ، وَلَا تُؤْذِهِ بِقُتَارِ رِيحِ قِدْرِكَ (أي: رائحة الطعام المطبخ) إلا أن تَعْرِفَ لَهُ مِنْهَا، وإن اشْتَرَيْتَ فاكِهَةً فَأَهْدِ لَهُ، فإن لم تَفْعَلْ فَأَدْخِلْهَا سِرَّاً، ولا يَخْرُجُ بِهَا وَلَدُكَ لِيَغْيِظَ بِهَا وَلَدَهُ. البيهقي في الشعب (٧/ ٨٣) برقم (٩٥٦٠).

وروي عن نافع بن عبد الحارث مرفوعاً: «مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكُبُ الْهَنَيءُ، وَالْمَسْكُنُ الْوَاسِعُ». أحمد في مسنده (٤٠٧ / ٣) برقم (١٥٤٠٩).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه ذبح شاة فقال: أهديتم لجاري اليهودي؟ فإني سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوْصِينِي بِالْجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ». متفق عليه.

ويُروى أنه جاء رجل إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له: إن لي جاراً يؤذيني ويشتمني ويضيق عليّ؟ فقال: فاذهب، فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه. وكان الحسن البصري : لا يرى بأساً في أن تطعم جارك اليهودي والنصراني من أضحيتك. وقيل: حفظ الجوار من كمال الإيمان.

وقال علي رضي الله عنه: الجار قبل الدار، والرفق قبل الطريق. وقال علي للعباس رضي الله عنهما: ما بقي من كرم أخلاقك؟ قال: الإفضال على الإخوان، وترك أذى الجيران. وقال عمر رضي الله عنه: من حق الجار أن تبسط له معرفتك، وتكتف عنه أذاك. قال العلماء: الوصية بالجار مأمور بها ومندوب إليها، مسلماً كان أو غير ذلك، وهو الصحيح في الشرع.

والجيران ثلاثة: جار له حق واحد، وهو الجار غير المسلم. وجار له حقان: وهو الجار المسلم: له حق الإسلام، وحق الجوار. وجار له ثلاثة حقوق: وهو الجار المسلم ذو الرحم: فله حق الإسلام، وحق الرحم، وحق الجوار. فمن زاد على ذلك بالرفق وإسداء المعرفة فهو خير له. والجوار له مشاكله كذلك، مكتوب في التوراة: إن أحسد الناس للعالم وأبغاه عليه قرابته وجيرانه. وقال عكرمة : أزهد الناس في عالم جiranه. وقال رجل لسعيد بن العاص: والله إني لأحبك. فقال: ولم لا تُحبني ولست بجار لي ولا ابن عم. وكان يقال: الحسد في الجيران، والعداوة في الأقارب. وقال الحسن البصري : إلى جنب كل مؤمن منافق يؤذني. وقال عاصي رضي الله عنه: «إِنَّ أَوَّلَ حَصْمَيْنِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ جَارَانِ». أحمد في مسنده (٤ / ١٥١) برقم (١٧٤١٠).

**جملة حق الجار:** أن تبتدئه بالسلام، ولا تُطيل معه الكلام على وجه يُعطيه أو يُسبّب له الضيق، ولا تُكثر السؤال عن حاله بطريقة مملة، وتعوده في المرض، وتعزّيه في المصيبة، وتقوم معه في العزاء، وتهنّه في الفرح، وتشاركه في المسّرات، وتصفح عن زلاته، ولا تتطلّع إلى عوراته، ولا تُضيّق الطريق إلى داره، ولا تُتبع النظر فيما يحمله من شيء إلى داره، وتستر ما انكشف لك من عوراته، ولا تغفل عن ملاحظة داره عند غيابه، ولا تسمع عليه ما يُؤذيه، وتغضّ البصر عن حرمتها، وتتلطّف بولده وترشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه.

\* \* \*

#### ٤٠- بَابُ بِرِ الْوَالِدِينِ وَصَلَةُ الْأَرْحَامِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا شَرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنَا وَبِذِيِّ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِيِّ الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّيِّلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء: ٣٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ [النساء: ١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ [الرعد: ٢١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَنَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت: ٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا إِمَّا يَلْعَنَ عِنْدَكُمُ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كَلَاهُمَا فَلَا تَقْتُلُ لَهُمَا فَيْقَدِّرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٣٣ ﴾ ﴿ ٤٤ ﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الْذَلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّيْ أَرْحَمَهُمَا كَمَا رَبَّيْتَهُمَا صَفِيرًا ﴾

[الإسراء: ٢٤، ٢٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَنَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهُنَّا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيَّكَ ﴾ [القمان: ١٤].

(٤٠) وَعَنْ أَبِي عِبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ

إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَفْتَهَا». قُلْتُ: ثُمَّ أَيْ؟ قَالَ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيْ؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». متفق عليه.

(٤٠/٣١٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يجزي ولدًا إلا أن يحده ممלוًكاً، فيشتريه فيعنة». رواه مسلم.

(٤٠/٣١٤) وعن أبي أيض رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كان يؤمِن بالله واليوم الآخر فليكرِم صيفته، ومن كان يؤمِن بالله واليوم الآخر فليصلِّ رحمة، ومن كان يؤمِن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليضمِّن». متفق عليه.

(٤٠/٣١٥) وعنده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحْمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مُقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ». قال: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَّ مِنْ وَصْلَكِ، وَأَقْطَعَ مِنْ قَطْعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى. قال: فَذَلِكَ لَكِ». ثُمَّ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَقْرِءُوا إِنْ شِئْتُمْ فَهَلْ عَسِيْتُمْ إِنْ تَوَلَّتُمْ أَنْ تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ أَوْ لَيْكَ الَّذِينَ لَعَنْهُمُ اللَّهُ فَأَصْمَمْهُمْ وَأَعْنَمْ أَبْصَرَهُمْ» (٤٠/٣١٥) [محمد: ٢٢، ٢٣]. متفق عليه.

وفي رواية للبخاري: «فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ».

(٤٠/٣١٦) عنه رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أبوك». قال: ثم من؟ قال: «أبوك». متفق عليه.

وفي رواية: يا رسول الله، من أحق بحسن الصحابة؟ قال: «أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبك، ثم أدناك أدناك» وفي رواية: «ثم أبوك»، وهذا واضح.

والصحابي: بمعنى الصحبي. قوله: «ثُمَّ أَبُوك». هكذا هو منصوب بفعل محدثه، أي: ثُمَّ بَرَ أَبُوك.

(٤٠/٣١٧) عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَغْمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغْمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغْمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ أَبُويهِ عِنْدَ الْكَبِيرِ، أَحَدُهُمَا أَوْ كِلْهُمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ». رواه مسلم.

(٤٠/٣١٨) عنه رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي قرابةً أصلهم ويعطونني، وأحسن إليهم وسيسيون إلي، وأحل عنهم ويجهلون على. فقال: «لَيْسْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَانَنَّا سَفِهُمُ الْمَلِ، وَلَا يَرَأُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرًا عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ». رواه مسلم.

وَالشُّفَهُمْ بضم الشاء وكسر السين المهملة وتشديد الفاء. والملُّ بفتح الميم، وتشديد اللام، وَهُوَ: الرَّمَادُ الْحَارُّ، أي: كَانَمَا تُطْعِمُهُمُ الرَّمَادُ الْحَارُّ، وَهُوَ تَشِيهٌ لِمَا يُلْحَقُهُمْ مِنَ الإِثْمِ بما يلحق أكيل الرَّمَادِ الْحَارِّ مِنَ الْأَلِمِ، وَلَا شَيْءٌ عَلَى هَذَا الْمُحْسِنِ إِلَيْهِمْ، لِكِنْ يَنَاهُمْ إِنْ كَانُوا عَظِيمُ بِتَصْسِيرِهِمْ فِي حَقِّهِ، وَإِذْخَالِهِمُ الْأَدَمَى عَلَيْهِ. وَاللهُ أَعْلَم.

(٤٠) / ٣١٩) وعن أنس رض: أنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْطَلَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُسْأَلَهُ فِي أُثْرِهِ، فَلَيُصِلَّ رَحْمَهُ». متفق عليه. ومعنى يُسْأَلَهُ فِي أُثْرِهِ أي: يؤخر له في أجله وعمره.

(٤٠) / ٣٢٠) وعنه قال: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَا لَا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرَ حَاءَ، وَكَانَتْ مَسْتَقْبَلَةُ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا، وَيَشْرُبُ مِنْ مَاءِ فِيهَا طَيْبٌ، فَلَمَّا نَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ: فَلَمَّا نَتَّلُوا الْبَرَّ حَتَّىٰ تُفِيقُوا مِمَّا تَحْبُّونَ [آل عمران: ٩٢] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: فَلَمَّا نَتَّلُوا الْبَرَّ حَتَّىٰ تُفِيقُوا مِمَّا تَحْبُّونَ وَإِنَّ أَحَبَّ مَالِي إِلَيَّ يَسْرَحَاءُ، وَإِنَّهَا صَدَقَةُ اللَّهِ تَعَالَى، أَرْجُو بَرَّهَا وَدُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَخْ! ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ! وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبَيْنَ». فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعُلُ يَارَسُولَ اللهِ. فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَفْارِيَهِ وَتَنِي عَمَّهِ. متفق عليه. وسيق بيان الفاظ في باب الإنفاق مما يحب.

(٤٠) / ٣٢١) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رض: قال: أقبلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أُبَيِّعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ: «فَهَلْ لَكَ مِنْ وَالدِّينَكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟» قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلَّاهُمَا. قَالَ: «فَكَبَّتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَى وَالدِّينِكَ، فَأَحْسِنْ صُحْبَتِهِمَا». متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

وفي رواية لهما: جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: «أَحَيٌّ وَالدِّيَكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدُ». (٤٠)

(٤٠) / ٣٢٢) وعنه: عن النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ (أي: يرد المعاملة بالمثل)، ولكنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قَطَعْتَ رَحْمَهُ وَصَلَّهَا). رواه البخاري. و«قطَعْتُ» بفتح القاف والطاء. و«رَحْمُهُ» مرفع.

(٤٠) / ٣٢٣) وعن عائشة قَاتَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرَّحْمُ مُعْلَقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَّنِي وَصَلَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ». متفق عليه.

(٤٠ / ٣٢٤) وعن أم المؤمنين ميمونة بنت العمار رضي الله عنها قالت: إنها اعتقت وليدة ولم تستأذن النبي ﷺ، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه، قالت: أشعرت يا رسول الله أني اعتقت وليدي؟ قال: «أو فعلت؟» قالت: نعم. قال: «اما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك». متفق عليه.

(٤٠ / ٣٢٥) وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها قالت: قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ، فاستعنت برسول الله ﷺ، قلت: قدمت على أمي وهي راغبة، أفالصلAmy؟ قال: «نعم، صلي أمك». متفق عليه. قوله: «راغبة» أي: طامعة عندي سألني شيئاً، قيل: كانت أمها من النسب، وقيل: من الرضاعة، وال الصحيح الأول.

(٤٠ / ٣٢٦) وعن زينب الثقفيه امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنها وعنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «تصدقن يا معاشر النساء ولو من حليلكم». قالت: فرجعت إلى عبد الله بن مسعود، فقلت له: إنك رجل خفيف ذات اليد، وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدق فاتته فاسأله، فإن كان ذلك يجزئ عنّي وإلا صرفتها إلى غيركم. فقال عبد الله: بل أشيء أنت. فانطلقت، فإذا امرأة من الانصار بباب رسول الله ﷺ حاجتها حاجتها، وكأن رسول الله ﷺ قد أقيمت عليه المهابة، فخرج علينا فقلنا له: أتيت رسول الله ﷺ، فأخبره أنّ امرأتين بالباب تسألانك: أتجزئ الصدقة عنّهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما؟ ولا تخبره من نحن. فدخل بالل على رسول الله ﷺ فسأل، فقال له رسول الله ﷺ: «من هما؟» قال: امرأة من الانصار وزينب. فقال رسول الله ﷺ: «أي زينب هي؟» قال: امرأة عبد الله. فقال رسول الله ﷺ: «لهمما أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة». متفق عليه.

(٤٠ / ٣٢٧) وعن أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه في حديثه الطويل في قصة هرقل: أن هرقل قال لأبي سفيان: فماذا يأمركم به؟ - يعني النبي ﷺ - قال: قلت: يقول: «اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباءكم، ويأمروننا بالصلة، والصدق، والعفاف، والصلة». متفق عليه.

(٤٠ / ٣٢٨) وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستُفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط» (أي: القيراط: جزء من أجزاء الدينار والدرهم والفلان وغيرها). وفي رواية: «ستُفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً».

فَإِنَّ لَهُمْ ذَمَّةً وَرَحْمًا».

وفي رواية: «فِإِذَا افْتَحْتُمُوهَا، فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا؛ فَإِنْ لَهُمْ ذَمَّةً وَرَحْمًا». أَوْ قَالَ: «ذَمَّةً وَصِهْرًا». رواه مسلم. قال العلماء: الرَّحْمُ الَّتِي لَهُمْ كَوْنٌ هَاجِرَ أُمٌ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُمْ، وَالصِّهْرُ كَوْنٌ مَارِيَّةٌ أُمٌ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُمْ».

(٤٠) / ٣٢٩) وعن أبي هريرة رض قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبَينَ﴾ ٥٦ [الشعراء: ٢١٤] دعَا رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قُرْيَشاً، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، وَقَالَ: «يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، يَا بَنِي كَعْبٍ بْنِ لُؤْيٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةَ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أُمِلُّ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، غَيْرَ أَنْ لَكُمْ رَحْمَةً سَأْبِلُهَا بِيَلَالَهَا»). رواه مسلم.

قوله رض: «بِيَلَالَهَا» هو بفتح الباء الثانية وكسرها، والبِلَالُ الماء. ومعنى الحديث: سأصلها، شبه قطعتها بالحرارة تُطْلَعُ بالماء وهذه تبرد بالصلة.

(٤٠) / ٣٣٠) وعن أبي عبد الله عمرو بن العاص رض قال: سمعت رَسُولَ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ جِهَارًا غَيْرَ سِرًّا، يَقُولُ: «إِنَّ آلَّ بَنِي فُلَانَ لَيُسُوِّبُوا بِأَوْلَائِي، إِنَّمَا وَلَيَّ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنْ لَهُمْ رَحْمٌ أَبْلَلُهَا بِيَلَالَهَا». متفق عليه، واللفظ للبخاري.

(٤٠) / ٣٣١) وعن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رض: أَنَّ رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللهِ، أَحْبَرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ. فَقَالَ النَّبِيُّ رض: «تَعْبُدُ اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقْبِلُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَةَ، وَتَصْلُ الرَّحْمَمَ». متفق عليه.

(٤٠) / ٣٣٢) وعن سلمان بن عامر رض: عن النبي رض قال: «إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقْطُرْ عَلَىٰ تَمْرٍ؛ فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ تَمْرًا فَالْمَاءُ؛ فَإِنَّهُ طَهُورٌ». وَقَالَ: «الصَّدَقَةُ عَلَى الْمُسْكِنِ صَدَقَةٌ، وَعَلَىٰ ذِي الرَّحِيمِ ثَنَانٌ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٤٠) / ٣٣٣) وعن ابن عمر رض قال: كَانَتْ تَحْتِي امْرَأَةً، وَكُنْتُ أَحِبُّهَا، وَكَانَ عُمَرُ يَكْرُهُهَا، فَقَالَ لِي: طَلَّقْهَا، فَأَبَيْتُ، فَأَتَى عُمَرُ رض النَّبِيَّ رض فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ رض: «طَلَّقْهَا». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٤٠) / ٣٣٤) وعن أبي الدرداء رض: أَنَّ رجلاً أَتَاهُ، قَالَ: إِنَّ لِي امْرَأَةً وَإِنَّ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلَاقِهَا.

فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الوَالُّدُّ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ، فَأَضْعِفْ ذَلِكَ الْبَابَ، أَوْ احْفَظْهُ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٤٠ / ٣٣٥) وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما: عن النبي صلوات الله عليه وسلم قَالَ: «الخَالِهُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ». رواه الترمذى، وقال: « الحديث حسن صحيح».

وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح مشهورة؛ منها حديث أصحاب الغار، وحديث جريراً وقد سبق، وأحاديث مشهورة في الصحيح حذفتها اختصاراً، ومن أهمها حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه الطويل المستتمِل على جملة كثيرة من قواعد الإسلام وأدابه، وسأذكره بتمامه إن شاء الله تعالى في باب الرجاء، قال فيه: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلم بِمَكَّةَ - يعني: في أول النبوة - فقلتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «نَبِيٌّ». فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلْنَا اللَّهُ تَعَالَى». فقلت: بأي شيء أرسلك؟ قَالَ: «أَرْسَلْنَا بِصَلَةِ الْأَرْحَامِ وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْءٌ...». وذكر تمام الحديث. والله أعلم.

\* \* \*

### (بر والوالدين)

لا يخفى على أي عاقل معتدل الأخلاق أن للمنعم حقاً عليه، ولا منعم بعد الله سبحانه  
على العبد كالوالدين، فاللام بحمله حملت أثقالاً كثيرةً وتکبت في وضعه مشقة كبيرةً،  
وسهرت في تربيته وملاطفته ومداعبته أياماً وليلياً طويلاً، وأحررت شهواتها وطلباتها من  
أجله، وقدّمته على نفسها في كل كبيرة وصغيرة.

وأما الوالد فقد تحمل مع ما تحمله من جهد لكسب نفسه في إيجاد ابنه بكلفة الزواج  
والمهر وخلافه، وصار محبّاً له شغوفاً عليه، وقام بالتربيه والتکسب من أجل طلباته  
والإنفاق عليه. والعاقل يعرف حق كل محسن ويجهد في مكافأته، وجهل الإنسان  
بحقوق المنعم من أحسن صفاته وأردتها، فإذا أضاف إلى ذلك سوء الأدب في المعاملة؛  
فإنما يدل ذلك على خبث النفس والطبع ولؤمها، وسوء الخاتمة والعياذ بالله.

ومهما بالغ الإنسان في بر والديه فلن يوفّي شكرهما.

**بر الوالدين:** قال الله تعالى: ﴿وَقَصَنَ رَبِّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنَا إِمَّا يَتَّلَعَّنَ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَّاهُمَا فَلَا تَنْقُلْ لَهُمَا أُفْ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾١٣﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا إِلَيْهِنَا بِوَالِدِيهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهُنَّا صَغِيرًا ﴾١٤﴾ [لقمان: ١٤].

وقد سُئل النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «الصلوة على وقتها». قال: ثم أي؟ قال: «ثُمَّ بِرُ الْوَالِدَيْنِ». قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» متفق عليه.

وقال ﷺ: «لا يجزي ولدًا إلا أن يجده مملاً كافيشتريه فيعتقه». مسلم برقم (١٥١٠).

وعن أبي هريرة رض قال: قال النبي ﷺ: «رَغْمَ (أي: وضع أنه في التراب ذلة ومهانة) أَنْفُ، ثُمَّ رَغْمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغْمَ أَنْفُ مَنْ أَذْرَكَ أُبُوبِهِ عِنْدَ الْكِبَرِ؛ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَّاهُمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ». مسلم برقم (٢٥٥١).

ويقول كعب الأحبار: مكتوب في التوراة: يا ابن آدم، اتق ربك، وbir والديك، وصل رحمك، Amil لك في عمرك، وأيسرك لك يسرك، وأصرف عنك عسرك.

وعن أبي هريرة رض قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أبوك». متفق عليه.

### آداب التعامل مع الوالدين:

- ١ - إذا احتاج أحدهما أو كلاهما إلى الطعام أطعنه.
- ٢ - إذا احتاج أحدهما أو كلاهما إلى الكسوة كساه إن قدر عليها.
- ٣ - إذا احتاج أحدهما أو كلاهما إلى الخدمة خدمه.
- ٤ - إذا دعاه أحدهما أو كلاهما أجابه.
- ٥ - إذا أمر بأمر في غير معصية أطاعه.
- ٦ - أن يتكلم معهما باللين وخفض الصوت ولا يتكلم بالغلظة.

٧- ألا يدعوهما باسمهما، بل يقول: يا أبٍت، أو يا والدي، أو يا أبي، أو يا بابا، أو يا أمي.

٨- ألا يسبهما ولا يُسْتَسْبَّ لهما (أي: يتسبّب لهم في الشتم).

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامًا قَالَ: «مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالْدَّيْهِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَلْ يَشْتَمُ الرَّجُلُ وَالْدَّيْهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، يَسْبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسْبُّ أَبَاهُ، وَيَسْبُّ أُمَّهُ، فَيَسْبُّ أُمَّهُ» متفق عليه، واللفظ لمسلم.

٩- ألا يمشي أمامهما تكبراً واستعظاماً لنفسه ولا يجلس قبلهما في مجلس تميزاً وتكريماً لنفسه؛ فإنه يورث الفقر.

١٠- أن يرضى لهما ما يرضي لنفسه، ويكره لهما ما يكره لنفسه.

١١- أن يدعوهما بالغفرة كما يدعو لنفسه، قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا آغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

وقال بعض التابعين: من دعا لأبويه في كل يوم خمس مرات فقد أدى حقهما؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَوَصَّيْنَا إِلَيْنَاهُ يَوْلَدَهُ أُمَّهُ وَهُنَّا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَلَهُ، فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيَكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [القمان: ١٤].

فمن شكر الله تعالى أن يصلّي في كل يوم خمس مرات، فكذلك شكر الوالدين أن يدعوهما في كل يوم خمس مرات. وقيل: إن الرجل ليموت والده وهو عاقد لهما، فيدعوه الله لهم بعد موتهما فيكتبه الله من البارين.

قال بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: ترك الدعاء للوالدين يضيق العيش على الولد، وكذلك الدعاء لهما يوسع العيش عليه. وقال الحسن: البر أن تطعهما في كل ما أمراك به ما لم تكن معصية لله، والعقوق هيجرانهما وأن تحرمهما خيراً.

قال المؤسرون في قوله تعالى: ﴿وَأَنْخِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الَّذِي مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْجُمُهُمَا كَارِبَيَافِ صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]: هو ألا يمنعهما من شيء أراداه.

والعلماء يقولون: حق الأم أعظم من حق الأب، ولكل حق.

ورأى ابن عمر رجلاً يطوف بالبيت حاماً أمّه ويقول لها: أتّرني جزئك يا أمّاه؟ قال ابن عمر: ولا طلقة واحدة. أو: ولا زففة واحدة.

وقال رجل للحسن : إنّي أتعلّم القرآن، وإنّ أمّي تتّضرني بالعشاء؟ فقال الحسن: تَعَشَ العشاء مع أمّك تَقْرَبَ عينها، فهذا أحّب إلىّي من حجة تحجّها طُوعاً.

وسئل ابن عباس عن رجل قتل امرأة خطأ: ما توبته؟ قال: إنّ كان له أبوان فليبرهما ما داما حيّين، فلعل الله أن يتّجاوز عنه.

وقال مكحول : بِرُ الوالدين كفارة للكبائر.

ويقول محمد بن المنكدر : بِتْ أغمز (أي: أدلّك) رجل أمي، وبات عمّي يصلّي ليته، فما تسرّني ليته بليلتي. وقال عبد الله بن عوف : النّظر إلى الوالدين عبادة.

ورأى أبو هريرة رجلاً يمشي خلف رجل، فقال: من هذا؟ فقال: أبي. قال: لا تدعه باسمه، ولا تجلس قبله، ولا تمشي أمامه (أي: تكبرًا وفخرًا).

وقال الحسن : أربع من كن فيه ألقى الله عليه محبته ونشر عليه رحمته: من بَر والديه، ورفق بملوكه، وكفل اليتيم، وأغاث الضعيف.

وقيل في الحكمة: أربع لا ينبغي للشريف أن يأنفّ منه: قيامه عن مجلسه لأبيه، وحديثه ضيفه، وقيامه (أي: خدمته) على فرسه وإن كان له مائة عبد، وخدمة العالم ليأخذ من علمه. وقيل أيضًا: خمسة لا يستحبّ من خدمتهم: السلطان، والوالد، والعالم، والضييف، والدابة.

**تحريم العقوق:** قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أَنْبَكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟» ثلثًا. فقيل: بلّى، يا رسول الله. قال: «إِلَّا شَرَكُوكُمْ بِاللهِ، وَعَقُوقُ الْوَالَّدِينِ...» متفق عليه.

**ما العقوق؟** هو أن يأتي الولد ما يتّأذى به الوالد ونحوه تأدّيًّا ليس بالهين، أو يُفرّط في الحقوق التي ذكرناها عن الوالد، أو هو مخالفه الوالدين فيما يأمران به من المباح، وسوء الأدب في القول والفعل.

**تبنيه:** يجب ألا يُفرّط الولد في بِر والديه إفراطاً يُخلّ بحقوق الآخرين، كالأولاد والزوج والأقارب وسائر من له حقوق عليه، فلا إفراط ولا تفريط، ويجب على الوالدين إعانته

على ذلك. ومن بُرُّ الوالدين بعد موتهما أن يأْتِي ما يسُرُّهما من الطاعات لله تعالى وغيرها مما ليس مَنْهِيًّا عنه، ومن البر كذلك الإحسان إلى أصدقائهما بعد موتهما.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ أَبَرَ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أَبِيهِ. مسلم برقم (٢٥٥٢).

ومن أَبِي أُسَيْدِ مالِكٍ بن ربيعة الساعدي رضي الله عنهما قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنْيِ سَلَمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ بَقَيَ مِنْ بُرُّ أَبْوَيِّ شَيْءًا أَبْرُهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ فَقَالَ: «نَعَمُ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالاسْتغْفارُ لَهُمَا، وَإِنْفاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحْمِ الَّتِي لَا تُوَصَّلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا». البخاري في الأدب المفرد برقم (٣٥)، وأبو داود برقم (٥١٤٢).

ويقول ابن عمر رضي الله عنهما: بكاء الوالدين (أي: أَيْ بسبب ولدهما) من العقوق.

وقيل: ما بَرَّ والديه من أحد النظر إليهمَا (أي: نظر إليهما بحدة).

ويقول ابن مُحَيْرِيز : مَنْ مَشَى بَيْنَ يَدِي أَبِيهِ (أي: مشى أمامه تعظيمًا لنفسه على أبيه) فقد عَقَّهُ، إلا أن يمشي فِيمَيْط لِهِ الْأَذْى عن طريقه، ومن دعا أباه باسمه فقد عَقَّهُ، إلا أن يقول: يا أَبِي.

ويقول مجاهد : لَا يُنْبَغِي لِلْوَلَدِ أَنْ يَدْفَعَ يَدَهُ وَالَّدَهُ عَنْهُ إِذَا ضَرَبَهُ. وقال: مَنْ سَدَّ الْفَنَّرَ (أي: نظر بحدة وغضب) إِلَى وَالَّدِيهِ فَلَمْ يَرَهُمَا، ومن أدخل عليهما حزنًا فقد عَقَّهما.

ويقول الحسنُ : مُتَهَى الْقَطِيعَةِ أَنْ يُخَاصِّمَ (أي: يقاضي) الرَّجُلُ أَبَاهُ عِنْدَ السُّلْطَانِ.

ويقول يزيد بن أبي حَيْبٍ : إِيجَابُ الْحُجَّةِ عَلَى الْوَالِدِ (أي: إقامة الحجة انتصارًا لنفسه) عقوق.

وَسْئِلَ الْحَسَنُ : عَنِ الْبِرِّ (أي: للوالدين)؟ فَقَالَ: الْحُبُّ وَالبَذلُ. فَسُئِلَ: فَمَا الْعَقُوقُ؟ قَالَ: تَهْجِرُهُمَا وَتُحرِمُهُمَا. وَيَقُولُ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: لَا تُصَادِقُ عَاقًا؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَبْرُكَ وَقَدْ عَقَّ مَنْ هُوَ أَوْجَبُ حَقًا مِنْكَ عَلَيْهِ. وَكَانَ ابْنُ عَوْنَ : إِذَا نَادَتْهُ أُمُّهُ فَأَجَابَهَا فَعَلَا صَوْتُهُ، أَعْتَقَ رَبِّيْتِينَ.

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: كَانَ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَرَّ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بِأَهْمَهِمَا: عثمان بن عفان رضي الله عنهما، وحارثة بن النعمان رضي الله عنهما. فأما عثمان فإنه قال: ما قدرت أن أتأمل أمي منذ أسلمتُ. وأما حارثة فإنه كان يُفْلِي رأسَ أمه ويطعمها بيده، ولم يستفهمها كلامًا قطٌّ تأمره به حتى يسأل من عندها بعد أن يخرج: ماذا قالت أمي؟

ويقول لقمان لابنه: يَا بُنَيَّ، إِنَّ الْوَالِدِينَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، إِنْ رَضِيَا عَنْكَ مَضَيْتَ إِلَى

الجنة، وإن سخطا حُجبتَ. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «ثلاث دعوات مُستجَبات لا شك فيهنَّ: دعوة المظلوم، ودعوه المسافر، ودعوه الوالد على ولديه». أحمد

في مسنده (٢) برقم (٧٥٠١)، حسنة الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٠٣١).

ويقول الحسن : دعاء الوالدين يثبت (أي: يحفظ) المال والولد. وسائل رجل الحسن : ما دعاء الوالد لولده؟ قال: نجا. ويقول مجاهد : دعوه الوالد لا تُحجب عن الله.

\* \* \*

#### ٤١- باب تحرير العقوبة وقطعية الرحمة

قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسِيْتُمْ إِنْ تَوَلَّتُمْ أَنْ تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعْنَهُمُ اللَّهُ فَاصْمَهُمْ وَأَعْمَمْ أَبْصَرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيقَاتِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُقْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَنَّةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيمَانَهُ وَإِلَّا وَالَّذِينَ إِلَّا يَحْسَنُوا إِمَّا يَلْعَنُ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَّاهُمَا فَلَا تَقْتُلْ لَهُمَا أَثْنَيْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قُولًا كَيْرِيًّا وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الْذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمَهُمَا كَمَا رَبَّيَافِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٤، ٢٣].

(٤١) وعن أبي بكره ثقيف بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «ألا أُنْسِكُمْ بأكْبَرِ الكبائر؟» ثلاثاً، قلنا: بلى، يا رسول الله. قال: «الإسراء بالله، وعقوبة الوالدين». وكان متوكلاً فجلس، فقال: «ألا وقول الزوج وشهادة الزوج». فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. متفق عليه.

(٤١) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلم: «الكبائر: الإسراء بالله، وعقوبة الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس». رواه البخاري.

«اليمين الغموس»: التي يحلفها كاذباً عادماً، سميت غموساً لأنها تغمض الحالف في الإثم.

(٤١) وعنه: أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم قال: «من الكبائر شتم الرجل والديه!». قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «نعم، يسب أبو الرجال، فيسب أباه، ويسب أمه».

فَيُسْبُتُ أُمّهُ». متفق عليه.

وفي رواية: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالدِّينِ!». قيل: يا رسول الله، كيف يلعن الرجل والدينه؟ قال: «يُسْبُتُ أبا الرجل، فَيُسْبُتُ أباهُ، وَيُسْبُتُ أُمّهُ، فَيُسْبُتُ أُمّهُ». (٤١ / ٣٣٩) وعن أبي محمد جعير بن مطعم رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه قال: «لا يدخل الجنة قاطع». قال سفيان في روايته: يعني: قاطع رحم. متفق عليه.

(٤١ / ٣٤٠) وعن أبي عيسى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاٰتِ، وَوَادِ الْبَنَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ». متفق عليه. قوله: «مَنْعًا» معناه: منع ما وجَبَ عَلَيْهِ. و«هَاٰتِ»: طلب مَا لَيْسَ لَهُ. و«وَادِ الْبَنَاتِ» معناه: دفعهن في الحياة. و«قِيلَ وَقَالَ» معناه: الحديث بكل ما يسمعه، فيقول: قيل كذلك، وقال فلان كذلك مما لا يعلم صحته، ولا يظنهما، وكفى بالمرء كذلك أن يحدث بكل ما سمعه. و«إِضَاعَةَ الْمَالِ»: تبذيره وصرفه في غير الوجوه المأذون فيها من مقاصد الآخرة والدين، وتترك حفظه مع إمكان الحفظ. و«كَثْرَةَ السُّؤَالِ»: الإلحاح فيما لا حاجة إليه. وفي الباب أحاديث سبقت في الباب قبله كحديث: «وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ»، وحديث: «مَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ». \*

\* \* \*

### (صلة الأرحام)

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّاسُ اتَّقُوا رِبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَنِسِينَ وَجَنَّوْهُ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهَا بِرْجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَنْقَوا اللَّهَ الَّذِي سَأَمَّ لَوْنَبِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [ النساء: ١]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَّلَ وَخَشَوْتُ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْعِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلوات الله عليه قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلِيَكُرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلِيَصِلْ رَحْمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلِيُقْلِ خَيْرًا أو لِيَصُمُّتْ» متفق عليه.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَ الرَّحْمُ فَقَالَتْ: هَذَا مُقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ

أَصِلَّ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى. قَالَ: فَذَلِكَ لَكِ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ» **﴿فَهَلْ عَسِيْتُمْ إِنْ تَوَلَّتُمْ أَنْ تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَنْهَمُ اللَّهُ فَاصْنَهُمْ وَأَعْمَنَ أَبْصَرَهُمْ﴾** [٢٣] [محمد: ٢٢]. متفق عليه.

وعن أنس بن علي عليهما السلام أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْطَلِّهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثْرِهِ، فَلَيُصْلِّ رَحْمَةً» متفق عليه. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال النبي ﷺ: لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِيِّ، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحْمُهُ وَصَلَهَا». البخاري برقم (٥٩٩١).

وعن سليمان بن عامر قال: «الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحْمِ ثَنَانٍ: صَدَقَةٌ وَصَلَةٌ». أَحْمَدَ فِي مُسْنَدِهِ (٤٧) بِرَقْمِ (١٦٢٧٢).

وعن جعفر بن مطعم قال: أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ». يعني: قاطع رحيم. متفق عليه.

والأرحام هم القرابة عموماً من جهة الآباء والأمهات وما علا، والبنين والبنات وما نزل، والإخوة والأخوات، والأعمام والعمات، والأحوال والحالات، وأبناءهم، ونحوهم من القرابات. وأما صلة الرحم فهي أن يفعل الإنسان مع أقاربه ما يُعدُّ به مواصلاً غير متنافر ولا مقاطع:

١ - فلو زارهم يصلهم بهدية ونحوها إن كان مقيماً عندهم.

٢ - لو كانوا محتاجين وصلهم بمالٍ ونحوه.

٣ - إن لم يكونوا محتاجين لمالٍ أعانهم في أعمالهم.

٤ - ولو كان غائباً عنهم وصلهم بالخطابات وإرسال السلامات ولين الكلام ونحو ذلك.

٥ - وإن قدر على المشي إليهم فهو أفضل، وهذا في كل قريب له.

وقد قيل: ثلاثة تؤدى إلى البر والفاجر: الأمانة تؤدى إلى البر والفاجر، والعهد يوفى للبر والفاجر، والرحم توصل برة كانت أو فاجرة.

وثلاثة إذا كنَّ في الرجل لم يُشكَ في عقله وفضله: إذا حمده جاره، ورفيقه، وقرباته.

وأربعة تحتاج إلى أربعة: الحسب إلى الأدب، والسرور إلى الأمان، والقرابة إلى المودة، والعقل إلى التجربة.

وعن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ ذَبْنَ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدْخُلُهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ الْبَغْيِ وَتَطْبِعَةِ الرَّحْمِ». أبو داود برقم (٤٩٠٢).

**تنبيهات:** إذا تجاورت الأرحام تزاحمت الحقوق؛ أي: تنازعوا فيها؛ ولهذا يُنصح بعدم التجاورة بين الأقارب قدر المستطاع، كمثل بيوت العائلات مما يؤدي إلى الحسد والبغضاء، فيسبب هذا صعوبة على النفس، فيجب الحذر في التعاملات بين الأقارب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي قرابةً أصلهم ويقطعنوني، وأحسن إليهم ويسئون إلي، وأحمل عنهم ويجهلون علني. فقال رضي الله عنه: لئن كُنتَ كما قلت فكأنما تُسفهُ المل (أي: تطعمهم الرماد الحار، كنایة عن سوء فعلهم وحسن مقابلته لهم)، ولا يزال معك من الله تعالى ظهير (أي: معين) عليهم ما دمت على ذلك». مسلم برقم (٢٥٥٨).

وقد قيل: عشيرتك من أحسن عشرتك، وابن عمك من عمك خيره، وقرباتك من قرب منك نفعه، وأحب الناس إليك أخفهم ثقلًا عليك.

وعن حميد بن عبد الرحمن، عن أمّه أم كلثوم بنت عقبة- قال سفيان بن عيينة : وكانت قد صلت مع رسول الله ﷺ القبلتين - قالت: قال رسول الله ﷺ: **أَفَضَلُ الصَّدَقةِ عَلَى ذِي الرَّحْمِ الْكَاشِحِ** (أي: الذي يضم عداوته) [أحمد في مسنده (٤٠٢ / ٣)، برقم (١٥٣٥٥)، صحيح الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (١١١٠)]، ولهذا فإن ثواب صلة الأرحام كبير؛ لأنّه مخالف للنفس بشدة.



## ٤٢- باب فضل برأصدقاء الأب والأم والأقارب والزوجة

### وسائل من يندب إكرامه

(٤٢ / ٣٤١) عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَبَرَّ الْبَرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وَدَ أَبِيهِ».

رواہ مسلم.

(٤٢/٣٤٢) وعن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ، قَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، إِنَّهُمُ الْأَعْرَابُ وَهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَبَرَ الْبَرِّ صَلَةُ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدًّا إِلَيْهِ».

وفي رواية عن ابن دينار، عن ابن عمر: أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروح عليه فإذا مل ركوب الرحالة، وعمامه يشد بها رأسه، فبينا هو يوماً على ذلك الحمار إذ مر به أعرابي، فقال: ألسْتَ فُلانَ بْنَ فُلانِ؟ قال: بلى. فأعطاه الحمار، فقال: اركب هذا. وأعطاه العمامه وقال: اشدْدْ بها رأسك. فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك أعطيت هذا الأعرابي حماراً كنت ترُوح عليه، وعمامه كنت تشد بها رأسك. فقال: إنني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إنَّ مِنْ أَبْرَيزِ الْأَنْوَافِ أَهْلَ وَدٍ أَبْعَدُ أَنْ يُولَّى». وإن آباءك كان صديقاً لعمر عَلَيْهِ السَّلَامُ. روى هذه الروايات كلها مسلم.

(٤٢/٣٤٣) وعن أبي أَسِيدٍ - بضم الهمزة وفتح السين - مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِّنْ يَبْنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ يَقِيِّي مِنْ بْرِ أَبْوَيِّ شَيْءًا أَبْرُهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا» (أي: الدُّعَاءُ لِهِمَا)، وَالْاسْتغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَادُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِيمِ الَّتِي لَا تُوَصِّلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا». رواه أبو داود.

(٤٢/٣٤٤) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرتني على أحدٍ من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غرتني على خديجة رضي الله عنها، وما رأيتها قط، ولكن كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا إلا خديجة! فيقول: إنها كانت و كانت و كان لها منها ولد. متفق عليه.

وفي رواية: وإن كان ليدبّح الشَّاءَ فِي هُدْيٍ فِي خَلَائِلَهَا (أي: أصحابها) مِنْهَا مَا يَسْعَهُنَّ.

وفي رواية: كَانَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، يَقُولُ: «أَرْسِلُوا بِهَا إِلَيْيَّ أَصْدِقَاءَ حَدِيجَةَ».

وفي رواية: قَالَتْ: اسْتَأْذِنْتُ هَالَّةَ بْنَتُ خَوَيْلَدَ أُخْتَ خَدِيجَةَ عَلَيْهِ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ،

فَعَرَفَ اسْتِدَانَ حَدِيجَةَ، فَارْتَاحَ لِذِلِّكَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَالَّهُ بِنْتُ حُوَيْلَدٍ». قَوْلُهَا: «فَارْتَاحَ هُوَ  
بِالْحَاءِ، وَفِي «الْجَمْعُ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ» لِلْحُمَيْدِيِّ: «فَارْتَاحَ» بِالْعِنْ (حدیث ٢٢٣)، وَمَعْنَاهُ: اهْتَمَ بِهِ.

٤٢ / ٤٥) وَعَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ فِي سَفَرٍ  
فَكَانَ يَخْدُمُنِي، فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَفْعَلْ. فَقَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الْأَنْصَارَ تَصْنَعُ بِرْسُولِ اللَّهِ  
شَيْئًا آتَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَلَا أَصْحَابُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا خَدْمَتْهُ. مَنْفَقَ عَلَيْهِ.

#### ٤٣- باب إکرام أهله بيت رسول الله ﷺ وبيان فضله

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الْرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ  
تَطْهِيرًا ﴿٣﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وَقَالَ تَعَالَى: «وَمَنْ يَعْظِمْ شَعْكِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ [الحج: ٣٢].

٤٣ / ٤٦) وَعَنْ يَزِيدِ بْنِ حَيَّانَ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبَرَةَ، وَعُمَرُو بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى زِيدَ  
بْنِ أَرْقَمَ ﷺ، فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْنُ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، رَأَيْتَ رَسُولَ  
اللَّهِ ﷺ، وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَيْتَ خَلْفَهُ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا،  
حَدَّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، وَاللَّهُ لَقَدْ كَبَرْتُ سِنًّي،  
وَقَدْمَ عَهْدِي، وَسَيِّدُ بَعْضِ الْذِي كُنْتُ أَعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَاقْبِلُوا،  
وَمَا لَا فَلَّا تُكَلِّفُونِي. ثُمَّ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَا يُدْعَى خُمَّاً يَبْيَنَ مَكَّةَ  
وَالْمَدِينَةَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَهْلُهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا  
بَشَّرٌ يُوْشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّيْ فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيمَكُمْ ثَقَلِيْنِ: أَوْلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ  
الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتَمْسِكُوْبِهِ». فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَرَغَبَ فِيهِ، ثُمَّ  
قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِيْ أَذْكُرُكُمُ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِيْ، أَذْكُرُكُمُ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِيْ». فَقَالَ لَهُ حُصَيْنُ:  
وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِيْ يَا زَيْدُ، أَلِيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ  
مِنْ حُرْمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ. قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ أَلْ عَلِيٌّ وَأَلْ عَقِيلٌ وَأَلْ جَعْفَرٌ وَأَلْ  
عَبَّاسٍ. قَالَ: كُلُّ هُؤُلَاءِ حُرْمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. رواه مسلم.

وَفِي رِوَايَةَ: «أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلِيْنِ: أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ، مَنِ اتَّبَعَهُ  
كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالٍ».

(٤٣ / ٣٤١) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه- مَوْقُوفًا عَلَيْهِ- آتَهُ قَالَ: ارْتَبِطُوا مُحَمَّدًا صلوات الله عليه فـي أهـل بـيـتـه . رواه البخاري . معنى «ارتبطوه»: راعوه واحترموه وأکرموه . والله أعلم .



### ( عقيدة أهـل السـنة فـي آل الـبيـت رـضـوان اللـه عـلـيـهـم )

آل بـيـت النـبـي ﷺ هـم الـذـين حـرـمـتـ عـلـيـهـم الصـدـقة، وـهـم: آل عـلـيـ بنـ أـبـي طـالـبـ، وـآل عـقـيلـ بنـ أـبـي طـالـبـ، وـآل جـعـفـرـ بنـ أـبـي طـالـبـ، وـآل العـبـاسـ بنـ عـبـدـ المـطـلبـ، وزـوـجـاتـهـ الطـاهـراتـ الـمـطـهـرـاتـ الـمـبـرـأـتـ وـالـحـلـيـلـاتـ فـي الدـنـيـا وـفـي أـعـلـى الـجـنـاتـ، وـهـنـ أـمـهـاتـ الـمـؤـمـنـينـ الـلـاتـيـ أـذـهـبـ اللـهـ عـنـهـنـ كـلـ رـجـسـ وـنـزـهـنـ عـنـ كـلـ دـنـسـ، وـلـاـسـيـمـاـ خـدـيـجـةـ رضي الله عنها، الـتـيـ انـفـرـدتـ بـهـ، فـلـمـ يـنـكـحـ عـلـيـهـاـ، وـعـائـشـةـ رضي الله عنها الـتـيـ تـفـرـدـ بـهـاـ فـلـمـ تـنـكـحـ غـيـرـهـ . وـهـمـ الـأـخـيـارـ وـالـأـبـرـارـ، وـالـذـرـيـةـ الـأـطـهـارـ، أـشـرـفـ النـاسـ حـسـبـاـ وـأـکـرـمـهـمـ نـسـبـاـ .

وـأـهـلـ السـنةـ يـتـقـرـبـونـ إـلـىـ اللـهـ تـعـالـىـ بـحـبـ آلـ الـبـيـتـ الـكـرـامـ، وـحـمـايـتـهـمـ وـالـذـبـ عنـهـمـ وـعـنـ أـعـراضـهـمـ، وـيـعـضـونـ مـنـ أـبـغضـهـمـ أوـ قـدـحـ فـيـهـمـ .

وـأـمـاـ الـوـصـيـةـ بـأـهـلـ الـبـيـتـ : فـعـنـ زـيـدـ بـنـ أـرـقـمـ، قـالـ: قـامـ رـسـوـلـ اللـهـ صلوات الله عليه يـوـمـاـ فـيـنـا خـطـيـباـ، بـيـمـاءـ يـدـعـيـ حـمـماـ بـيـنـ مـكـةـ وـالـمـدـيـنـةـ فـحـمـدـ اللـهـ وـأـتـنـاـ عـلـيـهـ، وـوـعـظـ وـذـكـرـ، ثـمـ قـالـ: «أـمـاـ بـعـدـ، أـلـاـ أـكـيـهاـ النـاسـ فـإـنـمـاـ أـنـاـ بـشـرـ يـوـشـكـ أـنـ يـأـتـيـ رـسـوـلـ رـبـيـ فـأـجـيـبـ، وـأـنـاـ تـارـكـ فـيـكـمـ ثـقـلـيـنـ: أـوـلـهـمـاـ كـتـابـ اللـهـ فـيـهـ الـهـدـيـ وـالـنـورـ فـخـدـوـبـاـ كـتـابـ اللـهـ، وـأـسـتـمـسـكـوـبـاـهـ»، فـحـثـ عـلـىـ كـيـتابـ اللـهـ وـرـغـبـ فـيـهـ، ثـمـ قـالـ: «وـأـهـلـ بـيـتـيـ أـذـكـرـكـمـ اللـهـ فـيـ أـهـلـ بـيـتـيـ، أـذـكـرـكـمـ اللـهـ فـيـ أـهـلـ بـيـتـيـ، أـذـكـرـكـمـ اللـهـ فـيـ أـهـلـ بـيـتـيـ» . رواه مسلم . (٢٤٠٨)

وـعـنـ أـبـنـ عـمـرـ، عـنـ أـبـيـ بـكـرـ رضي الله عنهما، قـالـ: ارـتـبـطـ مـحـمـداـ صلوات الله عليه فـيـ أـهـلـ بـيـتـهـ . رواه البخاري .

وـأـهـلـ السـنةـ يـوـالـونـ وـيـحـبـونـ وـيـعـظـمـونـ آلـ الـبـيـتـ، وـلـاـ يـقـولـونـ بـعـصـمـتـهـمـ مـنـ الـأـخـطـاءـ الـبـشـرـيةـ .

وـأـهـلـ السـنةـ يـعـقـدـونـ أـنـ مـنـ أـحـسـنـ مـنـ آلـ الـبـيـتـ فـهـوـ مـرـفـوـعـ الـمـقـامـ عـالـ فـيـ قـدـرـهـ عـنـدـ اللـهـ، أـمـاـ مـنـ أـسـاءـ فـهـمـ يـذـكـرـونـهـ بـقـوـلـ رـسـوـلـ اللـهـ صلوات الله عليه: «مـنـ بـطـأـ بـهـ عـمـلـهـ لـمـ يـسـرـعـ بـهـ سـبـهـ»

مسلم برقم (٢٦٩٩). وأن من جَمَعَ بين طيب النسب وصالح العمل فقد جمع بين الخيرين وحاز الفضلين.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: **«والذي نفسي بيده، لا يُغْضِبُنَا - أهْلَ الْبَيْتِ - أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهُ اللَّهُ النَّارُ»**. أخرجه الحاكم في «المستدرك»، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

\* \* \*

#### ٤٤- باب توقير العلماء والكتاب وأهل الفضل وتقديمهما على غيرهم ورفع مجالسهم وإظهار مرتبتهما

قال الله تعالى: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابُ ﴾** ١٠

[الزمر: ٩].

(٤٤/٣٤٨) وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو البكري الأنباري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «يَوْمٌ أَفْرَوْهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنْنَةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنْنَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِنَّا، وَلَا يَؤْمَنَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدُ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِيمِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ». رواه مسلم.  
وفي رواية له: «فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا». بدأ: «سِنَّا» أي: إسلامًا.

وفي رواية: «يَوْمُ الْقَوْمِ أَفْرَوْهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، وَأَقْدَمُهُمْ قِرَاءَةً، فَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً فَيَوْمُهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً، فَلَيَوْمُهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِنَّا».

والمراد بـ«سلطانه»: محل ولايته، أو الموضع الذي يختص به. وـ«تكريمه»: فتح التاء وكسر الراء، وهي ما ينفرد به من فرائض وسرير ونحوهما.

(٤٤/٣٤٩) وعنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلوات الله عليه وسلم يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ، وَيَقُولُ: «اسْتَوْرُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفُ قُوَّيْكُمْ، لِيَلْيَنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنَّهَىِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوَنُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوَنُهُمْ». رواه مسلم. قوله صلوات الله عليه وسلم: **«لِيَلْيَنِي»** هو بتخفيف النون وليس قبلها ياء، وروي بتشديد النون مع ياء قبأها.  
**«وَالنَّهَىِ»:** العقول. **«وَأُولُو الْأَحْلَامِ»:** هُم الْبَالِغُونَ، وقيل: أهْلُ الْحِلْمِ وَالْفَضْلِ.

(٤٤/٣٥٠) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: **«لِيَلْيَنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ**.

وَالنُّهْيُ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ - ثلَاثًا - وَإِيَّاكُمْ وَهِيَشَاتٍ (أي: منازعات وخصومات وارتفاع أصوات)  
الْأَسْوَاقِ». رواه مسلم.

(٤٤) / ٣٥١) وعن أبي يحيى - وقيل: أبي محمد - سهل بن أبي حممة - بفتح الحاء المهملة وإسكان الثاء  
المثلثة - الأنباري رض قال: انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود إلى خير وهي  
يومئذ صلح، فتفرقَا، فأتى محيصَةً إِلَيْهِ عبد الله بن سهل وهو يتَشَحَّطُ في دمه (أي: يتخطى  
ويضطرب ويتمرغ في دمه) قتيلاً، فدفنه، ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل  
ومحيصَةً وحوَيَّصَةً ابنا مسعوداً إلى النبي صل، فذهب عبد الرحمن يتكلّم، فقال: «كبيرٌ  
كبيرٌ». وهو أحدُ القوم، فسكتَ، فتكلّمَا، فقال: «اتَّحِلُّفُونَ وَتَسْتَحْقُونَ قاتِلَكُمْ؟».  
وذكر تمام الحديث. متفق عليه. قوله صل: «كبيرٌ كبرٌ» معناه: يتكلّم الأكبر.

(٤٤) / ٣٥٢) وعن جابر رض: أنَّ النَّبِيَّ صل كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَيْ أَحَدٍ (أي:  
يَعْنِي فِي الْقُبْرِ)، ثُمَّ يَقُولُ: «أَيُّهُمَا أَكْثَرُ أَخْدَأً لِلْقُرْآنِ؟» فَإِذَا أَشَيَّرَ لَهُ إِلَيْهِ أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي  
اللَّحْدِ. رواه البخاري.

(٤٤) / ٣٥٣) وعن ابن عمر رض: أنَّ النَّبِيَّ صل قَالَ: «أَرَانِي فِي الْمَنَامِ أَتَسْوَكُ بِسَوَالِكِ،  
فَجَاءَنِي رَجُلٌ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخِرِ، فَنَاؤْلَتُ السَّوَالِكَ الْأَصْغَرَ، فَقِيلَ لِي: كَبِيرٌ.  
فَدَفَعْتُهُ إِلَى الْأَكْبَرِ مِنْهُمَا». رواه مسلم مستنداً والبخاري تعليقاً.

(٤٤) / ٣٥٤) وعن أبي موسى رض قال: قال رسول الله صل: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ تَعَالَى إِكْرَامِ  
ذِي الشَّيْبَةِ (أي: الذي شاب شعره) الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِيِّ (أي: المتتجاوز الحد  
في التشدد والعمل) فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ (أي: الهاجر له)، وَإِكْرَامِ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ (أي:  
العادل)». حديث حسن، رواه أبو داود.

(٤٤) / ٣٥٥) وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رض قال: قال رسول الله صل: «لَيْسَ مِنَّا  
مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرَنَا». حديث صحيح رواه أبو داود والترمذى وقال الترمذى:  
«حديث حسن صحيح».

وفي رواية أبي داود: «حقَّ كَبِيرَنَا».

(٤٤) / ٣٥٦) وعن ميمون بن أبي شبيب : : أَنَّ عائشةَ رض مَرَّ بِهَا سَائِلٌ، فَأَعْطَتْهُ كِسْرَةً (أي:  
قطعة من خبز)، وَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ وَهِيَتُ، فَأَقْعَدَتْهُ، فَأَكَلَ، فَقِيلَ لَهَا فِي ذَلِكَ، فَقَالَتْ:

قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْزَلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ». رواه أبو داود. لكن قال: ميمون لم يدرك عائشة.

وقد ذكره مسلم في أول صحيحه تعليقاً فقال: وذكر عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أمرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ. وذكره الحاكم أبو عبد الله في كتابه «معرفة علوم الحديث» وقال: «هو حديث صحيح».

(٤٤) / ٣٥٧) وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حَصْنٍ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرُّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُلْدِنُهُمْ عُمُرُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ الْقُرَاءُ أَيْ: وَهَذَا مُسْمَى الْعَالَمَاءِ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوِرَتِهِ، كُهُولًا أَيْ: كَبَارًا فِي السَّنِ كَانُوا أَوْ شُبَانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، لَكَ وَجْهٌ أَيْ: لَكَ وَجَاهَةٌ وَمَنْزَلَةٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ. فَاسْتَأْذَنَ لَهُ، فَأَدِنَ لَهُ عُمَرُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: هِي أَيْ: هِيْ: بَكْسِرُ الْهَاءِ وَسَكُونُ الْيَاءِ كَلْمَةٌ تَهْدِيدٌ) يَا ابْنَ الْخَطَابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِنَا الْجُزْلَ أَيْ: مَا تُعْطِنَا الْعَطَاءَ الْكَثِيرَ، وَلَا تَحْكُمُ فِينَا بِالْعَدْلِ. فَغَضِبَ عُمَرُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى هُمْ أَنْ يُوْقَعُ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنِسَيَةٍ عَلَيَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «خُذِ الْعَوْنَةَ وَأَمْرِهِ بِالْعِرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ» الْأَعْوَافُ ١٩٩ [٣]

وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ. وَاللَّهُ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى). رواه البخاري.

(٤٤) / ٣٥٨) وعن أبي سعيد سمرة بن جندب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَمًا، فَكُنْتُ أَحْفَظُ عَنْهُ، فَمَا يَمْنَعُنِي مِنَ القَوْلِ إِلَّا أَنَّ هَا هُنَا رَجَالًا هُمْ أَسْنُّ مِنِّي. متفق عليه.

(٤٤) / ٣٥٩) وعن أنس صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَكْرَمَ شَابٌ شَيْخًا لِسِنَتِهِ إِلَّا قَيَّضَ أَيْ: سَبَبَ وَقَدْرَ اللَّهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ». رواه الترمذى، وقال: «حديث غريب».



### (آداب العالم والمتعلم)

قالَ اللَّهُ تَعَالَى: «يَرْفَعُ اللَّهُ أَلَّاَزِينَ إِذَا مَنَّا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَنْوَا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» [المجادلة: ١١].

وقال ابن عباس صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: للعلماء درجاتٌ فوق المؤمنين بسبعمائة درجة، ما بين الدرجين مسيرة خمسمائة عام. وروي: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ». أبو داود برقم (٣٦٤١)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٦٢٩٧).

## آداب المتعلم أو طالب العلم :

- طهارة النفس عن الرذائل: من الأخلاق والأوصاف؛ إذ العلم عبادةُ القلب وصلاةُ السرّ وقربةُ الباطن إلى الله تعالى، والقلب المشحون بالغضب والشره إلى الدنيا والتکالب عليها والحرص على تمزيق أعراض الناس ونهب أموالهم - محرومٌ من نور العلم.

قال ابن مسعود: ليس العلم بكثرة الرواية (أي: ليس بكثرة حفظ المرويات فقط)، وإنما العلم نورٌ يُقذف في القلب. وقال ابن مسعود أيضًا: إنما العلم الخشية من الله، وهو أخصُ ثمراتِ العلم؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَىَ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَتُو﴾ [فاطر: ٢٨].

ولا تنكشف حقيقةُ العلم إلا إن كان الله، وإلا فهو مجرد حفظ للألفاظ والمعاني.

قال أحد الصالحين: تعلّمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله.

- التقلل من الاستغلال بأمور الدنيا: قال الله تعالى: ﴿مَاجَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤]، وقيل: العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كُلُّكَ.

- عدم التكبر على العلم والمعلم: فيتواضع لمعلمته، ويطلب من الله الثواب بشرف خدمته، ويُطّيع معلمَه طاعةَ المريض للطبيب الماهر.

وليس من أخلاق المؤمن التذلل في السؤال إلا في طلب العلم، فقد قال الحضر لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَرَرًا﴾ [٦٧]، فقال له موسى عليه السلام: ﴿سَتَسْجُدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَارِيًّا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَئْمَانًا﴾ [٦٩]، فرد عليه الحضر عليه السلام: ﴿فَإِنْ أَبْتَعَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَقَّ أَخْدُثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [٧٠] [الكهف: ٦٧-٧٠].

فلا تستيقظ معلمَك بالسؤال في غير موضعه وأوانه؛ والسؤال والاستفسار مأمور به، ولكن حينما يأذن المعلم ويكون الوقت مناسباً.

قال علي: إن من حق العالم ألا تُذكر عليه السؤال، ولا تُعْتَتُه (أي: تشتم عليه) في الجواب، ولا تُلْحَّ عليه إذا كَسِلَ، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تُعشي له سرّاً، ولا تغتاب أحداً عنده، ولا تطلب عشرته، وإن زَلَّ قَبِيلَتَ معذرته، وعليك أن تُوقرْه وتعظمه الله تعالى ما دام يحفظ أمر الله تعالى، ولا تجلس أمامه (أي: إلا إذا أدن لك بالجلوس)، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته.

- الاحتراز من الدخول في مسائل العلم الخلافية: بل عليه إتقان الطرق الحميدة المرضية عند معلمه.
- النظر في كل العلوم والفنون باعتبار المقصود والغاية حيث إن العلوم كافيةً متراقبةً ومتعاونة، أما التبحر فيكون في العلم المراد.
- مراعاة الترتيب في الأهمية والأولويات في العلوم: ويأخذ من كل شيء أحسنه، وغاية العلوم هي معرفة الله تعالى، وهو بحر لا ينتهي له.
- ألا ينتقل من علم إلى علم حتى يستوفي الذي قبله، فالعلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً، ول يكن قصده من كل علم الترقى إلى ما هو فوقه لا تجاوزه.
- أن يُميّز بين درجات العلوم بمقدار ثمرة كل علم وقوه الدليل عليه، فعلم الدين ثمرته الحياة الآخرة، ودليله القرآن والسنة، وهكذا.
- أن يكون قصده تحلية وتجميل باطنه وسريرته، لا الرياسة والمال والجاه ومجادلة السفهاء والمباهة بالعلم.

### **آداب المعلم:**

- الشفقة على المتعلمين كأنهم أولاده.
- الاقتداء بالمصطفى عليه السلام، فلا يتضرر على تعليمه جزاءً ولا شكوراً، ومع أن الفضل والمنة للمعلم على المتعلمين، ولكن عليه ألا يرى لنفسه ذلك.
- ألا يترك من نصيحة تلميذه شيئاً حتى يوافق باطنه ظاهره، حتى لا يطلب العلم لغير الله فيهلك.
- علاج سوء الأخلاق في المتعلمين بالتعريض وليس بالتصريح، وبالرحمة لا بالتوبيخ.
- لا يُحقر من العلوم الأخرى ليعلّي من شأن علمه في عين تلميذه، بل عليه أن يُوسع عليه طرق التعلم في باقي العلوم بالتدريج.

- أن يُراعي قصور فهمه وعقله واستيعابه وما يناسبه فيه؛ قال عليه عليه السلام: إن ها هنا لعلوماً جمّة (أي: كثيرة)، لو وجدت من يحملها.

- لا ينبغي للعالم أن يُفْشِي كُلَّ ما يعلم إلَى كُلَّ أحدٍ، بل يفشي لـكُلَّ إنسانٍ بمقدار عقله وعلمه وفهمه، وقد سُئل بعْضُ العلماء أمراً فلم يُجِبْ، فقال السائل: أما سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَجْمَهُ» (أي: أُسْكِنَهُ وَمُنْعِنَهُ مِنَ الْكَلَامِ) اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُلْجَاهُ مَنْ نَارٍ» [أحمد في مسنده (٢/ ٢٦٣) برقم (٧٥٦١)، صحيح البخاري (صحيح الجامع الصغير) حديث (٦٢٨٤)] فقال العالم: أَتْرُكُ الْلَّجَامَ؟ فإن جاء من يفقهه وكتمه فليُلْجِمنِي.

- أن يراعي قصور عقل وفهم المتعلم أحياناً، فلا يشوش عليه اعتقاده، فلا ينبغي أن يطرح عليه شبهة؛ فإنه ربما تعلّقت بقلب المتعلم، وقد يَعُسِّرُ على المعلم بعد ذلك حلها.

- ولا يفتح على العوام باب البحث في العلوم وحدهم. ذلك أنه ما من أحد إلا وهو راضٍ عن كمال عقله، وأشد الناس حماقةً وأضعفهم عقلاً هو أكثرهم رضاً وفرحاً بكمال عقله.

- أن يعمل المعلم بعلمه قدر المستطاع؛ قال الله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِيمَانِ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٤٤]؛ ولذلك كان وزرُ العالم في معاصيه أكثر من وزر الجاهل، فالناس يقتدون بالعالم ويَزِلُّونَ بِرَأْتِهِ.

قال على بن أبي طالب عليه السلام: فَصَمَ ظهري رجلان: عالم متهتك (أي: يفعل المعاصي)، وجاهل مُتنسّك (أي: عابد). فالجاهل يَغْرُّ الناس بزهده وتنسكه وعبادته، والعالم يَغْرُّهم بتقصيره ومعاصيه.

\* \* \*

#### ٤٥- باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم وطلب زيارتهم والدعاء منهم وزيارة الموضع الفاضلة

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَاتَ مُوسَى لِفَتَنَةً لَا أَتَرَحُ حَقَّ أَتْلَعُ مَجَمَعَ الْبَخَرَتِينَ أَوْ

أَمْضَى حُقْبًا ٦٠ ﴿إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: قَالَ لَمَّا مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعْلِمَنِ مِمَّا عِلْمَتَ رُشْدًا ٦١﴾ [الكهف: ٦٠ - ٦١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْفَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

[الكهف: ٢٨]

٤٥ / ٣٦٠) وعن أنس بن علي قال: قال أبو بكر لعمراً بعده وفاة رسول الله عليهما السلام: اطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله عليهما السلام يزورها. فلما انتهيا إليها بكت، فقال لها: ما يذكرك؟ أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله عليهما السلام؟ فقالت: ما أبكي إلا أكون أعلم أن ما عند الله تعالى خير لرسول الله عليهما السلام، ولكن أبكي أن الوحش قد انقطع من السماء. فهم يجتمعوا على البكاء، فجعلوا يبكيان معها. رواه مسلم.

٤٥ / ٣٦١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رجلاً زار أخاه في القرية أخرى، فارصد الله تعالى على مدرجه ملكاً، فلما أتى عليه، قال: أين ترید؟ قال: أريد أخاه لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من يعمة تربها عليه؟ قال: لا، غيري أني أحبيه في الله تعالى. قال: فإن رسول الله إليه بآن الله قد أحبك كما أحببته فيه». رواه مسلم. يقال: أرصد له لكتنا إذا وكم بحفلته. و «المدرجة» بفتح الميم والراء: الطريق. ومعنى «ترتها»: تقوم بها، وتسعى في صلاتها.

٤٥ / ٣٦٢) وعنه قال: قال رسول الله عليهما السلام: «من عاد مريضاً أو زار أخاه في الله، ناداه مناد بآن طبت، وطاب ممساك، وتبوأ من الجنة منزلًا». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن»، وفي بعض النسخ: «غريب».

٤٥ / ٣٦٣) وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي عليهما السلام قال: «إنما مثل العجليس الصالحة وجليس السوء، كحامِل المسمك، ونافخ الكير، فحامِل المسمك: إنما أن يخذيك، وإنما أن تتبعه منه، وإنما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير: إنما أن يحرق ثيابك، وإنما أن تجد منه ريحًا مُنْتَهية». متفق عليه. يُحذِّرك: يعطيك.

٤٥ / ٣٦٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي عليهما السلام قال: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينهَا، فاظفر بذات الدين تربت يداك». متفق عليه. (أي: لصقت بالتراب، وهي وما أشبهها من ألفاظ اعتاد العرب استعمالها مثل: قاتله الله، ولا ألم له، ولا أب لك، وشكنته أمه، وويل أمه، ويقولونها عند إنكار فعل شيء أو الزجر عنه). ومعناه: أن الناس يقصدون في العادة من المرأة هذه الخصال

الأربع، فَاحْرِصْ أَنْتَ عَلَى ذَاتِ الدِّينِ، وَأَظْفِرْ بِهَا، وَاحْرِصْ عَلَى صُحْبِهَا.

(٤٥) / ٣٦٥) وعن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ لجبريل: «ما يمنعني أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟» فنزلت ﴿وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكُ﴾ [مريم: ٦٤] رواه البخاري.

(٤٥) / ٣٦٦) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي». رواه أبو داود والترمذني بإسناد لا يأس به.

(٤٥) / ٣٦٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلَيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مِنْ يُخَالِلُ». رواه أبو داود والترمذني بإسناد صحيح، وقال الترمذني: «حديث حسن».

(٤٥) / ٣٦٨) وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». متفق عليه.

وفي رواية قال: قيل للنبي ﷺ: الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحُقُ بِهِمْ؟ قال: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ».

(٤٥) / ٣٦٩) وعن أنس رضي الله عنه: أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ: متى الساعة؟ قال رسول الله ﷺ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قال: حُبَّ الله ورسوله. قال: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». متفق عليه، وهذا لنظر مسلم.

وفي رواية لهما: ما أعددت لها من كثير صوم، ولا صلاته، ولا صدقة، ولكنني أحب الله ورسوله.

(٤٥) / ٣٧٠) وعن ابن مسعود رضي الله عنه: قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». متفق عليه.

(٤٥) / ٣٧١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَهُمْ، وَالْأَرْوَاحُ جُنُودُ مُجَنَّدُهُ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اشْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ». رواه مسلم. وروى البخاري قوله: «الْأَرْوَاحُ... إِلَخ» من رواية عائشة .

(٤٥) / ٣٧٢) وعن أبي سير بن عمرو، ويقال: ابن جابر، وهو بضم الهمزة وفتح السين المهملة قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهُم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى

عَلَى أُوْيِسَ رضي الله عنه، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ أُوْيِسَ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرْصُ فِرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَكَ وَالدَّةُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِذَا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالدَّةُ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ كَانَ بِهِ بَرْصٌ، فِرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالدَّةُ هُوَ بِهَا بَرْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ، فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعُلْ». فَاسْتَغْفَرَ لِي. فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ. قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي عَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَوَافَى عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوْيِسِ، فَقَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتَ قَلِيلَ الْمَتَاعَ (أي: الرث: القديم البالي)، والمتاع: ما بالبيت من أثاث ونحوه، والعبارة بيان لضيق العيش وحرارة المتاع)، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِذَا مَوْضِعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرْصُ فِرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالدَّةُ هُوَ بِهَا بَرْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ، فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ، فَافْعُلْ». فَاتَّأَيْ أُوْيِسًا، فَقَالَ: اسْتَغْفِرَ لِي. قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرِ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرَ لِي. قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَاسْتَغْفِرَ لَهُ، فَفَطَنَ لَهُ النَّاسُ، فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ. رواه مسلم.

وفي رواية لمسلم أيضاً عن أسبير بن جابر رضي الله عنه: أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةَ وَفَدُوا عَلَى عُمَرَ رضي الله عنه وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخِرُ بِأُوْيِسِ، فَقَالَ عُمَرُ: هَلْ هَا هُنَا أَحَدُ مِنَ الْقَرَبَيْنَ؟ فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم قَدْ قَالَ: «إِنَّ رَجُلًا يَأْتِيْكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُوْيِسُ، لَا يَدْعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمِّ لَهُ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيْاضٌ فَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى فَأَذْهَبَهُ إِلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوِ الدَّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ».

وفي رواية آله: عن عمر رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أُوْيِسُ، وَلَهُ وَالدَّةُ وَكَانَ بِهِ بَيْاضٌ، فَمُرْوُهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ». قوله: «غُبراءُ الناس» بفتح الغين المعجمة، واسكان الباء وبالمد، وهم: فُقَرَاؤُهُمْ وَصَعَالِيكُهُمْ وَمَنْ لَا يُعْرَفُ عَيْنَهُ مِنْ أَخْلَاطِهِمْ. **وَالْأَمْدَادُ** جَمْعُ مَدَدٍ: وَهُمُ الْأَعْوَانُ وَالنَّاصِرُونَ الَّذِينَ كَانُوا يُمْدُونَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَهَادِ.

(٤٥) / ٣٧٣) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: استأذنت النبي صلوات الله عليه وسلم في العمرة، فأذن لي، وقال: «لا تنسنا يا أخي» (أي: تصغير « أخي»، وهو تصغير تلطف وتعطف لا تحقر) مِنْ دُعائِكَ». فقال كلامه ما يسرّني أنَّ لي بها الدنيا.

وفي رواية: قال: «أُشْرِكْنَا يَا أُخْيَيْ فِي دُعَائِكَ». حديث صحيح رواه أبو داود والترمذى، وقال: « الحديث حسن صحيح».

(٤٥) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كَانَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه يزور قباء (أي: قرية على بعد فرسخ من المدينة) راكباً وماشياً، فيصلّى في ركعتين . متفق عليه.

وفي رواية: كَانَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه يأتي مسجداً قباء كل سبّت راكباً وماشياً، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يفعّلُه.

#### ٤٦- باب فضل الحب في الله والدّعث عليه واعلام الرجل من يحبه أنه يحبه، وماذا يقول له إذا أعلمه

قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاهُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَةُ اللَّهِ يَنْهَا مُنْكِرُهُ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ تُجْهَنَّمَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحسن: ٩].

(٤٦) وعن أنس رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه قال: «ثلاث من كُنْ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوةَ الإيمانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبْهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَدَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْدَفَ فِي النَّارِ». متفق عليه.

(٤٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه قال: «سَبْعَةٌ يُظْلَمُهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ (أي: في كرامته وحماته، أو في ظل عرشه) يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌ نَشِأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَجَاءَ فِي قَلْبِهِ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ (أي: شديد الحب لها والملازم للجماعة فيها)، وَرَجُلٌ أَنْتَهَى فِي اللَّهِ اجْتَمَعًا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَ عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٌ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًّا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ (أي: فاضت الدموع منها).». متفق عليه.

(٤٧) وعنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظْلَمُهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّي». رواه مسلم.

(٤٧) وعنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «وَالَّذِي نَفْسِي يَيْدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْلًا أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابِبُتُمْ؟ أَفْشُوا (أي: انشروا)

**السلام ينسكم**». رواه مسلم.

(٤٦ / ٣٧٩) وعن النبي ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أخَا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْسَدَ (أي: جعل له من يرقبه) اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ (أي: طريقه) مَلْكًا...». وذكر الحديث إلى قوله: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْبَبَ كَمَا أَحْبَبَتْهُ فِيهِ». رواه مسلم، وقد سبق بالباب قبله.

(٤٦ / ٣٨٠) وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ: أَنَّهُ قَالَ فِي الْأَنْصَارِ: «لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنُونَ، وَلَا يُغْضِبُهُمْ إِلَّا مُنَافِقُونَ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ». متقد عليه.

(٤٦ / ٣٨١) وعن معاذ رضي الله عنه: قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: الْمُتَحَابُونَ فِي جَلَالِي (أي: من أجل إجلالي وتعظيمي) لَهُمْ مَنَابِرٌ مِّنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشَّهَدَاءُ (أي: مع أن النبيين والشهداء أعلى مقاماً إلا أنهم يفرحون بالمقام الكريم الذي يحصل عليه المتحابون عند الله تعالى)».

رواہ الترمذی، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٤٦ / ٣٨٢) وعن أبي إدريس الخوارني : قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمْشَقَ، فَإِذَا فَتَّى بَرَاقُ النَّاسِ (أي: وهي الأسنان الأربع في مقدام الفم من أعلى وأسفل) وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ، فَإِذَا اخْتَلَقُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقَيْلَ: هَذَا مُعاذُ بْنُ جَبَلَ رضي الله عنه. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ هَجَرْتُ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهَمَّمِ، وَوَجَدْتُهُ يُصْلِي، فَانتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ، ثُمَّ حِسْنَتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ لِهِ، فَقَالَ: اللَّهُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ، فَقَالَ: اللَّهُ؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ، فَأَخْذَنِي بِحَبْوَة (أي: بطرفة) رِدَائِي، فَجَبَنِي (أي: جذبني) إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَبِشْرُ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاحِلِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَوِّرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَذِّلِينَ فِيَّ (أي: الذين يذلون أنفسهم في مرضاه). حديث صحيح رواه مالك في «الموطأ» يسانده الصحيح. قوله: «هجرت» أي: بَكَرْتُ، وَهُوَ

بتشدید الجيم. قوله: «آللله فقلت: الله» الأول بهمزة ممدودة للاستفهام، والثاني بلا مد.

(٤٦ / ٣٨٣) عن أبي كريمة المقدم بن معديكرب رضي الله عنه: عن النبي ﷺ: «إِذَا أَحَبَ الرَّجُلُ أخَاهُ، فَلَيُنْبِحْهُ أَبُوهُ يُحِبِّهِ». رواه أبو داود والترمذی وقال: «حديث حسن».

(٤٦ / ٣٨٤) وعن معاذ رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه أَخْذَ بِيدهِ وَقَالَ: «يَا مُعاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، ثُمَّ أُوْصِيَكَ يَا مُعاذُ لَا تَدْعَنَّ فِي دُبْرٍ (أي: عقب) كُلَّ صَلَاتٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ». حديث صحيح؛ رواه أبو داود والنسائي يساند صحيح.

(٤٦/٣٨٥) وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلم، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وسلم: «أَعْلَمْتَهُ؟». قَالَ: لَا. قَالَ: «أَعْلَمْهُ». فَلَحِقَهُ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ. فَقَالَ: أَحِبُّكَ الَّذِي أَحِبَّتِنِي لَهُ.

رواه أبو داود بإسناد صحيح.

\* \* \*

### الحب في الله والبغض في الله

**أولاً: الحب في الله:** إن التحابَ في الله تعالى والأخوة في الإسلام من أفضل القُربات عند الله تعالى، وبالقيام بحقوقهما وشروطهما ننال الْقُرْبَ من الله، وبالمحافظة عليهما ننال الدرجات العلا في الجنة، ويُلحِقنا الله بالمتاحاين في الله، فقد قال الله تعالى مادحًا النبي وأصحابه الكرام صلوات الله عليه وسلم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدُّهُمْ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَنِيهِمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وكذلك مدح الأنصار رضي الله عنهم في حُبِّهم للمهاجرين مع أنهم جاءوا يُشركونهم في دنياهم، ومع ذلك أحبوهم، كما وصفهم صلوات الله عليه وسلم فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُ الدَّارَ وَأَلِيمَنَ مِنْ قَبْلِهِمْ شُحُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحْدُثُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أَوْتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةً﴾ [الحشر: ٩]. واعلم أن هذا الحبَّ وهذه الأخوة ثمرة حُسن الخُلق، فحسن الخُلق يُثمر التَّالِفَ والتَّحَابَ والتَّوَافِق، وسوء الخُلق يُثمر التَّبَاغُض والتَّحَاسِد والتَّدَابِر؛ ولهذا مدح الله تعالى نبيه صلوات الله عليه وسلم فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ حُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وُسْئلَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وسلم عن أكثر ما يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: **«تَقْوَىُ اللَّهُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»**. أَحْمَدَ فِي «مسنده» (٤٤٢) بِرَقْمِ (٩٦٩٤). فجمع النبي صلوات الله عليه وسلم في هذه الكلمة بين العلاقة التي يجب أن تكونَ بين العبد وربِّه والعلاقة التي يجب أن تكونَ بين المرء وأخيه في الحياة الدنيا، عن طريق ذِكر السبب الذي تترَّتب عليه الألفةُ والمحبة، كما في الحديث.

وقال صلوات الله عليه وسلم: **«إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقًّهُ»**. البخاري برق (١٩٦٨). وقال صلوات الله عليه وسلم: **«مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»**. الترمذى برق (٢٠٠٣)، وصححه الألبانى (صحيح الجامع الصغير) حديث (٥٧٢١).

وقد قال الله تعالى مُظهراً مِتَّه على النبي: **﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِتَصْرِيفِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾** [٦٦]. كذلك ذم التفرقة وحرر منها، فقال تعالى **﴿لَا تَنْعَصُمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَنْقِرُوهُ أَذْكُرُوا** **﴿يَنْهَى اللَّهُ عَنِّكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَهُ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ كَمَا صَبَّحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْرَوْنَا﴾** [آل عمران: ١٠٣].

فالنعمـة التي ذكرـها هي المحبـة والألفـة والأخـوة في الله، قال ﷺ: **«إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»** [البخاري برقم (٣٧٥٩)].

وفي رواية: **«الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا الَّذِينَ يَأْلُفُونَ وَيُؤْلَفُونَ»** [الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٣٧٥٩)].

وقال ﷺ: **«الْمُؤْمِنُ إِلْفُ يُؤْلَفُ، وَلَا حَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلُفُ وَلَا يُؤْلَفُ»**. الطبراني في «الأوسط» (٧).

(٣٥) برقـم (٧٦٩٧)، صـحـحة الأـلبـانيـ (صـحيـحـ الجـامـعـ الصـغـيرـ) حـدـيـثـ (٦٦٦١).

وروي عن أنس بن مالك مرفوعاً: **«مَثَلُ الْأَخْوَى إِذَا التَّقَيَا مَثَلُ الْيَدَى تَغْسِلُ إِحْدَاهُما الْأُخْرَى، وَمَا التَّقَى مُؤْمِنَانِ قَطُّ إِلَّا أَفَادَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبِهِ خَيْرًا»**. العراقي في «تـخـرـيـجـ أحـادـيـثـ الإـلـيـاءـ» (٤٦٤) بـرـقـمـ (١٧٦٢).

ولما قال أبو إدریس الخویانی لمعاذ بن جبل رض: إني أحبك في الله. قال معاذ: أبشر؛ فإني سمعت رسول صلی اللہ علیہ وسَلَّمَ يقول: **«قَالَ اللَّهُ فِي الْحَدِيثِ الْقُدُّسِيِّ: وَجَبَتْ مَحَيَّتِي لِلْمُتَحَابِينَ فِي وَالْمُتَجَالِسِينَ فِي وَالْمُتَرَأِوْرِينَ فِي وَالْمُتَبَازِلِينَ فِي»**. مالك في «موطنه» (٢/ ٩٥٣) بـرـقـمـ (١٧١١).

وقد روـيـ عنـ أبيـ هـرـيـرةـ مـرـفـوعـاـ: **«إِنَّ حَوْلَ الْعَرْشِ مَنَابَرَ مِنْ نُورٍ عَلَيْهَا قَوْمٌ لِيَأْسُهُمْ نُورٌ، وَوَجُوهُهُمْ نُورٌ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءٍ وَلَا شَهِداءً، يَعْطِيهِمُ النَّبِيُّونَ وَالشَّهَدَاءُ»**. فقالـواـ: يا رسـولـ اللهـ، صـفـهمـ لـنـاـ. فقالـ: **«هُمُ الْمُتَحَابُونَ فِي اللهِ وَالْمُتَجَالِسُونَ فِي اللهِ»**. النـسـائـيـ فيـ السنـنـ الـكـبـرـيـ بـرـقـمـ (١١١٧٢).

ولـهـذاـ فإنـ مـنـ أـوـثـقـ عـرـىـ الإـيمـانـ الـحـبـ فيـ اللهـ وـالـبغـضـ فيـ اللهـ؛ فـقـدـ قالـ رسـولـ اللهـ صلی اللہ علیہ وسَلَّمَ: **«مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَأَبْعَضَ اللَّهَ، وَمَنْعَ اللَّهَ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ»**. أـحـمدـ فيـ «مسـنـدـهـ» (٣/ ٤٣٨) بـرـقـمـ (١٥٦٥٥).

وفي رواية أخرى: **«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوةَ الإِيمَانِ وَطَعْمَهُ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سَوَاهُمَا، وَأَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»**. متفقـ عـلـيـهـ.

وعـنـ النـبـيـ صلی اللہ علیہ وسَلَّمَ قالـ: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ حَلَاوةَ الإِيمَانِ فَلْيُحِبِّ الْمَرْءَ لَا يُحِبِّهِ إِلَّا اللَّهُ»**.

الحاـكمـ فـيـ المسـنـدـرـكـ (١/ ٤٤) بـرـقـمـ (٣).

وعن ابن مسعود مرفوعاً قال: إِنَّ مِنَ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ رَجُلًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، مِنْ غَيْرِ مَالٍ أَعْطَاهُ، فَذَلِكَ الإِيمَانُ. الطبراني في الأوسط (٧٢١٤) برقم (١٨٠).

قال رسول الله ﷺ: مَا تَحَابَ رَجُلٌ فِي اللهِ إِلَّا كَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَى اللهِ بَعْدِكَ أَشَدُهُمَا حُبًا لِصَاحِبِهِ. الطبراني في الأوسط (٢٨٩٩)، برقم (١٩٢)، صحيحه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (٤٥٠).

ولهذا فإنه إذا كان للمرء أصدقاء وإنما يُحبهم في الله، فمن المناسب أن يُغضض في الله أعداء الله تعالى، رُوي أن الله تعالى أوصى عيسى عليه السلام: لو أنك عبدتني بعبادة أهل السموات والأرض، وحب في الله ليس، وبغض في الله ليس، ما أغنني عنك شيئاً.

وقال عيسى عليه السلام: تحببوا إلى الله ببعض أهل المعاشي، وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم، والتمسوا رضا الله بسخطهم. قالوا: يا روح الله، فمن نجالس؟ قال: جالسوا من تذكركم الله رؤيته، ومن يزيد في عملكم كلامه، ومن يرغبكم في الآخرة عمله.

وقال علي عليه السلام: عليكم بالإخوان (أي: الأصدقاء)، فإنهم عدة في الدنيا والآخرة، إلا تسمع إلى قول أهل النار: فَمَا تَأْتَ مِنْ شَفَعَيْنِ لَا صَدِيقَ حَمِيمَ [الشعراء: ١٠١، ١٠٠].

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: والله، لو صمت النهار لا أفتره، وقمت الليل لا أنامه، وأنفقت ملي في سبيل الله، أموت يوم الموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله، ما نفعني ذلك شيئاً. وقال ابن السماك: اللهم إنك تعلم أني إذا كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك، فاجعل ذلك قربة لي إليك.

ومع ذلك نحذر ونقول: هذا تواضع العلماء وانكسارهم أمام الله، وإنما فقد قال الحسن : يا ابن آدم، لا يغرنك قول من يقول: المرء مع من أحب؛ فإنك لن تتحقق بالأبرار إلا بأعمالهم، فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم.

والفضائل : يقول: هاه، تُريد أن تسكن الفردوس وتُجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، بأي عمل عملته؟ بأي شهوة تركتها؟ بأي غيظ كظمتها؟ بأي رحم قاطع وصلتها؟ بأي زلة لأنريك غفرتها؟ بأي قريب باعدته في الله؟ بأي

بعيدٌ قاربته في الله؟

ويُروى أنَّ اللَّهَ أَوْصَى لَمُوسَى السَّلَّيْلَةَ: هل عملت لي عملاً قط؟ فقال: إلهي، إني صلیت لك، وصممت وتصدقـت وزكـيتـ. فقال: إن الصـلاةـ لكـ بـرهـانـ، والصومـ جـنـةـ، والصدقةـ ظـلـ، والزـكـاةـ نـورـ، فـأـيـ عـمـلـ عـمـلـ لـيـ؟ قال مـوسـىـ: دـلـنـيـ عـلـىـ عـمـلـ هـوـ لـكـ.

قال: يا مـوسـىـ، هلـ وـالـيـتـ لـيـ وـلـيـ قـطـ؟ وهـلـ عـادـيـتـ فـيـ عـدـوـاـ قـطـ؟ فـعـلـمـ مـوسـىـ أـنـ أـفـضـلـ

الأـعـمـالـ الحـبـ فيـ اللـهـ وـالـبـغـضـ فيـ اللـهـ.

فالعبادات إنما جعلـتـ فـائـدـةـ لـلـعـبـدـ لـلـرـبـ، لـتـسـاعـدـهـ عـلـىـ الـاسـتـقـامـةـ وـصـلـاحـ نـفـسـهـ،

أماـ الـحـبـ وـالـبـغـضـ فيـ اللـهـ إنـمـاـ هوـ لـمـصـلـحةـ الـمـسـلـمـينـ جـمـيـعـاـ فـصـارـ مـقـدـمـاـ عـلـىـ الـعـمـلـ

الـفـرـديـ فـيـ الـأـجـرـ وـالـثـوـابـ.

وقـالـ اـبـنـ مـسـعـودـ تـبـيـهـ: لوـ أـنـ رـجـلـ قـامـ بـيـنـ الرـكـنـ وـالـمـقـامـ يـعـبـدـ اللـهـ سـبـعـينـ سـنـةـ لـبـعـثـهـ اللـهـ

يـوـمـ الـقـيـامـةـ مـعـ مـنـ يـحـبـ. وـقـالـ الـحـسـنـ : مـعـادـةـ الـفـاسـقـ قـرـبـانـ إـلـىـ اللـهـ.

وـقـالـ عـمـرـ تـبـيـهـ: إـذـاـ أـصـابـ أـحـدـكـمـ وـدـاـ مـنـ أـخـيـهـ فـلـيـتـمـسـكـ بـهـ، فـقـلـمـاـ يـصـيبـ ذـلـكـ (أـيـ)

قـلـمـاـ يـجـدـ مـثـلـهـ). وـقـالـ مجـاهـدـ : المـتـحـابـوـنـ فـيـ اللـهـ إـنـ التـقـواـ فـكـشـرـ (أـيـ تـبـسـمـ) بـعـضـهـمـ إـلـىـ

بعـضـ تـحـاتـ عـنـهـمـ الـخـطـاـيـاـ (أـيـ تـبـاثـرـ) كـمـاـ يـتـحـاثـ وـرـقـ الشـجـرـ فـيـ الشـتـاءـ إـذـاـ يـبـسـ.

وـقـالـ الـفـضـيـلـ : نـظـرـ الرـجـلـ إـلـىـ وـجـهـ أـخـيـهـ عـلـىـ الـمـوـدـةـ وـالـرـحـمـةـ عـبـادـةـ.

### الفرق بين الزمالـةـ فـيـ الدـنـيـاـ وـالـأـخـوـةـ فـيـ اللـهـ:

أـمـاـ النـوـعـ الـأـوـلـ (الـزـمـالـةـ فـيـ الدـنـيـاـ): فهوـ يـحـدـثـ اـتـفـاقـاـ وـقـدـرـاـ، وـذـلـكـ مـنـ دـونـ قـصـدـ أوـ

اخـتـيـارـ مـنـ إـلـيـانـ، كـصـحـبـةـ الـجـيـرانـ، وـصـحـبـةـ الـدـرـاسـةـ وـالـجـامـعـةـ، وـصـحـبـةـ الـأـسـوـاقـ،

وـصـحـبـةـ الـتـيـ تـنـشـأـ بـسـبـبـ السـفـرـ.

وـهـذـهـ الـأـنـوـاعـ مـنـ الصـحـبـةـ غـيرـ الـاـخـتـيـارـيـةـ يـكـفـيـنـاـ فـيـهاـ الـأـدـبـ الـمـنـاسـبـ لـهـاـ بـأـنـوـاعـهـ

الـمـخـتـلـفـةـ فـيـ كـلـ حـالـ: فـهـنـاكـ أـدـبـ السـفـرـ، وـأـدـبـ الـجـوـارـ، وـأـدـبـ الزـمـالـةـ فـيـ الـعـمـلـ، وـأـدـبـ

الـطـرـيقـ، وـأـدـبـ الـمـجـالـسـةـ، وـغـيـرـهـاـ مـنـ الـأـدـابـ الـتـيـ تـلـزـمـنـاـ مـعـرـفـتـهـاـ وـالتـأـدـبـ بـهـاـ مـعـ أـهـلـهـاـ.

وـأـمـاـ النـوـعـ الـثـانـيـ (الـأـخـوـةـ فـيـ اللـهـ): فهوـ يـنـشـأـ عـنـ قـصـدـ وـتـعـمـدـ وـاـخـتـيـارـ، حـيـثـ يـخـتـارـ الـمـرـءـ

صـدـيقـاـ أوـ صـاحـبـاـ، وـهـوـ الـذـيـ تـرـيـدـ الـبـيـانـ فـيـهـ، وـالـأـخـوـةـ فـيـ اللـهـ تـقـعـ فـيـ هـذـاـ النـوـعـ، أـيـ لـاـ

ثواب إلا على الأفعال الاختيارية، ولا ترغيب إلا فيها.

والصُّحبة تكون بالمجالسة والمجاورة المُتعمَّدة، وهذه الأمور لا يقوم بها الإنسان مع غيره، أي من الجلوس قليلاً وكثيراً، والمجاورة، إلا إذا أحبَّه فعلاً؛ فإنَّ غيرَ المحبوب ثقيلٌ على النفس، بل ويُتجلب ويُتباعد منه ولا تُقصد مخالطته أو صحبته.

أقسام الحب بين الأصحاب:

وأما أنواع الحب والمغالطة مع الإخوان والأصحاب فأربعة أقسام:

**أما القسم الأول:** فهو أن تحب صاحبك لذاته، حيث إنه يكون محبوبًا عندك، تُسرُّ  
وتتلذذ برؤيته ومشاهدته ومعرفته ومشاهدته أخلاقه، استحسانًا لها، حيث إن كلَّ جميلٍ  
بالطبع لذيد في حقِّ من يدرك الجمال والفهم الصحيح، وكلَّ لذيد بالتالي محبوب.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللَّذَّةَ بِالشَّيْءِ تَأْتِي بَعْدَ اسْتِحْسَانِهِ وَاسْتِحْسَانِ صَفَاتِهِ، وَكَذَلِكَ يَأْتِي  
الْاسْتِحْسَانُ لِلشَّيْءِ بَعْدَ أَنْ تَتوَافَقَ وَتَلَاءِمَ الطَّبَاعُ، أَيْ أَنَّهُ إِذَا تَوَافَقَتْ وَتَلَاءَمَتِ الْطَّبَاعُ بَيْنَ  
إِثْنَيْنِ فَيَسْتِحْسِنُ كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرُ، وَمِنْ ثُمَّ يَتَلَذَّذُ بِالْقَرْبِ مِنْهُ، فَيَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ الْحُبُّ؛ حُبُّ  
الْإِنْسَانِ لِأَخْيَهِ لِذَاتِهِ الَّتِي يَسْتِحْسِنُهَا.

والمسْتَحْسَنُ أو المحبوب: إما أن يكون حُسْنُه في الظاهر، أي حُسْنُ الْخِلْقَةِ، أو في الباطن، أي حسن الأخلاق. ويسبب حسن الأخلاق تَحْسُنَ أفعاله لا محالة، حيث إنه باكتمال العقل تزداد العلوم والمعارف، وكل ذلك لا شك مُسْتَحْسَنٌ عند أصحاب الطبع السليم والعقل المستقيم، فكل مُسْتَحْسَنٍ مُتَلَذِّذٌ به ومحبوب.

ولكن في ائتلاف القلوب أمر أكثر غموضاً من هذا، فإنه قد تشتت المودة بين شخصين من غير ملاحة في صورة ولا حسنه في خلق، ولكن بأمرٍ أو جب الألفة والموافقة بينهما، فإن الشيء منجذب إلى شبيهه بالطبع، وهذا ليس في قدرة البشر الاطلاع عليه؛ ولهذا قال عليه السلام: «الأرواح جنود مجنة، فما تعارف منها ائتلاف، وما تناكر منها اختلف». مسلم برق

(٢٦٣٨). فالتناكر نتيجة للتباهي والاختلاف، والائتلاف نتيجة للتناسب والتعارف.

وقد قال بعض العلماء: إن الله تعالى خلق الأرواح فقلق بعضها فلقا، وأطافها حول العرش، فأي روحين من فلقتين تعارفا هناك فالتقى توأصلا في الدنيا.

وفي الخبر: «إِنَّ رُوْحَيِ الْمُؤْمِنِينَ لَيَلْتَقِيَا نَعَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَمَا رَأَى أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ قَطُّ». [البخاري في «الأدب المفرد» برقم (٢٦١)، أحمد في «مسنده» (٢) / ٢٢٠]، [برقم (٧٠٤٨)].

وروى كذلك: أن امرأة بمكة كانت تُضريح النساء، وكانت بالمدينة أخرى (أي: مثلها تُضريح النساء بالمدينة)، فنزلت المكية على المدينة، فدخلت على عائشة رضي الله عنها فأضاحتها، فقالت: أين نزلت؟ فذكرت لها صاحبتها، فقالت: صدق الله رسوله، سمعت رسول الله... وذكرت حديث «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ».

والشاهد والتجربة تشهد لهذا الأمر، في أن التناسب في الطبع والأخلاق يأتي منه الاختلاف، وهذا أمر مفهوم، أما معرفة هذه الأسباب على وجه الدقة فأمر ليس في قدرة البشر. فشبّه الشيء منجذب إليه بالطبع، وإن كان هو نفسه قد لا يشعر به.

**قصة:** قال مالك بن دينار : لا يتَّفق اثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصفٌ من الآخر، وإن أجناس الناس كأجناس الطير، ولا يتَّفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما تناسبٌ ومناسبة وتوافق. وحدث أن رأى يوماً غرابةً مع حمامه، فعجب من ذلك فقال: اتفقا وليسوا من شكل واحد. ثم طارا فإذا هما أغرجان فقال: من هاهنا اتفقا. اهـ.

وفي الحكمة: الطيور على أشكالها تقع.

وفيها أيضاً: وكل إنسان يأنس إلى شكله، كما أن كل طير يطير مع جنسه.

وإذا اصطحب اثنان برهةً من زمانٍ ولم يتشاكلَا؛ أي: يتفقا في الطبع، في الحال، فلا بد أن يتفرقَا. وقال الشاعر:

<u>وقائل: كيف تفارقتما</u> <u>لم يك من شكري ففارقته</u>	<u>فقلت قولًا فيه إذ صاف</u> <u>والناسُ أشکالُ وآلافُ</u>
--	--

ومن هذا علم أن الإنسان قد يحب الآخر لذاته لا لفائدة تُنال منه في عاجل أو حتى آجل، بل لمجرد التجانس بينهما والتناسب كذلك في الطبع أو الأخلاق الظاهرة والخفية.

ومن ذلك حبُّ الجمال بأنواعه، حتى ولو دون قصدٍ قضاء الشهوة، وإن الصور الجميلة مُستلذةً بذاتها، مثل الفواكه الجميلة والأزهار والماء الجاري والخضراء، ليس لسببٍ إلا التلذذ برؤيتها.

وعلى هذا لا يكون هذا الحبُّ بين المتحابين حبًّا في الله، بل هو حبٌ بالطبع وشهوة النفس، فإذا كان وراءه غرضٌ سيئٌ صار مذموماً، كحبُّ النظر إلى المرأة الأجنبية الجميلة، حيث إنها شهوة لا يحلُّ قصاؤها، وأما إن كان لغير سببٍ أو غرضٍ حرام أو مذموم فهو حبٌ مباح. فالحبُّ على هذه الشاكلة أمر مباح لا يُحمد صاحبه ولا يُذم إلا بحسب نيته.

**القسم الثاني:** أن يُحبَّ المرءُ آخاه لأنَّه وسيلةٌ إلى شيء آخر، والوسيلةُ إلى المحبوب محبوبةٌ كذلك، والحقيقة أنَّ المحبوب الحقيقي هو ذلك المقصود الثاني وليس ذلك الشخص المحبوب، كمن يُحب المال ليوصله إلى الطعام والشراب واللباس والتمتع بالحياة، وليس النقود ذاتها. فالذهب والفضة سببٌ ليتوصل بهما الإنسان إلى أن ينال جاهًا أو سلطانًا أو علمًا، لا لذاتهما. كمن يُحب التقرُّب إلى أصحاب السلطة للاستفادة، إما بمالهم أو جاههم، فإن المقصود من هذا الحبُّ هو حصول المُحبِّ على الدنيا كما ذكرنا، فهذا الحبُّ ليس من جهة الحب في الله كذلك.

ولكن هناك من يطلب من وراء محبوبه عملاً من أعمال الآخرة وأمراً من أمورها، كمن يُحبُّ أستاذه وشيخه، فمحبوبه العلم لا الأستاذ نفسه. فإذا كان الطالب المُحبُّ يُحبُّ أستاذه للعلم، ولا يقصد بهذا العلم التقرب إلى الله، بل يقصد به أن ينال منه جاهًا أو عزًا أو شرفاً بين الناس، أو مالًا، أو قبولًا عند الناس والخلق، فإن محبوبه الحقيقي ليس الأستاذ ولا العلم، وإنما محبوبه الجاه والشرف والقبول بين الناس والخلق.

ولما كان العلم وسيلةً إلى ذلك، والأستاذ أو الشيخ وسيلةً إلى العلم، فهذا أيضًا لا يُعتبر من الحبُّ في الله. وإذا تعلَّمَ ذلك العلم لغرضٍ مذمومٍ، كأن يظلم الناس به، أو يُحُوز به أموالَ اليتامي، ويلبي القضاء ليسرق أموالَ الناس، كان هذا الحبُّ مذمومًا عند الله.

وإن كان يقصد به التوصل إلى شيء مباح لا حرمة فيه، صار حبه لهذا مباحاً، ولا ثواب ولا عقاب، فالآمور بمقاصدها؛ فقد جاء في الحديث: **«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ أُمْرٍ مَا نَوَى»**. متفق عليه.

**القسم الثالث:** أن يُحبَّ المرءُ أخاه لا لذاته، بل لغيره، أي أنه وسيلةً لمحبوب آخر، ولكنه ليس من حظوظ الدنيا، بل من حظوظ الآخرة.

وذلك كمن يُحبُّ أستاذه وشيخه لأنَّه يتوصَّل به إلى تحصيل العلم، يكون عمله صالحًا، فيفوز وينجح عند الله تعالى، فهذا من جملة الحب في الله.

ومن يُحبُّ تلميذه لأنَّه يتلقَّى منه العلمَ فيnal بواسطة هذا التلميذ رتبة العلماء، ويُصبح كما قال عيسى عليه السلام: **«مَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ، وَعَلِمَ، فَذَلِكَ يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلْكُوت السَّمَاوَاتِ»**. فقد أحَبَّ تلميذه لأنَّ السببَ في هذا هو الترقى، فهو مُحِبٌّ في الله. وكمن يُحبُّ أن يتصدق بأمواله لله، أو يُحبُّ أن يطعم أصحابه وجيرانه وأضيافه، فيُهبي لهم الأطعمة اللذيدة تقرُّباً إلى الله، وهناك مَنْ يُساعدَه في ذلك، ولو كان طباخًا بالأجرة يُحسن صنعته، فهو يُحبُّه في الله لأنَّه يُساعدَه في تقديم طعامٍ جيدٍ لذِي لِإِخْرَانِه، فهو مُحِبٌّ في الله.

وكمن يُحبُّ مَنْ يخدمه بنفسه في غسل ثيابه، وكنس بيته، وطبخ طعامه، والقيام ببعض أعماله، ويُفرغه بذلك لطلب العلم أو العمل، فهو يستخدم ذلك الرجل ليُفرغه للعبادة والعلم، فهو مُحِبٌّ في الله. بل أكثرُ من ذلك أنه إذا أحَبَّ غيرَه الذي أنفقَ من ماله عليه، أي على ذلك المُحِبِّ ليقصد من ذلك تفريغه لدینه ولطلب العلم والتقرُّب إلى الله، فهو مُحِبٌّ في الله. وقد كان جماعةً من السَّلَف قد تكفلَ برعايتهم والنفقة عليهم جملةً من أهل الثروة واليسار، فكانوا جميعاً، المُنْفِقُ والمُنْفَقُ عليه، مُتَحَايِّنَ في الله.

حتى إنَّ من نَكَحَ امرأةً صالحةً ليصونَ بها دينه وعِرضه، ويرجو من قربها الزيادة في دينه، أو هي كذلك، فهو مُحِبٌّ في الله؛ وقد جاء في الحديث: **«حَتَّى الْلُّقْمَةَ يَضْعُهَا فِي أَمْرَأَتِهِ لَهُ بِهَا أَجْرٌ»** [متفق عليه]، وأعظمُ النفقة تلك التي يُنفقها على أهله؛ لذا وردت الأخبار بكثرة الثواب والأجر في هذا.

ولو اجتمع في قلبه محبّتان: محبةُ الله، ومحبة الدنيا. واجتمع هذا في شخصٍ واحد، أي أحبَّ شخصاً واحداً لله وللدنيا معًا، كمن يُحب أستاذَه الذي يُعلّمه الدين، وكذلك يُنفق عليه ليكفيه مهماتَ الدنيا فيُواسيه بماله، فقد أحبَّ لأنه سببُ لراحته في الدنيا وسعادته في الآخرة، فهو وسيلةٌ إليهما، فهذا أيضًا محبٌ في الله.

فليس شرطًا أنَّ من أحبَّ الله ألا يُحبَّ في العاجل، أي للدنيا أيضًا، فقد قال ﷺ: **«اللَّهُمَّ أَتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً»** [متفق عليه]، فيجمع بين حُبِّ الدنيا وحُبِّ الآخرة. كمن يُحبُّ امرأته بسبب دينها وسبب جمالها أيضًا، فهو محبٌ في الله مع أنه جَمَعَ بين الدنيا والآخرة، بسبب أنَّ جمالها المحبوب لديه هو وسيلةٌ إلى العفة والزهد في المعاشي.

وروي أنَّ عيسى عليه السلام قال: اللهم لا تُشمِّتْ بي عدوِي، ولا تَسْوِي صديقي، ولا تجعل مُصيتي في ديني، ولا تجعل الدنيا أكبرَ همي. مع أنَّ دفع شماتة الأعداء من حظوظ الدنيا، وكذلك فإنه لم يقل: ولا تجعل الدنيا أصلًا همي، بل قال: لا تجعلها أكبر همي.

وقال ﷺ عندما سأله رجلٌ: كيف أسائل ربِّي؟ قال: **«قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَعَافِي، وَارْزُقْنِي، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمُعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ»** [مسلم برقم ٢٦٩٧].

وقال أيضًا: **«تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهَدِ الْبَلَاءِ وَدَرْكِ الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْقَضَاءِ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ»**. متفق عليه.

وقال ﷺ أيضًا: **«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍ»**. [مسلم برقم ٢٧٢٠].

إذ لا يتصور حُبُّ الإنسان لحظوظ نفسه غداً ولا يحبُّهااليوم، على شرط ألا تتعارض حظوظ الدنيا مع حظوظ الآخرة، فالعالق عليه أن يتجرّب ما يضرُّه في الآخرة.

مثال: من يرفض أن يأكل طعامًا سرقته عند ملكِ من الملوك، حيث يعلم أنه لو أقدم على ذلك لقطعـت يده، فمع أنه يُحبُّ الطعام إلا أنه قد زَجَر عنـه نفسه، فالطعامُ لا شكَّ لـذـيـذـ لكنـهـ منـعـ نـفـسـهـ لـلـضـرـرـ المـتـعلـقـ بـهـ.

وعلى هذا فكُل حُبٌ، لو لا الإيمان بالله واليوم الآخر، لم يتصور وجوده فهو حُبٌ في الله، وكذلك كُل زيادة في الحُب بين المتحابين لو لا وجود الإيمان بالله لم تكن هذه الزيادة، فتلك الزيادة من الحُب في الله، وهذا أمر نادر وعزيز بين الناس، وهو أن يتعلّق حُبك وزيادته بأمر الدين وليس بأمر الدنيا.

وقال بعض العلماء: تعامل الناس في القرن الأول بالدين حتى رق الدين (أي: ضعف)، وتعاملوا في القرن الثاني بالوفاء (أي: في المعاملات) حتى ذهب الوفاء، وفي القرن الثالث تعاملوا بالمروءة (أي: بصفات الإنسانية عامة) حتى ذهبت المروءة، ولم يبق إلا الرهبة والرغبة (أي: التخويف بالثار والتغريب في الثواب والأجر) وذهب صفات الناس. أي: ذهب الخير من الناس وما بقي منه شيء.

**القسم الرابع:** أن يحب في الله والله لا لسبب آخر، ولا حتى لينال من صاحبه أو أستاذه عملاً أو عملاً يصل به إلى أمر آخر، وهذا من أعلى درجات الحُب في الله وأعظمها، حتى إنه يُحب ذلك الشخص ويُحب من يُحبه ومن يخدمه ومن يثني عليه.

قال بقية بن الوليد : إن المؤمن إذا أحب المؤمن أحّب كلبه.

كما قال مجذون ليلي:

أُبْلِلَ ذَا الْجِدَارَ وَذَا الْجِدَارِ  
أُمْرُ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارِ لِيلِي

وَمَا حَبُّ الدِّيَارِ شَغْفَنَ قَلْبِي  
وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا

فالمشاهدة والتجربة تدل على أن المُحِب يتعدّى حُبّه من ذات المحبوب إلى حُب ما يحيط به ويتعلّق به عموماً ولو من بُعد. وعلى هذا فإن حُب الله إذا قويَ أثمر ذلك حُبَّ كل من يقوم بحق عبادة الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، من علم أو عمل، بل أثمر كذلك حُبَّ كل من فيه صفةٌ مرضيَّة عند الله تعالى، من خلق حَسَنٍ أو تأدُّب بآداب الشَّرع الحميد. ويجد ذلك المُحِب في نفسه ميلاً إلى أهل العلم والعبادة، ويقوى ذلك الميل أو يضعف بضعف إيمانه وقوته، أو بسبب ضعف حُبِّه لله وقوته، فذلك الميل هو حُبٌ في الله والله.

فهو إنما يُحب لأن الله يُحبه، ولأنه مرضيٌّ عند الله تعالى، ولأنه يُحب الله تعالى، ولأنه

مشغول بعبادة الله تعالى. فإذا كان إيمان المحب ضعيفاً لم يظهر لذلك الحب أثر على حياته، ولا على سلوكياته، فلا يظهر به ثواب ولا أجر، أما إذا قوي إيمانه فيدفعه ذلك الحب إلى نصرة المحبوب والدفاع عنه وموالاته بالنفس واللسان.

ويتفاوت الناس في ذلك حسب تفاوتهم في حب الله عَزَّلَهُ، وهذا النوع من الحب الذي لا يُتَطَّلَّفُ في الدنيا من محبوبه، يظهر عند ذكر السابقين من الصالحين من الأنبياء السابقين والصحابة والتابعين والعلماء والعباد، وهم قد ماتوا ولا يُتَطَّلَّفُ منهم حظ في الدنيا، بل يفرح المحب عند الثناء عليهم، ويغضب بشدة عند ذمهم من الأعداء.

فكُلُّ هذا حب في الله خالص؛ لأنهم خواص عباد الله. بل قد رأينا في المهاجرين والأنصار حباً عجياً، فقد سمح لهم بأموالهم لمحبوبهم ما بين نصف المال وثلثه وعشره.

وكما قيل في الحكمة: مقادير الأموال موازين المحبة؛ إذ لا تُعرف درجة حبك  
للمحبوب إلا بمقدار ما تستطيع أن تترك له من مالك مقابل هذه المحبة.

فمن استغرق الحب قلبه لا يمسك لنفسه عن محبوبه شيئاً، وذلك مثل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فإنه لم يترك لنفسه ولا لأهله مالاً، فقد بذل جميع حياته حباً للنبي ﷺ مالاً وولداً.

وهو لاء الأنصار قد قال الله تعالى فيهم: **﴿وَالَّذِينَ تَبَعَّوْهُ الدَّارَ وَالْأَيْمَنَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحِدُّونَ فِي صَدْرِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُتُوهُ وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ رِبَّهُمْ خَصَاصَةً وَمَنْ يُوقَ شَعَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [الحشر: ٩].

وعلى هذا فكُلُّ من أحب عالماً أو عابداً، أو أحب شخصاً راغباً في علم أو في خير فإنما أحبه في الله والله. وله فيه من الأجر والثواب بقدر قوة حبه له.

وقد روي عن أبي الدرداء مرفوعاً: «كان من دعاء داود السليماني: اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك. اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد». أحمد في «مسند» (٥/٢٤٣)، برقم (٢٢٦٢)، الترمذى برقم (٣٤٩٠)، وقال: حديث حسن.

وأن رسول الله أخذ بيده معاذ وقال: «يا معاذ، والله إني لا أحبك ثم أوصيك». أبو داود برقم (١٥٢٢)، صحيح الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٧٩٦٩). فهذا في حق النبي الذي حبه قربة إلى الله بالرغم من ذلك يتودد لمن هو أقل رتبة منه في الدنيا والسنن.

**ثانياً: البغض في الله:** اعلم أن كلَّ مَن يُحبُ في الله لابد له مِنْ أَنْ يُبغض في الله، فإذا أَحَبَتْ إِنْسَانًا لَأْنَه مُطِيعٌ لِله وَمَرْضِيٌ عنده فَإِنَّه إِنْ عصاه فلابد لك مِنْ أَنْ تُبغضه؛ لأنَّه صار عاصيًّا لِله، أَيْ إِنَّ الْحُبَّ لِسَبِّ وَالْبَغْضِ أوَ الْكَرَه لِعَكْسِهِ وَضِدِّهِ، وَالْحُبُّ وَالْبَغْضُ عَمَلٌ قَلْبِيٌّ، يَظْهُرُ بِظُهُورِ الْأَفْعَالِ بِالْحُبِّ أَوِ الْبَغْضِ، وَالْمَقَارِبَةِ أَوِ الْمَبَاعِدَةِ، وَالْمُخَالِفَةِ أَوِ الْمَوَافِقَةِ، وَيُسَمَّى الفِعْلُ فِي حَالَةِ الْمَوَافِقَةِ الْمَوَالَةُ فِي الله، وَيُسَمَّى فِي حَالَةِ الْمَبَاعِدَةِ وَالْمَبَاغِضَةِ الْمَعَاذَةُ فِي الله. فَالْمَحَبَّةُ فِي الله هِيَ مَوَالَةُ الْمُؤْمِنِينَ وَجُبُّهُمْ جَمْلَةً، أَمَّا آحَادُ الْمُسْلِمِينَ فَكُلُّ يُحَبُّ بِقَدْرِ قُرْبِهِ مِنَ الله تَعَالَى.

وَمَهْمَا اجْتَمَعَ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ خَصَالٌ يُحَبُّ بَعْضُهَا وَيُكْرَهُ بَعْضُهَا فَإِنَّكَ تُحِبُّهُ مِنْ وَجْهٍ وَتُبْغِضُهُ مِنْ وَجْهٍ، فَيُحَبُّ لَمَا عَنْهُ مِنْ إِيمَانٍ وَيُبْغِضُ لَمَا عَنْهُ مِنْ مَعَاصٍ، وَعَلَى قَدْرِ زِيادةِ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ يُزِيدُ الْحُبُّ وَالْبَغْضُ. فَيُجِبُ أَنْ تُعْطِي كُلُّ صَفَةٍ أَوْ خَصْلَةٍ فِي ذَلِكَ الشَّخْصِ حَظَّهَا مِنَ الْبَغْضِ وَالْحُبُّ وَالْإِعْرَاضِ وَالْإِقْبَالِ وَالصُّحْبَةِ وَالْقُطْعَيْةِ وَسَائِرِ الْأَفْعَالِ الصَّادِرَةِ مِنْهُ.

وَكُلُّ مُسْلِمٍ تُحِبُّهُ لِإِسْلَامِهِ وَتُبْغِضُهُ لِمُعَصِّيَتِهِ، وَتَكُونُ مَعَهُ عَلَى حَالَةٍ مَتوَسِطَةٍ بَيْنَ الْأَنْقَبَاضِ وَالْأَسْتِرْسَالِ، وَبَيْنَ الإِقْبَالِ وَالْإِعْرَاضِ، وَبَيْنَ التَوْدُدِ إِلَيْهِ وَالتَوْحُشِ مِنْهُ. وَأَمَّا إِظْهَارُ الْبَغْضِ فَقَدْ اخْتَلَفَ طُرُقُ السَّلَفِ فِي إِظْهَارِ الْبَغْضِ لِأَهْلِ الْمَعَاصِيِّ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ افْنَقُوا عَلَى إِظْهَارِ الْبَغْضِ لِلظُّلْمَةِ وَالْمُبَتَدَعَةِ، وَكُلُّ مَنْ عَصَى الله بِمُعَصِّيَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، أَيْ بِمُعَصِّيَةٍ تَسَبَّبَتْ فِي فَتْنَةِ النَّاسِ أَوْ فَسَادِهِمْ، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشْيَعَ الْفَحْشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَالله يَعْلَمُ وَأَنَّمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]، وَقَالَ ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَىٰ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ». متفق عليه.

أَمَّا مَنْ عَصَى الله فِي نَفْسِهِ: فَمِنْ السَّلَفِ مَنْ نَظَرَ بَعْنَ الرَّحْمَةِ إِلَى الْعَصَةِ كُلَّهُمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ شَدَّدَ الإنْكَارَ عَلَيْهِمْ وَاخْتَارَ الْبُعْدَ وَالْمَبَاعِدَةَ عَنْهُمْ، وَلَكُلُّ دَلِيلٍ.

فَقَدْ قَالَ ﷺ: «لَا يَسْتَرُ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [متفق عليه بنحوه].

وقال أيضًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكِرًا فَلَا يُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِي قَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضَعَفُ الْإِيمَانِ». مسلم برقم (٤٩).

وهذا أمرٌ يختلف باختلاف النية، ثم باختلاف حالٍ كُلٍّ واحدٍ، فلم يكن الذين يشربون الخمر ويعاطون الفواحش في زمان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة يهجرون ولا يُبعدون بالكلية، بل كانوا منقسمين فيهم إلى من يُغليظ القول عليهم، وإلى من يُعرض عنهم ولا يتعرّض لهم، وإلى من ينظر إليهم بعين الرحمة ولا يُقاطع ولا يتبعاد حسب الحال والمقتضى، فكُلُّها أمورٌ تدخل تحت الفضائل والدرجات.

فعن أبي هريرة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برجل شرب خمراً فقال: «اضرِبُوهُ (أي: إلقاءه الحد)». قال أبو هريرة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فمن الصارب بيده والضارب بنعله والضارب بشوبه، فلما انصرف قال بعض القوم: أخراك الله. فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تقولوا هكذا، لا تُعينوا عليه الشَّيْطَانَ». البخاري برقم (٦٧٧٧).

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَرَّ مُسْلِمًا سَرَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». متفق عليه.

وأما معاملة الذين يُغضبون في الله فتكون بالكف عن مخالفتهم ومعاشرتهم ومعاملتهم ومواكلتهم، أو الانبساط والاسترسال معهم كما يُسترسَل مع الأصدقاء والأحباب، فهذا شيء مكرودٌ، إلا أن تكون دعوتهم هي السبب في القرب فقط.

فإذا كان من أهل المعاشي الشديدة وقد فشلت أساليب الدعوة معه مراراً وتكراراً، فيجب كف الإحسان إليه أو الإعانته له على ظلمه، خاصة في أعراض الناس وأموالهم ومن يهيئون أسباب الفساد للناس، وإن كُنَّا لا نكف عن دعوتهم إلى الممات بالحكمة والموعظة الحسنة.

## ٤٧- باب علامات حب الله تعالى للعبد والحدث على التخلق بها

### والسعى في تحصيلها

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُجْنُونَ أَللَّهَ فَأَتَيْعُونِي يُحِبِّبُكُمْ أَللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال تعالى: ﴿يَكْلِمُهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوْهُمْ أَذْلَلُهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَلُهُ عَلَى الْكُفَّارِ يُحِبُّهُمْ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَا يُمْرِرُ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٥٤].

(٤٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «إن الله تعالى قال: من عادى لي ولائي أي: الولي: العالم بالله، المواطن على طاعته، المخلص في عبادته) فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبد يشئ أحب إلى مما افترضت عليه (أي: فرائض العين والكافية)، وما يزال عبد يقترب إلى بالنواب (أي: جميع ما ينذر إليه من الأقوال والأفعال) حتى أحبه، فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يطش بها، ورجله التي يمشي بها وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذه». رواه البخاري.

معنى آذنته: أعلمته بأني محارب له. قوله: (استعاذني) روی بالباء، وروي بالنون.

(٤٧) وعن النبي صلوات الله عليه وسلم قال: «إذا أحب الله تعالى العبد نادى جبريل: إن الله تعالى يحب فلانا، فأحبيه. فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلانا، فاحببوه. فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «إن الله تعالى إذا أحب عبدا دعا جبريل، فقال: إني أحب فلانا فأحبيه. فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه. فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدا دعا جبريل، فيقول: إني أبغض فلانا فأبغضه. فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانا فأبغضه، فيبغضه أهل السماء، ثم توضع له البغضاء في الأرض».

(٤٧) وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية (أي: فرقة من الجيش)

فَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ ﴿١﴾ [الإخلاص: ١] فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «سَلُوْهُ؛ لَا يَّشِيءُ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟» فَسَأَلَوْهُ فَقَالَ: لَأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ فَإِنَّمَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّهُ». متفق عليه.

#### ٤٨- باب التحذير من إيذاء الصالحين والضعفة والمساكين

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَغْتَرِرُ مَا أَكَتَسَبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَنَاتًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا أَيْتَنِي فَلَا نَفَهَرُ ١١ وَإِنَّمَا السَّأَلَ فَلَا نَنْهَرُ ١٠﴾ [الضحى: ٩، ١٠].

وأما الأحاديث فكثيرة، منها:

حديث أبى هريرة رض في الباب قبل هذا: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَتُهُ بِالْحَرْبِ». ومنها: حديث سعد بن أبى وقاص رض السابق في باب ملاطفة اليتيم، وقوله رض: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ».

٤٨/٣٨٩ (٤٨) وعن جنْدُبٌ بن عبد الله رض قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ، فَهُوَ فِي ذَمَّةِ اللَّهِ (أى: حفظه وأمانه ورعايته)، فَلَا يَطْلُبُكُمُ اللَّهُ مِنْ ذَمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّمَا يَطْلُبُهُ مِنْ ذَمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكُهُ (أى: يُلْقِيهِ) عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ». رواه مسلم.

(أى: لا تتركوا صلاة الصبح فيتقضى به العهد الذي بينكم وبين ربكم فيطلبكم به).

#### ٤٩- باب إجراء أحكام الناس على الظاهر وسرائرهم إلى الله تعالى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكُوْةَ فَخَلُوْا سَيِّلَاهُمْ﴾ [التوبه: ٥].

٤٩/٣٩٠ (٤٩) وعن ابن عمر رض: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «أَمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقْيِمُوا الصَّلَاةَ، وَيَؤْتُوا الرَّزْكَةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا (أى: حفظوا) مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى». متفق عليه.

(٤٩) وعن أبي عبد الله طارق بن أشيم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله؛ حرّم ماله ودمه، وحسابه على الله تعالى». رواه مسلم.

(٤٩) وعن أبي معد المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله صلوات الله عليه وسلم: أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار، فافتئنا، فضرب إحدى يدي بالسيف، فقطعها، ثم لاد أي: التجا واحتمى ميني بشعيرة، فقال: أسلمت لله. أقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال: «لا تقتلنِه». فقلت: يا رسول الله، قطع إحدى يدي، ثم قال ذلك بعد ما قطعها! فقال: «لا تقتلنِه». فقلت: فإنه قتلتُه فإنه بمنزلك قبل أن يقول كلامته التي قال.» متفق عليه. ومعنى «إنه بمنزلك» أي: معصوم الدم محكوم بإسلامه. ومعنى «إنك بمنزلك» أي: مباح الدم بالقصاص لورثة لا أنه بمنزلك في الكفر. والله أعلم.

(٤٩) وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: بعثنا رسول الله صلوات الله عليه وسلم إلى الحرقة من جهينة، فصَبَحَنَا القوم أي: هجمنا عليهم صباحاً على مياهِمْ، ولحقتُ أنا ورجلٌ من الانصار رجلاً منهم، فلما غشينا أي: لحقنا به، قال: لا إله إلا الله، ففك عنْه الانصاري، وطعنته برمحي حتى قتنته، فلما قدمنا المدينة، بلغ ذلك النبي صلوات الله عليه وسلم فقال لي: «يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟!» قلت: يا رسول الله، إنما كان متعمداً، فقال: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟!» فما زال يكررها على حتى تمنيت أن لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم. متفق عليه. وفي رواية: فقال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «أقال: لا إله إلا الله وقتلت؟!» قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: «أفلأ شفقت عن قلبه حتى تعلم أفالها أم لا؟!» فما زال يكررها حتى تمنيت أنني أسلمت يومئذ. الحرقة بضم الحاء المهملة وفتح الراء: بطن من جهينة، القبيلة المعروفة. قوله: «متعمداً» أي: معتصماً بها من القتل لا معتقداً لها.

(٤٩) وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم بعث بعثاً أي: أرسل جيشاً من المسلمين إلى قوم من المشركين، وأنهم التقو، فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصداً له فقتله، وأن رجلاً من المسلمين قصد غفلة، وكنا نحدث أنه أسامة بن زيد، فلما رفع عليه السيف، قال: لا إله إلا الله. فقتله، فجاء البشير إلى رسول الله صلوات الله عليه وسلم فسألته وأخبره، حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع، فدعاه فسألته، فقال: «لم قتلتة؟» فقال: يا رسول الله. أوجع في المسلمين، وقتل فلاناً وفلاناً، وسمى له

نَفْرًا، وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقْتَلْتُهُ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: «وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَجَعَلَ لَا يَزِيدُ عَلَى أَنْ يَقُولَ: «كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟». رواه مسلم.

(٤٩) (٣٩٥) وعن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول: إنَّ نَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا تَأْخُذُكُمُ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمْ نَأْمَنَاهُ (أي: صار عندهنا آمناً) وَقَرَبَنَا، وَلَيْسَ لَنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ، اللَّهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ وَلَمْ نُصَدِّهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةً. رواه البخاري.

## ٥٠- باب الخوف

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّمَا فَارَّهُمْ بُونٌ﴾ [البقرة: ٤٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذَ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرْبَىٰ وَهِيَ ظَلَمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [١٠٣] إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ يُجْمَعُ عَلَيْهِ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَسْهُودٌ﴾ [١٠٤] وَمَا تُؤْخِرُهُ إِلَّا لِأَجْلٍ مَعْدُودٍ﴾ [١٠٥] يَوْمٌ يَأْتِي لَا تَكُونُ نَفْسٌ إِلَّا يَأْذِنُهُ فَمِنْهُمْ شَقِيقٌ وَسَعِيدٌ﴾ [١٠٦] فَأَمَّا الَّذِينَ شَقَوْا فِي الْأَنْتَارِ لَمْ يَرْفِعُوا فِرْشَةً وَشَهِيقٌ [١٠٦-١٠٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَيْحَدِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسُكُمْ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَغْرِيَ الرَّءُوفُ مِنْ أَخْيَهِ﴾ [٢٥] وَأَيْدِيهِ وَبَيْدِهِ ﴿إِلَّا كُلُّ أُمَّرَىٰ مِنْهُمْ يُوَمِّدُ شَأْنَ يَغْنِيَهُ﴾ [٢٦] عبس: ٣٤-٣٧.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقْوَا رَبَّكُمْ إِنَّ رِزْلَةَ السَّاعَةِ شَتَّىٰ عَظِيمٌ﴾ [١] يَوْمَ تَرَوُنَهَا تَذَهَّلُ كُلُّ مُرْضِعٍ كُلُّ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتٍ حَمِيلٍ حَمَلَهَا وَتَرَى النَّاسَ شُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِشُكَرَىٰ وَلَنَكَنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [٢] [الحج: ١٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ [٦] [الرحمن: ٤٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسْأَلُونَ ﴾٢٥﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾٢٦﴿ فَمَنْ أَلْهَمَ اللَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾٢٧﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الرَّحِيمُ ﴾٢٨﴾ [الطور: ٢٤ - ٢٥].

والآيات في الباب كثيرة جدًا معلومات، والغرض الإشارة إلى بعضها، وقد حصل.

وأما الأحاديث فكثيرة جدًا، فنذكر منها طرفاً وبالله التوفيق:

(٤٠ / ٣٩٦) عن ابن مسعود رض قال: حدثنا رسول الله ص وهو الصادق المصدوق: «إنَّ أحَدَكُمْ يُجْمِعُ خَلْقَهُ (أي: مادة خلقه) فِي بَطْنِ أَمِهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُظْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ، فَيُفْخِّحُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمِرُ بِأَرْبَعَ كَلِمَاتٍ: يَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلِهِ وَسَقِيَّهُ أَوْ سَعِيَّهُ. فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بَعْلَمَ أَهْلَ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذَرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بَعْلَمَ أَهْلَ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بَعْلَمَ أَهْلَ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذَرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بَعْلَمَ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا». متفق عليه.

(٤٠ / ٣٩٧) وعنه قال: قال رسول الله ص: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زَمَامٍ (أي: ممسك ومقبض، كالحبل الذي يُربط في عنق الدابة وتشد به)، مع كُلِّ زِمامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يَجْرُونَهَا (أي: يسحبونها)». رواه مسلم.

(٤٠ / ٣٩٨) وعن النعمان بن بشير رض قال: سمعت رسول الله ص يقول: «إنَّ أَهْوَنَ أَهْلَ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٍ يُوضِعُ فِي أَخْمَصٍ (أي: ما لا يصل إلى الأرض من باطن القدم) قَدَمِيهِ جَمْرَتَانٍ (أي: قطعتان من نار ملتهبتان) يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّ لِأَهْوَنِهِمْ عَذَابًا». متفق عليه.

(٤٠ / ٣٩٩) وعن سمرة بن جذب رض قال: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ص قَالَ: «مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْرَتَهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى تَرْقُوتَهِ». رواه مسلم. **الحُجْرَةُ**: مَعْقِدُ الإِزارَ تَحْتَ السُّرَّةِ. و**الشُّرُقُوَةُ**: بفتح التاء وضم القاف، هي: العظمُ الَّذِي عِنْدُ ثُغْرَةِ النَّحْرِ، وَلِلإِنْسَانِ تَرْقُوتَانِ فِي جَانِبِ النَّحْرِ.

(٤٠ / ٤٠٠) وعن ابن عمر رض قال: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ: «يُقْوِمُ النَّاسُ (أي: يبعثون من قبورهم) لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّىٰ يَغْيِبَ أَحَدُهُمْ فِي رَسْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أَذْنِيهِ». متفق عليه. و**الرَّشْحُ**: العرق.

(٤٠١) وعن أنس رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه خطبة ما سمعت مثلها قط فقال: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِّكُتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا». فَعَطَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه وَجُوهَهُمْ، وَلَهُمْ خَنِينُ متفق عليه.

وفي رواية: بلغَ رَسُولُ اللهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ فَخَطَبَ، فَقَالَ: «عَرَضْتُ عَلَيَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، فَلَمْ أَرْ كَالِيُومْ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِّكُتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا». فَمَا أَتَى عَلَيَّ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه يَوْمًا أَشَدُّ مِنْهُ، غَطَّوْا رُعُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينُ «الخنين» بالخاء المعجمة، هُوَ البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الأنف.

(٤٠٢) وعن المقداد رضي الله عنه قال: سمعتُ رَسُولَ اللهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: «تُدْنِي الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْحَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمَدَارِ مِيلٍ». قال سليم بن عامر الراوي عن المقداد: فوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ، أَمْسَافَةُ الْأَرْضِ أَمْ الْمِيلُ الَّذِي تُكْتَحِلُ بِهِ الْعَيْنُ؟ قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرْقِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رَكْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ (أي: وسطه)، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْحِمُهُ الْعَرْقُ إِلَى جَاهَمَّمَةِ» . قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ . رواه مسلم.

(٤٠٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «يَعْرُقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُدْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْحِمُهُمْ حَتَّى يَلْغُ آذَانَهُمْ». متفق عليه.

وَمَعْنَى «يُدْهَبُ فِي الْأَرْضِ»: ينزل ويعوض.

(٤٠٤) وعنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه إِذْ سَمِعَ وَجْهَهُ (أي: الوجبة: صوت السقطة والوقوع)، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَّ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ حَرَبِيًّا (أي: الخريف: العام)، فَهُوَ يَهُوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انتَهَى إِلَى قَعْدَهَا فَسَمِعْتُمْ وَجْهَهَا» . رواه مسلم.

(٤٠٥) وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيِّكَلُمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بِهِ وَبِيَنَهُ تَرْجُمَانٌ (أي: واسطة أو مترجم)، فَيَنْظُرُ أَيْمَانَهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشَامَهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدِيهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقاءً وَجْهِهِ (أي: مقابل وجهه)، فَأَتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشَقَّ تَمَرَّةً . متفق عليه.

(٤٠٦) وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا

سَمِعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءَ وَحُقَّ (أي: انبغى) لَهَا أَنْ تَعْطَى، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعُ أَصْبَاعَ إِلَّا وَمَلَكٌ  
وَاضْعُ جَهَنَّمَةُ سَاجِدًا اللَّهُ تَعَالَى. وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَصَحِحَّتُمْ قَلِيلًا وَلَكُمْ كَثِيرًا،  
وَمَا تَلَدَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى». رواه  
الترمذني، وقال: «حديث حسن». وـ أَطَّتِ بفتح الهمزة وتشديد الطاء. وـ تَعْطَى بفتح التاء وبعدها همزة مكسورة،  
وـ الْأَطْيَطِ: صوت الرَّاحِلِ وَالْقَتِيبِ وَشَبِيهِمَا، ومعناه: أَنْ كَثْرَةً مِنْ فِي السَّمَاءِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْعَابِدِينَ قَدْ أَنْقَطْتُهَا حَتَّى  
أَطَّتِ و الصُّعُدَاتِ بضم الصاد والعين: الطرقات. ومعنى: تَجَارُونَ: تَسْعَيُونَ.

(٤٠٧) وعن أبي بَرَزَةَ - بِرَاءٍ ثُمَّ زَائِي - نَضْلَةَ بْنَ عَبْدِ الْأَسْلَمِ رض قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صل: «لَا  
تَزُولُ قَدَمًا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ فِيهِ؟ وَعَنْ  
مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جَسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ (أي: ضَيَّعَهُ؟)». رواه الترمذني، وقال:  
« الحديث حسن صحيح ».

(٤٠٨) وعن أبي هريرة رض قَالَ: قرأَ رَسُولُ اللَّهِ صل: يَوْمَئِذٍ تُحَدَّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ [الزلزلة: ٤] ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «إِنَّ  
أَخْبَارَهَا أَنْ تَشَهَّدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا تَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا  
وَكَذَا فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا». رواه الترمذني، وقال: « الحديث حسن صحيح ».

(٤٠٩) وعن أبي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رض قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صل: كَيْفَ أَنْعَمْ (أي: أَفْرَحَ وَأَنْتَمْ)  
وَصَاحِبُ الْقَرْنِ (أي: يَقْصِدُ إِسْرَافِيلَ صل) قِدَ الْتَّقَمْ (أي: أَخْذَ فِيمَهُ) الْقَرْنَ، وَاسْتَمَعَ إِلَيْهِ مَتَّى  
يُؤْمِرُ بِالنَّفَخِ فَيَنْفَخُ! فَكَانَ ذَلِكَ ثُقُلَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صل فَقَالَ لَهُمْ: «قُولُوا:  
حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ». رواه الترمذني، وقال: « الحديث حسن ».

الْقَرْنُ: هُوَ الصُّورُ الَّذِي قَالَ عَنْهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَقَيْقَعَ فِي الصُّورِ [الكهف: ٩٩] كَذَا فَسَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صل.

(٤١٠) وعن أبي هريرة رض قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صل: «مَنْ خَافَ (أي: خاف من هجوم العدو)  
أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ (أي: وصل إلى مطلبِه)، أَلَا إِنْ سِلْعَةَ اللَّهِ عَالِيَّةُ، أَلَا إِنْ سِلْعَةَ اللَّهِ  
الْجَنَّةُ». رواه الترمذني، وقال: « الحديث حسن ». وـ أَدْلَجَ: بإسكان الدال ومعناه: سار من أول الليل، والمراد التشمير  
في الطاعة. والله أعلم.

(٤١١) وعن عائشة رض قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صل يَقُولُ: يُحْشِرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
حُفَّةً عَرَّةً عُرَّلًا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ جَمِيعًا يُنْظَرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟!  
قَالَ: يَا عَائِشَةُ، الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهَمَّهُمْ ذَلِكَ».

وفي رواية: «الْأَمْرُ أَهُمْ مِنْ أَنْ يَنْتَظِرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ». متفق عليه.

**«غُرْلًا» بضم الغين المعجمة، أي: غير مختونين.**



### (الخوف)

الخائف هو الذي يتوقع حدوث مكروه أو فقدان شيء محبوب لديه، فهو مفروغ القلب، وإذا أطلق لفظ الخوف فإنما يراد به الخوف من الله تعالى. وحينما خوف الله عباده منه، ما أراد ما يخطر على البال من الرعب منه، كمن يخاف من أسد مفترسٍ فيرتد خوفاً، وإنما أراد به الكف عن المعاصي والذنوب، والإقبال على الطاعات والأوامر؛ ولهذا قيل: لا يُعد خائفاً من لم يكن للذنب تاركاً.

واعلم أن الله خلق الخلق جميماً ليعرفوه ويعبدوه ويخشوه ويخافوه، وجعل الأدلة في الكون لتدل على عظمته وكبرياته وجبروته؛ ليهابه الخلق ويخافوه خوف إجلال وتعظيم، ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التي أعد لها لأصحاب المعاصي حتى يتقوه بفعل صالح الأعمال، ولا يتجرأوا على اقتراف السيئات، وهذا الذي جعل السلف الصالح على حال من الخوف والخشية، مما رفعهم إلى درجات عالية من الطاعات والبعد عن المحرمات.

والقدر الواجب شرعاً من الخوف هو ما يحمل العبد على حُسْن أداء الفرائض واجتناب المحaram، وأما إذا زاد على ذلك ليدفع العبد إلى فعل النوافل والبعد عن المكرهات، فهذا من الخوف المباح المحمد الجانب، وأما إذا زاد على هذا الحدّ دفع الإنسان إلى الوسوسة والمرض والهم اللازم بحيث يصرفه عن السعي إلى اكتساب الفضائل المطلوبة فهو من الخوف المذموم.

واعلم أن الخوف من مقامات الإيمان العالية، فهو من لوازم الإيمان؛ قال الله تعالى:

**﴿وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾** آل عمران: ١٧٥

فمن كان قريباً اشتدا خوفه لقرب علمه بربه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وعلى العبد أن يشكر الله على نعمة الخوف منه، وذلك مما يرفع قدره عند الله.

والعبد إن كان مستقيماً الحال فهو يخاف؛ إما من خاتمة السوء فيقى خائفاً إلى الممات، أو يخاف من نقصان درجه عند الله بسبب تقصيره البشري. أما إن كان العبد يخلط بين الحق والباطل فهو - لا شك - خائف من سوء فعله، وقد ينفعه عند ذلك ندمه وإفلاعه قبل الممات، فهو يخاف من سوء فعله وأن يحرم التوبة قبل الموت. وعن النبي ﷺ قال: إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي عَمَلُ قَوْمٍ لُوطٍ. أحمد في مسنده (٣٨٢) برقم (١٥١٣٣).

وعنه أيضاً عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرُكُ الْأَصْغَرُ. قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: الرِّياءُ، يَقُولُ اللَّهُ يَعْلَمُ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُتُبْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانظُرُوا هَلْ تَحْدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً. أحمد في مسنده (٤٢٨) برقم (٢٣٦٨٠).

وقال النبي ﷺ: أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ؟ قلنا: بلـ. قال: الشَّرُكُ الْحَقِيقِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ فَيَصَالِي كَيْرَيْنَ صَلَاتُهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ. أحمد في مسنده (٣٠) برقم (١١٢٧٠)، حسنة الألباني ( صحيح الجامع الصغير ) حديث (٢٦٠٧).

وحكى أنس رضي الله عنه أن النبي صلوات الله عليه دخل على شاب وهو في الموت، فقال: «كَيْفَ تَحْدُكَ؟». فقال: أرجو الله تعالى وأخاف ذنبي. فقال رسول الله صلوات الله عليه: لَا يَجْتَمِعُانِ فِي قَلْبٍ عَبْدٍ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ». الترمذى برقم (٩٨٣).

وسألت عائشة رسول الله صلوات الله عليه عن هذه الآية: وَالَّذِينَ يَقُولُونَ مَا ءَانَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجْهَهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَبِّ الْجَنَّاتِ [المؤمنون: ٦٠]. قالت: أهؤم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «لَا يَا بُنْتَ الصَّدِيقِ، وَلَكِنْهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَلَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ». الترمذى برقم (٣١٧٥)، والحاكم في المستدرك برقم (٣٤٨٦).

وعن ابن عباس: أن رسول الله صلوات الله عليهقرأ هذه الآية: فَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْقُوا اللَّهَ حَقَّ مُقْلَنِهِ، وَلَا مَوْنَنَ لِلَا وَأَنْتُ مُسْلِمُونَ [آل عمران: ١٠٢]. فقال صلوات الله عليه: «لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقْوَنِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعِيشَتَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامُهُ؟!». أحمد في مسنده (١) برقم (٣٠٠)، برقم (٢٧٣٥)، صحيح الألباني ( صحيح الجامع الصغير ) حديث (٥٢٥٠).

وكان عمان بن عفان رضي الله عنه: إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة

والنار ولا تبكي، وتبكي من هذا؟! قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوْلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ تَجَاءَ مِنْهُ قَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدُهُ أَشَدُ مِنْهُ». أحمد في مسنده (١/٦٣) برقم (٤٥٤). وقال رسول الله ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْطَعَ مِنْهُ». أحمد في مسنده (١/٦٣) برقم (٤٥٤)، حسنة الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٥٦٢٣).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو نادى مُنادٍ من السماء: أيها الناس، إنكم داخلون الجنة كلّكم إلا رجلاً واحداً، لَخِفتُ أن أكون أنا هو. وقال أيضًا رضي الله عنه: لو أن لي طلاغ الأرض (أي: ملء الأرض) ذهباً لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه، وأخذ عمر رضي الله عنه بنته من الأرض وقال: يا ليتني هذه البنت، ليتني لم أكن شيئاً، ليت أمي لم تلدني، ليتني كنت نسياً مُنسيناً.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: كان رأس عمر على فَخِذِي في مرضه الذي مات فيه، فقال لي: ضع رأسي. قال: فوضعته على الأرض، فقال: ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربّي. وقال ذو النون : الناس على الطريق (أي: الطريق الصحيح) ما لم يزُل عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق.

**٩٠** وقال الحسن : في قوله تعالى: **﴿وَيَدْعُونَكَارَبَّكَأَوْهَبَكَأَوْكَانَوْلَانَ﴾** خشين [الأبياء: ٩٠] قال: هو الخوف الدائم في القلب.

قال الحسن البصري : والله، ما مضى مؤمن ولا يقى إلا وهو يخاف النفاق، وما أمنه إلا مُنافق. وقال أيضًا : الرجاء والخوف مطيتا المؤمن (أي: المراد يلزمهما للفوز والفلاح، والهطي: ما يركب من فرسٍ ونحوه، فشبه الرجاء والخوف بأن المؤمن يمتنعهما ويلزمهما للبلوغ مقصوده).

**٦٠** وقال الحسن في قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءاتَوْا وَقُلُومُهُمْ وَجْهَهُمْ إِلَى نَفْتِهِمْ رَجِيعُونَ﴾** [المؤمنون: ٦٠]: كانوا يعملون ما عملوا من أعمال البر وهم يخافون إلا ينجيهم ذلك من عذاب الله.

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخاف الله خاف من كل شيء.

وقال سفيان بن عيينة : خلق الله النار رحمةً يخوّف بها عباده ليتهوا.

وَسُئلَ ابْنُ الْمَبَارِكَ ﷺ عَنْ رَجْلَيْنِ أَحدهما خَائِفٌ وَالآخَرُ قَتِيلٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَحَبُّهُمَا إِلَيَّ أَخْوَفُهُمَا (أي: أخوفهما الله).

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضَ : الْخَوْفُ أَفْضَلُ مِنَ الرَّجَاءِ مَا كَانَ الرَّجُلُ صَحِيحًا (أي: في حال الصحة)، فَإِذَا نَزَلَ الْمَوْتُ (أي: حضرته الوفاة) فَالرَّجَاءُ أَفْضَلُ. وَقَالَ أَيْضًا: إن خَفْتَ اللَّهَ لَمْ يَضْرَكَ أَحَدًا، وَإِنْ خَفْتَ غَيْرَ اللَّهِ لَمْ يَنْفَعَكَ أَحَدًا.

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ حَوْشَبَ : مَا رَأَيْتُ أَخْوَفَ مِنَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَعُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، كَأَنَّ النَّارَ لَمْ تُخْلَقْ إِلَّا لَهُمَا. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعاذِ الرَّازِيِّ : عَلَى قَدْرِ حُبِّكَ اللَّهِ يُحِبُّكُ الْخَلْقُ، وَعَلَى قَدْرِ خَوْفِكَ مِنَ اللَّهِ يَهَابُكَ الْخَلْقُ.

وَكَانَ هَرْمُونَ بْنَ حَيَّانَ يَخْرُجُ لِيَلًا وَيُنَادِيهِ: عَجِبْتُ مِنَ الْجَنَّةِ كَيْفَ يَنْامُ طَالُبُهَا، وَعَجِبْتُ مِنَ النَّارِ كَيْفَ يَنْامُ هَارِبُهَا! ثُمَّ قَرأَ قُولَهُ تَعَالَى: **(أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرْبَى أَنْ يَأْتِيهِمْ بَأْسُنَا يَكْتَأْ وَهُمْ تَأْمِونُ** ١٧ [الأعراف: ٩٧]. وَقَالَ أَيْضًا : وَدَدْتُ وَاللَّهِ أَنِّي شَجَرَةً أَكَلْتَنِي نَاقَةٌ ثُمَّ قَدْفَتِنِي بَعْرًا (أي: البعر: فضلات الحيوان) وَلَمْ أَكَلِ الدِّحْسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنِّي أَخَافُ الدَّاهِيَّةَ الْكَبْرَى.

وَقَالَ أَبُو سَلِيمَانَ الدَّارَانِيُّ : أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدِّنِيَا وَالآخِرَةِ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ يَعْجِلُكَ، وَكُلُّ قَلْبٍ لَيْسَ فِيهِ خَوْفٌ فَهُوَ قَلْبُ خَرْبٍ. وَقَالَ أَيْضًا : مَنْ حَسُنَ ظُنْهُ بِاللَّهِ يَعْجِلُكَ ثُمَّ لَا يَخَافُ اللَّهَ فَهُوَ مَخْدُوعٌ.

وَيَقُولُ أَبُو عُمَرِ الدَّمَشْقِيُّ : حَقِيقَةُ الْخَوْفِ أَلَا تَخَافَ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا.

قَالَ أَبُو عَلَيِّ الرُّوْذَبَارِيُّ : الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ كَجَنَاحِيِّ الطَّائِرِ; إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبأ صار الطائر في حد الموت.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: ذُو الدِّينِ يَخَافُ الْعِقَابَ، وَذُو الْكَرَمِ يَخَافُ الْعَارَ، وَذُو الْعُقْلِ يَخَافُ الْتَّبَّعَةَ (أي: الْحِسَابَ).

وَقَالَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَفِيَّانَ : إِذَا سَكَنَ الْخَوْفُ الْقَلْبَ أَحْرَقَ مَوَاضِعَ الشَّهَوَاتِ مِنْهُ، وَطَرَدَ الْدُّنْيَا عَنْهُ. وَقَالَ ابْنُ تِيمَةَ : الْخَوْفُ الْمُحْمُودُ مَا حَجَزَكَ عَنْ مَحَارَمِ اللَّهِ. وَالْخَائِفُ آمِنٌ مِنَ الْفَزْعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

## (الأمن من مكر الله تعالى)

يُطلق المكر عموماً في اللغة فيما يتعلق بالشر، من القول أو الفعل الذي يدلّ على الاحتيال أو الخداع، حيث يحتال المرء أمام غيره عكس ما يُضمر، ويكون ذلك في خفية عن الآخرين. والمكر هو إيصال المكره إلى الإنسان من حيث لا يشعر، بحيلةٍ أو غيرها، وهذا في حق البشر.

أما المكر في حق الله تبارك وتعالى الذي وصف به نفسه على ما يليق بجلاله وعظمته، حيث يُجازي الماكرين مقابل مكرهم السيء، فيكثر عليهم تتابع النعم مع مخالفتهم لربهم وسوء أدبهم مع الله، فيمهلهم ويمكّنهم من أعراض الدنيا المختلفة، وهذا هو المكر المقصود من مكر الله تعالى، ففعله كله محمود، ومكره غير مكر البشر؛ فمكر البشر سيء، أما مكره رَبِّكُمْ فهو عدل ومجازاة ونعمٌ تُصبُّ عليهم وإمهال. فالعالق عند ذلك يتبنّه ويعود إلى ربه، أما العاصي فيغفل ويظن أن ذلك كرامة من ربه، وهذا هو المكر الذي مُكر به.

### أنواع المكر: المكر نوعان: محمود، ومذموم.

فالمكر محمود هو الذي يتحرّى به صاحبه فعل جميل في الآخرين، كقوله تعالى:

**﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَنْكِرِ﴾** [آل عمران: ٥٤]، فيمكر العبد لصالح الآخرين وليس ضدهم.

والمكر المذموم هو الذي يتحرّى به صاحبه الأفعال القبيحة المُضرّة المسيئة

للآخرين، كما في قول الله تعالى: **﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾** [فاطر: ٤٣].

**حكم المكر:** ذهب الذهبي وابن حجر إلى أن المكر السيئ من الكبائر، وقد احتاج الذهبي

بقوله تعالى: **﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾** [فاطر: ٤٣]، وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الْمَكْرُ**

**وَالْخَدِيْعَةُ فِي النَّارِ»** [لبيهقي في «الشعب» ٤٩٤/٧] حديث (١١١٠٦) من طريق قيس بن سعد.

أما ابن حجر فقد عدَّه من كبائر الباطن التي يُدَمِّر العبد عليها أعظم مما يذم على السرقة والزنا ونحوهما من كبائر الظاهر؛ وذلك لعظم مفسدتها وسوء أثرها ودوارمه؛ لأن آثار هذه الكبائر الباطنة تدوم بحيث تصير حالاً وهيئةً راسخة في القلب. عن

قيس بن سعد بن عبادة قال: لو لا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(المَكْرُ وَالْخَدِيْعَةُ فِي النَّارِ)** لكتن من أمكر الناس [سبق تخرجه].

وقال محمد بن كعب القرظى: **ثلاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ لَمْ يَنْجُ حَتَّى يَنْزَلَ بِهِ** (أى: العقاب واقع لا محالة): **مَنْ مَكَرَ أَوْ بَغَىْ أَوْ نَكَثَ، وَتَصْدِيقَهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى:** **وَلَا يَحْجُّ أَمْكَرُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا بِأَهْلِهِ** [فاطر: ٤٣]، **إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنفُسِكُمْ** [يونس: ٢٣]، **فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ** [الفتح: ١٠].

وأورد الراغب الأصفهانى عن عليٍّ رضي الله عنه قوله: **مَنْ وُسْعَ عَلَيْهِ دُنْيَا هُوَ مَخْدُوعٌ عَنْ عَقْلِهِ**. مكر به (أى: دخل في دائرة الامتحان) فهو مخدوع عن عقله.

أما الأمان من مكر الله تعالى، فيكون باستمرار العبد في المعاصي، مع الاتكال على رحمة الله وعفوه، من دون فعل يرجى ثوابه منه.

### حكم الأمان من مكر الله تعالى:

الأمن من مكر الله كبيرة من الكبائر، فقد روى أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان يكثر أن يقول: **يَا مُقْلِبَ الْقُلُوبِ ثَبْتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**. قال: فقلنا: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: **نَعَمْ؛ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَاعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقْلِبُهَا** [أحمد في «مسنده» (٤٦٩ / ٢٥) حديث (١٢٤٣٦)].

قال مجاهد : وفي التنزيل: **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَبِيلِهِ** [الأنفال: ٢٤]؛ أي: بينه وبين العقل حتى لا يدرى ما يصنع، ويؤيد به قوله تعالى: **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ** [ق: ٣٧]؛ (أى: عقل).

وروى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنه لما قال رسول الله ﷺ: **يَا مُقْلِبَ الْقُلُوبِ ثَبْتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**. قالت له: يا رسول الله، إنك تُكثِر أن تدعوا بهذا الدعاء، فهل تخشى؟ قال: **وَمَا يُؤْمِنُنَا يَا عَائِشَةً وَقُلُوبُ الْعِبَادَ بَيْنَ إِصْبَاعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقْلِبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلْبَهُ** [أحمد في «مسنده» (٢٥٠ / ٦) حديث (٢٦١٧٦)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: **الْكَبَائِرُ إِلَّا شَرِكَ بِاللَّهِ، وَالْقَنُوتُ (أَيْ: الْيَأسُ) مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْأَمَانُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ**. وفي رواية: أكبر الكبائر.

وعن إسماعيل بن رافع رضي الله عنه قال: من الأمن لمكر الله: إقامة (أي: استمرار) العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة.

قال هشام بن عروة رضي الله عنه: كتب رجل إلى صاحب له: إذا أصبت من الله شيئاً يسرّك فلا تأمن أن يكون فيه من الله مكر، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.  
وقال الحسن البصري : المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن.

قال ابن ملِيكة : أدركت ثلاثة من أصحاب النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم من أحد يقول (أي: مادح نفسه): أنا على إيمان جبريل وميكائيل.  
وعن الحسن البصري : أنه قال عن النفاق: ما خافه إلا مؤمن، ولا منه إلا منافق.

وقال علي رضي الله عنه: إنما العالم الذي لا يُقْنَت الناس من رحمة الله تعالى، ولا يُؤْمِنُهم من مكر الله. وقال الغزالى : إنما كان خوف الأنبياء مع ما أفاض الله عليهم من النعم لأنهم لم يؤمنوا مكر الله تعالى.

وقد علق الغزالى : على قول الله تعالى لموسى صلوات الله عليه وآله وسلامه: **﴿لَا تَخَافُ إِنَّمَا مَعَكُمَا أَسْعَعُ وَأَرْفَ﴾** [٤٦ طه]. فقال: ومع هذا المأوى السحرية سخرهم أو جس موسى في نفسه خيفة؛ إذ لم يأمن مكر الله تعالى والتبس الأمر عليه، حتى جدد الله عليه الأمان فقال له: **﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنَّكَ أَعْلَم﴾** [٦٨ طه].

وكذلك علق على حديث النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه يوم بدر: **«اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ...»** الحديث. رواه مسلم، بقوله: فكان مقام أبي بكر الصديق رضي الله عنه مقام الثقة بوعد الله، وكان مقام رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه مقام الخوف من مكر الله تعالى وهو الأتم والأعلى؛ لأنّه لا يصدر إلا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعض ما يصدر عنها بالمكر، وما لأحد من البشر الوقوف على كُنْه صفات الله تعالى.

## ٥١- باب الرجاء

قال الله تعالى: ﴿فَقُلْ يَعْبُدُ إِلَيْنَا الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا نَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ الظُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَهَلْ مُجْرِيٌ إِلَّا الْكُفُورُ﴾ [سبأ: ١٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلََّ﴾ [طه: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

(٤١٢) / ٥١) وعن عبدة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمه» (أي: قوله «كن») **ألقاها إلى مريم وروح منه** (أي: رحمة منه، أو روح مخلوقة من عنده)، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، حرم الله عليه النار».

(٤١٣) / ٥١) وعن أبي ذئن رضي الله عنه قال: قال النبي صلوات الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى: من جاء بالحسنة فله عشرة أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أصغر، ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب متي ذراعاً تقربت منه باغاً، ومن آتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقارب الأرض خطيبة لا يشرك بي شيئاً، لقيته بمثلها مغيرة». رواه مسلم. معنى الحديث: **«من تقرب إلى بطاعتي تقربت إليه برحمتي، وإن زاد زدت، فإن آتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيته هرولة»** أي: صبيت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود. **«وقارب الأرض»** بضم القاف، ويقال: بكسرها، والضم أصح وأشهر ومعناه: ما يقارب ملتها. والله أعلم.

(٤١٤) / ٥١) وعن جابر رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلوات الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ما الموجبان **(أي: الخصلتان الموجبان إما للجنة وإما للنار)**? قال: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك به شيئاً دخل النار». رواه مسلم.

(٤١٥) / ٥١) وعن أنس رضي الله عنه: أن النبي صلوات الله عليه وسلم: ومعاذ رديفة (أي: راكب خلفه) على الرحيل (أي: المراد به هنا الحمار) - قال: «يا معاذ». قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: «يا معاذ». قال:

لَبِيكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدِيَكَ قَالَ: «يَا مُعَاذُ». قَالَ: لَبِيكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدِيَكَ ثَلَاثًا، قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدِّقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُخْبِرُ بَهَا النَّاسَ فَيَسْتَبِشُونَ؟ قَالَ: «إِذْنُ يَتَكَلُّوَا» فَأَخْبَرَ بَهَا مُعَاذً عِنْدَ مَوْتِهِ تَائِمًا متفق عليه. وقوله **«تَائِمًا»**: أي خوفاً من الإثم في كتم هذا العلم.

**(٤١٦) ٥١)** وعن أبي هريرة أَوْ أَبِي سعيد الخدري - شَكَ الرَّاوِي، وَلَا يَضُرُ الشَّكُ فِي عَيْنِ الصَّحَابَيِّ؛ لَا هُمْ كُلُّهُمْ عُدُولٌ - قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزَوةُ تَبُوكَ، أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةً، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحْرُنَا نَوَاصِحَنَا (أَيْ: ذَبَحْنَا الْإِبْلَ الَّتِي نِسْتَقِي عَلَيْهَا) فَأَكْلَنَا وَادَهَا؟ (أَيْ: اتَّخَذْنَا دَهَنًا مِنْ شَحْوِهَا) فَقَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «افْعُلُوا». فَجَاءَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهَرُ (أَيْ: الدَّوَابُ الَّتِي نِرَكَهَا)، وَلَكِنْ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ (أَيْ: نَادَ فِي النَّاسِ أَنْ يَأْتُوا بِمَا بَقِيَ مِنْ طَعَامٍ) ثُمَّ ادْعُهُمْ عَلَيْهَا بِالبَرَكَةِ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ الْبَرَكَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نَعَمْ». فَدَعَا بِنِطْعٍ (أَيْ: بِسَاطَ مُتَّخِذٍ مِنْ جَلْدٍ) فَبَسَطَهُ (أَيْ: فَرَّشَهُ عَلَى الْأَرْضِ)، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ فَجَعَلَ الرَّجُلَ يَحْيِي بَكْفَ ذَرَةٍ، وَيَجِيءُ الْآخِرُ بِكَفَ تَمَرٍ، وَيَجِيءُ الْآخِرُ بِكِسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطْعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ يُسِيرٌ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: «خُذُوهَا فِي أُوْعِيَتِكُمْ». فَأَخَذُوهَا فِي أُوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي العَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَئُوهُ وَأَكْلُوا حَتَّى شَبَّوْهَا وَفَصَلَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يُلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكِرٍ حَبَّ عَنِ الْجَنَّةِ». رواه مسلم.

**(٤١٧) ٥١)** وعن عَيْبَانَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مِنْ شَهَدَ بَدْرًا، قَالَ: كُنْتُ أَصْلَى لِقَوْمِي بْنَي سَالِمَ، وَكَانَ يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَادٍ إِذَا جَاءَتِ الْأَمْطَارُ، فَيَشْقُ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ قَبْلَ مَسْجِدِهِ، فَجَهَتُ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَلَتْ لَهُ: إِنِّي أَنْكَرْتُ بَصَرِي (أَيْ: سَاءَ بَصَرِي وَأَصْبَحَ ضَرِيرًا)، وَإِنَّ الْوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ قَوْمِي يَسِيلُ إِذَا جَاءَتِ الْأَمْطَارُ فَيَشْقُ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ فَوَدَدْتُ أَنَّكَ تَأْتِي فَتَصَلِّي فِي بَيْتِي مَكَانًا أَتَخِذُهُ مُصَلَّى. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «سَافَعْلُ». فَغَدَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَمَا اشْتَدَ النَّهَارُ (أَيْ: ارْتَفَعَ الشَّمْسُ)، وَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَذِنْتُ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى قَالَ: «أَئِنْ تُحِبُّ أَنْ أَصْلِي مِنْ بَيْنِكَ؟» فَأَشْرَتْ لَهُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَحَبُّ أَنْ يُصَلِّي فِيهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَبَرَ وَصَافَقَنَا وَرَاءَهُ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ وَسَلَّمَنَا حِينَ سَلَّمَ فَحَبَسَتُهُ (أَيْ: مَنْعَتْهُ مِنِ الْخُرُوجِ) عَلَى خَزِيرَةٍ تُصْنَعُ لَهُ، فَسَمِعَ أَهْلُ الدَّارِ (أَيْ: أَهْلُ الْمَحَلَّةِ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَيْتِي فَثَابَ رِجَالٌ مِنْهُمْ حَتَّى كَثُرَ

الرّجّالُ فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ رَجُلٌ : مَا فَعَلَ مَالِكٌ ؟ لَا أَرَاهُ ! فَقَالَ رَجُلٌ : ذَلِكَ مُنَافِقٌ لَا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا تَقُولُ ذَلِكَ، أَلَا تَرَاهُ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَعْلَمُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى ؟» فَقَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، أَمَّا نَحْنُ فَوَاللَّهِ مَا تَرَى وُدُّهُ وَلَا حَدِيثُهُ إِلَّا إِلَيَّ الْمُنَافِقِينَ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَعْلَمُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ». متفق عليه.

وَ«عَيْنٌ: بكسر العين المهملة وإسكان التاء المشاة فوق وبعدها باه موحدة. و«الخزيرة» بالخاء المعجمة والزاي، هي: دقيق يطعن شحوم. قوله: «ثَابِ رَجَالٍ» بالثاء المثلثة، أي: جاءوا وأجتمعوا.

(٤١٨) وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْحَطَّابِ قَالَ: قَدِيمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَسِيْبِيْ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبِيْسَعِيْ، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبِيْسَعِيْ أَخَذَتْهُ فَالْزَقَّتُهُ بِيَطْنَاهَا فَأَرَضَعَتْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَتَرَوْنَ أَيِّي: أَتَظَنُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟» قُلْنَا: لَا وَاللَّهُ. فَقَالَ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بَعِيَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوَالِدَهَا». متفق عليه.

(٤١٩) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخُلُقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ فَهُوَ عِنْدُهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِيِّ». وفي رواية: «عَلَبَتْ عَصَبِيِّ».

وفي رواية: «سَبَقَتْ غَضَبِيِّ». متفق عليه.

(٤٢٠) وَعَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزُءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلَقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةً أَنْ تُصِيبَهُ».

وفي رواية: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَاةَ رَحْمَةً، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِ، فِيهَا يَتَعَاطِفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخْرَ اللَّهَ تَعَالَى تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يُرْحِمُ بِهَا عِبَادُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». متفق عليه.

ورواه مسلم أيضًا من رواية سَلْمَانَ الْفَارَسِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَاةَ رَحْمَةً، فَمِنْهَا رَحْمَةٌ يَتَرَاحَمُ بِهَا الْخَلُقُ بَيْنَهُمْ، وَتَسْعُ وَتَسْعِينَ لَيْلَةُ الْقِيَامَةِ».

وفي رواية: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مَا تَرَى رَحْمَةً كُلُّ رَحْمَةٍ

**طباقي** (أي: ملء) ما بين السماء إلى الأرض، فجعل منها في الأرض رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيمة أكمتها بهذه الرحمة».

(٤٢١) / ٥١ وعنه: عن النبي ﷺ فيما يحكى عن ربه تبارك وتعالى قال: «أذنب عبد ذنباً، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي. فقال الله تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب، فقال: أي ربّ، اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب، فقال: أي ربّ، اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء». متفق عليه.

وقوله تعالى: «فَلَيَفْعُلْ مَا شَاءَ» أي: ما دام يفعل هكذا، يذنب ويتبّع أغفر له، فإن التوبة تهدم ما قبلها.

(٤٢٢) / ٥١ وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا، لذهب الله بكم، وجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله تعالى، فيغفر لهم». رواه مسلم.

(٤٢٣) / ٥١ وعن أبي أيوب خالد بن زيد رض قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لولا أنكم تذنبون (أي: يتعرضون للوقوع في الذنب)، لخلق الله خلقاً يذنبون، فيستغفرون، فيغفرون لهم». رواه مسلم.

(٤٢٤) / ٥١ وعن أبي هريرة رض قال: كنا قعوداً مع رسول الله ﷺ، معنا أبو بكر وعمرو رض في نفر (أي: عدد من الرجال من ثلاثة إلى تسعة) فقام رسول الله رض من بين ظهرنا (أي: من بیننا)، فابتلا علينا فخشينا أن يقطع دوننا، ففر عننا ففجئنا فكنت أول من فزع فخرجت أتبعني رسول الله رض، حتى أتيت حائطاً للأنصار... وذكر الحديث بطوله إلى قوله: فقال رسول الله رض: «إذهب فمن لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله، مستيقناً بها قلبه بشّر بالجنة». رواه مسلم.

(٤٢٥) / ٥١ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رض: أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم رض: **﴿رَبِّ إِنَّمَا أَصْلَلَنَا كَثِيرًا مِّنْ أَنَّا نَسْأَلُ مَنْ تَعْنِي فَإِنَّمَا مِنِّي﴾** الآية [إبراهيم: ٣٦]، وقول عيسى رض: **﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَنِيُّ لِنَحْنُ﴾** [المائدة: ١١٨] فرفع يديه وقال: «اللهم أنتي أمّي». وبكى، فقال الله عز وجل: «يا جبريل،

اذهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلُّهُ مَا يُنْكِيْهِ؟ » فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ وَجْهَ اللَّهِ بِمَا قَالَ - وَهُوَ أَعْلَمُ - فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: « يَا جَبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيْكَ فِي أَمْتَكَ وَلَا نَسُوْعُكَ ». رواه مسلم.

(٤٢٦) وعن معاذ بن جبل قال: كُنْتُ رِدْفَ (أي: راكباً خلف) النَّبِيِّ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ: « يَا مَعَادُ، هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟ » قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: « إِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَلَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أَبْشِرُ النَّاسَ؟ قَالَ: « لَا تُبَشِّرُهُمْ فَيَتَكَلُّو ». متفق عليه.

(٤٢٧) وعن البراء بن عازب قال: عن النبي عَلَى اللَّهِ كَفَرَ بِهِ قَالَ: « الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقِبْرِ يَشْهُدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَشْهِدُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الْثَّالِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [ابراهيم: ٢٧] ». متفق عليه.

(٤٢٨) وعن أنس قال: عن رَسُولِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ كَفَرَ بِهِ قَالَ: « إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْخُرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَيُعَقِّبُهُ (أي: يعطيه عَقِيبَ ذَلِك) رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ ». وفي رواية: « إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطِي بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْرِي بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ (أي: يُرزق) بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أُفْضَى (أي: صار) إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةً يُجْرِي بِهَا ». رواه مسلم.

(٤٢٩) وعن جابر قال: قال رَسُولُ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ كَفَرَ بِهِ: « مَثُلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرِ جَارٍ غَمْرٌ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْنِسُلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ ». رواه مسلم. الغَمْرُ: الكثير.

(٤٣٠) وعن ابن عباس قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ كَفَرَ بِهِ يقول: « مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جِنَاحَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئاً إِلَّا سَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ ». رواه مسلم.

(٤٣١) وعن ابن مسعود قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ كَفَرَ بِهِ فِي قُبَّةِ (أي: بيت صغير مستدير) نَحْوَهُ مِنْ أَرْبَعينَ رَجُلًا، فَقَالَ: « أَتَرَضْحُونَ أَنْ تَكُونُوا أُرْبَعَ أَهْلَ الْجَنَّةِ؟ » قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: « أَتَرَضْحُونَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ » قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ

تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشَّرِكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَلْدِ الثُّورِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَلْدِ الثُّورِ الْأَحْمَرِ». متفق عليه.

(٤٢٢) / ٥١) وعن أبي موسى الأشعري رض قال: قال رسول الله صل: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ».

وفي رواية عَنْهُ: عن النَّبِيِّ صل قال: «يَجِيءُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ». رواه مسلم.

قوله: «دَفَعَ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ» معناه ما جاء في حديث أبي هريرة رض: «لِكُلِّ أَحَدٍ مَنْزَلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزَلٌ فِي النَّارِ، فَالْمُؤْمِنُ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ خَلَفَهُ الْكَافِرُ فِي النَّارِ؛ لَأَنَّهُ مُسْتَحْقٌ لِذَلِكَ بِكُفْرِهِ». ومعنى «فِكَاكُكَ»: أَنَّكَ كُنْتَ مُعَرَّضًا لِ الدُّخُولِ النَّارِ، وَهَذَا فِكَاكُكَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَرَ لِلنَّارِ عَدَدًا يَمْلَأُهَا، فَإِذَا دَخَلَهَا الْكُفَّارُ بِذُنُوبِهِمْ وَبِكُفْرِهِمْ صَارُوا فِي مَعْنَى الْفِكَاكِ لِلْمُسْلِمِينَ. والله أعلم.

(٤٢٣) / ٥١) وعن ابن عمر رض قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صل يقول: «يُدْنِي الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَفَّهَ عَلَيْهِ، فَيَقْرَرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: أَتَعْرُفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرُفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ». قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَرَّتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ». متفق عليه. كتنفه: سُتره وَرَحْمَتُهُ.

(٤٢٤) / ٥١) وعن ابن مسعود رض: أنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قَبْلَهُ، فَاتَّى النَّبِيِّ صل فَأَخْبَرَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيرِ الْأَصْلَوَةَ طَرَفِ الْأَنْهَارِ وَزَلَفًا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ﴾ [١١٤] فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلِي هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِجُمِيعِ أُمَّتِي كُلُّهُمْ». متفق عليه.

(٤٢٥) / ٥١) وعن أنس رض قال: جاء رجل إلى النبي صل فقال: يا رسول الله، أَصَبْتُ حَدًا، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَصَلَى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صل، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًا فَأَقِمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ. قَالَ: «هَلْ حَضَرْتَ مَعَنَا الصَّلَاةَ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «قَدْ غُفرَ لَكَ». متفق عليه.

وقوله: «أَصَبْتُ حَدًا» معناه: مَعْصِيَةً تُوجِبُ التَّعْزِيزَ، وَكَلِيسُ الْمُرَاذُ الْحَدُّ الشَّرْعِيُّ الْحَقِيقِيُّ كَحَدِ الزَّنَا وَالْخَمْرِ وَغَيْرِهِمَا؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْحُدُودَ لَا تَسْقُطُ بِالصَّلَاةِ، وَلَا يَجُوزُ لِإِيمَانٍ تَرْكُها.

(٥١ / ٤٣٦) وعنـه قـالـ: قـالـ رـسـولـ اللهـ عـلـيـهـ سـلـيـهـ وـبـهـ: «إـنـ اللهـ لـيـرـضـيـ عـنـ العـبـدـ أـنـ يـأـكـلـ الـأـكـلـةـ، فـيـحـمـدـهـ عـلـيـهـاـ، أـوـ يـشـرـبـ الشـرـبـةـ، فـيـحـمـدـهـ عـلـيـهـاـ». رواه مسلم.

الأكلة بفتح الهمزة: وهي المرة الواحدة من الأكل كالغدمة والعشوة. والله أعلم.

(٥١ / ٤٣٧) وعنـ أبي موسـىـ عـلـيـهـ سـلـيـهـ وـبـهـ: عنـ النـبـيـ عـلـيـهـ سـلـيـهـ وـبـهـ: «إـنـ اللهـ تـعـالـىـ يـبـسـطـ يـدـهـ (أـيـ: يـقـبـلـ التـوـبـةـ) إـنـماـ وـرـدـ لـفـظـ بـسـطـ الـيـدـ لـأـنـ الـعـرـبـ إـذـ اـرـضـيـ أـحـدـهـمـ الشـيـءـ بـسـطـ يـدـهـ لـقـبـولـهـ، إـذـ كـرـهـ قـبـصـهـ عـنـهـ؛ فـخـوـطـبـوـاـ بـأـمـرـ حـسـيـ يـفـهـمـونـهـ) بـالـلـيـلـ لـيـتـوـبـ مـسـيـءـ الـنـهـارـ، وـبـيـسـطـ يـدـهـ بـالـنـهـارـ لـيـتـوـبـ مـسـيـءـ الـلـيـلـ، حـتـّـىـ تـطـلـعـ الشـمـسـ مـنـ مـغـرـبـهـاـ». رواه مسلم.

(٥١ / ٤٣٨) وعنـ أبي نـجـيـعـ عـمـرـوـ بـنـ عـبـسـةـ بـفـتـحـ الـعـيـنـ وـالـبـاءـ السـلـيـمـيـ قـالـ: كـنـتـ وـأـنـاـ فـيـ الـجـاهـلـيـةـ أـطـنـ أـنـ النـاسـ عـلـىـ ضـلـالـةـ، وـأـنـهـمـ لـيـسـوـاـ عـلـىـ شـيـءـ وـهـمـ يـعـبـدـونـ الـأـوـثـانـ، فـسـمـعـتـ بـرـجـلـ بـمـكـةـ يـخـبـرـ أـخـبـارـاـ، فـقـعـدـتـ (أـيـ: رـكـبـ) عـلـىـ رـاحـلـتـيـ، فـقـدـمـتـ عـلـيـهـ، فـإـذـ رـسـولـ اللهـ عـلـيـهـ سـلـيـهـ وـبـهـ مـسـتـخـفـيـاـ، جـرـأـعـ إـلـيـهـ قـوـمـهـ، فـتـلـظـفـتـ (أـيـ: تـخـفـيـتـ) حـتـّـىـ دـخـلـتـ عـلـيـهـ بـمـكـةـ، فـقـلـتـ لـهـ: مـاـ أـنـتـ؟ قـالـ: (أـنـاـ بـنـيـ). قـلـتـ: وـمـاـ نـبـيـ؟ قـالـ: (أـرـسـلـنـيـ اللـهـ). قـلـتـ: وـبـأـيـ شـيـءـ أـرـسـلـكـ؟ قـالـ: (أـرـسـلـنـيـ بـصـلـةـ الـأـرـحـامـ، وـكـسـرـ الـأـوـثـانـ، وـأـنـ يـوـحـدـ اللـهـ لـاـ يـشـرـكـ بـهـ شـيـءـ). قـلـتـ: فـمـنـ مـعـكـ عـلـىـ هـذـاـ؟ قـالـ: (حـرـ وـعـبـدـ).

وـمـعـهـ يـوـمـئـدـ أـبـوـ بـكـرـ وـبـلـالـ رـبـعـيـةـ، فـقـلـتـ: إـنـيـ مـتـبـعـكـ، قـالـ: «إـنـكـ لـنـ تـسـتـطـيـعـ ذـلـكـ يـوـمـكـ هـذـاـ، أـلـاـ تـرـىـ حـالـ النـاسـ؟! وـلـكـنـ اـرـجـعـ إـلـىـ أـهـلـكـ فـإـذـاـ سـمـعـتـ بـيـ قـدـ ظـهـرـتـ فـأـتـيـنـيـ». قـالـ: فـذـهـبـتـ إـلـىـ أـهـلـيـ وـقـدـمـ رـسـولـ اللهـ عـلـيـهـ سـلـيـهـ وـبـهـ الـمـدـيـنـةـ، وـكـنـتـ فـيـ أـهـلـيـ فـجـعـلـتـ أـتـبـرـرـ الـأـخـبـارـ وـأـسـأـلـ النـاسـ حـيـنـ قـدـمـ الـمـدـيـنـةـ حـتـّـىـ قـدـمـ تـفـرـ مـنـ أـهـلـيـ الـمـدـيـنـةـ، فـقـلـتـ: مـاـ فـعـلـ هـذـاـ الرـجـلـ الـذـيـ قـدـمـ الـمـدـيـنـةـ؟ فـقـالـوـاـ: النـاسـ إـلـيـهـ سـرـاعـ، وـقـدـ أـرـادـ قـوـمـهـ قـتـلـهـ فـلـمـ يـسـتـطـيـعـوـ ذـلـكـ. فـقـدـمـتـ الـمـدـيـنـةـ، فـذـخـلـتـ عـلـيـهـ، فـقـلـتـ: يـاـ رـسـولـ اللهـ، أـتـعـرـفـيـ؟ قـالـ: (نـعـمـ، أـنـتـ الـذـيـ لـقـيـتـنـيـ بـمـكـةـ).

قـالـ: فـقـلـتـ: يـاـ رـسـولـ اللهـ، أـخـبـرـنـيـ عـمـاـ عـلـمـكـ اللهـ وـأـجـهـلـهـ، أـخـبـرـنـيـ عـنـ الصـلـاـةـ. قـالـ: (صـلـ صـلـةـ الصـبـحـ، ثـمـ أـفـصـرـ عـنـ الصـلـاـةـ حـتـّـىـ تـرـفـعـ الشـمـسـ قـيـدـ رـمـحـ، فـإـنـهـ تـطـلـعـ حـيـنـ تـطـلـعـ بـيـنـ قـرـنـيـ شـيـطـانـ، وـحـيـنـئـدـ يـسـجـدـ لـهـ الـكـفـارـ، ثـمـ صـلـ؛ فـإـنـ الصـلـاـةـ

**مَشْهُودَةُ** (أي: تشهدها الملائكة) **مَحْضُورَةُ حَتَّى يَسْتَقِلُ الظُّلُلُ بِالرُّمْحِ** (أي: آخر وقت صلاة الظهر قبل وقت العصر بقليل، حيث لا ظل للرمح)، ثم **أَقْصَرُ عَنِ الصَّلَاةِ**؛ فإنَّه حينئذ **تُسْجَرُ جَهَنَّمَ** (أي: تُوقَد إِيقَادًا بِلِيَغًا)، فإذا **أَقْبَلَ الْفَيْءُ** (أي: ظهر الظل للأشياء، وهو وقت صلاة العصر) **فَصَلَّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةً مَحْضُورَةً حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرُ**، ثم **أَقْصَرُ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ**، فإنَّها **تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ**، وَ**حِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ**.

قال: فقلت: يا ربَّ الله، فالوضوءُ حدثني عنه. فقال: «ما منكم رجلٌ يقربُ وضوءَه، فیَسْمَضُهُ وَیَسْتَنِشُقُ فَیَسْتَرُ إِلَّا حَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ، وفيه، وخياشيمه، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطرافِ لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه، إلا خرت خطايا رأسه من أطرافِ شعره مع الماء، ثم يغسل قد미ه إلى الكعبين، إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء، فإنَّهُ قام فصلَّى، فَحَمَدَ اللَّهَ تَعَالَى، وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَقَرَعَ قلبَهُ لِلَّهِ تَعَالَى، إِلَّا انصَرَفَ مِنْ حَطَبِيَّتِهِ كَهِيَّتِهِ يَوْمَ وَلَدَتُهُ أُمُّهُ».

فحدث عمرو بن عبسة بهذا الحديث أباً أمامةً صاحب رسول الله ﷺ، فقال له أبو أمامة: يا عمرو بن عبسة، انظر ما تقول! في مقام واحدٍ يعطى هذا الرجل؟ فقال عمرو: يا أباً أمامةً، لقد كبرت سيني، وَرَقَّ عَظَمي، واقتربَ أَجَلِي، وما بي حاجةً أن أكذب على الله تعالى، ولا على رسول الله ﷺ، لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرّةً أو مررتين أو ثلاثةً - حتى عد سبع مرات - ما حدثت أبداً به، ولكنني سمعته أكثر من ذلك. رواه مسلم. قوله: «جَرَاءُ عَيَّاهُ قَوْمُهُ» هو بضم الهمزة وفتح الراء بمعنى قومه وبالمد على وزن علماء، أي: جاسرون مستطيلون غير هابيين. هذه الرواية المشهورة، ورواوه الحميدى وغيره: **«جَرَاءُ»** بكسر الحاء المهملة [الجمع بين الصحيحين] حديث (٣٠٧٥)، وقال: معناه غضاب ذوو عمٍّ وهم قد عيل صبرهم به حتى أثر في أجسامهم، من قولهم: حرى جسمه يحرى، إذا نقص من ألم أو عم ونحوه، والصحيح أنه بالجيم.

وقوله ﷺ: «بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ» أي: ناحيتي رأسه والمراد التمثيل، ومتناه: أنه حينئذ يتحرّك الشيطان وشيعته، ويتساطّلون. قوله: **«يَقْرَبُ وَضَوْءَهُ»** معناه: يحضر الماء الذي يتوضأ به.

وقوله: «إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا» هُوَ بالخاء المعجمة، أي: سقطت، ورواه بعضهم «جرت» بالجيم، وال الصحيح بالخاء وهو رواية الجمهور. قوله: فَبَسْتَرَ أي: يستخرج ما في أنفه من أدى. والتتر: طرف الأنف.

(٤٣٩) وعن أبي موسى الأشعري رض: عن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً أُمَّةً كَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا» (أي: الفرط: الذي يسبق القوم إلى الماء ليهيج لهم الآية وأمور الاستقاء ويدير الحياض ويعد لهم الماء) وسَلَفَا بَيْنَ يَدِيهَا، وإِذَا أَرَادَ هَلْكَةً أُمَّةً، عَذَّبَهَا وَنَبِيَّهَا حَيًّا، فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ حَيٌّ يَنْظُرُ، فَأَقْرَرَ عَيْنَهُ بِهِلَاكِهَا حِينَ كَذَبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ». رواه مسلم.

\* \* \*

### (الرجاء)

قال سفيان الثوري : مَنْ أَذْنَبْ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَرَهُ عَلَيْهِ وَرَجَأَ عَفْرَانَهُ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذَنْبَهُ. فالرجاء إذن هو تأمل الخير وقرب وقوعه، حيث يتعلق القلب بشيء محبوب يقع في المستقبل مع تخوف. قال الله تعالى: **﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾** [١٣] أي ما لكم لا تخافون عظمة الله.

ويقول ابن القيم : الرجاء هو النَّظَرُ إِلَى سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى. وقد يقال: إن الرجاء هو الاستبشار والثقة بوجود وفضل الله تبارك وتعالي، والنَّظَرُ بأمل وارتياح لسعنة كرمه وفضله.

**الفرق بين الأمل والطمع والرجاء:** من عزم على سفر إلى يكون بليد بعيد يقول: لدى أمل الوصول، ولا يقول: أطمع في الوصول؛ لأن الطمع لا يكون إلا في شيء قريب، ويكون الأمل في شيء بعيد، والرجاء بينهما؛ ذلك لأن الراجي يخاف ألا يحصل ما يريد، فهو متعلق القلب بشيء يحدث في المستقبل مع تخوف ألا يكون.

**الفرق بين الرجاء والتمني:** التمني يقول صاحبه: «يا ليت» ويطلب ولا يفعل شيئاً لم يراده، وإنما هو الكسل والجلوس وانتظار الأمانة، أما الرجاء فهو قول صاحبه: «لعل»، مع الجد والاجتهاد والسعى الحيث، فالراجي يتضرر وقوع الأمر وحدوثه، أما المتمم فهو يعرف استحالاته وقوعه.

والرجاء عبودية وتعلق بالله الغني البر الواسع الرحيم المحسن، وكلما زادت وقويات

معرفةُ العبد بِالله وأسمائه وصفاته كلما زاد رجاؤه وطممعه في الله، ولو لا روحُ الرجاء لتعطلت عبوديةُ القلب والجوارح، وإلا فاليأس هو المآل، نعوذ بالله من ذلك.

قال ابن حَمْرَيْر : المقصودُ من الرجاء أنَّ مَنْ وَقَعَ مِنْهُ تَقْصِيرٌ فَلِيُحْسِنْ ظنَّهُ بِالله، ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا مَنْ وَقَعَ مِنْهُ طَاعَةً يرجو قُبُولَها، وأمَّا مَنْ انْهَمَكَ عَلَى المعصية راجِيًّا عَدَمَ الْمَوْاخِذَةِ بِغَيْرِ نَدِيمٍ وَلَا إِقْلَاعٍ فَهَذَا فِي غَرَوْرٍ.

وقال أبو عثمان الجيزى : من علامة السعادة أن تُطِيع وتخاف ألا تُقبل، ومن علامة الشقاء أن تعصي وترجو أن تنجو.

وقف رسول الله ﷺ على أنس جلوس فقال: «أَلَا أَخْبُرُكُمْ بِخَيْرٍ كُمْ مِنْ شَرِّ كُمْ؟». قال: فسكتوا، فقال ذلك ثلث مرات؛ فقال رجل: يا رسول الله، أخبرنا بخيرنا من شرنا. قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرٌ وَيُؤْمِنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرٌ وَلَا يُؤْمِنُ شَرُّهُ». أحمد في مسنده (٢/ ٣٦٨) برقم (٨٧٩٨)، صحيح الألباني ( صحيح الجامع الصغير ) حديث (٢٦٠٣).

وقال ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةً الْقَبْرِ». أحمد في مسنده (٢/ ١٦٩) برقم (٦٥٨٢)، حسنة الألباني ( صحيح الجامع الصغير ) حديث (٥٧٧٣).

وقال ﷺ: «مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلَّا شُفِعُوا فِيهِ». مسلم برقم (٩٤٧). وقال ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِالله وَرَسُولِهِ، وَأَقامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًا عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، هَا جَرَّ في سَبِيلِ الله أو جَلَسَ في أَرْضِهِ التَّيْ وُلِدَ فِيهَا». قالوا: يا رسول الله، أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ بِذَلِكِ؟ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعْدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ درَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ الله فَسَلُوْهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ». البخاري برقم (٢٧٩٠).

وقال ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله دَخَلَ الْجَنَّةَ». مسلم برقم (٢٦).

وقال محمد بن عبد الملك بن هاشم: سمعتُ ذا النُّونَ الْمِصْرَيَّ فِي دُعَائِهِ يَقُولُ:

اللهم إليك تقصد رغبتي، وإياك أسأل حاجتي، ومنك أرجو نجاح طلبتي، وبيدك مفاتيح مسألتي، لا أسأل الخير إلا منك، ولا أرجوه من غيرك، ولا أيئس من روحك بعد معرفتي بفضلك. وقال بعض أهل العلم: علامة صحة الرجاء حُسن الطاعة.

وقال ابن القيم : الرجاء حادٍ (أي: الحادي: من يُعني للإبل حتى تسير) يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب، وهو الله تعالى والدار الآخرة، ويُطيب لها السير.

واعلم أن الخوف وحده لا يحرّك العبد لربه، وإنما يحرّكه حبه لربه وخوفه من ذنبه، وإنما الرجاء هو الذي يأخذ بيده إلى الطاعات. فإن قدر الله على عبد الذنب وابتلاه به فإنما ذلك لتكميل مراتب عبوديته بالتوبة التي هي من أحسن ألوان العبودية لله، ثم لتكميل مراتبه بالرجاء والخوف.

فكل راجٍ خائفٌ، وكل خائفٍ راجٍ؛ فلذلك يتعلّق قلب العبد بربه بدوام ذكره والالتفات إليه وملاحظة اسمائه وصفاته العليا، راجياً ومنتظراً ما وعده ربُّه من خيراتٍ؛ أملاً في نجاته من عذابه وحسابه يوم القيمة. وكلما رجأ العبد ربَّه وتحصلَ على شيءٍ من مقصوده ورغبيته بعثه ذلك إلى مقام الشكر الذي هو خلاصة العبودية. وفي الأمل سرٌّ لطيفٌ؛ إذ لولاه ما تهناً أحدٌ بعيشِه، ولا طابت نفْسٌ لعملِ شيءٍ من أعمال الدنيا، والمذموم منه هو الاسترسال في الأمل وترك أمر الآخرة.

أما الطموح: فهو الرغبة في معالي الأمور، وأن تغيير الحال إلى الأسمى والأفع، فلا يرضي الطامح بمرتبته في الخير والمنفعة، بل ينظر إلى ما فوقها، فإذا وافق طموحه الشرع كان محسوماً، وإذا خالفه كان مذموماً. والحرُّ الكريم لا يقنع من شرف الدنيا والآخرة، بل يطمح فيما هو أعلى درجةً ومنزلةً عند ربِّ العالمين، وقد رأينا ارتحال وسفر طلبة العلم في طلب الأحاديث والمشقات التي تحملوها طموحاً وطلبًا لرضا مولاهم.

**الفرق بين الطموح وعلو الهمة:** يشتراك الطموح وعلو الهمة في الهدف والغاية، ولكنهما يختلفان في الباعث والسبب وراء كلِّ منهما؛ فأما علو الهمة فتبتعد على الأئمة من المهانة

والنَّقصُ، وأمَّا الطَّمْوحُ فَهُوَ نُزُوعُ النَّفْسِ دَائِمًا لِلأَعْلَى وَالْأَرْقَى، وَقَدْ يَجْنَحُ بِصَاحِبِهِ نَحْوُ الْغَلُوِّ وَالْإِسْرَافِ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ فَيُصْبِحُ طَمِيعًا مَذْمُومًا، أمَّا عَالِيُّ الْهَمَةِ فَيُسْلِكُ الْطَّرَقَ الشَّرِيفَةَ.

\* \* \*

## ٥٢- باب فضل الرجاء

**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنْخَبَارًا عَنِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ:** **﴿وَفَيْضٌ أَتَرِيتَ إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾** **فَوَقَنَهُ اللَّهُ سَيْغَاتِ مَا مَكَرُوا** **﴾﴾** [غافر: ٤٤، ٤٥].

(٤٤٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله صلوات الله عليه وسلم أنه قال: «قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني - والله، الله أقرب بتوبيه عبديه من أحدكم يحد ضالته (أي: الصالة) الضائعة من كل ما يقتني من الحيوان وغيره) بالفلاة (أي: الصحراء أو المكان الواسع) - ومن تقرب إلي شبراً، تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلى ذراعاً، تقربت إليه باعاً، وإذا أقبل إلى يمشي أقبلت إليه أهرولاً». متفق عليه، وهذا لفظ إحدى روايات مسلم، وتقدم شرحه في الباب قبله. وروي في الصحيحين: «وأنا معه حين يذكرني» بالنون، وفي هذه الرواية: «حيث» بالثاء، وكلاهما صحيح.

(٤٤١) وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله صلوات الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحْسِنُ الظُّنَّ بالله تعالى». رواه مسلم.

(٤٤٢) وعن أنس رضي الله عنه: قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي. يا ابن آدم، لو بلغت ذنوتك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي. يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تُشْرِك بي شيئاً، لأتُتِيك بقرابها مغفرة». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن». **«عَنَانُ السَّمَاءِ»** بفتح العين، قيل: هو مَا عَنَّ لَكَ مِنْهَا، أي: ظهر إذا رفعت رأسك، وقيل: هو السَّحَابُ. و**«قُرَابُ الْأَرْضِ»** بضم القاف، وقيل: بكسرها، والضم أصح وأشهر، وهو: مَا يقارب ملتها. والله أعلم.

## ٥٣- باب الجمع بين الخوف والرجاء

اعْلَمُ أَنَّ الْمُخْتَارَ لِلْعَبْدِ فِي حَالٍ صِحَّتِهِ أَنْ يَكُونَ خَائِفًا رَاجِيًّا، وَيَكُونَ خَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ

سواءً، وفي حال المرض يمحض الرّجاء (أي: يشتد تعلقاً به). وقواعد الشرع من نصوص الكِتاب والسُنّة وغير ذلك مُتظاهرة على ذلك.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمُنُ مَنْ حَسِرَ اللَّهُ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِشُ مِنْ رَبِّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَفَرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبَيَّنُ مُرْجُوهُ وَتَسْوُدُ وَجْهُهُ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّمَّا لِغَفْرَانِ رَحْمَمِ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَذْرَارَ لَفِي تَعِيمٍ﴾ [١٣] ﴿وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي بَحِيرٍ﴾ [١٤] [الأنفال: ١٤، ١٣].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ نَفَّثَ مَوْزِيْنَهُ﴾ [٦] ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [٧] ﴿وَأَمَّا مَنْ حَفَّتْ مَوْزِيْنَهُ﴾ [٨] ﴿فَأَمَّا مَهْكَوِيَّهُ﴾ [٩] [التارعة: ٦-٦].

والآيات في هذا المعنى كثيرة. فيجتمع الخوف والرجاء في آيتين مقتربتين أو آيات أو آية.

(٤٤٣ / ٤٤٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلم قال: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنْ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا فَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ». رواه مسلم.

(٤٤٤ / ٤٤٤) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلم قال: «إِذَا وُضِعَتِ الجنازةُ (أي: أُدرج الميت في السرير ليُحمل) واحتملها النَّاسُ أو الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحةً، قالتْ: قَدْمُونِي قَدْمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحةٍ، قالتْ: يَا وَيْلَاهَا! أَيْنَ تَدْهِبُونَ بِهَا؟! يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانُ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ (أي: غشي عليه من شدة ذلك)». رواه البخاري.

(٤٤٥ / ٤٤٥) وعن ابن مسعود رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شَرَائِكَ نَعِيلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكِ». رواه البخاري.

## ٥٤- باب فضل البكاء من خشية الله تعالى وشوقاً إليه

قالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِدُّهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء: ١٠٩].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَفَنْ هَذَا الْحَدِيثُ تَعْجَبُونَ ﴾ [٦٠] وَضَحَّكُونَ لَا يَبْكُونَ [٦٠] [النَّجْم: ٥٩].

(٥٤) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ لَيِ النَّبِيُّ صلوات الله عليه: «أَقْرَأْتُ عَلَيَّ الْقُرْآنَ». قلت: يا رسول الله، أَقْرَأْتُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزَلَ؟! قَالَ: «إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي». فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى جِئْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا حَسِنَّا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدُوا لَكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] قَالَ: «حَسْبُكَ (أي: يكفيك) الْآنَ». فَالْتَّفَتَ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَدْرِفَانِ (أي: يجري دمعهما). متفق عليه.

(٥٤) وعن أنس رضي الله عنه قال: خطب رسول الله صلوات الله عليه خطبةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، فقال: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكِيْتُمْ كَثِيرًا». قَالَ: فَغَطَّى أَصْحَابُ رسول الله صلوات الله عليه وُجُوهَهُمْ، وَلَهُمْ خَيْنَنُ. متفق عليه. وَسَبَقَ بَيَانَهُ في تَابِ الْخَوْفِ.

(٥٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «لَا يَلْجُعُ (أي: يدخل) النَّارَ رَجُلٌ بِكَيْنِ مِنْ خُشُبَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ الْبَنْ في الصَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ في سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٥٤) وعنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «سَبْعَةٌ يُظْلَمُهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ (أي: في كرامته وحمايته، أو في ظل عرشه، وأضافه إليه سبحانه تشريفاً) يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌ نَشِأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَاقَّ بِالْمَسَاجِدِ (أي: شديد الحب لها والملازمة للجماعة فيها)، وَرَجُلٌ لَانْ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ أُمْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ سِمَالُهُ مَا تَنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًّا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ (أي: فاضت الدموع منها). متفق عليه.

(٥٤) وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: أتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وَهُوَ يُصَلِّي وَلَجَوْفِهِ أَزِيزٌ (أي: الأزيز: صوت البكاء، وهو أن يحيى جوفه ويغلي بالبكاء) كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ (أي: كصوت غلين الماء في القدر) مِنَ الْبَكَاءِ. حديث صحيح رواه أبو داود والترمذى في الشمائل ياسناد صحيح.

(٥٤) وعن أنس رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّلَ أَمْرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿ لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [آل عمران: ١]. قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: «نَعَمْ». فَبَكَى أُبَيُّ. متفق عليه.

وفي رواية: فَجَعَلَ أَبْيَضَ يَكِيٍّ.

(٤٥٢ / ٤٥٤) وعنه قال: قال أبو بكر لعمّر رضي الله عنهما بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انطلق بنا إلى أمّ أيمن نَجْدَةَ الْأَيْمَنِ نزورها؛ كما كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزورها، فلما انتهينا إليها بكث، فقال لها: ما يبكيك؟ أما تعلمين أنّ ما عند الله تعالى خير لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قالت: ما أبكي إلا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكتني أبكي أنّ الوحوشي قد انقطع من السماء؛ فهيجتّهما على البكاء، فجعلاه يبكيان معها. رواه مسلم، وقد سبق في باب زيارة أهل الخير.

(٤٥٣ / ٤٥٤) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لَمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَجْهُهُ، قِيلَ لِهِ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «مُرُوْا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ». فَقَالَتْ عائِشَةُ رضي الله عنها: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَّقِيقٌ (أي: رقيق القلب) إِذَا قَرَا الْقُرْآنَ غَلَبَهُ الْكَاءُ، فَقَالَ: «مُرُوْهُ فَلْيُصَلِّ».

وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْمُكَ�َءِ. متفق عليه.

(٤٥٤) وعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف: أنَّ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أتى بطعام وكان صائمًا، فقال: قُتِلَ مُصَبْعُ بن عَمِير رضي الله عنه وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، فلَمْ يوَجْدْ لَهُ مَا يُكْفِنُ فِيهِ إِلَّا بُرْدَةً (أي: كساء أسود مربع) إِنْ غَطَّى بِهَا رَأْسُهُ بَدَتْ (أي: ظهرت) رِجْلَاهُ؛ وَإِنْ غَطَّى بِهَا رِجْلَاهُ بَدَأَ رَأْسُهُ، ثُمَّ بَسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ - أو قال: أَعْطَيْنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أَعْطَيْنَا - وَقَدْ حَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجَّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَكْيَ حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ. رواه البخاري.

٤٥٤ / ٤٥٥) وعن أبي أمامة صدّيقي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه قال: «لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثْرَيْنِ: قَطْرَةُ دُمُوعِ مَنْ حَشِّيَ اللَّهُ، وَقَطْرَةُ دَمٍ نَهَرَاقٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَأَمَّا الْأَثْرَانِ: فَأَكْثَرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَثْرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِصِ اللَّهِ تَعَالَى». رواه الترمذى، وقال: «حدث حسن».

وفي الباب أحاديث كثيرة، منها: حديث العرباض بن ساريَّة قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً وَجَلَتْ (أَيْ: خافت) مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ (أَيْ: سالت بالدموع) مِنْهَا الْعَيْنُ.

وقد سبق في باب النهي عن البدع.

## (البكاء من خشية الله تعالى)

البكاء يكون بإرادة الدموع من أثر الخوف من الله تعالى، أو للتعبير عن حزن في القلب. وإذا غلب الحزن على القلب فإن صوت البكاء يكون قصيراً. والبكاء من خشية الله تعالى إنما يكون في الغالب عند سماع القرآن.

**قال القرطبي :** ينبعي لمن قرأ سجدة تلاوة أن يدعوا أثناء سجوده بما يليق بآياتها، فإذاقرأ بسورة «السجدة» ﴿تَنِبِّئُ الْكَتَبَ لِأَرْبَيْفِهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة السجدة] قال: اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك، والمُسْبِّحين بحمدك، وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك. وإن قرأ سجدة «سبحان» قال: اللهم اجعلني من الباكين إليك، الخاشعين لك. وإن قرأ سجدة ﴿خُرُوْسْجَدَلُوكِيَا﴾ [مريم: ٥٨] قال: اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم، المهدىين، الساجدين لك، الباكين عند تلاوة آياتك.

والبكاء أيضاً يكون عند التفكُّر والاعتبار والخوف من الوعيد، وقد يكون أيضاً لموت وفقدان عزيز كما بكى النبي ﷺ حين مات ابنه إبراهيم، وهذا كله من البكاء المحمود عند الله. أما البكاء المذموم: فهو بكاء إخوة يوسف الذين فعلوا فعلتهم وتصنعوا البكاء لأبيهم، فهذا من البكاء المذموم.

وقال أبو بكر الصديق رض: من استطاع منكم أن يكيي فليكي، ومن لم يستطع فليتباك. وقرأ ابن عمر رض: **﴿وَوَيْلٌ لِلْمُطْفَقِينَ﴾** [المطففين: ١] فلما بلغ **﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [المطففين: ٦] بكى حتى خرّ وما استطاع قراءة ما بعدها.

**وبكى الحسن البصري :** فقيل له: ما يكييك؟ قال: أخاف أن يطرحني غداً في النار ولا يبالي. وقالت فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر بن عبد العزيز للمغيرة بن حكيم: يا مغيرة، إنه قد يكون في الناس من هو أكثر صلاةً وصياماً من عمر؛ ولكنني ما رأيت أحداً قط كان أشدَّ خوفاً من ربِّه من عمر، كان إذا صلَّى العشاء قعد في مسجده، ثم رفع يديه، فلم يزل يبكي حتى تغلبه عيناه، ثم يتتبه فلا يزال يبكي ويذعن حتى تغلبه عيناه.

**وقال الحسن البصري :** واصفاً أهل الإيمان والتقوى: إن المؤمنين قوم ذلت (أي: لانت ورق) والله منهم الأسماع والأبصار والأبدان، حتى حسِبُهم الجاهل مرضى، وهم والله

أصحاب القلوب (أي: المؤمنة)، ألا تراه يقول: ﴿وَقَالُوا لِلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَرَثَ﴾ [فاطر: ٣٤]، والله لقد كابدوا في الدنيا حزنًا شديداً، وجرى عليهم ما جرى على من كان قبلهم، والله ما أحزنتهم حزنُ الناس، ولكن أبكاهم وأحزنتهم الخوف من النار.

وعن يزيد بن ميسرة : قال: البكاء من سبعة أشياء: البكاء من الفرح، ومن الحزن، ومن الفزع، ومن الرياء، ومن الوجع، ومن الشكر، ومن خشية الله تعالى، فذلك الذي تطفئ الدمعة منها أمثال البحور.

والبكاء من خشية الله تعالى دليل على صلاح العبد واستقامته، وخشيته لله، ومراقبته له، ورقه القلب واستجابته.

### (الخشية)

الخشية: هي خوفٌ مُقْرُونٌ بِإجْلَالٍ وَتَعْظِيمٍ لِمَنْ تَخَشَّاهُ، وَالخُشُّى مِنَ اللَّهِ إِنَّمَا جَاءَتْ مِنْ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِجَلَالِ اللَّهِ وَهُبُّتِهِ. وَالخُوفُ إِنَّمَا يَكُونُ لِعَامَةِ الْمُؤْمِنِينَ، حِيثُ يَلْجَأُ صاحبُ الْخُوفِ إِلَى الْهَرَبِ مِمَّا يَخَافُ.

أما الخشية فهي للعلماء بالله تعالى، حيث هي خوف مقررون بمعرفة؛ لقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمُونَ﴾ [فاطر: ٢٨]، ولقول النبي ﷺ تأكيداً على ذلك: «إِنِّي أَنْقَاصُ

اللَّهَ» متفق عليه. فلقوة معرفته ﷺ صار أخشع الناس، وعلى قدر العلم والمعرفة تكون الخشية. لهذا قال النبي ﷺ: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّى السَّمَاءَ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْطِّ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرَبَعَ أَصْبَاعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضْرَعُ جَهَنَّمَ سَاجِدًا لِلَّهِ، وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِّكُتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكِيَتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَدَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ». أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٥/١٧٣) بِرَقْمِ (٢١٥٥٥).

وكل خائفٍ يهرب مما يخاف إلا الخائف من الله، فإنه إذا خافه هرب إليه فهو هارب من ربه إلى ربه: ﴿فَهُرُولُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]. قال النبي ﷺ: «مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يُصِيبَ الْأَرْضَ مِنْ دُمُوعِهِ لَمْ يُعَذِّبُهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ». الحاكم في المستدرك (٤/٢٨٩) بِرَقْمِ (٧٦٦٨)، وقال: صحيح الإسناد، وواقعة الذهبي.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تصحب الفجّار لتعلم من فجورهم، واعتزل عدوّك.

واحدر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من خشي الله وتخشع عند القبور، وذلٰك عند الطاعة، واستعصم عند المعصية، واستشِر الذين يخشون الله.

وقال أيضًا: آخ الإخوان على قدر التقوى، ولا تَضُع حاجتك إلا عند من يحب قضاءها، ولا تغبط الأحياء إلا بما تغبط به الأموات، وشاور في أمرك الذين يخشون الله وعملهم. وقال ابن مسعود: إن المؤمن يرى ذنبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنبه كدُبَاب مر على أنفه فقال به هكذا (أي: فدفعه وطرده عن نفسه) والمراد أن المؤمن خائف دائمًا من ذنبه، بينما لا يبالى الفاجر بذنبه ويتركها وراء ظهره.

وقال أيضًا: ليس العلم من كثرة الحديث، ولكن العلم من الخشية.

وقال أبو أيوب الأنباري: إن الرجل ليعمل الحسنة فيتكل عليها، ويعمل المُحَقَّرات حتى يأتي الله وقد أحطَنَ به، وإن الرجل ليعمل السيئة فيفرق (أي: يفزع) منها حتى يأتي الله آمناً.

وقال الحسن البصري : لقد مضى بين أيديكم أقوامٌ لو أن أحدَهم أُنفق عدَّ هذا الحصى لخشى ألا ينجو من عظَم ذلك اليوم (أي: القيمة).

وقال أيضًا : اعملوا الله بالطاعات واجتهدوا فيها وخفوا أن تردد عليهم، إن المؤمن جمع إيمانًا وخاشية، والمنافق جمع إساءة وأمانًا. وقال أيضًا : الإيمان من خشي الله بالغيب، ورغب فيما رَغَبَ الله فيه، وزهد فيما أُسْخطَ الله.

وقال مسروق : كفى بالمرء علمًا أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يُعجب بعمله.

وقال مُطَرِّف بن الشَّخِير : يا إخوتي، اجتهدوا في العمل، فإن يكن الأمر كما نرجو من رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات في الجنة، وإن يكن الأمر شديداً كما نخاف ونحاذر لم نقل: **{رَبَّنَا أَخْرِجَنَا نَعْمَلْ صَنْلِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ}** [فاطر: ٣٧] نقول: قد علمنا فلم ينفعنا. وقال مالك بن أنس : حق على من طلب العلم أن يكون له وقار وسکينة وخاشية، والعلم حَسَنٌ لمن رُزِقَ خيره.

وقال السَّرِّيُّ السَّقَطِيُّ : للخائف عَشْر مقامات، منها: الحزن اللازم (أي: على معاصيه وذنبه)، والهُمُّ الغالب (أي: من فوات القصد)، والخشية المُقلقة (أي: التي تعينه على

الطاعة)، وكثرة البكاء، والتفرغ في الليل والنهار (أي: عدم الانشغال بما لا يعنيه)، والهرب من مواطن الراحة (أي: عدم ترك الطاعة والعبادة)، ووجل القلب.

وقال صالح بن الخليل : أعلم الناس بالله أشدّهم له خشيةً.

والخشية سبب للبعد عن المعاichi والذنوب، وسعادة المرء في الدنيا والآخرة.

\* \* \*

## ٥٥- باب فضل الرزد في الدنيا والثـالث على التقلـل منها وفضل الفقر

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا مَثُلَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَلَّا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْنَاطَ بِهِ بَنَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَمُ حَتَّى إِذَا أَخْذَتِ الْأَرْضَ ذُرْفَهَا وَأَزَّيْنَتْ وَظَرَّ أَهْلَهَا أَهْمَمَهُمْ قَدِرُونَ عَيْنَهَا أَنَّهَا أَمْرٌ فَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَانَ لَمْ تَقْبَلْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَضِّلُ الْآيَتِ لِقَوْمٍ يَنْفَكِّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَضَرَّتْ لَهُمْ مَثُلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَلَّا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْنَاطَ بِهِ بَنَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا نَذْرُوهُ الْيَتَمُّ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْنِدًا ﴿٤٠﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الْدُنْيَا وَالْبَقِيقَتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثُوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا ﴿٤١﴾﴾ [الكهف: ٤٦، ٤٥].

وقال تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَيْسَ وَلَمْوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بِئْكُمْ وَتَكَافُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثُلَ غَيْثٍ أَجْبَرَ الْكُفَّارَ بِنَاهْمَةٍ ثُمَّ بَهْيَجَ فَرِيَهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطْنَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعٌ الْفُرُورُ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرُ الْمُقْنَطِرَةُ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخِيلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ وَحْسُنُ الْمَيَابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤].

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرِبُوكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبُوكُم بِالْفُرُورِ﴾ [فاطر: ٥].

وقال تعالى: ﴿أَتَهُنَّكُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ حَتَّى زَرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ [النَّكَاثُرُ: ١ - ٥].

وقال تعالى: **وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ لَعْبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهُمْ الْحَيَاةُ الْمُأْمَنُ لَهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴿٦﴾ [العنكبوت: ٦٤].

والآيات في الباب كثيرة مشهورة.

وأما الأحاديث فأكثر من أن تُحصر، فتنبيه بطرف منها على ما سواه:

**(٤٥٥) عن عمرو بن عوف الأنصاري** رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَسْكُنَتِهِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجَزِيَّهَا، فَقَدِمَ بِمَا لِمَنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافُوا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْصَارَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ حِينَ رَأَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «أَظْنَنُكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِّنَ الْبَحْرَيْنِ؟» فَقَالُوا: أَجَلُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: «أَبْشِرُوْا وَأَمْلُوْا مَا يَسْرُكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسْطَتْ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا (أي: ترغبون فيها) كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتَهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ». متفق عليه.

**(٤٥٧) وعن أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه: قال: جلس رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَوْلَهُ، فقال: «إِنَّ مَمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِّنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِّنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا (أي: بهجتها ومتاعها) وَزِيَّتِهَا». متفق عليه.

**(٤٥٨) وعنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ حَاضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُسْتَحْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيُنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ».** رواه مسلم.

**(٤٥٩) وعن أنس** رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا يَعْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ». متفق عليه.

**(٤٦٠) وعنه: عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ: «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ: فَيَرْجُعُ أَثْنَانِ، وَيَقْنَى مَعَهُ وَاحِدًا: يَرْجُعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَقْنَى عَمَلَهُ».** متفق عليه.

**(٤٦١) وعنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمَ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُحْبَسُ** (أي: يُغَمَّسُ) **فِي النَّارِ صَبْعَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبَّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ،**

فَيُصْبِغُ صَبْعَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا (أي: شدة وحرقًا) قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةً قَطُّ؟ فَيُقَولُ: لَا وَاللَّهُ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ». رواه مسلم.

(٤٦٢) وعن **المُسْتُورِدِ بْنِ شَدَادٍ** قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ (أي: البحر)، فَلَيَنْظُرْ بِمَا يَرْجِعُ!». رواه مسلم.

(٤٦٣) وعن **جَابِرٍ**: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ وَالنَّاسُ كَنْفَتَهُ، فَمَرَّ بِجَدِّي أَسَكَ مَيْتٍ، فَتَنَوَّلَهُ فَأَخَذَ بِأَذْنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِيَّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ هَذَا لَهُ بَدْرُهُمْ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بَشَّيْءٌ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ ثُمَّ قَالَ: «أَتَجِبُونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْيَا أَنَّهُ أَسَكَ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيْتُ؟! فَقَالَ: «فَوَاللهِ لِلَّدُنْنَا أَهُونُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ». رواه مسلم. قوله: **«كَنْفَتَهُ** أي: عن جانيه. و**«الْأَسَكُ**»: الصغير الأدنى.

(٤٦٤) وعن **أبي ذِرٍ** قال: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرَّةٍ (أي: أرض ذات حجارة سوداء بالمدينة، فاستقبلنا أحد، فقال: يا أبا ذر). قلت: لَيْكَ يا رسول الله. فقال: «مَا يُسْرُنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلُ أَحَدٍ هَذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيَّ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إِلَّا شَيْءٌ أَرْصَدُهُ (أي: أَعْدُهُ) لِلَّدِينِ، إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا». عن يمينه وعن شماله ومن خلفه، ثم سار، فقال: «إِنَّ الْأَكْثَرَيْنَ هُمُ الْأَقْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا» عن يمينه وعن شماله ومن خلفه، «وَقَلِيلٌ مَا هُمْ». ثُمَّ قال لي: «مَكَانَكَ لَا تَبْرُحْ حَتَّى آتِيَكَ». ثُمَّ انطلق في سواد الليل حتى توارى (أي: غاب واختفى)، فسمعت صوتاً قد ارتفع، فتخوفت أن يكون أحد عرض (أي: تعرض بسوء للنبي ﷺ)، فاردت أن آتيه فذكرت قوله: لا تبرح حتى آتاك». فلم يبرح حتى آتاني، فقلت: لقد سمعت صوتاً تخوفت منه، فذكرت له، فقال: «وَهَلْ سَمِعْتَهُ؟» قلت: نعم. قال: «ذاك جبريل آتاني فقال: مَنْ ماتَ مِنْ أَمْتَكَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق». متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

(٤٦٥) وعن **أبي هريرة** قال: عن رسول الله ﷺ قال: «لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أَحَدٍ ذَهَبَ، لَسَرَّنِي أَلَا تَمُرَ عَلَيَّ ثَلَاثَ لَيَالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا شَيْءٌ أَرْصَدُهُ لِلَّدِينِ». متفق عليه.

(٤٦٦) عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدار (أي: أحمر) ألا تزدروها (أي: تحقرها) نعمه الله علیکم». متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

وفي رواية البخاري: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْحَلْقِ (أي: الخلفة والشكل)، فَلَيُظْرِفَ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ».

(٤٦٧) / ٥٥) وعنـهـ عنـ النـبـيـ قـالـ: «تَعَسَّ (أـيـ شـقـيـ وـهـلـكـ) عـبـدـ الـدـيـنـاـرـ، وـالـدـرـهـمـ، وـالـقـطـيـفـةـ (أـيـ كـسـاءـ غـلـيـظـ مـشـرـشـ الأـطـرـافـ أـوـ عـلـىـ أـطـرـافـ أـشـكـالـ وـخـبـوـطـ)، وـالـحـمـيـصـةـ (أـيـ كـسـاءـ مـرـبـعـ)، إـنـ أـعـطـيـ رـضـيـ، وـإـنـ لـمـ يـعـطـ لـمـ يـرـضـ». رواهـ البـخـارـيـ.

(٤٦٨) / ٥٥) وعنـهـ قـالـ: «لـقـدـ رـأـيـتـ سـبـعـينـ مـنـ أـهـلـ الصـفـةـ (أـيـ وـهـمـ فـقـرـاءـ الـمـهـاـجـرـينـ وـمـنـ لـمـ يـكـنـ لـهـ مـنـزـلـ يـسـكـنـهـ، فـكـانـوـاـ يـأـوـونـ إـلـىـ مـوـضـعـ مـظـلـلـ فـيـ مـسـجـدـ الـمـدـيـنـةـ)، مـاـ مـنـهـمـ رـجـلـ عـلـيـهـ رـدـاءـ (أـيـ مـاـ يـسـتـرـ أـعـالـيـ الـبـدـنـ)، إـمـاـ إـزـارـ (أـيـ وـهـوـ مـاـ يـسـتـرـ أـسـفـلـ الـبـدـنـ)، وـإـمـاـ كـسـاءـ، قـدـ رـبـطـوـاـ (أـيـ قـدـ رـبـطـوـاـ الـأـكـسـيـةـ) فـيـ أـعـنـاقـهـمـ، فـمـنـهـاـ مـاـ يـلـغـ نـصـفـ السـاـفـيـنـ وـمـنـهـاـ مـاـ يـلـغـ الـكـعـيـنـ، فـيـ جـمـعـهـ بـيـدـهـ (أـيـ فـيـمـسـكـهـ بـيـدـهـ وـيـضـمـهـ، وـذـلـكـ فـيـ حـالـ الصـلـاـةـ) كـرـاهـيـةـ أـنـ تـرـىـ عـورـتـهـ». رواهـ البـخـارـيـ.

(٤٦٩) / ٥٥) وعنـهـ قـالـ: «قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ عـلـيـهـ الـسـلـيـلـ: (الـدـنـيـاـ سـجـنـ الـمـؤـمـنـ، وـجـنـةـ الـكـافـرـ)». رواهـ مـسـلـمـ.

(٤٧٠) / ٥٥) وعنـ اـبـنـ عـمـرـ قـالـ: «أـخـدـ رـسـوـلـ اللـهـ عـلـيـهـ الـسـلـيـلـ بـمـنـكـيـرـ (أـيـ مـوـضـعـ التـقـاءـ عـظـمـ الـعـصـدـ وـالـكـيـنـفـ)، فـقـالـ: (كـنـ فـيـ الـدـنـيـاـ كـأـنـكـ عـرـيـبـ، أـوـ عـابـرـ سـبـيلـ)».

وـكـانـ اـبـنـ عـمـرـ قـالـ يـقـولـ: إـذـاـ أـمـسـيـتـ فـلـاـ تـسـتـرـ الصـبـاحـ، وـإـذـاـ أـصـبـحـتـ فـلـاـ تـنـتـظـرـ الـمـسـاءـ، وـخـذـ مـنـ صـحـيـثـكـ لـمـرـضـكـ، وـمـنـ حـيـاتـكـ لـمـوـتـكـ. رواهـ البـخـارـيـ.

قالـواـ فـيـ شـرـحـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ مـعـناـهـ: لـاـ تـرـكـنـ إـلـىـ الـدـنـيـاـ وـلـاـ تـسـتـرـهـاـ وـطـنـاـ، وـلـاـ تـحـدـثـ نـفـسـكـ بـطـولـ الـبقاءـ فـيـهـاـ، وـلـاـ يـاـغـتـبـهـاـ، وـلـاـ تـعـلـمـ مـنـهـاـ إـلـاـ بـمـاـ يـعـلـمـ بـهـ الـغـرـيـبـ فـيـ غـيرـ وـطـيـهـ، وـلـاـ تـشـعـلـ فـيـهـاـ بـمـاـ لـاـ يـشـعـلـ بـهـ الـغـرـيـبـ الـذـيـ يـرـيدـ الـذـهـابـ إـلـىـ أـهـلـهـ. وـبـالـلـهـ التـوـقـيقـ.

(٤٧١) / ٥٥) وعنـ أـبـيـ العـبـاسـ سـهـلـ بـنـ سـعـدـ السـاعـدـيـ قـالـ: «جـاءـ رـجـلـ إـلـىـ النـبـيـ عـلـيـهـ الـسـلـيـلـ، فـقـالـ: يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ، دـلـلـنـيـ عـلـىـ عـمـلـ إـذـاـ عـمـلـتـهـ أـحـبـنـيـ اللـهـ وـأـحـبـنـيـ النـاسـ، فـقـالـ: (اـزـهـدـ فـيـ الـدـنـيـاـ يـحـبـكـ اللـهـ، وـأـرـهـدـ فـيـمـاـ عـنـدـ النـاسـ يـعـجـلـكـ النـاسـ)». حـدـيـثـ حـسـنـ رـوـاهـ اـبـنـ مـاجـهـ وـغـيـرـهـ بـأـسـانـدـ حـسـنـهـ.

(٤٧٢) / ٥٥) وعنـ النـعـمـانـ بـنـ بـشـرـ قـالـ: «ذـكـرـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ عـلـيـهـ مـاـ أـصـابـ النـاسـ مـنـ الـدـنـيـاـ، فـقـالـ: لـقـدـ رـأـيـتـ رـسـوـلـ اللـهـ عـلـيـهـ الـسـلـيـلـ يـظـلـ الـيـوـمـ يـلـتـوـيـ مـاـ يـجـدـ مـنـ الدـقـلـ مـاـ يـمـلـأـ بـهـ بـطـنـهـ». رـوـاهـ مـسـلـمـ. (الـدـقـلـ) بـفـتـحـ الدـالـ الـمـهـمـلـةـ وـالـقـافـ: رـدـيـءـ التـمـرـ.

(٥٥ / ٤٧٣) وعن عاشة رضي الله عنها قالت: تُوفِيَ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وما في بيتي من شيءٍ يأكلُه ذو كيدٍ (أي: من إنسان أو حيوان) إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍ لِي، فَأَكَلَتْ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ (أي: الوقت)، فَكِلْتُهُ (أي: فَوَزَتُهُ) فَفَنَيَّ. متفق عليه. قوله: شطْر شَعِير» أي: شيءٌ من شعير، كَذَافَسَرُ الترمذِيُّ.

(٥٥ / ٤٧٤) وعن عمرو بن الحارث أخِي جُوَيْرَيَة بنتِ الْحَارِثِ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها قال: مَا تَرَكَ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه عِنْدَ مَوْتِهِ دِيَنَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا عَبْدًا وَلَا أُمَّةً، وَلَا شَيْئًا إِلَّا بَعْلَتَهُ الْبَيْضَاءُ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلَاحَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لَابْنِ السَّيْلِ صَدَقَةً. رواه البخاري.

(٥٥ / ٤٧٥) وعن خَبَابِ بْنِ الْأَرْجَتِ رضي الله عنه قال: هاجَرَنَا مَعَ رَسُولِ الله صلوات الله عليه وآله وسلامه لَنَتَمْسُ وَجْهَ الله تَعَالَى، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى الله، فَمِنَّا مَنْ ماتَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ: مُصَبْعُ بْنُ عُمَيْرٍ رضي الله عنه قُتِلَ يَوْمَ أُحُدَ وَتَرَكَ نِمَرَةً، فَكَانَ إِذَا غَطَّيْنَا بَهَا رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا بَهَا رِجْلَيْهِ بَدَأَ رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا رَسُولُ الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ، وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْإِذْخَرِ (أي: حشيش معروف طيب الرائحة)، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَةٌ، فَهُوَ يَهْدِيَهَا. متفق عليه.

النَّمَرَة: كِسَاءٌ مُلَوَّنٌ مِنْ صُوفٍ. وَقَوْلُهُ: أَيْنَعَتْ» أي: نَضَجَتْ وَأَدْرَكَتْ. وَقَوْلُهُ: يَهْدِيَهَا» هو بفتح الياءِ وضم الدال وكسرها لغتان، أي: يَهْدِيَهَا وَيَجْتَهِيَهَا، وهذه استعارة لفتح الله تعالى عليهم من الدنيا وتمكنوا فيها.

(٥٥ / ٤٧٦) وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «لَوْ كَانَ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعْوَضِهِ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةً مَاءً». رواه الترمذِيُّ، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٥٥ / ٤٧٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: «أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ (أي: مبغوضة)، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذُكْرُ الله تَعَالَى، وَمَا وَالْأُهُ، وَعَالِمًا وَمُتَعَلِّمًا». رواه الترمذِيُّ، وقال: « الحديث حسن».

(٥٥ / ٤٧٨) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «لَا تَتَخَذُوا الضَّيْعَةَ (أي: البستان أو القرية أو المفぬة) فَرْغُبُوا فِي الدُّنْيَا». رواه الترمذِيُّ، وقال: « الحديث حسن».

(٥٥ / ٤٧٩) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: مَرَّ عَلَيْنَا رَسُولُ الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وَنَحْنُ نَعَالِجُ (أي: نُصلِحُه) خُصًّا (أي: بَيْتاً مِنْ قَصْبٍ، وَهُوَ خَبْرُ الْجَيْرَانِ) لَنَا، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقُلْنَا: قَدْ وَهِيَ (أي: ضعف وقرب سقوطه)، فَنَحْنُ نُصْلِحُهُ، فَقَالَ: «مَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ». رواه أبو داود والترمذِيُّ يأسنَدُ البخاريَّ ومسلم وقال الترمذِيُّ: « الحديث حسن صحيح».

(٥٥ / ٤٨٠) وعن كَعْبَ بْنِ عِيَاضٍ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً (أي:

**ضلالاً ومعصية، وفتنة أهنتي المال**». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٤٨١) / ٥٥ وعن أبي عمرو - ويقال: أبو عبد الله، ويقال: أبو ليلى - عثمان بن عفان رض: أن النبي صل قال: «لَيْسَ لابن آدم حَقٌّ (أي: حاجة) في سُوَى هَذِهِ الْخَصَالِ: بَيْتٌ يَسْكُنُهُ، وَنَوْبٌ يُوَارِي (أي: يستر) عَوْرَتَهُ، وَجَلْفُ الْخُبْزِ وَالْمَاءِ». رواه الترمذى، وقال: «حديث صحيح».

قال الترمذى: سمعت أبا داود سليمان بن سلم البلاخي، يقول: سمعت النضر بن شمبل، يقول: الجلف: الخبز ليس معه إدام (أى: الإدام: ما يؤكل مع الخبز من طعام ونحوه)، وقال غيره: هو غليظ الخبز. وقال الهروي: المراد به هنا وعاء الخبز، كالجوالق والخرج (أى: الجوالق والخرج: وعاءان من جلد أو شعر يوضع فيهما المتع). والله أعلم.

(٤٨٢) / ٥٥ وعن عبد الله بن الشخير - بكسر الشين والباء المعجمتين - رض أنه قال: أتيت النبي صل وهو يقرأ: **﴿الْهَنَّاكُمْ الْكَافِرُ﴾** ١ قال: «يقول ابن آدم: مالي، مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟!». رواه مسلم.

(٤٨٣) / ٥٥ وعن عبد الله بن مغفل رض قال: قال رجل للنبي صل: يا رسول الله، والله إنني لأحبك، فقال: «انظر ماذا تقول (أي: تذكر فيما تقول)». قال: والله إنني لأحبك، ثلاثة مرات، فقال: «إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافاً، فإن الفقر أسرع إلى من يحببني من السبيل إلى منتهاه». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن». **«التجفاف»** بكسر التاء المثلثة فوق واسكان الجيم وبالفاء المكررة. وهو: شيء يحبسه الفرس، ليتني به الأذى، وقد يحبسه الإنسان.

(٤٨٤) / ٥٥ وعن كعب بن مالك رض قال: قال رسول الله صل: «ما ذبائن جائعان أرسلوا في عنهم بأسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدینه». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٤٨٥) / ٥٥ وعن عبد الله بن مسعود رض قال: نام رسول الله صل على حصير، فقام وقاد أثراً في جنبه، قلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاءً (أى: فراساً). فقال: «مالى وللدنيا؟! ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٤٨٦) / ٥٥ وعن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله صل: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسين سنة عام». رواه الترمذى، وقال: «حديث صحيح».

(٤٨٧) / ٥٥ وعن ابن عباس وعمران بن الحصين رض: عن النبي صل قال: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها فقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء». متفق عليه من رواية ابن

(٤٨٨) وعن أسامة بن زيد: عن النبي ﷺ قال: «فُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَةً مِنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الْجَدْ مَحْبُوْسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرْتُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ». متفق عليه. وـ الْجَدُّ: الْحَحُّ وَالْغَنَّةُ.

وقد سبق بيان هذا الحديث في باب فضل الصعنة.

(٤٨٩) وعن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةً لَيِّدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَأَ (أي: ما عادا) اللَّهُ بَاطِلٌ». متفق عليه.



### (الزهد)

الزُّهْدُ: هو بُغض الدُّنيا المذمومة عند الله، والإعراض عنها، فيترك الزاهد راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة والنعم في الجنة، والزهد أيضاً أن يخلو قلبك مما خلت منه يداك.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية : كلام معناه: إن الزُّهْدَ المشروع هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة، فيترك فضول المباحثات، كالزيادة في أكل الطعام والشراب، والزاد عن الحد في الملابس والفرش مما لا يُستعان بها على طاعة الله، أما إذا انقلبت هذه المباحثات إلى طاعات بتغيير النية فيها صارت من النافعات في الدار الآخرة.

وأما ما ينفع العبد في الدار الآخرة فالزُّهْدُ فيها ليس من الدين، حيث يدخل بذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحْرِّمُوا طَبِيبَتِ مَا حَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَمْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].

وقد سمع الإمام مالك : بما يصنعه الليث بن سعيد الفقيه المصري من تمتعه بأطيب الطعام، وتزيينه بأبهى الشياطين، وخروجه للنزهة في الحدائق والأسواق، فكتب مالك إليه معاذًا: بلغني أنك تأكل الرُّفَاقَ (أي: الأكل الناعم اللذيد)، وتبَسُّ الرُّفَاقَ (أي: الشياطين الرفقاء) الفاخرة وتمشي في الأسواق. فكتب إليه الليث : قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِبَادِهِ وَأَطْبَبَتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمةِ كَذَلِكَ نَفْصُلُ الْآيَتِ لِقَوْمٍ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

ومن ترك الواجبات من الأعمال وانشغل بالمحابيات وفضولها كان ضدَّ الزهد المطلوب والم مشروع، فإذا فعل محررًا كان عاصيًّا، فالزاهد يترك الدنيا للعلم بحقارتها بالنسبة إلى نفاسة الآخرة.

وقال ابنُ القيم : : الزُّهُد سُفُرُ الْقَلْبِ مِنْ وَطَنِ الدُّنْيَا إِلَى مَنَازِلِ الْآخِرَةِ.

ولا يستحقُ العبدُ اسمَ الزُّهُد حتى يزهد في ستة أشياء: المال، والصور (حب النساء والانشغال بالملحوظ) والسياسة، والناس، والنفس، وكل ما دون الله. وليس المراد عدم امتلاكها.

فها هما سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما، مع ما لهما من الملك والمال والنساء، وكذلك كان نبيُّنا الكريم ﷺ له تسع نسوة وهو من أزهد البشر على الإطلاق، وكان الصحابة رضي الله عنهم من الزُّهاد، كعليٍّ وعثمان والزبير وابن عوف رضي الله عنهم من النسوة والمال والدنيا. فالزاهد ينصرف عن شيءٍ حقير إلى شيء آخر نفيس.

أقسام الزهد: وقد قسم ابنُ القيم الزُّهُدَ إلى أربعة أقسام:

أحدها: الزهد في فعل الحرام، وهو فرض عين على كل مسلم.

الثاني: الزُّهُد في الشُّبهَات، فقد يشتبه على العبد شيءٌ: فهو حلال أم حرام؟ فإذا كانت الشبهة قويةً جهة الحرام كان الزُّهُدُ فيها واجبًا، أما إذا كانت الشبهة ضعيفةً جهة الحرام كان الزُّهُدُ فيها مستحبًا.

الثالث: الزُّهُد في الفُضُول، والفضول هو ما زاد عن حاجة العبد في حياته كالطعام والشراب واللباس والسكن وغيره، وكذلك فضول الكلام والنظر واللقاء والجلوس للناس.

الرابع: الزهد الجامع لذلك كله، وهو الزُّهُد فيما سوى ما عند الله تعالى، وفي كل ما يشغلك عن الله.

وأفضل الرُّهْد هو إخفاء الرُّهْد عن الناس حتى لا يُصيِّب الرِّيَاء، وأصعب الرُّهْد فيما كان فيه حُظٌّ كَبِيرٌ للنفس. ويُعِين العبد على الرُّهْد العلمُ واليقينُ، وهو على ثلاثة:

أولها: عِلم العبد بحقارة الدنيا وزوالها، كما قال الله تعالى: **﴿كَمْثَلِ عَيْتٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِالنَّهِ ثُمَّ يَوْمَ يَرَى قَرْنَاهُ مُضَقَّرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَنَّا﴾** [الجديد: ٢٠]، وقد ذَمَّ اللَّهُ مَنْ رَضِيَ بها واطمأنَّ إليها.

الثاني: عِلم العبد بعظمة الآخرة، وهي دَارُ البقاء والخلود والنعيم، فيزهد في الحثير الزائل إلى العظيم الباقي.

الثالث: عِلمه ومعرفته بأن الأمور والأرزاق مُقدَّرةً ومقسومةً، وأن الرُّهْد فيها لا يمنعه رزقه، والحرص لا يجعل له شيئاً ليس له، كما في حديث رسول الله ﷺ: **«وَاعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ»**. أَحْمَدُ في مسنده (١٨٢ / ٥) برقم (٢١٦٢٩).

فهذه الأمور الثلاثة تسهل على العبد رُهْدَه في الدنيا.

وهذه عائشة أم المؤمنين ؑ تقول: إن كنا آل محمد (أي: تقصد البيوت التسعة) لنمكث شهراً ما سُتُّون قد بنار (أي: ليس لهم طعام يطبخ) إن هو إلا التمر والماء. وقالت أيضاً: لقد مات رسول الله ﷺ وما شَبَعَ مِنْ خَبِزٍ وَزَيَّتِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَرْتَينَ.

وقال علي بن أبي طالب ؓ: ارتحلت الدنيا مُدِيرَةً، وارتاحت الآخرة مُقِلَّةً، ولكل واحدٍ منها بُنُونَ (أي: أبناء)، فكُونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عملٌ ولا حساب، وغداً حساب بلا عمل.

وقال أيضاً ؓ: طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، أولئك قومٌ اتخذوا أرض الله بساطاً، وترابها فرasha، وماءها طيباً، والكتاب (أي: القرآن) شعراً (أي: خاصة نفسه)، والدعاء دثاراً (أي: عم بالدعاء حالهم)، ورفضوا الدنيا رفضاً.

وقال ابن مسعود ؓ: الدنيا دارٌ مَنْ لا دار له، ومالٌ مَنْ لا مال له، ولها يجمع مَنْ لا علم له.

وقال أبو واقِد الليثي : تابعنا الأعمال في الدنيا فلم نجد شيئاً أبلغَ في عمل الآخرة من الزهد في الدنيا.

وقال الحسن البصري : ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال وإضاعة المال، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصببت بها أرجأً منك فيها لو لم تصبب.

وقال محمد بن كعب القرطبي : إذا أراد الله بعده خيراً أزهدَه في الدنيا، وفقهه في الدين، وبصره بعيوبه، ومن أُوتِيَهُنَّ فقد أُوتِيَ خيراً كثيراً في الدنيا والآخرة.

وقال يحيى بن معاذ : الزهد يورث السخاء بما تملّك (أي: العطاء والكرم).

وقال سفيان الثوري : الزهد في الدنيا هو قصرُ الأمل، وليس بأكل الغليظ ولبس العباءة (أي: حيث كانت في زمانهم من مظاهر الزهد والورع).

وقال ابن الجلاء : الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينيك؛ فيسهل عليك الإعراض عنها.

### قصص في الزهد:

**قصة:** رُوي عن عمر رضي الله عنه: أنه حين فتح عليه الفتوحات، قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها: أَبْسِنْ آلين الثياب إذا وَفَدْتُ عليك الوفود من الآفاق، وُمْرِ بصنعة الطعام تُطعمه وتطعم من حضر. فقال عمر: يا حفصة، أَسْتَ تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهُل بيته؟ فقالت: بلـ. قال: ناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبث في النبوة كذا وكذا سنةً لم يشبع هو ولا أهله غدوة إلا جاعوا عشيّةً، ولا شبعوا عشيّة إلا جاعوا غدوة [منافق عليهـ]. وناشدتك الله، هل تعلمين أن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبث في النبوة كذا وكذا سنةً لم يشبع من التمر هو وأهله، حتى فتح الله عليه خير [البخاري بعنوانه برقـ (٤٢٤٣)]. وناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قربتم إليه يوماً طعاماً على مائدة فيها ارتفاعٌ فشق ذلك عليه حتى تغير لونه، ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك، أو وضع على الأرض.

وناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان لا ينام على عباءة مثنية، فثبتت له ليلةً أربعم طاقات (أي: جمع «طاق»: وهو ما عُطف وثني وجعل كالقوس من الأنبياء والبُسطَّ والفراس) فنام عليها، فلما استيقظ قال: **«مَنْعَمُونِي قِيَامَ اللَّيْلَةِ بِهَذِهِ الْعَبَاءَةِ، اثْنُوهَا بِاثْتَتِينِ كَمَا**

**كُنْتُمْ تَشْتُونَهَا؟**). وناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله ﷺ كان يضم ثيابه لتعسل فيأتيه بلالٌ فيؤذنه بالصلاحة. فما يجد ثواباً يخرج به إلى الصلاة حتى تجفّ ثيابه فيخرج بها إلى الصلاة. وناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله ﷺ صنعت له امرأةٌ من بنى ظفر كسائين: إزاراً ورداءً، وبعثت إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر، فخرج إلى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره، وقد عقد طرفيه إلى عنقه، فصلّى كذلك، فما زال يقول حتى أبكاهما، وبكي عمر رضي الله عنه وانتخب، حتى ظننا أن نفسه ستخرج. اهـ.

**قصة:** رُوي أن بعض الخلفاء أرسل إلى الفقهاء بجوائز فقبلوها، وأرسل إلى الفضيل بن عياض بعشرة آلاف فلم يقبلها، فقال له بنوه: قد قبل الفقهاء، وأنت تردد على حالي هذه؟! فبكى الفضيل وقال: أتدرون ما مثلى ومثلكم؟! كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها، فلما هرمَت (أي: كبرت سنها) ذبحوها لأجل أن ينتفعوا بجلدها، كذلك أنتم أردتم ذبحي على كبر سني، موتوا يا أهلي جوعاً خيراً لكم من أن تذبحوا فضيلاً. اهـ.

**قصة:** دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوفٍ، فقال له قتيبة: ما دعاك إلى لبس هذا؟ فسكت، فقال: أكلّمك ولا تجيبني. فقال: أكره أن أقول زهداً فازكي نفسي، أو فقراً فأشكرو بي. اهـ.

**قصة:** دخل رجل على أبي ذرٍ فجعل يُقلّب بصره في بيته، فقال: يا أبي ذرٌ، ما أرى في بيتك متاعاً ولا غير ذلك من الأثاث. فقال: إن لنا بيتاً نوجّه إليه صالح متاعنا. فقال: إنه لا بد لك من متاع ما دمت هاهنا. فقال: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه. اهـ.

والزاهد لا يزاحم أهل الدنيا على دنياهم، بل هو قانع متوكلاً على ربِّه، صرف همه لآخرته، عاماً بقوله تعالى: **﴿لَكُنَّا لَّا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَنْقَرُوا إِيمَانَكُمْ وَاللَّهُ مَا لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾** [الجديد: ٢٣].

## ٥٦- باب فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصر على القليل من المأكل والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات

قال الله تعالى: ﴿ قَلَّ مِنْ بَعْدِهِمْ خَفْ أَضَاعُوا الصَّلوَةَ وَأَتَبْعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَيْنًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَلِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ [٦٠، ٥٩] [مريم: ٦٠، ٥٩].

وقال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَنْتَهِيَنَّ إِلَيْهَا مِثْلَ مَا أُوفِيَ قَرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ ﴾ [٧٦] وَقَالَ الَّذِينَ أَتَوْا الْعِلْمَ وَيَكْتُمُونَ ثَوَابَ اللَّهِ كَيْفَ لَمْنَ مَاءَمَنْ وَعَمِلَ صَلِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ [٨٠، ٧٩] [القصص: ٨٠، ٧٩].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُشْتَغَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ الْعَيْمِ ﴾ [٨] [النکاثر: ٨].

وقال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلَنَا لَهُ وَفِيهَا مَا نَشَاءَ لِمَنْ تُرِيدُ ثُرَّ جَعَلَنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصِلُّنَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا ﴾ [١٨] [الإسراء: ١٨].

والآيات في الباب كثيرة معلومة.

(٤٩٠ / ٥٦) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما شبعَ آلُ مُحَمَّدٍ عليه السلام مِنْ خُبْزٍ شَعِيرٍ يَوْمَينِ مُتَابِعَيْنِ حَتَّىٰ قُبِضَ رَسُولُ الله عليه السلام. متفق عليه.

وفي رواية: ما شبعَ آلُ مُحَمَّدٍ عليه السلام مِنْ قِدْمَ الْمَدِينَةِ مِنْ طَعَامِ الْبَرِّ (أي: القمح) ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا (أي: متواليات) حَتَّىٰ قُبِضَ.

(٤٩١ / ٥٦) وعن عروة: عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: والله، يا ابنَ أختي، إنْ كُنَّا نَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ، ثُمَّ الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ: ثَلَاثَةُ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوْقَدَ فِي أَيَّاتٍ رَسُولُ الله عليه السلام نَارٌ. قُلْتُ: يَا خَالَةُ، فَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ الله عليه السلام جِبَرَانُ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَاجُ (أي: من الغنم أو النوق التي بها لبن) وَكَانُوا يُرِسِّلُونَ إِلَيْ رَسُولِ الله عليه السلام مِنْ الْبَانِهَا فَيُسْقِيَنَا. متفق عليه.

(٤٩٢ / ٥٦) وعن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَاهٌ مَصْلِيهٌ فَدَعَوْهُ فَأَبَيَ أَنْ يَأْكُلْ. وَقَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله عليه السلام مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ.

رواه البخاري. «مصلحة» بفتح الميم، أي: مشوّية.

(٥٦) وعن أنس رضي الله عنه قال: لَمْ يَأْكُلِ النَّبِيُّ صلوات الله عليه عَلَىٰ خِوَانٍ (أي: الخوان: ما يوضع عليه الطعام عند الأكل) حَتَّىٰ مَاتَ، وَمَا أَكَلَ خُبْزًا مُرْقَقًا (أي: مُلْبَسًا) حَتَّىٰ مَاتَ رواه البخاري.

وفي رواية له: وَلَا رَأَى شَاءَ سَمِيطًا (أي: مشوّية) بعَيْنِهِ قَطُّ.

(٥٦) وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ صلوات الله عليه وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلَأُ بَطْنَهُ رواه مسلم. «الدقل»: تَمْرٌ رَدِيءٌ.

(٥٦) وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه النَّقَيَّ مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّىٰ قَبْضَهُ اللَّهُ تَعَالَى . فَقِيلَ لَهُ: هَلْ كَانَ لَكُمْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه مَنَاخُلٌ؟ قَالَ: مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه مُنْخَلًا مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّىٰ قَبْضَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ كُتُمْ تَأْكُلُونَ الشَّعِيرَ غَيْرَ مُنْخُولٍ؟ قَالَ: كُنَّا نَطَحْنُهُ وَنَنْفَخُهُ، فَيَطِيرُ مَا طَارَ، وَمَا يَقِي ثَرِينَاهُ رواه البخاري. قوله: «النقى» هو بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء، وهو: الخبز الحوارى (أي: النظيف الأبيض)، وهو: الدرمك (أي: الدقيق الناعم الأبيض). قوله: «ثريناه» هو بناء مثنى، ثم راء مشددة، ثم ياء مثنى من تحت ثُنَّ نون، أي: بللناد وعجناه.

(٥٦) وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: خرجَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةً، فَإِذَا هُوَ بِكُرْ وَعُمَرَ رضي الله عنهما، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةِ؟» قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ: «وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا. قُوْمًا». فَقَامَا مَعَهُ، فَأَتَيْتُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتُهُ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «أَيْنَ فُلَانُ؟» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا الْمَاءَ. إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وَصَاحِبِهِ. ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا أَحَدُ الْيَوْمِ أَكْرَمَ أَضِيَافًا مِنِّي، فَانْطَلَقَ فَجَاءُهُمْ بَعْدُ فِيهِ سُرُورٌ وَرَطْبٌ، فَقَالَ: كُلُوا، وَأَخْذُ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ». فَدَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعَدْقِ وَشَرِبُوا. فَلَمَّا أَنْ شَبَّعُوا وَرَوُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه لَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسَأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّىٰ أَصَابُكُمْ هَذَا النَّعِيمُ». رواه مسلم. قوله: «يستعبد» أي: يطلب الماء العذب، وهو الطيب. و«العدق» بكسر العين وإسكان الذال المعجمة، وهو: الكيسنة وهي الغصن. و«المدية» بضم الميم وكسرها، هي: السكين. و«الحلوب»:

ذات اللَّبَنِ. وَالسُّؤَالُ عَنْ هَذَا التَّعْيِمِ سُؤَالٌ تَعْدِيدُ النَّعْمَ لَا سُؤَالٌ تَوْبِينَ وَتَعْذِيبٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَهَذَا الْأَنْصَارِيُّ الَّذِي أَتَاهُهُوَ: أَبُو الْهَيْمَنْ بْنُ التَّيْهَانَ، كَذَا جَاءَ مُبِينًا في رواية الترمذى وغيره.

(٤٩٧) وَعَنْ خَالِدِ بْنِ عُمَيرِ الْعَدَوِيِّ قَالَ: حَطَبَنَا عُتْبَةُ بْنُ عَزْرَوَانَ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى الْبَصْرَةِ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَذْنَتْ بِصُرْمٍ، وَوَلَتْ حَذَاءً، وَلَمْ يَبْقِ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ يَتَصَابَّهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُسْتَقْلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقْلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفِيرٍ (أي: جانب وحرف) جَهَنَّمَ فِيهِوْيِ فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا، لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَاللَّهُ لَتَمَلَّأَنَّ، أَفَعَجِبْتُمْ؟! وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا يَبْيَنَ مِصْرَاعَيْنَ (أي: شطري الباب) مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةً أَرْبَعينَ عَامًا، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيفٌ مِنَ الزَّحَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابَعَ سَبْعَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَا لَنَا طَاعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّىٰ قَرِحْتُ أَشْدَاقَنَا، فَالْتَّقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدَ بْنِ مَالِكٍ، فَاتَّرَرْتُ بِنِصْفِهَا، وَاتَّرَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا، فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَىٰ مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ، وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أُكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا، وَعِنْدَ اللَّهِ صَغِيرًا. رواه مسلم.

قُولُهُ: «أَذْنَتْ» هُوَ بِمَدِ الْأَلْفِ، أي: أَعْلَمْتُ. وَقُولُهُ: «بِصُرْمٍ» هُوَ بضم الصاد، أي: بِأَنْقِطَاعِهَا وَفَنَّاهَا.

وَقُولُهُ: «وَوَلَتْ حَذَاءً» هُوَ بحاءً مهملة مفتوحة، ثُمَّ ذال معجمة مشددة، ثُمَّ ألف ممدودة، أي: سريعة.

وَ«الصُّبَابَةُ» بضم الصاد المهملة، وهي: الْعَيْنَةُ الْبَيْسِيرَةُ. وَقُولُهُ: «يَتَصَابَّهَا» هُوَ بتشديد الباء قبل الهاء، أي:

يجمعها. وَ«الْكَظِيفُ»: الكثير الممتلىء. وَقُولُهُ: «قَرِحْتُ» هُوَ بفتح الفاء وكسر الراء، أي: صارت فيها قروح.

(٤٩٨) وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رض قَالَ: أَخْرَجْتُ لَنَا عَائِشَةَ رض كِسَاءً وَإِزارًا غَلِيلًا، قَالَتْ: قُبَضَ رَسُولُ اللَّهِ صل فِي هَذِينِ. متفق عليه.

(٤٩٩) وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رض قَالَ: إِنِّي لَأَوَّلُ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَقَدْ كَنَّا نَعْزُرُ وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ صل مَا لَنَا طَاعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الْجُبَلَةِ، وَهَذَا السَّمُورُ، حَتَّىٰ إِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَصُعُ (أي: يُضَعُ حاجته من التغوط) كَمَا تَصَعُ الشَّأْمَ مَا لَهُ خَلْطٌ (أي: ما أُكل من ورق الشجر وما ليس بذاء مألف فلا يختلط بعضه ببعض من شدة جفافه وتفتته). متفق عليه.

«الْجَبَلَةُ» بضم الحاء المهملة وإسكان الباء الموحدة، وَهِيَ وَالسَّمُورُ: تَوْعَانٌ مَعْرُوفٌ فَانِ مِنْ شَجَرِ الْبَادِيَةِ.

(٥٠٠) وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رض قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صل: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوَّاتًا». متفق عليه. قَالَ أَهْلُ الْلُّغَةِ وَالْغَرِيبُ: مَعْنَى «قُوَّاتًا» أي: مَا يُسْدِدُ الرَّمَقَ.

(٥٦ / ٥٠١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: والله الذي لا إله إلا هو، إن كنت لاعتمد بكتبي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع. ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر بي النبي صلوات الله عليه، فبسم حين رأني، وعرف ما في وجهي وما في نفسي، ثم قال: «أبا هر». قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «الحق». ومصري فاتبعه، فدخل فاستاذن، فإذا لي فدخلت، فوجد لينا في قدر، فقال: «من أين هذا اللبن؟» قالوا: أهداه لك فلان - أو فلانة - قال: «أبا هر». قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي». قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأowون على أهل ولا مال ولا على أحد، وكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم، وأصاباب منها، وأشركهم فيها. فساعني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة! كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أقوى بها، فإذا جاءوا وأمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن. ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسول الله صلوات الله عليه بد. فاتتهم فدعوتهم، فأقبلوا واستاذنو، فإذا لهم وأخذوا مجاليتهم من البيت، قال: لبيك يا رسول الله، قال: «خذ فأطعمهم». قال: فأخذت القدر، فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد على القدر، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد على القدر حتى انتهيت إلى النبي صلوات الله عليه، وقد رويا القوم كلامهم، فأخذ القدر فوضعه على يده، فنظر إلى فتبسم، فقال: «أبا هر». قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «بقيت أنا وأنت». قلت: صدقت يا رسول الله، قال: «اقعد فاشرب». فقعدت فشربت، فقال «اشرب». فشربت، فما زال يقول: «اشرب». حتى قلت: لا، والذي عثثك بالحق لا أجد له مسلكاً! قال: «فأرني». فأعطيته القدر، فحمد الله تعالى، وسمى وشرب الفضلة. رواه البخاري.

(٥٦ / ٥٠٢) وعن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لقد رأيتني وإني لأخر أي: لأسقط فيما بين منبر رسول الله صلوات الله عليه إلى حجرة عائشة رضي الله عنها مغشياً على، فيجيء الجائى، فيضع رجله على عنقي، ويرى أي: يظن أي مجنون، وما يرى من جنون، ما يرى إلا الجوع. رواه البخاري.

(٥٦ / ٥٠٣) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: توفى رسول الله صلوات الله عليه وذرعه أي: الدرع: ما يلبس في الحرب

مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي ثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ. متفق عليه.

(٥٠٤) وعن أنس رض قال: رَهَنَ النَّبِيُّ صل دُرْعَةً بِشَعِيرٍ، وَمَسَيَّتُ إِلَى النَّبِيِّ صل بِخُبْزٍ شَعِيرٍ وَإِهَالَةً سَنِحَةً، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَا أَصْبَحَ لَأَلِ مُحَمَّدٍ صَاعٌ وَلَا أُمْسَى». وَإِنَّهُمْ لَكِسْعَةُ أَبِيَاتٍ. رواه البخاري. (أي: حوالي ٢٦٠٠ جرام، ويقصد من الشعير).

**«الإِهَالَةُ»** بكسر الهمزة: الشَّحْمُ الذَّائِبُ. وَ**«السَّنِحَةُ»** بالنون والخاء المعجمة، وَهِيَ: المُتَغَيِّرُ.

(٥٠٥) وعن أبي هريرة رض قال: لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رَدَاءٌ (أي: ما يُسْتَرُ أَعْلَى الْبَدْنِ فَوْقَ الإِزارِ)، إِمَّا إِزارٌ (أي: هو ما يُسْتَرُ أَسْفَلَ الْبَدْنِ) وَإِمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا (أي: قد رَبَطُوا الأَكْسِيَة) فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَمِنْهُمَا مَا يَلْعُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهُمَا مَا يَلْعُغُ الْكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ (أي: فِيمَسَكُهُ بِيَدِهِ وَيَضْمِنُهُ، وَذَلِكَ فِي حَالِ الصَّلَاةِ) كَرَاهِيَّةً أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ.

رواية البخاري.

(٥٠٦) وعن عائشة رض قالت: كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ صل مِنْ أَدَمٍ (أي: جَلدٌ) حَشُوْهُ لِيفٌ.

رواية البخاري.

(٥٠٧) وعن ابن عمر رض قال: كَانَ جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ صل، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدْبَرَ الْأَنْصَارِيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صل: «يَا أَخَا الْأَنْصَارِ، كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟» فَقَالَ: صَالِحٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صل: «مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ؟» فَقَامَ وَقَمِنَ مَعَهُ، وَنَحْنُ بِضُعَّةٍ عَشَرَ، مَا عَلَيْنَا نَعَالٌ، وَلَا خَفَافٌ، وَلَا قَلَانِسُ (أي: غطاء لُبس فوق الرأس مباشرةً)، وَلَا قُمْصٌ (أي: جمع «قميص»)، نَمْسِيَ في تِلْكَ السَّبَابِخِ (أي: الأرضي المالحة التي لا تكاد تنبت)، حَتَّى جَئْنَاهُ، فَاسْتَأْخَرَ قَوْمًا مِنْ حَوْلِهِ حَتَّى دَنَا رَسُولُ اللهِ صل وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ. رواية مسلم.

(٥٠٨) وعن عمَرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ رض: عن النبيِّ صل أَنَّهُ قَالَ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ». قَالَ عُمَرَانُ: فَمَا أَدْرِي قَالَ النَّبِيُّ صل مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ (ثُمَّ يَكُونُ بَعْدُهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشَهِدُونَ، وَيَحْوِنُونَ وَلَا يُؤْتَمِنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوْفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ» (أي: بدانة الجسم من كثرة الطعام وقلة الجهد). متفق عليه.

(٥٠٩) وعن أبي أمامة رض قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صل: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أَنْ تُبَذِّلَ الْفَضْلَ خَيْرُ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرُّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَىٰ كَفَافٍ، وَابْنَأْ بِمَنْ تَعُولُ». رواية الترمذى، وقال: «حديث

حسن صحيح».

(٥٦) وعن عبيد الله بن محسن الأنصاري الخطمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «من أصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا في سرِّيهِ، مُعَافًى في جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَانَمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَدَّ افِيرِهَا (أي: بأسرها)». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن». سربه بكسر السين المهملة، أي: نفسه، وقيل: قومه.

(٥٦) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «قُدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافًا (أي: بقدر الكفاية لا زيادة ولا نقص)، وَقَنَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ». رواه مسلم.

(٥٦) وعن أبي محمد فضاله بن عبد الأنصاري رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: «طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى إِسْلَامٍ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَعَ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٥٦) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يبيت الليلالي المُسَتَّابَةَ طاوِيًّا (أي: جائعاً)، وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبرهم خبر الشاعر. رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٥٦) وعن فضاله بن عبد رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه كان إذا صلى بالناس، يخر رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة - وهم أصحاب الصفة - حتى يقول الأعراب: هؤلاء مجانين. فإذا صلى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه انصرف إليهم، فقال: «لَوْ تَعْلَمُوْنَ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى لَا حِبَّتُمْ أَنْ تَرْدَادُوا فَاقَةً وَحَاجَةً». رواه الترمذى، وقال: «حديث صحيح».

### الخصاصة: الفاقة والجوع الشديد.

(٥٦) وعن أبي كريمة المقدام بن عمدة يكرب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: «ما ملأ آدمي وعاء شرّا من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يؤمن صلبه، فإن كان لا محالة فلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن». أكلات أي: لقمة.

(٥٦) وعن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الأنصاري الحارثي رضي الله عنه قال: ذكر أصحاب رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يوماً عنده الدنيا، فقال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «أَلَا تَسْمَعُونَ؟ أَلَا تَسْمَعُونَ؟ إِنَّ الْبَذَادَةَ مِنَ الْإِيمَانِ، إِنَّ الْبَذَادَةَ مِنَ الْإِيمَانِ». يعني: التّغُلُل. رواه أبو داود.

«الْبَذَادَةُ» بالباء الموحدة والذالين المعجمتين، وهي: رئاثة الهيبة وترك فاخر اللباس. وأما «التّغُلُل» بالقاف والجاج: فقد قال أهل اللغة: المتّغّل هو الرجل اليابس الجلد من خسوة العيش وترك الترفة.

(٥٦) وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: بعثنا رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، وأمر علينا أبا عيادة

تَبَلِّغُهُ، تَنَقَّى عِيرًا لِقُرْيُشِ، وَرَوَدَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ كَمْ يَجْدُ لَنَا غَيْرُهُ، فَكَانَ أَبُو عُيَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً. فَقَيْلَ: كَيْفَ كُتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قَالَ: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُ الصَّبَّيْ، ثُمَّ نَسْرِبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ، فَنَكْفِيْنَا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ، وَكُنَّا نَسْرِبُ بِعَصِيْنَا الْخَبَطَ، ثُمَّ نَبْلُهُ بِالْمَاءِ فَنَأْكُلُهُ. قَالَ: وَانْطَلَقْنَا عَلَى سَاحِل الْبَحْرِ، فَرُفِعَ لَنَا عَلَى سَاحِل الْبَحْرِ كَهْيَةُ الْكَثِيبِ الْفَضَّحُمِ، فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى الْعَنْبَرُ (أي: هي سمكة بحرية كبيرة)، فَقَالَ أَبُو عُيَيْدَةَ: مَيْتَهُ. ثُمَّ قَالَ: لَا، بَلْ نَحْنُ رُسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ اضْطَرَرْتُمْ فَكُلُوا، فَأَقْمَنَا عَلَيْهِ شَهْرًا، وَنَحْنُ ثَلَاثَمَةٌ حَتَّى سَمَّنَا، وَلَقَدْ رَأَيْنَا نَعْرَفُ مِنْ وَقْبِ عَيْنِهِ بِالْقَلَالِ الدُّهْنَ، وَنَقْطَعُ مِنْهُ الْفِدَرَ كَالْثُورِ أَوْ كَفَدْرَ الثُّورِ، وَلَقَدْ أَخَذَ مِنَا أَبُو عُيَيْدَةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَأَقْعَدُهُمْ فِي وَقْبِ عَيْنِهِ وَأَخَذَ ضَلَاعًا مِنْ أَصْلَاعِهِ فَأَقْامَهَا، ثُمَّ رَحَلَ أَعْظَمَ بَعْيَرَ مَعَنَا فَمَرَّ مِنْ تَحْتَهَا وَتَزَوَّدَنَا مِنْ لَحْمِهِ وَشَائِقَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَنَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «هُوَ رِزْقُ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لَكُمْ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعَمُونَا؟» فَأَرْسَلْنَا إِلَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ فَأَكَلَهُ. رواه مسلم. **الجراب**: وَعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ بَكْسِرُ الْجِيمِ وَفَتْحِهَا، وَالْكَسْرُ أَفْصَحُ. قَوْلُهُ: **«نَمَصُّهَا**» بفتح الميم. و**«الْخَبَطُ**»: وَرَقُ شَجَرٍ مَعْرُوفٌ تَأْكُلُهُ الْإِبْلُ. و**«الْكَثِيبُ**»: التُّلُّ مِنَ الرَّمْلِ. و**«الْوَقْبُ**»: بفتح الواو وإسكان القاف وبعدها باءٌ موحّدةٌ، وَهُوَ نَقْرَةُ الْعَيْنِ. و**«الْقَلَالُ**»: الْجِرَارُ. و**«الْفِدَرُ**»: بكسر الفاء وفتح الدال: **القطع**. **«رَحْلُ الْبَعِيرِ**»: بخفيف الحاء، أي: جَعَلَ عَلَيْهِ الرَّحْلِ. **«الْوَشَاقِقُ**» بالشين المعجمة والقاف: **اللَّحْمُ الَّذِي أَقْطَعَ لِيَنْدَدَ مِنْهُ**. والله أعلم.

(٥٦) وعن أسماء بنت يزيد قالت: كَانَ كُمْ فَمِيصُ رسولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الرُّصْغِ. رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن». **«الرُّصْغُ** بالصاد والرُّسْغُ بالسين أيضاً، هو: المُفْصِلُ بَيْنَ الْكَفَّ وَالسَّاعِدِ.

(٥٦) وعن جابر قَالَ: إِنَّا كُنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ تَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةُ، فَجَاءُوا إِلَيْ النبيِ ﷺ، فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ. فَقَالَ: أَنَا نَازِلٌ. ثُمَّ قَامَ، وَبَطَّنَهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَيْشَنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَدُوقُ ذَوَاقًا (أي: لا نأكل شيئاً) فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَعْوَلَ (أي: الفَأْسُ) فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيْبًا أَهْيَلَ أَوْ أَهْيَمَ، فَقَلَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَئْدَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ، فَقَلَتْ لَامْرَاتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا فِي ذَلِكَ صَبَرْ فَعِنْدِكَ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ (أي: الأَنْثَى مِنْ أَوْلَادِ الْمَعْزِ مَا لَمْ يَتَمْ لَهُ سَنَة).

فَذَبَحْتُ الْعَنَاقَ وَطَحَنْتُ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا الْلَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ (أي: الْفِدَرِ)، ثُمَّ جَهْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَالْعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ (أي: لَانْ وَرَطْبَ وَتَمَكَّنَ مِنْهُ الْخَمِيرِ)، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِيِّ قَدْ

كَادَتْ تَنْصَبُ، فَقَلَتْ: طُعِيمٌ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلًا، قَالَ: «كَمْ هُوَ؟» فَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «كَثِيرٌ طَيْبٌ، قُلْ لَهَا لَا تَنْزَعُ الْبُرْمَةَ، وَلَا الْخُبْزَ مِنَ التَّنْتُورِ (أي: الفرن) حَتَّى آتَيْ». فَقَالَ: «قُوْمُوا».

فقام المهاجرُونَ والأنصارُ، فدخلتُ عَلَيْهَا فقلتُ: وَيَحَّكِي قَدْ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ  
وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَمِنْ مَعْهُمْ! قالت: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «اَدْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا». فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ الْلَّحْمَ، وَيَخْمُرُ (أي: يُعْنِي) الْبُرْمَةَ وَالْتَّنْتُورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيَقْرَبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزَعُ، فَلَمْ يَزِلْ يَكْسِرُ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِّعُوا، وَيَقِي  
مِنْهُ، فَقَالَ: «كُلِّي هَذَا وَاهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاهِدًا». متفق عليه.

وفي رواية: قال جابر: لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ خَمَصًا، فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأِي،  
فقلت: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا، فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ حِرَابًا  
فِيهِ صَاعُ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بِهِمَةٌ دَاهِنٌ فَدَبَّتْهَا، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي،  
وَقَطَّعَتْهَا فِي بُرْمَتَهَا، ثُمَّ وَلَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: لَا تَفْضِحْنِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
وَمِنْ مَعْهُ. فَجَهَتْهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَبَّحْنَا بِهِمَةً لَنَا، وَطَحَنْتُ صَاعًا مِنْ  
شَعِيرٍ، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفْرُ مَعَكَ، فَصَاحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ  
صَنَعَ سُورًا فَحَيَّهَا لِبُكُمْ». فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَنْزَلُنَّ بُرْمَتُكُمْ وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينُكُمْ حَتَّى  
أَجِيءَ». فَجَئْتُ، وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ، حَتَّى جِئْتُ امْرَأِي، فَقَالَتْ: يَاكَ وَيَكَ!  
فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتَ. فَأَخْرَجَتْ عَجِينًا، فَبَسَقَ فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتَنا  
فَبَسَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: «اَدْعِي خَابِزَةَ فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ، وَاقْدِحِي مِنْ بُرْمَتُكُمْ، وَلَا تُنْزِلُوهَا».  
وَهُمُ الْأَفْ، فَأَقْسِمُ بِاللهِ لَا كُلُّوا حَتَّى تَرْكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنْ بُرْمَتَنَا لِتَنْعَطُ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ  
عَجِينَنَا لِيُخْبِزُ كَمَا هُوَ. فَوَلِهُ: عرضت كدية بضم الكاف وإسكان الدال وبالباء المثلثة تَحْتَ، وَهِيَ: قطعة  
عليطة صلبة من الأرض لا يعمل فيها الفأس. والكتيب أصلُهُ تِلُّ الرَّمْلِ، وَالْمُرَادُ هُنَا: صَارَتْ تُرابًا نَاعِمًا، وَهُوَ  
مَعْنَى اهْبَلَ. والاثافي: الأَحْجَارُ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الْقِدْرُ. وتضاغطوا: تَرَاحَمُوا. والمجاهدة: الْجُوعُ، وَهُوَ  
بفتح الميم. والخمص: بفتح الخاء المعجمة والميم: الْجُوعُ. وانكفات: انْقَلَبْتُ وَرَجَعْتُ. والبهيمة بضم  
الباء، تصغير بهيمة، وَهِيَ: العَنَاقُ، بفتح العين. والداجن: هيَ الَّتِي أَلْفَتِ الْبَيْتَ. والسُّورُ: الطَّعَامُ الَّذِي يُدْعَى

النَّاسُ إِلَيْهِ وَهُوَ بِالْفَارِسِيَّةِ وَ**«حَيَّهُلَا»** أَيْ: تَعَالَوْا وَقُولُهَا: **«بِكَ وَبِكَ»** أَيْ: خَاصَمَتُهُ وَسَبَبَتُهُ، لَأَنَّهَا اعْتَدَتْ أَنَّ الَّذِي عِنْدَهَا لَا يَكُفِيُّهُمْ، فَاسْتَحْيَتْ وَخَفِيَ عَلَيْهَا مَا أَكْرَمَ اللَّهُ بِهِ يَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ هَذِهِ الْمُعْجِزَةِ الظَّاهِرَةِ وَالآيَةِ الْبَاهِرَةِ.

**بَسْقٌ** أَيْ: بَصَقَ؛ وَيُقَالُ أَيْضًا: بَرَقَ، ثَلَاثُ لُغَاتٍ. وَ**«عَمَدٌ»** بفتح الميم، أَيْ: قَصَدَ. وَ**«أَقْدَحٌ»** أَيْ: أَغْرَفَ، وَالْمِقْدَحَةُ: الْمِغْرَفَةُ. وَ**«تَغْطٌ»** أَيْ: لِغَلَبَانَهَا صَوْتُ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

(٥٦ / ٥٢٠) وعن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو طلحة لأم سليم: قد سمعت صوت رسول الله صلوات الله عليه وسلم ضعيفاً أعرف فيه الجموع، فهل عندك من شيء؟ فقالت: نعم، فآخر جرت أقراصاً من شعير، ثم أخذت خماراً لها، فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت ثوبها (أي: الكلام لأنس) ورددتني بيغضبه، ثم أرسلتني إلى رسول الله صلوات الله عليه وسلم، فذهبت به، فوجدت رسول الله صلوات الله عليه وسلم جالساً في المسجد، وممعه الناس، فقمت عليهم، فقال لي رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «أرسلك أبو طلحة؟» فقلت: نعم. فقال: «الطعام؟» فقلت: نعم. فقال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «قوموا». فانطلقوا وانطلقتم بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول الله صلوات الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم؟ فقالت: الله ورسوله أعلم. فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلوات الله عليه وسلم، فأقبل رسول الله صلوات الله عليه وسلم معه حتى دخل، فقال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «هلمي ما عندك يا أم سليم». فاتت بذلك الخبز، فامر به رسول الله صلوات الله عليه وسلم ففت، وعصرت عليه أم سليم عكة (أي: وعاء صغير من جلد لحفظ السمن خاصة) فادمتها، ثم قال فيه رسول الله صلوات الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «إذن لعشرة». فإذا ذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «إذن لعشرة». فإذا ذن لهم حتى أكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون رجلاً أو ثمانون. متفق عليه.

وفي رواية: فما زال يدخل عشرة ويخرج عشرة، حتى لم يبق منهم أحد إلا دخل، فاكأ حتى شبع، ثم هياها فإذا هي منها حين أكلوا منها.

وفي رواية: فأكلوا عشرة عشرة، حتى فع ذلك بثمانين رجلاً، ثم أكل النبي صلوات الله عليه وسلم ذلك وأهل البيت، وتركتوا سورة.

وفي رواية: ثم أفضلوا ما بلغوا غيرائهم.

وفي رواية عن أنس قال: جئتُ رسول الله ﷺ يوماً، فوجدته جالساً مع أصحابه، وقد عصب بطنه بعصاية، فقلتُ لبعض أصحابه: لم عصب رسول الله ﷺ بطنه؟ فقالوا: من الجوع، فذهببت إلى أبي طلحة، وهو زوج أم سليم بنت ملحان، فقلت: يا أباها، قد رأيت رسول الله ﷺ عصب بطنه بعصاية، فسألت بعض أصحابه، فقالوا: من الجوع. فدخل أبو طلحة على أمي، فقال: هل من شيء؟ قالت: نعم، عندي كسر من خبز وتمرات، فإن جاءنا رسول الله ﷺ وحده أ庶عنا، وإن جاء آخر معه قل عنهم... وذكر تمام الحديث.



### (البذادة وحسن السمت)

البذادة والتبذل هي: سوء الهيئة والثياب، فالرجل الباذ الهيئة هو من ليس من ثياب اتسخت بسبب المهنة أو الخدمة والعمل. قال رسول الله ﷺ: **«البذادة من الإيمان»**، أي إن التواضع في اللباس لغير القادر، وكذلك ترك التبرج والغرور به للقادر.

كل هذا من علامات الإيمان الصحيح، ولكن لأن الحق لا يتعارض فإن الله تعالى قال: **﴿مَدُوا زِينَتَكُمْ عَنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾** [الأعراف: ٣١]. وقال أيضاً: **﴿قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالظِّبَابَتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾** [الأعراف: ٣٢]. فإن القاعدة الأصلية للدين هي: جلب المصالح ودرء المفاسد، وتحتها تدرج كل القواعد الشرعية والفقهية، فحينما يستعمل الإنسان لباسه لمراده فإنه يوازن بين إظهار نعمة الله عليه والتواضع في اللباس بحسب الحاجة.

قال الميموني : واصفاً أَحْمَدَ بْنَ حَنْبِلَ : ما رأيْتُ أَحَدًا أَنْظَفَ ثُوبًا ولا أَشَدَّ تَعَاوِدًا لِنَفْسِهِ فِي شَارِبَهِ وَشَعَرَ رَأْسِهِ وَشَعَرَ بَذْنِهِ وَلَا أَنْقَى ثُوبًا وَأَشَدَّ بِيَاضًا مِنْ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبِلَ (أي: وهو الزاهد الكبير).

وحكى عوف بن مالك رضي الله عنه: أتيت النبي ﷺ في ثوب دون (أي: قديم وبالي) فقال: **«أَلَكَ مَالٌ؟»** قلت: نعم. قال: **«مِنْ أَيِّ الْمَالِ؟»** قلت: قد أتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق. قال: **«إِذَا أَتَاكَ اللَّهُ مَا لَا فَلَيْسَ أَثْرَ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ وَكَرَامَتِهِ»**. أبو داود برقم

وقيل في منثور الحِكَمِ: الْبَسْ مِنَ الثِيَابِ مَا يَخْدُمُكَ وَلَا يَسْتَحْدِمُكَ.

فَعَيْنَ لِنَفْسِكَ قَصْدًا وَهَدْفًا، وَالْبَسْ ثِيَابَكَ بِمَا يَنْتَنِسُ بَيْنَ مَرَادِكَ، فَالْغَنِيُّ قَدْ يَكُونُ الْأَفْضَلُ فِي حَقِّهِ أَنْ يَتَوَاضَعَ إِذَا جَلَسَ مَعَ الْبَسْطَاءِ وَالْفَقَرَاءِ؛ لَئَلَّا يَتَعَالَى عَلَيْهِمْ بِثِيَابِهِ، وَالْفَقِيرُ قَدْ يَكُونُ الْأَفْضَلُ فِي حَقِّهِ أَنْ يُحْسِنَ لِبَاسَهُ؛ لَئَلَّا يَكُونَ مِنْهُ شَبَهَةٌ فِي طَلَبِ الْمَالِ وَالسُّؤَالِ، أَوْ فِي إِظْهَارِ الزَّهْدِ وَالْإِنْكَسَارِ، وَهَكُذا عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ أَنْ يَرَاعِي مَقْصُودَهُ؛ لِقَوْلِهِ وَقَارِبُوا: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا» متفقٌ عَلَيْهِ.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ النَّاسُ يَأْتُونَ الْجُمُعَةَ مِنْ مَنَازِلِهِمْ وَالْعُوَالِيِّ (أي: قرى مَعْرُوفَةٌ بِالْمَدِينَةِ)، فَيَأْتُونَ فِي الْغَيَارِ، يُصِيبُهُمُ الْغَيَارُ وَالْعَرَقُ، فَيَخْرُجُ مِنْهُمُ الْعَرَقُ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ وَسَلَّمَ إِنْسَانٌ مِنْهُمْ وَهُوَ عَنْدِي، فَقَالَ النَّبِيُّ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنْكُمْ تَطَهَّرُتُمْ لِيَوْمِكُمْ هَذَا» متفقٌ عَلَيْهِ. وَقَالَ وَسَلَّمَ أَيْضًا: «مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُخْرِجْهُ». أبو داود برقم (٤٦٣).

وَقَالَ وَسَلَّمَ أَيْضًا: «الْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مِنْكُمْ، وَأَنْ يَسْتَنَّ، وَأَنْ يَمْسَّ طِبِّا إِنْ وَجَدَ». متفقٌ عَلَيْهِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسَ: الْقَصْدُ (أي: بين الإسراف والتقتير) وَالْتُّوَدَةُ (أي: التأني في أمور الدُّنْيَا) وَحُسْنُ السَّمْتِ جزءٌ من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة.

وَحُسْنُ السَّمْتِ: هو حُسْنُ الْمَظَهَرِ الْخَارِجِيِّ لِلإِنْسَانِ، مِنْ طَرِيقَةِ الْحَدِيثِ وَالصَّمْتِ، وَالْحَرْكَةِ وَالسُّكُونِ، وَالدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ، وَالسِّيرَةِ الْعَمَلِيَّةِ فِي النَّاسِ، بِحِيثُ يُسْتَطِعُ مِنْ يَرَاهُ أَوْ يَسْمَعُهُ أَنْ يُنْسَبَهُ لِأَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّالِحَةِ وَالْدِيَانَةِ وَالْفَلاحِ.

قَالَ عَمْرُ: إِيَاكُمْ وَلِبَسْتَيْنِ: لِبْسَةٌ مُشْهُورَةٌ، وَلِبْسَةٌ مُحْقُورَةٌ.

وَاللِّبْسَةُ الْمُشْهُورَةُ تُدَمُّ لِمَنْ لَا يَحْتَاجُ فِي ثِيَابِهِ وَعَمَلِهِ لِلَاشْتَهَارِ، وَإِلَّا فَهُنَّا كَلِّيَّاتٍ مُمِيزٍ لِبعضِ الْمَهَنِ وَالْأَعْمَالِ يَطْلُبُ فِيهَا التَّمِيزُ وَالاشْتَهَارُ؛ لِيُعْرَفَ أَصْحَابُهَا وَتُشَتَّهِرَ أَعْمَالُهُمْ، وَلَيُسَمِّيَ هَذَا مُخَالِفًا لِلَّدِينِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَطْلُبْ بِذَلِكَ جَاهًا فِي دِينِهِ، وَلَا شَرْفًا فِي صَلَاحِهِ، وَإِنَّمَا هَذَا مِنْ مَقْتضَيَاتِ مَهَنَتِهِ. وَأَمَّا اللِّبْسُ الْمُحْقُورُ فَهُوَ الَّذِي يُزَرِّي بِصَاحِبِهِ أَمَامَ النَّاسِ وَأَمَامَ أَوْلَادِهِ وَسَائِرِ النَّاظِرِينَ إِلَيْهِ. فَاجْعَلْ مَظْهُرَكَ يَدِلُ عَلَى مَخْبُرِكَ وَمَقْصُودِكَ فِي الْحَيَاةِ.



## ٥٧- باب القناعة والغفاف والاقتراض في المعيشة والإنفاق

### وذم السؤال من غير ضرورة

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

وقال تعالى: ﴿لِلْفَقَرَاءِ الَّذِينَ أَخْصَرُوا فِي سَيِّلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِعُونَ ضَرَّاً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَةً مِنْ التَّعْفُفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَهُمْ لَا يَسْتَعْلُونَ النَّاسَ إِلَّا حَافِدًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُشْرِفُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [٦٧] [الفرقان: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا حَلَقْتُ لِجَنَّ وَإِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ [٥٧] ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ [٥٧] [الذاريات: ٥٧-٥٦].

وأما الأحاديث، فقد تم معظمها في البابين السابقين، ومما لم يتقدم:

(٥٧ / ٥٢١) عن أبي هريرة رض: عن النبي صل قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى عن النفس». متفق عليه. العرض بفتح العين والراء، هو: المال.

(٥٧ / ٥٢٢) وعن عبد الله بن عمرو رض: أنَّ رسول الله صل قال: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً (أي: قدر الكفاية لا أزيد ولا أنقص)، وقنعه الله بما آتاه». رواه مسلم.

(٥٧ / ٥٢٣) وعن حكيم بن حزم رض: قال: سألت رسول الله صل فأعطياني، ثم سأله فأعطاني، ثم سأله فأعطاني، ثم قال: «يا حكيم، إنَّ هذا المال خضرٌ حلوٌ، فمن أخذَه سخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذَه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذِي يأكلَ ولَا يُشبِّع، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلية». قال حكيم: فقلت: يا رسول الله، والذِي يبعث بالحق لا أرزا أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا. فكان أبو بكر رض يدعوه حكيمًا ليعطيه العطاء، فيأتيه أن يقبل منه شيئاً، ثم إن عمر رض دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله. فقال: يا معاشر المسلمين، أشهدكم على حكيم أبى أغرض عليه حقَّ الذِي قسمَ الله له في هذا الفيء فيأتيه أن يأخذَه. فلم يرزاً حكيم أحداً من الناس بعدَ النبي صل حتى توفَّى. متفق عليه.

**بِرْزًا** بِرَاءٌ ثُمَّ زَايٌ ثُمَّ هَمْزَة، أَيْ: لَمْ يَأْخُذْ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا، وَأَصْلُ الرُّزْءِ: النَّصَان، أَيْ: لَمْ يَقْصُ أَحَدًا شَيْئًا بِالْأَخْدِ مِنْهُ. وَ**إِشْرَافُ النَّفْسِ**: تَطْلُعُهَا وَطَمَعُهَا بِالشَّيْءِ. وَ**سَحَاوَةُ النَّفْسِ**: هِيَ عَدْمُ الإِشْرَافِ إِلَى الشَّيْءِ، وَالظَّمَّعُ فِيهِ، وَالْمُبَالَاهَ بِهِ وَالشَّرَهِ.

(٥٧ / ٥٢٤) وعن أبي بُرَدَةَ، عن أبي موسى الأشعري رض قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلی الله علیه و آله و سلّم فِي غَزَّةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ يَبْيَنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِيهُ (أَيْ: يَرِكِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ نُوبَةٍ وَنَتَابَ رُوكِيهِ)، فَنَقِبَتْ أَفْدَامُنَا وَنَقِبَتْ قَدَمِي (أَيْ: تَنَرَّخَتْ بِقَرْحٍ وَثَقْوَبٍ)، وَسَقَطَتْ أَطْفَارِي، فَكُنَّا نَلْفُ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرَقَ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ عَلَى أَرْجُلِنَا مِنَ الْخِرَقِ.

قَالَ أَبُو بُرَدَةَ: فَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا الْحَدِيثِ، ثُمَّ كَرِهَ ذَلِكَ، وَقَالَ: مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أَذْكُرُهُ! قَالَ: كَانَهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ. متفق عليه.

(٥٧ / ٥٢٥) وعن عمرو بن تغلب رض- بفتح التاء المثلثة فوق وإسكان الغين المعجمة وكسر اللام- رض: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلی الله علیه و آله و سلّم أَتَى بِمَالٍ أَوْ سَيِّفَ قَسَمَهُ، فَأَعْطَى رِجَالًا، وَتَرَكَ رِجَالًا، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَنْهُمَا، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ أَتَنَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَوَاللَّهِ أَئِي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدْعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدْعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطَى، وَلَكِنِّي إِنَّمَا أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعَ وَالهَلَعِ، وَأَكُلُّ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغَنَى وَالْحَيْرِ، مِنْهُمْ عَمَرُو بْنُ تَعْلِبٍ». قَالَ عَمَرُو بْنُ تَعْلِبٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلی الله علیه و آله و سلّم حُمْرَ النَّعْمَ. رواه البخاري. **الْهَلَعُ**: هُوَ أَشَدُ الْجَرَعِ، وَقِيلُ: الصَّبَرُ.

(٥٧ / ٥٢٦) وعن حكيم بن حزام رض: أَنَّ النَّبِيَّ صلی الله علیه و آله و سلّم قَالَ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غُنْيٍ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفُ يُعْفَهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَعْنِ يُغْنِهُ اللَّهُ». متفق عليه، وهذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم أختصر.

(٥٧ / ٥٢٧) وعن أبي عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان رض قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه و آله و سلّم: «لَا تُلْحِفُوا (أَيْ: تُلْحِو) فِي الْمَسَالَةِ، فَوَاللَّهِ لَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا، فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّي شَيْئًا وَأَنَا لَهُ كَارِهٌ، فَيَأْرَكَ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتُهُ». رواه مسلم.

(٥٧ / ٥٢٨) وعن أبي عبد الرحمن عوف بن مالِكِ الْأَشْجَعِيِّ رض قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلی الله علیه و آله و سلّم تِسْعَةً أَوْ تَمَانِيَّةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟ وَكُنَّا حَدِيثِي عَهْدٍ بَيْعَةً، فَقَلَنا: قَدْ بَأَيْعَنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟ فَبَسَطْنَا أَيْدِينَا، وَقَلَنا: قَدْ بَأَيْعَنَاكَ

فَعَلَامْ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَتُطِيعُوا». وَأَسَرَ كَلِمَةً حَفِيَّةً «وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا». فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطًا أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَاهُ. رواه مسلم.

(٥٢٩ / ٥٢٩) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه قَالَ: «لَا تَرَأْلُ الْمَسْأَلَةَ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَهُ لَحْمٌ». متفق عليه.

**«المُزْعَهُ»** بضم الميم وإسكان الزاي وبالعين المهملة: **القطعة**.

(٥٣٠ / ٥٣٠) وعنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَذَكَرَ الصَّدَقَةَ وَالتَّعْفُفَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ: «الْيَدُ الْعُلِيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَالْيَدُ الْعُلِيَا هِيَ الْمُنْفَقَةُ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ». متفق عليه.

(٥٣١ / ٥٣١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكْثُرًا (أي: ليكثر ماله) فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا؛ فَلَيُسْتَقْلَلَ أَوْ لَيُسْتَكْثِرَ». رواه مسلم.

(٥٣٢ / ٥٣٢) وعن سَمْرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «إِنَّ الْمَسْأَلَةَ كُدُّ يَكُدُّ بَهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطَانًا (أي: من يده بيت المال فيسألها حقه من بيت المال) أَوْ فِي أُمِّ لَابِدِ مِنْهُ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح». **الكلد**: **التدش ونحوه**.

(٥٣٣ / ٥٣٣) وعن ابن مسعود رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ (أي: حاجة شديدة) فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ (أي: عَرَضَهَا عَلَيْهِمْ وَأَظْهَرَهَا) لَمْ تُسَدَّ فَاقَةُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ». رواه أبو داود والترمذى، وقال: « الحديث حسن ». **بُوشُك**: **بكسر الشين، أي: يُسرع**.

(٥٣٤ / ٥٣٤) وعن ثُوبَانَ رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «مَنْ تَكَفَّلَ لِي أَلَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا، وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟» فَقَلَتْ: أَنَا، فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٥٣٥ / ٥٣٥) وعن أبي بْشِرٍ قَبِيْصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ رضي الله عنه: قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه أَسْأَلَهُ فِيهَا، فَقَالَ: «أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأْمِرُ لَكَ بِهَا». ثُمَّ قَالَ: «إِيَا قَبِيْصَةُ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لَأَحَدِ ثَلَاثَةِ: رَجُلٌ تَحْمَلُ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةً اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَاماً مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةً، حَتَّى يَقُولَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذُوِي الْحِجَّةِ مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَاماً مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ

عيشٌ - فما سواهنَّ مِنَ الْمَسَأَلَةِ يَا قَيْصَةُ سُحْتُ (أي: حرام)، يَأْكُلُهَا صَاحِبَهَا سُحْتًا». رواه مسلم. الْحَمَالَةُ بفتح الحاء: أَنْ يَقْعَ قِتَالٍ وَنَحْوُهُ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ، فَيُصْلِحُ إِنْسَانٌ بَيْنَهُمْ عَلَى مَالٍ يَتَحَمَّلُهُ وَيَتَرْتَمِهُ عَلَى نَفْسِهِ. والْجَائِحَةُ الْأَفَةُ تُصِيبُ مَالَ الْإِنْسَانِ. والْقَوْمُ بكسر القاف وفتحها، هُوَ: مَا يَقُولُ بِهِ أَمْرُ الْإِنْسَانِ مِنْ مَالٍ وَنَحْوِهِ. والسَّدَادُ بكسر السين: مَا يُسْدِدُ حَاجَةَ الْمُعَوِّزِ وَيَكْفِيهِ. والْفَاقَةُ: الْفَقْرُ. والْحِجَاجُ: الْعَقْلُ.

(٥٣٦) وعن أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطْوُفُ عَلَى النَّاسِ تَرْدُهُ الْلُّقْمَةُ وَاللُّقْمَاتُ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَاتُ، وَلَكِنَّ الْمِسْكِينَ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنَىً يُغْنِيهِ» (أي: يكفيه عن السؤال)، وَلَا يُفْطَنُ لَهُ فَيُنَاصِدُ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُولُ فَيُسَأَلُ النَّاسَ». متفق عليه.

\* \* \*

### (القناعة)

القانعُ: هو الراضي بما قسم الله له من رزقٍ وحياة. فالقناعة هي الرضا بقسمة الله لنا في المعيشة، وترك الحرث على طلب المراتب العالية في الأموال والجاه والرضا باليسير منه. ولما تولى عمُر بن الخطاب إمارة المسلمين قال: ألا أُخْبِرُكُمْ بِمَا أَسْتَحْلُ مِنْ مَالِ اللَّهِ تَعَالَى (أي: يقصد المرتب المخصص لمعيشته مقابل تفرغه للخلافة) حُلَّتِنِ لِشَتَائِي وَقِيَظِي (أي: حللة للشتاء وأخرى للصيف) وَمَا يَسْعُنِي مِنَ الظَّهَرِ (أي: وما يناسبني من الدواب) لَحَجَّيْ وَعُمْرَقِيْ، وقوتي (أي: طعامي) بعد ذلك كفوت رجل من قريش، لست بأرْفَعَهُمْ وَلَا بآوْضَعَهُمْ، فوالله ما أدرى أَيْحِلُّ ذَلِكَ أَمْ لَا؟ وقال أياضًا فَقْرُ (أي: فالطامع يستشعر الفقر والحاجة دائمًا)، وإن الْيَأسَ غَنَّى، وإن مَنْ يَسْئِسَ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ استغنى عنهم.

وسائل موسى الْكَلِيلَةُ رَبَّهُ وَجَلَّهُ: أَيُّ رَبِّيْ، أَيُّ عَبَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: أَكْثُرُهُمْ لِي ذِكْرًا. قال: يا رب، أَيُّ عَبَادِكَ أَعْنَى؟ قال: أَقْنَعَهُمْ بِمَا أَعْطَيْتُهُ. قال: يا رب، فأي عبادك أعدل؟ قال: مَنْ دَانَ نَفْسَهُ (أي: حاسب نفسه).

كتب بعض بنى أمية إلى أبي حازم يعزم عليه إلا رفع حوائجه (أي: يطلب منه أن يصل طلبه وحاجته للسلطان)، فكتب أبو حازم ردًا عليه: قَدْ رَفَعْتُ حَوَائِجِي إِلَى مَوْلَايِ، فما أعطاني منها قبلت، وما أمسكت عنني قنعت.

وقال ابن القيم : يكمل غنى القلب بغير آخر هو غنى النفس، وأيتها سلامتها من **الحظوظ** (أي: طلب الشهوات والجاه بالمباغة)، وبراءتها من المرأة.

وقال حكيم: وجدت أطول الناس غمّا الحسود، وأهناهم عيشاً القنوع، وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع، وأحقرهم عيشاً (أي: أكثرهم زهداً واقتاصاداً في العيش) أرفضهم للدنيا، وأعظمهم ندامةً العالم المفترط (أي: الواقع في الخطيبة).

وسئل بعض أهل العلم عما يملك من أموال فقال: قلة تمنيَّك، ورضاك بما يكفيك.  
وقيل ردًا على نفس السؤال: التجمل في الظاهر، والقصد (أي: السعي للمقصود بين الإسراف والتقيير) في الباطن، واليأس عما في أيدي الناس.  
 واعلم أن القناعة رأس الغنى.

### (الغفة والغفاف)

الغفة: هي كفُّ النفس عن القبائح والرذائل، والتجمُّل بطلب الفضائل. فهي متعلقة بالمعنى والقيم. وأما الغفافُ فيتصل بالأموال، فهو: الكفُّ عن الحرام، والكفُّ عن السؤال من الناس، وضبط النفس عن الملاذ الحيوانية بين الإفراط والتغريط، أي بين الشره وجحود الشهوة. فالغيف هو من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروعة، والمروعة تستلزم النزاهة والصيانة والغفة.

**أنواع الغفة:** والغفة على نوعين:

**النوع الأول:** الغفة عن المحارم: وهي قسمان: الأول: ضبط الفرج عن الحرام.  
 والثاني: كفُّ اللسان عن الأعراض.

**النوع الثاني:** الغفة عن المأثم: وهي قسمان: الأول: الكفُّ عن المجاهرة بالظلم.  
 والثاني: زجر النفس عن الخيانة.

واعلم أن حُسْنَ الطبائع والأخلاق من كمال العبد. والطبائع الحسنة هي: الغفة، والنزاهة، والتبعاد عن الشر والجهل. والأخلاق الكريمة هي: الكرم، والإيثار، وستر

العيوب، والمبادرة بالمعروف، والحلُم عن الجاهل. فمن رُزِق هذه الطبائع والأخلاق قادته للكمال، مع أن الكمال أمر عزيز قليل.

**تمام العفة :** ومن تمام العِفة أن تكونَ في اليد واللسان والسمع والبصر:

فعفة اللسان: الكف عن السخرية من الآخرين، والتجسس، والغيبة، والنسمة، والهمز، والتنابز بالألفاظ والكذب.

وعفة البصر: هي الكَفُ عن مَدِ العين إلى المحارم وزينة الحياة الدنيا البايعة على الشهوات الدينية.

وعفة السمع: هي الكف عن سماع المسموعات القبيحة والماجنة.

وعفة اليد: هي الكف عن الحرام، والكف عن السؤال من الناس لغير سبب شرعي.

فتتمام العفة أن تكون الجوارح كلها تحت عباءة الشرع واحترام العقل، لا بالشهوة والهوى.

قال رسول الله ﷺ: **أَرْبَعٌ إِذَا مَا كُنَّ فِيْكَ فَلَا عَلَيْكَ، وَلَا تُبَالِ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا:**  
**حِفْظُ الْأَمَانَةِ، وَصِدْقُ الْحَدِيثِ، وَحُسْنُ خَلِيقَةِ، وَعِفَّةُ طُعْمَةِ.** أَحمد في مسنده (٢/ ١٧٧) برقم (٦٦٥٢)، صحيحه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (٧٣٣).

**ومما روي عن أبي هريرة مرفوعاً أيضاً :** **: بُرُوا آبَاءَكُمْ تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ، وَعَفُوا**  
**تَعِفَّ نِسَاءُكُمْ**. الحاكم في المستدرك (٤/ ١٧١) برقم (٧٢٥٩).

وروي عن أبي هريرة مرفوعاً: **عَرَضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ مِنْ أُمَّتِي يُدْخَلُونَ الْجَنَّةَ، وَأَوَّلُ**  
**ثَلَاثَةٍ يُدْخَلُونَ النَّارَ: فَإِنَّمَا أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يُدْخَلُونَ الْجَنَّةَ: فَالشَّهِيدُ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ لِمَنْ يَشْغَلُهُ رِقُ**  
**الْدُّنْيَا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ، وَفَقِيرٌ مَتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ...».** أَحمد في مسنده (٤٢٥) برقم (٩٤٨٨).

وقال ﷺ: **مَنْ أَنْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ نَفَقَةً يَسْتَعِفُ بِهَا فَهِيَ صَدَقَةٌ، وَمَنْ أَنْفَقَ عَلَى**  
**أَمْرَأِهِ وَوَلَدِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ فَهِيَ صَدَقَةٌ**. الطبراني في الأوسط (٤/ ١٧٣) برقم (٣٨٩٧).

**وروي عن ابن عباس مرفوعاً:** **اسْتَغْنُوا عَنِ النَّاسِ، وَمَا قَلَّ مِنَ السُّؤَالِ فَهُوَ خَيْرٌ.**

قالوا: ومنك يا رسول الله؟ قال: **«وَمَنِّي»**. العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ١٠٩٦) برقم (٣٩٧٧)

وقال ﷺ: «اَضْمَنُوا لِي سِتّاً مِنْ اَنْقُسِكُمْ اَصْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اَصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا  
إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدْوِوا إِذَا ائْتُمْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيْكُمْ».

أحمد في مسنده (٣٢٣) برقم (٢٢٨٠٩)، حسنة الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٠١٨).

وقال لقمان الحكيم : حقيقة الورع العفاف. ولما فتح الله القادسية للMuslimين أخذوا الغنائم ودفعوها إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال: إن قوماً أدوا الأمانة في هذا لأمناء. فقيل له: عَفَفْتَ (أي: عن أخذ ما لا يحل) فَعَفُوا، ولو رَتَعْتَ يا أمير المؤمنين لرَتَعْتُ أَمْتَكَ (أي: الرتع: التلذذ المبالغ فيه بالنعم).

وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا: لا تُكْلِفُوا الْأَمَّةَ (أي: البنت الصغيرة الضعيفة) غير ذات الصنعة الكسب؛ فإنكم متى كلفتموها ذلك كسبت بفرجهها، ولا تُكْلِفُوا الصغير (أي: الطفل غير المميز) الكسب؛ فإنه إذا لم يجد يسرق، وعِفُوا إذا أَعْفَكُمُ الله، وعليكم من المطاعم بما طاب منها.

وقال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نحن مَعْشَرَ قريشٍ نَعْدُ الْحِلْمَ وَالْجُودَ: السُّؤْدَدَ (أي: السيادة والرياسة)، ونَعْدُ العفافَ وإصلاحَ المال: المروءة (أي: أعلى صفات الإنسان).

وقال محمد بن الحنفية : الكمال في ثلاثة: العفة في الدين، والصبر على النوائب، وحسن التدبير في المعيشة.

وقال أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي: أَيُّ رَجُلٌ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ رَجُلٍ يُنْفَقُ عَلَى عِيَالٍ صغارٍ يُعْفَفُّونَهُمْ أَوْ يَنْفَعُّهُمُ الله بِهِ وَيُغْنِيهِمْ. وقال سفيان الثوري : لِأَصْحَابِهِ  
وقد خرجوا يوم عيد: إن أول ما نبدأ به يومنا عَفَّةُ أَبْصَارِنَا.

وقال الماوردي : إن دين المرء يُفضي إلى الستر والغفاف، و يؤدي إلى القناعة والكفاف. وقال ابن مُفلح : كان يقال: الشكر زينة الغني، والعفاف زينة الفقر.

وقال ابن حَبْر : العالم إذا كان عليماً ولم يكن عفيفاً كان ضرره أشدَّ من ضرر الجاهل.

**قصة:** رُوي أنه كانت هناك فتاة إبان الدولة العثمانية خرجت لزيارة جدّة لها في آخر البلدة، فهطلت الأمطار الشديدة في ذلك اليوم، والتى لم تستطع معها السير أو الرؤية، فأوْت إلى بيتٍ كانت تحسّبه مهجوراً من السكان لتَتَقَى هذا المطر الشديد، لكن في هذه الأثناء ظهر شابٌ في أواخر العشرينات من العمر، فرآها وهي على هذه الحال من الخوف والبرد، فعرض عليها الدخول لتدفع نفسها، فترددت ولكن المطر والرعد زادا، فامتثلت لما قال وطلبت من ربها الحفظ والستر.

وعند دخولها المنزل وجدته خاويًا تقريباً إلا من بعض المؤن والأثاث والنار مشتعلة، فطلب منها التقرب للنار وجعل النار بينه وبينها، وعندما رأته الفتاة بعد فترة من الزمن يقوم بأخذ أحد أعواد النار المشتعلة ويقوم بإحرق أصابعه واحداً تلو الآخر، فأحسست بخوفٍ شديد من هذا الشخص غريب الأطوار، وتمنت لو أن المطر يتوقف لتنفذ بجلدها وتعود لبيت أهلها، وفعلاً توقف المطر وقام الشاب وقال: أين منزلك لأوصلك لبيت أهلك؟ فلم تُجب، فقال: إذن أسيّر في الطريق وارمى إلى بحجر في الاتجاه المؤدي للبيت. ففعلت ما طلب منها، ووصلت إلى بيت أبيها خائفةً وقد وجدت أهلها قلقين عليها، فأخبرت أباها بما جرى لها، وبما جرى لهذا الشاب الذي أفلقها ما فعل بنفسه، فتعجب الوالد من ذلك وذهب لمقابلة الشاب دون أن يخبره بأنه أبوها، ليعرف قصته، وفعلاً ذهب لمنزل الشاب وأكرمه الشاب وتحدى معه طويلاً، فعرف أنه شابٌ عابد زاهد، فسألته عن حالته بتلك الليلة فرد عليه الشاب بأنه أحرق أصابعه واحداً واحداً كي يتذكّر عذاب النار ولا يقوم بفعل حماقة مع الفتاة. وبعد هذا الشرح تقدّم الوالد بعرض ابنته على هذا الشاب للزواج بها وقيل الشاب ذلك. اهـ.

والغففة دليل كمال النفس وعزها وشرفها، والمجتمع الصالح مجتمع عفيف.



## ٥٨- باب جواز الأخذ من غير مسألة ولا تتطلع إليه

(٥٨ / ٥٣٧) عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عبد الله بن عمر، عن عمر عَلَيْهِ الْكَفَافُ قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ، فَأَقُولُ: أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي. فَقَالَ: «خُذْهُ، إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْءٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ فَخُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ» (أي: استفد به لنفسك)، فَإِنْ شِئْتَ كُلُّهُ، وَإِنْ شِئْتَ تَصَدَّقَ بِهِ، وَمَا لَا فَلَّا تُبْعِدُهُ نَفْسُكَ». قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا، وَلَا يَرْدُ شَيْئًا أَعْطِيهِ. متفق عليه. مشرف بالشين المعجمة، أي: متطلع إليه.

## ٥٩- باب الحث على الأكل من عمل يده والتعفف به

### عن السؤال والتعرض للإعطاء

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا فَضَيَّتِ الْأَصْلَوَةُ فَاقْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَلَا يَنْغُوشُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [ال الجمعة: ١٠].

(٥٩ / ٥٣٨) عن أبي عبد الله الزبير بن العوام عَلَيْهِ الْكَفَافُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحَبَّهُ إِلَيْهِ (أي: جمع «كَجْل») ثُمَّ يَأْتِيَ الْجَبَلَ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةٍ مِنْ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَسْبِعُهَا، فَيَكْفُفَ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ». رواه البخاري.

(٥٩ / ٥٣٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا، فَيُعْطِيهُ أَوْ يَمْنَعُهُ». متفق عليه.

(٥٩ / ٥٤٠) وعنه: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كَانَ دَاؤُ الدَّلَّةِ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ». رواه البخاري.

(٥٩ / ٥٤١) وعنه: أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كَانَ زَكْرِيَّاً الدَّلَّةِ نَجَارًا». رواه مسلم.

(٥٩ / ٥٤٢) وعن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاؤُ الدَّلَّةِ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ». رواه البخاري.



### (آداب الكسب والمعاش)

إن الله تعالى رب الأرباب ومبّىء الأسباب، قد جعل الآخرة دار الثواب والعقاب، وجعل الدنيا دار العيش والاكتساب، فالدنيا مزرعة الآخرة، وهي دار التكليف والعمل،

والآخرة دار القرار والجزاء.

ولهذا صار واجباً على الإنسان أن يصرف جزءاً من وقته و عناته لهذه الدنيا من أجل إصلاح شأنها و تهيئتها للاستفادة بها، فليس التشمر في الدنيا مقصوراً على الآخرة دون المعاش.

والدنيا ليست الدار الأصلية للإنسان، وليس كذلك عدماً في تركها؛ قال الله تعالى:

**﴿وَجَعَلْنَا النَّارَ مَعَاشًا﴾** [البأ: ١١] **وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا قَيْلًا مَا شَكُرُونَ﴾** [الأعراف: ١٠]، فجعل الدنيا نعمه و طلب الشكر عليها، وقال أيضاً: **﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْنُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾** [الجمعة: ١٠].

ولعل للعبد ذنوباً يُكفرُ بها السعي في طلب الرزق والحياة، من الحرص على طلب الحلال والتورُّع في الطعام والشراب.

قال رسول الله ﷺ: **«مَا كَسَبَ الرَّجُلُ كَسْبًا أَطْيَبَ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ، وَمَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَخَادِمِهِ فَهُوَ صَدَقَةٌ»**. البخاري برقم (٢٠٧٢).

وقال أيضاً: **«خَيْرُ الْكَسْبِ كَسْبُ الْعَالِمِ إِذَا نَصَحَّ»** [أحمد في مسنده (٢/ ٣٣٤) برقم (٨٣٩٣)] أي: عمل بالنصح وأخلاص في عمله لله. وقال أيضاً: **«كَفَى بِالْمَرءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقْوِتُ»** أبو داود برقم (١٦٩٢). ويكون ضياعهم بعدم النفقة عليهم. فالعبد له شهوات واحتياجات، وعليه مسئوليات وواجبات، فلا يُضيّع بمسئولياته وله أن يضحي بجزء من شهواته، على ألا يتعارض ذلك مع شهوات الآخرين كالزوجة والولد.

فالإنسان مركب من روح وجسد، ولكل طبائعه وحاجاته، وعلى العاقل أن يوازن بين روحه وجسده: فمن ضيَّع روحه فقد الآخرة، ومن ضيَّع جسده فلا شك أنه لن يستطيع أن يحتفظ بروحه فستضيع آخرته كذلك.

وكما قال الغزالى : **رُوِيَ أَنْ عِيسَى التَّقِيَّةَ رَأَى رَجُلًا، فَقَالَ: مَا تَصْنَعُ؟ فَقَالَ: أَتَعْبُدُهُ. قَالَ: مَنْ يَعْوِلُكَ؟ قَالَ: أَخِي. قَالَ: أَخْوَكَ أَعْبُدُ مِنْكَ** (أي: فعاب عليه تركه التكسب).

وقال رسول الله ﷺ: **إِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِي (أي: نفسي وقلبي) أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوِي رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا؛ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاجْمِلُوا فِي الْطَّلَبِ**، ثم قال في آخر

الحديث: «وَلَا يَحْمِلُكُمْ أَسْبِطَاءُ شَيْءٍ مِّنَ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى، فَإِنَّ اللهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ». ابن أبي شيبة في مصنفه (٧٩) برقم (٣٤٣٣٢)، صحيح الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٠٨٥). فطلب المعاش بالحلال والإخلاص شرف للعبد؛ فلا يستحب منه.

وقال ابن عباس رض: كان آدم حرّاثاً، وكان نوح نجاراً، وكان داود زاداً (أي: يصنع الرَّزَدَ الدَّرَوْعَ) وكان إدريس خياطاً، وكان موسى راعياً. وقال لقمان الحكيم لابنه: يا بني، استغنِ بالكسب الحلال عن الفقر. وقال عمر بن الخطاب رض: لا يقدر أحدكم عن طلب الرزق يقول: اللهم ارزقني؛ فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضةً.

وقال أيضًا لرجل يغرس زرعاً في أرضه: أصبتَ، استغنِ عن الناس يكُنْ أصونَ  
لدينك وأكرم لك عليهم.

وقال عبد الله بن مسعود رض: إن لآكْرَهُ أن أرى الرجل فارغاً لا في أمر دنياه ولا في أمر آخرته.

وسئل إبراهيم بن أدهم عن التاجر الصدوق: أهو أحب إليك أم المُتفرّغ للعبادة؟ قال: التاجر الصدوق أحب إلىي؛ لأنّه في جهادٍ يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان، ومن قبل الأخذ والعطاء في جاهده. وسئل الحسن البصري فقال خلاف ذلك.

وسئل الإمام أحمد بن حنبل : ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال: لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي؟ فقال أحمد: هذا رجلٌ جهل العلم، أما سمع قول النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ جَعَلَ رِزْقَكِ تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي»، وقوله ﷺ حين ذكر الطير فقال: «تَغْدُو خَمَاصًا وَتَرْوُحُ بَطَانًا»، فذكر أنها تغدو في طلب الرزق. وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجررون في البر والبحر، ويعملون في نخيلهم وهم القدوة.

وقال أبو قلابة لرجل: لآن أراك تطلب معاشك أحب إلىي من أن أراك في زاوية المسجد. روي: أن الأوزاعي لقي إبراهيم بن أدهم الزاهد رحمهما الله وعلى عئقه حزمٌ حَطَبٌ، فقال له: يا أبا إسحاق، إلى متى هذا؟ إخوانك يكفونك. فقال: دعني عن هذا يا أبا عمرو؛ فإنه بلغني أن من وقف موقفَ مذلةٍ في طلب الحلال وجبت له الجنة.

وقال أبو سليمان الداراني : ليس العبادة عندنا أن تصطف قدميك (أي: في الصلاة) وغيرك يقوت لك (أي: ينفق على طعامك)، ولكن أبدأ برغيفيك فأحرزهما (أي: تحصل عليهما بالعمل والكسب) ثم تعبد.

وقال سفيان الثوري : مكتوب في التوراة: إذا كان في البيت بُرٌ فتعبد (أي: البر: القمح، والمراد: إذا كان في البيت طعام ففرغ للعبادة) وإذا لم يكن فاطلب البر أو لا ثم تعبد. وقال حكيم: ليس من الرغبة (أي: المذمومة) في الدنيا اكتساب ما يصون العرض فيها.

وكان شقيق بن إبراهيم يقول في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْبَسَطَ اللَّهُ الْرِزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعَثَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزَلُ بِمَدِيرٍ مَا يَشَاءُ ﴾ [الشورى: ٢٧]: إن الله عَزَّلَ لورزق العباد من غير كسبٍ ونفرغا عن المعاش والكسب لطغوا في الأرض وبغوا وسعوا في الأرض فساداً، ولكن شغلهم بالكسب والمعاش رحمةً منه وامتناناً.

وقال سعيد بن المسيب رضي الله عنه: لا خير فيمن لا يجمع المال من حله فيخرج منه حقه ويصون به عرضه.

وقال رسول الله صلوات الله عليه: «لأن يحتطِبَ أحدكم حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ منَ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيهُ أَوْ يَمْنَعْهُ». متفق عليه. وقال رسول الله صلوات الله عليه: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قُطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاؤِ الدُّنْيَا كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ». البخاري برقم (٢٠٧٢).

وأما في حق رسول الله صلوات الله عليه فقد أمر أن يتفرغ لجهد الهدایة وتبلیغ الشريعة؛ فقد روى في الآخر: «ما أُوحِيَ إِلَيَّ: أَنْ جَمِيعَ الْمَالِ وَكُنْ مِنَ النَّاجِرِينَ، وَلَكِنْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ سَبِّ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، وَاعْبُدْ رَبِّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ». ذكره العراقي في تخريج أحاديث

الإحياء (١/ ٤٢٠) برقم (١٥٩٥) وعزاه لابن مردوخ في تفسيره.

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: من استطاع منكم أن يموت حاجاً أو غازياً أو معتبراً فليفعل، ولا يموتن تاجرًا ولا جائياً.

فهو يعيّب على من انشغل عن مقصود حياته وانغمس بالكلية في جمع دنياه، وذلك تنبئه ووعظاً له، وإن كثيراً من الصحابة اشتغل بالتجارة، وبعضهم كان يعمل في جمع الصدقات في زمان النبي صلوات الله عليه. فالكسب والتجارة ليست الأفضل مطلقاً، ولكن من طلب بها

الكافية لنفسه وأولاده وأنفق على دينه وأركانه من الحج والزكاة والجهاد فهو في حقه أفضـلـ فالكسـب طـلبـاً للعـفـافـ والـسـترـ أـفـضـلـ مـنـ السـؤـالـ وـالـبـطـالـةـ،ـ حتـىـ لـوـ أـعـطـيـ العـبـدـ مـنـ غـيرـ سـؤـالـ فـإـنـ حـالـ قـفـرـهـ دـفـعـ النـاسـ لـإـعـطـائـهـ،ـ وإنـماـ غـنـاءـ عـنـ النـاسـ وـتـعـفـفـهـ وـاستـارـهـ أـفـضـلـ لهـ.

أما إن كان من يشتغل معظم وقتـهـ بـحـلـ مشـاـكـلـ النـاسـ،ـ كـالـمـفـتـيـ وـالـمـفـسـرـ وـالـمـحـدـثـ وـأـمـاثـلـهـمـ،ـ أوـ كـحـالـ السـلـطـانـ وـالـقـاضـيـ وـالـحـاـكـمـ،ـ فـهـؤـلـاءـ وـاجـبـ عـلـىـ الـأـمـةـ أـنـ يـكـفـوـهـمـ التـكـسـبـ وـالـسـؤـالـ لـيـتـفـرـغـواـ لـأـمـرـ أـهـمـ وـأـفـضـلـ لـهـمـ وـلـلـمـسـلـمـينـ.

وهـذاـ ماـ دـفـعـ النـاسـ لـأـنـ يـجـعـلـواـ أـبـاـ بـكـرـ يـتـرـكـ التـجـارـةـ لـمـاـ وـلـيـ الـخـلـافـةـ؛ـ لأنـهاـ سـتـشـغـلـهـ عـنـ مـصـالـحـ الـمـسـلـمـينـ،ـ وـهـيـ الـأـوـلـىـ،ـ وـرـبـ شـخـصـ تـكـثـرـ فـائـدـتـهـ لـوـ تـفـرـغـ لـلـعـلـمـ وـالـفـتـوـيـ وـالـدـعـوـةـ،ـ وـقـدـ عـاـشـ أـكـابـرـ الـعـلـمـاءـ عـلـىـ أـمـوـالـ الـأـوـقـافـ كـابـنـ الصـلـاحـ وـالـإـمـامـ الـنـوـويـ وـابـنـ تـيـمـيـةـ وـابـنـ الـقـيمـ وـابـنـ كـثـيرـ،ـ وـغـيـرـهـمـ كـثـيرـونـ.

وقـالـ الشـاطـبـيـ : إـنـ مـنـ قـامـ بـحـاجـةـ الـمـسـلـمـينـ وـجـبـ عـلـىـ الـمـسـلـمـينـ الـقـيـامـ  
بحـاجـتهـ،ـ وإنـماـ يـكـونـ ذـلـكـ مـنـ بـيـتـ الـمـالـ.

والـقـاعـدـةـ مـبـنـيـةـ عـلـىـ إـجـمـاعـ الصـحـابـةـ عـلـىـ منـعـ أـبـيـ بـكـرـ مـنـ التـجـارـةـ وـمـنـ بـعـدـهـ عـمـرـ وـسـائـرـ الـخـلـفـاءـ لـيـتـفـرـغـواـ لـشـئـونـ الـمـسـلـمـينـ.ـ بـعـضـ النـاسـ قـدـ يـتـصـورـ أـنـ الـإـنـسـانـ إـذـ تـدـيـنـ يـُـصـبـ مـشـغـلـاًـ عـنـ الدـنـيـاـ،ـ وـلـكـنـ الـمـقصـودـ هـوـ الـإـعـراضـ عـنـ طـلـبـ الدـنـيـاـ لـلـتـرـفـهـ وـالـكـمـالـيـاتـ،ـ وـأـمـاـ صـيـانـةـ الـعـرـضـ أـوـ أـنـ يـعـتـمـرـ أـوـ يـتـرـكـ فـلـاـ حـرـجـ فـيـهـ.

وـقـيلـ لـحـكـيمـ : مـاـ خـيـرـ الـكـسـبـ؟ـ قـالـ : أـمـاـ خـيـرـ مـكـاسـبـ الـدـنـيـاـ:ـ فـطـلـبـ الـحـلـالـ لـزـوـالـ

الـحـاجـةـ،ـ وـالـأـخـذـ مـنـهـ لـعـدـةـ الـعـبـادـةـ،ـ وـتـقـدـيمـ أـفـضـلـ زـادـ لـيـومـ الـقـيـامـةـ.ـ وـأـمـاـ خـيـرـ مـكـاسـبـ الـآـخـرـةـ:ـ فـعـلـمـ مـعـمـولـ بـهـ نـشـرـتـهـ،ـ وـعـمـلـ صـالـحـ قـدـمـتـهـ،ـ وـسـنـةـ حـسـنـةـ أـحـيـتـهـاـ. فـقـيلـ لـهـ : وـمـاـ شـرـ مـكـاسـبـ؟ـ فـقـالـ : أـمـاـ شـرـ مـكـاسـبـ الـدـنـيـاـ:ـ فـحـرـامـ جـمـعـتـهـ،ـ وـفـيـ الـمـعـصـيـةـ أـنـفـقـتـهـ،ـ وـلـمـ لـاـ يـطـيعـ رـبـهـ خـلـفـتـهـ.ـ وـأـمـاـ شـرـ مـكـاسـبـ الـآـخـرـةـ:ـ فـخـيـرـ أـنـكـرـتـهـ حـسـداـ،ـ وـمـعـصـيـةـ قـدـمـتـهـ

إـصـرـارـاـ،ـ وـسـنـةـ سـيـئـةـ أـحـيـتـهـاـ عـدـوـانـاـ.

فـعـلـمـ مـنـ ذـلـكـ أـنـ الـإـنـسـانـ إـذـ صـارـ غـنـيـاـ بـالـمـالـ يـسـبـقـ الـفـقـيرـ لـوـ كـانـ مـتـعـمـداـ الـفـقـرـ.

وكما قال عليه السلام: **« طَلْبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ »** [ابن ماجه برقم (٢٢٤)], فإن تعلم أحكام التكسب واجب على كل من يشتغل بالكسب وهو محتاج إليه, ولا يؤجل تعلم هذا حتى تقع له الواقعات والأحوال المختلفة فيستفتي فيها؛ وذلك لأنه قد تحدث له مفاسدات في المعاملة كثيرة ويسبب جهله لا يعرف أنها وقعت, فيستمر في تصريحاته على ظنه أنها صحيحة ومتاحة, فلابد له من هذا القدر من علم بالمهن وأحكامها وما شابهه ليعرف به المباح من المحظور.

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف في الأسواق ويضرب بعض التجار بالدرة (أي: **السوط**) **ويقول: لا يبع في سوقنا إلا من يقفه، وإلا أكل الربا شاء أم أبي.**

وكان علي رضي الله عنه يقول: **التاجر إذا لم يكن فقيها ارتمى في الربا ثم ارتمى** (أي: يعني غرق في الربا). وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: **كسب الحلال أشد من نقل الجبل إلى الجبل.**

ومع هذا فهناك تحذير لنا من الانغماس في طلب الدنيا؛ فقد كان سفيان الثوري رضي الله عنه يقول: **لا تنتظرن إلى زيدي أهل السوق؛ فإن تحت ثيابهم ذئباً.** مثال ذلك: مجيء عميل لا يفقه شيئاً ولا يعلم شيئاً، فهو في نظر بعض التجار فرصة للتربح والاستغلال، فيقول المرء في نفسه: الحمد لله، هذا رزقي فيخدعه ويضاعف له الشمن. ولكن هذا من فعل ووسوسة الشيطان.

وفي هذا الباب نهى النبي صلوات الله عليه وسلم عن **يَبْعِثُ حَاضِرًا لِبَادٍ** [متقد عليه]; فالحاضر هو الذي يقطن المكان وعمله فيه، بينما الباقي الذي أتى من مكان آخر ولا يعلم عملاً كافياً عما هو ذاذهب إليه من أماكن وأشخاص ومعاملات، فيكون عرضة للاستغلال الجشع من قبل التجار والصناع. وهذا يonus بن عييد يقول: **ما أعلم اليوم شيئاً أقل من درهم طيب ينفق، وأخ يسكن إليه في الإسلام، وعامل يعمل على السنة، وما يزدادون إلا قلة، ولو وجدنا درهماً من الحلال لاستشفينا به مرضاناً.**

ولهذا قيل: **الناسُ في الكسب على أربع مراتب:** منهم من يرى الرزق من الله تعالى ومن **الكسب أيضاً**, فهو **مشرك**, ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ولا يدرى أيعطيه أم لا، فهو **منافق**, ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ولا يؤدي حقه، فهو **فاسق**, ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويرى الكسب سبباً فقط، وقد أخرج حَقَّ الله فيه ولا يعصيه بسم الله الرحمن الرحيم لأجل الكسب؛ فهو **مؤمن خالص**.

فالمنافق يأخذ من الدنيا بالحرص وهو الشره المذموم وينفع النفقة والكرم والجود على من يستحق لـأجل الشّك في الرزق، وينفق ما ينفقه رباء وسمعة؛ لعدم الثقة في الاستخلاف والوعض من الله، أما المؤمن فيأخذ حظه من الدنيا بالخوف والورع ويقتصر في نفقته مع شكره لله وينفق ما ينفقه حالاً لوجه الله تعالى.

وكان يحيى بن معاذ يقول: الطاعة مخزونه في خزائن الله تعالى، ومفتاحها الدعاء، وأسنانها لقمة الحلال. وقال حكيم: إذا لم يكن في التاجر ثلاث خصال افتقر في الدارين جميعاً: أولاً: لسان نقى من ثلاثة: من الكذب، واللغو، والحلف، والثانية: قلب صافٍ من ثلاثة: من الغش، والخيانة، والحسد، والثالثة: نفس محافظة لثلاث: الجمعة والجماعات، وطلب العلم في بعض الساعات، وإيشار رضا الله تعالى على غيره.

قال رسول الله ﷺ: «دَعْ مَا تَرِبِّيَكَ إِلَى مَا لَا يَرِبِّيَكَ». أحمد في «مسنده» (١/٢٠٠) برقم (١٧٢٣)، صحيح الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٣٧٨) وقال ﷺ أيضًا: «لَا يَلْعُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدْعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَدَّرًا لَمَّا بِهِ بَأْسٌ». الترمذى برقم (٢٤٥١)، وقال: حديث حسن، والحاكم في المستدرك برقم (٧٨٩٩)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخر جاه. وواقه الذهبي.

وعلى هذا يجب أن تشتمل المبایعات والعقود فيما بيننا على أربعة أمور:

١ - أن تُوصف بأنها صحيحة من الناحية الشرعية. ٢ - أن تكون بالعدل الذي أمر به الشرع. ٣ - أن تكون بالإحسان بين المتبایعين. ٤ - أن تكون مع المحافظة على أعمال وأمور الآخرة، بآلا ينسى القيام بأعمال الدين الأخرى من العبادات وغيرها.

\* \* \*

## ٦٠ - باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقُتُ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ حَيْرٍ فَلَا نَفِسٌ كُمْ وَمَا أَنْفَقُوْنَ إِلَّا أَبْتِكَاهُ وَجَهَ اللَّهُ وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ حَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ حَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٢٧٣].

(٦٠) / ٥٤٣) وعن ابن مسعود رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا حسد» أي: المقصود هنا الغبطة، وهو تمني النعمة من غير أن تزول عن صاحبها) إلّا في اثنين: رجُل آتاه الله مالاً، فسلطه على هلكته في الحق (أي: إنفاقه في الطاعات)، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضى بها ويعلمها». متفق عليه. ومعناه: ينبغي ألا يغبط أحد إلا على إحدى هاتين الخصلتين.

(٦٠) / ٥٤٤) وعنده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيكم مال وارثه أحب إليه من مالي؟» قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلّا ماله أحب إليه. قال: «فإن ماله ما قدم وما لدنه أحب له». رواه البخاري.

(٦٠) / ٥٤٥) وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة». متفق عليه.

(٦٠) / ٥٤٦) وعن جابر رضي الله عنه: قال: ما سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط، فقال: لا. متفق عليه.

(٦٠) / ٥٤٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلّا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط مُنْفِقاً (أي: منفقاً في وجه الطاعات) خلفاً (أي: عوضاً)، ويقول الآخر: اللهم أعط مُمْسِكاً تَلَفَّاً». متفق عليه.

(٦٠) / ٥٤٨) وعنده: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله تعالى: أفق يا ابن آدم ينفق عليك». متفق عليه.

(٦٠) / ٥٤٩) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رجلاً سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت وмен لم تعرف». متفق عليه.

(٦٠) / ٥٥٠) وعنده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أربعون خصلة: أعلاها منيحة العز (أي: إعارة الشاة ونحوها ليتفضل المستجير بلبنها وصوفها ثم يعيدها المعيده)، ما من عامل يعمل بخصلة منها؛ رجاء ثوابها وتصديق موعدها، إلّا أدخله الله تعالى بها الجنة». رواه البخاري، وقد سبق بيان هذا الحديث في باب بيان كثرة طرق الخير.

(٦٠) / ٥٥١) وعن أبي أمامة صدي بن عجلان رضي الله عنهما: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا ابن آدم، إنك أنت تبدل الفضل (أي: ما يزيد عن حاجتك وحاجة عيالك) خيراً لك، وأن تمسيكه شر لك، ولا تلام على كفاف (أي: ما لديك مما يكفي قدر الحاجة لا أزيد ولا أقص)، وأبدأ بمن تعول، واليد العليا خيراً من اليد السفلية». رواه مسلم.

(٦٠ / ٥٥٢) وعن أنس رضي الله عنه قال: ما سُئلَ رسول الله صلوات الله عليه وسلامه عَلَى الإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، وَلَقَدْ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَأَعْطَاهُ غَنِمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمَ، أَسْلِمُوا؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً مَنْ لَا يَخْشَى الْفَقْرَ، وَإِنَّ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يَلْبِثُ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى يَكُونَ الإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا. رواه مسلم.

(٦٠ / ٥٥٣) وعن عمر رضي الله عنه قال: قَسَمَ رَسُولُ الله صلوات الله عليه وسلامه قَسْمًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَغَيْرِ هُؤُلَاءِ كَانُوا أَحَقُّ بِهِ مِنْهُمْ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُمْ خَيْرُونِي أَنْ يَسْأَلُونِي بِالْفُحْشِ (أي: بالغلظة والإلحاح في السؤال) أَوْ يَسْأَلُونِي، وَلَسْتُ بِيَاخِلٍ». رواه مسلم.

(٦٠ / ٥٥٤) وعن جُيَّرَ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلامه مَقْفَلَهُ مِنْ حُبَّينَ، فَعَلِقَهُ الْأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ، حَتَّى اضْطَرَّوهُ إِلَى سُمْرَةٍ، فَخَطِفتْ رِدَاءُهُ، فَوَقَقَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وسلامه فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ لِي عَدْدٌ هَذِهِ الْعِصَمَاهُ نَعَمًا (أي: إِبْلًا وَجَمَالًا)، لَقَسْمَتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَحْدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذَابًا وَلَا جَبَانًا». رواه البخاري.

«مقفله» أي: حال رُجُوعه. و «السمرة»: شجرة. و «العصمة»: شجر لـ شوك.

(٦٠ / ٥٥٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلوات الله عليه وسلامه قَالَ: «مَا نَقَصْتُ صَدَقَةً مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدُهُ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ وَجْهًا». رواه مسلم.

(٦٠ / ٥٥٦) وعن أبي كَبْشَةَ عَمْرُو بْنِ سَعْدِ الْأَنْتَارِيِّ رضي الله عنه: أَنَّهُ سمعَ رَسُولَ اللهِ صلوات الله عليه وسلامه يَقُولُ: «ثَلَاثَةُ أَقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأَحَدُهُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلْمٌ عَبْدُ مَظْلُمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسَالَةٍ (أي: سؤال الناس) إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ - أو كَلْمَة نَحْوَهَا - وَأَحَدُهُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ». قَالَ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةَ نَفَرٍ: عَبْدُ رَزْقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَسْقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصْلُ فِيهِ رَحْمَهُ، وَيَعْلَمُ اللَّهُ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ. وَعَبْدُ رَزْقَهُ اللَّهُ عِلْمًا، وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، فَهُوَ صَادِقُ النَّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلٍ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنَيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ. وَعَبْدُ رَزْقَهُ اللَّهُ مَالًا، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ (أي: يصرفة في شهوات نفسه) بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصْلُ فِيهِ رَحْمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ. وَعَبْدُ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلٍ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنَيَّتِهِ، فَوَرَزْرُهُمَا سَوَاءٌ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٦٠ / ٥٥٧) وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وسلامه: «مَا بَقَيَ مِنْهَا؟» قَالَتْ: مَا بَقَيَ

مِنْهَا إِلَّا كَتَفَهَا. قَالَ: «يَقِيْ كُلُّهَا غَيْرَ كَتَفَهَا». رواه الترمذى، وقال: «حديث صحيح».

وَمَعَنَاهُ: تَصَدَّقُوا بِهَا إِلَّا كَتَفَهَا. فَقَالَ: يَقِيْتُ لَنَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَتَفَهَا.

(٦٠) / ٥٥٨) وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه قالت: قال لي رسول الله صلوات الله عليه وسلامه: «لَا تُوكِيْ (أى: تَدْخِرِيْ وَتَشْدِيْ مَا عَنْكَ وَتَمْنَعِي مَا فِي يَدِكَ) فَيُوكِيْ عَلَيْكَ».

وفي رواية: «أَنْفِقِي أَوْ أَنْفَحِي، أَوْ أَنْضِحِي، وَلَا تُحْصِي فَيُحْصِي اللَّهُ عَلَيْكَ، وَلَا تُوْعِي فَيُوْعِي اللَّهُ عَلَيْكَ». متفق عليه. وـ«أَنْفَحِي» بالباء المهملة، وـ«هُوَ» بمعنى «أَنْفِقِي»، وكذلك «أَنْضِحِي».

(٦٠) / ٥٥٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله صلوات الله عليه وسلامه يقول: «مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَاحَانِ (أى: دِرْعَانِ يُلْبِسَانِ لِلتَّحْصِنِ) مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدِيْهِمَا (أى: جمع ثَدِيْ) إِلَى تَرَاقِيهِمَا (أى: جمع «تَرْقُوة»، وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والكتف)، فَإِنَّمَا الْمُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبَقَتْ - أَوْ وَقَرَتْ - عَلَى جَلْدِهِ حَتَّى تُخْفِي بَنَانَهُ، وَتَعْقُو أَثْرَهُ، وَإِنَّمَا الْبَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لِزَقْتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوْسِعُهَا فَلَا تَتَسْعُ». متفق عليه.

(أى: فالمنفق تسره بركة نفقاته وتختفي عيوبه، أما البخيل فإنه مكشوف مفضوح ببيخله فلا ينفق إلا بخبث نفس لهذا لا تصيبه البركة لتختفي ما فيه من عيوب). وـ«الجُنَاحُ»: الذراع، وـ«مَعَانَهُ» أنَّ الْمُنْفِقَ كُلُّمَا أَنْفَقَ سَبَقَتْ وَطَالَتْ حَتَّى تَجُرَّ وَرَاءَهُ، وَتُخْفِي رِجْلَيْهِ وَأَثْرَ مَسْيِهِ وَخُطُوَاتِهِ.

(٦٠) / ٥٦٠) عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَلٍ (أى: بَقْدَرْ) تَمْرَةٌ مِنْ كَسْبِ طَيْبٍ - وَلَا يَقْبِلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيْبُ - فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبِلُهَا يَمْسِيْهِ، ثُمَّ يُرِيْبُهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرِيْبُ أَحَدُكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ». متفق عليه. (الفُلوُّ) بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو، ويقال أيضًا: بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو، وـ«هُوَ»: المهر.

(٦٠) / ٥٦١) عنه: عن النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلامه قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْسِي بِفَلَانٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ، اسْقَى حَدِيقَةً فَلَانٍ، فَتَحَسَّنَ ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءً فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَسَعَ الْمَاءُ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فَلَانُ، لِلَّا سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابَ الَّذِي هَذَا مَاءُهُ، يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةً فَلَانٍ، لَا سِمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ فَقَالَ: أَمَا إِذْ قَلَّ هَذَا، فَإِنَّمَا أَنْظُرُ إِلَيْ مَا يَحْرُجُ مِنْهَا، فَاتَّصَدَقُ بِثُلَثِهِ، وَأَكُلُّ أَنَا وَعِيَالِي ثُلَثَةٍ، وَأَرْدُ فِيهَا ثُلَثَةً».

رواه مسلم. **الحرّة**: الأَرْضُ الْمُلَبَّسُ حِجَارةً سَوْدَاءً. و**الشَّرْجَةُ** بفتح الشين المعجمة وإسكان الراء وبالجيم، هي: مَسِيلُ الماء. (أي: إنه كان يخرج من ماله للأرض ما تحتاج إليه، ولعاليه ما يحتاجون إليه، ويخرج الباقى لوجه الله تبارك وتعالى، وليس المقصود ثلاثة أجزاء متساوية، وإنما بحسب الحاجة والضرورة).



## (الإنفاق والكرم والجود)

**أولاً: الإنفاق**: هو إخراج المال الطيب في الطاعات والمباحات، ومنها: النفقة على العيال والأهل من كسوة ومسكن وطعام وغيره، والزكاة تسمى إنفاقاً، وكذلك التطوع بالصدقات، والإإنفاق في الجهاد. ومن الإنفاق: القرض الحسن: حيث وعده الله بإئمانه ماله أضعافاً كثيرة، فكان المستقرض صار أغنى من المقرض؛ لأن الله ينوب عنه في إنماء ذلك المال ولكن بشروط:

أولها: أن يكون من طيب ماله لا من الرديء والسيء؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَيْمَمُوا الْخَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

الثاني: أن يُخرج المال طيباً به نفسه ابتغاء مرضاه الله.

الثالث: ألا يُمنَّ به، ولا يؤذى به المستقرض.

**قال الإمام النووي :** الإنفاق الممدوح ما كان في الطاعات على العيال والضياف (أي: الضيوف) والتطوعات. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لأن أصل أخا من إخوانه بذرهم أحب إلى من أن أتصدق بعشرين درهماً، ولأن أصله بعشرين أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم، ولأن أصله بمائة درهم أحب إلى من أن أعتق رقبة.

**ثانياً: الكرم**: وهي كلمة تدل على الشرف في الخلق، وهو ضد معنى اللؤم والخبث.

فيقال: رجلٌ كريم، أي شريف الأخلاق، وهو الذي يصفح عن الذنب. ويقال في حق من كرمته عليه نفسه فلا يتذرّس بشيءٍ من المعاichi أو المخالفه لربه الكريم، وهو من كان واسع الأخلاق والصدر. لكن اسم الكرم يطلق على إنفاق المال الكبير في الأمور

العظيمة القدر، الكبيرة المنفعة، مع سهولة ورضا وسخاء في النفس.

فالكريم يتبرّع وينفق قبل أن يُسأل، وإذا سُئل فهو يترفق ويلين مع السائل، فيعطي بسهولة، ولا يتضرّر من وراء نفقته منفعةً ما. فالكريم لا يكون كريماً حقيقةً إلا إذا أوصل المنفعةَ من مالٍ وغيره بلا عوض يتضرّر. وال الكريم هو اسمُ جامع لأنواع الخير والشرف والفضائل، بل جامعٌ لكلِّ ما يُحْمَد، ولهذا كان اللهُ هو الـكريم الحميد الفَعَال.

وللكرم أسماء، فإن كان الكرم بإنفاق مال فهو جود، وإن كان الكرم بكف الضرر عن الآخرين مع القدرة على الإيذاء والضرر سميّ عفواً، وأما إن كان ببذل النفس في الملمات فهو شجاعة. والكرم إذا وُصف به الله فهو وصفٌ لإحسانه وإنعامه، أما الإنسانُ الكريم فهو صاحب الأخلاق العالية والأفعال المحمودة التي تظهر منه، فإن لم تظهر الأفعال المحمودة فلا يقال كريماً.

وأكملُ الأفعال المحمودة ما يكون في حق الله تعالى، حيث يقصد أشرف وجوه الكرم، وهو ما يقصد به وجه الله تبارك وتعالي، ومن قَصَدَ وجه رَبِّه فهو التَّقْيَى؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْتَنُكُم﴾ [الحجرات: ١٣]، ورسول الله ﷺ لما سُئل عن أكرم الناس قال: «أَنْقَاهُمْ» [متفق عليه]؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ أكرم الخلق جميعاً.

فقد روي في ذلك عن أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بَعْثُوا» (أي: من قبورهم)، و«أَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا» (أي: قدموا على الله)، و«أَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيْسُوا» (أي: غلب عليهم اليأس من رحمة الله)، لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَ الْيَدِي، و«أَنَا أَكْرَمُ وَلَدَ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ». الترمذى برقم (٣٦١٠)، وقال: حديث حسن. واعلم أن لك ربّاً كريماً قال في حقه النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَيِّيْ كَرِيمٌ يَسْتَحِيْ إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ يَدِيهِ أَنْ يُرِدَّهُمَا صِفْرًا حَائِتَنِينَ». أبو داود برقم (١٤٨٨)، الترمذى برقم (٣٥٥٦).

وقال: حديث حسن، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٧٥٧).

وروي عنه أيضًا واصفًا ربيه: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، وَيُحِبُّ مَعَالِي الْأَخْلَاقِ وَيَكْرُهُ سَفَاسِفَهَا» (أي: يكره الأخلاق الدنيئة الحقيرة). الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣١ / ٣) برقم (٢٨٩٤).

وكان النبي ﷺ يعرف للناس الكرام قدرهم؛ فقال جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه: لما بُعِثَ النَّبِيُّ

سَيِّدُ الْجَمَادِ أَتَيْنَاهُ، فَقَالَ: «يَا جَرِيرُ، لَأَيِّ شَيْءٍ جِئْتَ؟». قلت: جِئْتُ لِأُسْلِمٍ عَلَى يَدِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَأَقْلَى إِلَيَّ كَسَاءَهُ (أي: جعله فراشاً لجلوسه بجواره تكريماً له) ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «إِذَا جَاءَكُمْ كَرِيمٌ قَوْمٌ فَأَكْرِمُوهُ». وَكَانَ لَا يَرَانِي بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وِجْهِي. وَكَانَ جَرِيرُ سَيِّدَ قَوْمِهِ. السَّيِّدُ

في «السنن الكبرى» (٨/ ١٦٨) برقم (١٦٤٦٤)، صحيح الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٧٥٧).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ غَرِّ كَرِيمٌ (أي: قليل الفطنة بالشر)، وَالْفَاجِرُ خَبِّئْتَهُ (أي: بخلي سبيع الخلق)). البخاري في الأدب المفرد (٤١٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٩٤) برقم (٩١٠٧) وحسنه الأنثووط، وحسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٦٦٥٣) فالمؤمن نشأ على الحق فلم يجرِب الخداع؛ لهذا كان عِرَّاً، فهو كريم الأفعال والأخلاق، أما الفاجر فهو لئيمٌ مخداع.

قال عبد الله بن جعفر : وهو من أجود العرب والمسلمين: أَمْطَرِ المَعْرُوفَ مَطَرًا (أي: ابدل المعروف بسخاء)، فَإِنَّ أَصَابَ الْكَرَامَ (أي: أصحاب الأخلاق العالية) كَانُوا لَهُ أَهْلًا، وإن أَصَابَ الْلَّئَامَ كُنْتَ لَهُ أَهْلًا. فالكرم أهل للكرم. وقال الحسنُ بنُ عَلَى صَاحِبُ الْكَرْمِ: التبرع بالمعروف قبل السؤال، والإطعام في المعمل (أي: إطعام الناس في وقت الجدب وانقطاع المطر، وقت ما يحتاجون) والرأفة بالسائل مع بذل النائل (أي: العطاء).

وَقَيلَ: مَنْ لَمْ يُكْرِمْ ضَيْفَهُ فَلَيْسَ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا من إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَالَ أَبُو سَلِيمَانَ الدَّارَانِيُّ : جُلَسَ الرَّحْمَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ جُعِلَ فِي قَلْبِهِ خَصَالٌ الْكَرْمُ، وَالسَّخَاءُ، وَالْحَلْمُ، وَالرَّأْفَةُ، وَالشَّكْرُ، وَالْبَرُّ، وَالصَّبْرُ.

وَقَالَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ: مِنْ آدَابِ الْعِشْرَةِ: إِثْبَارُ الْإِخْوَانِ وَالْأَصْدِقَاءِ بِالْكَرَامَةِ عَلَى نفسه، وَمَنْ عَاشَرَ النَّاسَ وَلَمْ يُكْرِمْهُمْ وَتَكَبَّرَ عَلَيْهِمْ فَذَلِكَ لِقَلْةُ عَقْلِهِ وَدِينِهِ; فإنه بهذا يُعادِي صديقه، ويُكرِمُ بذلك عدوه، ذلك أن إخوانه في الله هم أصدقاوته، أما عدوه الذي أكرمه فهي نفسُه التي بين جنبيه الأمارة بالسوء.

واعلم أخي أن من علامة الكريم أنه يُسْتَدَرُّ منه كرمه باللطف والإكرام والاحترام له، وأما اللئيم فلا تأخذ ما عنده إلا بإهانته وإحراجه والتعنيف والتوبيخ له، فمن أخرج ماله بهذا فهو ليس ب الكريم، وإن أخرج مالاً كثيراً. فاحذر أن يكون إخراجك لمالك بالمهانة والتعنيف، ول يكن جودك وكرمك رغبة وسخاء نفس لا رهبةً ولؤماً.

### **ثالثاً: الجود:** وهي كلمة تدل على السماحة بالعطاء الكثير، فالجoward هو السخي.

ويُفسّر الجود بمعنى الكرم، فمن جاد بماله فقد تكرّم به. فالجود هي صفة في العبد تدعوه لإنفاق ماله وإفادة الآخرين، لا يتضرر في ذلك عوضاً ولا غرضاً دنيوياً، بل يعطي ما يعطي لمن يستحق دون أن يتضرر سؤاله، وذلك ليصون وجه السائل عن السؤال؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ أجوء الناس، فما سُئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا. متفق عليه.

وسائل رجل النبي ﷺ غمماً بين جبلين فأعطاه، فأتى قومه فقال: أيُّ قوم، أسلمو؟ فوالله إن محمدًا يعطي عطاً من لا يخاف الفقر. مسلم برقم (٢٣١٢).

وفي فتح مكة أعطى رسول الله ﷺ صفوانَ بن أمية (أي: ولم يكن مسلماً، وإنما أراد تأليف قلبه على الإسلام) يومئذ مائةً من النعم، ثم مائة، ثم مائة. فقال صفوان لقومه: والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لا يغُضُّ الناس إلَّي، فما برح يعطي حتى إنه لا يحب الناس إلَّي. وكانت سبباً في إسلامه تَحْمِيلَهُ. فالنبي ﷺ كان أجوء الناس.

قال الحسن البصري : بَذْلُ المجهود (أي: الطاعة والقدرة) في بذل الموجود (أي: الإنفاق بالموجود) مُتَهَّلِّي الجود. وقال الشاطبي : الجود بالنفس أقصى غاية الجود.

وقال حكيم: جود الرجل يُحبّه إلى أصدقاءه، وبخله يُغضّنه إلى أولاده.

**مراتب الجود:** والجود كما يعلمنا ابن القيم : عشر مراتب:

أحدها: الجود بالنفس: فيجود بنفسه عن دينه وماله وعرضه ووطنه في الحق.

الثانية: الجود بالرياسة: فيستعمل رياسته في خدمة السائل، ولا يضن (أي: يدخل) بها، وفي هذا مشقة نفسية كبيرة على صاحب الرياسة؛ فقد يضحي برياسته جواداً على الآخرين.

الثالثة: الجود براحتته ورفاهيته: فقد يكتُّ ويتعب في مصلحة غيره، فيجود بنومه ليسامر أهل الفضل ويملاً وقطهم بما يحبون.

الرابعة: الجود بتعليم العلم لآخرين: وهو من أعلى مراتب الجود، وهو أفضل ولا شك من الجود بالمال؛ لأن العلم أشرف من المال، وإن كان هذا لا يعني وليس بدليلاً عن الجود

بالمال أيضاً فهو أفضل، ولكن لا يدخل صاحب العلم - إن كان غنياً - بالجود بماله أيضاً.

ومن علامة الجود بالعلم أن تبذل له لمن لا يستحقه دون أن يسألوك، فقد يستحيي منك أو لعله يجهل علمك، بل تطرحه عليه طرحاً. ومن الجود في العلم أن تجعل كلامك وجوابك عن السؤال شاملًا وافيًا وليس مقتضبًا ولا محدودًا، فهو لاء الصحابة يسألون النبي ﷺ عن طهارة ماء البحر في الموضوع فقال ﷺ: **«هُوَ الطَّهُورُ مَاؤْهُ، وَالْحَلُّ مَيْتَهُ»**.

[مالك في «موطنه» (١/٢٢) برقم (٤١)، صحيح الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٨٧٧)، فأجابهم عن سؤالهم وجاد عليهم بما لعلهم في بعض الأحيان يكونون في حاجة إليه ليأكلوا أثناء سفرهم في البحر، وعند ذلك فاحتاجتهم لإنقاذ حياتهم ونفوسهم أولى].

الخامسة: الجود بالجاه والسلطان والمكانة بين الناس: لأن يشفع لأحد هم أو يمشي مع صاحب حاجة لذي سلطان ونحوه - أي تسهيل خدمة المحتاجين ممن لا يستطيعون الوصول لاحتاجتهم - وذلك زكاة جاهه وسلطانه.

السادسة: الجود بالبدن: وفي حديث النبي ﷺ ما يوضح ذلك؛ قال رسول الله ﷺ: **«كُلُّ سُلَامٍ مِّنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ الْأَنْتِينِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَائِنِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمْيِطُ الْأَذَى عَنِ الْطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»**. متفق عليه.

السابعة: الجود بالعرض: أن يسامح من شتمه أو سبه أو خاض في عرضه، وهذا النوع فيه من سلامة الصدر وسعة الخلق وراحة القلب ما فيه.

الثامنة: الجود بالاحتمال والصبر والتغاضي عن ذنوب وأخطاء الآخرين: وهو جود صعب لا يقدر عليه إلا أهل النفوس الكبار، وفيه العز والشرف.

النinthة: الجود بالأخلاق الحسنة وطلقة الوجه والبشر: وهو مع سوء أخلاق الناس أمر صعب وعالي المقام، فهو مقام فوق احتمال الأذى؛ حيث يقابل السوء بالحسنى، ولهذا كان صاحب الخلق الحسن يبلغ درجة الصائم القائم، وهو أفضل ما يوضع في

ميزان العبد يوم القيمة، والعبد لا يسع العباد بماله ولكن يسعهم بخلقه واحتماله.

العاشرة: الجود بالرُّزْعَه فيما في أيدي الناس: فلا يلتفت لدنيا الناس، ولا يستشرف لها بقلبه ولا لسانه. وهذا يمنع الفقير الفرصة الكبيرة لدخول باب أفضل من جود النفس بالمال. ولهذا قيل: أفضل العطية ما كان من مُعسِّر إلى مُعسِّر.

وسئل حكيم: من أجواد الناس؟ قال: من جاد من قلة، وصان وجه السائل عن المذلة.

واعلم أخي أن المؤمن جواد كريم في كل أقواله، لا يرضى بافتقار أحد من أقربائه أو جيرانه، وهو مع ذلك غني القلب، مستغنٍ عن الناس، وقد لا يملك من الدنيا شيئاً، إن أردت منه تنازاً عن دينه رفض، ولكن لو خدعته في ماله واحتلت عليه انخدع لك وصدقك؛ لأنَّه لا يعرف المؤامرات والخداع فيظن بالناس خيراً، ويرى الآخرة خيراً وأبقى، ولا يرضى بالبخل والشح بدليلاً عن الكرم والجود، وهو منكسر القلب، ذو هموم تشغله، ليس في سعة الدنيا الماجنة، وإنما هو خائف من ذنبه، إذا جاءه شيء من الدنيا كان حريضاً على تفرقته على الفقراء والمساكين، وإذا زويت عنه الدنيا لم يجتهد كثيراً في طلبها، وهذا دليل كرمه وجوده بدنياه من أجل آخرته.

ويقول جعفر الصادق : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنِّي جَوَادٌ كَرِيمٌ لَا يُجَاوِرُنِي لَئِيمٌ.

واللؤم من الكفر وأهل الكفر في النار، والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة.

**الفرق بين الكرم والجود**: الكرم غالباً ما يكون نتيجة حاجة واضحة للسائل، فصار له حق يسأل من أجله الأغنياء وأهل الكرم.

أما الجود فهي صفة ذاتية تدفع صاحبها للنفقة حتى بدون حاجة السائل، فهو يعطي للفقير وللعني وللقريب والبعيد، فيبذل العطاء الكثير من غير سؤال من الآخرين.

## ٦١- باب النهي عن البخل والشح

قال الله تعالى: ﴿وَمَآمَنْ بِخَلَ وَأَسْتَغْفَنَ ﴿٨﴾ وَكَذَبَ لِلْمُسْقَنَ ﴿٩﴾ أَسْتَبِرْ وَالْعَسْرَى ﴿١٠﴾ وَمَا يَعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا أَرَدَهُ ﴿١١﴾﴾ [الليل: ٨-١١].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الحشر: ٩، التغابن: ١٦]. وأما الأحاديث فقد came جملة منها في الباب السابق.

(٦١ / ٥٦٢) وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلُهُمْ عَلَىٰ أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحْلُوا مَحَارِمَهُمْ». رواه مسلم.

\* \* \*

### (البخل والحرص والطمع)

**أولاً: البخل:** وهو المنع والشح، وامتناع البذل في كلِّ الوجوه. والبخل هو المنع من مال نفسه، أما الشح فهو بخل الرجل من مال غيره.

قال القرطبي: **البخل المذموم في الشرع:** هو امتناع المرء عن أداء ما أوجب الله تعالى عليه. وهو خلق مكرور من جميع الناس إلا أنه في النساء أقل كراهية، بل قد يستحب من النساء البخل بما أزواجهن إلا أن يؤذن لهن بالإنفاق والجود، فأما سائر الناس فإن البخل يُشينهم، وخاصة الملوك والأغنياء والعظماء. وقد يدخل الإنسان بما له على نفسه مع الحاجة إليه فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتته الشهوة فيمنعه منها البخل.

### أسباب البخل:

- حبُّ المال وطول الأمل وحب الولد؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الوَلَدُ مَبْخَلَةٌ مَجْبَبَةٌ مَجْهَلَةٌ مَحْزَنَةٌ» [الحاكم في المستدرك (٣٣٥ / ٣)، برقم (٥٢٨٤)]. فسببه طول الأمل، والغفلة عن الأجل، والتعلق بالولد، حينئذ يخاف القلب وتقلُّ الثقة بما قسمه الله من الرزق، ويجمع هذا كل

خصال البخل. وهذا لمن له حظ في التدين، وأما إذا كان من أهل المعاشي فإنه يدخل بما في يديه ليستعين به على المعاشي وينفقه في غير طاعة وذلك الذي خسر الدنيا والآخرة.

-أن يحب جمع المال حباً للمال ذاته، وذلك كمثل كرجل مُسِن لا ولد له، وعنده من المال ما لا يُحصى، ومع ذلك يخاف الإنفاق حتى في الإحسان إلى نفسه، وإنما أحب المال لذاته وم معظم لذته ورغبته في جمجمة المال ورؤيه كسبه، مع علمه أنه سوف يموت وقد يتقلل ماله لمن لا يحبه وهذا أمر مذموم. قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَتَخَلَّونَ بِمَا مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ إِلَّا هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيِطَّوْقُونَ مَا بَخْلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ الْأَسْمَاءِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عِمَّا نَعْمَلُونَ حَمِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. وقد استعاذه منه رسول الله ﷺ قائلًا: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ» متفق عليه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالشُّحُّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ؛ أَمْرُهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخْلُوا، وَأَمْرُهُمْ بِالقطيعةِ فَقطَعُوا، وَأَمْرُهُمْ بِالْفُجُورِ فَفجَرُوا». أبو داود برق (١٦٨٩).

### **مصيبة المال: ومصيبة المال في ثلاثة:**

١ - أنه قد يجر إلى المعاشي؛ لأن من استشعر قدرة على المعاشرة وسهولةً انبعث الداعي إليها ودفعته إلى الفجور وارتكاب المعاشي. والمال فيه نوع قدرة كما أن العجز عن امتلاكه قد يحول بين الإنسان والمعاشرة، وهذا مهم في تربية النفوس؛ ولهذا فإن فتنه السراء أعظم من فتنة الضراء؛ قال ﷺ: «فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَحْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِي أَحْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكُوكُمْ كَمَا أَهْلَكَتُهُمْ» [متفق عليه]؛ ذلك لأن معاناة ترك المعاشرة مع القدرة عليها فيه صعوبة شديدة.

٢ - وأنه يجر إلى التنعم والتغدو على ذلك، وبعد التعود قد تتغير الأحوال، قال تعالى: ﴿وَتَلَكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقد لا يتوصل إليه بالكسب الحلال فيقترب الشبهات، ثم المداهنة والنفاق مع أهل الدنيا والسياسات والأموال؛ لأن من كثرة ماله خالطه الناس فلا يسلم من نفاق وعداوة وحسد وغيبة، فقد يقع في الحرام.

٣- وأنه يُلهي ماله عن ذِكر الله؛ وهي بلوى عامة؛ لأنَّ أصل العبادة هو ذِكر الله تعالى في كل حال، والتفكير في عظمة الله، وذلك يتطلب قلباً فارغاً؛ وصاحب المال يُمسي ويُصبح يتفكَّر في ماله، فالمزارع في الخصومات، والتاجر في الشركاء والزبائن وصاحب المال في البنك كيف استثماره، أما من عنده قوْتُ يومه فقد سلم من ذلك كله، أي من الخوف والهم والغم والتعب. وعلاجه: أَخْذ القوت منه وصَرْف باقيه إلى الخيرات، وما عدا ذلك سُمُومٌ وآفات؛

قال النبي ﷺ: «قد أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَفَعَّلَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ». مسلم برقم (١٠٥٤).

قال أبو حازم : ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَمْلَ عَقْلِهِ: من عرف نفسه، وحفظ لسانه، وقنع بما رزقه الله بِكُلِّ. قال الماوردي : إِنَّ الْبَخْلَ قَدْ يُؤْدِي إِلَى أَرْبَعَةِ أَخْلَاقِ ذُمِيمَةٍ وهي: الحرص والشره وسوء الطن ومنع أداء الحقوق.

**قصة:** يُروى أنَّ أحدَ الصالحين نزل ضيَّقاً على صديقٍ له من البخلاء، وما أَنَّ وَصَلَ الضيفُ حتَّى نادى الْبَخِيلَ ابْنَهُ وقال له: يا ولد، عندنا ضيفٌ عزيزٌ على قلبي، فاذهب واشتَرِ لنا نصفَ كيلو لحمٍ من أحسنِ لحمٍ. ذهبَ الولُدُ وبعد مدةٍ عاد ولم يشتَر شيئاً، فسألَهُ أبوه: أينَ اللَّحْمُ؟ فقالَ الولُدُ: ذهبتُ إلى الجزار وقلتُ له: أعطُنا أَحْسَنَ مَا عندكَ من لحمٍ. فقالَ الجزار: سأعطيكَ لحماً كأنَّه الزبد. قلتُ لنفسي: إذا كان كذلك فلماذا لا أشتريَ الزُّبُدَ بدلَ اللَّحْمِ؟ فذهبَتُ إلى البَقالِ وقلتُ له: أعطُنا أَحْسَنَ مَا عندكَ من الزُّبُدِ. فقالَ: أُعْطِيكَ زبَداً كأنَّه الدَّبْسَ (عسل التمر). فقلتُ: إذا كان الْأَمْرُ كذلك فالأفضلُ أن أشتريَ الدَّبْسَ، فذهبَتُ إلى باائع الدَّبْسِ وقلتَ: أعطُنا أَحْسَنَ مَا عندكَ من الدَّبْسِ. فقالَ الرجلُ: أُعْطِيكَ دبساً كأنَّه الماءُ الصافي. فقلتُ لنفسي: إذا كان الْأَمْرُ كذلك فعندها ماءٌ صافٍ في البيت. وهكذا عدت دون أن أشتري شيئاً. قالَ الأَبُ: يا لكَ من صبيٍّ ماهرٍ، ولكنَّ فاتكَ شيءٌ، لقد استهلكتَ حذاءَكَ بالجري من دُكَانٍ إلى دُكَانٍ؟ فأجابَ الابنُ: لا، فقد لبستُ حذاءَ الضيفِ. اهـ.

**ثانياً: الحرص:** الحرص: هو شِدَّةُ الكدح والتعب والإسراف في طلب المال، مع الإعراض عن أعمال الآخرة، على الرغم من أنَّ الدنيا لا تُدْمِ ذمَّاً مطلقاً؛ لأنَّ الله وَضَعَ في

الطبع تَوَقَّانَ النَّفْسَ إِلَى مَا يُصْلِحُهَا.

لذلك نقول: صلاح دنيا الناس فيه معونة على صلاح دينهم، فلأن الإنسان في الدنيا المسكن والمطعم والملبس والمشرب والمركب والمنكح، فصلاح هذه الأشياء إنما هو توطةً لصلاح دينه، فسعادة المرأة في أربعة: الزوجة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح، والجار الصالح. وقال حكيم: لا تخرج نفس من الدنيا إلا بحسرات ثلاث: لم تشبع مما جمعت، ولم تدرك ما أَمَلتْ، ولم تُحسنِ الزاد لما أقدمت عليه. قيل لحكيم: ما الغنى؟ قال: تَمَنَّيْكَ ورِضَاكَ بما يكفيك، واستغناواك عن الشيء خير من استغنائك به.

والحرص غير زائد في الرزق. وقد قيل: من لم يُجزئه من العيش ما يكفيه لم يوجد من العيش ما يُغْنِيه. وقيل: والناس رجلان: طالب لا يجد، وواحد لا يكتفي.

وقيل: أَغْنَى الْأَغْنِيَاءَ مِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْحَرْصِ أَسِيرًا وَأَفْقَرَ الْفَقَرَاءَ مِنْ كَانَ الْحَرْصُ عَلَيْهِ أَمِيرًا.

ومما جُبِلتْ عليه النفوس، الحرث على طلب الممنوع، فالمرء حريص على ما منع.

وقيل: النهى عن الشيء داع إلى تعاطيه، والممنوع مرغوب.

فيحرص الإنسان على ما منع لأنّه يطلب ما ليس عنده، والطلب دائمًا يتوجّه للمعدوم والمفقود، لا الموجود، فإذا حصل له سكنت نفسه وأما الشيء المبذول الرخيص فإنما يرحب عنه ولا يشهيه لأنّه إذا أراده وجده. قال علي بن أبي طالب: من وثق بما لم يظمه. والصادم في رمضان يرحب في الطعام والشراب بعكس أيام الفطر تماماً لهذا السبب. وفي قصة آدم الكتلحة وأكله من الشجرة الممنوعة عبرة لنا.

قال علي بن أبي طالب: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها. وقال: ليس من الرغبة في الدنيا (أي: الرغبة المذمومة) اكتساب ما يصون العرض فيها وقال: ليس من الحرث (أي: المذموم) اجتلاف (أي: طلب) ما يقوت البدن.

وصلاح الدنيا قد يكون إنما بأن تُعطى قدرها، فطريق الاعتدال فيأخذ الإنسان من الدنيا قدر ما يحتاج إليه، حتى إن كان مشتهيًّا؛ فإن إعطاء النفس بعض ما تشتهي في بعض الأحيان قد يكون عونًا لها وقضاءً لحقها. وكان سفيان الثوري: يأكل في أوقاتٍ طيب

الطعام ويحمل معه في السفر الحلوى. وكان إبراهيم بن أدهم يأكل من الطيبات في بعض الأوقات، ويقول: إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال، وإذا عدمنا صبرنا صَبَرَ الرجال.

وكان أصحاب النبي ﷺ على غير إفراط ولا تفريط في حقوق نفوسهم، ويجب ملاحظة النفس، فإن في المشتهي حفظ النفس وإصلاحها، ونشاطها للخير، فالمال لا يُدْمِمُ لذاته، بل قد يُمدح؛ للتوصُّل به إلى مصالح الدين والدنيا.

قال سعيد بن المسيب : لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله يكفيه وجهه عن الناس، ويصل به رحمه، ويعطي منه حقه، كانوا يرون الشفعة (أي: النصرة والمساعدة المالية) عوناً على الدين. وقال سفيان الثوري : المال في زماننا هذا سلاح المؤمن.

### أسباب ذم المال:

- ١- إما بسبب شدة حرصه في طلبه، حتى تصيغ به أعمال الآخرة المطلوبة منه ويصبح قصده وهدفه جمع المال فقط.
- ٢- أو الحصول عليه بطريق غير مشروع.
- ٣- أو حبسه عن حقه، فلا ينفق على من وجب عليه ولا يتصدق منه على من يستحق.
- ٤- أو إخراجه في غير وجهه، فيستعمله فيما يغضب الله.
- ٥- أو المفاخرة به على الناس إعجاباً بنفسه.

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأفال: ٢٨]. قال ﷺ: «ما ذُبْانٍ جائِعٌ أُرْسَلَ في عَنْمٍ أَفْسَدَ لَهُ مِنْ حِرْصٍ الْمَرْءٌ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ» أَحْمَدَ فِي مُسْنَدِهِ (٤٥٦ / ٣) بِرَقْمِ (١٥٨٢٢).

وكان الصحابة يخافون من فتح الدنيا، فهذا عمر رض لما رأى الفتوح يبكي ويقول: ما حبس الله عن نبيه ﷺ وأبي بكر رض لشيء أراده الله بهما أو أعطاه لغير إرادة الخير به.

ويقول يحيى بن معاذ : الدرهم عقرب، فإن لم تحسن رُقْيَتِه فلا تأخذَه، فإنه إن لدَغَك قتلك سُمُّه. قيل: وما رُقْيَتِه؟ قال: أَخْذَه مِنْ حِلِّهِ وَإِخْرَاجِهِ فِي حَقِّهِ . والمال عند موته العبد يؤخذ منه كله ويحاسب عليه كله.

**ثالثاً: الطمع:** الطمُّ طَمَاعٌ: طمُّ محمود: وهو الرجاء في رحمة الله وتوفُّع الخير، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعَ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الْدِينِ﴾ [الشعراء: ٨٢].

وطمُّ مذموم: وهو الطمع في حُطَام الدنيا، أي فوق ما يحتاج هو وأهله، كمال عارضٍ أو منصبٍ زائل. والطمع المذموم هو تعلُّق القلب بالشيء دون أسباب سابقة له، وهو بمعنى الأمل. وكما قيل: العبد حُرٌّ ما قَعَ، والحرُّ عبدٌ ما طمع. وقيل: الطمُّ يُذَلُّ الْأَمِيرَ، وَالْيَأسُ يُعِزِّزُ الْفَقِيرَ. وقيل: الطمُّ أَوْلَه شُكُّ في المقدورِ، وَأَوْسَطَه اكتسابُ للذلِّ وَآخِرَه حِرْمانٌ.

وعن النبي ﷺ قال: لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانٌ مِّنْ مَالٍ لَا يَتَبَغَّى ثَالِثًا، وَلَا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ متفق عليه. وسبب طمع الإنسان الشرهُ، الذي هو رغبة الاستكثار من المال لغير حاجة حقيقة، فلا يقنع بما أُتي وإن كان كثيراً، ولا يستكفي بما مُنْعِنَ وإن كان حقيراً، وهذا حال من لا يرى لنفسه قدرًا، ويرى المال أعظم خطرًا، فالمالُ عنده أَجْلُ، ونفسُه عليه أَقْلُ، فلا يسمع لتأنيبٍ ولا يقبل لتأديبٍ. والأمل هو توقُّع حصول الشيء رغم استبعاد حصوله، وطول الأمل هو الحرص على الدنيا والانكباب عليها والحب لها مع كثرة الإعراض عن الآخرة.

**قصة:** رُوى أن عيسى عليه السلام كان معه صاحب في بعض أسفاره، فأصابهما الجوع وقد انتهىا إلى قرية، فقال عيسى عليه الصلاة والسلام لصاحبه: انطلق فاطلب لنا طعاماً من هذه القرية. وأعطاه ما يشتري به. فذهب الرجل، وقام عيسى عليه الصلاة والسلام يصلي، فجاء بثلاثة أرغفة، فقعد يتضرُّر انتظار اتصاف عيسى من الصلاة، فأبطن عليه فأكل رغيفاً، وكان عيسى عليه الصلاة والسلام رأه حين جاء ورأى الأرغفة ثلاثة، فلما اتصاف من صلاتة لم يجد إلا رغيفين، فقال له: أين الرغيف الثالث؟ فقال الرجل: ما كان إلا

رغيفين. فأكلاهما. ثم مَرَّا على وجههما حتى أتيا على إبل وغنم ترعى، فدعا عيسى عليه الصلاة والسلام واحداً منها فجاءه، فذبحه وأكل منه، فقال له عيسى: بالذى أراك هذه الآية من أكل الرغيف الثالث؟ فقال: ما كانوا إلا اثنين.

ثم مَرَّا على وجههما حتى جاءَا قريةً، فدعا عيسى ربَّه أن يُنطِق له من يُخبره عن حال هذه القرية، فأنطق الله له لَبَّةً، فسألها عيسى فأخبرته بكل ما أراد، وصاحبُه يتعجب مما رأى، فقال له عيسى: بحق من أراك هذه الآية، من صاحب الرغيف الثالث؟ فقال: ما كانوا إلا اثنين.

فمَرَّا على وجههما حتى انتهىا إلى نهر شديد التهيج، فأخذ عيسى صلوات الله عليه بيد الرجل ومشى به على الماء حتى جاوز النهر، فقال الرجل: سبحان الله! فقال عيسى عليه الصلاة والسلام: بالذى أراك هذه الآية، من صاحب الرغيف الثالث؟ فقال: ما كانوا إلا اثنين.

فمَرَّا على وجههما حتى أتيا قريةً عظيمة خربة، وإذا قريب منها ثلات لبيات عظام، وقيل: ثلاثة أكواام من الرمل، فقال لها: كوني ذهباً بإذن الله. فكانت، فلما رآها الرجل قال: هذا مال! فقال عيسى: نعم، واحدة لى، وواحدة لك، وواحدة لصاحب الرغيف الثالث. فقال الرجل: أنا صاحب الرغيف الثالث.

قال عيسى عليه السلام: هى لك كلها. ثم فارقه عيسى. وأقام الرجل بجوار الذهب ليس معه ما يحمل ذلك الذهب عليه، فمَرَّ به ثلاثة نفر فقتلوه، فقال اثنان منهم للثالث: انطلق إلى القرية فأتنا بطعم. فانطلق، فلما غاب قال أحدهما للأخر: إذا جاء قتلناه واقتسمنا المال بيننا. فقال الآخر: نعم. وأما الذي ذهب ليشتري الطعام فإنه أضمر لصاحبيه السوء وقال: أجعل لهم في الطعام سُمًا، فإذا أكلاه ماتا وآخْذُ المال لنفسي. فوضع السم في الطعام وجاء، فقاما إليه فقتلاه وأكلوا الطعام فماتا.

فمَرَّ بهم عيسى عليه السلام وهم مصرعون حولهم فقال: هكذا الدنيا تفعل بأهلها. اهـ.  
**وفي الحديث:** «إِذْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحَبَّ اللَّهُ، وَإِذْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحَبَّ النَّاسُ» [ابن ماجه برقم (٤١٠٢)]، فلا يقبل الرجل حتى يُعْفَ نفسه عما في أيدي الناس ويتجاوز عما يكون منهم.

## ٦٢- باب الإيثار والمواصلة

قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةً﴾ [الحشر: ٩].

وقال تعالى: ﴿وَيَطْعَمُونَ الظَّعَامَ عَلَى حُتْمِهِ مُسْتَكِنًا وَيَتَمَّا وَأَسِرًا﴾ [الإنسان: ٨].

(٦٢) وعن أبي هريرة رض قال: جاء رجل إلى النبي صل، فقال: إني مجھود (أي): أصابني جهد ومشقة من الجوع). فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذى بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى، فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذى بعثك بالحق ما عندي إلا ماء. فقال النبي صل: «من يضيق هذا الليل؟» فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فأنطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله صل.

وفي رواية: قال لامرأته: هل عندك شيء؟ فقالت: لا، إلا قوت صياني. قال: فعللهم بشيء، وإذا أردوا العشاء فنومهم، وإذا دخل ضيفنا فأطفيئي السراج، وأريه أنا نأكل. فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين، فلما أصبح غدا على النبي صل، فقال: «لقد عجب (أي: عجبًا يليق بجلالة وكأنه الرضا) الله من صنيعكم بضيقكم الليلة». متفق عليه.

(٦٢) عنه قال: قال رسول الله صل: «طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثاء كافي الأربعه». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم عن جابر رض: عن النبي صل قال: «طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الشمامنة».

(٦٢) وعن أبي سعيد الخدري رض قال: بينما نحن في سفر مع النبي صل إذ جاء رجل على راحله له، فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً، فقال رسول الله صل: «من كان معه فضل ظهر (أي: من كان معه ما يركب عليه من دواب ونحوها زائدة عن حاجته) فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد، فليعد به على من لا زاد له». فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد مينا في فضل (أي: فيما يزيد عن الحاجة). رواه مسلم.

(٦٢) وعن سهل بن سعيد رض: أن امرأة جاءت إلى رسول الله صل ببردة منسوجة، فقالت: سجتها بيدي لأسوكتها، فأخذها النبي صل محتاجا إليها، فخرج إلينا وإنها

إِزَارٌ (أي: الإزار: مَا يُلْبِسُ فِي أَسْفَلِ الْبَدْنِ لِسْتَرِ الْعُورَةِ)، فَقَالَ فُلَانُ: أَكْسُنِيهَا مَا أَحْسَنَهَا! فَقَالَ: نَعَمْ». فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ! لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يُرِدُ سَائِلًا. فَقَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ لِأَلْبِسَهَا، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفْنِي. قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفْنَهُ.

رواہ البخاری.

(٦٢) وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيَّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثُوبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنْيٌ وَآتَاهُمْ». متفق عليه. (أَرْمَلُوا): فَرَغَ زَادُهُمْ أَوْ قَارَبَ الفَرَاغَ.



### (الإيثار)

الإيثار: هو تقديم الشيء للآخرين، وهو ضد الشح. فالإثیر عندك هو الكريم عليك، الذي تؤثره وتخصه بفضلك وصلتك. والمؤثر على نفسه هو التارك لما هو محتاج إليه لغيره كي يتفع به. والإيثار: هو تقديم الغير على النفس في حظوظ الدنيا المختلفة؛ رغبةً وطلبًا للأخررة وحظوظها في الجنة، ويكون ذلك بقوة الثقة بالله، ومحبة الخلق، والصبر على المشقات.

درجات الإيثار: قال ابن القيم : ما معناه:

الأولى: أن تؤثر الخلق على نفسك، فتقديمهم بما لا يضيع في ذلك دينك: فقد يؤثر العبد غيره بكل ماله، فيقعده ملوماً محسوراً يتکفف ويطلب من الناس سؤالاً وذلةً ما يكفيه من حاجته، وهذا لا يجوز في الدين، فلا تجعل الإيثار سبباً لضياع دينك، ولا تجعل الإيثار سبباً لتعطيل سيرك إلى الله بالطاعات. فلا تجلس مثلاً مع صديق لك وتؤثره بذلك على مجلس ذكر وفكرة قد أعددته الله تحت شعار الإيثار؛ فإياك أن يشغلك صديقك في السفر عن صحبة الرفاق؛ فتضييع تحت شعار الإيثار.

ولا تجعل الإيثار يفسد وقتك، فتشغل نفسك في قضاء مصالح الناس بدرجة يضيع

معها كُلُّ وقتك، فاجعل لنفسك ميزانًا تزن به المصالح والمضار، والأولى فالأولى دون أن يتعارض ذلك مع صفات الإيثار والجود والكرم.

الثانية: إيثار رضا الله ﷺ على رضا غيره: حتى وإن عظمت فيه المحن والبلايا، وثقلت فيه المسئولية والتبعات على العبد، فهو يريد رضا الله تبارك وتعالي ولو غضب الخلق جميعاً، وهي درجة الرسل الكرام، وأعلاهم نبينا محمد ﷺ، فإنه تجرد للدعوة إلى الله وقاوم كلَّ الدنيا، واحتمل عداوة القريب والبعيد كما أمره ربه تعالى، ولم تأخذه في ذلك لومة لائم، فكان همه تبليغ رسالة الله وإعلاء كلمته، وجهاد المعاندين الجاحدين الرافضين، كما روي عن عقيل بن أبي طالب مرفوعاً: «وَاللَّهُ لَوْ وَاضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي مَا تَرَكْتُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ دُونَهُ». اليهقي في دلائل النبوة (٦٦/١). فتمَّت به نعمة الله؛ حيث بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في سبيل ربه حقَّ جهاده حتى موته الشريف، فnal بذلك أعلى درجات الإيثار.

واعلم أنَّ من أَرْضى الله في سخط الناس رضي الله عنه وأرضي عن الناس، ومن أَسخط الله في رضا الناس سخط الله عليه وأسخط عليه الناس. ومع ذلك، فإن رضا الخلق جميعاً مستحيل، وقد قال بعض السلف: لِمُصَانَعَةٍ وَجْهٌ وَاحِدٌ (أي: التزلل والمسكنة لوجه واحد، وهو الله) أيسِرُ عَلَيْكَ مِنْ مُصَانَعَةٍ وَجْهٍ كَثِيرٍ (أي: يقصد الخلق)، إنك إذا صانعت ذلك الوجه الواحد (أي: وهو الله ﷺ) كفاك الوجوه كُلُّها.

وقال الشافعي : : رضا الناس غاية لا تدرك، فعليك بما فيه صلاح نفسك فالرَّمَة.

الثالثة: أن تنسب فضل الإيثار لله رب العالمين: فهو الذي أمدك بهذه النعمة وتلك الصفة الكريمة، فهو المعطي والمائع على وجه الحقيقة، وهذا أعلى درجات الإيمان واليقين.

### الأسباب المعينة على الإيثار:

أولها: معرفة الحقوق والواجبات ومعرفة فقه الأولويات: ولا يكون هذا إلا بالعلم

والتعلم ومصاحبة أهل الفضل والصفات الكريمة.

الثاني: تعظيم حقوق وحرمات الآخرين: فإن عظمت عنده قام بواجبها ورعاها حق رعايتها، واستعظم إصاعتها، ولا يكون هذا إلا بمحالس الإيمان، وفضائل الأعمال، ومعرفة ثواب الطاعات، وأداء الحقوق، و فعل الواجبات.

الثالث: أن يكره البخل والشح، ويعلم أن خلاصه في الكرم والجود والإيثار، ويأتي ذلك بمعرفة وتعلّم الأمور المنهي عنها مما لا يسع المسلم جهله؛ ليعرف مصائب الذنوب والأخلاق السيئة.

الرابع: الحرص على الأخلاق الكريمة والرغبة فيها: وهذا يكون بمصاحبة أهل الخلق الكريم والجلساء الصالحين، والبعد عن رفقاء السوء، وحضور مجالس الإيمان واليقين.

### **السخاء والجود والإيثار:** والسخاء أعلى مراتب العطاء، وهذه المراتب هي:

الأولى: لا يصعب على نفسه العطاء والبذل، وهذه مرتبة السخاء.

الثانية: أن يعطي أكثر مما يبقي لنفسه، أو حتى يُبقي لنفسه مثلما أعطى، فهذا هو الجود.

الثالثة: أن يقدم غيره على نفسه ويؤثره بالشيء مع حاجته الشخصية إليه، وهذا هو الإيثار.

قال الله تعالى: ﴿وَيَنْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ حَسَادَةٌ وَمَنْ يُوقَ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. واعلم أن الإيثار عكس الأثرة: فالاثرة تعني منعك عن أخيك ما يحتاج إليه، والإيثار كما علمت أن تقدم أحراك على نفسك.

فعن أبي موسى رض قال: قال رسول الله صل: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا (أي: فني طعامهم) في الْغَرْزِيِّ أوْ قَلَّ طَعَامُ عِيالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ظُوبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسُّوَيْةِ، فَهُمْ مِنِي وَأَنَا مِنْهُمْ». متفق عليه. اللهم اجعلنا مثلهم.

وكان قيس بن سعد بن عبادة من المعروفين بالجود، وقد مرض مرةً فوجد من إخوانه تباطؤاً في زيارته فتعجبَ وسألَ عنهم، فقالوا: إنهم كانوا يستحبون من زيارتك؛ لكثرتهم ديونك عليهم. فقال: أخزى الله ما لا يمنع الإخوان عن الزيارة. ثم أمر منادياً ينادي: من كان عليه مالٌ لقيس بن عبادة فهو في حلٍّ. مما أمسى حتى كسرت عتبة بابه؛ لكثره زواره.

### قصص في الإيثار:

**قصة:** وتأمل معي قوة الإيثار عند الموت، فهذا حُذيفة العَدَوِيُّ يروي قائلاً: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمٍ لي ومعي شيءٌ من ماءٍ - وكان في الجرحى - وأنا أقول: إن كان به رَمْقٌ (أي: لا يزال حياً) سقيته ومسحت به وجهه. فإذا أنا به فقلت: أسييك؟ فأشار إلى أنّ نعم. فإذا رجل يقول: آه. فأشار ابن عمٍ إلى أن أطلق به إليه، فجئته، فإذا هو هشام بن العاص، فقلت: أسييك؟ فسمع به آخر فقال: آه. فأشار هشام: أن أطلق به إليه، فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمٍ فإذا هو قد مات. رحمة الله عليهم أجمعين، وما أعظمهم من رجال! اهـ.

**قصة:** وسائل مسكينٌ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي صائمةٌ وليس في بيتها إلا رغيفٌ خبزٌ، فقالت لخدمتها: أعطيه إياه. فقالت: ليس لك ما تُفطرين عليه. وكانت صائمةً، فقالت: أعطيه إياه. ففعلت، فلما أمسوا أهدى لهم أهل بيته شاةً، فقالت عائشةَ أَمَّا لخدمتها: الآن كُلِّي من هذا، فهو خير لك من قرصك. اهـ.

**وسئل ذو النون المصري :** ما حدد الزاهد المنشرح صدره؟ قال: ثلاث: تفريق المجموع (أي: إنفاق أمواله التي جمعها) وترك طلب المفقود (أي: الزهد في طلب ما فقده من دنياه) والإيثار عند الموت (أي: تقديم الغير على النفس وقت الشدة).

**قصة:** وحُكِي عن أحدِهم أنه اجتمع عنده أكثرُ من ثلاثين رجلاً ومعهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم، فماذا فعلوا؟ ققاموا بكسر الأرغفة، وأطفئوا السراج (ما يُستضاء به)، وجلسوا للطعام، فماذا حدث؟ فلما أناروا السراج وجدوا الطعام بحاله لم يأكل منه أحد

شيئاً إيشاراً لصاحبه على نفسه. ونقول اليوم: أين هؤلاء ليصلحوا عالمنا اليوم؟! اهـ.

**قصة:** وقال عمر رضي الله عنه: أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ رَأْسُ شَاةٍ, فقال: إن أخي كان أحوج مني إليه. فبعث به إليه، فلم يزل كل واحد يبعث به إلى آخر حتى تداوله سبعة أبياتٍ ورجع إلى الأول. اهـ.

وقال الإمام الغزالى : الإشارة أعلى درجات السخاء.

وفي أمثالهم قال الله تعالى: **﴿وَيُنَزِّلُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾** [الحشر: ٩].

والإثمار دليل كمال الإيمان، وطريق محبة الأهل والإخوان والجيران، ويرجى لصاحبه حسن الخاتمة ودعاء إخوانه له.

\* \* \*

## ٦٣- باب التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك به

قال الله تعالى: **﴿خَتَمَهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَيَتَنَافَسُونَ الْمُتَنَافِسُونَ﴾** [المطففين: ٢٦].

(٦٣ / ٥٦٨) وعن سهل بن سعد رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ رَأْسُ شَاةٍ أتَى بشراب، فشرب منه وعنه يمينه غلام، وعنه يساره الأشياخ، فقال للغلام: «أتَأذنُ لي أنْ أعطيه هؤلاء؟» فقال العلام: لا والله يا رسول الله، لا أُؤثِّرُ بِنَصْبِي مِنْكَ أَحَدًا. فتلَّه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ رَأْسُ شَاةٍ في يده. متقد عليه.

«تَلَّهُ بِالتَّأْمِنَةِ فَوْقَهُ، أَيْ: وَضَعَهُ. وَهَذَا الْغَلَامُ هُوَ ابْنُ عَبَّاسٍ . . . . .

(٦٣ / ٥٦٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ رَأْسُ شَاةٍ قال: «إِنَّمَا أَيُوبُ التَّنَاجِي يَعْتَسِلُ عُرْيَانًا، فَحَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُوبُ يَحْشِي فِي ثُوِيْهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ وَجَلَّ: يَا أَيُوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟! قَالَ: بَلَى وَعِزْتَكَ وَلَكِنْ لَا غَنِيٌّ بِي عَنْ بَرَكَتِكَ». رواه البخاري.

## ٦٤- باب فضل الغني الشاكِر، وهو من أخذ المال من وجهه

وصرفه في وجوهه المأمور بها

قال الله تعالى: **﴿فَمَنْ أَعْطَنَا وَلَقَى ۝ وَصَدَقَ بِالْحَسْنَى ۝ فَسَيِّرْهُ لِلْيُسْرَى ۝﴾**

وقال تعالى: ﴿وَسَيُجْنِبُهَا الْأَنْقَافُ ﴾١٧﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَرْجُكَ ﴾١٨﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ تَعْمَلَةٍ ﴾١٩﴿ إِلَّا يُغَاءَ وَجْهَهُ إِلَّا أَعْلَى ﴾٢٠﴿ وَسَوْفَ يَرْضَى ﴾٢١﴾ [الليل: ١٧-٢١].

وقال تعالى: ﴿إِنْ شَدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعْمَاهُ هُنَّ وَلَنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءُ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ وَمَنْ كَفَرَ عَنْكُمْ مِنْ سَكِينَاتِكُمْ وَاللَّهُ يُمَانَعُ الْمُعْمَلَوْنَ حَسْبُهُ ﴾٢٢﴾ [البرة: ٢٧١].

وقال تعالى: ﴿لَنْ نَنْأُلُ الَّذِي حَقَّ تُنْفِقُوا مِمَّا تَحْبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ﴾٢٣﴾ [آل عمران: ٩٢]. والآيات في فضل الإنفاق في الطاعات كثيرة معلومة.

(٦٤) / (٥٧٠) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالاً، فسلطه على هلكته في الحق» (أي: إنفاقه في الطاعات)، ورجل آتاه الله حكمه فهو يقضيه بها ويعلمها». متفق عليه، وتقديم شرحه قريباً.

(٦٤) / (٥٧١) وعن ابن عمر رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلام قال: «لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار». متفق عليه. «الأناء»: الساعات.

(٦٤) / (٥٧٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن فقراء المهاجرين آتوا رسول الله صلوات الله عليه وسلام، فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلا، والنعيم المقيم، فقال: «وما ذاك؟» فقالوا: يصلون كما نصل، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا تصدق، ويعتقون ولا نعتق. فقال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم، وتسقطون به من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثة وثلاثين مرّة». فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلوات الله عليه وسلام، فقالوا: سمعنا إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلا مثله؟ فقال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء». متفق عليه، وهذا لنظر رواية مسلم.

«الدُّنْوُر»: الأموال الكثيرة. والله أعلم.

\* \* \*

### (الشُّكُرُ)

روي في الآخر أنه: «يُنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لِيَقُومُ الْحَمَادُونَ، فَتَقُومُ زُمْرَةٌ، فَيُصَبُّ لَهُمْ لِوَاءُ،

**فَيُنْدُخِلُونَ الْجَنَّةَ**. قيل: ومن الحمادون يا رسول الله؟ قال: «الَّذِينَ يُشْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ». العراقي في تخریج أحاديث الإحياء (٢/١٠٢٠) برقم (٣٧٠٩).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: **الشُّكْرُ نَصْفُ الْإِيمَانِ**.

**حقيقة الشكر**: وحقيقة الشكر أن يعلم الشاكر أن النعم كلها من الله، وهو المنعم حقاً، وأن الوسائل كلها مُسخرة من قبل الله تعالى، فلا يكون شكر إلا بأن تعرف أن الكل منه، وهو ما يعرف بالعلم بأن النعمة من المنعم.

وروي أن موسى عليه السلام قال في مناجاته لربه: إِلَهِي خَلَقْتَ آدَمَ بِيْدِكَ، وَفَعَلْتَ وَفَعَلْتَ، فَكَيْفَ شَكَرْتَكَ (أي: آدم)؟ فقال الله عز وجل: عَلَمَ آدَمَ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنِّي فكانت معرفته بذلك شكراً. ومن حقيقة الشكر أيضاً: أن تفرح بالمنعم لا بالنعمة نفسها. وقال أحد الصالحين: **الشُّكْرُ رُؤْيَا الْمُنْعِمِ لَا رُؤْيَا النَّعْمَةِ**. وقال الخواص : شُكْرُ الْعَامَةِ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَاللِّبَاسِ، أَمَا شُكْرُ الْخَاصَّةِ فَعَلِيٌّ مَا يَحْلُّ مِنْ مَعْرِفَةِ بِالْقُلُوبِ (أي: من حب الله وتذلل له).

وكم من فرق بين من ي يريد رضا الله ليُنعم عليه بنعم الدنيا (وهذا جائز) ومن ي يريد نعم الله ليرضيه بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بها، وهذا هو الأعلى والأكمل. وكل عيده سُئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكوا أو يسكت؛ فالشكر طاعة، والشكوى المذمومة معصية قبيحة من أهل الدين، وذلّ العبد لمولاه عز، والشكوى إلى غيره ذل، وإظهار الذل للعبد مع كونه عبداً مثله ذل قبيح.

والشكر سبب للزيادة؛ حيث قال الله تعالى: **﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾** [إبراهيم: ٧]. وكل من استعمل شيئاً في جهة غير الجهة التي خلق لها، ولا على الوجه الذي أريد به فقد كفر فيه نعمة الله تعالى، وهذا غير كفر التوحيد والاعتقاد، كقوله تعالى: **﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيَّةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَحَكَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَسَ الْجُوعَ وَالْخَوْفَ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾** [النحل: ١١٢].

فمن ضرب غيره بيده في غير حق فقد كفر نعمة اليد؛ إذ خلقت ليدفع بها عن نفسه، ويأخذ ما ينفعه، لا ليهلك بها غيره، ومن نظر إلى وجه لا يحل له فقد كفر نعمة العين ونعمة الضوء؛ إذ بهما يبصر الأشياء فيما ينفعه في دينه ودنياه، ويتقي بهما ما يضره فيهما.

ذلك لأن المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا وأسبابها أن يستعين الخلق بهما في الوصول إلى الله تعالى، فكل من استعمل شيئاً في غير طاعة فقد كفر نعمة الله فيها.

وحقيقة الشكر أيضاً: أن يكون العبد مستعملاً ومُشتغلًا في إتمام حكمة الله تعالى.

وأكثر العباد شكرًا لله أحبهم إلى الله تعالى وأقربهم إليه، وأقرب الخلق إلى الله: الملائكة، فهم جميعاً كرام بربة، أصلح الله بهم الأنبياء والمرسلين الذين هم بدورهم أشرف خلق الله على الأرض، فهم اختيار، وهدى الله بهم سائر الخلق، وتعم بهم حكمته، وأكملهم وأعلمهم رتبة نبينا محمد ﷺ؛ إذ كمل به الدين، وختم به النبيين. كما في الإحياء للغزالى. ويلى ذلك العلماء الذين هم دون الأنبياء، فهم صالحون مصلحون، أصلح الله بهم سائر الخلق، ودرجاتهم بقدر إصلاحهم لأنفسهم ودعوتهم وإصلاحهم لغيرهم من الناس. ثم يليهم الملوك والسلطانين الذين يحكمون بالعدل؛ لأنهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم، ثم يأتي الصالحون الذين أصلحوا دينهم ونفوسهم فقط، فلم تتم حكمة الله بهم في الناس، بل تمت فيهم؛ حيث اجتهدوا على نجاة نفوسهم فقط.

ومن عدا ذلك من الناس فهم رعاع وهمج لا قيمة لهم عند الله. ولا يتم الشكر إلا بمعرفة نعم الله الكثيرة كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْدُوا نَعْمَتَ اللَّهِ لَا تُخْصُّوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]. واعلم أن كلَّ خير ولذة وسعادة، بل كل مطلوب ومرغوب، فإنه يسمى نعمة وسعادة إما غلطاً وإما مجازاً، واعلم أن تمام النعمة هو دخول الجنة.

وقيل: إن العبد يحتاج ليقترب من ربِّه إلى أربعٍ: علم ومعرفة الله تعالى، وعلم الأحكام الشرعية، وصفة العفة، والعدالة. ولا يتم كمال هذه الأربع إلا بفضائل في البدن، وهي أربع: الصحة، والقوه الجسمانية، والجمال في الهيئة، وطول العمر. ولا يتم منفعتها إلا بأربع خارجية، وهي: المال الحلال، والأهل المحبون، والجاه (أي: امتلاك قلوب الناس) وشرف العائلة والنسب. ولا يتسع بذلك إلا بأربع أيضاً، وهي: هداية الله، ورشده، وتسديده، وتأييده. ولذلك قال الرسول ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح». أحمد في

مسنده (٤) برقم (١٧٧٩٨)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، وصححه الألباني في تحقيق مشكاة، حديث (٣٧٥٦).

ورُوي أيضاً: «نعم العون على تقوى الله المال». الدلجمي في الفردوس بتأثر الخطاب (٤/ ٢٥٦) برقم

(٦٧٥٦). فمن عَدَمَ المالَ استغرق وقتَه في طلب المعاش وضروراته، وتعرَّض أَيضاً للذلة والسؤال، ولعله يُحرِّم من فضيلة الحج والعجَاد والزكاة والصدقات وإفاضة الخيرات.

وقال بعض العلماء وقد سُئل: ما النعيم؟ قال: الغنى؛ فإنني رأيت الفقير لا عيش له.  
قيل: زِدنا. قال: الأمان؛ فإنني رأيت الخائف لا عيش له. قيل: زدنا. قال: العافية؛ فإنني رأيت أن المريض لا عيش له. قيل: زدنا. قال: الشباب؛ فإنني رأيت الهرم لا عيش له.

وهذا يذكرنا بأبلغ المقال حين قال ﷺ: «مَنْ بَاتَ آمِنًا فِي سُرِّهِ، مُعَاافِي فِي بَدْنِهِ، عِنْدَهُ قُوَّتُ يَوْمِهِ؛ فَقَدْ حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَدَّ افْرِيهَا». الترمذى برقم (٢٣٤٦).

وكلُّ ما يفرغ قلبك من ضرورات الحياة فهو مُعين لك على الدّين؛ فال الدين والسلطان توءمان كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِعَيْنِ لَفَسَدَتِ الْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وقال ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ». أَحمد في مسنده (٤/ ١٩٠) برقم (١٧٧٣٤)، الترمذى برقم (٢٣٢٩)، وقال: حديث حسن، صحيحه الألبانى (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٢٩٧).

وهذا عمر توفيقه يقول: إذا بعثتم رسولًا فاطلبوه حَسَنَ الوجه حسن الاسم.  
 وحتى الفقهاء قالوا: إذا تساوت درجات المصلين للإمامية فأحسنهم وجهًا هو الأولى بالإمامية. ويقصد به اعتدال القامة وتناسب الأعضاء.

واعلم أنه لم يُقصِّرُ الخلقُ عن الشُّكر إلا بالجهل والغفلة، حيث لم يعرفوا أن معنى الشُّكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمـة التي أريـدت بها وهي طاعة الله تعالى.  
وقال بعض السلف: يقول الله تعالى في بعض الكتب المترفة: إن عبداً أغنىـته عن ثلاثة  
لقد أتمـت عليه نعمـتي: عن سلطـان يـأتيـه، وطـبيب يـداوـيه، وعـما في يـدـ أخيـه. واعـلم أن النـعـمة إـذـا لم تـشـكر زـالت وـلـم تـعدـ.

قال الفضـيل بن عـياض : عليـكم بـمـلاـزـمـةـ الشـكـرـ عـلـىـ النـعـمـ، فـقـلـ نـعـمـةـ زـالتـ عـنـ قـومـ فـعـادـتـ إـلـيـهـمـ.

وقال بعض السلف: النـعـمـ وـحـشـيـةـ (أي: يـقصدـ كـأنـهاـ لـيـسـ مـسـتأـسـةـ) فـقـيـلـوـهـاـ بـالـشـكـرـ.  
وـفـيـ الـأـثـرـ: وـمـاـ عـظـمـتـ نـعـمـةـ اللهـ تـعـالـىـ عـلـىـ عـبـدـ إـلـاـ كـثـرـتـ حـوـائـجـ النـاسـ إـلـيـهـ، فـمـنـ  
تـهـاـونـ بـهـمـ عـرـضـ تـلـكـ النـعـمـةـ لـلـزـوـالـ.

ورؤية النعمة في البلاء سمة الصالحين، فهذا أحد الصالحين يسأله رجل ويقول:  
دخل اللّصُّ بيتي وأخذ متاعي وأشيائي. فقال: اشكر الله تعالى، لو دخل الشيطان قلبك  
فأفسد التوحيد ماذا كنْتَ تصنع؟

ويقول عمر بن الخطاب: ما ابتليتُ بباء إلا كان الله تعالى على فيه أربع نعم: إذ لم يكن في ديني، وإذ لم يكن أعظم من ذلك، وإذ لم أحراط الرضا به، وإذ أرجو الثواب عليه.

فإن قلت: كيف أفرح وأشكر وأرى غيري ممن زادت معصيته على معصيتي ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفار منهم؟ فاعلم أن الكافر قد خبيء له ما هو أكثر، وإنما أمهل من الله ليستكثر من الإثم، ويطول عليه العقاب يوم القيمة؛ كما قال تعالى: **﴿أَنَّا نَمْلِي لَهُمْ خَيْرًا لَا يَفْسِمُونَ لَهُمْ لِيَزَادُوا إِلَيْهِمْ عَذَابًا مُّهِمَّ﴾** [آل عمران: ١٧٨].

وأما العاصي فعل الله قد أخر عقوبته إلى الآخرة وعجلت أنت عقوبتك في الدنيا، فأشكر الله على ذلك. واعلم أن الكفار والملاحدة وأهل المعاصي غالباً يتمنون لو كانوا مجانين أو صبياناً ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله بهذا السفه والسوء.

ورُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَّلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]. قال الصديق رضي الله عنه: كيف الفرح بعد هذه الآية؟ فقال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: **«عَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ! أَلَسْتَ تَمْرَضُ؟ أَلَسْتَ يُصِيكَ الْأَذَى؟ أَلَسْتَ تَحْرَنُ؟ فَهَذَا مِمَّا تُجْزَوْنَ بِهِ»**. أحمد في مستنه (١١ / ١١) برقم (٦٨)، وقال الأرنووط: حديث صحيح بطرقه وشواهد.

فجميع ما يصيبك كفارة لذنبك. وَرُوِيَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يُعْطِيهِ اللَّهُ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ فَاعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ. ثمقرأ قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا سَأَسْوَأْتُكُمْ رُوَايَهُ فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَاهُ كُلُّ شَوْهِ﴾** [الأنعام: ٤٤]. [العرaci في تخريج أحاديث الإحياء (٢ / ٢)، برقم (٣٧٧٢)، وقال: رواه أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب بسنده حسن].

قال على: **أَلَا أَخْبِرْكُمْ بِأَرْجِي آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟** قالوا: بلى. فقرأ عليهم: **﴿وَمَا أَصْبَبَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيَكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾** [الشورى: ٣٠].

فالمحاصيب في الدنيا بسبب الأوزار والمعاصي، فإذا عاقبه الله في الدنيا. فالله أكرم من

أن يعذبه ثانيةً، وإن عفا عنه في الدنيا. فالله أكرم من أن يعذبه يوم القيمة.

وانظر لما يراه الصالحون من نعمة في البلاء نفسه: فهذا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يدخل على ابن له مريض (أي: ليس عليه عن نفسه ويعزى) ويقول: يا بني، لأن تكون في ميزاني أحب إلى إيه من أن تكون في ميزانك (أي: يزداد أجر و Mizan al-Ab يُفْقَدُهَا لابنه في حياته).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نعي إليه ابنته له فاسترجع (أي: قال: إن الله وإننا إليه راجعون) وقال: عوره ستراها الله تعالى، ومؤنة كفها الله تعالى (أي: الثقة على ترتيبها)، وأجر قد ساقه الله تعالى. ثم نزل فصل ركعتين، ثم قال: قد صنعنا ما أمر الله تعالى: **﴿وَأَسْتَعِنُ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾** [آل عمران: ٤٥].

وعن ابن المبارك رضي الله عنه أنه مات له ابن فعزاه رجل مجوسي يعرفه، فقال المجوسي معزيزياً: ينبغي للعقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام. (أي: يقصد الصبر والشكرا للله) فقال ابن المبارك: اكتبوا عنه هذه.

وقال بعض العلماء: إن الله يتلي العبد بالباء بعد البلاء حتى يمشي على الأرض وما له ذنب. قال حاتم الأصم: إن الله يعذلك يحتاج (أي: يُقيم الحجة) يوم القيمة على الخلق بأربع أنفس على أربعة أجناس: على الأغنياء بسلام، وعلى الفقراء بال المسيح، وعلى العبيد بيوسف، وعلى المرضى بأبيوب. عليهم السلام جميعاً.

ولكن الرسول صلوات الله عليه أمرنا بطلب العافية؛ حيث دعا أحدهم فقال: اللهم إني أسألك الصبر. فسمعه الرسول صلوات الله عليه فقال: **«سُلُوا اللَّهُ الْعَافِيَةَ»**. متفق عليه.

وقال الحسن رضي الله عنه: **الخَيْرُ الَّذِي لَا شَرَّ فِيهِ**: العافية مع الشكر، فكم من منعم عليه غير شاكرا.

وقال مطرّف بن عبد الله: **لَأَنْ أَعْفَى فَأَشْكُرُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُبْتَلِي فَأَصْبِرُ**.

وقد روي عن عبد الله بن جعفر مرفوعاً: في عقب رحلة الطائف الشهيرة: **«وَعَافَيْتُكَ أَوْسَعُ لِي»**. العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ١٠٤٠) برقم (٣٧٨٠).

**أيهما أفضل.. فضيلة الصبر أم فضيلة الشر؟** التحقيق فيهما أن الغني الذي معه مال وقد غلبه البخل وحب المال على إمساكه؛ فإخراج الأموال في حقه أفضل له من قيام الليل وصوم النهار. والصوم أفضل في حق من غلبته شهوة البطن فأراد كسرها أو منعه الشبع

عن صفاء الفكر. فالمريض الذي يشكو مرض البطن لا يستخدم دواء الصداع والركام، فلا يزيل مرض حب المال طول الصيام أو الصلاة، وإنما إخراج الأموال. وإن كان العامة من الناس يرون أن الصبر أفضل من الشكر، لكن رَبَّ فقير صابرٍ أفضل من غني شاكر، ورَبَّ غني شاكر أفضل من فقير صابر، وهو الغني الذي سلَّطه الله عَلَى ماله في الحق فهو ينفقه آناء الليل وأطراف النهار، إلا قدر الحاجة والضرورة التي تناسب من في مثل حاله.

**درجات الشكر:** والشكُر درجات كثيرة، فحياء العبد من تتبع نعمة الله عليه شكرٌ، ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكرٌ، والاعتذار عن قلة الشكر شكرٌ أيضًا، والمعرفة مع عظيم حلم الله وكيف ستره شكرٌ، والاعتراف أن النعم ابتدأه من الله تعالى من غير استحقاق شكرٌ.

والعلم بأن الشكر أيضًا نعمة مِنْ نَعْمَ الله شكر، وحسن التواضع للنعم والتذلل فيها شكر، وشكر الوسائل الموصلة للنعم كذلك شكر، إذ قال عليه السلام: **«مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ»**. أَحمد في مسنده (٢٥٨) برقم (٧٤٩٥)، والترمذمي برقم (١٩٥٤)، وقال: حديث صحيح.

وقلة الاعتراض وحسن الأدب بين يدي المنعم شكر، وتلقى النعم بحسن القبول شكر، واستعظام صغيرها شكر. يقول **القِيرُوزَابَادِي** : **الشُّكْرُ أَعْلَى مَنَازِلِ الْمُؤْمِنِينَ**، فهو فوق منزلة الرضا بالقضاء، فـ**يُسْتَحْيِلُ أَنْ يَشْكُرَ الْعَبْدُ دُونَ أَنْ يَرْضَى**، وهو نصف الإيمان.

وعلى الشاكر لكي يُقبَل شُكُرُه أن يخضع للنعم ويحبه، ويعرف بجميله ونعمته، ويشفي عليه بها، ولا يستعمل نعمه فيما يكره.

### أنواع الشكر: والشكُر على ثلاثة:

**شكر القلب:** وهو امتنان القلب بالنعمة من الله فيشعر بهنَّة الله عليه بالولد الصالح أو الزوجة الصالحة أو الجار الصالح أو الوالد الصالح والأم الصالحة والمال الصالح.

**وشكر اللسان:** حيث ينسب الفضل لله، ويشكر في ذلك أهل الفضل والمعروف.

**وشكر بالجوارح والنعم:** فيستعملها فيما يرضي الله تبارك وتعالى.

**وقال عَلَيْ بن أَبِي طَالِبٍ** عليه السلام: **إِنَّ النِّعَمَةَ مُوْصَلَةٌ** (أي: مستمرة وباقية) **بِالشَّكْرِ**، والشكُر مُعلَّقٌ بالmızيد، وهذا مقتونان في قرن، فلن ينقطع المزيدُ من الله حتى ينقطع الشكر من العبد.

قال أبو عبد الرحمن السُّلَمِي : الصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير تعامله الله يعْجَلُ شكر، وأفضل الشكر الحمد.

وقال الحسنُ البصري : إن الله ليمنع بالنعمة ما شاء، فإذا لم يشكر عليها قلبها عذاباً.  
ولهذا كانوا يسمون الشكر: الحافظ؛ لأنَّه يحفظ النعم الموجودة. والجالب؛ لأنَّه يجعل النعم المفقودة. وقال بكر بن عبد الله المُزَفْنِي : قلتُ لأخ لي: أوصني. فقال: ما أدرى ما أقول؟ غير أنه ينبغي لهذا العبد ألا يفتر من الحمد والاستغفار، فإنَّ ابن آدم بين نعمة وذنب، ولا تصلح النعمة إلا بالحمد والشكر، ولا يصلح الذنب إلا بالتوبة والاستغفار.

وقال أبو سليمان الداراني : جلسَ الرَّحْمَنَ يوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ جُعِلَ فِي قَلْبِهِ خَصَالٌ: الْكَرْمُ، وَالسَّخَاءُ، وَالحَلْمُ، وَالرَّأْفَةُ، وَالشَّكْرُ، وَالبَرُّ، وَالصَّبْرُ.

وقال الفضيل بن عياض : مَنْ عَرَفَ نِعْمَةَ اللهِ بِقَلْبِهِ، وَحَمَدَهُ بِلِسَانِهِ؛ لَمْ يَسْتَمِمْ ذَلِكَ حَتَّى الزِّيَادَةَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَا زِيَادَةَ كُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وَأَنَّ مِنْ شَكْرِ النِّعْمَةِ أَنْ يُحَدَّثَ بِهَا. ويقول أحد الصالحين: الحرُّ لا يُكفر النعمة، ولا يتُسخِّط المصيبة، بل عند النعم يشكر، وعند المصائب يصبر، ومن لم يكن لقليل المعروف عنده وَقْعُ أُوشِكَ أَلا يشكِّرُ الكثِيرَ مِنْهُ. والنعمة لا تستجلب زيادتها، ولا تدفع الآفات عنها إلا بالشكر.

وقال بعض أهل العلم: مَنْ أُعْطِيَ أَرْبِعاً لَمْ يُمْنَعْ أَرْبِعاً: مَنْ أُعْطِيَ الشَّكْرَ لَمْ يُمْنَعْ الْمُزِيدَ، وَمَنْ أُعْطِيَ التُّوبَةَ لَمْ يُمْنَعْ الْقِبَوْلَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الْاسْتِخَارَةَ لَمْ يُمْنَعْ الْخَيْرَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الْمُشُورَةَ لَمْ يُمْنَعْ الصَّوَابَ.

والإنسان الشكور قريب من الناس، حبيب إليهم، قرير العين، يحب الخير للآخرين، ولا يحسد من كان في نعمة، ويكسب رضا رب ومحبته.

\* \* \*

## ٦٥ - باب ذكر الموت وقصر الأمل

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِنَّعَنِ الْكَارِ وَأَذْخَلَ الْجَحَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتْنَعُ الْمُرْوُرِ﴾ [١٨٥]

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًّا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾

[لقمان: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُواجِهُنَا النَّاسُ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَآبَةٍ وَلَكِنْ يُؤْخِرُهُمْ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمٍّ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقِيمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُنْهِكُ أَمْوَالَكُمْ وَلَا أُولَئِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَعْمَلْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ كُفَّارٌ هُمُ الْخَسِرُونَ ﴿١٩﴾ وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْفَىَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ فَيَقُولُ رَبِّنَا لَوْلَا أَخْرَتَنَا إِلَىٰ آجَلِنَا قَرِيبٌ فَاصْدَقُوا وَأَكُنْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٠﴾ وَلَنْ يُؤْخِرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلَهَا وَاللَّهُ خَيْرٌ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المนาقون: ٩-١١].

وقال تعالى: ﴿حَقٌّ إِذَا جَاءَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتَ قَالَ رَبِّنَا أَرْجِعُونَ ﴿١٩﴾ لَعَلَّيْ أَعْمَلُ صَلَحاً فِيمَا نَرَكْتُ كُلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَالِهَا وَمَنْ وَرَأَيْهُمْ بَرَزَّعٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبَيَّنُونَ ﴿٢٠﴾ فَإِذَا شَوَّخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَشَابَ يَنْهَمُمْ يَوْمِئِذٍ وَلَا يَسْأَلُونَ ﴿٢١﴾ فَعِنْ قَتْلَتِ مَوْزِينِهِ، فَإِنَّهُ كُلُّهُمْ مُّمْلَحُورٌ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوْزِينِهِ، فَإِنَّهُ كُلُّهُمْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَلِيلُونَ ﴿٢٣﴾ تَلْفُعُ وُجُوهُهُمُ الْأَنَارُ وَهُمْ فِيهَا كَلِيلُوْهُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّمَا تُكْنِي مَنْ أَيْقَنَتِي عَلَيْكُمْ فَكُنْتُ بِهَا شَكِّيُّوْنَ ﴿٢٥﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ كُمْ لَيَشْتَمُ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِينِينَ ﴿٢٦﴾ قَالُوا لِيَشَأْ يُؤْمِنُ مَأْوِيَهُ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَعَى الْعَادِيَنَ ﴿٢٧﴾ قَتَلَ إِنْ لَيَشَتَمَ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَتَكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ أَفَحِسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْرًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩-١١٥].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعْ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَّتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَتَسْقُطُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الحديد: ١٦]. والآيات في الباب كثيرة معلومة.

(٦٥ / ٥٧٣) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي (أي: هو كففي) فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَانَكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرٌ سَبِيلٌ».

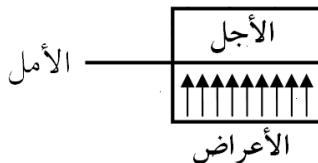
وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَسْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَسْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ، وَمِنْ حَيَاةِكَ لِمَوْتِكَ. رواه البخاري.

(٦٥ / ٥٧٤) وعنـه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «مَا حَقٌّ امْرِئٌ مُسْلِمٌ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ، يَبْيَثُ لَيَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةً عِنْدَهُ». متفق عليهـ، هذا الفـظ البخارـي.

وـفي روـاية لـمسلم: «يـبـيـثـ ثـلـاثـ لـيـالـ». قـالـ ابنـ عمرـ : مـا مـرـأـتـ عـلـيـ لـيـلـهـ مـنـدـ سـمـعـتـ رـسـوـلـ اللـهـ قـالـ ذـلـكـ إـلـاـ وـعـنـدـيـ وـصـيـتـيـ.

(٦٥ / ٥٧٥) وـعنـ أـنـسـ قـالـ: خـطـ النـبـيـ خـطـوـطاـ فـقـالـ: «هـذـاـ إـلـاـ أـجـلـهـ، فـبـيـنـمـاـ هـوـ كـذـلـكـ إـذـ جـاءـ الـخـطـ الـأـقـرـبـ». رـواـهـ البـخـارـيـ.

(٦٥ / ٥٧٦) وـعنـ اـبـنـ مـسـعـودـ قـالـ: خـطـ النـبـيـ خـطـاـ مـرـبـعاـ، وـخـطـ خـطـاـ فـيـ الـوـسـطـ خـارـجـاـ مـنـهـ، وـخـطـ خـطـاـ صـيـغـارـاـ إـلـىـ هـذـاـ الـذـيـ فـيـ الـوـسـطـ مـنـ جـانـبـهـ الـذـيـ فـيـ الـوـسـطـ، فـقـالـ: «هـذـاـ إـلـاـ إـلـاـنـسـانـ، وـهـذـاـ أـجـلـهـ مـحـيـطاـ بـهـ أـوـ قـدـ أـحـاطـ بـهـ وـهـذـاـ الـذـيـ هـوـ خـارـجـ أـمـلـهـ، وـهـذـهـ الـخـطـوـتـ الصـيـغـارـ الـأـعـرـاضـ، فـإـنـ أـخـطـاهـ هـذـاـ نـهـشـهـ هـذـاـ، وـإـنـ أـخـطـاهـ هـذـاـ نـهـشـهـ هـذـاـ». رـواـهـ البـخـارـيـ. وـهـذـهـ صـورـتـهـ:



(٦٥ / ٥٧٧) وـعنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ قـالـ: «بـادـرـوـاـ بـالـأـعـمـالـ سـبـعـاـ» (أـيـ: قـبـلـ مـجيـئـهـ)، هـلـ تـنـتـظـرـوـنـ إـلـاـ فـقـرـاـ مـنـسـيـاـ، أـوـ غـنـيـ مـطـغـيـاـ، أـوـ مـرـضـاـ مـفـسـداـ، أـوـ مـوـتـاـ مـجـهـزاـ، أـوـ الدـجـالـ، فـتـرـ غـائـبـ يـتـنـظـرـ، أـوـ السـاعـةـ وـالـسـاعـةـ أـدـهـيـ وـأـمـرـ؟ـ؟ـ!ـ». رـواـهـ التـرمـذـيـ، وـقـالـ: حـدـيـثـ حـسـنـ.

(٦٥ / ٥٧٨) وـعنـهـ قـالـ: قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ قـالـ: «أـكـثـرـوـاـ ذـكـرـ هـادـمـ» (أـيـ: قـاطـعـ) اللـذـاتـ». يـعـنيـ المـوـتـ. رـواـهـ التـرمـذـيـ، وـقـالـ: حـدـيـثـ حـسـنـ.

(٦٥ / ٥٧٩) وـعنـ أـبـيـ كـعـبـ قـالـ: كـانـ رـسـوـلـ اللـهـ إـذـاـ ذـهـبـ ثـلـثـاـ اللـيـلـ، قـامـ فـقـالـ: «يـاـ كـيـمـاـ النـاسـ اـذـكـرـوـاـ اللـهـ، جـاءـتـ الرـاحـفـةـ» (أـيـ: النـفـخـةـ الـأـوـلـيـ)، تـبـعـهـاـ الرـادـفـةـ (أـيـ: النـفـخـةـ الثـانـيـةـ)، جـاءـ الـمـوـتـ بـمـاـ فـيـهـ، جـاءـ الـمـوـتـ بـمـاـ فـيـهـ». قـالـ أـبـيـ قـلـتـ: يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ، إـنـيـ أـكـثـرـ الصـلـاـةـ عـلـيـكـ، فـكـمـ أـجـعـلـ لـكـ مـنـ صـلـاـتـيـ؟ـ فـقـالـ: «مـاـ شـيـئـتـ». قـلـتـ: الـرـبـعـ؟ـ قـالـ: «مـاـ شـيـئـتـ، فـإـنـ زـدـتـ فـهـوـ خـيـرـ لـكـ». قـلـتـ: فـالـنـصـفـ؟ـ قـالـ: «مـاـ شـيـئـتـ». قـلـتـ: فـإـنـ زـدـتـ فـهـوـ خـيـرـ لـكـ». قـلـتـ: أـجـعـلـ لـكـ صـلـاـتـيـ؟ـ قـالـ: «مـاـ شـيـئـتـ». قـلـتـ: فـالـثـلـثـيـنـ؟ـ قـالـ: «مـاـ شـيـئـتـ». قـلـتـ: أـجـعـلـ لـكـ صـلـاـتـيـ؟ـ

كُلَّهَا؟ قَالَ: «إِذْنٌ تُكْفِيْ هَمَّكَ، وَيُعْفَرُ لَكَ ذَبْنَكَ». رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.



## (الغرور)

**الغرور:** هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع، وإخفاء الخدعة في صورة النصيحة، وتزيين الخطأ على أنه صواب. وقيل أيضًا: الغرور هو الغرر، وهو ما يكون مجهول العاقبة فلا يُدرى أىكون أم لا.

**أما الغرور:** فهو كل ما يَغُرِّ الإِنْسَانَ من مال وجاه وشهوة وشيطان وغير ذلك.

**قال الكَفَوِيُّ :** كُلُّ مَنْ غَرَّ شَيْئًا فَهُوَ غَرُورٌ بِالْفَتْحِ، وَالْغَرُورُ، بِالضَّمِّ: هُوَ الْبَاطِلُ.

**الجهل والغرور:** قد تميل نفس المرء وطبعه إلى ما يوافق الهوى، وتنجرف إلى شبهةٍ فاسدةٍ وخدعةٍ من الشيطان تعتقد فيها خيرًا في العاجل أو الآجل بسبب اعتقادٍ غير صحيح، ويحسب المرء أنه يحسن صنعاً وهو ليس كذلك، فذلك هو الغرور. وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطئون فيه؛ وذلك بسبب جهلهم بـمآلات صنيعهم عند الله يوم القيمة. فالمغرور بسبب جهله عن العاقبة والاعتقاد الصحيح، هو من اغترّ بما في يديه، ودفعه ذلك إلى ما لا يُحمد عقباه.

## أصناف المفترين:

**الصنف الأول:** أناس اغتروا بعقولهم وذكائهم وعلومهم، حينما أحکموا فهمهم للعلوم وتعلّقُوا فيها، ولكنهم لأنهم أهملوا ترك المعاصي والواقع فيها، واغتروا بقيمة علمهم، وظنوا أنهم بذلك عند الله بمكانٍ وبلغوا مبلغًا لا يُعذّب الله مثلهم، بل قد يُقبل شفاعتهم ولا يُطالبُهم بالذنب والخطايا لكرامتهم عليه، فهم مغوروون؛ لإهمالهم تفقد جوارحهم وحفظها من المعاصي، أو أنهم قد أحکموا العلم والعمل وترك المعاصي الظاهرة، لكنهم لم يتقدّموا قلوبَهم والصفات المذمومة عند الله في القلب، كالكِبر والحسد والرياء وغيرها، فوقعوا في العجب بنفوسهم وأنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم.

**الصف الثاني:** الذين اهتموا بالعبادة والعمل الصالح، من صلاة وصيام وحج وزهد وعزلة ونحوها، وأغتروا بذلك، ظناً منهم أنها تكفيهم من دون سائر الأعمال، وظنوا بذلك أن لهم عند الله ما يوجب دخول الجنة، ولم يخافوا من أخطاء نفوسهم.

**الصف الثالث:** الذين اهتموا بتزكية أخلاقهم، واغتروا بأشكال الزهد في الهيئة والمنطق، وتغافلوا عن امتثال أحكام الشرع على النحو الصحيح، فما فرقوا بين حلالٍ وحرام، وإن كانوا اهتموا فقط بحسن أخلاقهم.

**الصنف الرابع:** الذين اهتموا بجمع الأموال وترزين حياتهم بفاخر الثياب والمظاهر، وقعوا في الرياء، وزين لهم الشيطان أعمالهم فغرّهم بها.

**الثقة بالله والغورو والعجز:** إن المظهر العام للواثق بالله والمغور والعاجز يكاد يكون واحداً، من حيث الهدوء والسكينة؛ ولهذا من الضروري أن تُفرق بينهم.

قال ابن القيم : ما معناه: إن الفرق بينها أن الواثق بالله قد فعل ما أمره الله به ووثق بالله في النتائج والمالات والعواقب، ووَكَل أمره إلى الله، حتى لو جاءت تلك النتائج على خلاف ما أراد، فهو قد فعل ما أمر به واثقاً في ثواب الله يوم القيمة.

أما المغترُّ والعاجز فقد فرَّطوا فيما أمرهم الله به، حيث يبدو في شكلهم أنهم واثقون  
بالله، وقد يزعمون ذلك، أنهم يشكون برحمة الله، وعفو الله، ولكن الثقة إنما تصح بعد بذل  
المجهود الذي يرضيه الله تبارك وتعاليٰ.

وقال ابن القيم : ما معناه: إن الثقة بالله سكون وهدوء يسند إليه العبد للأدلة والأمارات يسكن بها القلب وتقوى ثقته بالله، وترتيد فيها كثرة التجارب وصدق الفراسة.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاغترار بالله جهلاً.

قال عون بن عبد الله : إذا عصت نفسك فيما كرحت فلا تطعها فيما أحببت، ولا يغرنك ثناءً من جهل أمرك.

وقال ذو النون المصري : كم من مغرور تحت السر (أي: الستر من قبل الله في معاصيه) وهو لا يشعر. وقال مسمر : كم من مُستقبل يوماً وليس يستكمله، ومنتظر غداً وليس من أجله، ولو رأيتم الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره.

ونقل الماوردي : عن بعض الحكماء قوله: الدنيا إما مصيبة موجعة، وإما مئنة (أي: ميتة) مفجعة. وقال ابن الجوزي : من الناس من يغره تأخير العقوبة، ومنهم من كان يقطع بالعفو (أي: بعفو الله عنه رغم معاصيه) وأكثرهم متزلزل (أي: مذبذب) بالإيمان.

وقال أيضاً: أعجب الأشياء اغترار الإنسان بالسلامة، وتأميمه (أي: تسويقه ورجاؤه) الإصلاح فيما بعد، وليس لهذا الأمل متهي ولا للاغترار حد.

والمعتر فيه جرأة عظيمة على الله تعالى، حيث يفسد ثواب عمله حتى رغم علمه؛ لأنَّه يرجو عفو الله بلا سبب يؤدي إلى ذلك، حيث يورث له الكبر والعجب والخيال، فهو خسارة في الدنيا والآخرة.

\* \* \*

## ٦- باب استحباب زيارة القبور للرجال وما يقوله الرائز

(٦٦ / ٥٨٠) عن بربردة رضي الله عنها قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «كُنْتُ نَهِيْتُكُمْ عَن زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَرُوْرُوهَا». رواه مسلم.

وفي رواية: «فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَزُورَ الْقُبُورَ فَلْيُزُرْ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُنَا الْآخِرَةَ».

(٦٦ / ٥٨١) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه كَلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه يُخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ، فَيَقُولُ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٌ مُؤْمِنُونَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ، غَدَّاً مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَا حِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْعَرْقَدِ (أي: هو موضع بالمدينة فيه قبور أهلهما)». رواه مسلم.

(٦٦ / ٥٨٢) وعن بربردة رضي الله عنها قال: كَانَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله وسلامه يَعْلَمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ أَنْ يَقُولَ قَاتِلُهُمْ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ

لَا حِقُولَ، أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ». رواه مسلم.

(٦٦ / ٥٨٣) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرّ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه بقبور بالمدينة فا قبل عاليهم بوجهه ف قال: «السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أتمن سلفنا وتحن بالآخر». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

## ٦٧- باب كراهة تمني الموت بسبب ضرر نزل به ولا بأس به

### لحوظ الفتنة في الدين

(٦٧ / ٥٨٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «لا يتمنَّ أحدُكُمُ الْمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ» (أي: يطلب رضا الله تعالى بالإقلال عن المعاصي والاستغفار). متفق عليه، وهذا الفظ البخاري.

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «لا يتمنَّ أحدُكُمُ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيهِ؛ إِنَّهُ إِذَا مَاتَ افْتَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنُ عُمُرُهُ إِلَّا خَيْرًا».

(٦٧ / ٥٨٥) وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «لا يتمنَّ أحدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرِّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَابدَ فَاعِلًا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحِينِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاءُ خَيْرًا لِي». متفق عليه.

(٦٧ / ٥٨٦) وعن قيس بن أبي حازم قال: دخلنا على خباب بن الأرت رضي الله عنه نعوده وقد اكتوى سبع كيارات، فقال: إنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ سَلَعُوا مَصْوَأً، وَلَمْ تَنْقُصْهُمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّا أَصَبَنَا مَا لَا نَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا إِلَّا التُّرَابَ، وَلَوْلَا أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وآله وسلامه نَهَانَا أَنْ نَدْعُو بِالْمَوْتِ لَدَعْوَتُ بِهِ. ثُمَّ أَتَيْنَاهُ مَرَّةً أُخْرَى وَهُوَ يَبْيَنِي حَارِطًا لَهُ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفَقُهُ إِلَّا فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هَذَا التُّرَابِ . متفق عليه، وهذا الفظ رواية البخاري.

## ٦٨- باب الورع وترك الشبهات

قال الله تعالى: ﴿وَتَحْسِبُونَهُمْ هَيْنَا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [١٥] (النور: ١٥).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِيَأْمِرُ صَادِقَاتٍ﴾ [١٦] (الفجر: ١٤).

(٦٨ / ٥٨٧) وعن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنُ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنُ، وَبَيْنَهُمَا مُشْبَهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبَرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لُكْلَ مَلِكَ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْعَةً إِذَا صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ». متفق عليه، وروياه من طرق بالفاظ متقاربة.

(٦٨ / ٥٨٨) وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ تَمْرَةً فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ: «لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لَأَكُلْتُهَا». متفق عليه.

(٦٨ / ٥٨٩) وعن النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «الْبُرُّ: حُسْنُ الْحُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْهِ النَّاسُ». رواه مسلم. حَاكَ بالحاء المهملة والكاف، أي: تَرَدَّدَ فيه.

(٦٨ / ٥٩٠) وعن وابصَةَ بْنِ مَعْبُدٍ رضي الله عنه: قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «جَئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبَرِّ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: «اسْتَفْتَ قَلْبَكَ، الْبُرُّ: مَا اطْمَانَتِ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَانَ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ». حدث حسن، رواه أحمد والدارقطني في مسنديهما.

(٦٨ / ٥٩١) وعن أبي سرْوَةَ- بكسر السين المهملة وفتحها- عقبةَ بْنِ الْحَارِبِ رضي الله عنه: أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابنةً لأبي إِهَابٍ بْنِ عَزِيزٍ، فَاتَّهُ امْرَأَهُ فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرَضَعْتُ عُقبَةَ وَالَّتِي قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا. فَقَالَ لَهَا عُقبَةُ: مَا أَعْلَمُ أَنَّكِ أَرَضَعْتِنِي وَلَا أَخْبَرْتِنِي، فَرَكِبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ؟!» فَفَارَقَهَا عُقبَةُ وَنَكَحْتُ زَوْجًا غَيْرَهُ. رواه البخاري. إِهَابُ بكسر الهمزة. وعزِيزٌ بفتح العين ويزاي مكررة.

(٦٨ / ٥٩٢) وعن الحسنَ بْنِ عَلَىٰ رضي الله عنه: حفظتُ من رسول الله ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيُكَ». رواه الترمذى، وقال: حدث حسن صحيح. معناه: اتُّركَ مَا تَشَكَّ فِيهِ، وَخُذْ مَا لَا تَشَكَّ فِيهِ.

(٦٨ / ٥٩٣) وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: كَانَ لَأَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ رضي الله عنه غَلامٌ يُخْرُجُ لَهُ الْخَرَاجَ (أي: يأتيه بما يكسبه)، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا مُشَيِّءٌ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الْغَلامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهْنُتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ (أي: حدثه عن الغيب) وَمَا أَحْسِنُ الْكَهَانَةَ إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذِلِّكَ (أي: عوض

تَكْهِي لَهُ فَهَذَا الَّذِي أَكْلَتْ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ. رواه البخاري.

**«الخارج»:** شَيْءٌ يَجْعَلُهُ السَّيْدُ عَلَى عَيْدِهِ يُؤْدِيهِ إِلَى السَّيْدِ كُلَّ يَوْمٍ، وَبَاقِي كَسِيهِ يَكُونُ لِلْعَيْدِ.

(٦٨ / ٥٩٤) وعن نافع: أن عمر بن الخطاب رض كان فرض للمهاجرين الأولين أربعة آلاف (أي: من مال الغنائم) وفرض لا ينبعه ثلاثة آلاف وخمسماة، فقيل له: هو من المهاجرين فلم نقصته؟ فقال: إنما هاجر به أبوه! يقول: ليس هو كمن هاجر بنفسه. رواه البخاري.

(٦٨ / ٥٩٥) وعن عطية بن عمرو السعدي الصحابي رض قال: قال رسول الله صل: «لا يبلغ العبد أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدْعَ مَا لَا يَأْسَ بِهِ حَدَّرًا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ». رواه الترمذى، وقال: حديث حسن.



### (الورع)

قال الله تعالى: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيَّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] فأمر الله بأكل الحلال من الطيبات قبل القيام بالأعمال الصالحة. ولما قال النبي صل: **« طَلْبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**» [ابن ماجه برقم (٢٢٤)، صحيح الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٩١٣)].

قال بعض العلماء: أراد به طلب علم الحلال والحرام.

ومما روي عن جابر بن عبد الله يرفعه: **«مَنْ نَبَتَ جِسْمُهُ مِنْ حَرَامٍ فَالنَّارُ أُولَئِي بِهِ**» أو **«كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ حَرَامٍ فَالنَّارُ أُولَئِي بِهِ**». الحاكم بنحوه في المستدرك (٤ / ٤١) برقم (٧١٦٢).

وقال ابن عمر رض: **« لَوْ صَلَّيْتُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالْحَنَّا يَا (يَقْصِدُ احْنَاءَ الظَّهُورِ) وَصَمَّتُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالْأَوْتَارِ** (أي: من الضمور والتحول) **لَمْ يُقْبَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا بُوْرَعٌ حَاجِزٌ** (أي: حاجز عن الحرام والآثام).

وقال سفيان الثوري : **« مَنْ أَنْفَقَ مِنَ الْحَرَامِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ كَانَ كَمَنْ طَهْرَ الشُّوْبَ النَّجِسِ** بالبول، والشوب النجس لا يطهره إلا الماء، والذنب لا يكفره إلا الحلال.

وقال سهل التستري : **« لَا يَلِغُ الْعَدُّ حَقِيقَةُ الإِيمَانِ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ أَرْبَعُ خَصَالٍ: أَدَاءُ الْفَرَائِضَ بِالسُّنَّةِ** (أي: يقصد بطريقة الشرع الصحيحة)، **وَأَكْلُ الْحَلَالِ بِالْوَرْعِ**، **وَاجْتِنَابُ النَّهِيِّ** من الظاهر والباطن، والصبر على ذلك إلى الموت. وقيل: **مَنْ أَكَلَ مَالًا فِيهِ شُبْهَةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَظْلَمَ قَلْبَهُ**، وهو تأويل قوله تعالى: **﴿كَلَّا لَبَرَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا لِتَكْسِبُونَ﴾** [المطففين: ١٤].

وقال سهل : مَنْ أَكَلَ الْحِرَامَ عَصَتْ جَوَارِحُه شاءَ أَمْ أَبَى، عَلِمَ أَوْ لَمْ يَعْلَمْ، وَمَنْ كَانَ طُعْمَتْ حَلَالًا أَطَاعَتْهُ جَوَارِحُه، وَوُفِّقَتْ لِلْخَيْرِ.

وقال بعض السلف : إِنَّ أَوَّلَ لَقْمَةَ يَأْكُلُهَا الْعَبْدُ مِنْ حَلَالٍ يَغْفِرُ لَهُ مَا قَدْ سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ أَفَمَ نَفْسَهُ مَقَامَ ذَلِّ فِي طَلْبِ الْحَلَالِ تَسَاقَطَتْ عَنْهُ ذَنْبُهِ كَسَاقَطَ وَرْقُ الشَّجَرِ.

ورُوِيَّ في آثار السلف الصالحة : إِنَّ الْوَاعِظَ أَوَ الدَّاعِي كَانَ إِذَا جَلَسَ لِلنَّاسِ قَالَ الْعُلَمَاءُ: تَفَقَّدُوا مِنْهُ ثَلَاثًا: فَإِنْ كَانَ مُعْتَدِلًا لِبَدْعَةً فَلَا تُحَالِسُوهُ؛ فَإِنْهُ عَنْ لِسَانِ الشَّيْطَانِ يُنْطِقُ، وَإِنْ كَانَ سَبِيلُ الطُّعْمَةِ (أَيْ: يَأْكُلُ حِرَامًا) فَعَنِ الْهَوَى يُنْطِقُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَكِينًا لِالْعُقْلِ فَإِنَّهُ يُفْسِدُ بِكَلَامِهِ أَكْثَرَ مَا يَصْلِحُ فَلَا تُحَالِسُوهُ.

ورُوِيَّ عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الدِّينَ حَلَالُهَا حِسَابٌ (أَيْ: عَلِيهِ حِسَابٌ)، وَحِرَامُهَا عَذَابٌ، وَشَبَهُتُهَا عَذَابًا.

وقال أحمد بن حنبل : إِنَّ الْأَكْلَ مِنَ الدِّينِ؛ حِيثُ قَدَّمَهُ اللَّهُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ فَقَالَ: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيْبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]. وَفِي الْخَبْرِ: أَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي التُّورَاةِ: مَنْ لَمْ يُبَالِ مِنْ أَيِّنْ مَطْعَمِهِ لَمْ يَبَلِ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ النَّيْرَانِ أَدْخَلَهُ.

واعلم أن الحرام كله خبيث، ولكن بعضه أخبث من بعض، كما أن الحلال كله طيب وبعضه أطيب من بعض. ولهذا كانت التقوى هي الورع عن كل ما تحرمه فتاوى الفقهاء والشرع الحكيم، وهو أول درجات الورع، ويسمى الورع الواجب، فيكون فيه الإحجام عن المحaram، وذلك للناس كافة. أما ورع الصالحين فهو الامتناع عما يتطرق إليه احتمال التحرير، وال الوقوف عن الشبهات، وهو مستحب ومندوب إليه. ويأتي بعد ذلك درجة يكفي فيها العبد عن كثيرٍ من المباحات ويقتصر على أقل الضرورات، وهذا ورع الفضيلة للنبيين والصديقين والشهداء.

قال ابنُ القيم : الورع هو ترك ما يخشى ضرره في الآخرة.

واعلم أن الورع له أول وليس له آخر، ولو بالغ أحد في ورعيه فلعله لا يأكل ولا يشرب وبذلك. والورع يحتاج لفقيئه يدل عليه، وعالم يبصرنا به.

قال ابنُ تيمية : تمام الورع أن يعلم الإنسانُ خيرَ الخيرين وشرَّ الشررين، ويعرف أن الشريعة بُنيت على جلب المصالح للعبد وتمكيلها له، وعلى دُرءِ (أي: دفع وإبعاد)

المفاسد عنه وتقليلها، ومن لم يستطع الموازنَة في الفعل والترك من المصالح والمفاسد فلعله قد يترك واجباً وي فعل محرماً، ويرى ذلك من الورع جهلاً منه بذلك.

واعلم أيها العبد أن أكثر المباحثات داعية إلى المحظورات؛ فإن المحظور شرعاً والمباح تشتهيهم النفس شهوة واحدة، وإذا تعودت التسامح في الشهوات قادك ذلك إلى المحظور، فكانت التقوى هي الورع عن ذلك كله.

وكلما كان العبد أشدَّ تشديداً على نفسه بعلمِ وفهم صحيح كان أخفَّ ظهراً (أي: أقل حملاً للذنب على ظهره يوم القيمة)، وأسرع جوازاً على الصراط.

ولكن ليعلم العبد أن الله ما جعل علينا في الدين من حرج. ومن علِم أن مال الدنيا خالطه حرام لا يلزمه ترك الشراء والأكل؛ فإن في ذلك حرجاً شديداً، وما في الدين من حرج، ولا يتصور الوفاء به في ملة من الملل، ولا في عصر من الأعصار. وهو محال أن يكون كل مال الدنيا حلالاً، وإن حاك في نفسك وصدرك شيءٌ وأنت على فهمِ وعلم فاعلم أنه إثم، فلا ينجيك في الآخرة فتوى المفتى، فإن المفتى يفتى بالظاهر والله يتولى السرائر.

ولا تُوجب على نفسك ما لم يُوجِّب السلفُ الصالح على أنفسهم، وإنك تزعم أنك أكثر منهم فطنةً في فهم الشرع، ولو فتح هذا الباب لانسدَّ باب جميع التصرفات في الدنيا وخراب العالم؛ إذ إن الفسق يغلب على الناس وليس التقوى، فلم ينقل هذا الورع المبالغ فيه عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من أصحابه الكرام.

ولا شكُّ في أن مصلحة الدين والدنيا هما مراد الشرع الحنيف، وهو معلوم بالضرورة وليس بمظنون، ولا شكُّ في أننا لو رددنا الناسَ كافة كي يعيشوا وياكلوا ويلبسوا ويتعاملوا على قدر الضرورة أو الحاجة، أو أن يلجهنوا إلى الشَّعاب ليأكلوا الحشائش ويصطادوا من الجبال؛ لخربت الدنيا أو لا ثم الدين ثانياً.

واعلم أن العبد لو أقدم على حرام في علم الله وهو يظنُّ أنه حلال لم يؤثُّ ذلك في قساوة وفساد قلبه، ولكن لو أقدم على ما هو حلال ولكنه يجد حرازةً في قلبه فذلك يضرُّه ويؤثُّ سلباً فيه. وإذا جاءك شخصٌ مجھوٌ الحال لك، لا تعلم له تقوى أو ورعاً أو فساداً

أو فسقاً وقدم إليك طعاماً أو حمل لك هديةً، أو أردت شراء شيء من دُكَانه؛ فلست ملزماً ولا هو بواجب عليك أن تسأل عن حاله والتزامه، بل يكفيك أنه مسلم وقد أعطاك بيده ما تريده، فهذا كافٍ لك، والسؤال هنا فيه إيماء للطرف الآخر، بل وهتك ستر له وإظهار ريبة فيه، وهذا حرام بلا شكٍ، فكُل طعامه وشرابه بلا سؤال

وعليك بالتلطف في ترك ما يربيك دون إيماء له. وإن دلّ على أن في ماله حراماً قليلاً لم يكن السؤال واجباً أيضاً، بل كان السؤال من الورع فقط، أما إن كان الأكثراً من ماله حراماً فلا يأكل ولا يقبل إلا بعد الشُّبُّت.

وسئل ابن مسعود رضي الله عنه: إن لي جاراً لا أعلمه إلا خبيشاً، يدعوني (أي: إلى طعام أو وليمة) أو نحتاج فنفترض منه؟ فقال: إذا دعاك فأجبه، وإذا احتجت فاقترض (أي: منه)؛ فإن لك المهاً وعليه المأثم. وقد أفتى سلمان الفارسي رضي الله عنه بذلك أيضاً.

وسائل الحارث : عمن كان له صديق أو أخ وهو يأمن غضبه عليه لو سأله عن حل ماله وطعامه، قال: لا ينبغي أن يسأله من باب الورع؛ لأنه ربما يدلو به ما كان مستوراً عنه؛ فيكون قد حمله على هتك ستره مما يؤدي إلى البغضاء، فالورع هنا ليس بواجب، وإنما الواجب الاحتراز عن هتك ستره وإثارة غضبه، ولیظن أنه يطعمه من الطيب ويفجنه الخبيث، وإلا فليتاطف في الترك.

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ وَاجْمُلُوا فِي الْطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوِي رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاجْمُلُوا فِي الْطَّلَبِ، حُذِّرُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُّمَ». ابن ماجه برقم (٢١٤٤)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٧٤٢).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيهِنَّ فَمَا عَلِمُوكُمْ مَا فَاتَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةِ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعَفَّةٌ فِي طَعْمَةٍ». أحمد في مسنده (٢/ ١٧٧) برقم (٦٦٥٢).

وقيل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي الناس أفضل؟ قال: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقُ اللِّسَانِ». قالوا: صدوق اللسان نعرفه، مما مخمور القلب؟ قال: «هُوَ التَّقِيُّ التَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ». ابن ماجه برقم (٤٢١٦). وقال أيضاً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طَلَبُ الْحَلَالِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ». الطبراني في الأوسط (٨/ ٢٧٢) برقم (٨٦١٠)، صححه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (٩٤٨).

وقال الحسن البصري : أَفْضَلُ الْعِلْمِ الْوَرْعُ وَالتَّوْكِلُ (أي: التحلية بهما).

وقال أيضًا: الفقيه الورع الزاهد المقيم على سنة محمد ﷺ، الذي لا يسخر بمن أسفل منه، ولا يهزاً بمن فوقه، ولا يأخذ على علم عَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى حُطَامًا.

وقال أيضًا: ما عَبَدَ الْعَبَادُونَ بِشَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ تَرْكِ مَا نَهَا مِنَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال: ما في الأرض شيء أَحَبُّ لِلنَّاسِ مِنْ قِيَامِ اللَّيلِ. فقال له قائل: فَأَيْنَ الْوَرْعُ؟ قال: بِهِ بِهِ (أي: يعني حَسَنَ حَسَنٌ) وَذَلِكَ مَلَكُ الْأَمْرِ.

وقال لغلام: مَا مِلَائِكَ الدِّينِ (أي: ما يمتلك به دينه)؟ قال: الورع. فقيل: فما آفته؟ قال: الطمع (أي: في حطام الدنيا)، فعجب الحسن منه.

وفي حديث عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): حينما شهد رجلٌ عنده فقال له: لست أعرفك ولا يضرُكَ ألا أعرفك، أئْتِ بَمَنْ يَعْرِفُكَ؟ قال رجلٌ من القوم: أنا أعرفه. قال: بأي شيء تعرفه؟ قال: بالعدالة والفضل. فقال عمر: فهو جارك الأدنى الذي تعرف ليه ونهاره ومدخله ومخرجه؟ قال: لا. قال: فمعاملك بالدينار والدرهم اللذين بهما يستدلُّ على الورع؟ قال: لا. قال: فرفيقك في السفر الذي يُسْتَدِلُّ به على مكارم الأخلاق؟ قال: لا. قال: لست تعرفه. ثم قال للرجل: أئْتِ بَمَنْ يَعْرِفُكَ؟

وقال سفيان الثوري : عَلَيْكَ بِالْوَرْعِ يُخَفِّفُ اللَّهُ حِسَابَكَ، وَدَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ، وَادْفَعْ الشَّكَّ بِالْقِيَمِ يَسِّلِمُ لَكَ دِينُكَ.

وقال قتيبة بن سعيد : لولا سفيان الثوري لمات الورع.

وقال صالح المري : كان يقال: التورع في الفتنة كعبادة النبيين في الرخاء.

وقال ضمرة بن حبيب : لا يُعجِّبُكُمْ كثرة صلاة أمرئ ولا صيامه، ولكن انظروا إلى ورעה، فإن كان ورعاً مع ما مارزقه الله من عبادة فهو عبد الله حقاً.

وقال الضحاك بن عثمان : أدرك الناس وهم يتعلّمون الورع وهم اليوم يتعلّمون الكلام. ويقول محمد بن واسع : يكفي من الدعاء مع الورع يسيراً منه.

ويقول أبو حامد الغزالى : لَنْ يَعْلَمَ الْمُتَوَرِّعُ عَنِ الْحَرَامِ فَتَوَحَّاً مِنَ الْحَلَالِ.

ويقول أبو سليمان الداراني : الورع أول الزهد، كما أن القناعة أول الرضا.

ويقول يونس بن عبید : الورع الخروج من الشبهة ومحاسبة النفس مع كل طرفة عين.  
وقال الحسن : مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلوة (أي):  
من النوافل. وقال الشافعی : زينة العلم الورع والحلم.

### قصص في الورع:

**قصة:** حُكِي أن امرأةً من الصالحات أتاهَا نعيَ زوجها وهي تعجن، فرفعت يدها من العجين وقالت: هذا طعام قد صار لنا فيه شريك؛ لأن هذا الطعام قد صار للورثة. اهـ.

**قصة:** حُكِي أن امرأةً أتاهَا نعيَ زوجها والسراج يتقدُّ فقالت: هذا زيت قد صار لنا فيه شريك. واعلم أخي أن الورع من أفضل درجات الإحسان، وفيه الطمأنينة وراحة البال.

\* \* \*

## ٦٩- باب استحباب العزلة عند فساد الناس والزمان أو الخوف من فتنة في الدين ووقوع في حرام وشبهات ونحوها

قال الله تعالى: ﴿فَرُوِيَ إِلَى أَلَّهِ أَنَّ لَكُمْ مِنَهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

(٦٩ / ٥٩٦) وعن سعد بن أبي وقاص رض قال: سمعت رسول الله صل يقول: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْعَنِيَّ الْحَقِيقِيَّ». رواه مسلم. والمراوِيُّ بـ«العنِيَّةِ» غُصَّةُ النَّفْسِ، كَمَا سَبَقَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيفِ.

(٦٩ / ٥٩٧) وعن أبي سعيد الخدري رض قال: قال رجل: أي الناس أفضَّلُ يا رسول الله؟ قال: «مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِّلٌ فِي شِعْبٍ». (أي: الشعب: طريق بين جبلين) مِنَ الشَّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ.

وفي رواية: «يَتَّقِيَ اللَّهُ وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ». متفق عليه.

(٦٩ / ٥٩٨) وعنه قال: قال رسول الله صل: «يُؤْشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَا لِلْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَبعُ بِهَا شَعْفَ الْجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ» (أي: مواضع نزول المطر، وهي بطون الأودية) يَفْرُ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتْنَ». رواه البخاري. وـ«شعْفُ الجِبَالِ»: أعلىها.

(٦٩ / ٥٩٩) وعن أبي هريرة رض: عن النبي صل: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ». فقال

أصحابه: وانت؟ قال: «نعم، كنت أرعاها على قراريط» (أي: جمع قيراط، وهو جزء من أجزاء الدينار) لأهل مكة». رواه البخاري.

(٦٩ / ٦٠) وعنده: عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من خير معاش الناس لهم رجال ممسك عيّنَان فرسنه في سبيل الله، يطير على متنه، كلما سمع هيجة أو فزع طار عليه يتغى القتل، أو الموت مظانه، أو رجل في غنيمة في رأس شعفة من هذه الشعف، أو بطن وادٍ من هذه الأودية، يقيم الصلاة، ويؤتي الزكوة، ويعبد ربها حتى يأتيه اليقين» (أي: الموت)، ليس من الناس إلا في خير». رواه مسلم. (يطير): أي: يُسرع. (متنه): ظهره. (الهيجة): الصوت للحرب. و«الهزعة»: نحوه. و«مظان الشيء»: الموضع الذي يظن وجوده فيها. و«الغنية» بضم الغين: تصغير الغنم. و«الشعفة» بفتح الشين والعين: هي أعلى الجبل.

\* \* \*

### آداب العزلة وأفاتها

اعلم أن المختار والمطلوب هو الاختلاط بالناس على الوجه الذي كان عليه رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء والمرسلين صلوا الله عليهم وسلم أجمعين، وكذلك الخلفاء الراشدون ومن بعدهم من الصحابة والتابعين، رضي الله عنهم أجمعين، ومن بعدهم من علماء المسلمين وأخيارهم، وهو مذهب أكثر التابعين؛ وذلك لما فيه من استكثار المعارف والأصحاب، والتآلف والتحبب إلى المؤمنين، والاستعانة بهم في الدنيا تعاوناً على البر والتقوى.

وقد مال إلى هذا من التابعين سعيد بن المسيب، والشعيبي، وابن أبي ليلٰ، وهشام بن عروة، وابن شبرمة، وشريح القاضي، وابن عيينة، وابن المبارك، وبه قال الشافعى وأحمد وأكثر الفقهاء. وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِيمَانِ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْمُذْنَبِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ مِنْ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ». الترمذى برقم (٢٥٠٧)، أحمد في مستذه (٩/ ٦٤) برقم (٥٠٢٢).

وقد روى عن فضالة بن عبيد يرفعه: «كُلُّ مَيِّتٍ يُحْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا سُرَاطٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ مِنْ فَتَانِ الْقَبْرِ». أبو داود برقم (٢٥٠٠). وقال ﷺ أيضًا: «رِبَاطٌ يَوْمٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَيْرٌ مِنْ الْفِئَفِئَةِ يَوْمٌ سَوَاهٌ مِنْ

**الْمَنَازِلِ**. الترمذى برقم (١٦٦٧)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، والحاكم في المستدرك (٢٦٣٥) وصححه.

وقال عَنْ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْضًا: «رِبَاطٌ يَوْمَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعٌ سَوْطٌ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا». البخارى برقم (٢٨٩٢).

وعن أبي هريرة قال: مر رجل من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشعبٍ فيه عيّنةٌ من ماء عذبة فأعجبته فقال: لو اعترلت الناس فأقمت في هذا الشّعب، ولن أفعل حتى أستاذن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فذكر ذلك لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «لَا تَفْعَلْ؛ فَإِنَّ مَقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ الْجَنَّةَ؟ اغْزُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِوَاقَ نَافِعٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ». الترمذى برقم (١٦٥٠).

وقال: حديث حسن، صحيح الألبانى (صحيح الجامع الصغير) حديث (٧٣٧٩).

ولكن لما عظمت أموال المسلمين واتسعت دولتهم وانتشرت العلوم والمعارف وقل العمل وزاد التّرفُ ماك أكثر التابعين إلى الزّهد، وكانت العزلة وسيلة لتحقيق ذلك، وفضلوها في ذلك الوقت على المخالطة، ومنهم: سفيان الثورى وإبراهيم بن أدهم، وداود الطائي، والفضائل بن عياض، ويوسف بن أسباط، وبشر الحافي، وغيرهم.

وقد احتاجوا عند عدم وجود فرصة للجهاد بهذا الحديث الذى رواه أبو سعيد عَنْ أَبِيهِ: قيل: يا رسول الله، أيُّ الناس أَفْضَلُ؟ فقال: «مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ» متفق عليه.

وقال عَنْ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ في الحديث الذى رواه عقبة بن عامر عَنْ أَبِيهِ: قال: قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال عَنْ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلِيَسْعَكَ بَيْتُكَ، وَابْلُوكَ عَلَىٰ خَطِيئَتِكَ». الترمذى برقم (٢٤٠٦)، وقال: حديث حسن، صحيح الألبانى (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٣٩٢) ولكن الخليفة الراشد عمر عَنْ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ أرشدنا لأنأخذ حظاً منها لما فيها من فوائد على النفس والبدن فقال: خذلوا بحظكم من العزلة. وأيده ابن سيرين : فقال: العزلة عبادة.

وقال الفضيل : : كفى بالله مُحِبًّا، وبالقرآن مُؤْنِسًا، وبالموت واعظًا.

ولكن إبراهيم النَّخعى يَبَّنُ أن العزلة مشروطة بشرط الفقه والفهم، فلما سأله رجل:

أريد أن أعتزل الناس. قال له: تفقّه ثم اعترل. ولما قيل لهم: نهى النبي ﷺ عن الهجر فوق ثلاثٍ كما في الحديث: **«وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ»** متفق عليه.

وقيل: إن الهجر فوق ثلاطٍ جائزٌ في موضعين:

أحدهما: أن يرى في هذا الهجر إصلاحاً للمهجور فوق ثلاثة أيام.

الثاني: أن يرى لنفسه سلامه في هذا الهجر لما يخاف على نفسه الفتنة.

وعلى العموم فربما شخص تكون سلامته في العزلة والبعد عن الناس لا في المخالطة، كما قد تكون سلامته في القعود في بيته، وألا يخرج للجهاد إذا طلب منه، وليس لهذا أفضلية العزلة على الجهاد. ولا يقصد بالعزلة ألا يكون مشهراً بين الناس، فكم من عابدٍ معتزل تعرفه الناس كافة، وكم من مخالطٍ للناس لا ذكر له ولا شهرة.

**فوائد العزلة:** اعلم أن الفوائد تختلف بحسب الأحوال والأشخاص:

**الفائدة الأولى:** التفرغ للعبادة والفكير والذكر، استئنافاً بمناجاة الله تعالى بدلاً من الخلق، والتفكير في عظيم ملكوته، ولا يكون إلا بالانفراد والعزلة.

ولهذا قيل لأحد العباد: ما أصبرك على الوحدة؟ فقال: ما أنا وحدي، أنا جليس الله تعالى، إذا شئت أن يناديني قرأت كتابه، وإذا شئت أن أناجيه صليت.

وقيل لبعض الحكماء: إلى أي شيء أفضى بكم الزهد والخلوة؟ فقال: إلى الأنس بالله.

وسئل رجل صالح: ما يشغلك عن مخالطة الناس؟ فقال: إني أصبح وأمسي بين نعمة وذنب، فرأيت أنأشغل نفسي بشكر الله تعالى على النعمة والاستغفار من الذنب.

وقال أبويس القرني: ما كنت أرى أن أحداً يعرف ربَّه فيأنس بغيره.

وقال ذو النون المصري: سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة ربِّه.

وقال مالك بن دينار: من لم يأنس بمحادثة الله تعالى عن محادثة المخلوقين فقد ضلَّ علمه، وعمي قلبه، وضيع عمره.

وقال حكيم: إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة؛ فيكثر حينئذ ملاقة الناس، ويطرد الوحشة عن نفسه بالجلوس معهم، فإذا كانت ذاته فاضلةً متفقهة طلب الوحدة؛ ليستعين بها على الفكر والتفكير، ويستخرج العلم والحكمة.

واعلم أن غايةً ومقصود العبادات وثمرة المعاملات أن يموت الإنسان محباً لله، عارفاً بالله، ولا محبة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر، ولا معرفة إلا بدوام الفكر، وفراغ القلب شرط في كل واحد منهمما، ولا فراغ للإنسان مع المخالطة.

**الفائدة الثانية:** التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض لها الإنسان غالباً بمخالطة الآخرين ويسسلم منها في الخلوة والعزلة، وهي أربع:

إحداها: الغيبة: فإن عادة الناس التفكُّر والتَّكَلُّم في أعراض الناس، فإن خالطهم العبد ربما يوافقهم على ذلك؛ فيأثم مثلهم، ويتعرّض لسخط الله تعالى حتى لو بالسكت وعدم ردّ الغيبة؛ لأن المستمع مشترك في الإثم، وقد يغضونه إذا أنكر ذلك عليهم، وانقلبوا عليه شتماً وغيبةً.

الثانية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فإن من خالط الناس لم يخل من مشاهدة المنكرات، فإن سكت وقع في معصية الله تعالى، وقد ينكر فيتعرّض لمصاعب وأضرار، وفي العزلة السلامة.

الثالثة: الرياء: وهو الداء العossal الذي يعسر الاحتراز منه، وأول ما في مخالطة الناس إظهار التشوّق إليهم، والمبالغة في ذلك مجاملة لآخرين، ولا يخلو هذا من الكذب في بعض الأحيان، صحيح أن المجاملة والابتسام مطلوبان شرعاً، لكن خشية الرياء تبقى في قلوبنا.

وقيل لمالك بن دينار : كيف أصبحت؟ قال: أصبحت في عمرٍ ينقصه، وذنوب تزيد.

وقيل لأحد الصالحين: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أكل رزق ربّي، وأطيع عدوه إبليس.

وقيل لرجل يجود بنفسه: مالك؟ فقال: وما حال من يريد سفراً بعيداً بلا زادٍ، ويدخل قبراً موحشاً بلا مؤنسٍ، وينطلق إلى ملك عدل بلا حجة؟!

و هكذا كان السلف الصالح يحتزون في جواب من سأله عن حالهم مخافة الرياء .  
وقال بعض الصالحين مستنكرًا المخالطة والصحبة الكاذبة: إني لأعرف أقوامًا كانوا لا يتلاقون (أي: بعد المسافة بينهم أو لانشغل بهم) ولو حكم أحدهم على صاحبه أن يأخذ منه جميع ما يملكه من مال لم يمنعه عنه، وأرى الآن أقواماً يتلاقون كثيراً، ويتقدون حال بعضهم حتى عن أبسط الأشياء، ولكن لو طلب أحدهم من صاحبه شيئاً يسيرًا من ماله لامتنع من ذلك. ثم يسأل: هل هذا إلا مجرد الرياء بالصحبة والنفاق في الأخلاق؟

ودليل ذلك أن ترى بعضهم يسأل البعض: كيف أنت؟ وكيف حالك؟ والسائل لا يتظر الجواب، وحتى المسئول لا يشغل بالإجابة على وجه الحقيقة، وذلك لأن كلاً منهم يعرف أن ذلك مجرد رياء وتكلف، ولعل قلوبهم لا تخلو من ضغائن أو أحقاد.

الرابعة: التطبع بالأخلاق الرديئة للذين نخالطهم: وهو داء دفين قلما يتبين له العقلاء فضلاً عن الغافلين، فإن المخالطة والاختلاط مع الفساق والفاشدين ولو كان العبد منكراً عليهم في باطنـه - ويقصد بالمـخالطة الطعام والشراب والعبـث الطـويل معـهم - يجعلـان الفـساد والفسـق أمـراً هـيـاناً عـلـى المرءـ، ويـسهـل عـلـيه فعلـ ذلك بـسهـولةـ؛ لـكـثـرة مـعاـيـنةـ وـمـشاـهـدةـ ذـلـكـ في مـخـالـطيـهـ، ويـسـقط عـنـهـ استـعـظـامـ ذـلـكـ الذـنـبـ وـاقـتـرـافـهـ.

وكما ترى في الناس من يستعظم ذنب من ترك الصيام في رمضان، وقد يراه كفراً، ولا يرى في ترك الصلاة ذلك الذنب والكفر، مع أن ترك الصلاة قد يخرج صاحبه إلى دائرة الكفر، وذلك بسبب معاينة تكرار أمر ترك الصلاة من الناس، فيتتساهـلـ فيـ الحـكـمـ عـلـيـهاـ.

وكما ترى الذنب الكبير للفقيه والعالم والداعية الذي يلبـسـ الـذـهـبـ والـحرـيرـ، فـغـضـبـ عـلـيـهـ بشـدـةـ، وـلـاـ نـرـىـ فـيـ كـلـامـهـ مـنـ اـغـتـيـابـ لـلـنـاسـ ذـنـبـاـ وـلـاـ إـثـمـاـ لـلـغـيـةـ، وـكـثـرةـ مـعاـيـنةـ وـمـشاـهـدةـ الـمـغـتـابـينـ هـوـنـ ذـلـكـ عـلـىـ النـاسـ.

فـعـنـ أـبـيـ مـوسـىـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ عـنـ النـبـيـ صـلـلـهـ عـلـيـهـ وـسـلـيـلـهـ قـالـ: «إـنـمـاـ مـثـلـ الـجـلـيـسـ الصـالـحـ وـجـلـيـسـ السـوـءـ كـحـامـلـ الـمـسـكـ وـنـافـخـ الـكـبـيرـ، فـحـامـلـ الـمـسـكـ إـمـاـ أـنـ يـحـذـيـكـ وـإـمـاـ أـنـ تـبـتـاعـ مـنـهـ وـإـمـاـ أـنـ تـحـدـدـ مـنـهـ رـيـحـاـ طـيـبـةـ، وـنـافـخـ الـكـبـيرـ إـمـاـ أـنـ يـحـرـقـ ثـيـابـكـ وـإـمـاـ أـنـ تـحـدـدـ رـيـحـاـ خـبـيـثـةـ» مـنـقـوـقـ عـلـيـهـ.

فكمما أن الريح التتنة قد تعلق بالثوب ولا يشعر المرء بها، فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به.

وقد قال بعض العلماء: إن من شاهد وعرف زلة أو إثماً وقع من عالم أو داعية حرم عليه حكايتها وإشاعتها لسبعين: أحدهما: أنها غيبة. والثاني (أي: وهو الأعظم): أن إشاعتها تهون على المستمعين فعلها وتكرارها، ويسقط من قلوبهم استعظامها وجرمها، ويكون ذلك سبباً لتهوين حدوثها، فإنه يرى نفسه مضطراً لفعلها ويقول: كيف لا أقع فيها وقد وقع من هو أفضل مني وأتقى وأعلم؟!

والطبع اللئيم يميل إلى اتباع الهفوات والإعراض عن الحسنات. فإن وجدت جليسًا تذكرك الله رؤيته وسيرته فالزمه ولا تفارقه، واغتنمه ولا تستحرره، فإنها غنيمة العاقل وضالة المؤمن. والجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من جليس السوء. ولا تحكم على العزلة والمُخالطة بأن إدحهما أفضل وأولى، فهذا يختلف من حال لحال، ومن شخص لشخص.

**الفائدة الثالثة:** التخلص من الفتنة والمشاكل والخصومات، وصيانة النفس عن الخوض فيها والتعرض لأنخطرها حفاظاً لدینه؛ فقلما تخلو الحياة من العصبيات والخصومات، ومعترل هذا في سلامه وأمان.

ولما ذُكرت الفتنة أمام رسول الله ﷺ قال في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذُكرت الفتنة، فقال: «إذا رأيتم الناس قد مرّجتْ (أي: فسدت) عهودهم وخفتْ (أي: ضعفت) أماناتهم وكأنوا هكذا» وشبّek بين أصابعه. قال: فقمت إليه فقلت: كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟ قال: «الرَّمْ بَيْنَكَ، وَامْلُكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرٍ حَاصِّةٍ تُنْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَةِ». أحمد في مسنده (٢١٢ / ٢) برقم (٦٩٨٧).

وفيها أيضًا تنبية الرسول ﷺ حين فساد الزمان: فعن أبي سعيد الخدري يُحَدَّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنْمٌ يَتَبَعُ بِهَا شَعْفَ الْجِبَالِ (أي: رءوس الجبال وقممها) وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ (أي: المطر)، يَفْرُ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتْنَةِ». البخاري برقم (١٩).

**الفائدة الرابعة:** الخلاص من شرّ الناس: فإن الناس قد يؤذونك مرةً بالغبية أو سوء الظن والتّهمة، وتارة بالنميمة أو الكذب، فربما يجدون منك أعمالاً أو أقوالاً لا تبلغ أفهمهم وعقولهم؛ فيحسدونك عليهما، ويتربيصون بك فرصة للإيقاع بك. فمن خالط الناس وشاركتهم لم يسلم من وجود حاسد أو عدوٍ يُسيء الظنَّ به، وينصب المكايده له، ويدسُّ عليه الشرور والغوائل والإشاعات، والناس إذا اشتد حرصهم على أمر ما فهُمْ كما قال الله تعالى: ﴿يَخْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُوَ الْعَدُوُّ فَأَحَدُهُمْ قَاتِلُهُمْ اللَّهُ أَنَّ يُؤْكِلُونَ﴾ [المنافقون: ٤]، فلما اشتد حرصهم على الدنيا وشهواتها لا يظنو بغيرهم إلا الحرص ذاته عليهما، وفي العزلة خلاص من ذلك.

وقد قيل: عاشرة الأشرار تورث سوء الظن بالآبرار.

وقيل لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه: ألا تأتي المدينة؟ قال: ما يجيء فيها إلا حاسد نعمة، أو فرح بنعمة. وقال ابن السمّاك : إِنَّ النَّاسَ كَانُوا دَوَاءً يُتَداوِي بِهِ، فَصَارُوا دَاءً لَا دَوَاءَ لَهُ، فَفِرَّ مِنْهُمْ فَرَارَكَ مِنَ الْأَسْدِ.

وفي العزلة ستر على الناس؛ إذ المعتزل مستورٌ بأخباره عن الناس، ومستورٌ بأخبار الناس عنه، فإذا اختعلط بالناس هتك سترورهم. وعن الحسن البصري : قال: أردتُ الحجَّ فسمع ثابتُ البُنَانِيُّ بذلك، فقال: بلغني أنك تريد الحجَّ، فأحبيت أن أصحبك. فقال له الحسن: ويحك، دعنا نتعاشر بستر الله علينا، إني أخاف أن نصطحب فيرى بعضاً من بعضٍ مانتماقت (أي: نبغض) عليه. ففي العزلة بقاء الستر على الدين والمرءة والأخلاق والفقر وسائر العورات. فيقال في فوائد السترة: يَخْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنْ الْتَّعْفِ [البقرة: ٢٧٣]، ولا يخلو الإنسان في دينه ودنياه وأخلاقه وأفعاله من عورات، ومن الأولى والأفضل له في دينه ودنياه أن يسترها، ولا سلامٌ مع انكشفها.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: كَانَ النَّاسُ وَرَقًا لَا شوَكَ فِيهِ، فَالنَّاسُ الْيَوْمَ شَوَكٌ لَا وَرْقَ فِيهِ. وقيل لبعضهم: ما حملك على أن تعتزل الناس؟ قال: خشيت أن أسلب ديني ولاأشعر. وقال بعضهم: أَقْلِلِ الْمَعْرِفَةَ؛ فإنه أسلمٌ لدينك وقلبك، وأخفٌ لسقوط الحقوق عنك؛ لأنَّه كلما كثرت المعرفة كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع.

**الفائدة الخامسة:** أن ينقطع عنك طمع الناس وطمعك عنهم:

أما انقطاع طمعهم عنك: فذلك أن رضاهم غاية لا تدرك، فانشغال المرء بصلاح نفسه أولى، وهناك من الحقوق الهينة التي تضيع الأوقات الكثير، والأعذار في كل الأوقات صعبة، فتنشأ العداوة عند التقصير. ولهذا قيل: مَنْ عَمَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ بِالْحَرْمَانِ رَضُوا عَنْهُ كُلُّهُمْ، وَلَوْ خَصَّصَ الْبَعْضَ لِغَضْبِهِ وَنَفَرُوا مِنْهُ.

وقال عمرو بن العاص: كثرة الأصدقاء كثرة الغراماء (أي: كثرة طالبي الحقوق).

وقال الشافعى: أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام.

وأما انقطاع طمعك عنهم: فإن مخالطة الدنيا وأصحابها تحرك الطمع والحرص إلى زهرة الدنيا وزيتها. وقد قال رسول الله في الحديث الذي رواه أبو هريرة: «انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر لا تزدرو نعمة الله عليكم». مسلم برقم (٢٩٦٣). وقال الله تعالى: ﴿لَا تَمْدَدَ عَيْنَكَ إِلَىٰ مَا مَتَعَنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا خِفْضَ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

وقال عون بن عبد الله: كنت أجلس الأغنياء فلم أزل مغموماً؛ كنت أرى ثواباً أحسن من ثوابي، ودابة (أي: سيارة مثلاً) أعظم من دابتي، فجالست الفقراء فاسترحت.

والطمع في الدنيا يخيب في أكثر الأوقات، فليس كل من يطلب الدنيا تيسر له.

**الفائدة السادسة:** الخلاص من مخالطة الحمقى والثقلاء وتحمل أخلاقهم وتصرفاتهم: قال الشافعى: ما جالست ثقلاً إلا وجدت الجانب الذي يليه من بدني كأنه أثقل على من الجانب الآخر. وقال جاليوس: لكل شيء حمى، وحمى الروح النظر إلى الثقلاء.

ولو تأذى الإنسان برأوية الحمقى والثقلاء لم يأمن وقوعه في غيتيهم، فإذا ردوا عليه جره ذلك إلى الرد عليهم بما هو معصية لله، وفي العزلة عنهم سلامه الدين.

**فوائد الاختلاط بالناس وآفات العزلة:** هناك من المقاصد والمنافع والمصالح ما يستفاد من الاستعانة بالآخرين ومخالطتهم، فكل ما يستفاد من المخالطة مما لا يكون بالعزلة؛

فهو من مصارّ العزلة وآفاتها.

**الفائدة الأولى: التعليم والتعلم:** التعليم والتعلم هما أعظم العبادات في الدنيا، ولا يكون ذلك إلا بالمخالطة، والمحتاج إلى تعلم ما هو مفروض شرعاً عليه يكون عاصياً لو اعتزل الناس قبل التعلم، فلو تعلم ما هو مفروض عليه كما بينه العلماء فله أن يعتزل بعد ذلك، ولا ينشغل بالعلوم الأخرى.

وإن أعطاه الله نصيباً من الفهم والذكاء بحيث يكون في مقدوره أن يصبح بارزاً في العلوم، متفقهاً عالماً؛ ففي عزلته خسران كبير له وللأمة، ولهذا قال النخعي لمن أراد الاعزال: تفقّه ثم اعزل. فمن اعزل قبل التعلم فهو في الغالب مضيع لأوقاته في النوم والفكير الساذج، وغاية ما يستطيع أن يملاً أوقاته بالأذكار، وقد يصييه بذلك نوع من الغرور أو سوء في اعتقاده في الله وصفاته وهو لا يعلم، ولا يجد من ينصحه، فلا خير في اعتزال العوام أو الجهال (أي اعتكافهم وخلوتهم) إذ إن العلم هو أصل الدين.

ويقصد بالجهال أو العوام من لا يحسنون دينهم وعبادتهم، ولا يعرفون جميع ما يلزمهم شرعاً. ومثال ذلك: لو أن مريضاً جاهلاً خلا بنفسه بعيداً عن الطبيب، ودون أن يتعلم الطب؛ لتضاعف مرضه. فالاعتكاف والعزلة والخلوة لا تليق إلا بالعالم. وتعليم الناس فيه ثواب عظيم وعمل محمود إذا صحت نية المعلم والمتعلم أيضاً، وإن كان القصد بالتعلم الجاه والمكانة بين الناس فهو هلاك الدين، ولهذا نبه بعضهم على خطورة هذه النوايا وحذر من فساد بعض المتعلمين لغير الله،

**قال أبو سليمان الخطابي: دع عنك الراغبين في صحبتك والتعلم منك، فليس لك منهم مال ولا جمال (أي: لن يبذلوك مالاً يكافئونك، ولن تجد منهم من تتجمل به أمام الناس).**

ثم وصفهم فقال: إخوان العلانية أعداء السرّ، إذا لقوك تملقوك، وإذا غبت عنهم سلقوك (أي: اغتابوك)، من أتاك منهم كان عليك رقياً، وإذا خرج كان عليك خطيباً (أي: يلاحظونك عند القرب منك، ويتكلمون في حبك إن خرجوا من عندك) أهل نفاقٍ ونميمة وغلٌ وخديعة، فلا تغترّ باجتماعهم عليك، فما غرضهم العلم، بل الجاه والمال، وأن يتخذوك

سلماً إلى أغراضهم و حاجاتهم، إن قصرت في غرضهم كانوا أشد أعدائك، ثم يعودون مجئهم إليك للتعلم منك منه منهم عليك، بل واجباً و حقاً عليك، ويفرضون عليك أن تبذل عرضك وجاهك و دينك لهم، و يريدون أن تعادي عدوهم، و تنصر قريهم، وتكون لهم تابعاً بعد أن كنت رئيساً.

ولهذا قيل: اعتزالك العامة من الناس مروءة تامة فيك.

**الفائدة الثانية: النفع والاتفاق:** أما الانتفاع بالناس: فيقصد به الكسب والمعاملة المالية، والمحتاج إليه مضطر لترك العزلة و مخالطة الناس في مواجهة طلب الحال من الرزق، فإذا قصد الكسب للتصدق بذلك أفضل من العزلة، وإن ملك ما يكفيه من المال فله أن يعتزل، على أن يكون ذلك قربة إلى الله بالتفكير في آلات ونعماته.

وأما النفع: فهو أن ينفع الناس بما يملك من مال أو جاه أو سلطان أو قوة بدن؛ ليقضي حواجتهم، ومن قدر على ذلك مع القيام بحدود الشرع فهو أفضل من الاعتزال، إن كان شغله في الاعتزال هو نوافل الصلوات والأعمال البدنية، فإذا فتح له باب العمل بالقلب بدوام الذكر والتفكير فالاعتزال في حقه أفضل.

**الفائدة الثالثة: التأدب والتأديب:** أما التأدب: فيكون بتربيه النفس بالتعامل مع الناس، والمجاهدة في تحمل أذاهم؛ ليكسر نفسه ويقهر شهواته، وهذا أفضل من العزلة في حق من يحتاج إليه، وينبغي أن يعلم أن ترويض النفس لا يراد لذاته، ولا يكون كمن اشتغل طول عمره بترويض وتعليم وتأديب الدابة ولم يركبها، فهي فائدة، ولكن المقصود ركوب الدابة، فالتأديب للنفس يراد لعمل الطاعات، ولتكون مطية للقلب يركبها؛ ليسلك بها طريق الآخرة. وأما التأديب: فهو أن يكون سبباً في تأديب وتربيه غيره ممن يحتاجون إليه، و المخالطة هي الوسيلة لتهذيبهم، وهذا أفضل من العزلة، وإن كان يحتاجها أحياها.

**الفائدة الرابعة: الاستئناس بالناس وإيناسهم:** قال عليه السلام: «عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لَا يَمْلُلُ اللَّهُ حَتَّى تَمْلُلُوا» متفق عليه. فإن القلوب إذا أكرهت بالمواعظ كثيراً عميت، وفي الوحدة والاعتزال وحشة في النفس، وفي المجالسة والمخالطة أنس يروح القلب، وهي

الأولى من العزلة والخلوة، والرفق بالعبادة من الحزم والكياسة؛ لأن النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروح بالمباحات، وإلا فترت الهمة وضعفت، ولا يستغني المعتزل عن رفيق وجليس يستأنس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة حيناً من الوقت، وليجتهد في أن يكون صالحًا لا يفسد عليه سائر يومه بالفسق والمعاصي في تلك الساعة.

**الفائدة الخامسة: في الحصول على التواب لكلا الطرفين:** فحضور الجنائز وعيادة المريض والأعياد والصلوات المكتوبات وعقود الزواج وغيرها مما يثاب عليه الفرد ويدخل السرور على أخيه، وكذلك يفتح باب زيارته شخصياً وتهنته وتعزيته حسب الأحوال، فينالون ثواب الزيارة. وعلى العموم يتوازن صاحب الأمر في أيهما أولى عنده: المخالطة على هذا الشكل أم العزلة احتياطاً لدینه.

**الفائدة السادسة: التواضع:** وهو من أفضل الأخلاق، ولا يقدر عليه إلا بالمغالطة، ويخشى أن يكون الكبر والخياله مما سبب عزلة الإنسان عن الناس، فليحذر ذلك، والعزلة لسبب الجهل أو حصول الجاه عند الناس بانتسابه للزهد والاعتزال، فهذا كذلك من الجهل، فالمخالطة هنا أفضل للعبد.

وقيل للحسن البصري : إن قوماً يحضرون مجلسك ليس بغيتهم إلا تتبع سقطات كلامك وإجهادك بالأسئلة المتعنتة. فتبسم وقال: هُونَ عَلَى نَفْسِكَ، فإني حذرت نفسي بُسْكَنَى الْجَنَانَ وَمَجاوِرَةَ الرَّحْمَنِ؛ فطمئت في ذلك، وما حذرت نفسي بالسلامة من ألسنة الناس؛ لأنني قد علمت أن خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم.

وروي أن موسى عليه السلام قال: يا رب، احبس عني ألسنة الناس. فقال: يا موسى، هذا شيء لم أصنعه لنفسي فكيف أفعله بك؟ فمن حبس نفسه في بيته عزلةً عن الناس ومقصده من ذلك أن يحسن اعتقاد الناس فيه بالزهد والعلم والورع؛ فهو في خطأ ومصيبة. إذن لا تستحب العزلة إلا لمستغرق الأوقات بربه ذكرًا وفكراً وعبادةً وعلماً، بحيث لو خالطه الناس لضاعت أوقاته وكثرت عيوبه وآفاته، ولتشوشت عليه عباداته.

**الفائدة السابعة: التجارب:** فبمخالطة الخلق يستفيد المرء من تجارب الناس وممارستهم، فلا خير في عزلة من لم تحنكه التجارب الإنسانية، فمن اعتزل الناس بقي بعيداً عن الخبرات والتجارب المفيدة التي تعلمه شؤون حياته، بل وتكشف له عن عيوب نفسه، فكل غضوب أو حسود لا يستطيع أن يعرف هذه الأمراض إلا بالمخالطة الصالحة. فالقلب المشحون بالحقد والبخل والحسد والغضب وسائر الأخلاق الذميمة إنما تتفجر منه خبائثه إذا خالط الناس وتحرك بينهم لتركية قلبه.

وقد حُكِي عن بعض الصالحين أنه قال: أعدت صلاةً ثلاثين سنةً مع أني كنت أصلّيها في الصف الأول، ولكن تخلفت يوماً بعدن فوقفت في الصف الثاني، فوجدتني أستشعر الخجل من نظرات الناس وقد سُيِّقتُ من غيري للصف الأول، فعلمتُ أن جميع صلواتي التي كنت أصلّيها كانت ممزوجةً بالرياء وباللذة من نظر الناس إلى أني من زمرة السابقين.

فالمخالطة لها فائدة عظيمة في استخراج خبائث النفس. والسفر نوع من المخالطة الدائمة مع المشاق التي فيه، فهو يسفر عن أخلاق الناس، فليستعن به الإنسان على معرفة عيوب نفسه. وأخيراً إذا ظهر لنا فوائد العزلة أحياناً، وعيوبها أحياناً أخرى؛ علمت أن الحكم عليها مطلقاً بالفضيل وأنها أفضل من المخالطة، أو أن المخالطة أفضل؛ فهذا خطأ. بل ينبغي أن ينظر للشخص وحاله، وإلى المخالطين له وحالهم، وإلى نية المخالطة، وإلى الأضرار التي تأتي بالمخالطة، وتقاس المصالح والمفاسد لتبيّن أيهما أفضل للعبد في حاله هذا.

**وكلام الشافعى :** هو فصل الخطاب حيث يقول: الانتقام عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجيبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط. فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة، ويختلف ذلك بالأحوال والمصالح والمفاسد.

**آداب العزلة:** من أراد العزلة بأصولها ورأها أفضل له وأسلم فله آداب في عزلته:

الأول: أن ينوي بعزلته كفَ شَرّ نفسه عن الناس.

الثاني: أن يطلب بعزلته بعد عن الأشرار ليس لم من شرّهم.

الثالث: التخلُّص من عيب التقصير الذي يكون في حقّه عند القيام بحقوق المسلمين.

الرابع: التجُّرد لعبادة الله بالهمة والتفرغ.

الخامس: أن يواظِب على طلب العلم والذكر والفكير في عزلته؛ ليجني ثمرة العزلة.

السادس: أن يمنع الناس أن يُكثروا من زيارته؛ لئلا يضيع بهذا وقته.

السابع: أن يَكُفَّ عن السؤال عن أخبار الناس، أو الإصغاء إلى ما يشغلهم من أحداث خارجية؛ فإن ذلك يشوش عليه صلاته وخشوعه.

الثامن: أن يقنع باليسير من المعيشة، وإلا لو أراد التوسيع فعليه بالمخالطة.

التاسع: أن يبقى صبوراً على ما يلقى من أذى الآخرين، سواء في العزلة أو خارجها، سواء ما قيل فيه بالثناء أو الذم والقبح، وإن فسيؤثر ذلك في قلبه ويشغله عن مقصوده وهو حضور قلبه مع جلال الله وصفاته وملكته.

العاشر: أن يتخذ زوجة صالحة في بيته أو جليسًا صالحًا يزوره، تستريح له نفسه ساعة من اليوم؛ ففيه عون على باقي الساعات.

الحادي عشر: أن يقطع طمعه في الدنيا، ويَقْصُر أمله فيها، ويُقدِّر أنه إذا أصبح لم يُمسِ، وإذا أمسِ لا يصبح.

الثاني عشر: ليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر ووحشته إذا ضاق قلبه من الوحدة والاعتزال، ولتعلم أن من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فإنه لن يطيق وحشة القبر ووحدته، وأن من أنس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت أنسه، بل يبقى حيًّا بمعرفته ربه، ومستأنسًا بفضله ورحمته وفضله.

**٧٠- باب فضل الاختلاط بالناس وحضور جمعهم وجماعتهم،**  
**ومشاهد الخير، ومجالس الذكر معهم، وعيادة مريضهم، وحضور جنائزهم،**  
**ومواساة محتاجهم، وإرشاد جاھلهم،**  
**وغير ذلك من مصالحهم لمن قدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقمع**  
**نفسه عن الإيذاء وصبر على الأذى**

اعلم أنَّ الاختلاط بالناسِ عَلَى الوجه الَّذِي ذَكَرْتُهُ هُوَ المختارُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ رسولُ اللهِ ﷺ وسائر الأنبياء صلواتُ الله وسلامه عَلَيْهِمْ، وكذلك الْخُلُفَاءُ الرَّاشِدُونَ، ومنْ بَعْدِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالْتَّابِعِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَخْيَارِهِمْ، وَهُوَ مَذَهَبُ أَكْثَرِ التَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدُهُمْ، وَبِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَأَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَتَعَاوَبُوا عَلَى الَّذِي وَالنَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]. والآيات في معنى ما ذكرته كثيرة معلومة.

\* \* \*

### (آداب الصحابة والاختلاط بالناس)

اعلم أنَّ الألفةَ بين الناس تأتي بعد الاختلاط بهم بحسن الخلق، وأنَّ الحب في الله ثمرة هذا كله، وهو أفضلي القربات عند الله؛ حيث يقول الله تعالى في حديث قدسي:

«وَجَبَتْ مَحِبَّتِي لِلْمُتَحَابِينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَارِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَازِلِينَ فِيَّ».

مالك في موطنه (٢/٩٥٣) برقم (١٧١١)، صحيح الألباني ( صحيح الجامع الصغير ) حديث (٤٣٣١).

قال النبي ﷺ: «أَوْثُقُ عَرَقَ الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ وَتُبْغِضَ فِي اللهِ». أَحمد في مسنده (٤/٢٨٦) برقم (١٨٥٤٧)، وقال الأرنؤوط: حديث حسن بشواهد، وصححه الألباني ( صحيح الجامع الصغير ) حديث (٢٠٠٩).

وقال ﷺ مُحذِّراً من الصحة السيئة وآفاتها: «الْمُرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيُنْسِرُ أَحَدُكُمْ مَنْ يُحَالِلُ». أَحمد في مسنده (٢/٣٠٣) برقم (٨٠١٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده جيد، وحسنه الألباني ( صحيح الجامع الصغير ) حديث (٣٥٤٥).

ولا يصلاح للصحبة كل أحد، بل ينبغي أن تكون فيه خمس خصال:

- ١- أن يكون الصاحب عاقلاً: لأن العقل رأس مال العبد، ولا خير في صحبة الأحمق، والعاقل هو من يفهم الأمور بطريقة صحيحة.
- ٢- أن يكون حسن الخلق: فلا يكفي العقل إذ ربما تغلبه الشهوة والغضب فُطِيع هواه بدلاً من عقله.
- ٣- ألا يكون فاسقاً: لأن مرتكب الكبيرة لا يخاف الله تعالى فلا يُوثق به.
- ٤- ألا يكون صاحب بدعة في دينه.
- ٥- ألا يكون حريصاً على الدنيا حرضاً مذموماً يصرفه عن آخرته.

قال عمر رضي الله عنه: عليك بإخوان الصدق تعيش في أكبافهم؛ فإنهم زينة في الرخاء، وعدة في البلاء، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يُعدك عنه، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من يخشى الله، ولا تصبح الفاجر فتتعلّم من فجوره، ولا تُطلعه على سرك، واستشر في أمرك من يخشى الله تعالى.

**حقوق المرأة على أخيه :** وعلى الإنسان لأخيه حقوق:

**الحق الأول:** قضاء حاجاته والقيام بها مع البشاشة والاستبشرار، فيقوم بها إذا سأله حاجة، والأفضل أن يقضيها من غير سؤال، أما الأفضل والأعلى من ذلك أن يقدمه على حوائج نفسه، وكان بعض السلف يتقدّم عيال أخيه بعد موته أربعين سنة فيقضي حوائجه.

**الحق الثاني:** أن يسكت عن ذكر عيوبه في حضوره وغيبيته، وأن يكتم سره، ولو حدث بينهما قطيعة وخصام، ولا يقدح في شخصه أبداً.

**الحق الثالث:** أن يسكت عن كل ما يكره إلا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال ابن المبارك : المؤمن يطلب المعاذير (أي: يلتزم لأخيه الأذار) والمنافق يطلب الزّلات (أي: الأخطاء).

قال الفضيل بن عياض : الصَّفْحُ عن الزَّلَاتِ، فَلَا يُسِيءُ الظَّنَّ بِهِ، بَلْ يُحِبُّ لِهِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ.

**الحق الرابع:** أن يتكلم بما يجب في حق أخيه من التودُّد والسؤال عنه والثناء عليه بما عرف عنه من محاسنه، وأن يشكّره على معروفة في حقه، وأن يردد عنه في غيبته إذا أراد أحد الإساءة إليه، وأن يدعوه ويعلمه وينصح له، ول يكن النصح سراً.

**الحق الخامس:** الدعاء له في حياته وبعد مماته: وفي الحديث الشريف: **«دُعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهَرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ»** [مسلم برقم (٢٧٣٣)]. وكان السلف يدعون لإخوانهم كثيراً.

**الحق السادس:** الوفاء له والإخلاص: فيثبت على حبه إلى الموت وبعد الموت مع أهله وأولاده وأصدقائه، ولا يتغير عليه إن ارتفع مقامه فيعامله بالتواضع ولا يصادق عدوه.

**الحق السابع:** ألا يكلّف أخاه ما يشّقّ عليه من الطلبات، بل يتعرّف ولا يسأله المعونة والتقدّم.

**آداب معاشرة الناس:** وهذه بعض آداب معاشرة الخلق أو حسن الع العشرة:

-أن تلقي صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهما ولا خوف منهما.

-وأن تتواضع في غير ذلة.

-وأن تكون وقوراً في غير كبر.

-وكن في جميع أمورك في أوسطها.

-وتحفظ من تخليل أسنانك، وإدخال إصبعك في أنفك، وكثرة بصاقك، وكثرة التمطي والثأب في وجود الناس.

-ومن حسن العشرة أن يكون المجلس هادئاً والحديث مرتبًا.

-وأن تصغي إلى محدثك دون مبالغة في التعجب.

-ولا تتصرّع تصنّع المرأة في التزيين، ولا تهمل في ثيابك.

-ولا تشجع في مجلسك أحداً على الظلم.

-واجعل أهلك يهابونك من غير عنف، وكن ليناً معهم في غير ضعف.

-ولا تسقط وقارك بكثرة الهزل والضحك.

-ولا تجالس صاحب سلطة؛ فإن اضطُررت فاحذر الأخطاء والغيبة والنميمة، وكن كتوماً لسره، واحذر من الأعمال المستقبحة عنده مثل: التَّجَشُّؤُ، والشَّاؤُبُ، وتخليل الأسنان، والمزاح. وكن منه على حذر، ولا تأمن انقلابه ضدك. وكن به رفيقاً، وكلمه بما يرضيه.

-ولا تَجْعَلْ حَرْصَكَ عَلَى طَلَبِ الْمَالِ يُهُوَّنْ عَلَيْكَ حَفْظَ عِرْضَكَ.

-وإذا دخلت مجلساً فاجلس بالأدب منذ البداية بالتسليم، وترك التخطي للآخرين، والجلوس حيث اتسع المكان وأقرب للتواضع، وأن تُسلِّمْ على من قرب منك عند الجلوس.

-ولا تجعل جلساتك الخاصة على قارعة الطريق، فإذا جلست فُغضِّ البصر، وانصر المظلوم والملهوف، وساعد الضعيف، وأرشد الضال إلى الطريق، ورد على السائل، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر.

-وإياك والتکلف في ممتازة العاقل الليب أو غير الليب: فإن الليب يغضب منك ويحقد عليك؛ لأنك قد تسبب له إحراجاً أو استهزاء، والسفيه سوف يجريء عليك؛ لأن كثرة المزاح تسقط الهيبة وتنسي القلوب.

\* \* \*

## ٧١- باب التواضع ونفخ الجناح للمؤمنين

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ أَبْعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ شَجَرُهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ أَذْلَلُهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَلُهُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُورًا وَبِإِلَيْلٍ لِتَعَارُفُوا إِنَّ أَكْثَرَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْقَنُكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تُرْزُكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَنْقَنَ﴾ [النجم: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَصْبَحَ الْأَكْعَارَافِ رِجَالًا يَرِوُنَهُمْ بِسِيمَدُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾٦٩﴿ أَهَتُؤْلِئِكُمْ أَقْسَمَتُمْ لَا يَنَاهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا حَوْفٌ عَيْنَكُمْ وَلَا آنْسٌ مَحْزُونَ ﴾٦٩﴾ [الأعراف: ٤٩، ٤٨].

(٦١) / ٦٠١) وعن عياض بن حمار رض قال: قال رسول الله صل: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يُفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يُغَيِّرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ». رواه مسلم.

(٦٢) / ٦٠٢) وعن أبي هريرة رض: أنَّ رسول الله صل قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ». رواه مسلم.

(٦٣) / ٦٠٣) وعن أنس رض: أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صَبَيَانٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وقال: كَانَ النَّبِيُّ صل يفعله. متفق عليه.

(٦٤) / ٦٠٤) وعنه قال: إنَّ كَانَتِ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ الْمَدِينَةِ لَتُؤْخُذُ بِيَدِ النَّبِيِّ صل فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ! رواه البخاري.

(٦٥) / ٦٠٥) وعن الأسود بن يزيد رض قال: سُئِلَتْ عائشةُ رض: مَا كَانَ النَّبِيُّ صل يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قالت: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ -يعني خِدْمَةِ أَهْلِهِ- فإذا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ. رواه البخاري.

(٦٦) / ٦٠٦) وعن أبي رفاعة تميم بن أسييد رض قال: انتهيتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صل وَهُوَ يُخْطِبُ، فقلت: يَارَسُولَ اللَّهِ، رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عَنِ دِينِهِ لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صل، وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انتهَى إِلَيَّ فَأَتَيَ بِكُرْسِيٍّ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يُعَلَّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَاتَّمَ آخِرَهَا. رواه مسلم.

(٦٧) / ٦٠٧) وعن أنس رض: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صل كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا، لَعَقَ أَصَابَعَهُ الشَّلَاثَ. قَالَ: «إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةٌ أَحَدُكُمْ فَيُمْطِطُ» (أي: فَلْيُرُي وَلْيُبْعِدْ) عَنْهَا الْأَذْى، وَلِيَأْكُلُهَا وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ». وأمرَنَا أَنْ نُسْلِمَ الْقَصْبَةَ (أي: أَنْ يُتَبَعَ مَا بَقِيَ فِيهَا مِنْ طَعَامٍ وَلَيُؤْكَلُ)، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامٍ كُمُّ الْبَرَكَةِ». رواه مسلم.

(٦٨) / ٦٠٨) وعن أبي هريرة رض: عن النَّبِيِّ صل قال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ». قَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ» (أي: جمع قيراط، وهو جزءٌ من أجزاء

الدينار) لِأَهْلِ مَكَّةَ». رواه البخاري.

(٧١ / ٦٠٩) وعن النبي ﷺ قال: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ (أي: هو ما دون الركبة من ساق البقر والغنم، ويكون دقيقاً ليس به لحم) أَوْ ذِرَاعَ لِأَجْبَتْ، وَلَوْ أَهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ». رواه البخاري.

(٧١ / ٦١٠) وعن أنس بن مالك قال: كَانَتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعَصْبَاءُ (أي: هو اسم ناقة رسول الله ﷺ) لَا تُسْبِقُ، أَوْ لَا تَكَادُ تُسْبِقُ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَوْدٍ (أي: إيل لم ترُلْ بعد في المرات الأولى للركوب عليها) لَهُ فَسَبَقَهَا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَتَّى عَرَفُوهُ، فَقَالَ: «حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَلَا يَرْتَفَعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ». رواه البخاري.

\* \* \*

### (التواضع)

التواضع: هو انخفاض وتذلل، فهو الخضوع والانقياد للحق، وقبوله ممن قاله، وهو الاستسلام للحق وترك الاعتراض عليه في الحكم.

وفي هذا قال الجنيد : التواضع هو خفض الجناح، ولين الجانب.

وقال ابن عطاء الله : هو قبول الحق ممن كان، والعز في التواضع، ولا يطلب العز بالتكبر، وإنما فهو كمن يطلب الماء من النار.

وقال إبراهيم بن شيبان : الشرف في التواضع، والعز في التقوى، والحرية في القناعة. فالمتواضع شريف بين الناس بتواضعه، والتقي عزيز بينهم، والقانع حر لا يتحكم فيه أحد ولا شهوة ولا رغبة.

وقال سفيان الثوري : أعز الخلق خمسة أنفس:

- عالم زاهر، فهو رغم علمه لم يتکبر بطلب الدنيا وإنما ترهّد.

- وفقيه زاهر، فهو رغم فقهه إنما انشغل أيضاً بصلاح داخله ونفسه.

- وعنيي متواضع، فرغم غناه لم يتکبر وإنما تواضع.

- وفقير شاكر، لم يمنعه فقره من أن يكون شاكراً لربه.

- وشريف سني، وهو من كان من آل البيت ولم يتسيّع مع الشيعة، وإنما ذهب مع

أهل السنة ومذهبهم.

### **درجات التواضع :**

**الأولى: التواضع للدين:** أي بأن تتواضع في دينك، فلا تعارض بعقلك ورأيك دين الله وأحكامه، بل عليك الانقياد للرسول والاسلام والإذعان، فلا تعارض دين الله بالعقل أو القياس الفاسد أو الأحكام البشرية العقلية.

**الثانية: التواضع للمسلمين:** أي أن ترضى بأخيك؛ لأن الله ارتضاه له عبداً فكيف لا ترضاه لك أخاً؟ وتقبل الحق من تحب ومن تبغض، فتقبله من عدوك كما قبله من صديقك.

**الثالثة: أن يتواضع للحق في ذاته:** فلا يرى لنفسه حقاً على الله، بل ينفذ الأمر الإلهي طاعة وانقياداً لا برأي وهوئ، بل عبادة وليس عادة.

**الفرق بين التواضع والذلة والمهانة:** التواضع يأني من: معرفة الله، وأسمائه، وصفاته، وجلاله، وإنعامه الكثير على الخلق.

ثم من معرفته نفسه: عيوبها، وتصصيرها، وآفاتها، فيتولد عن ذلك انكسار في القلب لله، وهو خلق التواضع، ويرحم عند ذلك عباد الله، ويغفّر لهم جناح الذل من الرحمة، فلا يرى لأحد عليه فضلاً، بل لا يرى لنفسه عند أحد حقاً، ويرى الفضل للناس جميعاً عليه، وهذه نعمة يعطيها الله لمن يحب من عباده.

**وأما الذلة والمهانة:** فهي بذل النفس في الأعمال الدينية والحسيسة في نيل حظوظ النفس الأمارة بالسوء وشهوتها، فيطلبها حلالاً وحراماً، فهو ذليل لشهوته ولنفسه، أو هو يتذلل وبهين نفسه عند من لا يستحق من البشر طلباً لشيء من أشياء الدنيا وحظوظها، فهذا من الضعف والذلة والمهانة، وليس من التواضع، والله يحب التواضع ويعغض الضعف والمهانة.

### **التواضع لله : وهو نوعان:**

**أولهما:** التواضع لعظمة الله وجلاله، وخضوعه لعزته وكبرياته: فإذا نازعته نفسه للتكبر تذكرة عظمة ربها وانكسر لها، ولا يكون كإبليس الذي تكبر على ربها، فالكبر على

الله هو ذنب إبليس اللعين الذي احتجَ بالإصرار على ربّه، أما آدم عليه السلام فذنبه من الشهوة والحرص، فاتهم نفسه وأعلن توبته، فالكبير وأهله مع إبليس في جهنم، والشهوة وأهلهما المستضعفون التائبون مع أبيهم آدم عليه السلام في الجنة.

فالتكبر على شرع الله شر من الشرك؛ لأن المتكبر يتكبر على عبادة الله تعالى، والمشرك يعبد الله ومعه غيره. وكما في حديث النبي ﷺ حيث قال: **«لا يُدخلُ الجَنَّةَ مِنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كَبْرٍ»**. أي الكبُر على الله تعالى. مسلم برقم (٩١).

الثاني: التواضع لشرع الله تعالى: فيمثل أمره، ويتجنب نهيه، ولا يطيع نفسه في طلب الراحة والسكنون والهروب من العبودية والتذلل بالطاعة لله، فإن النفس الأمارة بالسوء تأبى العبودية والانقياد، فهذا هو تواضع العبودية.

ومما روي مرفوعاً: **«طُوبَى لِمَنْ تَوَاضَعَ فِي غَيْرِ مَنْقَصَةٍ** (أي: ليس لسبب معصية أو سلوك ذنب) **وَذَلَّ فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ مَسَأَلَةٍ**، **وَأَنْفَقَ مَا لَا جَمِيعَهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ**، **وَرَحِمَ أَهْلَ الدُّلُّ** **وَالْمَسْكَنَةِ**، **وَخَالَطَ أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ**، **طُوبَى لِمَنْ طَابَ كَسْبُهُ**، **وَصَلُحَتْ سَرِيرَتُهُ**، **وَكَرُمَتْ عَلَيْتُهُ**، **وَعَرَكَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ**، **طُوبَى لِمَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ**، **وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ**، **وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ**». الطبراني في «الكبير» (٥/٧١) برقم (٤٦١٥).

وقد روي عن عائشة ترفعه: **«يَا عَائِشَةُ، لَوْ شِئْتَ لَسَارَتْ مَعِي جِبَالُ الذَّهَبِ، جَاءَنِي مَلَكٌ وَإِنَّ حُجْزَتَهُ لَتُسَاوِي الْكَعْبَةَ** فقال: **إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ** ويقول: **إِنْ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا، وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا**». قال: **فَنَظَرَتِ إِلَى جِبْرِيلَ عليه السلام** قال: **فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ ضَعَفَسَكَ**. قال: **فَقُلْتُ: نَبِيًّا عَبْدًا**. أبو يعلى في «مسند» (٨/٣١٨) برقم (٤٩٢٠) بـ(ب).

وروي أن المسيح عليه السلام قال: طوبى للمتواضعين في الدنيا، هم أصحاب المنابر يوم القيمة، طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا، هم الذين يرثون الفردوس يوم القيمة، طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا، هم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيمة.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: **وَجَدْنَا الْكَرَمَ فِي التَّقْوَىِ، وَالغَنَى فِي الْيَقِينِ، وَالشَّرْفَ فِي**

التواضع. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: مَن تواضع لله تخشعًا رفعه الله يوم القيمة، ومن تطاول (أي: تكبر) تعظمًا وضعه الله يوم القيمة.

وسئل الحسن البصري : عن التواضع فقال: التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلماً إلا رأيت له عليك فضلاً.

وقيل لعبد الملك بن مروان : أئي الرجال أفضل؟ قال: مَن تواضع من قدرة، وزهد عن رغبة. وقال كعب بن مالك رضي الله عنه: ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا شكرها الله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع بها درجته في الآخرة.

وقال عروة بن الوراء : التواضع أحد مصائد الشرف (أي: يعني من تواضع فقد حاز شرفاً) وكل نعمة محسود عليها صاحبها إلا التواضع. وقال حكيم <sup>:</sup> من تكبر وترفع في موضع يتواضع الناس فيه، ابتلاه الله بالذلة في موضع يرتفع الناس فيه.

وقال عبد الله بن المبارك : رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل (أي: تواضع لمن هو أفقر منك)، وأن ترفع نفسك عنمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل (أي: لا تذل نفسك بسبب الدنيا).

وقال حكيم <sup>:</sup> أرفع ما يكون المؤمن عند الله أوضاع ما يكون عند نفسه، وأوضاع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه. وقال أيضًا: الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر.

وقال آخر: التواضع في الخلق كلهم حسن، وفي الأغنياء أحسن، والتكبر في الخلق كلهم قبيح، وفي الفقراء أقبح.

**قصة:** يُروى أن رجلاً بدويًّا فقيراً جدًا ودميم الوجه اسمه زاهر بن حرام، كان يتاجر بين المدينة والبادية، دخل المدينة يوماً بحثاً عن رسول الله ﷺ ليسلم عليه، فلم يجد النبي ﷺ في بيته، فذهب إلى السوق ليبيع ما معه من بضاعة، فإذا برجل يعانيه من ورائه، ففرز زاهر وقال: من أنت؟ أرسليني يا هذا. فحاول زاهر الإفلات من يد الرجل وفشل، فحاول التعرف عليه، فلما التفت إليه برأسه فإذا هو رسول الله ﷺ، فارتسمت على وجه زاهر

بسمة أنسه آلام فقره، ومازحه النبي ﷺ منادياً: «مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟ مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟». فنظر زاهر إلى نفسه فوجد في نفسه الفقر والدمامنة وقلة الحال، فهمس في أذن النبي ﷺ قائلاً: إذن والله تجدني كاسداً يا رسول الله. فقال النبي ﷺ: «لَكِنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ، أَنْتَ عِنْدَ اللَّهِ غَالٌ». أحمد في مسنده (٣/١٦١) برقم (١٢٦٦٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيدين.

وهذا من تواضع النبي ﷺ مع الفقراء، فالتواضع خلق كريم يقرب العبد من ربه، ويحبه إلى سائر الخلق أجمعين، المتواضع بعيد من نار جهنم يوم القيمة.

\* \* \*

## ٧٢- باب تدريم الكبر والإعجاب

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الْأَذَارُ الْآخِرَةُ بِمَعْلَمِهِ الَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعِقَبَةُ لِلْمُنْقَيِّنِ﴾ [القصص: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَصِيرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْنَاطِ فَخُورٍ﴾ [القمان: ١٨].

ومعنى ﴿وَلَا تَصِيرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ﴾: أي: تُميلُهُ وتعرِضُ بِهِ عَنِ النَّاسِ تَكْبِرًا عَلَيْهِمْ. وـ«المرح»: التَّبَخْرُ.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ قَدْرُونَ كَانُوكُنُوزُ مَمَّا يَنْهَا مُؤْمِنُوْهُمْ وَإِنَّهُمْ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنْ مَفَاتِحُهُمْ لَشَنُوا بِالْعَصْبَةِ أَوْلَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُمْ قَوْمُهُمْ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [آل إِيلَى] إلى قوله تعالى: ﴿فَسَفَّفَتِاهُمْ وَيَدَاهُمُ الْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١-٧٦].

(٦١) / ٦١٢) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كَبِيرٍ». فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبَهُ حَسَنًا، وَتَعْلُمُ حَسَنَةً! قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكَبِيرُ بَطَرُ الْحَقَّ وَغَمَطُ النَّاسِ». رواه مسلم.

«بَطَرُ الْحَقَّ»: دَفْعَهُ وَرَدَهُ عَلَى قَائِلِهِ، وـ«غَمَطُ النَّاسِ»: احْتِتَارُهُمْ.

(٦١٢) وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ قَالَ: أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيمِينِكَ». قَالَ: لَا أُسْتَطِعُ! قَالَ: «لَا مَنْعَةَ إِلَّا الْكِبْرُ». قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. رواه مسلم.

(٦١٣) وَعَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍ (أَيْ: هُوَ الْفَطَّالُ الْغَلِظُ الْجَافِيُّ، الشَّدِيدُ الْخُصُومَةُ بِالْبَاطِلِ) جَوَاظٍ (أَيْ: كَثِيرُ الْحَمْ الْمُخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ، أَوْ الْقَصِيرُ الْبَطِينُ، أَوْ الْجَمْعُ الْمُنْوَعُ الَّذِي يَجْمِعُ الْمَالَ وَيَخْلُ بِهِ مُسْتَكْبِرٌ). متفق عليه، وتقدم شرحه في باب ضعفة المسلمين.

(٦١٤) وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْحُدْرِيِّ قَالَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اْحْتَجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَاتَ النَّارُ: فِي الْجَبَارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَاتَتِ الْجَنَّةُ: فِي ضُعْفَاءِ النَّاسِ وَمُسَاكِينِهِمْ. فَقَضَى اللَّهُ بَيْنَهُمَا: إِنَّكِ الْجَنَّةَ رَحْمَتِي، أَرْحَمْتِكِ مِنْ أَشَاءُ. وَإِنَّكِ النَّارَ عَذَابِي، أَعَذَّبْتِكِ مِنْ أَشَاءُ. وَلَكِلِيَّكُمَا عَلَيَّ مِلْءُهَا». رواه مسلم.

(٦١٥) وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَنْظُرُ (أَيْ: لَا يَرْحِمُ) اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَ إِزَارَهُ بَطَرًا (أَيْ: تَكْبِرًا وَطَغَيَاً). متفق عليه.

(٦١٦) وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُرِيكُهُمْ (أَيْ: لَا يُطَهِّرُهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ)، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخُ زَانٍ، وَمَلِكُ كَذَابٍ، وَعَائِلُ مُسْتَكْبِرٍ». رواه مسلم. العائِلُ: الفَتَّيْرُ.

(٦١٧) وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْعِزُّ إِزَارِيُّ، وَالْكُبْرَيْأُّ رِدَائِيُّ، فَمَنْ يُنَازِعْنِي عَذَبَتِهُ». رواه مسلم.

(٦١٨) وَعَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ (أَيْ: الْحُلَّةُ: ثُوبانٌ أَحْدَهُمَا فُوقُ الْأَخْرَى، أَوْ إِزَارٌ وَرِداءٌ) تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ، يَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَّلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». متفق عليه. مُرَجِّلٌ رَأْسُهُ: أَيْ: مُمْشَطٌ. يَتَجَلَّلُ: بِالْجِيمِينِ؛ أَيْ: يَعُوضُ وَيَنْتَرُ.

(٦١٩) وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَرَأُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي الْجَبَارِينَ، فَيُؤْصِيُهُ مَا أَصَابَهُمْ». رواه الترمذى، وقال: حديث حسن.

يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ: أَيْ: يَرْتَفِعُ وَيَكْبَرُ.

## (الكِبْر)

الكِبْر: أن يرى الإنسان نفسه فوق الآخرين وأفضل منهم، وأن له من الحق ما ليس لغيره. وهو استعظام للنفس واستحسان ما فيها من الفضائل؛ لأن المتكبر قد يكون له منزلة ما وفضل ما، ولكنه يرى نفسه أكبر من هذه المنزلة وذلك الفضل، فيستهين بالناس، ويستصغرهم، ويترفع عليهم. فالكبر بطر الحق؛ أي رفض الحق والحقيقة، فلا يعجبه إلا الحق الذي يراه هو، وهو أيضًا غمط الناس؛ أي احتقارهم واستصغار شأنهم. والكبر يكون في النفس.

أما التكبر فيقال لما ظهر من أعمال الكِبْر على جوارح الإنسان. والكبر منبع الشقاء؛ فهو يحجب صاحبه عن الجنة؛ لأن المتكبر بسبب كبره يغلق باب الأخلاق الفاضلة، فلا يقدر أن يحب لغيره ما يحب لنفسه وهو يرى أنه الأفضل، وعزّة نفسه تأبى التساوي مع الآخرين، ولا يحب التواضع، ولا يترك الحقد والحسد، ولا يقدر على ترك الغضب ولا كظم الغيظ، ولا يقبل النصح.

فَمَا مِنْ خُلُقٍ ذمِيمٍ إِلَّا وَصَاحِبُ الْكِبْرِ مُتَمَسِّكٌ بِهِ؛ لِيَحْفَظْ عِزَّةَ نَفْسِهِ، وَمَا مِنْ خَلْقٍ  
كَرِيمٍ إِلَّا وَصَاحِبُ الْكِبْرِ يَخَافُ مِنْهُ؛ خَشْيَةً أَنْ تَهْتَزِ مَكَانَتِهِ الَّتِي يَرَاها وَيَرْغُبُ بِهَا بَيْنَ  
النَّاسِ، وَشَرُّ أَنْوَاعِ الْكِبْرِ مَا يَمْنَعُ مِنْ قَبْولِ الْعِلْمِ وَالْحَقِّ وَالْإِنْقِيادِ لَهُ.

وروي أن المسيح عليه السلام قال: إن الزرع ينت في الأرض السهلة ولا ينت على الحجارة، كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع ولا تعمل في قلب المتكبر.

**أقسام الكبر:** وهي ثلاثة:

**الأول: التكبر على الله تعالى:** وهو كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدِ الْخَلُقَنَ جَهَنَّمَ دَارِخِيرِتَ﴾ [غافر: ٦٠]، وأكبر ما ظهر في إيليس الذي تكبر على الله تعالى، وفي فرعون الذي قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤].

**الثاني: التكبر على الرسل:** فيأتي المتكبر الانقياد لبشر مثله، كما قال تعالى: ﴿أَتُؤْتُنُ لِشَرِكَنِنَا وَقَوْمَهُمَا لَنَا عَيْدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ﴾ [النازعات: ٣٥].

**مثلك** [يس: ١٥]، أو كما قالت قريش: **لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنَ** **عَظِيمٌ** [الزخرف: ٣١]، أو كما فعل اليهود حينما حسدوا الرسول ﷺ وأبوا الانقياد له: **فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ** [آل عمران: ٨٩]. وهذا الكبر قريب من التكبر على الله **عَنْهُكُمْ**، وإن كان أقل منه، ولكنه في آخر الأمر تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله ﷺ.

**الثالث: التكبر على العباد:** وذلك بأن يستعظم نفسه ويحتقر غيره، فالمستعظم نفسه فقط هو المعجب بنفسه فإذا زاد على ذلك احتقار الآخرين فهو المتكبر، وابتكره على الخلق فإنه ينazu الله في حقه؛ فيقول النبي ﷺ: **الْعِزُّ إِذَا رُأَيَ أَكْبَرَ يَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ**» [مسلم برقم (٢٦٢٠)]. ثم هو باحتقاره للناس يستنكف (يتكبر) أن يقبل الحق على أسلتهم كما قال تعالى: **وَإِذَا قِيلَ لَهُ أَتَقْ أَلَّهُ أَخْذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسِبَهُ جَهَنَّمُ وَلِئَلَّهُ أَمْهَادُ** [آل عمران: ٢٠٦]. ولعل هذا يجره إلى التكبر على حكمة الله إذا قدم عليه أحد من البشر بميزة أو بفضل، فيفعل فعل إبليس ويقول: أنا خير منه، وأنا أولى منه بالرياسة والتقدمة. فيجره هذا إلى التكبر على الله ورسله أيضاً.

**أسباب الكبر:** وال الكبر لا يأتي إلا بعد أن يوجد عند المتكبر سبب من أسباب الكمال أو الفضل في الدين أو الدنيا. فأما الأسباب الدينية فهي العلم والعمل، وأما الأسباب الدنيوية فهي النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأتباع.

**السبب الأول: العلم:** وحصول العلم كمال في العبد؛ فيستشعر في نفسه ذلك ويحتقر الآخرين كأنهم البهائم؛ لجهلهم، فهو يرى نفسه أفضل عند الله منهم، فيتظر من الآخرين البدء في السلام، والحرص على إكرامه وشكره وزيارةه، ولا يلتفت هو إلى الاهتمام بهم، وذلك بسبعين:

الأول: أن يستغل بطلب العلم في صورته ليحسن الكلام مع الآخرين، ويُظهر فضله، ولا يطلب العلم الحقيقي الذي يعرف به ربّه ويعرف نفسه؛ الذي يُورثه الخشية والتواضع: **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَاءُ** [فاطر: ٢٨]، فالعلم هو معرفة العبودية ولوازمها والربوبية وطريق العبادة، أما علوم الحياة وفنونها كعلم الطب

والحساب واللغة والشعر فإذا امتلاً بها عقل الإنسان دون التقوى والهداية فهي سبيل للتكبر والنفاق.

**الثاني:** أن يطلب العلم وهو خبيث النفس سيءُ الأخلاق، وينسى تهذيب نفسه وخلقه، والعلم كالمطر ينزل من السماء حلواً صافياً فتشربه الأشجار بعروقها؛ فتتحول على قدر ما فيها من طعم ورائحة؛ فيزداد المر مرارةً والحلو حلاوة، كذلك العلم يزيد المتكبر تكبراً، أما إن كان خائفاً فيتعلم فيزداد بالعلم والحجة خوفاً وذلةً وتواضعًا، والعلم من أعظم ما يتكبر به، وكما قال بعض أهل العلم واصفاً إبليس: لو كان العلم بغیر تقدیم شرفًا لكان أولى الناس بالجنة إبليس.

**السبب الثاني: العمل والعبادة:** فهو بسبب عبادته وتدينه يرى أن له حقاً على الناس بقضاء حوائجه وتقديمه على غيره، وغير ذلك مما سبق ذكره بخصوص العلماء، ويرى نفسه أفضل من غيره بسبب رؤيته لعبادته وعمله واستعظامه لهم، فظن الناس هلكيًّا وينظر إليهم متكبراً، وكفى بالمرء شرًّا أن يحقر أخاه المسلم.

واعلم أن الله تعالى إنما يريد من العبيد طاعة قلوبهم، فالجاهل العاصي إذا جاءته خشية من الله فتواضع هيبةً وذلةً خوفاً من الله فقد أطاع الله بقلبه، وهذا هو بيت القصيد، وهو عند ذلك أطوع لله من عالم متكبر، والعياذ بالله، فمع أنه عابد لكنه معجب بعمله ويحتقر غيره من الناس، وهذا العابد الجاهل يتوقع الكرامات لنفسه دائمًا حينما يختلف مع غيره ويصيبه الأذى منهم، فيقول: سترون ما يفعل الله بهم من أجلي؟ وهو متأكد من الكرامة التي ستحدث ببركة عبادته وعمله، ونسى المسكين أن الأنبياء والمرسلين ضربوا وقتلوا وشتموا والله أمهل فاعل ذلك، ومنهم من أعطي فرصة فأسلم، فلا يظن أنه أكرم على الله من أنبيائه ورسله، ومن اعتقاد جزماً أنه فوق أحد من عباد الله فقد أحبط بجهله جميع عمله، فالجهل أفحش المعاشي وأعظم شيء يبعد العبد عن ربه.

**السبب الثالث: التكبير بالحسب والنسب:** وهذا عرق دفين موجود في النفوس، يكاد لا تخلو منه نفس بشرية مع صلاحها وعقلها، واذكر قول أبي ذر الغفارى لبلال رض: يا ابن

**السُّوْدَاء.** وعتاب النبي ﷺ له. البيهقي في الشعب (٤/٢٨٨) برقم (٥١٣٥).

وانتشار هذا الأمر بين القبائل أكثر من غيره، فيستحرر من ليس له ذلك النسب الشريف في رأيه حتى لو كان أرفع منه قدرًا في العلم والعمل.

**السبب الرابع: التفاخر بالجمال:** وذلك أكثر ما يكون بين النساء مما يدفعهن إلى الغيبة والتقصص لغيرهن، فمن أُعجبت بجمالها ورأة أنها أجمل من غيرها ذهبت تتقصص الآخريات بالقبح وغيره.

**السبب الخامس: الكبر بـمال:** وأكثر ما يكون بين الملوك ورجال الأعمال والتجار وملوك الأراضي وغيرهم، فيستحرر الغنيُّ الفقير ويتكبر عليه ويقول له: لو أردت أن أشتري مائة منك لفعلت. فالغني يستعظم نفسه ويحتقر الفقير، وينسى أن للفقير فضائله، وللغني رذائله، ويدركنا ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثُمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يَحَاوِرُهُ أَنَّا أَكْثَرَ مِنْكَ مَا لَأُ وَأَعْزَّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٢٤]، فينبغي أن يذكر المتكبر فارون الذي خرج متكبراً على قومه وما فعله الله تعالى به.

**السبب السادس: الكبر بالقوة والبطش على الضعفاء:** وهو من الواضح في حياتنا بحيث لا يحتاج إلى كثير دليل وشرح.

**السبب السابع: التكبر بالأتباع والأنصار والتلاميذ، وبالعشيرة والأقارب والبنين:** فيكون هذا بين ملوك القبائل وبعض العلماء.

وتلاحظ أن كل ما هو من النعم والكلمات أو حتى يعتقد صاحبه أنه من الكلمات كان ذلك أدعى لضعفاء النفوس أن يتکبروا به على سائر الخلق، حتى إن الفساق وأصحاب المعاصي قد يفتخرن بكثرة فجورهم وقوه أجسادهم على فعل المعاصي وشرب الخمور والمسكرات، ويفخرون على غيرهم ويتهمنهم بالضعف، فيعتبر ذلك في نظرهم من الكمال في القوة والجسم، مع خطفهم الشديد في فهمهم واعتقادهم، فالمتكبر يأبى أن يتعلم ويجلس مجلس التلميذ.

ويظهر الكبر على الناس بثلاثة: سبب في المتكبر عليه، وسبب فيما يتعلق بغيرهما: أما السبب الذي في المتكبر فهو العجب، والمعجب يستعظام نفسه ويعجب بها ولا يحترم الآخرين وهو بداية الكبر. والذي يتعلق بالمتكبر عليه: فهو الحقد والحسد، فهو يحسد غيره مما يتنافسونه في دين أو دنيا، فيتمنى زوال نعم المحسودين بحسدهم، ثم يرحب في الانتقام بحقده عليهم، فلا تطاوشه نفسه بالتواضع لمنافسه بل يتكبر عليه. وأما الذي يتعلق بغيرهما: فهو الرياء، وهو يدفع إلى أخلاق المتكبرين؛ فهو يحب أن يظهر فضله على الآخرين للناس، ويأبى قبول الحق من غيره رياءً وسمعة.

### درجات الكبر:

**الدرجة الأولى:** أن يكون الكبر مستقرًا في قلب الإنسان من داخله، ويرى نفسه أفضل من غيره، ومع ذلك يمنع مظاهر الكبر من الظهور، فيجتهد ويتواضع بجواره، ولا يعالج شجرة الكبر في قلبه مع أنه قد قطع أغصانها حتى لا يراها الناس.

**الدرجة الثانية:** أن يكون الكبر في قلبه ويظهر على جواره كذلك بالترفع على أقرانه وزملائه في المجالس، والإنكار على من لا يرفع قدره، ويُصَرِّخ خده للناس، والله تعالى قال لنبيه: ﴿وَلَا خُفْضَ جَنَاحَكَ لِمَنْ أَبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

**الدرجة الثالثة:** وهي أشدُّهم حيث يكون في القلب ويظهر على الجوارح وينطق به اللسان، فيتفاخر بنفسه ويزكيها ويحكى أحواله مفاخرًا على غيره بماله ونسبه، وينسى أن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ أَكْثَرَهُمْ كُفَّارٌ عَنَّا اللَّهُ أَنْقَلَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

**بعض مظاهر التكبر:** وال الكبر والتكبر يظهران في صفات وأخلاق الناس وتصرفاتهم كالنظر شَزْرًا والجلوس متربعاً، وفي الأقوال وحتى في الصوت ونمطه وإصدار الأوامر، وكذلك في المشية والتبخر فيها والقيام والجلوس.

- ومنها على سبيل المثال: التكبر بأن يحب المتكبر قيام الناس له، أو أن يقفوا بين يديه حينما يتكلم ولا يجلسوا أمامه. قال عائشة بن أبي طالب رضي الله عنها: مَنْ أَحَبَّ أَنْ ينظر إِلَيْهِ

**رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام.**

وفي هذا تفصيل: أن يكون المرء هو الذي يحب أن يقف الناس بين يديه تكبراً منه واستعظاماً لنفسه، أما لو فعل الناس ذلك دون أن يرغب هو فلا بأس به، على أن يراقب قلبه، أو أن ذلك قد يكون من بعض آداب المهنة التي يجب أن تُحترم أصولها بين الناس. - ومن مظاهر الكبر أيضاً: لا يمشي إلا ومعه حاشية يمشون أمامه وخلفه؛ تعظماً لشأنه، وقد كان الصالحون يخافون من تغيير قلوبهم بذلك،

**فمشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم وقال: ما يبقي هذا من قلب العبد.**

- ومنها أن يتكبر على زيارة الآخرين ويتنظر منهم أن يزوروه ويجاملوه ويعظموه. - ومنها أن يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه، بل يميز مجلسه ويعلي قدره ويطرد الآخرين بعيداً عنه.

- ومنها أن يتونح من مجالسة المرضى وأصحاب العلل تكبراً واستحقاراً لهم.

- ومنها ألا يخدم في بيته بيديه، والتواضع خلاف ذلك، بل يستخدم ضيفه متعمداً في الخدمة، وليس من كرم الرجل أن يتعد استخدام ضيفه، اللهم إلا إن كان هذا حجاً من الضيف وإعذاراً وإكراماً لكبر سنه ومقامه.

- ومنها أن يأنف من حمل متاع بيته أو أشيائه الخاصة، فيأنف من شراء أشياء السوق لبيته. **وتحمل على الله حمماً في يديه فقال أحدهم: أحمل عنك يا أمير المؤمنين. قال: لا، أبو العيال** (أي: يقصد نفسه؛ لأنَّه أمير المؤمنين المسؤول عن رعيته كافة) **أحقُّ أن يحمل.**

وهذا من تواضعه، وإن خدمة أهل العلم والفضل واجب على الآخرين.

- ومنها اللباس الذي قد يظهر به التكبر أو التواضع، وقد قال رسول الله ﷺ: **«البذادة من الإيمان»** [أبو داود برقم (٤١٦١)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٨٧٩)].

والبذادة هي اللباس الأدنى في الدرجة.

وهناك ملاحظة: حيث سئل الرسول ﷺ عن التجمل في الثياب هل هو من الكِبْر،

فقال ﷺ: «أَكْبَرُ بَطَرُ الْحَقَّ وَغَمْطُ النَّاسِ» [مسلم برقم (٩١)]. فكيف يُجمع بينهما؟

فاعلم أخي أن التوب الجديد ليس من ضرورته أن يكون من التكبر في حق كل واحد، فقد يميل المرء إلى النظافة وجودة الشياب والتجمل، لا ليتکبر على غيره، فعلامة المتکبر أن يطلب التجمل إذا رأه الناس، ولكنه لا يُبالي بذلك إذا انفرد بنفسه وخلا بها، أما من أحب الجمال والتنطف في كل حال مجتمعًا أو منفرداً حتى في شئون بيته الخاصة فهذا ليس من التکبر. واعلم أيضًا أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده.

وفي هذا قال بكر المزني : البسوا ثياب الملوك، وألينوا قلوبكم بالخشية. فبعض الناس يتکبر على غيره بإظهار الزهد في ثيابه ليتکبر عليهم في التقوى والورع.

وروي أن عيسى عليه السلام قال: ما لكم تأتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري (أي: المتوحشة).

واعلم أن الكبر من المھلكات، وللأسف لا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه ولو قليل. وإزالة الكبر من النفوس فرض عين، ولا يزول بالتمني، بل بالمعالجة واستعمال الأدوية المناسبة له، وذلك باستئصال أصله بالجلوس إلى العلماء وأهل الفضل، ومصاحبة الصالحين، وتعلّم ما يجب عليه وتذكير قلبه.

وكلما عرف ربه حق المعرفة ازداد تواضعًا وذلةً وانكساراً. وعليه أن يدفع الأسباب المهيجة للتکبر والباعثة عليه بسلوك خلق التواضع مع الناس، وأن يقاوم كل سبب بالدواء المناسب له.

وقد قال وهب بن مُنبه : ما تَمَّ عَقْلُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ عَشْرُ خَصَالٍ: فَعَدَّ تِسْعَةً حَتَّى بلغ العاشرة فقال: العاشرة، وما العاشرة، بها شاد مجده، وبها علا ذكره: أن يرى الناس كلهم خيراً منه، فإن رأى من هو خير منه سره ذلك وتمنى أن يلحق به، وإن رأى من هو شر منه قال: لعله ينجو بتوبته أو حسن خاتمتها وأهلك أنا. فحيثئذ يكمل عقله ويسود أهل زمانه.

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَمِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُعِظِّضُ اللَّهُ، وَإِنَّ مِنَ الْحُلَالِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَمِنْهَا مَا يُغْضِضُ اللَّهُ؛ فَإِنَّمَا الْغَيْرَةَ الَّتِي يُحِبُّهَا اللَّهُ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّبَيْةِ (أي:

الغيرة بسبب يدعو إلى الريبة) وَأَمَّا الْغَيْرُهُ الَّتِي يُبَغْضُ اللَّهُ فَالْغَيْرَهُ فِي غَيْرِ الرِّيَهِ، وَالْخِيَلَهُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ فَأَخْتِيَالُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْقِتَالِ، وَأَخْتِيَالُهُ عِنْدَ الصَّدَقَهِ، وَالْخِيَلَهُ الَّتِي يُبَغْضُ اللَّهُ فَأَخْتِيَالُ الرَّجُلِ فِي الْفَحْرِ وَالْبَغْيِ» [أحمد في مسنده (٤٤٥ / ٥) برقم (٢٣٧٩٨)] أي يفخر ويختال بما يبغض الله.

وقال الأحنف بن قيس رضي الله عنه: عجباً لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين.

وقال محمد بن الحسين بن علي : ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بمقدار ما دخل من ذلك، قل أو كثُر.

وقال الحسن : السجود يذهب الكبر، والتوحيد يذهب بالرياء.

وقال وهب بن منبه : لما خلق الله جنة عدن قال لها: أنت حرام على كل متكبر.

وسئل سليمان بن يسار عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة، قال: الكبر.

وقال ابن القيم : أركان الكفر أربعة: الكبر، والحسد، والغضب، والشهوة.

والمتكبر معزول عن الناس، مطرود من رحمة الله، أصحابه العمى فلا يرى الحق ولا يتبعه.

### (العجب)

اعلم أن العجب مذموم في كتاب الله وسنة رسوله الكريم؛ لأن الإنسان قد يعجب بالعمل وهو مصيبة فيه، ولكنه قد يعجب بالعمل وهو مخطئ فيه، ولهذا قال رسول الله عليه السلام: **«ثَلَاثُ مُهْلِكَاتٍ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوَىٰ مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابٌ الْمُرِءِ بِنَفْسِهِ»**. الطبراني في الأوسط (٥ / ٣٨٨) برقم (٥٤٥٢)، حسنة الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٠٣٩).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: **الهلاك في الشتتين: القنوط** (أي: اليأس من رحمة الله) **والعجب**.

وإنما جمع بينهما مع وجود تناقض بينهما لأن السعادة لا تناول إلا بالسعى والطلب والجد والهمة العالية، والقانط (اليائس) لا يسعى ولا يطلب؛ لأنـه يائـس، وكذلك المعجب بنفسه لا يسعى ولا يجد؛ لأنـه يظن أنه قد ظفر بمراده، فهو سعيد في نظر نفسه.

ولهذا حذرنا المولى عليه السلام فقال: **﴿فَلَا تَرْكُوكُ الْفَسَكَمُ هُوَ أَعْلَمُ مِنْ آتَقَهُ﴾** [النجم: ٢٢]. أي لا

تعجبوا بأعمالكم؛ لأنـ هذا سيجر العبد إلى الكسل والتواني عن الزيادة من الخيرات.

ولهذا قال مطرّف : لأن أبیت نائمًا وأصبح نادمًا (أی: على تقصيری في قیام اللیل)  
أحب إلى من أن أبیت قائماً (أی: مصلیاً لقیام اللیل) وأصبح معجباً.

وقيل للسيدة عائشة: متى يكون الرجل مسيئاً؟ قالت: إذا ظن أنه محسن.

وقيل في كتاب الله: ﴿لَا يطِلُّوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَمِ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، والمن: هو استعظام الفعل؛ من صدقة ونحوها، واستعظام العمل هو العجب.

والمعجب يرى نفسه، ويُعظّمها، ويُعظّم أفعالها، ولا يقارن نفسه بغيرها، ولا يحترم ما دونه، فإذا استعظمها صار متكبراً ويهترئ ما دونه من الناس. فالعجب إذا يؤدي إلى الكبر.

والعجب مع الله: أن ينسى العبد ذنبه مع ربه، بل ويهملا الاستغفار لظن أنه مستغن عن ذلك، ويظن أيضاً أنه مغفور له، وأما العبادات وسائر أعمال الطاعات فإنه يستعظمها، ويؤمن على الله بفعلها، فكانه يقول: نحن نعطي ربنا حقه وزيادة. ولا يشكر ربه على توفيقه إياه للطاعة.

وهو كذلك يؤديها دون التفات إلى إحسانها وإتقانها، أو معالجة عيوبها وآفاتها؛ لأن المعجب مغتر بنفسه وبرأيه وبعمله؛ فهو يأمن مكر الله وعداته، وهذه مصيبة كبيرة، ويظن أنه له مكانة عند الله؛ ومن ثم فهو دائم الثناء على نفسه ويحمدها ويزكيها؛ وهذا الذي يمنعه من الاستفادة من رأي غيره، أو سؤال من هو أعلم منه.

فقد يُعجب بالرأي الخطأ ويظن أن ذلك إلهام من ربه؛ وذلك لجهله، فلا يتهم نفسه أبداً، بل يتهم غيره بالنقص وعدم الفهم، ويفتر سعيه لطلب الآخرة؛ لأنه يعتقد أنه قد أدى ما عليه وفاز، وهذا هو الهلاك الصحيح. وكلما ازداد الإنسان علمًا ومعرفة بالله ثم ازداد خصوصاً وانقياداً له كان بعيداً عن العجب والكبر، أما الجاهل فإنه يعجب بعقله ورأيه وعمله وذلك لجهله. وفرع الشجرة المثمر مليء بالثمار الناضجة تجده مطأطئ الرأس للأسفل؛ ليستفيد منه الناس ويأكلوا ثماره، أما الفرع الفارغ من الثمر فهو متعالٍ، رافع رأسه بعيداً عن الناس، مع أنه فارغ وغير نافع،

وهكذا المعجب بنفسه، والذي يتوقع دائمًا إجابة الدعاء من ربه، بل يستنكر رد

الدعاء في قلبه، ويتعجب من ذلك، وكأنه صاحب المنة والفضل على ربه والعياذ بالله، فهو لا يتعجب من رد دعاء الفاسق، بل يتعجب من رد دعاء نفسه. فهذا هو العجب والإدلال، وهو من مقدمات الكبر وأسبابه.

**وفي الخبر: لأن تضحك وأنت معترف خير من أن تبكي وأنت معجب بعملك.**

وعلاج العجب أن يُداوي المرء نفسه بالدواء المناسب لداء العجب فيه.

فمن أُعجب بطاعته مثلاً فليُداوِ ذلك بالنظر إلى تيسير و توفيق الله، وأن العبرة بخاتمة الحياة وقول الله لأعماله، فليعلم العبد أن التوفيق بيد الله، وأنه مهما عمل من أعمال فالعبرة بقبولها، ثم إنه لن يدخل الجنة أحد بعمله، وإنما برحمـة الله وبفضله وعفوـه عن العـباد: ﴿وَلَا فَضْلُ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ مَا زَكَرْتُ مِنْ أَهْدَى أَبْدَأْتُه﴾ [النور: ٢١].

**أنواع العجب:** وأنواع العجب كثيرة، منها:

الأول: أن يُعجب بيده و جماله و هيئته و صحته و قوته.

الثاني: أن يُعجب بقوة سلطانه وبطشه، كما قال قوم عاد: ﴿مَنْ أَشَدُّ مَنَافِعَه﴾ [فصلت: ١٥].

الثالث: العجب بالعقل والذكاء والقطنة لدقائق الأمور في الدين والدنيا، وهذا يُجرّه إلى الاستبداد برأيه وترك المشورة، واعتبار غيره جاهلاً، واحتقار المخالفين لرأيه.

الرابع: العجب بالنسب الشريف والقبيلة والعائلة، وينسى قوله تعالى: ﴿هُوَ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقُكُمْ﴾ [الحجـرات: ١٣].

وقد حذر أهل العلم أن يأتـي الصالـحون يـوم الـقيـامـة بـأعـمالـهـم وـيـأـقـيـ الآخـرونـ معـتمـديـنـ عـلـىـ آـنـسـابـهـمـ، عـنـدـلـاـ تـنـعـعـهـمـ شـفـاعـةـ الشـافـعـينـ.

الخامس: العجب بـنـسـبـ أـصـحـابـ السـلـاطـةـ الـظـالـمـينـ وـأـعـوـانـهـمـ، وـيـنسـيـ أـنـ رـكـبـ علىـ ظـهـرـ الأـسـدـ فـإـنـهـ يـخـافـ مـنـ كـلـ النـاسـ، وـلـكـنـهـ أـقـرـبـ النـاسـ لـبـطـشـ الأـسـدـ، فـإـذـاـ غـضـبـ عـلـيـهـ (وـهـوـ حـادـثـ لـاـ مـحـالـةـ) فـيـأـخـذـهـ بـيـدـهـ مـنـ فـوـقـ ظـهـرـهـ بـسـهـولةـ وـيـهـلـكـهـ، وـالتـارـيـخـ مـلـيـءـ

بالعبر لمن اعتبر. وفي الخبر: مَنْ أَعْانَ ظالِّمًا سُلْطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

السادس: العجب بكثره الأولاد والأتباع والأقارب والعشيرة، كما قال الكفار: **﴿أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾** [٢٥] [سبعين: ٣٥]، ويشى أن يوم القيمة: **﴿يَوْمَ يَفْرَغُ الْمَرْءُ مِنْ أَخْدِهِ﴾** [٢٦] [وَأَمْوَالِهِ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ]

[٣٤: ٣٦] [٢٦: ٣٤].

السابع: العجب بالمال كما قال الله تعالى إخباراً عن صاحب الجتتين: **﴿أَنَّا أَكْثَرُ مِنْكَ مَا لَأَ وَأَعْزُّ نَفْرَأً﴾** [٢٧] [الكهف: ٣٤]، وقول الرسول ﷺ: **«أَبْشِرُوا وَأَمْلِوَا مَا يُسْرُكُمْ، فَوَاللهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسْطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا؛ فَنَهَلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَتُهُمْ»** متفق عليه.

الثامن: العجب بالرأي الخطأ، لقوله تعالى: **﴿أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ، فَرَاءُهُ حَسَنٌ؟ فَإِنَّ اللَّهَ يُضْلِلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذَهَّبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَتْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمْ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾** [٨] [فاطر: ٨]، وفي الحديث: «لَوْلَمْ تُدْبِبُوا لَخَشِيتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَشَدُ مِنْ ذَلِكَ: العجب، العجب» الشهاب في مسنده (٢/ ٣٢٠) برقم (٨٨٢).

وعن مسروق : قال: كفى بالمرء علمًا أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه. وقال مالك بن دينار : إذا طلب العبد العلم ليعمل به كان ذلك سبباً في ذلة وانكساره أمام ربّه، وإذا طلبه لغير العمل به كان سبباً في عجبه وافتخاره على ربّه.

والعجب يرى أنه له فضل؛ فهو يستكثر فضله فيزهد في استزادة أدبه مع المتأدبين، فيؤدي ذلك إلى الكبر، وكفى به آفة. والمعجب لا يتذكر ذنبه، ويرجع توبيه، ويتعالى على الناس غروراً وعجبًا برأيه وعقله وعمله، فهو محروم من رضا الله ورضا الناس.

\* \* \*

### ٧٣- باب حُسْنِ الْخَلْقِ

قال الله تعالى: **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ حُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** [٤] [القلم: ٤].

وقال تعالى: **﴿وَالْكَاظِمِينَ الْفَيَضَّ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾** [١٧٢] [آل عمران: ١٣٤].

(٦٢٠/٧٣) وعن أنس رضي الله عنه قال: كانَ رسول الله صلوات الله عليه وسلام أَحْسَنَ النَّاسَ خُلُقًا. متفق عليه.

(٦٢١/٧٣) عنه قال: مَا مَسِّيْتُ دِبَابًا وَلَا حَرِيرًا أَلَيْنَ مِنْ كَفَّ رَسُولِ الله صلوات الله عليه وسلام، وَلَا شَمَّمْتُ رَائِحَةً قَطُّ أَطْبَعَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ الله صلوات الله عليه وسلام، وَلَقَدْ خَدَمْتُ رَسُولَ الله صلوات الله عليه وسلام عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي قَطُّ: أَفْ، وَلَا قَالَ لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ: لَمْ فَعَلْتَهُ؟ وَلَا لَشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَا فَعَلْتَ كَذَّا؟ متفق عليه.

(٦٢٢/٧٣) وعن الصَّعْبِ بْنِ جَنَامَةَ رضي الله عنه قال: أَهْدَيْتُ رَسُولَ الله صلوات الله عليه وسلام حِمَارًا وَحِشْيَاءً، فَرَدَهُ عَلَيَّ، فَلَمَّا رأَى مَا فِي وجْهِي قَالَ: «إِنَّا لَمْ نُرِدْ عَلَيْكَ إِلَّا آثَا حُرْمُ» (أي: مُحرِّمُونَ لِلْحَجَّ). متفق عليه.

(٦٢٣/٧٣) وعن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ رَسُولَ الله صلوات الله عليه وسلام عَنِ الْبَرِّ وَالْإِثْمِ، فَقَالَ: «الْبَرُّ: حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ». رواه مسلم.

(٦٢٤/٧٣) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله صلوات الله عليه وسلام فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خَيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا». متفق عليه.

(٦٢٥/٧٣) وعن أبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وسلام أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ اللَّهَ يُبَغْضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ». رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح. الْبَذِيءُ: هُوَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالْفَحْشِ وَرَدِيءِ الْكَلَامِ.

(٦٢٦/٧٣) وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ الله صلوات الله عليه وسلام عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، قَالَ: «تَقْوَى اللَّهُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ». وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الْفُمُ وَالْفَرْجُ». رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

(٦٢٧/٧٣) عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله صلوات الله عليه وسلام: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيَارُكُمْ خَيَارُكُمْ لِيْسَائِهِمْ». رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

(٦٢٨/٧٣) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلوات الله عليه وسلام يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بُحْسِنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ». رواه أبو داود.

(٦٢٩/٧٣) وعن أبي أُمَّةِ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله صلوات الله عليه وسلام: «أَنَا زَعِيمُ بَيْتٍ فِي رِبَضِ الْجَنَّةِ (أي: نواحيها وجوانبها مِنْ دَاخْلِهَا، وَالمراد: أَدْنَاهَا) لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًا، وَبِيَتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِيَتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ». حدث صحيح، رواه أبو داود بإسناد صحيح. الْزَعِيمُ: الضَّامِنُ.

(٦٣٠ / ٦٣) وعن جابر: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرِبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْعَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ الشَّرَّارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَنَفِّهِقُونَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا «الشَّارِونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ»، فَمَا الْمُتَنَفِّهِقُونَ؟ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ». رواه الترمذى، وقال: حديث حسن.

«الترَّاثُ»: هُوَ كَثِيرُ الْكَلَامِ تَكَلُّفًا. و«الْمُتَشَدِّقُ»: الْمُتَطَاوِلُ عَلَى النَّاسِ بِكَلَامِهِ، وَيَكْلُمُ بِمُلْءِ فِيهِ تَنَاصُحًا وَتَعْظِيمًا لِكَلَامِهِ. و«الْمُتَنَفِّهِقُ»: أَصْلُهُ مِنَ الْفَهْقِ وَهُوَ الْأَمْتَلِاءُ، وَهُوَ الَّذِي يَمْلأُ فَمَهُ بِالْكَلَامِ وَيَتَوَسَّعُ فِيهِ، وَيُغَرِّبُ بِهِ تَكْبِرًا وَأَرْتِقَاعًا، وَإِظْهَارًا لِلْفَضْلَةِ عَلَى عَيْرِهِ. روى الترمذى عن عبد الله بن المبارك : في تفسير حُسْنِ الْخُلُقِ، قال: «هو طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى».



### (حسن الخلق)

الَّذِينَ كَلُّهُ خُلُقُ، فَمَنْ زادَ عَلَيْكَ فِي الْخُلُقِ زادَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ. وَحُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ يَكُونَ إِنْسَانٌ سَهْلُ الْعَرِيكَةِ؛ أَيِّ: سَلِسُ الطَّبِيعَةِ الشَّخْصِيَّةِ، لِينُ الْجَانِبِ، طَلْقُ الْوِجْهِ مُبَتَسِّمًا، قَلِيلُ النَّفُورِ قَلِيلُ الغَضْبِ، طَيْبُ الْكَلْمَةِ. قَالَ عَلَيُّ رسُولُهُ: حُسْنُ الْخُلُقِ فِي ثَلَاثِ خَصَالٍ: اجْتِنَابُ الْمُحَارِمِ، وَطَلْبُ الْحَالَلِ، وَالتَّوْسِعَةِ عَلَى الْعِيَالِ.

وقال الحسن : هُوَ طلاقة الوجه (أي: الابتسام)، وبذل المعروف، وكف الأذى.

وَالْخُلُقُ هُوَ الصُّورَةُ الْبَاطِنَةُ لِلْإِنْسَانِ يُصْدِرُ مِنْهَا الْفَعْلُ عَفْوِيًّا وَدُونَ تَرُّوٍ، فَإِذَا صَدِرَتِ الْأَفْعَالُ جَمِيلَةً سُمِّيَتْ خُلُقًا حَسَنًا، وَدَلِلَ هَذَا عَلَى حَسَنِ مَا فِي دَاخِلِ الْعَبْدِ، وَإِذَا صَدِرَتِ الْأَفْعَالُ قَبِيحةً سُمِّيَتْ خُلُقًا سَيِّئًا، وَدَلِلَ هَذَا عَلَى سُوءِ مَا فِي دَاخِلِ الْعَبْدِ.

وَالْأَخْلَاقُ مِنْهَا مَا هُوَ جِبَائِيٌّ فَطْرِيٌّ أَوْ جَدَهُ اللَّهُ فِي إِنْسَانٍ لِلِّامْتَهَانِ وَالْأَبْلَاءِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُكْتَسَبٌ يَأْتِي بِرِياضَةِ النَّفْسِ وَقَمْعِ هُوَاها وَشَهْوَاتِهَا إِلَى الْاعْتِدَالِ، وَلَوْ كَانَتِ الْأَخْلَاقُ لَا تَقْبِلُ التَّغْيِيرِ لَمْ يَكُنْ لِلْمَوَاعِظِ وَالْوَصَايَا مَعْنَى.

**أَقْسَامُ حُسْنِ الْخُلُقِ:** حُسْنُ الْخُلُقِ قَسْمَانِ:

**أحدهما: حُسْنُ الْخُلُقِ مَعَ اللَّهِ عَزَّلَهُ:** وهو أن كلَّ ما يصدر من العبد من طاعات يستوجب الاعتذار والاستغفار بسبب نقصه وغفلة العبد أثناء أدائه، وأن كلَّ ما يأني من الله من أوامر وامتحانات يوجب شكرًا لله عليه؛ لأنَّ الله لا يقدم لنا إلَّا الخير وإن اختلفت صوره في نعمة أو بليه، فلا يزال العبد حسن الخلق مع ربه؛ وذلك بالاعتذار والشكر.

**والثاني: حُسْنُ الْخُلُقِ مَعَ النَّاسِ:** وهو أمران: فعل المعرفات قولًا وفعالًا لآخرين، وكف الأذى قولًا وفعالًا كذلك.

**أركان حسن الخلق:** وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل.

أما الصبر: فيساعدك على تحمل الأذى وكظم الغيظ، وأن يكون حليماً رفيقاً لا يطيش ولا يعجل، بل يتأنى ويتروى.

والعفة: تدفعه إلى اجتناب فعل الرذائل والقبائح في القول أو الفعل، وتحمله على الحياة من الله ومن الناس أن يفعل ما يُستحيى منه، وتنمّعه من فعل الفواحش، ومن البخل والكذب والغيبة والنّيمية؛ لأنّها قبائح ورذائل تشين فاعلها.

والشجاعة: تساعده على أن يكون عزيز النفس، يؤثر معايير الأخلاق والصفات، وتُعينه على البذل والعطاء، فُيخرج ما عنده بشجاعة لا يخاف فوتاً ولا نقصاً، وتحمله على كظم الغيظ والحمل عن الآخرين، فيمسك عنان نفسه.

والعدل: يحمله على اعتدال خلقه ونصراته؛ فيتوسط بين الإفراط والتفرط، فلا يكون مسرفاً ولا بخيلاً، بل كريماً، ولا يكون ذليلاً ولا وقحاً، بل حسيناً، ولا جباناً ولا متهوراً، بل شجاعاً، وهكذا. وكل الأخلاق الفاضلة تنشأ من هذه الأربعة.

وقد روی عن عبد الله بن مسعود يرفعه: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّلَهُ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْلِمُ عَبْدٌ حَتَّى يَسْلِمَ قَلْبُهُ، وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ». قالوا: وما بوائقه يا نبي الله؟ قال: «عَشْمُهُ وَظُلْمُهُ، وَلَا

يُكْسِبُ عَبْدٌ مَا لَمْ يَرَهُ مِنْ حَرَامٍ فَيُنْفِقُ مِنْهُ كَيْسَارٌ لَهُ فِيهِ، وَلَا يَتَصَدَّقُ بِهِ فَيُقْبَلُ مِنْهُ، وَلَا يَتَرُكُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَمْحُو السَّيِّئَاتِ بِالسَّيِّئَاتِ، وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّئَاتِ بِالْحَسَنَاتِ، إِنَّ الْخَيْثَ لَا يَمْحُو الْخَيْثَ». أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٣٨٧) بِرَقْمِ (٣٦٧٢).

وقال رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: «مَنْ أُعْطِيَ حَظًّا مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظًّا مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظًّا مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظًّا مِنَ الْخَيْرِ». الْبَخَارِيُّ فِي الْأَدْبِ الْمُفَرْدِ بِرَقْمِ (٤٦٤).

وقال رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَحِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا اللَّهَ هَتَّ تَرَوُ أَنْكُمْ قَدْ كَافَّتُمُوهُ». أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٦٨) بِرَقْمِ (٥٣٦٥)، قَالَ الْأَرْنُوُوتُ: إِنْ سَادَهُ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخِيْنِ.

وقال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَبَارِكَ : حُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ تَحْتَمِلَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ.

وقال الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حُسْنُ الْخُلُقِ أَلَا تَغْضِبَ وَلَا تَحْقِدَ.

وقال مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ : قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: حُسْنُ الْخُلُقِ: كَظْمُ الْغِيْظِ لِلَّهِ، وَإِظْهَارُ الْطَّلاقَةِ وَالْبَشْرِ إِلَّا لِلْمُبْتَدِعِ وَالْفَاجِرِ، وَالْعَفْوُ عَنِ الزَّالِلِينَ (أَيْ: الْمُخْطَيْنِ) إِلَّا تَأْدِيَّا، وَإِقَامَةُ الْحَدِّ، وَكَفُّ الْأَذَى عَنْ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُعَاهِدٍ (أَيْ: ذَمِيْتَهُ وَبَيْتَهُ عَهْدٍ) إِلَّا تَغْيِيرًا لِلْمُنْكَرِ، أَوْ أَخْدَى بِمُظْلَمَةِ لَمْظُلُومٍ مِنْ غَيْرِ تَعْدُّ.

وقال الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: أَلَا أَخْبَرْكُمْ بِأَدْوَأَ (أَيْ: أَسْوَأَ) الدَّاءِ؟ قَالُوا: بَلْنِي. قَالَ: الْخُلُقُ الْدُّنْيَاءُ وَاللِّسَانُ الْبَذِيْءُ.

وقال الْمَاوَرِدِيُّ : إِذَا حَسِنْتَ أَخْلَاقَ الْإِنْسَانِ كَثُرَ أَصْفِيَاؤُهُ وَقَلَّ أَعْدَاؤُهُ، فَتَسْهَلُتْ عَلَيْهِ الْأَمْرُورُ الصَّعَابُ، وَلَا تَنْتَ لِهِ الْقُلُوبُ الْغَضَابُ. وَقَالَ بَعْضُ الْبَلْغَاءِ: الْحَسَنُ الْخُلُقُ مِنْ نَفْسِهِ فِي رَاحَةٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي سَلَامَةٍ، وَالسَّيِّئُ الْخُلُقُ النَّاسُ مِنْهُ فِي بَلَاءٍ، وَهُوَ مِنْ نَفْسِهِ فِي عَنَاءٍ.

وَقَدْ جَمَعَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخُلُقِ فَقَالَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ كَثِيرُ الْحَيَاءِ، قَلِيلُ الْأَذَى، كَثِيرُ الْصَّالِحِ، صَدُوقُ الْلِّسَانِ، قَلِيلُ الْكَلَامِ، كَثِيرُ الْعَوْلَمِ، قَلِيلُ الزَّلَلِ (أَيْ: الْخَطَأِ)، قَلِيلُ الْفَضُولِ، بَرِّاً، وَصَوْلًا، وَقَوْرًا، صَبُورًا، شَكُورًا، رَضِيًّا، حَلِيمًا، رَفِيقًا، عَفِيفًا، شَفِيقًا، لَا لَعَانًا، وَلَا سَبَابًا، وَلَا نَمَامًا، وَلَا مَغْتَبًا، وَلَا عَجُولًا، وَلَا حَقُودًا، وَلَا بَخِيلًا، وَلَا حَسُودًا، بَشَاشًا، هَشَاشًا،

يحب في الله، ويبغض في الله، ويرضى في الله، ويغضب في الله، فهذا هو حسن الخلق.

فإذا أحسن العبد خلقه مع الناس أحبه الله وأحبه الناس، وكان ذلك سبباً في حب رسول الله ﷺ له وقربه من مجلسه يوم القيمة.

### **أسباب تغير أخلاق الناس:**

إن الأخلاق المذمومة موجودة في كثير من الناس، غالباً عليهم مالكة لهم، بل قلما يوجد فيهم من يخلو من خلق سيء أو مكروه، ويسلم من جميع العيوب، ولكنهم يتفاوتون في ذلك، وكذلك الأخلاق المحمودة، فيختلف الناس فيها ويتناقضون، إلا أن المجبولين على الأخلاق الحسنة قليلون جداً، وأما المجبولون على الأخلاق السيئة فأكثر الناس، وذلك إذا انساق الإنسان لطبعه وشهواته وغلب بها على عقله ظهرت عليه أخلاق البهائم؛ ولهذا كان الدين وال السنن والشرائع تُعِّزِّزُهُ وتساعده إلى أن يُغيِّرَ خلقه من السيئ إلى الحسن. فإذا كان الخلق السيئ قد يتحوَّل إلى خلق حسن باتباع الشرع والتدريب على الأخلاق الحميدة والصبر عليها، فهل يتغير الخلق الحسن إلى سيئ؟

قال الإمام الماوردي : : ربما تغيَّرَ حُسْنُ الْخُلُقِ وَاللَّيْنَ إِلَى الشِّرَاسَةِ وَالْبَذَاءَةِ  
والغلوطة لأسباب عارضة وأمور طارئة تجعل اللَّيْنَ خُشُونَةً وَتَبَسُّمَ عَبُوسًا.

### **وأسباب تغير الأخلاق سبعة:**

أولها: الولاية: ويقصد بها تولي القيادات والولايات والزعamas والمناصب والرتب، فإنها وللأسف قد تحدث في صاحبها تغييراً تجعله يتذكر لأصحابه، وذلك إما نتيجة لؤم الطبع في صاحب الولاية سلفاً، أو لضيق صدره على أصحابه القدامى فلا يرغب في رؤيتهم؛ لأنهم يذكرون به حاله الماضي.

الثاني: العزل: ويقصد به ترك الإنسان لمنصبه قهراً أو لبلوغه سن المعاش مثلاً، فقد يسوء منه الخلق، ويضيق صدره بالناس، إما لشدة أسف على ما فاته من المنصب، أو لقلة صبره على معاملة أقل شأناً مما كانت.

**الثالث: الغنى:** وهو ما يأتي بعد الفقر، فقد تتغير به أخلاق اللئام تكبراً فيسلك مسالك الشر والبطار على الناس.

**الرابع: الفقر:** وهو ما يكون بعد الغنى، فإنه جندي الله الأكبر الذي يذلل به كل جبار عنيد متكبر، وقد تتغير به الأخلاق إما أنفة منه، حيث لا يرضي بعد المكانة أن يكون مسكيناً ذليلاً، أو تأسفاً على ما فات من الغنى والعز.

**الخامس: الهموم:** وهي تذهب بقلب الإنسان، وتشغل قلبه فلا يستطيع تحمل أخلاق الناس، ولا أن يصبر عليهم، فتتغير أخلاقه للسوء.

**السادس: الأمراض:** والتي بها يتغير الطبع كما يتغير الجسم، فلا تبقى أخلاق على اعتدال، ولا يقدر معها على الاحتمال.

**السابع: علو السنّ** (كبر السن): ولحدوث الهرم (الشيخوخة) تأثير سيء على الجسم، فكما يضعف الجسم عن احتمال ما كان يطيقه من أنتقال، فكذلك تعجز النفس عن احتمال ما كانت تصبر عليه من مخالفة الرأي والأخلاق والشقاق والجدال.

وهناك سبب آخر مؤقت يزول بزواله، وهو الكره والبغض بين الناس: وهو سبب قد يحدث منه نفور عمن نكرهه؛ فيؤدي إلى سوء الخلق. وإذا زالت الأسباب المسببة لسوء الخلق فقد يزول معها سوء الخلق إن كان صاحبها أصلاً حسن الأخلاق.

### (كيف تعرف عيوب نفسك؟)

اعلم أن الله عَلَيْكِ إذا أراد بعده خيراً بصره بعيوب نفسه، وصاحب الفهم وال بصيرة لا تخفي عليه عيوب نفسه الأَمَارة بالسوء، فإذا عَرَف العيوب أمكنه العلاج، فإن أول النجاح حُسْن تشخيص المرض، ولكن أكثر الناس جاهلون بعيوب أنفسهم؛ فيرى أحدهم الحَصَّة الصغيرة والشُّعْرَة الدقيقة في عين أخيه، ولا يرى جذع الشجرة في عين نفسه، فتحن دائم النظر لعيوب الآخرين، متغافلون عن عيوب نفوسنا.

ومن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق:

الأول: أن يجلس بين يدي شيخ عالم رباني بصير بعيوب النفس، ومطلع على خفايا آفاتها، ويأخذ برأيه في معرفة عيوب نفسه وعلاجها، شريطة أن يكون الشيخ ماهراً في ذلك: ﴿إِنَّمَا تَنْهَاكُ عَنِ الْمُحَاجَةِ إِنَّ الْمُحَاجَةَ لَشَرٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ٢٦]، فيكون كال תלמיד مع أستاذه، وكطالب مع شيخه ومربيه، فيقوم بخدمته وتعاونته حتى يعرفه عيوب نفسه ويعرف طريق علاجها، واعلم أن هذا أمر عزيز الوجود في زماننا.

الثاني: أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً بفهم آفات النفوس، له من الدين والمهارة ما يجعله مؤهلاً لأن ينصبه رقيباً على نفسه؛ ليلاحظ أحواله وأفعاله، وينبهه على عيوبه الباطنة والظاهرة، وهذا كان فعل الأكابر، فكان عمر رضي الله عنه يقول: رحم الله امرأً أهدى إلى عيوبه. وكان يسأل سليمان الفارسي رضي الله عنه عن عيوبه، وكان يسأل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ويقول له: أنت صاحب سر رسول الله في المنافقين، فهل ترى على شيئاً من آثار النفاق؟ فهو على جالة قدره وعلو مكانته ما كان يستحي أن يتهم نفسه.

فكل من كان أوفر عقلاً وأعلى مكانة في دينه كان أقل إعجاباً بنفسه، وأعظم اتهاماً لها، إلا أن هذا أيضاً قد صار عزيزاً قليلاً في الأصدقاء، فالكثير من الأصدقاء يكون مداهناً؛ فلا يخبرك بالعيوب لئلا تغضب منه، أو لمصلحة له عندك يخاف ضياعها، فيخفى عنك بعض عيوبك، ولا تخلو الصداقات أيضاً من حسودٍ أو صاحب غرضٍ؛ فيرى ما ليس بعيوب أنه عيب كبير حسداً من نفسه لك.

لكن هناك مشكلةً أيضاً أنها اعتبرنا أن أبغض الناس إلينا هم من ينصحوننا ويُعرّفوننا بعيوبنا، وتلك مصيبة تدل على ضعف الإيمان بالآخرة وقلة يقيناً في أن الأخلاق السيئة والصفات المذمومة مثل الحيات والعقارب، ولو أن أحدهم نبهنا أن تحت غطائنا عقرباً أو حية لشكناه على تحذيره إلينا، واهتمامنا بإزالة الأذى من العقارب أو الحيات، وألم العقارب والحيات على الأبدان مهما كان سيتهي، أما ألم الأخلاق السيئة على القلب فقد يدوم بعد الموت إلى أن تلقى الله. وللأسف لا نفرح بمن يُنبهنا على عيوبنا لنشتغل بمعالجتها، بل نشتغل بمقابلة صاحب النصيحة بالرد عليه بالتوبيخ فنقول له: وأنت أيضاً

فيك من العيوب كذا وكذا. وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه وإرشاده، وذلك لقساوة القلوب بسبب كثرة الذنوب، وكله من ضعف الإيمان.

الثالث: أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة أعدائه: فما من عبد إلا وله عداوات، وعين السخط والعداوة تبدي المساوىء، ولعل انتفاع العبد بعده مشاحن له يذكره بعيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثنى عليه ويمدحه ويغطي عليه عيوبه، أو صديق حسود يحمله عيوب ليست فيه، ولكن للأسف الطبع مجبول على تكذيب العدو، وحمل ما يقوله على أنه حسد. ولكن العاقل وال بصير لا يترك الانتفاع بقول أعدائه فيه (فلا دخان بدون نار)، ولعلهم بالغوا فيما عنده. ولعل الإنسان قد يستفيد من بعض العداوات المؤقتة التي تنشأ بين الرجل وزوجه، أو الرجل وأخيه، فلعله يستفيد من كلامهم وانتقاداتهم في معرفة عيوب نفسه، فهم أقرب إليه وأبصر بحاله.

الرابع: مخالطة الناس: أي يخالط الناس مخالطة صحيحة، فكل ما يراه منهم مذموماً في غيره يعلم أن الطبع سرّاق، فلعله أصاب منهم بسبب القرب والمخالطة والمجالسة، فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه؛ لأن المؤمن مرأة أخيه، وفي المرأة ترى نفسك لا غيرك. واعلم أن الطيور على أشكالها تقع، فما من إنسان جالسته وآمنت له إلا وهناك مقاربة بينكما في الطبع والأخلاق، فإذا وجدت فيه عيوباً فاعلم أن فيك شيئاً منه أو أعظم منه، وجعلت النفوس على اتباع الهوى في الأصحاب والزماء. فليتفقد نفسه وليظهرها من كل ما يجعلها مذمومة، ولو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنى الناس عن المؤدب. وروي أنه لما قيل لعيسى عليه السلام: من أدبك؟ قال: ما أدبني أحد، ولكن رأيت جهل الجاهل شيئاً وعاراً فاجتنبته.

وهذه هي الطرق الأربع لمعرفة عيوب نفسك، فأولها وأفضلها الشيخ العارف الذكي، البصیر بعيوب النفس، الناصح المشفق الأمين، الذي نصب نفسه لتهذيب عباد الله تعالى، وإن الصديق الصدق، فإن عز فبالسنة الأداء، أو بمخالطة الناس؛ لينجو العبد من هلاك عيوب نفسه.

## ٧٤- باب الحلم والأنة والرفق

قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْضَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ  
الْمُخْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] .

وقال تعالى: ﴿خُذُ الْعُفْوَ وَمُمْرِنْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَهَلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] .

وقال تعالى: ﴿وَلَا سَتُوِّي الْحَسَنَةُ وَلَا أَسْبَيْنَةُ أَذْفَعْ بِالْأَنْيَ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي يَتَنَكَّرْ وَيَنْهِيْهُ عَدُوُّهُ كَانَهُ وَلِيْ حَمِيمٌ﴾ [٢٥] . وَمَا يُلْقَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَهَا إِلَّا ذُو حَظْلِ عَظِيمٍ﴾ [٣٥، ٣٤] . [فضيل: ٣٥، ٣٤]

وقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] .

(٦٣١) / ٧٤) وعن ابن عباس رض قال: قال رسول الله صل لأشج عبد القيس: «إنَّ فيك حَصْلَاتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحَلْمُ وَالْأَنَّةُ» (أي: ترك العجلة والتمهل والشتت). رواه مسلم.

(٦٣٢) / ٧٤) وعن عائشة رض قالت: قال رسول الله صل: «إنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفِيقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ». متفق عليه.

(٦٣٣) / ٧٤) وعنها: أنَّ النَّبِيَّ صل قال: «إنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفِيقَ وَيُعْطِي عَلَى الرَّفِيقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ». رواه مسلم.

(٦٣٤) / ٧٤) وعنها: أنَّ النَّبِيَّ صل قال: «إنَّ الرَّفِيقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا رَأَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ». رواه مسلم.

(٦٣٥) / ٧٤) وعن أبي هريرة رض قال: قال أعرابي في المسجد، فقام الناس إِلَيْهِ لِيَقْعُوا فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صل: «دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلَى بُولِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءِ، أَوْ ذُنُوبًا مِنْ مَاءِ، فَإِنَّمَا بُعْثَمُ مُسِرِّينَ وَلَمْ بُعْثُوا مُعَسِّرِينَ». رواه البخاري. **السَّجْلُ** بفتح السين المهملة وإسكان الجيم، وَهِيَ: الدَّلْلُ الْمُمْتَأْنِ مَاءً، وَكَذِلِكَ الدَّنُوبُ.

(٦٣٦) / ٧٤) وعن أنس رض: عن النَّبِيِّ صل قال: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا». متفق عليه.

(٦٣٧) / ٧٤) وعن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رض قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صل يقول: «مَنْ يُحْرِمِ الرَّفِيقَ، يُحْرِمِ الْحَيْرَ كُلَّهُ». رواه مسلم.

(٦٣٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي صلوات الله عليه: أوصني. قال: «لا تغضب». فرداً مراراً، قال: «لا تغضب». رواه البخاري.

(٦٣٩) وعن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه: عن رسول الله صلوات الله عليه قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتُم فأحسسُوا القتلة» (أي: هيئة القتل)، وإذا ذبحتم فأحسسُوا الذبحة» (أي: هيئة الذبح)، ولعنة أحدكم شفرتة، ولريح دينحه». رواه مسلم.

(٦٤٠) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خير رسول الله صلوات الله عليه بين أمرين قط إلا أخذ أيسراً هما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً، كان أبعد الناس منه، وما انتقام رسول الله صلوات الله عليه لنفسه في شيء قط، إلا أن تنتهك حرمة الله، فيستقيم لله تعالى. متفق عليه.

(٦٤١) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «الا أخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ، أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارِ؟ تَحْرُمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ، هَيْنِ، لَيْنِ، سَهْلِ». رواه الترمذى، وقال: حديث حسن.

\* \* \*

### (الحلم)

الحَلْمُ: هو ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب. فالحليم هو من يترك الانتقام عند شدة الغضب مع القدرة على ذلك. والله هو الحليم الذي يشاهد معصية العصاة، ويرى مخالفته للأمر؛ ثم لا يستفزه غضب، ولا يعتريه غيظ، ولا يحمله على الانتقام من العصاة بسبب طيشهم، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَآبَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَلْيَلٍ مُّسَئِّلٍ فَإِذَا جَاءَهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

فالواجب على العاقل إذا غضب واحتد أن يذكر حلم الله عليه مع كثرة انتهائه لمحارم الله وتعديه عليها بترك الواجبات و فعل المعاشي ومع ذلك يحلم عليه الله، ثم لا يجب أن يخرجه غضبه وغيظه إلى الدخول في أسباب المعاشي بالظلم والجور والتعدى. والحلم يكون على طريقين:

الأول: أن يَحْلُمَ عَلَىٰ مَا يَتَلِيهِ اللَّهُ مِنَ الْمَصَابِ الْمُقْدَرَةِ لِامْتِحَانِ الْعَبَادِ، فَلَا يَخْرُجُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِأَهْلِ الْعِقْلِ وَالْحَلْمِ.

الثاني: أَنْ يَحْلُمَ عَلَىٰ مَا يَصْدِرُ مِنَ الْمُخْلُوقِينَ حَتَّىٰ يَتَعُودَ الْحَلْمُ طَبَعًا.

### **أسباب الحلم الباعثة على ضبط النفس**

أحدها: الرحمة للجهال: وهذا من الخير حيث يرق الحليم العاقل على الجاهل المخطئ.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه لرجل أسمعه كلاماً سيفاً: يا هذا، لا تغرقن في سبنا، ودع للصلاح موضعًا، فإننا لا نكافئ من عصى فينا بأكثر من أن نطعنه تعجب فيه.

وشتئم رجل الشعبي العالم الكبير فقال: إن كنت كما قلت فغفر الله لي، وإن لم أكن كما قلت فغفر الله لك. واغتاظت عائشة رضي الله عنها من خادم لها ثم رجعت إلى نفسها فقالت: الله دُرُّ التقوى، ما ترَكْتُ لذِي غِيظٍ شفاءً.

الثاني: القدرة على الانتصار: فمن قدر على الانتصار وكان واسع الصدر حسن الثقة بنفسه؛ فعليه بالحلم عن جهل عليه، وقد قيل في مشور الحكم: إذا قدرت على عدوك فأجعل العفو شكرًا للقدرة عليه.

الثالث: الترفع عن السباب: فالحليم يترفع بسبب شرف نفسه وعلو همنه. وقالت الحكماء: شرف النفس أن تحمل المكاره كما تحمل المكارم. وقد قيل: إن الله تعالى سمي نبيه يحيى الصلطان **(وسَيِّدًا)** [آل عمران: ٣٩] وذلك لحِلْمه.

الرابع: الاستهانة بالمسيء: فقد يحلم المرء استهانة بمن أساء إليه، فلا يوجد في نفسه رغبة في الانتقام منه لصغر شأنه في عينه، وذلك من الكبر الحسن محمود. وقد عفا مصعب بن الزبير رضي الله عنهما عن قاتل أبيه الزبير بن العوام استحقاراً لشأنه، وأنه لا يساوي قدر أبيه فيقتضي منه.

الخامس: الاستحياء من عاقبة جواب الجاهل: فقد يجهل الجاهل بشيء أكبر فيسيء للحليم، فكان حياء الحليم صيانة لنفسه واستكمالاً لمروعته. وقد قال حكيم: احتمال السفه خير من تقليد طريقة (أي: في السب والشتم) والإغضاء عن الجاهل خير من التشبه به.

السادس: التَّفْضُلُ عَلَى السَّبَابِ الشَّتَّامِ: فَإِنِ الْحَلِيمُ إِذَا كَانَ كَرِيمًا مُحِبًّا لِلأَلْفَةِ وَالتَّأْلَفِ فَإِنَّهُ لَا يَرِدُ السَّبَبَ وَالشَّتَّامَ عَلَى السَّفَهَاءِ.

وقد حُكِي عن الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ (أَيْ: وَكَانَ مُشْهُورًا بِالْحَلْمِ) أَنَّهُ قَالَ: مَا عَادَنِي أَحَدٌ قَطْ إِلَّا أَخْذَتِ فِي أَمْرِي بِإِحْدَى ثَلَاثِ خَصَالٍ:

إِنْ كَانَ أَعْلَى مِنِي عَرَفْتُ لَهُ قَدْرَهُ (أَيْ: يَعْنِي لَمْ أَرْدِعْلِيهِ احْتِرَامًا لَهُ).

وَإِنْ كَانَ دُونِي رَفِعْتُ قَدْرِي عَنْهُ (أَيْ: لَمْ أَنْزَلْ لَدْرِجَتِهِ فِي السَّفَاهَةِ).

وَإِنْ كَانَ نَظِيرِي تَفْضِيلٌ عَلَيْهِ (أَيْ: لَمْ أَرْدِعْلِيهِ لِيَكُونَ ذَلِكَ فَضْلًا مِنِي عَلَيْهِ).

السابع: قَطْعُ سَبَبِ الْجَهَالَةِ وَالشَّتَّامِ: وَهَذَا مِنَ الْحَزْمِ مِنْ صَاحِبِ الْحِلْمِ.

وَحُكِيَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِضِرَارَ بْنَ الْقَعْدَاعِ: وَاللَّهِ لَوْ قَلْتَ وَاحِدَةً لَسْمَعْتَ عَشْرًا. أَيْ مِنَ السُّبَابِ، فَقَالَ لَهُ ضِرَارٌ: وَاللَّهِ لَوْ قَلْتَ عَشْرًا لَمْ تَسْمَعْ وَاحِدَةً. وَهَذَا مِنْ حَزْمِهِ لِيَقْطُعَ السَّبَبَ وَالشَّتَّامَ.

وَحُكِيَ أَنَّ عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَالَ لِعَامِرَ بْنَ مُرَّةَ الزُّهْرِيِّ: مَنْ أَحْمَقَ النَّاسَ؟ قَالَ: مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ أَعْقَلُ النَّاسِ. قَالَ: صَدِقْتَ، فَمَنْ أَعْقَلُ النَّاسِ؟ قَالَ: مَنْ لَمْ يَتَجاوزْ الصَّمْتَ فِي عَقْوَةِ الْجَهَالِ. فَالصَّمْتُ هُنَا لِيَكُفَّ الْجَاهِلُ عَنِ الْاسْتِمْرَارِ فِي السَّفَاهَةِ.

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : : مَا أَدْرَكْتَ أُمِّي فَأَبَرَّهَا (أَيْ: فَقَدْ ماتَتْ وَهُوَ صَغِيرٌ وَلَمْ يَدْرِكِ الْإِحْسَانَ إِلَيْهَا) وَلَكِنْ لَا أَسْبُ أَحَدًا فِي سُبُّهَا.

الثَّامن: الخوف من العقوبة على الجواب: فَرِبِّما يَكُونُ الْحَلِيمُ ضَعِيفًا فِي خَشْبِيَّ عَقْوَةِ رَدِّهِ عَلَى السَّفَهَاءِ. فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ ضَعْفِ نَفْسِهِ فَلِهِ أَنْ يَسْتَرِ عَلَى نَفْسِهِ بِتَرْكِ الْجَوابِ، أَوْ نَتْيَاجَةِ حَكْمَتِهِ وَحَزْمِهِ. فَالْحَلْمُ هُنَا يَحْجِبُ الْمَشَاكِلَ.

الحادي عشر: الرَّعَايَا لِصِدَاقَةِ سَابِقَةٍ أَوْ جَمِيلٍ أَوْ نِعْمَةٍ قَدِيمَةٍ: وَيَكُونُ هَذَا مِنَ الْوَفَاءِ وَالْحَسْنَى الْعَهْدِ. وَقَدْ قِيلَ: أَكْرَمُ الشَّيْءِ (أَيْ: الصَّفَاتِ) أَرْعَاهُمْ لِلَّذِمِ (أَيْ: أَرْعَاهُمْ لِلْجَمِيلِ وَالْعَهْدِ السَّابِقِ).

العاشر: المكر وتوقع الفرص الخفية: وهذا من الدهاء والجحيله.

وقد قيل: غضب الجاهل في قوله (أي: مجرد الكلام) وغضب العاقل في فعله. وقال حكيم: إذا سكت عن الجاهل فقد أوسعته جواباً وأوجعته عقاباً.

والآولى بالإنسان أن يكون حلمه بأحد هذه الأسباب، وإلا كان حلمه عند ذلك ذلة ولم يكن حلماً، فالحلم هو ضبط النفس عند هيجان الغضب، فإذا لم يغضب لسبب من الأسباب الموجبة للغضب كان ذلك من ذلة النفس وقلة المروءة.

وقال الحكماء: ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواضع: لا يعرف الجواد (أي: الكريم) إلا في العسرة، والشجاع إلا في الحرب، والحليم إلا في الغضب.

ومن فقد الغضب في الأشياء المغضبة فقد حُرم من فضائل النفس كالشجاعة والأنفة والحمية والغيرة والدفاع، وصار الإنسان مهيناً، وكما قال الشافعى : من استغضب فلم يغضب فهو حمار (أي: بليد الإحساس).

### الفرق بين الغضب والحزن:

الغضب يكون من جهالة من هو دونك في الرتبة والقدر، والحزن يكون من جهالة من هو فوقك في الرتبة والقدر. والغضب يتحرك من داخل الجسد إلى الخارج؛ فتظهر صورته على الجوارح.

أما الحزن فيتحرك من خارج الجسم إلى داخله؛ فيصير كمداً ومرضاً، ولذلك قد يقتل الحزن صاحبه ما لا يقتل الغضب؛ وذلك لبروز الغضب انفعالاً خارجياً وكمون الحزن داخلياً، فما يصدر عن الغضب إنما هو الانتقام والسطوة، والناتج عن الحزن إنما هو المرض والأسقام، ولذلك قد يفضي الحزن إلى الموت، ولا يكون هذا من الغضب. والحلُم أفضل من كظم الغيظ؛ لأن كظم الغيظ هو تكُلُّ الحِلم، أما الحليم فلا يهيج غضبه أصلاً؛ لكمال عقله وامتلاكه لنفسه عند الغضب، وحلُم الضعيف أو الصغير أمام القوي أو الكبير لا يُعد حلماً، وإنما هو خوفٌ وحذرٌ.

قال رسول الله ﷺ: **«الثَّانِي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَا أَحَدُ أَكْثَرَ مَعَاذِيرَ مِنَ اللَّهِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنِ الْحَلْمِ».** أبو يعلى الموصلي في مسنده برقم (٤٢٥٦)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

وقال رسول الله ﷺ: **«السَّمْتُ الْحَسَنُ** (أي: حسن الهيئة والكلام والسكوت وغيره) **وَالْتَّؤَدَّةُ** (أي: الثاني والحلم) **وَالْاِقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ الْبُيُّوْنَ**. أحمد في مسنده (١/ ٢٩٦) برقم (٢٦٩٨).

وقال عمر رضي الله عنه: **تعلَّمُوا الْعِلْمَ، وَتَعْلَمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحَلْمَ.**

وقال عائشة رضي الله عنها: ليس الخير أن يكثُر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثُر علمك ويعظم حلمك، وألا تباهي الناس بعبادة الله، وإذا أحسنت حمدَ الله تعالى، وإذا أساءت استغفرت الله تعالى. وقال علي رضي الله عنه: إن أول ما عُوض الحليم من حلمه أن الناس كلهم أعواه على الجاهل.

وقال معاوية رضي الله عنه: لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوّة العلم.

وسائل معاوية عَرَابَةَ بنَ أَوْسٍ : **بِمَ سُدْتَ قَوْمَكَ يَا عَرَابَةً؟** قال: كنت أحلم عن جاھلھم، وأعطي سائلھم، وأسعى في حواچھم، فمن فعل فعلی فهو مثالي، ومن جاوزني فهو أفضل، ومن قصر عنی فأنا خیر منه. وقال أيضاً : **عَلَيْكُمْ بِالْحَلْمِ وَالْاحْتِمَالِ** حتى تتمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والإفضل.

وسمع معاوية رضي الله عنه من رجل من رعيته كلاماً شديداً، فقيل له: لو عاقبته. فقال: إني أستحيي أن يضيق حلمي عن ذنب أحد من رعيتي.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما لرجل سبَّه وشتمه مناديًا على غلامه: يا عكرمة، هل للرجل حاجة فتقضيها؟ فنكس الرجل رأسه واستحبَّي مما رأى من حلمه عليه.

وقال طاووس : **مَا حُمِّلَ الْعِلْمَ فِي مِثْلِ حَرَابِ الْحَلْمِ.**

وقال وَهْبُ بْنُ مُنْبَه : **الرِّفْقُ ثُنْيُ الْحَلْمِ** (أي: أخوه).

وقال الحسن البصري : **اطلبو العلم وزينوه بالوقار والحلم.** وعن علي بن الحسين رضي الله عنه أن رجلاً سبه فرمى إليه بخميصه (أي: ثوب مخطط من حرير أو صوف) كانت عليه، وأمر له

بألف درهم، فقال بعضهم: جمع بفعله هذا خمس خصال محمودة: الحلم، وإسقاط الأذى (أي: ترك السب والشتم) وتخليص الرجل مما يبعده عن الله تعالى، وحمله على الندم والتوبة، ورجوع إلى مدحه بعد الذم، اشتري جميع ذلك بشيء يسير من الدنيا.

وقال عطاء بن أبي رباح : ما أوى شيء إلى شيء أزيان من حلم إلى علم.

وقال أكثم بن صيفي : دعامة العقل الحلم، وجماع الأمر الصبر.

وقال المأمون : يحسن بالملوك الحلم عن كل أحد إلا عن ثلاثة: قادر في ملك أو مذيع لسر، أو متعرض لحرمة. وقال أبو عمرو بن العلاء : كان أهل الجاهلية لا يسودون (أي: أى يجعلوه سيداً) إلا من كانت فيه ست خصال وتمامها في الإسلام سابعة: السخاء، والنجدية، والصبر، والحلم، والبيان، والحسب، وفي الإسلام زيادة العفاف.

قال بعض العلماء: ليس الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر انتقام، ولكن الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر عفا.

### قصص في الحلم:

**قصة:** جاء رجل إلى الإمام الشافعي : فقال له: يا ابن الزانية، لقد شغلت الناس بجهلك وضلالك. فقال له الإمام الشافعي: إن كانت أمي زانية فأسأل الله أن يغفر لها، وإن كانت غير زانية فأسأل الله أن يغفر لك. فقال له أصحابه: يا إمام، إنه يقذف ونحو شهود؟ فقال لهم الإمام الشافعي :

فأكره أن أكون له مجيئا

يُخاطبني السفيه بكل قبح

كعوْد زاده الإحراء طيئا

يزيد سفاهة وأزيد حلما

فرحم الله الإمام الشافعي على هذه الأخلاق النبوية. اهـ.

**قصة:** اشتهر الأحنف بن قيس : بسعة حلمه ورجاحة عقله، وكان سيد بنى تميم، ولم يكن ساد قومه بقوه جسله، ولا كثرة ماله، ولا ارتفاع نسبه، إنما سادهم بالحلم والعقل،

حقد عليه قومٌ، فأقبلوا إلى سفيهٍ من سفهائهم وقالوا له: هذه ألف درهم، على أن تذهب إلى سيد بنى تميم الأحنف بن قيس، فتلتقطه على وجهه.

فمضى السفيه، فإذا الأحنف جالس مع رجال بكل رزانة، وهو يحدث القوم، فاقترب السفيه ودنا منه، فلما مدَّ الأحنف إليه رأسه ظانًا أنه سيُسرُّه بشيء فإذا بالسفيه يرفع يده ويأطِّم الأحنف على وجهه لطمةً قوية، فنظر الأحنف إليه ولم يقم من جلسته، بل قال بكل هدوء: ما حَمَلْكَ عَلَى هَذَا؟ قال: قومٌ أَعْطَوْنِي أَلْفَ دَرْهَمٍ عَلَى أَنْ أَلْطَمَ سَيِّدَ بْنَى تميم. فقال الأحنف: آه، مَا صنعتَ شَيْئًا، لَسْتُ سَيِّدَ بْنَى تميم. قال: عجباً، فَأَيْنَ سَيِّدَ بْنَى تميم؟ قال: هل ترى ذاك الرجل الجالس وحده وسيفه بجانبه؟ وأشار إلى رجل اسمه حارثة بن قدامة، امتلاً غضباً وغيظاً، لو قُسِّمَ غضبُه على أمّة لكتفاهم، قال: نعم أرأَه، الرجل هناك؟ قال: نعم، فاذهب والطممه؛ فذاك سيد بنى تميم.

ذهب السفيه إلى حارثة واقرب منه، فإذا عينَا حارثة تلمع شرراً، وقف السفيه عليه ورفع يده ولطمته على وجهه، فما كادت يده تُفارق خده حتى التقط حارثة سيفه وجزَّ يد السفيه. وهكذا بِحِلْمِه اقتضى لنفسه من الرجل . اهـ

يقول الإمام جعفر الصادق: الحِلْم يدور على خمسة أوجه: أن يكون عزيزاً فيذلُّ، أو يكون صادقاً فيتَّهم، أو يدعوه إلى الحق فُيُسْتَخَفُ به، أو أن يؤذى بلا جرم، أو أن يطلب بالحق ويُخَالَّفُ فيه.

**أقسام الحِلْم:** الحِلْم ثلاثة أقسام، وهي كما يلي:

- حِلْم العوام: وهو العفو عن الجاني، مع إضمار الشر باطنًا.

- حِلْم الخواص: وهو العفو عن الجاني، مع إضمار الخير له باطنًا.

- حِلْم خواص الخواص: وهو العفو عن الجاني، مقروراً بالبر إليه فعلًا وقولًا.

وآفة الحِلْم كما قال الأحنف بن قيس : آفة الحِلْم الذُّلُّ (أي: بظهور صاحبه مظهر الذليل). قال أبو الحسن الشاذلي : حقيقة الحِلْم الرفق، بأن يكون رفقاء في قوله وفعله، وبمن تحت يده. وقال الشيخ قاسم الحلبي: الحِلْم حالة اضطرارية، والتَّحلُّم من الأمور

الاختيارية، وهو الكظم، فأنت مكلف بالتحلم لا بالحلم، ولكنك إن تحلمت مرةً بعد مرة تخلقت بالحلم الإضطاري، و كنت كامل العقل؛ لأن الغضب حيئد دخل تحت قدرتك، وقد قال النبي ﷺ: **«إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْتَّعْلُمِ، وَالْحَلْمُ بِالْتَّحْلُمِ»**. الطبراني في الأوسط (١١٨/٣).

برقم (٢٦٦٣)، حسن الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٣٢٨).

والحليم كامل العقل، واسع الصدر، مالك لنفسه، والناس جمیعاً في صفه، والملائكة في عونه، وقليل من الناس من يتصرف بالحليم، ولا يمنعه حلمه من ردع السفهاء، فهو وسط بين البطش والذلة والضعف.

### (الرفق)

الرّفق خلاف العنف، والرفيق لِيُنْ الجائب، ولطيف الفعل. فالرفق: هو لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف، والرّفق واللّيُنْ نتيجة حسن الخلق وثمرة من ثماره. ولا يكون حسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة، وحفظهما على حد الاعتدال.

وفي هذا قال سفيان الثوري : لأصحابه: أتدرؤن ما الرّفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد. قال: أن تضع الأمور في مواضعها: الشدة في مواضعها، واللين في مواضعه، والسيف في مواضعه، والسوط في مواضعه.

وفي هذا تنبية لطيف وإشارة ذكية إلى ضرورة مزج الغلظة باللين، والفتاظة بالرفق بالتوافق الذي قاله، وهذا معنى الاعتدال. فالرفق الم محمود هو ما بين العنف واللين، ولما كانت طبائع البشر تميل إلى العنف والحدة كانت الحاجة إلى ترغيبهم إلى جانب الرفق أكثر، والرفق لا يتنافي مع الحزم الذي هو ضبط الأمر بالثقة.

وكان النبي ﷺ يدعو للرفيق فيقول: **«اللَّهُمَّ مَنْ وَلَيَ مِنْ أَمْرٍ أَمْتَيْ شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشققْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلَيَ مِنْ أَمْرٍ أَمْتَيْ شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ»**. مسلم برقم (١٨٢٨).

وقال ﷺ لعائشة رضي الله عنها: **«يَا عَائِشَةً، ارْفُقِي فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بَأْهُلَ بَيْتِ خَيْرًا دَلَّهُمْ عَلَى بَابِ الرّفْقِ - أَوْ أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرّفْقَ»**. أحمد في مستنه (٦/١٠٤) برقم (٢٤٧٧٨)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

وشكا رجل إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال له: **«إِنْ أَرَدْتَ تَلْبِينَ قَلْبِكَ فَأَطْعِمِ**

**المسكين، وأمسح رأس السيئم**. أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٢/٢٦٣) بِرَقْمِ (٧٥٦٦)، وَقَالَ الْأَرْنُوْطُتُ: إِسْنَادٌ صَحِيحٌ.

**وقال أيضاً**: «أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٍ مُتَصَدِّقٍ مُوَفَّقٍ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى مُسْلِمٌ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ». سُلَيْمَانُ بِرَقْمِ (٢٨٦٥).

وَمِنَ الرِّفْقِ أَيْضًا مَا قَالَهُ الرَّسُولُ ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ؛ فَإِنَّ مِنْهُمُ الْمُضَعِّفَ وَالسَّقِيمَ وَالْكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوَّلْ مَا شَاءَ». متفق عليه.

**وقال أيضاً**: «إِنِّي لَأَذُخُلُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأُخَفِّفُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ بِهِ». الْبَخَارِيُّ بِرَقْمِ (٧٠٧). وَالرِّفْقُ بِالنَّفْسِ مَطْلُوبٌ كَذَلِكَ، كَمَا رُوِيَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ فِي سَفَرٍ، فَرَأَى رَجُلًا قَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَقَدْ ظَلَّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ ﷺ: «مَا لَهُ؟». قَالُوا: رَجُلٌ صَائِمٌ. قَالَ: «لَيْسَ مِنَ الْبَرِّ أَنْ تَصُومُوا فِي السَّفَرِ». متفق عليه.

وَعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ قَالَتْ: مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدُ النَّاسَ مِنْهُ، وَاللَّهُ مَا انتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ حَتَّى تُتَهَّكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ فَيَتَقَمَّلَ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ. وَقَالَ أَبُو الدَّرَداءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ رِفْقَهُ فِي مَعِيشَتِهِ.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ لِابْنِهِ عَبْدَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا الرِّفْقُ؟ قَالَ: تَكُونُ ذَا أَنَاءً فُتَلَّاً لِنِسْلَانِ الْوَلَادَةِ (أَيْ: يَعْنِي مَتَّيْنَا فِي فَعْلِكَ وَقَوْلِكَ مَعَ وَلَادَ الْأَمْرِ وَالرَّؤْسَاءِ). قَالَ: فَمَا الْخَرَقُ (أَيْ: الْحَمْقُ وَضَعْفُ الرَّأْيِ)؟ قَالَ: مَعَادَةُ إِمَامِكَ (أَيْ: حَاكِمِكَ) وَمَنَاوَأَةُ (أَيْ: مَعَادَةُ) مَنْ يَقْدِرُ عَلَى ضَرَركَ.

وَقَدْ قِيلَ فِي الْحِكْمَةِ: لَا تُعَانِدَ مَنْ إِذَا قَالَ فَعْلٌ (أَيْ: لَا تُعَانِدَ مَنْ يَسْتَطِعُ أَنْ يَطْشِبَ بِكَ).

وَقِيلَ مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ: الرِّفْقُ رَأْسُ الْحِكْمَةِ. وَقَالَ قَيْسَ بْنُ أَبِي حَازِمَ : كَانَ يَقَالُ: مَنْ يُعْطَ الرِّفْقَ فِي الدُّنْيَا نَفِعَهُ فِي الْآخِرَةِ.

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: مَا أَحْسَنَ الإِيمَانَ يُزَيِّنُهُ الْعِلْمُ، وَمَا أَحْسَنَ الْعِلْمَ يُزَيِّنُهُ الْعَمَلُ، وَمَا أَحْسَنَ الْعَمَلَ يُزَيِّنُهُ الرِّفْقُ، وَمَا أَضَيَفَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ مِثْلُ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ.

وَالرِّفْقُ دَلِيلٌ عَلَى فَقْهِ الرَّجُلِ وَحِكْمَتِهِ وَحَسْنِ إِسْلَامِهِ وَكَمَالِ فَهْمِهِ وَإِيمَانِهِ، وَهُوَ زِينَةُ الْحَيَاةِ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى رِفْقِ اللَّهِ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

## ٧٥- باب العفو والإعراض عن الجاهلين

قال الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمِرْ بِالْمَعْرِفَةِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجُنُاحِ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَا إِلَّا لِلْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾

**فاصفح الصفح الجميل** ﴿٤٠﴾ [الحجر: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَيَعْفُوا وَلَيَصْفُحُوا أَلَا تَشْعُرُونَ أَنَّ يَعْفَرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَالْأَعْدَافُ فِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَرَرْ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لِمَنْ عَزَّزَ الْأَمُورَ﴾ [الشورى: ٤٣].

والآيات في الباب كثيرة معلومة.

(٦٤٢) وعن عائشة رضي الله عنها: أنها قالت للنبي صلوات الله عليه: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أخذ؟ قال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيته منهم يوم العقبة، إذ عرضا نفسيا على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يحبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستيق إلا وأنا بقرن الثعالب» (أي: وهو مقات أهل نجد، ويقال له أيضا قرن المنازل، وهو على بعد يوم وليلة من مكة)، فرفعت رأسه، فإذا أنا سحابة قد أظللتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقدبعث إليك ملك العمال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك العمال، فسلم علىي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك العمال، وقد بعثني ربِّي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أطبق عليهم الأخشبين». فقال النبي صلوات الله عليه: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً». متفق عليه. **الأخشبان**: الجبال المحيطان بمكة. **والأخشب** هو الجبل الغليظ.

(٦٤٣) وعنها قالت: ما ضرب رسول الله صلوات الله عليه شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادما، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فيتقى من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى، فيتقى الله تعالى. رواه مسلم.

(٦٤٤) وعن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله صلوات الله عليه وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجده (أي: جذبه) بردايه جبدة شديدة، فنظرت إلى صفحاته عاتق

النَّبِيُّ ﷺ، وَقَدْ أَتَرْتُ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْلِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالْتَّفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءِ. متفق عليه.

(٦٤٥) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى رسول الله صلوات الله عليه وسلم يحكي نبياً من الأنبياء - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ - ضَرَبَهُ قَوْمٌ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، ويقول: **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**. متفق عليه.

(٦٤٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم قَالَ: **لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ** (أي: الذي يصرع الناس ويغلبهم)، **إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**. متفق عليه.

\* \* \*

### (العفو والصفح والغفران)

العفو: هو تركك إنساناً استوجب عقوبةً فعفوت عنه، والله سبحانه هو العفو الغفور.  
قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: سلوا الله العفو والعافية والمعافاة (أي: سلوا الله محو الذنوب).  
فأما العافية: فهي أن يعايفه الله تعالى من مرض أو ينجيه فيصبح صحيحًا ليس مريضاً؛  
أي وهب له العافية من العلل والبلايا، ومنها قول رسول الله صلوات الله عليه وسلم: **سَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ**. أحمد  
في مسنده (١/٨) برقم (٤٦)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

وأما المعافاة: فهي أن يعافيك الله من الناس وأذاهم، ويعايفهم منك أيضًا. فالعفو هو التجاوز عن الذنب وترك المعاقبة المستحقة عليه. فالله هو العفو الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاشي، والمعنى قريب من الغفور، لكن العفو أبلغ من الغفران؛ لأن الغفران ستر للمعصية، أما العفو فهو محو للمعصية، فكل من استحق عقوبة فتركها سمي ذلك الترك عفواً.

**الفرق بين العفو والصفح والمغفرة:** الصفح أبلغ من العفو؛ فقد يعفو الإنسان ولا يصفح؛ لأن الصفح تجاوز عن الذنب بالكلية واعتباره كأن لم يكن، أما العفو فإنه يقتضي إسقاط اللوم والذم فقط، ولا يقتضي حصول الثواب، أما الغفران فإنه لا يكون معه عقوبة البة، وفي المغفرة ستر للذنب، وصون من عذاب الخزي والفضيحة. والله جمعها في سورة «التغابن» في قوله تعالى: **فَإِنْ تَعْمَلُوا تَصْفَحُوهُ وَتَغْفِرُوا لِأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿١٤﴾ [التغابن: ١٤].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله تعالى حدثنا بها رسول الله صلوات الله عليه وسلم: **وَمَا أَصَبَّكُمْ مِنْ مُصِبَّكُمْ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْقُوا عَنْ**

**كبير** (٣٠) [الشوري: ٣٠].

وَمَا يَرْوِيهِ عَلَى يَرْفَعِهِ يَرْفَعُهُ: (وَسَأَفْسِرُهَا لَكَ يَا عَلِيُّ: مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مَرْضٍ أَوْ عُقُوبَةٍ أَوْ بَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا فَبِمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُنَهِّي عَلَيْهِمُ الْعُقُوبَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَمَا عَفَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا فَاللَّهُ تَعَالَى أَحْلَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ بَعْدَ عَفْوِهِ). أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (١/٨٥) بِرَقْمِ (٦٤٩).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ: جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ نَعْفُوُ عَنِ الْخَادِمِ؟ فَصَمَّتْ، ثُمَّ أَعْدَادَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ فَصَمَّتْ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ قَالَ: «أَعْفُوا عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً». أَبُو دَاوُد بِرَقْمِ (٥١٦٤)، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ (السَّلِسْلَةُ الصَّحِيحَةُ) حَدِيثٌ (٤٨٨).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَعَاافُوا الْحُدُودَ فِيمَا بَيْكُمْ، فَمَا بَلَغَنِي مِنْ حَدًّا فَقَدْ وَجَبَ» [أَبُو دَاوُد بِرَقْمِ (٤٣٧٦)، الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدِرِكِ بِرَقْمِ (٨١٥٦)، وَقَالَ: حَدِيثٌ صَحِحٌ الْإِسْنَادُ وَلَمْ يَخْرُجْهُ، وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ (صَحِحُ الْجَامِعُ الصَّغِيرُ) حَدِيثٌ (٢٩٥٤)]. فَقَدْ أَمْرَنَا بِالْعَفْوِ عَنِ الْمَسِيءِ قَبْلَ وَصُولِهِ لِلْحَاكِمِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أَحَدُ أَصْبَرَ عَلَى أَذْنِ سَمِعَةِ مِنَ اللَّهِ؛ يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ ثُمَّ يَعَا فِيهِمْ وَيُرْزُقُهُمْ» [متفقٌ عَلَيْهِ]. أَيْ أَنَّ اللَّهَ يَصْبِرُ عَلَى كُفَّرِ الْكَفَارِ.

وَرَوَى عَنْ عَلِيٍّ يَرْفَعِهِ: «مَنْ أَصَابَ حَدًّا فَعُجَّلَ عُقُوبَتُهُ فِي الدُّنْيَا فَاللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُنَهِّي عَلَى عَبْدِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَمَنْ أَصَابَ حَدًّا فَسَرَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَفَا عَنْهُ فَاللَّهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ إِلَى شَيْءٍ قَدْ عَفَا عَنْهُ». التَّرمِذِيُّ بِرَقْمِ (٢٦٢٦)، وَقَالَ: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

وَهَذَا قَوْلُ أَهْلِ الْعِلْمِ: لَا نَعْلَمُ أَحَدًا كَفَرَ أَحَدًا بِالْزَّنَنَأَوِ السُّرْقَةِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «اَرْحَمُوا تُرْحُمُوا، وَأَعْفُرُوا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ، وَيَنْبُلُ لِلْمُصْرِرِينَ الَّذِينَ يُصْرُوْنَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ». أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٢/٢١٩) بِرَقْمِ (٧٠٤١)، وَقَالَ الْأَرْنُوْطُ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ (صَحِحُ الْجَامِعُ الصَّغِيرُ) حَدِيثٌ (٨٩٧).

وَقَالَ أَيْضًا ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاهَزَ لِي مِنْ أُمَّتِي مَا وَسَوَستُ بِهِ صُدُورُهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ». متفقٌ عَلَيْهِ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ الصَّدِيقِ ﷺ: بَلَغَنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُ مَنَادِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيُنَادِي: مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ شَيْءٌ فَلَيْقُمْ، فَيَقُومُ أَهْلُ الْعَفْوِ، فَيُكَافِهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُ مِنْ عَفْوِهِمْ عَنِ النَّاسِ.

وقال معاوية رضي الله عنه: عليكم بالحلم والاحتمال حتى تتمكنكم الفرصة، فإذا أمكتتكم فعليكم بالصَّفح والإفصال.

وأتي عبد الملك بن مروان بأسارى فيهم ابن الأشعث, فقال لرجاء بن حيوة: ماذا ترى؟ قال: إن الله تعالى قد أعطاك ما تُحِبُّ من الظَّفَر, فأعطِ الله ما يحب من العفو. فعفا عنهم.

وقال الحسن رضي الله عنه: أفضل أخلاق المؤمن: العفو.

ورُوي أن راهباً دخل على هشام بن عبد الملك : قال للراهب: أرأيت إذا القرنين، أكان نبياً؟ قال: لا، ولكنه إنما أعطي ما أعطي بأربع خصال كن فيه: كان إذا قدر عفا، وإذا وعد وفي، وإذا حدث صدق، ولا يجمع شغل اليوم لغد.

وعلق إبراهيم النَّجْعَنِي : على باب البخاري «الانتصار من الظالم»؛ لقول الله عَزَّوجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَسَأُوهُمْ لِبَقِيعَ مُهْنَمَنَصِرُونَ﴾ (الشوري: ٣٩) قال: كانوا يكرهون أن يستدلوا، فإذا قدروا عفوا.

ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فجعل يشكوا إليه رجلاً ظلمه ويقع فيه (أي: يسبه ويستهه ويغتابه), قال عمر: إنك أن تلقى الله بمظلمتك كما هي خير لك من أن تلقاه وقد اقتصرتها (أي: أخذت حظك منه في الدنيا بسبه وشتمه وغير ذلك).

وقال مُسْلِم بن يَسَار : لرجل دعا على ظالمه: أو كِل (أي: دع) الظالم إلى ظلمه؛ فإنه أسرع إليه من دعائك عليه إلا أن يتداركه بعَمَل (أي: يعمل عملاً صالحًا) وَقَمِنْ (أي: جديراً) ألا يفعل.

وكتب أحدهم إلى صديقه له يسأله العفو عن بعض إخوانه: فلان هارب من زَلَّته إلى عفوك، لاذ منك بك، وأعلم أنه لن يزداد الذنب عظماً إلا ازداد العفو فضلاً.

قال بعض أهل العلم: ليس الحليم من ظُلِم فحمل حتى إذا قدر انتقم، ولكن الحليم من ظُلِم فحمل حتى إذا قدر عفوا.

قال ابنُ تيمية : ذكر الله تعالى في كتابه: الصبر الجميل، والصفح الجميل، والهجر الجميل: فالصبر الجميل: هو الذي لا شکوى فيه ولا معه، والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه، والهجر الجميل هو الذي لا أذى معه.

وقال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ الصَّفَحَ الْجَيْلَ﴾ (٨٥)

[الحجر: ٨٥] قال: **الرضا** بغير عتاب.

**قصة:** حَدَثَ فِي عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنْ جَاءَ ثَلَاثَةُ أَشْخَاصٍ مُّمْسِكِينَ بِشَابٍ وَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نَرِيدُ مِنْكَ أَنْ تَقْتَصُّ لَنَا مِنْ هَذَا الرَّجُلِ؛ فَقَدْ قُتِلَ وَالدَّنَا. قَالَ عُمَرَ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: لِمَاذَا قُتِلَتَهُ؟ قَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي رَاعَيْتُ إِبْلِي، وَقَدْ أَكَلَتْ إِبْلُ مِنْ إِبْلِي شَجَرَةً مِنْ أَرْضِ أَبِيهِمْ فَضَرَبَهَا أَبُوهُمْ بِحَجْرٍ فَمَاتَتْ، فَأَمْسَكَتْ نَفْسُ الْحَجْرِ وَضَرَبَتْهُ بِهِ فَمَاتَتْ. قَالَ عُمَرَ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِذْنُ سَاقِيمٍ عَلَيْكَ الْحَدَّ. قَالَ الرَّجُلُ: أَمْهَلْنِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَقَدْ مَاتَ أَبِي وَتَرَكَ لِي كَنْزًا أَنَا وَأَخِي الصَّغِيرُ، فَإِذَا قُتِلْتُنِي ضَبَاعُ الْكَنْزِ وَضَاعَ أَخِي مِنْ بَعْدِي. فَقَالَ عُمَرَ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: وَمَنْ يَضْمِنُكَ؟ فَنَظَرَ الرَّجُلُ فِي وُجُوهِ النَّاسِ فَقَالَ: هَذَا الرَّجُلُ. فَقَالَ عُمَرَ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، هَلْ تَضْمِنُ هَذَا الرَّجُلَ؟

فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: نَعَمْ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ عُمَرَ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِنَّكَ لَا تَعْرِفُهُ، وَإِنَّ هَرَبَ أَقْمَتُ عَلَيْكَ الْحَدَّ! فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: أَنَا أَضْمِنُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَرَحَلَ الرَّجُلُ، وَمَرَّ الْيَوْمُ الْأُولُ وَالثَّانِي وَالثَّالِثُ، وَكُلُّ النَّاسِ كَانَتْ قَلْقَةً عَلَى أَبِي ذَرٍّ، حَتَّى لَا يُقَامَ عَلَيْهِ الْحَدُّ، وَقَبْلَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ بِقَلِيلٍ جَاءَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَلْهُثُ وَقَدْ اشْتَدَّ عَلَيْهِ التَّعبُ وَالْإِرْهَاقُ، وَوَقَفَ بَيْنَ يَدِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ سَلَّمْتُ الْكَنْزَ وَأَخِي لِأَخْوَاهُ، وَأَنَا تَحْتَ يَدِكَ لِتُقْيِيمَ عَلَيَّ الْحَدَّ. فَتَعَجَّبَ عُمَرَ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَقَالَ: مَا الَّذِي أَرْجَعَكَ؟! كَانَ بِإِمْكَانِكَ الْهَرْبُ! فَقَالَ الرَّجُلُ: خَشِيتُ أَنْ يُقَالَ: لَقَدْ ذَهَبَ الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ مِنَ النَّاسِ. فَسَأَلَ عُمَرَ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَبَا ذَرٍّ: لِمَاذَا ضَمِنْتَهُ؟ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَشِيتُ أَنْ يُقَالَ: لَقَدْ ذَهَبَ الْخَيْرُ مِنَ النَّاسِ. فَتَأَثَّرَ أَوْلَادُ الْمَقْتُولِ فَقَالُوا: لَقَدْ عَفُونَا عَنْهُ. فَقَالَ عُمَرَ بْنُ الْخَطَّابِ: لِمَاذَا؟ فَقَالُوا نَخَشِيُّ أَنْ يُقَالَ: لَقَدْ ذَهَبَ الْعَفْوُ مِنَ النَّاسِ.

وَالْعَفْوُ وَالغَفْرَانُ وَالصَّفْحُ دَلِيلٌ عَلَى سُعَادِ الصَّدَرِ وَحُسْنِ الظَّنِّ وَالْخَلُقِ، وَدَلِيلٌ أَيْضًا عَلَى كَمَالِ النَّفْسِ وَشَرْفِهَا، وَإِنَّ أَمَّةً اتَّشَرَّ فِيهَا الْعَفْوُ وَالصَّفْحُ وَالغَفْرَانُ لِأَمَّةٍ عَظِيمَةٍ سَعِيدَةٍ.



## ٦٦- باب احتمال الاذى

قال الله تعالى: ﴿وَالْكَّاظِمِينَ الْفَيَضَ وَالْمَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ  
الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمَنْ عَزِمَ الْأُمُورَ﴾ [الشورى: ٤٣].

وفي الباب الأحاديث السابقة في الباب قبله.

(٦٤٧) وعن أبي هريرة رض: أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُّهُمْ وَيَقْطُونِي، وَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ (أي: يُسيئون إِلَيَّ)، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَانَمَا تُسْفِهُمُ الْمَلَّ» (أي: نُطْعِمُهُم الرِّمَادَ الْحَارِ)، وَلَا يَرَأُ مَعَكَ مِنَ اللهِ تَعَالَى ظَهِيرٌ (أي: مُعِينٌ وَنَصِيرٌ) عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ». رواه مسلم، وقد سبق شرحه في باب صلة الأرحام.

## ٦٧- باب الغضب إذا انتهكت حرمات الشرع

### والانتصار لدين الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْظِمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَمْرِوا اللهَ يَصْرُكُمْ وَيُنَيِّتُ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وفي الباب حديث عائشة رض السابق في باب العفو.

(٦٤٨) وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدرى رض: قال: جاء رجل إلى النبي صل فقال: إِنِّي لَأَتَأْخَرُ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فلانِ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صل غَضَبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ؛ فَقَالَ: «إِنَّ أَيْهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفَرِينَ فَإِنَّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلَيُؤْجِزُونَ؛ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ وَذَا الْحَاجَةِ». متفق عليه.

(٦٤٩) وعن عائشة رض قالت: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صل مِنْ سَفَرٍ، وَقَدْ سَرَّتْ سَهْوَةً لِي يَقْرَأُ فِيهِ تَمَاثِيلٍ، فَلَمَّا رَأَهُ رَسُولُ اللهِ صل هَتَّكَهُ وَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ، وَقَالَ: «إِنَّ عَائِشَةَ، أَشَدُ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ». متفق عليه.

«السَّهْوَةُ: كالصَّفَةِ تَكُونُ بَيْنَ يَدِي الْبَيْتِ (أي: وهي الطاقة أو الفتحة في الحافظ). وـ«القرام

بكسر القاف: ستر رقيق. وـ«هَكَكَهُ: أفسَدَ الصُّورَةَ الَّتِي فِيهِ.

(٦٥٠) / ٧٧ وعنها: أن قريراً أهملهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: من يجرئ عليه إلا أسامة بن زيد حب (أي: محبوب) رسول الله ﷺ: فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «اتشفع في حد من حدود الله تعالى!؟! ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك من قبلكم أنتم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الصعييف أقاموا عليه الحد، وain الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها». متفق عليه.

(٦٥١) / ٧٧ وعن أنس بن مالك: أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة، فشق ذلك عليه حتى رُوي في وجهه (أي: شوهد أثر غضبه وحزنه من ذلك على وجهه)! فقام فحكة يده، فقال: «إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه ينادي ربَّه، وإن ربَّه يئنَّه وبين القبلة فلا يزقَّ أحدكم قبل القبلة، ولَكِنْ عن يسارِه، أو تَحْتَ قدمِه». ثم أخذ طرف رداءه فقصَّ فيه، ثم رَدَّ بغضبه على بعضٍ فقال: «أو يفعل هكذا». متفق عليه. والأمر بالصاق عن يساره أو تَحْتَ قدمِه هو فيما إذا كان في غير المسجد، فاما في المسجد فلا يتصق إلَّا في ثوبِه.

\* \* \*

### الغضب

الغضب مفتاح كل شر، وهو غليان الدم في قلب الإنسان رغبة في الانتقام، فمتى غضب الإنسان ثارت نار الغضب ثوراناً يغلي به دم القلب، ومنه يتشر في العروق، ويرتفع إلى أعلى البدن كما يرتفع الماء الذي يغلي في الإناء، ويحمر الوجه والعين والبشرة من تدفق الدم الذي يغلي، فكان الوجه زجاجة تعكس لون الدم فيها، وهكذا النار فإنها تصعد إلى أعلى.

والغضب يكون لصدور الخطأ والجهالة من هو دونك في المقام مع قدرتك على الانتقام منه، أما إذا كان الغضب ممن كان أعلى في الرتبة ويئس العبد من الانتقام منه، تولد منه انقباض الدم من الجلد إلى جوف القلب، وصار حزناً، ولذلك يصفر الوجه، أما إذا كان من نظير ومساوٍ لك في المقام تردد الدم بين الانقباض والبسط، فتارة يحمر اللون وتارة يصفر ويضطرب.

واعلم أن الغضب يولد رغبة الانتقام الذي هو الحقد، ومنه إلى الحسد؛ أي رغبة زوال نعمة الغير، ولهذا قيل: اتقوا الغضب؛ فإنه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل.

والغضب عدو العقل، وكل العطب في الغضب، وأول الغضب جنون وآخره ندم.

### **الغضب المحمود والغضب المذموم:**

افتضلت حكمة الله تعالى أن رَكَبَ الإنسان على طبيعة محمولة على قوتين: قوة الغضب، وقوة الشهوة، فهاتان القوتان هما مصدر الأخلاق في النفس، فبقوة الشهوة يطلب الإنسان المنافع والمصالح لنفسه، وبقوة الغضب يدفع المضار والأذى عنها.

فأصحاب العقول الراجحة علموا أن هذه الصفات وتلك القوى لم تخلق سُدًّا ولا عبثًا، فهي بمنزلة الماء يُسقى به الورد الجميل والشوك المؤذى، أو الشمار الطيبة والخطب الرديء. فمثلاً الكِبْرُ - وهو من ثمرات الغضب - وهو مذموم كما نعلم، فإن أحسن استعماله كان سبباً في طلب العلو والارتفاع.

ومما يروى أن النبي ﷺ رأى أبا دُجَانَةَ رَجُلَةَ يتبخر بين الصفين في بدء القتال فقال: «إِنَّهَا مِشِيشَةٌ يُبَغْضُهَا اللَّهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ» [الطبراني في الكبير (٧/٦٥٠٨) برقم (٦٥٠٨)]. وقال أيضاً: «إِنَّ مِنَ الْحُكَمَاءِ (أي: الْكُبِيرِ) مَا يُحِبُّهَا اللَّهُ، وَمِنْهَا مَا يُبَغْضُهَا اللَّهُ، فَالْحُكَمَاءُ الَّتِي يُحِبُّهَا اللَّهُ أَخْتِيَالُ الرَّجُلِ فِي الْحَرْبِ وَعِنْدَ الصَّدَقَةِ». أَحْمَدَ فِي مُسْنَدِهِ (٥/٤٤٦) برقم (٢٣٨٠٣)، وَقَالَ الْأَرْنُوْطُ: حَسْنٌ لِغَيْرِهِ.

فالمقاتل يحتاج إلى التكبير عن الخوف من الموت وفقدان الأهل والأحباب، وأن يطلب العلا والمجد في جنات النعيم، فهو كبر حميد، وكذلك عند إخراج الزكوات والصدقات فيتکبر على شعور الخوف من الفقر والضياع ويطلب أن تكون يده العليا عند الله.

وُقُلَّ مثَلَ ذلك في خُلُقِ الحرص، فرغم أنه مذموم فهو إذا أحسن الانتفاع به صار من أَنْفَعِ الْأَخْلَاقِ؛ فقوة الحرص لا تُدْمِ مطلقاً، وإنما يُدْمِ منها ما يدفع إلى الحرص على الدنایا والأشياء المذمومة، في حين أن غيرها قد يكون أولى بالحرص.

كما في الحديث: «اَخْرُصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ» [مسلم برقم (٢٦٦٤)]. كذلك قوة الغضب فإنها تصرف إلى الغضب على أعداء الله ومجاهدتهم، وعلى المنافقين، وإلى الدفاع عن

العرض والأولاد والأموال والأوطان، فالبصير العارف يستعمل نعَمَ الله في مواضعها النافعة، وهذا هو الغضب المحمود.

### أما الغضب المذموم فيكون بطريقين:

أحدهما: الغضب في غير الحق: كالغضب من أجل العصبية والقبلية، وكغضب الفساق في لعب القمار والميسر، أو الغضب من أجل شيء بسيط كالتحيز للأندية والألعاب الرياضية، وخروج الإنسان فيها عن حد الاحترام والاعتدال، والغضب للأهل والأولاد في غير الحق، وأكثر الجُهَّال يُسمون الغضب من هذا النوع شجاعة ورجولة وعزّة نفس، فتميل إلى فعله النفوس المريضة الجاهلة، وهذا من الغباء والجهل.

الثاني: الغضب الذي يُخرج صاحبه عن فعل الحق وحد الاعتدال: وقد جاء في الحديث: «**العَدْلُ فِي الْغَضَبِ وَالرَّضَا**» [أحمد في مسنده (٤ / ٢٦٤) برقم (١٨٣٥١)، صححه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (١٨٠٢)]؛ مدحًا لأصحاب الأخلاق العالية، فحتى لو كان الإنسان في أعلى المراتب والمناصب فيلزمه مراعاة حد الاعتدال في الغضب وألا يتجاوزه. وقد كان لا يقوم لغضبه شيء إذا تعرّض للحق، حتى يتتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا يتتصر لها.

والناس في قوة الغضب على درجات ثلاثة: تفريط وإفراط، واعتدال:

أولاً: التفريط في قوة الغضب حيث يُصبح المرء لا حمِيَّة له ولا غيرة دُيوثًا لا يأنف من تعرُض الغير لحرماته وزوجته، ومع أن الله تعالى خلق الغيرة لحفظ الأنساب، ولو تساهل الناس في الغيرة لاختلطت الأنساب.

ولهذا قبل: كُلُّ أُمَّةٍ حَفِظَتِ الْغَيْرَةَ في رجالها حفظت العفة في نسائهم.

فقد الغضب بالكلية مذموم، وإنما المحمود منه غضب تحت سيطرة العقل والدين، فقوم حين يجب وينطفئ حين يجب، وهو حد الاعتدال والوسط.

وقد قال الشافعي : مَحْذِرًا من ذلك: مَنْ اسْتُغْضِبَ فَلَمْ يَغْضُبْ فَهُوَ حَمَارٌ. يعني فيما

يحق له أن يغضب فيه، وقد شبهه بالحمار لبلادته وانعدام غضبه وغيرته على حرماته.

الثانية: الإفراط: وهو غضب مذموم أيضاً؛ حيث يغلبه الغضب حتى يخرجه عن العقل والدين وطاعة الله ورسوله ﷺ، فلا يقى معها للمرء نظر ولا بصيرة ولا اختيار ولا تفكير، فهو كالأعمى لا يرى بها شيئاً وتسودُ الدنيا في وجهه، وكلما اشتدت نار الغضب صرفته عن كل موعظة، بل إذا عِظَ لم يسمع وازداد غضباً أيضاً، وربما زاد الغضب بصاحب فسبب له الأمراض وربما قتله.

الثالثة: حد الاعتدال: وهو الوسيط بين الطرفين المذمومين.

وقد قال بعضهم: من أطاع شهوته وغضبه قاده إلى النار.

وقال بعضهم: إياك والغضب؛ فإنه يصيرك إلى ذلة الاعتذار.

وليس كُلُّ من عَجَز عن الإتيان بالخير كله يأتي بالشر كله، ولكن بعض الشر أهون من بعض، وبعض الخير أرفع قدرًا وأفضلية من بعض.

**أسباب الغضب:** قوة الغضب محلها القلب، والأخلاق الرديئة المذمومة شرعاً هي التي تُسبِّب الغضب المذموم: كالزَّهْو، والخُيَلَاء، وإعجاب المرء بنفسه، والمزاح المذموم شرعاً، والاستهزاء بالناس، والتغيير بالنواصص والمماراة والمجادلة لغير وجه الله، والمعاندة في الحق، والغدر وشدة الحرص على فضول الدنيا والمال والجاه.

ولابد من إزالة هذه الأسباب بالأدوية المضادة لها: فـيعالج الزَّهْو والعجب بالتواضع، وليدرك أننا كلنا بنو آدم، وآدم من تراب. والمزاح يعالج بتشاغل صاحبه بأمر دينه وآخرته قدر المستطاع، والاستهزاء يعالج بالتكريم عن إيناد الناس وتغييرهم، وأما التغيير فالحذر عن ذكر القبائح، وأما شدة الحرص فالقناعة والترفع عن الدنيا.

**علاج الغضب:** فإذا هاجت النفس غضباً فعلاجها بأمور:

الأول: أن يذكر فضيلة كظم الغيظ والعفو والحلُم والاحتمال رغبةً فيما عند الله من المثبتة.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَظَمَ عَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْفِدَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَلَىٰ رَءُوسِ

**الْخَلَقِ حَتَّى يُحَمِّلَ مِنَ الْحُوْرِ مَا شَاءَ**». أـحمد في مـسنـه (٤٣٨ / ٣)، بـرـقم (١٥٦٥٧)، وـقال الأـرنـوـط: إـسـنـادـه حـسـنـ.

**الثـانـي:** أـن يـخـوـفـ نـفـسـه بـعـقـابـ اللهـ؛ لـأـنـ كـلـ ظـلـمـ صـدـرـ منـ شـخـصـ لاـ يـجـوزـ مـقـابـلـتـهـ بمـثـلـهـ، فـلاـ تـجـوزـ مـقـابـلـةـ الغـيـبةـ بـالـغـيـبةـ، وـلـاـ التـجـسـسـ بـالـتـجـسـسـ، وـلـاـ السـبـ بـالـسـبـ، وـكـذـلـكـ سـائـرـ الـمـعـاصـيـ، وـإـنـماـ القـصـاصـ وـالـغـرـامـةـ عـلـىـ قـدـرـ ماـ وـرـدـ الشـيـءـ بـهـ.

**قال عمر رضي الله عنه:** مَنْ أَتَقَىَ اللَّهَ لَمْ يَشْفِ غَيْظَهُ، وَمَنْ خَافَ اللَّهَ لَمْ يَفْعَلْ مَا يَشَاءُ، وَلَوْلَا يَوْمَ القيـامـةـ لـكـانـ غـيـرـ مـاـ تـرـوـونـ (أـيـ: مـنـ الـحـلـمـ وـالـعـفـوـ وـالـسـامـحـ).

**الـثـالـثـ:** أـن يـخـوـفـ نـفـسـهـ مـنـ عـاقـبـةـ الـعـدـاوـةـ وـالـانتـقامـ مـنـ الـعـدـوـ.

**قال حـكـيمـ:** أـيسـرـ شـيـءـ الدـخـولـ فـيـ الـعـداـوـةـ، وـأـصـعـبـ شـيـءـ الـخـروـجـ مـنـهـ. وـقـيلـ: مـنـ عـادـىـ مـنـ دـوـنـهـ ذـهـبـتـ هـيـبـتـهـ، وـمـنـ عـادـىـ مـنـ فـوقـهـ غـلـبـ، وـمـنـ عـادـىـ مـنـ مـثـلـهـ نـدـمـ.

**الـرـابـعـ:** أـنـ يـتـفـكـرـ فـيـ قـبـحـ شـكـلـهـ وـصـورـتـهـ أـثـنـاءـ الغـضـبـ.

**الـخـامـسـ:** التـفـكـرـ فـيـ السـبـ الدـاعـيـ لـلـانتـقامـ إـذـ لـعـلـهـ سـبـ بـسيـطـ أـوـ هـوـيـ نـفـسـ أـوـ تـسـلـطـ شـيـطـانـ، وـلـيـذـكـرـ قـولـ اللهـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ: لـيـقـمـ مـنـ وـقـعـ أـجـرـهـ عـلـىـ اللهـ. فـلـاـ يـقـومـ إـلـاـ مـنـ عـفـاـ.

**الـسـادـسـ:** أـنـ يـعـلـمـ أـنـ ذـلـكـ مـنـ أـقـدـارـ اللهـ فـيـصـبـرـ نـفـسـهـ بـذـلـكـ.

**الـسـابـعـ:** أـنـ يـعـمـلـ أـعـمـالـاـ تـسـاعـدـهـ عـلـىـ ذـهـابـ غـضـبـهـ، مـنـهاـ السـكـوتـ، وـالـجـلوـسـ إـنـ كـانـ قـائـمـاـ، وـالـاضـطـجـاعـ إـنـ كـانـ جـالـسـاـ، بلـ قـدـ يـضـعـ خـدـهـ عـلـىـ الـأـرـضـ فـيـ بـعـضـ الـأـحـيـانـ؛ لـتـذـلـ نـفـسـهـ وـتـسـكـنـ، كـذـلـكـ التـبـرـدـ بـالـمـاءـ كـمـاـ فـعـلـ عـمـرـ رـضـيـ اللهـ عـلـىـهـ مـرـةـ حـيـنـ غـضـبـ فـأـمـرـ بـمـاءـ وـاسـتـنـشـقـهـ وـقـالـ: إـنـ الـغـضـبـ مـنـ الشـيـطـانـ، وـهـذـاـ يـذـهـبـ الـغـضـبـ.

وـقـدـ روـيـ عـنـ عـطـيةـ بـنـ عـرـوةـ السـعـديـ يـرـفـعـهـ: إـنـ الـغـضـبـ مـنـ الشـيـطـانـ، وـإـنـ الشـيـطـانـ خـلـقـ مـنـ النـارـ، وـإـنـماـ تـطـفـ النـارـ بـالـمـاءـ، فـإـذـاـ غـضـبـ أـحـدـكـمـ فـلـيـتـوـضـأـ [أـحمدـ فـيـ مـسـنـهـ (٤٣٨ / ٣)، بـرـقمـ (١٥٦٥٧)، وـقـالـ الأـرنـوـطـ: إـسـنـادـهـ حـسـنـ]. وـتـقـولـ أـعـوذـ بـالـلـهـ مـنـ الشـيـطـانـ الرـجـيمـ.

وـقـالـ رـسـولـ اللهـ رـضـيـ اللهـ عـلـىـهـ: يـسـرـواـ وـلـاـ تـعـسـرـواـ، وـسـكـنـواـ وـلـاـ تـنـفـرـواـ مـتـفـقـ عـلـيـهـ.

وـقـالـ رـسـولـ اللهـ رـضـيـ اللهـ عـلـىـهـ: لـاـ يـقـضـيـنـ حـكـمـ بـيـنـ اثـنـيـنـ وـهـوـ غـضـبـانـ مـتـفـقـ عـلـيـهـ.

**وقال ابن عباس** في قوله تعالى: **﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحَسَنُ السَّيِّئَةَ﴾** [المؤمنون: ٩٦]:  
الصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا عصيمهم الله وخضع لهم عدوهم.

**وقال عروة بن الزبير**: مكتوب في الحكم: يا داود، إياك وشدة الغضب؛ فإن شدة الغضب مفسدة لفؤاد الحكيم.

**وكتب عمر بن عبد العزيز** لعامله: لا تُعاقب عند غضبك، وإذا غضبت على رجلٍ فالجحشه، فإذا سكن غضبك فآخرجه وعاقبه على قدر ذنبه.

**وقال بعض الحكماء**: كما أن الأجسام تعظم في العين يوم الضباب كذلك يعظم ذنب المذنب عند الغضب.

**وقال الماوردي** : مكتوب في التوراة: يا بن آدم، اذكري حين غضب أذرك حين أغضب.

**وقال الغزالى** : مما يدل على أن الغضب من أخلاق الضعفاء: أن المريض أسرع غضباً من الرجل الصحيح، والمرأة أسرع غضباً من الرجل، والصبي أسرع غضباً من الرجل الكبير، وهذا **الخلق السيء** والرذائل **القيحة** أسرع غضباً من صاحب **الفضائل**، حتى إنه قد يغصب على أهله وولده وأصحابه، والقوى من يملك نفسه عند الغضب.

**وقال ابن القيم** : دخل الناس النار من ثلاثة أبواب: باب شبهة أورثت شكاً في دين الله، وباب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته، وباب غضب أورث العداوة على خلقه.

**وقال بعض الحكماء**: الغضب على من لا تملك عجز (أي: فهو غضب في غير استطاعة لإظهاره) وعلى من تملك لؤم (أي: لأن المغضوب عليه ضعيف).

**قصة**: الغضب خلق سيء، ومرض خبيث، وهو سبب كثير من المشاكل والأزمات، ولا يخلو أحد من الناس إلا ويعصب، ولا يستطيع أن يتخلص من غضبه بسهولة، ومن هؤلاء الناس كان أحد الملوك المسلمين، ولكنه توصل إلى طريقة طيبة للتخلص من هذا المرض العossal، فقد كتب ثلاثة ورقات وأعطها إلى وزيره، وقال له: إذا رأيتني غاضباً أعطني الورقة الأولى، فإذا لم أهدأ وأترك الغضب فأعطي الورقة الثانية، فإذا لم أهدأ فأعطي الورقة الثالثة والأخيرة.

وقد كان في الورقة الأولى: إنك لست بإله، وإنك سوف تموت وتعود إلى التراب فياكل بعضك بعضاً، أي إنه يذكر نفسه بأن يتواضع ولا يغضب على من هو أضعف منه، فهو ملك قوي، والآخرون رعية أضعف منه، فلا يستغل مكانته وقوته ليعاقب الآخرين. وكان في الورقة الثانية: ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء. فهو هنا يذكر نفسه بأن الله سوف يرحمه إن رحم غيره.

وفي الورقة الثالثة: اقض بين الناس بحكم الله، فإنهم لا يصلحهم إلا ذلك. أي يذكر نفسه بأنه إذا كان ولا بد له من معاقبة المذنب، فيجب عليه معاقبته بما أمر الإسلام به، ولا يعاقبه كما تأمره نفسه به. اهـ.

والغضب نار تأكل القلب، ويتوارد منها الحقد والحسد، ويعقبه الاعتذار والندم بعد فوات الأوان. والغاضب ينفر الخلق ويبعدهم عنه، وقد يذهب به الغضب إلى إغضاب الله وإرضاء الشيطان.

\* \* \*

## ٧٨- باب أمر ولاة الأمور بالرفق برعاياهم ونصيحتهم والشفقة عليهم والنهي عن غشهم والتشديد عليهم وإهمال مصالحهم والغفلة عنهم وعن حواجزهم

قال الله تعالى: ﴿وَلَا خُفْضَ جَنَاحَكَ لِمَنْ أَبْعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٢١٥] [الشعراء: ٢١٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْمَعْدُلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَاتِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعْظُمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [٤٠] [التحليل: ٩٠].

(٧٨ / ٦٥٢) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «كُلُّكُمْ راعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». متفق عليه.

(٦٥٣) وعن أبي يعلى مَعْقِلْ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرِعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يُمُوتُ وَهُوَ غَاشٌ لِرَعْيَتِهِ، إِلَّا حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ». متفق عليه.

وفي رواية: «فَلَمْ يَحُطْهَا (أي: يَرْعَهَا وَيَصْنُهَا) بِنُصْحِهِ لَمْ يَحْدُرَ إِنْحَاجَةَ الْجَنَّةَ».

وفي رواية لمسلم: «مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ (أي: يَجْتَهِدُ لَهُمْ فِي مَصَالِحِهِمْ وَمَا يَنْفَعُهُمْ) لَهُمْ وَيَنْصُحُ لَهُمْ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ».

(٦٥٤) وعن عائشةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلَيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاسْقُطْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلَيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَقَ بِهِمْ، فَارْقُبْهُمْ». رواه مسلم.

(٦٥٥) وعن أبي هريرةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تُسُوءُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَأَنَّبَيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ بَعْدِي خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ». قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «أَوْفُوا بِيَعْهُودَ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، ثُمَّ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، وَاسْأُلُوا اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَاءِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ». متفق عليه.

(٦٥٦) وعن عائذ بن عمروَ قَالَ: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِنَّ شَرَ الرِّعَاءِ الْحُطْمَةَ (أي: العنيف في رعيته الشديد عليهم) فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ». متفق عليه.

(٦٥٧) وعن أبي مريم الأزديَّ قَالَ: أَنَّهُ قَالَ لِمَعاوِيَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «مَنْ وَلَأَهُ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وَفَقَرِّهِمْ، احْتَجَبَ اللَّهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقَرِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فَجَعَلَ مَعاوِيَةَ رَجُلًا عَلَى حِوَاجِ النَّاسِ. رواه أبو داود والترمذى.

## ٧٩- باب الوالي العادل

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

(٦٥٨) وعن أبي هريرةَ قَالَ: عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظْلَمُونَ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ (أي: في كرامته وحمايته، أو في ظل عرشه، وأضافه إليه سبحانه تشريفاً) يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌ نَّشَأَ

في عبادة الله تعالى، ورجل قلب معلق في المساجد، ورجلان تحاباً في الله، اجتمعوا عليه، وتفرقوا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقه فأخفها حتى لا تعلم شمالة ما تتفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه». متفق عليه.

(٦٥٩) **وعن عبد الله بن عمرو بن العاص** قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ (أي: العادلين) عِنْدَ اللَّهِ عَلَىٰ مَنَابِرِ مِنْ نُورٍ: الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِهِمْ وَمَا وَلُوا (أي: ما كانت لهم عليه ولاية)». رواه مسلم.

(٦٦٠) **وعن عوف بن مالك** قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين يبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم». قال: قلنا: يا رسول الله، أفلان نبذهم؟ قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة. لا، ما أقاموا فيكم الصلاة». رواه مسلم. قوله: تصلون عليهم: تدعون لهم.

(٦٦١) **وعن عياض بن حمار** قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أهل الجننة ثلاثة: ذو سلطان مقتطع موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى وMuslim، وغريف متغفف ذو عيال». رواه مسلم.

## ٨٠- باب وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية

### وتحريم طاعتهم في المعصية

قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا طَبِعُوا اللَّهَ وَأَطْبَعُوا الرَّسُولَ وَأَفْلَى الْأَمْرُ مِنْكُمْ [النساء: ٥٩].

(٦٦٢) **وعن ابن عمر** قال: عن النبي ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة». متفق عليه.

(٦٦٣) **وعنه قال:** كنا إذا بآينا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، يقول لنا: «فيما استطعتم». متفق عليه.

(٦٦٤) **وعنه قال:** سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيمة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهيلية». رواه مسلم.

وفي رواية له: «وممن مات وهو مفارق للجماعة، فإنه يموت ميتة جاهيلية».

الميتة بكسر الميم.

(٨٠ / ٦٦٥) وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمَلَ عَلَيْكُمْ عَبْدُ حَبْشَيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةً». رواه البخاري.

(٨٠ / ٦٦٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرِهِكَ، وَأَثْرَةُ عَلَيْكَ (أي: أَنْ يُفَضِّلَ وَيُقْدِمَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُ عَلَيْكَ)». رواه مسلم.

(٨٠ / ٦٦٧) وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: كَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام فِي سَفَرٍ، فَنَزَلَنَا مَنْزِلًا، فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خَيَّاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَتَنَضَّلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ، إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام: الصَّلَاةَ جَامِعَةً. فَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقَّا عَلَيْهِ أَنْ يُدْلِلَ أَمْمَةً عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرُهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ. وَإِنَّ أَمْتَكْمُ هَذِهِ جُعْلَ عَاقِبَتِهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءً وَأَمْوَرُ تُنْكِرُونَهَا، وَتَحِيَءُ فِتْنَةُ يُرَقَّ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَحِيَءُ الْفَتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي ثُمَّ تُكَشِّفُ، وَتَجْحِيَءُ الْفَتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ . فَمَنْ أَحَبَ أَنْ يُرْجَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مِنْتَهِهِ (أي: وفاته) وَهُوَ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَيْنَا النَّاسُ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ. وَمَنْ بَأْيَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ وَثَمَرَةً قَلْبِهِ (أي: خالص عهده ومحبته بقلبه)، فَلْيُطِعْهُ إِنْ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنْقَ الْآخِرِ». رواه مسلم. قوله: «يَتَنَضَّلُ»، أي: يُسَابِقُ بِالرَّمْيِ بِالنَّبَلِ وَالشَّابِ. و«الْجَشَرُ»: بفتح الجيم والشين المعجمة وبالراء، وهي: الدَّوَابُ الَّتِي تَرْعَى وَتَبِسُّ مَكَانَهَا. وَقَوْلُهُ: «يُرَقَّ بَعْضُهَا بَعْضًا» أي: يُصَبِّرُ بَعْضَهَا بَعْضًا رِيقًا أي: حَفِيْمًا لِعَظِيمٍ مَا بَعْدُهُ، فَالثَّانِي يُرَقَّ الْأَوَّلَ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ يُشَوُّقُ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ بِتَحْسِينِهَا وَتَسْوِيلِهَا، وَقِيلَ: يُشَبِّهُ بَعْضَهَا بَعْضًا.

(٨٠ / ٦٦٨) وعن أبي هُبَيْدَةَ وَائِلَّ بْنِ حُبْرَ رضي الله عنه قال: سَأَلَ سَلَمَةً بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفَيِّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَرَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَّرَاءٌ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ، وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حَمَلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ». رواه مسلم.

(٨٠ / ٦٦٩) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثْرَةً (أي: أَنْ يُفَضِّلَ وَيُقْدِمَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُ وَأَمْوَرُ تُنْكِرُونَهَا!). قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تُؤَدِّوْنَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ». متفق عليه.

(٨٠ / ٦٧٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ

عصاني فقد عصي الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني». متفق عليه.

(٦٧١) وعنه ابن عباس رض: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرٍ شَيْئًا فَأُلِيَّ صِرْبُرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شَبَرًا مَا تَمِيتَهُ جَاهِلِيَّةً». متفق عليه.

(٦٧٢) وعن أبي بكر رض: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ أَهَانَ السُّلْطَانَ أَهَانَ اللَّهَ». رواه الترمذى، وقال: حديث حسن. وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح، وقد سبق بعضها في أبواب.



### (اختيار الوالي العادل ووجوب طاعته)

اهتم الشارع الكريم في إصلاح العلاقة بين الحاكم والمحكومين أو الراعي والرعية بقسمين هامين، هما: أداء الأمانات من قبل الحكماء والولاة كالرؤساء والمديرين والقضاة ومن شا بهم، وطاعة أولي الأمر من الشعب والرعاية والمرءوسين. فقد قال الله تعالى فيما يخص أداء الأمانات: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتَ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُو بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُعْلِمِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ عَلَيْهِ الْمُوْزِمُ﴾ [النساء: ٥٨].

قال العلماء: نزلت هذه الآية في ولاة الأمور والحكام (أي: وكل مسئول هيئة أو وزارة أو ما شابه)، حيث أوجبت عليهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل أى أداء الأمانات والحكم بالعدل.

#### أولاً: أداء الأمانات من قبل الحكماء: وينقسم إلى قسمين:

قسم أداء أمانة الولايات: حيث تُؤَدَّى الأمانة بتوالية الأصلاح في كل ولاية أو إدارة أو مهمة بحسبها، وباختيار الأصلاح فالإصلاح؛ أي: أن يحسنولي الأمر أو المدير اختيار وزرائه ومستشاريه وهذا من الأمانة في عنقه للرعاية أو لمن كان مديرًا أو مسؤولاً عليه.

قسم أداء أمانة الأموال: أي: الأموال العامة، ويقصد بها الأمانة والإعتدال في جمع الأموال من مصادرها وإنفاقها في موضعها الصحيح. وكثيراً ما يحدث ظلم من الحكماء والولاة للرعاية في أمور الأموال، إما في جانب جمع الأموال بضرائب غير مستحقة أو

اشتراكات أو تبرعات، والحصول عليها منهم بالبالغة، وإما في إنفاقها في غير حقها.

**ثانياً: الحكم بالعدل:** قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُفْلِيَ الْأُمُرُ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَّعُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [ النساء: ٥٩].

نزلت هذه الآية في الرعية كافة، شعباً وجيشاً، حيث توجب عليهم أن يطاعوا أولي الأمر، إلا أن يؤمروا بمعصية الله؛ قال النبي ﷺ: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ (أي: لأولياء الأمر) فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أَمْرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةٍ». متفق عليه.

فإن تنازعتم في شيءٍ فردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله، وإن لم يفعل ولاة الأمر ذلك فعلى الرعية الطاعة فيما يؤمرون به من طاعة الله والرسول؛ لأن ذلك من طاعة الله والرسول، ومن أمانة أداء الحقوق كما أمر الله ورسوله؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالنَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْمَذْوَنَ﴾ [المائدة: ٢].

عن عبادة بن الصامت قال: بِأَيْمَانِنَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ واليسير، والمنشط والمكره، وَعَلَى أَثْرِهِ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَلَا نُنَازِعَ الْأُمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بِوَاحَدَةِ عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ بُرْهَانٌ، وَعَلَى أَنْ تُقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا لَا تَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَأَنَّمِّ م. متفق عليه. فجماع الأمر في مفهوم السياسة العادلة والولاية الصالحة: أن يقوم الحكم والولاية بأداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بالعدل والمساواة بين الرعية، واستعمال الأصلح في الوزراء والمستشارين.

وقال ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمرأة رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالوَلُدُّ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالعَبْدُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، إِلَّا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» متفق عليه.

وقال النبي ﷺ: «مَا مِنْ رَاعٍ يَسْتَرِّعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةٌ، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ، وَهُوَ غَاشٌ لَهَا، إِلَّا حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ» متفق عليه. فعلى صاحب الأمر أو الحاكم أو الوزير مثلاً أن يستعمل الأصلح لتلك الولاية أو الوظائف الكبرى العامة، فإن لم يجد فيختار الأمثل فالأمثل في كل

منصب بحسبه، حتى لو صار نقص فقد أعنز إلى ربه؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿فَإِنَّقُولَ اللَّهُ مَا أَسْتَطَعْتُ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال الله تعالى: ﴿لَا يَكُلُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسِّعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فمن أدى الواجب المقدور عليه فقد اهتدى؛ عن أبي هريرة رض قال: سمعت رسول الله ص يقول: «مَا نَهِيْنَاكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمْرَتُكُمْ بِهِ فَأَتُوا مِنْهُ مَا أَسْتَطَعْتُمْ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كُثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاحْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ». متفق عليه بنحوه.

أما الولاية فلها ركناً أي أن الوالي أو الحاكم يجب أن يتحلى بأمرتين: القوة والأمانة، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا خَيْرُ مَنِ اسْتَجَرَتِ الْقَوْىُ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

أما القوة في الرئيس أو الحاكم الأكبر أو الولاية العظمى فهي الكفاءة والمهارة السياسية والمقدرة والشجاعة في القلب، والخبرة بالحكم، والقدرة على اتخاذ القرارات المهمة كالحرب مثلاً. والقوة في الأحكام وتولي الحكم بين الناس وترجع إلى: العلم بالأحكام التي دل عليها الكتاب والسنة وسائر القوانين المتعارف عليها، والقدرة على تنفيذ تلك الأحكام.

أما الأمانة فترجع إلى معنى الخشية لله، والعناية بشرعه الحكيم، فلا يشتري بدینه شيئاً من الدنيا، ولا يخشى الناس في حكمه بالحق؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشُوا النَّاسَ وَأَخْشُونَ وَلَا تَشْرُوْ إِيمَانِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَهُ يَحْكُمْ بِمَا آنَزَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

ولهذا قال النبي ص: «الْقُضَاءُ ثَلَاثَةُ، اثْنَانٌ فِي النَّارِ وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ: رَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقُضِيَ بِهِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ، وَرَجُلٌ قَضَى بَيْنَ النَّاسِ بِالْجَهَلِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَاهَ فَهُوَ فِي النَّارِ». أبو داود برقم (٣٥٧٣)، صححه الألباني (صحيف الجامع الصغير) حديث (٤٤٤٦).

والقاضي اسم لكل من حكم بين اثنين، حتى لو كان في أمر بسيط. وإن اجتماع القوة والأمانة من المهارة والتدين معاً قليل؛ ولهذا قال عمر بن الخطاب رض: اللهم إني أشكوك إليك جلد الفاجر وعجز الثقة. ويقصد به ص صبر الفاجر على مقصوده بالمثابرة، ويأس أهل الثقة والفضل عن مقصودهم بالتكاسل.

**استعمال الأصلح:** الواجب شرعاً أن يعيّن الأصلح أو الأكفاء والمناسب في كل أمرٍ

بحسبه. فإذا وجد رجلان أحدهما أعظم أمانةً وديانة ولكنه ليس بالأقوى ولا بالأكفاء، والآخر أعظم قوّةً ولكنه أقلّ أمانةً، فعلى صاحب الأمر أن يُقدّم الأنفع لتلك الولاية والأقلّ ضرراً فيها. فمثلاً في ولاية الحروب يُقدّم القوي الشجاع الماهر صاحب العلم والخبرة - حتى إن كان فيه بعض التقصير - على ضعيف الخبرة الأمين ولو كان تقىً.

وسائل الإمام أحمد: عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو وأحدهما قوي فاجر، والآخر صالح ضعيف، مع أيهما يُغزى؟ فقال: **أَمَا الْفَاجِرُ الْقَوِيُّ فَقُوَّتُهُ لِلْمُسْلِمِينَ وَفَجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ؛ وَأَمَا الصَّالِحُ الْمُسْعِفُ فَصَلَاحُهُ لِنَفْسِهِ وَضَعْفُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ؛ فَيُغَزَّ بِالْقَوِيِّ** الفاجر، وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ» متفق عليه..

فإن لم يك فاجرا فهو الأولى بالإمارة؛ ولهذا كان النبي ﷺ يستعمل خالد بن الوليد على الحرب منذ أسلم وقال: **إِنَّ خَالِدًا سَيْفُ سَلَةِ اللَّهِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ** [أحمد في مسنده (١/٨) برقم (٤٣)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح شواهده]، مع أنه أحياناً قد كان يصنع ما يُنكره النبي ﷺ، حتى إنه مرّاً قام ثم رفع يديه إلى السماء وقال: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرُأُ إِلَيْكَ مِمَّا فَعَلَ خَالِدٌ** [البخاري برقم (٤٣٣٩)]، وذلك حينما أرسله إلى بني جذيمة فقتلهم وأخذ أموالهم بنوع شبهة، ولا يجوز ذلك، وأنكره عليه بعض الصحابة، حتى دفع النبي ﷺ دياتهم وضمّن أموالهم؛ ومع هذا مما زال رسول الله ﷺ يقدمه في إمارة الحرب؛ لأنّه الأصلح والأمثل، وكان أبو ذر رضي الله عنه أصلح منه في الصدق والأمانة، ومع هذا قال له النبي ﷺ: **يَا أَبَا ذَرٍ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفاً، وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأْمَرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّنَّ مَالَ يَتَيمِّم**. مسلم برقم (١٨٢٦).

فقد نهى أبو ذر عن الإمارة والولاية لأنّه ضعيف في القيام بما على وجه مناسب، مع أن النبي ﷺ قال فيه: **مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءِ وَلَا أَقْلَلَتِ الْعَبْرَاءِ أَصْدَقَ لَهُجَّةَ مِنْ أَبِي ذَرٍ**.

أحمد في مسنده (٢/٦٦٣٠) برقم (١٧٥)، صحّه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٥٥٣٧).

وقد استعمل النبي ﷺ عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل وهناك في الجيش من هو أفضل منه، كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، واستعمل أسامة بن زيد أميراً على الجيش لمصلحة راجحة آنذاك، وهي أن يطلب ثأر أبيه مع أنه في الجيش من هو أفضل علمًا وإيمانًا.

وكذلك كان فعل أبي بكر الصديق، فاستعمل خالداً في حروب أهل الردة، وفي فتوح العراق

والشام، مع أنه قد بدت منه هفواتٌ بتأويل منه، وذكر له أن خالدًا فيه هُوَي، فلم يعزله لذلك؛ بل عاتبه عليه؛ وذلك لرجحان المصلحة على المفسدة في بقائه، ولم يجد غيره يقوم مقامه.

وعلى صاحب الأمر أي الحاكم أو القاضي مثلاً إن كان طبعه يميل إلى اللين أن يستعمل نائباً له يميل إلى الشدة، وإذا كان خلقه يميل إلى الشدة فينبغي أن يستعمل نائباً يميل إلى اللين ليعتدل الأمر.

ولهذا كان أبو بكر الصديق يؤثر استعمال خالد بن الوليد، لأن خالدًا كان شديدًا، أما عمر بن الخطاب فلأنه كان شديداً كان يؤثر استعمال أبي عبيدة بن الجراح رض لأنه كان لِنَّا كأبي بكر الصديق؛ ليكون الأمر معتدلاً.

أما إذا كانت الحاجة في الولاية للأمانة أشد؛ بسبب انتشار الفساد مثلاً، قدم الأمين، وذلك كمثل حفظ الأموال، فإذا لم تتم المصلحة باختيار وزير أو مستشار أو رجل واحد جمع بين عدد من المسؤولين في تلك المهمة. فأمر الولاية يستوي إما بالترجح للأصلاح واختياره، وإما بتعدد الولاة والمسؤولين إذا لم يكفي واحد.

أما القضاء فتحتاج ولايته إلى الأعلم والأورع والأكفاء، فمتى فُوِضِّلَ بين قاضٍ عالم ورَعَهُ أَقْلُ، وقاضٍ ورَعَهُ أَكْثَرَ وعلمه أَقْلُ، فيجب تولية القاضي الأورع إذا كان المطلوب هو البعد عن الهوى لتسهيل معرفة الحكم الشرعي وإظهاره، أما إذا كان المطلوب هو معرفة الحكم الدقيق في المسألة لصعوبتها ويُخاف فيها من الاشتباه فيُولى الأعلم.

ومما يروى في هذا الباب عن عمران بن حصين مرفوعاً: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْبَصَرَ النَّافِذَ عِنْدَ وُرُودِ الشُّبُهَاتِ، وَيُحِبُّ الْعَقْلَ عِنْدَ حُلُولِ الشَّهَوَاتِ. ذكره العراقي في تخریج أحاديث الإحياء (٢/١١٨٦) برقم (٤٢٩٩) وعزاه لأبي نعيم.

وسائل بعض العلماء: إذا لم يوجد من يُولى القضاء إلا عالم بالأحكام ولكنه فاسق (أي: يفعل الكبائر) أو قاضٍ جاهل ببعض الأحكام ولكنه دَيْنَ، فـأيَّهما يُقدَّم؟ فقال: إن كانت الحاجة إلى الدين والورع أكثر لكثره الفساد في الأحكام، قدم القاضي صاحب الدين على صاحب العلم، أما إذا كانت الحاجة إلى العلم أكثر بسبب غياب العلم الصحيح للأحكام الشرعية فيُقدم القاضي الأكثر علمًا على صاحب الدين الورع.

وإن كان العلماء يقدمون ويختارون صاحب الدين لأنّه لا يخلو قاضٍ من علم ولو حتى الحد الأدنى المطلوب، والأمر في ذلك يرجع إلى ولاة الأمور وما يرون مناسباً.

ومع ذلك يجوز تولية غير المؤهل بالدرجة الكافية؛ وذلك للضرورة مع السعي في استصلاح الأحوال، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

**المقصود بالواجب الشرعي على الوالي والحاكم في الولايات:** فالحاكم أو الوالي هو المسئول أمام الله في المحافظة على دين الخالق؛ لأنّه إن فاتهم ذلك خسروا خساراً مبيناً ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا من نعم مختلفة. وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم، وهو نوعان: قسمٌ وتوزيع الأموال بين مستحقها بالعدل، والآخر بتنفيذ العقوبات على المعتدين.

فلما تغيّرت الرعية من وجهٍ والرعاة من وجه آخر تناقضت الأمور، فلما غالب على أكثر الملوك قصدُ طلب الدنيا دون الدين قدّموا ووظفوا في ولايتهم من يعينهم على تلك المقاصد الرخيصة، وكل من يطلب رئاسة نفسه يقدّم من يعينه على ذلك. على أنه إذا اجتهد الراعي في إصلاح دين رعيته ودنياهم بحسب وسعة وإمكانه، كان أفضل أهل زمانه؛ فقد روى: (يَوْمٌ مِّنْ إِمَامٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ عَبَادَةِ سَتِّينَ سَنَةً وَحَدُّ يُقَامُ فِي الْأَرْضِ بِحَقِّهِ أَزْكَى فِيهَا مِنْ مَطَرٍ أَرْبَعِينَ عَاماً». الطبراني في الكبير (١١٩٣٢) برقم (٣٣٧).

وعن أبي سعيد الخدري يرفعه: «إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ بَعْدِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبُهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامًا عَادِلًا، وَإِنَّ أَبْغَضَ النَّاسَ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَبْعَدُهُمْ مِنْهُ إِمَامًا جَائِرًا». أحمد في مسنده (٢٢ / ٣) برقم (١١٩٠).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سَبْعَةٌ يُظَلَّمُونَ اللَّهُ فِي ظَلَّهُ يَوْمَ لَا ظَلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ) الحديث، متفق عليه.

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْبِسٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ غَنِيٌّ عَفِيفٌ مُنَصَّدِّقٌ». مسلم برقم (٢٨٦٥).

فالمقصود من إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يقوم الناس بالقسط في حقوق الله وحقوق خلقه، فعلى صاحب الأمر والحاكم أن يتوصل للمقصود المعين بالأقرب

فالأقرب، فمن كان أقرب للمقصود كان أولى بالولاية. ولهذا قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْنَا بِالْبَيْنَتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَأَمْرَانَ لِقَوْمٍ أَنَّا شَإِنَّا فِي الْقُسْطَ﴾ [الحديد: ٢٥]. ثم تكون القرعة والاستهام إذا تكافأ الرجال وخفى أصلحهما، أو ما يسمى الآن بالانتخاب الشعبي وهذا هو أداء الأمانة في الولايات إلى أهلها.

**وجوب اتخاذ الإمارة أو الرئاسة:** علينا أن نعرف أن ولاية أمر الناس وإمارتهم من أعظم واجبات الدين وأعظم ما أوجبه الشرع على الناس، حيث لا قيام للدين ولا الدنيا إلا بها، فمصالح البشر وحوائجهم لا تتم إلا باجتماعهم على كلمة واحدة، فحاجة البشر إلى بعضهم البعض أمر صحي، ولابد عند الاجتماع من رأس يدير شؤونهم ويقودهم إلى الأصلاح والآيسر. والنبي الكريم ﷺ أوجب تأمير الواحد عند اجتماع عدد قليل في السفر، فما بنا عند الاجتماع في الحضر، فقد قال ﷺ: «إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤْمِرُوا أَحَدَهُمْ». أبو داود برقم (٢٦٠٨)، صحيح البخاري (السلسلة الصحيحة) حديث (١٣٢٢).

وذلك أيضًا لأن الله تعالى قد أوجب أمورًا يجتمع عليها الناس كالدعوة إلى الله، وبذل الجهد في ذلك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحج وإقامة الصلوات والجمع وإقامة الحدود والعدل بين الناس ونصر المظلوم وإدارة سائر شؤون الحياة ومؤسساتها، ولا يتم ذلك إلا بالقوة والسلطة والإمارة؛ لأنه قد روي: «السلطان ظل الله في الأرض». البيهقي في الكبر (٨/ ١٦٢) برقم (١٦٤٢٧).

وكان السلف يقولون: لو كان لنا دعوة مجابة عند الله لدعونا بها للسلطان.

وقال ﷺ: «ثَلَاثُ لَا يُغْلِلُ عَلَيْهِنَّ صَدْرُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِللهِ تَعَالَى، وَمُنَاصَحةُ أُولَيِ الْأَمْرِ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ. فَإِنَّ دَعْوَاهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ». أحمد في مسنده (٣/ ٢٢٥)، برقم (١٣٣٧٤)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

وفي الصحيح عنه: أنه ﷺ قال: «الدِّينُ النَّصِيبَةُ» ثلاثًا. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «الله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». مسلم برقم (٥٥).

فمراجعةً اتخاذ الإمارة والرياسة المناسبة أمر واجب، والتقارب إلى الله تعالى بطاعةولي الأمر من أفضل القربات عند الله. أما فساد الحكماء والمسئولين وكل صاحب ولاية،

فإنه يأتي من سعيه وطلبه للرياسة والسلطة والمال، والسمعة بين الناس، لا ليحكم بينهم بالعدل، وإنما لدنيا رخيصة.

فعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ لَهُ: «مَا ذَبَّانِ جَائِعَانِ أَرْسَلَ فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصٍ الْمَرْءُ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ». أحمد في مسنده (٣/٤٥٦) برقم (٤٢٢)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

وإن حال من فسدة إمارته يوم القيمة أن يؤتى كتابه بشماله فيفقول: **﴿مَا أَغَافَ عَنِي مَالِيَةٌ ﴾** الحادة: ٢٨-٢٩ **﴿هَلَّا كَعَنِي سُلْطَنِيَّةٌ﴾** القصص: ٨٣ وهؤلاء قد تشبهوا بفرعون في رиاسته، وهامان في وزارته، وقارون في جمع المال، وقد قال الله تعالى: **﴿تِلْكَ الدَّارُ الْأَخْرَجَةُ بَخَعْلَمُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعِقَبَةُ لِلْمُنْقَتِينَ﴾** القصص: ٨٣

والناس في هذا على أربعة أقسام:

١- القسم الأول: ي يريدون العلو في الأرض والفساد، وهؤلاء هم رعوس الناس من الملوك والرؤساء والوزراء المتكبرين الطغاة، كفرعون وحزبه، وقد قال النبي صلوات الله عليه وسلم في شأن المتكبرين: **«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِّنْ كِبْرٍ»**. مسلم برقم (٩١).

٢- القسم الثاني: الذين يتغرون بالفساد، بلا رغبة في العلو أو التكبر، وهؤلاء هم اللصوص والمجرمون.

٣- القسم الثالث: الذين لا يريدون علوًّا وتكبراً بلا فساد، فهم يحبون التعالي والتكبر على الناس، ويحبون الجاه والمنصب، ولو كانوا من أهل الدين.

٤- وأما القسم الرابع: فهم أهل الجنة، الذين لا يريدون علوًّا ولا تكبراً ولا فساداً في الأرض، مع أنهم قد يكونون أُمراء أو ملوكاً أو وزراء، قال الله تعالى: **﴿فَلَا تَهْمِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ أَلَّا عَلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَزَرُكُمْ أَعْنَاكُمْ﴾** محمد: ٣٥

وعلى هذا فلا تقوم مصالح الناس إلا باجتماعهم كالجسد، والجسد يحتاج إلى رأس، قال الله تعالى مبيناً ذلك: **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلِيفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّكَبُلُوكُمْ فِي مَا أَنْتُمْ كُثُرٌ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَورٌ رَّحِيمٌ﴾** الأعمام: ١٦٥، وقال تعالى: **﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ تَحْنَعْ قَسْمَنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ﴾**

**دَرَجَتِ لِسْتَخْدَ بَعْضُهُمْ بَعْصَاصُرِّيَّا وَرَحْمَتِ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا جَمَعُونَ ﴿٣﴾** [الزخرف: ٣٢].

والعبودية تقضي أن تستعمل النعم جميعها في التقرب إلى الله تعالى، وأعظم هذه النعم الجاه والسلطان والمال، فإذا أنفق الجاه والمال من قبل الحاكم تقرباً إلى الله لإصلاح أحوال الناس صلحت الدنيا والآخرة وصح الدين والدنيا معاً، وأما إذا ابتعد السلطان عن دين الله وأنفق المال من الوالي لغير الله فسدت أحوال الناس.

وهناك من يتسب للدين بفهم خاطئ أو نية فاسدة، ولا يستعمل السلطة والمال في حفظ الأخلاق والدين وتمكيله ونشره في الأرض ولا في تعمير الأرض وإصلاحها وإقامة العدل بين الناس في الأخذ والعطاء، فهذا هو الضلال الذي حذرنا منه المولى ﷺ في قوله في فاتحة الكتاب: **﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْفَتَ عَلَيْهِمْ غَيْرُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الْكَاذِبِينَ ②﴾** [الفاتحة: ١ - ٧].

وهناك من يسعى للحصول على السلطة والجاه والمال ولا يلتفت إلى الأخلاق والدين، فهذا سبيل المغضوب عليهم، وإنما علينا أن نتبع سبيل أهل الصراط المستقيم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، قال الله تعالى: **﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ أَتَبْعَوْهُمْ يَأْخُذُنَ رَحْمَةَ اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُمْ وَأَمَدَّهُمْ جَنَاحَتِ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلُ الدِّينِ فِيهَا أَبْدَأَذِلَّكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾٣﴾** [التوبه: ١٠٠].

فمن ولـي أمراً من أمور المسلمين فقد وجب عليه شرعاً أن يجتهد وسعه وطاقته في طاعة الله فيه، وإقامة شعائر دين الله قدر جهده، وإصلاح حياة الناس وشئونهم ومصالحهم، مع اجتناب ما حرم الله.

واعلم أن الدنيا ما هي إلا مطية لخدمة الدين، وهذا معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: يا ابن آدم، أنت محتاج إلى نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فإن بدأت بنصيبك من الآخرة فمرة بنصيبك من الدنيا فانتظم انتظاماً، وإن بدأت بنصيبك من الدنيا فاتك نصيبك من الآخرة، وأنت من الدنيا على خطير.

ودليل ذلك قول النبي صلوات الله عليه: **«مَنْ كَانَ هُمَّهُ الْآخِرَةَ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ شَمْلَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ أَصْبَحَ وَالدُّنْيَا أَكْبُرُ هَمِّهِ فَرَقَ اللَّهُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ**

**عَيْنِيهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا يَأْتُهُ.** أَحمد في مسنده (١٨٣٥) برقم (٢١٦٣٠)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

ولما فتح الله مكة للنبي ﷺ وتسلّم مفاتيح الكعبة من بنى شيبة، طلبها العباس لنفسه فأنزل الله هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤْدُوا الْأَمْنَاتَ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] فرد النبي ﷺ مفاتيح الكعبة إلى بنى شيبة، ولم يعطها لقرباته وهذا من أداء الأمانة وبهذا قال العلماء. فعلى ولی الأمر أن يولى على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل؛ وقد روى عن أبي بكر رضي الله عنه يرفعه: «مَنْ وَلَيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَأَمْرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَةً، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا حَتَّىٰ يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ، وَمَنْ أَعْطَى أَحَدًا حِمَّيَ اللَّهِ، فَقَدِ اتَّهَكَ فِي حِمَّيِ اللَّهِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ» أو قال: «تَبَرَّأْتُ مِنْهُ ذَمَّةُ اللَّهِ عَلَيَّكُمْ». أَحمد في «مسنده» (١/٦) برقم (٢١).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من ولی من أمر المسلمين شيئاً فولى رجالاً لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين. فيجب على كل من ولی شيئاً من أمر المسلمين أن يستعمل في مرءوسيه الأصلاح لكل مهنة من المهن، ولا يقدّم رجلاً لكونه طلب الولاية أو أي وظيفة عامة أو حتى لكونه سبق في الطلب، بل قد يكون ذلك سبباً للمنع إن لم يكن كفانا لها أو طلبها لغرض في نفسه ولغير المقصود منها؛ فقد روى في الصحيح عن النبي ﷺ أن قوماً دخلوا عليه فسألوه الولاية، فقال: «إِنَّا لَا نُؤْلِي أَمْرَنَا هَذَا مِنْ طَلَبَةً». متفق عليه.

وقال عبد الرحمن بن سمرة: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، لَا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أَعْطَيْتَهَا مِنْ عَيْرِ مَسَأَةٍ أَعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِنْ أَعْطَيْتَهَا عَنْ مَسَأَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا». متفق عليه.

وإذا عَدَلَ الوالي عن توظيف من يستحق والأصلاح والأحق بالولاية واستعمل غيره من لا يستحق؛ لنسب أو قرابة أو صداقة أو مذهب أو طريقة أو جنسية أو لرשותه أو حتى لضعيته في قلبه أو عداوة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين، ودخل فيما نهى عنه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَا لَكُمُ الْأَنْوَارَ سُولَّوْتُمْ وَتَخْوُنُتُمُ الْأَمْنَاتَ كُمْ وَأَتَمْ قَلْمَونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

ومن يؤدي الأمانة مع مخالفة هوئ نفسه فإن الله يثبته ويحفظه في أهله وما له من بعده، وأما الذي يُطِيع هواه في حكمه و اختياراته فإن الله يُعاقبه بتقييض مقصوده فيُذل أهله ويُذهب ماله. وقد دلت سنة الرسول ﷺ على أن الولاية أمانة، وهذا قوله عليه السلام لأبي ذر رضي الله عنه في الإمارة: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال عليه السلام: «إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَحَدَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَدَهَا

**الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا** [مسلم برقم ١٨٢٥]. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا ضَيَّعْتِ الْأَمَانَةَ فَانْتَظِ السَّاعَةَ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: كَيْفَ إِضَاعَتِهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا أَسْنَدَ الْأَمْرَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِ السَّاعَةَ» [البخاري برقم ٥٩].

\* \* \*

## ٨١- باب النهي عن سؤال الإمارة و اختيار ترك الولايات إذا لم يتعين عليه أو تدع حاجة إليه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ بَقِعَاهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُواً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَقِيقَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

(٦٧٣) / ٨١) وعن أبي سعيد عبد الرحمن بن سمرة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمْرَةَ، لَا تَسْأَلُ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أَعْطَيْتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أَعْنَتْ عَلَيْهَا، وَإِنْ أَعْطَيْتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَأَتِ الَّذِي هُوَ حَيْرٌ وَكَفَرٌ عَنْ يَمِينِكَ». متفق عليه.

(٦٧٤) / ٨١) وعن أبي ذر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي؛ لَا تَأْمَرْنَ (أَيْ: لَا تَأْمَرْنَ) عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوْلَيْنَ (أَيْ: تَوْلَيْنَ) مَالَ يَتَيمٍ».

رواه مسلم.

(٦٧٥) / ٨١) وعنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ فَضَرَبَ يَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أُمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ حَزْنٌ وَنَدَاءٌ، إِلَّا مَنْ أَخْذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا». رواه مسلم.

(٦٧٦) / ٨١) وعن أبي هريرة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنْ كُمْ سَتْحِرُ صُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رواه البخاري.

## ٨٢- باب حث السلطان والقاضي وغيرهما من ولاة الأمور على اتخاذ وزير صالح وتحذيرهم من قرناء السوء والقبول منهم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِنْ بِعُصُمِهِمْ لَعْنِهِمْ عَذَابٌ لَا يَمْتَنَعُ﴾ [الزخرف: ٦٧].

(٨٢ / ٦٧٧) وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَحْلَفَ مِنْ حَلِيقَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بَطَانَاتٍ» (أي: بطانة الرجل: صاحب سره الذي يشاوره في أحواله): بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ». رواه البخاري.

(٨٢ / ٦٧٨) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالْأَمْرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرًا صَدِيقًا، إِنْ نَسِيَ ذَكْرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعْنَاهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ عَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرًا سُوءً، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكَّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعْنِهُ». رواه أبو داود بإسناد جيد على شرط مسلم.

## ٨٣ - باب النهي عن تولية الإمارة والقضاء وغيرهما من الولايات

### من سألاها أو حرص عليها فعرض بها

(٨٣ / ٦٧٩) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَرَجُلًا مِنْ بَنِي عَمِّي، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْرَنَا عَلَى بَعْضِ مَا وَلَّاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَالَ الْآخَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّا وَاللَّهُ لَا نُؤْلِي هَذَا الْعَمَلَ أَحَدًا سَأَلَهُ، أَوْ أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ». متفق عليه.

\* \* \*

## ١ - كتاب الأدب

### (الأدب)

الأدب خُلُقٌ كريم، وهو اجتماع خصال الخير في العبد باستعمال الخلق الجميل في الحياة، وصيانة النفس عن القبائح والرذائل. وهو علم إصلاح لسان العبد وكلامه، وتحسين ألفاظه وصيانته عن الخطأ والخلل، فهو الكلام الجميل الذي يترك في نفسِ سامعه أو قارئه أثراً قوياً جميلاً يدفعه إلى محاكاته والتتمثل به، أي الأخذ بمكارم الأخلاق.

### الفرق بين طلب العلوم الشرعية والتآدب:

أما الأدب فإنه يتعلّق بالمرءات، أي الأخلاق الإنسانية والأعراف الاجتماعية التي لا تُخالف عقلاً ولا شرعاً، فالآدب أمر دنيويٌّ حيث يتعلّق بالتعامل مع البشر في شتى

حياتهم للوصول لرضا الله تعالى. أما التعلم فهو يتعلق بالأمور الشرعية من فرائض وسنن وأحكام، فهو أمر ديني يضبط حياة الناس في الدين وفقاً لأمر الله تعالى وشرعه الحكيم.

فالأدب هو استخراج ما في طبيعة الإنسان من الكمال والرغبة فيه، في أقواله وأفعاله وصفاته. وهو في مجمله تعظيم لمن هو فوقك في الرتبة والمقام، ولمن هو دونك أو أقل منه كذلك؛ ولهذا الما سمع ابن عباس رضي الله عنهما قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا مَأْتُمُونَ بِهِمْ رَبِّنَارًا وَقُوْدُهَا أَنَّاسٌ وَالْجَاهَةُ عَلَيْهَا مَلَئِكَةٌ غَلَاظٌ شَدِيدٌ لَا يَعْصُمُونَ اللَّهُ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُمْرِنُونَ﴾ [التحريم: ٦] قال: أي أدبهم وعلموهم.

وقد بين العلماء أن على العبد أن يتعلم الأدب مع الله سبحانه وتعالى أو لا ثم الأدب مع رسول الله صلوات الله عليه وسلامه، ومن ثم الأدب مع باقي الخلق، فهذه المراتب هي التي قال عنها رسول الله صلوات الله عليه وسلامه: «إِنَّمَا بُعْثُتُ لِتُمْمَّ مَكَارِمَ الْأُخْلَاقِ» مالك في الموطأ (٢/٩٠٤) برقم (١٦٠٩)، وأحمد في المسند برقم (٨٩٥٢).

أولاً: الأدب مع الله: قال الدقاق : العبد يصل بطاعة الله إلى الجنة، ويصل إلى الله بأدبه في طاعته. وذلك مثل العامل يعمل عنده و قد يُتقن عمله ولكنـه قد لا يُحسن الأدب في التعامل مع رؤسائه وزملائه، ومع ذلك نعطيه الأجر ونُوفيه حقه. وأما من أحسن عمله وأحسن التأدب مع من حوله فهذا يستحق أجره ويُكافأ بالمحبة والقرب من صاحب العمل. فقيام العبد بالطاعة شيء والأدب في التعامل مع الطاعة شيء آخر، وهذا هو القرآن يقول: ﴿قَدَّ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۖ ۚ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ۖ ۚ﴾ [المؤمنون: ٢٠، ١].

فقد أثني على المؤمنين في تأديبهم في الصلاة، وهو الخشوع، وقال ابن عطاء : عن الأدب: هو معاملة الله بالأدب سراً وعلانية، فمن صاحب الملوك بغير أدب أسلمه الجهل إلى القتل.

فهذا تحذير من التعامل بسوء الأدب مع الله، وهو ملك الملوك سبحانه وتعالى.

ويقول يحيى بن معاذ : من تأدب بأدب الله صار من أهل محبة الله.

ويقول عبد الله بن المبارك : نحن إلى قليل من الأدب أحوج منها إلى كثير من العلم.

وقال الدقاق : ترك الأدب يوجب الطرد، فمن أساء الأدب على البساط رد إلى الباب، ومن أساء الأدب على الباب رد إلى سياسة (أي: رعاية وخدمة) الدواب.

ولما سُئل الحسن عن أنس الأدب فقال: هو التفهُّم في الدين، والزُّهد في الدنيا والمعْرفة بما لله عليك.

والناس في فهمهم للأدب على ثلاثة طبقات: فأهل الدنيا يرون أن الأدب هو: فصاحة اللسان، وبلاحة الكلام، وحفظ العلوم المختلفة، وأسماء المشاهير والملوك، والمعرفة بالبروتوكولات والإتيكيت، وحفظ وإلقاء الشعر والشعر.

أما أهل الدين فيرون أن الأدب في الأصل هو في تهذيب النفوس وتأديب الجوارح بالطاعة، وحفظ الحقوق وترك الشهوات.

وهناك الطبقة الثالثة الذين هم أكثر الطبقات خصوصية حيث يرون أن أهم الأدب هو في طهارة القلوب من الشرك والنفاق، ومراعاة النوايا والأسرار التي في الصدور، والوفاء بالعهود، والمحافظة على الأوقات، وحسن الأدب مع الله في كل الأعمال والأحوال. جعلنا الله وإياكم من مثل هؤلاء.

ولهذا قال بعضهم: مَنْ قَهَرَ نَفْسَهُ بِالْأَدْبِ فَهُوَ يَعْبُدُ اللَّهَ بِإِخْلَاصٍ.

وعلّمنا أهل الأدب والفضل فقالوا: إن من أساء الأدب في جوارحه عاقبه الله كذلك في جوارحه، ومن أساء الأدب في قلبه وباطنه عاقبه الله في قلبه وباطنه. ونوعذ بالله من ذلك.

وقال ابن المبارك : طَلَبْنَا الْأَدْبَ حِينَ فَاتَّنَا الْمُؤْدِبُونَ، فالآدب للعارف كالתוيبة للتائب.

ولهذا كان النبي ﷺ يقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ». الترمذى برقم (٣٥٩١)، وقال: حديث حسن غريب، وصححه الألبانى (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٢٩٨).

ويقول أيضًا: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي وَمِنْ شَرِّ لَسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيٍّ (أي: ما يحدث من الفرج في اختلاط الأنساب)». الترمذى برقم (٥٢٣)، وقال: حديث حسن غريب، وصححه الألبانى (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٢٩٢).

لهذا لا يستقيم لأحد أن يكون مُنَادِيًّا أو أن يوصف بالأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء: أوَّلًا: أن يتعرّف على الله وأسمائه وصفاته، للوصول إلى حقيقة الإيمان، وهو أول شرائط الإيمان، وإنما فمن جهل شيئاً عاداه، وما نراه من سوء الأدب مع الله من بعض

الناس في بعض الأحوال إنما هو نتيجة الجهل بأسماء الله وصفاته.

وثانيًا: عليه أن يتعرّف على هذا الدين العظيم والشرع الحكيم؛ ليتعلم ما يُحبه الله في فعله ويقترب إليه به، ويعلم ما يكرهه الله فيتجنبه ويبعد عنه، وفي هذا يقول القائل: إذا صحت المحجة تأكّدت على المُحِب ملازمة الأدب.

وثالثًا: أن تكون له نفسٌ مهيأة لقبول الحق من الله، فتخضع للأوامر والنواهي بالذلة والانكسار في كل قول أو عمل أو حال من الأحوال، ولا تكون كإبليس نعوذ بالله منه، الذي تعامل بسوء الأدب مع علمه بما يجب لله من طاعة وتعظيم، فاستحق أن يُطرد من رحمة الله أبد الآدين.

فهذه شرائط الأدب مع الله، فالأدب مع الله هو القيام بدينه قيامًا صحيحاً، والتأنّب بآدابه، ظاهراً في جوارحه وباطناً في قلبه. ومن تأمل أحوال النبي ﷺ وأحوال سائر الأنبياء والمرسلين في خطابهم وسؤالهم ومعاملاتهم مع الله وجد أن الأدب هو السمة المميزة لهم جميعاً.

**أدب الرسل والأنبياء مع الله:** قال المسيح عليه السلام لما اتهم في ادعائه الألوهية: **﴿إِنْ كُثُرْ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾** [المائدة: ١١٦] ولم يقل: لم أُقله؛ أدبًا منه، ثم أحال الأمر لله فقال: **﴿وَإِنْ تَغْرِّ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾** [المائدة: ١١٨]، فالمقام هنا مقام براءة منهم، فيجب أن يغضب للرب، وليس مقام استعطاف وشفاعة لمن اتهموه.

وكذلك قال إبراهيم عليه السلام: **﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَعْلَمُ بِهِمْ﴾** [٧٨] **﴿وَالَّذِي هُوَ يَطْعَمُنِي وَيَسْقِيَنِي﴾** [٧٩] **﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ شَفِيفٌ﴾** [٨٠] [الشعراء: ٧٨-٨٠]، ولم يقل: وإذا أُمْرِضْتُني، حفظاً للأدب مع الله. وكذلك قول الخضر عليه السلام في السفينة لموسى عليه السلام تفسيراً وتوضيحاً لما حدث منه: **﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيَّهَا﴾** [الكهف: ٧٩] ولم يقل: أراد ربّك أن أُعيّها، ومع ذلك قال في الغلامين: **﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَلْعَلِّغَا شَدَّهُمَا﴾** [الكهف: ٨٢].

وكذلك قول مؤمني الجن: **﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَأْرَأْيَدِي سَنَفِ الْأَرْضِ﴾** [الجن: ١٠] فنسبوا الشر لغير الله تبارك وتعالى، ولم يقولوا: أراد بهم ربهم، ثم قالوا بعد ذلك: **﴿أَمْ أَرَادَهُمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾** [الجن: ١٠] [الجن: ١٠].

وقال موسى عليه السلام: **﴿وَرَبِّ إِنِّي لَمَآذَنْتُ إِلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾** [٢٤] [القصص: ٢٤] ولم يقل: أطعمني،

وإنما طلب بالأدب، ولم يقل: أنت قَدْرُتَ عَلَيَّ؛ حيث لم يتَّبِعَ حَقَّاً على الله كما فعل إيليس.

وقول آدم عليه السلام: ﴿فَلَا رَبَّنَا أَنفَسَنَا وَإِن لَّرْ تَفَرَّنَا وَرَحِمَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] ولم يقل: أنت قَدْرَتَ عَلَيَّ أو قضاوَكَ عَلَيَّ.

وقول أيوب عليه السلام: ﴿أَفَمَسَنَ الْعُصْرَ وَأَنَّ أَرْحَمَ الرَّحِيمَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] ولم يقل: فعايني واسفني، بل طلب بالتوراة، وليس بالتصريح الواضح، أدباً مع ربِّه.

وقول يوسف عليه السلام لأبيه وإخوته: ﴿هَذَا أَتَأُولُ إِلَيْنِي مِنْ قَبْلِ قَدْ جَعَلَهُمْ أَهْرَافًا حَقَّاً وَقَدْ أَخْسَنَ بِي إِذَا أَخْرَجَنِي مِنَ السَّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، ولم يذكر البئر أدباً مع إخوته حيث تابوا وقال: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠] ولم يقل: رفع عنكم جهد الجوع والاحتياج. وقال: ﴿مِنْ بَعْدِ أَن نَزَّأَ الشَّيْطَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْرَقَتْ﴾ [يوسف: ١٠٠] فهذا من الكرم وكمال الأدب. لهذا كان كمال هذا الخلق للرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقال عبد الله بن المبارك مُحدِّراً: مَن تَهَاوَنَ فِي الْأَدْبِ عُوْقَبْ بِحَرْمَانِ السَّنِنِ، وَمَن تَهَاوَنَ فِي السَّنِنِ عُوْقَبْ بِحَرْمَانِ الْفَرَائِضِ، وَمَن تَهَاوَنَ فِي الْفَرَائِضِ عُوْقَبْ بِحَرْمَانِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى. قيل: الأدب في العمل علامة قبول العمل.

وقيل في حقيقة الأدب: استعمال الخلق الجميل، واستخراج ما في الطبيعة الإنسانية من الكمال في القول إلى الفعل؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَفَسِّرْ وَمَأْسَوْهَا﴾ [فَأَمْمَهَا بُغُورَهَا وَتَقْوَهَا]

﴿يَبْيَنِي مَادَمْ خُذْلُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَكُلِّ مَسْجِدِ﴾ [الشمس: ٨، ٧]

[الشمس: ٨، ٧]، فقد هيأ الإنسان للكمال بتزكية النفس بالأدب.

فالأدب هو الدين كلُّه، مِن ستر العورة والوضوء وغسل الجنابة والتظاهر من الخبر، وال الوقوف طاهراً بين يدي الله، والتجمُّل في الصلاة، كل ذلك من الأدب، قال الله تعالى: ﴿يَبْيَنِي مَادَمْ خُذْلُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَكُلِّ مَسْجِدِ﴾ [الأعراف: ٣١]، فالأمر بالزينة فوق ستر العورة، أي بكمال الأدب عند لقاء الله.

وكان بعض السلف يلبس حلة غالية الشمن للاصلاة من تمام الأدب ويقول: ربِّي أَحَقُّ مَن تَجَمَّلَتْ لَهُ فِي صَلَاتِي. والأدب في الصلاة: خفض الطرف في الصلاة، وألا يقرأ القرآن في السجدة والركوع؛ لأنها حالة ذلة.

والأدب في قضاء الحاجة: ألا يستقبل بيت الله ولا يستدبره في أثناء قضاء الحاجة. فالأدب مع الله هو القيام بين يديه متأدّباً ظاهراً وباطناً، وهو على ثلات: معرفة العبد بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشريعته وما يحب وما يكره، ونفس مستعدة قابلة للحق علمًا وعملاً وحالاً. فإساءة الأدب في الظاهر عقابها في الظاهر، وإساءة الأدب في الباطن عقابها في الباطن.

قال الجنيد : حُسْنُ الْأَدْبِ فِي الظَّاهِرِ عَنْوَانُ حُسْنِ الْأَدْبِ فِي الْبَاطِنِ.

**ثانيًا: الأدب مع الرسول عليه الصلاة والسلام:** قال الله تعالى: ﴿يَتَائِبُهَا الَّذِينَ مَاءْمُوا لَكَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا يَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]. فالأدب مع الرسول هو كمال التسليم والانتقاد لأمره، وتلقّي شرعه الحكيم بالقبول دون معارضة، فلا تقدّم على خبره رأي الناس أو الرجال أو الفلسفات والتراثات. فلا نرضى بحكم غيره، بل نتفقّد أمره ونصدق خبره، ولا نقدم عليه شيئاً ولا مذهبًا ولا طريقة، ولا نقدم طريقته للبركة، ولا نقدم شيئاً على سنته وطريقته إلى يوم القيمة، وفي سورة الحجرات غناءً أيًّا غناءً في الأدب مع الرسول ﷺ.

**ثالثًا: الأدب مع الخلق:** وهو معاملة كل إنسان بما يليق به، فلكل مرتبة أدب، وحتى المراتب فيها أدب خاص: فللوالدين أدب، وللأدب آخر، والعالم له أدب مختلف، وللسلطان أدب يليق به، ومع الأقران والأتراب أدب يليق بهم، ومع الأجانب أدب، ومع الضيف أدب يختلف عن أدبه مع أهل بيته.

كذلك الأحوال لها آداب: فللأكل آداب، وللشرب آداب، وللركوب والدخول والخروج والسفر والإقامة والنوم آداب، ولكل حال آداب. وأدب المرء عنوان سعادته وفلاحة، وقلة أدبه عنوان شقاوته وخسارته، وخير الدنيا والآخرة بالأدب، وخسارتها بترك الأدب.

فانظر إلى الأدب مع الوالدين كيف أن نجاة صاحب الغار بأدبه مع الوالدين؛ ففي الحديث: «قَالَ رَجُلٌ مِّنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبُوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ (أي: ما كنت أُغَبِّدُ) عَلَيْهِمَا أَحَدًا فِي شَرْبِ نَصِيبِهِمَا مِنَ الْلَّبِنِ الَّذِي يَشْرَبَانِهِ. وَالْغَبْوَقُ شَرْبُ آخِرِ النَّهَارِ مُقَابِلُ الصَّبْوَحِ (قبلاًهما أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَنَأَى (أي: بعد) بِي طَلَبُ الشَّجَرِ يَوْمًا فَلَمْ أُرْجِعْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا عَبُوْقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوْقِطُهُمَا وَأَنْ أُغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَمَالًا،

**فَلَبِثْتُ وَالْقَدْحُ عَلَى يَدِي أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ وَالصَّبِيَّةُ يَضَاءُغُونَ** (أي: يكون ويصيرون) **عِنْدَ قَدْمِيَّ**, فَاسْتِيقَاظَا فَشَرِبَا غَبُوْقَهُمَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ اِبْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرَّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ. فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْحُرُوجَ مِنْهُ. متفق عليه.

واعلم أن النفس مجبولة على أخلاقي لا تستغني عن تأديبها اعتماداً على العقل أو الزمن، ولكن الأدب يكتسب بالتجربة ورياضة النفس والتعلم والصحبة، ولو كان العقل يُغْنِي عن الأدب لكان أولى الناس بذلك الأنبياء، وقد قال النبي ﷺ: **إِنَّمَا بُعْثَتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**. مالك في الموطأ (٩٠٤ / ٢)، برقم (٩٠٩)، وأحمد في المسند برقم (٨٩٥٢)، وقال الأرنؤوط: صحيح

وروي أن عيسى عليه السلام سُئل: من أدبك؟ قال: رأيت جهل الجاهل فجانبته.

وقال علي بن أبي طالب عليهما السلام: إن الله تعالى جعل مكارم الأخلاق ومحاسنها صلة بينه وبينكم، فحسب الرجل أن يتصل من الله بخلق منها.

وقال حكيم: من فضيلة الأدب أنه ممدوح بكل لسان، مُتزيَّن به في كل مكان، وباقٍ ذكره على مدار الزمان. وقال حكيم: العقل بلا أدب كالشجر العاقد، والأدب كالشجر المثمر، الفضل بالعقل والأدب، لا بالأصل والجنس؛ لأن من ساء أدبه ضاع نسبة، الأدب وسيلة إلى كل فضيلة، وذرية إلى كل شريعة، الأدب يستريح النسب.

فأما تأديب النفس فمن وجهين: تأديب الوالد لولده في الصغر، وما ألزم الإنسان به نفسه عند النشأة وال الكبر. فأما التأديب اللازم للأدب: أن يأخذ ولده بمبادئ الأدب لينشأ عليها ويسهل عليه بعد ذلك قبولها، فيجعله طبعاً فيه وإلا سار عسيراً.

قال بعض الحكماء: **بَادِرُوا بِتَأْدِيبِ الْأَطْفَالِ قَبْلَ تَرَاكِمِ الْأَسْغَالِ وَتَفْرِقِ الْبَالِ**.

وقال أحد الشعراء:

على ما كان عوده أبوه  
وينشأ ناشئ الفتى منا

وأما أدب الإنسان لنفسه من النشأة وال الكبر في السن فنوعان:

١ - أدب اصطلاح (أي: ما اتفق عليه الناس)، وهو احترام المعروف عند الناس العقلاء والأدباء من أدب الحياة السليمة، كآداب الكلام واللباس وغيرها؛ لأن مجاوزة

المأولف والمتفق عليه اصطلاحاً يوجب الذم.

٢ - أدب رياضة النفس وتزكيتها ومجahدتها ومعاملتها معاملةً صحيحة، قال الله تعالى:

**﴿إِنَّ النَّفْسَ لَا مَارَةٌ بِالشَّوءِ إِلَّا مَارَ حَمَرَةٍ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [يوسف: ٥٣]

أعدائك هي نفسك التي بين جنبيك.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: العاجز من عجز عن سياسة نفسه.

وقال حكيم: من ساس نفسه ساد ناسه.

ولو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لم يكن للمواعظ والوصايا معنى، فالخيل البربرية والوحوش تروض، إلا أن بعض الطباع والأخلاق أيسر في القبول والصلاح من غيرها.

والمطلوب هو رد النفس والشهوة إلى حد الاعتدال، وليس المقصود قمع الصفات بالكلية، وإلا هلك الإنسان بفقد الشهوات تماماً. وأما حسن الظن بالنفس أو سوء الظن بها، فقد قيل: حُسْن الظُّنُون بالنفس يعمي عن مساويها، فلا يستطيع أن ينفي عنها قبيحاً، ولا أن يهدى لها حسناً، وأما سوء الظن بها فيعمي عن محسنتها.

ومن عمي عن محسن نفسه كان كمن عمي عن مساويها؛ ولهذا قيل: يجب أن يكون الإنسان في اتهام نفسه بالسوء معتدلاً، وفي حسن الظن بها مقتضاً.

لأن التجاوز في كل سوء ظن بالكلية، فتصير النفس ذليلة مهينة، لا تقدر على معرفة ولا جمال، اتهاماً لنفسها في كل عمل بأنها قبيحة، وكذلك بحسن الظن بالكلية تصير النفس آمنة فلا تعالج أخطاءها بالكلية.

وقد قيل: من ظلم نفسه كان لغيره أظلم، ومن هدم دينه كان لمجده أهدم.

وقيل: من رضي عن نفسه أنسخط عليه الناس (أي: لأن النفس أمارة بالسوء).

وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: **«لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ** (أي: الذي يغلب الرجال وبهزمهم)، **إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضْبِ**». متفق عليه.

وإذا عصتك نفسك فيما كرهت فلا تطعها فيما أحببت، ولا يغرينك ثناءً من جهل أمرك. من قوي على نفسه فقد تناهى في القوة، ومن صبر عن شهوته فقد بالغ في المروءة. وقد قيل: متى يعرف الإنسان ربه؟ قيل: إذا عرف نفسه، فيصلح منها ما فسد، ويُعينها على تقوتها.

\* \* \*

#### ٨٤- باب الحياة وفضله والبحث على التخلق به

(٦٨٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلامه مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَعْظُمُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلامه: (دَعْهُ، فَإِنَّ الْحَيَاةَ مِنَ الْإِيمَانِ). متفق عليه.

(٦٨١) وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه: «الْحَيَاةُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ». متفق عليه. وفي رواية لمسلم: «الْحَيَاةُ حَيْرٌ كُلُّهُ»، أو قال: «الْحَيَاةُ كُلُّهُ حَيْرٌ».

(٦٨٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنهما: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلامه قَالَ: (الْإِيمَانُ بِضُعْفٍ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضُعْفٍ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدَنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الْطَّرِيقِ، وَالْحَيَاةُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ). متفق عليه. (البُضُّعُ): بكسر الباء ويجوز فتحها، وهو: من الثلثة إلى العشرة. و(الشُّعْبَةُ): القطعة والحاصلة. و(الإِمَاطَةُ): الإزالة. و(الْأَذَى): ما يُؤدي إلى حرج وشوك وطين ورماد وقدر وتحو ذلك.

(٦٨٣) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قال: كانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلامه أَشَدَّ حَيَاةً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرَهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرُهُ عَرَفَنَاهُ فِي وَجْهِهِ. متفق عليه.

قال العلماء: حقيقة الحياة خلق يبعث على ترك القبيح، وينمّ من التقصير في حق ذي الحق.

وروينا عن أبي القاسم الجنيد : ، قال: الحياة: رؤية الآلة - أي: النعم - ورؤيه التقصير، فيكون بينهما حالة تسمى حياء. والله أعلم.

\* \* \*

#### (الحياة)

الحياة خلق في النفس يبعث على ترك القبيح من الأقوال والأفعال والأخلاق؛ فيمتنع صاحبه من التقصير في حق الله تعالى أو أصحاب الحقوق، فالإنسان الحبيبي يعتريه الانكسار خوفاً من أن يُعاب بين الناس بالرذائل. فهو خلق كريم يبعث على الترقى والعلو عن

المساوي مخافة الذم، ويُعتبر الحباء أول العفة، فيبعث على فعل الحسن وترك القبيح.

قال الجنيد : الحياء رؤية الآلاء (أي: النّم) من المُنْعِم (أي: وهو الله) ورؤية التقصير من العبد؛ فيتولد بينهما حالة تسمى حباء.

قال المصطفى عليه السلام: إذا لم تستحب فاصنع ما شئت [البخاري برقم (٣٤٨٣)]. ولهذا الحديث تأويلان:

الأول: وهو أمر تهديد وتوبيخ؛ أي إذا لم تخلق بخلق الحياة الذي يمنعك من فعل القبائح فأفعل من القبائح والمحاسن ما شئت فستعاقب على قبيح فعلك، وأعلم حينئذ أن فقدانك الحياة لا يهم بعده ما فعلت، والمعنى هذا هو المشهور، ولعله الأصح.

الثاني: وهو أمر إباحة وإذن بالفعل؛ أي إذا لم يكن في أفعالك ما يشين وما يستحيى منه فافعل ما شئت فأنت عند ذلك في حل وإباحة.

وقال ابن القيم : إن من عقوبات المعاصي والذنوب ذهاب الحياة من العبد، حتى إنه قد لا يتأثر بشيوع فحش حاله بين الناس، بل قد يتباهى بذلك، وصلاح هذا العبد بعيد المنال، وقلة الحياة دافعة لاقتراف الذنوب.

ولابن القيم : كلمة عظيمة: من استحيى من الله عند معصيته استحيى الله من عقوبته يوم يلاقاه، ومن لم يستحب من معصية الله لم يستحب الله من عقوبته يوم القيمة.

أقسام الحياة: وقد قسم ابن القيم الحياة إلى عشرة أوجه:

١ - حياة الجنائية: أي استحياء العبد من جنائية وظلم وقع منه، كحياة سيدنا آدم عليه السلام من ربها في الجنة؛ حيث سأله الله تعالى: «أَفَرَأَرَا مِنِّي يَا آدُم؟» قال: لا يا رب، بل حياة منك. أبو الشيخ في «العظمة» (٥/١٥٥٦) برقم (١٠١٩).

٢ - حياة التقصير: فيستحي من تقصيره، كحياة الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون، فإذا كان يوم القيمة قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك؛ ولهذا نبه النبي عليه السلام أنه لن يدخل الجنة أحد بعمله إلا أن يتغمده الله برحمته منه وفضل؛ لتقصيرنا في أداء أعمالنا وحيائنا من الله.

٣ - حياة إجلال وتعظيم: وهو حياة المعرفة، فكلما ازدادت معرفة العبد بربه ازداد

حياة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَىُ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَوْا إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٢٨)

[فاطر: ٢٨].

**٤ - حياء الكرم:** كحياة النبي ﷺ من أصحابه الذين دعاهم إلى وليمة زينب زوجته فأطألوا الجلوس عنده، فقام واستحشاً أن يقول لهم: انصروا. وهذا لكرمه الزائد على أصحابه، فقد يستحيي الإنسان من صاحبه إكراماً له.

**٥ - حياء الحشمة (الاحت sham):** كما استحضا علي رضي الله عنه أن يسأل رسول الله ﷺ عن المذى (وهو الماء الذي ينزل عند التلطاف مع الزوجة قبيل الجماع)؛ وذلك استحياءً منه لمكان ابنته فاطمة منه رضي الله عنها.

**٦ - حياء الاستحقار واستصغار النفس:** فإن العبد يحتقر شأن نفسه ويستعظم ذنبه ويستحيي من ربه العظيم الجليل حين يسأله الحاجات والضرورات.

**٧ - حياء المحبة:** فإن المحب يهيج عليه الحياء من قلبه إذا التقى محبوبه، أو حتى إذا خطر على باله بسبب شدة المحبة، وقد يحدث باللقاء روعة في نفسه.

**٨ - حياء العبودية:** حيث يستشعر العبد عدم صلاح عبوديته لربه، وأن الله مستحق لأعلى وأجل من ذلك، كمن يشعر أنه غير مناسب لخدمة أحد الملوك؛ لما يرى في نفسه من عدم أهلية، ويرى ترشيح غيره؛ وذلك تعظيمًا لسيده واحتقارًا لنفسه.

**٩ - حياء الشرف والعزة:** فصاحب النفس الكريمة العظيمة يستحيي من نفسه إذا صدر عنه ما دون القدر العظيم الذي يراه مناسباً من البذل والعطاء والإحسان، كمن يعطي لمحتاج شيئاً يسيئاً لا يتاسب مع قدره؛ فإنه يستحيي بذلك عزة وشرف نفس.

**١٠ - حياء المرء من نفسه:** يستحيي صاحب النفس الشريفة من رضاه عن نفسه بالنقص في الشكر والطاعة؛ فيغضب من نفسه لقناعتها بالدون من الأشياء، فيستحيي من نفسه، وهذا أكمل الحياة.

فمن استحيا من نفسه فهو بأن يستحيي من غيره أجرد، والحياة الحقيقي لا يمنع صاحبه من دعوة الناس، ولا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما كان ممن

يرضى بالباطل، وقد ثبت أن النبي ﷺ كان أشد حياء من العذراء في خدرها، ومع ذلك كان لا يقوم لغضبه شيء إذا انتهكت حرمات الله.

والحياء أصلٌ لكُلّ خير، وإلى هذا أشار ابن القِيم حيث قال: إن خُلقَ الْحَيَاةِ مِنْ أَفْضَلِ الْأَخْلَاقِ وَأَجْلَهَا وَأَكْثَرُهَا نَفْعًا، وهذا الذي يُمِيزُ بَنِي آدَمَ، وَلَوْلَا هَذَا الْخُلقُ لَمْ يُكَرِّمْ ضَيْفَ، وَلَمْ يُوفَّ بِوَعِدِ، وَلَمْ تُؤَدَّ أَمَانَةً، وَلَمْ تُقْضَ لَأَحِدٍ حَاجَةً، وَلَا تُرِكَ الْقَبِيحُ، وَلَا سُرِّتَ عُورَةً، وَلَا جُنِّبَتْ فَاحِشَةً، بل لولا الْحَيَاةِ لَتَرَكَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بَرَّ الْوَالِدِينَ وَصَلَةَ الْأَرْحَامِ، فَلَوْلَا الْحَيَاةِ مِنَ اللَّهِ أَوْ مِنَ الْخَلَقِ لَضَاعَتِ الْأَرْحَامُ، فَمَنْ لَمْ يَدْفَعْ الْحَيَاةَ سَاقِهِ الْهُوَى وَكَبْلَتِهِ الشَّهْوَةُ.

قال الرسول ﷺ: «الْحَيَاةُ وَالْعُيُّ (أي: العجز عن إعطاء الرأي خجلاً) شُبُّتَانٌ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْبَدَأُ وَالْبَيَانُ (أي: وهو التغور والتshedق إظهاراً للفضاحة والبلاغة) شُبُّتَانٌ مِنَ النَّفَاقِ» أَخْمَدَ فِي

«مسند» (٥/٢٦٩) برقم (٢٢٣٦٦)، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٢٠١).

وقال عمر رضي الله عنه: مَنْ قَلَ حَيَاوَهُ قَلَ وَرَعَهُ، وَمَنْ قَلَ وَرَعَهُ مَاتَ قَلْبَهُ.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: مَنْ لَمْ يَسْتَحِ منَ النَّاسِ لَا يَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ.

قال إِيَّاسٌ : كُنْتُ عِنْدَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَذُكِرَ عَنْهُ الْحَيَاةُ فَقَالُوا: الْحَيَاةُ مِنَ الدِّينِ. فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ.

وقال وَهْبُ بْنُ مُنْبِهٖ : الْإِيمَانُ عُرْيَانٌ وَلِبَاسُهُ التَّقْوَى، وَزِينَتُهُ الْحَيَاةُ، وَمَالُهُ الْعَفَةُ.

وكأنه أراد أن يقول: مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا فَهُوَ مَعْرُضٌ لِلْفَتْنَةِ، فَإِذَا تَحْلَى بِالتَّقْوَى فِي إِيمَانِهِ فَقَدْ فَازَ وَنَجَحَ وَكَانَ الْحَيَاةُ زِينَةً لِهِ أَمَامَ رَبِّهِ وَأَمَامَ النَّاسِ؛ فَيُمْنَعُهُ مِنْ فَعْلِ الْقَبَائِحِ، وَإِذَا أَرَادَ مَا لَا فِلِيْسْتَعْفَفُ فِيْهِ هُوَ الْمَالُ الْحَقِيقِيُّ.

وقال مجاهد : لَا يَتَعْلَمُ الْعِلْمَ مُسْتَحٌ وَلَا مُتَكَبِّرٌ.

وقال الحسن البصري : الْحَيَاةُ وَالْتَّكْرُمُ خَصْلَتَانِ مِنْ خَصَالِ الْخَيْرِ، لَمْ يَكُونَا فِي عَدِيلٍ رَفِعَهُ اللَّهُ بِهِمَا.

وقال الفُضَّيلُ بْنُ عِيَاضٍ : خَمْسٌ مِنْ عَلَامَاتِ الشَّقاوةِ: الْقَسْوَةُ فِي الْقَلْبِ، وَجَمْدُ الْعَيْنِ، وَقَلَةُ الْحَيَاةِ، وَرَغْبَةُ الدُّنْيَا، وَطُولُ الْأَمْلِ.

وقال يحيى بن معاذ : مَنْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ مُطِيقًا (أي: أثاء طاعته) استحيا الله منه وهو مذنب.

قال ابن عبد البر : عَنْ سَلِيمَانَ السَّعِيدِ : الْحَيَاةُ نَظَامُ الْإِيمَانِ (أي: قوام الإيمان) فإذا انحل النظام (أي: الحياة) ذهب ما فيه.

وقال معبد الجهنمي : في قوله تعالى: **﴿وَلَبَاسُ الْقَوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾** [الأعراف: ٢٦] إن التقوى هنا هي الحياة.

وقال الحسن البصري : أربع من كُنَّ فيه كان كاملاً، ومن تعلق بواحدة منهن كان من صالح قومه: دينٌ يرشده، وعقلٌ يسدده، وحسبٌ يصونه، وحياةٌ يقوده.

وقال الأصمسي : سمعت أعرابياً يقول: من كساه الحياة ثوبه لم ير الناس عيوبه.

وقال كعب الأحبار : لم يكن الحياة في رجل قط فتطعمه النار أبداً.

قال سليمان بن عبد الملك : إذا أراد الله بعد هلاكاً نزع منه الحياة، فإذا نزع منه الحياة لم تلقة إلا مقيتاً ممقوتاً.

والحياة أصل كل شعب الإيمان، يكسو صاحبه الورار، ويزينه بالمروعة، وينجيه من فضائح الدنيا والآخرة.

### **أوجه الحياة في الإنسان:**

أحدها: الحياة من الله: فيكون بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

الثاني: الحياة من الناس: فيكون بكف الأذى عنهم، وترك المجاهرة بالقبائح والرذائل، وهو من كمال المروعة.

الثالث: حياؤه من نفسه: فيكون بالعفة ومراعاة أوقات الخلوة، فلا يفعل في السر ما يستحب منه في العلانية.

وقد قال بعض الأدباء: مَنْ عَمِلَ فِي السُّرِّ عَمَلاً يَسْتَحِي مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ وليس لنفسه عنده قدر، فهي عنده مهينة.

وهذا النوع من الحياة من فضائل النفس وحسن السريرة، ومتى كمل حياء العبد من هذه الأوجه الثلاثة فقد كملت فيه أسباب الخير وانتفت عنه أسباب الشر.

## ٨٥-باب حفظ السر

**قال الله تعالى:** ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

(٨٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ مِنْ أَشَرِ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزَلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى الْمَرْأَةِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ» (أي: كتابة عن الجماع) ثُمَّ يُنْشِرُ سِرَّهَا». رواه مسلم.

(٨٥) وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنَّ عمر رضي الله عنه حين تأيمت بنته حفصة قال: لقيت عثمان بن عفان رضي الله عنه فعرضت عليه حفصة فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر؟ قال: سأاظهر في أمري. فلبت ليالي ثم لقيني، فقال: قد بدا لي ألا أتزوج يومي هذا، فلقيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر رضي الله عنه فلم يرجع إليَّ شيئاً فكنت عليه أوجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمانَ، فلَبِثَ ليالي ثم خطبها النبي صلى الله عليه وسلم فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر رضي الله عنه ف قال: لعلك وجدت علَيَّ حفصة بنت عمر فلم أرجع إليك شيئاً؟ فقلت: نعم، قال: فإنه لم يَمْعِنِي أنْ أُرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لَأُفْسِي سِرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لِقَبْلَتِهَا. رواه البخاري.

**تأيمت**؛ أي: صارت بلا زوج، وكان زوجها توفى رضي الله عنه. **وَجَدْتَ**: عَضِبْتَ.

(٨٦) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عِنْدَهُ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها تَمْشِيَ، مَا تُخْطِئُ مُشِيَّها مِنْ مُشِيَّةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، فَلَمَّا رَأَاهَا رَحَبَ بِهَا وَقَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنِتِي»، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى جَزْعَهَا، سَارَهَا الثَّانِيَةَ فَصَحَّكَتْ، فَقَلَتْ لَهَا: خَصَّكِ رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بالسَّرَّارِ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ! فَلَمَّا قَامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم سَأَلَتْهَا: مَا قَالَ لَكِ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: مَا كُنْتُ لَأُفْسِي عَلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم! فَلَمَّا تُوفِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قَلَتْ: عَزَّمْتَ عَلَيْكِ (أي: أَفْسَمْتَ عَلَيْكِ) بِمَا لَيْ عَلَيْكِ مِنَ الْحَقِّ، لَمَّا حَدَّثْتِنِي مَا قَالَ لَكِ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: أَمَّا الآنَ فَنَعَمُ، أَمَّا حِينَ سَارَنِي فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى فَأَخْبَرَنِي أَنَّ جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ القرآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتينِ، «وَأَنَّهُ عَارِضُهُ الْأَنَّ مَرَّتينِ، وَإِنِّي لَا أَرَى الأَجْلَ إِلَّا قَدِ

اقترب، فَاتَّقِيَ اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَإِنَّهُ نِعَمُ السَّلَفُ أَنَا لَكِ». فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتُ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَنِي الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ، أَمَا تَرْضِينَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟» فَصَحِّحَتْ صَحِّحَكَيَ الَّذِي رَأَيْتُ. متفق عليه. وهذا الفظ مسلم.

(٨٥) / ٦٨٧) وعن ثابتٍ، عن أنسٌ رضي الله عنه قال: أتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغُلْمَانِ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعْثَنِي فِي حَاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَىٰ أُمِّيَّ. فَلَمَّا جَهْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ فَقُلْتُ: بَعْثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه لِحَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا حَاجَتْهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سُرُّ. قَالَتْ: لَا تُخْبِرَنَّ بِسُرِّ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه أَحَدًا. قَالَ أَنْسٌ: وَاللَّهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ يَا ثَابَتْ. رواه مسلم، وروى البخاري بعضه مختصراً.



### (كتمان السر)

الكتمان: هو الإخفاء والستر، وكتمان الحديث: هو ستر الحديث.

وكتمان الفضل: هو كفران النعمة. والسر والإسرار خلاف الإعلان والإظهار، قال

الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يُشَرِّفُونَ وَمَا يَنْهَا﴾ [البقرة: ٢٧].

فالسر: هو الحديث المكتوم في النفس، وكتمان السر خلقٌ مركبٌ من الوقار وأداء الأمانة، فمن أفشى سرًا فقد خرج عن وقاره؛ حيث تكلم بما لا يليق، وكذلك فإن السر أمانة؛ فمن أفشى سرًا كان كمن ضيع الأمانة.

وكتمان السر صفة محمودة عند كل البشر، وخاصة فيمن يصبح الملوك والكتار والأمراء، فإن إفشاء أسرارهم مع عظيم قبحه في النفس يؤدي إلى ضرر عظيم ومصائب كبيرة عليه من السلطان.

وإذاعة السر دليل على قلة الصبر وضيق الصدر؛ حيث يوصف بذلك الصبيان والكثير من النساء وضعفة الرجال، والصبر على القبض على الجمر أيسر من الصبر على كتمان السر.

ولهذا لما قال أحدهم لصديقه: أريد أن أُفْشِي إِلَيْكَ سُرًّا تحفظه علَيَّ. فقال: لا أَرِيدُ أَنْ أُؤْذِي قلبي بِسِرِّكَ، وأَجْعَلُ صدري خزانَةً شَكْوَاكَ؛ فِيُقْلِقُنِي مَا أَفْلَقْتَكَ، وَيُؤَرِّقُنِي مَا أَرْقَكَ، فَتَبَيَّنَ أَنَّتَ بِإِفْشائِكَ لِسِرِّكَ مُسْتَرِّيحاً، وَبِيُسْتُ قلبي بِسِرِّكَ جَرِحاً.

وأكثر الأوقات والحالات التي يستخرج من الإنسان سره في ثلاثة مواضع:

عند الاستطلاع على فراشه، وعند خلوه بزوجته، وفي حالة سكره.

والكتمان المحمود: هو كتمان سر الغير، أو حتى سر نفسه، وهو من الأمانة والوفاء وعلامة على الورقار.

وأما الكتمان المذموم فهو إما كتمان للشهادة: وقد ذمه المولى عَجَّلَ في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ مَا شَهَدَ قَبْلَهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، وقوله تعالى:

﴿وَمَن أَظْلَمُ مِنْ كَتَمَ شَهَدَةَ عَنْهُ مِنْ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]. وإنما كتمان ما أنزل الله من الوحي: وهذا العهد قد أخذه الله على الأنبياء والمرسلين بألا يكتموا مما أوحى إليهم شيئاً، قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَلَيْكُمْ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَسْتَدِرُونَ بِهِ مِنْهَا قَلِيلًا أَوْ لَيْكُمْ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا أَثَارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤]؛ لأن كتمان ذلك ضياع لأحكام الله تعالى.

ومن الوفاء أن يحافظ المسلم على سر أخيه فيكتمه، وإلا كان غادراً، وهذا حق المسلم على المسلم أن يكتم عنه ما وصل إليه من سره، وخاصة إذا كان قد تعهد له بحفظ السر وعدم إذاعته، قال رسول الله ﷺ: إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِحَدِيثٍ ثُمَّ التَّفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ» [الترمذى برقم (١٩٥٩)، حسن الألبانى (تحقيق المشكاة) حديث (٥٠٦١)].

وقال ﷺ: «اسْتَعِينُوا عَلَى إِنْجَاحِ حَوَائِجِكُمْ بِالْكِتَمَانِ؛ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ» الطبراني في الأوسط (٣/٥٥) برقم (٢٤٥٥). وقد روى عن معاذ بن جبل مرفوعاً: إِنَّمَا يَتَجَالَّسُ الْمُتَجَالِسُونَ بِالْأَمَانَةِ، فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُفْشِي عَلَى صَاحِبِهِ مَا يَكْرُهُ عبد الرزاق في مصنفه (١١/٢٢) برقم (١٩٧٩١).

وعن جابر بن عبد الله يرفعه: الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ إِلَّا ثَلَاثَةُ مَجَالِسٍ: سَفْكُ دَمٍ حَرَامٍ، أَوْ فَرْجُ حَرَامٍ، أَوْ افْتِطَاعُ مَالٍ بِغَيْرِ حَقٍّ [أحمد في مسنده (٣٤٢/٣) برقم (١٤٧٣٤)]؛ يعني من جلس شاهداً على سفك دم حرام، أو هتك عرض حرام، أو أخذ مال حرام؛ فليس عليه أن يكتم هذا، بل إن إفشاءه ليس أمراً مذموماً بل هو واجب حفظاً للحقوق والأعراض والدماء.

وقال على بن أبي طالب ﷺ: سِرُّكَ أَسِيرُكَ؛ فَإِنْ تَكَلَّمَتَ بِهِ صِرْتَ أَسِيرَهُ.

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: ما وضعت سري عند أحد أفشاها علي فلمته، أنا كنت أصيق به حيث استودعته إياه.

وقال الحسن البصري : إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك.

وقال بعض الحكماء لابنه : يابني، كن جَواداً بالمال في موضع الحق، ضئيناً بالأسرار عن جميع الخلق؛ فإن أَحْمَدَ (أي: أضل) جُودَ الْمَرءِ الإِنْفَاقَ فِي وِجْهِ الْبَرِّ، وَالْبَخْلُ بِمَكْتُومِ السرِّ.

وإفشاء السر خُلُقُ مُرَكَّبٌ من الخَرَقِ والجهل والحمق والخيانة، ويَحْرُمُ عَلَى كُلِّ مُكْلَفٍ إِفْشَاءُ السرِّ إذا كان فيه إِسْرَارٌ بِصَاحِبِهِ، فإن لم يكن فيه ضررٌ فهو دليل على اللؤم والتهاون بحق المعرف والأصدقاء، والستر على الناس شيمة أولياء الله الصالحين.

واعلم أنه يجوز في بعض الأحيان الإفشاء إذا كان في ذلك مصلحة أو دفع مضر، ويُسأَلُ في ذلك صاحب الفهم والاختصاص.

قال الغزالى : أَفْشَى بعضاً مِنْ أَخِيهِ ثُمَّ قَالَ لِهِ: هَلْ حَفَظْتَ؟ قَالَ: بَلْ نَسِيْتَ.

وقال سفيان الثورى : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَؤَاخِي رِجَالًا فَاغْضِبْهُ، ثُمَّ دُسْ عَلَيْهِ مَنْ يَسْأَلُكَ وَعَنْ أَسْرَارِكَ؛ فَإِنْ قَالَ خَيْرًا وَكَتَمَ سِرَّكَ فَاصْبِهِ.

وقال ذو النون المصري : لَا خَيْرٌ فِي صُحْبَةِ مَنْ لَا يَرَاكَ إِلَّا مَعْصُومًا، وَمَنْ أَفْشَى السر عند الغضب فهو اللئيم؛ لأن إخفاءه عند الرضا ترتضيه الطَّبَاعُ السليمة كلها.

وقال أبو حاتم : الإفراط في الاسترسال بالأسرار عجز (أي: يقصد الإفراط في إفشاء الأسرار على الآخرين) وما كتمه المرء عن عدوه فلا يجوز أن يُظهره لصديقه، وكفى بذلك الألباب عبراً ما جربوا (أي: التجربة والخبرة)، ومن استودع حديثاً فليس عليه، ولا يكن مهتاباً ولا مشياعاً؛ لأن السر إنما سُمِّي سرّاً؛ لأنه لا يُفْشى.

وقال حكيم : تعلمت أن أحسِنَ الصمتَ في عشر سنين، وما قلت شيئاً قطُّ إذا غَضِبْتُ أندم عليه إذا زال غضبي.

وقال الحسن البصري : لَا تَسْتَقِيمْ أَمَانَةَ رَجُلٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانَهُ، وَلَا يَسْتَقِيمْ لِسَانَهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبَهُ. ويقول السفاريني: قال الحكماء: ثلاثة لا ينبغي للعاقل أن يقدم عليها: شرب السم للتجربة، وإفشاء السر إلى القرابة والحاشد وإن كان ثقةً، وركوب البحر (أي: من لا يحسن السباحة) وإن كان فيه غنى.

وقال أيضًا: إن أصبر الناس من لا يُفْشِي سره إلى صديقه مخافة التقلب يوماً ما.

واعلم أن مفشي السر من أشر الناس، ويعرض صاحبه لنار جهنم وندم وحسرة في الدنيا، ويفقد الثقة بين السامع والمتكلم، وهو خيانة للأمانة، ونقض للعهود، ودليل لؤم الطبع وفساد المروءة. أما كتم السر فإنه دليل الوقار والاحتشام، ومن علامات الإيمان، ويرقى بصاحبته لدرجات الكمال.

\* \* \*

## ٨٦- باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدَ إِذَا كُنْتُمْ مَسْتُحْلِلًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [التحل: ٩١].

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُهْدِ﴾ [المائدة: ١].

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَقْعُلُونَ ۚ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَكُونُوا مَا لَا تَقْعُلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

(٨٦) / ٦٨٨ وعن أبي هريرة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «آيةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أُخْلَفَ، وَإِذَا أُتْمِنَ خَانَ». متفق عليه.

زاد في رواية لمسلم: «وإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَرَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ».

(٨٦) / ٦٨٩ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا حَالِصًا، وَمَنْ كَانَ فِيهِ حَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ حَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعُهَا: إِذَا أُتْمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». متفق عليه.

(٨٦) / ٦٩٠ وعن جابر: قال لي رسول الله ﷺ: «لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَعْطِيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا». فَلَمْ يَجِدْ مَالُ الْبَحْرَيْنِ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَمَرَ أَبُو بَكْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَنَادَى: مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِدَّةً أَوْ دَيْنًا فَلْيَأْتِنَا، فَاتَّبَعَهُ وَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لي كَذَا وَكَذَا. فَحَشِيَ لِي حَشِيَّةً فَعَدَدْتُهَا، فَإِذَا هِيَ خَمْسِيَّةٌ، فَقَالَ لي: خُذْ مِنْهُمَا. متفق عليه.

\* \* \*

## (الوفاء)

الوفاء يعني الإكمال والإتمام؛ أي إتمام العهد وإكمال الشرط، وهو عكس الغدر والخيانة. والوفيُّ الذي يعطي الحقَّ ويأخذ الحقَّ، فهو خُلُقُ شريفٌ عاليٌ رفيع المقام.

والوفاء بالعهد هو إتمامه وعدم نقضه، وهو أيضًا صدق اللسان والفعل معًا، والوفاء يقتضي الصبر على ما يبذل الإنسان مقابل وفائه وإن أحقت به الأذية، بل كلما أضر به أكثر كان ذلك دليلاً على صدق وفائه. والوفاء أخو الصدق والعدل، والغدر أخو الكذب والجور والظلم؛ ذلك أن الوفاء صدق اللسان والفعل معًا، والغدر كذب باللسان والفعل؛ لأن في الكذب نقضاً للعهد. والوفاء قيمة عظيمة قدرها العرب قديماً.

### أنواع الوفاء:

- ١- الوفاء بالعهد: إذ عليه أن يحفظ العهد ولا ينقضه قولهً وفعلاً.
- ٢- الوفاء بالعقد: والعقود أكد العهود، أو هو العقد بين العبد وربه من الإيمان والقرآن، أو هو العقود بين البشر فيما يتباينون.
- ٣- الوفاء بالوعد: فيصبر على ما وعد به غيره وإن أصابه الأذى في ذلك.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدين فيسأل رسول الله صلوات الله عليه وسلامه: «هَلْ تَرَكَ لِدِينِهِ فَضْلًا؟». أي ترك مالاً لتأدية الدين. فإن حُدثَ أنه ترك لدینه وفاءً صليًّا، وإنما قال للمسلمين: «صَلُوا عَلَى صَاحِبِكُمْ». فلما فتح الله عليه الفتوح قال صلوات الله عليه وسلامه: «أَنَا أَوَّلُ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ، فَمَنْ تَوَفَّى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَرَكَ دِينَاهُ فَعَلَيَّ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ» متفق عليه. وقال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه: «الْمُسْلِمُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ» الحديث، أحمد في مسنده (١).

(١) برقم (٩٥٩)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره، وحسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٦٧١٢).

وقيل: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ودَوَامَ عهده فانظر إلى حنيفه إلى أوطانه، وتشوهه إلى إخوانه وكثرة بكائه على ما مضى من زمانه.

وفي قصص العرب قديماً ما يدل على وفائهم بعهودهم ومواثيقهم. والوفاء ركن أصيل في بناء المجتمع الناجح العظيم، فإذا ضاع الوفاء ضاعت العلاقات الاجتماعية وبارت الأسواق وساد التناحر بين الناس.

\* \* \*

### **٨٧- باب الأمر بالمحافظة على ما اعتاده من الخير**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزَّاهَا مِنْ بَعْدِ ثُوَّةٍ أَنْكَثَاهَا﴾ [النحل: ٩٢]، و «الأنكاث»: جمْعِ نُكْثٍ، و هُوَ الغَزْلُ المَنْفُوضُ.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُتْهَا الْكِتَابُ مِنْ قَبْلِ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَنَقَضُوا مُؤْمِنَاتِهِمْ﴾ [الجديد: ١٦].

وقال تعالى: ﴿فَمَارَعَوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الجديد: ٢٧].

(٦٩١) / ٨٧) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رض قال: قال لي رسول الله صل: «يا عبد الله، لا تكون مثل فلان، كان يقُومُ الليلَ فترَكَ قِيامَ الليلِ!». متفق عليه.

### **٨٨- باب استحباب طيب الكلام وطلاقه الوجه عند اللقاء**

قال الله تعالى: ﴿وَلَا خِفْضَ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الحجر: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَطَاطَ غَلِيلَ الْقَلْبِ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلَكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(٦٩٢) / ٨٨) وعن عدّي بن حاتم رض قال: قال رسول الله صل: «اْتُّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشَقٍّ تَمَرَّةٌ فَمَنْ لَمْ يَحْدُدْ فِي كِلَمَةٍ طَيِّبَةً». متفق عليه.

(٦٩٣) / ٨٨) وعن أبي هريرة رض: أنَّ النبيَّ صل قال: «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ». متفق عليه، وهو بعض حديث تقدم بطوله.

(٦٩٤) / ٨٨) وعن أبي ذر رض قال: قال لي رسول الله صل: «لَا تَحِقِّرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً، وَلَا أَنْ تَلَقَّ أَخَاكَ بِوْجِهٍ طَلْقٍ». رواه مسلم.

## ٨٩- باب استدباب بيان الكلام

### وايضاحه للمخاطب وتكريره ليفهم إذا لم يفهم إلا بذلك

(٨٩ / ٦٩٥) عن أنس رض: أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا. رواه البخاري.

(٨٩ / ٦٩٦) وعن عائشة رض قالت: كَانَ كَلَامُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلَامًا فَصْلًا (أي: واضحًا) يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ يَسْمَعُهُ. رواه أبو داود.

\* \* \*

### (أدب الكلام)

إن اللسان من نعم الله العظيمة، ومع صغر حجمه إلا أن خطره عظيم؛ إذ لا يتبيّن الكفر من الإسلام إلا بشهادة اللسان، وكل ما يتناوله العلم يُعبّر عنه اللسان، إما بحق وإما بباطل، وكما جاء في الحديث: «إِنَّ الْمَرْءَ لَيُنْطِقُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بِالْأَيْرَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بِالْأَيْهُوَيِّ بَهَا فِي جَهَنَّمَ». البخاري برقم (٦٤٧٨).

من فضل اللسان أن الله تعالى أنطقه بتوحيده من بين سائر الجوارح، قيل للأحنف بن قيس: الصمتُ أَفْضُلُ أو الكلام؟ قال: الكلام أَفْضُلُ؛ لأن الصمت لا يعدو صاحبه، والكلام ينفع به من سمعه، ومذكرة الرجال تلقيح (أي: إثراء) للعقول. وقد قيل: الصمت نوم والنطق يقظة.

وقال خالد بن صفوان: ما الإِنْسَانُ لَوْلَا اللسانُ إِلَّا صورةٌ مُمَمَّلة (أي: تمثال) أو بهيمة مُرسَلة أو ضالة مُهَمَّلة. وقيل: المرء بأَصْغَرِيهِ: لسانه، وقلبه. والمرء مخبوء تحت لسانه.

وقال ابن سيرين : لَا شَيْءَ أَزَيَّنَ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ. وكان عمر بن عبد العزيز سأله رجل فأحسن المسألة (أي: أحسن القول في طلب حاجته)، فقال: هذا والله السحر الحلال.

وقال الحسن : الرِّجَالُ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ بِنَفْسِهِ، وَرَجُلٌ بِلِسَانِهِ، وَرَجُلٌ بِمَالِهِ.

وفي اللسان عشر خصال: أداة للبيان، وشاهد على الضمير، وحاكم في القضاء، وناطق للجواب، وشافع للحجاجات، وواصف للأشياء، وواعظ ينهى عن القبائح، ولتقديم التعزية في الأصحاب، وللتلطف في الصغار والإصلاح بين الناس، لإسماع الآذان وتطريبيها.

وقال رسول الله ﷺ: **«مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمُرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»**. مالك في الموطأ (٢/ ٩٠٣) برقم (١٦٠٤)، وأحمد في مسنده برقم (١٧٣٧)، وقال الأرنؤوط: حسن بشواهد، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٥٩١١).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: كانوا يكرهون فضول الكلام (أي: الكلام لغير حاجة).

فبِتَرْكِ الفَضْوِلِ تَكْمِلُ الْعُقُولُ، وَأَحْسَنُ الْكَلَامَ مَا كَانَ قَلِيلُهُ يُعْنِيكَ عَنْ كَثِيرِهِ، وَمَا ظَهَرَ مَعْنَاهُ فِي لُفْظِهِ. وَقِيلَ لَابْنِ عُمَرَ: ادْعُ لَنَا بِدُعَوَاتٍ. قَالَ: اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَاعْفُنَا، وَارْزُقْنَا. قَالُوا: لَوْزَدْتَنَا. قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْإِسْهَابِ (أي: الزِيادةُ فِي الْكَلَامِ).

وقال عمر رضي الله عنه: مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَتْ خَطَايَاهُ وَكَثُرَ سَقَطُهُ (أي: زَلَّهُ وَخَطَّهُ).

وعزل عمر بن عبد العزيز أحد القضاة، فسألته: لِمَ عَزَّلْتَنِي؟ قال: كلامك مع الخصمين أكثر منهما.

وكان مالك بن أنس رضي الله عنه يكره كثرة الكلام ويذممه ويقول: كثرة الكلام لا توجد إلا في النساء والضعفاء.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: مِنْ فَقْهِ الرَّجُلِ قَلَهُ كَلَامُهُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ.

وقال مالك بن دينار : لو كانت الصحف من عندنا لأقللنا الكلام.

وروى أنه قد خرج يونس بن متى عليه السلام من بطن الحوت فطال صمته، فقيل له: ألا تتكل؟ فقال: الكلام صيرني إلى بطن الحوت.

وقيل: فَشَرُّ (أي: أَكْثَرُهَا شَرًّا) مَا طُبِعَ عَلَيْهِ الْمَرْءُ خُلُقُ دُنْيَاءِ وَلِسَانُ بَنْيَاءِ.

وقال حكيم: الزم الصمت تعدد حكيمًا، جاهلاً كنت أو عالماً.

وقال بعض البلغاء: الزم الصمت؛ فإنه يُكَسِّبُكَ صَفْوَ الْمَحْبَةِ (أي: المحبة الندية من الشوائب والمضار)، وَيُؤْمِنُكَ سَوَاءَ الْمَغْبَةُ (أي: العاقبة والمال)، وَيُلْبِسُكَ ثوبَ الْوَقَارِ، وَيُكَفِّيكَ مَؤْنَةَ الْاعْتِدَارِ.

وقال بعض الفصحاء: اعْقُلْ لِسَائِكَ (أي: كُفَّهُ عن الكلام) إلا عن حقٍ تُوْضِّحُهُ أو باطل تَدْحُضُهُ أو حكمة تنشرها أو نعمة تذكرها.

**شروط الكلام:** للكلام شروط حتى يسلم المتكلم من النقص والزلل:

**الشرط الأول:** أن يكون الكلام لداعٍ يدعو إليه؛ لا جتاب نفع أو دفع ضرٌّ.  
وحكى عن أبي يوسف الفقيه أن رجلاً كان يجلس إليه فيطيل الصمت، فقال له أبو يوسف: ألا تسأل؟ فقال الرجل: بلـ، متى يُفطر الصائم؟ قال أبو يوسف: إذا غربت الشمس. فقال الرجل: فإن لم تغرب إلى منتصف الليل؟ فتبسم أبو يوسف من ذلك وتمثل بهذا البيت من الشعر:

وفي الصمت سترة للعري (الأخرق الأحمر) وإنما صحيفه لب المرة (ما يبين عقل المرأة) أن يتكلما

فانظر كيف أبان الكلام والسؤال عن حمقه؛ فالصمت سترة للعيوب.

**وفي الحكم:** لسان العاقل من وراء قلبه، وقلب الجاهل من وراء لسانه.

فلذلك فاحبس لسانك قبل أن يطيل حبسك أو يتلف نفسك، فلا شيء أولى بطول حبس من لسان يقصُّر عن الصواب ويُسْرع إلى الجواب.

**وقال عمر بن عبد العزيز :** مَنْ لَمْ يَعْدَ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ كَثُرَتْ خَطَايَاهُ.

**وقال حكيم:** إذا جالست الجهال فأنصت إليهم، وإذا جالست العلماء فأنصت إليهم؛ فإن في إنصاتك للجهال زيادة في الحلم، وفي إنصاتك للعلماء زيادة في العلم.

**الشرط الثاني:** أن يتكلم بالكلام في موضعه ومحله؛ فإن الكلام في غير مناسبة لا يُتفع منه، فلكل مقام مقابل، ولكل عمل زمان.

**الشرط الثالث:** أن يقتصر منه على قدر الحاجة؛ فإن الكلام لا حَدَّ له ولا ينحصر، فحد الكلام الحاجة والكافية، وإلا فلا نهاية له.

**قال حكيم لرجل يُكثِّر الكلام:** إن الله خلق لك أذنين ولساناً واحداً؛ ليكون ما تسمع ضعف ما تتكلم به.

**وقال أحد البلغاء:** كلام المرأة بيان فضله وترجمان عقله (أي: بيان لما يدور في عقله)، فاقصره على الجميل واقتصر منه على القليل، وإياك وما يُسخط سلطانك ويوحش إخوانك، فمن أخطط سلطانه تعرض للمنية (أي: الموت)، ومن أوحش إخوانه تبرأ من الحرية.

وقال سليمان بن عبد الملك: من تكلم فأحسن قدر على أن يسكت فيحسن، وليس من سكت فأحسن قدر على أن يتكلم فيحسن. قيل لإياس بن معاوية: ما فيك عيب إلا كثرة الكلام. فقال: أفتسمعون صواباً أو خطأ؟ قالوا: لا، بل صواباً. قال: فالزيادة من الخير خير.

وقال الجاحظ: للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية.

وقد قيل: كثير الكلام ينسى آخره أوله، وخير الكلام ما قل ودل.

فالإكثار منه يُملِّ السامع، ومن أعجب بكلامه استرسل فيه؛ لذلك فهو كثير الخطأ، ففي الحديث: «أَلَا أَبْشِّرُكُمْ بِشَرَارِكُمْ؟» . فقال: «هُمُ الْتَّرَاثُورُونَ (أي: كثيرو الكلام) الْمُشَدَّقُونَ (أي: التكلم بملء اللسان إظهاراً للقصاحة). أَلَا أَبْشِّرُكُمْ بِخَيَارِكُمْ؟ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا» . أحمد في مسنده (٢/٣٦٩) برقم (٨٨٠٨)، وقال الأربنوط: حسن لغيره، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٥٣٥).

فمن أطال صمته اجتبأه من الهيبة ما ينفعه، ومن الوحشة ما لا يضره، وقد قيل في مثير الحكم: إذا تم العقل نقص الكلام.

**الشرط الرابع:** اختيار اللفظ الذي يتكلم به؛ لأن اللسان عنوان الإنسان، يترجم عن مجده له، ويستدل على عقل الرجل بقوله وعلى أصله بفعله. قال بعض الحكماء: اللسان وزير الإنسان.

#### آداب المتكلم:

١ - من الأدب ألا يتجاوز المتكلم في مدح أو ذم، وإن سلم من الكذب؛ لأن النزاهة من الذم دليل الكرم، والإسراف فيه انتقام يصدر عن شرّ، والتجاوز في المدح تملّق ومداهنة وخداع يصدر عن دناءة ومهانة.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه، فيخرج من عنده وما معه دينه. قالوا: وكيف ذلك؟ قال: يُرضيه بما يسخط الله عَلَيْهِ.

٢ - ومن آدابه ألا تدفعه الرغبة أو الرهبة على الاسترسال في الوعود بشيء قد لا يستطيع الوفاء به، أو الوعيد بعقوبة يعجز عنه فيندم ويذمُّ.

**قصة:** حكى أن: سليمان بن داود عليهما السلام مرّ بعصافور يدور حول عصفورة، فقال

لأصحابه: هل تدرؤن ما يقول لها؟ قالوا: لا يا نبي الله. قال: إنه يخطبها لنفسه ويقول لها: زوجيني نفسك أُسْكِنَاكِ أيَّ غُرْفَ دمْشَقَ شِئْتَ. قال سليمان: كذب العصفوري؛ فإن غُرفَ دمْشَقَ مبنية بالصخور - وهذا في زمانهم - لا يقدر أن يسكنها هناك، ولكن كل خاطب كذوب. اهـ.

٣- ومن آدابه أن يتحقق قوله فعله، ويصدقه عمله، بإرسال القول عمل اختياري، ولكن العمل به اضطراري، وأنْ يفعل مالم يقل أجمل من أن يقول ما لا يفعل.

قال حكيم: أحسنُ الكلام ما لا يُحتاجُ فيه إلى الكلام (أي: يكتفي بالفعل دون القول).

٤- ومن الأدب أن يُراعي طريقةَ كلامه بحسب المقصود والغرض؛ فإن كان مقصوده الترغيب قاله باللين واللطف، وإن كان مقصوده الترهيب قرنه بشيء من الحزم والشدة، فلين اللفظ في الترهيب وشدته في الترغيب خروج عن المقصود وتعطيل للمعنى.

قال أبو الأسود الدُّؤَلِيُّ: يا بُني، إن كنت في قوم فلا تتكلّم بكلامٍ مَنْ هو فوقك (أي: بتعال) فيْمَقْتُوكَ، ولا بكلام من هو دونك (أي: بابتدا) فِيْزَدْرُوكَ (أي: يحترنك).

٥- ومن الأدب ألا يرفع صوتاً كريهاً ولا يؤدي الحركات الطائشة، فإن نقص الطيش أحسن من فضل البلاغة.

٦- ومن الأدب أن يتحاشى مستقبح الكلام، بل يستخدم الكنایة بالأدب المصنون.

٧- ومن الأدب أن يتتجنب أمثلة الغوغاء الرخيصة، ويستعمل أمثلة العلماء والأدباء الرفيعة، فلكل صِنفٍ من الناس أمثاًلٌ تُناسبُهم، فالساقط يضرب أمثاًل ساقطة، وتشبيهاته مستقبحة، وللساقطين أمثاًلهم؛ وذلك لأن الأمثال تُعبّر عن خَطَّرات نفس المتكلم؛ ولهذا فصاحب الهمة الساقطة أمثاله رذيلة، وكذلك مخالطة الأراذل تبعث على ذلك.

وُحُكِيَ عن الأصمِعِيِّ أن الرشيدَ سأله يوماً عن أنساب العرب؟ فقال: على الخير سقطَ يا أمير المؤمنين. فقال حاجُبُ الأمير: أسقطَ اللهُ جَنْيَكَ، كيف تُخاطب بذلك أمير المؤمنين؟!

وللأمثال موقعٌ بالغُ الأثر في الأسماع وتأثير عميق في القلوب؛ فلذلك ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز وجعلها من دلائل رسالته وأوضح بها الحجة على خلقه.

### **شروط ضرب الأمثال: ولها أربعة شروط:**

**الشرط الأول:** صحة التشبيه، فلا يعطي تشبيهًا مغالطًا غير صحيح لا تقبله العقول السليمة.

**الشرط الثاني:** أن يكون العلم بهذه الأمثلة مشتهرًا والكل عليها موافقاً، فلا يفاجأ المستمعون بما لا يعلمونه، وقد ينكرونه عليه فيحدث عكس مقصوده.

**الشرط الثالث:** ألا يسيء عرضها بطريقة يصعب فهمها واستيعابها، بل عليه أن يعرضها بأسلوب يُسهل ويسرع وصولها للأفهام، ولا يُتعب العقول في فهم معزاها والمراد منها.

**الشرط الرابع:** أن تتناسب مع المستمعين في ثقافتهم وعاداتهم وأحوالهم المعيشية؛ لتكون بالغة الأثر في نفوسهم وقلوبهم.

\* \* \*

## ٩٠- باب إصياغ الجليس لحديث جليسه الذي ليس بحaram

### واستئنفات العالم والوعاظ حاضري مجلسه

(٩٠) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه في حجّة الوداع: «استئنفْتِ (أي: اطلب منهم الإنصات) الناس». ثم قال: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يتضرّب بعضكم ببعضٍ رقابَ بعضٍ». متفق عليه.

## ٩١- باب الوعظ والاقتصاد فيه

قال الله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْمَسْنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

(٩١) وعن أبي وائلٍ شقيق بن سلمة قال: كان ابن مسعود رضي الله عنه يذكرنا في كل خميسٍ، فقال

لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، لَوْدَدْتُ أَنَّكَ ذَكَرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ. فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا. متفق عليه. يَتَخَوَّلُنَا: يَتَعَهَّدُنَا.

(٩١ / ٦٩٩) وعن أبي اليقطان عمار بن ياسر رض قال: سمعت رسول الله صل يقول: «إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقَصْرَ خُطْبِهِ مَيْنَةٌ مِّنْ فِيقْهِ، فَأَطْلِلُوا الصَّلَاةَ وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ». رواه مسلم.  
ميئنة بضم الميم مفتوحة ثم همزة مكسورة ثم نون مشددة؛ أي: علامة دالة على فقهه.

(٩١ / ٧٠٠) وعن معاوية بن الحكم السلمي رض قال: يَبْيَنَا أَنَا أَصْلَى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلًا مِّنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ؟ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ! فَقُلْتُ: وَاتَّكِلْ أَمْيَاهُ، مَا شَاءْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيْيَ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَادِهِمْ! فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمَّتُونَنِي (أي: يحاولون إسكاتي) لِكِنِّي سَكَتْ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِيَابِي هُوَ وَأَمِي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي، وَلَا ضَرَبَنِي، وَلَا شَتَمَنِي - قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ وَالنَّكِيرُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ. أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي حَدِيثٌ عَهْدٌ بِجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَانَ. قَالَ: «فَلَا تَأْتِهِمْ». قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَهِّرُونَ (أي: يتشارعون). قَالَ: «ذَاكَ شَيْءٌ يَحْدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يُصْدَّنُهُمْ». رواه مسلم.

النَّكِيرُ بضم النون الثانية: المصيبة والعجيبة. (ما كهرني)؛ أي: ما نهريني.

(٩١ / ٧٠١) وعن العرباض بن ساري رض قال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجَلَّ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَدَرَقَتْ مِنْهَا الْعَيْنُونُ.

وَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَقَدْ سَبَقَ بِكَمَالِهِ فِي بَابِ الْأُمْرِ بِالْمُحَا�َظَةِ عَلَى السُّنَّةِ، وَذَكَرَنَا أَنَّ التَّرْمِذِيَّ قَالَ: إِنَّهُ حَدِيثٌ حَسْنٌ صَحِيفٌ.



## (الوعظ)

الوعظ هو النصح والتذكير والتخويف من العواقب، فهو زجر مقترن بالتخويف كي ترق له قلوب الناس، حيث يذكرهم بما تلين معه قلوبهم للثواب والعقاب.

## صفات الوعاظ: وعلى الوعاظ أن يشتمل على صفتين:

إحداهما: أن يتسبب إلى أهل العلم بنسبة تساعدة على التعلم والاقتباس منهم والفهم عنهم؛ ل يستطيع نقل هذا العلم إلى عامة الناس ترغيباً وترهيباً.

الثانية: أن يستطع التعامل مع عامة الناس وعوامهم؛ ل يستطيع أن يصل إلى قلوبهم وعقولهم لقربه منهم، فهو كال وسيط بين الملوك وشعوبهم، أو بين الطبيب والمريض، فله ارتباط وانتساب إلى من فوقه من أهل العلم والحكمة، وله كذلك انتساب إلى العامة ليأخذ من الحكيم ويسلط لهم أمر دينهم، فهو كالغضاريف بين اللحم والعظم.

وعلى من كلف نفسه بدور الوعاظ أن يعلم أن عليه حقوقاً في وعده، فعليه أن يعظ نفسه قبل أن يعظ غيره؛ فيهتدى ثم يهدى، ويتبصر ثم يُبصر. ولا يكذب بلسان حاله ما يجري على لسانه، وليرى أن عمل الوعاظ يدرك بالأ بصار، وأكثر الناس هم أصحاب ذلك، أما العلم فلا يدرك إلا بال بصيرة، وهذا عمل القلب الذي لا يعلمه إلا القليل، فليتعتن بالعمل الذي يظهر لل العامة أكثر من عنایته بالعلم الذي لا يدركه إلا أصحاب البصائر.

ولهذا قيل: يا طيب، طيب نفسك أولاً؛ فمن رشح نفسه للوعظ فقد وضع نفسه موضع القدوة والأسوة، فإذا فعل قبيحاً كان عليه وزره ووزر من تبعه، وإذا سَنَ جميلاً كان له أجره وأجر من تبعه.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قصص ظهري رجالن: جاھل مُتنيّك (أي: متبع)، وعالم متنهتك (أي: يقرف المعاصي علناً). فالجاھل يغُر الناس بتنسّكه (أي: فيظنون أنه عالم رباني) والعالم يُنفرهم بتنهتك (أي: بمعاصيه).

وفي معنى قول الله تعالى ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْخَيْرَةِ وَخَدِيلَهُمْ بِالْقِلَقِ﴾ هـ أَحَسَنْ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ ﴿أَنَّ الْعَبْدَ الْمُتَيقِظَ الْمُنِيبُ إِلَى رَبِّهِ وَالْمُتَذَكِّرُ يَحْتَاجُ إِلَى الْحِكْمَةِ فِي الدُّعَوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَهِيَ إِعْطَاوَهُ الْأَوَامِرُ وَالنَّوَاهِي لِيَقُومَ عَلَيْهَا، فَهُوَ لَيْسُ فِي حَاجَةٍ شَدِيدَةٍ لِلتَّذْكِيرِ، وَإِنَّمَا لِلتَّعْلِيمِ وَالْحِكْمَةِ.

أما العبد المعرض الغافل فيحتاج إلى التذكير والترغيب والترهيب؛ أي الموعظة

الحسنة، وقيد القرآن الموعظة بوصف الإحسان؛ إذ ليس كل موعظة حسنة، أما المعارض والمتكبر والمجادل فله المجادلة وأيضاً بالتي هي أحسن، والحسن في الأسلوب، وكذلك في البراهين والأدلة.

وعلى الوعاظ أن يُميّز بين الأنواع الثلاثة حين يؤدي وعظه أمام الناس، وإنما يستفيد العامة من وعظ وإرشاد إذا خفيت عليهم عيوب الوعاظ، وإلا متى ظهرت للعامة عيوبهم انفضوا من حولهم. فعلينا جميعاً أن نستر العيوب، ونحفظ الألسنة من الخوض في أهل الوعظ والإرشاد؛ إذ لا يخلو إنسان من خطأ.

ومع هذا يقول بعض السلف ناصحاً الوعاظ: إذا أردت أن يقبل منك الأمر والنهي إذا أمرت بشيء؛ فكن أول الفاعلين له، المؤتمرين به، وإذا نهيت عن شيء فكن أول المتهين عنه.  
وقيل: إذا جلست واعظاً للناس فكن واعظاً لنفسك، ولا يغرنك تأثر الناس من كلامك؛ فإن الله ينظر لباطنك والناس ينظرون إلى ظاهرك.

واعلم أن السعيد من وُعِظَ بغيره، والشقي من اتَّعَذَ به غيره.

\* \* \*

## ٩٢- باب الوقار والسكنية

قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنَا وَإِذَا حَاطَبُهُمُ الْجَهَنَّمُ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

(٩٢ / ٧٠٢) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيتم رسول الله عليه وسلم مُسْتَجْمِعاً قطًّا ضاحكاً (أي: وبالغاً في الضحك منخرطاً فيه) حتى ترئ منه لهواته، إنما كان يتبعهما. متفق عليه.  
«اللهوات» جمع لهاء، وهي اللحمة التي في أقصى سقف الفم.

\* \* \*

### الوقار

الوقار هو الحِلْمُ والرَّازَانَةُ، وهو التَّأْنِيُّ في التَّوْجِهِ نحو المطالب.  
والتوقير هو التعظيم؛ لقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [سورة العنكبوت: ١٣]؛ أي: ما لكم لا تخافون الله عَظِمَةً. وأولى درجات الوقار هي تعظيم الله وتقديره، وذلك بمعرفة حقه تعالى

وعظمته والوقوف عند حدوده وأوامره والانتهاء عند نواهيه واجتناب معا�يه، فإن الله لا يُلقي في قلوب الناس الوقار والهيبة لمن ليس في قلبه توقير وتعظيم الله، بل يسقط وقاره وهيبته من قلوبهم، وقد يوقره الناس خوفاً من شره وأدائه؛ فهو وقار بغض وكره لا وقار حب وتعظيم.

ومن توقير الله أن يستحيي العبد أن يعصيه في الخلوة أعظم من استحياءه من أكبر الناس في العلن.

ومن كلام ابن مسعود رضي الله عنه: ينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا، محزونًا، حكيمًا، حليمًا، سكيناً، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً، ولا غافلاً، ولا صخباً، ولا صيحاً، ولا حديداً (أي: عصبي المزاج حاد الطبع).

وقال الحسن البصري : قد كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يُرى ذلك في خشيته وهديه ولسانه وبصره وبره.

وقال الإمام النووي : الفرق بين السكينة والوقار أن السكينة هي الثانية في الحركات، واجتناب العبث، والوقار في الهيئة كغض البصر وخفض الصوت وعدم الالتفات.

وقال القرطبي : إن من الحياة ما يحمل صاحبه على الوضوء لأن يوقر غيره ويتوّرق هو في نفسه.

وقال ابن القيم : على قدر المعرفة يكون تعظيمُ ربِّ جَلَّ وعلا في القلب، وأعرف الناس به أشدُّهم له تعظيمًا وإجلالًا، وقد ذمَ الله تعالى من لم يعظمه حقَّ عظمته، ولا وصفه حق صفتَه فقال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، وفسَّرَها الحسن : فقال: لا تعرفون الله حقَّه، ولا تشکرون له نعمة.

ومن توقير الله تعالى ما كان يفعله الإمام مالك؛ فكان إذا أراد أن يُحدِّث الناس بحديث رسول الله ﷺ تنظف وتطيب وسرح لحيته ولبس أحسن الثياب.

والوقار دائمًا عزٌّ لصاحبِه في الدنيا والآخرة، ويُكسيب المهابةَ بين الناس.

### (السكينة)

السكينة هي الوقار والوداعة، وهي الطمأنينة والسكون، وهي نور في القلب يُنزله الله على عبده فيزول خوفه ورعبه ويزداد به إيماناً ويقيناً وثباتاً.

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: السكينة مَغْنِمٌ، وَتَرْكُهَا مَغْرِمٌ (أي: خسارة).

قال ابن القيم : السكينة إذا نزلت على القلب اطمأن بها وسكنت إليها الجوارح، وخشعـت واكتسبـت الوقار، وأنطقتـت اللسان بالصواب والحكمة، وحالـت بينـه وبينـ قولـ الخـناـ والفحـشـ واللغـوـ والهـجرـ وكـلـ باطلـ.

وهـذا ما عنـه ابن عـباس رضي الله عنهما حينـما وصفـ عمرـ بنـ الخطـاب رضي الله عنه فقالـ: كـناـ نـتحدـثـ أنـ السـكـينـةـ تـنـطقـ عـلـىـ لـسـانـ عـمـرـ وـقـلـبـهـ.

وهـذهـ السـكـينـةـ الـتيـ تـنـطقـ عـلـىـ لـسـانـ الـمـحـدـثـينـ لـيـسـ شـيـئـاـ يـُـمـلـكـ،ـ وـإـنـماـ هـيـ شـيـءـ مـنـ لـطـائـفـ صـنـعـ اللهـ تـعـالـىـ تـلـقـيـ عـلـىـ لـسـانـ الـمـحـدـثـ الـحـكـمـ كـمـاـ يـُـلـقـيـ الـمـلـكـ الـوـحـيـ عـلـىـ قـلـوبـ الـأـوـلـيـاءـ.

وقـالـ ابنـ القـيمـ : كانـ شـيخـ الإـسـلـامـ ابنـ تـيـمـيـةـ إـذـ اـشـتـدـتـ عـلـىـ الـأـمـرـ قـرـأـ آـيـاتـ السـكـينـةـ.ـ وـقـالـ:ـ وـلـقـدـ جـرـبـ أـنـ أـيـضـاـ قـرـاءـةـ هـذـهـ الـآـيـاتـ عـنـ اـضـطـرـابـ الـقـلـبـ بـمـاـ يـَـرـدـ عـلـيـهـ فـرـأـيـتـ لـهـ تـأـثـيرـاـ عـظـيمـاـ فـيـ سـكـونـهـ وـطـمـانـيـتـهـ.

وـأـمـاـ السـكـينـةـ الـتـيـ نـزـلـتـ عـلـىـ قـلـبـ النـبـيـ صلـوة الله عليه وآله وسـلـامـ وـقـلـوبـ أـصـحـابـهـ فـإـنـماـ هـيـ قـوـةـ وـرـوحـ؛ـ لـيـسـكـنـ إـلـيـهاـ الـخـافـفـ وـيـتـسـلـىـ بـهـاـ الـحـزـينـ وـالـضـجـرـ.

وـاعـلـمـ أـنـ السـكـينـةـ هـيـ سـمـةـ الـعـلـمـاءـ وـالـأـوـلـيـاءـ وـمـنـ تـشـبـهـ بـهـمـ،ـ وـهـيـ عـلـامـةـ الـيقـينـ وـالـثـقـةـ بـرـبـ الـعـالـمـينـ،ـ وـهـيـ تـُـثـمـرـ الـخـشـوـعـ وـالـطـمـانـيـةـ فـيـ الـعـبـادـةـ،ـ وـتـُـلـبـسـ صـاحـبـهـ ثـوـبـ الـحـكـمـ وـالـوـقـارـ،ـ وـتـجـلـبـ مـحـبةـ الـخـلـقـ وـالـأـلـفـةـ بـيـنـهـمـ،ـ وـهـيـ مـنـ عـلـامـاتـ رـضـاـ اللهـ عـلـىـ الـعـبـدـ.

\* \* \*

## ٩٣- بـابـ النـدبـ إـلـىـ إـتـيـانـ الصـلـاـةـ وـالـعـلـمـ وـنـحوـهـاـ مـنـ الـعـبـادـاتـ،ـ بـالـسـكـينـةـ وـالـوـقـارـ

قـالـ اللهـ تـعـالـىـ:ـ هـذـلـكـ وـمـنـ يـُـعـظـمـ شـعـكـرـ اللهـ فـإـنـهـاـ مـنـ تـقـوـيـ الـقـلـوبـ (٢٦) [الحج: ٣٢] (٩٣ / ٧٠٣) وـعـنـ أـبـيـ هـرـيـةـ رضي الله عنهما قـالـ:ـ سـمـعـتـ رـسـولـ اللهـ صلـوة الله عليه وآله وسـلـامـ يـقـولـ:ـ إـذـاـ أـتـيـمـتـ الصـلـاـةـ،ـ فـلـاـ تـأـتـوـهـاـ وـأـتـيـمـ تـسـعـونـ،ـ وـأـتـوـهـاـ وـأـتـيـمـ تـمـشـونـ،ـ وـعـلـيـكـمـ السـكـينـةـ،ـ فـمـاـ أـدـرـكـمـ فـصـلـوـاـ،ـ وـمـاـ فـاتـكـمـ فـأـتـمـوـاـ».ـ مـتـقـنـ عـلـيـهـ.

زادـ مـسـلـمـ فـيـ روـاـيـةـ لـهـ:ـ (فـإـنـ أـحـدـكـمـ إـذـاـ كـانـ يـعـمـدـ (أـيـ:ـ يـقـصـدـ) إـلـىـ الصـلـاـةـ فـهـوـ فـيـ صـلـاـةـ).ـ (٩٣ / ٧٠٤) وـعـنـ أـبـيـ عـبـاسـ رضي الله عنهما:ـ أـنـهـ دـفـعـ مـعـ النـبـيـ صلـوة الله عليه وآله وسـلـامـ يـوـمـ عـرـفـةـ فـسـمـعـ النـبـيـ صلـوة الله عليه وآله وسـلـامـ وـرـاءـهـ زـجـراـ.

شديداً وضرباً وصوتاً للإبل، فأشار بسوطه إليهم وقال: «يا أيها الناس، عليكم بالسکينة، فإن البر ليس بالإيضاع». رواه البخاري، وروى مسلم بعده.

**البر**: الطاعة. والإيضاع بضاد معجمة قبلها ياء وهمزة مكسورة، وهو الإسراع.



### (الخشوع)

**الخشوع** هو معنى يأتي من التعظيم والمحبة لله مع الذل والانكسار له، فيكون كما قال الجنيد : **الخشوع** هو تذلل القلوب لعلام الغيب. أو هو قيام القلب بين يدي رب بالخصوص والذل انقياداً للحق.

والخشوع كالضراوة، إلا أن الخشوع يكون أكثر في الجوارح، والضراوة في القلب؛ لذلك قيل: **إذا ضرع القلب خشع الجوارح**.

وخشوع القلب كالخشية، وخشوع البدن هو السكون، وخشية القلب وسكون البدن مما ملأهان لمقصود العبادة. ويأتي الخشوع في القرآن بمعنى الذل: **وَخَشَعَتِ الْأَسْوَاثُ لِرَبِّهِنَّ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هُمَا** [١٨٠ طه: ١٠٨]، أو بمعنى سكون الجوارح: **الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ** [١ المؤمنون: ٢]، كما يأتي بمعنى الخوف: **وَدَعْوَتِنَا رَبُّهَا وَكَانُوا لَنَا خَشِعِينَ** [٦٠ الأنبياء: ٩٠]، وبمعنى التواضع: **وَأَسْتَعِنُوا بِالصَّبَرِ وَالصَّلَوةِ وَإِنَّهَا كَيْدَهُ إِلَّا عَلَى النَّفِيْعِينَ** [٥٥ البقرة: ٤٥]، وبمعنى الأرض اليابسة: **تَرَى الْأَرْضَ خَشِعَةً** [فصلت: ٣٩]. وقال رسول الله ﷺ: **أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جُوفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ**. الترمذى برقم (٣٥٧٩)، وقال: حديث حسن صحيح.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: **مَنْ تَوَاضَعَ لِللهِ تَخْشُعًا رَفَعَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ تَطَاوَلَ (أَيْ) تَكَبَّرَ تَعْظِلَمَا وَأَضَعَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد رأى رجلاً طرأ رقبته في الصلاة، فقال: **يا صاحب الرقبة، ارفع عنقك، ليس الخشوع في الرقبة، إنما الخشوع في القلب.**

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: **الخشوع في القلب أن تلين كتفك** (أي: لقاءك ومعاملتك) للرجل المسلم، وألا تلتفت في الصلاة.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى: **الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ** [١ المؤمنون: ٢]

قال: كانوا إذا قاموا في الصلاة أقبلوا على صلاتهم وخفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم وعلموا أن الله يقبل عليهم فلا يلتفتون يميناً ولا شمalaً.

وقال ابن القيم: الخشوع هو الاستسلام لحكم الدين الشرعي، وللحكم القدري من الله، والخشوع في الأمر الديني هو بعدم معارضته الشرع وأوامره، برأي مخالف أو هوئ نفس أو شهوة، بل الانقياد والاستسلام.

أما في الحكم القدري كالبلاءات المختلفة والأقدار المؤلمة، فيكون بعدم الاعتراض على الله فيها ولا التسخط عليه، والتواضع لرؤيه الحق فيك، ويكون منكسراً بقلبه وجوارحه لربه. ويعلم أن الله مطلع على خفايا نفسه وقلبه، وهذا مما يوجب الخشوع، وكلما كان العبد أشد استحضاراً لهذا زاد خشوعه لله، والغفلة تأتي بفقدان هذا.

ومعرفة العبد عيوب نفسه ونقائصها وقصور عمله عن المطلوب منه يجعله في حالة خشوع خوفاً من ظهور الكبُر والعجب والرياء وقلة اليقين والإيمان وفساد النية، وغير ذلك من عيوب النفس.

قال الحسن البصري : في قوله تعالى: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغْبًا وَرَهْبًا ﴾ [الأيات: ٩٠] ،  
كان خشوعهم في قلوبهم، فغضوا بذلك أبصارهم وخفضوا بذلك الجناح.

وقال مجاهد : في قوله تعالى: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ آثَرِ السُّجُودِ ﴾ [الفتح: ٢٩] ،  
قال: هو الخشوع والتواضع. وقال أيضا : في قوله تعالى: ﴿ وَقُومًا اللَّهُوَقَنِيتِينَ ﴾ [٢٨] ،  
[البقرة: ٢٣٨] ، قال: من القنوت الركوع والخشوع وطول الركوع (أي: يعني طول القيام وغض البصر  
وخفض الجناح والرعب لله).

وقال قتادة : الخشوع في القلب هو الخوف وغض البصر في الصلاة.  
وقال الفضيل بن عياض : يكره أن يظهر الرجل من الخشوع أكثر مما في قلبه.

وقال أبو يزيد المدني : إن أول ما يرفع عن هذه الأمة الخشوع.  
وقال سهل التستري : من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان.

والخشوع مظهر لإيمان العبد وحسن إستقامته وعلو شأن عبوديته لله رب العالمين.

## ٩٤- باب إكرام الضيف

قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ ضَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ الْمُكَرَّمِينَ ﴾٢٤﴿إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ﴾٢٥﴿قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴾٢٦﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾٢٧﴿فَقَرَبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا نَأْكُلُونَ﴾ [الناريات: ٢٤-٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ مِهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ أَسْتِغْاثَاتٍ قَالَ يَنْقُومُ هَؤُلَاءِ بَنَانِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُنُونَ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [٧٨]

[هود: ٧٨]

٩٤/٧٠٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «منْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيُصْلِّ رَحْمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيُقْلِّ خَيْرًا أَوْ لِيُضْمِنْ». متفق عليه.

٩٤/٧٠٦) وعن أبي شرحبيل بن عمر و الحذاقي رضي الله عنه: قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: «منْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتْهُ». قالوا: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ، وَالضَّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُقْيِسَ عِنْدَ أَخِيهِ حَتَّى يُؤْثِمَهُ» (أي: يوقعه في الإثم). قالوا: يا رسول الله، وكيف يُؤْثِمَهُ؟ قال: «يُقْيِسَ عِنْدَهُ وَلَا شَيْءَ لَهُ يُقْرِيَهُ بِهِ» (أي: يضifieه به من طعام ونحوه).

## ٩٥- باب استحباب التبشير والتهنئة بالخير

قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾١٧﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَسْتَمِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾١٨﴿[الزمر: ١٧-١٨].

وقال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبِّهِمْ بِرَحْمَةِ مِنْهُ وَرَضْوَانِ وَجَنَّتِ لَهُمْ فِيهَا عِيشَةٌ مُّقِيمَةٌ﴾ [١٩] [التوبه: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَابْشِرُوا بِالْجُنَاحَ الَّتِي كُشِّمْتُ ثُوعَدُوكُ﴾ [٢٠] [فصلت: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿فَبَشَّرَنَاهُ بِعَلَدٍ حَلِيمٍ﴾ [١١] [الصفات: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ ﴾ [هود: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿ وَأَمْرَأَنَّهُ فَقَاءِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَيَسِّرْنَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَائِهِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [٧١].

[هود: ٧١]

وقال تعالى: ﴿ فَنَادَهُ الْمَلَئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾ [آل عمران: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَئِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلْمَةٍ مِّنْهُ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ ﴾

[آل عمران: ٤٥]

والآيات في الباب كثيرة معلومة.

وأما الأحاديث فكثيرة جداً وهي مشهورة في الصحيح، منها:

(٩٥ / ٧٠٧) عن أبي إبراهيم ويقال أبو محمد، ويقال أبو معاوية عبد الله بن أبي أوفر رض: أن رسول الله صل بشّر خديجة رض بيته في الجنة من قصبه، لا صبح فيه ولا نصب. متفق عليه. القصب: هُنَا اللُّؤْلُؤُ الْمُجَوْفُ. والصَّاحِبُ: الصياح واللغط. والنَّصْبُ: التّعب.

(٩٥ / ٧٠٨) وعن أبي موسى الأشعري رض: أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: لَا لَزَمَنَ رَسُولَ اللَّهِ وَلَا كُونَنَ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا، فَجَاءَ الْمَسْجَدَ، فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ صل، فَقَالُوا: وَجَهَ هَاهُنَا. قَالَ: فَخَرَجْتُ عَلَى أَثْرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ، حَتَّى دَخَلَ بَيْرَ أَرِيسٍ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صل حاجَتَهُ وَتَوَضَّأَ، فَقَمْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ جَلَسَ عَلَى بَيْرِ أَرِيسٍ وَتَوَسَّطَ قَبْقَهَا، وَكَشَفَ عَنْ سَاقِيهِ وَدَلَّاهُمَا فِي الْبَئْرِ، فَسَلَّمَتُ عَلَيْهِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ فَقُلْتُ: لَا كُونَنَ بَوَابَ رَسُولِ اللَّهِ صل الْيَوْمَ. فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رض فَدَفَعَ الْبَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ. فَقُلْتُ: عَلَى رَسْلِكَ. ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ. فَقَالَ: «أَئْدِنْ لَهُ وَبِشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ». فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ وَرَسُولَ اللَّهِ صل يُبَشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ، قَالَ: فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى جَلَسَ عَنْ يَمِينِ النَّبِيِّ صل مَعَهُ فِي الْقُفْ، وَدَلَّ رَجْلِهِ فِي الْبَئْرِ كَمَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صل وَكَشَفَ عَنْ سَاقِيهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي، فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدَ اللَّهُ بِفُلَانٍ - يُرِيدُ أَخَاهُ - خَيْرًا يَأْتِ بِهِ، إِنَّ إِنْسَانًا يُحَرِّكُ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. فَقُلْتُ: عَلَى

رسِّلَكَ. ثُمَّ جَئْتُ إِلَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: هَذَا عُمَرٌ يَسْتَأْذِنُ. فَقَالَ: «إِذْنُ لَهُ وَبَشِّرُهُ بِالجَنَّةِ». فَجِئْتُ عُمَرَ، فَقُلْتُ: أَذْنَ وَبَشِّرُكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالجَنَّةِ. فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقُفْ عن يَسَارِهِ وَدَلَى رِجْلِهِ فِي الْبَئْرِ، ثُمَّ رَجَعَتْ فَجَلَسَتْ فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدَ اللَّهُ بِغَلَانِ خِيرًا -يَعْنِي أَخَاهُ- يَأْتِ بِهِ فَجَاءَ إِسْمَانُ فَحَرَكَ الْبَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ. فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ. وَجَئْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «إِذْنُ لَهُ وَبَشِّرُهُ بِالجَنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصِيبِيهِ». فَجِئْتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ وَبَشِّرُكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالجَنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصِيبِكَ. فَدَخَلَ فَوَجَدَ الْقُفَّ قَدْ مُلِئَ، فَجَلَسَ وِجَاهُهُمْ مِنَ الشَّقْ الأَخْرِ. فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبَ: فَأَوْلَتُهَا قُبُورَهُمْ. متفق عليه.

وَزَادَ فِي رَوَايَةِ وَأَمْرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَفْظِ الْبَابِ. وَفِيهَا: أَنَّ عُثْمَانَ حِينَ بَشَّرَهُ حَمْدَ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. وَقَوْلُهُ: وَجَهٌ بَفْتَحِ الْوَالِ وَتَشْدِيدِ الْجِيمِ؛ أي: تَوْجَهٌ. وَقَوْلُهُ: بَشِّرْ أَرِيسٍ هُوَ بَفْتَحِ الْهَمْزَةِ وَكَسِيرِ الرَّاءِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ مُثَناةٌ مُثَنَّةٌ مِنْ مَهْمَلَةٍ، وَهُوَ مَصْرُوفٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ مَعَ صَرْفَهُ. وَالْقُفُّ بِضَمِّ الْقَافِ وَتَشْدِيدِ الْفَاءِ هُوَ الْمَبْنِيُّ حَوْلَ الْبَئْرِ. وَقَوْلُهُ: عَلَى رِسْلِكَ بِكَسِيرِ الرَّاءِ عَلَى الْمَشْهُورِ، وَقِيلَ: بَفْتَحِهَا؛ أي: أَرْفُقُ.

(٩٥) / ٧٠٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَنَا أَبُو بَكْرٌ وَعُمَرٌ رضي الله عنهما في نَفَرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْنِ أَطْهَرِنَا (أي: من بيننا) فَأَبْطَأً عَلَيْنَا، وَحَشِّيَنَا أَنْ يُقْطَعَ دُونَنَا وَفَرَّ عَنَا قَقْمَنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزَعَ، فَحَرَجْتُ أَبْتَغَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلْأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ، فَدَرْتُ بِهِ: هَلْ أَجْدُ لَهُ بَابًا؟ فَلَمْ أَجِدْ، فَإِذَا رَأَيْتُ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بَيْنِ خَارِجَهُ -وَالرَّبِيعُ: الْجَدُولُ الصَّغِيرُ- فَاحْتَفَرْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَبُو هُرَيْرَةَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟». قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَطْهَرِنَا فَقَمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا فَحَشِّيَنَا أَنْ يُقْطَعَ دُونَنَا، فَفَزَعْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزَعَ، فَأَتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ فَاحْتَفَرْتُ كَمَا يَحْتَفِرُ الشَّعْلُبُ، وَهُؤُلَاءِ النَّاسُ وَرَأَيْ. فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ» وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ، فَقَالَ: «اذْهَبْ بِنَعْلَيَ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشَهَّدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقَنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرُهُ بِالجَنَّةِ». وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ. رواه مسلم.

الرَّبِيعُ: النَّهْرُ الصَّغِيرُ، وَهُوَ الْجَدُولُ -بَفْتَحِ الْجِيمِ- كَمَا فَسَرَهُ فِي الْحَدِيثِ. وَقَوْلُهُ: احْتَفَرْتُ رُوَيَ بِالرَّاءِ وَبِالْزَّايِ، وَمَعْنَاهُ بِالْزَّايِ: تَصَمَّمْتُ وَتَصَاغَرْتُ حَتَّى أَمْكَنَتِي الدُّخُولُ.

(٩٥) / ٧١٠) وعن ابن شِمَاسَةَ قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ رضي الله عنه -وَهُوَ فِي سِيَافَةِ الْمَوْتِ (أي:

**حال احتضاره** - فَبَكَى طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ أَبْنَاهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا؟ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقِ (أي: أحوال) ثَلَاثٍ: لَقَدْ رَأَيْتِنِي وَمَا أَحَدُ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنِّي، وَلَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مِنْتُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَا يَبِعْكَ. فَبَسَطَ يَمِينَهُ فَقَبَضْتُ بِيَدِي، فَقَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟». قَلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ. قَالَ: «تَشْتَرِطَ مَاذَا؟». قَلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي. قَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟». وَمَا كَانَ أَحَدُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفْهُ مَا أَطْقَطْتُ، لَأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ، وَلَوْ مِنْتُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجُوتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ وَلِيَنَا أَشْيَاءً مَا أَدْرِي مَا حَالَيَ فِيهَا، فَإِذَا أَنَا مُتْ فَلَا تَصْبَحَنِي نَائِحَةً وَلَا نَارً، فَإِذَا دَفَتْمُونِي، فَشَنْوَنَا عَلَى التُّرَابِ شَنًا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تَسْحَرُ جَزُورُ وَيُقْسِمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرُ مَا أَرَاجُ يَهُ رُسُلَّ رَبِّي! رواه مسلم.

فَوْلَه: «شُنُوا» رُوِيَ بالشَّينِ المعجمةِ وبِالْمَهْمَلةِ، أي: صُبُوهُ قَلِيلًا قَلِيلًا، وَاللهُ سَبَحَنَهُ أَعْلَمُ.

## ٩٦- باب وداع الصاحب

### وصيته عند فراقه لسفره وغيره، والدعاء له وطلب الدعاء منه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَتَبَيَّنَ أَنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنَ لَكُمُ الَّتِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَسْتَمِعُ مُسْلِمُونَ ﴾١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَاضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِيَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَكَ أَبَاهَاكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهَهُمْ وَجِدَارًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾١٣٣﴾ [البقرة: ١٣٢، ١٣٣].

وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ فِيمُنْهَا:

(٩٦ / ٧١١) حديث زيد بن أرقم رض - الذي سبق في باب إكرام أهل بيته رسول الله ﷺ - قال: قَامَ رسول الله ﷺ فينا خطيباً، فحمد الله، وأثنى عليه، ووَعَظَ وَذَكَرَ، ثمَّ قال: «أَمَا بَعْدُ، أَلا إِيَّاهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِي رَسُولُ رَبِّي فَأُحِبَّ، وَأَنَا تَأِرُكُ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ،

أوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ الْهَدَىٰ وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ، وَرَغَبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أَذْكُرْ كُمُ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي». رواه مسلم، وقد سبق بطريله.

**(٩٦/٧١٢)** وعن أبي سليمان مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا رسول الله صلوات الله عليه وسلام ونَحْنُ شَبَّهُ أي: جمع شاب مُتَقَارِبُونَ، فَاقْمَنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام رَحِيمًا رَفِيقًا، فَضَلَّ أَنَا قَدِ اشْتَقَنَا أَهْلَنَا، فَسَأَلْنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، فَقَالَ: «اْرْجِعُوهَا إِلَىٰ أَهْلِكُمْ، فَأَقْيِمُوهُمْ وَعَلِمُوهُمْ وَمُرْوُهُمْ، وَصَلُّوا صَلَاةً كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَصَلُّوا كَذَا فِي حِينِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةَ فَلْيَوْدُنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلَيُؤْمَكُمْ أَكْبَرُكُمْ». متفق عليه.

زاد البخاري في رواية له: «وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصْلِي».

فَوْلُهُ: «رَحِيمًا رَفِيقًا» رُوِيَ بِنَاءً وَقَافِ، وَرُوِيَ بِقَافِينَ.

**(٩٦/٧١٣)** وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أستأذنت النبي صلوات الله عليه وسلام في العُمُرة، فأذن، وقال: «لا تَسْنَسَا يَا أَخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ». فقال كَلِمَةً مَا يَسْرُنِي أَنْ لِي بِهَا الدُّنْيَا.

وفي رواية قال: «أَسْرِكُنَا يَا أَخَيَّ فِي دُعَائِكَ». رواه أبو داود والترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

**(٩٦/٧١٤)** وعن سالم بن عبد الله بن عمر: أنَّ عبد الله بن عمر رضي الله عنه كانَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا: أُدْنِي مِنِي حَتَّىٰ أُوْدِعَكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام يُوَدِّعُنَا، فَيَقُولُ: «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ». رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

**(٩٦/٧١٥)** وعن عبد الله بن يزيد الخطمي الصحابي رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَدِّعَ الْجَيْشَ، قَالَ: «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكُمْ وَأَمَانَتَكُمْ وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ». حديث صحيح، رواه أبو داود وغيره بأسناد صحيح.

**(٩٦/٧١٦)** وعن أنس رضي الله عنه قال: جاءَ رَجُلٌ إِلَيَّ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلام فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا، فَزَوَّدْنِي، فَقَالَ: «زَوَّدْكَ اللَّهُ التَّقْوَىٰ». قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: «وَغَفَرَ ذَنْبَكَ». قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: «وَيَسِّرْ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ». رواه الترمذى، وقال: حديث حسن.

## ٩٧- باب الاستخاراة والمشاورة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَشَاءُرُّهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شَوَّرٌ يَنْهِمُ﴾ [الشورى: ٣٨]; أي: يتشارون بآرائهم فيه.

**٩٧ / ٧١٧** وعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يعلمونا الاستخاراة في الأمور كلها كالسورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحذكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخلك بعلمي، وأستقدر لك بقدرتك، وأسائلك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وانت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري»، أو قال: «عاجل أمري وآجله، فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري»، أو قال: «عاجل أمري وآجله، فاصرفة عني، واصرفي عنك، وقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني به». قال: ويسمى حاجته. رواه البخاري.

\* \* \*

### (الاستخارة)

الاستخارة أن تسأل الله أن يمنحك خير الأمرين لك، حيث تحتاج أحدهما.

وصلاة الاستخاراة هي: أن يصلي المرء ركعتين من غير الفريضة في أي وقت من الليل أو النهار، يقرأ فيها ما يشاء بعد الفاتحة، ثم يحمد الله ويصلي على نبيه صلوات الله عليه وآله وسلامه، ثم يدعو بالدعاء الذي رواه البخاري من حديث جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يعلم أصحابه الاستخاراة في الأمور كلها كما يعلمهم السورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحذكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة...» الحديث البخاري برقم (١١٦٦).

وأما إذا تذر على المرء الصلاة لسبب أو لآخر فله أن يدعوه بهذا الدعاء.

واعلم أن الاستخارة لا توقف على رؤية منام يفهم منه فعل ما استخار المرء فيه أو تركه.

يقول النووي : : وينبغي أن يفعل بعد الاستخاراة ما يشرح صدره له، ولا يعتمد على انتشار سابق كان فيه هو قبل الاستخارة، بل ينبغي للمستخير ترك اختياره رأساً، وإلا يكون مستخيراً الله، بل يكون غير صادق في طلب الخير، وفي التبرير من العلم والقدرة وإثباتها لله وحده، فإذا صدق في ذلك تبرأ من الحول والقوة ومن اختياره لنفسه.

والأفضل للعبد أن يجمع بين الاستخاراة والاستشارة؛ فإن ذلك من كمال الامتثال للسنة، ومن ترك الاستخاراة والاستشارة يُخاف عليه من التّعب فيما أخذ بسيله؛ لدخوله في الأشياء بنفسه من دون الامتثال للسنة المطهّرة وما أحْكَمَتْهُ في ذلك.

قال ابن أبي جمرة : الاستخاراة في الأمور المباحة وفي المستحبات إذا تعارضت في البدء بأحد هما (أي: إذا احتار المرء بأيهما يبدأ)، أما الواجبات وأصل المستحبات والمحرّمات والمكرّهات فكل ذلك لا يستخار فيه. وقال أيضاً: الحكم في تقديم الصلاة على دعاء الاستخاراة: أن المراد حصول الجمْع بين خيري الدنيا والآخرة، فيحتاج إلى قرع باب الملك، ولا ي لذلك أَنْجَع ولا أَنْجُح من الصلاة؛ لما فيها من تعظيم الله والثناء عليه والافتقار إليه، مالاً وحالاً.

وقال بعض أهل العلم: من أُعطي الاستخاراة لم يمنع الخيرَة.

وقال بعض الأدباء: ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار.

والاستخاراة دليل على ثقة الإنسان في ربّه وتعلق قلبه به، في سائر أحواله، وهي مخرج من الحيرة والشك، وراحة للبال والنفس.

### (الشوري)

المشورة والشوري والمشاورة، وهي كلمة تدل على أخذ شيءٍ من شيءٍ، وهو مشتق من شُور العسل: أي اجتناء العسل، فكان المستشير يأخذ الرأي من غيره. فالشوري معناها: استباط المرء الرأي من غيره فيما يعرض له من مشكلات الأمور التي يتعدد فيها بين الفعل والترك. واعلم أن من الحزم ألا يُبرم المرء أمراً ولا يُمضي عزماً إلا بمشورة ذي الرأي الناصح ومراجعة ذي العقل الراجح.

فإن الله تعالى أمر بالمشورة نبيه ﷺ مع ما تكفل به من إرشاده ووعده من تأييده، فقال تعالى: **﴿وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾** [آل مران: ١٥٩]. قيل: إنما أمر بمشاورتهم تألفاً لقلوبهم وليسن به المسلمون ويتبّعه فيها المؤمنون، وإن كان عن مشورتهم غنياً. فالمشورة حصنٌ من الندامة وأمان من الملامة والعتاب.

وفي هذا قال عمر ابن الخطّاب رضي الله عنه: الرجال ثلاثة: رجل تردد عليه الأمور فيسدّدها برأيه، ورجل يُشاور فيما أشكيَّ عليه وينزل حيث يأمر أهل الرأي، ورجل جائزٌ بائُرْ (أي: طاغٌ فاسدٌ) لا

يأتمر رشدًا ولا يُطيع مرشدًا. وكان أبو بكر الصديق رض إذا ورد عليه أمرٌ نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي به قضي به، وإن وجده من سنة رسول الله ص قضي به، وإن لم يوجد خرج وسائل المسلمين عن السنة، فإن أعياه ذلك دعا رعوس المسلمين وعلماءهم واستشارهم.

وقال علي بن أبي طالب رض: نعم المؤازرة (أي: النصرة) المشاورة، وبئس الاستعداد الاستبداد (أي: بالرأي).

قال عمر بن عبد العزيز رض: إن المشاورة والمناظرة ببابا رحمة، ومقاتلًا برقة، لا يصل معهما رأي، ولا يفقد معهما حزم.

وقال سيف بن ذي يرَن: مَنْ أُعِجِّبَ بِرَأْيِهِ لَمْ يُشَارِرْ، وَمَنْ اسْتَبَّ بِرَأْيِهِ كَانَ مِنَ الْصَّوَابِ بَعِيدًا.

وقال الحسن البصري : وَاللهِ مَا اسْتَشَارَ قَوْمٌ قَطٌّ إِلَّا هُدُوا لِأَفْضَلِ مَا بِحَضْرَتِهِمْ [الشورى: ٣٨]. ثم تلا: وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ يَنْهَمْ [الشورى: ٣٨].

قال الشافعى : إِنَّمَا يُؤْمِرُ الْحَاكُمُ بِالْمُشُورَةِ لِكُونِ الْمُشَيرِ يُنَبِّهُ عَلَىٰ مَا يَغْفِلُ عَنْهُ وَيَدْلِلُ عَلَىٰ مَا لَا يَسْتَحْضِرُهُ مِنَ الدَّلِيلِ، لَا لِيَقْلِدَ الْمُشَيرَ فِيمَا يَقُولُهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ هَذَا لَأَحَدٍ بَعْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقيل في متنور الحكم: المشاورة راحة لك وتعب على غيرك (أي: أنك تستريح بأخذ آراء عقول الناس الذين أجهدوا أنفسهم من أجلك).

وقال بعض الحكماء: الاستشارة عين الهدایة، وقد خاطر من استغنى برأيه.

وقال أيضًا بعض الحكماء: ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار.

وقال بعض الأدباء: مِنْ حَقِّ الْعَاقِلِ أَنْ يُضِيفَ إِلَىٰ رَأْيِهِ آرَاءَ الْعُقَلَاءِ وَيَجْمِعَ إِلَىٰ عَقْلِ الْحَكَمَاءِ، فَالرَّأْيُ الْفَذُ الْمُنْفَرِدُ بِمَا زَلَّ، وَالْعَقْلُ الْفَرِدُ بِمَا ضَلَّ.

قال ابن عطية : الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام.

وقال أيضًا : مَنْ وَلَيَ أَمْرًا لَمْ يُشَارِرْ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالرَّأْيِ وَالدِّينَ فَعَزَّلَهُ عَنْ وَلَائِهِ وَاجِبٌ، وَهَذَا مَا لَا خَلَفَ فِيهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ وَقَدْ مدحَ اللَّهُ الْمُؤْمِنُينَ بِقَوْلِهِ

وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ يَنْهَمْ [الشورى: ٣٨].

وقال ابن خويز مَنْدَاد : واجب على الولاة مشاورة العلماء (أي: يقصد: أهل العلم والتخصص في نوع المشورة) فيما لا يعلمون، وفيما أشكل عليهم من أمور الدين، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح (أي: من أمور الدنيا)، ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها.

وعلى العوم واجب عليه مشاورة أهل كل فنٍ وعلم فيما يتعلق بفنهم وعلمهم، فيشاور أهل الدعوة في الدعوة إلى الله، وأهل العلم في التعليم، وهكذا.

وقال الحسن : ما كمل دين امرئ ما لم يكمل عقله، وإذا استشير من هذه صفتة واجتهد في رأيه للصلاح وبذل جهده ثم وقعت مشورته على خطأ فلا إثم ولا غرامة عليه.

قال القرطبي : صفة المستشار في أمور الدنيا أن يكون عاقلاً، مجرّباً وادداً (أي: مجاً) في المستشير. كما قال : والشوري مبنية على اختلاف الآراء، والمستشير ينظر في ذلك الخلاف وينظر أقربها إلى الأصول من الكتاب والسنة إن أمكن ذلك، فإذا أرشد الله إلى ما شاء منها عزم عليها وأنفذ الرأي متوكلاً على الله، وهذا غاية الاجتهد المطلوب.

وقال بعضهم: شاور من جرب الأمور؛ فإنه يعطيك من رأيه ما دفع عليه غالياً وأنت تأخذه مجاناً.

**صفات المستشار:** إذا عزم المرء على المشورة فإنه يطلب لها أهلها، وأهل المشورة من استكملت فيه خمس خصال نسأل الله أن تكون من أهلها:

**إحداها:** عقل كامل مع تجربة سالفة، فإنه بكثرة التجارب تصح الرؤية.

وقيل في الحكمة: استرشدوا العاقل ترشدوا، ولا تعصُّوه فتندموا.

وقال حكيم لابنه: احذر مشاورة الجاهل وإن كان ناصحاً، كما تحذر عداوة العاقل إذا كان عدواً، فإنه يوشك أن يورّطك بمشاورته.

وقيل لرجل من قبيلة كبيرة على سيل المدح: ما أكثر صوابكم! (أي: إعجاباً بحسن رأيهم) فقال: نحن ألفُ رجل، ولكن فينا رجل حازمٌ نطيعه، فأصبحنا كأننا ألف حازم (أي: وهذه من فوائد المشاورة).

وقال حكيم: إياك ومشاورة رجلين: شابٌ مُعجِّب بنفسه قليل التجارب في غيره، أو رجل كبير قد أخذ الدّهر من عقله كما أخذ من جسمه.

وفي متور الحكم: كل شيء يحتاج إلى العقل، والعقل يحتاج إلى التجارب.  
وقال بعض الحكماء: التجارب ليست لها نهاية، والعاقل منها في طلبٍ وزيادة.  
وقيل: من استعان بذوي العقول فاز بإدراك المأمول.

**الثانية**: أن يكون ذا دين وتقى، فإن من غالب عليه الدين فهو مأمون السريرة موفق العزيمة.

**الثالثة**: أن يكون ناصحاً ودوداً، فإن النصح والمودة يصدقان الفكرة ويخلصان الرأي. قال حكيم: لا تشاور إلا الحازم غير الحسود، واللبيب غير الحقدود.  
وقال بعضهم: مشورة الودود الحازم ظفر، ومشورة غير الحازم حظر.

**الرابعة**: أن يكون سليم الفكر من الهموم والشواغل، وإن فلن يسلم له رأي ولن يستقيم له خاطر، فهو مهموم مشغول البال، وكان كسرى حاكم الفرس وحكيمهم إذا أهمه أمرٌ بعث إلى مستشاريه، فإذا لاحظ عليهم تقصيرًا في الرأي تنبأ وأرسل للمسئولين عن أرزاقهم فضرجهم وعنفthem وقال لهم: أبطئتم عليهم في أرزاقهم، فقصروا وأخطئوا في آرائهم. وهذا من ذكائه وفطنته.

**الخامسة**: ألا يكون له في الأمر المستشار غرض ولا هوئ فاسد.  
 ومن استكملت فيه هذه الخصال الخمس كان أهلاً للمشورة ومحلاً للرأي في الموضوع المناسب له، وإن فلكل فنٍ وعلمٍ أهله وأصحابه.

وقد قيل: **رأس العقل بعد الإيمان بالله التوّد إلى الناس**، وما استغنى مستبدٌ برأيه، وما هلك أحد من مشورة، فإذا أراد الله بعبدٍ هلكة كان أول ما يهلكه رأيه.

وقال بعض الحكماء: نصف رأيك مع أخيك، فشاوره ليكمل لك الرأي.  
وقال حكيم: من استغنى برأيه ضلل، ومن اكتفى بعقله زلل.  
وقال حكيم: الخطأ مع المشورة والاسترشاد أحمد وأفضل من الصواب مع الاستبداد بالرأي.

ولا يظنُ المستشير أنه إنما يشاور الناس لضعف رأيه وفساد رؤيته ونقص عقله، فقد شاور من هم أفضل رأياً وأعقل، وأغنوا عن المشاورة، ولا كذلك يكون إعطاء الرأي

للتباهي والافتخار، وإنما للمنفعة والصلاح وللبعد عن الخطأ والضرر.  
وقال بعض العلماء: إذا أشكتت عليك الأمور وتغير لك الجمهور فارجع إلى رأي العقلاء وافزع إلى استشارة العلماء، ولا تأتف من الاسترشاد، ولا تستنكف من الاستمرار، فلأن تسأل وستسلم خير لك من أن تستبد وتندم.  
 وأعلم أن يد الله مع الجماعة، وقلما يضل عن رأي الجماعة رأي.

وقيل في متثور الحكم: من أكثر المشورة لم يُعدم (أي: بفقد) عند الصواب مادحًا،  
 وعنده الخطأ عاذراً، وإن كان الخطأ من الجماعة بعيداً.

وقال بعض أهل العلم: إذا استشار الكثيرون جماعة واختلفوا عليه في الآراء وانفرد كل واحد برأي فله أن يفعل أمرين: أحدهما: أن يستنصر (أي: يُرغّب) في كل واحد في أسباب رأيه ويناقشها معه أمام الجماعة، فإنه مع الجماعة لا يقى خلل ولا زلل إلا ظهر وبان.  
والثاني: أن يستشير كل واحد منفرداً ليستفرغ منه الجهد والطاقة؛ لأنه في الغالب عند اجتماع الجماعة، فإن للآراء الأولى تأثيراً في تكوين آراء بقية الجماعة.

وله أن يفعل أيهما، وليعلم أن التشاور على انفراد مع بعض أهل الشورى أقدح للذهن وأفضل في إعمال الذهن، والتشاور على الملايين يبلغ للوصول للرأي السديد، والله أعلم. وينبغي لأهل الشورى أن يسلّموا من الحسد والتنافس المذموم.  
 وللمشورة بركة على المستشير؛ إذ إنها تمنحه ثلاثة خصائص:  
إحداها: اختبار عقله ورؤيته وتقيمه لذاته.

الثانية: معرفة عقل أصحابه وصواب رأيهم ومدى فهمهم.

الثالثة: استيضاح المهم والمجهول من الآراء، وافتتاح ما أغلق عليه الفهم من الصواب. وليس على المستشار إلا الاجتهاد في الرأي، وليس عليه ضمان النجاح، فإن المقادير غالبة، وعليه ألا يحاسب من استشاره، وإلا فإنه لن يُمدّ أو يعان بعد ذلك بمشورة، ويصبح منفرداً معزولاً، فالمستشار مؤمن وليس بضامن.

وأعلم أن الرأي السديد كالضالة المفقودة، تؤخذ أين وجدت، سواء كان الذي عثر عليها كريماً أو مهيناً، فإن اللؤلؤ لا يضره أن صياده مهينٌ وفقير، والحكمة والذرّة لا تُترك

بسبب ضعف ومهانة وذلة مُعطيها، فلا تحقرنَّ مستشاراً إذا كان ذا رأي، وإنما لك المنفعة من الرأي وعليك بالعزم بعد الرأي، ولا تتوانَ في فعله وإمضائه؛ لأن الزمان متقلب، والفرص قليلة المكوث.

وقد قيل لِمَلِكٍ زال عنه مُلْكُه: ما الذي سَلَبَ مُلْكَكَ؟ قال: تأخيري عمل اليوم لغدِ.  
وينبغي لمن نصَّبه الناس مستشاراً لهم أن يُؤْدِي حقَّ النعمة بإخلاص النية والضمير، ويبيذل النصح بأمانة وإخلاص.

وإذا لاحظتَ أن المستشار قد صار مُعجبًا برأيه دائمًا وتکبرَ به على الناس فهذا مما تحذر مشاورته، فليس لل明珠َّجَب رأي ولا رؤية سليمة، إذ ربما يخون أو يضن بالرأي لعداوةٍ أو لحسد، فيستعمل التورية أو المكر، واحذر العدوَّ ولا تُتَقْ بحسود.

ولا يجوز لمن استُشير أن يخون حتى ولو كان المستشير عدوًّا، فلا يكترم رأيًّا، ولا يخون وقد أؤتمن. ولكن لا تُعطِ المشورة إلا إذا طُلِبَتْ منك، ولا تتبع بالرأي إلا بما أوجب الشرع، وإنما يكون الرأي مقبولاً إذا كان عن رغبة وطلب أو لباعث وسبب، إلا إذا كان إعطاء الرأي أمراً مطروحاً على العموم فلك أن تُعطي رأيك ولا حرج.

قال لُقْمان لابنه: يا بُني، إذا استُشِرْتَ فَاشْرُ، وإذا اسْتَعْنَتْ فَأَعْنُ، وإذا اسْتُشِرْتَ فَلا تعجل حتى تَنْظُرُ.

ولا غَنَى لوليِّ الأمر عن المشاورة، فإن الله تعالى أمر بها نبيه ﷺ فقال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا رَحْمَةُ اللَّهِ لِتَنَتَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظَالَّا غَلِظَ الْقَلْبُ لَا تَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]..

وقد رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لم يكن أحدُ أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله  
رضي الله عنه. الترمذى برقم (١٧١٤).

وقد قيل: إن الله أمر بها نبيه لتأليف قلوب أصحابه، وليرتدي به مَنْ بعده، وليس خرج منهم الرأي فيما لم ينزل فيه وحْيٌ، من أمر الحروب، والأمور الجزئية وغير ذلك، إلا  
فعَيْرُه وَكَبِيرُه أولى بالمشورة.

وقد أثنى الله على المؤمنين بذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَا أَوْتَنَّمِنَّ مِنْ شَفَعٍ فَنَعَمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ مَأْمُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْنِبُونَ كُبُرَ الْإِثْمِ وَالْفَوْحَشَ وَإِذَا مَا عَصَبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ أَسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَفَامُوا الْأَصْلَةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ يَسِّهُمْ وَمِنَارَةُ قَبْرِهِمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٨﴾ [الشورى: ٣٦-٣٨].

فإذا استشار ولئِي الأمر من رعيته من بَيْنَ له ما يجب اتباعه من كتاب الله وسنة رسوله وإن جماع المسلمين فعليه اتباع ذلك، ولا طاعة فيما عدا ذلك، وإن كان رجلاً عظيماً في الدين والدنيا؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ مَأْمُوا أَطْبِعُوا اللَّهَ وَأَطْبِعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْتُمُ الْمُنْكَرُ فَإِنْ تَنْزَعُمُ فِي شَيْءٍ فَرْدُوْهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [ النساء: ٥٩].

وإن كان ما يتشاررون فيه قد تنازع فيه أهل الشوري، فينبغي عليه أن يستخرج من كُلّ منهم رأيه، فأي الآراء كان أشبه بكتاب الله وسنة رسوله عمل به؛ كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ مَأْمُوا أَطْبِعُوا اللَّهَ وَأَطْبِعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ مُنْكَرٌ فَإِنْ تَنْزَعُمُ فِي شَيْءٍ فَرْدُوْهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحَسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [ النساء: ٥٩].

وممَّا أمكن في الحوادث والمشكلات معرفة ما دلَّ عليه الكتاب والسنة كان هو الواجب في الأخذ به، فإذا ضاق الوقت على صاحب الأمر أو عجز أو تساوت الأمور عنده أو غير ذلك فله:

- ١ - أن يتَّبع في الرأي والمشورة من يرتضى علمه ودينه. وهو أقوى الأقوال.
- ٢ - لا يتبع أحداً، وليس له أن ينفرد برأيه على سبيل الاستبداد بالرأي، وإنما له ذلك إذا رأى أنه الأصلح والأفضل لجماعته وحسابه على الله، كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه حينما انفرد برأيه في حروب الردة حتى لانت له الجماعة ووافقوه على رأيه، فهذا هو سبيل الانفراد بالرأي الأنسب للحفاظ على روح الجماعة.

- ٣ - أن يتبع من يرى رأيه مناسباً بكل حال، قال الله تعالى: ﴿فَانْقُوْ اللَّهَ مَا أَسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغِ وَلَا عَادِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٢٧].

[البقرة: ١٧٣].

### الفرق بين الشوري والديمقراطية:

الديمقراطية مصطلح يوناني قديم، مؤلفٌ من لفظين: الأول «ديموس» ومعناه

الشعب، والآخر «كراتوس» ومعناه سيادة؛ فيكون معنى الديمocrاطية هو «سيادة الشعب» أو «حكم الشعب».

وهي نظام سياسي اجتماعي، تكون فيه السيادة لجميع المواطنين، حيث يُوفّر لهم المشاركة الحرة في صنع التشريعات التي تُنظم الحياة العامة، وهي نظام سياسي تقوم على حكم الشعب لنفسه، مباشرةً أو بوساطة مُمثلين مُنتخبين بحرية كاملة كما يُزعم.

أما كون الديمocratie اجتماعية، فأنها أسلوب حياة يقوم على المساواة وحرية الرأي والتفكير. وأما كونها اقتصادية، فأنها تُنظم الإنتاج، وتصون حقوق العمال، وتتحقق العدالة الاجتماعية. وإنَّ تشعُّب معاني الديمocratie، وتعُدد النظريات بشأنها، علاوة على تميُّز أنواعها وتعُدد أنظمتها، والاختلاف حول غاياتها، ومحاولتها تطبيقها في مجتمعات ذات قيم وتكوينات اجتماعية وتاريخية مختلفة؛ كل ذلك يجعل مسألة تحديد نمط ديمocratiّي دقيق وثبتت مسألة غير واردة عملياً، إلا أن لنظام الديمocratiّي ثلاثة أركان أساسية:

أ- حكم الشعب. ب- المساواة. ج- الحرية المكرية.

ومعلوم استغلال الدول لهذا الشعار البراق الذي لم يجد تطبيقاً حقيقياً له على أرض الواقع، حتى في أعرق الدول ديمocratie كما يقال. ومعلوم أيضاً تعارض بعض مكوّنات هذا الشعار البراق الذي افتُن به البعض مع أحکام الإسلام. إذًا الديمocratie تعتمد رأي الأكثريّة مهمًا كان شأنها، سواء كانوا أهل رأي أو غير ذلك، فلهم رأي الأغلبيّة.

أما الشوري في الإسلام؛ فإنها تعتمد آراء العلماء والأتقياء والمخلصين وأهل الرأي وأهل الاختصاص والعقل الكامل والأوصاف التي ذكرناها في صفات أهل الشوري سابقًا. ولا تكون المشورة في النصوص القطعية الواضحة، وإنما في الأمور العامة بين الحاكم والمحكومين، والأمير والمأموريين، فهي واجبة في حقه ومُلزمة له. أما المشورة في الأمور الخاصة بين أفراد الأسرة والمجتمع فأمر مسنون محبوب، ولا يستشار في ذلك إلا من عُرف بآمانته وإخلاصه وعلمه. على أن يتصنف بالأمانة والمهارة في الأمر المطلوب التشاور فيه؛ **إِنَّ خَيْرَ مَنْ أَسْتَعْجَلَ الْقَوْمَ الْأَمِينُونَ** [٢٦] [القصص: ٢٦].

## ٩٨- باب استحباب الذهاب إلى العيد

**وعيادة المريض والحج والغزو والجنازة ونحوها**

**من طريقٍ والرجوع من طريقٍ آخر لتكثير مواضع العبادة**

٩٨ / ٧١٨) عن جابر رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله وسالم إِذَا كَانَ يَوْمُ عِيدٍ خَالِفَ الطَّرِيقَ. رواه البخاري.

قوله: «خَالِفَ الطَّرِيقَ» يعني: ذهب في طريق، ورجع في طريق آخر.

٩٨ / ٧١٩) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسالم كَانَ يَخْرُجُ مِنْ طَرِيقِ السَّجَرَةِ وَيَدْخُلُ مِنْ طَرِيقِ الْمُعَرَّسِ (أي: وهو مسجد ذي الحليفة، يبعد ستة أميال من المدينة)، وَإِذَا دَخَلَ مَكَّةَ، دَخَلَ مِنَ الشَّيْئَةِ الْعُلْيَا (أي: وهي طريق وعر في الجبل)، وَيَخْرُجُ مِنَ الشَّيْئَةِ السُّفْلَى. متفق عليه.

## ٩٩- باب استحباب تقديم اليدين في كل ما هو من باب التكريم

كالوضوء والغسل والثوب والنعل والخفف والسر اويل ودخول المسجد، والسوالك، والاكتحال، وتقليم الأظفار، وقص الشارب، وتنفس الإبط، وحلق الرأس، والسلام من الصلاة، والأكل، والشرب، والمصافحة، واسلام الحجر الأسود، والخروج من الخلاء، والأخذ والعطاء، وغير ذلك مما هو في معناه. ويستحب تقديم اليسار في ضد ذلك: كالامتحاط والبصاق عن اليسار، ودخول الخلاء، والخروج من المسجد، وخلع الخفف والنعل والسر اويل والثوب، والاستنجاء وفعل المستقدرات وأشباه ذلك.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّقَى كِتَمَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاقُمْ أَقْرَءُوا كِتَمَهُ﴾ ١٩

[الحالة: ١٩]

وقال تعالى: ﴿فَأَصْحَبَ الْمَيْمَنَةَ مَا أَخْتَبَ الْمَيْمَنَةَ ٨٠ وَأَصْحَبَ الْمَشْمَةَ مَا أَخْتَبَ الْمَشْمَةَ ٩﴾ [الواقعة: ٨، ٩].

(٩٩ / ٧٢٠) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ التَّيْمِنُ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ: فِي طُهُورِهِ، وَتَرْجُلِهِ، وَتَنَعُّلِهِ. متفق عليه.

(٩٩ / ٧٢١) وعنها قالت: كَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيُمْنَى لِطُهُورِهِ وَطَعَامِهِ، وَكَانَتْ يَدُهُ الْيُسْرَى لِخَلَاةِ وَمَا كَانَ مِنْ أَذَى. حديث صحيح، رواه أبو داود وغيره بإسناد صحيح.

(٩٩ / ٧٢٢) وعن أم عطية رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُنَّ فِي عَسْلِ ابْنَتِهِ زِينَبَ رضي الله عنها: «ابْدَأْ بِمَا يَأْمِنُهَا، وَمَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنْهَا». متفق عليه.

(٩٩ / ٧٢٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدِأْ بِالْيُمْنَى، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدِأْ بِالشَّمَاءِ. لِتَكُنِ الْيُمْنَى أَوْلَاهُمَا تُنَعَّلُ، وَآخِرُهُمَا تُنَزَّعُ». متفق عليه.

(٩٩ / ٧٢٤) وعن حفصة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَجْعَلُ يَمِينَهُ لِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَثِيابِهِ، وَيَجْعَلُ يَسَارَهُ لِمَا سَوَى ذَلِكَ. رواه أبو داود والترمذى وغيرهما.

(٩٩ / ٧٢٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا لِبِسْتُمْ، وَإِذَا تَوَضَّأْتُمْ، فَابْدِءُوا بِأَيَّامِنِكُمْ». حديث صحيح، رواه أبو داود والترمذى بإسناد صحيح.

(٩٩ / ٧٢٦) وعن أنس رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى مِنْيَ، فَأَتَى الْجَمْرَةَ فَرَمَاهَا، ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ بِمِنْيَ وَنَحْرَ، ثُمَّ قَالَ لِلْحَلَاقِ: «خُذْ» وَأَشَارَ إِلَى جَانِبِهِ الْأَيْمَنِ ثُمَّ الْأَيْسَرِ، ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ . متفق عليه.

وفي رواية: لَمَّا رَمَى الْجَمْرَةَ، وَنَحَرَ نُسْكَهُ (أي: ذبائحه المتقرب بها إلى الله) وَحَلَقَ، نَأَوَّلَ الْحَلَاقَ شِقَّهُ الْأَيْمَنَ فَحَلَقَهُ، ثُمَّ دَعَا أَبَا طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه فَأَعْطَاهُ إِيَاهُ، ثُمَّ نَأَوَّلَهُ الشَّقَّ الْأَيْسَرَ، فَقَالَ: «احْلِقْ»، فَحَلَقَهُ فَأَعْطَاهُ أَبَا طَلْحَةَ، فَقَالَ: «اَقْسِمْهُ بَيْنَ النَّاسِ».

## ٢ - كتاب أدب الطعام

### (آداب الاجتماع للطعام والضيافة)

إن مقصداً أصحاب العقول هو الوصول للقاء الله تعالى على أحسن حال، ولا يكون هذا إلا بالعلم والعمل، والمعين على ذلك سلامه الأبدان، وهذا أيضاً لا يكون إلا بالطعام والشراب؛ لهذا قال بعض الصالحين: إن الأكل من الدين، وعليه نبَّه رب العالمين في قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيْبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَنْلَحًا إِنَّ يَسْتَعْفِلُونَ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٥١].

ولهذا كان سبباً موصلاً لمرضاة الله تعالى، أي سبباً للدين، فينبغي أن تظهر عليه أنوار هذا الدين المبارك. وإنما أنوار هذا الدين المبارك هو الآداب والسنن التي تقود العبد إلى جلب الحسنات ودفع السيئات، حتى لو كان فيها حظٌ للنفس.

ولأن الطعام ضرورة من ضرورات الحياة فقد جاء الإسلام بآداب وسنن لتهذيب سلوكياتبني آدم تجاهه، وآداب الطعام منها ما هو قبل الأكل ومنها ما هو مع الأكل، وأخيراً ما هو بعد الفراغ من الأكل.

#### **آداب الاجتماع على الطعام:** من هذه الآداب:

٠ ألا نبدأ في تناول الطعام ومعنا من هو مُستحق للتقديم ويجب أن نبدأ به بسبب فضل في دينه أو دنياه أو عمره؛ قال رسول الله ﷺ: «أَتْرِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ» [أبو داود برقم (٤٨٤٢)]، فإذا كان الضيف كريماً وعظيماً ومقدماً فلا ينبغي أن يؤخر.

٠ التكلم بالمعرفة وحكایات الصالحين على الطعام، وإلا فالسکوت أولى.

٠ ألا تظلم غيرك بالنَّهَم والشراهة في الأكل، بل تؤثر الناس على نفسك.

٠ إذا وَجَدْتَ في صاحبك عدم رغبة في الطعام فلا تردد على أن تقول له: كُلْ، أكثر من ثلاث مرات؛ فإن ذلك إلحاح وإفراط؛ لأن ذلك كان فعل النبي ﷺ، فليس من الأدب

الزيادة عليه، والحلف ممنوع على الطعام.

قال الحسن البصري : الطعام أهون من أن يُحلف عليه.

• ألا تُحوج رفيقك أو صاحب الضيافة إلى أن يقول لك: كُلْ. بل تبسّط بسهولة وأدب حين الطعام، ما دام قد وضع لك.

قال جعفر بن محمد : يتبيّن جود الرجل ومحبة الرجل لأخيه بجودة أكله في منزله (أي: أن يأكل بلا حرج، ولا تكلف).  
ألا يفعل ما يُستقدر منه من أفعالٍ في أثناء الأكل، سواء بالفعل أو القول.

• أن يقوم صاحب المنزل بخدمة ضيفه ما استطاع، فهكذا فعل مالك<sup>رض</sup> بالشافعي<sup>رض</sup> في أول نزول الشافعي عليه ضيّفاً، مع أن مالكاً - وهو من هو - العالم الكبير المشهور صاحب الفضل والشرف، ومع ذلك فالشافعي ضيفه.

• ألا يُراقبهم في أثناء تناولهم الطعام؛ فإن ذلك مما يُسبّ الحياة للضيوف.

• يُستحب تقديم الطعام للأصدقاء، قال علي<sup>رض</sup>: لأن أجمع إخواني على صالح من طعام أحب إليَّ من أن أعتق رقبة. وقال ابن عمر : من كرم المرء طيب زاده في سفره، وبذله لأصحابه. وقال الحسن البصري : كُلْ نفقة يُنفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يُحاسب عليها لا شك، إلا نفقة الرجل على إخوانه في الطعام، فإن الله يستحيي أن يسأل عن ذلك. والله أعلم.

• ألا يتكلف الداعي للطعام ما لا يُطيق فير هو نفسه ويسبب الحرج لضيفه. قال الفضيل : إنما تقاطع الناس بالتكلف (أي: لتکلفهم في الضيافة، مما عسر عليهم رد الضيافة بما يقابلها). وقد دعا رجل<sup>رض</sup> علياً<sup>رض</sup>، فقال له علي<sup>رض</sup>: أجييك على ثلات شرائط: لا تدخل من السوق شيئاً، ولا تدَّخر ما في البيت، ولا تُجحف بعيالك.

• ألا يقترح الزائر على صاحب البيت طعاماً بعينه، بل يختار أيسره، إلا إذا علم الزائر أو الضيف فَرَحَ صاحِبُ البيت بذلك، كما فعل الشافعي<sup>رض</sup> مع الزعفراني، حيث طلب

صنفًا من الطعام زيادةً على ما يقدم له كُل يوم، ففِرَح بذلك صاحبُ الدار، بل وأعتق الجارية التي قامت بذلك.

### ولهذا قيل: الأكل على ثلاثة أنواع:

- مع الفقراء بالإيثار، أي بتقديمهم على نفسك في أثناء الطعام.
  - ومع الإخوان بالانبساط، أي بأن تأكل بشهية مفتوحة من دون إفراط.
  - ومع أبناء الدنيا بالأدب؛ وذلك لأنهم يُراقبون سلوكك.
- أن يحاول صاحبُ الدار أن يتلمس من أخيه الزائر اقتراحًا بنوع الطعام الذي يُحبه، فهذا في حق صاحب البيت مكرمة، وفيه فضل وأجر عظيم، حيث يكون من باب إدخال السرور على أخيك المسلم، وهو من الأبواب العظيمة.

لا ينبغي إذا زارك أحُد لك أن تقول له: هل تأكل؟ أو: هل أقدم إليك كذا؟ ولكن قدّم، فإن أكل وإلا فارفع الطعام كما قال سفيان الثوري.

لا تدخل على قوم يأكلون قاصدًا وقت طعامهم؛ فإنه ليس من السنة، وفيه من المفاجأة ما قد يبعث على الضرر؛ قال الله تعالى: ﴿يَتَبَاهَا الَّذِينَ ءامَنُوا لَا نَدْخُلُ أَيُّوبَ أَنَّهُ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَّا طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

### آداب الضيافة:

• ينبغي ألا يقصد بطعامه الفساق، بل يحرص على الأتقياء وأصحاب الدين، فهذا النبي ﷺ قال: «**لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا**» [أبو داود برقم (٤٨٣٢)، الترمذى برقم (٢٣٩٥)، وقال: حديث حسن، وحسنه الألباني ( صحيح الجامع الصغير ) حديث ( ٧٣٤١ )]، ودعا كذلك لصاحب وليمة فقال: **«أَكَلَ طَعَامَكُمُ الْأَبْرَارُ**» [أبو داود برقم ( ٣٨٥٤ )، صححه الألباني ( صحيح الجامع الصغير ) حديث ( ١١٣٧ )].

فهذه دعوة فيها توجيه أن يحرص المرء على أن يطعم الأتقياء والأبرار، وأن يراعي

الفقراء في دعوته، ولا يغفل دائمًا عنهم، بل يحرص على دعوتهم ما استطاع، قال رسول الله ﷺ: **«شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ؛ يُدْعَى لَهَا الْأَغْنِيَاءُ، وَيُتَرَكُ الْفُقَرَاءُ»** [متفق عليه].

- ألا يهمل الأقارب والأرحام، ويراعي الترتيب والأولوية والأهمية؛ فإن فيها صلةً أرحام.
- ألا يقصد بدعوته المفاخرة والombaهاة، بل يقصد تأدية السنة في إطعام الطعام.
- ألا يدعو من تشُقُّ عليه الإجابة لسبب من الأسباب، كالمرض أو بعد المسافة أو ارتباط أو ظروف خاصة.

• ألا يدعو من يتآذى الحاضرون - خاصة أصحاب الفضل منهم - من وجوده، وهذا خلاف دعوات الصلح أو الدعوة.

• ألا تدعو من لا تُحب أن يجيئوك بالموافقة على هذه الدعوة من الظلمة أو الفسقة.

**قال سفيان الثوري :** مَن دعا أحداً إلى طعام وهو يكره الإجابة فعليه خطيئة؛ فإن أجب المدعو فعليه خططيته؛ لأنَّه حملَه على الأكل.

وإطعام **التقى** إعانته على الطاعة، وإطعام الفاسق تقوية على الفسق، فلا ينبغي معاونة أهل الفسق على ذلك.

**قال رجل خياط لابن المبارك:** أنا أحيط ثياباً للظلمة، فهل أكون من أعون الظلمة؟ قال: لا، إنما أعون الظلمة من يشتري ويسع منك الخيط والإبرة فيعاونك، أما أنت فمن الظلمة أنفسهم.

• ألا تميز إذا دعيت إلى طعام أو وليمة بالقبول بين الغني والفقير، فقد كان رسول الله ﷺ يقول دعوة العبد والمسكين.

• ألا تقبل الدعوة من يرى شرفاً في دعوتك لا العكس؛ فقد قيل: لا تُحب إلا دعوة من يرى أنك أكلت رزقك، وأنه سلم إليك وديعة كانت لك عنده، ويرى الفضل لك عليه قبول تلك الوديعة منه.

• ألا يمتنع عن إجابة الدعوة حتى لو كان صائماً تطوعاً، فله أن يُفطر إن كان متظواً في صومه، ويحتسب الأجر في إفطاره، لو كان هذا يُسرُّ أخيه ويدخل على قلبه السرور، إلا إذا كان صاحب الدعوة للطعام مفاحراً متباهياً فليتعلل المدعى بعلة يحافظ بها

على صومه، وهذا إن كان قبل صلاة العصر، وإلا فليكمل صومه وليحسن مجالستهم والحديث معهم. ويروى أن أبا سعيد صنع طعاماً، فدعا النبي وأصحابه، فقال: كلوا. فقال رجلٌ منهم: أنا صائم. فقال رسول الله ﷺ: **«تَكْلَفَ لَكَ أَخْرُوكَ وَصَنَعَ طَعَامًا، فَأَفْطِرْ وَصُمِّ يَوْمًا غَيْرُهُ إِنْ أَحْبَبْتَ»**. الدارقطني في سننه (٢/ ١٧٨) برقم (٢٦).

**وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من أفضل الحسنات إكرام الجلساء بالإفطار.**

أن يمتنع عن إجابة الدعوة إذا تبيّن له أن الطعام يغلب عليه الكسب الحرام؛ أو إذا كانت هناك أفعال منكرة مُصاحبة للطعام، أو إذا كان الداعي من الفسقة أو الظلمة أو الأشرار أو متباھيًّا رياً للناس.

ألا ينوي الإجابة فقط لقضاء شهوة البطن، فإن فعل ذلك فقد حُرم الثواب العظيم حيث إنه يستطيع أن ينوي:

- الاعتداد بالسنة، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَوْ دُعِيْتُ إِلَى كُرَاعٍ (أي: جزءٌ صغير من الساق) أَوْ ذِرَاعٍ لَأَجْبَتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ لَقَبَلْتُ»** البخاري برقم (٢٥٦٨).

- الحذر من المعصية، ففي الحديث: **«مَنْ لَمْ يُحِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ»** أحمد في المسند (٢/ ٦١) برقم (٥٢٦٣)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح لغيرة.

- ينوي إكرام أخيه المسلم بقبول دعوته للطعام.

- ينوي إدخال السرور على قلب الداعي للطعام.

- ينوي زيارته؛ لأن الزيارة شرط في حديث المحبة؛ فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِينَ فِي وَالْمُتَجَالِسِينَ فِي وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِي وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِي»**. مالك في «موطده» (٢/ ٩٥٣) برقم (١٧١١)، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٤٣٣١).

- ينوي صيانة نفسه عن إساءة الظن به إذا امتنع عن الإجابة فقد يُحمل على تكُبر أو استحقار للطعام المقدم.

وإذا كانت النية صالحة في الطاعات والمباحات فيكون لها الأجر والثواب، وأما إن كانت في المنهيّات فلا، فمن نوى إدخال السرور على قلب أخيه أو إكرامه بقبول شراب الخمر مثلاً لم تنفعه النية في ذلك وصارت معصية وإنّما.

### **آداب الحضور في المأدبة:**

- ٠ أن يدخل المكان متواضعًا، ويجلس بالتواضع، ولا يختار أفضل الأماكن تكبراً، بل يتركها لمن هو أفضل منه، ولو عين له صاحب الدار مكاناً فلا يتعدّاه.
- ٠ ألا يجلس في مكان تظهر فيه عورات المنزل وحرماته.
- ٠ ألا يكثر النظر لموضع إعداد وخروج الطعام؛ فإنه دليل على الشره.
- ٠ ألا يخص بالتحية والسؤال من قرب منه من الجلوس.
- ٠ على صاحب الدار أن يعلم الزائر حين يدخل، باتجاه القبلة، وموضع غسل الأيدي والوضوء، كما فعل مالك بالشافعي .
- ٠ على صاحب البيت أن يغسل يديه قبل الزوار ليسهل عليه مساعدتهم على تناول الطعام بيديه.

### **آداب إحضار الطعام:**

- ٠ تعجّيل تقديم الطعام للضيوف، فذلك من إكرامهم المطلوب؛ ففي الحديث: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» متفق عليه.
- ٠ وحق الحاضر أن يُكرم ولا يؤخر بسبب بعض المتأخرین، إلا إن كان في ذلك ما يؤذيه إن كان من أصحاب الفضل أو كان من المساكين الصالحين.
- قال حاتم الأصم: العجلة من الشيطان إلا في خمسة: إطعام الضيف، وتجهيز الميت، وتزويع البكير، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب، و فعل الخيرات.
- ٠ تقديم الألوان المختلفة من الطعام دفعة واحدة، مع الحرص على تقديم الألطف دائمًا

- للضيوف. وكان من سنن المتقدمين أن يُقدّموا جملةً ألوان الطعام دفعة واحدة، ثم يرتبوا بعد ذلك أطباق الطعام على المائدة ليسهل على كلّ أحدٍ أن يأكل ما يشتهي.
- ولا تقل لصاحب الدار: اجعل هذا الطعام بأخرّة. أي: في آخر الطعام؛ فقد لا يكون عنده إلا ذاك الطعام؛ فإن هذا مما يُخجله.
- ألا يبادر صاحب الضيافة إلى رفع الطعام قبل أن يُكملوا طعامهم.
- أن يقدم ما استطاع قدر الكفاية، وإنما تقصّ في المروءة.
- عليه أن يعزل نصيب أهل البيت والخدم أوّلًا؛ لئلا تضيق صدورهم بالضيوف.
- ليس للضيوف أن يقول لصاحب الدار: كُلْ.
- من الأدب أن يخرج صاحب الدار مع الضيوف إلى باب الدار، وهو سنة، وهذا من إكرام الضيف.
- من تمام إكرام الضيوف: طلاقة الوجه له، وطيب الحديث معه عند الدخول وعند الخروج وعلى المائدة؛ قيل للأوزاعي : ما كرامة الضيوف؟ قال: طلاقة الوجه وطيب الحديث.
- على الضيوف أن يخرج طيّب النفس وإن جرى في حقه التقصير، فذلك من حُسن الخلق والتواضع المأمور بهما.
- ألا يخرج الضيوف إلا بربضاً صاحب الدار وإذنه، ويراعي في ذلك قلبه، ولنعلم أن الرسول ﷺ قال: (الضيافة ثلاثة أيام، فمَا زاد فهو صدقة). أحمد في مسنده (٣٧ / ٣) برقم (١١٣٤٣)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٩٠١).
- على صاحب الدار إذا أراد أن يُضيّف أحد أصدقائه ليبيت عنده أن يجعل له فراشًا خاصًا نظيفًا لائقًا؛ قال ﷺ: (فراش للرجل، وفراش لامرأته، وفراش للضيوف، والرابع للشيطان). مسلم برقم (٢٠٨٤).



## ١٠٠- باب التسمية في أوله والحمد في آخره

(١٠٠ / ٧٢٧) عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله صلوات الله عليه وسلامه: «سَمِّ اللَّهُ، وَكُلْ بِيْمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ». متفق عليه.

(١٠٠ / ٧٢٨) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلَيْذِكُرْ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِهِ، فَلَيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ». رواه أبو داود والترمذني، وقال: حديث حسن صحيح.

(١٠٠ / ٧٢٩) وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلامه يقول: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَدَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ لِأَصْحَابِهِ: لَا مَيْتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ. وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَيِّتَ. وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَيِّتَ وَالْعَشَاءَ». رواه مسلم.

(١٠٠ / ٧٣٠) وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلامه طَعَاماً، لَمْ نَصُمْ أَيْدِينَا حَتَّى يَبْدأ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلامه فِيَضَعَ يَدَهُ. وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَاماً، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَانَهَا تُدْفَعُ (أي: كَانَ هُنَاكَ مِنْ يَدِهَا؛ كَيْنَةٌ عَنْ شَدَّةِ سَرْعَتِهِ)، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلامه يَدَهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَانَ مَا يُدْفَعُ، فَأَخَذَ يَدَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلامه: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُ الطَّعَامَ إِلَّا يُذْكُرُ اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا، فَأَخَذْتُ يَدَهَا، فَجَاءَ بِهَا الْأَعْرَابِيُّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ، فَأَخَذْتُ يَدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي يِيدِهِ إِنَّ يِيدَهُ فِي يِيدِي مَعَ يَدِيْهِمَا». ثُمَّ ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَكَلَ. رواه مسلم.

(١٠٠ / ٧٣١) وعن أمية بن مخشي الصحابي رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلوات الله عليه وسلامه جالساً ورجل يأكل، فلم يسم الله حتى لم يبق من طعامه إلا لقمة، فلما رفعها إلى فيه قال: بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ. فَصَحَّكَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وسلامه ثُمَّ قال: «مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ اسْتَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ». رواه أبو داود والنسائي.

(١٠٠ / ٧٣٢) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلوات الله عليه وسلامه يأكل طعاماً في ستة مِنْ أَصْحَابِهِ، فجاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَكَلَهُ بِلْقَمَتَيْنِ (أي: أَكَلَ كُلَّ الطَّعَامِ بِلْقَمَتَيْنِ). فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلامه: «أَمَا إِنَّهُ لَوْ سَمِّيَ لَكَفَاكُمْ». رواه الترمذني، وقال: حديث حسن صحيح.

(١٠٠ / ٧٣٣) وعن أبي أمامة رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وسلامه كان إذا رفع مائدةه، قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ، وَلَا مُوَدَّعٍ، وَلَا مُسْتَغْنَى عَنْهُ رَبَّنَا». رواه البخاري.

(١٠٠ / ٧٣٤) وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِي مِنْ عِنْدِ حَوْلِي وَلَا قُوَّةَ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». رواه أبو داود والترمذى، وقال: حديث حسن.

## ١٠١- باب لا يعيي الطعام واستحباب مده

(١٠١ / ٧٣٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما عَابَ رَسُولُ اللَّهِ طَعَاماً قَطُّ؛ إِنْ اشْتَهَاهُ أَكْلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ. متفق عليه.

(١٠١ / ٧٣٦) وعن جابر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وسلامه سَأَلَ أَهْلَهُ الْأَدْمَ، فَقَالُوا: مَا عِنْدَنَا إِلَّا خَلُ. فَدَعَا بِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ، وَيَقُولُ: «نِعْمَ الْأَدْمُ الْخَلُ، نِعْمَ الْأَدْمُ الْخَلُ». رواه مسلم.

## ١٠٢- باب ما يقوله من حضر الطعام وهو صائم إذا لم يُفطر

(١٠٢ / ٧٣٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُحْبِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ». رواه مسلم.

قال العلماء: معنى (فَلْيُصَلِّ): فَلْيُدْيُعْ. ومعنى (فَلْيَطْعَمْ): فَلْيَأْكُلْ.

## ١٠٣- باب ما يقوله من دُعي إلى طعام فتبعه غيره

(١٠٣ / ٧٣٨) عن أبي مسعود البدرى رضي الله عنه قال: دعا رَجُلٌ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وسلامه لِطَعَامٍ صَنَعَهُ لَهُ خَامِسٌ خَمْسَةٌ، فَبَعَثُوهُمْ رَجُلًا بَلَغَ الْبَابَ، قَالَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وسلامه: «إِنَّ هَذَا تَبِعَنَا، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذِنَ لَهُ، وَإِنْ شِئْتَ رَجِعَ». قَالَ: بَلْ آذِنْ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. متفق عليه.

## ١٠٤- باب الأكل مما يليه ووعظه وتأديبه من يسيء أكله

(١٠٤ / ٧٣٩) عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كُنْتُ عَلَامًا في حِجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلامه (أي: في تربيته وتحت نظره) وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلامه: «يَا عَلَامُ، سَمِّ اللَّهُ تَعَالَى، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ». متفق عليه.

قوله: (تَطِيشُ) بكسر الطاء وبعدها ياء مثناة من تحت، معناه: تتحرك وتتمتد إلى تواحي الصحفة.

(١٠٤ / ٧٤٠) وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلامه بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ». قَالَ: لَا أُسْتَطِعُ. قَالَ: «لَا أُسْتَطِعُ». مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. رواه مسلم.

## ١٠٥- باب النهي عن القرآن بين التمرتين ونحوهما

### إذا أكل جماعة إلا بإذن رفقته

(١٠٥ / ٧٤١) عن جبأة بن سحيم قال: أصابنا عام سنّة (أي: أصابنا عام قحط وجدب وفقر) مَعَ ابن الزبير فكرز قنَا تَمْرًا، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ يَمُرُّ بِنَا وَنَحْنُ نَأْكُلُ، فَيَقُولُ: لَا تُتَقَارِنُوا، إِنَّ النَّبِيَّ نَهَىٰ عَنِ الْقِرَآنِ. ثُمَّ يَقُولُ: إِلَّا أَنْ يَسْتَأْذِنَ الرَّجُلُ أَخَاهُ. متفق عليه.

## ١٠٦- باب ما يقوله ويفعله من يأكل ولا يشبع

(١٠٦ / ٧٤٢) عن وحشى بن حرب رض: أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبُعُ. قَالَ: «فَلَعْلَكُمْ تَفَرَّقُونَ؟». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ يُبَارِكُ لَكُمْ فِيهِ». رواه أبو داود.

## ١٠٧- باب الأمر بالأكل من جانب القصعة والنهي عن الأكل من وسطها

فِيهِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ». متفق عليه كماسبق.

(١٠٧ / ٧٤٣) وعن ابن عباس رض: عن النبي صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «البَرَّ كُثُرٌ وَسُطُّ الطَّعَامِ؛ فَكُلُّوا مِنْ حَافَتِيهِ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسْطِهِ». رواه أبو داود والترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

(١٠٧ / ٧٤٤) وعن عبد الله بن بُسر رض: كَانَ لِلنَّبِيِّ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصّعةٌ يُقالُ لَهَا: الغراء (أي: تأنيث الأغر، بمعنى الأيض)، يَحْمِلُّهَا أَرْبَعَةُ رَجُلٍ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَسَجَدُوا الصُّبْحَى أُتِيَ بِتُلْكَ الْقَصْعَةِ؛ يَعْنِي وَقَدْ ثُرِدَ فِيهَا (أي: وضع فيها الشريد، وهو طعام من اللحم والخبز المفتت)، فَالْتَّمَوا عَلَيْهَا، فَلَمَّا كَثُرُوا جَثَا (أي: حلس على الركبين) رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ أَعْرَابِيًّا: مَا هَذِهِ الْجَلْسَةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَنِي عَبْدًا كَرِيمًا، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَارًا عَنِيدًا». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّوا مِنْ حَوَالِيَّهَا، وَدَعُوا ذَرْوَتَهَا يُبَارِكُ فِيهَا». رواه أبو داود بساند جيد.  
ذَرْوَتَهَا: أَعْلَاهَا بِكْسَرِ الذَّالِّ وَضَمِّهَا.

## ١٠٨- باب كراهة الأكل متكتئاً

(١٠٨ / ٧٤٥) عن أبي جحيفة وَهُبَّ بن عبد الله رض: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا آكُلُ مُتَكَّنًا». رواه البخاري. قَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْمُتَكَّئُ هُوَ الْجَالُسُ مُعَتمِدًا عَلَى وِطَاءِ تَحْتِهِ، قَالَ: وَأَرَادَ أَنَّهُ لَا يَقْعُدُ عَلَى الْوِطَاءِ وَالْوَسَائِدِ كَفِيلٌ مَنْ يُرِيدُ الإِكْثَارَ مِنَ الطَّعَامِ، بِلَ يَقْعُدُ مُسْتَوِفًا (أي: غير مطمئن في الجلسة) لَا مُسْتَوِطًا، وَيَأْكُلُ

بُلْغَةَ (أي: ما يجعله يحيا). هَذَا كَلَامُ الْحَطَابِيِّ، وَأَشَارَ عَيْرَهُ إِلَى أَنَّ الْمُتَكَبِّرَ هُوَ الْمَائِلُ عَلَى جَنِينِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.  
 (١٠٨) وَعَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ حَالِسًا مُقْعِيًّا يَأْكُلُ تَمْرًا. رواه مسلم.  
الْمُقْعِيِّ: هُوَ الَّذِي يُلْصِقُ أَلْيَتِيهِ بِالْأَرْضِ وَيَنْصِبُ سَاقِيهِ.

## ١٠٩- باب استحباب الأكل بثلاث أصابع واستحباب لعق الأصابع

### وكراهة مسحها قبل لعقها

واستحباب لعق القصعة وأخذ اللقمة التي تسقط منه وأكلها

ومسحها بعد اللعق بانساعد القدم وغيرها

(١٠٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلَا يَمْسَحُ أَصَابِعَهُ حَتَّى يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعَقَهَا. متفق عليه.

(١٠٩) وعن كعب بن مالك رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يأكل بثلاث أصابع، فإذا فرغ لعقها. رواه مسلم.

(١٠٩) وعن جابر رضي الله عنهما: أنَّ رَسُولَ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ بِلَعْقِ الْأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ، وَقَالَ: إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبَرَكَةُ. رواه مسلم.

(١٠٩) وعنه: أنَّ رَسُولَ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ قَالَ: إِذَا وَقَعْتُ لُقْمَةً أَحَدُكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيُمِيطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذَى، وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالْمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ. رواه مسلم.

(١٠٩) وعنه: أنَّ رَسُولَ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَائِئِهِ حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فَإِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةً أَحَدُكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيُمِيطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذَى، ثُمَّ لْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ، فَإِذَا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ. رواه مسلم.

(١٠٩) وعن أنس رضي الله عنهما قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعَقَ أَصَابِعَهُ الْثَلَاثَ، وَقَالَ: إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةً أَحَدُكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا، وَلْيُمِيطْ عَنْهَا الْأَذَى، وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ. وَأَمَرَنَا أَنْ نَسْلُطَ الْقَصْعَةَ (أي: نتبع الطعام الباقى فيها لتأكله)، وَقَالَ: إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبَرَكَةُ. رواه مسلم.

(١٠٩ / ٧٥٣) وعن سعيد بن الحارث أنه سأله جابرًا رضي الله عنه عن الوضوء مما مسّت النّار ف قال: لا، قد كنّا زمانَ النّبي صلوات الله عليه وسلامه لا نجد مثل ذلك من الطّعام إلّا قليلاً، فإذا نحن وجدناه لم يكن لنا مَنَادِيلٍ إلّا أكفنا، وسوا عدنا، وأقدامنا، ثم نصلّى ولَا تتورّضاً. رواه البخاري.

## ١١٠- باب تكثير الأيدي على الطعام

(١١٠ / ٧٥٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه: «طعامُ الاثنينِ كافي الثلاثةِ، وَطَعَامُ الْثَّلَاثَةِ كافي الأربعَةِ». متفق عليه.

(١١٠ / ٧٥٥) وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلامه يقول: «طعامُ الْوَاحِدِ يكفي الاثنينِ، وَطَعَامُ الْاثْنَيْنِ يكفي الأربعَةِ، وَطَعَامُ الْأَرْبَعَةِ يكفي الشَّمَائِيَّةِ». رواه مسلم.

## ١١١- باب آداب الشرب واستحباب التنفس ثلاثة خارج الإناء،

وكراهة التنفس في الإناء، واستحباب إدارة الإناء

### على الأيمان فالأيمان بعد المبتدئ

(١١١ / ٧٥٦) عن أنس رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلامه كانَ يتَنَفَّسُ في الشَّرَابِ ثَلَاثًا. متفق عليه.

يعني: يتَنَفَّسُ خارجَ الإناءِ.

(١١٢ / ٧٥٧) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه: «لَا تَشْرِبُوا وَاحِدًا كَشْرِبِ الْبَعِيرِ، وَلَكِن اشْرِبُوا مَشْتَى وَثَلَاثَ، وَسَمُّوا إِذَا أَنْتُمْ شَرِبْتُمْ، وَاحْمَدُوا إِذَا أَنْتُمْ رَفَعْتُمْ». رواه الترمذى، وقال: حديث حسن.

(١١٣ / ٧٥٨) وعن أبي قتادة رضي الله عنه: أنَّ النّبِيَّ صلوات الله عليه وسلامه نَهَى أنْ يُتَنَفَّسَ في الإناءِ. متفق عليه. يعني: يُتَنَفَّسُ في نفسِ الإناءِ.

(١١٤ / ٧٥٩) وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلامه أتى بِلَبَنٍ قَدْ شَبَبَ بِمَاءٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ أَعْرَابِيٌّ، وعن يسارِه أبو بكر رضي الله عنه، فَشَرِبَ، ثُمَّ أَعْطَى الْأَعْرَابِيَّ، وقال: «الْأَيْمَنَ فَالْأَيْمَنَ». متفق عليه. قوله: «شَبَبٌ»؛ أي: خُلِطَ.

(١١٥ / ٧٦٠) وعن سهل بن سعد رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلامه أتى بِشَرَابٍ فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ وَعَنْ يَسَارِهِ أَشْيَاخٌ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ: «أَتَأْدُنُ لِي أَنْ أَعْطِيَ هُولَاءِ؟». فَقَالَ الْغُلَامُ: لَا واللهِ، لَا أُوْتُرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا. فَتَلَهُ رَسُولُ الله صلوات الله عليه وسلامه فِي يَدِهِ، متفق عليه.

قوله: «تَلَهُ» أي: وَضَعَهُ. وهذا الغلام هو ابن عباس .

## ١١٢- باب كراهة الشرب من فم القرابة ونحوها

### وبيان أنه كراهة تنزيه لا تحريم

(١١٢/٧٦١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلوات الله عليه وسلم عن اختناث الأسبقية. يعني: أن تُكسر أفواهها، ويُشرب منها. متفق عليه.

(١١٢/٧٦٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلوات الله عليه وسلم أن يُشرب من في (أي: فم) السقاء أو القرية. متفق عليه.

(١١٢/٧٦٣) وعن أم ثابت كبستة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت رضي الله عنهما قالت: دخل على رسول الله صلوات الله عليه وسلم فشرب من في قربة معلقة قائماً، فقمت إلى فيها فقطعته. رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح. وإنما قطعتها؛ لتخفظ موضع فم رسول الله صلوات الله عليه وسلم وتبرك به، وتتصوّره عن الاتياد. وهذا الحديث محمول على بيان الجواز، والحديثان السابقان لبيان الأفضل والأكميل. والله أعلم.

## ١١٣- باب كراهة النَّفخ في الشراب

(١١٣/٧٦٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلوات الله عليه وسلم نهى عن النَّفخ في الشراب، فقال رجل: القذاء (أي: الوسخ) أراها في الإناء؟ فقال: «أهْرِفْهَا». قال: إني لا أروي من نفس واحد؟ قال: «فَأَبِنِ الْقَدْحِ إِذْنُ عَنْ فِيكَ». رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

(١١٣/٧٦٥) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلوات الله عليه وسلم نهى أن يُتنفس في الإناء أو يُنفخ فيه. رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

## ١١٤- باب بيان جواز الشرب قائماً

### وبيان أن الأفضل والأفضل الشرب قاعداً

فيه حديث كبشة السابق، رقم ٧٦٣.

(١١٤/٧٦٦) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سقيت النبي صلوات الله عليه وسلم من زَمَّام، فشرب وهو قائم. متفق عليه.

(١١٤/٧٦٧) وعن النَّازل بن سمرة رضي الله عنه قال: أتى علي رضي الله عنه على باب الرحمة (أي: المكان المتسع)، فشرب قائماً، وقال: إني رأيت رسول الله صلوات الله عليه وسلم فعل كما رأيتُموني فعلت. رواه البخاري.

(١١٤/٧٦٨) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا على عهد رسول الله صلوات الله عليه وسلم نأكل ونَحْنُ نمشي، ونشرب ونَحْنُ قيام. رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

(١١٤ / ٧٦٩) وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلوات الله عليه وسلام يشرب قائماً وقائعاً. رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

(١١٤ / ٧٧٠) وعن أنس رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلام أنه نهى أن يشرب الرجل قائماً. قال قتادة: فقلنا لأنس: فالأكل؟ قال: ذاك أشر أو أخبث. رواه مسلم.  
وفي رواية له: أن النبي صلوات الله عليه وسلام زجر عن الشرب قائماً.

(١١٤ / ٧٧١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «لا يشربن أحد منكم قائماً، فمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِئْ». رواه مسلم.

## ١١٥- باب استحباب كون ساقي القوم آخرهم شرباً

(١١٥ / ٧٧٢) عن أبي قتادة رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلام قال: «ساقى القوم آخرهم شرباً». رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

١١٦- باب جواز الشرب من جميع الأواني الطاهرة غير الذهب والفضة،  
وجواز الكرع وهو الشرب بالفم من النهر وغيره بغير إناء ولا يد،  
وتحريم استعمال إناء الذهب والفضة في الشرب والأكل والطهارة

### وسائل وجوه الاستعمال

(١١٦ / ٧٧٣) وعن أنس رضي الله عنه قال: حضرت الصلاة فقام من كان قريباً للدار إلى أهله، وبقي قوم، فأتى رسول الله صلوات الله عليه وسلام بمخضب (أي: إناء صغير) من حجارة، فصغر المخضب أن ييسط فيه كفه، فتوضاً القوم كلامهم. قالوا: كم كنت؟ قال: ثمانين وزيادة. متفق عليه، هذه رواية البخاري.

وفي رواية له ولمسلم: أن النبي صلوات الله عليه وسلام دعا بإياء من ماء، فأتى بقدح رحراح (أي: مسطح مع اتساع فيه) فيه شيء من ماء، فوضع أصابعه فيه. قال أنس: فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه، فحررت قدرت من توضأ ما بين السبعين إلى الثمانين.

(١١٦ / ٧٧٤) وعن عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال: أتانا النبي صلوات الله عليه وسلام فآخر جناراً له ماء في توڑ من صفرٍ فتوضاً. رواه البخاري.

و<sup>الْأَصْفُرُ</sup>: بضم الصاد، ويجوز كسرها، وَهُوَ الْحَاسُ. و<sup>الْتَّورُ</sup>: كالقديح، وَهُوَ بالباء المثناة من فوق.

(١١٦/٧٧٥) وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ مِّن الْأَنْصَارِ وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنْ كَانَ عِنْدَكَ مَاءً بَاتْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ فِي شَنَّةٍ وَإِلَّا كَرَغْنَا (أي: تناول الماء بفيه من غير أن يشرب بكفه ولا بإناء). رواه البخاري. الشنُّ: القربة.

(١١٦/٧٧٦) وعن حُدَيْفَةَ رضي الله عنه: قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَا نَاهَا عَنِ الْحَرِيرِ وَالدِّبَابِجَ (أي: الحرير الغليظ)، وَالشُّرْبِ فِي آنِيَةِ الدَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَقَالَ: «هِيَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَهِيَ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ». متفق عليه.

(١١٦/٧٧٧) وعن أم سلمة رضي الله عنها: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الْفِضَّةِ إِنَّمَا يُجْرِيْرُ فِي بَطْنِهِ نَارًا جَهَنَّمَ». متفق عليه.

وفي روايةٍ لمسلم: «إِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ أَوْ يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الْفِضَّةِ وَالْدَّهَبِ».

وفي روايةٍ له: «مَنْ شَرَبَ فِي إِناءٍ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، فَإِنَّمَا يُجْرِيْرُ فِي بَطْنِهِ نَارًا مِّنْ جَهَنَّمَ».

\* \* \*

### ٣- كتاب اللباس

**١١٧- باب استحباب الثوب الأبيض وجواز الأحمر والأخضر والأصفر والأسود**

**وجوازه من قطن وكتان وشعر وصوف وغيرها إلا الحرير**

قال الله تعالى: ﴿يَنْبَغِي إِذَا دَمَ فَدَأْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِيَسَا مُؤَزِّي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشَا وَلِيَامُ الْفَوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَبِيلَ تَقِيمَكُمُ الْحَرَّ وَسَرَبِيلَ تَقِيمَكُمْ بَأْسَكُمْ﴾

[النحل: ٨١].

(١١٧/٧٧٨) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفُّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ». رواه أبو داود والترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

(١١٧/٧٧٩) وعن سمرة رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْبَسُوا الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ، وَكَفُّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ». رواه النسائي والحاكم، وقال: حديث صحيح.

(١١٧/٧٨٠) وعن البراء رضي الله عنه: قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرْبُوعًا (أي: بين الطويل والقصير)، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ (أي: الحلة: ثوبان، إزار ورداء ونحوهما) حَمْرَاءً مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ. متفق عليه.

(١١٧/٧٨١) وعن أبي جعْفَةَ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما: قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ وَهُوَ بِالْأَبْطَحِ (أي:

مَكَانٌ مَعْرُوفٌ خَارِجٌ مَكَةً فِي قُبَّةِ لَهُ حَمْرَاءَ مِنْ أَدَمَ (أَيْ: جَلْدٌ مَدْبُوغٌ)، فَخَرَجَ بِلَالٌ بِوَصْوَتِهِ، فَمِنْ نَاضِحٍ (أَيْ: الَّذِي يَأْخُذُ مِنْ مَاءٍ وَضُوءِ النَّبِيِّ شَيْئًا يَسِيرًا) وَنَائِلٍ (أَيْ: الَّذِي يَنْالُ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ مَاءٍ وَضُوءِ النَّبِيِّ)، فَخَرَجَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءٌ، كَأَنِّي أَنْظَرْتُ إِلَيْهِ بَيَاضًا سَاقِيَهُ، فَتَوَضَّأَ وَأَذَّنَ بِلَالٌ، فَجَعَلَتُ أَتَتَّبِعُ فَاهُ هَاهُنَا وَهَاهُنَا، يَقُولُ يَمِينًا وَشِمَالًا: حَيٌّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيٌّ عَلَى الْفَلَاحِ. ثُمَّ رُكِّزَتْ (أَيْ: ثُبِّتَ كَسْتَرَةُ لَهُ لَهُ عَزَّةٌ، فَنَقَدَمَ فَصَلَّى يَمْرُّ يَنْ يَدِيهِ الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ لَا يُمْنَعُ. متفقٌ عَلَيْهِ، الْعَزَّةُ. بفتح النون: نحو العكارة).

(١١٧ / ٧٨٢) وَعَنْ أَبِي رَمْتَةَ رَفَاعَةَ التَّبَّيِّنِ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَلَيْهِ ثُوبانٍ أَخْضَرَانِ.

رواه أبو داود والترمذى بإسناد صحيح.

(١١٧ / ٧٨٣) وَعَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ دَخَلَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءً. رواه مسلم.

(١١٧ / ٧٨٤) وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ عُمَرُ بْنُ حُرَيْثٍ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظَرْتُ إِلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءً، قَدْ أَرْخَى طَرْفِيهَا يَيْنَ كَتْفَيْهِ. رواه مسلم.

وَفِي رَوَايَةِ لَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَطَبَ النَّاسَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءً.

(١١٧ / ٧٨٥) وَعَنْ عَائِشَةَ بْنِ عَيْنَةَ قَالَتْ: كُفِنَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ يَضِيقُ سَحُولِيَّةُ مِنْ كُرْسُفٍ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ. متفقٌ عَلَيْهِ. السَّحُولِيَّةُ: بفتح السين وضمها وضم الحاء المهملتين: ثيابٌ تُنْسَبُ إِلَى سَحُولٍ: قَرْبَةٌ بَالِيمِينِ. وَالْكُرْسُفُ: الْقُطْنُ.

(١١٧ / ٧٨٦) وَعَنْهَا قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَاتَ عَدَدٍ، وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مَرَحْلٌ مِنْ شَعَرٍ أَسْوَدٌ. رواه مسلم. الْمِرْطُ بكسر الميم، وَهُوَ: كساءُ. وَالْمَرَحْلُ بالحاء المهملة، هُوَ الَّذِي فِيهِ صُورَةُ رَحَالِ الْإِبْلِ، وَهِيَ الْأَكْوَارُ (أَيْ: الْكُورُ: الرَّحَالُ).

(١١٧ / ٧٨٧) وَعَنْ الْمَغِيرَةِ بْنِ شَعْبَةَ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي مَسِيرٍ فَقَالَ لِي: «أَمْعَكَ مَاءً؟». قَلَّتْ نَعْمَةُ رَاحِلَتِهِ فَمَسَّنِي حَتَّى تَوَارَى (أَيْ: استر وغاب) فِي سَوَادِ اللَّيْلِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَفْرَغْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِدَاؤَةِ (أَيْ: إِنَاءٌ صَغِيرٌ مِنْ جَلدِهِ)، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ (أَيْ: رِداءٌ يَلْبِسُ فَوْقَ الثِّيَابِ) مِنْ صُوفٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْهَا حَتَّى أَخْرَجَهُمَا مِنْ أَسْقَلِ الْجُبَّةِ، فَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ أَهْوَيْتُ لَأَنِزَعَ خُفَّيْهِ، فَقَالَ: «دَعْهُمَا إِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَيْنِ». وَمَسَحَ عَلَيْهِمَا. متفقٌ عَلَيْهِ.

وَفِي رَوَايَةِ: وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ شَامِيَّةٌ ضَيْقَةُ الْكَمَمِينِ. وَفِي رَوَايَةِ: أَنَّ هَذِهِ الْفَضِيَّةَ كَانَتْ فِي غَرْوَةٍ تَبُوكَ.

## ١١٨- باب استدباب القميص

(١١٨ / ٧٨٨) عن أم سلامة رضي الله عنها قالت: كان أحب الشّيّاب إلى رسول الله صلوات الله عليه وسلامه القميص. رواه أبو داود والترمذى وقال: «حديث حسن».

## ١١٩- باب صفة طول القميص والكم والإزار وطرف العمامة وتحريم إسبال شيء من ذلك على سبيل الخيلاء وكراحته من غير خيلاء

(١١٩ / ٧٨٩) عن أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها قالت: كان كُمْ قميص رسول الله صلوات الله عليه وسلامه إلى الرُّسُنْ (أي: هو مفصل ما بين الكف والساعد). رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن».

(١١٩ / ٧٩٠) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وسلامه قال: «مَنْ جَرَ ثُوبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْتُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ إِزَارِي يَسْتَرِّخِي إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَهُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلامه: «إِنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خُيَلَاءً». رواه البخاري، وروى مسلم بعضاً.

(١١٩ / ٧٩١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلامه قال: «لَا يَنْتُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَ إِزَارَهُ بَطَرًا (أي: كِيرًا)». متفق عليه.

(١١٩ / ٧٩٢) وعن النبي صلوات الله عليه وسلامه: «مَا أَسْقَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فِي النَّارِ». رواه البخاري.

(١١٩ / ٧٩٣) وعن أبي ذر رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلامه قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْتُرُهُمْ، وَلَا يُرَكِّبُهُمْ، وَلَا هُمْ عَذَابُ الْآيَمِ». قال: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلامه ثَلَاثَ مِرَارٍ، قَالَ أَبُو ذر: خَابُوا وَخَسِرُوا! مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ (أي: الذي يُطْلِي ثُوبَهُ إِلَى الْأَرْضِ حِينَ يَمْشِي كِبَرًا وَخُيَلَاءً)، وَالْمَنَانُ (أي: الَّذِي يَمْنُ بِمَا أَعْطَى)، وَالْمُنْفِقُ (أي: الْمُرْوَجُ). سَلَعْتَهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ». رواه مسلم.

وفي رواية له: «الْمُسْبِلُ إِزَارَهُ».

(١١٩ / ٧٩٤) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: عن النبي صلوات الله عليه وسلامه: «الإِسْبَالُ فِي الإِزَارِ، وَالْقَمِيصِ، وَالْعِمَامَةِ، مَنْ جَرَ شَيْئًا خُيَلَاءَ لَمْ يَنْتُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رواه أبو داود والنسياني بإسناد صحيح.

(١١٩ / ٧٩٥) وعن أبي جرير رضي الله عنه: جابر بن سليم رضي الله عنه قال: رأيت رجلاً يصدر الناس عن رأيه (أي: يرجعون إليه ويقبلون قوله)، لا يقول شيئاً إلا صدرروا عنه. قلت: من هذا؟ قالوا: رسول الله صلوات الله عليه وسلامه. قلت: عليك السلام يا رسول الله - مررتين - قال: لا تقل: عليك السلام، عليك

السلام تحيّة الموتى، قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ». قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: «أَنَا رَسُولُ اللهِ الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَإِذَا أَصَابَكَ عَامٌ سَنَةً (أي: عام جدب) فَدَعَوْتَهُ أَبْنَتَهَا لَكَ، وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضِ قَفْرٍ أَوْ فَلَّةَ فَضَلْتَ رَاحِلَتَكَ فَدَعَوْتَهُ رَدَّهَا عَلَيْكَ». قَالَ: قُلْتُ: اعْهَدْ إِلَيْ (أي: أوصني). قَالَ: «لَا تَسْبِّنَ أَحَدًا». قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرَّاً، وَلَا عَبْدًا، وَلَا بَعِيرًا، وَلَا شَاةً». «وَلَا تَحْقِرْنَ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبِسْطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ، إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَارْفَعْ إِرَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَبِيتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِلَيْكَ وَإِسْبَالَ الإِلَازَارِ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ (أي: الخلاء) وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ، وَإِنْ أُمْرُؤْ شَتَمَكَ وَعَيْرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فَلَا تُعِيرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ». رواه أبو داود والترمذى بإسناد صحيح وقال الترمذى: «حديث حسن صحيح».

(١١٩ / ٧٩٦) وعن أبي هريرة رض قَالَ: بينما رَجُلٌ يُصَلِّي مُسْبِلٌ إِرَارٌ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صل: «اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ». فَذَهَبَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: «اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ أَمْرَتَهُ أَنْ يَتَوَضَّأْ ثُمَّ سَكَّتَ عَنْهُ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ مُسْبِلٌ إِرَارٌ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبُلُ صَلَاةَ رَجُلٍ مُسْبِلٍ». رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط مسلم.

(١١٩ / ٧٩٧) وعن قيس بن بشر التَّغْلِيَّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي - وَكَانَ جَلِيسًا لِأَبِي الدَّرْدَاءِ - قَالَ: كَانَ بِدِمْشَقَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صل يَقَالُ لَهُ: سَهْلُ بْنُ الْحَنْظَلَةِ، وَكَانَ رَجُلًا مُتَوَحِّدًا (أي: يحب الوحدة والعزلة) قَلَمَّا يُجَالِسُ النَّاسَ، إِنَّمَا هُوَ صَلَاةٌ، إِذَا فَرَغَ فَإِنَّمَا هُوَ تَسْبِيحٌ وَتَكْبِيرٌ حَتَّى يَأْتِي أَهْلَهُ، فَمَرَّ بِنَا وَنَحْنُ عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ: كَلِمَةٌ تَنْفَعُنَا وَلَا تَتْرُكَ. قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صل سَرِيَّةً فَقَدِيمَتْ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَلَسَ فِي الْمَجْلِسِ الَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صل فَقَالَ لِرَجُلٍ إِلَى جَنِيهِ: لَوْ رَأَيْتَنَا حِينَ التَّقِيَّةِ نَحْنُ وَالْعَدُوُّ، فَحَمَلَ فُلَانٌ وَطَعَنَ، فَقَالَ: خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا الْغَلَامُ الْغَفَارِيُّ، كَيْفَ تَرَى فِي قَوْلِهِ؟ قَالَ: مَا أَرَاهُ (أي: ما أَظْنَهُ) إِلَّا قَدْ بَطَلَ أَجْرُهُ. فَسَمِعَ بِذَلِكَ آخَرُ، فَقَالَ: مَا أَرَى بِذَلِكَ بَأْسًا. فَنَتَازَ عَلَى سَمِعِ رَسُولِ اللهِ صل فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ! لَا يَأْسَ أَنْ يُؤْجَرَ وَيُحْمَدَ». فَرَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءَ سَرَّ بِذَلِكَ، وَجَعَلَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَيْهِ، وَيَقُولُ: أَنْتَ سَمِعْتَ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صل؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَمَا زَالَ يُعِيدُ عَلَيْهِ حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ: لَيْسَكَنَ عَلَى رُكْبَيْهِ. قَالَ: فَمَرَّ بِنَا يَوْمًا آخرًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ: كَلِمَةٌ تَنْفَعُنَا وَلَا تَتْرُكَ. قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صل:

**«المُنْفِقُ عَلَى الْحَيْلِ (أي: المربوطة للجهاد في سبيل الله) كَالْبَاسِطِ يَدُهُ بِالصَّدَقَةِ لَا يَقْبِضُهَا».** ثُمَّ مَرَّ بِنَا يَوْمًا آخَرَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ: كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّنَا. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ الرَّجُلُ حُرَيْمُ الْأَسْدِيُّ! لَوْلَا طُولُ جُمَتِهِ (أي: ما سقط على المنكبين من شعر الرأس) وَإِسْبَالُ إِزَارِهِ!». فَبَلَغَ ذَلِكَ حُرَيْمًا فَعَجَلَ، فَأَحَدَ شَفَرَةً فَقَطَعَ بِهَا جُمَتَهُ إِلَى أُذْنِيهِ، وَرَفَعَ إِزَارَهُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ. ثُمَّ مَرَّ بِنَا يَوْمًا آخَرَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ: كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّنَا. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ، فَأَصْلِحُوهَا رِحَالَكُمْ، وَأَصْلِحُوهَا لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَآنَكُمْ شَامِهُ فِي النَّاسِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفْحُشَ». رواه أبو داود بإسناد حسن، إلا قيس بن شر؛ فاختلقو في توثيقه وتضعيفه، وقد روی له مسلم.

**(١١٩/٧٩٨)** وعن أبي سعيد الخدري رض قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِزْرَةُ الْمُسْلِمِ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، وَلَا حَرَجَ - أَوْ: لَا جُنَاحَ - فِيمَا بَيْنَ الْكَعْبَيْنِ، فَمَا كَانَ أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَمَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرَ الْمَيْنَاطِرِ اللَّهُ أَعْلَمُ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

**(١١٩/٧٩٩)** وعن ابن عمر رض قال: مررتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِي إِزَارِي اسْتَرْخَأْ، فَقَالَ: «يَا عَبْدَ اللهِ، ارْفَعْ إِزَارَكَ». فَرَفَعَهُ ثُمَّ قَالَ: «زِدْ». فَزِدْتُ، فَمَا زِلْتُ أَتَحَرَّاهَا بَعْدُ. فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: إِلَى أَينَ؟ فَقَالَ: إِلَى أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ. رواه مسلم.

**(١١٩/٨٠٠)** وعنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ جَرَ نُوبَةً خَيْلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَكِيفَ تَصْنَعُ النِّسَاءُ بِذِيْوَلِهِنَّ؟ قَالَ: «يُرْخِينَ شِبَرًا». قالت: إِذْنْ تَكْشِفَ أَقْدَامُهُنَّ. قَالَ: «فَيُرْخِينَهُنَّ ذِرَاعًا لَا يَزِدْنَ». رواه أبو داود والترمذى، وقال:

«حديث حسن صحيح».

## ١٢٠- باب استحباب ترك الترفع في اللباس تواضعاً

قد سبق في باب فضل الجوع وخشونة العيش جمل تتعلق بهذا الباب.

**(١٢٠/٨٠١)** وعن معاذ بن أنس رض: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَرَكَ الْلِّبَاسَ تَوَاضِعًا لِلَّهِ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُعُوسِ الْخَلَقِ حَتَّى يُعَيِّرُهُ مِنْ أَيِّ حُلْلٍ إِيمَانِ شَاءَ يَلْبِسُهَا». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

## ١٢١- باب استحباب التوسط في اللباس

### ولا يقتصر على ما يزري به لغير حاجة ولا مقصود شرعي

(١٢١ / ٨٠٢) عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رض قال: قال رسول الله صل: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُرَى أَفْرُونُ عَمَّيْهِ عَلَى عَبْدِهِ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

## ١٢٢- باب تحريم لباس الحرير على الرجال،

### وتحريم جلوسهم عليه واستنادهم إليه وجواز لبسه للنساء

(١٢٢ / ٨٠٣) عن عمر بن الخطاب رض قال: قال رسول الله صل: «لَا تَلْبِسُوا الْحَرِيرَ؛ فَإِنَّ مَنْ لِبَسَهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبِسْهُ فِي الْآخِرَةِ». متفق عليه.

(١٢٢ / ٨٠٤) وعنه قال: سمعت رسول الله صل يقول: «إِنَّمَا يَلْبِسُ الْحَرِيرَ مَنْ لَا خَالِقَ لَهُ». متفق عليه. وفي رواية للبخارى: «مَنْ لَا خَالِقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ». قوله: «مَنْ لَا خَالِقَ لَهُ» أي: لَأَنَّصِيبَ لَهُ.

(١٢٢ / ٨٠٥) وعن أنس رض قال: قال رسول الله صل: «مَنْ لِبَسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبِسْهُ فِي الْآخِرَةِ». متفق عليه.

(١٢٢ / ٨٠٦) وعن علي رض قال: رأيت رسول الله صل أخذ حريراً، فجعله في يمينه، وذهبًا فجعله في شماله، ثم قال: «إِنَّ هَذِينَ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٢٢ / ٨٠٧) وعن أبي موسى الأشعري رض: أن رسول الله صل قال: «حُرُم لِبَاسُ الْحَرِيرِ وَالْذَّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي، وَأَحَلَّ لِإِنَاثِهِمْ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٢٢ / ٨٠٨) وعن حذيفة رض قال: نهانا النبي صل أن نشرب في آنية الذهب والفضة، وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج، وأن نجلس على. رواه البخارى.

## ١٢٣- باب جواز لبس الحرير لمن به حكة

(١٢٣ / ٨٠٩) عن أنس رض قال: رَخَّصَ رسول الله صل للزبير وعبد الرحمن بن عوف رض في لبس الحرير لحكة بهما. متفق عليه.

## ١٢٤- باب النهي عن افتراش جلود النمور والركوب عليها

(٨١٠ / ١٢٤) عن معاویة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «لا ترکبوا الحَزَّ» (أي: ثياب من صوف وحرير) **وَلَا النَّمَارَ** (أي: جلود النمور). حديث حسن، رواه أبو داود وغيره بإسناد حسن.

(٨١١ / ١٢٤) وعن أبي المليح، عن أبيه رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه نهى عن جُلُود السِّبَاعِ. رواه أبو داود والترمذى والنمسائى بأسانيد صحاح.

وفي رواية للترمذى: نهى عن جُلُود السِّبَاعِ أَنْ تُفْتَرَشَ.

## ١٢٥- باب ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً أو نعلاً أو نحوه

(٨١٢ / ١٢٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كانَ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه إذا استَجَدَ ثوباً سَمَاهُ باسْمِهِ عمَاماً، أو قَمِيصاً، أو رِداءً - يقول: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسُوتُنِي، أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ وَشَرٍّ مَا صُنِعَ لَهُ». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن».

## ١٢٦- باب استحباب الابتداء باليمين في اللباس

هذا الباب قد تقدم مقصوده، وذكرنا الأحاديث الصحيحة فيه.

\* \* \*

## ٤- كتاب أداب النوم والاضطجاع

### والقعود والمجلس والجلس والرؤيا

## ١٢٧- باب ما يقوله عند النوم

(٨١٣ / ١٢٧) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كانَ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه إذا أوى إلى فراشه نام على شِقْقِهِ الْأَيْمَنِ، ثمَّ قال: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نفسي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَضْتُ أُمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأً وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ».

**آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ، ونبيك الذي أرسلتَ.** رواه البخاري بهذا اللفظ في كتاب الأدب من صحيحه.

(١٢٤ / ٨١٤) وعن **عائشة** قالت: **كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل إحدى عشرة ركعات، فإذا طلأ الفجر صلاته ركعتين خفيفتين، ثم اضطجع على شقيقه الأيمن، وقل... .** وذكر نحوه، وفيه: «واجعلهم آخر ما تقول». متفق عليه.

(١٢٥ / ٨١٥) وعن **عائشة** قالت: **كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة، فإذا طلأ الفجر صلاته ركعتين خفيفتين، ثم اضطجع على شقيقه الأيمن حتى يجيء المؤذن ف يؤذن (أي: يعلم بالصلوة).** متفق عليه.

(١٢٦ / ٨١٦) وعن **حذيفة** قال: **كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مسجعه من الليل وضع يده تحت خدّه، ثم يقول: اللهم باسمك أموت وأحيانا.** وإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور (أي: البعث يوم القيمة)». رواه البخاري.

(١٢٧ / ٨١٧) وعن **يعيش بن طحفة العفاري** قال: **قال أبي: بينما أنا مضطجع في المسجد على بطني إذا رجل يحرّكني برجله، فقال: إن هذه ضجعة يغضّها الله.** قال: فنظرت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم. رواه أبو داود بأسانيد صحيح.

(١٢٧ / ٨١٨) وعن **أبي هريرة**: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه، كانت عليه من الله تعالى ترة، ومن اضطجع مسجعاً لا يذكر الله تعالى فيه، كانت عليه من الله ترة». رواه أبو داود بأسانيد حسن. **الترة**: بكسر التاء المثلثة من فوق، وهي: النقص، وقيل: التبعية.

## ١٢٨ - باب جواز الاستلقاء على القفا ووضع إحدى الرجلين على الأخرى

**إذا لم يخف الكشف العورة وجواز القعود متربعاً ومحتبباً**

(١٢٨ / ٨١٩) عن **عبد الله بن زيد**: **أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقياً في المسجد، واضعاً إحدى رجليه على الأخرى.** متفق عليه.

(١٢٨ / ٨٢٠) وعن **جابر بن سمرة** قال: **كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلاته الفجر تربع في مجلسه حتى تطلع الشمس حسناً (أي: نقية بيضاء زالت منها الصفرة).** حديث صحيح، رواه أبو داود وغيره بأسانيد صحيحة.

(١٢٨ / ٨٢١) وعن **ابن عمر** قال: **رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفناء الكعبة (أي: جانبها من قبل الباب) مححتياً بيديه هكذا.** رواه البخاري. **ووصف بيديه الاحتياط، وهو القرفصاء (أي: القرفصاء: هي جلسة المحنتي بيديه، وهي أن يجلس على مؤخرته ويجمع فخذه إلى صدره بالثوب).**

(١٢٨) وعن قَيْلَةَ بْنِ مَحْرَمَةَ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ وَهُوَ قَاعِدٌ الْقُرْفُصَاءَ، فَلِمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ الْمُتَخَشِّعَ فِي الْجِلْسِ أَرْعَدْتُ مِنَ الْفَرْقِ (أي: الخوف والفزع). رواه أبو داود والترمذني.

(١٢٩) وعن الشَّرِيدِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ: مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جَالِسٌ هَكَذَا، وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِي الْيُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي، وَاتَّكَأْتُ عَلَى أَلْيَهُ يَدِي (أي: اللحمة التي في أصل الإبهام)، فَقَالَ: «أَتَقْعُدُ فِعْدَةَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؟!». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

## ١٢٩ - باب في أداب المجلس والجلس

(١٣٠) عن ابن عمرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لَا يُقِيمَنَ أَحَدُكُمْ رَجُلًا مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، وَلَكِنْ تَوَسَّعُوا وَتَفَسَّحُوا». وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا قَامَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ مَجْلِسِهِ لَمْ يَجْلِسْ فِيهِ. متفق عليه.

(١٣١) وعن أبي هريرة قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ، فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ». رواه مسلم.

(١٣٢) وعن جابر بن سمرة قَالَ: كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا النَّبِيَّ جَلَسْ أَحَدُنَا حِيتَنِي. رواه أبو داود والترمذني، وقال: «حديث حسن».

(١٣٣) وعن أبي عبد الله سَلْمَانَ الْفَارَسِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدْهُنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمْسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَحْرُجُ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ، إِلَّا غُفرَ لَهُ مَا بَيْنَ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى». رواه البخاري.

(١٣٤) وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «لَا يَحْلِلُ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا». رواه أبو داود والترمذني، وقال: « الحديث حسن».

وفي رواية لأبي داود: «لَا يُجْلِسُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا».

(١٣٥) وعن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَعَنَ مَنْ جَلَسَ وَسْطَ الْحَلْقَةِ. رواه أبو داود بإسناد حسن.

وروى الترمذني عن أبي مجاز: أَنَّ رَجُلًا قَعَدَ وَسْطَ حَلْقَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: مَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ -أَوْ لَعَنَ اللَّهِ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ- مَنْ جَلَسَ وَسْطَ الْحَلْقَةِ. قال

الترمذني: « الحديث حسن صحيح».

(١٢٩ / ٨٣٠) وعن أبي سعيد العحدري قال: سمعت رسول الله يقول: «خير المجالس أوسعها». رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط البخاري.

(١٢٩ / ٨٣١) وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «من جلس في مجلس، فكثر فيه لغطة» (أي: التكلم بما فيه إثم) فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفر لك وآتوب إليك. إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٢٩ / ٨٣٢) وعن أبي بزرة قال: كان رسول الله يقول بأخرة (أي: في آخر جلوسه، وقيل: في آخر عمره) إذا أراد أن يقوم من المجلس: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفر لك وآتوب إليك». فقال رجلاً: يا رسول الله، إنك لتهل قوله قولاً ما كنت تقوله فيما مضى قال: «ذلك كفارة لما يكون في المجلس». رواه أبو داود، ورواه الحاكم أبو عبد الله في المستدرك من رواية عائشة، وقال: «صحيح الإسناد».

(١٢٩ / ٨٣٣) وعن ابن عمر قال: قلماً كان رسول الله يقول قوم من مجلس حتى يدعوه بهؤلاء الدعوات: «اللهم أقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيبك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جتنك، ومن القيمين ما تهون به علينا مصابيب الدنيا، اللهم متعمنا بأسماءنا وأبصارنا وقوتنا ما أحياتنا، وأجعله الوراثتنا، وأجعل ثارنا على من ظلمانا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(١٢٩ / ٨٣٤) وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «ما من قوم يقونون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه، إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرة».

رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٢٩ / ٨٣٥) وعنه: عن النبي قال: «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله تعالى فيه، ولم يصلوا على نبيهم فيه، إلا كان عليهم ترثة؛ فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم». رواه الترمذى، وقال: « الحديث حسن».

(١٢٩ / ٨٣٦) وعنه: عن رسول الله قال: «من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترثة، ومن اضطجع مضجعاً لا يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترثة». رواه أبو داود. وقد سبق فريباً، وشرحنا «الترثة» فيه.

## (آداب المجلس والجليل)

للجالس بين يدي الكبار وأهل الفضل آداب:

• إلقاء السلام على الجالسين إذا دخل عليهم وهم جلوس: قال رسول الله ﷺ: **إِذَا اتَّهَمْتُمْ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيُسْلِمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ فَلْيُسْلِمْ؛ فَلَيُسْسِطِ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ**. أحمد

في مسنده (٢/٤٣٩) برقم (٩٦٦٢)، قال الأرنؤوط: إسناده قوي، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٤٠٠).

• ومن الأدب ألا يقيم مجلس من مكانه ليجلس فيه: ففي الحديث: **لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ رَجُلًا مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، وَلَكِنْ تَوَسَّعُوا وَتَفَسَّحُوا** متفق عليه. وكان ابن عمر رض إذا قام له رجل من مجلسه من غير أن يقيمه لم يجلس فيه.

• وقال أبو البختري: كانوا يكرهون أن يقوم الرجل للرجل من مجلسه، ولكن ليوسع له.

• ومن الأدب أن يُوسع لأصحاب الفضل في المجلس: ولهذا قيل: لا يُوسع في المجالس إلا لثلاثة: لذى علم لعلمه، ولذى سِن لسن، أو لذى سلطان لسلطانه.

• من الأدب أن يجلس حيث يتتهى به المجلس، حتى لو كان المكان متواضعاً، ولا يخطئ الرقاب: قال جابر بن سمرة رض: **كَمَا إِذَا أَتَيْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلِسَ أَحَدُنَا حَيْثُ يَتَتَّهِ بِهِ الْمَجْلِسِ**. وقد روى عن طلحة بن عبيد مرفوعاً: **إِنَّ مِنَ التَّوَاضُعِ لِلَّهِ تَعَالَى الرِّضَا بِالدُّونِ مِنَ الْمَجْلِسِ** الطبراني في المعجم الكبير (١١٤) / (١٢٠٥) برقم (٢٠٥).

وهذا يكون في حق من كان من عامة الناس، أما إن كان صاحب علم ومكانة أو منزلة في الدنيا أو الدين فمن الأولى إنزال الناس منازلهم كما فعل رسول الله ﷺ لما قال وَفَدْ عبد القيس: قدمنا إلى رسول الله ﷺ، فلما انتهينا إلى القوم أوسعوا لنا فقعدنا، فرحب بنا النبي ﷺ ودعا لنا، ثم نظر إلينا فقال: **مَنْ سَيِّدُكُمْ وَرَعِيْمُكُمْ؟** فأشرنا إلى المندبر بن عائذ، فلما دنا المندبر أوسع القوم له حتى جلس على يمين النبي ﷺ، فرحب به وألطفه وسألته عن بلادهم. أحمد في مسنده برقم (١٥٥٥٩) قال الهيثمي في «مجمع الروايد» (٨/١٧٨): رجاله ثقات.

• ومن الأدب كتم أسرار المجلس وحفظ أمانته: ومما روي في هذا الباب: **الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ، وَإِنَّمَا يَتَجَالِسُ الرَّجُلُونَ بِأَمَانَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِذَا تَفَرَّقَ فَلْيُسْتُرْ كُلُّ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ** ابن عبد البر في «أدب المجالسة» ص ٣٠ برقم (٢).

وعن جابر بن عبد الله يرفعه: المجالس بالآمانة إلا ثلاثة: مجلس سفك فيه دم حرام، ومجلس استحل فيه فرج حرام، ومجلس استحل فيه مال حرام بغير حقه أحمد في «مسنده» (٣٤٢ / ٣) برقم (١٤٧٣٤). وفي الحديث أيضاً: لا يدخل الجنة نمام [متفق عليه]. وهو الذي ينقل أحاديث الناس والمجالس للإفساد والإيقاع بين الناس.

• ومن الأدب إلا يفرق بين اثنين متجلسين إلا بإذنهما: وفي الحديث: لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما. أحمد في «مسنده» برقم (٦٩٩٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٧٦٥٦).

ومن الأدب أن يجلس قريباً من جلسة التشهيد، أو أن يتربع، ولا يمدد رجليه إن استطاع، وإن لم يمددور إلا يفعل: وروى أنس بن مالك رض: ما أخرج رسول الله صل ركبتيه ولا قدميه بين يدي جليس له قط. الترمذ في «ستة» برقم (٢٤٩٠).

• ومن الآداب المتفرقة: قال الحسن البصري: إن رجلاً تناول من رأس عمر بن الخطاب رض شيئاً، فتركه مرتين، ثم تناول الثالثة، فأخذ عمر رض بيده وقال: أربني ما أخذت. فإذا هو لم يأخذ شيئاً، فقال رض: انظروا إلى هذا قد صنع بي هذا ثلاط مرات يربني أنه يأخذ من رأسي شيئاً ولا يأخذ شيئاً، فإذا أخذ أحدكم من رأس أخيه شيئاً فليبره إياه. قال الحسن: لو أن إنساناً أخذ من رأسي شيئاً لقلت له: صرف الله عنك السوء.

وقال عمر بن الخطاب رض: فبحسب المرء من العي (أي: الجهل) أن يؤذني جليسه بما لا يعنيه، وأن يجد (أي: يغضب ويعيث) على الناس فيما تأته، وأن يُظهر له الناس ما يخفي عليه من نفسه (أي: يعرفون عيوبه وهو لا يعرفها).

وعن عمر رض قال: إن مما يصفني ود أخيك: أن تبدأ بالسلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه، وأن توسع له في المجلس.

وقال أبو أيوب الأنباري رض: من أراد أن يكثر علمه فليجالس غير عشيرته. يقصد تنوع الثقافات والمسارب.

وقال سفيان بن عيينة : قال عيسى صل: جالسوا من تذكركم بالله رؤيتكم، ويزيد في علمكم منطقكم، ويرغبكم في الآخرة عمله.

وأوصى يحيى بن خالد : ابنه فقال: يابني، إذا حدثك جليسك حديثاً فاقبل عليه، وأصح إليه، ولا تقل قد سمعته حتى لو كنت أحفظ له، وكأنك لم تسمعه إلا منه؛ فإن ذلك يُكسيك المحبة والميل إليك.

وقال سعيد بن العاص : لجليسي علي ثلات خصال: إذا دنا رحبت به، وإذا جلس وسعت له، وإذا حدث أقبلت عليه.

وقال المبرد : الاستماع بالعين، فإذا رأيت عين من تحدثه ناظرة إليك فاعلم أنه يحسن الاستماع.

وروى عن عائشة مرفوعاً: **أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ** أبو داود برقم (٤٨٤٢). فُرِّاعي هذا في مجالستهم.  
وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: لا أَمْلُ جليس ما فهم عنني، وإنما المَلَلُ لدناءة الرجال  
(أي: إظهار الملل علامة الدناءة، فهو لا يلتفت عن جليسه أدباً).

وقال الأحنف بن قيس : لو جلس إليّ مائة لأحببت أن أتمس رضا كل واحد منهم. وهذا من الأدب العالي.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: أَعْزُ النَّاسَ عَلَى جَلِيسِي الَّذِي يَتَخَطِّي النَّاسَ إِلَيْهِ، أَمَّا وَاللهِ إِنَّ الذِّبَابَ يَقُعُ عَلَيْهِ فَيُشَقِّ ذَلِكَ عَلَيَّ.

وُسْئَلَ ابن عباس رضي الله عنه: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ عَلَيْكِ؟ قال: جليسه حتى يُفارِقني.  
وسائل معاوية رضي الله عنه عَرَابَةَ بْنَ أَوْسٍ: بَأَيِّ شَيْءٍ اسْتَحْقَقَ مَدْحَ الشُّعُراءِ؟ قال: بإكرامي جليسه، ومحاماتي عن صديقي.

وقال علي بن الحسين : مَادِحًا جليسه: ما جلس إليّ أحدٌ قطٌ إِلا عرفت له فضلَه حتى أقوم.

وقال أبو عبادة : واصفاً أدبه مع جليسه: ما جلس رجلٌ بين يديه إلا مثلَ لي (أي:

تصورت نفسِي) أني جالسٌ بين يديه (أي: كأنه تلميذ أمام عالم).

وقال بعض الحكماء: رجالٌ ظالمان يأخذان غير حقهما: رجلٌ وسَعَ له في مجلس ضَيْقٍ فترَبَّعَ وَفَتَّحَ، ورجلٌ أهدى إليه نصيحةً فجعلها ذنباً (أي: غضب من الناصح واعتبر نصيحته شتماً وسبّاً).

• ومن آداب المجلس ألا تفصح جلساتك، بل تكون النصيحة سرّاً:

قال الأحنف بن قيس : رحم الله من أهدى إلى عيوبه في ستر بياني وبينه؛ فإن النصيحة على الملا تقرير (أي: فضيحة).

• ومن الأدب أيضاً مراعاة أحوال الناس، وعلى الأخص أهل العلم والفضل:

ومن ذلك أن رجلاً جلس إلى الحسن بن علي : فقال له: جلست إلينا على حين قيام (أي: حين رغبنا في القيام لانتهاء المجلس) أفتاذن؟ (أي: وهذا من الحكمه والأدب).

وكان يُقال: إياك وكل جليس لا تُصيب منه خيراً. وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: إياك وكل جليس لا يُفيدك علمًا.

وقال الحسن البصري : انتقوا الإخوان والأصحاب والمجالس.

وقال محمد بن المنكدر : خياركم أئنكم مناكم في الصلاة، وركنا في المجالس (أي: يجلسون على الأطراف والأركان، ويتركون المقدمة لغيرهم تواضعًا) الموطأون أكفارًا، الذين يألعون ويؤلفون.

• ومن الحكمة ألا تجلس قريباً من السلطان أو الأمير إلا إذا كنت مستحفاً لذلك بالحقيقة.

قصة: تباعد كعب الأحرار يوماً في مجلس عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأنكر ذلك عليه فقال كعب: يا أمير المؤمنين، إن في حكمة لقمان ووصيته لابنه: إذا جلست إلى ذي سلطان فليكن بينك وبينه مقعد رجل؛ فلعله يأتيه من هو أثر عنده منك فتحجّيك فيكون ذلك نقصاً عليك. اهـ.

وكان يُقال: الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من جليس السوء.

وقال أحدهم: إنه ليُعجبني من الرجال من إذا أتى مجلساً أن يعرِفَ أين يكون مجلسه، وإني لآتي المجلس فأدْعُ مالي (أي: مجلسي) مخافة أن أدفع عمالي.

• وكان الأحنف إذا أتاها رجل أوسع، فإن لم يكن هناك سعة أراه كأنه يُوسّع له.

وطرح أبو قلابة : لجليس له وسادةً، فردها، فقال له: أما سمعت الحديث: لا

**تَرْكَدَنَ عَلَى أَخِيكَ كَرَامَةً؟**

**قال ابن شُبُرْمَة :** لابنه: يا بني، إياك وطول المجالسة؛ فإن الأسد إنما يجترئ عليها من أداء النظر إليها (أي: أراد أن يحفظ لابنه هيته بين الناس).

• **ومن سوء الأدب في المجالسة:** أن تقطع على جليسك حديثه، أو تبتدره إلى إتمام ما ابتدأ به منه خبراً كان أو شعراً، تتم له البيت الذي بدأ به أو تُريه أنه أحفظ له منه، فهذا غاية في سوء المجالسة، بل يجب أن تصغي إليه كأنك لم تسمعه قط إلا منه.

**قيل لداود الطائي :** لَمْ ترَكْتَ مجالسة الناس؟ قال: ما بقي إلا كثيرون يتَحَفَّظُونَ عليك، أو صغير لا يُوفِّرك.

**وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى :** لا تُجالس عدوك (أي: لا تجلس معه مجلس صدقة) فإنه يحفظ عليك سقطاتك، ويُماريك في صوابك.

• **ومن الأدب الإخلاص في المجالسة:** قال إبراهيم النَّخْعَنِي: إنَّ الرَّجُلَ لِيَجْلِسَ مَعَ الْقَوْمِ فَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلَامِ يَرِيدُ اللَّهَ بِهِ (أي: مخلصاً) فُتُصِيبُهُ الرَّحْمَةُ؛ فَتَعُمُّ مِنْ حَوْلِهِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ يَجْلِسَ مَعَ الْقَوْمِ فَيَتَكَلَّمُ بِمَا يَسْخَطُ اللَّهَ بِهِ (أي: رِيَاءً وَنَفَاقاً) فُتُصِيبُهُ السَّخْطَةُ؛ فَتَعُمُّ مِنْ حَوْلِهِ.

• **ومن الأدب أن تختتم المجلس بداعاء:** «سَبَحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ». [أحمد في (مسنده) (٤٥٠/٣) برقم ١٥٧٦٧)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٤٤٨٧)].

• **فإن كان مجلس لغو كان كفارته، وإن كان مجلس ذكر كان كالخاتم عليه.**

**وقال حسان بن عطيه :** ما من قوم كانوا في مجلس لغو فاختموه بالاستغفار إلا كُتب لهم مجلسهم ذلك استغفاراً كلها.

**وقال عطاء :** إن كنت أحسنت ازددت إحساناً، وإن كان غير ذلك كان كفارة.

## ١٣٠ - باب الرؤيا وما يتعلّق بها

قالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ مَا يَنْهِيْهِ مَنَامُكُمْ يَأْتِيْلَ وَالنَّهَارِ ﴾ [الروم: ٢٣].

(١٣٠ / ٨٣٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه يقولُ: «لَمْ يَقِنْ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ ». قالوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ ؟ قال: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ». رواه البخاري.

(١٣٠ / ٨٣٨) وعنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكُدْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكُذِّبُ، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ ». متفق عليه. وفي رواية: «أَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا».

(١٣٠ / ٨٣٩) وعنه قال: قالَ رسولُ اللهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه: «مَنْ رَأَيَ فِي الْمَنَامِ فَسِيرَانِي فِي الْيَقَظَةِ - أَوْ كَائِنًا رَأَيَ فِي الْيَقَظَةِ - لَا يَمْثُلُ الشَّيْطَانُ بِي ». متفق عليه.

(١٣٠ / ٨٤٠) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أَنَّه سمعَ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وآله وسلامه يقولُ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُجَبِّهَا، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَيُحْمَدِ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَلَيُحَدَّثُ بِهَا». وفي رواية: «فَلَا يُحَدِّثُ بِهَا إِلَّا مَنْ يُحِبُّ - وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرُهُ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلَيُسْتَعِدُّ مِنْ شَرِّهَا، وَلَا يَذْكُرُهَا لَا حَدِيدٌ، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ ». متفق عليه.

(١٣٠ / ٨٤١) وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قالَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله وسلامه: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ - وفي رواية: الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ - مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرُهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَنْ شِمَالِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ ». متفق عليه. **الثالث:** نَفْخُ لَطِيفٌ لَا يَرْقَ مَعَهُ.

(١٣٠ / ٨٤٢) وعن جابر رضي الله عنه: عن رسولِ اللهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يَكْرُهُهَا، فَلَيُصْبِقُ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنِّهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ». رواه مسلم.

(١٣٠ / ٨٤٣) وعن أبي الأسعَمِ واثِلَةَ بْنِ الأَسْعَمِ رضي الله عنه: قالَ رسولُ اللهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفَرَئِيْ (أي: الكذب والبهتان) أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ غَيْرَ أَبِيهِ، أَوْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ، أَوْ يَقُولَ عَلَى رسولِ اللهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه مَا لَمْ يَقُلْ ». رواه البخاري.

## ٥- كتاب السلام

### ١٣١- باب فضل السلام والأمر بإفشاءه

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيوْتًا غَيْرَ بُيوْتِكُمْ حَتَّى تَسْأَلُوهُنَّا وَلَا سِلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيوْتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ نَحْيَةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَّكَةً طَيْبَةً﴾ [النور: ٦١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مُحِيطُمْ بَحْرَيْتُمْ فَحِيُوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُودَهَا﴾ [النساء: ٨٦].

وقال تعالى: ﴿هَلْ أَنْتُمْ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكَرَّمِينَ ﴿١٦﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٢٥].

(١٣١) / ٨٤٤ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أن رجلا سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف». متفق عليه.

(١٣١) / ٨٤٥ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما خلق الله آدم رضي الله عنه قال: اذهب فسلم على أولئك (أي: نَفَرٌ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ) فاستمع ما يحيونك؛ فإنها تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فرادوه: ورحمة الله. متفق عليه.

(١٣١) / ٨٤٦ وعن أبي عمارة البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعين: بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشمير العاطس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار المقصوم. متفق عليه، هذا الفظ إحدى روایات البخاري.

(١٣١) / ٨٤٧ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولاً أدلوكم على شيءٍ إذا فعثتموه تحابيتم؟ أفسحوا السلام بينكم». رواه مسلم.

(١٣١) / ٨٤٨ وعن أبي يوسف عبد الله بن سالم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يا أيها الناس، أفسحوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نائم، تدخلوا الجنة بسلام». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٣١ / ٨٤٩) وعن الطفيل بن أبي بن كعب: أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَيَغْدُو مَعَهُ إِلَى السُّوقِ، قَالَ: إِذَا غَدَوْنَا إِلَى السُّوقِ، لَمْ يَمْرِ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى سَقَاطٍ (أَيْ: السَّقَاطُ: هُوَ الَّذِي يَبْعَسُ سَقْطَ الْمَتَاعِ) وَهُوَ رَدِيهِ وَحَقِيرُهِ وَلَا صَاحِبُ بَيْعَةٍ (أَيْ: كَنِيسَةٍ)، وَلَا مِسْكِينٌ، وَلَا أَحَدٌ إِلَّا سَلَمَ عَلَيْهِ. قَالَ الطَّفِيلُ: فَجَئْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَوْمًا، فَاسْتَبَعْنِي إِلَى السُّوقِ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا تَصْنَعُ بِالسُّوقِ، وَأَنْتَ لَا تَقْنِفُ عَلَى الْبَيْعِ، وَلَا تَسْأَلُ عَنِ السَّلْعِ، وَلَا تَسْوُمُ بِهَا، وَلَا تَجْلُسُ فِي مَجَالِسِ السُّوقِ؟ وَأَقُولُ: اجْلِسْ بِنَا هَا هُنَا نَتَحَدَّثُ. فَقَالَ: يَا أَبا بَطْنِي - وَكَانَ الطَّفِيلُ ذَا بَطْنٍ - إِنَّمَا تَغْدُو مِنْ أَجْلِ السَّلَامِ، فَنُسَلِّمُ عَلَى مَنْ لَقِيَاهُ. رواه مالك في «الموطأ» بإسناد صحيح.

## ١٣٢- باب كيفية السلام

يُسْتَحِبُّ أَنْ يَقُولَ الْمُبْتَدِئُ بِالسَّلَامِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. فَيَأْتِي بِضَمِيرِ الْجَمْعِ، وَإِنْ كَانَ الْمُسْلِمُ عَلَيْهِ وَاحِدًا، وَيَقُولُ الْمُجِيبُ: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. فَيَأْتِي بِوَاوِ الْعَطْفِ فِي قَوْلِهِ: وَعَلَيْكُمْ.

(١٣٢ / ٨٥٠) عن عُمَرَ بْنِ الْحُصَينِ قال: جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. فَرَدَ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَشْرُ». ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. فَرَدَ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: «عِشْرُونَ». ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. فَرَدَ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ». رواه أبو داود والترمذني، وقال: «حديث حسن».

(١٣٢ / ٨٥١) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا جِرِيلٌ يَقْرُأُ عَلَيْكَ السَّلَامِ». قالت: قُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ متفق عليه. وهكذا وقع في بعض روایاتِ الصحيحين: «وَبَرَكَاتُهُ». وفي بعضها بحذفها، وزيادة الثقة مقبولة.

(١٣٢ / ٨٥٢) وعن أنس رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا. رواه البخاري.  
وهذا مَحْمُولٌ عَلَى مَا إِذَا كَانَ الْجَمْعُ كَثِيرًا.

(١٣٢ / ٨٥٣) وعن المقداد رضي الله عنه في حديثه الطويل قال: كُنَّا نَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَصِيرَةً مِنَ الْبَنِينَ، فَيَجِيءُ مِنَ الْلَّيْلِ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لَا يُوْقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ الْيَقْطَانَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ. رواه مسلم.

(١٣٢ / ٨٥٤) وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ فِي الْمَسْجِدِ يَوْمًا، وَعُصْبَةً مِنَ

**النساء قعود، فالوئى (أي: أشار) يدبه بالتسليم.** رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

وهذا محمول على أنه جمَع بين اللفظ والإشارة، ويؤيدُه أنَّ في رِواية أبي داود: **فَسَلَّمَ عَلَيْنَا**.

**(١٣٢/٨٥٥)** وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ». رواه أبو داود بإسناد جيد، ورواه الترمذى بنحوه وقال: «حديث حسن»، وقد ذكر بعده.

**(١٣٢/٨٥٦)** وعن أبي جرَيْه الْهَجَجِيِّ رضي الله عنه قال: أتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام فقلتُ: عليك السلام يا رسول الله. قال: «لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ؛ فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامَ تَحِيَّةُ الْمَوْتَىٰ». رواه أبو داود والترمذى، وقال: « الحديث حسن صحيح »، وقد سبق بطله.

### ١٣٣-باب أداب السلام

**(١٣٣/٨٥٧)** عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلام قال: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ». متفق عليه. وفي رواية للبخارى: «والصغير على الكبير».

**(١٣٣/٨٥٨)** وعن أبي أمامة صدِّيقي بن عَبْدِ اللَّهِ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ». رواه أبو داود بإسناد جيد.

ورواه الترمذى عن أبي أمامة رضي الله عنه: قيل: يا رسول الله، الرَّجُلُانِ يَلْتَقِيَانِ أَيُّهُمَا يُبَدِّأُ بِالسَّلَامِ؟ قال: «أَوْلَاهُمَا بِاللَّهِ تَعَالَى». قال الترمذى: «هذا حديث حسن».

### ١٣٤-باب استحباب إعادة السلام على من تكرر لقاوه على قرب

#### بأن دخل ثم خرج ثم دخل في الحال، أو حال بينهما شجرة ونحوها

**(١٣٤/٨٥٩)** عن أبي هريرة رضي الله عنه: في حديث المسيء صلاةً أنه جاءَ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ إِلَيِّ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلام فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَالَ: «اْرْجِعْ فَصَلَّى؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصِلْ». فَرَجَعَ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلام حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ. متفق عليه.

**(١٣٤/٨٦٠)** وعنه: عن رسول الله صلوات الله عليه وسلام قال: «إِذَا لَقَيْتَ أَحَدَكُمْ أَخَاهُ فَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ، فَإِنْ حَالْتَ بَيْنَهُمَا شَجَرَةً، أَوْ جِدَارًا، أَوْ حَجَرًا، ثُمَّ لَقَيْهُ، فَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ». رواه أبو داود.

### ١٣٥- باب استجواب السلام إذا دخل بيته

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحْيَةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَّكَةً طَيْبَةً﴾ [النور: ٦١].

(١٣٥ / ٨٦١) وعن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «يا بنبي، إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُنْ بَرَّكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

### ١٣٦- باب السلام على الصبيان

(١٣٦ / ٨٦٢) عن أنس رضي الله عنه: آتَهُ مَرَّ عَلَى صَبِيًّانِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَفْعُلُهُ متفق عليه.

### ١٣٧- باب سلام الرجل على زوجته والمرأة من محارمه

#### وعلى أجنبية وأجنبيات لا يخاف الفتنة بهن وسلامهن بهذا الشرط

(١٣٧ / ٨٦٣) عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: كَانَتْ فِينَا امْرَأَةٌ - وَفِي رَوْيَةِ: كَانَتْ لَنَا عَجُوزٌ - تَأْخُذُ مِنْ أُصُولِ السَّلْقِ أَيِّ الْسَّلْقِ: السَّلْقُ: نَبَاتٌ يَطْبَخُ فَتَطْرُحُهُ فِي الْقِدْرِ، وَتُتَكَرِّرُ حَبَّاتٍ مِّنْ شَعِيرٍ، فَإِذَا صَلَّيْنَا الْجُمُعَةَ، وَأَنْصَرَ فَنَّا، سُلَّمَ عَلَيْهَا، فَتَقْدِمُهُ إِلَيْنَا. رواه البخارى. قوله: «تُتَكَرِّرُ» أي: تَطْلُبُ.

(١٣٧ / ٨٦٤) وعن أم هانيء فاختة بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت: أتَيْتُ النَّبِيَّ يَوْمَ الْفَتْحِ وَهُوَ يَغْتَسِلُ، وَفَاطِمَةُ تَسْتَرِي بَثْوَبَ، فَسَلَّمَتْ. وَذَكَرَتِ الْحَدِيثَ. رواه مسلم.

(١٣٧ / ٨٦٥) وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: مَرَّ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صلوات الله عليه وسلم فَسَلَّمَ عَلَيْنَا. رواه أبو داود والترمذى، وقال: « الحديث حسن ». وهذا لفظ أبي داود.

ولفظ الترمذى: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ مَرَّ فِي الْمَسْجِدِ يَوْمًا وَعُصْبَةً مِّنَ النِّسَاءِ قُعُودًا، فَأَلْوَى بِيَدِهِ بِالْتَسْلِيمِ.

### ١٣٨- باب تحريم ابتدائنا الكفار بالسلام

#### وكيفية الرد عليهم واستجواب السلام على أهل مجلس فيهم مسلمون وكفار

(١٣٨ / ٨٦٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «لَا تَبَدُّلُوا إِلَيْهِمْ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيْتُمْ أَهَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ». رواه مسلم.

(٨٦٧ / ١٣٨) وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ». متفق عليه.

(٨٦٨ / ١٣٨) وعن أسامة بن أبي الأسود قال: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَى مَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ - عَبْدَةَ الْأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ - فَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ. متفق عليه.

\* \* \*

### (بعض آداب السلام)

الإسلام دين بروصلة وإحسان وتعايش؛ يقول الله تعالى ﷺ: **﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْاتِلُوكُمْ فِي الْأَيْمَانِ وَلَا تَرْجِحُوكُمْ قَوْنِ دِيَرِكُمْ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَقُصِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** [المتحدة: ٨]، فهذه الآية تقرر مبدأ التعايش، وتبيّن أن صلة غير المسلمين، وبرهم، وصلتهم، وإهادهم، وقبول الهدية منهم. والإحسان إليهم بوجه عام مستحب شرعاً، يقول الإمام القرطبي في «أحكام القرآن»: قوله تعالى: **﴿أَنْ تَبْرُوهُمْ﴾** ... أي: لا ينهاكم الله عن أن تبروا الذين لم يقاتلوكم... **﴿وَقُصِطُوا إِلَيْهِمْ﴾** أي: تُطْعُوْهُمْ قِسْطًا مِنْ أَمْوَالِكُمْ عَلَى وَجْهِ الصَّلِيْهِ. اهـ.

ولا شك أن المصفحة والسلام على غير المسلم هو من أنواع البر الذي يحبه الله سبحانه وحثنا عليه، كما أن حسن رد التحية مأمور به المسلم على كل حال؛ قال تعالى:

**﴿وَإِذَا حَيَّتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾** [النساء: ٨٦].

وعن أبي أمامة رض قال: **قال رسول الله ﷺ: تَمَامَ تَحِينَكُمُ الْمُصَافَحةُ**. أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه».

وذهب جمع من السلف إلى جواز إلقاء السلام على المخالفين من غير المسلمين، وقد فعله ابن مسعود رض وقال: إنه حق الصحابة.

وكان أبو أمامة لا يمر بمسلم ولا كافر إلا سلم عليه، فقيل له في ذلك؟ فقال: **أُمْرَنَا أَنْ نُفْشِي السَّلَامَ**. وبمثله كان يفعل أبو الدرداء رض.

وكتب ابن عباس رض لرجل من أهل الكتاب: **السلام عليكم**.

وكان عمر بن عبد العزيز رض يقول: **لَا بَأْسَ أَنْ نَبْدَأْهُمْ بِالسَّلَامِ**.

والامر فيه سعة وتيسير، ودرء المفسدة مقدم دائمًا على جلب المصلحة.

\* \* \*

## ١٣٩- باب استجواب السلام إذا قام من المجلس وفارق جلسةه أو جليسه

(١٣٩ / ٨٦٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقُوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن».

## ١٤٠- باب الاستئذان وأدابه

قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْأَلُوْا وَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُّ فَلِيَسْتَغْفِرُوا كَمَا أَسْتَغْفَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٩].

(١٤٠ / ٨٧٠) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإنما فارجع». متفق عليه.

(١٤٠ / ٨٧١) وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «إنما جعل الاستئذان من أجل البصر». متفق عليه.

(١٤٠ / ٨٧٢) وعن ربيعى بن حراش قال: حدثنا رجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلم وَهُوَ فِي بَيْتِ فَقَالَ: أَلْجُ (أي: أَدْخُلْ)؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم لِخَادِمِهِ: «اخْرُجْ إِلَى هَذَا فَعَلَمْهُ الْاسْتِئذَانَ، فَقُلْ لَهُ: قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلْ؟» فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلْ؟ فَأَذْنَ لَهُ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وسلم فَدَخَلَ. رواه أبو داود بأسناد صحيح.

(١٤٠ / ٨٧٣) عن كلدة بن الحنبيل رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلوات الله عليه وسلم فدخلت عليه ولم أسلم، فقال النبي صلوات الله عليه وسلم: «أرجع فقل: السلام عليكم، أدخل؟». رواه أبو داود والترمذى، وقال: « الحديث حسن».

## ١٤١- باب بيان أن السنة إذا قيل للمستاذن: من أنت؟

أن يقول: فلان، فيسمى نفسه بما يعرف به من اسم أو كنية

وكراهة قوله: «أنا» ونحوها

(١٤١ / ٨٧٤) عن أنس رضي الله عنه في حديث المشهور في الإسراء قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «ثم صعد بي

جِبْرِيلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. ثُمَّ صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. وَإِلَى الثَّالِثَةِ وَالرَّابِعَةِ وَسَائِرِهِنَّ وَيَقُولُ فِي بَابِ كُلِّ سَمَاءٍ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: جِبْرِيلُ». متفق عليه.

(١٤١ / ٨٧٥) وعن أبي ذر رض قال: خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي وَحْدَهُ، فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي ظُلُّ الْقَمَرِ، فَالْتَّفَتَ قَرَانِي، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟». فَقُلْتُ: أَبُو ذَرٌ... الحَدِيثُ متفق عليه.

(١٤١ / ٨٧٦) وعن أم هاني رض قالت: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ تَسْتُرُهُ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟». فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِيٍّ. متفق عليه.

(١٤١ / ٨٧٧) وعن جابر رض قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَقَقْتُ الْبَابَ، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟». فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ: «أَنَا، أَنَا!». كَانَهُ كَرِهَهَا. متفق عليه.

## ١٤٢- باب استحباب تشميم العاطس إذا حمد الله تعالى

**وكراهة تشميمه إذا لم يحمد الله تعالى**

**وبيان آداب التشميم والعاطس والتثاؤب**

(١٤٢ / ٨٧٨) عن أبي هريرة رض قال: «إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى كَانَ حَقًا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرَحْمُكَ اللهُ. وَأَمَّا التَّشَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَشَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلَيُرِدُهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَشَاءَبَ ضَرَّكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ». رواه البخاري.

(١٤٢ / ٨٧٩) عنه: عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلَيَقُولُ: الْحَمْدُ لِللهِ. وَلْيُقُولْ لَهُ أخْوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرَحْمُكَ اللهُ. فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرَحْمُكَ اللهُ، فَلَيَقُولُ: يَهْدِيْكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالْكُمْ». رواه البخاري.

(١٤٢ / ٨٨٠) وعن أبي موسى رض قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمَّتُوهُ» (أي: التشميم: الدعاء بالخير والبركة)، فَإِنْ لَمْ يَحْمِدِ اللهَ فَلَا تُشَمِّتُوهُ».

رواه مسلم.

(١٤٢ / ٨٨١) وعن أنس رضي الله عنه قال: عَطَسَ رَجُلًا عِنْدَ النَّبِيِّ صلوات الله عليه فَشَمَّتْ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتْ الْآخَرُ، فَقَالَ الَّذِي لَمْ يُشَمِّتْهُ: عَطَسَ فُلَانٌ فَشَمَّتْهُ، وَعَطَسْتُ فَلَمْ تُشَمِّتْنِي؟ فَقَالَ: «هَذَا حَمْدَ اللَّهِ، وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمِدِ اللَّهَ». متفق عليه.

(١٤٢ / ٨٨٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه إِذَا عَطَسَ وَضَعَ يَدَهُ - أَوْ ثُوبَهُ - عَلَى فِيهِ، وَخَفَضَ - أَوْ غَضَّ - بِهَا صَوْتَهُ. شَكَ الرَّاوِي. رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٤٢ / ٨٨٣) وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: كَانَ الْيَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ (أي: يطلبون العطسة من أنفسهم) عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه، يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ . فَيَقُولُ: يَهْدِيْكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالْكُمْ . رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٤٢ / ٨٨٤) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ (أي: فيه)؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ . رواه مسلم.

#### ١٤٣- باب استحباب المعافاة عند اللقاء

### و بشاشة الوجه وتقبيل يد الرجل الصالح وتقبيل ولده شفقة ومعانقة القادر من سفرو كراهية الانحناء

(١٤٣ / ٨٨٥) عن أبي الخطاب قنادة رضي الله عنه قال: قُلْتُ لَأَنَّسٍ: أَكَانَتِ الْمُصَافَحةُ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه؟ قَالَ: نَعَمْ . رواه البخاري.

(١٤٣ / ٨٨٦) وعن أنس رضي الله عنه قال: لَمَّا جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «قَدْ جَاءَكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ». وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ جَاءَ بِالْمُصَافَحةِ (أي: هذا قول أنس). رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٤٣ / ٨٨٧) وعن البراء رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَا حَتَّى يُغْرِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَغْتَرِرَا». رواه أبو داود.

(١٤٣ / ٨٨٨) وعن أنس رضي الله عنه قال: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ مِنَّا يُلْقِي أَحَادِهِ، أَوْ صَدِيقَهُ، أَيْنَحْنِي لَهُ؟ قَالَ: «لَا». قَالَ: أَفَيَتَرْمُهُ (أي: يعانقه) وَيُقْبِلُهُ؟ قَالَ: «لَا». قَالَ: فَيَاخُذْ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(١٤٣ / ٨٨٩) وعن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال: قَالَ يَهُودِيٌّ لِصَاحِبِهِ: اذْهَبْ بِنَا إِلَيْهِ هَذَا النَّبِيِّ، فَاتَّيَا رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه، فَسَأَلَاهُ عَنْ تِسْعٍ آيَاتٍ بَيْنَاتٍ... فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَيْهِ قَوْلِهِ: فَقَبَّلَاهُ يَدُهُ

وَرِجْلَهُ، وَقَالَا: نَشَهُدُ أَنْكَنَّبِي. رواه الترمذى وغيره بأسانيد صحيحة.

(١٤٣/٨٩٠) وعن ابن عمر قصہ، قال فيها: فَدَنَوْنَا مِنَ النَّبِيِّ فَقَبَلَنَا يَدَهُ. رواه أبو داود.

(١٤٣/٨٩١) وعن عائشة قالت: قَدَمَ رَيْدُ بْنُ حَارَثَةَ الْمَدِينَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ فِي بَيْتِي، فَاتَّاهُ فَقَرَعَ الْبَابَ، فَقَامَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ يَجْرُ ثَوْبَهُ، فَاعْتَقَهُ وَقَبَلَهُ. رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(١٤٣/٨٩٢) وعن أبي ذر قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ: «لَا تَحْقِرْنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوْجِهٍ طَلْقٍ (أي: معناه: سهل منبسط)». رواه مسلم.

(١٤٣/٨٩٣) وعن أبي هريرة قال: قَبَلَ النَّبِيُّ السَّلَامَ عَلَى حَسَنَ بْنَ عَلَى فَقَالَ الْأَفْرُعُ بْنُ حَابِسٍ: إِنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ!». متفق عليه.

\* \* \*

### (آداب اللقاء)

روي عن سلمان الفارسي يرفعه: إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا لَقَى أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فَأَخْذَ بِيدهِ تَحَانَتْ (أي: تناثرت) عَنْهُمَا ذُنُوبُهُمَا كَمَا تَتَحَانَتُ الْوَرَقُ مِنَ الشَّجَرَةِ الْيَاسِيَّةِ في يوم ريح عاصفٍ، وَإِلَّا غُفرَ لَهُمَا وَلَوْ كَانَ ذُنُوبُهُمَا مِثْلَ زَيْدَ الْبَحْرِ [الطبراني في الكبير (٦/٢٥٦) برقم (٦١٥٠)].  
وكان رسول الله إِذَا صَافَحَ رَجُلًا لم يتزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده من يده.

قال أبو مخلد: المصافحة تجلب المحبة. وكان يقال: تحية المؤمنين المصافحة والسلام.

ولما حضر رسول الله بني قُرَيظَة وأرادوا التزول على حكم سعد بن معاذ، وكان قد تخلف بالمدينة لجرح أصابه، بعث إليه رسول الله فَلَمَّا قَدَمَ قَالَ النَّبِيُّ لِلْأَنْصَارِ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ» [متفق عليه]. مع أن الرسول قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَبْوَأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» [أحمد في مسنده (٤/١٠٠) برقم (١٦٩٦٢)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح].

وفي هذا جواز أن يكرم الرجل من قصد إليه إذا كان شريفاً أو كريماً قوم أو عالماً أو سيداً لهم أو من يستحق البر منهم، وذلك بالقيام له. وقد تناول أبو عبيدة بن الجراح يد عمر بن الخطاب ليقبلها، فقبضها عمر من ورائه، فتناول أبو عبيدة رجل

عمر ليُقْبِلُها بدلاً من يده، فقال له عمر: ما رَضِيْتُ منك تقبيلاً يدي فكيف بِرِجْلِي؟! ورفض. فعلم جواز فعل ذلك لمن يستحق من أهل الفضل.

أما صاحب الفضل فعليه قدر المستطاع الورع في ذلك. وكان يقال: قُبْلَةُ الرَّجُل زوجته على الفم، وقبلة الوالد لولده على الرأس، وقبلة الأم على الخد، وقبلة الأخت لأن أخيها على العنق أو الكتف.

وقال عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قبلة الوالد عبادة، وقبلة الولد رحمة، وقبلة المرأة شهوة، وقبلة الرجل أخاه دين.

\* \* \*

## ٦- كتاب عيادة المريض وتشييع الميت والصلة عليه وحضور دفنه والمكث عند قبره بعد دفنه

### ١٤٤- باب عيادة المريض

(١٤٤/٨٩٤) عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: أَمْرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشمير العاطس، وإبرار المقصم (أي: يكون بفعل ما أراده الحالف ليصير بذلك بازاً ما لم يكن حراماً)، ونصر المظلوم، وإجابة الداعي، وإفشاء السلام. متفق عليه.

(١٤٤/٨٩٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رُدُّ السَّلامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتْبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيرُ الْعَاطِسِ». متفق عليه.

(١٤٤/٨٩٦) عنه قال: قال رسول الله صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ وَجْهُكَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرْضَتُ فَلَمْ تَعْدُنِي! قَالَ: يَا رَبَّ، كَيْفَ أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرَضَ فَلَمْ تَعْدُهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوْجَدْتَنِي عِنْدَهُ، يَا ابْنَ آدَمَ، أَسْتَطْعِمُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي! قَالَ: يَا رَبَّ، كَيْفَ أَطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ أَسْتَطَعْمُكَ (أي: طلب منك أن تصفعه) عَبْدِي فُلَانُ فَلَمْ تُطْعِمْهُ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوْجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ، أَسْتَسْقِيُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي! قَالَ: يَا رَبَّ، كَيْفَ أَسْقِيُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَسْتَسْقِيَكَ عَبْدِي فُلَانُ فَلَمْ تَسْقِهِ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوْجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟». رواه مسلم.

(٨٩٧ / ١٤٤) وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «عُودُوا الْمَرِيضَ، وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَفُكُّوا الْعَانِي». رواه البخاري. **«العاني»: الأسيء.**

(٨٩٨ / ١٤٤) وعن ثوبان رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، لَمْ يَرْزُلْ فِي حُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجُعَ». قيل: يا رسول الله، وَمَا حُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «جَنَاحًا (أي: الشمرة إذا نضجت)». رواه مسلم.

(٨٩٩ / ١٤٤) وعن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلَّا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيشَةً إِلَّا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن». **«الخريف»: الشَّمْرُ الْمَحْرُوفُ، أي: المُجَنَّبُ.**

(٩٠٠ / ١٤٤) وعن أنس رضي الله عنه قال: كانَ عَلَامُ يَهُودِيٍّ يَحْدُمُ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وآله وسلامه فَمَرَّ صَاحِبُ الْمَسْكِنِ صلوات الله عليه وآله وسلامه بِعِودَهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ». فَنَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ عِنْدَهُ؟ فَقَالَ: أَطِيعُ أَبَا الْقَاسِمِ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله وسلامه وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ». رواه البخاري.

\* \* \*

## عيادة المريض

**عيادة المريض:** هي زياره المريض وتفقد أحواله والتلطف معه وتصبيره على المقدور، وعيادة المريض سُنة وليست فرضاً، وقد أوجبها بعض العلماء، وقد تكون في حق بعض الناس واجبة، وسُنة في حق آخرين. وللمراء أن يعود كل مريض؛ رجالاً كان أو امرأة أو طفلاً، مسلماً أو غير مسلم، أيها كان مرضه. واختلف العلماء في مشروعية عيادة المشرك أو المجنوسي أو الذمي، فقال بعض العلماء: هي جائزة للمشرك.

### آداب عيادة المريض:

- أن تكون الزيارة في الأوقات المناسبة للمرضى وأهله.

- الالتزام بآداب الاستئذان.

- تقليل وقت زيارة المريض.

- عدم تكليف أهل المريض مشقةً في الترحيب والضيافة بالزائر بما فوق وُسعهم.
- الإقلال من سؤال المريض أو حتى أهل المريض عن حاله بشكل مُزعِجٍ.
- إظهار الرأفة والشفقة للمربيض وأهله.
- الدعاء للمربيض بالعافية والصحة.
- غُصُّ البصر عن عورات المريض وأهله.
- استحباب طلب الدعاء من المريض لظنّ الاستجابة.
- إذا وجد فرصة ليأمره بالاحتساب والصبر على مرضه وتذكيره بفضيلة الصبر وأجره عند الله فلا بأس.
- يجوز زيارة النساء للرجال والعكس إذا أمنت الفتنة وفي ظل وجود المحارم.
- لا يتكلم الزائرُ أمام المريض بما يُزعجه ويُخيفه.
- أن يُوسع على المريض أَمْلَ الشفاء ويرفع همته في ذلك.
- لا يُكثر الزائرون من الاختلاف أمام المريض؛ لما في ذلك من إزعاج له، ويتحقق له عند ذلك أن يطلب منهم الانصراف.

**قال رسول الله ﷺ:** «أطعُمو الجائع، وعُودُوا المريض، وفُكُوا العاني» (أي: الأسير)»

البخاري برقم (٥٣٧٣).

**وقال علي عليه السلام:** ما من مسلم يعود مسلماً (أي: يزوره حال مرضه) غَدْوَةً (أي: وتلك كانت عادتهم في أوقات الزيارة) إلا صَلَّى عليه سبعون ألف ملَك حتى يُصبح، وكان له خريف (أي: بستان) في الجنة.

**وقال الأعمش :** كنا نقعد في المجلس فإذا فقدنا الرجل ثلاثة أيام سألنا عنه، فإذا كان مريضاً عُدناه.

**قال ابن عباس رضي الله عنهما:** عيادة المريض مرّة (أي: واحدة) هي السنة، مما زاد فهو نافلة.

**آداب المريض:** - حُسن الصبر على ما أصابه من البلاء.

- قلة الشكوى والضجر أمام الزائرين، وأهله كذلك.

- الإكثار الدائم من الدعاء له ولمن يحبه.
- التوكل على الله بعد استخدام الدواء؛ لأن الله خالق الداء والدواء.
- يجوز للمريض أن يتوجّع ويتألم ولكن على غير سبيل اليأس والضجر والاعتراض على قضاء الله وقدره.
- لا يجوز للمريض تَمَنِي الموت؛ فقد قال رسول الله ﷺ: **(لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ مِنْ صُرُّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَأَبْدَ فَاعِلًا فَلَيُقْلُ: اللَّهُمَّ أَحْبِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاءُ خَيْرًا لِي)** متفق عليه.

وعيادة المرضى تصل ما بين الناس وتوّلّف بينهم، كما أنها جبر لخواطركم ورجاء لبركة دعاء المريض وترقيق للقلوب وتطيب للنفوس.



## ١٤٥- باب ما يدعى به للمريض

(٩٠١) عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةً (أي: الجراحة المتقادمة التي اجتمع فيها القبح) أَوْ جُرْحٌ، قَالَ (أي: أشار) النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْصِبُعَهُ هَكَذَا - وَوَضَعَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ الرَّاوِي سَبَّابَتَهُ بِالْأَرْضِ ثُمَّ رَفَّهَا - وَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةٍ (أي: الريقة: أقل من الريق) بِعَضْنَا، يُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا بِإِدْنِ رَبِّنَا»». متفق عليه.

(٩٠٢) وعنها: أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعُودُ بَعْضَ أَهْلِهِ يَمْسُحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ الْبَأْسَ (أي: الشدة)، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا (أي: مرضًا)». متفق عليه.

(٩٠٣) وعن أنس رضي الله عنه: أنه قال لثابت : : أَلَا أَرْقِيكَ بِرِيقَةِ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ? قَالَ: بَلِي. قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، مُذْهِبَ الْبَأْسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شَافِي إِلَّا أَنْتَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا». رواه البخاري.

(٩٠٤) وعن سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه: قال: عَادَنِي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا». رواه مسلم.

(١٤٥ / ٩٠٥) وعن أبي عبد الله عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: أنه شكا إلى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وجعًا يجده في جسده، فقال له رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «ضع يدك على الذي تالم من جسدي» وقل: بسم الله ثلاثا، وقل سبع مرات: أعد بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحذر». رواه مسلم.

(١٤٥ / ٩٠٦) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «من عاد مريضاً لم يحضره أحد»، فقال عند سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، إلا عفاؤه الله من ذلك المرض». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن» وقال الحاكم: « الحديث صحيح على شرط البخارى».

(١٤٥ / ٩٠٧) وعنه: أن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه دخل على أعرابي يعوده، وكان إذا دخل على من يعوده، قال: لا بأس؛ طهور أي: إن مرضك مطهر لذنبك، ومكفر لسيئاتك إن شاء الله صلوات الله عليه وآله وسلامه. رواه البخارى.

(١٤٥ / ٩٠٨) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن جبريل أتى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه فقال: يا محمد، أشتكيت؟ قال: «نعم». قال: بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسدة الله يشفيك، بسم الله أرقيك. رواه مسلم.

(١٤٥ / ٩٠٩) وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: أنهم ما شهدوا على رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أنه قال: «من قال: لا إله إلا الله والله أكبر، صدقة ربه، فقال: لا إله إلا أنا وأنا أكبر. وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال: يقول: لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي. وإذا قال: لا إله إلا الله كلام الملك ولهم الحمد، قال: لا إله إلا أنا لـي المـلك ولـي الـحمد. وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حـول ولا قـوـة إلا بالـله، قال: لا إله إلا أنا ولا حـول ولا قـوـة إلا بـي». وكان يقول: «من قالـها في مـرضـه ثـم مـات لـم تـطـعـمـه النـار». رواه الترمذى، وقال: « الحديث حسن».

## ١٤٦- باب استحباب سؤال أهل المريض عن حاله

(١٤٦ / ٩١٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه في وجيء الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه? قال: أصبح بحمد الله بارثا. رواه البخارى.

## ١٤٧- باب ما يقوله من أيس من حياته

(١٤٧ / ٩١١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه وهو مستند إلى يه، يقول: «اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرقيق الأعلى». متفق عليه.

(١٤٧ / ٩١٢) وعنهما قالت: رأيت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وهو بالموت، عنده قدح فيه ماء، وهو

يُدخلُ يَدُهُ فِي الْقَدْحِ، ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى غَمَرَاتِ (أي: شَدَائِدِ) الْمَوْتِ وَسَكَرَاتِ (أي: شَدَّةٍ وَوَطَأَةً) الْمَوْتِ». رواه الترمذى.

## ١٤٨- باب استحباب وصية أهل المريض ومن يخدمه

**بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَاحْتِمَالِهِ وَالصَّبْرِ عَلَى مَا يُشَقُّ مِنْ أَمْرِهِ**

**وَكَذَا الْوَصِيَّةُ بِمَنْ قَرْبَ سَبْبِ مَوْتِهِ بِحَدٍ أَوْ قَصَاصٍ وَنَحْوِهِمَا**

(٩١٣/١٤٨) عن عِمَرَانَ بْنَ الْحُصَيْنِ: أَنَّ اِمْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَهِيَ حَبْلًا مِنَ الْزَّنْيِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصْبَتُ حَدًا فَأَقْمِهُ عَائِيَةً. فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلِيَهَا، فَقَالَ: «أَخْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعْتَ فَاتِنِي بِهَا». فَفَعَلَ، فَأَمَرَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَشُدَّتْ عَلَيْهَا تِيَابَهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرَجَمَتْ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا. رواه مسلم.

## ١٤٩- باب جواز قول المريض: أنا ووجع،

**أو شديد الوجع، أو موعوك، أو وارأساه ونحو ذلك،**

**وبيان أنه لا كراهة في ذلك إذا لم يكن على سبيل التسخط وإظهار الجزع**

(٩١٤/١٤٩) عن ابن مسعود قال: دخلتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ (أي: الْحَمْى)، وقيل: ألم الْحَمْى، فَمَسَتْتُهُ، فقلت: إِنَّكَ لَتُنْوَعَكُ وَعُكَّا شَدِيدًا، فَقَالَ: «أَجْلٌ، إِنِّي أُوَعَكُ كَمَا يُوَعَكُ رَجُلٌ مِنْكُمْ». متفق عليه.

(٩١٥/١٤٩) وعن سعِدِ بْنِ أَبِي وَقَاصِ قال: جاءني رسول الله ﷺ يُعُوذُنِي مِنْ وَجَعٍ أَشَدَّ بِي، فقلت: بَلَغَ بِي مَا تَرَى، وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا أَبْتَهِي.. وَذَكَرَ الْحَدِيثُ مُتَقَدِّمًا.

(٩١٦/١٤٩) وعن القاسمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قال: قالت عَائِشَةُ ظَاهِرًا: وَارَأْسَاهُ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَنَا، وَارَأْسَاهُ!...» وَذَكَرَ الْحَدِيثُ مُتَقَدِّمًا. رواه البخاري.

## ١٥٠- باب تلقين المحتضر: لا إله إلا الله

(٩١٧/١٥٠) عن معاذ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ». رواه أبو داود والحاكم، وقال: «صحيح الإسناد».

(٩١٨/١٥٠) وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لَقُنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». رواه مسلم.

## ١٥١- باب ما يقوله بعد تعميض الميت

(١٥١ / ٩١٩) عن أم سلامة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وآمين على أبي سلامة وقد شقَّ (أي: شخص وثبت) بصرُّه، فاغمضه، ثم قال: «إن الروح إذا قبض، تبعه البصر». فضجَّ (أي: صاحوا ورفعوا أصواتهم بالبكاء) ناسٌ من أهله، فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإنَّ الملائكة يؤمِّنون على ما تقولون». ثم قال: «اللهم اغفر ل أبي سلامة، وارفع درجته في المهدىين، وأخلفه في عقبه في الغابرين (أي: الباقيين)، وأغفر لنا ولها يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه». رواه مسلم.

## ١٥٢- باب ما يقال عند الميت وما يقوله من مات له ميت

(١٥٢ / ٩٢٠) عن أم سلامة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وآمين: «إذا حضرتم المريض أو الميت، فقولوا خيراً، فإنَّ الملائكة يؤمِّنون على ما تقولون». قالت: فلما مات أبو سلامة، أتيت النبي صلوات الله عليه وسلامه وآمين فقلت: يا رسول الله، إنَّ أبي سلامة قد مات، قال: «قولي: اللهم اغفر لي وله، وأعقيبني (أي: عوضني) منه عقبى حسنة». فقلت، فأعقيبني الله منْ هو خير لي منه: محمدًا صلوات الله عليه وسلامه وآمين.

رواه مسلم هكذا: «إذا حضرتم المريض، أو الميت» على الشك.

ورواه أبو داود وغيره: «الميت» بلا شك.

(١٥٢ / ٩٢١) وعنها قالت: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وآمين يقول: «ما من عبدٍ تصيبه مصيبة، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أرجو尼 في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها، إلا أجره (أي: أثابه) الله تعالى في مصيبته وأخلف له (أي: جزاه على صبره وعوضه) خيراً منها». قالت: فلما توفَّي أبو سلامة قلت كمَا أمرني رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وآمين، فأخلف الله لي خيراً منه رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وآمين. رواه مسلم.

(١٥٢ / ٩٢٢) وعن أبي موسى رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وآمين قال: «إذا مات ولد العبد، قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذَا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واستر جع. فيقول الله تعالى: ابنوا العبد بيته في الجنة، وسموه بيت الحمد». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(١٥٢ / ٩٢٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وآمين قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدِي المؤمن

عِنْدِي جَرَاءٌ إِذَا قَبضْتُ صَفِيفَةً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةَ». رواه البخاري.

(١٥٢ / ٩٢٤) وعن أَسَامَةَ بْنَ زَيْدَ قَالَ: أَرْسَلْتُ إِحْدَى بَنَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ تَدْعُوهُ وَتُخْبِرُهُ أَنَّ صَبِيًّا لَهَا - أَوْ أَبْنَا - فِي الْمَوْتِ فَقَالَ لِلرَّسُولِ: «اْرْجِعْ إِلَيْهَا، فَأَخْبِرْهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا أَخْدَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمَّى، فَمُرْهَا، فَلَتَصْبِرْ وَلَتَحْسِبْ»... وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ. متفقٌ عَلَيْهِ.

### ١٥٣- باب جواز البكاء على الميت بغير ندب ولا نياحة

أَمَّا النِّيَاحَةُ فَحَرَامٌ، وَسَيَأْتِي فِيهَا بَابٌ فِي كِتَابِ النَّبِيِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَأَمَّا الْبُكَاءُ فَجَاءَتْ أَحَادِيثُ الْنَّبِيِّ عَنْهُ، وَأَنَّ الْمَيْتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ، وَهِيَ مُتَّوَلَةٌ وَمَحْمُولَةٌ عَلَى مَنْ أَوْصَى بِهِ، وَالنَّهُمَّ إِنَّمَا هُوَ عَنِ الْبُكَاءِ الَّذِي فِيهِ تَدْبُّرٌ، أَوْ نِيَاحَةٌ، وَالدَّلِيلُ عَلَى جَوَازِ الْبُكَاءِ بِغَيْرِ تَدْبُّرٍ وَلَا نِيَاحَةٍ أَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا:

(١٥٣ / ٩٢٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَادَ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، وَمَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنهما، فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمَ بُكَاءً رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكُوا، فَقَالَ: «أَلَا تَسْمَعُونَ؟ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا أَوْ يَرْحُمُ». وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ.

(١٥٣ / ٩٢٦) وعن أَسَامَةَ بْنَ زَيْدَ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُفِعَ إِلَيْهِ أَبْنَتِهِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَفَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحُمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحْمَاءُ». متفقٌ عَلَيْهِ.

(١٥٣ / ٩٢٧) وعن أنسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى أَبْنِهِ إِبْرَاهِيمَ رضي الله عنهما وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَدْرِفَانِ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «يَا أَبْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ». ثُمَّ أَتَبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرِضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا لِفَرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ». رواه البخاري، وروى مسلم بعضه. والأحاديث في الباب كثيرة في الصحيح مشهورة. والله أعلم.

### ١٥٤- باب الكف عما يرى من الميت من مكروه

(١٥٤ / ٩٢٨) عن أَبِي رَافِعٍ أَسْلَمَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ غَسَلَ مَيِّتًا

**فَكَتَمَ عَلَيْهِ** (أي: إذا رأى منه سواء)، **عَفَرَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً**. رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.

## ١٥٥- باب الصلاة على الميت وتشييعه وحضور دفنه

### وكراهة اتباع النساء الجنائز

وَقَدْ سَبَقَ فَضْلُ التَّشِيعِ.

(١٥٥ / ٩٢٩) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ شَهَدَ الْجِنَازَةَ حَتَّى يُصْلِيَ عَلَيْهَا، فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهَدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ، فَلَهُ قِيرَاطًا». قيل: وَمَا الْقِيرَاطَا? قَالَ: «مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ». متفق عليه.

(١٥٥ / ٩٣٠) وعنده: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَتَبَعَ جِنَازَةً مُسْلِمًا إِيمَانًا وَاحْسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصْلِيَ عَلَيْهَا وَيُفْرَغَ مِنْ دُفْهَا، فَإِنَّهُ يَرْجُعُ مِنَ الْأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحْدِي، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجُعُ بِقِيرَاطٍ». رواه البخاري.

(١٥٥ / ٩٣١) وعن أم عطيه قالت: نُهِيناً عَنِ اتِّباعِ الْجَنَائزِ، وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا. متفق عليه. ومعنى: وَلَمْ يُشَدَّدْ فِي النَّهِيِّ كَمَا يُشَدَّدُ فِي الْمُحَرَّمَاتِ.

## ١٥٦- باب استحباب تكثير المصلين على الجنائز

### وجعل صفوفهم ثلاثة فأكثر

(١٥٦ / ٩٣٢) عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مَيْتٍ يُصْلِي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَلْعُغُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَسْفَعُونَ لَهُ إِلَّا شُفْعًا فِيهِ». رواه مسلم.

(١٥٦ / ٩٣٣) وعن ابن عباس قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُولُ عَلَى جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا شُفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ». رواه مسلم.

(١٥٦ / ٩٣٤) وعن مرثد بن عبد الله التيزني، قال: كانَ مالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ رضي الله عنه إِذَا صَلَّى عَلَى الْجِنَازَةِ فَتَقَالَ (أي: راهم قليلا) النَّاسَ عَلَيْهَا، جَزَّاهُمْ عَلَيْهَا ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ صُفُوفٍ فَقَدْ أَوْجَبَ (أي: قُبِلتْ شفاعتهم فيه)». رواه أبو داود والترمذى،

وقال: «حديث حسن».

## ١٥٧- باب ما يقرأ في صلاة الجنارة

يُكَبِّرُ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ، يَتَعَوَّذُ بَعْدَ الْأُولَى، ثُمَّ يَقْرَأُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُكَبِّرُ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ. وَالْأَفْضَلُ أَنْ يُتَمَّمُ بِقَوْلِهِ: كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ... إِلَى قَوْلِهِ: إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. وَلَا يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْعَوَامِ مِنْ قِرَاءَتِهِمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فَإِنَّهُ لَا تَصْحُ صَلَاتُهُ إِذَا افْتَصَرَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُكَبِّرُ الثَّالِثَةَ، وَيَدْعُ لِلْمَيِّتِ وَلِلْمُسْلِمِينَ بِمَا سَنَدُكُوهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ يُكَبِّرُ الرَّابِعَةَ وَيَدْعُو. وَمِنْ أَحْسَنِهِ:

«اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تَفْتَنَنَا بَعْدَهُ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ».

وَالْمُخْتَارُ أَنْ يُطْوِلَ الدُّعَاءِ فِي الرَّابِعَةِ خِلَافَ مَا يَعْتَادُهُ أَكْثَرُ النَّاسِ، لِحَدِيثِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى الَّذِي سَنَدُكُوهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَأَمَّا الْأَدْعِيَةُ الْمَأْثُورَةُ بَعْدَ التَّكْبِيرَةِ الْثَالِثَةِ، فَمِنْهَا:

(١٥٧ / ٩٣٥) عن أبي عبد الرحمن عوف بن مالك رض قال: صَلَّى رسول الله صل عَلَى جَنَازَةِ فَحَفِظَتْ مِنْ دُعَائِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَاعْفُهُ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسْعُ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالنَّجْعِ وَالْبَرِدِ (أي: الماء الجامد ينزل من السحاب قطعاً صغاراً)، وَنَقَهْ مِنَ الْخَطَايا كَمَا نَقَيْتَ التَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ (أي: الوسخ)، وَأَبْدَلْهُ دَارَا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَرَوْجًا خَيْرًا مِنْ زُوْجِهِ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، وَأَعْدَهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ». حَتَّى تَمَنَّى أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيِّتُ. رواه مسلم.

(١٥٧ / ٩٣٦) وعن أبي هريرة وأبي إبراهيم الأشهلي عن أبيه - وآبئته - عن النبي صل قال: أَنَّهُ صَلَّى عَلَى جَنَازَةَ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيَّنَا وَمَيِّتَنَا، وَصَغِيرَنَا وَكَبِيرَنَا، وَذَكَرَنَا وَأَثَانَا، وَشَاهِدَنَا وَغَائِنَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَتْنَاهُ مِنَ الْمَوْتَى فَأَخْيِهْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْنَاهُ مِنَ الْمَوْتَى فَتَوَفَّهُ عَلَى الْإِيمَانِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تَفْتَنَنَا بَعْدَهُ». رواه الترمذى من روایة أبي هريرة والأشهلي، ورواه أبو داود من روایة أبي هريرة وأبي قتادة. قال الحاكم: «حديث أبي هريرة صحيح على شرط البخاري ومسلم». قال الترمذى: «قال البخارى: أصح روایات هذا الحديث روایة الأشهلي، قال البخارى: وأصح شيء في هذا الباب حديث عوف بن مالك». قال الترمذى:

(١٥٧ / ٩٣٧) وعن أبي هريرة رض قال: سمعتُ رُسُولَ اللهِ صل يقول: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ، فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ». رواه أبو داود.

(١٥٧ / ٩٣٨) وعن النبي ﷺ في الصلاة على الجنازة: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّهَا، وَأَنْتَ خَلَقْتَهَا، وَأَنْتَ هَدَيْتَهَا لِلإِسْلَامِ، وَأَنْتَ قَبْضَتَ رُوحَهَا، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِسُرُّهَا وَعَلَانِيَّتِهَا، وَقَدْ جِئْنَاكَ شُفَعَاءَ لَهُ، فَاغْفِرْ لَهُ». رواه أبو داود.

(١٥٧ / ٩٣٩) وعن وائلة بن الأسعق رضي الله عنه قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ على رجلٍ من المسلمين، فسمعته يقول: «اللَّهُمَّ إِنَّ فُلانَ بْنَ فُلانَ فِي ذَمَّتِكَ (أي: في عهده) وَحَبْلَ حِوَارِكَ (أي: أمانك)، فَقِهُ (أي: احفظه ونجه) فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعِذَابَ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَمْدِ؛ اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ». رواه أبو داود.

(١٥٧ / ٩٤٠) وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه: أنه كبر على جنازة ابنته له أربع تكبيرات، فقام بعد الرابعة كقدر ما بين التكبيرتين يستغفر لها ويذعن، ثم قال: كان رسول الله ﷺ على مائة وعشرين شماليه. فلما انصرف قلنا له: ما هذا؟ فقال: إنني لا أزيدكم على ما رأيت رسول الله ﷺ يصنع، أو: هكذا صنع رسول الله ﷺ. رواه الحاكم، وقال:

وفي رواية: كبر أربعًا فمكث ساعة حتى ظنت أنه سيكبر خمساً، ثم سلم عن يمينه وعن شماله. فلما انصرف قلنا له: ما هذا؟ فقال: إنني لا أزيدكم على ما رأيت رسول الله ﷺ يصنع، أو: هكذا صنع رسول الله ﷺ. رواه الحاكم، وقال:

«حديث صحيح».

## ١٥٨- باب الإسراع بالجنازة

(١٥٨ / ٩٤١) عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «أُسْرِعُوا بِالْحِنَّازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ، وَإِنْ تَكُ سَوَى ذَلِكَ، فَشُرُّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا عَلَيْهِ».

(١٥٨ / ٩٤٢) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «إِذَا وُضِعَتِ الْحِنَّازَةُ فَاحْتَمِلْهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قالتْ: قَدْمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ عَيْرَ صَالِحَةً، قالتْ لِأَهْلِهَا: يَا وَيْلَهَا (أي: معنى النداء: يا حزني؛ وأضاف الويل إلى ضمير الغائب حملًا على المعنى؛ كراهة أن يضيف الويل إلى نفسه) أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَيْهَا، وَلَوْ سَمِعَ إِلَيْهَا لَصَعِقَ». رواه البخاري.

## (آداب الجنائز والعزبة)

**آداب تشيع الجنازة:** أتباع الجنائز يكون على مرتين:

الأولى أتباعها من مكان غسلها إلى الصلاة عليها.

الثانية أتباعها حتى يفرغ من دفنها. وعلى المشيدين التزام الآداب التالية:

- الخشوع، أي سكينة الجوارح.

- ترك التحدث والحديث، فلا يكون هناك انشغال إلا بذكر الله.

- الاستغفار للميت، والمشي أمام أو قرب الجنائز ما استطاع، ويجوز خلفها كذلك أو عن يمينها أو يسارها محاولة للقرب منها.

- ملاحظة الميت، بالنظر كثيراً للجسد؛ لأن فيه اعتباراً للحي وشفقةً للميت.

- التفكُّر في الموت؛ لأنه أحد أسباب سنة الجنائز.

- الإسراع بالجنازة إسراعاً لا يحصل منه مشقة على حاملها أو مشيعها، قال رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَسْرِعُوا بِالْجِنَاحَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةٌ فَحَيْرٌ تُقَدِّمُونَهُ إِلَيْهِ، وَإِنْ تَكُ عَيْرٌ ذَلِكَ فَشَرٌّ

تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ» متفق عليه.

- ويُستحب للمُشيءُ ألا يجلس قبل أن تُوضع الجنائز على الأرض.

- ومن المستحب إلقاء موعظة عند القبر لذكر الأحياء ولرحمته على الأموات.

**آداب المعزي:** من آداب المعزي: - خفض الجناح، واللين، والتواضع في أثناء الجنائز.

- إظهار الحزن وقلة التحدث عادة، وخاصة بكلام الشغل والدنيا.

- ترك التبسم والضحك. و الانشغال بالذكر والدعاء.

- ويُستحب لمن كان ذا صلة بأهل المتوفى صنع الطعام لأهل الميت تخفيفاً عليهم وتطيباً لخاطرهم.



## ١٥٩- باب تعجيز قضاء الدين عن الميت والمبادرة إلى تجهيزه

**إلا أن يموت فجأة فيترك حتى يتيقن موته**

(١٥٩ / ٩٤٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدِينِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ». رواه الترمذى، وقال: (حديث حسن).

(١٥٩ / ٩٤٤) وعن حصين بن وحوح رضي الله عنه: أن طلحة بن البراء رضي الله عنهما مريض، فأتاه النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه يعوده، فقال: «إِنِّي لَا أُرِي طَلْحَةً إِلَّا قَدْ حَدَثَ فِيهِ الْمَوْتُ، فَادْتُنُونِي بِهِ وَعَجَلُوا بِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِحِيفَةِ مُسْلِمٍ أَنْ تُحْبَسَ بَيْنَ ظَهَرَانِي أَهْلِهِ». رواه أبو داود.

## ١٦٠- باب الموعظة عند القبر

(١٦٠ / ٩٤٥) عن علي رضي الله عنه: قال: كُنَّا في جنَّازَةٍ في بَقِيعِ الْعَرْقَدِ، فَاتَّنَا رَسُولُ الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فَقَعَدَ، وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةً (أي: عُكَازٌ بِرَأْسِ مَعْوِجٍ) فَنَكَسَ (أي: طَأْطَأَ رَأْسَهُ) وَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعُدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعُدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا تَتَكَلُّ عَلَىٰ كِتَابِنَا؟ فَقَالَ: «أَعْمَلُوا؛ فَكُلُّ مُيسِّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ». وَذَكَرَ تَنَامَ الْحَدِيثِ. منتفق عليه.

## ١٦١- باب الدعاء للميت بعد دفنه

**والقعود عند قبره ساعة للدعاء له والاستغفار والقراءة**

(١٦١ / ٩٤٦) وعن أبي عمرو - وقيل: أبو عبد الله وقيل: أبو ليلى - عثمان بن عفان رضي الله عنه: قال: كَانَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله وسلامه إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّشِّيَّتَ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسَأَّلُ». رواه أبو داود.

(١٦١ / ٩٤٧) وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه: قال: إِذَا دَفَتْمُونِي، فَأَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحِرُ جَزُورُ، وَيَقْسِمُ لَهُمْهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَعْلَمَ مَاذَا أَرَاجُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي. رواه مسلم وقد سبق بطوله.

**قال الشافعى : وَيُسْتَحِبُّ أَنْ يُقْرَأَ عِنْدُهُ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنْ خَتَمُوا الْقُرْآنَ عِنْدَهُ كَانَ حَسَنًا.**

## ١٦٢- باب الصدقة عن الميت والدعاء له

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوكُم مِّنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا خَوَّبْنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا إِلَيْا مِنْ قَبْلِنَا﴾ [الحشر: ١٠].

(١٦٢/٩٤٨) وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رجلاً قال للنبي صلوات الله عليه: إنَّ أمِّي اُقتلَتْ نَفْسُهَا (أي: ماتت فجأةً قبل أن توصي) وَأَرَاهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقَتْ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ». متفق عليه.

(١٦٢/٩٤٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه قال: «إِذَا ماتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، أَوْ عِلْمٌ يُسْتَعْظِمُ بِهِ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُ لَهُ». رواه مسلم.

## ١٦٣- باب ثناء الناس على الميت

(١٦٣/٩٥٠) عن أنس رضي الله عنه: قال: مَرُوا بِجَنَازَةِ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه: «وَجَبَتْ». ثُمَّ مَرُوا بِأُخْرَى، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه: «وَجَبَتْ». فَقَالَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: مَا وَجَبَتْ؟ فَقَالَ: «هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَتُمْ شُهَدَاءَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ؟». متفق عليه.

(١٦٣/٩٥١) وعن أبي الأسود رضي الله عنه: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَجَلَسْتُ إِلَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ صلوات الله عليه فَمَرَّتْ بِهِمْ جَنَازَةً، فَأَثْنَيَ عَلَى صَاحِبِهَا خَيْرًا، فَقَالَ عُمَرُ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مَرَّ بِأُخْرَى فَأَثْنَيَ عَلَى صَاحِبِهَا خَيْرًا، فَقَالَ عُمَرُ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مَرَّ بِالثَّالِثَةِ، فَأَثْنَيَ عَلَى صَاحِبِهَا شَرًّا، فَقَالَ عُمَرُ: وَجَبَتْ، قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: فَقُلْتُ: وَمَا وَجَبَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قُلْتَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه: «أَيُّمَا مُسْلِمٌ شَهَدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخِيرٍ، أَدْخِلْهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ». فَقُلْنَا: وَثَلَاثَةُ؟ قَالَ: وَثَلَاثَةُ. فَقُلْنَا: وَاثْنَانِ؟ قَالَ: «وَاثْنَانِ». ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ. رواه البخاري.

## ١٦٤- باب فضل من مات له أولاد صغار

(١٦٤/٩٥٢) وعن أنس رضي الله عنه: قال: رسول الله صلوات الله عليه: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ لَمْ يَلْغُوا الْحِنْثَ (أي: سن التكليف) إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِلَيْهِمْ». متفق عليه.

(١٦٤/٩٥٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: رسول الله صلوات الله عليه: «لَا يَمُوتُ لَأَحَدٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْوَلَدِ لَا تَمْسُهُ النَّارُ إِلَّا تَحْلِلُهُ الْقَسْمُ (أي: ما ينحل به القسم)». متفق عليه.

وَتَحِلَّةُ الْفَسِيمِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ يَمْكُمُ الْأَوَادِهَا﴾ [مريم: ٧١]. وَالْوُرُودُ: هُوَ الْعُبُورُ عَلَى الصَّرَاطِ، وَهُوَ حِسْرٌ مَصْوَبٌ عَلَى ظَهِيرِ جَهَنَّمَ، عَافَاتَا اللَّهُ مِنْهَا.

(١٦٤ / ٩٥٤) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلوات الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمونا مما علمك الله، قال: «اجتمعن يوم كذا وكذا». فاجتمعن، فأتاهن النبي صلوات الله عليه وسلم فعلمهم مما علمه الله، ثم قال: «ما من肯 من امرأة تقدم (أي: يموت لها) ثلاثة من ولد إلا كانوا لها حجاباً من النار». فقلت امرأة: وأثنين؟ فقال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «واثنين». متفق عليه.

## ١٦٥ - باب البكاء والخوف عند المرور بقبور الطالبين ومصارعهم

**إظهار الافتقار إلى الله تعالى والتحذير من الغفلة عن ذلك**

(١٦٥ / ٩٥٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم قَالَ لَأَصْحَابِهِ - يعني لَمَّا وَصَلُوا الْحِجْرَ دِيَارَ شُمُودَ: «لَا تَدْخُلُوا عَلَى هُؤُلَاءِ الْمُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لَا يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابُهُمْ (أي: من العذاب)». متفق عليه.

وفي رواية قال: لَمَّا مَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم بِالْحِجْرِ (أي: وهي ديار ثمود فيما بين المدينة والشام)، قَالَ: «لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ، أَنْ يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابُهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ». ثُمَّ قَطَّعَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم رَأْسَهُ (أي: غطّاه برداء) وأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَازَ الْوَادِي (أي: قطعه وخلفه وراءه).

\* \* \*

## ٧- كتاب آداب السفر

### (السفر والاغتراب والتوديع والفرق)

قال صلوات الله عليه وسلم: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَدَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضَى نَهْمَتَهُ (أي: حاجته) فَمُعَجَّلٌ إِلَى أَهْلِهِ» متفق عليه. وسمى السفر سفراً لأنَّه يُسْفِر؛ أي: يكشف عن الأخلاق؛ ولذلك قال عمر رضي الله عنه للذى زَكَى عنده شاهداً في خلافٍ ماليٍ: هل صحبته

في السفر الذي يُستدلّ به على مكارم أخلاقه؟ فقال: لا. فقال: ما أرَاكَ تعرفه. والنفس في وطنها مع سهولة وملاءمة الحياة والأسباب لا تظهر عيوبها ولا خبث صفاتها؛ للاستئناس بالمؤلفات، فإذا حملت وعاء السفر وبعدت عن المؤلف والمعتاد وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت لها عيوبها، فعند ذلك يمكن الاشتغال بعلاجها مع ما في السفر من مخالطة الناس بفوائدها ومضارّها. ومن لا يطلع على أسرار نفسه وخبث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها.

### أقسام السفر:

الأول: السفر في طلب العلم: وقد يكون واجباً أو نفلاً بحسب كون العلم واجباً أو نفلاً في حق المسافر؛ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ». الترمذني برقم (٢٦٤٧).

الثاني: السفر للعبادة، كالحج، والعمرة، والجهاد، والدعوة، وزيارة العلماء وطلب الدعاء منهم؛ فالنظر في وجوههم عبادة، وللتخلق بأخلاقهم وأدابهم وأفعالهم.

الثالث: السفر خوفاً من ضياع الدين في الوطن بسبب الانشغال بطلب الدنيا وشدة الفاقة وال الحاجة، فله أن يُسافر تيسيراً على نفسه، وقد كان عادة السلف مفارقة ما اعتادوه من أماكنهم خيفة الفتنة.

ورئي سفيان الثوري : وقد حمل متاعه يريد السفر، فسألته صاحبه: إلى أين؟ قال: بُلَغْتُ عن قريةٍ فيها رخص أريد أن أقيم بها. فقلت له: وتفعل هذا؟ قال: نعم، إذا بلغك أن قرية فيها رخص فأقم بها؛ فإنه أسلم لدینك وأقل لِهِمْكَ. وهذا بالطبع لمن تيسّر له هذا.

الرابع: السَّفَرُ هرَبًا من الأمراض، كالطاعون وخلافه، أو الهرب من الغلاء في الحياة.

وقد يجبر في بعض الأحيان، وربما يستحب في أحيان أخرى بحسب المصالح والمفاسد المترتبة.

**أنواع السفر:** والسفر ينقسم إلى ثلاثة أقسام: سفر مذموم، وسفر محمود، وسفر مباح.

**أما السفر المذموم:** فينقسم إلى سفر حرام: كسفر الابن رغمًا عن إرادة والديه. وسفر

مكروه: كالخروج من بلد بعد أن تفشي فيه الوباء ويخشى بسفره انتشار الوباء خارج البلد.

**وأما السفر محمود:** فينقسم إلى واجب: كالحج، وطلب العلم الذي هو فريضة على كل مسلم. وإلى مندوب إليه: كزيارة العلماء.

**وأما السفر المباح:** فكالتنزه والترفيه عن النفس وما شابهه في غير معصية الله.

ولتكن النية الدار الآخرة في جميع أسفاره، وقد يكون السفرُ أفضل من الإقامة أو العكس، فينظر العبد في المصالح والمفاسد، وعمومًا فإن الأعون على الدين هو المطلوب. وثمرة الدين في الدنيا هي تحصيل معرفة الله تعالى، وتحصيل الأنس بذكر الله تعالى. والأنس يحصل بدوام الذكر، والمعرفة تحصل بدوام الفكر، فوجب تعلم طريق الفكر والذكر. والسفر هو المعين على التعلم والفكر، والإقامة هي المعين على العمل بالعلم والذكر.

وقد أمر النبي ﷺ باتخاذ الأمير فقال: «إِذَا كُتُمْ ثَلَاثَةً فِي السَّفَرِ فَأَمْرُوا أَحَدَكُمْ».

عبد الرزاق في مصنفه (٤/٥٨) برقم (٦٩٦٠).

**صفات أمير السفر:** أن يكون أحسنهم أخلاقاً؛ وذلك لأن السفر من أسباب الضجر، ومن حسن خلقه في الضجر فهو حسن الخلق. وأن يكون أرفقهم بالصحبة، وألينهم.

وأن يكون أسرعهم إلى فعل الكرم وال وجود والإيثار. وأن يكون أرغبهم في الاتفاق واتحاد الكلمة وعدم الاختلاف. وإنما يحتاج إلى الأمير في السفر؛ لأن الآراء تختلف أثناء السفر في كثير من الأمور التي تحتاج إلى الفصل والتعيين، مثل تعين الأماكن التي ينزل فيها، أو الطرق التي يمشي بها، أو بعض مصالح السفر الأخرى، ولا يتأنّى ذلك بكثرة الآراء وعدم الاتفاق وإنفراد كل واحد برأيه؛ فالعالم انتظم أمره لأن مدبر الكون واحد: ﴿أَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَهُ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، فإذا كان المدبر واحداً انصلح وانضبط أمر التدبير، وإذا كثر المدبرون فسدت الأمور سواء في الحضر أو السفر.

ولأن في الإقامة والوطن هناك دائمًا أمير أو مسئول أو مدير أو حاكم وما شابه، بشكل عام أو بشكل خاص، كرب الأسرة مثلًا، وأما السفر فلا يكون الأمير إلا بالتعيين والتأمير، وقد نبه النبي ﷺ إلى ذلك فقال: «إِذَا كُتِّمْتُمْ ثَلَاثَةً فِي السَّفَرِ فَأَمْرُوا أَحَدَكُمْ» [عبدالرازق في مصنفه (٤) برقم (٦٩٦٠)] ليمتنع التشتبه والفرق.

وعلى الأمير أن يقدم مصلحة الجماعة، ويجعل من نفسه وقاية لهم من السوء. ولا حتياج كل إنسان لرفيق في حاله، وقد قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الْأَصْحَاحِ أَرْبَعَةٌ» [أحمد في مسنده (١) برقم (٢٧١٨)] يقصد في السفر؛ وذلك لأن السفر يحتاج إلى من يحفظ المtau والمراحل، ومن يتحرك في جلب المصالح وقضاء الحاجات، فصار مع كل حال رجال؛ ليكونون أفضل وأعون لهم على تحمل المسئولية ومشاكل السفر، ولتحقيق فيه معنى الصحبة في السفر.

**آداب السفر:** أن يبدأ المسافر برد المظالم وقضاء الديون إن استطاع؛ لأنه ربما يسافر ولا يعود، بل عليه كتابة وصيته، ثم إعداد النفة اللازمة لسفره، وليأخذ قدرًا زائداً إن استطاع ليوسع بها على رفقائه؛ قال ابن عمر رضي الله عنهما: «مِنْ كَرَمِ الرَّجُلِ طَيْبٌ زَادَهُ فِي سَفَرِهِ».

ثم لا بد في السفر من تطيب الكلام مع المسافرين، وإطعام الطعام كرمًا، وإظهار مكارم الأخلاق.

واعلم أن من صالح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر، وليس العكس؛ ولذا قالوا: «إِذَا أَثْنَى عَلَى الرَّجُلِ مُعَامِلُوهُ فِي الْحُضْرِ وَرَفِيقُوهُ فِي السَّفَرِ فَلَا تُشْكُوا فِي صَلَاحِهِ».

والسفر من أسباب الضجر وضيق الخلق، ومن أحسن خلقه في الضجر فهو حسن الخلق. وقيل: «ثَلَاثَةٌ لَا يُلَامُونَ عَلَى الضَّجَرِ: الصَّائِمُ، وَالْمَرِيضُ، وَالْمَسَافِرُ».

ثم تمام حسن خلق المسافر: الإحسان، ودفع أجرة الانتقال، ومساعدة الرفقاء بكل ممكן، والرفق بالضعفاء وإعانتهم. وقيل: «الضَّعِيفُ أَمِيرُ الرَّكْبِ، وَسِيرُوا بِسِيرِ ضَعْفَائِكُمْ».

ثم المزارع مع الرفقاء في بعض الأوقات وليس كلها، من غير فحش ولا معصية؛ لتسلية لهم من الضجر ومشاكل السفر. ثم أن يحاول ألا يسافر وحيداً إذا أمكنه ذلك، فالرفيق قبل الطريق، وليختر رفيقاً يعينه على دينه، ويذكره إذا نسي، ويساعده إذا ذكر الله؛

فإن: **«المُرءَ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ»** [متقد عليه]، ولا يُعرف الرجل إلا برفقه.

ثم أن يختار المسافرون لأنفسهم أميراً؛ لقوله ﷺ، كما سبق: **«إِذَا كُتُمْ ثَلَاثَةً فِي سَفَرٍ فَأَمْرُوا أَحَدَكُمْ»**. وأن يودع المسافر رفقاءه في الحضر والأهل والأصدقاء، فقد قيل: إذا خرج أحدكم إلى سفر فليودع إخوانه؛ فإن الله جاعل في دعائهم بركةً.

**وقال الشعبي :** السُّنْنَةِ إِذَا قَدِمَ رَجُلٌ مِّن السَّفَرِ أَن يَأْتِيَهُ إِخْوَانُهُ فَيُسَلِّمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا خَرَجَ إِلَى سَفَرٍ أَن يَأْتِيهِمْ هُوَ فَيُؤْدِعُهُمْ وَيَطْلُبُ دُعَاهُمْ.  
**وقال عمر :** تَلَقَّوْا الْحَاجَّ وَلَا تُشْيِعُوهُمْ.

وأن يصلي صلاة الاستخاراة قبل سفره. وأن يتزور بالأذكار والأدعية المسنونة عند الخروج من المنزل، وعند ركوب الدابة، وعند مفارقة الوطن، وعند الوصول ودخول القرية أو المدينة. وأن يصاحب معه أشياءه التي تعينه على أمر دينه ودنياه. وأن يرجع بآداب الرجوع من السفر، ومنها الأدعية الخاصة بالرجوع. وأن يسرع في العودة إلى أهله بعد انتهاء مراده، وحسب مقتضيات الصحبة والجماعة. وأن يحمل هدية لأهل بيته وأولاده على قدر الممكن والمتاح.

واعلم أخي أن السفر غربة، والغربة ذلة، وليس للمؤمن أن يُذلّ نفسه إلا لطلب دينه؛ ذلك لأن عزة الدين قد لا تُنال إلا بذلة الغربة. ويحتاج الإنسان في سفره إلى علوم كان مستغنياً عنها في الحضر، كالعلم بمعرفة القِبلة وأوقات الصلاة؛ إذ قد يفقد الآلة التي تعينه عليها، وكما أنه يحتاج في إقامته إلى معرفة الطهارة والصلاحة والصوم وسائر العبادات، فلنرمه في السفر أن يعرف القدر الذي يخففه السفر، كالقصر والجمع والفتر.

**رخص السفر:** يحتاج الإنسان إذا سافر أن يعرف **الرُّخص الممنوحة له في السفر**:  
**في الطهارة:** في الغسل والوضوء رخصتان: المسح على **الخفين**، والتيمم بالتراب بدلاً من الماء عند العذر.

**في صلاة الفرض رخصتان:** القصر في صلوات الظهر والعصر والعشاء، الجمع في الصلاة بين الظهر والعصر في وقت أحدهما، بين المغرب والعشاء في وقت أحدهما، وترك الجمعة أيضاً من رخص السفر.

وفي النفل رخصتان: أداء النافلة راكباً على الراحلة، كالسيارة والقطار والطائرة، وليس له استقبال القبلة لا في ابتداء الصلاة ولا في دوامها، بل عليه متابعة الطريق، إلا إذا تيسّر له ذلك. وأداء النافلة مashi'a، حيث يومئ بالركوع والسجود ولا يقعد للتشهد؛ لأن ذلك يُبطل فائدة الرخصة، وحكمه حكم الراكب، لكن على أن يبدأ الصلاة متحرّياً القبلة برأسه، ولا يمشي في نجاسة، ولا رطب عمداً وإنْ بطلت صلاته، بخلاف الدابة فلا شيء في ذلك. ولكل هارب من عدو أو خائف من سيل أن يصلّي الفريضة نفسها راكباً أو مashi'a.

وفي الصوم رخصة واحدة: وهي الفطر، فإن أصبح مسافراً على عزم الصوم لم يلزمـهـ، بل له أن يُفطر إذا أرادـ. وقد يكونـ في حقـ بعض الناس سهولةـ في الصومـ، فالصومـ عندـ ذلكـ أفضلـ لهمـ منـ الفطرـ، كماـ أنـ القصرـ فيـ الصلاةـ أفضلـ منـ الإتمامـ؛ للخروجـ منـ الخلافـ.

فلا بدـ للمسافـرـ منـ تعلـمـ رُخصـ السـفـرـ، إلاـ إذاـ كانـ أمـيـاـ بـسيـطاـ، وـكانـ معـ عـالـمـ فيـ سـفـرـهـ يـقدـرـ عـلـىـ استـفـتـائـهـ عـنـ الـحـاجـةـ.

### (صلاة السفر)

السفر في اصطلاح الشرع: هو قطع مسافة تغير بها الأحكام من: قصر الصلاة، وجمعها، وإباحة الفطر في شهر رمضان، وامتداد مدة المسح على الخفين، وسقوط الجمعة والعيدين، وسقوط الأضحية عن المسافر، وسفر المرأة الحرة بلا محروم أو زوج.

مسافة السفر المعتبر شرعاً: السفر المعتبر شرعاً والذي تترتب عليه الأحكام الخاصة به هو ما يُعتبر سفراً في عرف الناس وعاداتهم.

وأصح ما ورد في مسافة القصر ما رواه أحمد ومسلم وأبو داود والبيهقي عن يحيى بن زيد قال: سألت أنس بن مالك عن قصر الصلاة فقال أنس رضي الله عنه: **كان النبي ﷺ إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو فراسخ يصلّي ركعتين** (أي: يقصر في الصلاة). وقال ابن حجر إنه أصح ما

ورد في بيان ذلك وأصرحه.

**وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فرسخاً يقصر الصلاة.**

والفرسخ ثلاثة أميال، وبين الحديث أن أقل مسافة قصر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة كانت ثلاثة أميال والفرسخ ٥٤١ مترًا والميل ١٥٨٤ مترًا. انتهى.

وذهب مالك والشافعي وأحمد وجماعة كثيرة إلى أن الصلاة تقصير فيما يساوي بحساب اليوم حوالي: ثمانين كيلو، ونصف الكيلو متر، ومائة وأربعين مترًا.

وذكر في فقه السنة نقلًا عن كتاب المغني ما يفيد أن ما ذهب إليه الفقهاء من اشتراط السفر الطويل لجواز القصر - لا حجة لهم فيه مع الاختلاف والتعارض في أقوال الصحابة، وأنه قد روي عن ابن عمر وابن عباس خلاف ما قاله الفقهاء، ثم قال: إن ما ذكروه مخالف لسنة النبي ولظاهر القرآن الذي أباح القصر لمن ضرب في الأرض، ثم قال إن السنة مع من أباح القصر لكل مسافر؛ حيث لم ينعقد إجماع على خلاف ذلك، ويستوي في ذلك السفر في الطائرة أو القاطرة.

ومن كان عمله يقتضي السفر دائمًا مثل قائد الطائرات ومضيفيها وسائقيه النقل ومن في شاكتلتهم فإنه يرخص له القصر والفتر لأنه مسافر حقيقة.

### **قصر الصلاة في السفر:** اختلف الفقهاء في حكم قصر الصلاة في السفر:

قالت طائفة: إن القصر واجب. وقالت طائفة: إنه سُنة مؤكدة. وقالت طائفة أخرى: إنه جائز والقصر أفضل من الإتمام. ومنهم من رأى رخصة، وكل هذا في سفر الطاعة، كالحج والجهاد، وكذلك السفر المباح، كالتجارة أو الزواج، أما سفر المعصية فلا يجوز فيه القصر.

ولا يبدأ المسافر قصر الصلاة إلا إذا فارق بيته القرية أو المدينة التي يعيش فيها، كذلك لا يُتم صلاته عند عودته إلا إذا دخل بيته قريته أو مدنته. وللضواحي حكم البلد، فعليه

أن يفارق بيته كذلك. وللمسافر أن يقصر الصلاة ما دام مسافراً، فإذا أقام لحاجةٍ يتضررها ولم يعلم متى تنقضي فله أن يقصر الصلاة ولو بقي سنين. وقيل: إن نوى الإقامة مدةً معينة (أي: خمسة عشر يوماً مثلاً) يُتم الصلاة عند الأحناف. وقيل: إن نوى أربعة أيام غير يوم السفر والانصراف أتَم الصلاة. وقال ابن القِيم: إن الإقامة لا تُخرج عن حكم السفر، سواء طالت أم قصرت، ما لم يستوطن المكان الذي أقام فيه (أي: يسكن فيه ويتخذه وطناً). وانتصر لرأيه فقال: أقام رسول الله ﷺ بتبوك عشرين يوماً يقصر الصلاة ولم يقل للأمة لا يقصر الرجل الصلاة إذا أقام أكثر من ذلك، ولكن اتفق إقامته هذه المدة.

وهذه الإقامة في حال السفر لا تخرج عن حكم السفر سواء أطالت أم قصرت إذا كانت ليست وطناً له ولا عازماً على الإقامة بها. وهكذا اختلف السلف والخلف اختلافاً كثيراً. وإذا اقتدى المسافر بمقيم فعليه أن يُتم الصلاة.

والمفتي به في مصر أنه يجوز للمسافر أن يقصر الصلاة إذا بلغ مسافة القصر وهي ٥ كيلومتراً، ومعناه أنه يصلبي الرباعية (الظهر والعصر والعشاء) ركعتين، والقصر غير لازم للجمع، فيمكن للمسافر أن يقصر الصلاة دون أن يجمعها، وصلاتاً الصبح والمغرب لا تقتصران، وأن يجمع بين الظهر والعصر فيصليهما في وقت أيهما شاء، وكذلك المغرب والعشاء يجمع بينهما فيصليهما في وقت أيهما شاء، ويجوز للمسافر أن يجمع مع قصر الرباعية، ويجوز له أن يجمع مع الإتمام من غير قصر.

فإن جمع المسافر جمع تأخير فعليه أن ينوي قبل خروج وقت الصلاة الأولى أنه يجمعها تأخيراً مع وقت الصلاة الثانية.

والمسافر إذا صاح سفره يظل على حكم السفر فيما يخص الصلاة من قصر وجمع، ولا يتغير هذا الحكم إلا إذا نوى الإقامة، أو دخل وطنه، فحيثئذ تزول حالة السفر، ويصبح مقيماً تطبق عليه أحكام المقيم، والمدة المعتبرة في الإقامة هي أربعة أيام غير يومي الدخول والخروج، فإذا نوى الإقامة أربعة أيام فأكثر غير يومي الدخول والخروج يتم صلاته ولا يجمعها، ويبدأ التعامل كمقيم من أول يوم بعد يوم الوصول، وأما إن نوى لإقامة أقل من ذلك أو لم ينوي، فيظل على رخصة القصر والجمع إلى أن يتم أربعة أيام،

ولا يحسب من الأيام يوماً الوصول والرجوع.

**فالرخصة أن يجمع ويقصر (٢٠) صلاة** (أربعة أيام بليالهن) إن نوى الإقامة هذه المدة فأقل، أما إن نوى أكثر من ذلك فيتم من أول يوم بعد يوم الوصول. ولو لم ينوي المسافر الإقامة بعد وصوله، وكانت له حاجة يتوقع انقضاءها في أي وقت، وأنه متى قضيت رجع من سفره ولم ينوي الإقامة، فله أن يقصر الصلاة ثمانية عشر يوماً صحاحاً.

**متى يبدأ القصر في الصلاة:** المعتبر عند الحنابلة هو كون الصلاة في السفر أو في الحضر في أول الوقت، وفي آخر الوقت عند غيرهم من الفقهاء. وعلى هذا فمَنْ بَدَا السُّفَرَ قَبْلَ الْمَغْرِبِ وَلَمْ يَكُنْ قَدْ صَلَّى الْعَصْرَ، فَإِنَّهُ يُصْلِّي الْعَصْرَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ عَنْهُ حَذْرَةً؛ لِأَنَّهُ أَدْرَكَ الْعَصْرَ فِي الْحَضَرِ وَهُوَ مُقِيمٌ.

وعند غيرهم من الفقهاء يُصلّي العصر ركعتين؛ لأن العبرة بآخر الوقت.

**مفارقة المسافر بحراً:** مَنْ كَانَ إِقَامَتِهِ فِي بَلْدَ سَاحِلِيَّةٍ عَلَى الْبَحْرِ، وَأَرَادَ أَنْ يَسْتَقْلُ سَفِينَةً فِي سَفَرِهِ فَالْمُعْتَبَرُ لِتَحْقِيقِ الرِّخْصَةِ هُوَ مَجاوِزَةُ هَذِهِ السَّفِينَةِ وَبُعْدُهَا عَنِ الْبَلْدِ وَمَجاوِزَةُ الْعَمَرَانِ، فَإِنْ كَانَتْ رَاسِيَّةً عَلَى مَسَافَةٍ وَاحِدَةٍ لِلْمَسَافِرِ إِلَى زُورَقٍ لِلِّاِنْتِقَالِ إِلَيْهَا فَإِنَّ الرِّخْصَةَ تَبْدَأُ لَهُ مِنْ مَغَادِرَةِ الزُورَقِ وَرَكُوبِ السَّفِينَةِ، إِلَّا إِذَا كَانَتْ طَبِيعَةُ عَمَلِهِ تَقتَضِي ذَلِكَ، بَأْنَ يَذْهَبُ وَيَعُودُ إِلَيْهَا، فَلِيُسَلِّمْ لَهُ أَنْ يَأْخُذُ بِالرِّخْصَةِ.

**مفارقة المسافر جواً:** من سافر مستقلاً بالطائرة، فالمفارة المعتبرة له إن تجاوزت الطائرة العمران، وعند الهبوط لا يزال في سفر حتى تحاذى الطائرة العمران إذا كان المطار داخل البلد.

**المطارات والموانئ:** إذا كان المطار أو الميناء خارج المدينة وقد فارق العمران فإن للمسافر حينئذ أن يأخذ بالرخص، أما إذا كان داخلاً لها فلا يحصل به الترخيص إلا ما سبق من ركوب الطائرة أو السفينة على النحو الذي ذكر من قبل. ومن كان مسافراً ولكن على لائحة الانتظار، أو خرج مُوَدِّعاً أو يفكر في السفر مع أصحابه فلا يجوز له الترخيص.

وذهب جمهور العلماء إلى عدم كراهة التنفل - صلاة التطوع - في السفر، لا فرق بين السنن الراتبة وغيرها. **ولم يترك النبي ﷺ صلاة ركعتي الفجر والوتر وصلاة الليل في سفرٍ** ابن خزيمة في صحيحه (٢٤٨) برق (١٢٦١). ولا بأس بالسفر يوم الجمعة ما لم تحضر الصلاة بأن يؤذن لها، فإن أذن لها حرم السفر وترك الجمعة.

\* \* \*

## ١٦٦- باب استحباب الخروج يوم الخميس

### واستحبابه أول النهار

**(٩٥٦/١٦٦)** عن كعب بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ خرج في غزوة تبوك يوم الخميس، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس. منفق عليه.

وفي رواية في الصحيحين: لقلما كان رسول الله ﷺ يخرج إلا في يوم الخميس.

**(٩٥٧/١٦٦)** وعن صخر بن وَدَاعَةَ الْغَامِدِيِّ الصَّحَابِيِّ رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ باركْ لِأَمْتَنِي فِي بُكُورِهَا (أي: الخروج في أول النهار)». وكان إذا بعث سرية أو جيشاً بهم من أول النهار. وكان صخر تاجرًا، فكان يبعث تجارةه أول النهار، فأتى (أي: صار ذاته) وكثير ماله. رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن».

## ١٦٧- باب استحباب طلب الرفقة

### وتأميرهم على أنفسهم واحداً يطيعونه

**(٩٥٨/١٦٧)** عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ النَّاسَ يَعْلَمُونَ مِنَ الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ، مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلِيلٍ وَحْدَهُ!». رواه البخاري.

**(٩٥٩/١٦٧)** وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ، وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانٌ، وَالثَّالِثَةُ رَكْبٌ». رواه أبو داود والترمذى والنمسائى بأسانيد صحيحه، وقال الترمذى: « الحديث حسن ».

**(٩٦٠/١٦٧)** وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهمَا قالا: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيَؤْمِرُوا أَحَدَهُمْ». حديث حسن، رواه أبو داود بأسانيد حسن.

(١٦٧ / ٩٦١) وعن ابن عباس رض: عن النبي صل قال: «خَيْرُ الصَّحَابَةِ (أي: جمع صاحب) أَرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ السَّرَايَا (أي: السرايا): جمع السرية، وهي طائفة من الجيش، وسميت بذلك لأنها كانت تسرى بالليل» أَرْبَعُ مِائَةٍ، وَخَيْرُ الْجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، وَلَنْ يُغْلِبَ إِنْثَا عَشَرَ آلَافًا مِنْ قِلَّةٍ (أي: ليس بسبب القلة)». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن».

## ١٦٨ - بَابُ أَدَابِ السَّيْرِ وَالنَّزُولِ وَالْمَبْيَتِ وَالنَّوْمِ فِي السَّفَرِ، وَاسْتِجَابَ السَّرِّي وَالرَّفْقَ بِالدَّوَابِ وَمَرَاعَاةِ مَصْلِحَتِهَا، وَأَمْرٌ مِنْ قَصْرٍ فِي حَقِّهَا بِالْقِيَامِ بِحَقِّهَا، وَجُوازُ الِإِرْدَافِ عَلَى الدَّابَّةِ إِذَا كَانَتْ تَطْيِيقَ ذَلِكَ

(١٦٨ / ٩٦٢) عن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله صل: «إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْخَصْبِ، فَأَعْطُوا الْإِبَلَ حَظَّهَا (أي: حقها من نبات الأرض) مِنَ الْأَرْضِ، وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْجَدْبِ (أي: القحط؛ وهو المكان الذي لا زرع فيه ولا ضرع)، فَأَسْرِعُوا عَلَيْهَا السَّيْرَ، وَبَادِرُوا بِهَا نِقْيَهَا، وَإِذَا عَرَّسْتُمْ فَاجْتَبِبُوا الطَّرِيقَ؛ فَإِنَّهَا طُرُقُ الدَّوَابَّ، وَمَأْوَى الْهَوَامِ (أي: جمع هامة: كل ما له سم يقتل كحيه وقد يطلق على ما لا يقتل كالحشرات) بِاللَّيْلِ». رواه مسلم.

معنى «أَعْطُوا الْإِبَلَ حَظَّهَا مِنَ الْأَرْضِ» أي: ارْقُوا بِهَا فِي السَّيْرِ لِتَرْعَى فِي حَالِ سَيْرِهَا. وقوله: «نِقْيَهَا» هو بكسر النون وإسكان القاف وبالباء المثنية من تحت، وهو المُخُّ، معناه: أَسْرِعُوا بِهَا حَتَّى تَصْلُوا الْمَقْصِدَ قَبْلَ أَنْ يَدْهَبَ مُخُّهَا مِنْ ضَنْكِ السَّيْرِ. و«الْتَّغْرِيسُ»: التَّرْوُلُ فِي اللَّيْلِ.

(١٦٨ / ٩٦٣) وعن أبي قتادة رض قال: كانَ رَسُولُ اللهِ صل إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ، فَعَرَسَ (أي: بات) بِلَيْلٍ اضطَاجَعَ عَلَى يَمِينِهِ، وَإِذَا عَرَسَ قُبِيلَ الصُّبْحِ نَصَبَ ذِرَاعَهُ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى كَفِهِ. رواه مسلم.

قال العلماء: إنما نصب ذراعه لئلا يسْتَعْرِقَ فِي النَّوْمِ، فَتُفْتوَتْ صَلَاةُ الصُّبْحِ عَنْ وَقْتِهَا أَوْ عَنْ أَوْلَ وَقْتِهَا.

(١٦٨ / ٩٦٤) عن أنس رض قال: قال رسول الله صل: «عَيْنُكُمْ بِالدُّلْجَةِ، فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ». رواه أبو داود بأسناد حسن. «الدُّلْجَةُ: السَّيْرُ فِي اللَّيْلِ».

(١٦٨ / ٩٦٥) وعن أبي ثَلَاثَةِ الْحَشَنِيِّ رض قال: كانَ النَّاسُ إِذَا نَزَّلُوا مُنْزَلًا تَفَرَّقُوا فِي الشَّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صل: «إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشَّعَابِ (أي: الشعاب: جم الشعب،

وهو الطريق في الجبل، أو ما انفجَرَ بين الجبلين) **والاُوديَة** (أي: مسيل ماء المطر مما بين الجبلين) إنما ذِلْكُم مِنَ الشَّيْطَانِ!». فَلَمْ يَتَرْلُوا بَعْدَ ذَلِكَ مَتْرِلًا إِلَّا انْصَمَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. رواه أبو داود

ياسناد حسن.

(٩٦٦) **وَعَنْ سَهْلِ بْنِ عُمَرَ - وَقَالَ**: سهل بن الريبع بن عمرو الأنصاري المعروف بابن الحنظلي، وهو من أهل بيعة الرضوان رضي الله عنه. قال: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَيْرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ، فَقَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعَجَّمَةِ» (أي: التي لا تقدر على النطق فتشكت ما أصابها من جوع وعطش)، فَازْكَبُوهَا صَالِحَةً (أي: صالحة للركوب قوية على المشي بالراكب)، وَكُلُّوْهَا صَالِحَةً (أي: حال كونها سمينة). رواه أبو داود ياسناد صحيح.

(٩٦٧) **وَعَنْ أَبِي جَعْفَرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرَ رضي الله عنه قَالَ**: أردفني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم خلفه، وأسرَ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أَحَدْثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحاجَتِهِ هَدَفُ (أي: ما ارتفع من أرض أو بناء) أَوْ حَائِشُ (أي: نخل مجتمع ملتف كأنه لاتفاقه يحوش بعضه البعض) نَخْلٌ. يعني: حَائِطَ نَخْلٌ. رواه مسلم هكذا مختصرًا.

وَزَادَ فِي الْبَرْ قَانِي يَاسِنَادُ مُسْلِمٍ بَعْدَ قَوْلِهِ: حَائِشُ نَخْلٌ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا فِيهِ جَمْلٌ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرْجَرَ (أي: رد صوته في حنجرته عند الضجر) وَذَرَفَتْ (أي: دمعت) عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ سَرَاطَهُ - أَي: سِنَامَهُ - وَذَرَفَاهُ فَسَكَنَ، فَقَالَ: «مَنْ رَبُّ (أي: من صاحب) هَذَا الْجَمَلَ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟» فَجَاءَ فَتَّى مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: هَذَا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «أَفَلَا تَتَقَرَّبُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؟ فَإِنَّهُ يَشْكُو إِلَيَّ أَنَّكَ تُحْيِيْهُ وَتُؤْبِهُ». رواه أبو داود كرواية البرقاني.

**قَوْلُهُ «ذُرْفَاهُ»**: هو بكسر الذال المعجمة وإسكان الفاء، وهو لفظ مفرد مؤنث. قال أهل اللغة: الدُّرْقَى: الموضع الذي يَعْرُقُ مِنَ الْبَعِيرِ خَلْفَ الْأَذْنِ. وَقَوْلُهُ: «تُدْبِهُ» أي: تُتعَبِّهُ.

(٩٦٨) **وَعَنْ أَنْسِ رضي الله عنه قَالَ**: كُنَّا إِذَا نَزَلْنَا مَتْرِلًا، لَا نُسَبِّحُ حَتَّى تَحُلَ الرِّحَالُ (أي: جمع رحل وهو ما يوضع على ظهر البعير للركوب). رواه أبو داود ياسناد على شرط مسلم. وَقَوْلُهُ: «لَا نُسَبِّحُ» أي: لا نُصلِّي النافلة، ومعناه: أنا - مع حرسنا على الصلاة - لا نقدمها على حط الرحال وإراحة الدواب.

## ١٦٩- باب إعانة الرفيق

في الباب أحاديث كثيرة تقدمت:

كحديث: «وَاللَّهُ فِي عَوْنَى الْعَبْدُ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنَى أَخِيهِ».

وحديث: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ». وَأَشْبَاهُهُمَا.

(١٦٩ / ٩٦٩) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: يَنِمَّا نَحْنُ فِي سَفَرٍ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ (أي: مَكَانٌ عَلَى دَابِّهِ زَادَ عَلَى حَاجَتِهِ) فَلْيَعْدُ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ زَادَ فَلْيَعْدُ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ». فَدَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرُهُ، حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ. رواه مسلم.

(١٦٩ / ٩٧٠) وعن جابر رضي الله عنه: عن رسول الله صلوات الله عليه: أنه أراد أن يغزو فقال: «يا معاشر المهاجرين والأنصار، إن من إخوانكم قوماً ليس لهم مال، ولا عشيرة، فليضم أحدهم كم إليه الرجلى أو الثلاتة، فما لأحدنا من ظهر يحمله إلا عقبة» (أي: ركوب مركب واحد بالنوبة) كعقبة. يعني أحدهم، قال: فضممت إلبي اثنين أو ثلاثة ما لي إلا عقبة كعقبة أحد هم من جملي. رواه أبو داود.

(١٦٩ / ٩٧١) عنه قال: كان رسول الله صلوات الله عليه يتخلّف في المسير، فـويزجي (أي: يسوقه ليلاً) بالرفاق) الضّعيف، وـويردف (أي: يركبه خلفه) وـويدعوه له. رواه أبو داود بساند حسن.

## ١٧٠- باب ما يقول إذا ركب دابة للسفر

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكِ وَالْأَنْعَمَ مَا تَرَكُبُونَ ﴾١٢﴾ لِتَسْتَوُا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا بِعِمَّةِ رَيْنِكُمْ إِذَا أَسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ اللَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كَنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ [الزخرف: ١٢، ١٣].

(١٧٠ / ٩٧٢) وعن ابن عمر رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه كَانَ إِذَا أَسْتَوَى عَلَى بَعِيرٍ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ، كَبَرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كَنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْتَقِلُّونَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبَرَّ (أي: الإحسان إلى الناس أو من الله إلينا) وَالْتَّقْوَى (أي: امتحان الأوامر واجتناب النواهي)، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضِي، اللَّهُمَّ هَوْنَ (أي: يسر) عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطُو (أي: فربه لنا وسهل السير) عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ،

والخَلِفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَغْنَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ (أي: كل ما يسوءني النظر إليه في الأهل والمال كموت أو مرض أو تلف)، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالوَلَدِ». وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «**آيُونَ** (أي: راجعون من السفر بالسلامة إلى الوطن)، **تَائِبُونَ**، **عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»». رواه مسلم.**

**مَعْنَى «مُقْرِنِينَ»: مُطْبِقِينَ. و«الْوَعْنَاءُ»: بَنْطِ الْوَادِي وَإِسْكَانِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَبِالثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ وَبِالْمَدِ، وَهِيَ: الشَّدَّةُ. و«الْكَآبَةُ» بِالْمَدِ، وَهِيَ: تَغْيِيرُ النَّسَسِ مِنْ حُزْنٍ وَنَحْوِهِ. و«الْمُنْقَلَبُ»: الْمَرْجُعُ.**

(٩٧٣) / ١٧٠) وعن عبد الله بن سرجس رض قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْنَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَالْحَوْرُ بَعْدَ الْكَوْنِ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ. رواه مسلم. هكذا هو في «صحيف مسلم»: «الْحَوْرُ بَعْدَ الْكَوْنِ» بالنون، وكذا رواه الترمذى والنسائى، قَالَ الترمذى: وَبِرَوَى: «الْكَوْرُ» بِالرَّاءِ، وَكِلَاهُمَا لَهُ وَجْهُهُ. قَالَ الْعَلَمَاءُ: وَمَعْنَاهُ بِالنُّونِ وَالرَّاءِ جَمِيعًا: الرُّجُوعُ مِنَ الْاسْتِقْدَامَةِ أَوِ الرِّيَاكَةِ إِلَى النَّقْصِ. قَالُوا: وَرَوَاهُ إِلَيْهِ الرَّاءُ مَأْخُوذٌ مِنْ تَكْبِيرِ الْعَمَامَةِ وَهُوَ لَفْهَا وَجَمْعُهَا. وَرَوَاهُ النُّونُ، مِنَ الْكَوْنِ، مَصْدُرُ كَانَ يَكُونُ كَوْنًا: إِذَا وُجِدَ وَاسْتَقَرَ». (أي: كار عماته إذا لفها، وحارها إذا تقضها، والمعنى: نَوْذِبُكَ مِنْ أَنْ تَفْسِدْ أَمْوَالُنَا بَعْدِ صَلَاحِهَا كَفْسَادِ الْعُمَامَةِ بَعْدِ اسْتِقْدَامِهَا عَلَى الرَّأْسِ)

(٩٧٤) / ١٧٠) وعن عليٍّ بن ربيعة قَالَ: شَهِدْتُ عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رض، أَتَيَ بِدَابَّةً لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رَجْلَهُ فِي الرِّكَابِ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، فَلَمَّا أَسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمْنُقَلِّبُونَ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، ثَلَاثَ مَرَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، ثَلَاثَ مَرَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، ثُمَّ ضَحِّكَ، فَقَيْلَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِّكتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَ كَمَا فَعَلْتُ ثُمَّ ضَحِّكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِّكتَ؟ قَالَ: «إِنَّ رَبَّكَ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن» وفي بعض النسخ: «حسن صحيح». وهذا لفظ أبي داود.

## ١٧١- باب تكبير المسافر إذا صعد الثناء وشبهها

وتسبيحه إذا هبط الأودية ونحوها

والنهي عن المبالغة برفع الصوت بالتكبير ونحوه

(٩٧٥) / ١٧١) عن جابر رض قَالَ: كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا. رواه البخارى.

١٧١ / ٩٧٦) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجِيُوشُهُ إِذَا عَلَوْا الشَّأْيَا كَبَرُوا، وَإِذَا هَبَطُوا سَبَّحُوا. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

١٧١ / ٩٧٧) وعنـه قـالـ: كـانـ النـبـيـ صـلـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـيـدـهـ إـذـا قـفـلـ (أـيـ: رـجـعـ) مـنـ الـحـجـ أوـ الـعـمـرـةـ، كـلـمـاـ أـوـفـىـ عـلـىـ شـيـةـ أـوـ فـدـدـ كـبـرـ ثـلـاثـاـ، ثـمـ قـالـ: لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللـهـ وـحـدـهـ لـاـ شـرـيكـ لـهـ، لـهـ الـمـلـكـ وـلـهـ الـحـمـدـ، وـهـوـ عـلـىـ كـلـ شـيـءـ قـدـيرـ. آيـونـ، تـائـبـونـ، عـابـدـونـ، سـاجـدـونـ، لـرـبـنـا حـامـدـونـ، صـدـقـ اللـهـ وـعـدـهـ، وـنـصـرـ عـبـدـهـ، وـهـزـمـ الـأـحـزـابـ وـحـدـهـ». مـنـقـ عـلـيـهـ.

وفي رواية لمسلم: إِذَا قَفَلَ مِنَ الْجُيُوشِ أَوِ السَّرَايَا أَوِ الْحَجَّ أَوِ الْعُمَرَةِ.

قوله: «أُوفِي» أي: أُرْتَقَعَ. وَقوله: «فَدْفَدَ» هُوَ بفتح الفاءين بينهما دال مهملة ساكنة، وآخره دال آخرى وَهُوَ: الغَلَطُ الْمُرْتَقَعُ مِنَ الْأَرْضِ.

١٧١ / ٩٧٨) وعن أبي هريرة رض: أنَّ رجلاً قالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْافِرَ فَأَوْصِنِي.  
قَالَ: «عَلَيْكَ بِتَقْوَىِ اللَّهِ، وَالْتَّكْبِيرِ عَلَىٰ كُلِّ شَرْفٍ (أَيِّ: هُوَ كُلُّ مَكَانٍ مُرْتَفَعٌ)». فَلَمَّا وَلَّى  
الرَّجُلُ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اطْوِ (أَيِّ: قُربَ) لَهُ الْبَعْدَ، وَهَوْنَ (أَيِّ: سَهْلٌ) عَلَيْهِ السَّفَرَ». رواه الترمذى، وقال:  
«حديث حسن».

(١٧١ / ٩٧٩) وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر، فكنا إذا أشرفنا على وادٍ هَلَّنَا وَكَبَرَنَا وَارتفعَتْ أصواتُنا، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا أيها النَّاسُ، ارْبِعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصْمَمَ وَلَا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ». متفق عليه.

﴿أَرْبَعُوا﴾ بفتح الباء الموحدة، أي: ارْفُقُوا بِأَنْفُسِكُمْ.

• • •

## ١٧٢- باب استحباب الدعاء في السفر

(٩٨٠ / ١٧٢) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ لَا شَكَ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ». رواه أبو داود والترمذى، وقال: ( الحديث حسن). وليس في رواية أبي داود: «عَلَى وَلَدِهِ».

### ١٧٣- باب ما يدعوه به إذا خاف ناساً أو غيرهم

(٩٨١ / ١٧٣) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ» (أي: نُسألكَ أَنْ تَحُولَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ وَتَكْفِنَا أَمْرَهُمْ)، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ». رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح.

### ١٧٤- باب ما يقول إذا نزل منزلة

(٩٨٢ / ١٧٤) عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ نَزَّلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرِّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ». رواه مسلم.

(٩٨٣ / ١٧٤) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَافَرَ فَأَقْبَلَ اللَّيلَ قَالَ: «يَا أَرْضُ، رَبِّي وَرَبِّكَ اللَّهُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكَ وَشَرِّ مَا فِيهِ، وَشَرِّ مَا خُلِقَ فِيهِ، وَشَرِّ مَا يَدْبُ عَلَيْكَ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ أَسَدٍ وَأَسْوَدٍ، وَمِنَ الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ، وَمِنْ سَاكِنِ الْبَلَدِ، وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ». رواه أبو داود.

وَالْأَسْوَدُ»: الشَّخْصُ. قَالَ الْخَطَّابِيُّ: «سَاكِنُ الْبَلَدِ»: هُمُ الْجِنُّ الَّذِينَ هُمْ سُكَّانُ الْأَرْضِ. قَالَ: وَالْبَلَدُ مِنَ الْأَرْضِ: مَا كَانَ مَأْوَى الْحَيَوانِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ بَنَاءٌ وَمَنَازِلُ. قَالَ: وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَاذَ: «بِالْوَالِدِ» إِبْلِيسُ: «وَمَا وَلَدَ»: الشَّيَاطِينُ.

### ١٧٥- باب استحساب المسافر في الرجوع إلى أهله

#### إذا قضى حاجته

(٩٨٤ / ١٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهَمَتَهُ مِنْ سَفَرِهِ، فَلْيَعْجِلْ إِلَى أَهْلِهِ». متفق عليه. نهَمَتَهُ: مقصوده.

### ١٧٦- باب استحساب القدوم على أهله نهاراً

#### وكراحته في الليل لغير حاجة

(٩٨٥ / ١٧٦) عن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمُ الْغَيْبَةَ فَلَا يَطْرُقَنَّ أَهْلَهُ لَيْلًا».

وفي رواية: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ نَهَى أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلًا. متفق عليه.

(١٧٦ / ٩٨٦) وعن أنسٌ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه لَا يَطْرُقُ أَهْلَهُ لَيْلًا، وَكَانَ يَأْتِيهِمْ غُدْوَةً أَوْ عَشِيَّةً. متفق عليه. **«الطُّرُوقُ»:** المَحْجُوْفُ الْلَّيلُ.

## ١٧٧- باب ما يقول إذا رجع وإذا رأى بلدته

فِيهِ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ السَّابِقِ فِي بَابِ تَكْبِيرِ الْمَسَافِرِ إِذَا صَعَدَ الشَّنَائِيَا.

(١٧٧ / ٩٨٧) وعن أنسٌ رضي الله عنه قَالَ: أَفْلَمْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلوات الله عليه حَتَّى إِذَا كُنَّا بِظَهْرِ الْمَدِينَةِ، قَالَ: «آئُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ». فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ. رواه مسلم.

## ١٧٨- باب استحباب ابتداء القادم بالمسجد الذي في جواره

### وصلاته فيه ركتعين

(١٧٨ / ٩٨٨) عن كعب بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ. متفق عليه.

## ١٧٩- باب تحريم سفر المرأة وحدها

(١٧٩ / ٩٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «لَا يَحِلُّ لِأَمْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةً إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ عَلَيْهَا». متفق عليه.

(١٧٩ / ٩٩٠) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلوات الله عليه يَقُولُ: «لَا يَحْلُونَ رَجُلٌ بِأَمْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَمْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَةً، وَإِنِّي أَكْتَبْتُ فِي غُزْوَةٍ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: «أَنْطِلِقْ فَحُجَّ مَعَ أَمْرَأَتِكَ». متفق عليه.

\* \* \*

## ٨- كتاب الفضائل

### ١٨٠- باب فضل قراءة القرآن

(١٨٠ / ٩٩١) عن أبي أمامة رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه يَقُولُ: «أَقْرِءُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ». رواه مسلم.

(١٨٠ / ٩٩٢) وعن النَّوَاسِ بْنَ سَمْعَانَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ صلوات الله عليه وسلامه يقول: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْقُرْآنِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمَرَانَ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا». رواه مسلم.

(١٨٠ / ٩٩٣) وعن عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلوات الله عليه وسلامه: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعْلَمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ». رواه البخاري.

(١٨٠ / ٩٩٤) وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلوات الله عليه وسلامه: «الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ (أي: الملائكة) الْكَرَامُ الْبَرَّةُ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَسْتَعْتِمُ (أي: يتلهم في تلاوته لضعف قدرته على القراءة) فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌ لَهُ أَجْرٌ (أي: أجر بالقراءة، وأجر بستعنه في تلاوته ومشكنته)». متفق عليه.

(١٨٠ / ٩٩٥) وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلوات الله عليه وسلامه: «مَثُلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثُلُ الْأَتْرَجَةِ (أي: ثُمُر طَيْبُ الطَّعْمِ وَالرَّائحةِ): رِيحُهَا طَيْبٌ وَطَعْمُهَا طَيْبٌ، وَمَثُلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثُلِ التَّمَرَةِ: لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلُوٌّ، وَمَثُلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثُلِ الرَّيْحَانَةِ: رِيحُهَا طَيْبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثُلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثُلِ الْحَنْظَلَةِ: لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ». متفق عليه.

(١٨٠ / ٩٩٦) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وسلامه قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَاماً وَيَضْعِفُ بِهِ آخَرِينَ». رواه مسلم.

(١٨٠ / ٩٩٧) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: عن النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلامه قال: «لَا حَسَدَ (أي: الغبطة أو الحسد المحمود) إِلَّا في اثنتين: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقْرُؤُهُ بِهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَأَنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يَنْفِقُهُ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَأَنَاءَ النَّهَارِ». متفق عليه. والآتَاهُ: السَّاعَاتُ.

(١٨٠ / ٩٩٨) وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ، وَعِنْدَهُ فَرْسٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّهُ (أي: غطته) سَحَابَةٌ فَجَعَلَتْ تَدُنُّ (أي: تقترب)، وَجَعَلَ فَرْسُهُ يَنْفِرُ مِنْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ صلوات الله عليه وسلامه فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «إِنَّكَ السَّكِينَةَ تَنَزَّلُتْ لِلْقُرْآنِ». متفق عليه. الشَّطَنُ بفتح الشين المعجمة والطاء المهملة: الحَبْلُ.

(١٨٠ / ٩٩٩) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلوات الله عليه وسلامه: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَمْ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: ﴿الْمَلَكُ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ: أَلْفُ حَرْفٌ، وَلَامٌ

**حُرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٨٠ / ١٠٠) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: **«إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِّنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْحَرِبِ»**. رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٨١ / ١٠٠) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: عن النبي صلوات الله عليه وسلم قال: **«يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرأْ وَارْتَقِ** (أى: ارتفع إلى درجات الجنة) **وَرَتَّلْ** (أى: اقرأ بالترتيل ولا تستعجل بالقراءة) **كَمَا كُنْتَ تُرْتَلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ** (أى: مكانتك ودرجتك) **عِنْدَ آخِرِ آيَةِ تَقْرُئُهَا»**. رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حسن صحيح».

\* \* \*

### (تلاوة القرآن)

**القرآن**: هو الكتاب المُنَزَّل على الرسول صلوات الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة. ويراد بترتيل القرآن: تلاوته تلاوة تبين حروفه ليكون أدنى إلى فهم المعانى. قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: **«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُقْرَأَ الْقُرْآنُ كَمَا أَنْزَلَهُ»**. المتقي الهندي في كنز العمال

(٢/ ٢٣) برقم (٣٠٦٩) وعزاه للسجزي في الإيابة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: **﴿هُوَ زَادُ عَلَيْهِ وَرَتَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾** [المزمول: ٤]: معناه: يبّنه. وقال مجاهد في نفس الآية: أى تأنّ فيه. وقال الضحاك : : وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: تَبَثَّتَ فِي قِرَاءَتِكَ، وَتَمَهَّلَ فِيهَا، وَفَصَلَ الْحِرْفَ مِنَ الْحِرْفِ الَّذِي بَعْدَهُ.

**القراءة والتلاوة والأداء**: التلاوة خاصة بالقرآن الكريم، والأداء هوأخذ القرآن عن مشايخه، والقراءة هي العمل، وتشمل الأداء والتلاوة. قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: **«رَيَّنَا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»** أحمد في مستنده (٤ / ٢٨٣) برقم (١٨٥١٧).

وقال ابن بطال : : أراد به المدّ والترتيل والمهارة في القرآن وجودة التلاوة بجودة الحفظ، فلا يتلعم ولا يتشكك، وتكون قراءة سهلة بتيسير الله تعالى كما يسره على الكرام البررة.

وحسن الصوت مطلوب، فإن لم يكن حسناً فليحسنْ ما استطاع، حيث يراعي فيه قوانين النَّغْم ليزداد بذلك حسناً ويتجنب الممنوع من حمرة التلاوة.

**وأتفق أهل التجويد على أن للقراءة ثلاثة مراتب:** وهي الترتيل والحدْر والتدوير، ثم أضاف البعض مرتبة رابعة وهي التحقيق، وزاد آخرون مرتبة خامسة سمّوها الزمزمة.

**أولاً: الترتيل:** إن المطلوب من قراءة القرآن هو القراءة بتؤدة واطمئنان، وإخراج كل حرفٍ من مخرجه، وإعطاؤه حقه ومستحقه مع تدبر المعاني.

ويقصد بالمستحق: ما يعرض له في التركيب، مثل الإخفاء والإدغام، وما إلى ذلك.

**ثانياً: الحَدْر:** وهو أسرع قليلاً من الترتيل، مع مراعاة أحكام التجويد من إظهار وإدغام ووقف، إلى آخر الأحكام. قال الأهوazi: أما الحَدْر فإنه القراءة السهلة السمححة، العذبة الأنفاظ، التي لا تخرج القارئ عن طباع العربِ العرباء، وعما تكلمت به الفصحاء، وروايته عن إمام من أئمة القراء.

**ثالثاً: التدوير:** وهو التوسط بين الحَدْر والترتيل، وهو الذي ورد عن أكثر الأمم.

**رابعاً: التحقيق:** وهي مرتبة مُستقلة من مراتب التلاوة، وإن ذهب آخرون إلى أنه نوعٌ من الترتيل. والتحقيق عند علماء التجويد هو إعطاء الحروف حقها من: إشباع المد، وتحقيق الهمز، وإتمام الحركات، وتوفيقية العنَّات، وتفكك الحروف ببيانها وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترسل والتؤدة والوقف، والإitan بالإظهار والإدغام على وجهه، وهو الذي يستحسن ويُستحب الأخذ به للمتعلمين، من غير أن يتجاوز به إلى حد الإفراط.

ذكر بعض العلماء أن التحقيق كقراءة يكون للرياضة والتعليم، وأما الترتيل يكون للتدبُّر والتفكير والاستنباط.

**خامساً: الزمزمة:** هي القراءة المُتعلقة بطول النفس خاصةً.

ولكن أيهما أفضل وأولى: هل هو الترتيل مع قلة القراءة، أو السرعة مع كثرة القراءة؟

قال ابن القيم: **والصواب ما عليه السلف والخلف، وهو أن الترتيل والتدوير مع قلة**

القراءة أفضل من السرعة مع كثرتها؛ لأن المقصود من القرآن فهمه والتدبر فيه والعمل به، وتلاوته وحفظه وسيلة إلى فهم معانيه. فيكون ثواب الترتيل أرفع قدراً، وثواب كثرة القراءة أكثر عدداً، كمن تصدق بجواهرة عظيمة وأخر تصدق بعد من الدنانير.

**حكم قراءة القرآن:** تلاوة القرآن مع إخلاص النية والقصد عبادة يُؤجر عليها المسلم؛ لقوله ﷺ: «أَقْرِئُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ» مسلم برقم (٤٠٨٠).

وفي الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَا حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: الْمَ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلْفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ» الترمذى برقم (٢٩١٠).

وهكذا كان السلف يحافظون على تلاوة وقراءة القرآن، فهي سنة من سنن الإسلام، والإكثار منها مستحب.

**مقدار ما يقرأ:** وأما القدر الذي ينبغي قراءته فإنه يختلف باختلاف الناس وأحوالهم، وقد بين الإمام النووي ذلك بقوله: كانت للسلف عادات مختلفة في القدر الذي يختمون به القرآن: فمنهم من يختم في شهرين، وآخرون في كل شهر، وآخرون في كل عشر ليالٍ، وسبعين ليالٍ وهذا فعل الأكثرين من السلف.

واختار النووي أن تكون القراءة على حساب الشخص نفسه، فمن ظهر له بدقيق الفكر، المعارف والمعاني واللطائف في أثناء التلاوة فليقتصر على قدر يفهم فيه ما يقرأ، ومن كان مشغولاً بنشر العلم أو آية مهمة من مهمات الدين كالقضاء والفتوى مثلاً فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مُكلف به. أما من لم يكن من هؤلاء فليستكثر ما يمكنه من قراءة القرآن دون حد الملل أو الإسراع الزائد المخل بالقراءة والمعنى؛ ففي الحديث: «مَنْ قَرَا الْقُرْآنَ فِي أَقْلَ مِنْ ثَلَاثٍ لَمْ يَفْقَهْهُ». أحمد في

مسنده (٢/٦٤) برقم (٦٥٣٥).

**الأوقات المستحبة لقراءة القرآن:** أفضل القراءة ما كان في داخل الصلاة المفروضة، ثم ما كان في الصلاة النافلة. أما في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل، والنصف الأخير منه أفضل من الأول، وما بين المغرب والعشاء فهو مستحب.

وأما قراءة النهار فأفضلها قراءة ما بعد صلاة الصبح، ولا كراهة في قراءة القرآن في أي وقتٍ من الأوقات ولا حتى في أوقات النهي عن الصلاة النافلة. ومن السنة الإكثار من قراءة القرآن في شهر رمضان، وفي العشر الأخير منه خاصة، وليلالي الوتر، وكذلك العشر الأول من ذي الحجّة ويوم عرفة.

قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر ولا ينالهم الحساب وهم على كثيب من سُلْك حَتَّى يَقْرُعَ مِنْ حِسَابِ الْخَلَائِقِ: رَجُلٌ قَرَا الْقُرْآنَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَأَمَّ بِهِ قَوْمًا وَهُمْ بِهِ راضُونَ، وَدَاعٍ يَدْعُونَ إِلَى الصَّلَاةِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَجَلَّهُ، وَعَبْدٌ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَ رَبِّهِ وَفِيمَا بَيْنَ مَوَالِيهِ»**. الطبراني في الصغير (٢٥٢) برقم (١١١٦).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أوصني. قال: **«أوصيك بِتَقْوَى الله؛ فإنها زَيْنٌ لِأَمْرِكَ كُلَّهٗ»**. قلت: يا رسول الله زِدْنِي. قال: **«بِتَلَاقِ الْقُرْآنِ، وَذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فإنَّ ذِكْرَ لك في السماوات ونُورٌ لك في الأرض»** الحديث. المنذر في الترغيب والترهيب (٣٤٠/٣) برقم (٤٣٤٥).

قال ﷺ: **«مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ»** الدارمي برقم (٣٤٤٢).

قال ﷺ: **«يَحِيِّءُ الْقُرْآنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ لِصَاحِبِهِ: أَنَا الَّذِي أَسْهَرْتُ لَيْلَكَ وَأَظْمَأْتُ هَوَاجِرَكَ (أي: نهارك)»** أحمد في مسنده (٥/٣٥٢) برقم (٢٣٠٢٦).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: **«لَا تَتَشَرَّوْهُ نَثْرَ الدَّفَلِ»** (أي: المراد: تقرعوه من دون تدبر) ولا تهذّبه هَذَ الشِّعْرُ (أي: المراد: لا تسروعوا في قراءته كمثل الشعر)، وقفوا عند عجائبه، وحرّكوا به القلوب، ولا يكن هُمْ أَحدكم آخر السورة (أي: أن ينهي قراءة السورة).

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان أبو بكر إذا قرأ القرآن كثير البكاء، في صلاة وغيرها.

وقالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: ما كان أحدٌ من السلف يُغشى عليه ولا يُصعق عند تلاوة القرآن، وإنما يُيكون ويقشعرُون ثم تلين جلوذُهم وقلوبُهم لذِكْرِ الله.

وقال كعب بن مالك : **«عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ؛ إِنَّهُ فَهْمُ الْعُقْلِ وَيَنْبَيِعُ الْعِلْمُ، وَأَحَدُ الْكِتَبِ بِالرَّحْمَنِ عَهْدًا»**.



## ١٨١- باب الأمر بتعهد القرآن

### والتحذير من تعرية الناس

(١٨١) عن أبي موسى رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه قال: «تَعَااهُدُوا (أي: حافظوا عليه بالمواظبة على قراءته) هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَاللَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُ أَشَدُ تَفَلُّتاً (أي: تخلصاً) مِنَ الْإِبْلِ فِي عُقْلِهَا (أي: جمع عقال وهو: حبل يشد به ركبة البعير)». متفق عليه.

(١٨١) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه قال: «إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الْإِبْلِ الْمُعَقَّلَةِ (أي: هي الإبل المشدودة في عقالها)، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ». متفق عليه.

\* \* \*

### (حجر القرآن)

القرآن اسم لكلام الله تعالى، المُنْزَل على رسول الله صلوات الله عليه المكتوب في المصايف، المنقول عنه نقلًا متواترًا بلا شبهة.

#### مظاهر هجر القرآن وأحكامها :

**الأول:** هو حجر الكفار، الذين كانوا إذا تلقي عليهم أكثروا اللَّغَطَ (أي: الصوت العالي والجلبة) فيه وتكلَّموا في شيء آخر حتى لا يسمعوا، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا سَمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْعَوْفِيَّهُ لَعَلَّهُمْ تَغْبَرُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، ورفضوا الإيمان به وتركوا تصديقه وتدبره وفهمه، وعدلوا إلى غيره من الشّعر والغناء ولغو الكلام، وكلُّ هذا من هجرانه، وقد حكى القرآن عنهم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمَى أَخْذَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]. فالهجر من هذا النوع كفر صريح.

**الثاني:** هو حجر المسلمين، ويختلف حكمه من مظهرٍ لآخر:

أ— هجر تلاوته وسماعه والإصغاء إليه، مما قد يؤدي إلى النسيان بعد الحفظ، على أن يكون ذلك عن تهاون أو تكاسل لا عن عجز مرضي أو نسيان لا إرادي، فإذا ترك

التلاوة وهو يقدر عليها فهو كالبيت الخَرِب، أما إذا لم يكن قادرًا عليها لعذرٍ ما فإن الله لا يُكلّف نفساً إلا وسعتها، إلا فيما أوجبه الله على كل مسلم فيما تصح به صلاته ولا يجوز له تركه بحال من الأحوال.

ب- هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، حتى لو قرأه كثيراً وأمن به، وقد قال عليه السلام: «الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَمَاحْلٌ» (أي: خصم مجادل عن صاحبه) مُصَدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادِهٗ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقِهٗ إِلَى النَّارِ» [الطبراني في الكبير (١٠/٤٥٠)، برقم (١٩٨/١٠)]، وهذه معصية تقوده إلى الكبيرة.

ج- هجر التحاكم إليه في أحكامه أو تحكيمه في أصول الدين وفروعه وأوامره ونواهيه، فيما يخص حركة الإنسان في الحياة، فقد يعتقد المرء أنه لا يُفيده في هذا الزمان.

د- هجر التدبر والمعرفة والفهم.

ه- هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب.

و- هجره بوجود حرج في الصدور من القرآن، فهو في نظر البعض لا يكفي العباد بل هم محتاجون معه إلى معقولات وسياسات أخرى.

وكُلُّ هذه المظاهر من الكبائر. وقد دخل النبي ﷺ المسجد فإذا فيه قوم يقرءون القرآن قال: «اقرءوا القرآنَ وابتغُوا بِهِ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يَقِيمُونَهُ إِقَامَةَ الْقِدْحِ» (أي: القديح: السهم، والمراد: يُسرعون في تلاوته كإسراع السهم إذا خرج من القوس) يَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجُّلُونَهُ أي: يطلبون به العاجلة من عرض الدنيا والرفة، ولا يطلبون ما هو آجل عند الله تعالى يوم القيمة»). أَحمد في مسنده (٣٥٧) برقم (١٤٨٩٨).

قال إياس بن عمر: أَخَذَ عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَيْدِي ثُمَّ قَالَ: إِنَّكَ إِنْ يَقِيتَ (أي: عشت بعدي) سَيِّرَا الْقُرْآنَ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ: فَصِنْفٌ لِلَّهِ، وَصِنْفٌ لِلْجَدَالِ، وَصِنْفٌ لِلدُّنْيَا. وَمَنْ طَلَبَ بِهِ أَدْرِكَهُ (أي: أن كل من أراد شيئاً سيدركه، سواءً لله أو للجدل أو للدنيا).

وعن معاذ بن جبل تَعَالَى قال: سَيِّلَ الْقُرْآنَ (أي: يضيع وينهى) في صدور أقوام كما يَلْئَى الشوب فيتهافت، يقرءونه ولا يجدون له شهوة ولا لذة، يلبسون جلود الضأن على قلوب

**الذئاب** (أي: يُظْهِرُونَ النَّدِينَ وَهُمْ أَبْعَدُ مَا يَكُونُ عَنْهُ)، **أَعْمَالُهُمْ طَمْعٌ لَا يَخْالِطُهُ خَوْفٌ** (أي: طمع في الدنيا لا يخافون الله)، **إِنْ قَصَّرُوا قَالُوا: سَبَلَغُ، وَإِنْ أَسْأَعُوا قَالُوا: سَيُغْفَرُ لَنَا، إِنَّا لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا.**

وَجَمَعَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ الَّذِينَ قَرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِذَا هُمْ قُرَبَةٌ ثَلَاثَمَائَةٌ، فَأَثْنَى وَعَظَمَ عَلَى الْقُرْآنِ وَقَالَ: **إِنْ هَذَا الْقُرْآنَ كَائِنٌ لَكُمْ أَجْرًا وَكَائِنٌ عَلَيْكُمْ وَزْرًا، فَاتَّبِعُوا الْقُرْآنَ** (أي: اتبعوا ما فيه بالعمل به) **وَلَا يَتَبَعَنُوكُمُ الْقُرْآنُ** (أي: لا تجعلوه لأغراضكم في الدنيا)، **فَإِنْ مَنْ أَتَّبَعَ الْقُرْآنَ هَبَطَ بِهِ عَلَى رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ يَتَبَعِهِ الْقُرْآنُ زُجَّ فِي قَفَاهَ فَقَدْفَهُ فِي النَّارِ.**

وَقَالَ أَبُنْ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ حَقَّ تِلَوْتُهُ أَنْ يُحْلَلَ حَلَالَهُ، وَيُحْرَمَ حَرَامَهُ،** ويقرأه كما أنزله الله، ولا يُحرِّفُ الكلمَ عن مواضعه، ولا يتَأَوَّلُ منه شيئاً على غير تأويله. **وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رضي الله عنه:** **يَكُونُ خَلَفُ** (أي: أجيال) **بَعْدَ سَنِينِ، أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيَّاً، ثُمَّ يَكُونُ خَلَفُ يَقْرَئُونَ الْقُرْآنَ لَا يَعْدُ تَرَاقِيهِمْ** (أي: لا يجاوز إلا حناجرهم).

**قال قتادة** : في قول الله تعالى: **وَالْبَلْدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ بِنَاتُهُ مِنْ رَبِيعٍ** [الأعراف: ٥٨]، قال: **الْبَلْدُ الطَّيِّبُ**: المؤمن سمع كتاب الله فوعاه فأخذ به فانتفع به، كمثل هذه الأرض أصابها الغيث فأنبتت وأمرعت (أي: صارت فيها مراء). **وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا فَكِدَّا** [الأعراف: ٥٨]، مثل الكافر قد سمع القرآن فلم يعقله ولم يأخذ به ولم ينتفع به، كمثل هذه الأرض الخبيثة أصابها الخبث فلا تُنبت شيئاً ولا تُمرع شيئاً.

**وقال الحسن البصري** : إن هذا القرآن قد قرأه عيُّد وصبيان لا علم لهم بتأويله، لم يتَأَوِّلُوا الأَمْرَ مِنْ قَبْلَ أَوْلِهِ، قال الله تعالى: **كَتَبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ مُّبِرْكٌ لِيَدْبُرُوا مَا يَتَّبِعُهُمْ وَلِتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَيْ** [ص: ٢٩]، وما تدبُّر آياته إلا اتباعه، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن كلَّه، فما أَسْقَطَ منه حرفاً واحداً، وقد والله أَسْقَطَه كَلَّه، ما يُرَى له القرآن في خُلُقٍ ولا عَمَلٍ (أي: لا أثر للقرآن عليه في قول ولا فعل)، حتى إن أحدهم ليقول: والله إِنِّي لاؤَقِرُّ السُّورَةَ فِي نَفْسِي، لا والله ما هؤلاء بالقراء ولا بالعلماء ولا الحكماء ولا الورَّعَة، وممَّا كانت القراءة مثل هذا؟ لا أَكْثَرُ اللَّهُ فِي النَّاسِ مِثْلَ هؤُلَاءِ.



## ١٨٢- باب استدباب تحسين الصوت بالقرآن

### طلب القراءة من حسن الصوت والاستماع لها

(١٠٤ / ١٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ما أذن الله لشيءٍ ما أذن لبني حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به». متفق عليه. معنى «أذن الله» أي: الاستماع، وهو إشارة إلى الرضا والقبول.

(١٠٥ / ١٨٢) وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «لقد أورتيت مزماراً منْ مَزَامِيرِ آلِ دَاؤْدَ». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة».

(١٠٦ / ١٨٢) وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرآ في العشاء بالتين والزيتون فما سمعت أحداً أحسان صوتاً منه. متفق عليه.

(١٠٧ / ١٨٢) وعن أبي لبابة بشير بن عبد المطلب رضي الله عنه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من لم يكن غنِي بالقرآن فليس منا». رواه أبو داود بإسناد جيد. معنى «يَكْفِي»: يُحَسِّنُ صوَّتهُ بالقرآن.

(١٠٨ / ١٨٢) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أقرأ على القرآن». فقلت: يا رسول الله، أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: إنني أحب أن أسمعه من غيري. فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا إِنَّكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال: «حسبي الآن». فالتفت إليه فإذا عيناً تدرقان. متفق عليه.

## ١٨٣- باب الحث على سور وآيات مخصوصة

(١٠٩ / ١٨٣) عن أبي سعيد رافع بن المعلم رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟» فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله، إنك قلت: لا أعلمك أعظم سورة في القرآن؟ قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هي السبع المثانين والقرآن العظيم الذي أوتيته». رواه البخاري.

(١١٠ / ١٨٣) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في ﴿هَلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: «والذي نفسي بيده، إنها تعدل ثلث القرآن».

وفي رواية: أن رسول الله ﷺ قال لاصحابه: «أَيُعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ بِثُلُثِ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟!» فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيْنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «**فَلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ۝ **أَلَّهُ أَصْكَمَهُ** ۝ **ثُلُثُ الْقُرْآنِ**». رواه البخاري.

(١٨٣ / ١٠١١) وعنـهـ: أنـ رـجـلاـ سـمـعـ رـجـلاـ يـقـرـأـ: «**فَلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ۝ بـرـدـهـاـ فـلـمـاـ أـصـبـحـ جـاءـ إـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ فـذـكـرـ ذـلـكـ لـهـ وـكـانـ الرـجـلـ يـتـقـالـهـ (أـيـ: يـعـتـقـدـ أـنـهـ قـلـيلـ) فـقـالـ رـسـوـلـ اللـهـ **وـالـذـيـ نـفـسـيـ بـيـدـهـ**: «إـنـهـ تـعـدـلـ ثـلـثـ الـقـرـآنـ». رواه البخاري.

(١٨٣ / ١٠١٢) وعنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ: أنـ رـسـوـلـ اللـهـ قـالـ فيـ: «**فَلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ۝ «إـنـهـ تـعـدـلـ ثـلـثـ الـقـرـآنـ». رواه مسلم.

(١٨٣ / ١٠١٣) وعنـ أـنـسـ: أنـ رـجـلاـ قـالـ: يـا رـسـوـلـ اللـهـ، إـنـ أـحـبـ هـذـهـ السـوـرـةـ: «**فَلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ۝، قـالـ: «إـنـ حـبـهـاـ اـدـخـلـكـ الـجـنـةـ». رواه الترمذـيـ، وـقـالـ: «ـحـدـيـثـ حـسـنـ»، وـرـوـاهـ الـبـخـارـيـ فيـ **صـحـيـحـهـ** تعـلـيقـاـ.

(١٨٣ / ١٠١٤) وعنـ عـقـبةـ بـنـ عـامـيرـ: أنـ رـسـوـلـ اللـهـ قـالـ: «أـلـمـ تـرـ آيـاتـ أـنـزـلـتـ هـذـهـ الـلـيـلـةـ لـمـ يـرـ مـثـلـهـ قـطـ: **فـلـ أـعـوـدـ بـرـتـ الـفـلـقـ** ۝ وـ **فـلـ أـعـوـدـ بـرـتـ النـاسـ** ۝». رواه مسلم.

(١٨٣ / ١٠١٥) وعنـ أـبـيـ سـعـيدـ الـخـدـرـيـ: قـالـ: كـانـ رـسـوـلـ اللـهـ يـتـعـوـذـ مـنـ الـجـانـ، وـعـينـ الـإـنـسـانـ، حـتـّـىـ نـزـلـتـ الـمـعـوذـاتـ، فـلـمـاـ نـزـلـتـاـ أـخـدـ بـهـمـاـ وـتـرـكـ مـاـ سـوـاهـمـاـ. رـوـاهـ التـرمـذـيـ وـقـالـ: «ـحـدـيـثـ حـسـنـ».

(١٨٣ / ١٠١٦) وعنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ: أنـ رـسـوـلـ اللـهـ قـالـ: «مـنـ الـقـرـآنـ سـوـرـةـ ثـلـاثـونـ آيـةـ شـفـعـتـ لـرـجـلـ حـتـّـىـ غـفـرـلـهـ، وـهـيـ: **تـبـرـكـ الـذـيـ بـيـدـهـ الـمـلـكـ** ۝». رـوـاهـ دـاـوـدـ وـالـترـمـذـيـ، وـقـالـ: «ـحـدـيـثـ حـسـنـ». وـفـيـ رـوـاـيـةـ أـبـيـ دـاـوـدـ: «ـتـشـفـعـ».

(١٨٣ / ١٠١٧) وعنـ أـبـيـ مـسـعـودـ الـبـدـرـيـ: عنـ النـبـيـ **عـلـيـهـ السـلـامـ**: قـالـ: «مـنـ قـرـأـ بـالـآيـتـيـنـ مـنـ آخـرـ سـوـرـةـ الـبـقـرـةـ فـيـ لـيـلـةـ كـفـتـاهـ». مـتـقـعـدـ عـلـيـهـ. قـيلـ: كـفـتـاهـ الـمـكـرـوـهـ تـلـكـ الـلـيـلـةـ، وـقـيلـ: كـفـتـاهـ مـنـ قـيـامـ الـلـيـلـ.

(١٨٣ / ١٠١٨) وعنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ: أنـ رـسـوـلـ اللـهـ قـالـ: «لـاـ تـجـعـلـوـاـ بـيـوـتـكـمـ مـقـابـرـ، إـنـ الشـيـطـانـ يـفـرـ مـنـ الـبـيـتـ الـذـيـ تـقـرـأـ فـيـهـ سـوـرـةـ الـبـقـرـةـ». رـوـاهـ مـسـلـمـ.

(١٨٣ / ١٠١٩) وعنـ أـبـيـ بـنـ كـعـبـ: قـالـ: قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ **عـلـيـهـ السـلـامـ**: «يـاـ أـبـاـ الـمـنـذـرـ، أـتـدـرـيـ أـيـ آيـةـ مـنـ كـيـتـابـ اللـهـ مـعـكـ أـعـظـمـ؟» قـلتـ: اللـهـ وـرـسـوـلـهـ أـعـلـمـ. قـالـ: «يـاـ أـبـاـ الـمـنـذـرـ، أـتـدـرـيـ أـيـ آيـةـ

مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قُلْتُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ الْقَيُومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «لِيَهِنَّكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ». رواه مسلم.

(١٨٣ / ١٠٢٠) وعن أبي هريرة رض قال: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صل بِحَفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو (أي: يُغْرِفُ بِيدهِ لِيَكُلُّ) مِنَ الطَّعامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَا رَفْعَنَكَ (أي: لَا ذَهَبَنَكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صل شَاكِيَا) إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صل، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَبِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صل: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَيِّلَةً. فَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَ وَسَيَعُودُ». فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقُولِ رَسُولِ اللَّهِ صل فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعامِ، فَقُلْتُ: لَا رَفْعَنَكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صل، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لَا أَعُودُ. فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَيِّلَةً، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صل: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَيِّلَةً. فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ كَذَبَ وَسَيَعُودُ». فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَا رَفْعَنَكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صل، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ أَنْكَ تَرْعُمُ أَنَّكَ لَا تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ! فَقَالَ: دَعْنِي؛ فَإِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا. قُلْتُ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرُأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ فَخَلَّيْتُ سَيِّلَةً، فَأَصْبَحَتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صل: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يَعْلَمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَيِّلَةً. قَالَ: «مَا هِيَ؟» قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرُأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أُولَاهَا حَتَّى تَخْتَمِ الْآيَةَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ الْقَيُومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ لِي: لَا يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَنْ يَقْرُبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صل: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» قُلْتُ: لَا. قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ». رواه البخاري.

(١٨٣ / ١٠٢١) وعن أبي الدرداء رض: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صل قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ».

وفي رواية: «مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْكَهْفِ». رواهما مسلم.

(١٨٣ / ١٠٢٢) وعن ابن عباس رض قال: بَيْنَمَا جَبْرِيلُ صل قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صل سَمِعَ نَقِيضاً مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتَحَ الْيَوْمَ وَلَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا

اليوم، فنزل منه ملوك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم. فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيهما لم يؤتنيما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته. رواه مسلم. النقيض: الصوت.



### (لطائف متعلقة بالقرآن الكريم)

- وردت **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** [النمل: ٣٠] في وسط سورة «النمل».
- وسورة «المجادلة»: لا تخلو آية فيها من لفظ اسم الجلالة.
- وسورة «المزمل»: آخر آية فيها هي أطول آية في القرآن المكسي.
- وسورة «الكوثر»: أقصر سورة في القرآن الكريم، وليس في ألفاظها حرف ميم.
- تمييز لفظة **وَلَيُسْتَأْطِفَ** [الكهف: ١٩] من سورة «الكهف»: أنها عند حرف الفاء متتصف كلمات القرآن الكريم.
- وفي كلمة **مُدْهَمَّاتِنِ** [الرحمن: ٦٤]: هي الآية الوحيدة المؤلفة من كلمة واحدة من غير أوائل السور ككلمة الرحمن في سورة الرحمن.
- وأما أقصر آية في القرآن الكريم من غير فواتح السور فهي آية **ثُمَّ نَظَرَ** [المدثر: ٢١].
- وفي كلمة **فَأَسْقَيْنَاهُمْ** [الحجر: ٢٢]: أنها أكبر كلمة في القرآن الكريم، فهي مكونة من ١١ حرفاً وليس فيها أي حرف مكرر أو مشدد.
- هذه السور هي التي ش비ت الرسول ﷺ: «هود»، «الحاقة»، «الواقعة»، «النبا»، «التكوير»، «المرسلات»، «الغاشية».
- قلب القرآن سورة «يس»، وسنان القرآن سورة «البقرة»، وأم الكتاب هي «الفاتحة»، والزهراوان هما: «البقرة»، و«آل عمران».

٠ قال ابن عمر رضي الله عنهما: مَنْ سَرَهُ أَنْ يَنْظُرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى الْعَيْنِ، فَلَيَقُرُّ أَهْذِهِ السُّورَ: الْإِنْشاقَ وَالْأَنْفَطَارَ وَالْتَّكَوِيرَ.

٠ هناك كلماتٌ وردت كُلُّ منها في آيةٍ واحدة مرتين متاليتين من دون وجود فاصل بينهما، وهي كما يلي: ﴿فِيهِ فِيهِ﴾ [التوبه: ١٠٨]، ﴿أَحَسَنْتُ أَحَسَنْتُ﴾ [الإسراء: ٧]، ﴿هَيَّاهَتْ هَيَّاهَتْ﴾ [المؤمنون: ٣٦]، ﴿بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ﴾ [الشعراء: ١٣٠]، ﴿وَأَسْدِيقُونَ أَسْدِيقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠]، ﴿سَلَمَا سَلَمَا﴾ [الواقعة: ٢٦]، ﴿دَكَادَكَ﴾ [الجر: ٢١]، ﴿صَفَّاصَفَّا﴾ [النجر: ٢٢].

٠ روي أن النبي صلوات الله عليه وسلم أعطي في كتاب الله صلوات الله عليه وسلم ما لم يؤتَه نبيٌّ قبله، وهو: سورة «الفاتحة» وحواتيم سورة «البقرة»، مِنْ كنزٍ تحت العرش.

٠ السورة التي نزل معها ما يُسُدُّ الأفق من الملائكة: هي سورة «الأనعام».

٠ السور القرآنية التي أُعطيت للنبي صلوات الله عليه وسلم من ألواح موسى صلوات الله عليه وسلم هي: سورة «طه»، والطواسين، وهي السور التي تبدأ بـ«طس»، والحواميم وهي السور التي تبدأ بـ«حم».

٠ هناك اثنتا عشرة آية قرآنية جارية مجرى الأمثال بين الناس، وهي كما يلي:

١- ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ أَسْتِئْنُ لَا يَأْهِلُهُ﴾ [فاطر: ٤٣].

٢- ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

٣- ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِرٍ﴾ [الإسراء: ٨٤].

٤- ﴿مَنْ عَمِلَ صَلَحاً فَنَفِسِهِ، وَمَنْ أَسَأَهُ فَعَيْنِهَا﴾ [فصلت: ٤٦].

٥- ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٦- ﴿كَمْ مِنْ فَتَّةٍ قَلِيلَةٍ غَبَّتْ فَتَّةٌ كَثِيرَةٌ يَأْذِنُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

٧- ﴿وَعَسَى أَنْ تَكُرُّهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

٨- ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوْا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌ لَّهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

٩- ﴿أَلَيْسَ الصِّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [٨١] [هود: ٨١].

١٠- ﴿مَا عَلَى الْمُتَّخِسِينِ مِنْ سَيِّلٍ﴾ [٩١] [التوبه: ٩١].

١١- ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْتَهَنَّ الْمُشِيشَ﴾ [٥٤] [النور: ٥٤].

١٢- ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْحَسِيبُ وَالْطَّيْبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْحَسِيبِ﴾ [١٠٠] [المائدة: ١٠٠].

٠ سورة النساء القصيرة هي «الطلاق»، وسورة النساء الطويلة هي «البقرة».

٠ والsurah التي حضر النبي ﷺ على تعليمها للنساء هي سورة: «النور»؛ لاشتمالها على أحكام العفاف والستر.

٠ هناك خمس سور سميت بأسماء يوم القيمة فيما عدا سورة «القيمة»: «الواقعة»، «النور»، «الحاقة»، «الغاشية»، «القارعة».

٠ وهناك خمس سور سميت بأسماء أنبياء: «يونس»، «هود»، «يوسف»، «إبراهيم»، «محمد».

٠ وسورة «الرحمن» تعرف باسم عروس القرآن.

٠ هناك آياتان في كتاب الله تحتوي كل منهما الحروف الأبجدية كاملة، هما:

الآية الأولى التي تحتوي جميع الأحرف الأبجدية، وهي: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ وَأَشْدَادُهُمْ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَةٌ بَيْنَهُمْ تَرَبَّعُهُمْ وَكَعَابِسُهُمْ بَيْنَهُمْ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَرَبَعَ أَخْرَجَ شَطَعَهُمْ فَازَرَهُمْ فَاسْتَغْلَظَ فَأَسْتَوِي عَلَى سُوقِهِ يَعْجِبُ الْرَّزَامُ لِيَعْيِظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ مَاءَمُوا وَعَمِلُوا الصَّلَاحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [٢٩] [الفتح: ٢٩].

والآية الثانية ﴿فَمَنْ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ بَعْدِ الْفَتْرَةِ أَمْنَةً لِمَاعِسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةً قَدْ أَهْمَمْتُمْ أَنْفُسَهُمْ يَطْبُونَ يَاللَّهِ غَيْرُ الْحَقِيقَ ظَنَّ الْجَاهِلَيَّةُ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ إِنْ شَئْنَ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كَلَمَّا دَلَّهُ يُخْفَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبَدِّلُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَقِّهُ﴾

مَا قَاتَلُنَا هَذِهِنَا قَاتِلُوْنَا فِي يَوْمِكُمْ لَبَرَّ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِبَيْتِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِمَحْصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ [آل عمران: ١٥٤].

• سور وآيات نزلت من القرآن مُشيّعةً بالملائكة: أما «فاتحة الكتاب» فشيّعها ثمانون ألف ملك، و«آية الكرسي» فشيّعها ثلاثون ألف ملك، وسورة «الأنعام» شيّعها سبعون ألف ملك، وسورة «يونس» شيّعها ثلاثون ألف ملك.

• أمر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ بالحلف في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، أولها: ﴿ وَسَتَأْتِنَّ أَحَقَّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّ إِنَّهُ لَحَقٌ ﴾ [يونس: ٥٣].

وثانيها: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَّ وَرَبِّ لَتَأْتِنَّكُمْ ﴾ [سباء: ٣].  
وثالثها: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مِيعَادَنَا قُلْ بَلَّ وَرَبِّ لَتَبْغَنَّ ﴾ [التغابن: ٧].

• من سور القرآن ما ابتدأ بحروف هجائية، وعددتها ٢٩ سورة، والعبارة التالية: (نص حكيم قاطع له سر) تجمع أحرف أوائل سور القرآن التي تبدأ بحروف هجائية، وعدد الأحرف كما يظهر ١٤ حرفاً تشكل نصف الأحرف العربية.

• يُسن قراءة سورة «الإخلاص» في الموضع التالية: في الركعة الثانية من سنة صلاة الفجر، ومن سنة صلاة المغرب، ومن سنة صلاة الطواف، ومن صلاة الاستخاراة، ومن صلاة الحاجة، وفي الركعة الأخيرة من صلاة الوتر، وقبل النوم، وعند زيارة المريض.

• السور القرآنية التي تساوي كل منها نصف جزء هي: «الأناشيد»، «طه»، «الأنبياء»، «الحج»، «النور»، «الشعراء».

• السورة القرآنية التي تضمنت أكبر عدد من أسماء الأنبياء هي سورة «الأنعام»، ورد ذكر ستة عشر نبياً ﴿ وَهَبَنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلَّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلِنَا ﴾ الآيات [الأنعام: ٨٤-٨٦].

• آيات تتكون من كلمة واحدة غير الأحرف التي في أوائل السور **﴿ مُدْهَامَاتٍ ﴾** ﴿٦﴾ **﴿ الْحَافَةُ ﴾** ﴿١﴾ **﴿ الْكَارِعَةُ ﴾** ﴿١﴾ [الرحمن: ٦٤]، [الحافة: ١]، [القارعة: ١].

٠ سورة «يوسف» تزيد آياتها على مائة آية ليس فيها ذكر الجنة أو النار.

٠ في القرآن الكريم ست آيات تبدأ بـ«قل يا أيها»، هي:

﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جِئْنَا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [يونس: ٤].

﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [يونس: ١٠٨].

﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الحج: ٤٩].

﴿ قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أُولَئِكَأُمَّةٌ لَّوْمِنْ دُونَ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِنَ ﴾ [الجمعة: ٦].

﴿ قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ [الكافرون: ١].

٠ أخرج أحمد: أن رسول الله ﷺ قال: «أُعْطِيَتْ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعَ الطَّوَالِ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الرَّزِّبُورِ الْمِئَنِ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِي السَّبْعِ، وَفُضِّلَتْ بِالْمُفَصَّلِ».

أما السبع الطوال فهي: من أول سورة «البقرة» إلى آخر سورة «براءة» (التوبه)، حيث يجعل العلماء «الأنفال» و«براءة» بمثابة سورة واحدة لعدم وجود بسم الله الرحمن الرحيم في أول سورة براءة (التوبه).

وأما المؤمنون: فهي السور التي تشتمل على مائة آية، وهي: «يونس»، «هود»، «الرعد»، «إبراهيم»، «الحجر»، «النحل»، «الإسراء»، «الكهف»، «مریم»، «طه»، «الأنبياء»، «الحج»، «المؤمنون»، «النور»، «الفرقان»، «الشعراء»، «النمل»، «القصص».

وأما المثاني: فهي السور التي يكون عدد آياتها أقل من مائة آية، وهي محصورة ضمناً بين سورتي «العنكبوت» إلى سورة «ق».

وأما المفصل: فقد اختلف في أوله؛ فقيل: من أول «الصفات». وقيل: من أول «الفتح». وقيل: من أول «الحجرات». وقيل: من أول «ق» إلى نهاية القرآن. وأرجح

الأقوال أنه بعد «ق»؛ أي: يبدأ من سورة «الذاريات»، فهو أربعة أجزاء ونيف، ويعدل سبع القرآن إلا قليلاً.

• كل سورة فيها كلمة «كلا» فهي مكية، وقد وردت كلمة «كلا» في القرآن الكريم في ٣٣ موضعًا، في ١٥ سورة، كلها في النصف الأخير من القرآن، وليس في النصف الأول منها شيء، وما نزلت «كلا» بيشرب.

• السور التي تبدأ بأسماء الملائكة هي: «الصافات»، «المرسلات»، «النازعات».

• ثلات سور متواлиات تزيد آيات كل منها على خمسين آية ليس فيها اسم الله تعالى الذي هو الله، وهي سور: «القمر»، و«الرحمن»، و«الواقعة».

• وردت آية في سورة «هود» اجتمع فيها ستة عشر ميماً، وهي: ﴿قُلْ يَنْجُحُ أَهِيَطُ إِسَانٌ مِّنَ الْأَنْوَارِ وَرَكِنْتِ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمِّهِ مِنَّ مَعَكَ وَأُمُّهُمْ سَنْمِنُهُمْ ثُمَّ يَسْهُمُ مِّنَاعَذَابِ أَلِيَّ﴾ [٤٨].

وقد اجتمع في ﴿أُمِّهِ مِنَ مَعَكَ﴾ وحدها، ثمانى ميمات متواлиات.

• جاء في القرآن:

- حاء بعد حاء بلا حاجز بينهما في موضعين، وهما: ﴿وَلَا تَغْرِبُوا عَقْدَةَ الْتِكَاجِحِيَّ يَبْلُمُ الْكِنَبُ أَجْلَمُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، ﴿لَا أَبْرُمُ حَقَّ أَبْلَمُ مَجْمَمَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُمْبَا﴾ [الكهف: ٦٠].

- وكاف بعد كاف في موضعين هما: ﴿فَإِذَا فَضَيْشَمْ مَنْسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، ﴿مَاسَلَكَكُثُرُ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢].

- وغين بعد غين في موضع واحد، هو: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ إِلَّا سَلِيمَ دِينَاهُ فَأَنَّ يُعْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

• السور المُسَبِّحات التي تبدأ بتسبيح الله تعالى، وهي خمس كما يلي: «الحديد»، «الحشر»، «الصف»، «الجمعة»، «التغابن».

• السور التي افتتحت بنداء النبي ﷺ، وهي: «الأحزاب»، «الطلاق»، «التحریم»، «المزمل»، «المدثر».

أجمع آية لخير يمثل ولشريجتب هى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَإِلَيْهِ أَنْسَنَتِي ذِي الْقُرْبَةِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَمَّا كُنْتُ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

أكثر آية في القرآن فرحاً هي: ﴿ قُلْ يَعْبُادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَنْ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جِيَعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

أرجى آية في كتاب الله تعالى هي: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]، وقد روي أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «لَوْلَا عَفُوُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَتَجَاوِزُهُ، لَمَا هَنَا أَحَدًا عَيْشٌ، وَلَوْلَا عِقَابُهُ وَوَعِيَّدُهُ وَعَذَابُهُ لَانَّكَلَ كُلُّ أَحَدٍ».

الاسم الذي يطلق على السور الثلاثة: «الإخلاص» والمعوذتين هو: القلائل؛ لأن كل منها يبدأ بلفظة «قل».

هناك أسماء أخرى تطلق على كل من السور التالية: «المائدة» وتسمى سورة العقود، «الأنفال» وتسمى سورة بدر، «الإسراء» وتسمى سورة سبحان وسورة بني إسرائيل، «فاطر» وتسمى سورة الملائكة، «الحشر» وتسمى سورة بني النضير، «الطلاق» وتسمى سورة النساء القصرى.

آخر سورة نزلت من القرآن الكريم هي ﴿إِذَا جَاءَهُ نَصْرٌ اللَّهُ وَالْفَتْحُ﴾ [سورة النصر].

هناك آية من القرآن الكريم لما نزلت قال النبي ﷺ فيها: «لَقَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيَّ آيَةً هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا»، وهي: ﴿إِنَّا فَتَحَنَّا لَكَ فَتَحَمَّلُنَا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا نَقَدَّمَ مِنْ ذَنَبِكَ وَمَا تَأْخَرَ﴾ [الفتح: ١-٢]، وكانت في مرجعه من الحديبية، وهم يخالطهم الحزن والكآبة، وقد نحر الهدي بالحديبية.

• الآية التي قال النبي ﷺ عند نزولها: «أَعُوذ بِوْجَهِكَ» هي: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَعْثِثَ عَيْنَكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقَكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥].

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم لما نزلت ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَعْثِثَ عَيْنَكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقَكُمْ﴾: «أَعُوذُ بِوْجَهِكَ»، ولما نزلت ﴿أَوْ مَنْ تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال: «أَعُوذُ بِوْجَهِكَ». قال فلما نزلت: ﴿أَوْ يَلِسْكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «هَاتَانِ أَهُونُ» أو «أَيْسَرُ». رواه البخاري.

- هناك سورة في القرآن الكريم تخلو من حرف الفاء، وهي: سورة «الفاتحة».
- السورة التي ليس فيها حرف الميم ولا الدال في القرآن الكريم هي: سورة «الكوثر».
- السورتان اللتان سُمِّيتا بأسماء من أسماء الله تعالى هما: سورة «النور»، وسورة «الرحمن».
- آياتان في كتاب الله ليس فيهما تنقيط سوى أحرف أوائل السور، وهما: «الطور»، و«العصر».
- قال المشركون للنبي ﷺ: يا محمد، انسب لنا ربك. فأنزل الله تعالى سورة «الإخلاص».

\* \* \*

## ١٨٤- باب استحباب الاجتماع على القراءة

(١٠٢٣ / ١٨٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِّنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتَلَوَّنَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارِسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِّيَّتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرُهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدُهُ». رواه مسلم.

\* \* \*

## (آداب قارئ القرآن)

يلزم للقارئ القرآن بعض من الآداب التي تُعينه على التدبّر والاستفادة من أجر وثواب الله تعالى في ذلك اليوم، ومنها:

- ١- الإخلاص لله في قراءته.
- ٢- أن يكون على طهارة في الجسم والثوب والمكان قدر المستطاع، وقد اختلف العلماء فيما بينهم في حكم قراءة المُحدث حدثاً أصغر؛ أي: الذي أخرج ريحًا أو نحوه، للقرآن الكريم مُمسِّكاً للمصحف، فقالوا: إن الرسول ﷺ كان يقرأ مع الحَدث، وأما الحائض فقيل: إنه يجوز لها قراءة القرآن دون مَسِّ المصحف، وأما بالنسبة لقراءة الجنب فلا يجوز له قراءة القرآن إلا لضرورة، وفي فتاوى العلماء وكتب الفقه ما يُغني عن العحيرة والتردد.
- ٣- أن يتحرّى أفضل الثياب وأنظفها قدر المستطاع.
- ٤- أن يُطهّر فمه، وأفضل تطهير يتم باستعمال السواك.
- ٥- ويستحب له أن يبدأ بالاستعاذه بالله من الشيطان الرجيم، وإن كان يرى بعضهم أنها واجبة، وأفضل الصيغ أعود بالله من الشيطان الرجيم، وأعود بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وهي لا ترتل؛ لأنها ليست آية من القرآن الكريم، وإن كان يستحب الجهر بها لينصرت السامع لقراءة القارئ.

قال ابن الجَزَري : المختار عند أئمة القراءة الجهر بها.

وقال بعضهم: على الأقل أن يسمع نفسه بها.

- ٦- البسمة، فيجب عليه أن يحافظ على قراءة البسمة عند ابتداء القراءة من أول السورة، عدا سورة براءة (التوبة)، أما إذا أراد أن يقرأ من وسط السورة مثلًا فيكتفي بالاستعاذه، والستة أن يفصل بين الاستعاذه والبسمة فلا يصلهما.

٧- ترتيل القرآن، حيث يحرص على قراءته على مهل مع تدبّر وتفهّم حروفه، بحيث

يتتمكن السامع من عد تلك الحروف إذا أراد. وقد بينا مراتب القراءة فيما سبق.

٨ - ومن آدابه حب الاجتماع عند قراءته، حيث يجلس من يحسن القراءة ويقرأ، ويستمع إليه الباقيون، إلا أن يكون المجلس للتعليم، فيقرأ كل منهم ما يصحح له فيه.

٩ - ومن آداب القراءة تحسين الصوت عند القراءة، وفي الحديث: **«زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»**

[أبو داود في كتاب «سجود القرآن» باب «استحباب الترتيل في القراءة» حديث (١٤٦٨) من طريق البراء بن عازب عليه السلام، وفي الحديث: **«مَا أَذَنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنَ الصَّوْتُ يَتَغَنَّىٰ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ»** [متفق عليه من طريق أبي هريرة عليه السلام].

١٠ - ومن آدابه ألا يجهر به تشوبيشاً على الآخرين، وفي الحديث: **«الْبَاحِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ، وَالْمُسِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْمُسِرُ بِالصَّدَقَةِ»** [أبو داود كتاب «الصلاوة» باب «رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل» حديث (١٣٣٣) من طريق عقبة بن عامر عليه السلام]، وهذا لمن يقرأ وحده وليس في موضوع التعليم.

١١ - ومن الآداب ألا يقرأ حين يشعر بالنعاس؛ لأنه ربما يهدى بكلام غير صحيح، وفي الحديث: **«إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ، فَاسْتَعْجِمْ الْقُرْآنَ عَلَىٰ لِسَانِهِ، فَلَمْ يَذْرِ مَا يَقُولُ، فَلْيَضْطَبِعْ»** [مسلم كتاب «صلاة المسافرين وقصرها» باب «أمر من نعس في صلاته أو استعجم» حديث (٧٨٧) من طريق أبي هريرة عليه السلام].

١٢ - ومن الآداب أن يعتني بالسور التي ورد لها فضل كبير، فيكثر من تلاوتها.

١٣ - ويستحب له أن يطلب القراءة ممن يحسنها من صاحب الصوت الحسن، كما طلب النبي ﷺ من ابن مسعود رضي الله عنه أن يقرأ عليه القرآن.

١٤ - ومن الآداب أنه إذا مر على القارئ آية فيها عذاب يتوعّذ ويشفق منها، أو دعاء تضرع إلى الله به، أو سجدة سجدة.

١٥ - ومن الآداب ألا يقرأ أثناء الركوع أو السجود، لأنها مواضع التسبيح والتعظيم لله.

١٦ - ومن الآداب أنه إذا أصابه عطس وهو يقرأ فيقطع القراءة ويقول: الحمد لله.

- ١٧ - ومن الآداب أيضًا إذا سمع المؤذن وهو يؤذن أثناء قراءته للقرآن، أن يقطعها ويتابع المؤذن في ألفاظ الأذان، ثم يعود إلى قراءته.
- ١٨ - ومن الآداب إذا طُلِّبت منه حاجة في حال القراءة أن يُجِيب بالإشارة إن أمكن، وإلا فليقطع القراءة؛ لأن قطعها جائز؛ حتى لا ينكسر قلب صاحب الحاجة.
- ١٩ - ومن الآداب إذا عَرَض له خروج ريح وهو يقرأ، أن يقطع القراءة ويُمسك عنها حتى تخرج الريح، ثم يعود إلى القراءة. وهو أدب حسن، وإن توْضاً كان أفضل.
- ٢٠ - ومن الآداب أيضًا أن يُمسك عن القراءة حتى ينقضي الشاؤب، ثم يعاود القراءة.
- ٢١ - وعليه أن يختار الأوقات الكريمة الفاضلة إذا استطاع ذلك، فأفضل القراءة ما كان في الصلاة، وتطويل القيام أفضل في الصلاة من تطويل السجود عند الشافعية مثلاً، وأما في غير الصلاة فأفضل القراءة عند الليل، والنصف الأخير من الليل أفضل من النصف الأول، والقراءة بين المغرب والعشاء مستحبة لمن كان له سَعَة.
- وأما القراءة في النهار بعد صلاة الصبح، ولا كراهة في وقتِ من الأوقات أياً كان، وهناك أيام كريمة، كيوم الجمعة، ويوم عرفة، وشهر رمضان، وغير ذلك من الأيام الكريمة، فلو تحرّاها كان أفضل.
- ٢٢ - ومن الآداب ألا يختتم القرآن قراءةً في أقل من ثلاثة أيام وليلاتها.
- ٢٣ - وعليه أيضًا أن يتذَبَّر المعاني العظيمة التي جاءت في القرآن الكريم، ولا يقرأها قراءةً من يقرأ مجلة أو جريدة.
- ٢٤ - ومن الآداب أيضًا أن يُعيَد الآية مرتين أخرى إذا أراد أن يفهمها، ولا بأس في ذلك.
- ٢٥ - وعليه أن يتلقى القرآن عن أهل العلم المشهود لهم بالإتقان، إذا أراد أن يتعلم القراءة الصحيحة.
- ٢٦ - ومن الآداب أيضًا أن يحاول استقبال القبلة في أثناء قراءته إذا استطاع ذلك.
- ٢٧ - ومن آداب استعمال المصحف أن يُعظّمه؛ فلا يضعه في موضع فيه ذلة أو مهانة بحسب العرف والاعتبار.

## ١٨٥- باب فضل الوضوء

قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قَمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكُنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلَيُتَمِّمَ فَعَمَّتُمْ عَلَيْكُمْ شَكْرُورَكُمْ﴾ [المائدة: ٦].

(١٠٢٤) / ١٨٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «إن أهنتي يدعون يوم القيمة غرّاً (أي: شدة اليأس في الجهة) محجلين (أي: بياض أشهب بالدور يكون في ثلاثة من قوائم الفرس) من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرّته فليفعل». متفق عليه.

(١٠٢٥) / ١٨٥) عنه قال: سمعت خليلي صلوات الله عليه وسلم يقول: «تبّلغ العحْلية (أي: الزينة) من المؤمنين حيث يبلغ الوضوء». رواه مسلم.

(١٠٢٦) / ١٨٥) وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «من تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوضوء، خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ». رواه مسلم.

(١٠٢٧) / ١٨٥) عنه قال: رأيت رسول الله صلوات الله عليه وسلم تَوَضَّأَ مثلاً وصوئي هذا، ثم قال: «من تَوَضَّأَ هكذا، غفر له ما تقدم من ذنبه، وكانت صلاتُه ومشيه إلى المسجد نافلةً (أي: رفع درجات)». رواه مسلم.

(١٠٢٨) / ١٨٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم - أو المؤمن - فَغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بَعِينَيْهِ مَعَ الماءِ، أَوْ مَعَ آخر قَطْرِ الماءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيهِ، خَرَجَ مِنْ يَدَيهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتَهَا (أي: البطش: التعدي والأخذ بغير حق) يَدَاهُ مَعَ الماءِ، أَوْ مَعَ آخر قَطْرِ الماءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيهِ، خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتَهَا رِجْلَاهُ مَعَ الماءِ، أَوْ مَعَ آخر قَطْرِ الماءِ، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ». رواه مسلم.

(١٠٢٩) / ١٨٥) عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم أتى المقبرة (أي: المراد: البقيع)، فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنما إن شاء الله يكُم لا حِقُونَ، وَدَدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْتَا (أي: رأيناهم في الحياة) إخواننا» قالوا: أَلَسْنَا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ». قالوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أَمْنِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فقال: «أَرَأَيْتَ لَوْ

أَنَّ رَجُلًا لَهُ حَيْلٌ عُرٌّ (أي: شديدة بياض العجبة) مُحَاجِلَةٌ بَيْنَ ظَهَرِيْ حَيْلٍ دُهْمٍ (أي: الدهمة: السواد) بُهْمٍ (أي: جمع بهيم، وهو ما لا يخالط لونه لون آخر)، أَلَا يَعْرُفُ حَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ عَرَّا مُحَاجِلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَآتَاهُمْ فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ». رواه مسلم.

(١٨٥ / ١٠٣٠) وعنـه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَذْلُكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ (أي: إِتَامَهُ وِإِكْمَالَهُ) عَلَى الْمَكَارِهِ (أي: ما تكرهه النفس كشدة البرد)، وَكُثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَأَنْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ؛ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ (أي: الحبس للنفس على هذه الطاعة)؛ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ». رواه مسلم.

(١٨٥ / ١٠٣١) وعنـ أبي مالـك الأـشعـري رضي الله عنه قـالـ: قـالـ رـسـولـ اللـهـ صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـيـلـهـ: «الـطـهـورـ (أـيـ: الـطـهـرـ) وـالـطـهـارـةـ) شـطـرـ الإـيمـانـ». رواه مسلم.

وَقَدْ سَبَقَ بَطْولَهُ فِي بَابِ الصَّبَرِ، وَفِي الْبَابِ حَدِيثُ عُمَرَ بْنِ عَبْدَةَ رضي الله عنه السَّابِقُ فِي آخِرِ بَابِ الرَّجَاءِ، وَهُوَ حَدِيثٌ عَظِيمٌ؛ مُشتمِلٌ عَلَى جُمِيلٍ مِنَ الْخَيْرَاتِ.

(١٨٥ / ١٠٣٢) وَعَنْ عُمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ صلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـيـلـهـ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبَلِّغُ أَوْ فَيُسَبِّغُ - الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ إِلَّا فَتُبَعَّثُ لَهُ بَوَابُ الْجَنَّةِ الْثَّمَانِيَّةِ يُدْخُلُ مِنْ أَيَّهَا شَاءَ». رواه مسلم.  
وَزَادَ التَّرمِذِيُّ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ».

\* \* \*

## (الوضوء وأدابه)

### حكمة الوضوء:

الوضوء مفتاح التبعُّدُ اللَّهُ ربُّ العالمين، وهو من الطهور الذي هو شطـرـ الإيمـانـ.

ولما قال النبي صلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـيـلـهـ: «الـطـهـورـ شـطـرـ الإـيمـانـ»، تقطن أصحاب البصيرة واليقين إلى أنَّ أهم ذلك يكون بتطهير القلب والسريرة؛ إذ إن نظافة الظاهر بإفاضة الماء وتخليص الأعضاء من النجاسات مع أنه أمر حميد إلا أن إبقاء القلب مشحوناً بالأخبار والأفذار من الحقد

والحسد والغيبة والنميمة لهو أشد بلاء وأشد سوءاً على العبد.

فمن هنا كانت الطهارة لها أربعة مراتب:

### **مراتب الطهارة:**

المرتبة الأولى: تطهير الظاهر؛ أي البدن والثياب، عن أي حدث من النجاسات أو الخبائث أو الفضلات.

المرتبة الثانية: تطهير الجوارح عن فعل الآثام والذنوب والمنكرات.

المرتبة الثالثة: تطهير القلب عن كل أخلاق ذميمة ورذيلة بغية كالكبر والحدق والحسد واللؤم والغل.

المرتبة الرابعة: تطهير جوف العبد وسره عما سوى الله تبارك وتعالي، وهو ما كان عليه الأنبياء صلوات الله عليهم والصديقين.

إذ إن المقصود الأسمى من عمل السر أن ينكشف للعبد جلال الله تعالى وعظمته، ولن يكون ذلك إلا إذا ارتحلت عنه الرذائل والخبائث وعموم الأغيار. ولهذا كانت عنابة الأكابر دائمًا بعد الأنبياء من الصحابة الكرام وأهل الفضل والعلم هي نظافة الباطن أو لا التي فهموها من قوله ﷺ: «**الظهور شطر الإيمان**».

فلا يستطيع العبد أن ينال مقامات الإيمان والطهارة مرة واحدة، ولكن ينال ذلك طبقة بعد أخرى، ولا ينال الطبقة العالية إلا إذا تجاوز الطبقة السافلة، فلا يصل إلى أعلى مقامات الطهارة وهي طهارة السر إذا لم يُفرغ قلبه من الآثام وجوارحه من الجرائم والذنوب وظاهره من الأحداث والخبائث.

ولا يكون كمن يتزين في الظاهر بجميل الثياب والزينة وتغافل عن تزيين قلبه وروحه ونفسه، ليخفي عيوبها ونقائص ويحمل ظاهره متغافلاً عن تزيين باطنه وجمال قلبه وروحه وتطهير ما أمر به من قبل الشعّ أو لاً. وهو ما قد يفعله البعض؛ فـ**فيُطهّر** البدن الذي هو بالفعل واجب، وينسى أن يظهر قلبه وسره وجوارحه.

وتحديثنا هنا عن طهارة الظاهر، حيث إن المراتب الأخرى لها مواضع أخرى غير هذا.

### **فرائض الوضوء:**

١ - النية في أول الوضوء، على خلاف بين من يراها فرضاً أو من شروط صحة الوضوء.

٢ - غسل جميع الوجه ما بين منابت الشعر من الرأس إلى اللحىين - وهمما الفكان اللذان عليهما الأسنان، ويجتمع مقدمهما في الذقن عند الفم ومؤخرتهما في الأذنين - من شحمة الأذن إلى شحمة الأذن.

وإذا كان على الوجه شعرٌ لحيةٌ خفيفٌ بحيث ترى البشرة من خلاله وجَب إيصالُ الماء إلى باطنِه مع البشرة التي تحته، أما إذا كانت اللحية كثيفةً بحيث لا ترى بشرتها من خلالها فيكفيه غسلُ ظاهرها مع غسل الوجه والوصول لمقدّم الرأس وتحت الذَّقن إلى الرقبة احتياطاً.

٣ - غسل اليدين إلى المرفقيَّين، والمرفق هو المفصل الذي بين العضد والساعد، ويدخلان فيما يجب غسله، ويجب غسل كلّ ما على اليدين من شعر وإصبع زائد وأظفار.

٤ - مسح الرأس، على خلاف في أنه هل يمسح جميع الرأس أو بعضه، فقال البعض يكتفى بمسح بعض الرأس، وقال آخرون: ينبغي مسح جميع الرأس.

ويجوز مسح الرأس أو غسله أو استعمال فوطة مبللة في مسحه.

٥ - غسل الرجلين مع الكعبين، إن لم يكن المتبوضع لابساً الخفين، ويجب غسل ما عليهما من شعر وإصبع زائد كاليدين.

وكل ما سبق يكون فعله مرة واحدة فرضاً وأما تكراره ثلاثة فسُنّة.

٦- الترتيب في الوضوء كما سبق، وإن كان بعض الفقهاء يرى أن الترتيب من السنة وليس فرضاً.

تبنيه: يرى بعض الفقهاء أن هناك فرضاً آخر: هو الموالاة، وهي أن يكون غسل الأعضاء المذكورة متوايلاً، بحيث لا يفصل بين غسل عضو وغسل العضو الذي قبله، بل يتبع غسل الأعضاء الواحد تلو الآخر قدر الإمكان.

ملحوظة: يرى الحنابلة أن التسمية في أول الوضوء واجبة وغيرهم يرونها سُنة.

### سنن الوضوء:

١- التسمية في أوله، وأقلّها: بسم الله. وأكملها: بسم الله الرحمن الرحيم. فإن نسي في أوله يمكنه أن يأتي بها في أثناء الوضوء.

٢- غسل الكفين ثلاثة، ويُسَن له من هنا النية بالقلب.

٣- المضمضة ثلاثة، وتحصل السنة فيه بإدخال الماء في الفم، سواء أداره فيه أم لا، والأكمل أن يُدیره ثم يمْعِجه ويدفعه خارجاً، ويُسَن استعمال السواك.

٤- الاستنشاق ثلاثة، وتحصل السنة فيه بإدخال الماء في الأنف، سواء جذبه إلى خياتيمه ونشره أم لا، والمباغة مطلوبة في المضمضة والاستنشاق، إلا للصائم فهي مكرورة؛ خشية وصول الماء إلى الجوف.

والجمع بين المضمضة والاستنشاق بثلاث غرفٍ باليد يتضمض من كُلّ منها ثم يستنشق أفضل من الفصل بينهما، وبعض الصائمين يكتفي بـل شفتيه وأنفه خوفاً من وصول الماء للجوف، وهذا من وسوسة الشيطان، بل عليه أن يستن بنسنة النبي ﷺ ويتمضمض ويستنشق بلا مبالغة.

ولا يبالغ الصائم المتوضئ بعد المضمضة والاستنشاق في التفل (البصاق) الكثير ظناً منه أن بلع الريق يُطر الصائم، فهذا خطأ، ويكتفي أن يتفل مرة أو مرتين فقط.

- ٥- يُسْنَ لِهِ مسح جميع الرأس خروجًا من الخلاف عند من أوجب ذلك، ويكون المسح مرتين - كما سيأتي بيانه - ببلة واحدة.
- ٦- مسح جميع الأذنين ظاهراً وباطناً بماء جديد غير ماء مسح الرأس.
- ٧- تخليل اللحية الكثيفة للرجال، بأن يُدخل أصابعه من أسفل اللحية وأعلاها.
- ٨- تخليل أصابع اليدين والرجلين وغسل ما بينهما.
- ٩- تقديم اليمني من يديه ورجليه على اليسرى منهمما.
- ١٠- الطهارة ثلاثة مرات للعضو المغسول والممسوح أيضًا، وقد يترك التثليث إذا ضاق الوقت أو قلل ماء الموضوع أو خاف فوات جماعةٍ أو احتياج الماء للعطش.
- ١١- الموالاة بين كُلِّ عضو والأخر حتى نهاية الموضوع، فلا يفرق بينهما بحيث لا يجفُ العضو المغسول قبله وبعض الفقهاء يراها فرضًا.
- ١٢- دُلُك الأعضاء عند الغسل، فيُمْرِرُ الكفَّ مع الماء على العضو كله ليضمن تعميم العضو بالماء؛ لأن عدم التعميم يُبطل الموضوع والمالكية يرون أنه فرضًا.
- ١٣- لا يسرف في استعمال الماء.
- ١٤- الذِّكر والدعاء قبل الموضوع وبعده.
- ١٥- إطالة الغرة والتحجيل، وتكون إطالة الغرة بغسل جزءٍ من مُقدَّم الرأس زائد على المفروض في غسل الوجه، وأما التحجيل فبغسل ما فوق المرفقين والكعبين.
- ١٦- ترك الكلام الذي ليس فيه أهمية أو حاجة.
- ١٧- يُباح تجفيف الأعضاء عند العذر، كالخوف من البرد الشديد والمرض وغيره، ويُسْنَ له أن يترك التجفيف إن استطاع.
- ١٨- يُسْنَ له صلاة ركعتين سنة الموضوع.

## نواقص الوضوء:

- ١ - كُل شيء يخرج من مجرى البول أو الغائط، ويشمل البول والمذى والودي والمني والريح والغائط ودم الاستحاضة، وحتى لو خرجت حصاة.
  - ٢ - كُل ما يُزيل العقل أو يغلب عليه، مثل النوم الثقيل والجنون والإغماء والسكر والتخدير بالأدوية.
  - ٣ - لَمْسُ المرأة الأجنبية وهي تلك المرأة غير المحرّمة أبدًا التي يجوز للرجل أن يتزوجها إذا انتفت الموانع بدون حائل، بأن تكون البشرة على البشرة. ومن الفقهاء من يرى أن لمس المرأة الأجنبية بشهوة ينقض الوضوء.
  - ٤ - لمس فرج الآدمي بباطن الكف من نفسه أو من غيره، ذكراً أو أنثى، صغيراً أو كبيراً، حياً أو ميتاً بدون حائل.
  - ٥ - مُس حلقة الدبر ينقض الوضوء أيضاً، والمراد بها فتحة الشرج، إن كان بباطن الكف مع بطون الأصابع، وليس ظاهر الكف وحروفه ولا رءوس الأصابع فلا ينقض المس بها.
  - ٦ - أَكْل لحم الإبل، على خلاف بين الفقهاء، حيث يرى بعض الفقهاء أن الوضوء بعده مندوب وليس بواجب. وأما القهقهة فإن دليل نقضها للوضوء ضعيف.
- والقيء، والرُّعاف وهو الدم يخرج من الأنف، وما خرج من الحلق فملا الفم أو بعضه، وخروج الدم من جسم الإنسان؛ كلها لا تنقض الوضوء.
- ويرى الإمام الصناعي أن حمل الميت لا يجب الوضوء منه، ولا يندب به كذلك. ويرى أن من حمله مباشرة بلا حائل لبدنه يستحب له غسل يديه تعبداً لله.

## ما يُحرِّم على المحدث حَدَّاً أَصْغَرَ:

صاحب الحدث الأصغر: هو غير المتواضع. ويحرم عليه ما يلي:

- ١- الصلاة مطلقاً، فرضاً أو نفلاً، ولو صلاة الجنازة.
- ٢- الطواف بالبيت الحرام.
- ٣- مسُّ المصحف، وذهب البعض إلى أنه يجوز مسه، أما القراءة فيه بدون مس، فهـي جائزة اتفاقاً بين الفقهاء.

### كيف توضأ:

إذا أردتَ الوضوءَ فاستحضرْ نية الوضوءِ في قلبك ثم قم بما يلي:

- ١- أغسل كفيك ثلاثَ مراتٍ، وقلْ: بسم الله والحمد لله، وإن كنت تتوضاً من إناء- طشت مثلاً- فلا تدخل يدك فيه، بل صبَّ بوعاء صغير مثلاً الماء على كفيك ثلاث مرات قبل وضع يدك فيه.
- ٢- تمضمض ثلاثَ مراتٍ باليد اليمنى، وبالغ في المضمضة، واستعمل السواك أو الفرشاة، وإن كنت صائمًا فلا تبالغ.
- ٣- استنشق ثلاثَ مراتٍ واستشر أي: أخرج الماء من أنفك في كل مرة لتبالغ في نظافة أنفك، إلا إذا كنت صائمًا.

والمضمضة والاستنشاق باليد اليمنى، أما الاستشار وإخراج الماء من الأنف فيكون باليد اليسرى.

- ٤- أغسل وجهك ثلاثَ مراتٍ من منبت الشعر إلى أسفل الذقن ومن شحمة الأذن إلى شحمة الأذن الأخرى، وإن كانت لك لحية كثيفة فخللها بأن تدخل أصابعك المبتلة بالماء بين شعرها، وقلْ في أثناء الوضوء: اللهم اغفر لي ذنبي، ووسع لي في داري، وبارك لي في رزقي.

- ٥- أغسل ذراعيك مع المرفقين ثلاثَ مراتٍ مع الدللك، والتأكد من تعقيم الماء، وابداً باليمنى، وخلل أصابع يديك للتأكد من وصول الماء بينها.

٦- امسح رأسك كله بكفيك من مقدم الرأس إلى مؤخره، ثم عد إلى المقدم، ولنك أن تمسح بكاف واحدة تدريها على الشعر حتى تعممه، ولنك أن تمسح مقدم الرأس بكفك ثم تكمل على العمامة أو القلنسوة.

وللمرأة أن تكمل على غطاء رأسها، كل ذلك بشرط أن يبقى غطاء الرأس على حاله حتى الانتهاء من الصلاة.

٧- امسح أذنيك بعد مسح رأسك بماء جديد أو بماء مسح الرأس إن وجد، ويكون بإدخال الإصبع السبابة في داخل أذنك بينما تدور بالإبهام حول الأذن من الخارج لمسحها.

٨- أغسل كلي رجل ثلاث مرات مع الذلة والتأكد من أن الماء أصاب كلي جزء فيما مع الكعبين وخلل أصابعهما بإدخال الماء فيها، وابدا بالرجل اليمنى ثم اليسرى.

٩- قل بعد الموضوع: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتظاهرين.

١٠- صلّ بعد الموضوع ركعتين، وإذا صليت بعد الموضوع فرضاً أو نافلةً أخرى كصلاة الاستخارة أو الحاجة أو غير ذلك فإنها تكفي عن ركعتي الموضوع.

١١- على المتوضئ أن يوالي بين غسل الأعضاء، فإذا غسل عضواً غسل الذي بعده بدون تأخير، فإن فصل بين العضويين بزمي طويل جف فيه العضو السابق بطل وضوؤه عند بعض الفقهاء، وعليه أن يبدأ من البداية.

١٢- وعليه أن يغسل الأعضاء بالترتيب السابق، فإذا أخل بالترتيب بطل الموضوع عند بعض الفقهاء.

### (التيمم)

شرع الله التيمم بالترابظهور تخفينا عن المسلم وتيسيرا للقيام بما أراده، سواء كان مسافراً أو مقيماً، وذلك بشروط، وهذا من خصائص هذه الأمة:

**الأسباب المبيحة للتيمم:** يُباح التيمم بدلاً من الوضوء والغسل في الحضر أو السفر أو إذا عجز عن استعمال الماء للأسباب التالية:

**الأول:** إذا لم يجد الماء، أو وَجَده ولكن قليل بحيث لا يكفيه للطهارة، وعليه أن يتتأكد من ذلك بطلب الماء من حوله، حتى لو اضطر لشرائه بشمن يستطيعه، فإذا تيقن عدمه أو أنه بعيد عنه فلا يجب عليه الطلب.

**الثاني:** إذا كان به جراحة أو مرض وخاف من أن استعمال الماء قد يؤدي إلى زيادة المرض أو تأثير الشفاء، سواء عرف ذلك بالتجربة أو بإخبار الثقة من الأطباء.

**الثالث:** إذا كان الماء شديد البرودة وغلب على ظنه حصول ضرر باستعماله، بشرط أن يعجز عن تسخينه ولو بالأجر.

**الرابع:** إذا كان الماء قريباً منه إلا أنه يخاف على نفسه أو عرضه أو ماله، أو كان في سفرٍ وي الخاف فوات القافلة والرفقة، أو حال بيته وبين الماء عدوٌ أو غاصب من إنسٍ أو حيوان، وحتى لو عجز عن استخراج الماء من البئر أو غيرها لفقدان الآلة، وكذلك لو خاف إن أغتسل في مكانٍ ما وأن تلتصق به تهمة الزنا، كمن بات عند أحد الناس فأصبح جنباً ويعلم يقيناً أن لو طلب الاغتسال لصار الشكُ في قلب صاحب البيت، فله أن يتيمم.

**الخامس:** إذا احتاج إلى الماء عاجلاً أو آجلاً للشرب أو حتى لشرب غيره، سواء كان إنساناً أو حيواناً، أو احتاجه للعجن والطبخ، أو لإزالة نجاسة غير معفuo عنها.

**قال ابنُ تيمية :** مَنْ كَانَ حَاقِنًا (أي: حابساً للبول) عَادِمًا لِلْمَاء (أي: فاقداً للماء) فَالْأَفْضَلُ لَهُ أَنْ يَبُولَ وَيَتَيَمَّمْ ويصلّي غير حاقن، فهو أفضل من الصلاة وهو حاقن.

**السادس:** إذا كان قادراً على استعمال الماء لكنه خشي خروج الوقت باستعماله في الوضوء أو الغسل، فإنه يتيمم ويصلّي ولا إعادة عليه، وأجاز الأحناف التيمم لمن خاف فوت صلاة الجنائز أو صلاة العيد.

**كيفية التيمم:** في حال الرغبة في التيمم يجب عَقْد النية، ثم ضَرْب التراب أو الرمل

الظاهر أو غيرهما من جنس الأرض بالكفين مسمياً الله تعالى، ثم تُنْفَض التراب بِنَفْخِه أو بِبَرْزِ الكفين، ثم المسح بهما على الوجه وتعميم الممسح، ثم مسح اليدين إلى الرسغ باليد اليسرى، ومسح اليد اليسرى إلى الرسغ باليد اليمنى، ولذلك أن تماسك الكفين قبل الوجه من دون كراهة. والتيمم يقوم مقام الوضوء والغسل من الجنابة أو الحيض أو النفاس. ومن الفقهاء من قال: **التيمم ضربتان: ضربة للوجه، وضربة لليدين والمُرفقين**.

واعتبر ابن القيّم التيمم كالوضوء، لا يلزم منه التيمم لكل صلاة مفروضة إلا إذا أحدث. ومن الفقهاء من قال بالتيمم لكل صلاة مفروضة ويصلحي به ما يشاء من السنن والنواقل. ومنهم من قال: **التيمم لكل وقت صلاة. وكل هذا صحيح.**

### نواقص التيمم:

١- يُنْقَض بِكُلِّ مَا يَنْقُض الوضوء.

٢- يُنْقَض بِزُوالِ سبِّ الإباحة والعذر أو الضرر، بأن وُجد الماء وقدر على استعماله. وليس على **المُتَيِّم** إعادة لو وَجَد الماء بعد الصلاة، أما إذا وجدها في أثناء الصلاة فقال **مالك والشافعى: تُمِّم صلاتَه ولا شيء عليه، بل يَحرُم عليه الخروج من الصلاة**. وقال **غَيْرُهُمَا**: **تبطل صلاته، ويجب عليه الوضوء.**

إذا دَخَلَ وَقْتُ الصلاة وَلَا ماء معه، وكان في نَظَرِه أن الماء سيأتي بعد قليل، فماذا يفعل؟ هناك حلان: الأول: أن يُعْجَل الصلاة بالتيمم. الثاني: أن يُؤَخِّر الصلاة قليلاً عن أول الوقت. فعلم مما سبق أنه لا يجوز التيمم إلا بالتراب الظاهر أو شيء من جنس الأرض، فمن كان مريضاً بالمستشفى ويريد التيمم على فرش السرير أو البلاط أو البلاستيك مما لا تراب عليه أو على حائط نظيف غالباً وليس عليه تراب فلا يجوز له ذلك، وعليه أن يحضر بعضًا من التراب الظاهر ليسهل له التيمم عليه.

### (المسح على الخفين)

**الخُفُّ**: هو ما يُلبس في الرجل مصنوعاً من الجلد، ويصل إلى ما بعد الكعبين.

والجورب: هو ما يلبس في الرّجل مصنوعاً من أيّ نوع من المنسوجات، ويصل إلى ما بعد الكعبين، على أن يكون غير شفافٍ وسميكاً.

### شروط المسح على الخفين:

١- أن يتبدئ لبسهما بعد كمال الطهارة والوضوء، ولو غسلَ رجلاً ولبسُ خفّها دون أن يكون غسل رجله الأخرى فلا يصح، وحتى لو لبس واحدة ثم أحدث ريحًا قبل أن يلبس الرجل الأخرى لا يصح كذلك.

٢- أن يكون الخفان ساترين للكعبين، ولو كانا دون الكعبين لم يصح.

٣- أن يكون الخفان مما يمكن المشي عليهما.

٤- أن يكون الخفان ظاهرين ليس عليهم نجاسة.

ولكن بعض العلماء، أخذوا بظاهر النص وأجازوا المسح على الجورب مطلقاً: رقيقاً وسميكاً، ساتراً ومخرقاً. وعليه فالمسح على الجورب الشفاف ممنوع عند الجمهور، جائز عند قليل من العلماء.

والمسح للّمقيّم يومٌ وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام بلياليها، وتحسب المدة من أول مرّة مسح فيها على الخفين، هذا عند بعض الفقهاء ولو أن أحدهم لبس خفين - أو جوربين - بعد أن توضأ للفجر ولكنه لم يبدأ المسح عليهما إلى وقت دخول صلاة الظهر فإن وقت صلاة الظهر هو الذي تحسب المدة ابتداء منه فيمسح المصلي المقيّم من ذلك الظهر إلى ما بعد فجر اليوم التالي. وقال بعض الفقهاء: إن ابتداء المسح من أول حدثٍ يُحدثه الإنسان بعد أن يلبس الخف.

### كيفية المسح:

الواجب في المسح أن يكون على ظاهر الخف أو الجورب، وذلك بأن يبلل المتوضئ كفّيه بالماء ثم يمر باليمني على ظاهر القدم اليمنى ابتداءً من الأصابع حتى الساقين،

وكذلك يفعل باليسرى على اليسرى أو باليمنى على اليسرى كلاهما يصح، ويكتفى بمسح الظاهر. وقال البعض: يستحب مسح الأسفل كذلك.

### ما ينقض المسح:

- ١ - كُلُّ ما ينقض الوضوء ينقض المسح.
- ٢ - انتهاء المدة المقررة للمسح.
- ٣ - خلع الخفين أو الجوربين أو خرقهما بحيث لا يصلحان للاستعمال.
- ٤ - إذا حدث ما يوجب الغسل كالجناة والحيض والنفاس.

### الجبيرة والعصابة والعضو المتضرر بالغسل:

إذا أراد المسلم الوضوء أو الغسل وكان على أحد أعضائه جبيرة - جبس - بسبب كسرٍ مثلاً فإن الواجب عليه المسح على الجبيرة، وإن كان بالعضو مرضٌ أحاجٌ إلى ربطه بعصابة أو خرقة وكان فك العصابة وغسل العضو يضرُّه جاز له المسح على العصابة بحيث لا تزيد العصابة على العضو، وهذا يحدُّده الطبيب المتخصص، فإن زادت بطل الوضوء. وإذا كان أحد الأعضاء يتضرَّر بالغسل ولكن لا يتضرر بالمسح عليه جاز المسح بدل الغسل، وإذا كان المسح يضره جاز له أن يلبس على العضو شيئاً ثابتاً ليمسح عليه كالخرقة مثلاً أو القفاز ونحوهما، وإذا شفي الجُرح بطل المسح، وإذا سقطت الجبيرة أو الخرقة كذلك بطل المسح ووجب غسل العضو، إلا إذا كان الغسل يضرُّه فيربطه مرة أخرى ويمسح عليه.

### (الفصل)

**الغسل:** هو تعميم البدن بالماء.

### موجبات الفصل:

**الأول:** إذا حدث اتصال جنسي بين الرجل والمرأة ولو لم ينزل منيًّا، وذلك بإدخال الحشمة

في فرج المرأة، فيجب الغسل على كل من الرجل والمرأة، وهو ما يعرف بالتقاء الختانيين.

**الثاني:** إذا حدث اتصال جنسي بين رجل ودبر امرأة أو رجل أو بهيمة أو صبي من الدبر أو صبية، سواء كان المدخل فيه حيًّا أو ميتاً، راضياً أو مُكرَّهاً، عاقلاً أو مجنوناً، مباححاً أو محراً، ويجب الغسل على الفاعل والمفعول به.

**الثالث:** إذا خرج المنى بشهوة وتتدفق، سواء بجماع أو احتلام أو استمناء باليد أو حتى بمجرد النظر أو التفكير في الأمور الجنسية، والرجل والمرأة في ذلك سواء.

**الرابع:** من احتلم ولم يجد بللاً فلا غسل عليه، رجلاً كان أو امرأة، وإن وجد الرجل منيًّا ولم يذكر احتلاماً لزمه الغسل، وإذا شكَّ فعليه الغسل احتياطاً، وإن لم يتيقن أنه منيًّا فلا غسل عليه.

**الخامس:** إذا خرج منه مني بعد الاغتسال من الجنابة بغير شهوة ولا تدفق فقد قال الشافعية: يجب عليه إعادة الغسل. وقال غيرهم: لا غسل عليه؛ لأنَّه بدون شهوة ولا تدفق.

**السادس:** إذا رأى على ثوبه منيًّا لا يعلم وقت حصوله فيلزمه إعادة الصلاة من آخر نومة له.

**السابع:** إذا مات المسلم وجب غسله إجمالاً، إلا الشهيد فإنه يحرم غسله.

**الثامن:** الكافر إذا أسلم يجب عليه الغسل.

**التاسع:** انقطاع الحيض أو النفاس عند المرأة.

### فرائض الغسل:

**الأول:** النية، حيث ينوي رفع الجنابة أو الحدث الأكبر.

**الثاني:** إيصال الماء إلى جميع البشرة والشعر، ولا فرق بين شعر الرأس وغيره ولا بين الخفيف منه والكثيف، والشعر المضفور إن لم يصل الماء إلى باطنه إلا بفكه ونقضه وجب نقضه، ويجب غسل ما ظهر من صمامي الأدن.

**سنن الفصل:**

١. التسمية.
٢. أن يغسل فرجه أو لا.
٣. ثم يتوضأ كوضوء الصلاة قبل الغسل.
٤. ذلك اليد على ما استطاع من سائر الأعضاء.
٥. الموالاة والترتيب؛ فيغتسل دفعة واحدة ولا يفصل بين الأعضاء بوقت يجف فيه العضو الذي تم فيه الوضوء بل عليه أن يواли بين الأعضاء مرة واحدة، ويحافظ أيضًا على الترتيب الذي وضعه الشارع ولا يخالف ذلك.
٦. التيمن بتقديم اليمين على اليسار؛ أي البدء دائمًا بالعضو الأيمن قبل العضو الأيسر.
٧. تثليث غسل الأعضاء، بحيث يغسل كل عضو ثلث مرات.
٨. تخليل الشعر بالماء؛ أي إدخال الماء خالله باليدين.
٩. غسل سائر الإبط والأذنين والسرة وأصابع الرجلين.

**ما يحرم على الجنب:**

١. الصلاة، فرضاً كانت أم نفلاً.
٢. الطواف حول الكعبة.
٣. مسُّ المصحف أو حملُه.
٤. قراءة القرآن عند الجمهور، وذهب البخاري والطبراني وداود وابن حزم إلى جواز القراءة للجنب، من دون مس ورق المصحف.
٥. البقاء في المسجد إلا لضرورة، كمن احتلم في مسجد وتعذر عليه الخروج منه لخوف على نفسه أو ماله، أما عبور المسجد من غير مُكْثٍ فيه فلا يحرم إذا احتاج لذلك.

## ما يجوز لالجنب:

١. جواز تأخير الاغتسال حتى حضور وقت الصلاة.
٢. الذهاب للسوق ومصافحة الناس ومخالطتهم.
٣. لا بأس إذا عرق الجنب في ثيابه ثم تطهر وصلى فيها دون أن يغسلها.
٤. للجنب أن يتحجج إذا احتاج، وأن يُقلل أظفاره ويحلق رأسه حتى لو لم يتوضأ.
٥. للجنب أن يستريح وينام وإن كان يُسَن له الوضوء قبل النوم إن استطاع، وله أن يأكل ويسرب.

\* \* \*

## ١٨٦-باب فضل الأذان

(١٨٦ / ١٠٣٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلم قال: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ (أي: الأذان) والصَّفَّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَحْدُو إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَا سْتَهْمُوا عَلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَا سْتَبُقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ (أي: وقت صلاة العشاء الأخيرة) وَالصُّبْحِ لَا تَوْهُمَا وَلَوْ حَبُّوا (أي: مشياً على اليدين والركبتين أو على المقعدة)». متفق عليه. «الاستهمام»: الاقتراع. و«اللهجبر»: التَّكْبِيرُ إِلَى الصَّلَاةِ.

(١٨٦ / ١٠٣٤) وعن معاوية رضي الله عنه: قال: سمعتُ رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «المُؤَذَّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رواه مسلم.

(١٨٦ / ١٠٣٥) وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة: أنَّ أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال له: «إِنِّي أُرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالبَادِيَةَ (أي: الصحراء التي لا عمارة فيها) فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنِيمَكَ - أو: باديك - فَأَذَنْتَ لِلصَّلَاةِ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنَّدَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدِيَ (أي: غاية أو نهاية) صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ حِنْ حِنْ وَلَا إِنْسُ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهَدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله صلوات الله عليه وسلم. رواه البخاري.

(١٨٦ / ١٠٣٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ (أي: ريح بصوت تخرج من أسفل الإنسان) حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّاذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ النَّدَاءُ

أقبلَ، حَتَّىٰ إِذَا ثُوَبَ (أي: أقيمت الصلاة) لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ (أي: هرب)، حَتَّىٰ إِذَا قُضِيَ الشَّوَّيْبُ أَقْبَلَ، حَتَّىٰ يَخْطُرَ (أي: يوسوس) بَيْنَ الْمَرْءَ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا وَاذْكُرْ كَذَا - لِمَا لَمْ يُذْكُرْ مِنْ قَبْلِ - حَتَّىٰ يَظْلَمَ الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى». متفق عليه. (**الشَّوَّيْبُ**: الإقامة).

(١٨٦ / ١٠٣٧) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّه سمع رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ النَّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُونَ، ثُمَّ صَلُوْا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّاً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بَهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوْا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزَلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَبْغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ». رواه مسلم.

(١٨٦ / ١٠٣٨) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم قال: «إِذَا سَمِعْتُمُ النَّدَاءَ، فَقُولُوا كَمَا يَقُولُ الْمُؤْذِنُ». متفق عليه.

(١٨٦ / ١٠٣٩) وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النَّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ، وَالْفَضْيَلَةَ، وَابْعُثْنَهُ مَقَاماً مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رواه البخاري.

(١٨٦ / ١٠٤٠) وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤْذِنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبِّي، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولِي، وَبِالإِسْلَامِ دِينِي، غُفرَ لَهُ ذَنبُهُ». رواه مسلم.

(١٨٦ / ١٠٤١) وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «الدُّعَاءُ لَا يُرْدُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ».

رواية أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن».

## ١٨٧- باب فضل الصلوات

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

(١٨٧ / ١٠٤٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم يقول: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا يَبِابُ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَىٰ مِنْ دَرَنِهِ (أي: وسخه) شَيْئًا؟» قَالُوا: لَا يَبْقَىٰ مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصلَواتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا». متفق عليه.

(١٨٧ / ١٠٤٣) وعن جابر رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «مَثُلُ الصلَواتِ الْخَمْسِ كَمَثُلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَىٰ بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ». رواه مسلم.

«الغُمْر» بفتح الغين المعجمة: الكثير.

(١٤٤) وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ رجُلًا أصابَ مِن امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَاتَّى النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَفِيرِ الْصَّلَاةَ طَرَقَ الْتَّهَارِ وَرُزْفًا مِنَ الْيَلِّ إِنَّ الْحَسَنَتِ يُذَهِّبُنَّ الْسَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلِي هَذَا؟ قَالَ: «الْجَمِيعُ أُمْتَى كُلَّهُمْ». متفق عليه.

(١٤٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ (أي: ترتكب وتترف، والمعنى: إذا اجتنبت) الْكَبَائِرُ». رواه مسلم.

(١٤٦) وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه: قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ امْرَءٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةً مَكْتُوبَةً فِي حُسْنٍ وُضُوءَهَا، وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ». رواه مسلم.



### (الصلاحة)

**شروط صحة الصلاة:** وهي الواجبات المطلوبة قبل الدخول في الصلاة.

فيجب على من أراد الصلاة أمورٌ، هي:

١ - العلم والتتأكد من دخول وقت الصلاة؛ لأن صلاة الفريضة قبل دخول وقتها لا تصح، ويكتفى غلبة الظن، فمن تيقَّن أو غلب عليه الظن في دخول الوقت أُبيحت له الصلاة، ويكون ذلك بأحد الأمور التالية:

- أ- بإخبار إنسان ثقة في دينه وعلمه.
  - ب- أذان المؤذن المؤتمن الموثوق في تدعيته وأمانته.
  - ج- الاجتهاد الشخصي فيما وسع المرء.
- ٢ - الطهارة من الحدث الأصغر الموجب للوضوء، والطهارة من الحدث الأكبر الموجب للغسل.

٣- طهارة بدن **المُصلّي** وثوبه والمكان الذي يصلّي عليه من التجassat الحسية متى كان قادرًا على إزالتها، فإن عجز صلّى معها ولا إعادة عليه، وتطهير البدن والثوب ومكان الصلاة أمرٌ واجب، ومن صلّى **مُتلبّسًا** بنجاسةِ فصلاته صحيحة ولكن قد أخلَّ بواجب.

٤- ستر العورة، وحد العورة من الرجل والتي يجب عليه سترها عند الصلاة من السرّة إلى الركبة، أما السرة والركبة فليستا بعورة عند البعض، وهما عورة عند آخرين.

وحد العورة من المرأة بدن المرأة كلها، فيجب عليها ستره ما عدا الوجه والكفين على خلافٍ بين الفقهاء. وذهب بعض الفقهاء إلى أن بدنها عورة إلا الوجه والكفين والقدمين وموضع الخلال. وقال بعضهم: كلها عورة إلا الوجه. وقال بعضهم: جميعها عورة بدون استثناء.

ولا يعتبر الثوب ساترًا للعورة إذا وصفت لون الجلد، ولا تصح الصلاة فيه، وإن كان الثوب ضيقًا يحدد أعضاء العورة فإنه يكون حرامًا أمام من يراه من الناس ممن لا تحل له الرؤية، ولكن لا تبطل به الصلاة.

ومن انكشفت عورته في أثناء الصلاة شيئاً يسيرًا فسترها في الحال لم تبطل صلاته ولو كانت امرأة. وكشف اليسير من عورة الرجل أو المرأة لا تبطل به الصلاة، ولكن يأثم فاعله إن تعمد ذلك، واليسير حسب ما وصفه الفقهاء وجرى به العرف والعادة.

والتجمل في الثياب للصلاة أمر مستحب؛ قال الله تعالى: ﴿يَبْيَنِي مَا دَمَ حَذْوَازِينَتُكَ عنَّدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُّوَاشِرِيُّوا لَأَسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٢١].

### كشف الرأس في الصلاة:

روى ابن عباس أن النبي ﷺ ربما نزع قلنسوته فجعلها ستة بين يديه. ويرى الأحناف أنه لا بأس بصلة الرجل حاسراً الرأس، نازعاً غطاء الرأس، في الصلاة، واستحبوا ذلك إذا كان للخشوع في الصلاة. ولم يرد في الشرع دليل على أفضلية تغطية الرأس في الصلاة.

## استقبال القبلة:

ومن خَفِيَتْ عليه القبلة وجب عليه أن يسأل من يدُّله عليها، فإن لم يجد اجتهاد وصلى إلى الجهة التي أَدَّاه إليها اجتهاده، وصلاته صحيحة ولا إعادة عليه، حتى لو تبيَّن خطأه بعد ذلك، أما إذا تبيَّن الخطأ في أثناء الصلاة استدار ناحية القبلة ولا يقطع صلاته.

### متى يسقط استقبال القبلة؟

استقبال القبلة فريضة، ويسقط في الأحوال الآتية:

- ١ - صلاة النافلة للراكب، فقبلته حيث اتجهت دابته، من طائرة أو سيارة مثلاً ونحو ذلك.
- ٢ - صلاة المُكَرَّه والمريض والخائف، فيجوز لهم الصلاة لغير القبلة إذا عجزوا عن استقبالها.

## أركان الصلاة:

- ١ - النية ومحلها القلب.
- ٢ - القيام في الفرض مع القدرة عليه، فإن عجز عن القيام لمرض أو غيره قعد كيف شاء أو على جَنبِه، ويجوز لمن أراد صلاة النفل أن يصلي قاعداً مع قدرته على القيام، وله حينئذ نصفُ أجر القائم.
- ٣ - تكبيرة الإحرام، ويجب النطق بها بأن يقول: الله أكبر.
- ٤ - قراءة الفاتحة في كل ركعة من ركعات الفرض والنافلة، للمنفرد وللإمام، على أن يُسمع نفسه ولا يكتفي فقط بتحريك لسانه، وإلا بطلت صلاته. ومن جهل قراءة الفاتحة لعذر ما فعله أن يقرأ سبع آيات متواتلة عوضاً عنها أو متفرقة، وإن عجز عن القرآن جاء بذكرٍ بدلاً منها بعد حروفها، فإن لم يحسن قرآنًا ولا ذكرًا كمن أسلم حدثاً ولا يعرف العربية مثلاً فله أن يقف بمقدار قراءة الفاتحة، وـ«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» آية من الفاتحة.

**٥- الركوع:** ويتحقق الركوع بمجرد الانحناء بحيث تصل اليدين إلى الركبتين، ولا بد من الطمأنينة، وهي بمقدار سبحان الله بعد سكون الجسم من الحركة.

**٦- الرفع من الركوع والاعتدال** قائمًا على الهيئة التي كان عليها قبل رکوعه حتى تستقر أعضاؤه، وإلا بطلت صلاته.

**٧- السجود:** ويتحقق السجود عند أكثر الفقهاء بأن يكبر المصلي للسجود بلا رفعٍ لليدين، ويهوي بركتيه ثم يديه ثم جبهته وأنفه. وأعضاء الجسم التي يتم السجود عليها سبعة: الركبتان، وباطن الكفين، وباطن أصابع الرجلين، والجبهة. فيجب على المصلي وضع هذه الأعضاء كلها، ومما هو متشر بين العوام رفع أصابع الرجلين عن الأرض وهذا مما يبطل صلاتهم.

**وَكَشْفُ أَعْضَاءِ السَّجْدَةِ** التي تكشف عادة كالجبهة واليدين غيرُ واجب على الراجع، ويرى البعض أن كشف الجبهة واجب تبطل الصلاة بدونه، والشافعية يقولون بوجوب كشف اليدين جميعاً. وظاهر الأدلة على أنه يجوز تغطية اليدين أثناء السجود لعذر، كما يجوز أن يسجد المصلي على ثوبه أو غطاء رأسه النازل على جبهته إذا كانت الأرض شديدة الحرارة أو شديدة البرودة أو بها شيء يُخشى ضرره مثل الزجاج المكسور ونحوه.

ويشترط ألا يسجد على شيءٍ مرتفع ارتفاعاً يُخلُّ بالصلاحة بغير عذر، فلو سجد بجبهةه على كرسٍ أو على شيءٍ مرتفع بحيث يكون الرأس مساوياً للمؤخرة أو أعلى منها فإنه لا يصح، إلا إذا حدث ذلك لعذر، لأن كانت المرأة حبلٍ وتضرر بالسجود فوضعت شيئاً عالياً تسجد عليه، أو كان زحام شديد فسجد المصلي على ظهر مُصلٍّ أمامه. والسجود المفروض في الصلاة سجدةان في كل ركعة، فإن سجد في آية ركعة سجدة واحدة بطلت تلك الركعة وعليه إعادتها داخل الصلاة، وإلا فلو خرج من الصلاة بطلت صلاته.

**٨- الرفع من السجود والجلوس بين السجدين حتى تستقر أعضاؤه** ويطمئن حاله، وأقله السكون بعد حركة أعضائه، والأكميل أن يدعو فيه بالدعاء الآتي: **رب اغفر لي**

**وارحمني واعافي واهدي وارزقني.**

**٩ - الطمأنينة في الأركان كلها؛ لأنها ركن في الركوع وفي الرفع منه وفي السجود وفي الجلوس بين السجدتين، وما يفعله كثير من الناس عند الصلاة من السرعة المخلة بالطمأنينة يضيّع الصلاة.**

**١٠ - القعود الأخير للتشهد.**

**١١ - التشهد الأخير،** ويقول المالكية إنه سنة كالتشهد الأول.  
**وأقل التشهد:** «التحيات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله».

وأكمله كما سيأتي في كيفية الصلاة.

**١٢ - السلام للخروج من الصلاة،** والواجب فيه التسليمة الأولى، أما الثانية فهي سنة، فإن سلم واحدة فالمستحب أن يُسلّمها تلقاء وجهه، ناظراً جهة القبلة، وإن سلم اثنتين جعل الأولى عن يمينه ويلتفت بها وجعل الثانية عن يساره كذلك. ويقصد بالسلام نية الخروج من الصلاة والتسليم على الملائكة وعلى الصالحين من الإنس والجن.  
 هذه هي أركان الصلاة وما زاد عليها فهو من السنن.

### **سنن الصلاة:**

السنة هي الأمر الذي يُطلب فعله طلباً غير جازم.  
 وعلى هذا فإن فاعلها يُثاب على فعلها، وتاركها لا يُعاقب على تركها، ويُحرّم ثوابها.

### **ومن سنن الصلاة:**

**١ - رفع اليدين،** وله أربعة مواضع: عند تكبيرة الإحرام، وعند الركوع، وعند الرفع من الركوع، وعند القيام إلى الركعة التالية بعد التشهد الأول. وهذه سنن يشترك فيها الرجال والنساء.

- ٢- وضع اليد اليمنى على كف اليد اليسرى، والرسغ والساعد تحت الصدر، فوق السرة أو تحت السرة، وذلك حال القيام في الصلاة كما يكون حال القعود للعاجز عن القيام، ولمن أراد التتفل قاعداً، ويبدأ وضعهما بعد تكبيرة الإحرام.
- ٣- يُفرق بين رجليه بشكل مقبول كالمعتاد، وأما «فرشحة» الرجلين فلا أصل لها.
- ٤- يقول دعاء الاستفتاح سرّاً بعد تكبيرة الإحرام.
- ٥- يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم سرّاً بعد دعاء الاستفتاح.
- ٦- الإسرار في الصلاة السرية، كالظهور والعصر، والجهر في الصلاة الجهرية كالفجر والمغرب والعشاء والجمعة والعيدان، وذلك عند قراءة الفاتحة والسورة إن كان إماماً أو كان يصلّي منفرداً. وقيل: إن المنفرد مُخَيَّر في صلاته بين الجهر والإسرار، وأما المأموم فُيُسِّرُ دائمًا في القراءة، وكذلك المسbowق وهو من أدرك جزءاً من الصلاة خلف الإمام فُيُسِّرُ في أداء ما سبق به.
- ٧- التأمين، أي قول: **آمين** عقب الفاتحة لقارئها بصوت مسموع في الصلاة الجهرية، ويؤمّن المأموم مع تأمين إمامه ويجهّر به، ويُستحب أن يوافق تأمين الإمام؛ لأن الملائكة تقول آمين مع الإمام، وفي هذا إجابة للدعاء.
- ٨- قراءة سورة أو شيء من القرآن بعد الفاتحة في ركعتي الصبح والجمعة والعيدان والاستسقاء والكسوف والخشوف والركعتين الأوليين من الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وفي جميع ركعات السنن والنوافل.
- ٩- الجهر بالقراءة في ركعتي الفجر، وفي الأوليين من المغرب والعشاء، وفي صلاة العيدان وفي صلاة الكسوف والخشوف والاستسقاء، ويُسِّرُ في الظهر والعصر والركعة الثالثة في المغرب والآخرين في العشاء.
- أما السنن والنوافل: فإن صلّى نهاراً أسرّ، وإن صلّى ليلاً فهو مُخَيَّر، وإن نسي فأسرّ في موضع الجهر أو العكس فلا شيء عليه. ويجوز له الجهر في موضع الإسرار لتعليم الغير.

**القراءة خلف الإمام:** الأصل أن الصلاة لا تصح إلا بقراءة سورة الفاتحة في كل ركعة من ركعات الفرض والنافلة، إلا أن المأمور تُسقط عنه القراءة ويجب عليه الاستماع والإنصات في الصلاة الجهرية في الركعات الجهرية فقط، أما الصلاة السرية والركعات السرية في الصلوات الجهرية فالقراءة فيها واجبة على المأمور.

وتجب على المأمور القراءة في الصلاة الجهرية التي لا يمكن فيها من سماع قراءة الإمام.

١٠ - تكبيرات الانتقال، يكبر في كل خفْضٍ ورَفْعٍ وقيام وقعود، إلا في الرفع من الركوع؛ فإنه يقول: **سمع الله لمن حمده**، فإذا اعتدل قائماً قال: **ربنا ولك الحمد**.

١١ - هيئة الركوع، الواجب في الركوع مجرد الانحناء بحيث تصل اليدين إلى الركبتين، والسنن تسوية مستوى الرأس مع العَجْزِ والاعتماد على اليدين بالضغط الخفيف بهما على الركبتين مع إبعادهما عن الجنين بحيث لا يضرُّ من يصلى بجانبه، وتفريج الأصابع على الركبة والساقي كأنه قابض عليها، وجعل الظهر مبسوطاً لا مقوساً.

١٢ - الذكر والدعا في الركوع، يستحب الذكر في الركوع بلغة: **سبحان ربِّي العظيم**.

١٣ - أذكار الاعتدال والرفع من الركوع، فإنه يقول: **سمع الله لمن حمده** عند الرفع من الركوع، فإذا استوى قائماً فليقل: **ربنا ولك الحمد**.

١٤ - كيفية الْهُوِيَّ إلى السجود والرفع منه: يجوز للمصلي أن يتزل إلى السجود بركتيه قبل يديه، وعند القيام من السجود إلى الركعة التي بعدها أن يقوم أولاً بيديه قبل ركتيه، أو العكس فينزل بيديه قبل ركتيه ويقوم بركتيه قبل يديه، كل هذا جائز.

١٥ - هيئة السجود، **يُستحب للساجد أن يُراعي في سجوده ما يأتي:**

أ- تمكين أنفه وجبهته ويديه من الأرض مع إبعادهما عن جنبيه.

ب- وضع الكفين حذو الأذنين أو المنكبين، ويجوز الجمع بينهما فيجعل طرف الإبهام حذو الأذنين وراحتيه حذو منكبيه.

جـ- أن يحيط أصابعه مضمومة عكس حال الركوع حيث يقبض على ركبتيه.

د- أن يستقبل بأطراف أصابع يديه ورجليه القبلة قدر المستطاع.

١٦- أذكار السجود، ومقدارها أن يقول الساجد حين سجوده: سبحان ربِّي الأعلى، ثلاث مرات، وأما أدنى ما يُجزئ فمقدار تسبيحة واحدة مع الطمأنينة؛ لأنها فرض.

وأما كمال التسبيح فقدره بعض العلماء بعشر تسبيحات، وقال بعضهم: ينبغي لكل إمام أن يخفف كما أمر النبي وإن علم قوة من خلفه فإنه لا يدرى ما يحدث لهم من طارئ أو حادث وشغل عارض وحاجة وغير ذلك. قال ابن المبارك : يستحب للإمام أن يسبح خمس تسبيحات ليدرك من خلفه ثلاث تسبيحات، والمستحب ألا يقتصر المصلى على التسبيح فقط، بل يزيد عليه ما شاء من الدعاء.

١٧- صفة الجلوس بين السجدين: السنة في الجلوس بين السجدين أن يجلس مفترشاً بأن يثنى رجله اليسرى فيسيطرها ويجلس عليها وينصب رجله اليمنى جاعلاً أطراف أصابعها إلى القبلة. ويجوز له الإقاء وهو أن يفرش قدميه ويجلس على مؤخرته.

ويُستحب للجالس بين السجلتين أن يضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويده اليسرى على فخذه اليسرى، بحيث تكون الأصابع مبسوطة تجاه القبلة مفرّجة قليلاً مع ملامسة الركتين.

١٨ - الدعاء بين السجدين: يستحب الدعاء بين السجدين بأحد دعائين: **«رب اغفر لي»**.  
والثاني: **اللهم اغفر لي وارحمني، واعفني واهدني وارزقني**». أبو داود برقم (٨٥٠).

١٩- جلسة الاستراحة، وهي جلسة قصيرة يجلسها المصلحي بعد الفراغ من السجدة الثانية من الركعة الأولى قبل النهوض إلى الركعة الثانية، وبعد الفراغ من السجدة الثانية من الركعة الثالثة قبل النهوض إلى الركعة الرابعة.

قال ابن القيم : إن هدي النبي ﷺ لم يكن فعلها دائمًا، ولم تذكر وصفًا لصلاته، ومجرد فعله لها لا يدل على كونها من سنن الصلاة، وقد يفعلها المصلى لحاجته إليها،

فهي تدور بين الاستحباب أو الفعل لحاجة أو الترك لها.

- صفة الجلوس للتشهد: ينبغي عند الجلوس في التشهد مراعاة السنن التالية:
  - أ- أن يقعد للتشهد واصعاً يده اليسرى على ركبته اليسرى واليمنى على اليمنى عاقداً ثلاثاً وخمسين باليمنى ويشير بإصبعه السبابة، فيقبض أصابعه كلها ويشير بالسبابة.
  - ب- أن يضع كفه اليسرى على فخذه وركبته اليسرى وجعل حد مرفقه الأيمن على فخذه اليمنى ثم يقبض بين أصابعه فيحلق حلقة، يحلق بالوسطى والإبهام ويشير بالسبابة يحركها يدعو بها.
  - ج- أن يضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويده اليسرى على فخذه اليسرى، ويشير بالسبابة، ولا يجاوز بصره إشارته بدون قبض لليد.
- وهذه الكيفيات الثلاث صحيحة، والعمل بأية كيفية منها جائز.
- أن يُشير بسبابته اليمنى مع انحنائها قليلاً حتى يسلم.
- رأي الشافعية أن يُشير بالإصبع مرة واحدة عند قوله: إلا الله، من الشهادة.
- رأي الحنفية أن يرفع سبابته عند النفي عند قوله: لا إله، ويضعها على فخذه عند الإثبات: إلا الله، من الشهادة.
- رأي المالكية أن يحركها يميناً وشمالاً إلى أن يفرغ من الصلاة.
- رأي الحنابلة أن يُشير بإصبعه كلما ذكر اسم الجلاله ولا يحركها.
- أن يفترش في التشهد الأول، وأن يتورّك في التشهد الأخير.
- والتورك أن ينصب رجله اليمنى موجهاً إصبعه إلى القبلة، ويثنى رجله اليسرى تحتها ويجلس بمقعده على الأرض.
- د- التشهد الأول، وهو سنة، ويُستحب التخفيف فيه.
- هـ- الصلاة على النبي ﷺ: ويُستحب للمصلي أن يصلي على النبي ﷺ في

التشهد الأخير.

و- الدعاء بعد التشهد الأخير وقبل السلام: ويستحب الدعاء بعد التشهد وقبل السلام بما شاء من خيري الدنيا والآخرة، سواء كان مأثوراً أو غير مأثور، وإن كان المأثور أفضل.

ز- الأذكار والأدعية بعد السلام: ويسن للمصلحي أن يأتي بعض الأذكار والأدعية بعد الصلاة.

### **مبطلات الصلاة:**

١- الأكل والشرب عمداً.

٢- الكلام عمداً في غير مصلحة الصلاة، فإن تكلم جاهلاً بالحكم أو ناسياً فالصلاحة صحيحة. وقال الأوزاعي : من تكلم في صلاته عاماً بشيء يريد به إصلاح الصلاة لم تبطل صلاته، فمثلاً لو صلى رجل إماماً في العصر فجهر بالقراءة، فقال رجل من ورائه: إنها صلاة العصر، أو إنها صلاة سرية، أو ما شابه - فلا تبطل صلاته.

٣- العمل الكثير عمداً. والقلة والكثرة مختلف فيها بين العلماء، وقال النووي : إن الفعل الذي ليس من أعمال الصلاة إن كان كثيراً بحيث لو رأه إنسان ظنَّ أنه ليس في صلاة أبطلها بلا خلاف. وأما إن كان قليلاً ولم يكن حتى من جنس الصلاة (أي: يعني أعمال الصلاة) لم يطأها بلا خلاف. وهذا في رأيه الضابط للقلة والكثرة.

وقال جمهور العلماء: الرجوع في ضابط القلة أو الكثرة عموم العادة بين الناس.

٤- ترك ركن أو شرط عمداً وبدون عذر. كمن صلى بغير طهارة أو لغير القبلة عمداً أو نسياناً، أو ترك الطمأنينة عمداً أو نسياناً. وعلى العموم يحرُم على المصلحي أن يفعل ما يفسد صلاته بدون عذر؛ فإن وجد سبيلاً، كإغاثة ملهوفٍ أو إنقاذ غريق ونحو ذلك فإنه يجب عليه أن يخرج من الصلاة، ويرى الأحناف والحنابلة أنه يُباح له قطع الصلاة لو خاف ضياع مالٍ حتى لو كان قليلاً له أو لغيره، أو خافت إن تألم ولدُها من

البكاء، أو فار قدر الطبيخ، أو هربت دابةٌ ونحو ذلك.

٥- التبسم والضحك في الصلاة: قال العلماء: لا بأس في التبسم، أما من ضحك بصوت فبان منه حرفان (أي: تحركت شفتيه بحروفين) بطلت صلاته، أما من غلبه الضحك ولم يقو على دفعه فلا تبطل الصلاة به إن كان يسيراً، وتبطل به إن كان كثيراً، بحسب العرف والعادة.

### ما يُباح في الصلاة:

١- البكاء والتاؤه والأئن، سواء كان من خشية الله، أو من المصائب والأوجاع مما لا يمكن دفعه.

٢- الالتفات عند الحاجة، فإن كان لغير حاجة كره تزيهاً؛ لمنافاته الخشوع والإقبال على الله، وهذا في الالتفات بالوجه، أما الالتفات بجميع البدن والتحول عن القبلة فهو مبطل للصلاة.

٣- قتل الحية والعقرب والزنابير ونحو ذلك من كلّ ما يضرُّ، وإن أدى قتلها إلى عمل كثير ويُكمِّل صلاته.

٤- المشي اليسيير لحاجةٍ، قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يصلِّي في البيت والباب عليه مغلق، فاستفتحت الباب (أي: طلبت فتحه) فمشى ففتح لي ثم رجع إلى مصلاه. [أحمد في مسنده (٢٣٤ / ٦) برقم (٢٦٠١٤)]. وكان الباب تجاه القبلة، وحتى لو كان عن اليمين أو اليسار فهو جائز على ألا يستدبر القبلة.

٥- حمل الصبي وتعلقه بالمصلبي.

٦- إلقاء السلام على المصلبي ومخاطبته: فيجوز للمصلبي أن يرد السلام وغيره بالإشارة على من سلم عليه أو خاطبه، ويستوي في ذلك الإشارة بالإصبع أو اليد كلها أو بالإيماء بالرأس، فكل ذلك وارد عن رسول الله ﷺ.

٧- التسبيح والتصفيق: فالتسبيح للرجال بقول: سبحان الله. والتصفيق للنساء، وذلك إذا

عَرَضَ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْوَارِ كَتْبَيْهِ الْإِمَامُ إِذَا أَخْطَأَ وَكَإِعْطَاءِ الإِذْنِ لِلداخلِ أوِ إِرْشَادِ الأَعْمَى.

٨- الفتح على الإمام إذا نسي: فله أن يذكره بالآية.

٩- حمد الله عند العطس، أو عند حدوث نعمة، وأما كظم التثاؤب فمستحب.

١٠- السجود على ثياب المصلي أو عمامته لعذر: فلل被捕لي أن يتقي الحر والبرد بشوربه.

١١- القراءة من المصحف: ومذهب الشافعية يجيز أن يؤم المصلي بالناس بالقراءة من المصحف، قال النووي : ولو قلب أوراق المصحف أحياناً في صلاته لم تبطل، وحتى لو نظر في مكتوب غير القرآن وردد ما فيه في نفسه لم تبطل صلاته، وإن طال فعله، لكن يكره له ذلك.

١٢- شغل القلب بغير أعمال الصلاة: فمع أن الصلاة في هذه الحالة صحيحة وتجزئ إلا أنه ينبغي للمصلي أن يقبل بقلبه على ربه، ويصرف نفسه عن الشواغل، ويتذكر في الآيات ويفهم حكمتها.

### **ما يكره في الصلاة:**

١- يكره لل被捕لي أن يترك سنة من سنن الصلاة.

٢- العبث بالثوب أو البدن إلا إذا دعت إليه الحاجة.

٣- أن يضع يده على خاصرته في وسطه.

٤- رفع البصر إلى السماء.

٥- النظر إلى ما يلهمي عن الصلاة.

٦- تغميض العينين: كره البعض وجوزه البعض بلا كراهة، والأفضل أن يقال: إن كان فتح العينين لا يخل بالخشوع فهو أفضل، وإن كان يحول بينه وبين الخشوع ويشوش عليه فلا يكره التغميض.

- ٧- الإشارة باليدين يميناً وشمالاً عند السلام للخروج من الصلاة.
- ٨- تغطية الفم والإسدال، والإسدال هو إرسال الشوب حتى يُصيب الأرض.
- ٩- الصلاة بحضور الطعام، أي إذا وضع الطعام، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يوضع له الطعام وتُقام الصلاة فلا يأتيها حتى يفرغ وانه يسمع قراءة الإمام، وذلك حتى تأخذ النفس حاجتها منه، فلا تُنزع شهوة الطعام عن إتمام الركوع والسجود وبباقي الواجبات.
- ١٠- الصلاة مع حبس البول والغائط ونحوهما مما يشغل القلب.
- ١١- الصلاة عند مغابلة النوم.
- ١٢- التقيد والالتزام بمكان مخصوص من المسجد للصلاة فيه، وهذا لغير الإمام.

### **السترة أمام المصلي:**

يستحب للمصلي أن يتخذ ستة أمامه في الصلاة، ولا يجب عليه ذلك، فالسترة مستحبة وليس فرضاً. وذلك بأن يجعل المصلي بين يديه ستة تمنع المرور أمامه، وتكتف بصره عما وراءها، وتحقق بأي شيء ينصبه المصلي تلقاء وجهه ولو اعتبرها عند نهاية فرشة السجادة أو المصلاة.

وتعتبر ستة الإمام في صلاة الجماعة ستة لمن خلفه من المأمومين، ففي الحديث ما يدل على جواز المرور بين المأموم والإمام. فالسترة تشرع للإمام في الجماعة أو للمنفرد بصلاته.

ويستحب الدنو من السترة بحيث يكون بينه وبينها قدر مكان السجود، وكذلك المسافات التي بين الصفوف. والمرور المعتمد بين يدي المصلي وستره يعتبر من الكبائر، أما إذا لم يضع المصلي ستة فلا يحرم المرور بين يديه، والأولى ألا يمر. وإذا اتخذ المصلي ستة يُشرع له أن يمنع المرور بين يديه من إنسان أو حيوان ولكن باللين والرفق. ولا يقطع صلاته لمرور الناس أمامه، سواء منعهم أو لم يستطع منعهم.

### قضاء الصلاة:

اتفق العلماء على أن قضاء الصلاة واجب على الناسي والنائم، أما من غاب عن الوعي ثم أفاق فليس عليه قضاء. أما التارك للصلوة عمداً فذهب جمهور العلماء إلى أنه يأثم ويلزمه القضاء. ويرى ابن تيمية أنه لا يشرع له قضاها ولا تصح منه، بل يكثر من التطوع، وكذلك قال ابن حزم. ولمن فاته الصلاة أن يأخذ بأحد الأمرين.

### صلاة المريض:

من حصل له عذرٌ من مرضٍ ونحوه لا يستطيع معه القيام في الفرض، يجوز له أن يصلِّي قاعداً، فإن لم يستطع القعود صلِّي على جنبه يومئ بالركوع والسجود ويجعل سجوده أخفض من رکوعه. والمعتبر في عدم الاستطاعة هو المشقة أو خوف زيادة المرض، أو تباطؤ شفائه أو خوف دوران الرأس.

وصفة الجلوس الذي هو بدل القيام أن يجلس متربعاً، وأما صفة من عجز عن القيام والقعود فقيل: يصلِّي على جنبه، فإن لم يستطع صلِّي مستلقياً ورجاله إلى القبلة على قدر طاقته، وإذا تعذر الإيماء من المستلقي لم يجب عليه شيءٌ بعد ذلك.

### الجمع بين الصالاتين:

اتفق العلماء على أن الجمع بين الظهر والعصر بعرفة يوم عرفة جمْع تقديم والجمع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة يوم عرفة جمْع تأخير جائزٌ، وهو السنة المؤكدة. ومعنى جمْع تقديم أن يصلِّي الصالاتين في وقت الأولى منهمما.

ومعنى جمْع تأخير أن يصلِّي الصالاتين في وقت الثانية منهمما.

وهذا للظهور مع العصر، والمغرب مع العشاء فقط، ولا جمْع لصلاة الفجر أبداً.

قال جمهور الفقهاء: يجوز جمْع التقديم والتأخير بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء في أثناء السفر المعتبر شرعاً. فإن سافر بعد أذان الظهر جمْع الظهر والعصر جمْع تقديم، وإن سافر قبل أذان الظهر جمعهما جمْع تأخير، وكذلك بالنسبة للمغرب

والعشاء. وإن كان بعض الفقهاء لا يرى الجمع إلا في أثناء حركة السفر الفعلية.

ويجوز جمع التقديم - ويقصد به صلاة الجمعة في المسجد - بين المغرب والعشاء بسبب المطر الشديد أو الظلمة المخيفة والوحش الشديد إذا تعذر على المصليين العودة للمنزل بعد صلاة المغرب مثلاً والذهاب مرة أخرى للمسجد لصلاة العشاء جماعة فعلاً.

أما من يذهب بسيارته والمطر لا يؤثر فيه، أو كانت الظلمة شديدة ولكن مع وجود أنوار، فلا يجوز الجمع لعدم العذر، ولا يجوز إلا جمع تقديم، أما التأخير فلا يجوز في المغرب والعشاء عند حدوث ذلك العذر. ويجوز للمربيض الذي يشق عليه أداء كل صلاة في وقتها أن يجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء تقديمًا أو تأخيرًا رحمة له. كما أجاز كثير من الفقهاء الجمع في الحضر للحاجة والضرورة.

مثال: شرطي تبدأ حراسته بعد صلاة الظهر وتنتهي إلى ما بعد المغرب، ولا يُسمح له أن يترك الحراسة للصلوة، فله أن يجمع بين الظهر والعصر معًا جمع تقديم.

ومثال: طالب يدخل امتحانًا قبل المغرب ولا ينتهي إلا بعد صلاة العشاء، فله أن يجمع جمًعاً تأخيرًا إذا لم يُسمح له بالصلوة في أثناء الامتحان.

ومثال: عامل أمام آلة كهربائية أو ميكانيكية، لو غفل عنها ربما أحدثت أضراراً مادية به، أو لا يسمح له صاحب العمل بأن يصل إلى في أثناء العمل، وهو مضطط للعمل، فله أن يجمع.

### سجود السهو:

ثبت أن النبي ﷺ نسي في صلاته أكثر من مرة بزيادة أحياناً ونقصاناً أحياناً، فتدارك ذلك بأن سجد للسهو وعلم أصحابه كيف يسجدون للسهو إذا نسوا في الصلاة، فقال: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنَّسَى كَمَا تَنسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ فَلَيَسْبُدْ جُدْ سَجْدَتَيْنِ». متفق عليه.

ومن ترك ركناً من أركان الصلاة ناسيًا ولم يتداركه فإن سجود السهو لا يجبره وتبطل صلاته بتتركه للركن إلا أن يتداركه. وسجود السهو يكون من الزيادة في الصلاة أو

النفchan، فمن شك في صلاته بالزيادة أو النقصان فليس بواجب للسهو.

ومن ترك تكبيرة الإحرام بطلت صلاته، وعليه أن يبدأ بتكبيرة الإحرام من جديد.

أما من ترك ركناً ناسياً لزمه أن يعود لذلك الركن، كمن نسي الركوع مثلاً وتذكر في أثناء سجوده، فعليه أن يرجع للركوع وللتيم صلاته بعد ذلك بنفس ترتيب أركان الصلاة ثم يسجد للسهو آخر الصلاة. ومن لم يتذكر الركن الذي نسيه ولم يعُد له سهواً أو جهلاً بطلت الركعة فقط وصارت ملاغةً لأن لم تكن ويُكمل صلاته على اعتبار أنه لم يصل هذه الركعة ثم يسجد للسهو في آخر الصلاة.

ومن نسي التشهد الأول (الأوسط) وقام للركعة الثالثة قياماً غير كامل فله أن يجلس ويُتم صلاته، فإذا تم قيامه ورجع للتشهد المنسى بعد تمام القيام قيل: بطل صلاته، وقيل: يُكره فقط. والأولى ألا يرجع من قيامه؛ لأنه فرض، ويترك السنة وهي التشهد الأوسط، ويُسجد للسهو. ومن ترك سنة من سنن الصلاة سهواً أو جهلاً فإن سجود السهو بالنسبة له سنة وليس واجباً، أي أنه مُخيَّر في فعله.

ويجب على المأمور أن يتابع الإمام في سجوده للسهو، وإن لم يكن يقتدي به حال سهوه، وحتى لو كان مسبوقاً سجد للسهو مع الإمام، ولكن لا يُسلِّم بل يقوم لأداء ما فاته. وإذا سها المأمور في أثناء اقتدائـه بـإمامـه فلا شيء عليه، ولا يسجد للسهو؛ لأن الإمام يتحمـل عنه سهوه.

ومن شك في صلاته فلم يذر ما عدد ما صلـاهـ فإنـ عليهـ أنـ يـبـيـنـ علىـ الأـقـلـ الـمـتـيقـنـ ثم يسجد في آخر الصلاة للسهو، فمن كان لا يدرـيـ هلـ صـلـىـ ثـلـاثـاـ أوـ أـرـبـاعـاـ فإنـ عليهـ أنـ يـعـتـبرـ أقلـ ماـ صـلـاهـ وهوـ ثـلـاثـةـ ويـأـتـيـ بـرـكـةـ رـابـعـةـ ثمـ يـسـجـدـ للـسـهـوـ. ويـصـحـ سـجـودـ السـهـوـ قـبـلـ السلامـ منـ الصـلـاةـ كـمـاـ يـصـحـ بـعـدـ السـلـامـ، وـاـخـتـلـفـ فـيـ أـيـهـماـ أـفـضـلـ. أـمـاـ صـلـاةـ النـافـلـةـ فـحـكـمـهاـ كـحـكـمـ صـلـاةـ الفـريـضـةـ فـيـ سـجـودـ السـهـوـ عـنـ عـامـةـ الـفـقـهـاءـ.

### كيفية سجود السهو:

أن يسجد الساهي سجدين مثل سجادات الصلاة ثم يسلم، وله أن يُسلِّم بعد

السجدتين مباشرةً أو يقرأ التشهد ويسلم بعدهما، وقيل: إن سجد المصلى الساهي بعد السلام من الصلاة فليقرأ التشهد ويسلم، ومن سجد قبل التسليم لا يتشهد بل يسلم مباشرةً.

ومن نسي أن يسجد للشهو ثم تذكّر سجد إن كان لا يزال في مكان الصلاة حتى لو تكلم بكلام أو تحرك قليلاً بعيداً عن مكان الصلاة، إلا إذا حصل فاصل طويل حسب العُرف والعادة.

وقال بعض الفقهاء: لا يسقط وإن تذكّره ولو بعد شهر، فليسجد ولا شيء عليه.

### سجود الشكر:

سجود الشكر عند حدوث نعمة إذا كان العبد يتظاهرها، أو اندفاع بليه كان يتمنى انكشفها، أو رؤية مُبَتَّلَى بعلة أو معصية، وعليه أن يُخفي سجوده عن صاحب العلة أو المرض حتى لا يحمله ذلك على كفران النعمة والقدر من الله، وله أن يُظهر سجود الشكر للعاشي لعله يتوب.

ويُشترط لسجود الشكر - في رأي بعض العلماء- ما يُشترط للصلوة من صحةٍ كالطهارة من الحدث وطهارة المكان والثوب واستقبال القبلة كسجود التلاوة.

أما ابن حزم فيرى أن السجود في قراءة القرآن، يقصد سجود التلاوة، ليس ركعة ولا صلاة، فهو جائز بلا وضوء، وحتى جائز للجنب والجائض، وإلى غير القبلة، كأنه ذُكر ولا فرق. وكذلك في رأيه أن سجود الشكر سجدة واحدة فقط بتسبيحات السجود.

### كيفية الصلاة:

١- استحضر بقلبك نية الصلاة التي تريد أن تصليها، واعزم عليها عند تكبير الإحرام، ولا يطلب منك التلفظ بالنية؛ لأنه لم يثبت عن رسول الله ﷺ ولا صحابته ولا عن الأئمة الأربع وإنما قال بها بعض المؤاخرين من أتباع المذاهب.

- ٢- قُلْ عند استحضار النية: الله أكبر. فهذه تكبيرة الإحرام التي تدخل بها الصلاة، وهي أيضاً تكبيرة التحرير التي تحرّم بها أشياء كانت مباحةً قبل الصلاة.
- ٣- ارفع يديك عند تكبيرة الإحرام ممدودةً الأصابع إلى جهة القبلة، واجعل الرفع إلى أذنيك أو إلى مَنْكِبِيكَ، أو اجعل باطن الكفين إلى جهة القبلة وأطرافَ الأصابع واصلةً إلى أعلى الأذنين، والكَفَّيْنِ مقابل الكتفين، وهذه الكيفية تجمع بين القولين، وهي الأفضل.
- ٤- ضَعْ يدك اليمنى على كَفِّ اليسرى وساعدها، ثم ضعهما على صدرك أو تحت الصدر فوق السرة.
- ٥- اقرأ أيّ دعاء من أدعية الاستفتاح، وفيها القصير والطويل، والمناسب أن تختار الدعاء القصير إذا كنت إماماً، وهذه بعض الصيغ فاختَر منها:
- أ- اللهم باعِدْ بيَنِي وبين خطايِي كما باعِدْتَ بين المشرق والمغرب، اللهم اغسلني من خطايِي بالماء والثلج والبرد، اللهم نَقِّنِي من الذنوب والخطايا كما يُنقَّى الثوب الأبيض من الدَّنَسِ. متفق عليه: البخاري برقم (٧٤٤)، ومسلم برقم (١٤٧).
- ب- اللهم رب جبرائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك؛ إنك تهدي من تشاء إلى صراطِ مستقيم. مسلم برقم (٢٠٠).
- ج- الله أكبر كثيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً. مسلم برقم (١٥٠).
- د- سبحانك اللهم وبحمدك، وبارك اسمك، وتعالى جَدُّك، ولا إله غيرُك. مسلم برقم (٥٢).
- هـ- وجَهْتُ وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنِيفاً مسلماً وما أنا من المشركيْن، إن صلاتي ونسُكِي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أُمِرْتُ وأنا أول المسلمين. مسلم برقم (٢٠١).

٦ - وبعد دعاء الاستفتاح قُل: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. أو قُل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزَهٍ وَنَفْخَهٍ وَنَفْثَهٍ. أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِرَقْمِ (١٦٧٤٠).

أو قُل: أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزَهٍ... إِلَى آخِرِهِ. أَبُو دَاوُدْ بِرَقْمِ (٧٧٥)، وَالترْمذِيُّ بِرَقْمِ (٢٤٢).

٧ - اقرأً بعد ذلك الفاتحة، وإن كنت إماماً فلا تجهر بشكل دائم بالبسملة في الجهرية، فإن النبي ﷺ كان يجهر بها أحياناً ويخفيفها أكثر الأحيانين وإن كنت مأموراً فليس عليك قراءة الفاتحة في الركعات التي يجهر الإمام فيها بالقراءة عند أكثر الفقهاء، والأحوط أن تقرأها.

٨ - فإذا فرغت من قراءة الفاتحة فقل: **آمين**. بمد الألف أو بغير مد، ومعناها: اللهم استحب. وكلمة «آمين» ليست من الفاتحة، ومطلوبٌ منك أن تجهر بها إن كنت تجهر بالقراءة، ويستحب للمأومين أن يقولوها مع الإمام ليغفر الله لهم.

٩ - وإن كنت إماماً فاسكت سكتة خفيفة بين قراءة الفاتحة وقراءة السورة، وسكتة خفيفة أخرى بعد الانتهاء من القراءة حتى لا تصل القراءة بالركوع.

١٠ - فإذا فرغت من قراءة الفاتحة فاقرأ شيئاً من القرآن الكريم، سورة أو بعض سوره، وعلى الإمام أن يراعي حالة المأومين فيخفف في قراءة السورة، **إِنْ فِيهِمْ ضَعِيفٌ وَالْكَبِيرُ وَصَاحِبُ الْحَاجَةِ**. متفق عليه.

١١ - فإذا فرغت من القراءة فارفع يديك كما فعلت عند تكبير الإحرام وكبر وأنت تهبط للركوع، وضع كفيك على ركبتيك لأنك قابض عليهم وأبعد يديك عن جنبيك، واجعل ذراعيك مشدودتين، وابسط ظهرك واجعله ممدوداً، واعتدل في رکوعك فلا ترفع رأسك ولا تخفضه، ولكن اجعله في مستوى ظهرك.

١٢ - قُل في رکوعك: **سَبَحَنَ رَبِّ الْعَظِيمِ**. بأي عدٍ، وأقل الكمال ثلاث، وأوسطه خمس أو سبع، وأكثره عشر. وإن كنت وحدك فزد ما شئت وقل مع ذلك إن شئت:

**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي.** متفق عليه: البخاري برقم (٧٩٤)، ومسلم برقم (٢١٧).

**أو قل: سُبُّوح قدوس رب الملائكة والروح.** مسلم برقم (٢٢٣).

**أو قل: اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشعت لك سمعي وبصري،**  
**ومخي وعزمي وعقبي.** مسلم برقم (٢٠١).

**١٣ - ارفع رأسك من الركوع وأنت تقول عند رفع رأسك: سمع الله لمن حمده،** وارفع  
يديك كما رفعتهما عند تكبيرة الإحرام.

**٤ - فإذا وقفت معتدلاً فقل: ربنا ولك الحمد.** [البخاري برقم (٦٨٩)].

**أو: ربنا لك الحمد.** [متفق عليه: البخاري برقم (٧٢٢)، ومسلم برقم (٦٢)].

**أو: اللهم ربنا ولك الحمد.** [البخاري برقم (٧٩٥)].

**أو: اللهم ربنا لك الحمد، ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيءٍ**  
بعدُ، **أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبدٌ، لا مانع لما أعطيتَ، ولا معطي**  
**لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد.** [مسلم برقم (١٩٤)].

**وإن شئت فزاد عليها: اللهم طهّرني بالثلج والبرد والماء البارد، اللهم طهّرني من**  
**الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ.** [مسلم برقم (٢٠٤)].

**أو تقول: ربنا ولك الحمد، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.** [البخاري برقم (٧٩٩)].

ويجب أن يدرك المصلي أن الاطمئنان في الركوع وفي الرفع منه حتى يعتدل تماماً،  
وفي السجود حتى يستقر كل عضو، وفي الرفع منه حتى يطمئن جالساً، كل ذلك من  
الواجبات التي من تركها بطلت صلاته على الراجح.

**١٥ - ثم كبر وأنت تنزل للسجود،** ولك أن تنزل بيديك قبل ركبتيك، أو تنزل بركتييك قبل  
يديك، **والخلاف في ذلك مشهور.**

**إذا سجدت فاجعل سجودك على جبهتك وأنفك، وأبعد ذراعيك عن جنبيك،**

وارفعهما عن الأرض، وأبعد بطنك عن فَخِذْيَكَ، وأضمم أصابع كَفَيْكَ، واجعل كفيك متوجهتين إلى القبلة وهم بحِذَاء أذنيك أو بحِذَاء كتفيك، واجعل أصابع رجليك متوجهةً للأطراف إلى القبلة مع نَصْب القدمين.

ولا تسجد على عمامتك، ولا على شيءٍ وَضَعْتَهُ عَلَى رَأْسِكَ، مثل القلنسوة.

١٦ - قُل في سجودك: **سبحان رب الأعلى**، [مسلم برقم (٢٠٣)] والعدد كما ذُكر في الرکوع، ولنك أن تقول مع ذلك: **سبحان الله ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**، [متفق عليه: البخاري برقم (٧٩٤)، ومسلم برقم (٢١٧)] وأن تقول: **سُبُّوح قدوس رب الملائكة والروح**، [مسلم برقم (٢٢٣)] وأن تدعوا بما شئت.

ومن الأدعية: **اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.** [مسلم برقم (٢٢٢)].

ومنها: **اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقة وجله، وأوله وآخره، وعلانئته وسرّه.** [مسلم برقم (٢١٦)].

١٧ - ارفع رأسك من السجود وأنت تقول: **الله أكبر**، ثم اجلس على رجلك اليسرى بعد أن تفترشها تحتك، وانصب رجلك اليمنى واجعل أصابعها جهة القبلة، واجعل يديك على فَخِذْيَكَ بحيث تكون أصابع كَفَيْكَ على ركبتيك مُفَرَّقة على هيئتها، وجوز البعض أن يجلس المصلي بين السجدين على عقبيه وقدماه منصوبتان.

١٨ - قُل بين السجدين: **رب اغفر لي، رب اغفر لي**، أو قل: **اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافي، واهدني، وارزقني.**

١٩ - اطمئن في الجلسة بين السجدين حتى تستقر جالساً، واحذر السرعة التي تُفسد الصلاة.

٢٠ - اسجد السجدة الثانية، وافعل فيها كما فعلت في الأولى، ثم ارفع رأسك وقم للركعة الثانية وأنت تقول أثناء القيام: **الله أكبر**، ثم افعل في الركعة الثانية كما فعلت في الركعة

الأولى من قراءة الفاتحة وسورة أو بعض سورة جهراً في الصلاة الجهرية، وسراً في الصلاة السرية إن كنت إماماً، أما إن كنت منفرداً فلك الحرية في الجهرية بأن تجهر فيها أو تُسر، أما السرية فليس لك أن تجهر فيها، وكذلك القول في النوافل، فإنك تجهر أو تُسر في النوافل والسنن الليلية، وتسر فقط في النهارية، مع العلم بأن كل النوافل والسنن يُسن فيها قراءة قرآن مع الفاتحة في كل ركعة.

٤١ - بعد الركعتين الأوليين تجلس للتشهد الأول إن كانت الصلاة ثلاث ركعات أو أربعًا، ويُعتبر التشهد الأخير إن كانت الصلاة ركعتين فقط، كصلاة الصبح والجمعة والعيددين والنافلة وغيرها.

٤٢ - إذا جلست للتشهد الأول أو الأخير فإن لك أن تفرش رجلك اليسرى وتجلس عليها وتنصب قدمك اليمنى جاعلاً أصابعها جهة القبلة، وذلك أن يجعل اليسرى تحت ساق اليمنى وتجلس على **الآيتيلك**، والجلوس الأول يُسمى الافتراض، والثاني يُسمى التورك، وذلك أن يجعل الافتراض في التشهد الأول والتورك في التشهد الأخير، وقد اختار ذلك بعض الفقهاء والكل **سُنة**، والأمر مُوسع فلا حرج.

وأما بالنسبة لوضع اليدين فإنك تضعهما كما وضعتهما بين السجدتين، غير أنك بالنسبة لليد اليمنى يُستحب أن تفعل الآتي من أجل التشهد:

- أن تقبض الأصابع كلها إلا السبابة، فإنك تُشير بها إلى الأمام ولا تقبضها.

- أن تقبض **الختنصر والبنصر** وتعمل حلقة بالوسطى والإبهام، وتُشير بالسبابة كما سبق.

- أن تفعل ما ذكر في العنصر السابق، غير أنك تجعل جانب السبابة إلى السماء وتحركها يميناً وشمالاً.

- أن تضع اليمنى كما تضع اليسرى وتُشير بالسبابة اليمنى فترفعها في الشهادة عندما تقول: لا إله، وتضعها عندما تقول: إلا الله، وكلها كيفيات واردة،

فاعمل منها ما تُحبُّ.

٢٣ - اقرأ التشهد في هذه الجلسة إذا كنت تصلي صلاة رباعية أو ثلاثة، وصل على النبي ﷺ في آخر التشهد صلاة خفيفة، كأن تقول: **اللهم صل على محمد وآله وسلم**. وسيأتيك أنواع التشهد بعد ذكر كيفية الصلاة.

٤ - قُم إلى الركعة الثالثة وأنت تُكبر، فإذا وقفت فارفع يديك كما رفعهما عند تكبير الإحرام، ثم اقرأ الفاتحة فقط، ثم صل الركعة الرابعة بالفاتحة فقط كالثالثة، ولو رأيت قرآنًا في الثالثة أو الرابعة فإنه لا يضر الصلاة ولكن لا تجعله عادة.

٥ - اجلس للشهاد الأخير، واقرأ التشهد ثم صل على النبي ﷺ بالصيغة الإبراهيمية ثم ادع الله بما شئت، والدعاء بالوارد أفضل، واحرص على هذا الدعاء فإن النبي ﷺ أمر به، وهو أن تقول كما قال النبي ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحييا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال». [متفق عليه]

والبعض يرى وجوب هذا الدعاء للأمر به في الحديث.

٦ - بعد ذلك سلم عن يمينك ملتفتاً حتى يرى جارك خدك، قائلاً: **السلام عليكم ورحمة الله**، ثم عن يسارك كما سلمت عن يمينك، واقتصر بالسلام الخروج من الصلاة والسلام على من معك من الملائكة والجن والإنس والمسلمين، ولذلك تزيد كلمة **وبركاته** في السلام عن يمينك، وقيل: عن يسارك.

٧ - وإليك أهم صيغ التشهد الواردة عن رسول الله ﷺ فاختر منها ما شئت، غير أن الكثير يفضلون صيغة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لورودها في الصحيحين:

**أ - صيغة ابن مسعود:** **التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله**. [متفق عليه].

**ب - صيغة ابن عباس:** **التحيات المباركات، الصلوات الطيبات لله، السلام**

**عليك...» والباقي كالسابق.** مسلم برقم (٤٠٣).

**ج- صيغة عمر بن الخطاب:** «التحيات لله، الزاكيات لله، الطيبات لله، والصلوات لله...» وباقيه كابن مسعود. مالك في الموطأ (٩٠ / ١) برقم (٢٠٣).

**د- صيغة أبي موسى الأشعري:** «التحيات الطيبات، الصلوات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله». مسلم برقم (٤٠٤).

**٢٨- أما الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد الأخير الذي فيه السلام فإليك بعض الصيغ الواردة في ذلك:**

«اللهم صلّ على محمد وعلى آل بيته، وعلى أزواجـه وذرـيـتـه، كما صـلـيـتـ علىـ آلـ إـبرـاهـيمـ إـنـكـ حـمـيدـ مـجـيدـ، وبارـكـ عـلـىـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ آلـ بـيـتـهـ وـعـلـىـ أـزـوـاجـهـ وـذـرـيـتـهـ، كـماـ بـارـكـتـ عـلـىـ آلـ إـبـرـاهـيمـ إـنـكـ حـمـيدـ مـجـيدـ». أـحمدـ فـيـ مـسـنـدـهـ (٥ / ٣٧٤) برـقـمـ (٢٣٢٢١).

«اللهم صلّ علىـ محمدـ وـعـلـىـ آلـ مـحـمـدـ، كـماـ صـلـيـتـ عـلـىـ إـبـرـاهـيمـ وـعـلـىـ آلـ إـبـرـاهـيمـ إـنـكـ حـمـيدـ مـجـيدـ، اللـهـمـ بـارـكـ عـلـىـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ آلـ مـحـمـدـ كـماـ بـارـكـتـ عـلـىـ إـبـرـاهـيمـ وـعـلـىـ آلـ إـبـرـاهـيمـ فـيـ الـعـالـمـيـنـ إـنـكـ حـمـيدـ مـجـيدـ». مـتفـقـ عـلـيـهـ.

«اللهم صلّ علىـ محمدـ وـعـلـىـ أـزـوـاجـهـ وـذـرـيـتـهـ، كـماـ صـلـيـتـ عـلـىـ آلـ إـبـرـاهـيمـ، وبارـكـ عـلـىـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ أـزـوـاجـهـ وـذـرـيـتـهـ كـماـ بـارـكـتـ عـلـىـ آلـ إـبـرـاهـيمـ، فـيـ الـعـالـمـيـنـ إـنـكـ حـمـيدـ مـجـيدـ». مـتفـقـ عـلـيـهـ.

**٢٩- أما الدعاء بعد التشهد فقد وردت فيه عدة صيغ، منها:**

«اللـهـمـ إـنـيـ أـعـوذـ بـكـ مـنـ شـرـ مـاـ عـمـلـتـ، وـمـنـ شـرـ مـالـ مـأـعـمـلـ». مـسلـمـ برـقـمـ (٢٧١٦).

وعلـمـ الرـسـوـلـ ﷺ الصـدـيقـ أـنـ يـقـولـ: «الـلـهـمـ إـنـيـ ظـلـمـتـ نـفـسيـ ظـلـمـاـ كـثـيرـاـ وـلـاـ يـغـفـرـ الذـنـوبـ إـلـاـ أـنـتـ، فـاغـفـرـ لـيـ مـغـفـرـةـ مـنـ عـنـكـ وـارـحـمـنـيـ، إـنـكـ أـنـتـ الـغـفـورـ الرـحـيمـ». مـتفـقـ عـلـيـهـ.

وعلـمـ عـائـشـةـ أـنـ تـقـولـ: «الـلـهـمـ إـنـيـ أـسـأـلـكـ مـنـ الـخـيـرـ كـلـهـ، عـاجـلـهـ وـآجـلـهـ، مـاـ عـلـمـتـ

منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشّرِّ كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم.  
اللَّهم إِنِّي أَسأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَبَ  
مِنْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ. اللَّهم إِنِّي أَسأَلُكَ مِنْ خَيْرٍ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدُ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذْتُ بِهِ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدُ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَسأَلُكَ مَا قُضِيَ لِي مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتِي لِي رَشِداً». أَخْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٦ / ١٣٣) بِرَقْمِ (٢٥٠٦٣).

«اللَّهم إِنِّي أَسأَلُكَ يَا أَنْدَلُوكَ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ الصَّمَدَ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ  
كَفُواً أَحَدٌ، أَنْ تغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ». أَبُو دَاؤِدَ بِرَقْمِ (٩٨٥).

«اللَّهم إِنِّي أَسأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَهُدُوكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، الْمَنَانُ، يَا  
بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيِّ يَا قَيُومَ، إِنِّي أَسأَلُكَ الْجَنَّةَ  
وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ». فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا سَمِعَ الرَّجُلَ يَدْعُونَ بِهِ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي  
بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا بِاسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَّ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَّ بِهِ أَعْطَى». أَبُو دَاؤِدَ  
بِرَقْمِ (١٤٩٥).

«اللَّهم اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا  
أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمَقْدِمُ وَأَنْتَ الْمَؤْخِرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ». متفقٌ عَلَيْهِ.

\* \* \*

## ١٨٨- باب فضل صلاة الصبح والعصر

(١٠٤٧) عن أبي موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ  
الْجَنَّةَ». متفقٌ عَلَيْهِ. «الْبَرْدَانُ»: الصُّبُحُ وَالْعَصْرُ.

(١٠٤٨) وَعَنْ أَبِي زَهِيرٍ عُمَارَةَ بْنَ رُوَيْبَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَنْ  
يَلْجَ (أَيْ: لَنْ يَدْخُلَ) النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ عُرُوبِهَا». يَعْنِي: الْفَجْرُ  
وَالْعَصْرُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

(١٤٩) وعن جُنْدِبَ بْنِ سَفِيَّاً قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ (أَيْ: فِي أَمَانِ اللَّهِ)، فَإِنْظُرْ يَا بْنَ آدَمَ، لَا يَطْلُبُنَّكَ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بَشِّيْءٌ». رواه مسلم.

(١٤٨) وعن أَبِي هَرِيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَتَعَاقَّبُونَ فِيْكُمْ مَلَائِكَةُ الْلَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيْكُمْ، فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ - كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصْلُونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصْلُونَ». متفق عليه.

(١٤٧) وعن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجْلَيِّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ (أَيْ: لَا تُظْلَمُونَ فِي بِرْؤَيَةِ بَعْضِكُمْ لَهُ دُونُ بَعْضٍ) فِي رُؤْيَايَتِهِ، فَإِنْ أَسْتَطَعْتُمْ لَا تُغْلِبُوا (أَيْ: لَا تُصِيرُوا مَغْلُوبِينَ) عَلَى صَلَاةِ قَبْلِ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ عُرُوْبِهَا، فَافْعُلُوا». متفق عليه.

وفي رواية: «فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ».

(١٤٦) وعن بُرِيَّةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبَطَ (أَيْ: بَطَلَ) عَمَلُهُ». رواه البخاري.

## ١٨٩- باب فضل المشي إلى المساجد

(١٤٧) عن أَبِي هَرِيرَةَ قَالَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلًا (أَيْ: مَا يَهِيَّلُ لِلضَّيْفِ عَدْ قَدْوَمِهِ) كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ». متفق عليه.

(١٤٨) وعنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَضَى إِلَى بَيْتِ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، لِيَقْضِي فَرِيضَةً مِنْ فَرِائِضِ اللَّهِ، كَانَتْ حُطْوَانَهُ، إِحْدَاهَا تَحْطُطُ حَطِيَّةً، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً». رواه مسلم.

(١٤٩) وعن أَبِي بْنِ كَعْبٍ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَتْ لَا تُخْطِهُ (أَيْ: لَا تُفْوِتُهُ) صَلَاةً، فَقِيلَ لَهُ: لَوْ اسْتَرِيتَ حِمَارًا تَرَكَهُ فِي الظَّلَّامِ وَفِي الرَّمَضَاءِ (أَيْ: شَدَّةُ الْحَرِّ)، قَالَ: مَا يُسْرِنِي أَنْ مُنْزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ». رواه مسلم.

(١٥٠) وعن جَابِرٍ قَالَ: خَلَّتِ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ، فَأَرَادَ بُنُوْسَ سَلِمَةَ أَنْ يَتَقَلُّوا

فُرِبَ الْمَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: «بَاغَنِي أَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَتَقْلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَرْدَنَا ذَلِكَ. فَقَالَ: «بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ؛ تُكْتَبُ آثَارُكُمْ، دِيَارُكُمْ؛ تُكْتَبُ آثَارُكُمْ (أي: الزِّمْرَ إِذَا زَمْتُمُوهَا كَبَتْ آثَارَكُمْ وَخَطَاكُمُ الْكَثِيرَةُ إِلَى الْمَسْجِدِ)». فَقَالُوا: مَا يَسِّرُنَا أَنَا كَنَا تَحْوَلُنَا. رواه مسلم، وروى البخاري معناه من رواية أنس.

(١٠٥٧) **وعن أبي موسى** رض: قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشَىٰ فَابْعَدُهُمْ، وَالَّذِي يَسْتَطِرُ الصَّلَاةَ حَتَّىٰ يُصْلِيهَا مَعَ الْإِمَامِ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يُصْلِيهَا ثُمَّ يَنَامُ». متفق عليه.

(١٠٥٨) **وعن بُرِيَّة** رض: عن النَّبِيِّ ﷺ: «بَشِّرُوا الْمَشَائِنَ (أي: جمع مشاء، وهو: كثير المشي) فِي الظُّلُمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رواه أبو داود والترمذني.

(١٠٥٩) **وعن أبي هريرة** رض: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدْلُكُمْ عَلَىٰ مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ (أي: إتمامه وكماله) عَلَى الْمَكَارِهِ (أي: ما تكرهه النفس كشدة البرد)، وَكُثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ (أي: الحبس للنفس على هذه الطاعة)، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ». رواه مسلم.

(١٠٦٠) **وعن أبي سعيد الخدري** رض: عن النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسَاجِدَ (أي: يلازمها ويرجع إليها كرها بعد أخرى) فَاشْهَدُو لَهُ بِالْإِيمَانِ، قَالَ اللَّهُ وَحْدَهُ: هُوَ الَّذِي يَعْمَلُ مَسْجِدَ اللَّهِ مِنْ مَا أَمَنَ (إِلَهَهُ وَالْيَوْمُ الْآخِرُ).» [رواية الترمذني]. وقال: «حديث حسن».

## ١٩٠- باب فضل انتظار الصلاة

(١٠٦١) **وعن أبي هريرة** رض: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَرَأُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْسِسُهُ، لَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقِلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا الصَّلَاةُ». متفق عليه.

(١٠٦٢) **وعنه** رض: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَىٰ أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ». رواه البخاري.

(١٠٦٣) **وعن أنس** رض: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَرَ لَيْلَةً صَلَاةَ الْعِشَاءِ إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ (أي: جزء منه) ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوْجَهِهِ بَعْدَمَا صَلَى، فَقَالَ: «صَلَّى النَّاسُ وَرَقَدُوا، وَلَمْ تَزَالُوا فِي صَلَاةٍ مُنْذُ انتَظَرْتُمُوهَا». رواه البخاري.

## ١٩١- باب فضل صلاة الجمعة

(١٩١ / ١٠٦٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامًا قَالَ: «صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَدَّ (أي: المنفرد) بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً». متفق عليه.

(١٩١ / ١٠٦٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنهما: قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامًا: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاةِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُطْ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُكِّتْ عَنْهُ بِهَا حَطِيشَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، مَالَمْ يُحِدِّثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَرَأُلُ فِي صَلَاةٍ مَا انتَظَرَ الصَّلَاةَ».

متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

(١٩١ / ١٠٦٦) عنه قال: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامًا رَجُلٌ أَعْمَى، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَيَسَ لِي قَائِدٌ يَقُوْدُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامًا أَنْ يُرِخَّصَ لَهُ فَيُصَلِّي فِي بَيْتِهِ، فَرَخَصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَأَبْرِحْ». رواه مسلم.

(١٩١ / ١٠٦٧) وعن عبد الله - وقيل: عمرو بن قيس - المعروف بابن أم مكتوم المؤذن رضي الله عنهما أنه قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْمَدِينَةَ كَثِيرَةُ الْهَوَامِ (أي: المؤذيات من العقارب والحيتان) وَالسَّبَاعِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامًا: «تَسْمَعُ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، فَحَيَّهَالًا». رواه أبو داود ياسناد حسن. ومعنى **«حَيَّهَالًا»** (أي: أبدأ بها وعجل، وهو ما كلامنا جعلنا كلمة واحدة. وفيها لغات. وهلا: حث واستعجال: تعال).

(١٩١ / ١٠٦٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنهما: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامًا قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمْرَ بِحَاطِبَ فَيُحَطِّبَ (أي: يكسر؛ ليسهل إشعال النار فيه)، ثُمَّ أَمْرَ بِالصَّلَاةِ فَيُؤْذَنَ لَهَا، ثُمَّ أَمْرَ رَجُلًا فِيْوَمَ النَّاسِ، ثُمَّ أَخْالِفَ (أي: أذهب) إِلَى رِجَالٍ فَأَحْرِقَ عَلَيْهِمْ بَيْوَتَهُمْ». متفق عليه.

(١٩١ / ١٠٦٩) وعن ابن مسعود رضي الله عنهما: قال: مَنْ سَرَهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى غَدَارِ مُسْلِمًا، فَلْيُحَافظْ عَلَى هُؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادِي بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنِبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامًا سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنَ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بَيْوَتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلَّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَّتُمْ، وَلَقَدْ رأَيْتُمَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومٌ النَّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ، يُهَادَى (أي: يتمايل ويمسكه رجال من جانبيه بغضديه يعتمد عليهما) بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفَّ. رواه مسلم.

وفي رواية له قال: إنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَمَنَا سُنَّةَ الْهُدَىٰ؛ وَإِنَّ مِنْ سُنَّةِ الْهُدَىٰ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي يُؤَذَّنُ فِيهِ.

(١٩١ / ١٠٧٠) وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْبَةِ، وَلَا بَدْوَ، لَا تُقْامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ. فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذَّئْبُ مِنَ الْغَنْمِ الْقَاصِيَةَ (أي: المُنْفَرِدةُ عَنِ الْقُطْبِ، الْبَعِيدَةُ عَنْهُ)». رواه أبو داود بإسناد حسن.



### (حكم الصلاة بين السواري)

إن الأحاديث التي جاءت في شأن الصلاة بين السواري أي الأعمدة، لم يرد فيها النهي الذي يدل على التحرير، ولم يوجد من أهل العلم من حمل ذلك على التحرير. وأما الحكم في هذه المسألة هو الكراهة إن لم يكن هناك حاجة للاصطدام بين السواري، كالزحام ونحوه، وهو ما عليه الفتوى بدار الإفتاء المصرية.

ذكر الإمام أبو بكر بن المنذر: أنه ليس في هذا الباب خبر يثبت عن النبي صلوات الله عليه وسلم أنه نهى عنها، وأعلى ما فيه قول أنس رضي الله عنه: كنا نتّقيه (أي: نتجنبه)، وهذا أمر حسن، ولا يأثم من فعله.

ومما سبق يعلم أنه يكره الصلاة بين السواري للمأمومين في صلاة الجمعة، ولا يتعلّق هذا الحكم بصلاة المنفرد، وذلك إن لم يكن هناك حاجة تقتضي ذلك، كثرة العدد وضيق المكان، وللخروج من الخلاف بين العلماء. والله تعالى أعلى وأعلم.

### (صلاة المأموم متقدماً على الإمام في صلاة الجمعة)

لا يجوز تقدّم المأموم على الإمام عند جمahir أهل العلم من الأحناف والشافعية والحنابلة، حيث لا تصح الصلاة عندهم، كما أنها لا تضر المأموم أن يتساوى في الصفة مع الإمام ويندب له أن يتأخّر عنه قليلاً.

ويرى المالكيّة جواز هذا الأمر أن يتقدّم المأموم على الإمام، مع الكراهة، إلا عند الضرورة، عند ذلك يجوز عندهم بلا كراهة، ويررون صحة صلاة المأموم إذا استطاع أن

يتابع الإمام في الأركان؛ لأنَّه في نظرهم في حكم العفو، ما لم يدخل وقوفه أمام الإمام بالصلاوة وينفعه من المتابعة. وقد ذكروا ذلك حتى في صلاة الجنائز، حيث يتقدم بعضهم عن الجنائز، وحكم ذلك عندهم الكراهة وعلى هذا يكون التقدم على الجنائز مكروراً فقط وتصح الصلاة، سواء كان المتقدم إماماً أو مأموماً.

وببناء على ذلك فالوقوف خلف الإمام مستحب، والتقدم عليه مكرر، ومحاذاة الإمام بلا ضرورة أيضاً مكرر، وإن تقدم المأموم لعدم كفيق المسجد جاز من غير كراهة، والتقدم والتأخر والمحاذاة إنما يكون بعقب الرجل أو القاعد بالأالية أو المضطجع بالجنب.

ومن تأخر من المصليين إلى أن امتلأ المسجد ولم يوجد مكاناً في داخله، له أن يصل إلى خارجه بحيث يكون خلف الإمام أو على الأقل محاذيًّا له ولا يتقدم عليه إلا عند فقد الحيلة في الصلاة خلفه أو بحذائه، شريطة إمكان متابعته للإمام في الأركان، وينوي أن يكون متبعاً ومقلداً في ذلك للسادة المالكيَّة، وصلاته حينئذٍ صحيحة لا شيء فيها. وكذلك تصح الصلاة من خلفه إن كان مسبوقاً، والله أعلم.

\* \* \*

## ١٩٢- باب الحث على حضور الجمعة في الصبح والعشاء

**(١٩٢/١٠٧١)** عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَائِعٍ، فَكَانَمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَائِعٍ، فَكَانَمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ». رواه مسلم.

وفي رواية الترمذى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ شَهِدَ الْعِشَاءَ فِي جَمَائِعٍ كَانَ لَهُ قِيَامٌ نِصْفٌ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ فِي جَمَائِعٍ، كَانَ لَهُ كَقِيامٍ لَيْلَةٍ». قال الترمذى: «حديث حسن صحيح».

**(١٩٢/١٠٧٢)** وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَا كَنُوهُمَا وَلَوْ حَبُّوا». متفق عليه، وقد سبق بطره.

(١٩٢ / ١٠٧٣) عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ صَلَاةً أَثْقَلَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَالعشاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتْوُهُمَا وَلَوْ حَبْوا». متفق عليه.

### ١٩٣ - باب الأمر بالمحافظة على الصلوات المكتوبات

#### والنهي الأكيد والوعيد الشديد في تركهن

قال الله تعالى: «حَفِظُوا عَلَى الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةُ الْوُسْطَى» [البقرة: ٢٣٨].

وقال تعالى: «فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكُورَةَ فَخُلُوْا سَيِّدَهُمْ» [التوبه: ٥].

(١٩٣ / ١٠٧٤) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أيُّ الأعمال أفضَل؟ قال: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا». قُلْتُ: ثُمَّ أيُّ؟ قال: «بُرُّ الْوَالِدَيْنِ». قلتُ: ثُمَّ أيُّ؟ قال: «الجِهادُ فِي سَبِيلِ الله». متفق عليه.

(١٩٣ / ١٠٧٥) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بُنْيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجَّ الْبَيْتِ، وَصُومُ رَمَضَانَ». متفق عليه.

(١٩٣ / ١٠٧٦) عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَمْرْتُ أَنْ أَقْاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهُدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دَمَاءُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ». متفق عليه.

(١٩٣ / ١٠٧٧) وعن معاذ رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقال: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَتَيْ رسولَ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكُمْ فَأَعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةً، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكُمْ لِذِلِّكَ، فَأَعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتَرُدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكُمْ لِذِلِّكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ (أَيِّ: جمع كريمة وهي: النفيسة ذات القيمة) أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ أَيْسَرُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ». متفق عليه.

(١٩٣ / ١٠٧٨) وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّرِكِ وَالْكُفَّارِ، تَرْكُ الصَّلَاةِ». رواه مسلم.

(١٩٣ / ١٠٧٩) وعن بُرِيْئَةَ رضي الله عنها: عن النبي ﷺ قال: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَا وَبَيْنَهُمْ (أَيِّ: الضمير يعود

على المنافقين) الصلاة، فمن تركها فقد كفر». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٩٣ / ١٠٨٠) وعن شقيق بن عبد الله التابعى المتفق على جلائته : قال: كان أصحاب محمد عليهما السلام لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة. رواه الترمذى في كتاب «الإيمان» بأسناد صحيح.

(١٩٣ / ١٠٨١) وعن أبي هريرة عليهما السلام قال: قال رسول الله عليهما السلام: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيمة من عمله صلاته، فإن صلحت، فقد أفلح وأنجح (أى: حصل له الشواب)، وإن فسدت، فقد خاب وخسر، فإن انتفاص من فريضته شيء، قال رب عجل: انظروا هل لعبدي من تطوع، فيكمل منها ما انتفاص منها من الفريضة؟ ثم يكون سائر أعماله على هذا». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

## ١٩٤- باب فضل الصفة الأولى

### والامر بإتمام الصنوف الأولى وتسويتها والتراص فيها

(١٩٤ / ١٠٨٢) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله عليهما السلام، فقال: «الا تتصفحون كما تصف الملائكة عند ربها؟» فقلنا: يا رسول الله، وكيف تصفع الملائكة عند ربها؟ قال: «تيمون (أى: يكملون) الصنوف الأولى، ويتراسون (أى: لا يتركون بينهم فرجة) في الصفة». رواه مسلم.

(١٩٤ / ١٠٨٣) وعن أبي هريرة عليهما السلام: أن رسول الله عليهما السلام قال: «لو يعلم الناس ما في النساء والصنف الأولى، لم يجدوا إلا أن يستهموا (أى: يقتعوا) عليه لاستهموا». متفق عليه.

(١٩٤ / ١٠٨٤) عنه قال: قال رسول الله عليهما السلام: «خير صنوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صنوف النساء آخرها، وشرها أولها». رواه مسلم.

(١٩٤ / ١٠٨٥) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله عليهما السلام رأى في أصحابه تأخراً، فقال لهم: «تقدمو فاتمموا بي، ولما تم بكم من بعدهم، لا يزال قوم يتاخرون حتى يؤخرهم الله». رواه مسلم.

(١٩٤ / ١٠٨٦) وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله عليهما السلام، يمسح مناينا في الصلاة، ويقول: «استوا ولا تختلفوا (أى: بالتقدم والتأخر عن الصفة) فتحتختلف قلوبكم (أى: أن اختلاف الصنوف سبب في الفرقة واختلاف القلوب)، ليني منكم أولو الأحلام والنھي (أى: أصحاب العقول والأباب)، ثم الذين يولونهم، ثم الذين يولونهم». رواه مسلم.

(١٩٤ / ١٠٨٧) وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «سُووا صُفُوفُكُمْ؛ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفَّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ». متفق عليه.

وفي رواية للبخاري: «فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ».

(١٩٤ / ١٠٨٨) عنه قال: أقيمت الصلاة فأقبل علينا رسول الله صلوات الله عليه وسلام بوجهه، فقال: «أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وَتَرَاصُوا (أي: تلاصقوا بغير خلل)؛ فَإِنِّي أَرَأْكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي». رواه البخاري بلظنه، ومسلم بمعناه.

وفي رواية للبخاري: وَكَانَ أَحَدُنَا يُلْزِقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ وَقَدَمَهُ بِقَدَمِهِ.

(١٩٤ / ١٠٨٩) وعن التعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلام يقول: «التسوون صُفُوفَكُمْ، أو لَيْخَالِفَنَ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: أن رسول الله صلوات الله عليه وسلام كان يُسوّي صُفُوفَنا، حتى كانَمَا يُسوّي بِهَا الْقِدَاحَ (أي: يجعلنا مثل السهم في استقامته واستواه) حتى رأى أنا قد عقلنا عنْهُ، ثم خرج يوما فقام حتى كاد يُكبِّر، فرأى رجلاً بادياً (أي: ظاهراً خارجاً عن صدور أهل الصف) صدره من الصَّفَّ، فقال: «عِبَادَ اللَّهِ، لَتُسُوِّنَ صُفُوفَكُمْ، أو لَيْخَالِفَنَ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ».

(١٩٤ / ١٠٩٠) وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلوات الله عليه وسلام يتخلَّل الصَّفَّ (أي: يدخل خالله) من ناحية إلى ناحية، يمسح صدورنا ومانينا، ويقول: «لَا تَحْتَلِفُوا فَتَحْتَلِفُ قُلُوبُكُمْ». وكان يقول: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الْأُولِيِّ». رواه أبو داود بإسناد حسن.

(١٩٤ / ١٠٩١) وعن ابن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه وسلام قال: «أَقِيمُوا الصُّفُوفَ، وَحَادُوا (أي: اجعلوا بعضها حذاء بعض) بَيْنَ الْمَنَاكِبِ، وَسُدُّوا الْخَلَلَ (أي: الفرجة بين الصُّفُوف)، وَلِيُنُوا (أي: كونوا لينين هينين) بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ، وَلَا تَذَرُوا فُرُجَاتٍ لِلشَّيْطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفَّا وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفَّا قَطَعَهُ اللَّهُ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٩٤ / ١٠٩٢) وعن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه وسلام قال: «رُصُوا صُفُوفَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَهَا، وَحَادُوا بِالْأَعْنَاقِ (أي: أن يكون عنق كل منكم موازياً ومحازياً لبقية الصف)؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرَى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلْلِ الصَّفَّ، كَانَهَا الْحَدْفُ». حديث صحيح؛ رواه أبو داود بإسناد على شرط

مسلم. **الحادف** بحاء مهملاً وذالٍ معجمة مفتونتين ثم فاء، وهي: **عَنْ سُودٍ صِغَارٍ تَكُونُ بِاليمين**.  
**(١٠٩٣)** وعنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أَتَمُوا الصَّفَّ الْمُقْدَمَ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، فَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ فَلَيَكُنْ فِي الصَّفَّ الْمُؤَخِّرِ». رواه أبو داود بإسناد حسن.

**(١٠٩٤)** وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَامِنِ (أي: جمع ميمونة) الصُّفُوفِ». رواه أبو داود بإسناد على شرط مسلم، وفيه رجل مختلف في توسيقه.

**(١٠٩٥)** وعن البراء رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا إِذَا صَلَيْنَا خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه أَحْبَبَنَا أَنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ، يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبَعَثُ - أَوْ تَجْمَعُ - عِبَادَكَ». رواه مسلم.

**(١٠٩٦)** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «وَسَطُوا الْإِمَامُ (أي: ابدعوا الصفوف من الوسط إلى اليمين)، وَسُدُّوا الْخَلْلَ (أي: املأوا الأماكن الخالية في الصف الساقب)». رواه أبو داود.

## ١٩٥- باب فضل السنن الراية مع الفرائض

### وبيان أقتها وأكملها وما بينهما

**(١٠٩٧)** وعن أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها قالت: سمعت رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لِلَّهِ تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ شَيْئًا عَشَرَةَ رَكْعَةً طَوْعًا غَيْرَ الْفَرِيضَةِ، إِلَّا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»، أو: «إِلَّا بَنَى لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ». رواه مسلم.

**(١٠٩٨)** وعن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: صَلَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظَّهَرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ.  
 متفق عليه.

**(١٠٩٩)** وعن عبد الله بن مُعَفَّل رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «بَيْنَ كُلِّ أَذَانِي صَلَاةً، بَيْنَ كُلِّ أَذَانِي صَلَاةً، بَيْنَ كُلِّ أَذَانِي صَلَاةً». قال في الثالثة: «لِمَنْ شَاء». متفق عليه.

**المُرَادُ بِالْأَذَانِ: الْأَذَانُ وَالْإِقَامَةُ.**

## ١٩٦- باب تأكيد ركعتي سنة الصبح

**(١١٠٠)** عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه كَانَ لَا يَدْعُ أَرْبَعًا قَبْلَ الظَّهَرِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْغَدَاءِ (أي: ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس). رواه البخاري.

(١١٠١ / ١٩٦) وعنها قالت: لَمْ يَكُنَ النَّبِيُّ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنَ التَّوَافِلِ أَشَدَّ تَعاهُدًا مِنْهُ عَلَىٰ رَكْعَتِيِّ الْفَجْرِ. متفق عليه.

(١١٠٢ / ١٩٦) وعنها: عن النبي ﷺ قال: «رَكَعْتَا الْفَجْرَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». رواه مسلم.  
وفي رواية: «لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا».

(١١٠٣ / ١٩٦) وعن أبي عبد الله بلال بن رياح رضي الله عنه مؤذن رسول الله ﷺ: أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِيؤْذِنَهُ (أي: ليعلمه) بِصَلَاةِ الْغَدَاءِ، فَسَعَلَتْ عَائِشَةُ بِلَالًا بِإِمْرِ سَالْتَهُ عَنْهُ، حَتَّىٰ أَصْبَحَ حِدَّاً، فَقَامَ بِلَالٍ فَادْنَهُ بِالصَّلَاةِ، وَتَابَعَ أَذَانَهُ، فلم يخرج رسول الله ﷺ، فَلَمَّا خَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ سَعَلَتْهُ بِإِمْرِ سَالْتَهُ عَنْهُ حَتَّىٰ أَصْبَحَ حِدَّاً، وَأَنَّهُ أَبْطَأَ عَلَيْهِ الْحُرُوجَ، فَقَالَ يعْنِي النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنِّي كُنْتُ رَكَعْتُ رَكْعَتِيِّ الْفَجْرِ». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ أَصْبَحْتَ حِدَّاً؟ فَقَالَ: «لَوْ أَصْبَحْتُ أَكْثَرَ مِمَّا أَصْبَحْتُ، لَرَكَعْتُهُمَا، وَأَحْسَنْتُهُمَا وَأَجْمَلْتُهُمَا». رواه أبو داود بإسناد حسن.

## ١٩٧ - باب تخفيض ركعتي الفجر

### ويبيان ما يقرأ فيهما وبيان وقتهما

(١١٠٤ / ١٩٧) عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ بَيْنَ النِّذَاءِ وَالْإِقَامَةِ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ. متفق عليه.

وفي رواية لهما: يُصَلِّي رَكْعَتِيِّ الْفَجْرِ، فَيَخْفِفُهُمَا حَتَّىٰ أَقْوَلُ: هَلْ قَرَأَ فِيهِمَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ.

وفي رواية لمسلم: كَانَ يُصَلِّي رَكْعَتِيِّ الْفَجْرِ إِذَا سَمِعَ الْأَذَانَ وَيُخْفِفُهُمَا.

وفي رواية: إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ.

(١١٠٥ / ١٩٧) عن حفصة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ إِذَا أَذَنَ الْمُؤْذِنُ لِلصُّبْحِ وَبَدَا الصُّبْحُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ. متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ لَا يُصَلِّي إِلَّا رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ.

(١١٠٦ / ١٩٧) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَثْنَىٰ مَثْنَىٰ، وَيُوَتِّرُ بِرَكْعَةٍ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، وَيُصَلِّي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاءِ، وَكَانَ الْأَذَانَ بِأَذْنِيهِ (أي: أوشك أن يُؤْذَنَ به). متفق عليه.

(١٩٧ / ١١٠٧) وعن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى مِنْهُمَا: ﴿فُلُوا مَاءِنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية [١٣٦] التي في البقرة، وفي الآخرة مِنْهُمَا: ﴿عَامَنَا بِاللهِ وَأَشْهَدَ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [٥٢]. [آل عمران: ٥٢]

وفي رواية: وفي الآخرة التي في آل عمران: ﴿تَعَالَوْا إِنَّ كَلْمَةَ سَوْلَمَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤]. رواهما مسلم.

(١٩٧ / ١١٠٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُلْ يَتَآءِيهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. رواه مسلم.

(١٩٧ / ١١٠٩) وعن ابن عمر قال: رَمَقْتُ (أي: نظرت إليه) النَّبِيَّ ﷺ، شَهْرًا فَكَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ: ﴿قُلْ يَتَآءِيهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

## ١٩٨- باب استحباب الاستطجاع بعد ركعتي الفجر على جنبه الأيمن

**والحدث عليه سواء كان تهجد بالليل أم لا**

(١٩٨ / ١١١٠) عن عائشة قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى ركعتي الفجر اضطَجَعَ عَلَى شِقْقَةِ الْأَيْمَنِ. رواه البخارى.

(١٩٨ / ١١١١) وعنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِيمَا بَيْنَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْ صَلَةِ العشاءِ إِلَى الْفَجْرِ إِحْدَى عَشْرَةِ رَكْعَةً، يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلَّ رَكْعَتَيْنِ، وَيُؤْتِرُ بَوْاحِدَةً، فَإِذَا سَكَتَ الْمُؤْذِنُ مِنْ صَلَةِ الْفَجْرِ، وَتَبَيَّنَ لَهُ الْفَجْرُ، وَجَاءَهُ الْمُؤْذِنُ، قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتِينِ، ثُمَّ اضطَجَعَ عَلَى شِقْقَةِ الْأَيْمَنِ، هَكَذَا حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمُؤْذِنُ (أي: يستأذنه) لِلِّإِقَامَةِ. رواه مسلم.

قولها: «يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلَّ رَكْعَتَيْنِ». هكذا هو في مسلم، ومعناه: **بعد كُل ركعتين**.

(١٩٨ / ١١١٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ، فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى يَمِينِهِ». رواه أبو داود والترمذى بأسانيد صحيحة، قال الترمذى: « الحديث حسن صحيح ».

## ١٩٩- باب سنة الظهر

(١٩٩ / ١١١٣) عن ابن عمر قال: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهُرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا. متفق عليه.

(١٩٩ / ١١١٤) وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَدْعُ أَرْبَعًا قَبْلَ الظَّهَرِ. رواه البخاري.

(١٩٩ / ١١١٥) وعنها قالت: كَانَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي يَوْمِ الظَّهَرِ أَرْبَعًا، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ، وَيَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. رواه مسلم.

(١٩٩ / ١١١٦) وعن أم حبيبة أَمْ حَافَظَ قالت: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَفَظَ (أي: دَامَ وَوَاظَبَ) عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظَّهَرِ، وَأَرْبَعَ بَعْدَهَا، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ». رواه أبو داود والترمذى، وقال:

«حديث حسن صحيح».

(١٩٩ / ١١١٧) وعن عبد الله بن السائب رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أَنْ تُرْوَلَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظَّهَرِ، وَقَالَ: «إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(١٩٩ / ١١١٨) وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا لَمْ يُصَلِّ أَرْبَعًا قَبْلَ الظَّهَرِ، صَلَّاهُنَّ بَعْدَهَا. رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

## ٢٠٠ - باب سنة العصر

(٢٠٠ / ١١١٩) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قَالَ: كَانَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، يُفْصِلُ بَيْهُنَّ بِالْتَّسْلِيمِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَمَنْ تَبَعَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ. رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٠٠ / ١١٢٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما: عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رَحْمَةُ اللَّهِ أَمْرًا صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٠٠ / ١١٢١) وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ الْعَصْرِ رَكْعَتَيْنِ. رواه أبو داود بأساند صحيح.

## ٢٠١ - باب سنة المغرب بعدها وقبلها

تَقدَّمَ فِي هَذِهِ الْأَبْوَابِ حَدِيثُ ابنِ عَمِرٍ وَحَدِيثُ عَائِشَةَ، وَهُمَا صَحِيحَان: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي بَعْدَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ.

(٢٠١ / ١١٢٢) وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه: عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ». قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «لِمَنْ شَاءَ». رواه البخاري.

(٢٠١ / ١١٢٣) وعن أنس رضي الله عنه قال: لَقَدْ رَأَيْتُ كِبَارَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم، يَنْتَرُونَ السَّوَارِيَ (أي: يَسْتَبِقُونَ إِلَى أَعْمَدَةِ الْمَسْجِدِ لِيَصْلُوا) عِنْدَ الْمَغْرِبِ. رواه البخاري.

(٢٠١ / ١١٤٢) وعنه قال: كُنَّا نَصْلِي عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ، فَقِيلَ: أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم صَلَّاهُمَا؟ قَالَ: كَانَ يَرَانَا نَصَلِيهِمَا فَلَمْ يَأْمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَا. رواه مسلم.

(٢٠١ / ١١٢٥) وعنه قال: كُنَّا بِالْمَدِينَةِ فَإِذَا أَذَنَ الْمُؤَذِّنُ لِصَلَاةِ الْمَغْرِبِ، ابْتَدَرُوا السَّوَارِيَ، فَرَكَعُوا رَكْعَتَيْنِ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ الْغَرِيبَ لَيَدْخُلُ الْمَسْجِدَ فَيَحْسَبُ أَنَّ الصَّلَاةَ قَدْ صُلِّيَتْ مِنْ كُثْرَةِ مَنْ يُصَلِّيهِمَا. رواه مسلم.

## ٢٠٢ - باب سنة العشاء بعدها وقبلها

فِيهِ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ السَّابِقِ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلم رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ. وَحَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْفُولٍ: «بَيْنَ كُلِّ أَذَانٍ صَلَاةٌ». متفق عليه كمَا سبق.

## ٢٠٣ - باب سنة الجمعة

فِيهِ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ السَّابِقِ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلم رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ. متفق عليه.

(٢٠٣ / ١١٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمُ الْجُمُعَةَ، فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعًا». رواه مسلم.

(٢٠٣ / ١١٢٧) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلم كَانَ لَا يُصَلِّي بَعْدَ الْجُمُعَةِ حَتَّى يَنْصِرِفَ، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ. رواه مسلم.

## ٢٠٤ - باب استحباب جعل النوافل في البيت

### سواء الراتبة وغيرها

#### والامر بالتحول للنافلة من موضع الفريضة أو الفصل بينهما بكلام

(٢٠٤ / ١١٢٨) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلم قال: «صُلُّوا أَيْمَانَ النَّاسِ فِي بُيُوتِكُمْ؛ فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ صَلَاةُ الْمَرءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةُ». متفق عليه.

(٢٠٤ / ١١٢٩) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: عن النبيِّ صلوات الله عليه وسلم قال: «اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَا تَتَخَذُوهَا قُبُورًا». متفق عليه.

(٢٠٤ / ١١٣٠) وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ صَلَاةَ فِي مَسْجِدِهِ فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلَاةِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلَاةِهِ خَيْرًا». رواه مسلم.

(٢٠٤ / ١١٣١) وعن عمر بن عطاء رضي الله عنه: أنَّ نَافِعَ بْنَ جُبَيرَ أَرْسَلَهُ إِلَى السَّائِبِ ابْنِ أَخْتِ نَمِيرٍ يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ رَأَهُ مِنْهُ مُعَاوِيَةً فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: نَعَمْ، صَلَيْتُ مَعَهُ الْجُمُعَةَ فِي الْمَقْصُورَةِ (أي: حجرة خاصة من المسجد مفصولة عنه)، فَلَمَّا سَلَّمَ الْإِمَامُ، قُمْتُ فِي مَقَامِيِّي، فَصَلَيْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْسَلَ إِلَيَّ، فَقَالَ: لَا تَعْدُ لِمَا فَعَلْتَ. إِذَا صَلَيْتَ الْجُمُعَةَ فَلَا تَصِلْهَا بِصَلَاةِ حَتَّى تَتَكَلَّمَ أَوْ تَخْرُجَ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه أَمَرَنَا بِذَلِكَ، أَلَا نُوصِلْ صَلَاةً بِصَلَاةٍ حَتَّى نَتَكَلَّمَ أَوْ نَخْرُجَ». رواه مسلم.

## ٢٠٥ - باب الحث على صلاة الوتر

### وبيان أنه سنة مؤكدة وبيان وقته

(٢٠٥ / ١١٣٢) عن علي رضي الله عنه قال: الْوِتْرُ لَيْسَ بِحَنْمٍ كَصَلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَلَكِنْ سَنَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «إِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ (أي: واحد فرد لا نظير له في ذاته) يُحِبُّ الْوِتْرَ، فَأَوْتُرُوا يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ». رواه أبو داود والترمذني، وقال: «حديث حسن».

(٢٠٥ / ١١٣٣) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه، مِنْ أَوْلِ اللَّيْلِ، وَمِنْ أَوْسَطِهِ، وَمِنْ آخِرِهِ، وَأَنْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى السَّحَرِ (أي: قبيل الصبح). متفق عليه.

(٢٠٥ / ١١٣٤) وعن ابن عمر رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «اجْعِلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا». متفق عليه.

(٢٠٥ / ١١٣٥) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «أَوْتُرُوا قَبْلَ أَنْ تُصْبِحُوا». رواه مسلم.

(٢٠٥ / ١١٣٦) وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وآله وسلامه كَانَ يُصَلِّي صَلَاةَ اللَّيْلِ، وَهِيَ مُعْتَرَضَةُ (أي: مضطجعة) بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِذَا بَقَى الْوِتْرُ، أَيْقَظَهَا فَأَوْتَرَتْ. رواه مسلم.

وفي رواية له: فإذا بقي الوتر، قال: «قومي فأوتري يا عائشة».

(٢٠٥ / ١١٣٧) وعن ابن عمر رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «بَادِرُوا (أي: أسرعوا بأداء الوتر قبل الصبح) الصُّبَحَ بِالْوِتْرِ». رواه أبو داود والترمذني، وقال: «حديث حسن صحيح».

٢٠٥ / ١١٣٨) وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه: «مَنْ خَافَ أَلَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَلْيُوْتِرْ أَوْلَهُ، وَمَنْ طَمَعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوْتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلَاتَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةً، وَذَلِكَ أَفْضَلُ». رواه مسلم.

## ٢٠٦ - باب فضل صلاة الضحى

### وببيان أقلها وأكثرها وأوسطها والبحث على المحافظة عليها

٢٠٦ / ١١٣٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي صلوات الله عليه وسلامه بصيام ثلاثة أيام من كُل شهير، ورُكتعي الضحى، وأن أوتر قبل أن أرقد. متفق عليه.

وَالإِيتَارُ قَبْلَ النَّوْمِ إِنَّمَا يُسْتَحْبِطُ لِمَنْ لَا يَقِنُ بِالاستيقاظِ آخِرَ اللَّيْلِ فَإِنْ وَقَتَ، فَآخِرُ اللَّيْلِ أَفْضَلُ.

٢٠٦ / ١١٤٠) وعن أبي ذر رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلامه قال: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى» (أي: مفصل) مِنْ أَحَدُكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ شَبِيهَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيَجْزِي إِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنْ الضُّحَى». رواه مسلم.

٢٠٦ / ١١٤١) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلوات الله عليه وسلامه يُصلِّي الضحى أربعًا، وَيَزِيدُ مَا شاء الله. رواه مسلم.

٢٠٦ / ١١٤٢) وعن أم هانئ فاختة بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت: ذهبت إلى رسول الله صلوات الله عليه وسلامه، عام الفتح (أي: فتح مكة) فوجده تُهْيَّأ لِغَسْلِهِ، فلما فرغ مِنْ غسله، صلى ثماني ركعاتٍ، وَذَلِكَ ضُحَى. متفق عليه وهذا مختصر لفظ إحدى روایات مسلم.

## ٢٠٧ - باب تجويز صلاة الضحى من ارتفاع الشمس إلى زوالها

### والأفضل أن تصلى عند اشتداد الحر وارتفاع الضحى

٢٠٧ / ١١٤٣) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه: أنه رأى قوماً يُصلُّونَ مِنَ الضُّحَىِ، فَقَالَ: أَمَا لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ الصَّلَاةَ فِي غَيْرِ هَذِهِ السَّاعَةِ أَفْضَلُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلامه قَالَ: «صَلَاتُ الْأَوَّلِيَنَ» (أي: الأول: المطیع، وقيل: الراجع إلى الطاعة) حِينَ تَرَمُضُ الْفِصَالُ (أي: حين تحرق خفاف الإبل الصغار من شدة حر الرمل). رواه مسلم. تَرَمُضُ بفتح التاء والميم وبالضاد المعجمة، يعني: شدة الحر. والْفِصَالُ جَمْعٌ فَصِيلٌ وَهُوَ الصَّغِيرُ مِنَ الإِبَلِ.

## ٢٠٨ - باب الحث على صلاة تحية المسجد بركتين وكراهة الجلوس قبل أن يصلِّي ركعتين في أي وقت دخل

**و سواء صلى ركعتين بنية التحيَّة أو صلاة فريضة أو سنة راتبة أو غيرها**

(١١٤٤ / ٢٠٨) عن أبي قادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «إذا دخل أحدكم المسجد، فلا يجلس حتى يصلِّي ركعتين». متفق عليه.

(١١٤٥ / ٢٠٨) وعن جابر رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه وهو في المسجد، فقال: «صلِّ ركعتين». متفق عليه.

\* \* \*

### (حكم تحية المسجد)

إذا دخل المسلم في المسجد وقد وجد الصلاة قد أقيمت، فليدخل في الفريضة ولا يصلِّي تحية المسجد. وإذا دخل وخرج أكثر من مرة قبل ذلك في وقت متقارب، فتكفيه صلاة تحية المسجد مرة واحدة. ولا حرج عليه إن جلس قبل تحية المسجد لحاجة أو لتناول شيء من الطعام أو الماء القليل أو التحدث اليسير أو الاستراحة من التعب ونحو ذلك، فله أن يقوم لتحية المسجد حيث لا تفوت بالجلوس؛ لأن المقصود بذلك هو عمارة المسجد بالصلاحة، وألا يرتاده الناس لغير صلاة، فهي ليست مقصودة لذاتها.

فمن دخل المسجد ليصلِّي الوتر أو فريضة ما، فإن ذلك يجزئ عن تحية المسجد.

وهي ركعتان، ومن أراد الزيادة فليصلِّي ركعتين فركعتين.

وتكره تحية المسجد في حالين: إذا دخل والإمام في الفريضة يصلِّي، أو إذا دخل المسجد الحرام فعليه أن ينشغل بالطواف حول الكعبة المشرفة.

\* \* \*

## ٢٠٩ - باب استحباب ركعتين بعد الوضوء

(١١٤٦ / ٢٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال لبلال: «يا بلال، حَدَّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ

(أي: أَفْضَلُ عَمَلِهِ تَرْجُوُ اللَّهَ بِهِ) عَمِلْتُهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ». قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلاً أَرْجَى عِنْدِي مِنْ أَنِّي لَمْ أَنْتَهَرْ طُهُورًا فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيْ. متفق عليه، وهذا لفظ البخاري. **«الدُّفُّ** بالفاء: صَوْتُ النَّعْلِ وَحَرَكَتُهُ عَلَى الْأَرْضِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

## ٢١٠ - باب فضل يوم الجمعة ووجوبها والاغتسال لها والتطيب والتبشير إليها

**والدعاء يوم الجمعة والصلوة على النبي ﷺ فيه**

**وبيان ساعة الإجابة واستجواب إثارة ذكر الله بعد الجمعة**

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **﴿فَإِذَا فَضَيَّتِ الصَّلَاةُ فَأَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَيْرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [الجمعة: ١٠].

(٢١٠ / ١١٤٧) وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ: فِيهِ خُلُقَ آدَمَ، وَفِيهِ أُدْخَلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرَجَ مِنْهَا». رواه مسلم.

(٢١٠ / ١١٤٨) وعنـه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوضوءَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، غُفرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ وَزِيادةً ثَلَاثَةً أَيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الْحَصَنِ، فَقَدِ لَغاً (أي: تكلم أو فعل ما لا يشرع له)». رواه مسلم.

(٢١٠ / ١١٤٩) وعنـه: عن النبي ﷺ قال: «الصَّلَواتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفَّرَاتُ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبْتِ الْكَبَائِرِ». رواه مسلم.

(٢١٠ / ١١٥٠) وعنـه، وعنـ ابن عمر رضي الله عنهما: أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعاده منبره: **«لَيَتَهُنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمْ** (أي: تركهم) **الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتَمَنَّ** (أي: ليطبعن) اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْعَاقِلِينَ».

رواـه مسلم.

(٢١٠ / ١١٥١) وعنـ ابن عمر رضي الله عنهما: أنـ رسول الله ﷺ قال: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ». متفق عليه.

(٢١٠ / ١١٥٢) وعنـ أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما: أنـ رسول الله ﷺ قال: «عُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ». متفق عليهـ المراد بالمحتمـ: البالـغـ. والمراد بالوجوبـ: وجوب اختيارـ، كقولـ الرـجلـ لـصاحـبهـ: حـقـكـ واجـبـ عـاـيـ. وـاللهـ أـعـلـمـ.

(٢١٠ / ١١٥٣) وعن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «من تَوَضَّأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهَا وَنَعْمَتْ، وَمَنْ اغْتَسَلَ فَالْغُسْلُ أَفْضَلُ». رواه أبو داود والترمذني، وقال: «حديث حسن».

(٢١٠ / ١١٥٤) وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «لا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهُورٍ، وَيَدْهُنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمْسُ مِنْ طِبِّ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يُفْرِقُ بَيْنَ أَشْيَنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصَتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ، إِلَّا غُفرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى». رواه البخاري.

(٢١٠ / ١١٥٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم قال: «من اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَاحِيَّةِ، ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى فَكَانَمَا قَرَبَ بَدَنَةً (أي: بَعِيرًا، ذَكَرًا كَانَ أَوْ أَثْنَى)، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَّةِ، فَكَانَمَا قَرَبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَّةِ فَكَانَمَا قَرَبَ كَبْشًا أَفْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَانَمَا قَرَبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ، فَكَانَمَا قَرَبَ بَيْضَةً، فَإِذَا حَرَجَ الْإِمَامُ، حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْهِ». متفق عليه. قوله: «غُسْلَ الْجَنَاحِيَّةِ» أي: غُسْلًا كَغُسْلِ الْجَنَاحِيَّةِ فِي الصَّفَّةِ.

(٢١٠ / ١١٥٦) وعنده: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلم ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ: «فِيهَا سَاعَةٌ لَا يُوافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ (أي: يصادفها وهو يصلِي ويُدعى)، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا، إِلَّا أُعْطَاهُ إِيَاهُ». وأشار بيده يُقَلِّلُهَا. متفق عليه.

(٢١٠ / ١١٥٧) وعن أبي بُرْدَةَ بنَ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قال: قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أَسْمَعْتُ أَبَاكَ يَحْدُثُ عن رسول الله صلوات الله عليه وسلم، فِي شَأنِ سَاعَةِ الْجُمُعَةِ؟ قَالَ: قَلْتُ: نَعَمْ، سَمِعْتُهُ يُقَوِّلُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلوات الله عليه وسلم يَقُولُ: «هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الْإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلَاةُ». رواه مسلم.

(٢١٠ / ١١٥٨) وعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ». رواه أبو داود  
بيان صحيحة.

### (آداب الجمعة)

- يلزم كُلَّ امرئ مسلم بعُضٍ من الآداب التي تُعينه على الطاعة والاستفادة من الأجر والثواب من الله تعالى في يوم الجمعة، ومنها:
- ١- الإكثار من الصلاة والسلام على خير الأنام عليه الصلاة والسلام.
  - ٢- الاغتسال والتطهر والتطيب بالسواك.
  - ٣- قص الأظافر والأخذ من الشعر الذي يجب إزالته كالإبط وغيره.
  - ٤- التبشير في الحضور إلى الصلاة بالسکينة والوقار.
  - ٥- أن يتتجنب عند دخوله المسجد أن يتخطى رقاب الناس الذين استووا في الصفوف فيجلس حيث يتهي الصف وإلا فليذهب إلى المكان الفارغ.
  - ٦- أن يحاول الدنو من الإمام والقبلة ما أمكن؛ ليحسن الإنصات للخطبة من دون أن يُحدث أذى للناس.
  - ٧- أن يصل إلى ركعتين تحيةً للمسجد، وأن يخفف فيهما إذا صعد الإمام المنبر.
  - ٨- أن يقرأ سورة الكهف يوم الجمعة.
  - ٩- أن يتتجنب الجلوس بطريقة تجلب له النعاس أو النوم فيعرّض نفسه لنقض طهارة، مثل الاحتباء حيث يجلس على أليته رافعاً ساقيه ووركيه إلى بطنه بثوب أو بيده.
  - ١٠- ألا يشغل بمس وتسوية الحصى، أو الانشغال بما يلهيه عن الطاعة.
- \* \* \*

### ٢١١- باب استحباب سجود الشكر

#### عند حصول نعمة ظاهرة أو اندفاع بليلة ظاهرة

**(٢١١ / ١١٥٩)** عن سعد بن أبي وقاص رض قال: خرجنا مع رسول الله صل من مكة نريد المدينة، فلما كنَا قريباً من عزراء (أي: مكان بين مكة والمدينة) نزل ثم رفع يديه فدعاه الله ساعة، ثم خر ساجداً، فمكث طويلاً، ثم قام فرفع يديه ساعة، ثم خر ساجداً - فعله ثلاثة - وقال: «إنني سألت ربي، وشفعت لأمتي، فأعطاني ثلث أمتي، فحررت ساجداً

لِرَبِّيْ شُكْرًا، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِيْ، فَسَأَلْتُ رَبِّيْ لِأَمْتَيْ، فَأَعْطَانِي تُلْثَ أُمْتَيْ، فَخَرَّتُ سَاجِدًا لِرَبِّيْ شُكْرًا، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِيْ، فَسَأَلْتُ رَبِّيْ لِأَمْتَيْ، فَأَعْطَانِي التُّلْثَ الْآخِرَ، فَخَرَّتُ سَاجِدًا لِرَبِّيْ». رواه أبو داود.

## ٢١٢- باب فضل قيام الليل

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَلَّلَ فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَعْثُكَ رَبُّكَ مَقَامًا

تَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَجَافَ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمَتَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِعُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ الظَّلَلِ مَا يَهْجَمُونَ﴾ [الذاريات: ١٧].

(٢١٢/١١٦٠) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلوات الله عليه يقول من الليل حتى تنفترق (أي: تششق) قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدا شكورا!». متفق عليه.

وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ تَحْمُودُهُ . متفق عليه.

(٢١٢/١١٦١) وعن علي رضي الله عنه: أن النبي صلوات الله عليه طرفة وفاطمة ليلة، فقال: «ألا تصلّيان؟». متفق عليه. «طرفة»: آناءَ لَيْلًا.

(٢١٢/١١٦٢) وعن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن أبيه: أن رسول الله صلوات الله عليه قال: «نعمَ الرَّجُلُ عبدُ اللهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ». قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا. متفق عليه.

(٢١٢/١١٦٣) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «يا عبد الله، لا تكون مثل فلان؛ كان يقوم الليل فترك قيام الليل». متفق عليه.

(٢١٢/١١٦٤) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ذكر عند النبي صلوات الله عليه رجل نام ليلاً حتى أصبح، قال: «ذاكَ رَجُلٌ بَالشَّيْطَانِ فِي أَذْنِيهِ» أو قال: «في أذنيه». متفق عليه.

(٢١٢/١١٦٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه قال: «يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ

أَحَدِكُمْ، إِذَا هُوَ نَامَ، ثَلَاثَ عَقِدٍ، يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارِقدُ. فَإِنْ اسْتَيْقَظَ، فَذَكِّرِ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَهُ كُلُّهَا، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانًا». متفق عليه.

#### قافية الرأس: آخره.

(٢١٢ / ١١٦٦) وعن عبد الله بن سلام عليه السلام: أنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ تَيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢١٢ / ١١٦٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «أَفْضَلُ الصَّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ». رواه مسلم.

(٢١٢ / ١١٦٨) وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه قَالَ: «صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَفَتِ الصُّبْحَ فَأُوتِرْ بِوَاحِدَةٍ». متفق عليه.

(٢١٢ / ١١٦٩) وعنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَثْنَى، وَيُؤْتِرُ بِرَكْعَةٍ. متفق عليه.

(٢١٢ / ١١٧٠) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَظَنَ أَنْ لَا يَصُومَ مِنْهُ، وَيَصُومُ حَتَّى نَظَنَ أَنْ لَا يُفْطِرُ مِنْهُ شَيْئًا، وَكَانَ لَا تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّيًّا إِلَّا رَأَيْتَهُ، وَلَا نَائِمًا إِلَّا رَأَيْتَهُ. رواه البخارى.

(٢١٢ / ١١٧١) وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه كَانَ يُصَلِّي إِحدَى عَشْرَةِ رَكْعَةً - تَعْنِي فِي اللَّيْلِ - يَسْجُدُ السَّجْدَةَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرًا مَا يَقْرَأُ أَحَدِكُمْ خَمْسِينَ آيَةً قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ، وَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، ثُمَّ يَضْطَبِعُ عَلَى شَفَقِهِ الْأَيْمَنِ حَتَّى يَأْتِيهِ الْمُنَادِي لِلصَّلَاةِ. رواه البخارى.

(٢١٢ / ١١٧٢) وعنهما قالت: مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه يَرِيدُ - فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ - عَلَى إِحدَى عَشْرَةِ رَكْعَةٍ: يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا. فَقَلَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَأْمُ قَبْلَ أَنْ تُؤْتِرَ؟ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ عَيْنَيَ تَنَامَنِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي». متفق عليه.

(٢١٢ / ١١٧٣) وعنهما: أنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ آخِرَهُ فِي صَلَاتِي. متفق عليه.

(٢١٢ / ١١٧٤) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلوات الله عليه لَيْلَةً، فَلَمْ يَزُلْ قَائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ

بِأَمْرِ سُوءٍ! قَالَ: مَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدْعُهُ . متفق عليه.

(٢١٢ / ١١٧٥) وَعَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَسَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمَائِةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصْلِي بِهَا فِي رُكُوعَ فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَسَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَسَحَ الْأَلْعَامَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً (أي: يقرأ بترتيل الحروف فيعطيها حقها ومستحقها): إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَيِّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤُالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعْوِذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيِّ الْعَظِيمِ». فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ». ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيِّ الْأَعْلَى!». فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ . رواه مسلم.

(٢١٢ / ١١٧٦) وَعَنْ جَابِرِ قَدِيرِيَّةَ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «طُولُ القُنُوتِ». رواه مسلم. المراد بـ«القنوت»: القيام.

(٢١٢ / ١١٧٧) وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْعَاصِ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى اللَّهِ صَلَاةً دَاؤِدَ، وَأَحَبُّ الصَّيَامَ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاؤِدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَةَ وَيَنَامُ سُدُسَهُ وَيَصُومُ يَوْمًا وَيُطْمِرُ يَوْمًا». متفق عليه.

(٢١٢ / ١١٧٨) وَعَنْ جَابِرِ قَدِيرِيَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا (أي: يصادفها وهو يصلى ويدعوه) رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أُعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ». رواه مسلم.

(٢١٢ / ١١٧٩) وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ قَدِيرِيَّةَ قَالَ: أَنَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَلَيُفْتَسِحِ الصَّلَاةَ بِرُكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ». رواه مسلم.

(٢١٢ / ١١٨٠) وَعَنْ عَائِشَةَ قَدِيرِيَّةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ لِيُصَلِّي افْتَسَحَ صَلَاةَ بِرُكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ. رواه مسلم.

(٢١٢ / ١١٨١) وَعَنْهَا قَدِيرِيَّةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا فَاتَتِهِ الصَّلَاةُ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجْعٍ أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ شَتَّى عَشَرَةَ رُكُوعًا . رواه مسلم.

(٢١٢ / ١١٨٢) وَعَنْ عَمْرِ بْنِ الْحَطَّابِ قَدِيرِيَّةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ (أي: الجزء من القرآن أو الورد الذي يجعله في الليل ليقرأه)، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهُرِ، كُتِبَ لَهُ كَانَمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ». رواه مسلم.

(١١٨٣ / ٢١٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَحْمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبْتَ (أي: رفضت) نَصَحَّ (أي: رش) فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، رَحْمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتِ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبْتَ نَصَحَّ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١١٨٤ / ٢١٢) عنه وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى - أَوْ صَلَّى - رَكْعَيْنِ جَمِيعًا، كُتِبَتِ فِي الدَّاكِرِينَ وَالدَّاكِرَاتِ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١١٨٥ / ٢١٢) وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ، فَلَيْرُ قُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ، لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ (أي: يدعوا) فَيَسْبَبَ نَفْسَهُ». متفق عليه.

(١١٨٦ / ٢١٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ، فَاسْتَعْجِمَ (أي: استغلق واستبهم ولم ينطق به لسانه لغلبة النعاس) الْقُرْآنَ عَلَى لِسَانِهِ، فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ، فَلَيَضْطَجِعْ». رواه مسلم.

\* \* \*

### (آداب قيام الليل)

**بعض الأسباب التي يتيسر بها قيام الليل:** إن قيام الليل أمر عسير على الخلق، إلا على من وفقه الله للقيام به، وذلك إذا تحققت فيه شروط ظاهرة وباطنة.

**أما الشروط الظاهرة فأربعة:**

- ١ - ألا يُكثر الأكل والشرب فيغلب عليه النوم ويُثقل عليه القيام؛ فقد كان بعض الشيوخ يقف على مائدة طعامه كل ليلة ويقول للامذته: لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتتحسروا عند الموت كثيراً. فتخفيق المعدة عن تقل الطعام هو الأمر الأول.
- ٢ - ألا يُجهد نفسه بالنهار في الأعمال الشاقة التي تعيها بها جوارحه وتتثور بها أعصابه من غير ضرورة معتبرة أو حاجة ملحة، فإن في هذا مجلبة للنوم والراحة؛ ليغوض ما فاته بسبب مشقة الأعمال في نهاره.

٣- أن يحاول ألا يترك نوم القيلولة بالنهار إذا توفر له ذلك؛ لأنها تعينه على قيام الليل، وفي الحديث: **«اسْتَعِنُوا بِقَائِلَةِ النَّهَارِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ»** [الطبراني في «الكبير» (١١) ٢٤٥] حديث (١١٦٢٥)، وفي الحديث أيضاً: **«اسْتَعِنُوا بِطَعَامِ السَّحَرِ عَلَى صِيَامِ النَّهَارِ، وَالْقِيلُولَةِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ»** [ابن ماجة في «سننه» كتاب «الصيام» باب «ما جاء في السحور» حديث (١٦٩٣)].

٤- ألا ينغمس في المعا�ي والأذكار نهاراً، فإن ذلك مما يُقسّي القلب ويَحُول بينه وبين أعمال الطاعات، قال رجل للحسن البصري : يَا أَبَا سَعِيدٍ، إِنِّي أَبْيَتْ مَعَافِي، وَأَحَبُّ قِيَامَ اللَّيْلِ، وَأَعْدُ طَهُورِي، فَمَا بَالِي لَا أَفُوْمُ؟ قال: ذنوبك قَدَّرتَكَ. وكان الحسن البصري : إِذَا دَخَلَ السُّوقَ فَسَمِعَ اللُّغَطَ وَلَغُوَّ النَّاسِ يَقُولُ: أَظُنُّ أَنَّ لَيْلَ هَوْلَاءِ لَيْلَ سَوْءٍ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَقِيلُونَ ظُهُورًا.

وقال سفيان الثوري : حُرِّمْتُ قِيَامَ اللَّيْلِ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ بِذَنْبِ أَذْنَبْتُهُ. قيل: وما ذَاكَ الذَّنْبُ؟ قال: رَأَيْتَ رَجُلًا يَبْكِي، فَقَلَّتْ فِي نَفْسِي: هَذَا مُرَاءٌ (أي: يتصنّع البكاء). وَقَالَ فُضَيْلَ بْنَ غَزْوَانَ : دَخَلْتُ عَلَى كُرْزَ بْنَ وَبَرَةَ وَهُوَ يَبْكِي، فَقَلَّتْ أَتَالَكَ تَعْيِي بَعْضِ أَهْلَكَ؟ فقال: أَشَدُّ. فَقَلَّتْ وَجْهُ يَؤْلِمُكَ؟ قال: أَشَدُ. قلت: فَمَا ذَاكَ؟ قال: بَابِي مُغْلَقٌ وَسِتْرِي مُسْبَلٌ وَلَمْ أَقْرَأْ حَزْبِي الْبَارَحةَ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِذَنْبِ أَحْدَثْتُهُ. وهذا لأنّ الخير يدعو إلى الخير، والشر يدعو إلى الشر، والقليل من كلّ واحدٍ منهم يجر إلى الكثیر. فالذنب كلها تورث قساوة القلب وتمتنع من قيام الليل، وأخص تلك الذنوب بالتأثير هو تناول الطعام والشراب الحرام، حيث تؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثر غيرها، ويعرف ذلك أهل مراقبة القلوب، وذلك بالتجربة والانصياع للشرع الحكيم.

وقيل: كم من أكلة منعْتُ قيام ليلة، وكم من نظرة منعْتُ قراءة سورة، إن العبد لا يأكل أكلةً أو يفعل فعلة فيُحرِم بها قيام سنّة.

وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة. وسائل الخيرات.

### أما أئمّرات لقيام الليل الباطنة فأربعة أمور:

الأول: سلامه القلب عن أمراضه، مثل الحقد على المسلمين، وعن هموم الدنيا المختلفة، فالمنشغل والمستغرق في دنياه بحدٍ يفوق عن حد الاعتدال لا يتيسّر له قيام الليل، حتى وإن قام فلا يتدبّر ولا يتفكر في صلاته، إلا فيما يشغله من مهمّات حياته، ويُحيطه الشيطان بوساوسي.

الثاني: الخوف الذي يلزم القلب من المعاصي والذنوب، ومن لقاء الله تبارك وتعالى، ومن أهوال الآخرة، فلا يستطيع أن يغلبه النوم لشدة خوفه وحذره؛ قال طاوس : إن ذكر جهنم طير نوم العبادين.

و<sup>حُكِي</sup>: أن غلاماً بالبصرة اسمه صَهَيْبَ كان يقوم الليل كُلَّهُ، فقالت له سيدته: إن قيامك الليل يضرُّ بعملك بالنهار؟ فقال: إن صَهَيْبَأ (أي: يقصد نفسه) إذا ذَكَرَ النار لا يأتيه النوم. وقيل لغلام آخر وكان يقوم كُلَّ الليل، فقال: إذا ذكرتُ النار اشتَدَّ خوفي، وإذا ذكرتُ الجنة اشتَدَّ شوقي فلا أقدر أن أنام.

وقال ذو النون المصري :

مَنْعَ الْقُرْآنَ بِوَعْدِهِ وَوَعِيْدِهِ  
فَهِمُوا عَنِ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ كَلَامِهِ

الثالث: أن يعرف فضيلة قيام الليل بسماع الآيات والأحاديث والأخبار والآثار؛ حتى يتعلّق رجاؤه وشوقه إلى ثواب ذلك القيام، فيدفعه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان.

و<sup>حُكِي</sup> عن بعض الصالحين: أنه رجع من غزوهه فمهدت امرأته فراشاً وجلست تنتظره، فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى أصبح، فقالت له زوجته: كنا ننتظرك مدةً، فلما قدمتَ صلَّيْتَ إلى الصبح؟ قال: والله إني كنت أتفكر في حور الجنة طول الليل، فنسيت الزوجة والمنزل فقامت طول ليالي شوقاً إليها.

الرابع: وهو أشرف الأسباب، وهو الحب لله وقوه الإيمان به، حيث يؤمّن أنه في قيامه لا يتكلّم بحرف إلا وهو يعرف أنه ينادي ربّه، وأن ربّه مطلع عليه يشاهده ويعلم ما في

قلبه، ويدري ما الخطرات التي تدور في قلبه، وأن الله تعالى يتولى شأنه، فإذا أحب الله تعالى عبداً يسر له الخلوة به، وأن يتلذذ بالمناجة معه، فتحمله تلك اللذة بالحبيب على طول القيام والشهر.

قال علي بن بكار : منذ أربعين سنةً ما أحزنني شيءٌ سوى طلوع الفجر (يقصد انتهاء قيام الليل).  
وقال الفضيل بن عياض : إذا غربت الشمس فرحت بالظلم؛ لخلوتي بربِّي، وإذا طلعت حزنت لدخول الناس عليَّ.

وقال أبو سليمان الداراني : أهل الليل في ليتهم أللذ من أهل الله في لهوهم، ولو لا الليل ما أحبت البقاء في الدنيا.

وقد قيل: ليس في الدنيا وقت يُشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة. وقيل: لذة المناجاة ليست من الدنيا، وإنما هي من الجنة أظهرها الله تعالى لأوليائه، لا يجدها سواهم.

وعن جابر رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إِنَّ مَنِ اللَّيْلَ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ [مسلم كتاب «صلوة المسافرين وقرصها» باب «في الليل»]

ساعة مستحباب فيها الدعاء» حديث (٧٥٧).]



### ٢١٣- باب استحباب قيام رمضان وهو التراويح

(٢١٣ / ١١٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْسَابًا (أي: يريد به الأجر والثواب من الله وحده ولا يقصد الرياء، ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص) غُفرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». متفق عليه.

(٢١٣ / ١١٨٨) وعنه رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُرْغِبُ فِي قَيَامِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرُهُمْ فِيهِ بِعَزِيزَةٍ (أي: لا يأمرهم أمر إيجاب وتحريم، بل أمر ندب وترغيب)، فيقول: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْسَابًا غُفرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». رواه مسلم.

### ٢١٤- باب فضل قيام ليلة القدر وبيان أرجى لياليها

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (١) إلى آخر السورة [سورة القدر].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكَةٍ﴾ الآيات [الدخان: ٣].

(٢١٤ / ١١٨٩) وعن أبي هريرة رض: عن النبي صل قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا فُغِرَ لَهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». متفق عليه.

(٢١٤ / ١١٩٠) وعن ابن عمر رض : أنَّ رجلاً من أصحاب النبي صل أرووا لَيْلَةَ الْقَدْرِ في المَنَامِ فِي السَّبْعِ الْأَوَّلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صل: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَّأْتُ» (أي: توافق) فِي السَّبْعِ الْأَوَّلِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيَّا فَلْيَتَحَرَّرْهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَّلِ». متفق عليه.

(٢١٤ / ١١٩١) وعن عائشة رض قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صل يُجَاوِرُ (أي: يعتكف) فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ رَمَضَانَ، وَيَقُولُ: «تَحْرَرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ رَمَضَانَ». متفق عليه.

(٢١٤ / ١١٩٢) وعنها رض : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صل قَالَ: «تَحْرَرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ رَمَضَانَ». رواه البخاري.

(٢١٤ / ١١٩٣) وعنها رض قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صل إِذَا دَخَلَ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ، أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَ وَشَدَّ الْمِئَرَ (أي: كناية عن اعتزال النساء للاستعداد للاشغال بالعبادات). متفق عليه.

(٢١٤ / ١١٩٤) وعنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صل يَجْتَهِدُ فِي رَمَضَانَ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ، وَفِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْهُ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ. رواه مسلم.

(٢١٤ / ١١٩٥) وعنها قالت: قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةً لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أُقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفْوٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

## ٢١٥- باب فضل السواك وحصل الفطرة

(٢١٥ / ١١٩٦) عن أبي هريرة رض: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صل قَالَ: «لَوْلَا أَنْ أُشَقَّ عَلَى أُمَّتِي - أَوْ عَلَى النَّاسِ - لَا مُرْتَهِمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ». متفق عليه.

(٢١٥ / ١١٩٧) وعن حذيفة رض قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صل إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يُشُوَصُ فَاهِ بِالسَّوَاكِ. متفق عليه. **الشُّوَصُ**: الدَّلْكُ.

(٢١٥ / ١١٩٨) وعن عائشة رض قالت: كُنَّا نُعْدُ لِرَسُولِ اللَّهِ صل سَوَاكُهُ وَطَهُورَهُ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ، وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي... الحديث. رواه مسلم.

(٢١٥ / ١١٩٩) وعن أنس رض قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صل: «أَكْثَرْتُ عَلَيْكُمْ فِي السَّوَاكِ». رواه البخاري.

(٢١٥ / ١٢٠٠) وعن شريح بن هانئ قال: قلت لعائشة : بَأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدَا النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قالت: بِالسَّوَاقِ . رواه مسلم.

(٢١٥ / ١٢٠١) وعن أبي موسى الأشعري قال: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَطَرَفُ السَّوَاقِ عَلَى لِسَانِهِ . متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

(٢١٥ / ١٢٠٢) وعن عائشة : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «السَّوَاقُ مَطْهَرٌ لِلْفَمِ» (أي: آلة لطهارة الفم) مَرْضَأً لِلرَّبِّ . رواه النسائي وابن خزيمة في «صححه» بأسانيد صحيحة.

(٢١٥ / ١٢٠٣) وعن أبي هريرة قال: «الفطرة خمس، أو خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، وتنقيل الأطفال، وتنفس الإبط، وقص الشارب». متفق عليه.

«الاستحداد»: حَلْقُ العَانَةِ، وَهُوَ حَلْقُ الشَّعْرِ الَّذِي حَوَلَ الْفَرْجَ.

(٢١٥ / ١٢٠٤) وعن عائشة قالت: قال رسول الله : «عَشْرُ مِنَ الْفِطْرَةِ: قُصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ الْلَّحْيَةِ، وَالسَّوَاقُ، وَاسْتِنشاقُ الْمَاءِ، وَقُصُّ الْأَطْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَتَنْفُسُ الْإِبْطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَاتِّقَاصُ الْمَاءِ». قال الراوي: وَسَيِّئَتِ الْعَاشرَةُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ المَضِمَضَةُ . قال وكيع وهو أحد روايه: اتِّقَاصُ الْمَاءِ يعني الاستنجاء . رواه مسلم.

«البراجم» بالباء المودحة والجيم، وهي: عقد الأصابع . و«إعفاء اللحية» معناه: لا يقص منها شيئاً.

(٢١٥ / ١٢٠٥) وعن ابن عمر : عن النبي ﷺ قال: «أَحْفُوا عَلَى الشَّفَقَتَيْنِ الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا» (أي: اتركوها على حالها) اللَّهُ أَعْلَمُ . متفق عليه.

## ٢١٦- باب تأكيد وجوب الزكاة وبيان فضلها وما يتعلق بها

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَقُوا الْزَكُوْةَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرَرْتُ إِلَّا يَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ حُنَفَاءُ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكُوْةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ٥].

وقال تعالى: ﴿خَذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُرْكِبُهُمْ بِهَا﴾ [التوبه: ١٠٣].

(٢١٦ / ١٢٠٦) وعن ابن عمر : أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «بُنْيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَحَجَّ الْبَيْتِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ» . متفق عليه.

(٢١٦ / ١٢٠٧) وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلوات الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس، (أي: قائم شعره متنفس) سمع دوي صوته (أي: شدة صوته) ولا نفقة ما يقول، حتى دنا من رسول الله صلوات الله عليه وسلم فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «خمس صلوات في اليوم والليلة». قال: هل على غيرهن؟ قال: «لا، إلا أن تطوع». فقال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «وصيام شهر رمضان». قال: هل على غيره؟ قال: «لا، إلا أن تطوع». قال: وذكر له رسول الله صلوات الله عليه وسلم الزكاة، فقال: هل على غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوع». فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا انقص منه. فقال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «أفلح إن صدق». متفق عليه.

(٢١٦ / ١٢٠٨) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلوات الله عليه وسلم بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن، فقال: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا بذلك، فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا بذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة توخذ من أغنيائهم وترد على فقراءهم». متفق عليه.

(٢١٦ / ١٢٠٩) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويتوفوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموها (أي: معوا) من دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله». متفق عليه.

(٢١٦ / ١٢١٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله صلوات الله عليه وسلم - وكان أبو بكر رضي الله عنه - وكفر من كفر من العرب، فقال عمر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله». فمن قالها فقد عصم مني ماله وتفسه إلا بحقه، وحسابه على الله». فقال أبو بكر: والله لا أقاتل من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حُل المال، والله لو منعني عقالاً (أي: الجل الذي يربط به البعير) كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلوات الله عليه وسلم، لقاتلتهم على متنعه. قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق. متفق عليه.

(٢١٦ / ١٢١١) وعن أبي أيوب رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي صلوات الله عليه وسلم: أخبرني بعمل يدخلني الجنة، قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتنعم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم». متفق عليه.

(٢١٦ / ١٢١٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن أعرابياً أتى النبي صلوات الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، دلني على

عَمِلَ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ. قَالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الرِّزْكَاهَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ». قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا، فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلَيَنْظُرْ إِلَيْهِ هَذَا». متفق عليه.

(٢١٦ / ١٢١٣) وعن جَرِيرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قال: بَيَّنَتُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الرِّزْكَاهِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. متفق عليه.

(٢١٦ / ١٢١٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبَ، وَلَا فِضَّةٌ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا (أي: زَكَاتِهَا) إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفَّحَتْ (أي: صُنِعَتْ لِهِ صُفَّاجَهُ) لَهُ صَفَّائِحٌ مِنْ نَارٍ، فَأَحْمَمَهُ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ، وَجَبِينُهُ، وَظَهَرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أَعْيَادُهُ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ حَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةً، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالإِبْلُ؟ قَالَ: «وَلَا صَاحِبٍ إِلَيْلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقَّهَا حَلْبُهَا يَوْمَ وِرْدَهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِّحَ (أي: سُوِيَ) لَهَا بِقَاعَ قَرْقَرَ (أي: بِمَكَانٍ مُسْتَوٍ وَاسِعٍ) أَوْ فَرَّ مَا كَانَتْ، لَا يَقْدُمُ مِنْهَا فَصِيَالًا (أي: ولَدَ النَّاقَةِ إِذَا فَصَلَ عَنْ أَمِهِ) وَاحِدًا، تَطُوَّهُ بِأَخْفَافِهَا، وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا، رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ حَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةً، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالْبَقْرُ وَالْغَنَمُ؟ قَالَ: «وَلَا صَاحِبٍ بَقَرٌ وَلَا غَنَمٌ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، بُطِّحَ لَهَا بِقَاعَ قَرْقَرَ، لَا يَقْدُمُ مِنْهَا شَيْئًا، لَيْسَ فِيهَا عَقَصَاءُ (أي: ملتوية القرن)، وَلَا جَلْحَاءُ (أي: التي لا قرن لها)، وَلَا عَضَباءُ (أي: العضباء: الناقة المشقوقة الأذن، أو الشاة التي انكسر أحد قرنيها)، تَنْطَحُهُ بَقْرُونَهَا، وَتَطُوَّهُ بِأَظْلَافِهَا (أي: الظلف للبقر والغنم والظباء، وهو المنشق من القوائم، والخف للبعير، والقدم للأدمي، والحافر للفرس والبغل والحمار)، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا، رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ حَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةً حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالْخَيْلُ؟ قَالَ: «الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وِرْزُ (أي: ذنب أو إثم)، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِرْ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ. فَآمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وِرْزٌ؛ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَحْرًا وَنِوَاءً (أي: مناؤة ومعاداة) عَلَى أَهْلِ الإِسْلَامِ، فَهِيَ لَهُ وِرْزٌ، وَآمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِرٌّ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي ظُهُورِهَا، وَلَا رِقَابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِرٌّ، وَآمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِأَهْلِ الإِسْلَامِ فِي مَرِجٍ (أي: أرض واسعة ذات نبات ومراعي للدواب)، أَوْ رَوْضَةٍ فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ

المرج أو الرّوضة من شيء إلا كتب له عدّ ما أكلت حسناً وكتب له عدّ أرواها وأبوالها حسنات، ولا تقطع طولها (أي: طيلها، والطول والطيل: الجبل الذي تربط فيه الدابة) فاستنـتْ (أي: جرت) شرفاً (أي: الشرف: العالي من الأرض) أو شرفين إلا كتب الله له عدّ آثارها وأرواها حسنات، ولا مر بها صاحبها على نهر، فشربت منه، ولا يريده أن يُسقيها إلا كتب الله له عدّ ما شربت حسنات». قيل: يا رسول الله، فالحمر؟ قال: «ما أنزل على في الحمر شيء إلا هذه الآية الفادة» (أي: القليلة النظير) الجامعه: «فمن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» [الزلزلة: ٧، ٨]. متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

## ٢١٧- باب وجوب صوم رمضان وبيان فضل الصيام وما يتعلق به

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُنْتُمْ أَصْيَامُكُمْ كَمَا كُنْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبِيَتَنَتِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلَيَصُمُّهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخْرَى﴾ الآية [البقرة: ١٨٣ - ١٨٥].

وأما الأحاديث فقد تقدمت في الباب الذي قبله.

(٢١٧ / ١٢١٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «قال الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: كُلُّ عَمَلٍ ابْنَ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَامُ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصَّيَامُ جُنَاحٌ» (أي: وقاية لصاحبها مما يؤذيه من الشهوات)، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث (أي: لا يفحش في الكلام) ولا يصخب (أي: لا يرفع صوته ولا يغضب على أحد) فإن ساباه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم. والذى نفس محمد بيده لخلوف (أي: رائحة الفم) فم الصائم أطيب عند الله من ريح الممسك. للصائم فرحتان يفرجهما: إذا أفطر فرحة بفطره، وإذا القى ربه فرحة بصومه». متفق عليه، وهذا لفظ روایة البخاري.

وفي رواية له: «يُتُرُك طعامه، وشهوهه من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها».

وفي رواية لمسلم: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنَ آدَمَ يضاعفُ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمَائَةٍ ضِعْفٍ». قال الله تعالى: إِلَّا الصَّوْمُ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ؛ يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ

مِنْ أَجْلِي . لِلصَّائِمِ فَرْحَانٌ : فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ . وَلَحْلُوفٌ فِيهِ (أَيْ : فِيمَا) أَطْيَبٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ» .

(٢١٦ / ٢١٦) وعنـهـ: أـنـ رسولـ اللهـ قـالـ: «مـنـ أـنـفـقـ رـوـجـينـ (أـيـ: إـنـاقـ شـيـئـنـ مـنـ صـنـفـ مـاـ أـصـنـافـ الـمـالـ مـنـ نـوـعـ وـاحـدـ) فـيـ سـبـيلـ اللهـ نـوـديـ مـنـ أـبـوـابـ الـجـنـةـ: يـاـ عـبـدـ اللهـ، هـذـاـ خـيـرـ، فـمـنـ كـانـ مـنـ أـهـلـ الصـلـاـةـ دـعـيـ مـنـ بـاـبـ الصـلـاـةـ، وـمـنـ كـانـ مـنـ أـهـلـ الـجـهـادـ دـعـيـ مـنـ بـاـبـ الـجـهـادـ، وـمـنـ كـانـ مـنـ أـهـلـ الصـيـامـ دـعـيـ مـنـ بـاـبـ الرـيـانـ، وـمـنـ كـانـ مـنـ دـعـيـ مـنـ بـاـبـ الـصـدـقـةـ» . قـالـ أـبـوـ بـكـرـ (عـلـيـهـ السـلـامـ): يـاـ بـاـبـيـ أـنـتـ وـأـمـيـ يـاـ رـسـولـ اللهـ! مـاـ عـلـىـ مـنـ دـعـيـ مـنـ تـلـكـ الـأـبـوـابـ مـنـ ضـرـورـةـ، فـهـلـ يـدـعـيـ أـحـدـ مـنـ تـلـكـ الـأـبـوـابـ كـلـهـاـ؟ قـالـ: «نـعـمـ، وـأـرـجـوـ أـنـ تـكـوـنـ مـنـهـمـ» . مـتـقـنـ عـلـيـهـ .

(٢١٧ / ٢١٧) وعنـ سـهـلـ بـنـ سـعـدـ (عـلـيـهـ السـلـامـ): عـنـ النـبـيـ (عـلـيـهـ السـلـامـ) قـالـ: «إـنـ فـيـ الـجـنـةـ بـاـبـاـ يـقـالـ لـهـ الـرـيـانـ، يـدـخـلـ مـنـهـ الصـائـمـوـنـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ، لـاـ يـدـخـلـ مـنـهـ أـحـدـ غـيـرـهـمـ، يـقـالـ: أـيـنـ الصـائـمـوـنـ؟ فـيـقـوـمـوـنـ لـاـ يـدـخـلـ مـنـهـ أـحـدـ غـيـرـهـمـ، فـإـذـاـ دـخـلـوـاـ أـغـلـقـ فـلـمـ يـدـخـلـ مـنـهـ أـحـدـ» . مـتـقـنـ عـلـيـهـ .

(٢١٨ / ٢١٨) وعنـ أـبـيـ سـعـيـدـ الـخـدـرـيـ (عـلـيـهـ السـلـامـ): قـالـ رـسـولـ اللهـ (عـلـيـهـ السـلـامـ): «مـاـ مـنـ عـبـدـ يـصـومـ يـوـمـاـ مـاـ فـيـ سـيـلـ اللهـ إـلـاـ بـاعـدـ اللهـ بـذـلـكـ الـيـوـمـ وـجـهـهـ عـنـ النـارـ سـبـعينـ خـرـيفـاـ (أـيـ: عـامـ)» . مـتـقـنـ عـلـيـهـ .

(٢١٩ / ٢١٩) وعنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ (عـلـيـهـ السـلـامـ): عـنـ النـبـيـ (عـلـيـهـ السـلـامـ) قـالـ: «مـنـ صـامـ رـمـضـانـ إـيمـانـاـ وـاحـتـسـابـاـ، غـفـرـ لـهـ مـاـ تـقـدـمـ مـنـ ذـنـبـهـ» . مـتـقـنـ عـلـيـهـ .

(٢٢٠ / ٢٢٠) وعنـهـ (عـلـيـهـ السـلـامـ): أـنـ رـسـولـ اللهـ (عـلـيـهـ السـلـامـ) قـالـ: «إـذـاـ جـاءـ رـمـضـانـ، فـتـحـتـ أـبـوـابـ الـجـنـةـ، وـغـلـقـتـ أـبـوـابـ النـارـ، وـصـفـدـتـ (أـيـ: قـيدـتـ وـأـوـثـقـتـ بـالـأـغـلـالـ) الشـيـاطـيـنـ» . مـتـقـنـ عـلـيـهـ .

(٢٢١ / ٢٢١) وعنـهـ (عـلـيـهـ السـلـامـ): أـنـ رـسـولـ اللهـ (عـلـيـهـ السـلـامـ) قـالـ: «صـومـوـاـ لـرـؤـيـتـهـ، وـأـفـطـرـوـاـ لـرـؤـيـتـهـ، فـإـنـ غـبـيـ عـلـيـكـمـ، فـأـكـمـلـوـاـ عـدـةـ شـعـبـانـ ثـلـاثـيـنـ» . مـتـقـنـ عـلـيـهـ، وـهـذـاـ لـفـظـ الـبـخـارـيـ . وـفـيـ روـاـيـةـ مـسـلـمـ: «فـإـنـ غـمـ عـلـيـكـمـ فـصـومـوـاـ ثـلـاثـيـنـ يـوـمـاـ» .

\* \* \*

### ( حـكـمـةـ الصـيـامـ )

لـمـاـ نـصـومـ شـهـرـاـ وـاحـدـاـ فـيـ السـنـةـ؟ وـلـمـاـ نـصـومـ أـصـلـاـ؟

لما خلق الله تبارك وتعالى الإنسان جعل رتبته ومكانته فوق رتبة البهائم والأئم، فأعطاه القدرة بنور الشرع والعقل على كسر شهواته، وجعله أيضًا دون رتبة الملائكة؛ وذلك لاستيلاء الشهوات عليه، فهو ممتحن ومتربلي لمجاهدة شهواته.

إذا انتم في التلذذ والاستمتاع بالشهوات انحطت إلى أسفل سافلين، ومن ثم التحق إلى رتبة البهائم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِلَّا لَأَنفُسِهِمْ بِلَّهُمْ أَضَلُّ مِنْكُمْ بِلَّا﴾ [الفرقان: ٤٤]، ولكنه إذا قمع شهواته وضبط عقل وحكمة ارتفع بنفسه إلى أعلى علّيين والتحق برتبة الملائكة والمقربين. هذا، وقد تعلم الإنسان من تجربة آدم عليه السلام في الجنة أن له عدوًّا اسمه إبليس يريد أن يستولي عليه وعلى قلبه.

ومعلومات أن الإنسان مكون من قلب وجوارح، فالقلب هو الأصل والجوارح تبع له؛ ولذلك فالقلب هو محل العبودية والطاعة والانقياد لله، يحاول الشيطان الاستيلاء عليه والتتمكن منه، وله في ذلك أبواب كثيرة، منها باب عظيم هو باب التخمة والشبع من الطعام، وإن كان حلالاً صافياً؛ ذلك أن الشبع يقوى الشهوات، وهي من أسلحة الشيطان.

وفي كثرة الشبع وامتلاء البطون خصال مذمومة قد تلتحق بالإنسان، منها: الشاقل عن عبادة الله عليه، وضياع الأوقات في كثرة النوم والبول وقضاء الحاجات، ومنها أيضًا: ضعف التأثير بكلام الله تعالى وكلام الرسول عليه، وكذلك ذهاب الرحمة وقلة الاكتراث بحال الفقراء والمساكين ظنناً منه أنهم مثله في حال من الشبع والهناء، وأخيرًا وليس آخرًا كثرة الأمراض التي قيل فيها: المعدة بيت الداء.

ومن رحمة الله وعنايته ورعايته لنا أن كتب علينا الصيام؛ لتزكية نفوسنا، وتطهير قلوبنا؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُبَّبَ عَلَيْنَكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُبَّبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمْلَكُمْ تَفَقُّنَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وقال النبي عليه: «كُلُّ عَمَلٍ إِنَّ آدَمَ يُضَاعِفُ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضَعْفٍ؛ فَاللَّهُ تَعَالَى: إِلَّا الصَّوْمُ؛ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْرِي بِهِ؛ يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي. لِلصَّائِمِ فَرَحَاتٌ: فَرَحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرَحَةٌ عِنْدَ لِقاءِ رَبِّهِ. وَلَخَلُوفٌ فِيمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ» [متفق عليه بنحوه من طريق أبي هريرة عليه].

فالصيام هو الإمساك عن الشهوات، واجتناب المنهيات، من الفجر إلى المغرب، وهو كفُّ الفرج والبطن عن قضاء الشهوة. وقد جعله الله تعالى أيضًا شهراً واحداً في العام، تنبئنا أن الحياة الدنيا كلها مع طولها ليست إلا كشهر واحد في حياة البشر بالنسبة للحياة الأخرى عند الله، فإن يوم القيمة طوله فقط خمسون ألف سنة، فما بالك بأبد الآبدية. وكما يفرح الصائم بقدوم المغرب يفرح العابد بقدوم لقاء الله؛ **«مَنْ أَحَبَ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَ اللَّهِ لِقَاءُهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءُهُ»** [متفق عليه من طريق عبادة بن الصامت رض].

فالذى عاش على مزاج أو روح الصيام تبعاً لأمر الله تعالى، فيكون يوم موته أشهى يوم العيد؛ أي: يوم الإفطار، ومع أن عيد الدنيا يوم واحد، ولكن في القيمة أبد الآبدية في النعيم. وليس المطلوب في الحقيقة ترك الطعام والشراب، بل المطلوب ترك ترتيب وأهواء النفس، فهو سبحانه لم يمنع الطعام والشراب كلية، وإنما أعاد لنا ترتيب الأولويات وفق الترتيب الرباني والمنهج النبوى، فقدم طعام الفطور إلى ما قبل الفجر، وأخر طعام الغداء أو العشاء إلى ما بعد المغرب.

وهكذا، فمن أحسن في صيامه بتقييد شهواته على وفق المنهج النبوى الكريم، أعاذه الله على صيام جوارحه، فيحفظ له جوارحه فلا تشغله إلا بالطاعات، ومن أحسن في جوارحه أيضًا كافأه الله بصيام قلبه فلا يشغل إلا بحالقه ولا يشغل بشواغل الدنيا التافهة، بل يصبح عبداً ربانياً، فيقول في حقه ﷺ: **«كُنْتُ سَمْعَةً لِّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ لِّذِي يُبَصِّرُ بِهِ، وَيَدُهُ لِّذِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرَجْلُهُ لِّذِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلْتَنِي لِأُعْتَدَنَّ»** [متفق عليه من حديث أبي هريرة رض].

وهذا هو مزاج ومقصود الصوم؛ أي: كلما اصطدمت الشهوات في أوقات الحياة المختلفة وألحت على صاحبها، متعارضةً مع أوامر الله تبارك وتعالى، كما تصطدم مع الصائم شهوته ورغبته للطعام اللذيذ - كان واجباً عليه أن يملك نفسه ويُقييد شهواته وينفذ الأمر الإلهي والهدي النبوى، وهذا هو المطلوب من شهر رمضان وسائر الصيام في كل السنة، فإنما هو تمرين على مخالفة الشهوات في العمر كله.

وتلك هي مشاعر العبودية المرجوة من الصيام، حياة وفق الشريعة، نراعي فيها أوامر الله تعالى ومنهجه الرسول ﷺ، ونقدمها على أمور أنفسنا وشهواتنا.

ويا لِفْرَحَةٍ مِنْ كَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ! فَعَاشَ مُقِيدًا لِشَهُوَاتِ وَأَهْوَاءِ نَفْسِهِ بِتِلْكَ الْأَوَامِرِ، وَلَمْ يَغْضَبْ مِنْ تِلْكَ الْقِيُودِ، فَيَقِيفُ بَيْنَ الْخَلَاقَيْنِ قَائِلًا: ﴿فَمَآ مَنْ أُوفِيَ بِعِصْمَيْهِ﴾  
 فَيَقُولُ هَاؤُمْ أَفْرَءُ وَأَكْنَيْهِ ﴿١٦﴾ إِنِّي طَنَّتْ أَفَ مُتَّقِ حَسَابَيْهِ ﴿١٧﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَهُ ﴿١٨﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَّهُ  
 فَقُطُوْفَهَا دَانَيْهِ ﴿١٩﴾ كُلُّوا وَشَرُّوْبًا هَنِيْسًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَّةِ ﴿٢٠﴾ [الحافظة: ١٩ - ٢٤].

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿كُوَا وَأَشْرِيُوا﴾، وكأنه إشارة إلى حالة الصيام والكف عن ترتيبات النفس التي كان يعيشها الإنسان في الحياة، فتلك هي المكافأة.

ويا لحسنة من عاش متحرراً من قيود الشع رافضاً أوامر ربها وهدي نبيه ﷺ  
ومتبعاً للشهواته وزناه! فيقول: **وَمَآ مَنْ أُوقِّنَتْهُ** **يُشَاهِدُهُ** **فَيَقُولُ** **يَلْتَئِنِي لَرَأْتُكَ** **كِتْبَتِهِ** **وَأَنْزَلْتَكَ**  
**أَذْرَكَ مَحْسَابَيْهِ** **يَلْتَهِنَّا كَانَ الْفَاضِلَيْهِ** **مَا أَغْفَى عَنِ مَالِيْهِ** **هَلَكَ عَنِ سُلْطَانِيْهِ** **خُذْدُوهُ**  
**فَلَعْنَوْهُ** **ثُرَّلَجَنْجَمَ صَلَوَهُ** **ثُرَّفَ سِلْسِلَةَ ذَرْعَهَا سَبْعُونَ ذَرَاعاً فَاسْكُوْهُ** **٣٢** [الحافة: ٢٥-٣٢].

فَيُعَذَّبُ هَذَا الْمُتَحَرِّرُ فِي قِيُودِ جَهَنَّمَ عَقَابًا لِهِ عَلَىٰ تَلْكَ الْفَوْضَىٰ الَّتِي عَاشَهَا فِي حَيَاتِهِ، ضَارِبًا بِأَوْامِرِ رَبِّهِ عُرْضَ الْحَائِطِ.

• • •

**٢١٨- باب الجود و فعل المعروف والإكثار من الخير في شهر رمضان**  
**والزيادة من ذلك في العشر الأواخر منه**

(٢١٨) عن ابن عباس قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ أَجْوَدُ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَادَ الْأَنْسَابِ (أي: أكثر الناس كرماً) مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ أَجْوَدُ الْأَنْسَابِ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ الْأَنْسَابِ بِالْخَيْرِ مِنِ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ (أي: المستمرة الهوب بالرحمة). متفق عليه.

(٢١٨) وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرَ أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَشَدَّ الْمَتْزُرَ رَجُلًا مُنْفِقًا عَلَيْهِ.

## ٢١٩- باب النهي عن تقدم رمضان بصوم بعد نصف شعبان

**إلا لمن وصله بما قبله أو وافق عادة له**

**بأن كان عادته صوم الإثنين والخميس فوافقه**

(٢١٩ / ١٢٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلام قال: «لا يَقْدِمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمٍ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ، فَلَيَصُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ». متفق عليه.

(٢١٩ / ١٢٢٥) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: «فَآتُوكُمْ رَمَضَانَ؛ صُومُوا لِرُؤْسِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْسِهِ، فَإِنْ حَالَتْ دُونَهُ غَيَايَةً فَأَكْمِلُوا ثَلَاثِينَ يَوْمًا». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح». (الغَيَايَةُ) بالغين المعجمة وبالباء المشاة من تحت المكررة، وهي: السحابة.

(٢١٩ / ١٢٢٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: «إِذَا بَقَيَ نِصْفُ مِنْ شَعْبَانَ فَلَا تَصُومُوا». رواه الترمذى، وقال: « الحديث حسن صحيح».

(٢١٩ / ١٢٢٧) وعن أبي اليقطان عمار بن ياسير رضي الله عنهما: قال: «مَنْ صَامَ الْيَوْمَ الَّذِي يُشَكُّ فِيهِ، فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ صلوات الله عليه وسلم». رواه أبو داود والترمذى، وقال: « الحديث حسن صحيح».

## ٢٢٠- باب ما يقال عند رؤية الهلال

(٢٢٠ / ١٢٢٨) عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وسلام كَانَ إِذَا رَأَى الْهَلَالَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ أَهِلْهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَ وَالإِنْسَامَ، رَبِّي وَرَبِّكَ اللَّهُ، هَلَالُ رُشْدٍ وَخَيْرٍ». رواه الترمذى، وقال: « الحديث حسن».

## ٢٢١- باب فضل السحور وتأخيره ما لم يخش طلوع الفجر

(٢٢١ / ١٢٢٩) عن أنس رضي الله عنه: قال: «تَسَحَّرُوا؛ فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً». متفق عليه.

(٢٢١ / ١٢٣٠) وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه: قال: «تَسَحَّرَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم، ثُمَّ قُمْنَا إِلَى الصَّلَاةِ». قيل: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: قَدْرُ خَمْسِينَ آيَةً. متفق عليه.

(٢٢١ / ١٢٣١) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: قال: «كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم مُؤْذَنًا: بِالْأَلْ وَابْنُ أَمْ مَكْتُومٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم: «إِنَّ بِالْأَلْ يُؤَذِّنُ بِالْأَلِ، فَكُلُّوا وَاشْرُبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أَمْ مَكْتُومٍ». قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا إِلَّا أَنْ يَنْزِلَ هَذَا وَيَرْفَقَهُ هَذَا. متفق عليه.

(٢٢١ / ١٢٣٢) وعن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فَصُلْ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَكْلُهُ السَّحْرِ». رواه مسلم.

## ٢٢٢- باب فضل تعجيل الفطر

### وما يفطر عليه وما يقوله بعد الإفطار

(٢٢٢ / ١٢٣٣) عن سهل بن سعد رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَرُأُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَلُوا لِفِطْرِهِ». متفق عليه.

(٢٢٢ / ١٢٣٤) وعن أبي عطية قال: دَخَلْتُ أَنَا وَمَسْرُوقٌ عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَقَالَ لَهَا مَسْرُوقٌ: رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ مَحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، كِلاهُمَا لَا يَأْلُو عَنِ الْخَيْرِ؛ أَحَدُهُمَا يُعَجِّلُ الْمَغْرِبَ وَالإِفْطَارَ، وَالآخَرُ يُؤَخِّرُ الْمَغْرِبَ وَالإِفْطَارَ؟ فَقَالَتْ: مَنْ يُعَجِّلُ الْمَغْرِبَ وَالإِفْطَارَ؟ قَالَ: عَبْدُ اللهِ -يعني ابنَ مسعودٍ- فَقَالَتْ: هَكُذا كَانَ رَسُولُ اللهِ يَصْنَعُ. رواه مسلم.

قوله: «لَا يَأْلُو» أي: لا يَقْصُرُ في الْخَيْرِ.

(٢٢٢ / ١٢٣٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنهما: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللَّهُ وَجَلَّ: أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْرًا». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٢٢ / ١٢٣٦) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا (أي: من جهة المشرق)، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ». متفق عليه.

(٢٢٢ / ١٢٣٧) وعن أبي إبراهيم عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: قَالَ: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ صَائِمٌ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ لِبَعْضِ الْقَوْمِ: «يَا فُلَانُ، انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَمْسَيْتَ؟ قَالَ: «اِنْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا». قَالَ: إِنَّ عَلَيْكَ نَهَارًا، قَالَ: «اِنْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا». قَالَ: فَنَزَلَ فَاجْدَحَ لَهُمْ فَشَرِبَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ هَاهُنَا، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ». وَأَشَارَ بِيَدِهِ قَبْلَ الْمَشْرِقِ. متفق عليه.

قوله: «الْجَدْحُ» بِجِيمٍ ثُمَّ دَالٌ ثُمَّ حَاءٌ مَهْمَلَتَيْنِ، أي: الْخُلُطُ السَّوِيقُ بِالْمَاءِ.

(٢٢٢ / ١٢٣٨) وعن سلمان بن عامر الصَّابِيِّ الصَّحَافِيِّ رضي الله عنهما: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ، فَلْيَفْطِرْ عَلَى مَاءٍ؛ فِإِنَّهُ طَهُورٌ». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢٢٢ / ١٢٣٩) وعن أنس رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَلَمُ يُفْطِرُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّي عَلَى رُطْبَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطْبَاتٌ فَتُمِيرَاتٌ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تُمِيرَاتٌ حَسَا (أي: شرب) حَسَوَاتٌ مِنْ مَاءٍ. رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن».

## ٢٢٣- باب أمر الصائم بحفظ لسانه وجوارحه

### عن المخالفات والمشاتمة ونحوها

(٢٢٣ / ١٢٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَلَمُ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدُكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ (أي: لا يفحش في الكلام) وَلَا يَصْخَبْ (أي: لا يرفع صوته ولا يغضب على أحد)، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدُهُ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ». متفق عليه.

(٢٢٣ / ١٢٤١) وعنه قال: قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ لَمْ يَدْعُ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَإِنَّ اللَّهَ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدْعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ». رواه البخارى.

## ٢٢٤- باب في مسائل من الصوم

(٢٢٤ / ١٢٤٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلم قال: «إِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ، فَأَكَلَ، أَوْ شَرِبَ، فَلْيُسِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ». متفق عليه.

(٢٢٤ / ١٢٤٣) وعن لَفِيفَةِ بْنِ صَبَرَةِ رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْوُضُوءِ؟ قَالَ: «أَسْبَغِ الْوُضُوءَ (أي: أَنْمَ فِرَانْصِهِ وَسَنَتِهِ)، وَخَلَّ بَيْنَ الْأَصَابِعِ، وَبَالْغُ فِي الْاسْتِشَاقِ (أي: بإيصال الماء إلى باطن الأنف)، إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢٢٤ / ١٢٤٤) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَلَمُ يُدْرِكُهُ الْفَجْرُ وَهُوَ جُنْبٌ مِنْ أَهْلِهِ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيَصُومُ. متفق عليه.

(٢٢٤ / ١٢٤٥) وعن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما قالتا: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَلَمُ يُصْبِحُ جُنْبًا مِنْ غَيْرِ حُلْمٍ (أي: احتلام)، ثُمَّ يَصُومُ. متفق عليه.

\* \* \*

## (أحكام الصيام)

تميز الصوم بكونه ركناً في الإسلام، كما تميز بفضائل كثيرة؛ ولذلك اختار الله تعالى

أفضل الأوقات ليكون محلّاً لأداء هذه العبادة الشريفة، وهو شهر رمضان، فاختصه بعظيم الفضائل الكونية والربانية العميمة، وجعله سيداً للشهور كلها.

فأكثر فيه من الغفران، ومحو السيئات، وإقالة العثرات، ورفع الدرجات، ومضاعفة الحسنات، واستجابة الدعوات، ونجّى فيه من النار كثيراً من استوجبوا دخولها، وأفاض فيه على الصائمين نعيم الرضوان والنفحات، فكثر فيه العفو، وعظمت فيه البركة، وعم فيه الخير، وتزرت فيه الرحمة، فكان سيداً للشهر كلها، لا يعدله سواه من الأوقات.

كما فضلها بليلة القدر، وهي الليلة التي أنزل الله تعالى فيها القرآن على النبي ﷺ، وميّزها عن سائر الليالي كافة، فصرح بذكرها في القرآن الكريم، ووصفها بأنها مباركة وبأنها خير من ألف شهر، فالعمل الصالح فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

**تعريف الصوم:** الصوم لغة: هو الإمساك والامتناع عن كل ما يكون مُفطراً على وجه مخصوصٍ من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

ويقصد بالإمساك على وجه مخصوص اجتماع الشروط والأركان التي يجب مراعاتها حتى يُعتبر الصوم صحيحاً، وانتفاء وعدم وجود الأمور التي تمنع من الصيام.

والصوم وسيلة للتحلي بتقوى الله تعالى وبالإخلاص، وهو وسيلة أيضاً للشکر، كما أنه وسيلة لدفع وساوس الشيطان.

**فالمقصود من الصوم:** إمساك النفس عن خسيس عاداتها، وحبسها عن شهواتها، ومنعها عن مألفاتها، ولما كانت النفس مائلة إلى حب الرفعة على سائر المخلوقات والتكبر عليهم، وغير ذلك من العوائق الحاجبة لها من أن تصل إلى الأنوار الإلهية، جعل الله الصوم سبيلاً قوياً في إزالة تلك العوائق، حتى إن أرباب المكافئات لا يصلون إليها إلا بالصوم؛ لأنّه سبب في تواضع النفس، وابتداعها لا يحوم الشيطان حولها، فتصل إلى تلك الأنوار الصمدية.

وحكمة وجوبه شهراً؛ ليكون مع الأيام الستة من شوال بعدد أيام السنة؛ لأن الحسنة عشر أمثالها، فصيام رمضان عشرة أشهر، وصيام الأيام الستة من شوال بصوم شهرين، فجملة ذلك اثنا عشر شهرًا؛ فلذلك كان المداوم على فعل ذلك في كل عام كأنه صام الدهر كله.

وخص شهر شوال بالذكر لقربه من شهر رمضان، فيكون صوم الستة في شهر شوال جابرًا لما يقع من خلل في شهر رمضان.

### **أركان الصوم: للصوم الواجب ركنان، هما:**

١- النية: ويشترط أن تكون ليلاً قبل الفجر عند جمهور العلماء.

ولكنها عند الأحناف يصح استحضارها لصوم الفرض في شهر رمضان، وذلك حتى قبل صلاة الظهر؛ أي الزوال، بل ومجرد التسحر بشيء من الطعام أو الماء من أجل الصوم يُعد نية مجزئة في صحة الصيام؛ لأن السحور في نفسه إنما جعل للصوم، بشرط ألا ينوي المرء بعد طعام السحور أنه لا يصوم، فإن نوى لم يكن السحور مجزئاً للصوم.

ويكون لكل يوم من رمضان نية مستقلة تسبقه، وأجاز الإمام مالك صوم الشهر كله بنية واحدة في أوله. أما إذا كان الصوم غير واجب، أي من التوابل، وليس بفرض كما في شهر رمضان، فيجوز تأخير النية لما بعد الفجر إلى قبيل صلاة الظهر أي الزوال، وذلك في حق من لم يأت بفعل من المفطرات وأراد أن يكمل اليوم صائمًا تطوعًا، فله ذلك.

٢- الإمساك عن المفطرات التي يبطل بها الصوم، وهذا الركن لابد منه في الصوم مطلقاً، سواء كان واجباً أو تطوعاً.

### **مبطلات الصوم (المفطرات):** تتحضر مبطلات الصوم فيما يلي:

١- تعمد إدخال شيء إلى الجوف من منفذ مفتوح كالفم والأنف، ولا تعتبر العين منفذًا مفتوحًا من الناحية الشرعية ولا مسام الجلد. والجوف عند الفقهاء: هو ما يلي حلقوم الإنسان كالمعدة والأمعاء والمثانة - على اختلاف بينهم فيما يتعلق بالمثانة - وباطن الدماغ؛ أي داخله، فإذا تجاوز المفطر الحلقوم ودخل الجوف إلى أي واحدة منها من منفذ مفتوح ظاهراً حسناً، فإنه يكون مفسداً للصوم.

- ٢- تعمد الإللاج في فرج - قُبُل أو دبر - ولو بلا إنزال.
- ٣- خروج المَنِيِّ - وهو السائل المتعلق بالشهوة - بعد تلامس أو قبلة ونحو ذلك.
- ٤- الاستقاءة أو التقيؤ، وهو تعمد إخراج القيء، أما من غلبه القيء بلا تعمد فلا يفطر به.
- ٥- خروج دم الحيض من المرأة.
- ٦- خروج دم النفاس بعد الولادة.
- ٧- الجنون، أن يصاب المرء بجنون في نهار رمضان.
- ٨- الرُّدَّة، وذلك برفض أحكام الإسلام والارتداد عنها.

### **الأعذار المبيحة للفطر وحكم من أفتر لعذر منها**

- ١- العجز عن الصيام: لكبر سن، أو مرض مزمن دائم لا يمكن معه الصيام، وحكم ذلك أن يُخرج فدية عوضاً عن صيام كُل يوم أفتره، وقدر ذلك مُدّ من الطعام، والمُدّ يساوي بالوزن ٥١٠ جرامات من القمح عند جمهور الفقهاء، أو ما يساويه من النقود بحسب عُرف كل زمان ومكان.
- ٢- المشقة الزائدة غير المعتادة: لأن يُشق عليه الصوم لمرضٍ يُرجى شفاؤه، أو أصابه جوع أو عطش شديد وخاف على نفسه الضرر، أو كان متظماً في عمل شاق هو مصدر نفقته ولا يمكنه تأجيله ولا يمكنه أداؤه مع الصوم، وحكمه جواز الفطر ووجوب القضاء أي بصومه فيما بعد.
- ٣- السفر: إذا كان السفر مباحاً ليس فيه معصية متعلمة، ومسافة السفر الذي يجوز معه الفطر نحو ثلاثة وثمانين (٨٣) كيلو متراً فأكثر، سواء كان معه مشقة أم لا، والواجب عليه حيثٌ قضاء الأيام التي أفترها بعد ذلك.
- ٤- الحمل والرضاعة: فإذا خافت الحامل أو المرضع من الصوم على نفسها جاز لها الفطر ووجب عليها القضاء؛ لكونها في معنى المريض، أما إذا كانت تخاف على

الجنين دون نفسها، أو عليهما معًا، فإنها تفطر، ويجب عليها القضاء في وقت لاحق، والفالدية كما تقدم عن كل يوم، وعند الحنفية أنه لا يجب عليها إلا القضاء فقط.

٥- إنقاذ كل ما اعتبر الشرع له حرمة وشرفاً: فإنه إذا توقف إنقاذ إنسان أو نفس ما أو حتى إنقاذ جزء من ذلك الإنسان، كيده أو رجل أو ما شابه ذلك، على إفطار الصائم الذي يستطيع إنقاذه وإبعاده عن ال�لاك، جاز للصائم الفطر دفعاً لأشد المفسدتين وأكبر الضررين التي هي هلاك تلك النفس أو حتى جزء منها. بل قد يكون واجباً عليه ذلك، إذا كان من واجباته أن ينقذ نفس إنسان لا منقذ له غيره، ويجب عليه القضاء بعد ذلك في وقت لاحق.

**مستحبات الصوم:** يستحب في الصوم التسحر بشيء من الطعام أو حتى الماء، وتأخير السُّحور، وتعجيل الفطر، والدعاء عند الفطر وفي أثناء الصيام.

ومما روي من دعائه عليه السلام أنه كان إذا أفتر قال: «ذهب الظمآن وأبتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله» [أبو داود كتاب «الصيام» باب «القول عند الإفطار» حديث (٢٣٥٧) من طريق عبد الله بن عمر].

ويستحب الإفطار على رُطبات، فإن لم يكن فعلى تمرات، فإن لم يكن فعلى ماء. كما يستحب الكف عما يتنافى مع الصيام وروحتانيته. فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلوات الله عليه وسلم قال: «مَنْ لَمْ يَدْعُ قَوْلَ الرُّورِ وَالْعَمَلِ بِهِ، فَلَيْسَ اللَّهُ حَاجَةً فِي أَنْ يَدْعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»

[البخاري في كتاب «الصوم» باب «من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم» حديث (١٨٠٤)].

**أشياء يباح للصائم فعلها:** يباح للصائم الاتصال حتى ولو وجد طعم الكحل في حلقه، واستعمال أنواع القطر المختلفة في العين حتى ولو وصل إلى الحلق، وذلك هو المختار في الفتوى. ويباح الادهان بالزيوت والمستحضرات الطبية المختلفة على الجسم والشعر، حتى ولو وصل إلى جوفه من خلال مسام الجلد والبشرة.

واستعمال السواك قبل الزوال، أي قبل الظهر، وكذلك يباح له الاغتسال طوال النهار. ويباح للصائم استعمال الحقن عن طريق الجلد، سواء كان في العضل أو في

الوريدي، بخلاف الحقيقة الشرجية فإنها مفطرة، وإن كانت عند المالكيَّة مكروهة فقط فلا يجب القضاء عندهم بالحقيقة الشرجية.

ويباح للصائم النوم ولو استغرق جميع النهار، بشرط ألا يتعدى بذلك تضييع الصلوات، فإن ذلك حرام، وكذلك يباح له بلْع ما لا يمكن الاحتراز منه كبلع الريق، وغبار الطريق، كما يباح شم الروائح الطيبة.

**مكروهات الصيام:** يكره للصائم أمور، ثُناب على تركها، ولكنه إذا فعلها لا يبطل صومه، منها: المبالغة في المضمضة والاستنشاق، وتذوق الطعام حتى ولو بغير حاجة. ويكره له أن يجمع ريقه ويبتلعه مُتعمداً.

كما يكره له القُبْلَة للذى لا يأمن أن تُحرِّك شهوته. كما يكره له الملامسة أو المباشرة ودواعي الوطء والجماع. ويكره له الحجامة؛ لأنها تُضعف الصائم. كما يكره له شُمُّ ما لا يأمن أن تجذبه أنفاسه إلى حَلْقه إذا كان له جُرم كالتراب، كمسحوق المِسْك والبخور وما شا به.

ويكره للصائم الانشغال باللهو واللعب وترك الطاعات في أثناء الصيام. كما يكره استعمال السواك بعد الزوال أي بعد الظهر، وذلك عند الشافعية ورواية عبد الحنابلة، خلافاً للجمهور فليس عندهم مكروهًا في استعماله طول النهار.

### ما يتعلق بهذا الشهر الكريم من طاعات:

يستحب في هذا الشهر الكريم تعلم القرآن الكريم وتلاوته وختمه، تأسياً به عليه السلام. كما يستحب كذلك تعلم كل ما يتعلق بسنة المصطفى عليه السلام وسيرته الحميدة، وسيرة أصحابه الكرام والسادة العلماء الأفاضل؛ ليدفعنا ويستحسننا ذلك إلى متابعتهم والاقتداء بهم. كما يستحب قيام ليل رمضان بصلوة التراويح والتهجد، وقد اتفق المسلمين على سنية قيام ليالي رمضان.

وصلة التراويح عشرون ركعة من غير الوتر، وثلاث وعشرون ركعة بالوتر، وهذا بإجماع الصحابة منذ عهد عمر رضي الله عنه، وهو ما عليه عمل المسلمين سلفاً وخلفاً في اجتماعهم لهذه الصلاة، وهو معتمد المذاهب الفقهية الأربع.

وأما فيما يتعلق بصلوة التراويح إحدى عشرة ركعة فهو قول بعض المتأخرین، حيث فهموا ذلك من حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره عن إحدى عشرة ركعة... الحديث. فهو يحكى عن هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قيام الليل عموماً، ولم يتعرض لصلاة التراويح، وهي التي كانت سنة سنها عمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تجمیع الناس على قيام رمضان، وعلى عدد الرکعات التي جمأ الناس عليها، وراء أبي بن كعب، عملاً بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«عَلَيْكُمْ بِسْتَيْ وَسُنْنَةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي»**.

فما عليه الأئمة والعلماء والمذاهب الفقهية سلفاً وخلفاً، أن صلاة التراويح عشرون ركعة. وهي سنة مؤكدة، وليست واجبة، فمن تركها حرم أجرًا عظيمًا، ومن زاد عليها فلا حرج، ومن نقص عنها فلا حرج عليه. والله تعالى أعلم.

ويستحب في رمضان الاعتكاف أيضًا، وهو شرعاً: المكوث واللبث في المسجد ممن أراد ذلك بنية الاعتكاف. وقد أجمعت الأمة على أنه من سنة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو في العشر الأواخر من رمضان أفضل منه في غيره؛ لطلب ليلة القدر بالصلاحة والقراءة وكثرة الدعاء، فإنها أفضل ليالي السنة.

وإحياء ليلة القدر مستحب، وهي ليلة من ليالي شهر رمضان، تنزل فيها مقدار العلائق إلى السماء الدنيا، ويستجيب الله فيها الدعاء، وهي الليلة التي نزل فيها القرآن العظيم. وقد اختلف أهل العلم في أرجح هذه الليالي، فروي أنها ليلة إحدى وعشرين، وروي أيضاً أنها ليلة ثلات وعشرين، وليلة أربع وعشرين، وليلة خمس وعشرين، وليلة سبع وعشرين، وليلة تسع وعشرين، وأخر ليلة، فقد وردت في كل هذه الليالي روايات، وجمع بعض أهل العلم بين هذه الروايات بأنها تتنقل في ليالي العشر.

كما يستحب فيه العمرة، وهي تعدل حجّة في الثواب إذا أُدِيت في رمضان، لأنها تقوم مقامها في إسقاط الفرض. كما يستحب فيه الإكثار من فعل النوافل بأنواعها المختلفة، فإن ثوابها فيه مضاعف، ومن النوافل كثرة الذكر، فإنه ينير القلب والجوارح.

كما يستحب فيه دعوة الناس إلى الله تعالى، وتعليمهم دينهم وأحكامه المختلفة وحكمته العظيمة، وتقريرهم إلى الله تعالى في هذه الأوقات العظيمة، ودفعهم وحثّهم وترغيبهم على الإقبال عليه بلا تردد، وهو من أعظم القربات عند الله تبارك وتعالى، اقتداءً بالأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعلى رأسهم سيدنا محمد ﷺ، تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿كُتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَوْمَنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

### أحكام صدقة أو زكاة الفطر:

**زكاة الفطر:** هي الزكاة التي يجب إخراجها على المسلم قبل صلاة عيد الفطر بمقدار محدد، صاع من غالب قوت البلد، على كل نفس من المسلمين. ويُخرجها عائل الأسرة عنمن تلزمه نفقته، سواء كان زوجة أو أولاداً أو حتى إخوة أو آباء وأمهات ملزماً بالنفقة عليهم. وقد شرعها الله تعالى طهرا للصائم من اللغو والرفث، وإغاثة للمساكين عن السؤال في يوم العيد.

### متى تجب زكاة الفطر على الصائم؟

تجب زكاة الفطر بدخول فجر يوم العيد عند الحنفية. بينما يرى الشافعية والحنابلة أنها تجب بغروب شمس آخر يوم من رمضان. وأجاز المالكيّة والحنابلة إخراجها قبل وقتها بيوم أو يومين. ولا مانع شرعاً من تعجيل زكاة الفطر من أول دخول رمضان، كما هو الصحيح عند الشافعية. وإنراج زكاة الفطر طعاماً كما في السنة النبوية المطهرة، وعليه جمهور فقهاء المذاهب المتبعة.

**إنراج قيمة زكاة الفطر نقوداً** أمر جائز ومجاز للصائم، حيث قال بذلك فقهاء الحنفية، وجماعة من كبار التابعين، وطائفة من أهل العلم قديماً وحديثاً، وهو أيضاً رواية مُخَرَّجة عن الإمام أحمد، وهو المفتى به بدار الإفتاء المصرية. وذلك لأن مقصود الزكاة هو إغاثة الفقراء يومهم هذا حتى يصبح لهم عيداً، وهذا يحصل بإنراج القيمة النقدية،

وذلك لمن يقيم في المدينة وما شابها ممن يستعملون النقود وكانت الأصل في حياتهم، فيكون بذلك هو الأقرب إلى منفعة الفقير؛ حيث يمكن بها من شراء ما يحتاج إليه.

أما إخراج الزكاة على شكل طعام فلا شك هو الأفضل في حق المزارعين، والذين يتعاملون بالجحوب وما شابها في حياتهم بالمقاييس ونحو ذلك.

ويجوز إعطاء زكاة الفطر لـهيئة خيرية معتمدة أمينة سبق أن نبه عليها أهل الاختصاص حيث تكون وكيلة عن صاحب الزكاة في إخراجها إلى مستحقها.

### (صيام ست من شوال)

ومن الأعمال الصالحة المستحبة المتعلقة بشهر رمضان صيام ستة أيام من شوال، ويستحب أن يصومها متتابعة في أول الشهر بعد يوم العيد؛ لما في ذلك من المسارعة إلى الخير، فإن فرقها أو أخرها عن شوال جاز له ذلك، وكان فاعلاً لأصل هذه السنة؛ لعموم الحديث وإطلاقه، ولا يجوز صوم يوم العيد.

\* \* \*

## ٢٢٥- باب بيان فضل صوم المحرم وشعبان والأشهر الحرم

(٢٢٤٦ / ١٢٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «أفضل الصيام بعد رمضان شهْرُ الله المُحَرَّمُ، وأفضل الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيَضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ». رواه مسلم.

(٢٢٤٧ / ١٢٤٧) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله وسلامه يَصُومُ مِنْ شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ.

وفي رواية: كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلًا. متفق عليه.

(٢٢٤٨ / ١٢٤٨) وعن مُعْجِيَّة الباهليَّة عن أبيها أو عمها: أنه أتى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، ثم انطلق فاتَّاه بعده سَيْنَةٌ - وقد تَغَيَّرَتْ حَالُهُ وَهِيَتُهُ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمَا تَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «وَمَنْ أَنْتَ؟» قَالَ: أَنَا الْبَاهِلِيُّ الَّذِي حِتَّكَ عَامَ الْأَوَّلِ. قَالَ: «فَمَا غَيَّرَكَ، وَقَدْ كُنْتَ حَسَنَ الْهَيَّةِ؟» قَالَ: مَا أَكَلْتُ طَعَاماً مُنْذُ فَارْقَنْتَكَ إِلَّا بِلَيْلٍ. فَقَالَ رَسُولُ الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «عَذَّبْتَ نَفْسَكَ» ثُمَّ قَالَ:

«صُمْ شَهْرَ الصَّبَرِ، وَيَوْمًا مِنْ كُلِّ شَهْرٍ». قَالَ: زِدْنِي، فَإِنَّ بِي قُوَّةً. قَالَ: «صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ». قَالَ: زِدْنِي. قَالَ: «صُمْ مِنَ الْحُرُمِ (أي: الأشهر الحرم، وهي أربعة أشهر: رجب، ذو القعدة، ذو الحجة، والمحرم) وَاتَّرْكُ، صُمْ مِنَ الْحُرُمِ وَاتَّرْكُ، صُمْ مِنَ الْحُرُمِ وَاتَّرْكُ». وَقَالَ بِأَصْبَاعِهِ الثَّلَاثَةِ فَصَمَّهَا، ثُمَّ أَرْسَلَهَا (أي: أشار بِالْمِيزَانِ بأصابعه الثلاث إلى أنه لا يزيد على الثلاث المتوليات، أو أنه يصوم ثلاثة ويترك ثلاثة). رواه أبو داود. وـ «شَهْرُ الصَّبَرِ»: رمضان.

## ٢٢٦- باب فضل الصوم وغيره في العشر الأول من ذي الحجة

(١٢٤٩ / ٢٢٦) عن ابن عباس رض قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ أَيَّامُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ». يعني: أيام العشر. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ». رواه البخاري.

## ٢٢٧- باب فضل صوم يوم عرفة وعاشوراء وتسوعاء

(١٢٥٠ / ٢٢٧) عن أبي قتادة رض قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن صوم يوم عرفة، قَالَ: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَّةَ وَالْبَاقِيَّةَ». رواه مسلم.

(١٢٥١ / ٢٢٧) وعن ابن عباس رض : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَامَ يَوْمَ عاشوراء وَأَمْرَ بِصِيَامِهِ. متفق عليه.

(١٢٥٢ / ٢٢٧) وعن أبي قتادة رض: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ صِيامِ يَوْمِ عاشوراء، فَقَالَ: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَّةَ». رواه مسلم.

(١٢٥٣ / ٢٢٧) وعن ابن عباس رض قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَئِنْ يَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ (أي: إلى العام التالي) لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ». رواه مسلم.

## ٢٢٨- باب استحباب صوم ستة أيام من شوال

(١٢٥٤ / ٢٢٨) عن أبي أيوب رض: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتَبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامَ الدَّهْرِ». رواه مسلم.

## ٢٢٩- باب استحباب صوم الإثنين والخميس

(١٢٥٥ / ٢٢٩) عن أبي قتادة رض: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ صوم يوم الإثنين، فَقَالَ: «ذَلِكَ

يَوْمُ ولِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمُ بُعْثُتُ، أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ (أي: القرآن). رواه مسلم.

(٢٢٩ / ١٢٥٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «تُعرَضُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَأَحِبُّ أَنْ يُعَرَّضَ عَمْلِي وَأَنَا صَائِمٌ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن». ورواه مسلم بغير ذكر الصوم.

(٢٢٩ / ١٢٥٧) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه يَتَحَرَّى صَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ.

رواہ الترمذی، وقال: «حدیث حسن».

## ٢٣٠ - باب استحباب صوم ثلاثة أيام من كل شهر

والأفضل صومها في الأيام البيض، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وقيل: الثاني عشر، والثالث عشر، والرابع عشر، والصحيح المشهور هو الأول.

(٢٣٠ / ١٢٥٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَوْ صَانِي خَلِيلِي صلوات الله عليه وآله وسلامه بِثَلَاثٍ: صِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الصُّحَى، وَأَنْ أُوتَرَ قَبْلَ أَنْ آتَمَّ. متفق عليه.

(٢٣٠ / ١٢٥٩) وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: أَوْ صَانِي حَبِيبِي صلوات الله عليه وآله وسلامه بِثَلَاثٍ لَنْ أَدْعَهُنَّ مَا عِشْتُ: بِصِيَامٍ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلَاةِ الصُّحَى، وَبِالْأَنَامِ حَتَّى أُوتَرَ. رواه مسلم.

(٢٣٠ / ١٢٦٠) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه: «صَوْمٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلُّهُ». متفق عليه.

(٢٣٠ / ١٢٦١) وعن معاذة العدوية: أنها سألت عائشة رضي الله عنها: أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه يَصُومُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. فَقَلَتْ: مِنْ أَيِّ الشَّهْرِ كَانَ يَصُومُ؟ قَالَتْ: لَمْ يَكُنْ يُبَالِي مِنْ أَيِّ الشَّهْرِ يَصُومُ. رواه مسلم.

(٢٣٠ / ١٢٦٢) وعن أبي ذر رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه: «إِذَا صُمِّتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثًا، فَصُصِّمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٣٠ / ١٢٦٣) وعن قتادة بن ملحا رضي الله عنه: قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه يَأْمُرُنَا بِصِيَامِ أَيَّامِ الْبِيْضِ: ثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ. رواه أبو داود.

(٢٣٠ / ١٢٦٤) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه لَا يُفْطِرُ أَيَّامِ الْبِيْضِ فِي حَسْرٍ وَلَا سَقَرً. رواه النسائي بإسناد حسن.

## ٢٣١- باب فضل من فطر صائمًا

### وفضل الصائم الذي يؤكل عنده ودعاء الأكل للمأكول عنده

(٢٣١ / ١٢٦٥) عن زيد بن خالد الجعفري رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلام قال: «مَنْ فَطَرَ صَائِمًا، كَانَ لَهُ مِثْلٌ أَجْرِهِ، عَيْرَ أَنَّهُ لَا يُنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢٣١ / ١٢٦٦) وعن أم عمارة الأنصارية رضي الله عنها: أنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وسلام دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ طَعَامًا، فَقَالَ: «كُلِّي». فَقَالَتْ: إِنِّي صَائِمَةٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام: «إِنَّ الصَّائِمَ تُصَلِّي عَلَيْهِ (أي: تستغفر له) الْمَلَائِكَةُ إِذَا أَكَلَ عِنْدَهُ (أي: ومالت نفسه إلى المأكول واشتدا صومه عليه) حَتَّى يَفْرُغُوا». وربما قال: «حَتَّى يَشْبَعُوا». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٣١ / ١٢٦٧) وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وسلام جَاءَ إِلَيْ سعد بن عُبَادَةَ رضي الله عنه فَجَاءَ بِحُزْنٍ وَرَيْتِ، فَأَكَلَ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وسلام: «أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ؛ وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

\* \* \*

## ٩- كتاب الاعتكاف

### ٢٣٢- باب فضل الاعتكاف في رمضان

(٢٣٢ / ١٢٦٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام يَعْتَكِفُ العَشْرَ الْأَوَّلَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ. متفق عليه.

(٢٣٢ / ١٢٦٩) وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وسلام كَانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الْأَوَّلَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، حَتَّى تَوَفَّهُ اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَرْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ. متفق عليه.

(٢٣٢ / ١٢٧٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وسلام يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا. رواه البخاري.

\* \* \*

## ١٠ - كتاب الحج

### ٢٣٣ - باب وجوب الحج وفضله

قال الله تعالى: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ أَسْتَطَعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنِ الْعَلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]

(٢٣٣) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمس شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان». متفق عليه.

(٢٣٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا». فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو قلت: نعم. لوجبتك، ولما استطعتم». ثم قال: «ذروني ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، وأختلافهم على آنيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه». رواه مسلم.

(٢٣٣) وعنده قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور». متفق عليه. «المبرور» هو الذي لا يرتكب صاحبه فيه معصية. (أي: وقد قدم النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد على الحج لأنه كان واجب الوقت آنذاك، فكانت المدينة المنورة مستهدفة من حولها جمیعاً. والأمر واسع ويرجع فيه إلى ولي الأمر).

(٢٣٣) عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من حج، فلم يرث (أي: اسم للفحص من القول، أو هي جامحة لكل ما يريده الرجل من المرأة)، ولم يفسق (أي: يقترف معصية)، رجع كيوم ولدته أمه». متفق عليه.

(٢٣٣) عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «العمرة إلى العمرة كفاره لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». متفق عليه.

(٢٣٣) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفالا نجاهد؟ فقال: «لكن أفضل الجهاد: حج مبرور». رواه البخاري.

(٢٣٣) عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة». رواه مسلم.

١٢٧٨ / ٢٣٣) وعن ابن عباس : أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً - أَوْ - حَجَّةً مَعِي». متفق عليه.

١٢٧٩ / ٢٣٣) وعنه: أنَّ امْرَأَهُ قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ فِي الْحَجَّ أَدْرَكْتُ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَبْتُ (أي: لا يستطيع أن يستوي) عَلَىٰ الرَّاحِلَةِ، أَفَأُحْجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ». متفق عليه.

١٢٨٠ / ٢٣٣) وعن لَقِطْ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه: أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ أَبِي شَيْخَ كَبِيرًا، لَا يَسْتَطِيعُ الْحَجَّ، وَلَا الْعُمْرَةَ، وَلَا الظَّعْنَ. قَالَ: «حُجَّ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

١٢٨١ / ٢٣٣) وعن السائب بن يزيد رضي الله عنه: قَالَ: حُجَّ بِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ. رواه البخارى.

١٢٨٢ / ٢٣٣) وعن ابن عباس : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقَى رَكْبًا (أي: أصله أن يستعمل في عشرة أفراد فما دونها) بِالرَّوْحَاءِ (أي: مكان على ستة وثلاثين ميلًا من المدينة)، فَقَالَ: «مَنِ الْقَوْمُ؟» قَالُوا: الْمُسْلِمُونَ. قَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: «رَسُولُ اللَّهِ». فَرَفَعَتِ امْرَأَةٌ صَبِيبًا، فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجُّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ». رواه مسلم.

١٢٨٣ / ٢٣٣) وعن أنسٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَجَّ عَلَىٰ رَحْلٍ وَكَانَتْ زَامِلَتُهُ (أي: الزاملة): البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتعاب. رواه البخارى.

١٢٨٤ / ٢٣٣) وعن ابن عباس رضي الله عنه: كَانَتْ عُكَاظُ (أي: سُوقٌ بين مكة والطائف)، وَمَجْنَهُ (أي: سوق بأسفل مكة)، وَدُوْ المَجَازِ (أي: سوق بناحية) أَسْوَافًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَنَاثَمُوا (أي: تركوا التجارة في الحج حذرًا من الإثم) أَنْ يَتَّجِرُوا فِي الْمَوَاسِمِ، فَنَزَّلَتْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٩٨] فِي مَوَاسِيمِ الْحَجَّ. رواه البخارى.

\* \* \*

### (حكمة الحج)

إن الله تبارك وتعالى جعل الوصول إلى محنته بالتنزه عن الشهوات والكفر عن اللذات والتجدد له في جميع الحركات والسكنات؛ ولهذا فرض علينا الحج قربة له.

وقد شَرَفَ الْبَيْتُ الْعَتِيقَ بِالإِضَافَةِ لِنَفْسِهِ سَبَّابَ اللَّهِ، وَجَعَلَهُ مَقْصِدًا لِعَبَادَهُ، وَجَعَلَ مَا حَوَالَهُ حِرْمًا لِبَيْتِهِ تَفْخِيمًا لِأَمْرِهِ. فَكَمَا أَنَّ لِلزَّكَاةِ حِكْمَةً فِي الرِّفْقِ بِالْفَقَرَاءِ، وَلِلصُّومِ كَسْرًا لِلشَّهَوَاتِ وَتَفْرُغًا لِلْعَبَادَاتِ، وَفِي الصَّلَاةِ مِنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ مَا هُوَ تَوَاضُعٌ لِلنُّفُوسِ وَأَنْسُّ بِتَعْظِيمِ اللَّهِ سَبَّابَ اللَّهِ، فَلِلْحَجَّ أَيْضًا كَذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِ تُظَهِّرُ كَمَالَ الرُّقُوقِ وَالْعَبُودِيَّةَ لِرَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ.

فَأَعْمَالُ الْحَجَّ، مِنْ تَرْدُدَاتِ السَّعْيِ، وَرِمَيِ الْجَمَارِ، وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْأَعْمَالِ، الْقِيَامُ عَلَيْهَا وَالبَاعُثُ إِلَيْهَا فَقْطُ هُوَ الْأَمْرُ الْمُبْجَرُدُ وَالْإِتَابَعُ الْمُطْلَقُ وَالْإِنْقِيَادُ الْكَاملُ تَبَعِّدَا اللَّهَ وَرِقَّا، حَتَّى لَوْ عَجزَ الْعَقْلُ عَنْ بَعْضِ حِكْمَتِهِ وَمَنَافِعِهِ إِيمَانًا بِحِكْمَةِ اللَّهِ الْمُطْلَقَةِ وَثِقَةً فِي أَنَّهُ يَنْفَعُنَا بِذَلِكَ، فَإِذَا اسْتَأْنَسَ الْعَبْدُ بِعَصْبَرَهُ أَسْرَارَ هَذِهِ التَّعْبُدَاتِ، فِي تَفْهُمِ أَصْلِ الْحَجَّ، فَقَدْ يَبْعَثُهُ الشَّوْقُ بَعْدَ الْفَهْمِ وَالتَّحْقِيقِ إِلَى التَّجَهِزِ لِبَيْتِ اللَّهِ سَبَّابَ اللَّهِ، قَاصِدًا مَوْلَاهُ، طَالِبًا عَفْوَهُ وَرَضَاهُ.

فَإِنَّ اللَّهَ وَضَعَ لَنَا الْبَيْتَ، وَهِيَ الْكَعْبَةُ الْمُشْرِفَةُ، عَلَى مَثَلِ حَضْرَةِ الْمُلُوكِ لِيَتِيسِرَ لِعَبَادَهُ اسْتِحْضَارُ التَّعْظِيمِ وَالاحْتِرَامِ فِي مَثَلِ هَذِهِ الْأَماَنَاتِ مَعَ أَنَّهُ سَبَّابَ اللَّهِ لَيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ؛ لِيزْدَادِ التَّعْظِيمِ وَالشَّوْقِ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ فِيهَا، فَالْقَاصِدُ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ إِنَّمَا هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ زَائِرُ اللَّهِ تَبارَكَ وَتَعَالَى فِي الدُّنْيَا، وَجَدِيرٌ بِأَنْ يُرْزَقَ بِحُسْنِ لِقَاءِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالنَّظرُ إِلَى وَجْهِ الْكَرِيمِ فِي الدَّارِ الْمُعْمُورَةِ فِي جَنَّاتِ عَدْنَ.

فَيَعْزِمُ الْحَاجُّ قَاصِدًا مُفَارِقَةَ الْأَهْلِ وَالْأُوْطَانِ، مَهَاجِرًا الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَّاتِ، مَتَوَجِّهًا لِزِيَارَةِ بَيْتِ اللَّهِ سَبَّابَ اللَّهِ، خَالِصًا وَجْهَهُ لِلَّهِ، بَعِيدًا عَنِ الرِّيَاءِ وَالسَّمْعَةِ، فَيَقُولُ بِرْدَ الْمُظَالَمِ، وَالْتَّوْبَةِ وَالْإِنْبَاتِ الْخَالِصَةِ لِلَّهِ تَعَالَى عَنْ جَمْلَةِ الْمُعَاصِيِّ.

فَإِنَّمَا يَرْغُبُ فِي قَبْوِ الْزِيَارَةِ مِنَ اللَّهِ، عَلَيْهِ أَنْ يُنْفَذَ أَوْ أَمْرَهُ أَوْ لَا، وَيَرِدَ الْمُظَالَمُ لِأَصْحَابِهِ، وَيَعْلَمُ تَوْبَتَهُ مِنْ جَمِيعِ الْمُعَاصِيِّ، وَيَقْطَعُ عَلَاقَتَ قَلْبِهِ عَنِ الْمُخْلُوقَيْنِ، وَيَتَوَجَّهُ إِلَى بَيْتِ الْكَرِيمِ، وَإِلَّا لَنْ يُصِيبَهُ مِنَ السَّفَرِ إِلَّا التَّعبُ وَالشَّقَاءُ. وَلَيُكْتَبْ وَصِيَّتُهُ لِأَوْلَادِهِ وَأَهْلِهِ، وَلَيَتَجَهَّزْ لِسَفَرِهِ بِالْزَّادِ الْحَلَالِ مُتَذَكِّرًا سَفَرَ الْآخِرَةِ الَّذِي هُوَ أَطْوَلُ مِنْ هَذَا السَّفَرِ، وَأَنَّ زَادَهُ الْحَقِيقَيِّ هُوَ التَّقْوَى، فَهُوَ لَنْ يَقِنُ مَعَهُ عَنْ ذَلِكَ الْمَوْقَفِ الْعَظِيمِ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى طَعَامُهُ وَلَا شَرَابُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ الْأَعْمَالُ الصَّالِحةُ وَالدُّعَوَاتُ الْكَرِيمَةُ.

وليتذكر عند ركوبه الراحلة أيًا كانت، أنه كأنما يركب إلى الدار الآخرة، وكأنه في جنازة يُحمل عليها، وينظر في أعماله التي يصحبها معه إلى الآخرة كما ينظر إلى أدواته التي يصحبها إلى سفره الكريم، فزاد ذلك السفر أدوات للحياة، وزاد الآخرة الأعمال الصالحة والتقوى.

وليتذكر بثواب الإحرام عند ارتدائهم ذلك الكفن الذين سيرتدية ويلقى به ربه يوم القيمة؛ لأنه لن يتم سفره إلا به، وأنه لن يلقى الله تعالى إلا ملفوفاً في ثياب الكفن كما يلقى بيت الله تعالى بثواب الإحرام مخالفًا عاداته في الزينة والهيئة، لا مخيط فيه ولا زينة، ليذكر حال وقوفه بين يدي الله تعالى بلا مالٍ ولا جاهٍ، وإنما تقوى الله في القلوب. وأما سفره وخروجه من بلده فكانه مفارق للأهل والوطن، متوجّه إلى الله تعالى في سفر يُضاهي سفر يوم القيمة، فليحضر ذلك في قلبه، وأنه مسافر قاصداً ربّه في الحجّ وفي الموت.

وأما الإحرام والتلبية من الميقات فليعلم أنها إجابة لنداء الله تعالى الذي ناداه منذ زمن إبراهيم، فيكون بين الرجاء والخوف متربداً شاكراً ربه على تيسير ذلك الأمر عليه.

وأما دخول مكة المكرمة فليذكر عند ذلك أنه اتهى إلى حرام الله تعالى آمناً، وليرجع عند ذلك أن يأمن بدخوله من عقاب الله تعالى حين يلقاءه يوم القيمة، فليدخل ذليلاً متواضعاً معظمًا للبيت وأهله مراعيًا لحقه عليه، فإذا وقع بصره على البيت فلينبغي أن يستحضر عند ذلك عظمة أن يُرزق النظر إلى وجه الله الكريم يوم القيمة.

وأما الطواف بالبيت فهو صلاة خاصة بذلك البيت، فليحضر في قلبه التعظيم والخوف والرجاء والمحبة، متشبهاً بالملائكة المقربين الحاففين حول العرش الطائفين به.

واعلم أن المقصود هو طواف قلبك مع طواف جسمك، فطواف القلب بحضورة الربوبية والبيت مثال ظاهر في عالم الملك والدنيا، والأسباب لتلك الحضرة التي لا تُشاهد بالبصر، وإنما هي عالم الملائكة والقدرة الغيبية. فالبيت المعمور في السموات بإزار الكعبة في الأرض، وطواف الملائكة به كطواف الإنس بهذا البيت، فأمرنا بالتشبيه بهم بحسب الإمكان على أن يرزقنا الله تبارك وتعالى أن نرى بيته المعمور يوم أن نلقاءه.

ثم إن استلام الحجر إنما هو مبادعة الله تعالى على الطاعة، بالعزيمة على الوفاء، وترك المعصية والمخالفات. ثم إن التعلق بأسنار الكعبة المشرفة والالتصاق بباب الملتم، وهو باب دخول الكعبة، كأنه طلب للقرب حباً وشوقاً للبيت ولرب البيت وتبركاً به؛ رجاء التحصن عن النار مع الإلحاح في طلب المغفرة وسؤال الأمان، كالمندب المتعلق بشياب من أذنب إليه متضرعاً طالباً عفوه، فلا ملجاً من الله إلا إليه.

وأما السعي بين الصفا والمروءة بعد الطواف حول الكعبة، فإنه يذكرنا بسعي العبد بدار ملك الملوك خوفاً من عقابه وطلبًا لثوابه، كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدرى ما يقضى به الملك في حقه من قبول أو رفض، فلا يزال يتربّد في فناء الدار مرّةً بعد أخرى يرجو رحمة الله ويخشى عقابه.

وليتذكر عند ترددك بين الصفا والمروءة حيرته بين كفتى الميزان في عرصات يوم القيمة، كفة الحسنات وكفة السيئات، متربداً بين الريحان والتقصان وبين العذاب والغفران.

وأما الوقوف بعرفة بما فيه من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات، إنما يذكرنا باجتماع الأمم يوم القيمة مع الأنبياء والأئمة والشرفاء، واقتداء كل أمّة بنبيها، وطمعهم في شفاعته، والحيرة في ذلك الصعيد بين الرد والقبول، عند ذلك يلهج قلبه في الضراوة والابتهال أن يُحشر مع زمرة الفائزين المرحومين.

وعليه أن يُحسِن الظنَّ بعفو الله تعالى في ذلك الموقف الذين يقفه بعرفات؛ حيث إن فيه طبقاتٍ من الصالحين وأرباب القلوب العارفين الذين اجتمعوا همّهم وتجرّدت للضراوة والابتهال وارتقت أيديهم إلى السماء وامتدت أنعنائهم إلى رب الأرض والسماء؛ طلباً للرحمة والعفو، فلا يظن أن الله يضيع أملهم ويُخيب سعيهم ويُشقي صاحبهم وجاليسهم؛ لأن ذلك من أعظم الذنوب وأن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى بعد أن وفقه إلى ذلك أنه لا يغفر له ويرجعه خائباً حسيراً.

وأما رمي الجمار فالقصد به إظهار الرّق والعبودية، والتشبه بپيراهيم عليه السلام حينما عرض له إيليس لعنه الله تعالى في ذلك الموضع ليفنته عن أمر الله تعالى، فرماه بالحجارة

طرداً وقطعاً لأمره، حتى يتعلم العبد أن يطرد عن نفسه شبهات ووساوس إبليس، ويُرغم أنفه، وذلك بالامتثال لأمر الله تعالى في كل وقت وحين.

وفي الظاهر ترمي الحصى إلى جمرة العقبة، وإنما في الحقيقة ترمي به وجه إبليس وتقصِّم به ظهره وتُرغم به أنفه تحيراً لأمر إبليس وتعظيمًا لأمر الله تعالى.

وأما ذبح الهدي فهو التقرب إلى الله تعالى بالامتثال لأمره، بأنه يُبدي استعداده لأنْ يذبح كل شهواتِ نفسه وكلَّ أهواءها تبعاً لأمر الله تعالى، ولا يذبح أمر الله تعالى أياً كان.

ثم إذا وفقه الله لزيارة المدينة المنورة - وليرحص على ذلك ما أمكنه - فليذكر أنها البلدة التي اختار الله تعالى لنبيه ﷺ وجعلها دار هجرته والمكان الذي شرع فيه الفرائض والسنن ومجاهدة العدو وأظهر فيها دينه، وهي المكان الذي توفاه الله تعالى وجعل فيها تربته الشريفة وتربة وزيريه القائمين بالحق بعده ﷺ.

وعلىك أن تتمثل في نفسك أيها الحاج موضع أقدام رسول الله ﷺ عند سعيه ومشيه وترددُه في كل موضع تطأ قدمك، فتعلم أنك شرُفت بذلك المكان، فتتذَّكر مشيه وخطوه في كل مكان، حتى تدرك ما الذي أدركه أصحابه الكرام وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه، ويعظم تأسُّفك على ما فاتك فيه من الصحبة واللقاء.

وعليك أن تستدعي الخشوع من قلبك عند زيارة الرسول ﷺ، فتقف بين يديه، وتزوره ميّتاً كما لو أنك تزوره حيًّا، ولا تقترب من قبره إلا كما لو كنت تقترب من شخصه الكريم لو كان حيًّا، فتقف ماثلاً بين يديه متأدباً مسلّماً عليه وعلى وزيريه الصالحين.

إذا فرغت من أعمال الحج كلها، عليك أن تلزم التوبة والاستغفار حيث لا تدرى أقبل منك حجك أم لا، بأن تحسن الظن في عفو ربك ورحمته وتسيء الظن بنفسك التي تأمرك بالسوء، فإذا وجدت قلبك ازداد تعلقاً بالله بعد ذلك الحج، وانصرف متဂاجياً عن دار الغرور، ووجدت أعمالك قد تزييت بميزان الشع الحكيم، فلأشق بقبول الله تعالى حجتك، وأنه كف عنك سطوة عدو إبليس لعنه الله، فإذا ظهر ذلك عليك دل على القبول.

## (سلام على إبراهيم)

سلام على ذلك الرجل الذي قال الله في حقه: ﴿وَمَنْ أَحَسَنَ دِينًا مَّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَأَنْهَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال أيضًا: ﴿وَمَنْ يَرْعَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ أَضْطَفَنَا فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمَنِ الصَّابِرُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠] [البقرة: ١٣٠].

وهذه العائلة التي ضرب الله بها المثل في كمال التسليم والانقياد لرب العالمين، والتي أحيت معنى العبودية والإسلام. فهذا إبراهيم الفتى الشاب يدعو الناس إلى الإيمان بالله وتوحيده ﷺ ويقول لأبيه: ﴿إِنِّي أَرَكِعُوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٧٤].

وإنما بعث الأنبياء ليدلوا الناس على قوة الله الغبية التي ينصر بها أهل التقوى والإيمان؛ فمعية الله العامة بعلمه وقدرته وإحاطته للبشر جميعاً، وهذا للMuslim وغير المسلم، أما معيته الخاصة وتأييده وحفظه ونصرته لا تكون إلا لمن قام على دينه قياماً صحيحاً ودعا الناس إلى الله تعالى وألزم نفسه بذلك.

وهكذا قام إبراهيم عليه السلام بدعوته ولم يتأثر بقوة النمرود ملك ذلك الزمان ولا خاف من سطوه وسطوة قومه، وهو الفتى الشاب الوحيد، متيقناً في قوة وتأييد الله له.

ولما ناظرهم وغلبهم وأوقعهم في الحيرة، فأرادوا أن يحرقوه مستعملين أسبابهم المادية القوية في نظرهم، وتلك سنة أصحاب الباطل، وهي إرهاب أصحاب الحق دائمًا، وجمعوا له حطبًا وأوقدو له نارًا عظيمة ووضعوه في المنجنق أي: المقلع، ليلقى به في وسط النار متجرداً من جميع الأسباب، وجاءه الملك وسألة: ألك حاجة؟ فأجاب قائلاً: أما إليك فلا، وأما إلى ربى فحسبى الله ونعم الوكيل.

فأعلن أنه متوكلاً على رب الأرض والسماء، لا يخاف في الله لومة لائم، واثق في ربه متأكداً من نصره، عند ذلك جاء الأمر الإلهي الغيبي: ﴿قُلْنَا يَنْارٌ كُوْنِي بِرَدَّا وَسَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنياء: ٦٩]، فمع كمال الانقياد والتسليم والثقة في رب العالمين تأتي نصرة الله وتأييده الغيبة.

ثم كان الامتحان الثاني على قلب إبراهيم عليهما السلام حيث ولد له إسماعيل عليهما السلام ولإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة، فامتحن الله قلبه وحبه للولد هل هو مقدم على حبه لأمر ربه؛ لأن الله تبارك وتعالى مدحه وقال: ﴿وَأَنَّهُدَ اللَّهُمَّ إِنَّ رَبِّيَ خَلِيلًا﴾ [ النساء: ١٢٥].

فأمره أن يفارق زوجه هاجر وولده إسماعيل الشام إلى حيث أمر الله بواudi مكة، وجاء إبراهيم عليهما السلام بأم إسماعيل وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء.

فوضعهما هناك ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم رجع إبراهيم عليهما السلام منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذا لا يضيعنا.

فانظر إلى كمال الانقياد والتسليم، وإلى المعنى الصحيح للإسلام والعبودية لله، طاعة مطلقة وثقة كاملة وانقياد تام لرب العالمين؛ ﴿أَنْ أَتَّبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَسِيقًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

وانطلق إبراهيم عليهما السلام، حتى إذا كان عند الشنوة وهي جبل صغير، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فهو أب رحيم ومحب لأسرته لا شك في ذلك، ولكنه الإيمان والثقة في أن الفوز والنجاح في امثال الأمر الإلهي لا في مخالفته، فرفع يديه وقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرْيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي رَزْعٍ عَنْ دَيْنِنَا الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِقَيْمُوا الْأَصْلَوَةَ فَلَجَعَلَ أَفْعَدَةَ مِنَ النَّاسِ تَهُوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزَقَهُمْ مِنَ الْتَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ شَكُورُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال: يتطلب - فانطلقت كراهيةً أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت

الوادي رفعت طرف دُرّعها ثم سعت سعى الإنسان المجهود، حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروءة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات.

**قال ابن عباس :** فَلِذَلِكَ سَعَى النَّاسُ بَيْنَهُمَا [البخاري في كتاب

(الأئمّة) باب «يزفون» حديث (٣١٨٤).]

وهكذا جعل الله سلوك هذه المرأة الشريعة شريعة لنا، فلا يُقبل حج ولا عمرة من كان من رجال أو نساء - ملوكاً كانوا أو فقراء - إلا أن يقلدوا هذه المرأة العظيمة في السعي بين الصفا والمروءة؛ ليتذكروا تلك الثقة الكاملة وهذه العبودية الخالصة وهذا الانقياد الكامل لرب العالمين.

فلما أشرفت على المروءة سمعت صوتاً، فقالت: صه - تريد نفسها - ثم سمعت فسمعت أيضاً، فقالت: قد سمعت إن كان عندك غواص. فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقيبه - أو قال: بجناحه - حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تعرف الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف.

**قال ابن عباس قال:** النبي ﷺ : رَحِمَ اللَّهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكْتُ زَمْزَمَ أو قال: لَوْ لَمْ تَعْرِفْ مِنَ الْمَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِيْنًا [البخاري في كتاب (الأئمّة) باب «يزفون» حديث (٣١٨٤)].

قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة، فإن هاهنا بيّنا الله بينيه هذا الغلام وأبواه، وإن الله لا يضيع أهله. نعم، فإن الله لا يضيع أهل اليقين والتوكل.

ثم جاء الامتحان الأكبر حيث رأى إبراهيم في المنام أنه يؤمر بذبح ولده، ورؤيا الأنبياء حق، وأنه لاختبار عظيم تحتار في فهمه العقول ولا تستأنس به كل النفوس، وإنما هو امتحان تسليم وانقياد وثقة في أحكام الحاكمين وأرحم الراحمين.

فهذا الأب يعرض الأمر على ابنه فيقول: **فَكَانَ يَتَبَّعُ إِنْتَ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ**

**فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ** ﴿١٠٢﴾ [الصفات: ١٠٢]، عازماً على ذبحه، وليس مستشيراً له كما يظن البعض؛ فإن الأنبياء لا يخالفون أمر الله تبارك وتعالي، وإنما التسليم والانقياد. ويرد ابن البار بآية المطيع لربه: **فَقَالَ يَتَبَّأْتِ أَفْعَلَ مَا تُؤْمِنُ سَتَحْدِدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴿١٠٣﴾ [الصفات: ١٠٣].

وذهب بابنه إلى وادي مني ليذبحه، وجاء الشيطان اللعين ليصدهما عن التسليم، مع أن في الذبح هلاك الولد وروعة وفزع الأب والأم، ولكن إبليس يعرف أن تنفيذ الأمر الإلهي أعظم مثوبة وفضلاً من هلكة الولد وروعة الأهل والأحباب. وهذا مما يخفى على كثيرٍ منا، فإن نجاح العبد وفلاحه في استسلامه وانقياده لرب العالمين، حتى لو كان الأمر في شكل الهلاك والخسارة.

فرجمه عند ذلك إبراهيم عليه السلام ثلث مرات عند الجمرة الكبرى والوسطى والصغرى، وفي كل مرة يغوص الشيطان في الأرض؛ ولهذا يرمي المسلمين الجمار في الحج. ولما أمرَ إبراهيم السَّكِينَ على حلق ولده لم تقطع شيئاً، ونُودي من قِبَلَ اللَّهِ تَعَالَى: **فَلَمَّا أَسْلَمَ وَتَلَمَّهُ لِلْجَنِّينِ** ﴿١٠٤﴾ **وَنَدَيْتَهُ أَنْ يَتَابَرِيهِ** ﴿١٠٥﴾ **قَدْ صَدَقَ الرُّبَّيْأُ إِنَّا كَذَلِكَ بَخْزِيَ الْمُخْسِنِينَ** ﴿١٠٦﴾ **إِنَّ هَذَا كَمَوْ الْبَلَوُ الْمَيْنَ** ﴿١٠٧﴾ [الصفات: ١٠٣ - ١٠٦]. وجعل فداءه ذبحاً عظيماً، قيل: إنه الكبش الذي قربه ابن آدم الصالح إلى ربه فُتُّقبل منه، وقد رعاه ربُّه في خريف الجنة إلى أن استحق أن يكون فداء لإسماعيل عليه السلام: **وَقَدَّيْتَهُ يَذْبَحُ عَظِيمَ** ﴿١٠٨﴾ [الصفات: ١٠٧].

وهكذا، من حال إلى حال، مضى إبراهيم وأهله في مقامات العبودية والتسليم والانقياد بالحب الكامل لرب العالمين، والذل والخضوع والتواضع، وقد أذن في الناس بالحج إحياءً لهذه الملة العظيمة، ملة التضحية بالغالى والنفيس، والنفس والمال والولد، حيث تستعد النفوس أن تذبح كل شيء ولا تذبح أوامر رب العالمين، ونقول له كما قال ربُّه: **وَرَكِّكَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ** ﴿٧٨﴾ **سَلَّمَ عَلَى نُجُجِ الْعَالَمِينَ** ﴿٧٩﴾

[الصفات: ٧٨ - ٧٩].



## ١١ - كتاب الجهاد

### ٢٣٤ - باب وجوب الجهاد وفضل الغدوة والروحة

قال الله تعالى: ﴿وَقَتَلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوره: ٣٦]

وقال تعالى: ﴿كُتُبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُنْزٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرُهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شُرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]

وقال تعالى: ﴿أَنفِرُوا حَفَافاً وَفَقَالَا وَجِهْدُوا إِمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

[التوره: ٤١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَسْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْسَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَأْتِي لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَقًّا فِي الْوَرَثَةِ وَأَلِإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنَ وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَأَسْتَبِّنُوا بِيَعِيشُكُمُ الَّذِي بَأْيَعُثُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوره: ١١١].

وقال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الْضَّرَرِ وَالْمُجْهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْمُلُهُمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَلَّ اللَّهُ الْمُجْهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرْجَةٌ وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْمُحْسِنِ فَوَضَلَّ اللَّهُ الْمُجْهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [١٥] درجاتٌ متنه ومحفوظة ورحمةً وكان الله غفوراً رَّحِيمًا [١٦] [النساء: ٩٦، ٩٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ إِذَا مَا نَهَىٰ أَدْلَمُكُمْ عَلَىٰ تَحْرِفٍ ثُبِّجُوكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [١٧] ثُمَّ مُنْهَىٰ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهْدُهُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ذَلِكُمْ حُكْمُكُمْ كُمْ لَكُمْ لَكُمْ لَكُمْ لَكُمْ لَكُمْ جَهَنَّمَ تَجْهَرُى مِنْ تَحْنَاهَا الْأَنْتَرُ وَمَسْكِنَ طَيْبَةَ فِي جَهَنَّمَ عَدَنٌ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [١٨] وَأُخْرَى تُجْبَونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ [١٩] [الصف: ١٠ - ١٣].

والآيات في الباب كثيرة مشهورة.

- وأما الأحاديث في فضل الجهاد فأكثر من أن تحصر، فمن ذلك:
- (٢٣٤ / ١٢٨٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلوات الله عليه وسلام: أي العمل أفضّل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذًا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قيل: ثم ماذًا؟ قال: «حجج مبرور». متفق عليه.
- (٢٣٤ / ١٢٨٦) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «الصلة على وقتها». قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين». قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». متفق عليه.
- (٢٣٤ / ١٢٨٧) وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي العمل أفضّل؟ قال: «الإيمان بالله، والجهاد في سبيله». متفق عليه.
- (٢٣٤ / ١٢٨٨) وعن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه وسلام قال: «الغدوة» (أي: السير من أول النهار إلى الزوال) في سبيل الله، أو روحه (أي: السير من الزوال إلى آخر النهار)، خير من الدنيا وما فيها». متفق عليه.
- (٢٣٤ / ١٢٨٩) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله صلوات الله عليه وسلام، فقال: أي الناس أفضّل؟ قال: «مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله». قال: ثم من؟ قال: «مؤمن في شعب من الشعاب» (أي: جمع شعب: وهو الطريق في الجبل) يعبد الله، ويُدعى الناس من شره». متفق عليه.
- (٢٣٤ / ١٢٩٠) وعن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه وسلام قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحديكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحية يروحها العبد في سبيل الله تعالى، أو الغدوة، خير من الدنيا وما عليها». متفق عليه.
- (٢٣٤ / ١٢٩١) وعن سليمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلام يقول: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجره على رزقه، وأمن الفتان» (أي: جمع فاتن، مبالغة من الفتنة). رواه مسلم.
- (٢٣٤ / ١٢٩٢) وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه وسلام قال: «كُل ميتٍ يختتم على عمله إلا المرباط في سبيل الله، فإنه يُمْسِي له عمله إلى يوم القيمة، ويؤمِّن فتنَ القبر». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».
- (٢٣٤ / ١٢٩٣) وعن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلام يقول: «رباط يوم في سبيل الله خير

مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢٣٤ / ١٢٩٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «تضمنَ اللَّهُ لِمَنْ حَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُحْرِجُهُ إِلَّا جَهَادًا فِي سَبِيلِهِ، وَإِيمَانٌ بِهِ، وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِيِّ، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ، أَوْ غَنِيمَةً. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْمٌ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهُبْتَهُ يَوْمَ كَلْمٍ؛ لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ رِيحُ مِسْكٍ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنْ أُشْقَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافًا (أي: خلفها وبعدها) سَرِيَّةً تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبْنَاهَا، وَلَكِنْ لَا أَجُدُ سَعَةً فَأَخْمَلُهُمْ وَلَا يَحِدُونَ سَعَةً، وَيَشْقُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَحَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدَدْتُ أَنْ أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَاقْتُلَ، ثُمَّ أَغْزُو فَاقْتُلَ، ثُمَّ أَغْزُو فَاقْتُلَ». رواه مسلم، وروى البخاري بعضه.

«الكلم»: الجرح.

(٢٣٤ / ١٢٩٥) وعنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلْمُهُ يَدْمَمُ»: اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ». متفق عليه.

(٢٣٤ / ١٢٩٦) وعن معاذ رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ فُوَاقَ نَاقَةً (أي: هو قدر ما بين الحلبتين من الوقت، أو ما بين فتح يدك وبطئها على الضرع)، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ نُكِبَ نُكْبَةً (أي: الجراحات من غير فعل الكفار؛ من وقوعه من على دابته، أو وقوع سلاح عليه، أو غير ذلك) فَإِنَّهَا تَحِيَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغْزَرَ مَا كَانَتْ: لَوْنُهَا الرَّزْعَرَانُ، وَرِيحُهَا كَالْمِسْكٍ». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٣٤ / ١٢٩٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه بِشَعْبِ فِيهِ عُيْنَةٌ مِنْ مَاءِ عَذْبَةَ، فَأَعْجَبَتْهُ، فَقَالَ: لَوْ اعْتَزَلْتُ النَّاسَ فَأَقْمَتُ فِي هَذَا الشَّعْبَ، وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه، فذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه فَقَالَ: «لَا تَنْتَعِلْ؛ فَإِنَّ مَقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا، أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ، وَيُدْخِلَكُمُ الْجَنَّةَ؟ أَغْزُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مِنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُوَاقَ نَاقَةً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةَ». رواه الترمذى، وقال: « الحديث حسن ». وـ «الفوق»: ما بين الحلبتين.

(٢٣٤ / ١٢٩٨) وعنه قال: قيل: يا رسول الله، ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: «لا تستطيعونه». فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثة كل ذلك يقول: «لا تستطيعونه». ثم قال: «مثل المُجاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَائِمِ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَفْتَرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلَا

صلاة، حتى يرجع المُجاهد في سبيل الله». متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

وفي رواية البخاري: أنَّ رجلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلْنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ؟ قَالَ: «لَا أَجِدُهُ». ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَسْتَطِعُ إِذَا حَرَجَ الْمُجاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلَا تَفْتُرْ، وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرْ؟» فَقَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِعُ ذَلِكَ؟!

(٢٣٤ / ١٢٩٩) وعنَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَيَرَ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِعَيْنَ (أَيْ: حِيلٌ تقادُ بِهِ الدَّابَّةِ) فَرَسِيهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَطْيِيرُ (أَيْ: يَسْارِعُ) عَلَى مَتْنِيهِ (أَيْ: عَلَى ظَهِيرَهِ)، كُلُّمَا سَمِعَ هَيْعَةً (أَيْ: الصَّوْتُ عِنْدَ حُضُورِ الْعُدوِ) أَوْ فَرْعَةً طَارَ عَلَيْهِ يَتَنَغِي القَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَةً (أَيْ: يَطْلُبُهُ فِي مَوَاطِنِهِ) أَوْ رَجُلٌ فِي غُنْمَةٍ فِي رَأْسِ شَعَفَةٍ (أَيْ: أَعْلَى الْجَلِ) مِنْ هَذَا الشَّعَفَ، أَوْ بَطْنَ وَادِي مِنَ الْأَوْدِيَةِ، يُقْيمُ الصَّلَاةَ، وَيَؤْتَيِ الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَ الْيَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي حَيْرٍ». رواه مسلم.

(٢٣٤ / ١٣٠٠) وعنَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةً أَعْدَهَا اللَّهُ لِلْمُجاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ». رواه البخاري.

(٢٣٤ / ١٣٠١) وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْحُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبِّا، وَبِالإِسْلَامِ دِيَنَا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»، فَعَجَبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ، فَقَالَ: أَعْدَهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْدَاهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَآخَرَى يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا الْعَبْدَ مِائَةَ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلَّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ». قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». رواه مسلم.

(٢٣٤ / ١٣٠٢) وَعَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي هُنَيْفَةَ وَهُوَ بِحَضْرَةِ الْعَدُوِّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّلُوفِ». فَقَامَ رَجُلٌ رَثُ الهَيْئَةَ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، أَنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ. فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ (أَيْ: غَمَدَ السِيفَ) وَهُوَ غَلَافُهُ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ فِيغْطِيهِ سَيْفِهِ فَأَلْقَاهُ، ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى الْعَدُوِّ فَصَرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ. رواه مسلم.

(٢٣٤ / ١٣٠٣) وَعَنْ أَبِي عَبْسٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَبَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اغْبَرَتْ قَدَمَا عَبْدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَسَهُ النَّارُ». رواه البخاري.

(٢٣٤ / ١٣٠٤) وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَلْجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ

الله حتى يعود اللَّبْنُ فِي الْضَّرْعِ، وَلَا يجْتَمِعُ عَلَى عَبْدٍ غَبَرٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢٣٤ / ١٣٠٥) وعن ابن عباس رض قال: سمعت رسول الله ص يقول: «عيان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٣٤ / ١٣٠٦) وعن زيد بن خالد رض: أنَّ رسولَ اللهِ ص قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًّا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَرَّ، وَمَنْ حَلَفَ غَازِيًّا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَرَّ». متفق عليه.

(٢٣٤ / ١٣٠٧) وعن أبي أمامة رض قال: قال رسول الله ص: «أَفْضُلُ الصَّدَقَاتِ ظِلُّ فُسْطَاطِ (أي: الخيمة الكبيرة) فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَنِيحةُ خَادِمٍ (أي: عطية، والمراد أن يتصدق بخدم) فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ طَرْوَقَةُ فَحْلٍ (أي: هي الناقة التي صلحت لطرق الفحل) فِي سَبِيلِ اللهِ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢٣٤ / ١٣٠٨) وعن أنس رض: أن فتى من أسلم قال: يا رسول الله، إني أريد العزوف وليس معني ما أتجهز به، قال: «أئْتِ فُلَانًا فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ فَمَرَضَ». فأتاه، فقال: إنَّ رسولَ اللهِ ص يقرئك السلام، ويقول: أعطني الذي تجهزت به. قال: يا فلان، أعطيه الذي كنت تجهزت به، ولا تحيسي عنه شيئاً، فوالله لا تحيسي منه شيئاً فيارك لك فيه. رواه مسلم.

(٢٣٤ / ١٣٠٩) وعن أبي سعيد الخدري رض: أنَّ رسولَ اللهِ ص بَعَثَ إِلَيْهِ بَنِي لِحْيَانَ فَقَالَ: «لِيُنْبَعِثُ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا، وَالْأَجْرُ بِيْنَهُمَا». رواه مسلم.

وفي رواية له: «ليخرج من كُلِّ رجَلَيْنِ رَجُلٌ». ثُمَّ قَالَ للقاعد: «أَيُّكُمْ خَلَفَ الْخَارِجِ فِي أَهْلِهِ وَمَا لِهِ بِخَيْرٍ كَانَ لَهُ مِثْلٌ نَصْفِ أَجْرِ الْخَارِجِ».

(٢٣٤ / ١٣١٠) وعن البراء رض قال: أتى النبي ص رجُلٌ مُقْنَعٌ (أي: كنابة عن تعطية الوجه بالآلة الحرب) بالحديد، فقال: يا رسول الله، أقاتل وأسلم؟ قال: «أَسْلِمْ، ثُمَّ قاتل». فأسلم، ثم قاتل فُقِتل. فقال رسول الله ص: «عَمِلَ قَبِيلًا وَأَجْرٌ كَثِيرًا». متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

(٢٣٤ / ١٣١١) وعن أنس رض: أنَّ النبيَّ ص قَالَ: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَمَّا مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَّنِي أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ؛ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ».

وفي رواية: «لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ». متفق عليه.

(٢٣٤ / ١٣١٢) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص : أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ: «يَغْفِرُ اللَّهُ لِلشَّهِيدِ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الدِّينَ». رواه مسلم.

وفي رواية له: «الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُكَفَّرُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الدِّينَ».

(٢٣٤ / ١٣١٣) وعن أبي قتادة : أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالإِيمَانِ بِاللَّهِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَتَكَفَّرُ عَنِي خَطَايَايِّ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ: «نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ (أي: مخلص لله متضرر من الأجر منه)، مُقْبِلٌ غَيْرَ مُدْبِرٍ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَتَكَفَّرُ عَنِي خَطَايَايِّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ: «نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرَ مُدْبِرٍ، إِلَّا الدِّينَ فَإِنْ جَرِيَ لَكَ قَاتَلْتُ لِي ذَلِكَ».

رواه مسلم.

(٢٣٤ / ١٣١٤) وعن جابر : قَالَ رَجُلٌ: أَيْنَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ قُتِلْتُ؟ قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ». فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. رواه مسلم.

(٢٣٤ / ١٣١٥) وعن أنس : قَالَ: انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَاصْحَابُهُ حَتَّى سَيَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: «لَا يَقْدِمُنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ». فَدَنَّا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةِ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ». قَالَ: يَقُولُ عُمَيرُ بْنُ الْحُمَّامِ الْأَنْصَارِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةُ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: بَخَ بَخَ (أي: كلمة تقال عند المدح والرضا بالشيء)، وَتَكَرَّرَ لِلْمُبَالَغَةِ، وَمَعْنَاهَا تَعْظِيمُ الْأَمْرِ وَتَفْخِيمِهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا رَجَاءُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا». فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيَّتُ حَتَّى أَكُلَّ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمَرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ. رواه مسلم.

«القرن» بفتح القاف والراء، هو: جُبْنَةُ النَّشَابِ (أي: سهام النبل والرمي)

(٢٣٤ / ١٣١٦) عنه قال: جاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْ أَبْعَثْ مَعَنَّا رِجَالًا يُعْلَمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، بَعْثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمْ: الْقُرْآنُ، فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ،

يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَدَارِسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجْيِئُونَ بِالْمَاءِ، فَيَصْعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَيَحْتَطِبُونَ فِيَعْوَنَهُ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ، وَلِلْفَقَرَاءِ، فَبَعْثَمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَعَرَضُوا لَهُمْ قَتَلُوكُمْ قَبْلَ أَنْ يَلْعُوَا الْمَكَانَ، فَقَالُوا: اللَّهُمَّ بَلَغْ عَنَّا نَيْنَا إِنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِيَّا عَنْكَ وَرَضِيَّتْ عَنَّا، وَاتَّى رَجُلٌ حَرَاماً خَالَ أَنْسَ مِنْ خَلْفِهِ، فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ، فَقَالَ حَرَاماً: فُرِتْ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا وَإِنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلَغْ عَنَّا نَيْنَا إِنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِيَّا عَنْكَ وَرَضِيَّتْ عَنَّا». متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

(٢٣١٧) وعنہ قال: غَابَ عَمِّي أَنْسُ بْنُ النَّضْرِ ﷺ عن قتال بدر فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال فاتلت المشركيين، لئن الله أشهدنا في قتال المشركيين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد انكشف المسلمين فقال: اللهم إني أعذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني: أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني: المشركيين - ثم تقدّم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النصر، إني أجد ريحها من دون أحد. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع! قال أنس: فوجدنا به بضاعاً (أي: البعض ما بين الثلاث والتسع) وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنات برمح، أو زمية بسهم، ووجدناه قد قتل ومثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببناته (أي: الإصبع، وقيل: طرف الإصبع). قال أنس: كنا نرى - أو نظن - أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: **﴿وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَرْجَأُونَ صَدَقَةً مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَصَنَ نَعْبُدُهُمْ فَهُوَ لِآتِيهِمْ أَحَقُّ بِهِ﴾** [٢٣]. متفق عليه، وقد سبق في باب المجاهدة.

(٢٣١٨) وعن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ الْلَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيْنِي، فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ فَأَدْخَلَنِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ، لَمْ أَرْ قَطُ أَحْسَنَ مِنْهَا، قَالَ: أَمَا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ». رواه البخاري، و هو بعض من حديث طويل فيه أنواع من العلم سيأتي في باب تحريم الكذب إن شاء الله تعالى.

(٢٣١٩) وعن أنس رضي الله عنه: أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة، أتت النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، لا تُحَدِّثنِي عن حارثة - وكان قُتل يوم بدر - فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء. فقال: «يا أم حارثة إنها حنان في الجنة، وإن ابنتك أصاب الفردوس الأعلى». رواه البخاري.

(٢٣٢٠) وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جيء بأبي إلى النبي ﷺ وقد مثل به، فوضع بين يديه؛ فذهبت أكشاف عن وجهه فنهاني قومي، فقال النبي ﷺ: «ما زالت الملائكة

**تُظْلِهُ بِأَجْنِحَتِهَا**». متفق عليه.

(٢٣٤ / ١٣٢١) وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلام قال: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشَّهَادَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاسِهِ». رواه مسلم.

(٢٣٤ / ١٣٢٢) وعن أنس رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ». رواه مسلم.

(٢٣٤ / ١٣٢٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «مَا يَحْدُثُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسْ القَتْلِ إِلَّا كَمَا يَحْدُثُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسْ الْقَرْصَةِ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢٣٤ / ١٣٢٤) وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلام في بعض أيامه لقيَ فيها العَدُوَّ انتظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ فَقَالَ: «إِيَّاهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنُوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا؛ وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَهَةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّبُوفِ». ثُمَّ قال: «اللَّهُمَّ مُنْزِلُ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمُ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ». متفق عليه.

(٢٣٤ / ١٣٢٥) وعن سهل بن سعد رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «تِنْتَانَ لَا تُرْدَانَ، أَوْ قَلَّمَا تُرْدَانَ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ (أي: عند الأذان) وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٢٣٤ / ١٣٢٦) وعن أنس رضي الله عنه: قال: كانَ رسولُ اللهِ صلوات الله عليه وسلام إِذَا غَزَا قَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَصِيدِي (أي: معتمدي) وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أَفَاتِلُ». رواه أبو داود والترمذى، وقال: « الحديث حسن ».

(٢٣٤ / ١٣٢٧) وعن أبي موسى رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وسلام كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٢٣٤ / ١٣٢٨) وعن ابن عمر رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ صلوات الله عليه وسلام قال: «الْحَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا (أي: الشعر المسترسل على الجبهة) الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». متفق عليه.

(٢٣٤ / ١٣٢٩) وعن عروة البارقى رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وسلام قال: «الْحَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الْأَجْرُ، وَالْمَعْنُومُ». متفق عليه.

(٢٣٤ / ١٣٣٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «مَنْ احْتَسَ (أي: وقفه وربطه) فَرَسَا

فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِيمَانًا بِاللَّهِ، وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَاعَهُ، وَرَيْهُ وَرَوْثَهُ، وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رواه البخاري.

(٢٣٤ / ١٣٣١) وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: جاءَ رجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلم بِنَاقَةً مَخْطُومَةً (أي: في أنفها خطام تسحب منه) فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم: «لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُمَائَةٍ نَاقَةٌ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ». رواه مسلم.

(٢٣٤ / ١٣٣٢) وعن أبي حمادٍ - ويقال: أبو سعاد - ويقال: أبو أسدٍ، ويقال: أبو عامرٍ، ويقال: أبو عمرو، ويقال: أبو الأسود، ويقال: أبو عبسٍ - عقبة بن عامر الجهنمي رضي الله عنه قال: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ» [الأفال: ٦٠]، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيُّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيُّ». رواه مسلم.

(٢٣٤ / ١٣٣٣) وعنـه قال: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم يقول: «سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرْضُونَ، وَيَكْفِيْكُمُ اللَّهُ، فَلَا يَعْرِجُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُو بِأَسْهُمِهِ». رواه مسلم.

(٢٣٤ / ١٣٣٤) وعنـه أنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم: «مَنْ عَلِمَ الرَّمِيًّا، ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا، أَوْ فَقَدَ عَصَمِي». رواه مسلم.

(٢٣٤ / ١٣٣٥) وعنـه رضي الله عنه قال: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرَ الْجَنَّةَ: صَانِعُهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرُ، وَالرَّاجِي بِهِ، وَمُنْبَلِّهُ (أي: مناول النبل). وَأَرْمُوا وَأَرْكُبُوا، وَأَنْ تَرُمُوا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرُكُبُوا. وَمَنْ تَرَكَ الرَّمِيًّا بَعْدَمَا عَلِمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ تَرَكَهَا». أَوْ قَالَ: «كَفَرَهَا». رواه أبو داود.

(٢٣٤ / ١٣٣٦) وعن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه قال: مَرَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وسلم عَلَى نَفَرٍ يَتَضَلَّلُونَ (أي: يترامون، والتناضل: الترامي للسبق) فَقَالَ: «أَرْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَّا كُمْ كَانَ رَأِيْمَا». رواه البخاري.

(٢٣٤ / ١٣٣٧) وعن عمرو بن عَبْسَةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم يقول: «مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ لَهُ عِدْلٌ مُحَرَّرٌ» (أي: مثل ثواب معتق). رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢٣٤ / ١٣٣٨) وعن أبي يحيى خَرَبِمَ بْنِ فَاتِكِ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم: «مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كُتِبَ لَهُ سَبْعُمَائَةٍ ضِعْفٍ». رواه الترمذى، وقال: « الحديث حسن».

(٢٣٤ / ١٣٣٩) وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا بَاعَدَ اللَّهَ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجَهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا» (أي: عاماً). متفق عليه.

(١٣٤٠ / ٢٣٤) وعن أبي أُمَّةٍ رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلام قال: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ حَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ». رواه الترمذى، وقال: «Hadith Hasan صحيح».

(١٣٤١ / ٢٣٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالغَزْوِ، مَاتَ عَلَىٰ شَعْبَيْهِ (أي: خصلة) مِنَ النَّفَاقِ». رواه مسلم.

(١٣٤٢ / ٢٣٤) وعن جابر رضي الله عنه قال: كنا معَ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلام في غَزَّةٍ فَقَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سَرَّتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًّا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْمَرْضُ». وفي رواية: «حَبَسَهُمُ الْعَذْرُ».

وفي رواية: «إِلَّا شَرِكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ». رواه البخارى من رواية أنس، ورواه مسلم من رواية جابر واللفظ له.

(١٣٤٣ / ٢٣٤) وعن أبي موسى رضي الله عنه: أنَّ أَعْرَابِيًّا أتَى النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلام، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَعْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَىٰ مَكَانُهُ.

وفي رواية: يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيمَةً (أي: الحمية: الأنفة والغيرة).

وفي رواية: يُقَاتِلُ غَصَبًا - فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ». متفق عليه.

(١٣٤٤ / ٢٣٤) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «مَا مِنْ غَازَةٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو، فَتَغْنِمُ وَتَسْلِمُ، إِلَّا كَانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُشِّيَّ أُجُورِهِمْ، وَمَا مِنْ غَارِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تُخْفِقُ (أي: تغزو ولا تغنم) وَتُصَابُ إِلَّا تَمَّ لَهُمْ أُجُورُهُمْ». رواه مسلم.

(١٣٤٥ / ٢٣٤) وعن أبي أُمَّةٍ رضي الله عنه: أنَّ رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذِنْ لِي فِي السِّيَاحَةِ (أي: الذهاب في الأرض قهراً للنفس بترك المألفات، والمباحات، واللذات) فَقَالَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وسلام: «إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الْحِجَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ رَبِّكُ». رواه أبو داود بإسناد جيد.

(١٣٤٦ / ٢٣٤) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه : عن النبي صلوات الله عليه وسلام قال: «قَفْلَةُ كَغْزُوَةٍ». رواه أبو داود بإسناد جيد.

«القفلة»: الرُّجُوعُ، والمراد: الرُّجُوعُ مِنَ الغَزْوِ بَعْدَ فَرَاغِهِ؛ وَمَعْنَاهُ: أَنَّ يَثَابَ فِي رُجُوعِهِ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الغَزْوِ.

(١٣٤٧ / ٢٣٤) وعن السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ رضي الله عنه قال: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وسلام مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ تَلَقَّاهُ النَّاسُ،

**فَتَقْيِيْهُ مَعَ الصَّبِيَّانَ عَلَى شَنِيْهِ الْوَدَاعِ** (أي: مكان بالمدينة يمر به المسافر إلى مكة ويودع عنده). رواه أبو داود  
ياسناد صحيح بهذااللفظ.

ورواه البخاري قال: دَهَبَنَا تَلَقَّى رَسُولُ اللَّهِ مَعَ الصَّبِيَّانِ إِلَى شَنِيْهِ الْوَدَاعِ.  
(٢٣٤ / ١٣٤٨) وعن أبي أمامة رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «مَنْ لَمْ يَغُزْ، أَوْ يُجَهَّزْ غَازِيًّا، أَوْ يَحْلِفُ  
غَازِيًّا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، أَصَابَهُ اللَّهُ بِقَارَعَةَ (أي: بداهية مهلكة) قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ». رواه أبو داود ياسناد  
صحيح.

(٢٣٤ / ١٣٤٩) وعن أنس رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وآله وسلامه قَالَ: «جَاهَدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِكُمْ  
وَالْأَسْتَيْكُمْ». رواه أبو داود ياسناد صحيح.

(٢٣٤ / ١٣٥٠) وعن أبي عمرو - ويقال: أبو حكيم - النعمان بن مقرن رضي الله عنه: شَهَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ  
صلوات الله عليه وآله وسلامه إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَخْرَ القِتَالِ حَتَّى تَرُولَ الشَّمْسُ، وَتَهَبَّ الرِّيَاحُ، وَيَنْزَلَ  
النَّصْرُ. رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢٣٤ / ١٣٥١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه: «لَا تَتَمَنُوا لِقاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ  
الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيْتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوْا». متفق عليه.

(٢٣٤ / ١٣٥٢) وعن أبي جابر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وآله وسلامه قَالَ: «الْحَرْبُ خَدْعَةٌ (أي: الخداع: إظهار أمر  
إضمار خلافه)». متفق عليه.

## ٢٣٥- باب بيان جماعة من الشهداء في ثواب الآخرة يفسرون ويصلون عليهم بخلاف القتيل في حرب الكفار

(٢٣٥ / ١٣٥٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه: «الشُّهَدَاءُ خَمْسَةُ: الْمَطْعُونُ (أي:  
الذى يموت في الطاعون) وَالْمَبْطُونُ (أي: هو الذى يموت بداء في باطن مطلقاً)، وَالْغَرِيقُ، وَصَاحِبُ  
الْهَدْمِ (أي: الذى يموت تحته)، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». متفق عليه.

(٢٣٥ / ١٣٥٤) عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه: «مَا تَعْدُونَ الشُّهَدَاءَ فِيْكُمْ؟» قالوا: يَا  
رسول الله، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ. قَالَ: «إِنَّ شَهَدَاءَ أَمْتَيْ إِذَا لَقِيلٌ!» قالوا:  
فَمَنْ هُمْ يَا رسول الله؟ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ،  
وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ». رواه مسلم.

(٢٣٥ / ١٣٥٥) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «من قُتل دون ماله فهو شهيد». متفق عليه.

(٢٣٥ / ١٣٥٦) وعن أبي الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المشهود لهم بالجنة رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: «من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢٣٥ / ١٣٥٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فقال: يا رسول الله، أرأيت إن جاءَ رجل يُريدُ أخذَ مالي؟ قال: «فلا تُعطيه مالك». قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «قاتله». قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «فانت شهيد». قال: أرأيت إن قتلتة؟ قال: «هو في النار». رواه مسلم.

## الجهاد

إن الله تعالى أرسل رسوله الكريم للناس كافةً بشيراً ونذيراً؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَذَنِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [١٨] [٢٨]، وقال: ﴿ يَأَيُّهَا أَنْتَ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [١٩] وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَرَاجَهُنِّيْرًا ﴾ [٢٠] [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]. وكله بهمتيين عظيمتين:

أولاًهما: بيان أحكام هذا الدين العظيم وتفصيلها وتثبيتها في قلوب الناس من عقيدة وأوامر ونواهٍ؛ قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتَّلَوُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَرِئَكَيْهِمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وثانيهما: نشر هذا الدين العظيم وتوصيله إلى ربوع الأرض، لكل الناس ولآخر الرمان؛ قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ يُظْهِرُهُ عَلَى الْأَلْذِينَ كُفِّرُوا وَلَوْكَرَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبه: ٣٣].

فكان من لوازمه نشره أن يعلم أصحابه ومن بعدهم كيف ينشرونه في الناس؛ وذلك

بدعوةٍ مَنْ يجهلونه، وتعلِيمٍ مَنْ يقبلونه، ومجاهدةٍ مَنْ يمنعونه عن غيرهم من الناس كالضعفاء والمساكين والمغلوبين على أمرهم. وكان من لوازם نُشر دين الله في الأرض حمايةً الضعفاء والمساكين المُقْبَلِين على الإيمان به من الجُوع والعُرُي ونصرتهم على من يعاديهم، كي يُقبلوا على الإيمان بالإسلام. ولهذا كان رسول الله ﷺ يدعو قومه منذ بدايات أمره فِي نادِي في تجمُّعاتهم وأنديتهم: «مَنْ يُؤْوِيَنِي؟ مَنْ يَتَصْرُّنِي حَتَّى أُبَلِّغ رسالاتِ رَبِّي وَلَهُ الْحَنَّةُ». أَحمد في مسنده (٣٤٦ / ٢٢) برقم (١٤٤٥٦)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

فعلم مِنْ ذَلِكَ أَنَّ دِينَ الله لا بُدُّ له مِنْ نَصْرَةٍ لِأَهْلِهِ عَلَى مَنْ يَمْنَعُهُمْ مِنْ الإِيمَانِ بِهِ وَيَصْدُّهُمْ عَنْهُ. وَلَمَا شَمَرَ - أَيُّ : كَشْفُ وأَظْهَرُ - رَسُولُ اللهِ عَنْ سَاقِ الدُّعَوَةِ وَدَعَا قَوْمَهُ لِيَلَّا وَنَهَارًا اشْتَدَّ أَذْيَ قَرِيشٍ لَهُ وَلَمَنْ اسْتَجَابَ لِدُعَوَتِهِ، مَا عَطَّلَ اتِّشَارَهَا فِي رِبْوَعِ الْجَزِيرَةِ، بَلْ فِي قَرِيشٍ نَفْسَهَا. وَعِنْدَ ذَلِكَ أَذْنَ اللهُ ﷺ لَهُمْ بِالْهِجْرَةِ الْأُولَى إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَحَاوَلَتْ قَرِيشٍ تَبْعَهُمْ وَمَنْعَهُمْ، لَوْلَا رَعَايَةُ اللهِ لَهُمْ. ثُمَّ اشْتَدَّ الْبَلَاءُ مِنْ قَرِيشٍ عَلَى مَنْ عَادَ مِنْ مُهَاجِرِي الْحَبَشَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَلَقُوا مِنْهُمْ أَذْيَ شَدِيدًا، فَأَذْنَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْخُرُوجِ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ أَشَقَّ عَلَيْهِمْ وَأَصَعَّهُمْ.

فَعَنْ أَبِي ذِرَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْعَمَلٍ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِاللهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ».

منق عليه، واللفظ لمسلم. فالالأصل في رسالة النبي هو دعوة الناس إلى الإيمان بالله والقيام على شريعته، ثم دعوتهم إلى تعلم أوامر الله ونواهيه، وكان الجهاد إما لمجاهدة مَنْ يمنع نُشر دين الله بين البسطاء والضعفاء وعامة الناس، وإما لحماية مَنْ آمن منهم ونصرته؛ مِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ الْجِهَادُ ذِرْوَةً سَنَامَ الإِسْلَامِ وَقُبَّتَهُ.

وقد أمر الله المسلمين أن يُجاهدوا فيه حقَّ جهاده، كما أمرهم أن يتقوه حقَّ تقاتله؛ وكما أن حقَّ تقاتله أن يُطَاع فلا يُعصى، ويُذَكَّر فلا يُنسَى ويُشَكَّر فلا يُكَفَّر، فحقُّ جهاده أن يُجاهِدَ العَبْدُ نَفْسَهُ أَوْ لَا لِيُسِلِّمَ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ وَجَوَارِحَهُ لِلَّهِ، فَيَكُونُ كُلُّهُ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ، لَا لِنَفْسِهِ وَلَا بِنَفْسِهِ. فالجهاد هو أَخْذُ النَّفْسِ بِيَدِ الْوُسْعِ وَالْطَّاقَةِ، وَتَحْمِيلُ الْمَشْقَةِ، وَهُوَ الدُّعَوَةُ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاغِيَةِ اللهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ».

أَحمد في مسنده (٦ / ٢١) برقم (٤٠٠٤)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

ووجهاؤ النفس والشيطان مُقدّم على جهاد أعداء الدين في الخارج الذين يمنعون انتشاره في الأرض، بل هو الأصل؛ لأنَّ مَنْ لَمْ يَجَاهِدْ نَفْسَهُ أَوْلَى لِتَقُومَ بِأَوْامِرِ اللهِ تَعَالَى وَتَرْكَ مَا نَهَى عَنْهُ لَا يَلْتَفِتُ وَلَا يَنْشُغِلُ بِمَجَاهِدَةِ مَنْ يَمْنَعُ نَسْرَ دِينِ اللهِ بَيْنَ خَلْقِهِ فِي الْخَارِجِ، فَكَيْفَ يُمْكِنُهُ الالْتِفَاتُ لِعِدَّاوةِ الْخَارِجِ وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَلْتَفِتْ لِعَدُوِّهِ الَّذِي بَيْنَ جَنْبِيهِ وَلَا لِشَيْطَانِهِ الَّذِي صَرَفَهُ عَنْ مَقْصُودِ حَيَاتِهِ وَمُرَادِ رَبِّهِ؟

**أقسام الجهاد:** قسم ابن القيم : الجهاد إلى أربع مراتب: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين.

**أما جهاد النفس:** فهو محاربة النفس الأئمَّارة بالسوء، وذلك بتحميلها ما يشُّقُّ عليها من أوامر الشرع الحنيف، وترك المنهيات، وهو كذلك حمل النفس على المشاقّ البدنية ومخالفته الهوى، فيبذل المستطاع في أمر المطاع وهو المولى تعَالَى.

**مراتب جهاد النفس:** قال ابن القيم : جهاد النفس على أربع مراتب:  
الأولى: مجاهدتها على تعلم الهدى ودين الحق.

والثانية: مجاهدتها على العمل به (أي: بالهدى ودين الحق) بعد علمه.

والثالثة: مجاهدتها على الدعوة إلى الحق.

والرابعة: مجاهدتها على الصبر على مشاقّ الدعوة إلى الله وأذى الخلق، وليتحمل ذلك كله لله. ثم قال: فإذا استكمل المسلم هذه المراتب الأربع صار من الرَّبَّانيين. فإن السلف مجتمعون على أن العالم لا يستحقُّ أن يُسمَّى ربَّانياً حتى يعرفَ الحقَّ ويعمل به ويعلَّمه للناس، فمن عَلِمَ وعَمِلَ وعَلِمَ فذاك يُدعى عظيماً في ملوكوت السموات.

وعلى المجاهد أن يكُفَّ نفْسَهُ عن إراديَّتها الانشغالَ بغير الطاعة والعبادة.

**قال الغزالى :** : قد انْتَقَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ لَا طَرِيقٌ إِلَى سَعَادَةِ الْآخِرَةِ إِلَّا بِنَهْيِ النَّفْسِ عَنِ الْهَوَى وَمُخَالَفَةِ الشَّهْوَاتِ، فَإِلَيْمَانَ بِهَذَا واجِبٌ.

**وقال ابن بطال :** : جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكبر، قال الله تعالى:

**﴿وَامْأَنَ حَافِ مَقَامَ رَبِّهِ، وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْمُوَى﴾** [٤١، ٤٠] [النمازعات: ٤١].  
فيمنع نفسه عن المعاصي والشُبهات، ويمنعها أيضًا من الإكثار من الشهوات المباحة؛  
لئلا يعتاد ذلك، فقد يجرؤ إلى الحرام.

قال أبو بكر رضي الله عنه في وصيته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين استخلفه: إن أول ما أحذرك  
نفسك التي بين جنبيك.

وقال سفيان الثوري : ما عالجت شيئاً أشدّ علىّ من نفسي، مرّةً لي ومرةً علىّ.  
وقال ابن القيم : لا يُسيء الظنّ بنفسه إلا من عرّفها، ومن أحسن الظنّ بنفسه فهو  
من أجهل الناس بنفسه.

وقال الغزالى : إن النفس عدوٌ مُنازعٌ، يجب علينا مجاهدتها.

وقال يحيى بن معاذ : أعداء الإنسان ثلاثة: دنياه، وشيطانه، ونفسه؛ فاحترس من  
الدنيا بالزهد فيها، ومن الشيطان بمخالفته، ومن النفس بترك الشهوات.

وأما **جهاد الشيطان**: يقول الله تعالى: **﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُوْنُ عَدُوٌ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ، لِيَكُونُوا مِنْ أَحَقِّ الْسَّاعِدِ﴾** [فاطر: ٦]. فهو العدو المبين للإنسان، ومن ثم وجبت  
مجاهدته تمهيداً لمجاهدة النفس في الداخل ومجاهدة الكفر والنفاق في الخارج، وتعنى  
هذه المجاهدة مقاومة ما يأتي به الشيطان من الشُبهات وما يُزيّنه من الشهوات ولجهاد  
الشيطان كما يقول ابن القيم : مرتبات:

**الأولى**: جهاده ومقاومته على دفع ما يُلقي إلى العبد من الشُبهات والشكوك في أسماء  
الله وصفاته وأقداره وأفعاله وعَدْلِه وحكمته ورحمته.

**الثانية**: جهاده على ما يُلقي إليه من الرغبات الفاسدة والشهوات الدنيئة، فإذا جاهده  
على الشُبهات رزقه الله بعدها اليقين، وإذا قاوم شهواته رزقه الصبر؛ قال الله تعالى:  
**﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةَ يَهْدُونَ بِإِيمَانِنَا لَمَاصِرُوا وَكَانُوا يَأْتِيَنَا بِوْقُنُونَ﴾** [السجدة: ٢٤].

فيَّن رضي الله عنه أن شرف وإمامَة الدين إنما تُنال بالصبر واليقين؛ فالصبر يدفع الشهوات  
والرغبات والإرادات الفاسدة، واليقين يدفع الشكوك والشُبهات.

ولما كان لا يخلو قلبٌ من شهوةٍ وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات الشر المتشعبه عن الهوى فلا جرم ألا يخلو قلب من أن يكون فيه جولان بالوسوسة؛ يقول النبي ﷺ: **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ شَيْطَانٌ»**. قالوا وأنت يا رسول الله؟ قال: **«وَأَنَا إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعْنَانِي عَلَيَّهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُ إِلَّا بِخَيْرٍ»** مسلم برقم (٦٩).

وهذا لأن الشيطان لا يملك على الإنسان إلا إذا تصرف بمقتضى الشهوة، فمن أعاشه الله تعالى على شهوته حتى صارت لا تبيح إلا عند حد الاعتدال الذي ينبغي له فهنا شهوته لا تدعه إلى الشر، فلا سبيل للشيطان عليه، فلا يأمر إلا بخير، فإذا غلب على القلب طلب الدنيا وذكرها وحب الهوى، وجد الشيطان ميداناً له، وإذا غلب على القلب حب الآخرة وذكر الله، ارتحل الشيطان وجاء الملك وأهلهم الإنسان الخير، فالقلب الخالي من الهوى لا يدخله الشيطان كاليت الفارغ لا يدخله اللصوص، قال الله تعالى: **﴿إِنَّ عِبَادِي لَيَسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْفَاسِدِينَ﴾** [الحجر: ٤٢].

فمن اتبع الهوى فقد عبد الهوى وما عبد الله فلذلك سلط الله عليه الشيطان، قال الله تعالى: **﴿أَفَرَبَيْتَ مَنْ أَنْجَذَ إِلَيْهِ هَوَاهُ﴾** [الجاثية: ٢٣]، ففيه إشارة إلى أن الهوى إلى الله ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله. ولهذا فإن الوقوف على خداع النفس ومكايد الشيطان هو فرض عين على كل مُكَلَّفٍ، وهو للأسف علم أهمله الناس.

**جهاد الكفار والمنافقين:** وهو على أربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، والنفس. وجهاد الكفار أخص باليد (أي: القوة)، وجهاد المنافقين أخص باللسان؛ قال الله تعالى: **﴿يَتَأَبَّلُهَا النَّفَّٰثَى جَهَدُ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلُظُ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾** [التوبه: ٧٣].

**جهاد أبواب الظلم وأصحاب البدع والمنكرات:** وهو على ثلاثة مراتب: باليد إذا قدر، فإن عجز انتقل إلى اللسان، فإن عجز جاهد بقلبه، كما قال المصطفى ﷺ: **«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَغْرِرْهُ بِسَدِّهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِي لِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِي قَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»**. مسلم برقم (٤٩).

إذا جُمِعَ كل ذلك وُجِدَ أنه ثلاثة عشرة مرتبةً من الجهاد، ولا يتمُّ الجهاد إلا

بالهجرة، ولا الهجرة والجهاد إلا بالإيمان. والراجون رحمة الله هم الذين قاموا بهذه الثلاتة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٢١٨].

وكما أن الإيمان فرض على كل أحد فكذلك فرض الله على المؤمن هجرتين：  
**الأولى**: الهجرة إلى الله بتوحيد سلطنته، والإخلاص له، والتوبة، والرجوع إليه، والتوكّل عليه، والخوف منه، والرجاء والمحبة له.

**الثانية**: الهجرة إلى رسوله بالاتباع الكامل له، والانقياد لأمره، والتصديق بكلامه، وتقديمه على نفوسنا وأهوانها، وكمال المحبة له، كما قال رسول الله ﷺ: «فَمَنْ كَانَ هِبْرَرْتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِبْرَرْتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَ هِبْرَرْتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ أَمْرَأً يُنِكِّحُهَا فَهِبْرَرْتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ». متفق عليه.

وأكملُ الخلق عند الله مَنْ كَمَلَ مراتبَ الجهاد كُلُّها. والخَلُقُ متفاوتون في منزلتهم عند الله، وَمِنْ ثُمَّ فَهُمْ متفاوتون في مراتبِ الجهاد؛ ولهذا كان المصطفى ﷺ خاتم الأنبياء والمُرسَلين هو أكملُ الخلق وأكملُهم على الله؛ لأنَّه كَمَلَ مراتبَ الإيمان وكَمَلَ مراتبَ الجهاد وجاهد في الله حَقَّ جهاده مُنذ بعثة الله إلى أن تَوَفَّاه؛ فقد استجاب لربِّه حين نَزَّلَ عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدْرِسُونَ ۖ اتَّقُوا نَذِيرَنِي ۚ وَرَبَّكَ فَكَرِزْ ۗ﴾ [المدثر: ١-٣] فقام في الدعوة أَتَمَّ قيامٍ ودعا قومَه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً، وهكذا إلى أن أَتَمَ رسالته ولقي ربَّه وهو راضٍ عنه.

**حكم الجهاد**: أما جهاد النفس وجهاد الشيطان فـ**فرض** عين على كل مسلم ومسلمة، لا ينوب فيه أحدٌ عن أحدٍ، وأما جهاد الكفار والمنافقين ومن في حكمهم من أهل البدع فهو فـ**فرض** كافية، قد يكتفى فيه ببعض الأمة إذا حصل منهم مقصودُ الجهاد.

### الرسالة الحمدية بالرحمة للعالمين:

لما قام الرسول ﷺ بدعاوة الناس إلى الله تبارك وتعالي قابلوه بالأذى والتشكيك والرفض وكثيراً ما منعوه من توصيل هذه الشريعة وهذا الدين الجديد إلى الناس. والإسلام بدأ سراً ثلث سنوات ثم أراد الله أن يكون علينا فأمره بذلك فبدأ يعلن على

الملأ مما أغضب قريشاً وجعلوا يذبحون أصحابه الذين لم تكن لهم منعة وقد حبسوهم في شعب أبي طالب ثلاث سنوات وأثر ذلك على قبول الدعوة في جزيرة العرب كثيراً.

فمكث النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة وما آمن معه إلا قليل من الناس من العشرات من الناس لصعوبة هذه البيئة فكان يقول: «مَنْ يُؤْوِيَنِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي؟ حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَاتِ رَبِّي وَلَهُ الْجَحَّةُ» فكان يبحث عن المأوى والنصرة.

وهكذا كان يدور بين القبائل لإيجاد البيئة التي يكون فيها المأوى وتكون فيها النصرة لمن يسلم من المسلمين الجدد ليكون عوناً على قبول الدعوة وانتشارها، فالبيئة التي ليس فيها أمان وليس فيها سعة في الرزق تكون سبباً في صد الناس عن دين الله.

وهكذا كان يفعل حتى أراد الله أن تكون المدينة المنورة المكان الذي فيه الإيواء والنصرة، فآخرى بين المهاجرين والأنصار حيث كان يتكلف الأنصارى التفقة على أخيه المهاجري، وكان المهاجري يعلمه شئون دينه ويشاركه الاثنان في النصرة والدفاع عن المدينة والمنورة.

وقد دخل الناس في دين الله أفواجاً، وكان النبي ﷺ يشيع بين الناس السعة في الرزق فكان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، حتى بلغ الناس أنه من دخل الدين لن تصيبه فاقة. وقد كون السرايا ليدفع بها الخصوم الذين كانوا يكيدون له ويريدون أن يقضوا على هذه الدعوة مبكراً.

فكان الجهاد في ذلك الوقت لنشر الدين إنما كان لإيجاد البيئة الآمنة، فاستدعاي ذلك إعداد القوة للدفاع عن المؤمنين الجدد الضعفاء المساكين الذي قد لا يمتلكون سلاحاً يدافعون به عن أنفسهم وحرية اعتقادهم وأيضاً ليدفعوا عن نفسهم الجوع والفقر الذي أراده المشركون لهم ليمنعوا الناس من الدخول إلى الدين الجديد.

ولما وجدت البيئة التي فيها الأمان وسعة الرزق كان من السهل أن ينتشر دين الله في الأرض، وقد وجدنا أنه في العشر السنوات التي مكث فيها النبي ﷺ في المدينة المنورة ارتفع العدد من عشرات المسلمين إلى أن صاروا أكثر من مائة ألف يقفون أمامه في حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة.

ولما استتب الأمر في جزيرة العرب للنبي ﷺ أصبح يرسل الوفود بدون جيوش

بل بأعداد قليلة حين أمن الناس وحين استتب الأمر لرسول الله ﷺ. فالدعوة إلى الله هي الأصل، وقتل الذين يرفضون الدعوة ويهددون المسلمين هو سبيل الحماية للدعوة، فكل الوسائل إنما هي لهداية البشرية وليس لقتل الناس، فالاصل والمقصد هو الدعوة إلى تبارك وتعالى، فما أرسل النبي ﷺ إلا رحمة للعالمين.

وعلى الناس في هذا الزمان أن يحاولوا أن يكرروا هذه السيرة العطرة بایجاد البيئة الآمنة والصحيحة الصالحة والكرم والنفقة حتى يتحقق دخول الناس في دين الله أفوأجاً.

وكلنا يذكر قول الله تبارك وتعالى الذي جاء على سبيل المن على قريش ليبين عظمة ما أعطاهم الله تبارك وتعالى، فقال: ﴿لِيَلَافِ قُرَيْشٍ ۖ إِلَّا فِيمْ رَحْلَةَ الشَّتَاءِ وَالصَّيفِ ۚ۝ فَلَيُبْدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ﴾ إلى آخر الآيات [قريش: ٤-١].

فالجهاد الذي قصده الشارع الكريم هو تيسير الحياة على الناس لحفظها أمنهم، ثم إيجاد البيئة الصالحة لقيموما شرع الله تبارك وتعالى في هذا الجو الآمن اليسير من السعة في الرزق والأمان على الحياة.

وقد حدثت في حياة الناس أحداث كثيرة ساعدت على وجود الأمان بين الدول بالوسائل المتقدمة، من التأشيرات وخلافها، ويستطيع المسلم أن يدعو الناس إلى الله تبارك وتعالى في جو آمن حاملاً معه ما يريد من طعام وشراب، بل يستطيع أن يقدم معونة من ذلك الطعام والشراب لمن ذهب إليهم ودعاهم إلى الإيمان فتحقيق بذلك الكرم والسعفة وقد تحقق الأمان من قبل.

ومن هنا انتشر الدين في كثيرٍ من ربع الأرض في زماننا الحديث. وأما الذين يقومون بتغزيع الناس وترهيبهم يصيرون الدعوة في مقتل ويصدون عن سبيل الله تبارك وتعالى، فليس المقصود تغزيع الناس وقتلهم تحت أي مسمى؛ لأن هذا ينافي الفكر الأصيل من هداية البشرية؛ فإذا وجد الأمان والسعفة في الحياة فلا يكون هناك داع إلى قتل الناس وتغزيعهم وإرجافهم تحت مسمى الدفاع عن الدين.

## ٢٣٦ - باب فضل العتق

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فَلَا أَقْنَحَ الْعَقَبَةَ ١١ وَمَا أَدْرَكَ مَا الْعَقَبَةَ ١٢ فَكُلْ رَقَبَةً ١٣﴾

[البلد: ١١ - ١٣].

(٢٣٦ / ١٣٥٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «منْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضُوٍّ مِنْهُ عُضُواً مِنْهُ مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرْجُهُ بِقَرْجِهِ». متفق عليه.

(٢٣٦ / ١٣٥٩) وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَالْجَهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الرِّفَاقَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «اَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَكْثُرُهَا ثَمَنًا». متفق عليه.

## ٢٣٧ - باب فضل الإحسان إلى الملعون

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنَا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَهَنَّمِ وَأَبْنِ السَّيِّلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦].

(٢٣٧ / ١٣٦٠) وعن المعاور بن سعيد قال: رأيت أبا ذر رضي الله عنه وعليه حلة (أي: ثوبان من جنس واحد) وعلى غلامه مثلها، فسألته عن ذلك، فذكر أنه سأب رجلا على عهد رسول الله صلوات الله عليه وسلم، فغيره بأمه، فقال النبي صلوات الله عليه وسلم: «إنك أمرؤ فيك جاهليه (أي: خصلة من خصال الجاهليه) هم إخوانكم وخوالكم (أي: خدامكم، فهم يتخللون الأمور ويصلحونها) جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، ول eiusه مما يليس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموه فاعنيوه» (أي: فاعطوه). متفق عليه.

(٢٣٧ / ١٣٦١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلم قال: «إذا أتي أحدكم خادمه بطعامه، فإن لم يجلسه معه، فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين؛ فإنه ولني علاجه (أي: طبخه وحصل آلاته)». رواه البخاري. «الأكلة بضم الهمزة، وهي: اللقمة.

## ٢٣٨ - باب فضل الملوك الذي يؤدي حق الله وحق مواليه

(٢٣٨ / ١٣٦٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم قال: «إنَّ الْعَبْدَ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ، وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللَّهِ، فَلَهُ أَجْرٌ مَرَّاثٌ». متفق عليه.

٢٣٨) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِلْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ الْمُصْلَحَ أَجْرًا». وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيدهِ، لَوْلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَجُّ، وَبِرُّ أُمِّيَّ، لَأَحْبَبَتْ أَنْ أَمُوتَ وَأَنَا مَمْلُوكٌ» متفق عليه.

١٣٦٤ / ٢٣٨) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المَمْلُوكُ الَّذِي يُحْسِنُ عِبَادَةَ رَبِّهِ، وَيُؤْدِي إِلَى سَيِّدِهِ الَّذِي عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ وَالنَّصِيحَةِ وَالطَّاعَةِ، لَهُ أَجْرٌ ان». رواه البخاري.

(١٣٦٥ / ٢٣٨) وعنـه قـال: قـال رـسول اللـه ﷺ: «ثـلـاثـة لـهـم أـجـرـان: رـجـل مـن أـهـلـ الـكـتابـ أـمـنـ بـنـيـهـ، وـآمـنـ بـمـحـمـدـ ﷺ، وـالـعـبـدـ الـمـمـلـوـكـ إـذـا أـدـىـ حـقـ اللـهـ وـحـقـ مـوـالـيـهـ، وـرـجـلـ كـانـتـ لـهـ أـمـةـ فـأـدـبـهـاـ فـأـحـسـنـ تـأـدـيـهـاـ، وـعـلـمـهـاـ فـأـحـسـنـ تـعـلـيمـهـاـ، ثـمـ أـعـتـقـهـاـ فـتـرـزـ وـجـهـاـ؛ فـلـهـ أـجـرـانـ». متفـقـ عـلـيهـ.

<sup>٢٣٩</sup> - باب فضل العبادة في الهرج، وهو الاختلاط والفتنة ونحوها

(٢٣٩ / ١٣٦٦) عن مَعْقِلٍ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهْجُورَةٌ إِلَيْهِ)). رواه مسلم.

#### **٤٠- باب فضل السماحة في البيع والشراء والأخذ والعطاء**

**وحسن القضاء والتقاضي وإرجاح المكيال والميزان والنهي عن التطفيف وفضل  
إنتظار الموسر المعسر والوضع عنه**

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥] .  
وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ أَوْفُوا الْمَكَ�نَاتِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [هود: ٨٥] .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ ١ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفِنُونَ ٢ وَإِذَا كَانُوكُمْ أَوْ  
وَزَوْهُمْ يَخْسِرُونَ ٣ لَا يُظْنُ أُولَئِكَ أَهْمَمُ مَعْبُوتِينَ ٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ٥ يَوْمٍ يَهُمُّ النَّاسُ لِرَبِّ  
الْعَالَمِينَ ٦ ﴿ المُطَفِّفِينَ : ١-٦ .﴾

(٢٤٠) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَقَاضَاهُ أَيْ: يَطْلُبُ مِنْهُ قِضَاءَ الدِّينِ فَأَغْلَظَهُ أَيْ: الرَّجُلُ لَهُ، فَهُمْ بِأَصْحَابِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْوَهُ؛ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ

مَقَالًا). ثُمَّ قَالَ: «أَعْطُوهُ سِنًّا» (أي: يقصد الجمل أو الناقة) مِثْلَ سِنِّهِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا نَجِدُ إِلَّا أَمْثَالَ مِنْ سِنِّهِ (أي: لَا نَجِدُ إِلَّا مَا هُوَ أَكْبَرُ سِنًّا) قَالَ: «أَعْطُوهُ، فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً». متفق عليه.

(٢٤٠ / ١٣٦٨) وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَوْنَانَ قَالَ: «رَحْمَ اللَّهِ رَجُلًا سَمْحًا» (أي: سهلاً) إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا افْتَضَى». رواه البخاري.

(٢٤٠ / ١٣٦٩) وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ اللَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلَيُسْقَسْ» (أي: المعنى: يمد، ويؤخر المطالبة) عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعُ عَنْهُ». رواه مسلم.

(٢٤٠ / ١٣٧٠) وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ يُدَافِئُ النَّاسَ، وَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوِزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَحَاوَرَ عَنَّا، فَلَقَيَ اللَّهُ فَتَجَاوِزَ عَنْهُ». متفق عليه.

(٢٤٠ / ١٣٧١) وَعَنْ أَبِي مُسْعُودِ الْبَدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «حُوَسْبَ رَجُلٌ مِّمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوَجِّدْ لَهُ مِنَ الْحَيْرِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ (أي: يعامل الناس في التجارة وغيرها) وَكَانَ مُوْسِرًا، وَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَحَاوَرُوا عَنِ الْمُعْسِرِ. قَالَ اللَّهُ عَجَلَ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ؛ تَجَاوِزُوا عَنْهُ». رواه مسلم.

(٢٤٠ / ١٣٧٢) وَعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: أَتَيَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدِ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: ﴿وَلَا يَكُنُونَ أَنَّهُ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]. قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَارُ (أي: إعفاء غير المستطيع)، فَكُنْتُ أَتَيْسِرُ عَلَى الْمُؤْسِرِ، وَأَنْظَرُ الْمُعْسِرَ. فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «أَنَا أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكَ، تَجَاوِزُوا عَنْ عَبْدِي». فَقَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَأَبُو مُسْعُودِ الْأَنْصَارِيُّ : هَكَذَا سَمِعْنَاهُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ قَالَ: «حَدِيثٌ حَسْنٌ صَحِحٌ». رواه مسلم.

(٢٤٠ / ١٣٧٣) وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «مَنْ أَنْظَرَ (أي: أَمْهَلَ) مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ (أي: لَانَ وَتَسَامَحَ) أَظَلَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢٤٠ / ١٣٧٤) وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَوْنَانَ قَالَ: أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ اشْتَرَى مِنْهُ بَعِيرًا، فَوَزَنَ لَهُ فَأَرْجَحَ . متفق عليه.

(٢٤٠ / ١٣٧٥) وعن أبي صفوان سعيد بن قيس رضي الله عنه قال: جلبتُ أنا و مخرمة العبدِي بَزًا (أي: البر: الشياطين، أو متاع البيت من الشياطين) من هجر، فجاءنا النبي صلوات الله عليه و سلام فساومَنَا بسراويل، و عندي وزانٌ يزن بالأجر، فقال النبي صلوات الله عليه و سلام للوzan: «زن وأرجح». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

\* \* \*

## ١٢ - كتاب العلم

### ٢٤١ - باب فضل العلم

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْ فِي عِلْمًا﴾ [١٦] [طه: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ أَلَّذِينَ أَمْنَأْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ أَنْوَأُوا الْعِلْمَ رَحْمَةً﴾ [المجادلة: ١١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الظَّمِنُونَ﴾ [فاطر: ٢٨].

(٢٤١ / ١٣٧٦) وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه و سلام: «من يرِد الله به خيراً يُفقِّهُ في الدين». متفق عليه.

(٢٤١ / ١٣٧٧) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه و سلام: «لا حسد إلا في الشتتين: رجُل آتاه الله مالاً، فسلطة على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضى بها ويعلمها». متفق عليه. والمراد بالحسد: الغبطة، وهو أن يتمنى مثله.

(٢٤١ / ١٣٧٨) وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي صلوات الله عليه و سلام: «مَثُلَ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثُلَ غَيْثٍ (أي: الغيث هو المطر) أَصَابَ أَرْضًا؛ فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبْلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ، وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبٌ أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقُوا وَرَرُعوا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أَخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ (أي: أرض مستوية)، لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْتِ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثُلٌ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَمَ، وَمَثُلٌ مَنْ لَمْ يُرْفَعْ بِذِلِّكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى الله الَّذِي أَرْسَلْتُ بِهِ». متفق عليه.

(٢٤١ / ١٣٧٩) وعن سهل بن سعد رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه و سلام قال لعائِي رضي الله عنه: «فَوَالله لَأَنْ يَهْدِي الله بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرًا لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمُرُ النَّعْمِ (أي: الإبل الحمراء وهي أنفس أموال العرب)». متفق عليه.

(٢٤١ / ١٣٨٠) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص : أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَلَغُوا عَنِّي وَلَوْ آتَيْهُ وَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ (أي: لا ضيق عليكم في الحديث عنهم)، وَمَنْ كَذَّبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلَيَسْبُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». رواه البخاري.

(٢٤١ / ١٣٨١) وعن أبي هريرة : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ». رواه مسلم.

(٢٤١ / ١٣٨٢) وعنه أيضًا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبَعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا». رواه مسلم.

(٢٤١ / ١٣٨٣) وعنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا ماتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَّةٌ، أَوْ عِلْمٌ يُسْتَفْعَ بِهِ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُونَ لَهُ». رواه مسلم.

(٢٤١ / ١٣٨٤) وعنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ (أي: مبغوضة من الله)، مَلْعُونُ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا وَالْأُ، وَعَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن». قَوْلُهُ: «وَمَا وَالْأُ» أي: طاعة الله.

(٢٤١ / ١٣٨٥) وعن أنس : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ كَانَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٤١ / ١٣٨٦) وعن أبي سعيد الخدري : عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَنْ يَشْبَعَ مُؤْمِنٌ مِنْ حَيْرٍ حَتَّىٰ يَكُونَ مُتَهَاهَ الْجَنَّةِ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٤١ / ١٣٨٧) وعن أبي أمامة : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فَضْلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَذْنَاكُمْ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّىٰ النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّىٰ الْحُوتَ لَيَصُلُونَ عَلَى مُعَلَّمِي النَّاسِ الْخَيْرِ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٤١ / ١٣٨٨) وعن أبي الدرداء : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَسْعِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضُعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضَا بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّىٰ الْحِيتَانَ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يَوْرُثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَحَدَهُ أَحَدَ بِحَظْ

وَافِرٌ». رواه أبو داود والترمذى.

(٢٤١ / ١٣٨٩) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: «نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا» (أى: زاده نصرة وحسنا وبهاء) سَمِعَ مِنَا شَيْئًا، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢٤١ / ١٣٩٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «مَنْ سُئِلَ عَنِ الْعِلْمِ فَكَتَمَهُ، أَلْجِمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامِ مِنْ نَارٍ». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٤١ / ١٣٩١) وعنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُسْتَغْفِرُ لِهِ وَجْهُ اللَّهِ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَحْدُ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». يعنى: ريحها. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٢٤١ / ١٣٩٢) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ اتَّزَاعًا يَتَنَزَّعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يُقِبِّلْ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَاقْتُلُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا». متفق عليه.

\* \* \*

### (العلم)

قال الله تعالى: ﴿شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْمَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]. وقال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «طَلْبُ الْعِلْمِ فَرِيْضَةُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ». ابن ماجه برقم (٢٢٤)، صححه الألباني (صحيف الجامع الصغير) حديث (٣٩١٢).

وقال صلوات الله عليه وآله وسلامه: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولٍ» (أى: الغُدوال هم الثقات، جمع عَدْل، وهو صاحب التقوى والديانة مقبول الشهادة وليس بفاسق ولا فاقد للمرودة)، يَنْفُونَ عَنْهُ (أى: يُزيلون منه) تَحْرِيفَ الْغَالِينَ (أى: المتشددين الذين يتتجاوزون في كتاب الله وسنة رسوله عن المعنى المراد منهم، فينحرفون عن جهة الحق) وَاتِّحَالَ الْمُبْطَلِينَ (أى: جمع مبطل وهو الذي ينسب قولًا من العلم إلى نفسه ليستدل به على الباطل) وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ (أى: وهم الذين يفسرون ويؤولون العلم إلى غير الصواب).

(البيهقي في الكبرى (١٠ / ٢٠٩) برقم (٢٠٧٠٠)، وصححه الألباني (تحقيق المشكاة) حديث (٢٤٨)).

وهذا إخبار منه صلوات الله عليه وآله وسلامه بصيانة العلم وحفظه وعدالة ناقليه، وأن الله تعالى يُوفّق له في كل

عصرَ خَلْفًا منَ الْعُدُولِ يَحْمِلُونَهُ وَيَنْفُونَ عَنْهُ التَّحْرِيفَ وَمَا بَعْدَ فَلَا يَضِيعُ، وَهَذَا تَصْرِيفٌ بِعِدَالَةِ حَامِلِيهِ فِي كُلِّ عَصْرٍ. فَالْعِلْمُ كَالْغَيْثِ الَّذِي فِيهِ حَيَاةُ الْأَرْضِ وَمَصَالِحُ الْعِبَادِ، وَهُوَ كَذَلِكَ فِيهِ مَصَالِحٌ وَمَنَافِعُ الْعِبَادِ وَالْبَلَادِ.

وَالْمَلَائِكَةُ تَجَالِسُ طَالِبَ الْعِلْمِ وَتَفْضِيلُ مَجْلِسِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَتَلَمَّسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتَلَوَّنَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارِسُونَهُ بِيَمِّهِمْ إِلَّا نَزَّلْتُ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِّيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»**. مسلم برقم (٢٦٩٩).

قال صفوان بن عسال: أتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وهو في المسجد متَّكِئًا، فقلت: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم. فقال: «مَرْحَبًا طَالِبُ الْعِلْمِ، إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ تَحْفَهُ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْيَحِهَا، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى يَلْعُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ مَحَبَّهِمْ لِمَا يَطْلُبُ». الطبراني في المعجم الكبير حديث (٧٣٤٧)، صحيحه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (٣٣٩٧).

وكان بعض السلف إذا مر بمثل لا يفهمه يبكي ويقول: لستُ من العالمين لقول الله تعالى: **﴿وَتَلَكَ الْأَمْمَالُ نَصَرِيْهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾** [العنكبوت: ٤٣].

والعلم أشرف ما في الإنسان، ومع أن يوسف عليه السلام كان جميلاً الصورة، فإنه لم يشفع له ذلك وحبس في السجن، أما علمه بتأويل الرؤيا فكان سبباً لجعله وزيراً على خزائن الأرض، بصورة العلم عندبني آدم أفضل من صورة الوجه والجمال الحسي، والجهل قبيح، وأهل الجهل مبغضون، ويتبغض الناس عادة من الجهل وأهله، وقلب العبد ميت بالجهل، والعلم نورٌ وحياة له.

قال الله تعالى: **﴿فَأَوْمَنَ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَا نَشَاءُ فِي الظُّلْمَاتِ لَيْسَ يَخَافُ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيَّنَ لِلْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الأعراف: ١٢٢] وفي الآية الكريمة: **﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾** [النور: ٣٥].

فالقرآن والإيمان هما نور يجعله الله في قلب من يشاء من عباده وإنهما أصل كل خير في الدنيا والآخرة وعلمهما أجيلاً وأعظم العلوم وأفضلها. قال علي عليه السلام: محبة العلماء دين يُدان به.

وفي ذلك تنبيةً للعلماء أيضًا على اتباع ما ورثوه عن النبي ﷺ من دعوة الناس وتبلغهم دين الله والصبر والاحتمال عليهم ومقابلة إساءتهم بالإحسان والرفق وبذل النصح لهم بأحسن الطرق وأيسرها، وتربيه الأمة بالتدريج والترقي من صغار العلوم إلى كبارها، وتحميلهم ما يطيقون. ولو لا العلماء لكان الناس كالأنعام.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعينة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسينات عام.

وروى: أن أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد، أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل. وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أيضًا: «يشفع يوم القيمة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء». ابن ماجه برقم (٤٣١٣).

وروي أيضًا: إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله، وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله. إذا فلم كان الفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد؟ عن ابن عباس رضي الله عنه: «فَقِيهٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ» [الترمذى برقم (٢٦٨١)]. ذلك أن العالم يفسد على الشيطان ما يجتهد ويسعى فيه ليغويبني آدم، فكلما أراد إبليس أن يحيي باطلًا أو بدعة أو ضلاله حاول العالم الفقيه بينه وبين ذلك، فلا شيء أشد عليه من بقاء العالم في الأمة، ولا شيء أحب إليه من موته؛ ليتمكن من إفساد الدين وإغواء الأمة. وأما العابد فغايته مجاهدة نفسه ليطلب السلام، وقد يكون أو لا يكون؛ لأن السلامة مرتبطة بالعلم أيضًا. ولهذا كان قوام الدين بالعلم والجهاد، فالآئمة يجاهدون بعلمهم في مقاومة الكفر والنفاق وسائر المنكرات، وأما المجاهدون بأيديهم فهم كثير، ولكن المجاهدين بأسلحتهم وأقلامهم قليل، وهم أفضل المجاهدين.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: من رأى الغدو والرّواح إلى العلم ليس بجهاد فقد نقص في عقله ورأيه.

وقال بعض الصحابة: إذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحال مات وهو شهيد.

ويقول سفيان الثوري : من طلب العلم فقد بايع الله عجل.

وطلب العلم يلزِمُ الإنسان إلى الممات، فقد قال النبي ﷺ: «مَنْهُو مَانِ لَا يَشْبَعُ:

**مَهْوُمٌ فِي عِلْمٍ لَا يَشْبَعُ، وَمَنْهُوُمٌ فِي دُنْيَا لَا يَسْبَعُ** [الحاكم في المستدرك (١٦٩ / ٣١٢) برقم (١٦٩)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيوخين، ووافقه الذهبي].

فلا يشبع مؤمن من خير حتى يكون متهاه الجنّة، وقلب المؤمن حريص على طلب العلم أكثر من حرص من فقد ضاللة. وطلب العلم من أفضل الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات.

قال الإمام أحمد : **الناسُ محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب، لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يحتاج إليه بعدد الأنفاس.**

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فإذا سمع العلم خاف ورجع وتاب فانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوها مجالس العلماء.

وقال أيضاً رضي الله عنه: موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من (أقل خسارة للأمة) موت عالم بصير بحلال الله وحرامه.

وقال بعض العلماء: ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فاته من أدرك العلم.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه يرفعه: «مَنْ حَفِظَ عَلَى أُمَّيَّ أَرْبَعِينَ حَدِيثًا مِنْ أَمْرِ دِينِهَا بَعْثَةُ الله وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي زُمْرَةِ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ». ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» برقم (٢٠٩).

وقال مصعب بن الزبير رضي الله عنه: **تَعَلَّمُ الْعِلْمَ فَإِنْ يَكُنْ لَكَ مَالٌ كَانَ لَكَ جَمَالًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مَالٌ كَانَ لَكَ مَالًا.**

وليس يجهل فضل العلم إلا جاهم لأن فضل العلم إنما يعرف بالعلم نفسه.

وفي متنور الحكم: **الْعَالِمُ يَعْرِفُ الْجَاهِلَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ جَاهِلًا، وَالْجَاهِلُ لَا يَعْرِفُ الْعَالِمَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا.**

وهذا يفسر لنا انتصار الجهال عن طلب العلم وأهله ذلك لأن من جهل شيئاً عاده واتخذه عدوًّا.

وقال الحسن : **يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء.**

كما أن الإنسان يتميز عن الحيوانات بالعلم والبيان من خلال حاسة السمع، وله في

القرآن معانٍ ثلاثة:

الأول: سمع الفهم، كقول الله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَائِتِ عِنْدَ اللَّهِ الْأَصْمُ الْبَكُومُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾٢٣﴿ وَلَوْ عِلْمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْهُمْ مُغَرِّضُونَ ﴾٢٤﴾

[الأفال: ٢٢-٢٣].

الثاني: إدراك الصوت، كقول الله تعالى: ﴿فَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُعْدِلُكَ فِي رَزْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمِعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾١﴾

[المجادلة: ١].

والثالث: سمع القبول والإجابة، كقول الله تعالى: ﴿لَوْخَرَجُوا فِي كُلِّ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا حَبَالًا وَلَا قَصَعُوا خِلَالَكُمْ يَعْنُونَ كُمُّ الْفِتْنَةِ وَفِي كُلِّ سَعْيَهُمْ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِ بِالظَّالِمِينَ ﴾٦٧﴾

[التوبية: ٤٧].

فالإنسان من دون العلم الذي يصلح دنياه وأخرته ويعيش على شهواته وغرائزه، مثله في ذلك كمثل البهائم، قال الله تعالى: ﴿أَمْ تَخْسِبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنَّ هُمْ إِلَّا كَآلَافُنِيمْ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَكِيلًا ﴾٦٨﴾

[الفرقان: ٤٤].

ومع أن طالب العلم قد يكون أقل جهداً وعملاً من ناحية البدن من الجهاد والمقاتلة، ولكنه مع ذلك الأكثر أجراً، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلوات الله عليه وسلام: أي العمل أفضلاً؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم أي شيء؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قيل: ثم أي؟ قال: «حجج مبرور». متفق عليه.

فالجهاد فيه مشقة وبذل للنفس والمال، ومع ذلك، فالإيمان وهو علم القلب وعمله وتصديقه هو الأفضل في الأعمال، والعامل المجهود بلا علم يظن أن الفضيلة في كثرة المشقة.

والعلم هو القائد للأعمال، والأعمال تابعة للعلم حيث تعتمد على العلم في الأحكام والتفصيات؛ قال بعض السلف: مَنْ عَبَدَ اللَّهَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مَا يُصْلِحُ.

فالعلم هو ميزان صحة الأفعال وقوتها، فإن لم يتعلم المرء ما جاء به الرسول لما استطاع أن يعمل عملاً صالحاً، فالعلم هو دليل يدللك على الإخلاص والاتباع.

قال الحسن البصري : العامل (أي: للأعمال الصالحة) على غير علم كالسابق على غير طريق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح. وقيل: فاطلبو العلم طلباً لا

**تضرُّوا بالعبادة، واطلبو العبادة طلباً لا تضرُّوا بالعلم.**

ومعلوم أن ما يجهله العبد أضعاف ما يعلمه وحاجة العبد إلى الهدایة مقرونة بأنفاسه والهدایة هي أعظم حاجات العبد. وشرفُ العلم تابع لنوع العلم نفسه، فلا ريب أن أفضل العلوم وأشرفها هي العلوم الشرعية، التي تزيد العلم بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله، ومن عَرَفَ الله عَرَفَ مَا سُواه، ومن جهل رَبَّهْ فهو لِمَا سُواهْ أَجْهَلُ، فمن عَرَفَ رَبَّهْ عَرَفَ مصالحه وسعادته في الدنيا والآخرة، ومن جهل ربه جهل بمصالح نفسه وسعادتها.

فالعلم بالله أصل كل سعادة، والجهل به أصل كل شقاوة، وكمال العبد في معرفته ربَّه، وأعرف الخلق بالله أشدُّهم حَبَّاً له، فكُلُّ من عرف الله أحَبَّه وداوم على ذكره وسعى في مرضاته، ومن عرف الدنيا وأهلها زهد فيها، والعلم سبب هذا أو ذاك. ولا ريب أن الجهل أصل كُلِّ فسادٍ، وكل ضرر يلحق بالعبد في دنياه وأخراه فهو نتيجة الجهل.

قال علي عليه السلام: **الفقيه حق الفقيه الذي لا يُقْنَط الناس من رحمة الله، ولا يؤمّنهم من عذاب الله، ولا يُرِّخص لهم في معاصي الله، إنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها.**

ولم يكن السلف يطلقون اسم الفقه إلا على العلم الذي يصحبه العمل.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: **كفى بخشية الله تعالى علمًا، وبالاعتراض جهلاً.**

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: **ذنب المؤمن جهل منه (أي: وقع فيه بسبب جهله).**

وقال السُّدِّيُّ: **كُلُّ مَنْ عَصَى الله فَهُوَ جَاهِلٌ.** ولهذا قيل: **مَا عُصِيَ الله إِلَّا بالجهل، وَمَا أُطِيعَ إِلَّا بالعلم.**

وقال بعض السلف: **كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل به.**

فترُك العمل بالعلم من أقوى الأسباب في ذهابه ونسيانه، ومن علم ولم يعمل فهو بمنزلة الجاهل الذي لا يعمل، كمن يملك الذهب والفضة لكنه جائع وعارٍ لم يشتري ما يأكل ويلبس، فهو بمنزلة الفقير مع أنه ليس فقيراً.

والعلم الذي لا يُنفع به علم متور سُلبت حقيقته، فقد نفي الله تعالى عن الكفار الأسماء والأبصار والعقول بعدم انتفاعهم بها، فقال الله تعالى: **وَلَقَدْ ذَرَانَا لِجَهَنَّمَ**

**كَثِيرًا مِنْ أَلْجَنَ وَالْإِنْسَانُ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَقْعُدُونَ إِلَيْهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ إِلَيْهَا وَلَهُمْ أَذْنَانٌ لَا يَسْمَعُونَ إِلَيْهَا أَوْلَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَئِكَ هُمُ الْغَنَفُونَ** ﴿١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩].

قال يحيى بن أبي كثیر: لا ينال العلم براحة الجسم (أی: يقصد الكسل).

وكل صفة مُدح بها العبد في القرآن فهي ثمرة العلم و نتيجته، وكل ذم فهو ثمرة الجهل و نتيجته، وكل خير يكون في العالم وإلى قيام الساعة فهو من بركات وأثار العلم الذي جاءت به الرسل، وكل شر وفساد حصل في العالم إلى قيام الساعة فسيبيه مخالفة ما جاءت به الرسل من العلم والعمل.

قال رسول الله ﷺ: **إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِياضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا**. قالوا: وَمَا رِياضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: **حِلْقُ الدُّكَرِ** الترمذی برقم (٣٥١٠)، وقال: حديث حسن، وصححه الألبانی (السلسلة الصحيحة) حدیث (٢٥٦٢).

وقال عطاء : **مَجَالُ الذِّكْرِ مَجَالُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ** (أی: معرفة الحلال والحرام)،  
كيف يشتري ويبيع ويصوم ويصلی ويتصدق وينکح ويطلق ويحج.  
وقال سفيان بن عینة : **أَرْفَعُ النَّاسَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ تَرْزِيلٍ مَنْ كَانَ** (أی: واسطة ودلیل) بين الله  
وبین عباده وهم الأنبياء والعلماء.

وهذا لأن العلماء خلفاء الرسل في أممهم ووارثوهم في عملهم، فمجالسهم مجالس  
خلافة النبوة.

وقال الشافعی : **لِيسْ شَيْءٌ بَعْدَ الْفَرَائِضِ أَفْضَلُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ**. وبهذا صرّح  
كثیر من الأئمة.

اجتمع في الصحابة أمور ثلاثة، وتفرّقت فيمن بعدهم وهي: الصلاة والعلم والجهاد،  
وهي التي أشار إليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **لَوْلَا ثَلَاثَ فِي الدِّنِ الْيَا مَا أَحِبَّتِ الْبَقَاءَ فِيهَا** (أی:  
يقصد الدنيا): لو لا أن أحمل أو أجهز جيشاً في سبيل الله، ولو لا مُكابدةً لهذا الليل (أی: يقصد  
قيام الليل)، ولو لا أقوام ينتقدون أطیاب الكلام كما ينتقد أطیاب التمر (أی: يقصد مجلس العلم)،  
لما أحببت البقاء.

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: **تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ؛ فَإِنْ تَعْلِيمَهُ اللَّهُ خَشِيَّةٌ، وَطَلَبُهُ عِبَادَةٌ، وَمَذَاكِرَتُهُ**  
تسییح، والبحث عنه جهاد، وتعلیمه لمن لا یعلمه صدقة، وبنذله لأهله قربة؛ لأنَّه مَعَالِمُ

الحلال والحرام، ومَنَّاً سُبْلُ أهل الجنة، وهو الأَئْسُ في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمُحَدَّثُ في الخلوة، والدلِيلُ على السراء والضراء، والسلاحُ على الأعداء، والرَّئِنُ عند الأَخْلَاءِ، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادةً وأئمَّةً تقتصُّ آثارُهم، ويُقتدى بفعالهم، وينتهي إلى رأيهم، تَرَغَبُ الملائكةُ في خدمتهم، وبأجنبتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رَطْبٍ ويباس... يبلغ العبدُ بالعلم منازلَ الأَخْيَارِ والدرجات العلا في الدنيا والآخرة، والتَّفَكُّرُ فيه يَعْدِلُ الصِّيَامَ، ومُدَارِسَتُه تَعْدِلُ الْقِيَامَ، به تُوصَلُ الْأَرْحَامُ، وبه يُعرَفُ الْحَالُ مِنَ الْحَرَامِ، هو إِمَامُ الْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ، وَيُلَاهُمُ السُّعَادُ وَيُحَرِّمُهُ الْأَشْقَاءُ.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: موت ألف عابد أهون على إيليس من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه، فالعالم يهدم على إيليس ما يفعله بالناس، وأما العابد فنفعه مقصور على نفسه.  
وإن العلماء هم ورثة الأنبياء، قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَأَفْرِ». أبو داود برقم

(٣٦٤١)، صحيح الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٦٢٩٧)

### فضل العلم على المال :

- وَفَضْلُ الْعِلْمِ عَلَى الْمَالِ كَبِيرٌ، منه:
- أن العلم ميراثُ الأنبياءِ، والمال ميراثُ الملوك والأغنياءِ، وشَتَّانِ ما بينهما.
- أن العلم يحرس صاحبه، ويَرِيدُ بإنفاقه وتعليمِهِ، ولكن المال الذي يحرسه أصحابه يُذهبُ بالإِنْفَاقِ، والمال يُفارِقُ صاحبه عند الموت، أما العلم فيدخل معه قبره.
- أن المال يَحْصُلُ للمؤمن والكافر والبَّرِّ والفاجر، أما العلم الرباني النافع فلا يَحْصُلُ إلا للمؤمن.
- أن العالم يحتاج إليه الملكُ فمَنْ دونهم، أما صاحب المال فلا يحتاج إليه إلا الفقراء والمحاجون.
- أن النفس تزيد إيماناً ونوراً بتحصيل العلم، وقد تنقص النفس بحرصها على جمع المال فتشجع وتُبخِل؛ فالحِرْصُ على العلم عَيْنُ الْكَمَالِ، والحرْصُ على المال عَيْنُ النَّقْصِ.
- أن العلم يدعو إلى التواضع والرأفة وصفات العبيد، أما المال فيدعُ إلى صفات الملك من الطغيان والفخر والخيلاء.

- أن غِنَى العبد بعلمه دائم ويزيد أبداً فهو الغنى الحقيقي، أما غِنَى المال بأمرٍ خارج عن إرادة الإنسان قد يزول في ليلةٍ فيصبح فقيراً.

- أن العلم يجعلك عبداً لربك وحده، والمال قد يستعبدك فتصبح عبداً له كما في الحديث: «تَعِسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ». البخاري برقم (٢٨٨٦).

- أن حُبَّ العلم وطلبه أصلٌ كُلُّ طاعةٍ وخير، أما حب الدنيا والمال وطلبه أصل كل سيئة وسوء.

- أن قيمة الغَنَيَّ بماله؛ فإذا ضاع المال ضاعت قيمته، أما العالم فقيمتة بعلمه الداخلي فلا تزول بسبب خارجي فهي في زيادة. فالمال مادة كالبدن، قيمته بقيمة البدن، والعلم كمادة الروح، والفرق بينهما كالفرق بين قيمة الروح وقيمة البدن.

- أن العالم لا يبيع علمه بدنيا كبيرة أو صغيرة، لكن صاحب المال لو عَرَفَ قيمة العلم لَتَمَنَّى أن يبيع ماله ويحصل على العلم.

- أن الطاعة لا تكون إلا بسبب العلم، وأغلب المعااصي تكون بسبب المال.

- أن العالم يدعو الناس إلى الله بعلمه وحاله، أما جامِعُ المال يدعوهُم إلى الدنيا بحاله وماله.

- أن الناس غالباً يسعون في محاربة وإهلاك صاحب المال لتصارُعِهم عليه، أما صاحبُ العلم فمحبوبٌ ومرغوبٌ عند الناس.

- أن الزهد في المال شرفٌ، وأما الزهد في العلم فمدمرة.

- أن غَنَيَّ المال خائفٌ عند الجموع وعند النفقة، أما غني العلم فآمن عند الجموع وعند النفقة، أي عند التعلم والتعليم والدعوة.

- أن المال يُمدح صاحبه بتخليه عنه وإخراجه فيوصف بالكرم، أما العلم فإنما يُمدح صاحبه بتخلّيه به واتّصافه به.

- أن من رأى أن غناه بالمال فقط فهو فقير النفس، وأما من رأى غناه بالعلم فهو غني النفس.
- أن صاحب المال قد يُكرِّم ويُقدِّم لماله، فإذا زال ماله زالت مكانته، أما صاحبُ العلم فـ**يُكرِّم ويُقدِّم** ولا يزداد إلا تقديمًا وإكرامًا يوماً بعد يوم.
- أن صاحب المال يتارجح بين أمرتين: فهو ي يريد الكمال بجمع المال وإنمساكه ليختبر على الناس به، ويريد شكر الناس ومدحهم ببذل ماله وإنفاقه عليهم، وهذا أمران متناقضان؛ فيعيش تعيساً لا يقدر أن ينْقص ولا يرغب أن يُدَمِّر بإنمساكه وبيُخله. أما صاحب العلم فكماله في إنفاقه وتعلمهه ويُمدح بذلك دوماً.
- أن صاحب المال لن يسأَل الناس بماله؛ فالذى حُرمَ غَضِبَانُ، والذى أخذ طامعُ في المزيد، وإلا أفضى ذلك به إلى العداوة والمذمة، أما صاحب العلم فيسع الناس جميعاً ولا يُدَمِّر من جانبهم.
- أن صاحب المال مهمومٌ عند جمعه، وعند حفظه وحراسته، وعند نقصه وفنائه، أما صاحب العلم فمسورٌ عند جمعه وعند حفظه وعند نفقته، ولا يخاف إلا حسد الأعداء.
- أن صاحب المال لا يتلذذ به إلا بمخالطة الناس، وهذا منشأ العداوات والآفات والألام لاختلاف طباع الناس وأمزاجهم وتضاد مصالحهم، بل قد يتسبب بذلك في العداوة بين الأقارب والجيران، أما صاحب العلم فبعيد عن هذا.
- أن غنى المال يكره الموت وسيرته ليتمتع بماله، وغنى العلم يحب لقاء الله ويزهد في الحياة.
- أن الأغنياء قد يموتون ذكرهم بموتهم، والعلماء يموتون بأجسادهم فقط ويبيّن ذكرهم، فجامعوا الأموال أحياها كأموات، والعلماء بعد موتهم أحياها.
- أن المال زينة للبدن، والعلم زينة للقلب أصلاً، والفرق بينهما كالفرق بين القلب والبدن، فالقلب هو الملك والبدن والجوارح عبيده.
- أن المال يشغل صاحبه عن السفر إلى الله، والعلم يجهز صاحبه للسفر إلى الله.
- وعلم هذه الأمة محمول باعتدال ووسطية، فكما قال عليه السلام: **«يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولٌ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْعَالِيَنَ وَأَتِحَالَ الْمُبْطَلِيَنَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِيَنَ»**. البهقي في

## فضيلة نقل العلم ودعوة الناس إليه وتعليمهم:

والعلوم الدينية وهي فقه الآخرة إنما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل أشرف صفات الإنسان؛ إذ به تقبل أمانة الله، وبه يتوصل إلى جوار الله سبحانه، وتعليم العلم والدعوة إليه هو عبادة لله تعالى وكذلك قيام بخلافة الله في أرضه وتعليم الناس ما يجهلون واجب على من يعلم لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيقَاتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَمْ يَتَبَرَّأْنَهُمْ إِلَى النَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ فَوْلًا مِّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [فصلت: ٣٣].

فالدعوة والتعليم وجهان لعملة واحدة، فأما دعوة الناس إلى الله تعالى وإلى نبيه الكريم فدعوة دلالة، كمن دل الناس على الطريق وأعلمهم أن نجاحهم وفلاحهم في هذا الطريق بالترغيب والترهيب والحيلة والدعوة، ثم جلس بعد ذلك معهم ليعلمهم ويرشدهم إلى الأعمال الصالحة داخل الطريق، مثل الطهارة والصلوة والصيام، فهي إرشاد وتعليم كذلك.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ فَوْلًا مِّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. قال الحسن مفسراً: هو المؤمن الذي استجاب لربه ودعا الناس إليه وعمل صالحاً فهو حبيب الله، وهو ولی الله، ومقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد، والدعوة مراتب بحسب حال الناس: ففي قول الله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّلْهُمْ بِالْقِيَّ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

فجعل بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحِكْمَة هي سبيل دعوة الم قبل على الحق والمستجيب لدینه الذي لا يعand. وهي كلام الله تعالى وهدی رسوله الكريم وأقوال العلماء، وأما المؤمن الذي يعيش في غفلة وكسل؛ فله الموعظة الحسنة بين الترغيب والترهيب ليعلم أمر الله ونواهيه، وأما المعاند الباجحد فله المجادلة بالتي هي أحسن.

فالدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها، ولا تكون إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه. والعلم أول درجات اليقين؛ لهذا قيل: العلم يستعملك (أي: يدفعك للعمل بمقتضاه)، واليقين يحملك (أي: يلهم حماسك فتدفع محمولاً به).

ولابد كذلك لكمال الدعوة البلوغ في العلم لحد كريم، وثمرة العلم اليقين: وهو العلم الذي لا شك فيه واطمئنان القلب وقوته ونشاطه.

**العلم الواجب شرعاً:** العلم من حيث وجوبه ينقسم إلى:

**أولاً: فرض عين:** وينقسم إلى أربعة أقسام:

**القسم الأول:** العلم بأصول الإيمان الستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. فإن من لم يؤمن بهذه الأصول الستة لم يدخل في باب الإيمان ولا يستحق اسم المؤمن.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَبِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِهِ وَمَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكَتَبِهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [ النساء: ١٣٦].

**القسم الثاني:** العلم بشرع الإسلام وأحكامه، والمفروض منها ما يلزم العبد في الحياة اليومية من عادات ومعاملات، كالوضوء والصلوة والصيام والحج والزكاة وتوابعها وشروطها وبطليتها... إلخ.

**القسم الثالث:** العلم بالمحرمات الخمسة، وهي متفق عليها بين الرسل والشائع والكتب السماوية جميعاً، وهي مذكورة في قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبُّكَ الْفَحْشَاءِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَإِلَّا مَا يُغَيِّرُ الْعَقْدَ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَنَنَا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، فهي محرّمة تحريمًا مطلقاً.

**القسم الرابع:** العلم بأحكام المعاشرة والمعاملة، وهي ما يحدث بين الناس على وجه العموم والخصوص، والواجب فيها يختلف باختلاف أحوال الناس وظروفهم، فهناك واجب على الحاكم تجاه الرعية قد يختلف عن الرجل مع أهله وجيشه ومن يبيع ويشتري عليه واجبات ليست على غيره.

**ثانيًا فرض كفاية:** وهو إذا ما قام به البعض سقط فرضه عن الباقين، ولا يعلم له ضوابط محددة، وإنما كما يقول ابن القيم : إن المطلوب الواجب من العبد من العلوم

والأعمال هو مُكَلَّف بالقيام به، وإذا احتاج هذا الواجب إلى شيء كان تعلم هذا الشيء واجباً أيضاً من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولكن وجوب وسائل لا وجوب غaiات، وهو يختلف باختلاف الأشخاص والأزمان والأمكنة والأحوال، وليس لذلك قدر محدد. والله أعلم.

قال أبو يزيد البسطامي : لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يُرفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة.

وقال أبو حمزة البغدادي : من علم طريق الحق تعالى سهل عليه سلوكه، ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول في أحواله وأفعاله وأقواله.

وقال محمد بن فضل الزاهد : ذهاب الإسلام على أيدي أربعة أصناف من الناس: صنف لا يعملون بما يعلمون، وصنف يعملون بما لا يعلمون، وصنف لا يعملون ولا يعلمون، وصنف يمنعون الناس من التعلم.

فالصنف الأول هم أضرُّ شيء على العامة، فهم العلماء الذين لا يعملون بعلمهم.

والصنف الثاني العابد الجاهل، فالناس يُحسنون الظن به ويقتدون به كأنه عالم، وهذا مما حذر منه السلف الصالح بقولهم: احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنهما فتنة لكل مفتون، فإن الناس إنما يقتدون بعلمائهم وعبادهم، فإذا كان العلماء فجرةً، والعباد جهلةً، عمّت المصيبة بهما وعظمت الفتنة على الخاصة وال العامة.

والصنف الثالث الذين لا علم لهم ولا عمل، فهم كالأنعام السائمة.

والصنف الرابع فهو لاء هم نواب إبليس في الأرض، وهم أضرُّ عليهم من شياطين الجن، فيمعنون الناس ويشطونهم عن طلب العلم والتفقه في الدين.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَاماً وَيَضْعُ بِهِ آخَرِينَ». مسلم برقم (٨١٧).

وقال سفيان الثوري : أرفع الناس منزلةً عند الله من كان بين الله وبين عباده، وهم الأنبياء والعلماء. فالعلم غنى بلا مال، ونمو بلا عشيرة، وسلطان بلا رجال.

قال بعض العلماء: لا ينال العلم مُستَحٍ، ولا متكبر. فهذا يمنعه حياؤه من التعلم،

وهذا يمنعه كبره. وخير خصال الرجل السؤال عن العلم. وإذا جلست إلى عالم فسأل تفقها لا تعتن، أي: مستفسراً لا مختبراً له.

### **مراتب العلم: وللعلم ست مراتب:**

أولها: حُسن السؤال؛ أي: حسن الاستفسار.

الثانية: حُسن الإنصات والاستماع؛ أي: التأدب في الاستماع والإنصات.

الثالثة: حُسن الفهم؛ أي: الحرص على الفهم الصحيح من العلماء.

الرابعة: حُسن الحفظ؛ أي: حفظ العلم والمعلومات.

الخامسة: التعليم؛ أي: يُعلّم غيره ما تعلّمه إن استطاع ولو في دائرة مسئوليته.

السادسة: العمل به ومراعاة حدوده، وهو ثمرة العلم.

وقد يحرّم الإنسان العلم بسبب عدم سؤاله، أو لأنّه يسأل عن أشياء ليست مهمة ولا هي أساسية مما يجب عليه معرفته ويهمّ بفضول الكلام كحال كثير من الجهال، أو يحرّم العلم لسوء استماعه وإنصاته، فيُكثر الكلام أمام العلماء والجدال والمماراة.

قال ابن جرير : لم تستخرج العلم الذي استخرجت من عطاء إلا برفقي به.

وقال بعض السلف : إذا جالست العالم فكُنْ على أن تسمع أَحْرَصَ منك على أن تقول.

### **فقد يحرّم العبد العلم من ستة وجوه:**

أحدها: ترك السؤال؛ أي: ترك الاستفسار.

الثاني: سوء الإنصات وعدم إلقاء السمع.

الثالث: سوء الفهم؛ ولهذا يحتاج أن يراجع فهمه مع أستاذه وشيخه.

الرابع: عدم الحفظ؛ أي: إهمال الحفظ للعلم.

الخامس: عدم نشره وتعليميه، فيُبتلي بنسانيه وذهابه منه، وهو جزءٌ من جنس العمل.

السادس: عدم العمل به، وإنسيه؛ قال بعض السلف: كنا نستعين على حفظ العلم

بالعمل به.

والعلم يبعث على الجرأة والشجاعة، كهدهد سليمان الذي تجرأ على سليمان بسبب علمه؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَقَدَّمَ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِكَ لَا أَرَى الْمَهْدُهُ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَاكِيرِ﴾ ﴿٢٠﴾ لَا عِذْنَةُ، عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا ذَنْبَهُ أَوْ لِيَأْتِيَقِ سَلَطْنَ مُثِينِ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَاطْتُ بِمَا لَمْ تُسْطِعْ بِهِ وَجَثَتْكَ مِنْ سَيِّئِ بَنَلَ يَقِينِ﴾ ﴿٢٢﴾

[النمل: ٢٠-٢٢].

قال سفيانُ الثوريُّ : ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحت فيه النية.

قال رسول الله ﷺ : «**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيشَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**» [ابن ماجه برقم (٢٤٤)، صحيحه الألباني]

(صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٩١٣). فهو فرض عين. وينقسم العلم الذي هو فرض إلى ثلاثة أقسام: اعتقاد وفعل وترك، أو اعتقاد وأمر ونهي.

### العلوم الشرعية:

الأول: الأصول وهي أربعة: كتاب الله، وسنة رسوله الكريم ﷺ وإجماع الأمة، والقياس.

الثاني: الفروع: أحدها المتعلق بمصالح الدين ويتکفل به الفقهاء، والثاني المتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلوب.

الثالث: المقدمات للعلم: وهي كالآلات للمهنة مثل اللغة والنحو، فإنها وسيلة لتعلم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وليس اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهما.

الرابع: المتممات للعلم: كتعلم القراءات ومخارج الحروف وكالتفسير والناسخ والمنسوخ وأصول الفقه، وكعلم الجرح والتتعديل في معرفة أسماء وأنساب الرجال وصفاتهم.

وكان الصحابة يحتزرون عن الفتوى ولا يحتزرون إذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة. ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رضي الله عنه: مات تسعة أعشاش العلم فقيل له: أتقول ذلك وفينا جُلَّة (أي: معظم) الصحابة؟ فقال: لم أرد علم الفتيا والأحكام، وإنما أريد العلم بالله تعالى.

وكان الشافعي : يقسم ليه ثلاثة أجزاء؛ ثلثاً للعلم وثلثاً للعبادة وثلثاً للنوم وقال: ما شبتت منذ ست عشرة سنة، لأن الشبع يثقل البدن ويُقصي القلب ويزيل الغطة ويجلب النوم، ورأس التعبد تقليل الطعام. وقال : من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا

وحب خالقها في قلبه فقد كذب.

وقال أحدهم للشافعي : تعلّمني مما علمك الله شيئاً؟ فقال لي: اعلم أنَّ من صدَّقَ الله نجا، ومنْ أشْفَقَ عَلَى دِينِه سَلَمَ مِن الرَّدَى (أي: الهلاك)، ومنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا قَرَّت عيناه بما يراه من الشَّوَابِ اللَّه تَعَالَى غَدًا. قال: أَفَلَا أَزِيدُكَ؟ قلت: نعم. قال: مَنْ كَانَ فِيهِ ثَلَاثٌ خَصَالٌ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانُ؛ مَنْ أَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّمَرَ، وَنَهَى عنِ الْمُنْكَرِ وَانْتَهَى، وَحَفَظَ عَلَى حَدُودِ اللَّهِ تَعَالَى. قال: أَلَا أَزِيدُكَ؟ قلت: نعم. قال: كُنْ فِي الدُّنْيَا زَاهِدًا، وَفِي الْآخِرَةِ رَاغِبًا، وَاصْدِقِ اللَّهَ تَعَالَى فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ، تَنْجُ معَ النَّاجِينَ.

وقال أيضًا : من لم يَصُنْ نَفْسَهِ (أي: عن الآثام والخطايا) لَمْ يَنْفَعْهُ عَمَلُهِ.

وقال : وَدَدْتُ أَنَّ النَّاسَ انتَفَعُوا بِهَذَا الْعِلْمِ، وَلَا يَنْسِبُ إِلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ، وَمَا نَاظَرْتُ أَحَدًا قَطْ فَأَحَبَّتُ أَنْ يَخْطُئَ، وَمَا كَلَمْتُ أَحَدًا قَطْ إِلَّا وَأَحَبَّتُ أَنْ يَوْفَقَ وَيَسْدَدَ وَيَعْلَمَ وَيَكُونَ عَلَيْهِ رِعَايَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَحْفَظَ، وَمَا كَلَمْتُ أَحَدًا قَطْ وَأَنَا أَبَالِي أَنْ يَبْيَنَ اللَّهُ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِي أَوْ عَلَى لِسَانِهِ، وَمَا أَوْرَدْتُ الْحَقَّ وَالْحَجَّةَ عَلَى أَحَدٍ فَقَبْلَهَا مِنِي إِلَّا هَبَتهُ وَاعْتَقَدَتْ مَحْبَبَتِهِ، وَلَا كَابِرْنِي (أي: تَكْبُرُ عَلَى قَبْولِ الْحَقِّ) أَحَدٌ عَلَى الْحَقِّ وَدَافَعَ الْحَجَّةَ (أي: لَمْ يَقْبِلْهَا) إِلَّا سَقَطَ مِنْ عَيْنِي وَرَفَضَتْهُ.

وكان أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ : يَصِفُ الشَّافِعِيَّ كَالشَّمْسِ لِلْدُنْيَا وَكَالْعَافِيَّةِ لِلنَّاسِ وَمَا مَسَّ  
أَحَدَ مَحْبَرَةٍ إِلَّا وَلِلشَّافِعِيِّ فِي رَقْبَتِهِ مِنَّهُ!

وقيل للإمام مالك : ما تقول يا مالك في طلب العلم؟ فقال: حسن جميل ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزمه.

وكان مالك : فِي تَعْظِيمِ عِلْمِ الدِّينِ مِبَالَغًا، حَتَّى كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَحْدُثَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَوْضِيًّا وَجَلَسَ عَلَى مَقْدِمَةِ فَرَاسِهِ، وَسَرَحَ لَحِيَتِهِ وَاسْتَعْمَلَ الْعَطْرَ وَجَلَسَ عَلَى وَقَارَ وَهِيَةَ، ثُمَّ بَدَأَ فِي سَرْدِ الْأَحَادِيثِ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ (أي: استفسارًا) فَقَالَ: أَحَبُّ أَنْ أَعْظَمَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وقال الإمام مالك : العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية.

وقال الشافعی : يصف مالکا : إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب، وما من أحد أمنُ (أي: صاحب فضل) عليَّ من مالك.

ومما يدل على إرادة مالك : بالعلم وجه الله تعالى واستحقار الدنيا ما روي أنه قال: دخلت على هارون الرشيد فقال: يا أبا عبد الله ينبغي أن تختلف (أي: تأتي) إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ. قال: فقلت: أعز الله مولانا الأمير، إن هذا العلم منكم (أي: يقصد أن العباسين أعمام النبي ﷺ) خرج، فإن أنتم أعزتموه عزًّا، وإن أنتم أذلتموه ذلًّا، والعلم يؤتى ولا يأتي. فقال: صدقت. وقال لأولاده: اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا الموطأ مع عامة الناس.

العلوم المحمودة: وهي الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة. فعن عبد الله بن عمرو يرفعه: «إِنَّمَا الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ أَوْ فَرِيقَةٌ عَادِلَةٌ أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ، وَمَا خَلَاهُنَّ فَهُوَ فَضْلٌ». أبو داود برقم (٢٨٨٥)، وابن ماجه برقم (٥٤) وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع.

أولاً: الفقه: كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقاً على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب؛ ولما قال الله تعالى: ﴿لَمْ قُلْوَ لَا يَفْهَمُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] إنما أراد معانى الإيمان دون الفتاوى.

ولما سُئل الزهرى : أي أهل المدينة أفقه؟ فقال: أتقاهم الله تعالى. فالتفوى هي شمرة الفقه.

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: ألا أنسكم بالفقير كل الفقير؟ قالوا: بل. قال: من لم يفتن الناس من رحمة الله ولم يؤتِسْهم من روح الله، ولم يؤتِنَّهم من مكر الله، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه، ألا لا خير في عبادٍ ليس فيها تفقة، ولا علم ليس فيه تفهم، ولا قراءة ليس فيها ترثٍ.

وسائل فَرَقَ الدِّينِ : الحسن البصري : عن شيء؛ فأجابه، فقال فرقـد: إن الفقهاء يخالفونك! فقال الحسن: ثكلتك أملك فـريقـد، وهـل رأـيت بـعينـيك فـقيـها؟ إنـما الفـقيـه الـزاـهد فـي الدـنيـا، الـراـاغـب فـي الـآخـرـه، الـبـصـير بـديـنه، الـمـداـوم عـلـى عـبـادـه رـبـه، الـورـع،

**الكاف نفسه عن أعراض المسلمين، العفيف عن أموالهم، الناصح لجماعتهم.** ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى.

ومع أن الفقه يتضمن - لا شك - معرفة الفتاوى في الأحكام الظاهرة المختلفة ولكن على وجه العموم، أما تخصيص اسم الفقيه على الفتوى فقط، فهذا تلبيس على الناس وصرف لهم عن علوم الآخرة، وأما الفتوى فلعلها توصل صاحبها إلى المراتب العالية في الجاه والمال ما يتعذر ذلك في علوم الآخرة.

**ثانياً: العلم:** قد كان يطلق ذلك على معرفة الله تعالى وأياته وأفعاله في عباده وخلقه، ولهذا مات عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ابن مسعود رضي الله عنه: **مات تسعة عشر العلم.**

ومع ذلك خصصوا العلم بالتناظر مع الخصوم في المسائل الفقهية.

**ثالثاً: التوحيد:** كان العلم بالقرآن هو العلم كله، وأن الأمور كلها من الله تعالى دون التفات للوسائل والأسباب في الفاعلية، حيث لا تدعو أن تكون أسباباً، بل يعبد ربه عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره وليس اتباع الهوى والمأثورات.

**رابعاً: الذكر والتذكرة:** وهو الترغيب والترهيب والوعظ والإرشاد ودعوة الخلق إلى الله وليس القصص والشطحات. وكان الحسن البصري يتكلم مع الناس في علم الآخرة والتفكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان وكيفية الحذر منها، ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد في شكره، والتنبيه على حقارة الدنيا وعيوبها وخطر الآخرة وأهوالها، وهذا معنى التذكرة المحمودة والدعوة الصحيحة.

ولهذا قال عطاء : **مجلس ذكر يكفر سبعين مجلساً من مجالس اللهو.**

والبعد عن السجع مطلوب والأشعار تكثيرها في المواقع مذموم مع حرصن المتكلم إلا يفتح باباً من التشويش على أذهان وقلوب العامة مما يحير أذهانهم.

وقد حذرنا ابن مسعود رضي الله عنه: **ما حدث أحدكم قوماً بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم.**

وقال عيسى عليه السلام: **لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فظلموه،** كانوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء.

**وَقِيلَ أَيْضًا:** مِنْ وَضْعِ الْحُكْمَةِ فِي غَيْرِ أَهْلِهَا فَقَدْ جَهَلَ، وَمِنْ مَنْعِهَا أَهْلِهَا فَقَدْ ظَلَمَ،  
فَإِنَّ لِلْحُكْمَةِ حَقًّا وَإِنَّ لَهَا أَهْلًا فَأَعْطِ كُلَّ ذِيْ حَقٍّ حَقَّهُ.

وليحذر الواقع والداعي من صرف الألفاظ الشرعية والمعاني الواضحة إلى تأويلات تعارض الشرع والعقل طلبًا لغريب الألفاظ والمعاني وتزيين الكلام للتأثير في القلوب، ذلك لأن الفوس تميل للغريب منه وتأثر له، مع أن في هذا هدمًا للشريعة وإفسادًا للدين، ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري : الذي اشتهر بكثرة وعظه ودعوه للخلق ولأن في هذا أيضًا فقدانًا للثقة في الألفاظ.

**خامسًا: الحكمة:** كانت الحكمة تعني قال الله وقال الرسول وقال العلماء والآن صارت تؤخذ من أفواه علماء السوء، واعلم أخي أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «بِدأَ الإِسْلَامَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدأَ فَطَوِيَّ لِلْغَرِيَابِ» قيل: يا رسول الله، من الغرباء؟ قال: «الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتي والذين يحيون ما أماتوه من سنتي». مسلم برقم (٢٣٢).

والغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير، من يبغضهم في الخلق أكثر من يحبهم؛ ولذلك قال سفيان الثوري : إِذَا رأَيْتَ الْعَالَمَ كَثِيرَ الْأَصْدَقاءِ (أي: وهذا غير كثرة الأتباع) فاعلم أنه مُخْلَطٌ (أي: يفعل الخير مع الشر) لأنه إن نطق بالحق أبغضوه.

### آفات العلم :

**روى الحسن :** يرفعه البعض: «العلم علمنا: علم في القلب فذاك العلم النافع، وعلم على اللسان فتلك حجة الله على عباده». الدارمي برقم (٣٧٦)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (١٦٨٦).

**وروي عن أنس** رضي الله عنه **مرفوعًا:** «مَنْ ازْدَادَ عِلْمًا وَلَمْ يَزْدَدْ هُدًى لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بَعْدًا». ابن حمدان في «جزء من الأمالي» برقم (١٤٨).

**وقال عمر** رضي الله عنه: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم. قالوا: وكيف يكون منافقاً علماً؟ قال: عليم اللسان جاهل القلب والعمل.

**وقال الحسن :** لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في

## العمل مجرى السفهاء.

وقال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه: أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه. فقال: كفى بترك العلم إضاعة له.

وقيل لإبراهيم بن عيسية : أي الناس أطول ندما؟ قال: أما في عاجل الدنيا فصانع المعروف إلى من لا يشكره، وأما عند الموت فعالם مفرط.

وقال ابن المبارك : لا يزال المرء عالماً ما طلب العلم فإذا ذُنِنَ أنه قد علم فقد جهل.

وقال الحسن : عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة.

وإنما يضاعف عذاب العالم في معصيته لأنَّه عصى عن علم؛ لذلك قال الله تعالى:  
**﴿إِنَّ الْمُنْتَقِبِينَ فِي الدَّرَكِ أَلَّا سَفَلِيْلُ مِنَ النَّارِ﴾** [السَّلَامُ ١٤٥]؛ لأنهم جحدوا الحق بعد العلم به وكذلك جعل اليهود شرّاً من النصارى مع أنهم ما جعلوا الله تعالى ولداً ولا قالوا: ثالث ثلاثة إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة فقال الله تعالى: **﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكُفَّارِ﴾** [آل عمران: ٨٩].

قال يحيى بن معاذ الرazi : إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طُلب بهما الدنيا.  
وكتب رجل لأخيه: إنك قد أُوتيت علماً، فلا تُطْفِئْنَ نُورَ عِلْمِك بظلمة الذُّنوب،  
فبقى في الظُّلْمَةِ يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم.

واعلم أن الجاه، وهو المكانة في قلوب الناس، أَضَرَّ على العلماء من المال؛ لأن التلذذ بتعليم الناس ومنصب الإرشاد الذي يتولاه المعلم أعظم لذة من كل تنعم في الدنيا، ومن هنا فقد استعجب لشهوته فهو من أبناء الدنيا.

يقول سفيان الثوري : فتنَة التحدث للناس أشد فتنَة من الأهل والمال والولد.  
وقال عيسى عليه السلام: كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه؟ وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به؟!  
وقال صالح بن كيسان البصري : أدركتُ الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر  
العالم بالسنة.

وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد. فقال عَجَلَ في علماء الدنيا: **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيقَاتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتَبِعُنَّهُمْ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُونُونَهُمْ فَنَبَدُوهُ وَرَأَهُ ظُهُورُهُمْ وَأَشْرَقُوا بِهِ مَنَّا قَلِيلًا فِي نَسَقٍ مَا يَشْرُونَ﴾** [آل عمران: ١٨٧]. وقال تعالى في علماء الآخرة: **﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ خَلْقَنِينَ لَهُ لَا يَشْرُونَ إِعْيَاتِ اللَّهِ ثُمَّ كَاقِلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾** [آل عمران: ١٩٩].

واعلم أن من فتنة العالم أن يقع في حب الكلام أكثر من حبه للاستماع والتعلم.

قال حاتم الأصم : ليس في القيامة أشد حسرةً من رُجُلٍ عَلَمَ النَّاسَ عَلَمًا فعملوا به ولم يعمل هو به، ففازوا بسيبه وهلك هو.

وقال حذيفة : إنكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك وسيأتي زمان من عمل فيه عشر ما يعلم نجا.

وقال كعب : يكون في آخر الزمان علماء يُزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون، ويُخوفون الناس ولا يخافون، وينهون عن غشيان (أي: كثرة التردد والدخول على) الولاة ويأتونهم، ويُؤثرون الدنيا على الآخرة يأكلون بأسنتهم، يقربون الأغنياء دون الفقراء، يتغایرون (أي: يتحاسدون غيرة) على العلم كما تتغایر النساء على الرجال؛ يغضب أحدهم على جليسه إذا جالس غيره، أولئك الجبارون أعداء الرحمن.

وقال الحسن : تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوها، فإن السفهاء همّتهم الرواية (أي: حفظ الأحاديث وروايتها فقط ليظهر علمهم) والعلماء همّتهم رعاية العمل بما في العلم والقيام عليه عملاً ونشرًا.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: نزل القرآن ليُعمل به فاتخذتم دراسته عملاً.

والعالم الذي لا يعمل كالمريض الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف لذيد الطعام ولا يجده. إن التجمل والتزيين بالمباحات ليس بحرام، ويحسن من أهل العلم إلا يخوضوا فيه ولا يركنا إليه؛ فقد يدعوك إلى الأنس به والتمسك بذلكه حتى يصعب تركه، وهو خلاف الرهد.

وقد حُكِيَ أن يحيى بن يزيد : كتب للإمام مالك : أما بعد، فقد بلغني أنك تلبس الرّاقق (أي: اللباس الناعم)، وتأكل الرّاقق (أي: الأكل الشهي الرفيع المستوى)، وتجلس على الوطاء (أي: المراتب والوسائل اللينة)، وتجعل على بابك حجاباً (أي: حيث يدخل الناس بالإذن)، وقد جلست مجلس العلم، وضربت إليك آباط المطي (أي: الإبل والخيول)، وارتحل إليك الناس، فاتخذوك إماماً، ورضوا بقولك، فاتق الله يا مالك، وعليك بالتواضع، كتبت إليك بالنصيحة مني كتاباً، ما اطلع عليه إلا الله، والسلام.

فكتب إليه مالك : بسم الله الرحمن الرحيم، من مالك بن أنس إلى يحيى ابن يزيد، سلام عليك؛ أما بعد، فقد وصل إليك كتابي، فوقع مني موقع النصيحة من المشيق، أمتلك الله بالتقوى، وجزاك وحولك (أي: متعمد) بالنصيحة خيراً، وأسأل الله التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأما ما ذكرت من أنك أكل الرّاقق، وتلبس الرّاقق، وأجلس على الوطاء، فنحن نفعل ذلك ونسعفه تعالى، وقد قال الله سبحانه: ﴿فَلْمَنْ حَرَمَ زِيَّةَ اللَّهِ الْعَلِيقَ أَخْرَجَ لِعَادَ وَالْأَطْبَئَتِ مِنَ الْرِزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وإنني لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه، فلا تدعنا من كتابك، فإننا ليس ندعوك من كتابنا والسلام.

وقال أبو ذر لسلمة رضي الله عنه: يا سلمة لا تغش (أي: لا تتردد كثيراً على) أبواب السلاطين؛ فإنك لا تصيب من دنياه شيئاً إلا أصابوا من دينك أفضل منه.

وفي هذا طلب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه من الحسن : أما بعد، فأشر عليَّ بأقوام أستعين بهم على أمر الله تعالى (أي: يقصد توظيفهم على الولايات والأموال). فكتب إليه الحسن: أما أهل الدين فلا يريدونك (أي: يخافون القرب من السلطان) وأما أهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالأشراف (أي: أصحاب النسب والشرف) فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة.

والناس في الفتوى مختلفون، فهذا ابن عمر يسأل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة وي Sikka عن تسعة، وأما ابن عباس فيجيب عن تسعة وي Sikka عن واحدة. وكان شغل الصحابة والتابعين في خمسة أشياء: قراءة القرآن، وعمارة المسجد، وذكر الله تعالى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

واعلم أنه إذا كثر العلم عند العبد قلَّ كلامه وإذا كثر كلامه قلَّ علمه.

وقال عمر رضي الله عنه: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تعلمون منه ولি�تواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبارة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم.

ويقال في الأثر: ما آتى الله عبداً علمًا إلا آتاه معه حلمًا وتواضعًا وحسن خلق ورفقاً فذلك هو العلم النافع.

وقال الحسن : الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله.

وقيل: إذا جمع المعلم ثلاثة تمت النعمة بها على المتعلم: الصبر، والتواضع، وحسن الخلق، وإذا جمع المتعلم ثلاثة تمت النعمة بها على المعلم: العقل، والأدب، وحسن الفهم.

وقال ابن عمر رضي الله عنه: لقد عشنا ببرهة من الدهر وإن أحذنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها، ولقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمه لا يدرى ما أمره وما زاجره وما ينبغي أن يقف عنده يتشره نثر الدفل.

وكان يقال: فلان من أوعية العلم؛ فلا يسمى عالماً إذا كان من شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار.

وقال بعض السلف: ما جاءنا عن رسول الله ﷺ قبلناه على العين والرأس وما جاءنا عن الصحابة ﷺ فنأخذ منه ونترك، وما جاءنا عن التابعين منهم رجال ونحن رجال.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أنتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم، وسيأتي زمان يكون العلم فيه تابعاً للهوى، واعلم أن الحق ثقيل فمن جاوزه فقد ظلم ومن قصر عنه فقد عجز ومن وقف معه فقد اكتفى.

**العلم للتدين والعلم للتخصص:**

**روى الحسن** : ويرفعه البعض: «العلم علماً: علم في القلب فذاك العلم

**النافع، وعلم على اللسان فتلك حجة الله على عباده**. الدارمي برقم (٣٧٦)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (١٦٨٦).

**وروي عن أنس رضي الله عنه يرفعه: «من ازداد علمًا ولم يزد هدئ لم يزد من الله إلا بعدًا»**. ابن حمدان في «جزء من الأمالي» برقم (١٤٨).

**وقال عمر رضي الله عنه: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم. قالوا: وكيف يكون منافقاً عليماً؟ قال: عليم اللسان جاهل القلب والعمل.**

### **أصل العلم للتدبر:**

علم الله تبارك وتعالى آدم الأسماء كلها ليصير عبداً ربانياً متديناً، فالمعنى المقصود هو التقوى والخوف من الله والبعد عن المعاصي. فيها هو إبليس الذي كان يطوف بين الملائكة وكان في العلم كما قال أهل العلم:

**لو كان في العلم دون التقى شرفُ  
لكان أشرف خلق الله إبليس**

فلم ينفعه علمه؛ لأنَّه لم يكن متحللاً بالتقى؛ أي: لم يكن متديناً كما يقول العامة. وهؤلاء علماء بني إسرائيل، كانوا علماء في كتابهم، وكانوا أفضل علماء من المشركين، لكنهم رفضوا الحق مع علمهم، وقال الله تبارك وتعالى فيهم: ﴿أَوَرَّ يَكْنِمُ  
لَمَّا آتَيْهُ أَنْ يَعْلَمُهُ عَلَمَتُو بَعْنَ إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧]، وقال في حقهم أيضاً: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ  
النَّاسَ عَلَى مَا آتَيْهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَاهُمْ أَلَّا يَرَهِمُمْ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا  
عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]. فوقعوا في الحسد والضلالة، على الرغم من علمهم، فمع أنهم أهل تخصص إلا أن ذلك لم يشفع لهم لمعاندهم للقوى والتدين.

وهذا أمية بن الصيل من الطائف ومن كبار العرب، كان يعتقد أن هناك من يأتي في آخر الزمان في تلك البقعة المباركة، ويظن أنه هو المؤهل لتلك النبوة لما له من الشرف والمكانة في قومه، فلما رآها جاءت في بني هاشم لمحمد بن عبد الله رضي الله عنه حسد ورفض. فمع علمه لم يقبل الحق، وفي ذلك دليل على أن علمه لم يشفع له بدون أن

يكونَ تقيًّا. وفي قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَحَمَدُوا بِهَا وَاسْتَيقَنُتْهَا أَنفُسُهُمْ ظَلَّمًا وَعُلُّوا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَنْقَبَةُ الْمُقْسِيدِينَ﴾ [النمل: ١٤]؛ فالأصل في الناس أن يتعلموا ليعيشوا في تقوٍ وصلاح.

فالإنسان يحتاج إلى صالة الألعاب الرياضية (الجيم) لتحسين الصحة والجسم وحركة الحياة، ولا يشترط بالضرورة فيمن يدخل تلك الصالة ويمارس تلك الألعاب أن يكون طبيًا أو عالماً بالطب حتى تحسن صحته وجسمه، وإنما عليه أن يتبع متدربيًّا ليس بالضرورة أن يكون طبيًّا أيضًا، بل سبق له أن تدرب وأصبح في ذلك قديمًا عالماً بعض الألعاب والحركات والمعلومات التي يعرفها عامةً من دخلوا في تلك الصالات؛ ليساعد غيره في الوصول إلى الصحة والجسم المناسب.

كما أنه لا يُشترط فيمن يدخل كلية الطب أن يكون مفتول العضلات ذا صحة سليمة مائة بالمائة، ولا أن يكون من ملوك كمال الأجسام. ومن البديهي أن الناس يحتاجون في علاج أمراضهم إلى الأطباء والعلماء المتخصصين لما يعلمون من فضلهم وكرامتهم، كذلك يحتاجون إلى علم الأنبياء وأهل الفقه والصلاح ليخرجوهم من أمراض القلوب إلى رحمة الله الواسعة.

ومن المعلوم أن أهل العلم النافع الشريف أصحاب التخصص يحملون أشرف العلوم، فعليهم كذلك أن يتحلوا بالتقوٍ والصلاح ليغزوا في الدارين.

فلا يحتاج الناس عند العلاج أن يكونوا أطباء، بل يحتاجون إلى أن يذهبوا إلى أماكن تساعدهم على الصحة العامة، فإذا احتاجوا إلى علاج خاص فيذهبون إلى أهل التخصص في المشافي ودور العلاج الخاصة التي قد تقوم بعض الجراحات. ولا يحتاج الأطباء أنفسهم إلى أن يكونوا أصحاء حتى يكونوا أطباء مميزين في مهنتهم، فقد يكون الطبيب عليًّا ولكنَّه ماهر في تخصصه يتتفق به الكثير من الناس.

فطلب العلم للتدين هو الأصل، أما طلبه للتخصص فحسب حاجة الناس

وقدرة من نراه مؤهلاً لذلك، فلا يشترط فيمن يريد أن يكون حافظاً لكل العلوم أو المتون الدينية المتخصصة، ولا أن يكون فقيهاً متخصصاً في الأحكام ليصبح متديناً، فحفظ اليسير من الدين بشكل صحيح قد ينجو به العبد يوم القيمة. فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه يرفعه: «مَنْ حَفِظَ عَلَىٰ أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا مِّنْ أَمْرِ دِينِهَا بَعَثَهُ اللَّهُ رَبُّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي زَمْرَةِ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ». ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» برقم (٢٠٩).

ولما كان الإسلام يدعونا إلى عبادة الله تعالى وعمارة الأرض وتركية النفوس، كان من الطبيعيٍّ ألا نكلف جموع الناس من العوام بالتفرغ لطلب العلم الشرعي المتخصص مما قد يحول بينهم وبين وظائفهم وأعمالهم وسعدهم على أرزاقهم وأولادهم مما يسرهم الله لذلك من أصحاب المهن والحرف التي تقوم بهم حياة الناس من فروض الكفايات وغيرها، التي كلفنا الله تعالى نحن البشر في أن نجتهد من خلالها لنحصل على أرزاقنا حيث جعل كل امرئ ميسراً لما خلق له.

ولما أن دفعنا العوام ممن لا طاقة لهم بطلب العلم المتخصص ورغبتنا في الخوض في طلب ذلك وحفظ المتون المختلفة حدث أمران:

أولهما: جرأنا هؤلاء العوام على اقتحام أمهات كتب العلم الشرعية التي يقف أمامها فحول العلماء متأدبين متفكرين متبعين. فنظروا فيها مع قلة بضاعتهم في الفهم والتحصيل، فعابوا عليها وتجربوا على نقدها بسبب جهلهم وبسبب دفعنا لهم. وذلك مثل صحيحي البخاري ومسلم وسائر الكتب الشرعية المتخصصة، إنما بدعوتنا لذلك قد أهدرنا قيمة العلم؛ حيث وضعناها فيمن لا يجوز أن نضع له ذلك، وفي ذلك إهانة كبيرة للعلم الشرعي.

قال عيسى عليه السلام: لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فظلموها، ولا تمنعوها أهلها فظلموهم، كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء.

وقيل أيضًا: من وضع الحكمة في غير أهلها فقد جهل، ومن منعها أهلها فقد

ظلم، فإن للحكمة حُقًّا وإن لها أهلاً فأعط كل ذي حق حقه.

قال الإمام أحمد: لا ينبغي أن يُحدِّث (أي: علم الحديث) من لا يستأهل (أي: من ليس أهلاً لذلك).

قال مالك رحمه الله: ذل وإهانة للعلم أن تتكلم به عند من يضيعه.

فالعلم كالسيف إن أعطيته لعبدٍ تقىٌ قاتل به في سبيل الله نشرًا وهداية، وإن ألقيته لعبدٍ شقي قطع به الطريق وأضل عباد الله ضلاله وغواية.

قال عكرمة رحمه الله: إن لهذا العلم ثمنا. قيل: وما هو؟ قال: أن تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه.

وقد قيل: لا تمنعوا العلم أهله فتظلموه، ولا تضعوه في غير أهله فتأثموا.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: واضع العلم في غير أهله كمقلد الخنازير اللؤلؤ والجوهر والذهب». رواه ابن ماجه.

وتلك آفة نعاني منها الآن، من تجربة العوام على أمهات الكتب والعلم الشرعي الرفيع بسبب دفع غير العقلاة لهم في تقلد علم ليسوا به بأهل، وإنما كان يكفيهم كما قال الإمام مالك ما يحتاج المرء إليه في اليوم والليلة.

والأمر الثاني: أننا حينما دفعنا العوام وأدخلناهم في دائرة التخصص في العلوم الشرعية وهم غير مؤهلين لذلك، فإنما قد جرأناهم أيضًا على أهل العلم المتخصصين، وبسبب جهل هؤلاء العوام وقلة بضاعتهم تجرءوا على أهل العلم ورمونهم بالزنقة، إذ مع التفاوت البائن في القدرة على الفهم وتحصيل العلوم والمعارف بين أهل العلم الذين سلكوا المسلك الصحيح والمبكر للعلم الشرعي في معاقله، وبين الذين اقحموا العوام في أماكن قد لا تكون مهيئة أصلًا كذلك لتعليمهم ما يحتاجون، مع عدم قدرتهم على استيعاب مدركات هؤلاء العلماء،

فسرعوا إلى رميهم بالزنقة وقلة العلم والضلال وغير ذلك من ظواهر التبديع التي عمت بها البلوى في عصرنا الحالي. فالمطلوب في الحقيقة تعليم الناس كيف يكونون متدينين، أما تعليم الناس للتخصص فله قنواته التي يجب أن تحرر.

وعلينا أن ننشر علم التدين داخل مساجدنا وبيوتنا لصلاح قلوبنا وجوارحنا، مستعملين في ذلك الكتب البسيطة التي تناسب العوام والتي ألفها أهل العلم الفحول يتغرون بها توصيل تلك العلوم البسيطة إلى سائر الأمة حيث كفوفهم البحث والتنقيب وسهلوال لهم أن يكونوا من الصالحين، مثل كتاب رياض الصالحين هذا للعلامة الإمام النووي وغيره من الكتب النافعة لعموم المسلمين جميعاً. ولنجعلها كأنها صالات دينية يتريض فيها المسلمون ويُعلم فيها كل فرد أخيه ما تعلمه ليشد أزره ويرفع مكانته أمام الله تبارك وتعالى، كما كان يفعل سائر الصحابة الكرام.

فلا يجوز تعليم علم الطب والجراحة التخصصي في الصالات الرياضية، وإنما في كلياته ومعامله وأماكنه المتخصصة، كما لا يجوز أيضاً أن نعلم علوم الدين في غير مواضعه ولا على يد غير المؤهلين لذلك. وإنما على كلولي أمر أو أب أو مسئول أن يعلم من حوله كيف يكون إنساناً متديناً خلوقاً يحسن أن يعيش في مجتمعه بشكل حضاري راق.

وهذا هو الإمام الشافعي رضي الله عنه: جاءه من يطلب علمًا فبالنظر إلى حاله وجهه إلى ما يحتاجه من التدين لا من التخصص، حيث روي أنه قال أحدهم للشافعي: تُعلّمني مما علمك الله شيئاً؟ فقال لي: اعلم أن من صدق الله نجا، ومن أشفق على دينه سليم من الردى (الهلاك)، ومن زهد في الدنيا قررت عيناه بما يراه من الثواب لله تعالى غداً. قال: أفلأ أزيدك؟ قلت: نعم. قال: من كان فيه ثلات خصال فقد استكمل الإيمان: من أمر بالمعروف واتمر، ونهى عن المنكر وانتهى، وحافظ على حدود الله تعالى. قال: ألا أزيدك؟ قلت: نعم. قال: كُنْ في الدنيا زاهداً، وفي الآخرة راغباً، واصدق الله تعالى في جميع أمورك، تَنْجُ مع الناجين.

وقيل للإمام مالك : ما تقول يا مالك في طلب العلم؟ فقال: حسن جميل ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تسمى فالزمه.

وقال الإمام مالك : العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية.

\* \* \*

## ١٣ - كتاب حمد الله تعالى وشكره

### ٤٤٢ - باب فضل الحمد والشكر

قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [١٥٢] [البقرة: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [٧] [إبراهيم: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [١١١] [الإسراء: ١١١].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَيْهِ دَعَوْهُمْ أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٠] [يونس: ١٠].

(١٣٩٣) / ٢٤٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتَى لِيَلَةً أُسْرِيَ إِلَيْهِ بِقَدَّحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَبَيْنَ فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَخَذَ الْبَيْنَ. فَقَالَ جَبَرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ، لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَّتْ أُمَّتَكَ . رواه مسلم.

(١٣٩٤) / ٢٤٢) وعن رسول الله صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ (أي: شريف مهم به) لا يُبْدِأ فِيهِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ فَهُوَ أَقْطَعُ (أي: مقطوع البركة)». حديث حسن، رواه أبو داود وغيره.

(١٣٩٥) / ٢٤٢) وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا ماتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةً فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ (أي: قال: إِنَّا لِهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ابْنُوا عَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(١٣٩٦) / ٢٤٢) وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُرْضِي عَنِ الْعَبْدِ يَأْكُلُ الْأَكْلَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا». رواه مسلم.

## ١٤ - كتاب الصلاة على رسول الله

### ٢٤٣ - باب الأمر بالصلاحة عليه وفضلها وبعض صيغها

قالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَكِيدُهَا الظَّرِفُ مَأْمُونًا صَلَوَاتُهُ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ وَسَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

(٢٤٣ / ١٣٩٧) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص : أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا». رواه مسلم.

(٢٤٣ / ١٣٩٨) وعن ابن مسعود رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَةً». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٤٣ / ١٣٩٩) وعن أُوسَ بْنِ أُوسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ». قَالَ : قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعَرِّضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرْمَتَ (أي : صرَتْ تَرَابًا كَالْمِيمِ)؟! قَالَ : يَقُولُ بَلِيتَ. قَالَ : «إِنَّ اللَّهَ حَرَمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَبِيَاءِ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٢٤٣ / ١٤٠٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «رَغْمَ أَنْفُ رَجُلٍ (أي : أَلْصَقَ أَنْفَهُ بِالْتَّرَابِ ذَلِّاً) ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٤٣ / ١٤٠١) وعنه رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٢٤٣ / ١٤٠٢) وعنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرَدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٢٤٣ / ١٤٠٣) وعن علي رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدُهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٤ / ١٤٠٤) وعن فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللَّهَ تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «عَجِلَ هَذَا». ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ - أَوْ لِغَيْرِهِ : «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلَيَدْعُ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، وَالشَّاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَدْعُ بَعْدِ بِمَا شَاءَ». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٤٣) وعن أبي محمد كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: خرج علينا النبي صلوات الله عليه وسلام فقلنا: يا رسول

الله، قد علمتنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلّى علىك؟ قال: «قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَحِيدٌ. اللَّهُمَّ بارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَحِيدٌ». متفق عليه.

(٤٣) وعن أبي مسعود البدرى رضي الله عنه قال: أتانا رسول الله صلوات الله عليه وسلام ونحن في مجلس سعد بن

عبدة رضي الله عنه، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله تعالى أن نصلّى عليك يا رسول الله، فكيف نصلّى عليك؟ فسكت رسول الله صلوات الله عليه وسلام، حتى تمنينا أنه لم يسأل، ثم قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَحِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ». رواه مسلم.

(٤٣) وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله كيف نصلّى عليك؟ قال:

«قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَحِيدٌ». متفق عليه.

\* \* \*

### واجب الأمة نحو المصطفى صلوات الله عليه وسلام

إن الله اصطفى لهذه الأمة نبيها الكريم سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلام، ليكون آخر رسالات السماء إلى الأرض، وألزمهم بأمور تجاه نبيهم الكريم صلوات الله عليه وسلام.

وأول هذه الواجبات: هو وجوب الإيمان به، وفرضته عليها وعلى الناس جميعاً، فمن يدخل الجنة إلا من آمن به، وهذا أمر قطعي لا جدال فيه، ومن شك في ذلك فقد رفض أمر الله وكفر به؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٣٦]، وقال الله تعالى أيضًا: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكُفَّارِ سَعِيرًا﴾ [الفتح: ١٣] والأحاديث في ذلك كثيرة.

وثاني هذه الواجبات: هو وجوب الطاعة له والاتباع والانقياد لستنه من أقوال وأفعال

وتقديرات، كما قال الله تعالى: ﴿ وَاطِّعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وقال عليه السلام: «مَنْ أَحْيَا سُتْرَيْ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ»، وقال أيضًا: «مَثِيلِي كَمَنْ بَنَى دَارًا وَجَعَلَ فِيهَا مَادِبَةً، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَادِبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحِبِّ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ (أي: الجنة) وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَادِبَةِ (أي: نعيم الجنة)». ١٣٢

**وثالث هذه الواجبات: التحذير من مخالففة أمره وتبديل سنته الشريفة؛ فإن الصحابة الكرام وهم أجل الناس وأفضالهم، لما خالف بعضهم أمره في غزوة أحد حدثت لهم محنّة عظيمة قُتل فيها سبعون شهيداً وجُرح مئتهم؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَلَيَحْذِرُ الَّذِينَ يُخَالِقُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فَسْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقال عن نفسه عليه السلام: ﴿كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبْيَى﴾. قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: ﴿مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدَ أَبْيَى﴾. وقال أيضاً عليه السلام: ﴿كَفَى بِقَوْمٍ حُمْقاً أَوْ ضَلَالاً، أَنْ يَرْغُبُوا عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ عَيْرَ نَبِيِّهِمْ أَوْ إِلَى كِتَابٍ غَيْرَ كِتَابِهِمْ﴾.**

وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ (أي: أضل).

**رابع هذه الواجبات:** لزوم محبة رسول الله ﷺ؛ فقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ كَانَ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَلَا خَوْنَكُمْ وَلَا زَوْجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ أَقْرَافِهِمُوا هَا وَتَحْتَهُ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَكِنُ تَرْضُونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَرَسُولُهُ وَجْهًا دِفْنِ سَيِّلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْفَى اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [التوبه: ٢٤]، وقال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»، وقال أيضًا ﴿ مِنْ أَشَدَّ أَمْتَى لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوْدُ أحْدُهُمْ لَوْ رَأَيْهُ وَمَالَهُ ﴾ [عن أبي هُرَيْرَةَ].

وَإِنْ مَنْ عَلَامَاتٍ حَبَّهُ أَنْ يَكُونَ حَبَّهُ مُقَدَّمًا عَلَىٰ كُلِّ حُبٍّ، وذلك بحرص المحب على الاقتداء به واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامرها واجتناب نواهيه والتآدب بآدابه في كل عسر ويسر، وحتى في حال النشاط والتعب، وشاهد هذا قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُجْبِونَ اللَّهَ فَأَنِّي عُونِي مُحَبُّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وتفضيل شرعه أيضاً وتقديمه علىٰ هوٰ نفسه.

وكذلك من علامات المحبة كثرة ذكره هو وسيرته الشريفة، فمن أحب شيئاً أكثر ذكره. ومنها كثرة الشوق إلى لقائه والقرب منه يوم القيمة فكل حبيب يحب لقاء حبيبه ومن عالمة حبه أيضاً بعض وكراه من أغض الله ورسوله والبعد عن من خالفة سنته الشريفة عَزَّلَهُ اللَّهُ عَزَّلَهُ.

**خامس هذه الواجبات:** وجوب النصح له عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما ورد في الحديث: **«إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ»**. قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: **«الله ولرسوله ولكتابه ولأئمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وعامتهم»**. ومعنى النصح له: هو التصديق بأنه نبئ آخر الزمان، وبأن نصره ونؤازره ونحميه ونحمي شرفه وعرضه، سواء كان حياً أو ميتاً، والعمل على إحياء سنته والدفاع عنها، ونشرها، والتخلق بأخلاقه الكريمة وأدابه الجميلة.

وأما نصيحة المسلمين بعد وفاته فالالتزام التوقير والإجلال، والرغبة له، والمواظبة على تعليم سنته، والتفقه في شريعته، والمحبة لآل بيته وأصحابه، ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه، والشفقة على أمته، والبحث عن تعرف أخلاقه وسيرته وأدابه والصبر على ذلك.

**سادس هذه الواجبات:** وجوب تعظيم شأنه وتقديره والبر به، فقد كان عَلَيْهِ السَّلَامُ يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس، وفيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم إليه بصره مهابة له إلا أبو بكر وعمر، فانهما كانا ينظران إليه وينظر اليهما، ويتسماان إلى وبيتسما إلي وبيتسما اليهما.

**وهذا عمرو بن العاص** عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: **ما كان أحد أحب إلىَّ من رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ ولا أجلَّ** (أي: أعظم) في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه (أي: احتراماً ومهابة له).

ومن تعظيم شأنه وتقديره عَلَيْهِ السَّلَامُ توقير أصحابه الكرام ومعرفة حقوقهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والإمساك والسكوت عما وقع بينهم فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«الله الله في أصحابي، لا تَتَخَذُوهُمْ غَرَضاً** (أي: لا تندفهم بالتهم) **بعدي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فِي هُبُّهُمْ،** ومن أبغضهم **فِي هُبُّهُمْ** أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، فيوشك أن يأخذه». وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«لَا تَسْبُوا أصحابي، فَوَالذِّي نَفْسِي بِيدهِ لَوْ أَنْفَقْتُ أَحْدُكُمْ مِثْلَ أُحْدِ ذَهَبًا ما أَدْرَكَ مُدَّ** (أي: امتلاء كف) **أَحْدُهُمْ وَلَا نصيفه** (أي: نصفه)).

قال الإمام مالك : من أبغض الصحابة وسبهم فليس له في المسلمين شيء ونزع من الإيمان بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوكُمْ مِّنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَإِلَّا خَوْبَنَا الَّذِينَ سَبَّوْنَا بِالْإِيمَانِ وَلَا يَجْعَلُ فُلُوسًا غَلَلًا لِلَّذِينَ مَأْمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]. وقال عبد الله بن المبارك : حصلتان من كانتا فيه نجا: الصدق وحب أصحاب محمد ﷺ.

\* \* \*

## ١٥ - كتاب الأذكار

### ٢٤٤ - باب فضل الذكر والحمد عليه

قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضْرِعًا وَرَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهَرِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا فُؤْدُقُ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا أَعْلَمُكُمْ ثَفِلُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَالَّذِكَرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالَّذِكَرَاتِ أَعْدَ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿يَتَبَاهَى الَّذِينَ مَأْمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَيْرًا وَسَيِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [آل عمران: ٤٢-٤١]، والآيات في الباب كثيرة معلومة.

(١٤٠٨) / ٢٤٤ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «كَلِمَتَانِ حَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ». متفق عليه.

(١٤٠٩) / ٢٤٤ وعن النبي صلوات الله عليه وسلام قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ؛ وَلَا

إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ». رواه مسلم.

(١٤١٠) / (٢٤٤) وعنـهـ: أـنـ رـسـوـلـ اللـهـ قـالـ: «مـنـ قـالـ لـا إـلـهـ إـلـا اللـهـ وـحـدـهـ لـا شـرـيـكـ لـهـ، لـهـ الـمـلـكـ وـلـهـ الـحـمـدـ؛ وـهـوـ عـلـىـ كـلـ شـيـءـ قـدـيرـ، فـيـ يـوـمـ مـائـةـ مـرـأـةـ كـانـتـ لـهـ عـدـلـ عـشـرـ رـقـابـ (أـيـ: رـقـابـ جـمـعـ رـقـبـةـ وـالـمـقـصـودـ بـهـ هـاـ العـيـدـ) وـكـتـبـتـ لـهـ مـائـةـ حـسـنـةـ، وـمـحـيـتـ عـنـهـ مـائـةـ سـيـئـةـ، وـكـانـتـ لـهـ حـرـزاـ مـنـ الشـيـطـانـ يـوـمـهـ ذـلـكـ حـتـىـ يـمـسـيـ، وـلـمـ يـأـتـ أـحـدـ بـأـفـضـلـ مـمـا جـاءـ بـهـ إـلـا رـجـلـ عـمـلـ أـكـثـرـ مـنـهـ». وـقـالـ: «مـنـ قـالـ: سـبـحـانـ اللـهـ وـبـحـمـدـهـ، فـيـ يـوـمـ مـائـةـ مـرـأـةـ، حـطـتـ خـطـايـاهـ، وـإـنـ كـانـتـ مـثـلـ زـيـدـ الـبـحـرـ (أـيـ: الزـيدـ هـوـ مـا يـعـلـوـ المـاءـ وـغـيـرـهـ مـنـ الرـغـوةـ وـالـوضـرـ وـالـخـبـثـ، وـهـوـ هـنـا دـلـالـةـ عـلـىـ الـمـبـالـغـةـ فـيـ الـكـثـرـةـ)». مـتفـقـ عـلـيـهـ.

(١٤١١) / (٢٤٤) وعنـ أـبـيـ أـيـوبـ الـأـنصـارـيـ قـالـ: عنـ النـبـيـ عـلـيـهـ السـلـطـانـ قـالـ: «مـنـ قـالـ لـا إـلـهـ إـلـا اللـهـ وـحـدـهـ لـا شـرـيـكـ لـهـ، لـهـ الـمـلـكـ؛ وـلـهـ الـحـمـدـ، وـهـوـ عـلـىـ كـلـ شـيـءـ قـدـيرـ، عـشـرـ مـرـأـتـ. كـانـ كـمـنـ أـعـتـقـ أـرـبـعـةـ أـنـفـسـ مـنـ وـلـدـ إـسـمـاعـيـلـ». مـتفـقـ عـلـيـهـ.

(١٤١٢) / (٢٤٤) وعنـ أـبـيـ ذـرـ قـالـ: قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ قـلـ: «أـلـا أـخـرـوكـ بـأـحـبـ الـكـلـامـ إـلـىـ اللـهـ؟ إـنـ أـحـبـ الـكـلـامـ إـلـىـ اللـهـ: سـبـحـانـ اللـهـ وـبـحـمـدـهـ». رـواـهـ مـسـلـمـ.

(١٤١٣) / (٢٤٤) وعنـ أـبـيـ مـالـكـ الـأـشـعـريـ قـالـ: قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ قـلـ: «الـطـهـورـ (أـيـ: التـهـيرـ) شـطـرـ (أـيـ: نـصـفـ) الـإـيمـانـ، وـالـحـمـدـ اللـهـ تـمـلـأـ الـمـيـرـانـ، وـسـبـحـانـ اللـهـ وـالـحـمـدـ اللـهـ تـمـلـأـ - أوـ: تـمـلـأـ - مـا بـيـنـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ». رـواـهـ مـسـلـمـ.

(١٤١٤) / (٢٤٤) وعنـ سـعـدـ بـنـ أـبـيـ وـقـاصـ قـالـ: جـاءـ أـعـرـابـيـ إـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ قـلـ: عـلـمـنـيـ كـلـمـاـ أـقـولـهـ. قـالـ: قـلـ لـا إـلـهـ إـلـا اللـهـ وـحـدـهـ لـا شـرـيـكـ لـهـ، اللـهـ أـكـبـرـ كـيـرـاـ، وـالـحـمـدـ اللـهـ كـثـيرـاـ، وـسـبـحـانـ اللـهـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ، وـلـا حـوـلـ وـلـا قـوـةـ إـلـاـ بـالـلـهـ الـعـزـيزـ الـحـكـيمـ». قـالـ: فـهـوـ لـأـءـ لـرـبـيـ، فـمـاـ لـيـ؟ قـالـ: قـلـ: اللـهـمـ اغـفـرـ لـيـ، وـأـرـحـمـنـيـ وـأـهـلـدـنـيـ، وـأـرـزـقـنـيـ». رـواـهـ مـسـلـمـ.

(١٤١٥) / (٢٤٤) وعنـ ثـوـبـانـ قـالـ: كـانـ رـسـوـلـ اللـهـ قـلـ: إـذـاـ نـصـرـافـ مـنـ صـلـاتـهـ اسـتـغـفـرـ ثـلـاثـاـ، وـقـالـ: (الـلـهـمـ أـنـتـ السـلـامـ، وـمـنـكـ السـلـامـ، تـبـارـكـتـ يـاـ ذـاـ الـجـلـالـ وـالـإـكـرـامـ). قـيلـ لـلـأـوـزـاعـيـ - وـهـوـ أـحـدـ رـوـاـهـ الـحـدـيـثـ: كـيـفـ اسـتـغـفـارـ؟ قـالـ: تـقـولـ: أـسـتـغـفـرـ اللـهـ، أـسـتـغـفـرـ اللـهـ. رـواـهـ مـسـلـمـ.

(١٤١٦) / (٢٤٤) وعنـ الـمـغـيـرـةـ بـنـ شـعـبـةـ قـالـ: أـنـ رـسـوـلـ اللـهـ قـلـ: كـانـ إـذـاـ فـرـغـ مـنـ الصـلـاـةـ وـسـلـمـ

قال: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ» (أي: الحظ والعنى والجاه) **منْكَ الْجَدِّ**. متفق عليه.

(١٤١٧ / ٢٤٤) وعن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهم: أنه كان يقول دبر (أي: آخر) كُلُّ صَلَاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِلَيْهِ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الشَّاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ». قال ابن الزبير: وكان رسول الله ﷺ يهَلِّلُ (أي: التهليل هو رفع الصوت) بهنَّ دُبْرَ كُلُّ صَلَاةٍ. رواه مسلم.

(١٤١٨ / ٢٤٤) وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: ذهب أهل الذور بالدرجات العلوى، والنعيم المقيم، يصلون كما نصل، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال، يحجون، ويعتمرون، ويجالدون، ويتصدقون. فقال: «ألا أعلمكم شيئاً تدركون به من بعدهم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟». قالوا: بل يا رسول الله، قال: «تسبّحون، وتحمدون، وتذكرون، خلف كل صلاة ثلاثة وثلاثين». قال أبو صالح الراوي عن أبي هريرة لما سئل عن كيفية ذكرهن قال: يقول: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، حتَّى يكون منهن كُلُّهُنَّ ثالثاً وثلاثين . متفق عليه.

وزاد مسلم في روايته: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: سمعنا إخواننا أهل الأموال بما فعلنا فجعلوا مثله؟ فقال رسول الله ﷺ: «ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ». **«الذور»** جمع دثر - بفتح الدال وإسكان الثاء المثلثة - **وَهُوَ**: المال الكثير.

(١٤١٩ / ٢٤٤) عنه: عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبْرٍ كُلُّ صَلَاةٍ ثالثاً وثلاثين، وَحَمَدَ اللَّهَ ثالثاً وثلاثين، وَكَبَرَ اللَّهَ ثالثاً وثلاثين، وقال: تمام المائة: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ رَبِيدِ الْبَحْرِ». رواه مسلم.

(١٤٢٠ / ٢٤٤) وعن كعب بن عجرة: عن رسول الله ﷺ قال: **«مُعَقَّبَاتُ** (أي: تسبيحات تتعلّق بعقب الصلاة) لا يُحِبُّ قَائِلُهُنَّ - أو فاعلُهُنَّ - دُبْرٌ كُلُّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: ثالث وثلاثون تسبيحةً.

وَثَلَاثُ وَثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعُ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً». رواه مسلم.

(٢٤٤) / **وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه**: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه كَانَ يَتَعَودُ دُبُرَ الصَّلَاةِ بِهُؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجِنِّ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ». رواه البخاري.

(٢٤٤) / **وعن معاذ رضي الله عنه**: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه أَخْذَ بِيدهِ وَقَالَ: «يَا مَعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ». فَقَالَ: «أُوصِيكَ يَا مَعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ». رواه أبو داود بِإِسْنَادٍ صَحِيفٍ.

(٢٤٤) / **وعن أبي هريرة رضي الله عنه**: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه قَالَ: «إِذَا شَهَدَ أَحَدُكُمْ فَلَيَسْتَعِدْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعَ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ». رواه مسلم.

(٢٤٤) / **وعن علي رضي الله عنه**: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهِيدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخْرَتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقْدَمُ، وَأَنْتَ الْمُؤْخَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ». رواه مسلم.

(٢٤٤) / **وعن عائشة رضي الله عنها**: قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّنَا وَرَبِّ حَمْدِنَا، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي». متفق عليه.

(٢٤٤) / **وعنها: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ** (أي: **الْمُسَبِّحُ الْمَقَدَّسُ**) **رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحُ»**. رواه مسلم.

(٢٤٤) / **وعن ابن عباس رضي الله عنهما**: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه قَالَ: «فَآمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِمُوا فِيهِ الرَّبُّ تعالى، وَآمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدوْا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنْ» (أي: جدير أو خليق) أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ». رواه مسلم.

(٢٤٤) / **وعن أبي هريرة رضي الله عنه**: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ». رواه مسلم.

(٢٤٤) / **وعنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه كَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ؛ دَقَّهُ أَيْ: قَلِيلٌ) وَجِلَّهُ (أي: كَثِيرٌ)، وَأَوْلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَّةُ وَسِرَّهُ»**. رواه مسلم.

(١٤٣٠ / ٢٤٤) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أفتقدت النبي صلوات الله عليه ذات ليلة، فتحسست فإذا هو راكع - أو ساجد - يقول: «سبحانك وبحمدك، لا إله إلا أنت».

وفي رواية: فوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمِهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرَضَاكَ مِنْ سَخْطِكَ، وَبِمَعَافِتِكَ مِنْ عُقوَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي نَنَاءَ عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَنْتَ عَلَى نَفْسِكَ». رواه مسلم.

(١٤٣١ / ٢٤٤) وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما قال: كُنَّا عند رَسُولِ الله صلوات الله عليه، فقال: «أيعجز أحدكم أن يكسب في كل يوم ألف حسنة؟!». فسأله سائل من جلسايه: كيف يكسب ألف حسنة؟ قال: «يسير مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة، أو يحيط عنده ألف حطية». رواه مسلم. قال الحميدى: كذا هو في كتاب مسلم: «أو يحيط». قال البرقاني: رواه شعبه، وأبو عوانة، ويحيى القطان عن موسى الذي رواه مسلم من جهةه، فقالوا: «ويحيط» بغير ألف.

(١٤٣٢ / ٢٤٤) وعن أبي ذر رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ الله صلوات الله عليه قال: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامٍ» (أي: عظام البدن ومفاصله) مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةً: فَكُلُّ تَسْبِيحةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيَجْزِي مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَيْنِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الصُّحَّى». رواه مسلم.

(١٤٣٣ / ٢٤٤) وعن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها: أنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه خرج مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً (أي: أول النهار) حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحت وهي جالسة، فقال: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟» قالت: نعم. فقال النبي صلوات الله عليه: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدِكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، لَوْ وُزِنْتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَّتْهُنَّ سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرَضَا نَفْسِهِ، وَزَنَةَ عَرْشِهِ، وَمَدَادَ (أي: بامتداد وازيد وكثره) كَلِمَاتِهِ». رواه مسلم.

وفي رواية له: «سبحان الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ الله رِضا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ الله مَدَادَ كَلِمَاتِهِ».

وفي رواية الترمذى: «أَلَا أَعْلَمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولُنَّاهَا؟ سُبْحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ؛ سُبْحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ الله رِضا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله رِضا نَفْسِهِ،

سُبْحَانَ اللَّهِ رَضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ زِنَةً عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ.

(٢٤٤) وعن أبي موسى الأشعري رض: عن النبي صل قال: «مَثُلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُهُ مَثُلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ». رواه البخاري.

ورواه مسلم فقال: «مَثُلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكُرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكُرُ اللَّهُ فِيهِ، مَثُلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ».

(٢٤٤) وعن أبي هريرة رض: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صل قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرْتَنِي، فَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأِ ذَكْرَتُهُ فِي مَلَأٍ حَيْرٍ مِّنْهُمْ». متفق عليه.

(٢٤٤) وعنده قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صل: «سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ». قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالَّذِاكِرَاتُ». رواه مسلم. وروي: «المُفَرِّدُونَ» بتشديد الراء وتخفيتها، والمشهور الذي قاله الجمهور: التشديد.

(٢٤٤) وعن جابر رض: قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صل يَقُولُ: «أَفْضَلُ الدُّخْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٤٤) وعن عبد الله بن بُشْر رض: أَنَّ رجلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبَرْتُنِي بِشَيْءٍ أَتَشْبَثُ (أي: أتعلّق به) بِهِ قَالَ: «لَا يَرَأُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٤٤) وعن جابر رض: عن النبي صل قال: «من قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِستْ لَهُ تَحْلَهُ فِي الْجَنَّةِ». رواه الترمذى، وقال: « الحديث حسن».

(٢٤٤) وعن ابن مسعود رض: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صل: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةً أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرَئِ أَمْتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيْبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ (أي: جمع قاع وهي: الأرض المستوية الخالية من الشجر) وَأَنَّ عِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ». رواه الترمذى، وقال: « الحديث حسن».

(١٤٤١ / ٢٤٤) وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «ألا أُبَشِّرُكُمْ بِخَيْرٍ أَعْمَالُكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرُكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الدَّهْبِ وَالْفِضَّةِ، وَخَيْرُكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوهُ أَعْنَاقُهُمْ وَيَضْرِبُوهُ أَعْنَاقُكُمْ؟» قالوا: بَلَى، قال: «ذِكْرُ الله تَعَالَى». رواه الترمذى، قال الحاكم أبو عبد الله: «إسناده صحيح».

(١٤٤٢ / ٢٤٤) وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أنه دخل مع رسول الله صلوات الله عليه وسلام على امرأةٍ وَبَيْنَ يَدِيهَا نَوَى - أَوْ حَصَبَى - تُسَبِّحُ بِهِ فَقَالَ: «أَخْبِرُكَ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مِنْ هَذَا - أَوْ أَفْضَلُ». فَقَالَ: «سُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الْأَرْضِ، وَسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، وَالله أَكْبَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَالْحَمْدُ لِلله مِثْلَ ذَلِكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله مِثْلَ ذَلِكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله مِثْلَ ذَلِكَ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(١٤٤٣ / ٢٤٤) وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «ألا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟» فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله». متفق عليه.

\* \* \*

## (الذكر)

إن العبودية لله تعالى تدور على قاعدين: الحب الكامل لله تعالى، والذل الكامل له أيضاً؛ وذلك أن معرفة ومشاهدة مينة وعطاء الله لنا من آيات عظيمة وأدلة حكيمه ونعم لا تُعد ولا تحصى تورث محبة الله والاعتراف بعيوب النفس وذنبها، ومشاهدة التقصير في الطاعات، والوقوع في الزلات يورث الذلة لله تعالى.

إن المقصود من هذا هو القلب الذي تدور عليه العبودية، فهو سلطان الجوارح وأميرها، وهو المقصود في الحقيقة بالمحبة الكاملة لله تعالى، والذلة الكاملة لله تعالى؛

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجَلَّ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا ذُكِرَتْ عَلَيْهِمْ إِيمَانُهُمْ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأفال: ٢]، وإنما الجوارح خدم للقلب، تدور حيئماً دار، واستقامة القلب هي المراد والمقصود، وتكون بشئين:

الأول: أن تكون محبة الله تعالى مُتقدمة على جميع المحاب، ويسبق حب الله تعالى غيره، كائناً من أو ما كان.

الثاني: أن يُعظم القلب الأمر والنهاي الرباني، فهذا من علامة تعظيم الأمر رب العالمين، ويكون ذلك بالانقياد الكامل لشرعه الكريم واحترام أهل العلم وفتواهم؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذَكْرًا كَثِيرًا ﴾٤١﴾ وَسَيُخْوِهُ بَكْرَهُ وَأَصْبِلَهُ ﴾٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

### أنواع القلوب: والقلوب ثلاثة:

١ - قلب خالٍ من الإيمان وجميع الخير، فذلك قلب مظلوم قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه؛ لأنَّه قد اتخذه بيته ووطناً وتحكمَ فيه وتمكنَ منه غاية التمكُّن.

٢ - قلب قد استثار بنور الإيمان وأُوقِد فيه مِصابحه، لكن عليه ظلمة الشهوات والأهواء، فللشيطان هناك إقبال وإدبارٌ ومطامعٌ ومجالاتٌ وَكُرُوفٌ، وأصحابه أصنافٌ ثلاثة:

فمنهم من يغلب عدوه إبليس أكثر الوقت، فلا يفوز إبليس إلا بالقليل. ومنهم من ينهزم لعدوه إبليس أكثر الوقت. ومنهم من هو بين الغلبة لعدوه والهزيمة له.

٣ - قلب امتلاً بالإيمان واستثار بنوره وانقضت عنه حُجُبُ الشهوات والظلمات، فهو قلبٌ مُشرِقٌ، لو دنا منه إبليس لاحترق.

ومثال تلك القلوب: كثلاثة بيوت: بيت للملك مليء بالكنوز والجوائز، وبيت لرجل من الناس فيه شيءٌ من الكنوز والجوائز ليست كأشياء الملك، وبيت خالٍ لا شيء فيه. فجاء اللصُّ ليسرق من أحد تلك البيوت، فمن أيها يسرق؟

فإن من الطبيعىً ألا يذهب اللصُّ لسرقة من بيت خالٍ لا شيء فيه؛ ولهذا لما قيل لابن عباس: إن اليهود تزعم أن الشياطين لا توسم لها في الصلاة؟ قال: وما يصنع الشيطان بالبيت الخرب؟ وإن قلت: يسرق من بيت الملك. كان ذلك كالمستحيل؛ لأنَّه محاطٌ بالحراس والجنود، مما يصعب على اللص الاجتراء عليه أو حتى الاقتراب منه، فلا يبقى للص إلا البيت الثالث فهو الذي يحاول دائمًا الهجوم عليه ومحاولة الاستياء على محتوياته. وهكذا لا يستطيع العبد أن يحمي نفسه من الشيطان الوساوس الخناس.

إلا بذكر الله تعالى. والقلب يصدأ بأمررين: بالغفلة، والذنب. وصفاؤه ونقاوه بشيئين: بالاستغفار، والذكر. والذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان.

والذكر قد يعني الشرفَ مجازاً؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ مَذْكُورٌ لَكُلِّ قَوْمٍ﴾ [الزخرف: ٤٤]، أي: القرآنُ شرفٌ لك ولهم، وقوله تعالى: ﴿وَرَفِعْنَاكَ لِذِكْرِهِ﴾ [الشح: ٤]، أي: شرفك.

ويطلق الذكر على معانٍ آخر، منها: الصلاةُ لله تعالى، والدعاةُ إليه، ويُطلق أيضًا على الطاعة، والشكرا، والدعاء، والتسبيح، وقراءة القرآن، وتمجيد الله وتهليله وتسبيهه والثناء عليه بجميع م賛مده.

والذكر أيضًا: الكتاب الذي فيه تفصيل الدين ووضع الملل، وكل كتاب من الأنبياء ذكر، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخْنُونَ زِيلَنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وحمل على خصوص القرآن وحده أيضًا.

وفي كل جارحة من الجوارح - عضو من أعضاء الجسم - عبودية مؤقتة، والذكر عبودية القلب واللسان، وهي غير مؤقتة، بل العباد يؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال، قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِتَالِنِفَّ الْأَيْلَنِ وَأَنَّهَا يَارَ لَيْسَتْ لِأَذْوَلِ الْأَلْبَابِ﴾ [١٦٠]، أَلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيمًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَقَرَّبُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْنَا هَذَا بِطَلَاءٍ سُبْحَنَنَا فَقَنَاعَ دَارَ الْتَّارِ﴾ [١٦١]، آل عمران: ١٩١، ١٩٠.

وكما أن الجنة قيغان، الذكر غراسها، فكذلك في القلوب بُورٌ وخرابٌ، الذكر عمارتها وأساسها. وهو جلاء القلوب وصفاؤها، ودواؤها إذا غشيتها مرضها واعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغرقاً ازداد المذكور محبةً إلى لقائه واستياقاً.

وبالذكر يزول الصمم عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشعظلمة عن الأ بصار. وزين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أ بصار الناظرين.

فاللسان الغافل كالعين العمى والأذن الصماء واليد الشلالة. وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بعقلته.

قال ابن حجر : والمراد بالذكر: الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها، مثل الباقيات الصالحات، وهي «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبير»، وما يلتحق بها من الحوقة (أي: قول: لا حول ولا قوة إلا بالله) والبسملة (أي: قول: بسم الله والحسبنة (أي: قول: حسي الله) والاستغفار ونحو ذلك. والدعاء بخيري الدنيا والآخرة. ويُطلق ذكر الله أيضًا ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه، كتلاؤ القرآن، وقراءة الحديث، ومدارسة العلم، والتتغلب بالصلوة. ثم الذكر يقع تارةً باللسان ويؤجر عليه الناطق، ولا يُشترط استحضاره لمعناه، ولكن يُشترط ألا يقصد به غير معناه، وإن انصاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل، فإن انصاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى وتَفْيِي الناقص عنه ازداد كمًا، فإن وقع ذلك في عمل صالح مما فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمًا، فإن صح التوجه وأخلص الله تعالى في ذلك فهو أبلغ الكمال.

وقال الفخر الرازمي : المراد بذكر اللسان: الأنفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد. والذكر بالقلب: التفكير في أدلة الذات والصفات، وفي أدلة التكاليف، من الأمر والنهي؛ حتى يطلع على أحکامها، وفي أسرار مخلوقات الله. والذكر بالجوارح: هو أن تصير مستغرقة في الطاعات، ومن ثم سُمِيَ الله الصلاة ذكرًا فقال تعالى: ﴿فَاسْعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [ال الجمعة: ٩].

ونقل عن بعضهم، قال: الذكر على سبع هيئات: ذكر العينين بالبكاء، وذكر الأذنين بالاستماع، وذكر اللسان بالشكرا، وذكر اليدين بالإعطاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضاء.

والفرق بينه وبين التفكير أن التفكير لتحصيل العلم النافع، أما الذكر فهو لتشييت ذلك العلم في القلوب ليُطَيعَ على الجوارح وتصلح به الأحوال.

والذكر هو قوت القلوب وغذاؤها، وعمارة الأجساد ودواء الأبدان، وهو سلاح المؤمنين، وهو سُلَّمُ الوصول لعلَّام الغيوب. والذكر هو صفاء القلوب، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يُعلقه العبد بعفلته، قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَرَرْتُمْ

**بِرِّيَاضِ الْجَنَّةِ فَأَرْتُهُمْ**». قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: **«حَلْقُ الدَّكْرِ»** الترمذى

برقم (٣٥١٠)، وقال: حديث حسن، وصححه الألبانى (السلسلة الصحيحة) حديث (٢٥٦٢).

وعن النبي ﷺ أنه قال: **«مَا مِنْ سَاعَةٍ تُمْرُّ بِأَبْنِ آدَمَ لَا يَذْكُرُ فِيهَا إِلَّا تَحَسَّرُ عَلَيْهَا يَوْمٌ**

**الْقِيَامَةِ»**. الطبرانى في «الأوسط» (٨/ ١٧٥) برقم (٨٣١٦)، حسنة الألبانى (صحيح الجامع الصغير) حديث (٥٧٢٠).

قال الحسن البصري : **تَفَقَّدُوا الْحَلَاوَةَ** في ثلاثة أشياء: في الصلاة، والذكر، وقراءة القرآن. فإن وجدتم **وَلَا** فاعلموا أن الباب مغلق.

والذكر هو روح الأعمال، فإذا خلا العمل من الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه.

**الذكر في القرآن**: وقال ابنُ القيم: جاء الذُّكُرُ في القرآن على عشرة أوجه:

**الأول**: الأمر به مطلقاً ومقيداً، وذلك قوله تعالى: **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾** [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

**الثاني**: النهي عن ضده من الغفلة والنسيان، قوله تعالى: **﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾** [الأعراف: ٢٠٥].

**الثالث**: تعليق الفلاح باستدامته وكثرته، قوله تعالى: **﴿وَآذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾** [الأفال: ٤٥].

**الرابع**: الشأن على أهله، والإخبار بما أعد الله لهم من الجنة والمغفرة، قوله تعالى: **﴿إِنَّ الْمُسَلِّمِينَ وَالْمُسِلِّمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَاتِ وَالصَّدِيقِينَ وَالصَّدِيقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِعِينَ وَالْخَشِعَاتِ وَالْمُنْصَدِّقِينَ وَالْمُنْصَدِّقَاتِ وَالصَّتِيمِينَ وَالصَّتِيمَاتِ وَالْخَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّكِيرَاتِ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِيرَاتِ أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾** [الأحزاب: ٣٥].

**الخامس**: الإخبار عن خسران مَنْ لَهَا - من اللهو واللعب والغفلة - عنه بغيره، قوله تعالى: **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهُكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أُولَئِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَقْعُدْ ذَلِكَ فَأُولَئِكُمْ هُمُ الظَّاهِرُونَ ﴾** [المنافقون: ٩].

ال السادس: أنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاءً لذكرهم له، كقوله تعالى: ﴿فَادْكُرُوهُ أَذْكُرْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

السابع: الإخبار أنه أكبر من كل شيء، كقوله تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

[العنكبوت: ٤٥].

الثامن: أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها، وذلك كما حتم به الحج في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرُكُمْ بَابَكَمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وختم به الصلاة كقوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وَقْعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وختم به الجمعة كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَيْرًا لَعَلَّكُمْ فَتَلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠].

التاسع: الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الانتفاع بآياته وأنهم أولو الألباب دون غيرهم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ أَسْمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَذِيَّنَتِ لِأُولَئِكَ الْأَلَبَدِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيمَا وَقْعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَنْقَعِرُونَ فِي خَلْقِ الْأَسْمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بِنَطْلَا سُبْحَنَكَ فَقَنَاعَدَ أَنَّا رِبَّا﴾ [آل عمران: ١٩٠].

العاشر: أنه جعله قرين جميع الأعمال وروحها، فقد قرنه بالصلاحة، كقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، وكذلك قرنه بالصيام وبالحج وغيرها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلوات الله عليه وسلام قال: «ثلاثة لا يرد الله دعاءهم: الذاكِرُ الله كثِيرًا، وداعُو المظلوم، والإمام المُقسِط» البهقي في شعب الإيمان (١ / ٤١٩) برقم (٥٨٨)، حسنة الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (٣٠٦٤).

وعن أبي ذر رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه وسلام سُئل: أي الكلام أفضل؟ قال: «ما اصطفى الله لملائكته أو لعياده: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» مسلم برقم (٢٧٣١).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه وسلام كان إذا قام إلى الصلاة من جوف

الليل يقول: **«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيْمَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ. أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ. اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ، وَبِكَ خَاصَّمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَمْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»** متفق عليه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة (أي: الصلاة المكتوبة) كان على عهد النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه.

وقال أيضاً: **كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته.**

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: **كان النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه يذكر الله على كل أحيانه.**

قال أبو بكر رضي الله عنه: **ذهب الذاكرون الله بالخير كلّه.**

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن الجبل **لينادي الجبل** باسمه: يا فلان، هل مرّ بك أحد ذكر الله تعالى? فإذا قال: **نعم**, استبشر.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: **﴿ذَكِرُوا اللَّهَ ذَكْرًا كَثِيرًا﴾** [الأحزاب: ٤١] : إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر؛ فإن الله تعالى لم يجعل له حدًا يتنهى إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على تركه، فقال: **﴿فَقَدْ كُرِّمَ اللَّهُ قِيمًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾** [النساء: ١٠٣] بالليل والنهر، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقير، والسمق والصحة، والسر والعانقة، وعلى كل حالٍ.

قال ابن تيمية : **الذكر للقلب مثل الماء للسمك**، فكيف يكون حال السمك إذا **فارق الماء**.

وقال ابن القيم : **الذكر بباب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم**. وقال أيضاً: **وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان** (أي: ما تشارك فيه القلب واللسان) وكان من الأذكار النبوية وشهد الذاكِر معانيه ومقاصده.

**أنواع الذكر: الذكر خمسة أنواع:**

النوع الأول: ذِكْرُ الثناء على الله تعالى، فَيُنْشِئُ الْذَاكُرُ الثناء على الله، كما ورد في الأحاديث، مثل قول النبي ﷺ: **«قُلْ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»** أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٤/ ٣٥٣) بِرَقْمِ (١٩١٣٣)، حَسْنَهُ الْأَلْبَانِيُّ (تَحْقِيقُ الْمِشْكَةَ) حَدِيثٌ (٨٥٨).

وقوله أيضًا: **«كَلِمَتَانِ حَفِيقَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَسَبَحْمِدُهُ»** متفق عليه.

النوع الثاني: الإخبار عن الرب تعالى بأحكام أسمائه وصفاته، نحو قوله عند تعليم الناس ودعوتهم: الله يَعْلَمُ يسمع أصوات عباده ويرى حركاتهم، ولا تخفي عليه خافية من أعمالهم، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم، وهو على كل شيء قادر، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد راحلته.

وأفضل هذا النوع الثناء عليه بما أثني به على نفسه، وبما أثني به رسول الله ﷺ من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تشبيهٍ ولا تمثيلٍ. وهذا النوع أيضًا ثلاثة أنواع: حمد، وثناء، ومجد. فقول الحمد لله: هو إخبار عن الله ﷺ بصفات كماله مع محبته والرضاء به، فلا يكون المحب الساكتُ حامدًا، ولا الشاكر بلا محبة حامدًا، حتى تجتمع له المحبة والثناء. فإن كرر المحامد الشيءَ بعد الشيءِ كانت ثناءً.

فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكرياء والملك كان مجددًا.

وقد جمع الله تعالى لعبده الأنواع الثلاثة في أول الفاتحة، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: **«فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمَدَنِي عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿أَرْحَمَنِي الرَّحِيمُ﴾ قَالَ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾** [الفاتحة: ٢-٣-٤]. [الفاتحة: ٤]. مسلم برقم (٣٩٥).

النوع الثالث: وهو تذكير الناس بأمره ونهييه وأحكام شريعته، فيذكر أمره بكلذا، ونهييه عن كلذا، إخبارًا عنه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

النوع الرابع: المبادرة إلى الحق، فإذا ذكر أمره بادر إليه، وإذا ذكر نهييه هرب منه.

النوع الخامس: ذِكْر آلَائِهِ وَإِنْعَامُهِ وَإِحْسَانُهِ وَفَضْلُهِ عَلَى عَبِيدِهِ.

**درجات الذكر:** الذِّكْر عَلَى ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ: الذِّكْر بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَهُوَ أَفْضَلُ الذِّكْرِ، وَالذِّكْر بِالْقَلْبِ وَحْدَهُ وَهِيَ الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ، وَالذِّكْر بِاللِّسَانِ وَحْدَهُ وَهِيَ الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ.

**القرآن والذكر والدعا:** الذِّكْر أَفْضَلُ مِنَ الدُّعَاءِ؛ لِأَنَّ الذِّكْر ثَنَاءً عَلَى اللَّهِ يَعْزِيزُ بِجَمِيلِ أَوْصافِهِ وَآلَائِهِ وَنِعْمَهِ وَإِحْسَانِهِ.

والدُّعَاءُ هُوَ سُؤَالُ الْعَبْدِ حَاجَتَهُ وَمُرَادَهُ مِنْ رَبِّهِ، فَأَيْنَ الشَّنَاءُ مِنَ الْطَّلْبِ فِيمَا مُرُوِيٌّ: «مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسَأْلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطَى السَّائِلِينَ» الترمذى برقم (٢٩٢٦).

وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ أَفْضَلُ مِنَ الذِّكْرِ، وَالذِّكْرُ أَفْضَلُ مِنَ الدُّعَاءِ، وَهَذَا مِنْ حِيثِ النَّظرِ إِلَى كُلِّ مِنْهَا مَجْرِدًا، وَكُلُّهُ مِنْ أَشْكَالِ الْعِبُودِيَّةِ الْمُتَنَوِّعَةِ.

**آدَابُ الذَّاكِرِينَ:** قَالَ الْإِمَامُ النَّوْوَيُّ : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الذَّاكِرُ عَلَى أَكْمَلِ الصَّفَاتِ: فَإِنْ كَانَ جَالِسًا فِي مَوْضِعٍ اسْتَقْبِلَ الْقَبْلَةَ وَجَلَسَ مُتَخَسِّعًا مُتَذَلِّلًا بَسِكِينَةٍ وَوَقَارٍ، مُطْرِقًا رَأْسَهُ، وَلَوْ ذَكَرَ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ جَازَ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ (أَيْ: تَرْكُ الذَّاكِرِ ذَلِكَ) بِغَيْرِ عَذْرٍ كَانَ تَارِكًا لِلْأَفْضَلِ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَذْكُرُ فِيهِ خَالِيًّا نَظِيفًا؛ وَلِهَذَا مَدْحُ الذِّكْرِ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْأَماْنِ الشَّرِيفَةِ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ أَبِي مِيسَرَةَ قَالَ: مَا أَحَبَّ أَنْ أَذْكُرَ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا فِي مَكَانٍ طَيِّبٍ.

وَيَنْبَغِي لِلذَّاكِرِ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ فَمُهُ نَظِيفًا، فَإِنْ كَانَ فِيهِ تَغْيِيرٌ أَزَالَهُ بِالسُّواكِ وَنَحْوِهِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ نِجَاسَةً أَزَالَهَا بِالْمَاءِ، فَإِنْ ذَكَرَ وَلَمْ يَفْعَلْ فَهُوَ مُكْرُوهٌ وَلَيْسَ بِحرَامٍ، وَهُوَ مُحَبُّ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، إِلَّا فِي أَحْوَالٍ وَرَدَ الشُّرُعُ بِاستِئْنَاثِهَا، مِنْهَا: عِنْدَ الْجَلوسِ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ، وَفِي حَالَةِ الْجَمَاعِ، وَفِي حَالَةِ الْخُطْبَةِ لِمَنْ يَسْمَعُ صَوْتَ الْخُطْبَةِ، وَفِي الْقِيَامِ فِي الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّ عَلَيْهِ الْإِشْتِغَالُ بِالْقِرَاءَةِ، وَفِي حَالَةِ النُّعَاصِ، وَلَا يُكَرَّهُ فِي الطَّرِيقِ، وَلَا فِي الْحَمَامِ (أَيْ: مَكَانِ الْاغْتِسَالِ وَلَيْسَ مَكَانَ الْغَائِطِ إِذَا كَانَ مَنْفَصِلًا).

**فَوَائِدُ الذِّكْرِ:** ذِكْرُ ابْنِ الْقِيمِ : أَنْ فِي الذِّكْرِ أَكْثَرُ مِنْ مَائَةِ فَائِدَةٍ، مِنْهَا:

١ - أَنَّهُ يُطْرِدُ الشَّيْطَانَ وَيَقْمِعُهُ.

- ٢ - أنه يُرضي الرحمن بِعَكْلٍ.
- ٣ - أنه يُزيل الهم وَالغمَّ عن القلب.
- ٤ - أنه يجعل للقلب الفرح والسرور.
- ٥ - أنه يقوّي القلب والبدن.
- ٦ - أنه يُنير الوجه والقلب.
- ٧ - أنه يجعل الرزق.
- ٨ - أنه يكسو الذّاكِرَ المهابَةَ والملائكةَ والنصرة.
- ٩ - أنه يورث الذّاكِرَ المحبَةَ التي هي روح الإسلام ومدار السعادة والنجاة.
- ١٠ - أنه يورث الذّاكِرَ المراقبَةَ حتى يدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، ولا يستطيع الغافل عن الذّكر الوصول إلى مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد المتکاسل إلى الوصول إلى البيت.
- ١١ - أنه يورث الذّاكِرَ الإنابة، وهي الرجوع إلى الله بِعَكْلٍ.
- ١٢ - أنه يورث الذّاكِرَ القربَ منه، فعلى قدر ذِكْرِه لله بِعَكْلٍ يكون قربه منه.
- ١٣ - أنه يفتح للذّاكِرَ باباً عظيماً من أبواب المعرفة.
- ١٤ - أنه يورث الذّاكِرَ الهيبةَ لربه بِعَكْلٍ وإجلاله؛ لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى، بخلاف الغافل؛ فإن حجابَ الهيبةِ رقيقٌ في قلبه.
- ١٥ - أنه يورثه ذِكْرَ الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]. ولو لم يكن في الذّكر إلا هذه وحدتها لكتفى بها فضلاً وشرفاً.
- ١٦ - أنه يورث الذّاكِرَ حياة القلب.
- ١٧ - أنه قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين غذائه.
- ١٨ - أنه يورث صفاء القلب من صدئه.
- ١٩ - أنه يحطُّ الخطايا ويذهبها.

- ٢٠ - أنه يُزيل الوحشة بين العبد وبين ربّه تبارك وتعالى.
- ٢١ - أن العبد إذا تعرّف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء عرفه في الشدة.
- ٢٢ - أنه يُنجي من عذاب الله تعالى.
- ٢٣ - أنه سبب تزيل السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بحلقات الذكر.
- ٢٤ - أنه سبب انشغال اللسان عن الغيبة والنسمة والكذب والفحش والباطل.
- ٢٥ - أنه يُسعد الذاكر بذكره ويُسعد به جليسه، وهذا هو المبارك أينما كان.
- ٢٦ - أنه يُؤمّن العبد من الحسرة يوم القيمة.
- ٢٧ - أن الاستغلال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين، وقد روي عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: **«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَغْطَيْتُهُ أَفْسَدَ مَا أُغْطِي السَّائِلِينَ»** الترمذى برقم (٢٩٢٦).
- ٢٨ - أنه أيسُّ العبادات، وهو من أجلىها وأفضلها.
- ٢٩ - أن العطاء والفضل الذي رُتب عليه لم يُرتب على غيره من الأعمال.
- ٣٠ - أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه، الذي هو سبب شقاء العبد في معاشة ومعاده.

**قال ابن القيم :** كان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: إن في الدنيا جنةً من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة. وقال لي مرةً: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جتي وستانى في صدري، إن رُحْتْ فهـي معي لا تُفارقـنـي، إن حَبـسـي خلـوةـ وـقـتـلـي شهـادـةـ وإـخـراجـيـ منـ بلـدـيـ سـيـاحـةـ.

وكان بعض العارفين يقول: لو عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ لَجَاءَلُونَا عَلَيْهِ  
(أي: قاتلـونـاـ) بالـسيـوفـ.

**وقال آخر:** مساكين أهل الدنيا؛ خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها؟ قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: معبة الله تعالى ومعرفته وذكره.

- ٣١ - أن الذّكر نور للذاكر في الدنيا، ونور له في قبره، ونور له في معاده، يسعى بين يديه على الصراط.
- ٣٢ - لما كان الذّكر متيسراً للعبد في جميع الأوقات والأحوال، فإن الذّكر وهو مستلقٍ على فراشه يسبق (أي: في الفضل والخير) القائم الغافل.
- ٣٣ - الذّكر يفتح باب الدخول إلى الله عَزَّلَهُ، فإذا فتح الباب ووجد الذّاكِرُ رَبَّهُ فقد وجد كلّ شيء.
- ٣٤ - أن الذّكر يُنبئ القلب من نومه، ويُوقظه من غفلته.
- ٣٥ - أن الذّكر شجرة تثمر المعرفة والأحوال التي شمر إليها السالكون.
- ٣٦ - أن في القلب قسوة لا يُذيبها إلا ذِكر الله تعالى.
- ٣٧ - أن الذّكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه، فالقلوب مريضة وشفاؤها ودواؤها في ذِكر الله تعالى.
- ٣٨ - أنه ما استُجلِبَتْ نِعَمُ الله عَزَّلَهُ واستُدْفِعَتْ نِقَمَهُ بمثل ذِكر الله تعالى.
- ٣٩ - أن الذّكر يُوجب صلاة الله عَزَّلَهُ وملائكته على الذّاكِر، ومن صلَّى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كُلَّ الفلاح وفاز كُلَّ الفوز.
- ٤٠ - أن الله عَزَّلَهُ يُاهي بالذاكرين ملائكته.
- ٤١ - من داوم على الذّكر دخل الجنة مستبشرًا فرحاً بما أنعم الله عليه.
- ٤٢ - إدامه الذّكر توب عن التطوعات وتقوم مقامها ممن لا يقدر عليها، سواء كانت هذه التطوعات بدنية كالجهاد أو مالية كالصدقة أو بدنية ومالية كحجّ التطوع.
- ٤٣ - ذِكر الله عَزَّلَهُ من أكبر العون على طاعته عَجَلَهُ، فإنه يُحبّها للعبد ويُسْهّلها عليه، ويجعل قرة عينه فيها.
- ٤٤ - أن ذِكر الله عَزَّلَهُ يُذهب عن القلب مخاوفه كلها، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذِكر الله عَزَّلَهُ.

٤٥ - الملائكة تبني للذacker دوراً في الجنة ما دام يذكر، فإذا أمسك عن الذacker أمسكت الملائكة عن البناء.

٤٦ - الذacker سد بين العبد وبين جهنم والعياذ بالله تعالى، فإذا كان ذكرًا دائمًا محكمًا كان سدًا محكمًا لا منفذ فيه.

٤٧ - الملائكة تستغفر للذacker كما تستغفر للتائب.

٤٨ - كثرة الذacker أمان من النفاق، فإن المنافقين قيلوا الذacker الله تعالى، كما أخبر عنهم سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يَرَءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذَكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [ النساء: ١٤٢].

٤٩ - الذacker يجعل الدعاء مستجاباً.

\* \* \*

## ٤٥- باب ذكر الله تعالى قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا ومحدثًا وجنبًا وإنما إلا القرآن فلا يحل لجنب ولا حانف

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ الْأَيَّلِ وَالنَّهَارِ لَذِكْرٌ لِأُولَئِكَ الْأَلَّبِ﴾ [ال عمران: ١٩١، ١٩٠].

(٤٤٤ / ٢٤٤) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر الله على كل أحيانه. رواه مسلم.

(٤٤٥ / ٢٤٤) وعن ابن عباس رضي الله عنهما : عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لو أن أحدكم إذا أتني أهله قال: بسم الله، اللهم جنينا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقنا، فقضى بيدهما ولد في ذلك، لم يضره شيطان». متفق عليه.

## ٤٦- باب ما يقوله عند نومه واستيقاظه

(٤٤٦ / ٢٤٦) عن حبيبة وأبي در رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أوى إلى فراشه قال: «باسمك اللهم أحياناً وأموات». وإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحياناً بعد ما أماتنا وإليه النشور». رواه البخاري.

## ٤٧- باب فضل حلق الذكر والندب إلى ملازمتها

### والنهي عن مفارقتها لغير عذر

**قال الله تعالى:** ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ [الكهف: ٢٨].

(٤٧ / ١٤٤٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَلَائِكَةً يَطْوُفُونَ فِي الْطُّرُقِ يَأْتِمُسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَجَّلُكُمْ تَنَادِيهِمْ: هَلْمُوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، فَيَحْفُونَهُمْ بِأَجْنَاحِهِمْ (أي: يدنون بأجنحتهم حول الذاكرين) إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ. فَيَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْحِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. فَيَقُولُ: فَمَاذَا يَسْأَلُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قَالَ: يَقُولُ: وَهُلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبَّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلْبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ؛ قَالَ: فَيَقُولُ: وَهُلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْهَا. فَيَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فَرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَحَافَةً. قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ حَلِيلُهُمْ». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةً سَيَّارَةً (أي: سياحون في الأرض) فُضْلًا (أي: زائدون على الحفظة مقصودهم حلق الذكر) يَسْتَبَعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ، قَدِّعُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنَاحِهِمْ حَتَّى يَمْلُؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعَدُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَيَسْأَلُهُمْ اللَّهُ عَجَّلَ وَهُوَ أَعْلَمُ: مِنْ أَيْنَ جُئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِ لَكَ فِي الْأَرْضِ: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَهَلُّونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ. قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ

جَتَّكَ. قَالَ: وَهُلْ رَأَوْا جَتَّيْ؟ قَالُوا: لَا, أَيْ رَبْ. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَتَّيْ؟! قَالُوا: وَيُسْتَجِيرُونَكَ. قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبْ. قَالَ: وَهُلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا, قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟! قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ؟ فَيَقُولُ: قَدْ عَفَرْتُ لَهُمْ, وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا, وَأَجْرَتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا. قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبُّهُمْ فُلَانٌ عَبْدُ خَطَّاءٍ إِنَّمَا مَرَّ, فَجَلَسَ مَعَهُمْ. فَيَقُولُ: وَلَهُ عَفَرْتُ, هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

(٢٤٧ / ١٤٤٨) وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ ذِلْكَ إِلَّا حَفَتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ (أَيْ: أَحاطَتْ بِهِمْ) وَغَشِّيَتُهُمُ الرَّحْمَةُ (أَيْ: غَطَتْهُمْ) وَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ; وَذَكَرُهُمُ اللَّهُ فِيمَ عِنْدَهُ». رواه مسلم.

(٢٤٧ / ١٤٤٩) وَعَنْ أَبِي وَاقِدِ الْحَارِثِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ, وَالنَّاسُ مَعَهُ, إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ, فَأَقْبَلَ اثْنَانٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وَذَهَبَ وَاحِدٌ؛ فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا, وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ, وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا. فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِلَّا أَخْبُرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الْثَّلَاثَةِ: أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوْيَ إِلَى اللَّهِ فَأَوْاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ, وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا اللَّهَ مِنْهُ, وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ». متفق عليه.

(٢٤٧ / ١٤٥٠) وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْحُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ مَعاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ, فَقَالَ: مَا أَجْلَسْكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ. قَالَ: أَللَّهُ (أَيْ: أَسْتَحْلِفُكُمْ بِاللَّهِ) مَا أَجْلَسْكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: مَا أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ, قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ, وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْلَ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «مَا أَجْلَسْكُمْ؟» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِإِسْلَامٍ; وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا. قَالَ: «اللَّهُ مَا أَجْلَسْكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟». قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ. قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِرِيلٌ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ». رواه مسلم.

## ٢٤٨ - باب الذكر عند الصباح والمساء

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِفَةً وَدُونَ الْجَهَرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْعُذْدَوِيِّ وَالْأَصَالِيِّ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَتَلَيْنِ﴾ (الاعراف: ٢٠٥) ﴿[الاعراف: ٢٠٥] قَالَ أَهْلُ الْلُّغَةِ: «الْأَصَالِي»: جَمْعُ أَصِيلٍ، وَهُوَ مَا بَيْنَ الْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ.

وقال تعالى: ﴿وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدُ رَبُّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الْشَّمْسِ وَقَبْلَ عَرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدُ رَبُّكَ يَا لِعْنَتِي وَأَلِيْبَكَرِ﴾ [غافر: ٥٥]؛ قال أهل اللُّغَةِ «العشى»: مَا بَيْنَ زَوَالِ الشَّمْسِ وَغُرُوبِهَا.

وقال تعالى: ﴿فِي مَيْوَسَتِ أَذْنَنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمَهُ، يُسَيِّدُهُ لَهُ فِيهَا يَالْغَدُوِّ وَالْآَصَالِ﴾ [٢٣] إِبْرَاهِيمَ لَأَنَّ لِهِمْ تَجَزَّرَهُ وَلَا يَبْعَثُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ الآية [النور: ٣٦، ٣٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَاحَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ مُسَيِّدُنَّا يَا لِعْنَتِي وَالْأَشْرَاقِ﴾ [١٨].

(٢٤٥١) وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةً مَرَّةً، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلِ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ رَأَدَ». رواه مسلم.

(٢٤٥٢) وعنده قال: جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَقِيْتُ مِنْ عَقْرَبَ لَدَغَتِنِي الْبَارَحَةَ. قَالَ: «أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ: لَمْ تَضُرَّكَ». رواه مسلم.

(٢٤٥٣) وعن النبي صلوات الله عليه وسلم: أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ». إِذَا أَمْسَيْتَ قَالَ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ تَحْيِيَا، وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٤٥٤) وعنده: أَنَّ أَبَا بَكْرَ الصَّدِيقَ رضي الله عنه قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ. قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أي: مخترعهما وَمُوجِدُهُمَا عَلَى غَيْرِ مَثَلِ سَبِقٍ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ؛ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّ كَهْرَبِهِ أي: ما يَدْعُ إِلَيْهِ مِنَ الإِشْرَاكِ بِاللهِ، وَرُوَيْ بفتح الشين والراء: أي: مصادره وفتهنه). قَالَ: «قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخْدَتَ مَضْبَعَكَ». رواه أبو داود والترمذى، وقال: « الحديث حسن صحيح».

(٢٤٥٥) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم إِذَا أَمْسَيْتَ قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَيْنَا الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ». قَالَ الرَّاوِي: أَرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبُّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ الْلَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا

بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ، وَسُوءِ الْكِبَرِ (أي: آفَات التقدُّم في العُمر)، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ». وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ». رواه مسلم.

(٢٤٨) وعن عبد الله بن خبيب - بضم الخاء المعجمة - قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَالْمُعَوْذَتَيْنِ حِينَ نُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢٤٩) وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحٍ كُلَّ يَوْمٍ وَمَسَاءً كُلَّ لَيْلٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، إِلَّا لَمْ يَضُرِّهِ شَيْءٌ». رواه أبو داود والترمذى، وقال: « الحديث حسن صحيح».

## ٢٤٩ - باب ما يقوله عند النوم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ أَسْمَوَاتٍ وَالْأَرْضِ وَآخِرَلَفِ الْأَيَّلِ وَالثَّهَارِ لَذَيْتَ لَا تُؤْفَلِي أَلَّا تَبِعِ﴾ (١٦) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيمَّا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآيات [آل عمران: ١٩١، ١٩٠].

(٢٤٩) وعن حذيفة وأبي ذر : أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيِي وَأُمُوتُ». رواه البخاري.

(٢٤٩) وعن علي ﷺ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال له ولفاطمة : «إِذَا أَوْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا - أو إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا - فَكَبِرَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَسَبَّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ».

وفي رواية: التَّسْبِيحُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ. وفي رواية: التَّكْبِيرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ. متفق عليه.

(٢٤٩) وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ

فليتُنْفَضْ فِرَاشُهُ بِدَاخِلَةٍ إِذَا رَأَهُ (أي: طرفه وحاشيته من الداخل) فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا حَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبَكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ». متفق عليه.

(٢٤٦١ / ٢٤٦٩) وعن عائشة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ إِذَا أَخْذَ مَضْجَعَهُ نَفَثَ فِي يَدِيهِ، وَقَرَأً بِالْمَعْوذَاتِ، وَسَحَّ بِهِمَا جَسَدَهُ. متفق عليه.

وفي رواية لهما: أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيَّلَةٍ جَمَعَ كَفَيْهُ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأً فِيهِمَا: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ». ثُمَّ سَحَّ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَدِهِا بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوْجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. متفق عليه. قال أهل اللغة: «النَّفَثُ»: نَفْخٌ لَطِيفٌ بِلا رِيقٍ.

(٢٤٦٢ / ٢٤٦٩) وعن البراء بن عازب قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ كَانَ إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجَعْ عَلَى شِقْكَ الْأَيْمَنِ، وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأً وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، أَمْنَتُ بِكِتَابِكَ الدَّيْنَ أَنْزَلْتُ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ». متفق عليه.

(٢٤٦٣ / ٢٤٦٩) وعن أنس: أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكُمْ مِمَّنْ لَا كَافِي لَهُ وَلَا مُؤْوِي». رواه مسلم.

(٢٤٦٤ / ٢٤٦٩) وعن حذيفة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن». ورواه أبو داود من رواية حفصة عن عائشة، وفيه: أنه كان يقوله ثلاث مرات.

## ١٦ - كتاب الدعوات

### ٢٥٠ - باب الأمر بالدعاء وفضله

#### وبیان جمل من أدعیته

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِلِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

الآية [البقرة: ١٨٦].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُحِبُّ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيُكَشِّفُ السُّوءَ﴾ [آل عمران: ٦٢].

(١٤٦٥) وعن النعمان بن بشير : عن النبي ﷺ قال: «الدُّعاءُ هُوَ العبادة». رواه أبو داود،

والترمذني، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٤٦٦) (٢٥٠) وعن عائشة قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَسْتَحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدْعُ مَا سِوَى ذَلِكَ. رواه أبو داود بإسناد جيد.

(١٤٦٧) (٢٥٠) وعن أنس قال: كَانَ أَكْثُرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ». متفق عليه.

زاد مسلم في روايته قال: وَكَانَ أَنْسٌ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ دَعَاهَا، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُو بِدُعَاءٍ دَعَاهَا فِيهِ.

(١٤٦٨) (٢٥٠) وعن ابن مسعود : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى، وَالْتُّقْيَى، وَالعَفَافَ، وَالغَنِّيِّ». رواه مسلم.

(١٤٦٩) (٢٥٠) وعن طارق بن أشيم قال: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ عَلَمَهُ النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُو بِهؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَاعْفُنِي، وَارْزُقْنِي». رواه مسلم.

وفي رواية له عن طارق: أَنَّه سمع النبي ﷺ وأتاه رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ أَقُولُ

حينَ أَسْأَلُ رَبِّيْ؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْفُقْنِي، فَإِنَّ هُؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ».

(٢٥٠) / ١٤٧٠ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفُ الْقُلُوبِ صَرِفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ». رواه مسلم.

(٢٥٠) / ١٤٧١ وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلم قال: «تَعَوَّدُوا بِاللهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ (أي: قلة المال وكثرة المسؤوليات)، وَدَرَكُ الشَّقَاءِ (أي: أن يدركني شقاء)، وَسُوءُ الْقَضَاءِ (أي: الأقدار المؤلمة)، وَشَمَائِهِ الْأَعْدَاءِ». متفق عليه.

وفي رواية قال سفيان: أَشْكُ أَنِي زَدْتُ واحِدَةً مِنْهَا.

(٢٥٠) / ١٤٧٢ وعنـهـ قال: كـانـ رسولـ اللهـ صلوات الله عليه وسلم يـقولـ: «اللـهـمـ أـصـلـحـ لـيـ دـيـنـيـ الـذـيـ هـوـ عـصـمـةـ أـمـرـيـ، وـأـصـلـحـ لـيـ دـيـنـيـ الـتـيـ فـيـهـ مـعـاـشـيـ، وـأـصـلـحـ لـيـ آخـرـتـيـ الـتـيـ فـيـهـ مـعـادـيـ، وـأـجـعـلـ الـحـيـاتـ زـيـادـةـ لـيـ فـيـ كـلـ خـيـرـ، وـأـجـعـلـ الـمـوـتـ رـاحـةـ لـيـ مـنـ كـلـ شـرـ». رواه مسلم.

(٢٥٠) / ١٤٧٣ وعنـ عليـ رضي الله عنه قال: قالـ لـيـ رسولـ اللهـ صلوات الله عليه وسلم: «قـلـ: اللـهـمـ أـهـدـنـيـ، وـسـدـدـنـيـ». وفي رواية: «اللـهـمـ إـنـيـ أـسـأـلـكـ الـهـدـىـ وـالـسـدـادـ (أـيـ: الـاسـتـقـامـةـ وـالـقـصـدـ فـيـ الـأـمـرـ)». رواه مسلم.

(٢٥٠) / ١٤٧٤ وعنـ أـنـسـ رضي الله عنه قال: كـانـ رسولـ اللهـ صلوات الله عليه وسلم يـقولـ: «اللـهـمـ إـنـيـ أـعـوـدـ بـكـ مـنـ العـجـزـ، وـالـكـسـلـ، وـالـجـبـنـ، وـالـهـرـمـ، وـالـبـخـلـ، وـأـعـوـدـ بـكـ مـنـ عـذـابـ الـقـبـرـ، وـأـعـوـدـ بـكـ مـنـ فـتـةـ الـمـحـيـاـ وـالـمـمـاتـ». متفق عليه.

وفي رواية: «وَضَلَّعَ الدِّينِ (أـيـ: ثـقـلـهـ وـشـدـتـهـ)، وَغَلَبَةـ الرـجـالـ (أـيـ: شـدـةـ تـسـلـطـهـ)». رواه مسلم.

(٢٥٠) / ١٤٧٥ وعنـ أـبـيـ بـكـرـ الصـدـيقـ رضي الله عنه: أـنـهـ قـالـ لـرـسـولـ اللهـ صلوات الله عليه وسلم: عـلـمـنـيـ دـعـاءـ أـدـعـوـ بـهـ فـيـ صـلـاتـيـ، قـالـ: «قـلـ: اللـهـمـ إـنـيـ ظـلـمـتـ نـفـسـيـ ظـلـمـاـ كـثـيرـاـ، وـلـاـ يـغـفـرـ الذـنـوبـ إـلـاـ أـنـتـ، فـاغـفـرـ لـيـ مـغـفـرـةـ مـنـ عـنـدـكـ، وـارـحـمـنـيـ، إـنـكـ أـنـتـ الـغـفـورـ الرـحـيمـ». متفق عليه.

وفي رواية: «وـفـيـ بـيـتـيـ». وـرـوـيـ: «ظـلـمـاـ كـثـيرـاـ»، وـرـوـيـ: «كـبـيرـاـ» بـالـثـاءـ الـمـلـتـهـ وـبـالـبـاءـ الـمـوـحـدـهـ؛ فـيـنـبـغـيـ أـنـ يـجـمـعـ بـيـنـهـمـ فـيـقـالـ: كـثـيرـاـ كـبـيرـاـ».

(٢٥٠) / ١٤٧٦ وعنـ أـبـيـ مـوسـىـ رضي الله عنه: عنـ النـبـيـ صلوات الله عليه وسلم: أـنـهـ كـانـ يـدـعـوـ بـهـذـاـ الدـعـاءـ: «الـلـهـمـ اـغـفـرـ لـيـ حـطـيـتـيـ وـجـهـلـيـ، وـإـسـرـافـيـ فـيـ أـمـرـيـ، وـمـاـ أـنـتـ أـعـلـمـ بـهـ مـنـيـ، اللـهـمـ اـغـفـرـ لـيـ جـدـيـ»

وَهُرْلِي؛ وَخَطَئِي وَعَمْدِي؛ وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخْرَتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقْدَّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». متفق عليه.

(٢٥٠ / ١٤٧٧) وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ». رواه مسلم.

(٢٥٠ / ١٤٧٨) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحْوِيلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ تَقْتِيمِكَ، وَجَمِيعِ سَخْطِكَ». رواه مسلم.

(٢٥٠ / ١٤٧٩) وعن زيد بن أرقم رضي الله عنهما قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبَخْلِ وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ أَتِنَّ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَرَزِّكُهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَحْشُعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا». رواه مسلم.

(٢٥٠ / ١٤٨٠) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ (أي: أَقْبَلْتُ)، وَبِكَ خَاصَّمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ. فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخْرَتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقْدَّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».

زاد بعض الرواية: «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ». متفق عليه.

(٢٥٠ / ١٤٨١) وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو بِهُؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ الغَنَى وَالْفَقْرِ». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح»؛ وهذا الفظ أبى داود.

(٢٥٠ / ١٤٨٢) وعن زياد بن علاقة، عن عممه وهو قطبة بن مالك رضي الله عنهما قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ». رواه الترمذى، وقال: « الحديث حسن ».

(٢٥٠ / ١٤٨٣) وعن شَكْلِ بْنِ حُمَيْدٍ رضي الله عنهما قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِمْنِي دُعَاءً، قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَبْنَيِ (أي: يعني فرجه)». رواه أبو داود والترمذى، وقال: « الحديث حسن ».

(٢٥٠) وعن أنس رضي الله عنه: أن النبي صلوات الله عليه وسلام كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من البرص، والجُنون، والجُدَام، وسَيِّءِ الأَسْقَام». رواه أبو داود بسناد صحيح.

(٢٥٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: كان رسول الله صلوات الله عليه وسلام يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الجُجُوع، فإنَّه بُشَّرَ الضَّحْجَيْع» (أي: ما يلازم صاحبه في المضجع)، وأعوذ بك من الخيانة، فإنَّها بُشَّرَتِ الْإِطَانَة» (أي: الخصلة الباطنة في النفس). رواه أبو داود بسناد صحيح.

(٢٥٠) وعن علي رضي الله عنه: أن مُكَاتِبًا جاءه فقال: إني عَجِزْتُ عَنْ كِتَابِي (أي: عن أداء المأتم لإنفاس نفسي) فَأَعْنِي. قال: ألا أُعْلَمُ بِكَلِمَاتِ عَلَمَنِيْهِنَّ رَسُولُ الله صلوات الله عليه وسلام، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ دِينَا أَدَاهُ اللَّهُ عَنْكَ؟ قُلْ: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّا سِوَاكَ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٥٠) وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه: أن النبي صلوات الله عليه وسلام علم أباه حصيناً كلامتين يَدْعُو بهما: «اللَّهُمَّ أَهْمِنِي رُشْدِي، وَأَعِنِّي مِنْ شَرِّ نَفْسِي». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٥٠) وعن أبي الفضل العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: قال: قُلْتُ: يا رسول الله عَلَمْنِي شَيْئًا سَأْلَهُ اللَّهُ تَعَالَى. قال: «سَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَة». فَمَكَثْتُ أَيَّامًا، ثُمَّ جَئْتُ فَقُلْتُ: يا رسول الله، عَلَمْنِي شَيْئًا سَأْلَهُ اللَّهُ تَعَالَى. قال لي: «يا عَبْاسُ، يا عَمَّ رسول الله، سَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢٥٠) وعن شهير بن حوشب رضي الله عنه: قلت لأم سلمة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين، ما كان أكثر دعاء رسول الله صلوات الله عليه وسلام، إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائيه: «يا مُقْلِبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِك». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٥٠) وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «كان من دعاء داؤه: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَأَهْلِي، وَمِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٥٠) وعن أنس رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «أَلْطَوْا بِـ: يا ذا الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ». رواه الترمذى، ورواه النسائي من رواية ربيعة بن عامر الصحابي، قال الحاكم: « الحديث صحيح الإسناد».

**«أَلْطَوْا»:** بكسر اللام وتشديد الظاء المعجمة، معناه: الزُّمُوا هذِه الدَّعْوَةَ وَأَكْبُرُوا مِنْهَا.

(٢٥٠) وعن أبي أمامة رضي الله عنه: قال: دعا رسول الله صلوات الله عليه وسلام بدُعاءٍ كثِيرٍ، لم يحفظ منه شيئاً،

قلنا: يا رسول الله، دعوت بدعاء كثير لم تحفظ منه شيئاً، فقال: «ألا أدلّكم على ما يجتمع ذلك كله؟» تقول: اللهم إني أسألك من حبّ ما سألك منه نيلك محمد<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup>؛ وأعدك بـ

مِنْ شَرٍّ مَا استعاذه مِنْهُ نيلك محمد<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup>، وأنت المستعان، وعاليك البلاع، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٥٠) / ١٤٩٣) وعن ابن مسعود<sup>رضي الله عنه</sup> قال: كان من دعاء رسول الله<sup>صلوات الله عليه وسلم</sup>: «اللهم إني أسألك مُوجبات (أي: ما يجب) رحمةك، وعزائم (أي: بواطن) مغفرتك، والسلامة من كل إثم، والغنيةمة من كل بُرٍّ، والفوز بالجنة، والتَّبَّاجَةَ مِنَ النَّارِ». رواه الحاكم أبو عبد الله، وقال: « الحديث صحيح على شرط مسلم ».

\* \* \*

### (الدعاء)

الدعاء هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له.

**أقسام الدعاء:** يتناول لفظ الدعاء والدعوة في القرآن الكريم معنين: الأول: دعاء العبادة، (أي: التعبد والتذلل) والآخر دعاء المسألة (أي: الطلب).

فدعاء العبادة هو الذي يتضمن الثناء على الله بما هو أهلها، ويكون مصحوباً بالخوف والرجاء. أما دعاء المسألة: فهو طلب ما ينفع الداعي من حاجات الدنيا والآخرة، ودفع ما يضره. وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبد بحق.

والدعاء في القرآن يُراد به هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجتمعهما وهما متلازمان، فالعبد يدعو للنفع أو دفع الضر دعاء المسألة، ويدعو خوفاً ورجاءً دعاء العبادة.

فكُلُّ دعاء عبادٍ مستلزمٌ لدعاء المسألة ولا ينفصل عنه، وكل دعاء مسألةٌ مُتضمن لدعاء العبادة. وقد ورد المعنيان جمِيعاً في قوله سبحانه: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَصْرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّمَا لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِلِينَ ﴾٥٥﴾ وَلَا فَسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦].

أما قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادٍ عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] فإنه يتناول نوعي الدعاء أيضاً، وبكلٌّ منها فسرت الآية، قيل: المعنى: أُعطيه إذا سألني. وقيل: أثبته إذا عبدني. والقولان متلازمان ولا ينفصلان.

**فوائد إخفاء الدعاء:** لقد أمر الله تعالى بإخفاء الدعاء في آية الأعراف: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، والدعاء هنا وإن كان يشمل نوعي الدعاء إلا أنه ظاهرٌ في دعاء المسألة والطلب المُتضمن دعاء العبادة، ولهذا أمر بإخفائه وإسراره، وفي هذا الإخفاء فوائد عديدة، منها:

- ١ - أنه أعظم إيماناً، لعلم صاحبه أن الله يسمع الدعاء الخفي.
- ٢ - أنه أعظم في الأدب والتعظيم والتضرع والخشوع والذلة في الدعاء.
- ٣ - أنه أبلغ في الإخلاص.
- ٤ - أنه دليل على قرب الداعي من مولاه القريب منه، وليس من مسألة بعيد للبعيد، وهذا القرب من الداعي إنما هو قربٌ خاص، وليس قرباً عاماً من كل أحد، فهو تعالى قريبٌ من داعيه وقريبٌ من عابديه.
- ٥ - أنه أبعد للداعي من القواطع التي تقطع عليه خشوعه، والمشوشات التي تشغله.
- ٦ - أن فيه إخفاء لنعمة الذكر والتبعد عن أعين الحاسدين.

٧ - أن الدعاء نوعٌ من الذكر مُتضمنٌ للطلب منه والثناء عليه بأسمائه الحسنى وأوصافه العلى، فهو ذكرٌ وزيادة، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ كُرِّزَتِكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، فأمر الله نبيه في هذه الآية أن يذكره في نفسه.

قال مجاهد وابن جريج: أمر أن يذكر في الصدر (أي: في القلب) بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت أو الصياح.

**الاعتداء في الدعاء:** قال القرطبي : الاعتداء في الدعاء على وجوهه، منها الجهر الكبير والصياح، ومنها أن يدعوا الإنسان لنفسه (أي: بما لا يجوز أو يحدث)، بأن تكون له منزلة نبيٍّ،

أو يدعون في أمر محالٍ (أي: مستحيل)، أو أن يدعون طالباً معصيةً، أو أن يدعون بما ليس في الكتاب والسنة (أي: يخالفهما).

وقال الإمام مالك : : أَكْرَهَ للرَّجُلَ أَنْ يَقُولَ فِي دُعَائِهِ: يَا سَيِّدِي، يَا حَنَانَ، يَا حَنَانَ، وَلَكِنْ يَدْعُ بِمَا دَعَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ: رَبِّنَا، رَبِّنَا.

وقال ابن تيمية : : الاعتداء في الدعاء يكون تارةً بأن يسأل ما لا يجوز له سؤاله من المعونة على المحرمات، وتارةً بأن يسأل ما لا يفعله الله، كأن يسأل تخليده إلى يوم القيمة، أو بأن يرفع عنه منازل البشرية من الحاجة إلى الطعام والشراب ونحو ذلك مما فيه اعتداء لا يحبه الله ولا يحب سائله. وأعظم المعذين عدواناً هم الذين يدعون معه غيره؛ إذ إن أعظم العدوان الشرك، ومن العدوان أن يدعوه غير متضرع، ومن لم يسأل مسألة مسكيٍّ متضرع خائفٍ فهو معتمد. ومن الاعتداء أيضاً أن يعبده بما لم يشرع، أو يُثني عليه بما لم يُثني على نفسه، ولا أذنٌ فيه، فإن هذا اعتداء في دعائه الذي هو ثناء وعبادة، وهو نظير الاعتداء في دعاء المسألة والطلب.

عن عبد الله بن مغفل (رضي الله عنه): أنه سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها. فقال: أَيْ بُنَيَّ، سَلِّ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَتَعَوَّذْ بِهِ مِنَ النَّارِ؛ فإني سمعت رسول الله (صلوات الله عليه وسلم) يقول: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطُّهُورِ وَالدُّعَاءِ». أبودارد برقم (٩٦)، وأحمد في المستند برقم (١٦٧٩٦)، وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

وقال الأوزاعي : : خرج الناس يستسقون، فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: يا معاشر من حضر، ألستم مقررين بالإساءة؟ قالوا: بل. فقال: اللهم إنا سمعناك تقول ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ كَمِنْ سَيِّئِ﴾ [التوبه: ٩١]، وقد أقرنا بالإساءة، فهل تكون مغرتك إلا لمثلنا؟ اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا. فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا.

**آداب الدعاء:** من آداب الدعاء كما ذكر عن الإمام الغزالى :

أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة، كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر (أي: الجزء الآخر من الليل) من ساعات الليل.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُ عِنْدَ الْكَرْبَلَةِ وَالشَّدَادِ فَلَيُكْثِرْ مِنَ الدُّعَاءِ فِي الرَّحَاءِ» الترمذى برقم (٣٣٨٢)، حسنة الألبانى (صحیح الجامع الصغیر) حدیث (٦٢٩٠).

قال القاضي حسين : يُستحب لمن وقع في شدة أن يدعو بصالح عمله.

وأن يغتنم الأحوال الشريفة (أى: التي يمر بها العبد)، كحال الرزف (أى: لقتل العدو)، وعند نزول الغيث (أى: المطر)، وعند إقامة الصلاة، وعند إفطار الصائم، وحالة السجود، وفي حال السفر.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرْدُ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُنْطَرِ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنِكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينِ» أحمد في مستنه (٢/ ٣٠٤) برقم (٨٠٣٠).

وأن يدعو مستقبل القبلة، مع خفض الصوت بين المخافته والجهة، وألا يتكلف السجع في الدعاء (أى: الإتيان بنهيات متشابهة للكلمات)، فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع، والتکلف لا يناسبه.

وأن يخلص في الدعاء والتضرع والخشوع والرغبة والرهبة، وأن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاؤه فيه.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمْ الْمَسْأَلَةَ» (أى: يجزم الطلب) ولِيُعَظِّمَ الرَّغْبَةَ (أى: يطلب أفضل الأمور وأحسنها وأعظمها); فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ لَا يَعْاَذُمُهُ (أى: يكثر عليه) شَيْءٌ أَعْطَاهُ متفق عليه، واللفظ لمسلم.

وأن يلح في الدعاء، ويكون ثلاثة، كما ينبغي له ألا يستبطئ الإجابة.

وأن يفتح الدعاء ويختتمه بذكر الله تعالى والصلوة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم يبدأ بالسؤال.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إِنَّ الدُّعَاءَ مُوقَفٌ بين السماء والأرض، لا يصعد منه شيء حتى تُصَلِّي على نبيك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأن يتوب ويرد المظلالم ويقبل على الله عَزَّلَهُ بكل همة، وهو الأدب الباطن، وهو الأصل في الإجابة، مع تحرّي أكل الحال.

قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةُ لَا يُرِدُ اللَّهُ دُعَاءَهُمْ: الَّذِي كَثِيرًا، وَدَعْوَةُ الْمَظْلومِ، وَالْإِمَامُ الْمُقْسِطُ» البهقي في شعب الإيمان (١/٤١٩) برقم (٥٨٨)، حسنة الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (٣٠٦٤).

**الدعاء في القرآن الكريم:** لفظ الدعاء ورد في القرآن على وجهه منها:

الأول: بمعنى القول: ﴿فَمَا زَالَتْ تَلَافِعُ دُعَائِهِمْ حَقَّ جَعْلَنَاهُمْ حَسِيداً حَمِيدِينَ﴾ [١٥]

[الأيات: ١٥]

الثاني: بمعنى العبادة: ﴿قُلْ أَنْدَعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَصُرُّنَا﴾ [الأعراف: ٧١].

الثالث: بمعنى النداء: ﴿وَلَا شَيْعَ الْأَصْمَ الدُّعَاءَ﴾ [النمل: ٨٠، الروم: ٥٢].

الرابع: بمعنى الاستعانة والاستغاثة: ﴿وَأَذْعُوا شَهِيدَآكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣].

الخامس: بمعنى العذاب والعقوبة: ﴿تَدْعُوا مَنْ أَذْبَرَ وَتُولَّ﴾ [١٧] [المعارج: ١٧] أي: تُعذّب.

السادس: بمعنى العرض: ﴿وَيَنْقُوْرُ مَا لِي أَذْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوِهِ﴾ [غافر: ٤١] أي: أعرضها عليكم.

السابع: بمعنى السؤال نحو: ﴿أَذْعُونَكَ لِتَحْكُمَ﴾ [غافر: ٦٠].

الثامن: التسمية نحو: ﴿لَا تَجْعَلُوا دِعَاتَكُمْ رَسُولَكُمْ كَذَّالِكَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾

[النور: ٦٣].

قال بعض الصحابة في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْهَرَ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتِ إِلَيْهَا وَأَسْتَعِنُ بِيَنِ ذَلِكَ سَيِّلَا﴾ [الإسراء: ١١٠] أي: لا ترفع صوتك في دعائك فتذكر ذنبك فتعير بها (أي: يسمعها غيرك فيغيرك بها).

قال بعض أهل العلم: ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق.

ومن فوائد الدعاء سرعة الفرج وتفریح الكرب، ويشغل العبد بذنبه وعييه عن عيب غيره، مع مداومة الشعور بالضعف وال الحاجة، فلا يزال يدعو حتى ينال حاجته، ويُعد من أجمل أنواع العبادة، فيُبعد به لذاته كما يُقصد لقضاء الحاجة ولدفع المضرة، ويشعر المسلم بأنه في معية الحق دوماً.

## ٢٥١- باب فضل الدعاء بظهور الغيب

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوكُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا خَوْلَنَا أَلَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

وقال تعالى إخباراً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُولُ الْحَسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

(٢٥١ / ١٤٩٤) وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله عليه وسلم يقول: «ما من عبد مسلم يدعوا لأنبيائه بظهور الغيب إلا قال الملك: ولنك بمثل». رواه مسلم.

(٢٥١ / ١٤٩٥) وعنه: أن رسول الله عليه السلام كان يقول: «دعوة المرء المسلم لأنبيائه بظهور الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأنبيائه بخيار قال الملك الموكل به: آمين، ولنك بمثل». رواه مسلم.

## ٢٥٢- باب في مسائل من الدعاء

(٢٥٢ / ١٤٩٦) وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله عليه وسلم: «من صنيع إله معروف، فقال لفاعله: جزاك الله خيرا، فقد أبلغ في الثناء». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢٥٢ / ١٤٩٧) وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه وسلم: «لا تدعوا على أنفسكم؛ ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستحب لكم». رواه مسلم.

(٢٥٢ / ١٤٩٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله عليه وسلم قال: «أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء». رواه مسلم.

(٢٥٢ / ١٤٩٩) وعنه: أن رسول الله عليه وسلم قال: «يسْتَحِبْ لآحادِكُمْ مَا لَمْ يَعْجِلْ: يُقُولُ: قدْ دَعَوْتُ رَبِّي، فَلَمْ يُسْتَحِبْ لِي». متفق عليه.

وفي رواية مسلم: «لا يزال يُسْتَحِبْ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِلَّمْ، أَوْ قَطْيَعَةِ رَحْمِ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ». قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: «يقول: قد دَعَوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَيْسْتَحِبْ لِي، فَيَسْتَحِسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدْعُ الدُّعَاءَ».

(١٥٠٠) / ٢٥٢) وعن أبي أُمامَةَ رضي الله عنه قال: قيل لِرَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: «جُوفُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، وَدُبُرِ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(١٥٠١) / ٢٥٢) وعن عَبَادَةَ بْنِ الصَّامتِ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَوْ قَطْعِيَّةٍ رَحْمَم». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: إِذْنُنِكُمْ (أَيِّ: مِنَ الدُّعَاءِ). قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ (أَيِّ: أَنَّ اللَّهَ أَكْثَرُ إِجَابَةً مِنْ دُعَائِكُمْ)». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

ورواه الحاكم من رواية أبي سعيد وزاد فيه: «أَوْ يَدْخِرَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَهَا».

(١٥٠٢) / ٢٥٢) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبَلَةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ، وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ». متفق عليه.

## ٢٥٣ - باب كرامات الأولياء وفضالهم

قالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلَيَاءَ اللَّهِ لَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ ۚ الَّذِينَ مَأْمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

وقالَ تَعَالَى: ﴿وَهُرَى إِلَيْكِ يَحْذِنُ النَّحْلَةُ شُسَقْطُ عَيْنَكِ رُطْبًا جَنِيَّا ۚ فَكُلِّي وَأَشْرِبِ﴾ [مريم: ٢٦-٢٧].

وقالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَرْكَيَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَدْعُونِي أَنْ لَكَ هَذَا قَاتَلْتُهُو مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

وقالَ تَعَالَى: ﴿وَلَذِلِكَ لَمْ يَمْلِئُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ۖ وَتَرَى أَلْشَمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَفَرِصُهُمْ ذَاتَ الْشِمَاءِ﴾ [الكهف: ١٦-١٧].

(١٥٠٣) / ٢٥٣) وعن أبي محمد عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ (أَيِّ: الصُّفَّةُ: مَكَانٌ فِي مَؤْخِرِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ مَظَلَّلٌ أَعْدَلْ نَزْوَلِ الْغَرِيَّابِ فِيهِ مَنْ لَا مَأْوَى لَهُ وَلَا أَهْلٌ كَانُوا أَنَاسًا فُقَرَاءَ وَأَنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَرَّةً: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ اثْنَيْنِ، فَلِيُدْهِبْ بِثَالِثٍ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ

طعام أربعة، فلَيُذْهِبْ بِخَامِسٍ بِسَادِسٍ». أَوْ كَمَا قَالَ، وَأَنَّ أَبَا بَكْرَ رضي الله عنه، جَاءَ بِثَلَاثَةً، وَانْطَلَقَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله وسلامه بِعَشَرَةً، وَأَنَّ أَبَا بَكْرَ تَعَشَّى عِنْدَ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله وسلامه، ثُمَّ لَبِثَ حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ، ثُمَّ رَجَعَ، فِجَاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ. قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: مَا حَبَسَكَ عَنْ أَصْبَابِكَ؟ قَالَ: أَوَمَا عَشَّتُهُمْ؟ قَالَتْ: أَبُوا حَتَّى تَجِيءَ، وَقَدْ عَرَضُوا عَلَيْهِمْ. قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنَا فَأَحْتَبُّ. فَقَالَ: يَا غُثْرُ (أي: يا ثقيل أو يا جاهل). فَجَدَّ وَسَبَّ (أي: دعا على ابنه عبد الرحمن بقطع الأذن أو الأنف أو الشفة، حيث ظن تقصير ابنه مع الأضيف)، وَقَالَ: كُلُوا لَا هَيْئًا وَاللَّهُ لَا أَطْعَمُهُ أَبَدًا (أي: وذلك لما حصل له من الحرج والغيط بتركهم العشاء بسيبه).

قَالَ: وَإِيمُونَ اللَّهُ، مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إِلَّا رَبَا (أي: زاد) مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثُرُ مِنْهَا حَتَّى شَبِّعُوا، وَصَارَتْ أَكْثَرُ مَا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرَ فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: يَا أُخْتَ بْنِي فِرَاسٍ (أي: وهي امرأته أم رومان)، مَا هَذَا (أي: متعجبًا من كثرة ما بقي من الطعام)! قَالَتْ: لَا وَقُرْرَةٌ عَيْنِي، لَهِيَ الآنَ أَكْثُرُ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلَاثٍ مَرَاتٍ! فَأَكَلَ مِنْهَا أَبُو بَكْرَ وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ، يَعْنِي: يَمْيِنَهُ. ثُمَّ أَكَلَ مِنْهَا لُقْمَةً، ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله وسلامه فَأَصْبَحَتْ عَنْدَهُ. وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمَ عَهْدٍ، فَمَضَى الْأَجْلُ، فَتَفَرَّقْنَا أَنْتِي عَشَرَ رَجُلًا، مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُنْاسٌ، اللَّهُ أَعْلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ.

وَفِي رِوَايَةٍ: فَحَلَفَ أَبُو بَكْرٍ لَا يَطْعَمُهُ، فَحَلَفَتِ الْمَرْأَةُ لَا تَطْعَمُهُ، فَحَلَفَ الضَّيْفُ - أَوْ: الْأَصْبَابُ - أَلَا يَطْعَمُهُ أَوْ يَطْعَمُهُ حَتَّى يَطْعَمَهُ. فَقَالَ أَبُو بَكْرَ: هَذِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ. فَدَعَا بِالطَّعَامِ فَأَكَلَ وَأَكَلُوا، فَجَعَلُوا لَا يَرْفَعُونَ لُقْمَةً إِلَّا رَبَتْ مِنْهَا أَكْثَرُ مِنْهَا، فَقَالَ: يَا أُخْتَ بْنِي فِرَاسٍ، مَا هَذَا؟ فَقَالَتْ: وَقُرْرَةٌ عَيْنِي إِنَّهَا الآنَ لَأَكْثُرُ مِنْهَا قَبْلَ أَنْ نَأْكُلَ. فَأَكَلُوا، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله وسلامه، فَذَكَرَ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا.

وَفِي رِوَايَةٍ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: دُونَكَ أَصْبَابَكَ، فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ إِلَى النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله وسلامه، فَأَفْرُغُ مِنْ قِرَاهُمْ (أي: إعطاء واجب الضيافة لهم) قَبْلَ أَنْ أَجِيءَ. فَانْطَلَقَ

عبد الرحمن فَتَاهُمْ بِمَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: اطْعَمُوا. فَقَالُوا: أَيْنَ رَبُّ مَنْزِلِنَا؟ قَالَ: اطْعَمُوا. قَالُوا: مَا نَحْنُ بِآكِلِينَ حَتَّىٰ يَجِيءَ رَبُّ مَنْزِلِنَا. قَالَ: افْبُلُوا عَنَّا قِرَائِمْ؛ فَإِنَّهُ إِنْ جَاءَ وَلَمْ تَطْعَمُوا لَنْقَيْنَ مِنْهُ. فَأَبْوَا، فَعَرَفَتْ أَنَّهُ يَجِدُ عَلَيَّ، فَلَمَّا جَاءَ تَنَحَّيْتُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ. فَسَكَتَ: ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ. فَسَكَتَ، فَقَالَ: يَا غُشْرُ، أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ صَوْتِي لَمَّا جِئْتَ. فَخَرَجْتُ، فَقُلْتُ: سُلْ أَضْيَافَكَ. فَقَالُوا: صَدَقَ، أَتَانَا بِهِ فَقَالَ: إِنَّمَا انتَظَرْتُمُونِي، وَاللَّهُ لَا أَطْعَمُهُ اللَّيْلَةَ. فَقَالَ الْآخَرُونَ: وَاللَّهُ لَا نَطْعَمُهُ حَتَّىٰ تَطْعَمَهُ. فَقَالَ: وَيَلْكُمْ، مَا لَكُمْ لَا تَقْبِلُونَ عَنَّا قِرَائِمْ؟ هَاتِ طَعَامَكَ، فَجَاءَ بِهِ، فَوَصَعَ يَدُهُ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، الْأَوَّلِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَأَكَلَ وَأَكَلُوا. مِنْقُ عَلَيْهِ فَوْلَهُ: «غُشْر» بَغْنِ مَعْجَمِ مَضْمُومَةٍ ثُمَّ نُونٌ سَاكِنَةٌ ثُمَّ ثَاءٌ مُثَلِّثَةٌ، وَهُوَ الْغَيْبُ الْجَاهِلُ. وَقُولُهُ: «فَجَدَعَ» أَيْ: سَمَّهُ، وَالْجَدْعُ الْقَطْعُ. قُولُهُ «يَجِدُ عَلَيَّ» هُوَ بَكْسِرِ الْجِيمِ، أَيْ: يَعْضُبُ.

(١٥٠٤ / ٢٥٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأَمْمِ نَاسٌ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمْرٌ».

رواه البخاري، ورواه مسلم من روایة عائشة، وفي روایتهما قال ابن وهب: «مَحَدَّثُونَ» أي: مُلْهِمُونَ.

(١٥٠٥ / ٢٥٣) وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: شَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا - يعني: ابن أبي وَقَاصِ رضي الله عنه - إِلَى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَارًا، فَشَكَوَا حَتَّىٰ ذَكَرُوا أَنَّهُ لَا يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَا تُخْسِنُ تُصَلِّي؟ فَقَالَ: أَمَّا أَنَا وَاللَّهُ فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رسول الله صلوات الله عليه وسلم، لَا أَخْرِمُ (أي: لا أُنْفَص) عَنْهَا، أُصَلِّي صَلَاةَ الْعِشَاءِ فَأَرْكَدُ (أي: أَطْلَل) فِي الْأَوْلَيَّنِ، وَأَخِفُّ فِي الْآخِرَيَّنِ. قَالَ: ذَلِكَ الظُّنُونُ بَكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ. وَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجَالًا - أَوْ رِجَالًا - إِلَى الْكُوفَةِ يَسْأَلُ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ، فَلَمْ يَدْعُ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُشْتُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّىٰ دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَقَالُ لَهُ أَسَامِةُ

بن قتادة يُكَنِّي أبا سعدة، فقال: أما إذ نشدتنا **(أي: طلبت منا القول)** فإنَّ سعدًا كانَ لا يَسِيرُ بالسرِّيَّة **(أي: لا يصاحب الجيش في خروجه)**، ولا يَقْسِمُ بالسُّوَيَّة، ولا يَعْدُ في القَضِيَّة. قال سعد: أما والله لآذُونَ بِثَلَاثَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِضْهُ لِلْفَتْنَ. وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتِنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ.

قال عبد الملك بن عمير الراوي عن جابر بن سمرة: فأنا رأيتهُ بعد قد سقطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنِيهِ مِنَ الْكَبِيرِ، وإنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ فَيَغُمْزُهُنَّ. متفق عليه.

**(٢٥٣) وعن عروة بن الزبير:** أنَّ سعيدَ بن زيدَ بن عمروَ بن نفيل رضي الله عنه خاصمتُهُ أَرْوَى بِنْتُ أُوسَ إِلَى مَرْوَانَ ابْنَ الْحَكَمِ، وَادَّعَتْ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فَقَالَ سعيدُ: أَنَا كُنْتُ أَخَذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلوات الله عليه وسلم! قَالَ: مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلوات الله عليه وسلم? قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلوات الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ أَخَذَ شَيْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، طُوَّقَهُ إِلَى سَبْعَ أَرْضِينَ». فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لَا أَسْأَلُكَ بَيْتَهُ بَعْدَ هَذَا. فَقَالَ سعيدُ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً، فَأَعْمِ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا. قَالَ: فَمَا ماتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، وَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذَا وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ. متفق عليه.

وفي رواية لِمُسْلِمٍ: **عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرِ بِمَعْنَاهُ**: وأنَّ رَأَاهَا عَمِيَّاءَ تَلْتَمِسُ الجُدُرَ تَقُولُ: أَصَابَتِنِي دَعْوَةُ سَعِيدٍ. وأنَّهَا مَرَّتْ عَلَى قَبْرِي فِي الدَّارِ التَّيْ خَاصَمَتُهُ فِيهَا، فَوَقَعَتْ فِيهَا، فَكَانَتْ قَبْرَهَا.

**(٢٥٤) وعن جابر بن عبد الله:** قال: لَمَّا حَضَرَتْ أُحُدُّ دُعَانِي أَبِي مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: مَا أُرَانِي **(أي: ما أظنتني)** إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلم، وإنِّي لَا أَتُرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ اللهِ صلوات الله عليه وسلم، وإنَّ عَلَيَّ دِنًا فَاقْضِ، وَاسْتَوْصِ بِأَخْوَاتِكَ خَيْرًا، فَأَصْبَحْنَا، فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلًا، وَدَفَنَتْ مَعَهُ آخَرَ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أُتُرَكَهُ مَعَ آخَرَ، فَاسْتَخْرَ جُهَّهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهِرٍ، فَإِذَا هُوَ كَيْوَمْ وَضَعْتُهُ غَيْرَ أُذْنِهِ، فَجَعَلْتُهُ فِي قَبْرٍ عَلَى حِدَةٍ. رواه البخاري.

(١٥٠٨) وعن أنس رض: أنَّ رجلين مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلم خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلم فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ وَمَعَهُمَا مِثْلُ الْمِصْبَاحَيْنِ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا. فَلَمَّا افْتَرَقا، صَارَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاحِدٌ حَتَّىٰ آتَىٰ أَهْلَهُ رواه البخاري من طرق؛ وفي بعضها أن الرجلين أسيد بن حضير، وعبد بن بشر .

(١٥٠٩) وعن أبي هريرة رض: قَالَ: بَعْثَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم عَشْرَةَ رَهْطٍ عَيْنًا سَرِيَّةً، وَأَمْرَ عَلَيْهَا عَاصِمَ بْنَ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيَّ رض، فَانْطَلَقُوا حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا بِالْهَدْأَةِ؛ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ، ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُدَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو لَحْيَانَ، فَنَفَرُوا لَهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ رَامٍ، فَاقْتُصُوا آثارَهُمْ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ، لَجَئُوا إِلَى مَوْضِعٍ، فَأَحَاطَ بِهِمُ الْقَوْمُ، فَقَالُوا: انْزِلُوا فَأَعْطُوا بِأَيْدِيكُمْ وَلِكُمُ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ أَلَا نَقْتُلُ مِنْكُمْ أَحَدًا. فَقَالَ عَاصِمٌ بْنُ ثَابِتٍ: أَيْهَا الْقَوْمُ، أَمَّا أَنَا، فَلَا أَنْزِلُ عَلَىٰ ذِمَّةَ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا بِيَكَ صلوات الله عليه وسلم.

فَرَمَوْهُمْ بِالْبَلْ فَقَتَلُوا عَاصِمًا، وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ عَلَى الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، مِنْهُمْ خُبَيْبٌ، وَرَزِيدٌ بْنُ الدَّيْنَةَ وَرَجُلٌ آخَرُ. فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أُوتَارَ قِسِّيْهِمْ، فَرَبَطُوهُمْ بِهَا. قَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ: هَذَا أَوَّلُ الغَدْرِ وَاللَّهُ لَا أَصْحِبُكُمْ إِنَّ لِي بِهؤُلَاءِ أُسْوَةً (أي: قدوة)، يُرِيدُ الْقَتْلَى، فَجَرُوهُ وَعَالُجُوهُ، فَأَبَيَ أَنْ يَصْبَحَبُهُمْ، فَقَتَلُوهُ، وَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ وَرَزِيدٍ بْنِ الدَّيْنَةِ، حَتَّىٰ بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَابْتَاعَ (أي: اشتري) بَنْوَ الْحَارِثَ بْنَ عَامِرَ بْنَ تَوْفِلَ بْنَ عَبْدِ مَنَافِ خُبَيْبًا، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ.

فَلِبِّثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا حَتَّىٰ أَجْمَعُوا عَلَىٰ قَتْلِهِ، فَاسْتَعَارَ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ مُوسَىٰ يَسْتَحِدُ بِهَا (أي: يُقصُّ بِهَا شِعْرَه) فَأَعْارَتُهُ، فَدَرَجَ بُيُّ لَهَا وَهِيَ غَافِلٌ حَتَّىٰ أَتَاهُ، فَوَجَدَتُهُ مُجْلِسَهُ عَلَىٰ فَخِذِهِ وَالْمُوسَىٰ بِيَدِهِ، فَفَزِعَتْ فَزْعَهُ عَرَفَهَا خُبَيْبٌ، فَقَالَ: أَتَخَشِّنَ أَنْ أَقْتُلَهُ، مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ! قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا مَا يَأْكُلُ قِطْنًا مِنْ عِنْبٍ فِي يَدِهِ وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ بِالْحَدِيدِ، وَمَا

بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةِ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّهُ لَرِزْقُ رَزْقِهِ اللَّهُ خُبِيْبًا. فَلَمَّا خَرَجُوا بِهِ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الْحِلَّ، قَالَ لَهُمْ خُبِيْبٌ: دَعُونِي أَصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، فَتَرَكُوهُ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَحْسَبُوا أَنَّ مَا بِي جَزْعٌ لَرِدْتُ: اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَاقْتُلْهُمْ بِدَدًا، وَلَا تُبْقِي مِنْهُمْ أَحَدًا. وَقَالَ:

على أي جنب كان الله م صرعى  
يارك على أوصال شلو ممزاع

فلست أبالي حين أقتل مسلماً  
وذلك في ذات الإله وإن يشأ

وكان خبيب هو سن لكل مسلم قُتل صبرا الصلاة، وأخبر - يعني: النبي ﷺ - أصحابه يوم أصيروا خبرهم، وبعث ناس من قريش إلى عاصم بن ثابت حين حدثوا أنه قُتل أن يؤتوا بشيء منه يعرف، وكان قتل رجلا من عظمائهم، فبعث الله ل العاصم مثل الظللة من الدبر فحملته من رسلهم، فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئاً. رواه البخاري.

قوله: الهدأة: موضع. والظلة: السحاب. (والدبر): النحل. وقوله: «اقتلهم بددًا» بكسر الباء وفتحها، فمن كسر قال: هو جمع بدة بكسر الباء وهي النصيب ومعناه: اقتلهم حصصاً متنقسمة لـ كل واحد منهم نصيب. ومن فتح قال معناه: مفترقين في القتل واحداً بعد واحدٍ من التبديد.

وفي الباب أحاديث كثيرة صحيحة سبقت في مواضعها من هذا الكتاب، منها:

حديث الغلام الذي كان يأتي الراهب والساحر، ومنها حديث جريج.

و الحديث أصحاب الغار الذين أطبقت عليهم الصخرة.

و الحديث الرجل الذي سمع صوتاً في السحاب يقول: ألسق حديقة فلان.

وغير ذلك. والدلائل في الباب كثيرة مشهورة.

وبالله التوفيق.

(١٥١٠ / ٢٥٣) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ما سمعت عمر رضي الله عنه يقول لشيء قط: إنني لأؤذنه كذا، إلا كان كما يظن. رواه البخاري.

## ١٧ - كتاب الأمور المنهي عنها

### ٢٥٤ - باب تحرير الغيبة والأمر بحفظ اللسان

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَأَنْفَقُوا أَلْهَانًا تَوَابُ رَجِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا دِيَةٌ رَقِيبٌ عَيْدٌ﴾ [لق: ١٨].

اعلم أنه ينبغي لـك كل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاما ظهرت فيه المصلحة، وممتنى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنة الإمساك عنه، لأن قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكرر، وذلك كثير في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء.

(٢٥٤ / ١٥١١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت». متفق عليه.

وهذا صريح في أنه ينبغي إلا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً، وهو الذي ظهرت مصلحته، وممتنى شك في ظهور المصلحة، فلا يتكلم.

(٢٥٤ / ١٥١٢) وعن أبي موسى رضي الله عنه: قال: يا رسول الله، أي المسلمين أفضل؟ قال: «من سلم المسلمين من لسانه وبيده». متفق عليه.

(٢٥٤ / ١٥١٣) وعن سهل بن سعيد، قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «من يضمن لي ما بين لحييه (أي): لسانه الذي بين فكين) وما بين رجلين أضمن له الجنة». متفق عليه.

(٢٥٤ / ١٥١٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع النبي صلوات الله عليه يقول: «إن العبد ليتكلّم بالكلمة ما يتبيّن فيها ينزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغارب». متفق عليه. ومعنى «يتبيّن»: يُذكر أنها خير أم لا.

(٢٥٤ / ١٥١٥) عنه: عن النبي صلوات الله عليه قال: «إن العبد ليتكلّم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يُلقي لها بآلا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلّم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يُلقي لها بآلا يهوي بها في جهنّم». رواه البخاري.

(٢٥١٦) / ٢٥٤) وعن أبي عبد الرحمن بلال بن العمارٍ المُرْنَبِيِّ رض: أنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَسْكُلُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى مَا كَانَ يَظْنُ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَسْكُلُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخْطِ اللهِ مَا كَانَ يَظْنُ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا سَخْطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ». رواه مالك في «الموطأ»، والترمذني، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢٥١٧) / ٢٥٤) وعن سفيان بن عبد الله رض: قَلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَدَّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصُمُ بِهِ، قَالَ: «قُلْ: رَبِّيَ اللهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ». قَلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَخْوَفُ مَا تَحْافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِيِّهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا». رواه الترمذني، وقال: « الحديث حسن صحيح».

(٢٥١٨) / ٢٥٤) وعن ابن عمر رض: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ! وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللهِ الْقَلْبُ الْقَاسِيِّ». رواه الترمذني.

(٢٥١٩) / ٢٥٤) وعن أبي هريرة رض: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ وَقَاهُ اللهُ شَرًّا مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ (أي: لِسَانِهِ الَّذِي بَيْنَ فَكَيْهِ)، وَشَرًّا مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ». رواه الترمذني، وقال: « الحديث حسن».

(٢٥٢٠) / ٢٥٤) وعن عقبة بن عامر رض: قَلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلَا يَسْعُكَ بَيْتُكَ، وَابْنُكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ». رواه الترمذني، وقال: « الحديث حسن».

(٢٥٢١) / ٢٥٤) وعن أبي سعيد الخدري رض: عن النبيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ الْلِسَانَ، تَقُولُ: أَتَقِ اللهُ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنَّ اسْتَقْمَتْ اسْتَقْمَنَا، وَإِنَّ اعْوَجَجْتَ اعْوَجْجَنَا». رواه الترمذني. معنى «تُكَفِّرُ الْلِسَانَ» أي: تَدْلِلُ وَتَخْضُعُ لَهُ.

(٢٥٢٢) / ٢٥٤) وعن معاذ رض: قَلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيَعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيُسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسِّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقْتِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ». ثُمَّ قَالَ: «الَّا أَدْلُكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَاحٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ الْلَّيْلِ». ثُمَّ تَلَاقَ ﴿نَتَجَافَ جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧ - ١٦] ثُمَّ قَالَ: «الَّا أَخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأُمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ (أي: النَّدْرَوَةُ: أَعْلَى الشَّيْءِ، وَالسَّنَامُ: مَا ارْتَفَعَ مِنْ ظَهَرِ الْجَمْلِ)». قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ:

«رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ». ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَائِكَ ذَلِكَ كُلُّهُ!» قُلْتَ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَأَخْذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا». قُلْتَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثِكْلَتَكَ (أَيِّ: فَقِدْتَكَ) أَمْكَ! وَهُلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ الْسَّيِّئَاتِ؟». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح». وقد سبق شرحه في باب قبل هذا.

(١٥٢٣) وعن أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أَنْدَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «ذَكِرْ كُوكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرُهُ». قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَهُ». رواه مسلم.

(١٥٢٤) وعن أبي بكر: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ يَوْمَ النَّحرِ بِمِنْيَى فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ: «إِنَّ دِماءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةٍ يَوْمَكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هُلْ بَلَغْتُ». متفق عليه.

(١٥٢٥) وعن عائشة: قَلْتُ لِلنَّبِيِّ: حَسْبُكَ مِنْ صَفَيَّةٍ (أَيِّ: مِنْ عِيوبِهَا البدنية) كَذَا وَكَذَا. قَالَ بَعْضُ الرَّوَاةِ: تَعْنِي قَصِيرَةً. فَقَالَ: «الْقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزَجَّتْ بِمَا بَعْدِ لَمَزَاجَتْهُ!». قَالَتْ: وَحَكَيْتُ (أَيِّ: قَلَدْتِ) لَهُ إِنْسَانًا. فَقَالَ: «مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَإِنِّي كَذَا وَكَذَا». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

وَمِنْعِنِي «الْمَزَاجَةُ»: خَالَطَتْهُ مُخَالَطَةً يَغْبَرُ بِهَا طَعْمُهُ أَوْ رِيحُهُ لِشَدَّةِ تَسْتِهَا وَقُبْحَهَا. وهذا الحديث من أبلغ الروايات عن الغيبة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَطِيقُ عَنِ الْمَوْقِعِ ۚ إِنَّهُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ۚ ﴾ [النجم: ٤، ٣].

(١٥٢٦) وعن أنس: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ (أَيِّ: يَخْدُشُونَهَا) وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هُؤُلَاءِ يَا جِرَيلُ؟ قَالَ: هُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ!». رواه أبو داود.

(١٥٢٧) وعن أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دُمْهُ وَعَرْضُهُ وَمَالُهُ». رواه مسلم.

## ٢٥٥- باب تحرير سماع الغيبة

**وأمر من سمع غيبة محرمة بردتها والإنكار على قائلها  
فإن عجز أو لم يقبل منه فارق ذلك المجلس إن أمكنه**

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا الْغَوَّا عَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [القصص: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ الْغَوَّ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ أَسْمَاعَ الْبَصَرِ وَالْقُوَادِ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْعُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخْوُضُونَ فِي هَذِهِ آيَاتِنَا فَاعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخْوُضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾

وَمَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَنْقَعِدْ بَعْدَ أَذْكَرَتَهُ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٨].

(٢٥٥ / ١٥٢٨) وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «من ردَّ عن عرض أخيه، ردَّ الله عن وجيه النار يوم القيمة». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٢٥٥ / ١٥٢٩) وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه في حديث الطويل المشهور الذي تقدم في باب الرجاء قال: قام النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه يصلّي فقال: «أين مالك بن الدخشم؟» فقال رجل: ذلك مُنافق لا يحب الله ولا رسوله. فقال النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه: «لا تقل ذلك ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله يريد بذلك وجهة الله! وإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يتغى بذلك وجهة الله». متفق عليه. «وعتبان» بكسر العين على المشهور وحکي ضمها وبعدها تاءً مثناة من فوق ثم باءً موحدة. و«الدخشم» بضم الدال وإسكان الخاء وضم الشين المعجمتين.

(٢٥٥ / ١٥٣٠) وعن كعب بن مالك رضي الله عنه في حديث الطويل في قصة توبته - وقد سبق في باب التوبة - قال: قال النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب بن مالك؟» فقال رجل منبني سلمة: يا رسول الله، حبسه بزداه والنظر في عطفية. فقال له معاذ بن جبل رضي الله عنه: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه. متفق عليه. «عطفة»: جايأه، وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه.

## ٢٥٦- باب ما يباح من الغيبة

اعلم أنَّ الغيبة تباُح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو ستة أسباب:  
**الأول:** التَّظْلِمُ، فَيَجُوزُ لِلْمَظْلُومِ أَنْ يَتَظَلَّمَ إِلَى السُّلْطَانِ وَالْقَاضِيِّ وَغَيْرِهِمَا مِمَّنْ لَهُ  
 ولاية، أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان بكندا.

الثاني: الاستئعانة على تغيير المنكر، وردد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدراته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا، فاجره عنه ونحو ذلك ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حراماً.

الثالث: الاستئتماء، فيقول للمفترى: ظلمني أبي أو أخي، أو فلان بذلك أفهم له ذلك؟ وما طريقي في الخلاص منه، وتحصيل حقّي، ودفع الظلم؟ ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، ولكن الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص، أو زوج، كان من أمره كذا؟ فإنه يحصل به الغرض من غير تعين، ومع ذلك، فالتعين جائز كما سندكره في حديث هند إن شاء الله تعالى.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، وذلك من وجوه منها: جرح المجرؤين من الرواة والشهدود، وذلك جائز ياجماع المسلمين، بل واجب للحاجة.

ومنها: المشاور في مصاورة إنسان أو مشاركته، أو إيداعه، أو معاملته، أو غير ذلك، أو مجاورته، ويجب على المشاور إلا يخفي حاله، بل يذكر المساوي التي فيه بنية النصيحة.

ومنها: إذا رأى متفقاً (أي: طالباً للعلم) يتربّد إلى مبتدع، أو فاسق يأخذ عنده العلم، وخاف أن يتضرر المتفقاً بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيحة، وهذا مما يغلط فيه. وقد يحمل المتكلّم بذلك الحسد، وليبس الشيطان عليه ذلك، ويغيب إليه أنه نصيحة فليتقطّن لذلك.

ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها: إما بآلا يكون صالحًا لها، وإما بآن يكون فاسقاً، أو مغفلًا، ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة لغيره، ويولي من يصلح، أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله، ولا يغتر به، وأن يسعى في أن يُحثّه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة

النَّاسِ، وَأَخْدِ الْمَكْسِ (أي: أَخْذُ أَمْوَالَ النَّاسِ ظُلْمًا)، وَجِبَائِيَ الْأَمْوَالِ ظُلْمًا، وَتَوَلِي الْأَمْوَالِ الْبَاطِلَةِ، فَيَجُوزُ ذِكْرُه بِمَا يُجَاهِرُ بِهِ، وَيَحْرُمُ ذِكْرُه بِغَيْرِه مِنَ الْعُيُوبِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِجَوَازِه سَبَبٌ آخَرُ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفاً بلقب، كالأخمش، والأعرج، والأصمّ، والأعمى، والأحوال، وغيرها جاز تعريفه بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة التقصّ، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى، فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليه، ودلائلها من الأحاديث الصحيحة مشهورة، فمن ذلك:

(٢٥٦ / ١٥٣١) عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رجلاً استأذنَ على النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه فقال: «أَئْذُنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ (أي: المراد بالعشيرة: الجماعة أو القبيلة)». متفق عليه. احتج به البخاري في جواز غيبة أهل الفساد وأهل الرّيب.

(٢٥٦ / ١٥٣٢) وعنها قالت: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «مَا أَطْنُ فُلَانًا وَفُلَانًا يَعْرَفُانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئًا». رواه البخاري قال: قال الليث بن سعد أحد رواة هذا الحديث: هذان الرجالان كانوا من المنافقين.

(٢٥٦ / ١٥٣٣) وعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت: أتَيْتُ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وآله وسلامه فقلت: إِنَّ أَبَا الْجَهَنَّمَ وَمَعَاوِيَةَ خَطَبَانِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه: «أَمَا مُعَاوِيَةُ، فَصُعْلُوكُ (أي: الفقير) لَا مَالَ لَهُ، وَأَمَا أَبُو الْجَهَنَّمَ فَلَا يَضَعُ الْعَصَماَعْنَ عَاتِيقَه». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «وَأَمَا أَبُو الْجَهَنَّمَ فَضَرَابُ لِلنِّسَاءِ». وهو تفسير لرواية: «لَا يَضَعُ الْعَصَماَعْنَ عَاتِيقَه». **وقيل**: معناه: كثير الأسفار.

(٢٥٦ / ١٥٣٤) وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه في سفر أصاب الناس فيه شدة، فقال عبد الله بن أبي لأصحابه: لا تتفقوا على من عند رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه حتى ينفعوا (أي: يتفرقوا). وقال: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعْزَمَ مِنْهَا الْأَذَلَّ. فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ عبدَ اللهِ بْنَ أَبِيِّ، فَاجْتَهَدَ يَمِينَهُ: مَا فَعَلَ، فَقَالُوا: كَذَبَ زِيدٌ رَسُولَ اللهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِمَّا قَالُوهُ شِدَّةٌ (أي: هم وحزن) حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى تَصْدِيقِي: **{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ}** [المنافقون: ١] ثُمَّ دَعَاهُمُ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله وسلامه لِيُسْتَغْفِرَ لَهُمْ فَلَوْا رُؤُوسَهُمْ. متفق عليه.

(٢٥٦ / ١٥٣٥) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قالت هند امرأة أبي سفيان للنبي صلوات الله عليه وآله وسلامه: إنَّ أَبَا سُفْيَانَ

**رَجُلٌ شَحِيقٌ** (أي: الشح: البخل مع الحرص)، وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي إِلَّا مَا أَخْذَتْ مِنْهُ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ؟ قَالَ: «خُذِي مَا يَكْفِيكَ وَوَلَدُكَ بِالْمَعْرُوفِ». متفق عليه.



### (الغيبة)

الغيبة: هي ذِكر مساوي وعيوب إنسانٍ هي فيه بالحقيقة أمام الآخرين، ولكن في غير حضوره، في أثناء غيبته، وأنت تعلم أنه يكره ذلك، فهذا ذكر العيب بظاهر الغيب، سواء كان نقصاناً في بدنـه أو لبسـه أو خلقـه أو في فعلـه أو في قوله أو في دينـه أو في دنياه أو في ولده أو في ثوبـه أو في دارـه أو في دابـته.

وكما تكون الغيبة قولًا قد تكون بالفعل أيضاً، كالحركات الدالة على ما ذكرناه من نقص أو عيب أو إشارة أو كنـية، كذلك من استمع وصدق هذه المساوي والغيبة فهو معتـاب أيضاً؛ لأنـ من أظهر التـعجب والـندـهاش للمـعـتاب يـشـجـعـه على أنـ يـزـدـادـ فيـ غـيـبـتهـ، فهو شـريكـهـ فيـ غـيـبـةـ، بلـ منـ سـكـتـ علىـ غـيـبـةـ دونـ رـدـ عـرـضـ أـخـيـهـ فهوـ مـعـتـابـ أيـضاـ.

### الفرق بين الغيبة والبهتان والشتم:

الغيبة أن تذكر مساوي الإنسان التي هي فيه حقيقة من دون كذب وفي غير حضوره. أما البهتان فهو أن تذكر مساوي لإنسان كذباً وليس فيه على الحقيقة وفي غير حضوره أيضاً، أما الشتم فهو أن تذكر مساوي الإنسان في حضوره ومواجهته.

وعند الفقهاء أن الغيبة من الكبائر، وهي تعادل غصب المال وقتل النفس؛ لقوله عليه السلام:

**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ.** مسلم برقم (٢٥٦٤).

وقال عليه السلام: **إِنَّ مَنْ أَرْبَى الرِّبَّا الْاسْتِطَالَةُ** (أي: التـطاـولـ بـالـعـيـبـ) **فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ**. أحمد في مسنـه (١٩٠ / ١٩٠) برقم (١٦٥١)، حـسنـهـ الأـلبـانيـ (صـحـيقـ الجـامـعـ الصـغـيرـ) حـديثـ (٢٢٠٣).

وقال عليه السلام: **يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُدْخِلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَبُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَبَعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّمَا مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَبَعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنِ اتَّبَعَ اللَّهَ عَوْرَتَهُ يَفْضَحُهُ فِي**

**بيتٍ**). أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٤٢٠ / ٤٩٧٩١) بِرَقْمِ (٤٢٠)، وَقَالَ الْأَرْنُوْطُ: صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ.

واعلم أن أي إشارة، بالمحاكاة أو بطريقة يفهمها المخاطب، تُفيد التنقض للإنسان الغائب عن المجلس صارت غيبة، سواءً كانت بالكلام أو الغمز بالعين أو حتى كتابة بالقلم، فإنه كما يُقال: أحد اللسانين.

ومن ذلك أيضًا التنقض والغيبة بطريقه أهل الدين، وذلك حين يذكر أخاه فيقول عنه: نسأل الله العافية، أو ربنا يتوب علينا وعليه، أو غلبان مسكون مبتلى. فهو في الحقيقة يذم صاحبه ويمدح نفسه، ويبدو كأنه يدعوه له وإن كان يُخفي رغبته في اتهامه بالنقض والعيب.

ومن الغيبة كذلك: الاشتراك في الاستماع لها أو السكوت عنها، إلا أن يدافع عن المعتبر إن استطاع، فإن خاف قام من المجلس أو قطع الكلام بكلام آخر أو على الأقل أنكر ذلك بقلبه.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخْوُضُونَ فِي أَيْمَانِنَا فَأَتْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخْوُضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَمَا يُسِينَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا نَقْعُدُ بَعْدَ الَّذِكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعمال: ٦٨].  
قال ﷺ: «مَنْ رَدَ عَنْ عِرْضٍ أَخِيهِ رَدَ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٦ / ٤٥٠) بِرَقْمِ (٢٧٥٨٣)، وَقَالَ الْأَرْنُوْطُ: حَسْنٌ لِغَيْرِهِ.

وقيل: نزه سمعك عن استماع الغيبة كما تنزعه لسانك عن الخوض فيها.

### حد الغيبة وضابطها:

حد الغيبة وضابطها هو: تفهمك المخاطب نقض وعيك إنسان بعينه غائب عن المجلس بإحدى الطرق التي ذكرناها سابقاً، والغيبة صدق ليست كذباً ولكنها أضر وأقبح من الكذب، لما فيها من العار والضرر والأذى، فالغيبة هي أقبح الصدق.

قال الماوردي : والغيبة أيضاً خيانة وهتك ست بسبب حسد أو غدر.

وقال عدي بن حاتم : الغيبة راعي اللئام (أي: شيههم بالغمم التي ترعى).

وقال الحسن البصري : الغيبة فاكهة النساء (أي: يتلذذون بها).

وقال رجل لابن سيرين : إني اغتبتك فاجعلني في حَلَّ. فقال: ما أحب أن أحَلَّ لك ما حرم الله عليك (أي: أراد ألا يتשהَّل معه حتى يخاف من تكرارها).

وقال ابن السَّمَّاك : لا تُعنِّ الناس على عَيْك بسوء عَيْك (أي: فلا تدفع الناس إلى أن يعيوبوك بسبب تطاولك عليهم بالغيبة والسب).

### الأسباب الباواعثة على الغيبة:

١- أن تكون بينهما شحنة، فيحاول أحدهما أن يشفى غيظه، فإنه كلما ذكر غريمه تَشَفَّى بذكر عيوبه ونقائصه، فيشيء ذلك غيظه، وهذا للأسف من قلة الدين.

وقد لا يوجد فرصة فلا يستطيع التشفى، فيحتقن الغضب في داخله ليتحول إلى حقد ورغبة في الانتقام، فالحقد والغضب من بواعث الغيبة كذلك.

٢- الرغبة في مجامدة الأصحاب والزملاء في ذكر مساويٍ من يكرهون: فبعض الناس يجامل أصحابه، وإلا انفروا عن صحبته، ويظن ذلك للأسف من حسن العشرة مع أصحابه؛ فيغضب لغضبهم في الباطل مجاملة لهم.

٣- رغبة التكبر وإرادة رفع نفسه فوق خصمه: فيقصد بذكر مساوي غيره إنقاذه قدره ورفع قدر نفسه وأنه الأفضل والأتقى والأعلم والأصدق.

٤- قد تكون محاولته في الغيبة هي لتبرئة نفسه من تهمة ما، فيذكر فعل أو مساوي أخيه، وكان الأولى أن يُبرئ نفسه فقط ولا يفضح أخاه لتبرئة نفسه وإيجاد عذر لها.

٥- الحسد: فربما يحسد من يُثنى الناس عليه ويذكرونـه بـخـير، فيـتمنـى زـوال نـعمـته فـلا يـجد سـبيـلاً أـمامـه إـلا الـقـدـحـ والـذـمـ فـيهـ، وـقـدـ يـكـونـ هـذـاـ معـ صـدـيقـ لـهـ أوـ رـفـيقـ، وـهـذا عـيـنـ الحـسـدـ؛ لـأـنـ يـكـرهـ أـنـ يـسـمـعـ الثـنـاءـ عـلـيـهـ.

٦- رغبة التلهي «والهزار» والضحك والمسامرة: حتى إن بعض الناس يتكتسبون من ذلك.

٧- حب السخرية والاستهزاء من الآخرين.

واعلم أن المعتاب متعرض لسخط الله عَزَّلَهُ، وأن حسناته تتقل إلى من اغتابه، وأن سيئات صاحبه تتقل إليه.

وروي عن الحسن البصري : أن رجلاً قال له: إن فلاناً قد اغتابك. بعث إليه الحسن رطباً على طبق وقال: قد بلغني أنت أهديت إلى من حسناتك ما أردت أن أكافئك عليها، فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك على التمام.

وهذا عبد الله بن المبارك : يسخر من يضيع أعماله وحسناته بالغيبة يوم القيمة فيقول: لو كنت معتاباً أحداً لاغتبت والدي، لأنهما أحق الناس بحسناتي.

\* \* \*

## ٢٥٧ - باب تحرير النمية

### وهي نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد

قال الله تعالى: ﴿ هَمَارِ مَشَاءِ نَبِيِّمِ ﴾ [القلم: ١١].

وقال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا دَيْرَقِبُ عَيْدِ ﴾ [ق: ١٨].

(٢٥٣٦ / ٢٥٧) وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «لا يدخلُ الجنةَ نَمَامٌ (أي: حتى يستوفي حسابه أولاً)». متفق عليه.

(٢٥٣٧ / ٢٥٧) وعن ابن عباس : أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلم مرَّ بقبرِيْنَ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ! بَلِّي إِنَّهُ كَبِيرٌ: أَمَا أَحَدُهُمَا، فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَرِّ مِنْ بَوْلِهِ». متفق عليه وهذا لفظ إحدى روایات البخاري.

قال العلَّماءُ: مَعْنَى «وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» أي: كَبِيرٌ في زَعْمِهِما. وَقَيْلَ: كَبِيرٌ تَرْكُهُ عَلَيْهِمَا.

(٢٥٣٨ / ٢٥٧) وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وسلم قال: «أَلَا أُنْبَئُكُمْ مَا الْعَصْبَهُ؟ هِيَ النَّمِيمَهُ، الْقَالَهُ بَيْنَ النَّاسِ». رواه مسلم.

«العصبة»: بفتح العين المهملة، وإسكان الضاد المعجمة، وبالهاء على وزن الوجه، وروي «العصبة» بكسر العين وفتح الضاد المعجمة على وزن العدة، وهي: الكذب والبهتان، وعلى الرواية الأولى: العصبة مصدر يقال: عصبه عصبها، أي: رماه بالعصبة.

\* \* \*

## (النميمة)

وهي نقل الكلام بين الناس بعضهم إلى بعض بقصد الإفساد، وحكمها أنها من الكبائر العظام، وهي أيضاً تعني إفشاء الأسرار وهتكها، مما يكره كشفه مما فسد بين الناس أيضاً؛ قال عليهما السلام: **«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ»** وفي رواية: **«قَاتٌ»**. متفق عليه.

**والنمّام** هو الذي يكون مع الناس يتحدثون فيكشف بعض أسرارهم، وينم عليهم ويُخبر عنهم ما يكرهون، سواء كان الكشف بالكلام أو الإشارة أو بغيرهما.

أما **القاتنات**: فهو الذي يستمع لحديث الآخرين وهم لا يعلمون ثم ينمي عليهم، وقد قيل إنه آخر الناس خروجاً من النار أو دخولاً للجنة.

وحُدُّ النميمة هو كشف ما يكره كشهادة عن الآخرين، سواء كان ذلك من الأقوال أو من الأفعال، كمن كشف عملاً أو مالاً يخفيه شخص عن الآخرين أو مستمر عن آخر.

والنميمة من أسوأ الصفات والخلال الذميمة، وتدل على نفس سقيمة مريضة، وطبيعة لئيمة مشغوفة بهتك الأستار وإفشاء الأسرار وإدخال الأضرار، مما قد يؤدي إلى سفك الدماء وانتهاء المحارم واستباحة الأموال.

وقيل في قوله: **﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ﴾** [المدح: ٤] أنها كانت تمسي بالنميمة، فالنميمة تجمع بين مذمة الغيبة رداةً وشرراً ولوّماً ودناءةً وغدر النّمام.

وقيل: **النميمة سيف قاتل**. وقال أديب: **لم يمشِ ماشٍ شرٌّ من واشٍ** (الذي يفضي سر أخيه مما يكره).

فالنمّام يجمع بين خبث الغيبة، ورغبة الإفساد بين الناس، وهذا من اللؤم والدناءة والغدر مما يتسبب عنه التنازع والتدابر والتباغض، حتى بين المتحابين أو المتقاربين أو المتزوجين. وكان يقال: **ظلُّمٌ مِنْكَ لأخيكَ أَنْ تقولَ أَسْوَأَ مَا تَعْلَمُ فِيهِ**.

وقال حكيم: **إِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ**؛ فإنها تزرع الضعاف وتورث الأحقاد. فالنمّام يفسد في ساعة ما لا يفسد الساحر في شهر. قال الحسن: **مَنْ نَمَّ إِلَيْكَ نَمَّ عَلَيْكَ**.

## (السعاية)

وهي نقل الحديث إلى السلطان أو الحاكم أو الكبير عموماً للإيقاع عند الحاكم، وهي شر أنواع النمية، لأنها تجمع بين مفسدة الغيبة ولؤم النمية والتغريب باللغوس والأموال والقدح في الهيئات والبيوت والأحوال.

والسعاية في الحقيقة إنما هي نقل لكلام صحيح، فهي صدق أقبح عند الله من الكذب. وقد قيل: الصدق يُزَيِّن كُلَّ أحد إِلَّا في السعاية؛ فإن الساعي فيها مذموم وآثم، والنمية دناءة، والسعاية رداءة، وهما رأس الغدر وأساس الشر.

وقبول السعاية من قائلها شرٌّ من فعلها، لأن السعاية دلالة وتوجيه، والقبول بها إجازة وإقرار، فاتقوا الساعي بالوشایة، فإن كان صادقاً كان آثماً؛ إذ لم يحفظ حرمة ولم يستر عورة. وحُكِي أن رجلاً سعى بوشایة إلى الإسكندر الأكبر في رجل آخر، فقال: أتحب أن تقبل منه ما يقول فيك أيضاً؟ قال: لا. قال: فكُفْ عن الشُّرِّ يكف عنك الشر.

وقيل إن المطر مُنْعِن عن موسى وقومه لأن بينهم واشياً أو ساعياً بالسوء، فقال موسى: يا رب، دلي علىه حتى أخرجه من بيننا. قال: يا موسى أكره النمية وأ فعلها.

عن عبد الله بن مسعود يرفعه: «لَا يُلَعِّنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ». أحمد في مسنده (١/٣٩٥) برقم (٣٧٥٩).

### علاج النمية:

- لا نصدق النمام والسايعي والواشي بها إلى الحاكم؛ لأنه فاسق مردود الشهادة عند الله، فقد قال الله تعالى: ﴿يَتَاهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا إِنْ جَاءَهُ كُفَّارٌ فَاسْقٌ بِنَا فَتَبَيَّنَوْا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهْلَكٍ فَنُصِيبُهُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ تَنْدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

- أن ينهاه عن ذلك ويقبح عليه فعله.

- أن يُغضبه في الله والله تعالى.

- لا تظن بأن حيك الغائب سوءاً، لقوله تعالى: ﴿أَبْحَتُمُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّكُمْ بَعْضَ الظَّنِّ إِنَّمَا﴾ [الحجرات: ١٢].

- ألا يحملك النمام على أن تتجسس على أخيك؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا جَنَسُوا﴾ [الحجرات: ١٢].

- ألا ترضى لنفسك أن تكون نماماً، فتحكي نمية من نم لك، فتصير ناماً ومتباً، وتفعل ما نهيت غيرك عنه.

### قصص في النمية:

**قصة:** رُوي عن عمر بن عبد العزيز أنه دخل عليه رجل فنِّم له عن رجل شيئاً، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ [الحجرات: ٦]، وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّأْرٌ مَّشَامٌ يَنْبِيُّ﴾ [القلم: ١١] وإن شئت عفونا عنك؟ فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبداً. اهـ.

**قصة:** ذُكر أن حكيمًا من الحكماء زاره بعض إخوانه فأخبره بخبر سبع عن بعض أصدقائه، فقال له الحكيم: قد أبطأت في الزيارة، وأتيت بثلاث جنایات: بغضت أخي إليّ، وشغلت قلبي الفارغ، واتهمت نفسك الأمينة. أي بفعل السعاية والحقيقة. اهـ.

**قصة:** وروي أن سليمان بن عبد الملك كان جالساً وعنه الإمام الزهرى، فجاءه رجل فقال له سليمان: بلغني أنك وقعت في وقلت كذا وكذا. فقال الرجل: ما فعلت ولا قلت. فقال سليمان: إن الذي أخبرني صادق. فقال الزهرى: لا يكون النمام صادقاً. فقال سليمان: صدقت. ثم قال للرجل: اذهب بسلام. اهـ.

وقال رجل لعمرو بن عبيد: إن فلاناً (أي: يشير إلى عالم وصديق) ما يزال يذكرك في قصصه بسوء. فقال له عمرو: يا هذا، ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أدبت حقي حين أعلمته عن أخي ما أكره، ولكن أعلمه أن الموت يعمتنا، والقبر يضمينا، والقيمة تجمعنا، والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين.

وقال لقمان لابنه: يابني، أوصيك بصفات إن تمسكت بها لم تزل سيداً على الناس: أحسن خلقك للقريب والبعيد، وأمسك غضبك وجهمك عن الكريم والثئيم، واحفظ إخوانك، وصل أقاربك وأمنهم من قبول وشایة واشٍ أو سعاية ساع بالنميمة أو سماع باع أو ظالم يريد فسادك

ويرجو خداعك، واختر من الأصحاب من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهם ولم يعييوك.

وقال بعضهم: لو صح ما نقله النمام إليك لكان هو في الحقيقة المجترئ بالشتم عليك، والمنقول عنه النمية أقل سوءاً وأولى بالعفو منك؛ لأنه على الأقل لم يجترئ أن يسبك في وجهك.

**قصة:** وسائل رجل عبد الملك بن مروان أن يكلمه سراً، فقال لجلسائه: إذا شئتم قوموا. فلما تهيأ الرجل للكلام قال له: إياك أن تمدحني فانا أعلم بنفسي، أو تكذبني فإنه لا رأي لكذوب، أو تسعنـ (أي: يقصد وشاية أو سعاية بأحد الناس)، وإن شئت أقتـ (أي: عذرتك من الحديث الخاص معـ). قال: أقلني. اهـ.

**قصة:** ودخل رجل على الوليد بن عبد الملك وكان واليًا على دمشق، فقال: عندي نصيحة. فقال: إن كانت لنا فاذكرها، وإن كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها. قال: لي جار عصى أمرك وفرّ من بعثه (أي: يعني: تجنيده في العسكر والجيش). فقال له: أما أنت فإنك جار سوء، فإن شئت أرسلنا معك رسولًا من العسكر، فإن كنت صادقًا أقضيناك، وإن كنت كاذبًا عاقبناك، وإن شئت أقلنكـ. قال: أقلنيـ. اهـ.

وعاتب مصعب بن الزبير الأحنفـ في شيء فأنكرهـ، فقال: أخبرـني الثقةـ. فقال الأحنفـ: لو كان ثقةـ ما بلـغـكـ عـناـ شيئاـ.

وجاء رجلـ لـابـنـ سـيرـينـ يـعـاتـبهـ وـيـقـولـ: بـلغـنـيـ أـنـكـ نـلـتـ مـنـيـ. قال: نفسي أعز عليـ من ذلك.

\* \* \*

## ٢٥٨- باب النهي عن نقل الحديث وكلام الناس

**إلى ولادة الأمور إذا لم تدع إليه حاجة كخوف مفسدة ونحوها**

قال الله تعالى: ﴿وَلَا نَعَاوِظُ عَلَى الْأَثْرِ وَأَعْدَوْنَ﴾ [المائدة: ٢].

وفي الباب الأحاديث السابقة في الباب قبله.

(٢٥٨ / ١٥٣٩) وعن ابن مسعود قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُلْغِنِي أَحَدٌ مِّنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا، إِلَّا مَنْ أَحَبَّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمٌ الصَّدْرُ». رواه أبو داود والترمذى.

## ٢٥٩- باب ذم ذي الوجهين

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرَضُى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ حَمِيطًا ﴾ [النساء: ١٠٨].

(٢٥٩ / ١٥٤٠) وعن أبي هريرة قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَحِدُّونَ النَّاسَ مَعَادِنَ (أي: أصول): خَيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خَيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقَهُوا (أي: صاروا فقهاء وعلماء)، وَتَحِدُّونَ خَيَارَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأنِ أَشَدَّهُمْ لِهِ كَرَاهِيَّةً، وَتَحِدُّونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هُؤُلَاءِ بِوَجْهٍ، وَهُؤُلَاءِ بِوَجْهٍ». متفق عليه.

(٢٥٩ / ١٥٤١) وعن محمد بن زيد: أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِجَدِّهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ : إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سَلَاطِينَا فَنَقُولُ لَهُمْ بِخِلَافٍ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ. قَالَ: كُنَّا نَعْدُ هَذَا نِفَاقًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. رواه البخاري.

\* \* \*

### (النفاق)

الكذب في القول هو فعل اللسان، أما الكذب في القلب والجوارح فيسمى نفاقاً، حيث يُظهر الإنسانُ الخيرَ ويُعطيه السوء، فالنفاق هو الكذب في الأفعال، وهو أيضاً المكر والخدعة.

#### **أنواع النفاق: والنفاق نوعان:**

الأول: النفاق الأكبر، وهو أن يُظهر الإنسان الإيمان في اعتقاده ويعطيه الكفر، وهذا الذي نزل القرآن بذم أهله وتکفیرهم، وأخبر أنهم في الدرك الأسفل من النار.

الثاني: وهو النفاق الأصغر، وهو نفاق العمل، وهو أن يُظهر الإنسانُ الخيرَ والصدقة في عمله ويُعطي الشرَّ والعداوة، وهذا الذي أراده حنظلة حينما قال: نافق حنظلة. [مسلم برقم (٢٧٥٠)]، فأراد أنه إذا كان عند النبي أخلص وزهد في الدنيا، وإذا خرج من عنده نسي ورغبت فيها، فاتَّهم نفسه بالنفاق العملي.

والرياء داخل في معنى النفاق العملي، الذي هو إظهار التعبُّد لله من أجل أن يراه الناس فيحترموه ويحمدوه عليهما؛ فإنه بهذا يطلب الجاه والمترفة في قلوب الناس لا يقصد ثواباً من الله في الآخرة.

ومن أشد أنواع نفاق العمل أن يظهر الإنسان الخير لا ليُحمد فقط، بل أيضاً ليتوصل به إلى غرض سبئ مُستعملاً المكر والخداعة، فكُل من يظهر بمظهر مُنافٍ حقيقته فهو منافق مذموم، وهذا خلاف التجمُّل للناس الذي يُظهر فيه المرءُ الخير الذي في نفسه متعمداً احتراماً ومحبةً لأخيه.

والنفاق في الإيمان والعقيدة كفر، بل أشد منه خطرًا؛ لأنَّه لا يظهر خطره للناس بسبب مكره وخبثه؛ ولهذا كان مصير صاحبه الدرك الأسفل من النار. أما النفاق في العمل فهو كالمرء الذي يُظهر خيراً ويبطن سوءاً، فينطبق عليه حكم الرياء، والرياء من الكبائر.

**المداهنة:** والمداهنة لون من النفاق العملي أيضاً؛ لأن المداهن يُخفي شرّاً ويدهن ظاهره بقشرة من الخير؛ لخداع الآخرين بعمله، فهو خداع. فالْمَدَاهِنُ يتلطف ويتجمل ويمدح أهل السوء والفجور لِيُقرَّهم على باطلهم وهاوهم؛ طمعاً في مال أو منصب أو جاه.

وقد أمرنا الله عَزَّوجَلَّ بجهادهم فقال: **فَهَبْتَأْيَهَا أَنَّىٰ جَاهَدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَنَّهُمْ وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ وَرِئَسَ الْمَصِيرِ** ﴿٢٣﴾ [التوبه: ٢٣]، والسنّة تأمرنا بالإعراض والابتعاد عنهم وعدم التعاون أو التعامل معهم؛ ففي الحديث: «آية المنافق ثلاث»: إذا حدثَ كذبَ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا اؤْتَمِنَ خَانَ [متفق عليه]، وفي الحديث: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هُؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهُؤُلَاءِ بِوَجْهٍ». متفق عليه.

قال عمر رضي الله عنه: إن أخوف ما أخاف عليكم المنافق العليم. قالوا: وكيف يكون المنافق علیماً؟ قال: يتكلم بالحكمة ويعمل بالفجور (أي: الظلم والتجاوز).

وقال حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ: إنَّ الْمُنَافِقِينَ الْيَوْمَ شُرُّ مِنْهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ، كَانُوا يَوْمَئِذٍ يُسْرُونَ وَالْيَوْمَ يَجْهَرُونَ.

وقال ابن مسعود: إنكم ترون الكافر من أصح الناس جسمًا وأمرضهم قلباً.  
وسائل الإمام أحمد: ما تقول فيمن لا يخاف على نفسه النفاق؟ قال: ومن يأمن

## على نفسه النفاق؟

والمنافق مريض القلب، يفرح إذا أصاب المسلمين ضر أو مصيبة أو أذى، ويحزن إذا انتصروا أو نالوا خيراً.

**التملق:** وهو مدح الآخرين، غير المستحقين، ممن هم أعلى منه مكانة، بما ليس فيهم؛ لإدخال السرور عليهم؛ طلباً ورغبة لمصلحة أو نحو ذلك، ولا يدخل في هذا التشجيع للأولاد أو رفع همة المساكين والضعفاء.

والمتملق شرٌ عليك من صاحب العداوة؛ لأن هذا يسهل اتقاء شره، فهو معروفٌ وظاهر، أما المُتملق فيُورِد الإنسانَ مواردَ الهالاك دون أن يتتبَّه له إلا بعد فوات الأوان.

**الصراحة:** وهي عكس النفاق، فهي فتح قلوبنا وبواطننا لمن نخاطبهم، فالصريح من الناس مَنْ يُخلص نفسه من الغش ويُظهر لِمُحَدِّثه حقيقة ما في باطنه، ولكن ليس من الصراحة الم محمودة أن تقول كُلَّ ما تعرف، فهناك مجال للقول وأخر للسكت، وليس من الصراحة جرح أحاسيس الناس ومشاعرهم من غير حاجة تدعو لذلك، وليس من الصراحة أن تفخر ب أعمالك أو تُفْشِي ما تعرفه من أسرار نفسك أو بيتك أو جيرانك أو أصدقائك ولو كان حقاً. فهناك فرقٌ بين الصراحة والوقاحة.

**خلف الوعد:** مَنْ وَعَدَ وفي نيته عدم الوفاء فقد كذب، وكذلك الذي كان يُريد الوفاء ولكن أخلف بعذر يستطيع التغلب عليه، فهو كاذب، وإذا أخلف بغير عذر فهو كاذب أيضاً، فالوعد دين؛ ولهذا كانت النصيحة: قلْ وُعُودَكَ إِلَّا بِمَا تُسْتَطِعُ.

وعلينا ألا نُلح في اتصالاتنا على معرفة كل الحقيقة، ولنسمح للبيوت أن تستر شيئاً من أسرارها، ولنسمح بذلك ممن لجأ للتورية في الكلام ولم يصرح بمراده كله، فلا تُلْجِئ امرأة أو طفلاً إلى الكذب أو الحلف الكاذب لإخفاء أحد والديه، فهذا ليس من المروءة أو الأدب.



## ٢٦٠-باب تحريم الكذب

قال الله تعالى: ﴿وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿مَا يَفْطُرُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا دَيْرَقِبُ عَيْدِ﴾ [١٨].

(٢٦٠ / ١٥٤٢) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «إِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبَرِّ» (أي: اسم جامع لجميع أنواع **الخير**، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإن الكذب يهدي إلى **الفجور**، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذباً). متفق عليه.

(٢٦٠ / ١٥٤٣) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا حَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أُوتِمَّ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا حَاصَمَ فَجَرَ». متفق عليه.

وقد سبق بيانه مع حديث أبي هريرة بنحوه في باب «الوفاء بالعهد».

(٢٦٠ / ١٥٤٤) وعن ابن عباس رضي الله عنه: «عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرُهُ، كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعُلَ، وَمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثٍ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، صُبِّ فِي أُذُنِّهِ الْأُنْكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُذْبَ وَكُلِّفَ أَنْ يَنْفَخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ». رواه البخاري. **تحلم** أي: قال إنه حلم في نومه ورأى كذا وكذا، وهو كاذب. و«الأنك» بالمدّ وضم التون وتخفيف الكاف، وهو الرصاص المذاب.

(٢٦٠ / ١٥٤٥) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه: «أَفْرَى الْفِرَى» (أي: أعظم الكذب) **أنْ يُرِي الرَّجُلَ عَيْنِيهِ مَا لَمْ تَرِيَا». رواه البخاري. ومعناه: **يُقُولُ**: رأيت فيما لم يره.**

(٢٦٠ / ١٥٤٦) وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟» فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُصَّ، وإنه قال لنا ذات غداة: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَبِعٍ، وَإِذَا آخْرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بَصَرَّةٌ، وَإِذَا هُوَ يَهُوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَنْتَلِعُ رَأْسُهُ، فَيَتَدَهَّدُهُ الْحَاجَرُ هَاهُنَا، فَيَتَبَعُ الْحَاجَرَ فَيَأْخُذُهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصْحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةُ الْأُولَى!» قال: «قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا هَذَا؟» قالا لـ: انطلقا، فانطلقا، فأتينا على رجل مستلق لقفاه، وإذا آخر قائم على بكتلوب (أي: حديدة موجحة الرأس) من حديده، وإذا هو يأتي أحد شقي وجمهم فيشرش رشدفة إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعيته إلى قفاه، ثم يتحوال إلى الجانب الآخر، فيفعل به مثل

ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى». قال: «قلت: سبحان الله! ما هذان؟ قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا، فأتينا على مثل التصور - فاحسِبْ آنَهْ قَالَ - فإذا فيه لعُطْ، وأصوات، فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتِهم لَهُبْ منْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فإذا أتاهم ذلك اللَّهُبْ ضَوْضَوا - قلت: ما هؤلاء؟ قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا، فأتينا على نهر - حسبت أنه كان يقول - أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابق يسبح، وإذا على سطح النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك الساُبْ يسبح ما يسبح، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة، فيغير له فاه، فيُلْقِمُهُ حجراً، فينطلق فيسبح، ثم يرجع إليه، كلما رجع إليه فَغَرَ لَهُ فَاهُ، فَلَقِمَهُ حجراً، قلت لهما: ما هذان؟ قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا، فأتينا على رجل كريه المرأة، أو كأكره ما أنت راء رجلاً مرأى، فإذا هو عنده نار يحشها ويُسْعِي حولها. قلت لهما: ما هذا؟ قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا، فأتينا على روضة معتمة فيها من كل نور (أي: زهر) الربيع، وإذا بين ظهري الرجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط، قلت: ما هذا؟ وما هؤلاء؟ قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا، فأتينا إلى دوحة عظيمة لم أر دوحة قط أعظم منها، ولا أحسن! قالا لي: ارق فيها، فارتقينا فيها إلى مدينة مبنية بلين (أي: ما يبني به من طين) ذهب ولبن فضة، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا، ففتح لنا فدخلناها، فتكلانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء! وشطر منهم كأقبح ما أنت راء! قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر، وإذا هو نهر مفترض يجري كأن ماءه المحسض في البياض، فذهبوا فوقعوا فيه. ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلكسوء عنهم، فصاروا في أحسن صورة. قال: «قالا لي: هذه جنة عدن، وهذاك منزلك، فسما بصرى صعدا، فإذا قصر مثل الربابية البيضاء، قالا لي: هذاك منزلك، قلت لهم: بارك الله فيكما، فذراني فأدخله. قالا لي: أما الآن فلا، وأنت داخله، قلت لهم: فإني رأيت منذ الليلة عجبًا، مما هذا الذي رأيت؟ قالا لي: أما إننا سنُخبرك: أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يُلْقِعْ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوية. وأما الرجل الذي أتيت عليه يُشَرِّ شر سدده إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، فإنه

الرَّجُل يَعْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ. وَأَمَّا الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْمُرَاةُ الَّذِينَ هُمْ فِي مُثْلِ بَنَاءِ التَّنْتُورِ، فَإِنَّهُمُ الرُّنَادُ وَالزَّوَانِي، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أُتِيتَ عَلَيْهِ يَسْبِحُ فِي النَّهَرِ، وَيَلْقِمُ الْحِجَارَةَ، فَإِنَّهُ آكَلُ الْرِبَا، وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيْهُ الْمَرَاةُ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحْشُسُهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، فَإِنَّهُ مَالِكُ خَازِنُ جَهَنَّمَ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوَبُلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ، فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عَصَيَّ اللَّهَ، وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ، فَكُلُّ مَوْلُودٍ ماتَ عَلَى الْفِطْرَةِ».

وفي رواية البرقاني: «وُلَدَ عَلَى الْفِطْرَةِ». فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَصَيَّ اللَّهَ: «وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ، وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطَرًا مِنْهُمْ حَسَنٌ، وَشَطَرًا مِنْهُمْ قَبِحٌ، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ حَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ» . رواه البخاري.

وفي رواية له: «رَأَيْتُ الْلَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ مُقدَّسَةٍ» .

ثُمَّ ذَكَرَهُ وَقَالَ: «فَانْطَلَقْنَا إِلَى نَقْبٍ مِثْلِ التَّنْتُورِ، أَعْلَاهُ ضَيْقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسْعٌ؛ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا ارْتَفَعْتِ ارْتَفَعُوا حَتَّىٰ كَادُوا أَنْ يَهْرُجُوا، وَإِذَا حَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عِرَاءٌ» .

وفيها: «حَتَّىٰ أَتَيْنَا عَلَىٰ نَهْرٍ مِنْ دَمٍ - وَلَمْ يَشُكْ - فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَىٰ وَسْطِ النَّهَرِ وَعَلَىٰ شَطَّ النَّهَرِ رَجُلٌ، وَبَيْنَ يَدِيهِ حِجَارَةً، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَهْرُجَ رَمَىٰ الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِيهِ، فَرَدَهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيُخْرُجَ جَعَلَ يَرْبِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ» .

وفيها: «فَصَبَدَا بِي الشَّجَرَةِ، فَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرْ قُطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فِيهَا رِجَالٌ شُيوخٌ وَشَبَابٌ» .

وفيها: «الَّذِي رَأَيْتُهُ يُشَقُّ شِدْقَهُ فَكَذَابٌ، يُحَدِّثُ بِالْكَذْبِيَّةِ فَتُحَمَّلُ عَنْهُ حَتَّىٰ تَبْلُغُ الْآفَاقَ، فَيَصْنَعُ بِهِ مَا رَأَيْتَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» .

وفيها: «الَّذِي رَأَيْتُهُ يُشَدَّحُ رَأْسُهُ فَرَجُلٌ عَلَمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، فَيَكْمِلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالدَّارُ الْأَوَّلِيُّ الَّتِي دَخَلْتَ دَارُ عَامَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا فَوْقِي

**مِثْلُ السَّحَابِ**، قالا: ذَاكَ مَنْزِلُكَ، قُلْتُ: دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي، قالا: إِنَّهُ يَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكِمِلْهُ، فَلَوْ اسْتَكِمِلْتُهُ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ». رواه البخاري.

فَوْلَهُ: **«يَتَلَغَّ رَأْسَهُ»** هُوَ بِالثَّاءِ الْمُثَلِّثَةِ وَالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ، أي: يَشَدُّخُ وَيَشْقُهُ. قَوْلَهُ: **«يَتَدَهَّهُ»** أي: يَدَرْجُ. و**«الْكَلْوُبُ»** بفتح الكاف وضم اللام المشددة، وَهُوَ مَعْرُوفٌ. قَوْلَهُ: **«فَيُشَرِّشُ»** أي: يَطَّعِنُ. قَوْلَهُ: **«ضَوْضَوُ»** وَهُوَ بِضَادِينِ مَعْجَمَتِينِ، أي: صَاحِبُوا. قَوْلَهُ: **«فَيَنْغُرُ»** هُوَ بِالْفَاءِ وَالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ، أي: يَفْتَحُ. قَوْلَهُ: **«الْمَرَأَةُ»** هُوَ بفتح اليمين، أي: الْمَنْظَرُ. قَوْلَهُ: **«يَعْشُهَا»** هُوَ بفتح الْيَاءِ وَضَمِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ، أي: يَوْقُدُهَا. قَوْلَهُ: **«رَوْصَةٌ مُعَتَمَّةٌ»** هُوَ بضم الميم وإسْكَانِ الْعَيْنِ وَفَتْحِ التَّاءِ وَتَشْدِيدِ الْمَيْمِ، أي: وَافِيَّةُ النَّبَاتِ طَوْيَّاتُهُ. قَوْلَهُ: **«دُوْخَةُ»** وَهِيَ بفتح الدال وإسْكَانِ الْوَاءِ وَبِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ: وَهِيَ الشَّجَرَةُ الْكَبِيرَةُ. قَوْلَهُ: **«الْمَحْضُ»** هُوَ بفتح الميم وإسْكَانِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَبِالْضَّادِ الْمَعْجَمَةِ، وَهُوَ الْبَنُونُ. قَوْلَهُ: **«فَسَمَا بَصَرِيَ»** أي: ارْتَفَعَ. و**«صُعْدَادًا»** بضم الصاد والعين، أي: مُرْتَفَعًا. و**«الرَّبَابَةُ»** بفتح الراء وبالباء الموحدة مكررةً، وهي: السَّحَابَةُ.

## ٢٦١- باب بيان ما يجوز من الكذب

اعْلَمُ أَنَّ الْكَذِبَ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ مُحَرَّمًا، فَيَجُوزُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ بِشُرُوطٍ قَدْ أَوْصَحَّتْهَا فِي كِتَابِ «الْأَذْكَارِ»، وَمُخْتَصِرُ ذَلِكَ: أَنَّ الْكَلَامَ وَسِيلَةُ إِلَى الْمَقَاصِدِ، فَكُلُّ مَقْصُودٍ مَحْمُودٍ يُمْكِنُ تَحْصِيلُهُ بِغَيْرِ الْكَذِبِ يَحْرُمُ الْكَذِبَ فِيهِ، وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ تَحْصِيلُهُ إِلَّا بِالْكَذِبِ، جَازَ الْكَذِبُ. ثُمَّ إِنْ كَانَ تَحْصِيلُ ذَلِكَ الْمَقْصُودِ مُبَاحًا كَانَ الْكَذِبُ مُبَاحًا، وَإِنْ كَانَ وَاجِبًا، كَانَ الْكَذِبُ وَاجِبًا. فَإِذَا اخْتَفَى مُسْلِمٌ مِنْ ظَالِمٍ يُرِيدُ قَتْلَهُ، أَوْ أَخْذَ مَالَهُ وَأَخْفَى مَالَهُ وَسُئِلَ إِنْسَانٌ عَنْهُ، وَجَبَ الْكَذِبُ بِإِخْفَائِهِ.

وَكَذَا لَوْ كَانَ عِنْدَهُ وَدِيعَةٌ، وَأَرَادَ ظَالِمٌ أَخْذَهَا، وَجَبَ الْكَذِبُ بِإِخْفَائِهَا.

وَالْأَحْوَاطُ فِي هَذَا كُلُّهُ أَنْ يُورَّي، وَمَعْنَى التَّوْرِيَةِ: أَنْ يَقْصِدَ بِعِبَارَتِهِ مَقْصُودًا صَحِيحًا لَيْسَ هُوَ كَاذِبًا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فِي ظَاهِرِ الْلَّفْظِ، وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يَفْهَمُهُ الْمُخَاطِبُ، وَلَوْ تَرَكَ التَّوْرِيَةَ وَأَطْلَقَ عِبَارَةَ الْكَذِبِ، فَلَيْسَ بِحَرَامٍ فِي هَذَا الْحَالِ.

وَاسْتَدَلَّ الْعُلَمَاءُ بِجَوازِ الْكَذِبِ فِي هَذِهِ الْحَالِ بِحَدِيثِ أَمْ كُلُومٍ رَوَى اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهَا سَمِعَتْ

رسول الله ﷺ يقول: «لَيْسَ الْكَذَابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيُنْهَا خَيْرًا» (أي: يبلغ على وجه الإصلاح وطلب الخير) أو يُقُولُ خَيْرًا». متفق عليه. زاد مسلم في رواية: قالت أم كلثوم: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث. تعني: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها.

## ٢٦٢- باب الحث على التثبت فيما يقوله ويحكى

قال الله تعالى: ﴿وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا دَيْرَبَ عَيْدِي﴾ [لق: ١٨].

(٢٦٢ / ١٥٤٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «كفى بالمرء كذبًا أن يحده بـكُلّ ما سمع». رواه مسلم.

(٢٦٢ / ١٥٤٨) وعن سمرة بن جوراء قال: قال رسول الله ﷺ: «من حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ». رواه مسلم.

(٢٦٢ / ١٥٤٩) وعن أسماء بنت عميرة: أن امرأة قالت: يا رسول الله، إن لي ضرورة (أي: الزوجة الأخرى) فهل علىي جناح إن تسبحت من زوجي غير الذي يعطيوني؟ فقال النبي ﷺ: «المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطِ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ». متفق عليه. **والمتشبّع**: هو الذي يظهر الشبع وليس بشبعان. ومعناه هنا: أن يظهره الله حصل له فضيلة وليس حاصلاً. **ولا يلبس ثوبه زور** أي: ذي زور، وهو الذي يزور على الناس، بـأن يتربى بـزير أهل الزهد أو العلّم أو الشروقة، ليغترّ به الناس وليس هو بتلك الصفة. وقيل غير ذلك. والله أعلم.

\* \* \*

## (الكذب)

إن الكذب من أقبح الصفات والخلال وأوضاعها؛ لهذا نهت عنه الشريعة الغراء، والكذب تقىض الصدق، وصاحب محتقر لا يصدقه الناس وإن صدق؛ قال الله تعالى: **إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِغَايَتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ** [النحل: ١٠٥].

قال رسول الله ﷺ: **مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ** (أي: لسانه الذي بين فكّيه) **وَمَا بَيْنِ رِجْلَيْهِ أَضْمَنُ لَهُ الْجَنَّةَ** [البخاري برقم ٦٤٧٤].

وقال رسول الله ﷺ: **وَهُلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَسَادُ أَسْتَهِمْ**. أحمد في مسنده (٥ / ٢٣١) برقم (٢٢٠٦٩)، وقال الأرنؤوط: صحيح بطرقه وشواهده.

وروي عن صفوان بن سليم مرسلاً: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟ قَالَ: «عَمَّ». أَيْكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا؟ قَالَ: «عَمَّ». قِيلَ: أَيْكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَابًا؟ قَالَ: «لَا». مالك في الموطأ (٢/ ٩٩٠) برقم (١٧٩٥).

وقيل في مثotor الحكم: الكذاب لص؛ لأن اللص يسرق مالك، والكذاب يسرق عقلك. وقيل: الخَرَس (أي: الصمت) خير من الكذب. وقيل: الصادق مَصْوُنٌ حليل، والكاذب مَهِينٌ ذليل.

فالكذب هو جماع كُل شر، ورأس الذنوب، وأصل كل ذم؛ لسوء عواقبه، وخبث نتائجه، والكذب يجر إلى التمييم، ومنها إلى البغضاء، ثم إلى العداوة، وليس مع العداوة أمن ولا راحة؛ لهذا قيل: من قَلَ صِدْقَه قَلَ صَدِيقَه (أي: المقصود صديق الحق وليس الباطل).

فالكذب عكس الصدق؛ لأن إخبار أو إبلاغ عن الشيء بخلاف ما هو عليه، واتفاق الناس على نقل الأخبار الصادقة أمر ممكّن؛ لأن الصدق مقبول شرعاً وعقلاً ومروءة وخلقًا، ولكن لا يجوز اجتماع الناس واتفاقهم على نقل الأخبار الكاذبة؛ لأن الكذب غير نافع ولا مقبول شرعاً ولا عقلاً ولا خلقاً، فحرّص الناس على أن يتسبّوا لفضيلة الصدق شرف لهم يوجب عليهم المحافظة عليه وإن أعقب ذلك شرّاً عليهم.

والخسة والمهانة التي تُصيب المرء بنقل الأخبار الكاذبة أولى بالاطراح والترك وإن أعقب ذلك خيراً مادياً، والناس لا يحبون بالفطرة الاتساب للكاذبين. فقال ابن السمّاك: ما أحَسَبْنِي أُؤْجِرُ عَلَى تَرْكِ الْكَذْبِ؛ لَأَنِّي أَتُرُكُه أَنْفَهًا (أي: تعفنا).

فهو على ما فيه من الموبقات تأبه النفوس الأبية والطبع السليمة؛ لأن مذلة للنفس مُضيّع للمرءة، ولو لم يترك العاقل الكذب إلا مروءة لكان بذلك جديراً، فكيف وفيه الإثم والعار؟!

### **الأسباب الداعية إلى الكذب:**

أولاً: رغبة الكاذب في اجتلاف منفعة أو دفع مضررة، فتوهمه نفسه الأمارة بالسوء أن الكذب أسلم وأضمن لمنفعته وسلامته، وأكثر ما يكون ذلك في البيع والشراء أو في التقرب إلى أهل السلطان أو رئيس مجلس من المجالس، وذلك بالنفاق والكذب من أجل دفع المضررات عن نفوسهم التي يتوهّمونها.

قال عمر: لأن يضعني الصدق (أي: ينزل قدرى)، وقلما يضع، أحب إلى من أن يرفعني الكذب وقلما يفعل.

وقيل: الصدق منجيك وإن خفته، والكذب مُرديك (أي: مهلكك) وإن أمنت به (أي: أمنت العقاب بسيبه).

قال الجاحظ: الصدق والوفاء توءمان، والصبر والحلم توءمان، فيهن تمام كل دين وصلاح كل دنيا، وأصدادهما (أي: الكذب والخيانة) سبب كل فُسق وتأصل كل فساد.

ثانياً: رغبة المرء في أن يكون حديثه مستطرفاً وكلامه عذباً، ولن يكون سبباً في إضحاك الناس منه لاستخفاف دمه، وهذا لأن بعض الصدق لا يكون لذذاً ولا ظريفاً في الكلام، فبسبب هذا يستحلِّي كلام الكذب، مع أنه صادر عن مهانة نفسه وانحطاط قدره وهمته، أو عن احتيال لطلب رزق بطريقة مهينة أو لرغبة منفعة من أصحاب الشراء الذين يحبون التلهي بسماع الأحاديث المضحكة المسلية، فيُحب أن يكون لهم بهلواناً «بلياشو» فيُستدعي فقط للتسلية بكذبه ثم يُشتَهِر بالكذب ويُنسب إليه حتى وإن لم يفعله، وكفى بذلك مهانةً وذلاً.

قال الجاحظ: لم يكذب أحد قط إلا لصغر قدر نفسه عنده.

ثالثاً: التشفي من عدوه والنكاية به، فيصفه بقبائح ليست فيه انتقاداً لقدره بين الناس وحطاً من شأنه، وهذا أسوأ من السابقين؛ لأنه جَمَع بين كذبٍ مشين وشرّ مهين.

رابعاً: أن يصير الكذب له عادة ألقتها نفسه مُقادرةً، حتى لو أحب تركها عسر ذلك عليه؛ لأن العادة طبع ثان والعادة أملك.

قال حكيم: من استحلِّي رضاع الكذب عسر فطامه.

وبعد ذلك يُصدق الكاذب نفسه فيؤدي بها إلى الهلاك؛ لأنه لا يستطيع حتى في الحقيقة أن يُصدق نفسه.

خامساً: قلة دينه ونقص مروعته، فإنه لا يجد من دينه الضعف ما يمنعه من الكذب مع قلة مروعته، وتُنسب للكافر الكاذب نواذر الكذب المجهولة، وتضاف له كذبات، حتى يصير مكذوباً.

## أنواع الكذب:

أولاً: الكذب المتعلق بأموال وأعراض الناس، وهو من أشد الكبائر، فقد قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟». قلنا: بلـ يا رسول الله. قال: «الشَّرُكُ بِاللَّهِ، ثُمَّ عَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ» وكان متكتئاً فجلس ثم قال: «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. متفق عليه.

وقال ﷺ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقًّا أَمْرِئُ مُسْلِمٍ يَسْمِيهِ (أي: بالحلف الكاذب) فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهَ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاقِ» . مسلم برقم (١٣٧).

وفي هذا الكذب والجرأة على الله باستعمال اسمه ﷺ كذب واعتداء على حق الناس، فعن النبي ﷺ قال: «كَلَاهَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيْهِمْ وَلَا يُنْظَرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ». فقال أبو ذر: خابوا وخسروا، خابوا وخسروا، خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «الْمُسِلِّمُ إِزَارٌ، وَالْمُنْفِقُ سَلْعَةٌ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ، وَالْمَنَانُ» . مسلم برقم (١٠٦).

ثانياً: ما لا يتعلّق بحقوق العباد، ولكنه يؤكّد كلامه حلفاً باليمين، ففيه جرأة على الله واستهانة بالكذب، فعن النبي ﷺ أنه قال: «مَا حَلَفَ حَالِفٌ بِاللَّهِ يَمِينًا صَبَرًا (أي: قسمًا ملزماً مجبراً عليه) فَادْخُلْ فِيهَا مِثْلَ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ إِلَّا جَعَلَهُ اللَّهُ نُكْتَةً (أي: أثراً أو نقطة سوداء) فِي قَلْبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» . أحمد في مسنده (٣/٤٩٥) برقم (١٦٠٨٦)، والحاكم برقم (٧٨٠٨)، وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

ثالثاً: ما ليس متعلّقاً بحقوق الناس ولا يحلف بالله فيه، ولكن ليُضحك الناس والأطفال بالسخرية، فعن النبي ﷺ قال: «وَئِلْ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيُكَذِّبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَئِلْ لَهُ، وَئِلْ لَهُ» . أحمد في مسنده (٥/٧) برقم (٢٠٠٨٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

فقد استهان بأمر الكذب من استلهذه ليشجع به الأولاد والصبيان ليقلدوه، فتعم البلوى كما نرى.

رابعاً: الكذب على الله والرسول، وهذا من أفحش الكبائر وأشدّها خطراً على الدين؛ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلَيَتَبُوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» . متفق عليه. لكن الشّرع أباح لنا ارتكاب بعض المنهيّات للضرورة، فأجاز للمُضطّر أكل مال

الغير لدفع الجوع الذي يصل إلى حد ال�لاك، فقد تقرر من مبادئ الشريعة أن الضرورات تبيح المحظورات.

كما أجاز ارتكاب أخف المفسدين وأهون الشررين متى كان بينهما تعارض، فمن هدد بالقتل إكراهاً ليتكلم بالكفر وقلبه مطمئن بالإيمان رخص له في ذلك، ولكن الشرع قيد ذلك بالقدر المعتبر، وليس على هوئ الناس، وذلك أيضاً مما تقرر من بديهيات الشريعة من أن الضرورات تقدر بقدرها ويسعى في إزالتها؛ فلا يجوز للجائع أن يأكل من مال غيره إلا بالقدر الذي يحفظ حياته ويدفع عنه ال�لاك. وكذلك الأمر للمكره متى استطاع تحمل التهديد والتلخواف، دون مرحلة القتل، فلا يتكلم بالكفر؛ لأن القدر الزائد عن حد الضرورة كأنه اعتداء على صاحب الحق، فلا يجوز ارتكاب ما نهى الشع عنده والتساهل في الرخص الشرعية لأجل المصالح والتمتع بالشهوات تحت ستار الضرورة.

ولهذا فإن الكذب وإن كان حراماً فهو يباح في بعض الأحيان متى كان في الجهر بالصدق خشية ضرر أو فتنـة أو هلاكة أشد شرـاً من الكذب، ويرجع في ذلك لأهل العلم والفقـه والاختصاص.

والكذب تجري عليه الأحكام الخمسة: فيكون حيناً حراماً، وحينـاً مـكروـهاً، وـحينـاً مـباحـاً جـائزـاً، وـحينـاً منـدوـباً، وـحينـاً واجـباً. فـلو سـعـى واحدـاً لـقتـل آخرـاً بالـسـلاحـ، يـجب عـلـيكـ إـخـفـاءـ السـخـصـ المـطـلـوبـ قـتـلهـ وـسـتـرهـ متـىـ اـسـطـعـتـ؛ لأنـ فـيـ ذـلـكـ حقـناـ للـدـمـ، وـهـذـاـ أـمـرـ وـاجـبـ شـرـعاـ، فـإـنـ كـانـ قولـكـ الصـدـقـ سـيـنـجـمـ عـنـ سـفـكـ دـمـ أحـدـهـماـ فالـكـذـبـ فـيـ إـخـفـائـهـ وـاجـبـ.

وأما الكذب المباح فمثل قوله ﷺ: «لَيْسَ الْكَذَابُ الَّذِي يُضْلِعُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْبِيِ  
خَيْرًا أَوْ يَقُولُ حَيْرًا». متفق عليه. وفي رواية مسلم [ الحديث رقم ٢٦٠٥] زيادة، عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رض قالـتـ: سـمـعـتـ رسولـ اللهـ صل وـلـمـ أـسـمـعـهـ يـرـخصـ فـيـ شـيـءـ مـمـاـ يـقـولـهـ  
النـاسـ إـلـاـ فـيـ تـلـاثـ. تعـنيـ: الـحـربـ، وـالـإـصـلـاحـ بـيـنـ النـاسـ، وـحـدـيـثـ الرـجـلـ اـمـرـأـتـهـ،  
وـحـدـيـثـ المـرـأـةـ زـوـجـهـاـ.

وشيء ذلك أن يأخذك ظالم أو حاكم جبار يريد مالك، فللمراء أن ينكر ماله ويكذب، وكذلك إخفاء بعض أسرار أخيك، مثل ماله وسننه وتطييب قلب من تعتذر إليه تجحلاً بإنكار الذنب، ولكن بالاعتدال والقسط. والميل إلى الصدق أولى دائمًا، ولكن من دون المساس بحقوق الغير مع حفظ أسرارهم.

وأكثر كذب الناس لزيادة العجاه والمكانة الاجتماعية، أو الحصول على الأموال، أو لحظوظ النفس والشهوات الأخرى، فيجب ألا تتعدى في استخدام الرخصة المسموح بها شرعاً حدود الضرورة.

والاتجاء لاستعمال المعارض، أي عدم الإفصاح بكل مراده، أولى، وقد روى عن عمران بن الحصين: **«إِنَّ فِي الْمَعَارِضِ لِمَنْدُوحةً»** (أي: فسحة ومساحة) عن الكذب. [البخاري في الأدب المفرد برقم (٨٥٧)]، وذلك مما تمس الحاجة إليه في تأديب الصغار والاحتراس من الظلمة وعند لقاء العدو والقتال اضطراراً؛ لأن الصدق إنما للدلالة على الحق والدعوة إليه، فالعبرة بالقصد لا بالشكل والصورة، فيتوجه إلى المعارض.

والمزاح أحياناً فيه استعمال المعارض بحيث لا يتجاوز حد الاعتدال، مثل قوله عليه السلام **«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَجُوزٌ»**. العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٢/٧٩٥) برقم (٢٩٢٠) وعزاه لامرأة عجوز للترمذني في «الشمائل».

قال عمر بن الخطاب عليه السلام: إن في المعارض ما يكفي أن يعفَّ الرجل عن الكذب. وقد كان أبو بكر الصديق عليه السلام يسير خلف الرسول عليه السلام ليحميه في الهجرة، والعرب يعرفونه ولا يعرفون الرسول عليه السلام، فقالوا لأبي بكر عليه السلام: من هذا؟ قال: هادي يهديني. [أحمد في مسنده (٣/١٢٢) برقم (١٢٢٥٦)].

فصدق أبو بكر في قوله، وورئ وأخفى وأوهم عن مراده.

قال ابن سيرين عليه السلام: الكلام أوسع من أن يصرح فيه بالكذب. وقيل: الكذب في مواطنه كالصدق في مواضعه، ولكن الشأن فيمن يحسنه ويعرف مداخله ومخارجه، ولا يجهل مضائقه ولا ينساه، بل يحفظه.

ومعلوم أن من أعظم الأمور في الدين هما الحرب والصلح، والكذب مباح فيهما

للضرورة. وعلينا أن نسمح لمن لجأ للمعارض بذلك، فلا نلح في اتصالاتنا لمعرفة كل الحقيقة، ولنسمح للبيوت أن تستر شيئاً من أسرارها، فلا نلجئ امرأة أو طفلاً إلى الكذب أو الحلف الكاذب لإخفاء أحد والديه أو ما شابه بالإلحاد على معرفة مكانه أو أحواله، فهذا ليس من المروءة أو الأدب.

\* \* \*

## ٢٦٣- باب بيان غلط تحرير شهادة الزور

قال الله تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَكَ الْزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿مَا يَنْفَطُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا دَيْرَبَعَ عَيْدِيدٍ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِيَالْمِرْصَادِ﴾ [النهر: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهُدُونَ الْزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢].

(١٥٥٠ / ٢٦٣) وعن أبي بكرٌ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟» قلنا: بَلَى يَا رسول الله. قال: «الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ». وكان متوكلاً فجلس، فقلَّ: «أَلَا وَقُولُ الْزُّورِ». فما زال يُكَرِّرُهَا حَتَّى قلنا: لَيْهُ سَكَتَ. متفق عليه.

\* \* \*

### شهادة الزور

الزور: هو الكذب الذي قد سُوِّيَ وَحَسُنَ في الظاهر ليحسب أنه صدق.

وشهادة الزور: هي الشهادة بالكذب؛ ليتوصل بها إلى الباطل من إتلاف نفس، أو أخذ مال، أو تحليل حرام، أو تحرير حلال، وشهادة الزور من الكبائر.

**كبائر شاهد الزور:** وشاهد الزور قد ارتكب عظاماً، وهي:

أحدها: الكذب والافتراء.

الثاني: أنه ظلم الذي شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه أحياناً.  
الثالث: أنه ظلم الذي شهد له، بأن ساق له المال الحرام، فأخذته بشهادته؛ فوجبت له النار؛ مصداقاً لقوله ﷺ: «مَنْ فَضَيْتُ لَهُ مِنْ مَالٍ أَخِيهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَا يَأْخُذُهُ، فَإِنَّمَا أَفْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ». متفق عليه، واللفظ للبخاري.

الرابع: أنه أباح ما حرم الله تعالى من المال والدم والعرض، فقد قال رسول الله ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يُحْوِنُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْدُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: عَرْضُهُ، وَمَالُهُ، وَدَمُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ». متفق عليه، واللفظ لمسلم.

وأجمع الفقهاء على أن شهادة الزور كبيرة. ولا فرق بين أن يكون المشهود به قليلاً أو كثيراً، فضلاً عن المفسدة القبيحة الشنيعة جداً. **وعَدَ ابْنُ حَجْرِ العَسْقَلَانِ** : أن شهادة الزور وقبولها كلاهما من الكبائر.

وشهادة الزور سبب لسخط الله تعالى، وضياع لحقوق الناس وظلمهم، وفيها تقوية للظالم وإضعاف للمظلوم، وهي سبب للحقد والكرابية.

\* \* \*

## ٢٦٤- باب تحرير لعن إنسان بعينه أو دابة

(١٥٥١ / ٢٦٤) عن أبي زيد ثابت بن الصحاح الأنصاري رض، وهو من أهل بيعة الرضوان، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلَامِ كَاذِبًا مُتَعَمِّدًا، فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ، عُذْبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَيَسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُهُ، وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ مَكْتُلِهِ». متفق عليه.

(١٥٥٢ / ٢٦٤) وعن أبي هريرة رض: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَا يُنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَانًا». رواه مسلم.

(١٥٥٣ / ٢٦٤) وعن أبي الدرداء رض قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَكُونُ اللَّعَانُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رواه مسلم.

(١٥٥٤ / ٢٦٤) وعن سمرة بنت جنديب رض قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَلَعَنُوا بِلَعْنَةِ اللهِ، وَلَا بِغَضَبِهِ، وَلَا بِالنَّارِ». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٥٥٥) / ٢٦٤) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ» (أي: الواقع في أعراض الناس بالذم والغيبة والطعن في النسب)، وَلَا اللَّعَانِ، وَلَا الفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(١٥٥٦) / ٢٦٤) وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعِنَ شَيْئًا، صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُغْلِقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ، فَتُغْلِقُ أَبْوَابَهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشَمَالًا، فَإِذَا لَمْ تَحْدُ مَسَاغًا» (أي: مدخلًا وطريقًا) رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لَعِنَ، فَإِنْ كَانَ أَهْلًا لِذَلِكَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا». رواه أبو داود.

(١٥٥٧) / ٢٦٤) وعن عمران بن الحصين رضي الله عنهما قال: بينما رأى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة، فصجرت فلعتها، فسمع ذلك رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فقال: «خُذُوا ما عليةَا ودعوهَا؛ فإنَّها ملعونة». قال عمران: فكأني أراها الآن تمسي في الناس ما يعرض لها أحد. رواه مسلم.

(١٥٥٨) / ٢٦٤) وعن أبي بُرْزَةَ نَضْلَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسْلَمِ رضي الله عنه قال: بينما جَارَيْتُ عَلَى نَاقَةٍ عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ الْقَوْمِ. إِذْ بَصَرَتْ بِالنَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله وسلامه، وتضائق بهم الجبل فقالت: حُلْ، اللَّهُمَّ اعْنُهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله وسلامه: «لَا تُصَاحِبَنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةً». رواه مسلم. قوله: «حل» بفتح الحاء المهملة وإسكان اللام: وهي كَلِمةُ لِزَجْرِ الْإِبَلِ. واعلم أنَّ هَذَا الْحَدِيثَ قَدْ يُسْتَشْكَلُ مَعْنَاهُ، وَلَا إِشْكَالٌ فِيهِ، بَلْ الْمُرَادُ النَّهِيُّ أَنْ تُصَاحِبُهُمْ تِلْكَ النَّاقَةَ، وَلَيْسَ فِيهِ نَهْيٌ عَنْ يَعْنَاهَا وَدَبَحْهَا وَرُوكُوبِهَا فِي غَيْرِ صُحْنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله وسلامه، بَلْ كُلُّ ذَلِكَ وَمَا سَوَاهُ مِنَ التَّصْرِفَاتِ جَائزٌ لَا مَنْهَى، إِلَّا مِنْ مُصَاحِبَتِهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه؛ لَأَنَّ هَذِهِ التَّصْرِفَاتِ كُلُّهَا كَانَتْ جَائزَةً فَمُعَبَّعُ بَعْضُ مِنْهَا، فَيَعْتَقِي الْبَاقِي عَلَى مَا كَانَ. والله أعلم.

## ٢٦٥- باب جواز لعن أصحاب المعاشي غير المعينين

(أي: ويقصد بالتعيين ذكر شخصٍ معينه واسمه تحديدًا)

قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [١٨] [هود: ١٨].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا مُؤْذَنٌ بِيَنْهِمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [٤٤] [الأعراف: ٤٤].

وثبت في الصحيح: أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «لَعْنَ اللَّهِ الْوَاصِلَةَ» (أي: التي تصل شعر المرأة بشعر آخر) **والمُسْتَوْصِلَةَ** (أي: التي تطلب من يصل لها شعرها). وأنه قال: «لَعْنَ اللَّهِ أَكْلَ الرَّبَّا».

وأنه لعن المصورين. وأنه قال: «لَعْنَ اللَّهِ مَنْ غَيْرَ مَنَارَ الْأَرْضِ». أي: **حُدُودها**.  
 وأنه قال: «لَعْنَ اللَّهِ السَّارِقَ يَسْرُقُ الْبَيْضَةَ».  
 وأنه قال: «لَعْنَ اللَّهِ مَنْ لَعْنَ وَالْدَّيْهِ». و«لَعْنَ اللَّهِ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ».  
 وأنه قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا» (أي: ارتكب الآثام والمعاصي) **حَدَثًا** أو آوى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». وأنه قال: «اللَّهُمَّ لَعْنَ رِعْلًا، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ: عَصَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ». **وَهِنْ ثَلَاثُ قَبَائِلٍ مِنَ الْعَرَبِ**.

وأنه قال: «لَعْنَ اللَّهِ الْيَهُودَ أَتَخْدُوا قُبُورَ أَنْبِيَاءِهِمْ مَسَاجِدَ».  
 وأنه لعن **المُتَشَبِّهِينَ** من الرجال بالنساء والمُتَشَبِّهاتِ من النساء بالرجال.

وَجَمِيعُ هَذِهِ الْأَفْنَاطِ فِي الصَّحِيفَةِ؛ بَعْضُهَا فِي صَحِيفَةِ الْبَخْرَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، وَبَعْضُهَا فِي أَحْدِهِمَا، وَإِنَّمَا قَصَدُ الْأَخْتِصَارِ بِالْإِشَارَةِ إِلَيْهِمَا، وَسَأَذْكُرُ مُعْظَمَهَا فِي أَبْوَابِهَا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

## ٢٦٦- باب تحرير سب المسلم بغير حق

**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:** ﴿وَالَّذِينَ يَزُورُونَ الْمَوْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَغْيِرُ مَا أَكَتَ تَسْبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بِهِنَا وَلَثَمَمْيَنَا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

(٢٦٦ / ١٥٥٥) وعن ابن مسعود رض قال: قال رسول الله صل: «سباب» (أي: السب والشتائم الشدید)  
**الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**. متفق عليه.

(٢٦٦ / ١٥٦٠) وعن أبي ذر رض: أنه سمع رسول الله صل يقول: «لا يرمي رجُل رجلاً بالفسقِ  
 أو الكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك». رواه البخاري.

(٢٦٦ / ١٥٦١) وعن أبي هريرة رض: أن رسول الله صل قال: «المُمْسَابَانِ مَا قَالَا» (أي: كل ما قالوه)  
 فَعَلَى الْبَادِيِّ مِنْهُمَا حَتَّى يَعْتَدِيَ الْمَظْلُومُ». رواه مسلم.

(٢٦٦ / ١٥٦٢) عنه قال: أتني النَّبِيُّ صل بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ (أي: خمرا) قال: «اضربوه». قال أبو  
 هريرة: فَمَنَا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، وَالضَّارِبُ بِعَلِيهِ، وَالضَّارِبُ بِثُوِيْهِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ بَعْضُ  
 الْقَوْمِ: أَخْرَاكَ اللَّهُ! قَالَ: «لَا تَقُولُوا هَذَا، لَا تُعْنِيْنَا عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ». رواه البخاري.

(٢٦٦ / ١٥٦٣) وعنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ قَدَّفَ مَمْلُوكًا بِالرِّزْنَى يُقَاتَمُ عَلَيْهِ الْحَدْيَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ». متفق عليه.

## ٢٦٧- باب تحريم سب الأموات بغير حق وصلاحه شرعية

وَهُوَ التَّحْذِيرُ مِنَ الْأَقْتِدَاءِ بِهِ فِي بُدْعَتِهِ، وَفَسْقِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.  
وَفِيهِ الْآيَةُ وَالْأَحَادِيثُ السَّابِقَةُ فِي الْبَابِ قَبْلَهُ.

(٢٦٧ / ١٥٦٤) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسْبُوا الْأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْسَوْا (أي: وصلوا) إِلَى مَا قَدَّمُوا». رواه البخاري.

## ٢٦٨- باب النهي عن الإيذاء

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمَنَاتِ يَغْتَرِرُ مَا أَكَتَسَبُوا فَقَدْ أَخْتَلُوا بِهِنَّا وَإِنَّمَا مِيَّنَا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

(٢٦٨ / ١٥٦٥) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مِنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ». متفق عليه.

(٢٦٩ / ١٥٦٦) عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَ أَنْ يُرْخَرَ حَنَقًا عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ (أي: يُؤْدي) إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ». رواه مسلم، وَهُوَ بُعْضُ حَدِيثِ طَوْبِيلِ سَبَقَ فِي بَابِ طَاعَةِ وَلَاهَ الْأَمْوَارِ.

## ٢٦٩- باب النهي عن التbagض والتقطاع والتدابر

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ لِحَوَّةٍ﴾ [الحجرات: ١٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَدَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَزَةٌ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَةٌ يَنْهَمُ﴾ [المائدة: ٥٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿شَهَادَةُ رَسُولِ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدَّ أَمَاءً عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَةٌ يَنْهَمُ﴾ [الفتح: ٢٩].

(٢٦٩ / ١٥٦٧) وعن أنس رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَبَاغِضُوا، وَلَا تَحَاسِدُوا، وَلَا تَدَابِرُوا (أي: لا تهجروا)، وَلَا تَقَاطِعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ». متفق عليه.

(٢٦٩ / ١٥٦٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ

وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ  
فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا! أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا!». رواه مسلم.  
وفي رواية له: تُعَرَّضُ الْأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمِيسٍ وَإِثْنَيْنِ». وَذَكَرَ نَحْوَهُ.

## ٢٧٠-باب تحرير الحسد

وَهُوَ تَمَنِّي زوال النعمة عن صاحبها، سواءً كانت نعمة دين أو دنيا.

قال الله تعالى: ﴿أَمَّيْحَسِدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤].

وفيه حديث أنس السابق في الباب قبله.

(٢٧٠ / ١٥٦٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وآله وسلامه قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ؛ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ  
الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ» - أو قال: العُشْبَ». رواه أبو داود.

\* \* \*

### (الحسد)

إذا غضب الإنسان فمن هو فوقه في المقام، كمن يغضب من مديره مثلاً، يسمى ذلك الغضب غيضاً، فإذا كظم المرء منا غيظه وعجز عن التشفي انقلب شعوره ذلك إلى الباطن فتحوّل في داخله إلى الحقد، وهو رغبة الانتقام، ومن علامته دوام بعض وكره الشخص والنفور منه. فالغضب ثمرة الحقد، والحقد يؤدي إلى الحسد وهو تمني زوال نعمة المحسود.

فعن الزبير بن العوام رضي الله عنه يرفعه: «دَبَّ إِيَّاكُمْ دَاءُ الْأُمِّ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ  
هِيَ الْحَالَقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ». أحمد في مسنده (١٦٧) برقم (١٤٣٠).

وقال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «لَا تَبَاغِضُوا، وَلَا تَقَاطِعُوا، وَلَا تَحَاسِدُوا، وَلَا تَدَابِرُوا، وَكُونُوا  
عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا». متفق عليه.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا تعادوا نعم الله تعالى. قيل: ومن يعادى نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله. فاعلم أن الحسد إذا رأى نعمة بُهت واغتاظ، وإذا رأى عُشرة ومصيبة شمت. فإياك والحسد فإن ابن آدم حسد أخاه فقتله.

واعلم أن أقدر ما يكون إبليس على ابن آدم عند الغضب.

### الحسد المحمود والحسد المذموم: والحسد حالتان:

أما المذمومة: فهي أن تكره النعمة على أخيك وتحب زوالها منه.

وأما الم محمودة: فهي ألا تكره وجود النعمة على أخيك، ولا تكره زوالها منه، ولكن تشتهي لنفسك مثلها أو أحسن منها، وتسمى الغبطة، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي أُثْنَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَطَةً عَلَىٰ هَلْكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا**». متفق عليه.

وقال ابن سيرين : ما حسدت أحداً على شيءٍ من أمر الدنيا؛ لأنَّه إنْ كان من أهل الجنة فكيف أحسده على شيءٍ من أمر الدنيا وهو يصير إلى الجنة، وإنْ كان من أهل النار فكيف أحسده على شيءٍ من أمر الدنيا وهو يصير إلى النار.

وقال تعالى: **﴿وَفِي ذَلِكَ فَتِنَافِسُ الْمُنْتَفِسُونَ ﴾** [المطففين: ٢٦] لأن النفس تحب الارتفاع عن غيرها، وهذا في طبع الإنسان، والمنافسة من الفضائل؛ لأنها طلب التشبه بالأفضل من غير محاولة إيذائهم أو إدخال الضرر عليهم، وبحسب فضل الإنسان وظهور النعمة عليه يكون حسد الناس له، فإن كثر فضله كثر حсадه.

ومما يروى في هذا الباب: **«ثَلَاثَةٌ لَا يَسْلِمُ مِنْهُنَّ أَحَدٌ: الطَّيْرُ، وَالظَّنُّ، وَالْحَسَدُ، فَإِذَا تَطَرَّقَتْ فَلَا تَرْجِعُ، وَإِذَا حَسَدْتَ فَلَا تُحَقِّقُ»**. البهقي في الشعب (٢/ ٦٣) برقم (١١٧٣).

### أسباب الحسد:

أولاً: العداوة والبغضاء: فالعداوة تورث البغض، فالحسد يكره المحسود لظهور فضل للمحسود أو نعمة تثير عنده حسدًا وبغضًا، فينشأ الحقدُ وهو رغبة الانتقام، فالحسد حاقد يريد التشفي والانتقام، فإذا تحصل عدوه على نعمة ساءه ذلك، وإذا أصابه بلاء فرح وظن أن ذلك من الله مكافأة له.

ثانياً: الكبر: فقد يحدث أن بعضًا من معارفه قد تحصل على مال أو سلطة أو جاه، فلعله

يخشى أن يتكبر عليه فلا يُطيق فكرة أن يتكبر صاحب النعمة عليه، حيث يراه في نظره دونه في القدر والمقام، فلا يحتمل ترفة عليه أو مساواته، وكان هذا قريباً من حسد الكفار للرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنَ عَظِيمٌ﴾ [٢١] [لزخف: ٣١]، وقال تعالى: ﴿هَتَوَلَّهُ مَنْ أَنْشَأَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِ أَنفُسِهِمْ إِلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمُ بِالشَّكَرِينَ﴾ [٥٣] [الأعمام: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرْتُمْ﴾ [٢٤] [المؤمنون: ٣٤] أي: استكروا أن يكون الرسول بشرًا مثلهم فحسدوه.

ثالثاً: حب الرياسة وطلب العاجاه: ويكون ممن ابتغى أن يكون وحيد زمانه وفريد عصره وأوانه، حيث يظهر من المحسود فضلٌ يعجز عنه الحاسد، فإذا سمع الحاسد بمساوٍ له في القدر ساءه ذلك وأحبَّ موته وزوال نعمته مهما كانت، ويكره تقدُّمه وتميّزه في حسده، ولو لا ذلك لكفَّ عنه، وهو أيضاً يحسد من علا عنه في الرتبة وقد عجز عن منافسته، حتى لو كانت عبادة الله، بسبب حب الحاسد للتفرد والرياسة، مثلما كره اليهود التصديق بالنبي ﷺ لثلاثة تبطل رئاستهم لقومهم.

رابعاً : حُبُّ النفس والشُّحُّ بالخير على الناس: وهو من لا يريد رياضة ولا علوًّا، وإنما يشق عليه إنعام الله على الناس، ويفرح بتقدُّر حالهم، فهو أبداً يحب إدبار النعمة عن غيره؛ كأنهم يأخذونها من ماله وخرائنه. فهنا يكون الحاسد شحيحاً بالفضائل، وبخيلاً بالنعم، ولا يحب أن يراها على غيره، وهي ليست له فيعطيها أو يمنعها، وإنما هي ملك الله وحده. وبهذا هو مُتسخٌ على الله في منحه وعطائه، ليست له راحة ولا غاية لرضاه.

وبحسب فضل الإنسان ونعم الله عليه الظاهرة يكون حسد الناس له، إن كثر فضله كثُر حُسَادُه، وإن قلَّ قُلُّوا؛ لأن ظهور الفضل يثير الحسد وحدوث النعم يضاعف الكمد، ولهذا قيل: استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان؛ فإن كُلَّ ذي نعمة محسود.

قال عمر بن الخطاب ﷺ: لكلّ نعمة حاسدٌ، فلو كان الرجل أقوىَّ من الرُّمح ما عَدَمَ غاماً (أي: ما عَدَمَ من يُريد له أن يُمْيل وينكسر وتزول نعمه). والحسد غالباً يكون بسبب فضيلة المحسود ونقص الحاسد. والبخيل من يدخل بماله، وأما الشح ي فهو الذي يدخل بمال غيره، فهذا بخيل بنعم الله على عباد الله حتى ولو كان ليس بينه وبينهم عداوة أو رابطة،

بل بسبب خبث النفس، فهذا مما يصعب علاجه، فكأنه مثل السرطان.

ويكثر الحسد بين الأمثال والأقران كالإخوة وبني العم والجيران والشركاء، وسبب هذا الحسد هو التنافس على مصالح مشتركة، فيأتي التنافر والتباغض، فالعالم قد يحسد العالم، والعابد قد يحسد العابد، والتاجر قد يحسد التاجر؛ لاشتراك مقاصدهم في الحياة.

فأصل العداوة التزاحم على غرض واحد، فلا يجتمع متباعدان، أما لو كانوا بين بليدين فلا حسد بينهم، اللهم إلا طالب التفرد والرياسة، ومنشأ جميع ذلك التعلق بحب الدنيا؛ لأنها تضيق على المتراحمين بعكس الآخرة فلا تضيق.

فالعلماء إذا قصدوا وجه الله والتقرب إليه بالتعرف إليه وبالإيمان به، وسائر أعمال الإسلام فهذا بحرٌ واسع لا ضيق فيه، وليس لنعيم ربنا مزاحمة ولا ضيق حتى للناظرين إليه، أما إذا قصدوا الدنيا وجاهها فهذا هو التحاسد، فالعلم يزيد في غيرك دون أن يرتحل منك إليه، بعكس المال فهو يرتحل إلى غيرك إذا ارتحل منك، فمعرفة الله هي الأصل.

### دواء وعلاج الحسد:

أولاً: العلم النافع: وهو معرفة أن الحسد داءٌ يؤذى صاحبه ولا يؤذى المحسود؛ لأنَّه ألمٌ في القلب مع عدم المنفعة، ثم الآخرة أشدُّ؛ لأن النعمة تدوم على المحسود بقدر الله، ويوم القيمة يتقمم من الحاسد إذا خرج حسدُه إلى القول والفعل. أما الدنيا فالحسد مُبتلي بالغمٍ والعقاب.

ثانياً: العمل: حيث يفعل نقيض ما يأمر به الحسد؛ فيكلف نفسه المدح للحسد والثناء عليه، بل ويتواضع له، وينلزم نفسه الإنعام عليه.

وكان السلف الصالح يهدون الهداية لمن اغتابهم، وروي عن الحسن البصري : أن رجلاً قال له: إن فلاناً قد اغتابك. فبعث إليه الحسن رُطباً على طبقٍ وقال: قد بلغني أنك أهديت إلىَّ من حسناتك ما أردتْ أن أكافئك عليها، فاعذرني، فإني لا أقدر أن أكافئك علىَّ التمام. قال تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفرقان: ٥].

قال بعض السلف: **الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء** (أي: حسد إيليس لآدم)،

**الحسد أول ذنب عصي الله به في الأرض** (أي: حسد ابن آدم لأن فيه حتى قتلها).

**وقال حكيم:** مَنْ رَضِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يُسْخِطْهُ أَحَدٌ، وَمَنْ قَنَعَ بِعَطَائِهِ لَمْ يَدْخُلْهُ حَسَدُ. والحسد متشر كثيراً بين الناس.

**قال حكيم:** الناس حاسدٌ ومحسود، ولكلّ نعمٍ حسود. وقيل: ما رأيت ظالماً أشبة بمظلوم من الحسود: تعس دائم، وهم لازم، وقلب هائم.

**وقال معاوية :** ليس في خصال الشر أعدل من الحسد؛ يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود.

**وقيل:** يكفيك من الحاسد أنه يغتم في وقت سرورك. وقيل: عقوبة الحاسد من نفسه.  
**سؤال أعرابي الأصمعي:** ما سبب طول عمرك؟ قال: تركت الحسد ففقيت.

**قال رجل لشريح القاضي:** إني لأحسدك على ما أرى من صبرك على الخصوم، وقوفك على غامض الحكم. قال: ما نفعك الله بذلك ولا ضروري.

**الحسد والمنافسة:** حقيقة الحسد هي شدة الأسى والحزن على فوات خيراتٍ صارت لأناس أفضلاً، أما المنافسة فهي طلب التشبه بهؤلاء الأفضل من غير إدخال الضرر عليهم. والحسد يؤدي بصاحبه إلى الضرر؛ لأن غايته أن يذهب عن الأفضل فضلهم من غير أن يصير الفضل إلى الحاسد، فالمنافسة فضيلة؛ لأنها تدعو لاكتساب الفضائل والاقتداء بالآخرين. وقيل: المؤمن يغبط، والمنافق يحسد.

### عقاب الحاسد إذا تمكن الحسد منه :

- ١ - حسرات وأسقام بالجسد، ليس لها انتهاء ولا شفاء، فالحسد داء الجسد.
- ٢ - انخفاض منزلته بين الناس إذا اشتهر بذلك، وانصراف الناس عنه، ونفورهم منه، فالحسود لا يسود.
- ٣ - مقت الناس له؛ فلا يجد فيهم محبّاً، بل عداوة، ولا يرى فيهم صديقاً أو ولیاً، وقد روي عن ابن عباس أنه لما سئل النبي ﷺ عن شر الناس قال: «مَنْ يُبغضُ النَّاسَ

**وَيُغْضُونَهُ**. الطبراني في المعجم الكبير (٣١٨ / ١٠) برقم (١٠٧٧٥).

٤- التسخُط والاعتراض على قدر الله وقضائه، فلا يرى قضاء الله عدلاً، ولا يتتبه لحكمة الله في نعمه على غيره من الناس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: **الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب** [أبو داود برقم (٤٩٠٣)].

فالحسد مغتاظ على من لا ذنب له، وبخيل بما لا يملكه، وطامع فيما ليس له، فمحاسد النعمة لا يرضيه إلا زوالها والحسد مكره من الناس، عدو لهم، لا يحب أحداً جواره ولا قربه؛ فهو مَعْوِلٌ هدم في المجتمع.

\* \* \*

### (الإصابة بالعين)

كثير من الناس لا يُفرّقون بين العين والحسد، وهو مُهِمٌ بالنسبة للعلاج وكيفية التخلص منها. فالحسد قد يحسد ما لم يره أصلاً، وحتى في الأمور المتوقعة قبل وقوعها، حيث يستكثر النعمة على المحسود ويتمني زوالها أو عدم حصولها.

اما العائن؛ أي الذي يصيب عينه، فإنه لا يصيب عينه إلا ما يراه والموجود بالفعل، بنظرة عينه نفسها، وهي نظرة إلى المنظور إليه على وجه الإعجاب وعلى رغبة الضرر به أيضاً، ولا تكون إلا من نفس خبيثة، حيث تؤثر بمجرد نظرة فيسقط المنظور إليه مريضاً يتغير فيه الطب. ولا شك أن فعله حرام على الفاعل؛ لشدة ضرره على المصاب بالعين، وقد نهى النبي ﷺ على الإنسان أن يضر نفسه أو يضر غيره.

والحسد لا يقع في الأهل والمال، بعكس نظرة العين التي قد تصيب الأهل والمال. والعين علاجها أيسر من الحسد، وذلك لسهولة معرفة العائن في كثير من الحالات، ويتم ذلك بالحصول على أثر منه كبقايا وضوئه أو اغتساله أو شربة ماء، ويتم الاغتسال بها. والاستعاذه من شر الحسد يدخل فيها ضمناً الاستعاذه من العين، لبلاغة القرآن الكريم.

\* \* \*

## ٢٧١- باب النهي عن التجسس

### والتسمع لكلام من يكره استماعه

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تجسّسو﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يُغَيِّرُ مَا أَكَتَسَبُوا فَقَدْ أَخْتَمَلُوا بِهَنَاءِ إِثْمَانِهِنَّا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

(٢٧١ / ١٥٧٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنُّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحْسَسُوا وَلَا تَجَسِّسُوا» (أي: تُفْشِّوا عن بواطن الأمور بحثًا عن الشر فيها) وَلَا تَنافِسُوا (أي: في الباطل)، وَلَا تَحَاسِدُوا، وَلَا تَبَاغِضُوا، وَلَا تَدَابِرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا كَمَا أَمْرَكُمْ. الْمُسْلِمُ أَحُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ (أي: يترك إغاثته ونصرته) وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، التَّقْوَى هَاهُنَا» ويُشير إلى صدره: «بَحْسُبْ امْرِئٍ مِّنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمٍ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَعِرْضُهُ، وَمَالُهُ. إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكُمْ يُنْظَرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

وفي رواية: «لَا تَحَاسِدُوا، وَلَا تَبَاغِضُوا، وَلَا تَجَسِّسُوا، وَلَا تَنَاجِشُوا (أي: لا تخدعوا المشتررين بتزين السلعة والزيادة الفاحشة في ثمنها) وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا».

وفي رواية: «لَا تَقَاطِعُوا، وَلَا تَدَابِرُوا، وَلَا تَبَاغِضُوا، وَلَا تَحَاسِدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا».

وفي رواية: «لَا تَهَاجِرُوا وَلَا يَبْعِيْعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ». رواه مسلم بكل هذه الروايات، وروى البخاري أكثرها.

(٢٧١ / ١٥٧١) وعن معاوية رضي الله عنه: قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّكَ إِنْ أَتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُنْسِدَهُمْ». حديث صحيح، رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٢٧١ / ١٥٧٢) وعن ابن مسعود رضي الله عنه: آنَّهُ أَتَيَ بَرَجُلَ فَقِيلَ لَهُ: هَذَا فُلَانٌ تَقْطُرُ لِحْيَتِهِ خَمْرًا، فَقَالَ: إِنَّا قَدْ نُهِيَّنَا عَنِ التَّجَسُّسِ، وَلَكِنْ إِنْ يَظْهُرَ لَنَا شَيْءٌ نَأْخُذُ بِهِ. حديث حسن صحيح، رواه أبو داود بإسناد على شرط البخاري ومسلم.

## (التجسس)

**التجسس:** هو التفتیش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يُقال عن التجسس أنه يكون في الشر، وهو السؤال عن عورات غيره من الناس؛ يعني أن تَسْتَبَعَ عورةً وعيَّبَ أخيك فتَطَلِّعَ على سرّه.

**التجسس والتحسّس:** قال بعض العلماء: هما بمعنى واحد، وهو طلب معرفة الأخبار.

ولكن جمهور العلماء على أن هناك فرقاً بينهما: فالتجسس أن يطلب الخبر لحساب غيره، والتحسّس أن يطلبه لنفسه. وهذا رأيُ. ورأيُ آخر أن التجسس هو البحث عن عورات الآخرين، والتحسّس هو التسْمُع أو التنصت والاستماع. وقيل: التجسس هو البحث عما يُكتَم عنك، والتحسّس هو طلب الأخبار والبحث عنها. والتجسس هو البحث عن الأخبار، ومنه الجاسوس. والتحسّس هو ما أدركه الإنسان ببعض حواسه.

وقال ابن كثير : التجسس غالباً يُطلق في الشر، ومنه الجاسوس، أما التّحسّس فيكون غالباً في الخير؛ لقوله تعالى: ﴿يَنْبَغِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَآخِيهِ وَلَا تَأْيِشُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَشُ مِنْ رَوْحَ اللَّهِ إِلَّا أَقْوَمُ الْكُفَّارُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا مَعْشَرَ مَنْ آتَيْنَا لِسَانَهُ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبُهُ، لَا تَغْتَبُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَبَّعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّمَا مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَبَّعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنِ يَتَبَّعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَنْضَحِحُ فِي بَيْتِهِ». أحمد في (مسنده) (٤/ ٤٢٠) برقم (١٩٧٩١)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

**قصة:** كان عبد الرحمن بن عوف قد حرس مع عمر بن الخطاب ليلة في المدينة، فيینما هم يمشون ظَهَرَ لهم ضوءٌ في بيتٍ في وقت متأخر، فانطلقوا يقصدونه، فلما دَنَّوا منه إذ بازْ مغلق على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولَغَطٌ، فقال عمر وأخذ ييد عبد الرحمن: أتدري بيت من هذا؟ قال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن حَلَفَ، وهم الآن سكَارَى من الشراب، فما ترى؟ قال: أرى أن قد أتينا ما نهى الله عنه؛ قال الله: ﴿وَلَا جَسَسُوا﴾ [الحجرات: ١٢] فقد تجسّسنا. فانصرفَ عنهم وتركهم. اهـ.

قال الأوزاعي : التجسس: البحث عن الشيء، والتحسّس: الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون. أو يتسمّع على أبوابهم.

والتجسس من نتائج سوء الظن، ويورد صاحبه المهالك، وهو دليل على دناءة النفس وحسّتها، و يؤدي إلى فساد المجتمع وكشف عورات الناس، ويُوغر صدورَهم، و يؤدي إلى انتشار الفجور وشيوخه، ويستحقُّ صاحبه غضب الله ورسوله ﷺ.

\* \* \*

## ٢٧٢- باب النهي عن سوء الظن بال المسلمين من غير ضرورةٍ

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ مَأْمُونُوا إِذْ جَنَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُمْ بَعْضَ الظَّنِّ إِنَّمَا﴾ [الحجرات: ١٢].  
 (٢٧٢ / ١٥٧٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنُّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ». متفق عليه.

\* \* \*

### (سوء الظن)

سوء الظن: هو اعتقادُ جانبِ الشر وترجيحه على جانبِ الخير فيما يتحمل الأمرين معًا. وهو من الكبائر الباطنة، ومما يجب على الإنسان معرفتها؛ ليتمكن من إزالتها من قلبه حتى يلقى الله بقلب سليم، ولِعَظَم مفسدة سوء الظن فهو أشد إثماً من كبار البدن كالزنا والسرقة وشرب الخمر، فأثر هذه الكبيرة يدوم ويرسخ في القلب، ويُفسد حياة الناس، بخلاف معاصي الأبدان فإنها سريعة الزوال.

فسوء الظن بال المسلمين أشد معصية من الزنا والسرقة وشرب الخمر، والتوبة والاستغفار هما سبيل النجاة من مثل هذه الذنوب. قال ابن النجار: من أساء الظن بأخيه فقد أساء بربه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ مَأْمُونُوا إِذْ جَنَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُمْ بَعْضَ الظَّنِّ إِنَّمَا﴾ [الحجرات: ١٢].

**أنواع سوء الظن:** قال سفيان الثوري : الظن طنان: ظن إثم وعصبية، وظن ليس بإثم ولا معصية: فأما الظن الذي هو إثم فالذي يظن ظناً ويتكلّم به (أي: يُفتش ليتحقق من ذلك الظن ويرتاب في الناس بلا مبرر) وأما الظن الذي ليس بإثم فالذي يظن ولا يتكلّم به (أي: فهو قد وقع في الظن السيء ولكن لا يتحقق ولا يرتاب).

والظن في كثير من الأمور مذموم، ولابن قدامة كلام معناه: ليس لأحد أن يظن بأخيه المسلم شرًا إلا في حالة واحدة، وهي أن يظهر له أمر لا يتحمل التأويل أو الأعذار، خاصةً لو أخبره بذلك شخص عدل ثقة أمين فمال قلبه إلى تصديق الظن فهو معدور؛ لأنه لو كذب ذلك الشخص العدل لوقع أيضًا في إساءة الظن به، فلا ينبغي أن تُحسِن الظن بواحدٍ وتُسيئه بالأخر، ولكن انظر هل بينهما عداوة أو حسد.

وإذا ظهر لك خاطر سوء على مسلم فينبغي لك أن تدعوه بالخير وتراعيه بالحسنى؛ لأن ذلك يغيط الشيطان فلا يلقي إليك خاطر السوء مرة أخرى؛ خوفاً من أن تشغل بالدعاء له والمراعاة الحسنة، وكذلك لو حدثت هفوة من أخيك المسلم فانصحه سراً.

ومن نتائج سوء الظن أن يتجمس ويتبَعَ غيره؛ لأن القلب دائمًا لا يقنع بالظن فقط، بل يريد أن يتحقق فيشغل بالتجمس، وهو منهى عنه؛ لأن فيه هتكًا لعورة أخيك المسلم، والسلامة في عدم هتك الأسرار.

### أقسام سوء الظن: سوء الظن قسمان:

**الأول: سوء الظن بالله:** ويقول في هذا ابن القيم كلامًا معناه: أكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم من الأقدار التي قد لا يفهمون حكمتها، فقل من يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه، وكان يؤمن بحكمته ويرجو رحمته، وعليه أن يتوب إلى الله ويستغفره من سوء ظنه به. ولو فتَّشت في حال أحد هؤلاء لرأيت عنده سخطًا وتعنتًا على الأقدار ويقول: إنه ينبغي أن يكون كذا وكذا، فقد يرى الكثير قليلاً أو العكس، وعلى كل منا أن يُفتش في قلبه عن هذا.

فالظن المحرّم هنا: هو سوء الظن بالله تعالى، ويقابله وجوب حسن الظن بالله.

**الثاني: سوء الظن بال المسلمين:** وذلك أنَّ من حَكْمَ الشَّرِّ عَلَىٰ غَيْرِهِ بِمُجْرِدِ سُوءِ الظَّنِّ فَقَدْ حَمَلَهُ الشَّيْطَانُ عَلَىٰ احْتِقارِهِ وَعَدَمِ الْقِيَامِ بِحَقْوَقِهِ وَالتَّوَانِي فِي إِكْرَامِهِ، بَلْ وَالْوُقُوعُ فِي الْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ فِيهِ وَفِي عَرْضِهِ، وَكُلُّ مَنْ رَأَيْتَهُ سَيِّئَ الظَّنَّ بِالنَّاسِ طَالِبًا إِظْهَارَ مَعَايِّنِهِمْ فَاعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مَنْ خَبَثَ بَاطِنَهُ وَسُوءَ نَفْسِهِ، فَالْمُؤْمِنُ يَطْلُبُ الْمَعَاذِيرَ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ وَذَلِكَ لِسَلَامَةِ قَلْبِهِ، وَالْمُنَافِقُ يَطْلُبُ وَيَبْحَثُ عَنِ الْعِيُوبِ لِخَبْثِ بَاطِنِهِ. وَيَحْرُمُ الظَّنُّ السَّيِّئُ بِالْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ ظَاهَرُهُمْ تَقْوَىٰ وَإِيمَانٌ، وَالْمَطْلُوبُ حَسْنُ الظَّنِّ بِهِمْ.

**الظَّنُّ الْمَبَاحُ:** هُوَ ظَنٌّ يَمْرُ عَلَىٰ قَلْبِ الْمُسْلِمِ فِي أَخِيهِ الْمُسْلِمِ بِسَبَبِ بَعْضِ الرِّبَيْةِ وَالشَّكِّ، ثُمَّ لَا يَجْتَهِدُ فِي التَّحْقِيقِ مِنْهُ، فَهُوَ ظَنٌّ مَبَاحٌ لَا شَيْءٌ فِيهِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْأَمِيرَ إِذَا أَبْتَغَى الرِّبَيْةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ». أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٦/٤) بِرَقْمِ (٢٣٨٦٦)، وَقَالَ الْأَرْنُوُوطُ: حَدِيثٌ حَسْنٌ، وَصَحَّحَهُ الْأَلبَانِيُّ (صَحِيحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ) حَدِيثٌ (١٥٨٥).

إِنَّ الْحَاكِمَ لَوْ شَكَ فِي الرِّعِيَّةِ لِسَلْطَهُمْ عَلَىٰ بَعْضِهِمْ بَعْضٌ يَتَجَسِّسُونَ؛ وَهَذَا مَا يُفْسِدُ الْوَدَّ وَالْمَحْبَةَ بَيْنِهِمْ. وَشَكَ رَجُلٌ فِي نَسْبِ ابْنِهِ فَجَاءَ يَشْكُو لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَيِّي وَلَدَتْ غَلَامًا أَسْوَدًا (أَيْ: شَكَّا مِنْهُ فِي عَيْدِهِ السَّوْدَ) فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبْلٍ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «مَا أَلَوْأَنَّهَا؟» قَالَ: حُمْرًا. قَالَ: «هَلْ فِيهَا مِنْ أُورَقٍ؟» (أَيْ: وَهُوَ الْأَحْمَرُ الْمُخْلُوطُ بِالْسَّوْدَ أَقْرَبُ إِلَى الرَّمَادِيِّ). قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَأَنَّىٰ أَتَاهُمْ ذَلِكَ؟» قَالَ: عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ نَزْعَهُ عَرْقٌ. (أَيْ: انْجَذَبَ إِلَى نَسْبِهِ الْعِيُوبِ فِي عَرْقِ النَّسْبِ). قَالَ ﷺ: «وَهَذَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ نَزْعَهُ عَرْقٌ». مُنْتَقِيٌّ عَلَيْهِ.

**قصة:** يقول ستي芬 ر. كوفي: كنت في صباح أحد الأيام في قطار الأنفاق بمدينة نيويورك، كان الركاب جالسين في سكينة؛ بعضهم يقرأ الصحف وبعضهم مُستَعْرِقٌ بالتفكير، وأخرون في حالة استرخاء، كان الجو ساكناً مفعماً بالهدوء، فجأة صعد رجل بصحبة أطفاله الذين سرعان ما ملأ ضجيجهم وهرجهم عربة القطار، جلس الرجل إلى جانبي وأغلق عينيه غافلاً عن الموقف كله، كان الأطفال يتباذلون الصياح ويتناذرون بالأشياء، بل ويجدبون الصحف من الركاب، وكان الأمر مثيراً للإزعاج، ورغم ذلك استمرّ الرجل في جلسته إلى جواري دون أن يُحرّك ساكناً، لم أكن أصدق أن يكون على هذا القدر من التبلد والسماح لأبنائه بالركض هكذا دون أن يفعل شيئاً.

يقول كوفي بعد أن نَفَدَ صبره: التفت إلى الرجل قائلاً: إن أطفالك يا سيدي يُسبِّبون إزعاجاً للكثير من الناس، وإنني لاَعْجَبُ أنك لم تستطع أن تکبح جماحهم أكثر من ذلك! إنك عديم الإحساس. فتح الرجل عينيه كما لو كان يعي الموقف للمرة الأولى وقال بلهفة: نعم، إنك على حق، ييدو أنه يتبعن عليَّ أن أفعل شيئاً إزاء هذا الأمر، لقد قدمنا لتوُّنا من المستشفى، حيث لفظتُ والدتهم أنفاسها الأخيرة منذ ساعة واحدة، إنني عاجز عن التفكير، وأظن أنهم لا يدرُون كيف يواجهون الموقف أيضاً.

يقول كوفي: تخيلوا شعوري آنذاك، فجأة امتلاً قلبي بالآلام الرجل، وتدفقت مشاعر التعاطف والتراحم دون قيود، قلت له: هل ماتت زوجتك للتتو؟ إنني آسف، هل يمكنني المساعدة؟ لقد تغيرَ كل شيء، في لحظة انتهت القصة، ولكن ما انتهت المشاعر المرتبطة بهذا الموقف في نفوسنا.

نعم، كم ظلمنا أنفسنا حين ظلمنا غيرنا في الحكم السريع المبني على سوء فهم، وحتى من دون أن نبحث عن الأسباب التي أدَّت إلى تصرُّف غير متوقع من إنسان قريب أو بعيد في حياتنا. وسبحان الله! يوم تنكشف الأسباب وتتضاح الرؤية نعرف أن الحكم الغبي غير العادل الذي أصدرناه في لحظة غضب، كان مؤلماً على النفس، ويطلب هنا شجاعة للاعتذار والعودة إلى الله، والتوبة عن سوء الظن.

أيها الأعزاء، هذه القصة، تذكّرنا بحوادث كثيرة في حياتنا، كنا في أحيانٍ ظالمين، وفي أحيانٍ مظلومين، ولكن المهم في الأمر ألا نتسرع في إصدار الأحكام على الغير، وعندما نُخطئ نعتذر، وعندما يقع علينا الظلم نغفر، وهذه هي الشجاعة وحسن الخلق مع مَن حولنا من الناس. اهـ.

ويقول الإمام الشافعي : : سامح صديقك إن زلت به قدم فليس يسلُّم إنسانٌ من الزلل. ويقول أيضًا : لما عفوتُ ولم أحدِ أرْحُتُ نفسي من هم العداوات

وفي حادثة الإفك الشهيرة دَرْسٌ كبير في مغبة سوء الظن ومصيبة على الأمة.

سوء الظن دليل على فساد النية والقلب، ويولد منه الشحناء والبغضاء بين الناس، و يؤدي إلى غضب الله وسخطه.

## ٢٧٣- باب تحرير احتقار المسلمين

قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخِرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَعَ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا فَسَاءً مِّنْ فَسَاءٍ عَسَعَ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَازِعُوا بِالْأَقْدِيرِ بِشَسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتَبَّعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]

وقال تعالى: ﴿وَلَيْلَ كُلُّ هُمَرَةٍ لُّمَرَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

(٢٧٣ / ١٥٧٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِّنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ». رواه مسلم، وقد سبق قريباً بطره.

(٢٧٣ / ١٥٧٥) وعن ابن مسعود رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِّنْ كِبِيرٍ!» فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبَهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبِيرُ: بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ». رواه مسلم.

ومعنى «بَطْرُ الْحَقِّ»: دفعه. وَغَمْطُهُمْ: احتقارهم، وقد سبق بيانه أوضاع من هذا في باب الكبار.

(٢٧٣ / ١٥٧٦) وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللَّهُ يَعْلَمُ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى (أي: يُحلف ويقسم يميناً) عَلَيَّ أَلَا أَغْفِرُ لِفُلَانٍ! فَإِنِّي قَدْ عَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ». رواه مسلم.

## ٢٧٤- باب النهي عن إظهار الشماتة بالسلم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ لِغَوَّةٍ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشْيَعَ الْفَحْشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

(٢٧٤ / ١٥٧٧) وعن واثلة بْنِ الأَسْقَعِ رضي الله عنه: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «لَا تُنْظِهِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فَيُرَحِّمُ اللَّهُ وَيَبْتَلِيكَ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

وفي الباب حديث أبي هريرة السابق في باب التجسس: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ».



### (الشماتة)

الشماتة: هي الفرح ببلية أو مصيبة تصيب العدو. ولما قال رسول الله ﷺ في دعائه: «لَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ» إنما أراد ألا تفعل بي ما تشمّت من أجله الأعداء، ولا تسرب لهم بذلك.

والشماتة أيضاً هي السرور بما يصيب أخاك من مصائب الدنيا والدين، أو السرور بمكاراه الأعداء. عن أبي هريرة رض قال: كان النبي ﷺ يتغول من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء. رواه البخاري. وقد روي: «من غير أخاه بذنب لم يتم حتى يعمله».

وقد شرح الإمام أحمد رحمه الله ذلك بأنه ذنب قد تاب صاحبه منه، فلا ينبغي تعيره بذلك. وحدوث الفرح في قلب الإنسان بسبب خسران العدو وبليته، أمر طبيعي لا يستطيع أن يمنعه بسهولة؛ ولهذا كان النهي عن إظهار تلك الشماتة خوفاً من الضرر الذي قد يلحق الجانين، من الشامت ومن الذي تعلقت المصيبة به، وخاصة إذا كانت متعلقة بأخ لك وليس عدوًّا.

\* \* \*

### ٢٧٥- باب تحرير الطعن في الأنساب الثابتة في ظاهر الشرع

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَعْتَرِفُ مَا أَكَتَتْ سَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بِهَتْنَاكُوا لِثَمَائِيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

(٢٧٥) وعن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله ﷺ: «الثبات في الناس همّا بهم كفر» (أي: من أعمال الكفر): الطعن في النسب، والسياحة على الميت». رواه مسلم. (أي: ويقصد بهذا الكفر الأصغر الذي يستحق صاحبه العذاب إن بقي على ذلك دون توبة، ولكن لا يخلد في النار).

### ٢٧٦- باب النهي عن الغش والخداع

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَعْتَرِفُ مَا أَكَتَتْ سَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بِهَتْنَاكُوا لِثَمَائِيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

(٢٧٦) وعن أبي هريرة رض قال: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا». رواه مسلم.

وفي رواية له: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ طَعَامٍ (أي: كومة من طعام) فَادْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَّا، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ: أَصَابَتِهِ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا». (١٥٨٠ / ٢٧٦) وعنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَنَاجِشُوا (أي: لا تخدعوا المشترين بتزيين السلعة والزيادة الفاحشة في ثمنها)». متفق عليه.

(١٥٨١ / ٢٧٦) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عن النَّجَشِ. متفق عليه.

(١٥٨٢ / ٢٧٦) وعنه قال: ذَكَرَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ يُخْدَعُ فِي الْبِيُوعِ؟» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ بَأَيْعَتْ، فَقُلْ: لَا خِلَاْبَةً». متفق عليه. الخلابة بخاء معجمة مكسورة وباء موحدة، وهي: الخديعة.

(١٥٨٣ / ٢٧٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَمْ خَبَبَ زَوْجَةَ امْرِئٍ، أَوْ مَمْلُوكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا». رواه أبو داود. الخبب بخاء معجمة، ثم باء موحدة مكررة، أي: أفسد وخدع.



### (الخداع والغش)

**أولاً: الخداع:** الخداع: هو إظهار خير وصورة حسنة، مع إبطان شر في داخلها؛ ليتوصل أصحابها بتلك الصورة الظاهرة إلى ضرر يلحق بالآخرين. وقيل: هو إظهار ما يخالف الضمير. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ غَرُّ كَرِيمٌ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ حَبُّ لَئِيمٍ [أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٩٤) حديث (٩١٠٧) من طريق أبي هريرة رضي الله عنه].

(وَغَرُّ: أي: سليم الصدر حسن الباطن. وَحَبُّ: أي: مخادع خبيث).

**ثانياً: الغش:** الغش: هو أن يخالط المرء الشيء الرديء بالجيد، أو أن يُظهر خلاف ما يُ Prism، فهو الغُلُّ والحدق الدفين في الصدر. والغش نقىض النصح، فاللَّبَنُ المغشوش هو المخلوط بالماء؛ أي: الذي ليس بخالص، فالغالُّ لا يعطي النصيحة والرأي بصدق. فالغش هو سواد في القلب، وفي الحديث من قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ عَشَّنَا

[أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٦٦) حديث (١٥٨٧١) من طريق أبي بردة بن نيار رضي الله عنه].

**أنواع الغش:** للغش أنواع عديدة، أهمها: الغش في البيع والشراء وغيرهما من المعاملات

المالية. و الغش في النصيحة وعدم الإخلاص فيها. و الغش للمرءوسين والمحكومين ومن هم تحت الرياسة والسطوة.

وفي الحديث: (أَيْمَّا رَاعَ عَشَّ رَعِيَّتُهُ فَهُوَ فِي النَّارِ) [ابن عساكر في «تاريخه» (٤٤٩/٣٧) حديث (٧٥٦٣)] من طريق معلق بن بسار رض. وقد عد الإمام ابن حجر عَشَّ البيع والشراء من الكبائر.

أما النوع الثاني فعدّ العلماء من الكبائر الباطنة؛ لأن مرجعها هو سواد القلب، فينطبق عليه ما ينطبق على سائر الكبائر الباطنة التي يُذم عليها العبد أكثر مما يذم على الكبائر الظاهرة، كالزنا والسرقة وشرب الخمر.

أما النوع الثالث فقد عدّ الإمام الذهبي من الكبائر أيضاً، حيث يغش المدير مرعوسيه، ويغش المسئول موظفيه، ومثل ذلك.

### (المداراة والمداهنة)

المداراة: هي خَفْضُ الْجَنَاحَ لِلنَّاسِ، وَلِيْنَ الْكَلَامَ، وَتَرْكُ الْإِغْلَاظِ لِهِمْ فِي الْقَوْلِ.

فهي الملاينة والملاظفة والدفع بِرِفْقٍ ولِيْنَ، والمداراة لَبَدْ مِنْهَا فِي حَيَاةِ النَّاسِ.

قال ابن حبان : إن الواجب على كلّ عاقل أن يُداري الناس، وهي صدقة منه على الناس. فمن لم يعاشر الناس ويتغاضّ عن بعض ما يأتونه من المكر وهمات التي تؤديه صار مُتَكَدِّر العيش، وقد يدفعه ذلك إلى العداوة والبغضاء معهم بدلاً من الود والتراحم فيما بينهم. ومن لم يداري صديق السوء كما يُداري صديق الصدق فليس بحازم. وإذا كان كلما رأى من أحد زلة أو جفوة رفضه لزنته بقي بعد ذلك وحيداً، فلن يجد من يعاشره، ويصبح فريداً لا يجد من يصاحبـه، وعليه أن يتغاضـى عن زلات الأخ الصادق، ولا يناقش الصديق السيئ على عشرته.

وإذا كان للإنسان عدو مشاحد ظالم لئيم الطبع، فالبعد عنه غنيمة؛ لأنـه لا يسلـم من عـوقـبـ شـرهـ، حيث لا سـلامـةـ منـ مـثـلهـ إـلاـ بـالـبـعـدـ عـنـهـ، وـحتـىـ بـالـصـفـحـ وـالـإـعـراضـ؛ لأنـهـ كـالـلـوـحـشـ الضـارـيـ لاـ يـسـتـحـيـيـ مـنـ فـعـلـ مـشـينـ وـلـاـ قـيـحـ. وـلـاـ تـعـارـضـهـ بـالـشـرـ وـافـعـلـ كـمـاـ قـالـ لـقـمـانـ لـابـنهـ: يـاـ بـنـيـ، كـذـبـ مـنـ قـالـ: إـنـ الشـرـ بـالـشـرـ يـطـفـأـ. فـإـنـ كـانـ صـادـقاـ فـلـيـوـقـدـ نـارـينـ وـلـيـنـظـرـ هـلـ تـُطـفـيـ إـحـدـاهـمـاـ الـأـخـرىـ، وـإـنـماـ يـطـفـيـ الـخـيرـ الشـرـ كـمـاـ يـطـفـيـ الـمـاءـ النـارـ.

**الفرق بين المداراة والمداهنة:** وفي معنى الكلام لابن القيم أن المداراة صفة مدح، والمداهنة صفة ذمٌ، وأما الفرق بينهما: فإن المداري يتلطف بصاحبته حتى يستخرج منه الحق في الأقوال والأفعال والصفات، أو يرده عن الباطل بأنواعه، والمداهنة يتلطف بصاحبته ليقره على الباطل، وقد يُحسّنه له ويتركه على هواه.

فالمداراة لأهل الإيمان صفة، والمداهنة لأهل النفاق صفة.

وقد ضرب لذلك مثالاً ليفهم منه هذا الفرق، وهو حال رجل أصابته قرحة في جسمه - دمل - قد آلمته، فجاءه الطبيب المعالج الرفيق فتعرف على حالها وشخصها وتلطف معه وطمأنه، ثم أخذ في علاجها حتى أخرج ما فيها، ووضع على مكانها الدواء والمراهم ما يمنع فسادها، ثم تابع عليها بالمرأهム حتى نبت اللحم مكانها، ثم شد عليها الرباط حتى صلحت، فذلك مثل المداري.

أما المداهنة فهو الذي يقول لصاحب القرحة: لا بأس عليك منها، وهذه لا شيء، واسترها عن أعين الناس بخرقة، واصرف فكرك عنها. فلا تزال تزداد سوءاً حتى يعظم فسادها.

وقد شرحها ابن بطال أيضاً بما معناه: المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي من أقوى أسباب الألفة بينهم.

والمداراة غير المداهنة؛ لأن المداراة مندوب إليها شرعاً، والمداهنة محظمة شرعاً، والفرق بينهما: أن المداهنة من الدهان، وهو الذي يُظهر شيئاً ويستر باطنه، وقد فسرها ووضاحتها العلماء بأنها معاشرة أهل الفسق في الأكل والشرب والصحبة معهم، وإظهار الرضا بفسقهم من غير إنكار عليهم.

فالمداراة هي الرفق بالإنسان الجاهل في أثناء تعليمه، وكذلك الرفق بالفاشقي أثناء دعوته ونفيه عن فعل المنكرات، وترك الإغلاط عليه، فيُنكر عليه بلطف في القول والفعل؛ لتأليفه وترغيبه في الحق ودين الله تعالى.

وقدر روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه يرفعه: «مداراة الناس صدقة». ابن حبان في صحيحه /٢٦٢٦ برقم (٤٧١). ومن المداراة ما فعله أبو الدرداء وقال: إِنَّا لَنُكَثِّرُ (أي: نضحك) فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ وَإِنَّ قُلُوبَنَا تَلَعَّنُهُمْ.

وروي أن داود عليه السلام جلس كثيراً خالياً، فأوحى الله إليه: يا داود، ما لي أراك خالياً؟  
قال: هجرت الناس فيك (أي: من أجلك لسوء أخلاقهم). قال: أفلا أدلك على شيء تبلغ به  
رضائي؟ خالق الناس بأخلاقهم (أي: بالمداراة) واحتجز الإيمان فيما بيني وبينك.  
وقال أبو الدرداء لأم الدرداء : إذا غضبت فرضايني، وإذا غضبت رضايك، فإن  
لم نكن هكذا ما أسرع ما نفترق.

وقال معاوية عليه: لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت. قيل: وكيف؟ قال: لأنهم  
إن مدعوها خلية لها، وإن خلوها مدعدها.

وقال ابن مفلح : أعطى الحسن بن علي شاعراً عطية جزلة فقيل له: لم تعطي من  
يقول البهتان (أي: الكذب) ويعصي الرحمن؟ فقال: إن خيراً ما يبذل من مالك ما وقئت به  
من عرضك، ومن ابتغى الخيراً أتقى الشرّ.

وقال محمد ابن الحنفية : ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لا يجد من  
معاشرته بدأ حتى يجعل الله فرجاً أو مخرجاً.

وقال الحسن البصري : كانوا يقولون: المداراة نصف العقل، وأنا أقول: هي  
العقل كله.

وقال أبو يوسف : خمسة يجب على الناس مداراتهم: الملك المسلط، والقاضي  
المتأول، والمريض، والمرأة، والعالم ليقتبس من علمه.

وقال ابن حبان : من التمس رضا الناس التمس ما لا يدرك، ولكن يتمنى رضا  
من لابد من معاشرته، كالزوجة والولد والأخ والجار والشريك وغيره.

وقد يُضطر بعض العادات التي لم تكن جميلة في حقه مالم تكن إثماً ومعصية، أو لترك بعض العادات الجميلة لمداراة الناس مالم يكن في تركها إثم ولا معصية أيضاً، فإن كل ذلك من المداراة. ومع كل المداراة قد لا يسلم المرء من شرور الناس، فكيف بمن لم يدارِ؟ وقد يحتاج الرجل الصالح إلى مداراة الظالم والتردد عليه، وإلى مخالطة من لا يصلح، وإلى أعمال لا تليق به؛ خوفاً من ظلمه وسطوته وجبروته، وقد لا يستطيع أن ينكر عليه منكراته فيحتاج إلى المعارض والمداراة، وهذه من الفتنة التي نسأل الله منها السلامة.

وقال بعض العلماء: رأس المداراة ترك المماراة (أي: الجدل).

والمداراة تكون في الأمور الدنيوية فقط، وتحرم إذا كانت في أمور الدين، وهذه هي المداهنة. وفي المداراة دليل على كمال العقل وحسن الخلق والفهم الصحيح لدين الله، وهي لابد منها لاتقاء الأشرار ودوام معاشرة الآخيار.



## ٢٧٧- باب تحرير الغدر

قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُهُودِ﴾ [المائدة: ١].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْعُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤].

(٢٧٧ / ١٥٨٤) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص : أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً حَالِصَا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلْصَةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَلْصَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعُهَا: إِذَا أُوتُّمَنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». متفق عليه.

(٢٧٧ / ١٥٨٥) وعن ابن مسعودٍ، وابن عمر، وأنسٍ قَالُوا: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ» (أي: عالمة يعرف بها) يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فَلَانٍ». متفق عليه.

(٢٧٧ / ١٥٨٦) وعن أبي سعيد الحذري رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ» (أي: موضع مؤخرته) يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ، أَلَا وَلَا غَادِرٌ أَعْظَمُ عَدْرًا مِنْ أَمِيرٍ عَامَّةٍ». رواه مسلم.

(٢٧٧ / ١٥٨٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي» (أي: حلف بالله ثم غدر)، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرَّاً فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا، فَأَسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ». رواه البخاري.



## (الفدر)

الغدر: هو الرجوع عما يلزم به الإنسان نفسه ويضمن الوفاء به، وهو خلق مستقبح، وهو في الكبار والمسئولين أقبح وأضرن وهو نقض للعهد، وترك للوفاء به، ويقال

للذئب: غادر؛ لأنَّه لا عهد له، والغدر يعقبه استفادة للغادر، ولكنها لؤم وخبث وخديعة، وهو ضمن الكبائر التي اعتبرها أهل العلم، فمن أُعطي أمانًا أو ذمةً أو عهداً فلا يجوز الإخلال بها، فلا يظلم ولا يقتل وهذا من الغدر.

وقد اعتبر أعلیٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نكث العهد مع أهل الذمة غدرًا وكبيرة من الكبائر. والغدر من صفات النفاق: **«وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ»**. متفق عليه.

وولما رجع إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين هاجروا بالبحر قال: **«أَلَا تُحَدِّثُنِي بِأَعْجَبَ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟»** قال فتية منهم: بلَّى يا رسول الله، بينما نحن جلوسٌ مرَّت بنا عجوزٌ من عجائز رهابينهم، تحمل على رأسها قلةً من ماء، فمرَّت بفتىٍ منهم فدفعها بين كتفيها حتى خرَّت على ركبتها وانكسرت القلة، فلما قامت التفتت إليه وقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع الكرسيّ وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم أمري وأمرك عنده غداً. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«صَدَقْتُ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا يُؤْخُذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ»**. ابن ماجه برقم (٤٠١٠).

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ أَمْنَ رَجُلاً عَلَى دِمِهِ فَقَتَلَهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ لِوَاءَ غَدَرٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**.

أحمد في مسنده (٥ / ٢٢٣) برقم (٢١٩٩٦).

وقال أيضًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انتَنَصَهُ، أَوْ كَلَفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخْدَمْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ؛ فَإِنَّا حَسِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**. أبو داود برقم (٣٥٥٢).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَمْ يُرْحِ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيَوْجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»**. البخاري برقم (٦٩١٤).

وقال أيضًا: **«خَيْرُكُمْ قَرْبَنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»**. ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمِنُونَ، وَيَشَهُدُونَ وَلَا يُسْتَشَهُدُونَ، وَيَئْنِرُونَ وَلَا يَقُولُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَّ»**. متفق عليه.

وقال أيضًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الْمُسْلِمُونَ تَكَافَأُ دَمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَى بِذَمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ، وَتُحِيرُ عَلَيْهِمْ أَنْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِواهُمْ، يَرُدُّ مُشَدِّهِمْ عَلَى مُضَعِّفِهِمْ، وَمُتَسَرِّعُهُمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ»**. أبو داود برقم (٢٧٥١)، حسن الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٦٧١٢).

وقال أيضًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ خَرَّجَ مِنَ الطَّاغِيَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ**

**قاتلَ تَحْتَ رَأْيَهُ عَمِيَّةٌ** (أي: عميء لا يستبان الحق فيها) يغضب لعصبيه، أو يدعوه إلى عصبيه، أو ينصر عصبيه؛ فقتلَ فقتله جاهليه، ومن خرج على أهتي يضر ببرها وفاجرها ولا يتخاصي من مؤمنها ولا يفي لذي عهده فليس مني ولست منه». سلم برقم (١٨٤٨).

**قصة:** لما حلف محمد الأمين ابن هارون الرشيد لأخيه المأمون في بيت الله الحرام وهو ملائيا العهد، طالبه جعفر بن يحيى أن يقول أيضا: خذلني الله إن خذلته. فقال ذلك ثلاث مرات، فقال الفضل بن الريبع: قال لي الأمين بعد خروجه من بيت الله الحرام: يا أبي العباس، أجد نفسي أن أمري لا يتم. فقلت له: ولم؟ أعز الله الأمير. قال: لأنك كنت أحلف وأنا أنوي الغدر. وكذلك كان الأمر فلم تتم له الخلافة. اهـ.

**وقال الأ بشيحي :** أَيُّ سُوءٍ أَقْبَحُ مِنْ غَدْرٍ يُسَوِّقُ إِلَى النَّفَاقِ، وَأَيُّ عَارٍ أَفْضَحُ مِنْ نَفْضِ الْعَهْدِ إِذَا عُدَّ مِسَاوِيًّا لِلْأَخْلَاقِ. والغادر يحمل لواء غدره يوم القيمة مفضواً بين الخلائق، والله خصيمه يوم الحساب، تمتهن الملائكة والناس أجمعون، وهو خسيس النفس حقيرها، ولا شك أن الله سيعامله بعكس مقصوده، ولن يتم له أمراً.

\* \* \*

## ٢٧٨- باب النهي عن المن بالعطية ونحوها

قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا أَصْدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤].  
وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُفْقِدُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَبِّعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنَا وَلَا أَذَى﴾

[البقرة: ٢٦٢]

(٢٧٨ / ١٥٨٨) وعن أبي ذر رض: عن النبي صل قال: «ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيمة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم». قال: فقرأها رسول الله صل ثلاث مرات. قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: «المُسْبِلُ، والمَنَانُ، والمُنْفَقُ (أي: المُرَوْج) سُلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ». رواه مسلم.

وفي رواية له: «المُسْبِلُ إِزَارُهُ». يعني: المُسْبِل إِزَارُهُ وَنَوْبَةُ أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ لِلْخِيَالِ.

\* \* \*

(المن)

والمنة هي النعمة الثقيلة العظيمة، فيقال: منَّ فلان علىٰ فلان؛ أي: أثقله بنعمة كبيرة، ومن ذلك قوله تعالى: **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** [آل عمران: ١٦٤]، وذلك في الحقيقة لا يكون إلا الله تعالى فقط. أما أن يقال: منَّ فلان علىٰ فلان بنعمة كبيرة، فمن الأفضل لا يحدث ذلك، حتى لا تضيع الأجور وتتغير الصدور بين الناس؛ فقد قيل: إِنَّ الْمُنْتَهَى تهدم الصناعة. أما إذا حدث كفران للنعم من المُنْعَم عليه تجاه الذي أنعم عليه، فهذا أمر قبيح؛ وللهذا قيل: **إِذَا كَفَرْتَ النَّعْمَةَ حَسِنْتَ الْمُنْتَهَى**، ومنها قوله تعالى: **يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ آسَلَمُوا** [الحجاجات: ١٧] - فيجوز أن تُذَكَّرُ الجاحد بالنعمة عند ذلك ليحسن فعله وشكره ويكون ذلك سبباً لمروءة الناس بالإنعم علىٰ غيرهم ولا يكون سبباً للصد عن المن والإنعم.

وفي الحقيقة فالمنة من البشر هي قول وليس فعلًا، حيث المنة لله وللرسول ﷺ، وإنما كان التذكير بالسيب الذي كان استعمله الله في العطاء والمنة.

وفي الحديث: «ثلاثة يشونهم الله (أي: يغضّهم) منهم **البخيل المُنَان**».

والمنُّ من الكبائر، حيث إن المانَ أحد الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم؛ لأنَّه يطلب الشكر والثناء، فكأنَّه طلب الرياء، أو أنه التمس الجزاء فأصبح تاجراً لا يستحق الحمد ولا الشكر. فعن ابن عمر رض قال: قال رسول الله ص: **«ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيمة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والدُّيوبث.** **وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن على الخمر، والمنان بما أعطى»**. رواه البخاري. وعن أبي بكر الصديق رض، أنَّ رسول الله ص قال: **«لا يدخل الجنة خبٌّ (أي: خادع غاش) ولا مَنَّاً ولا بَخِيلٍ»**. رواه الترمذى.

والمن يقص الأجر وقد يذهب به بالكلية، حيث إنه مظاهر من مظاهر سوء الخلق والتباغض بين الناس، فيوغر الصدور ويحيط الأعمال، ويتشبه صاحبه بأهل النفاق، ويُحِرَّم يوم القيمة من نعيم النظر إلى وجهه الكريم.



## ٢٧٩ - باب النهي عن الافتخار والبغى

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُرْزِكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَفْقَحَ﴾ [النجم: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِيقَةِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤٢].

(٢٧٩ / ١٥٨٩) وعن عياض بن حمار رض قال: قال رسول الله ص: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لا يَبْغُي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ». رواه مسلم.

قال أهل اللغة: البغى: التعدى والاستطالة.

(٢٧٩ / ١٥٩٠) وعن أبي هريرة رض: أنَّ رُسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلْكَ النَّاسُ. فَهُوَ أَهْلُكُهُمْ». رواه مسلم.

والرواية المشهورة: «أَهْلُكُهُمْ» بيرفع الكاف وروي بتصبها: وَذَلِكَ النَّهْيُ لِمَنْ قَالَ ذَلِكَ عُجْبًا بِنَفْسِهِ، وَتَصَاغُرًا لِلنَّاسِ، وَارْتِفَاعًا عَلَيْهِمْ، فَهَذَا هُوَ الْحَرَامُ، وَأَمَّا مَنْ قَالَهُ لِمَا يَرَى فِي النَّاسِ مِنْ نَفْصٍ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ، وَقَالَهُ تَحْزُنُنَا عَلَيْهِمْ وَعَلَى الدِّينِ، فَلَا يَأْسَ بِهِ. هَكَذَا فَسَرَهُ الْعُلَمَاءُ وَفَصَلُوهُ، وَمِمَّنْ قَالَهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ: مَالِكُ بْنُ أَنْسٍ، وَالْخَطَّابِيُّ، وَالْحُمَيدِيُّ وَآخْرُونَ، وَقَدْ أُوْصِحَتْهُ فِي كِتَابِ «الْأَذْكَارِ».

\* \* \*

### (البغى)

البغى: هو طلب الاستعلاء على الناس بغير حقٍّ. أو هو: مجرد طلب تجاوزٍ قدر الاستحقاق، سواء تجاوزه فعلًا أو لم يتجاوزه، فبمجرد الطلب صار باغيًا. ويُستعمل هذا في المتكبر؛ لأنَّه يتطلب منزلة ليس لها بأهلٍ.

وقال بعض العلماء: البغى هو الخروج عن طاعة ولي الأمر الحق.

أنواع البغي: والبغى على نوعين:

الأول: المحمود شرعاً: فإن طلب تجاوز الحق إلى أحسن منه محمود ولا شك.

فمن طلب في معاملاته تجاوز العدل بين الناس إلى الإحسان لهم؛ فهذا أمر محمود، ومن طلب زيادة العبادات فوق المفروضات بفعل التطوعات؛ فهذا أمر محمود أيضاً.

**الثاني: المذموم شرعاً:** وهو طلب تجاوز الحق إلى الباطل أو الشبهات: كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ، وَبَيْنُهُمَا أُمُورٌ مُشْتَهَاهُتْ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبَرَ إِلَيْهِ وَعَرَضَهُ». متفق عليه.

وقد فصل الله تعالى ذلك في قوله: ﴿إِنَّا أَسَيْلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ أَنَّاسَ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤٢] فجعل العقوبة للبغي المذموم وهو بغير الحق.

أما البغي الذي هو بمعنى الخروج على الإمام الصالح بلا علة مقبولة شرعاً بين أهل العلم فهو إحدى الكبائر. وأما البغي بمعنى تجاوز قدر الاستحقاق، أو طلب الاستعلاء بغير حق؛ فهو أيضاً من الكبائر الباطنة التي يجب على العبد معرفتها وإزالتها من نفسه، وهي أعظم جرماً وإثماً عند الله من المعاصي البدنية كالزنا والسرقة وشرب الخمر.

وقد جاء البغي في القرآن على خمسة أوجه:

**الأول:** بمعنى الطلب: ﴿وَيَسْعُونَ بِغَيْرِ مَا يَنْهَا﴾ [الأعراف: ٤٥]؛ أي يطلبون لها أعوا جاجاً.

**الثاني:** بمعنى المعصية: ﴿فَلَمَّا آتَجَنَّهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾ [يونس: ٢٣]؛ أي يعصون الله.

**الثالث:** بمعنى الظلم: ﴿قُلْ لِإِنَّا حَمَّ رَبِّ الْفَوْجَيْشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَإِلَيْهِمْ وَالْبَغْيَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وقال أيضاً: ﴿وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيَ﴾ [النحل: ٩٠] أي الظلم.

**الرابع:** بمعنى الحسد: ﴿بِعِنْدِنَّهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣].

**الخامس:** بمعنى الزنا: ﴿وَلَا تُكْرِهُوْا فَإِنَّكُمْ عَلَى الْإِغْلَاءِ﴾ [النور: ٣٣] أي: لا يكره أحدكم فتاته على تجاوز ما ليس لها أن تتجاوزه في طلب الفساد وتصير بغياناً؛ أي: فاجرة.

قال رسول الله ﷺ: «سُيُصِيبُ أَمْتَيْ دَاءُ الْأُمَمِ». فقالوا: يا رسول الله، وما داء الأمم؟ قال: «الأشْرُ» (أي: المرح والتجبر)، و«البُطْرُ» (أي: الطغيان في النعمة)، و«التكاثُرُ»، و«التَّاجُّشُ فِي الدُّنْيَا»

(أي: الخداع في المعاملات والبيوع)، **والتَّبَاعُضُ، وَالتَّحَاسُدُ، حَتَّى يَكُونَ الْبَغْيُ** (أي: الظلم والتعدى)». الحاكم في «مستدركه» (٤ / ١٨٥) برقم (٧٣١١)، وقال: حديث صحيح الإسناد، وواافقه الذهبي.

وقيل: يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ قال: «كُلُّ مَخْمُومُ الْقُلْبِ، صَدُوقُ اللِّسَانِ». قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مَخْمُومُ القلب؟ قال: «هُوَ التَّقِيُّ، النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدًا».

ابن ماجه برقم (٤٢١٦)، صحيحه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (٩٤٨).

وقال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يُدَخِّرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطْعِيَّةِ الرَّحْمِ».

أبو داود برقم (٤٩٠٢)، صحيحه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (٩١٨).

وقال أيضًا ﷺ: «وَإِنَّ مِنَ الْحُيَلَاءِ إِنَّمَا يُغْضُبُ اللَّهُ وَمِنْهَا مَا يُحِبُّ اللَّهُ: فَأَمَّا الْحُيَلَاءُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ فَأَخْتِيَالُ الرَّجُلِ نَفْسَهُ عِنْدَ الْقِتَالِ، وَأَخْتِيَالُهُ عِنْدَ الصَّدَقَةِ. وَأَمَّا الَّتِي يُغْضُبُ اللَّهُ فَأَخْتِيَالُهُ فِي الْبَغْيِ».

أبو داود برقم (٢٦٥٩).

وقال أيضًا ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَطْبَعَ اللَّهَ فِيهِ أَعْجَلَ ثَوَابًا مِنْ صِلَةِ الرَّحْمِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْجَلَ عِقَابًا مِنَ الْبَغْيِ وَقَطْعِيَّةِ الرَّحْمِ وَالْيَمِينِ الْفَاجِرَةِ تَدْعُ الدِّيَارَ بِلَاقِعَ».

[البيهقي في «ال السنن الكبرى» (١٠ / ٣٥) برقم (١٩٦٥٥)، صحيحه الألباني ( صحيح الجامع الصغير ) حديث (٥٣٩١)].

وكلمة **بِلَاقِع** جمع **بِلْقَع**، وهي الدار الخربة لا شيء فيها.

وقال ابن عباس : لَوْبَغَى جِبْلٌ عَلَى جِبْلٍ لَجَعَلَ اللَّهُ يَعْكِلُ الْبَاغِيَ مِنْهُمَا دَكًا.

ويقول محمد بن كعب القرظي : ثَلَاثٌ خَصَالٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ عَلَيْهِ: الْبَغْيُ، وَالنَّكْثُ، وَالْمَكْرُ. وَقَرْأَ: إِنَّمَا يَغْيِمُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ [يونس: ٢٢]، ووَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ [فاطر: ٤٣]، وفَمَنْ تَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ [الفتح: ١٠].

\* \* \*

## ٢٨٠- باب تحرير الهجران بين المسلمين

**فوق ثلاثة أيام إلا لبدعة في المهجور، أو تظاهر بفسق أو نحوذك**

قال الله تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ لِغَوَّةٍ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ [الحجرات: ١٠].

وقال تعالى: وَلَا نَعَاوِنُ عَلَى الْأَنْوَافِ وَالْمَدْوَنِ [المائدة: ٢].

(١٥٩١ / ٢٨٠) وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «لا تقاطعوا، ولا تداربوا، ولا تبغضوا، ولا تحسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لMuslim أن يهجر أخيه فوق ثلاث». متفق عليه.

(١٥٩٢ / ٢٨٠) وعن أبي أيوب رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلام قال: «لا يحل لMuslim أن يهجر أخيه فوق ثلاث ليالٍ: يلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدأُ بِالسَّلَامِ». متفق عليه.

(١٥٩٣ / ٢٨٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «تُعرضُ الأعمالُ في كلِّ إثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ، فَيغْفِرُ اللَّهُ لِكُلِّ امْرِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا امْرًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيَقُولُ: أَتُرْكُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا». رواه مسلم.

(١٥٩٤ / ٢٨٠) وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلوات الله عليه وسلام يقول: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ». رواه مسلم.  
«التَّحْرِيشُ»: الإِفْسَادُ وَتَغْيِيرُ قُلُوبِهِمْ وَتَقَاطُعُهُمْ.

(١٥٩٥ / ٢٨٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «لا يحل لMuslim أن يهجر أخيه فوق ثلاث، فمن هاجر فوق ثلاث فمات، دخل النار». رواه أبو داود بإسناد على شرط البخاري ومسلم.

(١٥٩٦ / ٢٨٠) وعن أبي خراش حَدَرَدْ بن أبي حَدْرَدِ الْأَسْلَمِيِّ. ويقال: السَّلَيْيَي الصَّحَابِيُّ رضي الله عنه: أنه سمع النبي صلوات الله عليه وسلام يقول: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٥٩٧ / ٢٨٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلام قال: «لا يحل لمؤمنٍ أن يهجر مؤمناً فوق ثلاث، فإنْ مَرَّتْ بِهِ ثالثٌ، فَلْيَلْقَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ رَدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَدِ اشْتَرَكَ فِي الْأَجْرِ، وَإِنْ لَمْ يُرْدَ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالْأَثْمِ، وَخَرَجَ الْمُسْلِمُ مِنَ الْهِجْرَةِ». رواه أبو داود بإسناد حسن.  
قال أبو داود: إذا كانت الهجرة لله تعالى فليس من هدا في شيء.



## (الهجر والهجران)

الهجر أو الهجران هو مفارقة الإنسان غيره، إما بالبدن كالقطيعة والخصام أو

باللسان كأن يقول فيه قوله شديداً أو باطلأً أو بالقلب، فالهجر هو الترک والقطيعة، وهو ضدُّ الوصل.

### أنواع الهجر:

**الأول: هجر الرجل زوجته ونساءه:** وهو جائز بشروطه، وذلك عند الشوز أو خوف قوع الشوز نفسه؛ لقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ شَوْزًا هُنَّ فَعَظُوهُنَّ بِأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ [النساء: ٣٤]. وغايتها عند العلماء شهر، وهو ألا يصاغرها، ويوليهما ظهره ولا يجامعها.

**الثاني: هجر الأقارب،** وهو نوع من قطيعة الرحم: وقطيعة ذوي الرحم من الكبار، حتى وإن لم تبلغ مدة ثلاثة أيام؛ لأن الهجر هنا أضيف إليه قطيعة الرحم وهي من الكبار.

**الثالث: هجر أهل البدع والأهواء:** وهو أمر مطلوب إذا تحقق أنهم من أهلها، فإذا ظهرت منهم التوبة والإنبابة ورغبة الرجوع إلى الحق وجب عدم هجرتهم والعودة للمواصلة معهم.

**الرابع: هجرة المسلمين بعضهم بعضًا وهو التهاجر:** وهو من الكبار شريطة أن يكون فوق ثلاثٍ، وليس لغرضٍ شرعاً؛ لأنه تقاطع وتدابر وإيذاء وفساد وتقطيع لأوصال الأمة.

**وقيل: إن الهجر فوق ثلاثة جائز في موضعين:**

**أحدهما:** أن يرى في هذا الهجر إصلاحاً للمهجور فوق ثلاثة أيام.

**الثاني:** أن يرى لنفسه سلامة في هذا الهجر لما يخاف على نفسه الفتنة بالاتصال بهذا المهجور إما لدعته أو لفسقه أو لفجوره.

والهجر يكون بالأبدان كما بين الأزواج أو باللسان كما كان بين النبي ﷺ وكفار قريش حينما عابوا في القرآن لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ قَوْمًا أَتَحْذَفُوا هَذَا الْقَرْءَانُ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] فقد قالوا فيه غير الحق وهجروه أيضاً بقلوبهم، فالهجرة

أيضاً بالقلب كما سبق؛ ولقوله تعالى أيضاً: ﴿وَاهْجُرُهُمْ هَجْرًا جِلًا﴾ [المزمول: ١٠] أي: بالبدن والقول والقلب.

واعلم أن الحق لا يتعارض؛ فالهجر حرام إلا بالشروط التي عينها الشارع الحكيم.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دِمَهُ». أحمد في مسنده (٤ / ٢٢٠) برقم

(١٧٩٦٤)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح. وحضر ابن مسعود رضي الله عنه من التهاجر فقال: ما اهتجر رجال في الإسلام إلا خرج أحدهما منه. وهذا محمول على الشروط التي أشرنا إليها.

قال ابن مُفلح : : يُسَنُّ هجر من جهر بالمعاصي الفعلية والقولية والاعتقادية.

وقال ابن تيمية : هجران أهل البدع والأهواء كافرهم وفاسقهم والمتظاهرين بالمعاصي وترك السلام عليهم فرض كفایة، ومكروه لسائر الناس، ولا يُسلّم أحدٌ على فاسقٍ مُعْلِنٍ لفسقه، ولا مبتدعٍ معلنٍ لبدعته داعياً لها. والهجر والتهاجر بلا سببٍ شرعيٍّ سببٌ في تفكك المجتمع وخرابه وضعفه، وتتأخر به مغفرة الله للمتهاجرين في غير حق.

\* \* \*

## ٢٨١- باب النهي عن تناجي اثنين دون الثالث بغير إذنه إلا لحاجة

وهو أن يتحدثا سراً بحيث لا يسمعهما وفي معناه ما إذا تحدثا بلسان لا يفهمه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْنَّجَوْعَى مِنَ الْشَّيْطَانِ﴾ [المجادلة: ١٠].

٢٨١ / ١٥٩٨) وعن ابن عمر : أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَّنَاجِي (أي: لا يتسارَان منفردٍ عنْه) اثْنَانٍ دُونَ الْثَالِثِ». متفق عليه.

ورواه أبو داود وزاد: قَالَ أَبُو صَالِحٍ: قلت لابن عمر: فَأَرْبَعَةً؟ قَالَ: لَا يَضُرُّكَ.

ورواه مالك في «الموطأ»: عن عبد الله بن دينار، قال: كُنْتُ أَنَا وابْنُ عُمَرَ عِنْدَ دَارِ خَالِدِ بْنِ عُقْبَةَ الَّتِي فِي السُّوقِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يُتَّنَاجِيَهُ، وَلَيْسَ مَعَ ابْنِ عُمَرَ أَحَدٌ غَيْرِي، فَدَعَاهُ ابْنُ عُمَرَ رَجُلًا آخَرَ حَتَّى كُوَّنَا أَرْبَعَةً، فَقَالَ لِي وللرجل الثالث الذي دعا: اسْتَأْخِرْ رَجُلًا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (لَا يَتَّنَاجِي اثْنَانٍ دُونَ وَاحِدٍ).

(٢٨١ / ١٥٩٩) وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَسْتَاجِعُ اثْنَانٌ دُونَ الْآخَرِ حَتَّى تَحْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ يَحْزُنُهُ». متفق عليه.

## ٢٨٢ - باب النهي عن تعذيب العبد

### والدابة والمرأة والولد بغير سبب شرعي أو زائد على قدر الأدب

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَمَا لَوْلَدِينَ إِلَّا حَسِنَتَا وَبَذِي الْقُرْبَى وَأَلْيَتَمَى وَالْمَسْكِكِينَ وَأَنْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَهَنَّمِ وَأَبْنَ الْسَّيِّلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا» ﴿٣٦﴾ [ النساء: ٣٦].

(٢٨٢ / ١٦٠٠) وعن ابن عمر رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَذَّبْتِ امْرَأً فِي هَرَّةٍ (أي: قِطَّة) سَجَنْتَهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا، إِذْ حَبَسْتَهَا، وَلَا هِيَ تَرَكْتَهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ». متفق عليه. «خششاش الأرض» بفتح الخاء المعجمة وبالشين المعجمة المكررة، وهي: هَوَامُهَا وَحَسَرَاتُهَا.

(٢٨٢ / ١٦٠١) وعنه: أَنَّهُ مَرَّ بِغَتِيَانٍ مِنْ قُرِيشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا وَهُمْ يَرْمُونَهُ (أي: جعلوه هدفًا للرمي بالنبال)، وَقَدْ جَعَلُوا الصَّاحِبَ الطَّيْرَ كُلَّ خَاطِئَةً مِنْ نَبِيِّهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ لَعَنِ اللَّهِ مَنْ فَعَلَ هَذَا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنْ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا. متفق عليه. «الغرض» بفتح الغين المعجمة والراء، وَهُوَ: الْهَدَفُ وَالشَّيْءُ الَّذِي يُرْمَى إِلَيْهِ.

(٢٨٢ / ١٦٠٢) وعن أنس رضي الله عنه: قال: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُصْبِرَ الْبَهَائِمُ. متفق عليه.

ومعناه: نُحَبِّسُ لِلْقَتْلِ.

(٢٨٢ / ١٦٠٣) وعن أبي عليٍّ سعيد بن مقرن رضي الله عنه: قال: لقد رأيتني سابع سبعة من بنى مقرن ما لنا خادمٌ إِلَّا واحدة لَطَمَهَا أَصْغَرُنَا فَأَمْرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُعْتِقَهَا. رواه مسلم.

وَفِي روَايَةٍ: سابع إِخْوَةٍ لِي.

(٢٨٢ / ١٦٠٤) وعن أبي مسعود البُرْدِي رضي الله عنه: قال: كُنْتُ أَصْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسُّوطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي: «أَعْلَمُ أَبَا مَسْعُودٍ». فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتَ مِنَ الغَضَبِ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: «أَعْلَمُ أَبَا مَسْعُودٍ، أَعْلَمُ أَبَا مَسْعُودٍ». قال: فَأَلْقَيْتُ السُّوطَ

من يدي، فَقَالَ: «إِعْلَمُ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرَ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغَلَامِ». فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبْدًا.

وفي رواية: فَسَقَطَ مِنْ يَدِي السُّوْطُ مِنْ هَيْبَتِهِ.

وفي رواية: فَقُلْتُ: يا رسول الله، هُوَ حُرٌ لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ: «إِنَّمَا لَوْلَمْ تَفْعَلْ، لِلَّفَحْتَكَ النَّارَ، أَوْ لَمَسَتْكَ النَّارَ». رواه مسلم بهذه الروايات.

(٢٨٢ / ١٦٠٥) وعن ابن عمر : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ ضَرَبَ غُلَامًا لَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ، أَوْ لَطَمَهُ، فَإِنَّ كَفَارَتَهُ أَنْ يُعْتَقَهُ». رواه مسلم.

(٢٨٢ / ١٦٠٦) وعن هشام بن حكيم بن حزام : أَنَّهُ مَرَّ بِالشَّامَ عَلَى أُنَاسٍ مِنَ الْأَنْبَاطِ، وَقَدْ أَقِيمُوا فِي الشَّمْسِ، وَصَبَّ عَلَى رُءُوسِهِمُ الزَّيْتُ! فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قِيلَ: يُعَذَّبُونَ فِي الْخَرَاجِ - وفي رواية: حُبِّسُوا فِي الْجِزَرِيَّةِ - فَقَالَ هشام: أَشْهُدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذَّبُونَ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا». فَدَخَلَ عَلَى الْأَمِيرِ، فَحَدَّثَهُ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَخُلُوا. رواه مسلم. الأَبَاطِ: الفلاحون من العجم.

(٢٨٢ / ١٦٠٧) وعن ابن عباس : رأى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِمَارًا مَوْسُومًا الْوَجْهِ (أي: مُعَلَّمًا بِعِلَمٍ فِي الْوَجْهِ)، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَا أَسْمُمُ إِلَّا أَقْصَى شَيْءٍ مِنَ الْوَجْهِ». وأَمَرَ بِحِمَارِهِ فَكُوِيَّ فِي جَاعِرَتِيهِ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ كَوَى الْجَاعِرَتَيْنِ. رواه مسلم.

الجاعرتان: نَاحِيَةُ الْوَرِكَيْنِ حَوْلَ الدُّبُرِ.

(٢٨٢ / ١٦٠٨) وعنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارًا قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: «لَعْنَ اللَّهِ الَّذِي وَسَمَهُ». رواه مسلم.

وفي رواية لمسلم أيضًا: نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه، وعن الوسم في الوجه.

## ٢٨٣ - باب تحرير التعذيب بالنار في كل حيوان حتى النملة ونحوها

(٢٨٣ / ١٦٠٩) عن أبي هريرة : قال: بعثنا رسول الله ﷺ في بعثٍ، فَقَالَ: «إِنَّ وَجْدُنُمْ فَلَانًا وَفُلَانًا» لِرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ سَمَّاهُمَا، «فَأَخْرُقُوهُمَا بِالنَّارِ». ثم قال رسول الله ﷺ حينَ

أرذنا الخروج: «إِنِّي كُنْتُ أَمْرُكُمْ أَنْ تُحْرِّكُوا فُلَانًا وَفُلَانًا، وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذِّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فاقْتُلُوهُمَا». رواه البخاري.

(٢٨٣ / ١٦١٠) وعن ابن مسعود رض قَالَ: كَمَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَرَةً مَعَهَا فَرْخَانٍ، فَأَخْذَنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَرَةُ فَجَعَلَتْ تَعْرُشًأی: ترف ف بأجنبتها فَجَاءَ النَّبِيُّ صلی اللہ علیہ وسلم فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا». وَرَأَى قَرْيَةً نَمْلَ قَدْ حَرَّ فَنَاهَا، فَقَالَ: «مَنْ حَرَّ هَذِهِ؟» قُلْنَا: نَحْنُ. قَالَ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ». رواه أبو داود بأسناد صحيح. قوله: «قرية نمل» معناه: مَوْضِعُ النَّمْلِ مَعَ النَّمْلِ أی: النمل على ضربين: أحدهما: مؤذ ضار فدفع عاديته جائز، والضرب الآخر: لا ضرر فيه وهو الطوال الأرجل لا يجوز قتلها.

## ٢٨٤ - باب تحرير مطل الفني بحق طلبه صاحبه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمْنَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بِعَصْكُمْ بَعْضًا فَلَيُؤْذَنَ الَّذِي أَقْتَلَنَ أَمْتَنَتَهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

(٢٨٤ / ١٦١١) وعن أبي هريرة رض: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم قَالَ: «مَطْلُأی: المراد هنا تأخير ما استحق أَدَوْهُ بِغَيْرِ عَذْرٍ) الغَنِيُّ ظُلْمٌ، وَإِذَا أَتَيْتَ أَحَدَكُمْ عَلَى مَلِيِّأی: غني فَلْيَسْبِعُ». متفق عليه. معنى أتبع: أحيى.

## ٢٨٥ - باب كراهة عود الإنسان في هبة لم يسلمها إلى الموهوب له

وفي هبة وهبها لولده وسلمها أو لم يسلمها، وكراهة شرائه شيئاً تصدق به

من الذي تصدق عليه أو أخرجه عن زكاة أو كفارة ونحوها

ولا بأس بشرائه من شخص آخر قد انتقل إليه

(٢٨٥ / ١٦١٢) وعن ابن عباس رض: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم قَالَ: «الَّذِي يَعُودُ فِي هِبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَرْجُعُ فِي قَيْئِهِ». متفق عليه.

وفي رواية: «مَثَلُ الَّذِي يَرْجُعُ فِي صَدَقَتِهِ، كَمَثَلِ الْكَلْبِ يَقِيُّ، ثُمَّ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ قَيَّكُلُهُ».

وفي رواية: «العائِدُ فِي هِبَتِهِ كَالعائِدِ فِي قَيْئِهِ».

(٢٨٥ / ١٦١٣) وعن عمر بن الخطاب رض قَالَ: حَمَلْتُ عَلَى فَرْسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَضَاعَهُ الَّذِي

كَانَ عِنْدَهُ، فَأَرْدُتُ أَنْ أُشْتَرِيهُ، وَظَنَّتُ أَنَّهُ يَبْيَعُهُ بِرُّخْصٍ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «لَا تَشْتَرِهِ وَلَا تَعْدُ فِي صَدَقَتِكَ وَإِنْ أَعْطَاكَهُ بِدْرُهُمٌ؛ فَإِنَّ الْعَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ كَالْعَائِدِ فِي قَيْئِهِ». متفق عليه. قوله: **(حَمَلْتُ عَلَى فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)** معناه: تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَى بَعْضِ الْمُجَاهِدِينَ.

## ٢٨٦- باب تأكيد تحريم مال اليتيم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **(فَوَمَنِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا** ﴿١٠﴾ [السَّاسَة: ١٠].

وقال تعالى: **(وَلَا تَنْقِرُوا مَالَ الْيَتَمِّ إِلَّا بِالْيَتِيمِ أَحْسَنُ)** [الأعماں: ١٥٢].

وقال تعالى: **(وَيَسْتَلُوكُنَّ عَنِ الْيَتَمَى قُلْ إِصْلَاحْ لَهُمْ خَيْرٌ وَلَنْ تَحْاَلُطُوهُمْ فَإِنْ هُوَ إِلَّا اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُغْسَدَ مِنَ الْمُصْلِحِ)** [البقرة: ٢٢٠].

**(٢٨٦ / ١٦١٤)** وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه قال: «اجتنبوا السبع الموبقات!» قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلّا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقدف المحسنات المؤمنات الغافلات». متفق عليه. **(الموبقات: المهملات).**

## ٢٨٧- باب تغليظ تحريم الربا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الْرِبَا لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا كَمَا يَقُولُونَ إِلَّا كَمَا يَتَجَبَّلُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةً مِنْ رَبِّهِ فَأَنْهَى فَلَمَّا مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا حَلَمُدوْنَ** ٢٧٥ **(يَمْحَقُ اللَّهُ الْرِبَا وَيُرِيبُ الْصَّدَقَاتِ)** ٢٧٥ [إلى قوله تعالى: **(يَتَأْيَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقْوَ اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَيْنَ أَرْبَوْنَ)** [البقرة: ٢٧٥ - ٢٧٨].

وأما الأحاديث فكثيرة في الصحيح مشهورة، منها حديث أبي هريرة السابق في الباب قبله.

**(٢٨٧ / ١٦١٥)** وعن ابن مسعود رضي الله عنه: قال: **لَعَنَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ آكِلُ الْرِبَا وَمُوْكِلُهُ.** رواه مسلم.

زاد الترمذى وغيره: **وَشَاهِدَيْهِ وَكَاتِبَهُ.**

## ٢٨٨- باب تحرير الرياء

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا أَللّٰهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ حُنْفَاءٌ﴾ [آل عمران: ٥].

وقال تعالى: ﴿لَا يُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمِنَ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾

[البقرة: ٢٦٤].

وقال تعالى: ﴿يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذَكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [آل النساء: ١٤٢].

(١٦١٦) / ٢٨٨) وعن أبي هريرة رض قال: سمعت رسول الله صل يقول: «قال الله تعالى: أنا أغنى بالشريكِ عن الشريكِ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركته». رواه مسلم.

(١٦١٧) / ٢٨٨) عنه قال: سمعت رسول الله صل يقول: «إن أول الناس يقضى يوم القيمة على رجل استشهد، فأتي به، فعرفه نعمته، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: حريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمته فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمه، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال: عالم! وقرأت القرآن ليقال: هو قاريء؛ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أقي في النار. ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال، فأتي به فعرفه نعمته، فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: جواداً فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم أقي في النار». رواه مسلم.

«جريء» بفتح الجيم وكسر الراء وبالمد، أي: شجاع حاذق.

(١٦١٨) / ٢٨٨) وعن ابن عمر رض : أن ناساً قالوا له: إننا ندخل على سلطينا فنقول لهم بخلاف ما تتكلم إذا خرجنا من عندهم؟ قال ابن عمر رض : كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله صل. رواه البخاري.

(١٦١٩) / ٢٨٨) وعن جنديب بن عبد الله بن سفيان رض قال: قال النبي صل: «من سمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به». متفق عليه ورواه مسلم أيضاً من رواية ابن عباس رض.

«سمع» بتشديد الميم، ومعناه: أظهر عمله للناس رباء. «سمع الله به» أي: فضحة يوم القيمة. ومعنى: «من راءى»

أي: مَنْ أَطْهَرَ لِلنَّاسِ الْعَمَلَ الصَّالِحَ لِيُعَظَّمَ عِنْدَهُمْ. «رَاءِي اللَّهِ بِهِ» أي: أَطْهَرَ سَرِيرَتَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَقِ.

(٢٨٨ / ١٦٢٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُتَغَيِّرُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

يعني: ريحها. رواه أبو داود بإسناد صحيح. والأحاديث في الباب كثيرة مشهورة.

## ٢٨٩ - باب ما يتوهם أنه رباء وليس هو رباء

(٢٨٩ / ١٦٢١) وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله صلوات الله عليه وسلم: أرأيت الرَّجُلَ الَّذِي يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «إِنَّكَ عَاجِلٌ بُشِّرَى الْمُؤْمِنِينَ». رواه مسلم.

\* \* \*

### (الرباء)

الرباء أصله طلب الجاه والمترفة في قلوب الناس، بالظهور أمامهم بخصال الخير، من عباداتٍ وطاعاتٍ وأعمالٍ أخرى، وهو حرام، وصاحبُه عند الله ممقوت، وقد شهدت بذلك الآيات والأخبار والآثار، أما الآيات فقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّيَنَ ۖ ۚ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۖ ۚ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۖ ۚ﴾ [الماعون: ٦-٤].

قال رجل للنبي صلوات الله عليه وسلم: إني أقف الموقف أبتغي وجه الله (أي: أطلب الآخرة بعبادتي وأعمالي) وأحب أن يرى موطنِي؟ فلم يرد عليه النبي صلوات الله عليه وسلم حتى نزلت هذه الآية: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَلْقَأَ رَبِّهِ ۖ ۚ﴾ [الكهف: ١١٠]. الحاكم في المستدرك (٢ / ١٢٢) برقم (٢٥٢٧).

وقال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأَتَيَ اللَّهَ بِهِ، فَعَرَفَهُ نِعْمَةٌ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدَتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أَمْرَبِهِ فَسُجِّبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ». الحديث مسلم برقم (١٩٠٥).

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه مرفوعاً: «مَنْ صَلَّى يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ صَامَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ...». الحديث أحمد في مسنده (٤ / ١٢٥) برقم (١٧١٨٠).

ويروى أن عمر بن الخطاب صلوات الله عليه وسلم رأى رجلاً يطأطئ رقبته، فقال: يا صاحب الرقبة،

ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقب، إنما الخشوع في القلوب.  
ورأى أبو أمامة الباهلي رجلاً في المسجد يبكي في سجوده، فقال: أنت، أنت، لو كان هذا في بيتك.

وقال عليٌ عليه السلام: للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص إذا ذُمَّ.

وسائل رجلٍ سعيد بن المسيبٍ فقال: إن أحدنا يصطمع المعروفة يحب أن يُحمد ويُؤجر؟ فقال له: أتحب أن تُمقت؟ قال: لا. قال: فإذا عملت الله عملاً فأخلصه.

وضرب عمر رجلاً بالدرة (أي: السوط) ثم قال له: اقتض مني. فقال: لا بل أدعها لله ولوك. فقال له عمر: ما صنعت شيئاً، إما أن تدعها لي فأعرف ذلك، أو تدعها لله وحده. فقال: ودعتها لله وحده. فقال: فنعم إذن.

وقال الفضيل بن عياض : كانوا يراءون بما يعملون، وصاروا اليوم يراءون بما لا يعملون.  
وقال عكرمة : إن الله يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله؛ لأن النية لا رباء فيها.

وقال قتادة : إذا رأى العبد يقول الله تعالى: انظروا إلى عبدي يستهزئ بي!

وقال عليه السلام: (مَنْ سَمِعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَأِي يُرَأِي اللَّهُ بِهِ). متفق عليه.

قال الخطابي في شرحه لهذا الحديث: مَنْ عمل عملاً على غير إخلاص، وإنما يزيد أن يراه الناس ويسمعوه، جُوزي (أي: كوفي) على ذلك بأن يُشهره الله ويفضحه ويُظهر ما كان يُطنه.

ويقال: إن المُرمي يُنادى يوم القيمة بأربعة أسماء: يا مرائي، يا غادر، يا خاسر، يا فاجر، اذهب فخذ أجراً من عملت له، فلا أجر لك عندنا.

وقيل: أقرب الناس إلى الرياء آمنهم منه.

وقال يوسف بن الحسين: أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجهد في إسقاط الرياء عن قلبي فكانه ينبت على لون آخر.

وقال سهيل التستري: لا يعرف الرياء إلا مخلص، ولا النفاق إلا مؤمن، ولا الجهل إلا عالم، ولا المعصية إلا مطيع.

**بيان حقيقة الرياء وما يرائي به**: الرياء مشتق من الرؤية، أما السمعة فمشتقة من السمع، وبينهما فرق؛ قال التهانوي: الفرق بين الرياء والسمعة أن الرياء يكون في الأفعال، والسمعة تكون في الكلام والأقوال.

وقال ابن عبد السلام : الرياء أن يعمل لغير الله، والسمعة أن يُخفي عمله حين يقوم به ثم يُخبر ويُحدث به الناس بعد ذلك.

أما الفرق بين النفاق والرياء فيتمثل في أن الأصل في الرياء الإظهار، والأصل في النفاق الإخفاء، فالمرأى يُظهر نيتِه الحقيقية في طلب المنزلة عند الناس، وأما المنافق فإنه يُخفي على الناس ما بداخله ويُظهر خلافه.

وأما الرياء والنفاق الأصغر فقد يتلاقيان، كما قال الله تعالى في شأن المنافقين: **﴿يرأئونَ النَّاسَ﴾** [ النساء: ١٤٢]، أي: بإظهار مجرد الطاعة، ولكنهما يختلفان: فالمنافقون إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالٍ ولا يذكرون الله إلا قليلاً، وأما المُرأئون فيُظْهِرُون النشاط في العبادة والذكر لينالوا المكانة عند الناس.

**الفرق بين الرياء (الشرك الأصغر) والشرك الأكبر**: إن المرأى يكون رياوه سبياً باعثاً وداععاً له على العمل، وهو تارة يقصد بعمله تعظيم الله تعالى، وتارة أخرى لا يقصد ذلك، فلا يكون هذا ولا ذاك مُكفراً له، وأما الشرك الأكبر فلا يحدث إلا إذا قصد تعظيم غير الله تعالى. فالمرأى قد حدث له ذلك النوع من الشرك، بتعظيمه قدر المخلوق عنده حتى حمله ذلك على الركوع والسجود طلباً للمكانة والشرف عنده، وهذا من جهله، فالرياء إذن هو ترك الإخلاص في العمل بمراعاة غير الله فيه.

**أقسام الرياء**: وما تتم به المرأة كثیر، ويجمعه خمسة أقسام، هي مجموع ما يتزین به العبد للناس، فقد يرائي أهل الدنيا بهذه الأسباب الخمسة إلا لأن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمالٍ ليست من جملة الطاعات أهونٌ عند الله من الرياء بالطاعات.

**القسم الأول: الرياء في الدين بالبدن:** حيث يقصد بعضهم إظهار النحول والصفات ليُوهم بذلك شدة الاجتهاد والعبادة، وعظم الحزن على أمر الدين، وغلبة خوف الآخرة، وسهر الليل وكثرة الاجتهاد، وقد يجتهد كي يبدو نحيلًا أشعث الشعر غير مرتب؛ ليُوهم الناس عدم الاهتمام به والتفرغ للدين.

ومثل ذلك أيضًا حَفْض الصوت عند الكلام وذبول الشفتين ليستدل بذلك على أنه مواطن على الصوم، وأن وقار الشرع هو الذي حفظ من صوته أو أن الجوع هو الذي أضعف من قوته. أما أهل الدنيا فيراءون بإظهار النضارة والسمان وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوه الأعضاء وتناسبها إظهاراً لغناهم.

**القسم الثاني: الرياء بال الهيئة والزي:** ويقصد به الرياء بتشييع شعر الرأس، وإطراق الرأس في المشي، والهدوء في الحركة، وإبقاء أثر السجود على الوجه، وتقصير الثياب المبالغ فيه، وترك تنظيف الثوب وتركه مُحرقاً أو غير منظم.

كل ذلك يرائي به المرء ليُظهر مِن نفسه أنه مُتَّبع للسنة ومقتدي فيها بعباد الله الصالحين، وكتعمد ارتداء لباس شبيه بلباس أهل العلم وصاحبـه خالـ من العلم، حتى يظن العامة أنه من أهل العلم، ليطلب المترفة عند أهل الدين والصلاح بإظهار الزهد. وأما مرأة أهل الدنيا الأغنياء والتجار فيلبسون ثياباً غالـية، ويركبون سيارات باهظة الثمن، ويتوسعون ويتجملون في ملابسـهم وفي بيوتهم وقصورـهم.

**القسم الثالث: الرياء بالقول:** ورياء أهل الدين في هذا يكون بالتكلف في الوعظ والتذكير، واستعمال كلام الحكماء، وحفظ الأخبار والأثار؛ لاستعمالـه في المحـاورـة، وإظهـارـ غزارـةـ العلمـ وشـدةـ العـناـيةـ بأحوالـ السـلفـ الصـالـحـينـ، وتحـريكـ الشـفـتـينـ بالـذـكـرـ فيـ محـضـ حـضـرـ الناسـ، والأـمـرـ بـالـمـعـرـوفـ وـالـنـهـيـ عـنـ الـمـنـكـرـ أـمـامـ الـخـلـقـ، وإـلـإـظـهـارـ الغـضـبـ لـلـمـنـكـرـاتـ وـالـأـسـفـ عـلـىـ مـقـارـفـ النـاسـ الـمـعـاصـيـ.

وتضعيـفـ الصـوتـ فيـ الـكـلـامـ وـتـرـقـيـفـ الصـوتـ بـقـرـاءـةـ الـقـرـآنـ ليـدـلـ بـذـلـكـ عـلـىـ الـخـوفـ والـحزـنـ، وـادـعـاءـ لـقـاءـ الـعـلـمـاءـ أوـ اـنـقـادـ مـنـ يـرـوـيـ الـحـدـيـثـ بـبـيـانـ خـلـلـ فـيـ لـفـظـهـ لـيـعـرـفـ أـنـهـ

بصيّر بالآحاديث الصحيحة أو غير الصحيحة، لإظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد إفحام الخصم لِيُظْهِر للناس قوته في علوم الدين.

وأما أهل الدنيا فبعضهم يُرائي بالقول بحفظ الأشعار والأمثال والتفاصل في العبارات وحفظ الغريب للإغراب على أهل الفضل، وبعضهم بالتشدُّق باللغات الأجنبية لإظهار التوడد إلى الناس لاستمالة القلوب.

**القسم الرابع: الرياء بالعمل:** كمراءة المصلي بتعمد إطالة القيام والركوع والسجود، وإطراق الرأس، وترك الالتفات، وإظهار الهدوء والسكون، وتسوية القدمين واليدين، وكذلك بكثرة الصوم التطوعي، والحرص دائمًا على الحج، وتعمد إظهار الصدقه، وإطعام الطعام، والوقار في المشي عند اللقاء، كإرخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار في الكلام. ومع أن المرأى قد يُسرع في المشي إلى حاجته إذا كان منفرداً وبعيداً عن أعين الناس، فإنه إذا اطلع عليه أحدُ من أهل الدين رجع إلى الوقار وإطراق الرأس خوفاً من أن ينسبه إلى العجلة وقلة الوقار، فإن غاب الرجل عاد إلى عجلته، فإذا رأاه عاد إلى خشوعه.

ومنهم من إذا سمع هذا استحيا من أن تُخالف مشيته في الخلوة مشيته بمرأى من الناس، فيعود نفسه المنشية الحسنة في الخلوة، حتى إذا رأاه الناس لم يفتقر إلى التغيير ويظن أنه يتخلص بذلك من الرياء وقد تضاعف للأسف به رياوه، فإنه صار في خلوته أيضاً مرأياً، فإنه إنما يُحسّن مشيته في الخلوة ليكون كذلك في الملا لا لخوفي من الله وحياته منه. وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالتبيخت والاختيال والزهو وتحريك اليدين وتقريب الخطى والأخذ بأطراف الذيل ليذلوا بذلك على الجاه والحسنة.

**القسم الخامس: المراءة بالأصحاب والزلفيين والمغالطين:** وذلك بأن يحرص على أن يزوره العلماء ليقال بين الناس: إن بيته للعلماء، وإن أهل الدين يتبرّكون بزيارته ويتقددون إليه. أو يحرص على ملقاء أكبر عدد من العلماء والصالحين بهذه النيّة حتى يظن الناس أنهم أصحابه فيحتملونه على ذلك. وكالذى يُكثّر ذكر الشيوخ ليرى أنه لقي شيوخاً كثيرة واستفاد منهم فُيّاهي بشيوخه، وعند مخاصمته، فيقول لغيره: من لقيت من الشيوخ فأنا قد لقيت فلاناً وفلاناً، ودررت البلاد وخدمت الشيوخ، متباهاً ومرأياً.

ومنهم مَن يحرص علىِ أن يزوره ملُوكُ من الملوكِ أو عاملُ من عمالِ السلطان ليقال: إنَّهُم يترَكُون به لعِظَمِ رتبته في الدين. ومن أنواعِ المرائين مَن يرضي بجميلِ رأيِ الناس فيه، ويُعترِّلُهم للتعبدِ، ولو ظهر له أنَّهم لا يعتقدون فيه صلاحًا غَضِيبًا واصطربت عبادته، وقد يكون زاهدًا في أموالِهم، ولكنه طامعٌ ومتطلعٌ إلىِ حبِ المكانة في قلوبِهم.

ومن المرائين من لا يقنع فقط بعلوِ منزلته عند الناس، بل يلتمس من ذلك إطلاق الألسنة بالثناء والحمد له، وقد يرحب في انتشار صيته وسمعته في البلاد حتى يأتيه الناس من كل مكان. ومنهم مَن يريد الاشتهرَ عند أصحابِ النفوذ والسلطة لتنبَّل شفاعته وتنجَّزُ الحاجات علىِ يده فيقوم له بذلك جاهٌ ومكانة عند العامة.

ومنهم من يقصد التوصلَ بذلك إلىِ جمعِ حُطَامٍ وكسبِ مالٍ ولو من الأوقافِ وأموالِ اليتامي وغير ذلك من الحرام، وهو لاءٌ شرُّ طبقاتِ المرائين.

### **حكم الرياء: هل عموم الرياء حرام أم مكره أم مباح؟**

إنَّ الرياء هو طلبُ الجاه، وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات، فإنْ كان بغير العبادات فهو كطلبِ المال فلا يحرُم من حيث إنه طلبٌ منزلةٌ في قلوبِ العباد.

فكسُبُ المال الذي يحتاج إليه الإنسان أمرٌ محمودٌ، وكسبُ قليلٍ من الجاه، والذي يسُلِّمُ به من الأذى ويدفع به الأزمات والآفات أيضًا أمرٌ محمودٌ، وهو كالذي طلبه يوسفُ السَّابِقُ حيث قال: ﴿إِنَّ حَفِيظَ عَلِيِّمٍ﴾ [يوسف: ٥٥].

وكما أنَّ كثيرَ المال يُلهي ويُطغى وينسي ذِكرَ الله والدار الآخرة، فكذلك كثيرُ الجاه، بل هو أشدُّ، وفتنةُ الجاه أعظمُ من فتنَةِ المال. وكما أنَّ تملُّكَ المال الكثير ليس بحرام، فإنَّ تملُّكَ القلوب الكثيرة ليس بحرام أيضًا، إلا إذا حملته كثرةُ الجاه علىِ فعلِ ما لا يجوز فعله للانتفاع منهم بشيءٍ حرام.

وأما سَعَةُ الجاه من غير حرصٍ منك علىِ طلبه، ومن غير اهتمام بزواله، فلا ضرر فيه، فلا جاه أَوْسَعُ من جاهٍ ومكانة رسول الله ﷺ وجاه الخلفاء الراشدين وَمَن بعدهم من علماء الدين، ولكن اشغال النفس بطلبِ الجاه نقصانٌ في الدين، ولا يوصف بالتحريم.

فتحسين الثوب الذي يلبسه الإنسان عند الخروج إلى الناس مراءة، وهو ليس بحرام؛ لأنّه ليس رباء بالعبادة، بل بالدنيا، وقُسّ على هذا كُلّ من تجمّل للناس وتزيّن لهم. والدليل عليه ما روی عن عائشة - ولم يصح سنته -: أنّ رسول الله ﷺ أراد أن يخرج يوماً إلى الصحابة، فكان ينظر في جبّ (أي: بئر) الماء ويُسوي عمانته وشعره، فقالت: أَوْ تفعل ذلك يا رسول الله؟ قال: «نَعَمْ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ مِنَ الْعَبْدِ أَنْ يَتَزَيَّنَ لِإِخْرَاجِ إِلَيْهِمْ» ذكره العراقي في المغني عن حمل الأسفار، وعزاه لابن عدي في الكامل.

وكان رسول الله ﷺ مأموراً بدعاوة الخلق وترغيبهم في الاتّباع واستعماله قلوبهم، ولو سقط من أعينهم لم يرغبو في اتباعه، فكان يجب عليه أن يُظہر لهم محسانَ أحواله لثلا تزدرية أعينهم؛ فإنّ أعينَ عوامَ الخلق تمتدُّ إلى الظواهر دون السرائر، فكان ذلك قصد رسول الله ﷺ. وأما لو قصد قاصد أن يُحسن نفسه في أعينهم حتى يستجلب مذمّهم واحترامهم، ويَحْذِرَ ذمّهم ولو مهما كان أمراً مباحاً؛ إذ للإنسان أن يحتزز من ألم المذمّة ويطلب راحة الأنس بالإخوان، ومهما استقلوا واستقدروه لم يأنس بهم.

وفي الحديث: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثُوبُهُ حَسَنَةً، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً؟ فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْحَمَالَ؛ الْكِبِيرُ: بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ». مسلم برقم (٩١).

فالمراءة إذن بما ليس من العبادات قد تكون مباحةً، وقد تكون طاعة، وقد تكون مذمومة، وذلك بحسب الغرض المطلوب منها. فإذا أنفق الرجل ماله على جماعة من الأغنياء، لا في معرض العبادة أو الصدقة، ولكن ليعتقد الناس أنه سخيٌّ، فهذا مُراءٌ وإن كانت مراءاته ليست بحرام.

أما المرأة بالعبادات، كالصدقة والصلوة والصيام والحج فللمرأة فيها حالتان: إحداهما: أن يقصد الرياء الممحض، وهذا يُبطل عبادته؛ لأن الأعمال بالنيات، بل يصير بذلك آثماً عاصيًّا. وهنا أمران:

الأمر الأول يتعلّق بالعباد: فقد يخدع الناس فيظهر لهم أنه مخلص مطيع لله وأنه من أهل الدين وليس كذلك، والتلبّيس عليهم في أمر الدنيا حرام أيضاً، حتى لو قام بقضاء دين

لأحد الناس وأظهر إليهم أنه متبرع عليه ليعتقدوا سخاوتـه أثـمـ به؛ لما فيه من التلبـيس وتمـلك القـلـوب بالخداع والمـكرـ.

والأمر الثاني يتعلـق بالله: لأنـه صـار مـسـتهـنـاـ بـجـزـاء الله لـه يوم الـقيـامـة، فـهـو مـسـتـهـزـئ بالـلهـ يـقـصـد المـخلـوقـين دونـهـ وَجْهُهُ.

قال قـاتـادة: إـذـارـاءـ العـبـدـ قال اللهـ لـمـلـائـكـتـهـ: انـظـرـوا إـلـيـهـ كـيفـ يـسـتـهـزـئـ بيـ.

فـأـيـ استـحـقـارـ يـزـيدـ عـلـىـ أنـ يـقـصـدـ العـبـدـ بـطـاعـةـ اللهـ تـعـالـىـ مـرـاءـةـ عـبـدـ ضـعـيفـ لـاـ يـمـلـكـ لـهـ ضـرـراـ وـلـاـ نـفـعاـ؟ـ وـهـلـ ذـلـكـ إـلـاـ لـأـنـ يـظـنـ أـنـ ذـلـكـ العـبـدـ أـقـدـرـ عـلـىـ تـحـصـيلـ أـغـرـاضـهـ مـنـ اللهـ، وـأـنـهـ أـوـلـىـ بـالـتـقـرـبـ إـلـيـهـ مـنـ اللهـ؛ إـذـ آثـرـهـ عـلـىـ مـلـكـ الـمـلـوـكـ، فـجـعـلـهـ مـقـصـودـ عـبـادـتـهـ.

وـأـيـ استـهـزـاءـ يـزـيدـ عـلـىـ رـفـعـ العـبـدـ فـوـقـ الـمـوـلـىـ؟ـ فـهـذـاـ مـنـ كـبـائـرـ الـمـهـلـكـاتـ؛ـ وـلـهـذـاـ سـمـاهـ رـسـولـ اللهـ وَكَلِيلُهُ **الـشـرـكـ الـأـصـغـرـ**ـ فـيـ الـحـدـيـثـ [أـحـمـدـ فـيـ مـسـنـدـهـ (٤٢٨)ـ بـرـقـمـ (٢٣٦٨٠)]ـ،ـ لـأـنـ الـمـرـأـيـ عـظـمـ فـيـ قـلـبـ النـاسـ فـاقـتـضـتـ تـلـكـ الـعـظـمـةـ أـنـ يـسـجـدـ وـيـرـكـعـ،ـ فـكـانـ النـاسـ هـمـ الـمـعـظـمـونـ بـالـسـجـودـ،ـ وـكـانـ ذـلـكـ قـرـيبـاـ مـنـ الـشـرـكـ.ـ فـلـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ نـشـكـ فـيـ أـنـ الـمـرـأـيـ بـطـاعـةـ اللهـ فـيـ سـخـطـ اللهـ إـذـ لـمـ يـقـصـدـ الـأـجـرـ وـالـثـوـابـ مـنـ اللهـ.

والـثـانـيـةـ:ـ أـنـ يـقـصـدـ الـأـجـرـ وـالـثـوـابـ مـنـ اللهـ وـالـحـمـدـ وـالـشـاءـ مـنـ النـاسـ جـمـيـعـاـ،ـ أـيـ مـرـاءـةـ الـخـلـقـ فـيـ صـدـقـتـهـ أـوـ صـلـاتـهـ فـهـذـاـ هـوـ الـشـرـكـ الـذـيـ يـنـاقـضـ الـإـخـلـاصـ؛ـ قـالـ رـسـولـ اللهـ وَكَلِيلُهُ: **«يـقـوـلـ اللهـ تـعـالـىـ: مـنـ عـمـلـ لـيـ عـمـلاـ فـأـشـرـكـ فـيـهـ غـيـرـيـ فـأـنـاـ مـنـهـ بـرـيءـ وـهـوـ لـلـذـيـ أـشـرـكـ»**.ـ أـحـمـدـ فـيـ مـسـنـدـهـ (٣٠١)ـ بـرـقـمـ (٧٩٨٧)،ـ قـالـ الـأـرـنـوـطـ:ـ إـسـنـادـ صـحـيـحـ عـلـىـ شـرـطـ مـسـلـمـ.

### الـإـسـرـارـ وـالـإـظـهـارـ فـيـ الطـاعـاتـ وـالـعـاصـيـ:

**أـوـلـاـ: فـيـ الطـاعـاتـ:**ـ قـدـ يـكـونـ لـلـإـسـرـارـ أـوـ إـخـفـاءـ الـأـعـمـالـ فـائـدـةـ،ـ وـهـوـ سـهـولةـ الـإـخـلـاصـ وـالـنـجـاةـ مـنـ الـرـيـاءـ،ـ وـإـنـ كـانـ فـيـ الـإـظـهـارـ فـائـدـةـ الـاـقـتـداءـ بـهـ وـتـرـغـيـبـ النـاسـ فـيـ فـعـلـ الـخـيـراتـ،ـ مـعـ أـنـهـ يـنـطـوـيـ عـلـىـ آفـةـ الـرـيـاءـ الـتـيـ تـصـيـبـ صـاحـبـهـ؛ـ قـالـ اللهـ تـعـالـىـ: **﴿إـنـ شـدـوـاـ الـصـدـقـاتـ فـيـعـمـاـ هـيـ وـلـنـ تـخـفـوـهـاـ وـتـؤـتـوهـاـ الـفـقـرـاءـ فـهـوـ خـيـرـ لـكـمـ وـيـكـفـرـ عـنـكـمـ مـنـ سـكـنـاتـكـمـ وـأـلـلـهـ بـمـاـ تـعـمـلـونـ خـيـرـ﴾** [الـبـرـ:ـ ٢٧١].

**إـظـهـارـ الـعـمـلـ:**ـ فـأـمـاـ إـظـهـارـ الـعـمـلـ لـلـنـاسـ فـيـقـسـمـ إـلـىـ قـسـمـيـنـ:

١- إظهار العمل نفسه أثناء فعله.

٢- إظهار العمل نفسه ولكن بعد فعله بالتحدث عنه.

**القسم الأول:** إظهار العمل نفسه، مثل الصدقة أمام الناس في الملاً للترغيب في مثل هذا الفعل: فعندما جاء الأنصارِيُّ الفقير بصرَّةً أمام الناس لَمَّا أمرهم النبي ﷺ ورَبَّهم في ذلك، فبدأ هو بإظهار فعله فاقتدى الناس به، قال النبي ﷺ في حَقِّهِ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْفَضِّلْ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْءًا». مسلم برقم (١٠١٧).

وهكذا سائر الأفعال، كالصلوة والصيام والحجج والجهاد، وإن كانت رغبة الاقتداء في الصدقة على الطياع أغلب؛ قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ يُأْتِيلُوا نَهَارًا سِرًا وَعَلَانِيَةً فَكُمْمَهُ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ٢٧٤].

فالالأصل في الفرائض والأركان الإظهار والإعلان، وأما في النوافل والتطوعات فالالأصل فيها الإخفاء والكتمان؛ ذلك أن الفرائض والأركان هي شعائر الإسلام، فيجب إظهارها وإظهار التمسك بها، حتى لا يُتَّهم من أخفاها بتضييع عُرَى الإسلام التي فرضها الله عليه، ويمنع عن نفسه التُّهْمَةَ السيئة، وكذلك ليتشبه به الآخرون. فالصلاح يبعث على الصلاح والخير إلى الخير داعٍ. فعلى من أراد أن يُظهر عمله أمران:

أولهما: أن ينوي أن يقتدي به، بأن يعلم أو يظن ذلك من أهله أو جيرانه أو زملائه أو أهل قريته، وكلما كان معروفاً ومشهوراً كان ذلك أحرى له، فإن كان للناس قدوةً فعليه أن يحرص على ذلك، ويدركنا هذا بموقف الإمام أحمد بن حنبل رض في محنـة خـلـقـ القرآن، حيث أعلن رأيه واضحاً ولم يستعمل التقية أو الإخفاء أو التعرض؛ لما يعلمه من أن الناس يقتدون به ويستظرون موقفه ورأيه، فقد رأى أن ذلك واجبٌ في حَقِّهِ، فكان إظهاره لموقفه من أعظم الأفعال في حَقِّهِ. والله أعلم.

فهكذا يصحُّ الإظهار بنيـةـ الـقـدوـةـ مـنـ هـوـ فـيـ محلـ الـقـدوـةـ،ـ وـلـكـنـ لاـ يـقـولـ كـلـ وـاحـدـ عنـ نفسـهـ إنـ يـفـعـلـ ذـلـكـ لـلـاقـتـداءـ بـهـ؛ـ إذـ لـعـلـهـ لـيـسـ مـنـ يـقـتـدـيـ بـهـ عـنـ النـاسـ،ـ فـرـبـمـاـ نـسـبـوـهـ لـلـرـيـاءـ وـالـنـفـاقـ.

ثانيًا: على كل من أراد إظهار عمله لسبب شرعي مقبول أن يراعي قلبه؛ خوفاً من الرياء الخفي الذي يدفع الإنسان لإظهار العمل وكأنه ينوي أن يقتدي به ولكن، في الحقيقة، لشهوته في أن يتجمّل بالعمل ويوصف به ويكونه من أهل الاقتداء وليس طمعاً في الأجر والثواب من الله.

فالضعف يخاف على نفسه، كالغريق الذي لا يُحسِن إلا السباحة الضعيفة، ومع ذلك يريد أن ينقد غيره رحمةً منه، فيهلكوا جميعاً، فحب الجاه على القلب غالب.

القسم الثاني: وهو إظهار نفس العمل، ولكن بعد الفراغ منه، وخطورة هذا الأمر هو سهولة فعله؛ حيث إن الأمر سهل على اللسان. ولا شك أن الكلام باللسان قد يحمل المبالغة في وصف الفعل.

ولا شك أن للنفس لذة عظيمة في إظهار هذه الأفعال الصالحة بالمبادرات والزيادات، ولا شك أن الرياء قد يتطرق إلى العبد في ذلك وإن كان لا يُفسد العبادة الماضية بعد الفراغ منها، ولكنه يُعَاقَب على قصد الرياء بعد ذلك وينقص ذلك من أجره من هذا الوجه.

أما من صَغَر الناس في عينه واستوى عنده مَدْحُومٌ وذُمِّمٌ، وقام بالإخلاص في عمله، وإنما أراد بإظهار عمله الاقتداء به وترغيب الناس في فعل الخيرات، ففعله مندوبٌ إليه، وقد رَغَب الشارعُ الحكيمُ النَّاسَ في الخير، ولا يكون الترغيب والدعوة للناس إلا بالإظهار، إما قولًا أو فعلًا أو بكلِّ الأمرين؛ فالله تعالى يقول: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ [الحج: ٦٧]، ويقول: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى حَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ». مسلم برقم (١٨٩٣).

وقد أظهر جماعةٌ من السلف الصالح بعضًا من أحوالهم الصالحة الشريفة، وإذا نظرنا إليها وجدناها غاية المرأة لو صدرت الأعمال بنية المرأة، وإنما نجدها غاية الترغيب في فعل الخيرات إذا صدرت بنية الاقتداء بها؛ وذلك لأن الطبع مجبولةٌ على حُبِّ التشبيه والاقتداء بالآخرين ومن لهم في النفوس قدرٌ ومكانة.

ولهذا استعمل الشرعُ هذه الحِيلَة والطَّبْعَ في جَلْبِ الناس إلى الخير فقال توجيهًا

للأمة في ذلك وحكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هُنَّ أَنَّوْجِهِنَا وَرَبِّنَا نَفْرَةً أَعْيُنُ وَاجْعَلْنَا لِلنَّقِيرِ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

ولسوء حظّ المرأى فإن إظهار أحواله مع أنه شرّ وإثم فلا يؤجر عليه بسبب سوء نيته، فإنه يشجّع الناس على الخيرات، دون نية ولا قصد منه، وكم من إنسان صار صالحًا مُخلصًا، ولعل ذلك بسبب رؤيته وسماعه بعض المرأى، وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يُؤْتِدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ». متفق عليه.

وقد تكلّم العلماء في هذه المسألة: أيهما أولى وأفضل: إخفاء الطاعة، أم إظهارها؟

فقال العزّ بن عبد السلام في كتابه «قواعد الأحكام»: إن قيل: هل الإخفاء أفضل من الإعلان لما فيه من اجتناب الرياء أم لا؟ فالجواب أن الطاعات ثلاثة أنواع:

أحدها: أن هناك أعمالاً قد شرعت للجهر بها، كالاذان والإقامة، والتكبير، والجهر بالقراءة في الصلاة، والخطب المشروعة كالجمعة والعيددين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الجمع والجماعات والأعياد، والدعوة والجهاد، والذهاب للمرضى لعيادتهم وتشييع الأموات، فهذه الأعمال مما لا يمكن إخفاؤها، وعلى فاعلها أن يجتهد في استحضار النية الصالحة والإخلاص فيها، وأن يجتهد أيضًا في إبعاد الرياء عن نفسه ما استطاع، فيتحصل على أجر الفعل الخالص وكذلك على أجور من تبعه فيها، والله أعلم.

الثاني: أن هناك أعمالاً لإسرار بها خيرٌ من الإعلان، كإسرار القراءة في الصلاة المسنون فيها ذلك، وكذلك أذكار تلك الصلوات، فهذا إسراره خير من إعلانه.

الثالث: أن هناك أعمالاً قد تخفي تارة وقد تظهر تارة، مثل الصدقات، فمن خاف على نفسه الرياء أو ظنَّ بها ذلك كان الإخفاء في حقه أفضل؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تُخْفُوهَا وَلَنْ تُنْتَهَا الْفُقَرَاءُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ٢٧١].

ومن أمن الرياء فله حالان:

أولاً: ألا يكون من أهل القدوة والاقتداء من عموم الناس، فلعل الإخفاء في حقه أفضل من الإظهار.

الثاني: أن يكون ممن يقتنـى به، فلا شك أن الإعلان في حقه أولـى؛ لما في ذلك من تشجيع الأغنياء على التصدق على الفقراء، وهذا مما يرغـب فيه الشارع الحكيم، وفيه ما فيه من مصلحة للفقراء، فبهذا يكون قد نفع الفقراء بسد خـلتهم ونفع الأغنياء بتسبيـه إلى اقتدائـهم به في نفع الفقراء.

ولذلك فإن جماعة من السلف الصالح الأقوـاء قد تكلـموا وأظهـروا أحـوالهم الشـريفة للناس. قال سعد بن معاذ رضي الله عنه: ما صـلـيـت صـلـاـة مـنـذـ أـسـلـمـت فـحـدـثـت نـفـسي بـغـيرـها، وـلـا تـبـعـت جـنـازـة فـحـدـثـت نـفـسي بـغـيرـ ما هي قـائـلة وـماـ هـوـ مـقـوـلـ لـهـاـ، وـمـاـ سـمـعـتـ النـبـيـ يـقـولـ قـوـلـاـ قـطـ إـلـاـ عـلـمـتـ أـنـهـ حـقـ.

وقال عمر رضي الله عنه: ما أـبـالـيـ أـصـبـحـتـ عـلـىـ عـسـرـ أوـ يـسـرـ؛ لـأـنـيـ لـأـدـرـيـ أـيـهـمـاـ خـيـرـ لـيـ.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ما أـصـبـحـتـ عـلـىـ حـالـ فـتـمـيـتـ أـنـ أـكـوـنـ عـلـىـ غـيرـهاـ.

وقال أبو سفيان لأـهـلـهـ حين حـضـرـهـ المـوـتـ: لـاـ تـبـكـواـ عـلـيـ؛ فـإـنـيـ مـاـ أـحـدـثـ ذـنـبـاـ مـنـذـ أـسـلـمـتـ.

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ما قـضـىـ اللـهـ فـيـ بـقـضـاءـ قـطـ فـسـرـنـيـ أـنـ يـكـونـ قـضـىـ لـيـ بـغـيرـهـ، وـمـاـ أـصـبـحـ لـيـ هـوـيـ إـلـاـ فـيـ مـوـاـقـعـ قـدـرـ اللـهـ.

ثـانـيـاـ: في المعاصـيـ وـالـذـنـوبـ: الأـصـلـ فيـ الإـلـاـصـ هوـ استـوـاءـ السـرـ وـالـعـلـانـيـةـ فيـ الـأـعـمـالـ، وـتـفـسـيـرـ ذـلـكـ ماـ قـالـهـ عـمـرـ لـرـجـلـ: عـلـيـكـ بـعـلـمـ الـعـلـانـيـةـ. قـالـ: يـاـ أـمـيـ الـمـؤـمـنـينـ، وـمـاـ عـمـلـ الـعـلـانـيـةـ؟ قـالـ: مـاـ إـذـ اـطـلـعـ عـلـيـكـ لـمـ تـسـتـحـ مـنـهـ.

وكـماـ قـالـ النـبـيـ صلـوةـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـامـ: «الـبـرـ: حـسـنـ الـخـلـقـ، وـالـإـثـمـ: مـاـ حـاكـ فـيـ صـدـرـكـ، وـكـرـهـتـ أـنـ يـطـلـعـ عـلـيـهـ النـاسـ». مـسـلـمـ برـقمـ (٢٥٥٣).

وقـالـ أـبـوـ مـسـلـمـ الـخـراسـانـيـ: مـاـ عـمـلـتـ عـمـلاـ أـبـالـيـ أـنـ يـطـلـعـ النـاسـ عـلـيـهـ إـلـاـ إـتـيـانـيـ أـهـلـيـ وـالـبـولـ وـالـغـائـطـ.

وـمـعـ ذـلـكـ لـاـ يـخـلـوـ الـإـنـسـانـ عـنـ ذـنـوبـ بـقـلـبـهـ أـوـ بـجـوارـهـ، وـهـوـ يـخـفـيـهاـ وـيـكـرـهـ اـطـلـاعـ النـاسـ عـلـيـهـ، خـاصـةـ مـاـ يـدـورـ بـخـواـطـرـهـ مـنـ شـهـوـاتـ وـأـمـانـيـ، وـالـلـهـ سـبـحـانـهـ مـطـلـعـ، وـرـغـبةـ الـعـبـدـ فـيـ إـخـفـاءـ ذـلـكـ لـيـسـ مـنـ الـرـيـاءـ الـمـحـظـورـ، وـإـنـمـاـ الـمـحـظـورـ هـوـ رـغـبةـ إـخـفـاءـ الـعـيـوبـ

والنقص من أجل أن يظن الناس فيه الورع والخوف من الله، مع أنه ليس كذلك.  
وأما العبد الصادق الذي لا يرائي فله أن يستر معاصيه، وله كذلك أن يغتنم ويغضب باطلاع الناس عليها، وعليه أن يُصحح مقصده في سترها كالتالي:

**الأول:** أن يسترها، ويفرح بستر الله عليه، فقد قيل: إِنَّ مَنْ سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا ذَنَبًا سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ. فإن الفضيحة بهتك ستره تغمُّ الإنسان ويحاف أن يهتك ستره يوم القيمة.

**الثاني:** أن يستر المعاصية ويعلم أن الله يكره ظهور المعاصي ويحب سترها، كما روي: «اجْتَنَبُوا هَذِهِ الْقَادُورَاتِ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا، فَمَنْ أَلَمَّ بِهَا فَلَيُسْتَرِّ بِسْتِرِ اللَّهِ تَعَالَى».

مالك في الموطأ (٢/٨٢٥) برقم (١٥٠٨).

فلا يخلو قلب صادق من محبة الله ومحبة ما يحبه الله، وهذا لقوة الإيمان بكرامة الله لظهور المعاصي، وعلامة الصدق في هذا الشعور أن يكره ظهور الذنب، حتى ولو من غيره، بل ويغتنم لذلك، كما في الحديث: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ. متفق عليه.

**الثالث:** أن يكون ستره للذنوب ورغبة في ذلك لكرامته ذم الناس، فكما أن الضرب مؤلم للجسد فإن الذم مؤلم للقلب، وليعلم أن الخوف من تألم القلب بالذم ليس بحرام ولا يعصي بذلك، وإنما يصير عاصيًا إذا دعاه ضرره من ذلك إلى فعل ما لا يجوز.

والذم إذا جاءك من أهل البصيرة والحق يؤلم أكثر لأنهم صادقون، وهم شهداء الله في الأرض، وذمهم تنبيه على ذم الله تعالى للعبد وعلى نقصان الدين. فكرامته سماع الذم على المعاصية لا محذور فيها، إلا أمراً واحداً، وهو أن يشغله غممه باطلاع الناس على ذنبه عن اطلاع الله عليه، فالواجب أن يغتنم للذنب أمام الله تبارك وتعالى.

**الرابع:** أن يستر ذنبه، بحيث لا يتسبب في ذم الناس له فيقعون في المعاصية بسبب هذا الذم؛ إذ قد يذم الناس فيبالغون في وصف ذنبه كذلك وبهتانًا، فهو بستر المعاصية قد كف عنهم هذه المعاصية فيجب ألا أن يعصي الله بسيبه.

**الخامس:** أن يستر ذنبه خوفاً من معاملة الناس له بسوء أو شدة إذا ظهرت معاصيته، فلا حرج على المسلم أن يتتجنب أسباب الأذى، كما روي في الحديث: لَا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يُذَلِّ نَفْسَهُ. قيل:

**وَكَيْفَ يُنْذِلُ نَفْسَهُ؟** قال: **«يَتَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ»**. أَحْمَدُ فِي الْمَسْنَدِ (٥/٤٠٥) بِرَقْمِ (٢٣٤٩١).

**السادس:** أَن يُسْتَرِّ مَعْصِيهِ حَيَاءً؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَعْظُزُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ: **«دَعْهُ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ»**. [متفق عليه].

ولكن عليه أن يعلم أن الحياة يمتزج بالرياء أحياناً لاشبهه به اشتباهاً عظيماً، حيث يستطيع كُلُّ مُرَاءٍ أن يَدُعِي الحياة، فيتصرف رياً في بعض الأحيان مدعياً الحياة من الناس.

**السابع:** أَن يَكْتُمْ سَرَّهُ لِيُدْخِلَ فِي زَمْرَةِ أَهْلِ الْعَفْوِ، فَالْمُتَفَاخِرُ وَالْمُتَبَاهِي بِمَعْصِيهِ قَدْ خَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ الْعَفْوِ الْإِلَهِيِّ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: **«كُلُّ أَمْتَيْ مُعَافَىٰ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَرَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يُكْشِفُ سُرَّ اللَّهِ عَنْهُ»**. متفق عليه.

**الثامن:** أَن يُسْتَرِّ ذَنْبَهُ مَخَافَةً أَنْ لو ظَهَرَ ذَنْبُهُ لَتَجَرَّأَ النَّاسُ بِسَبِّبِ ذَلِكِ عَلَى الذُّنُوبِ، فَيَقْتَدُونَ بِهِ فِي فِعْلِ الْمَعَاصِيِّ، فَيُنْبَغِي أَنْ يُخْفِي الْمَعَاصِيَ حَتَّىٰ عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ، كَأَهْلِهِ وَوْلَدِهِ وَخَدْمِهِ، حَتَّىٰ لَا يَتَأسَّسُوا بِهِ.

وَهَذَا مَا تَعُمُّ بِهِ الْبَلْوَى فِي صَعْوَدَةِ تَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ، حَيْثُ يُقْتَلُونَ آبَاءَهُمْ وَأَمْهَاتِهِمْ فِي مَعَاصِيهِمْ وَتَقْلِيلِهِمْ فِي دِينِهِمْ، مَا يُسَبِّبُ صَعْوَدَةً شَدِيدَةً فِي تَغْيِيرِ قُلُوبِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ بَعْدَ ذَلِكِ إِلَى الْحَقِّ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: **«مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وَرُزْرُهَا وَوَزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَصِصَ مِنْ أُوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»**. مسلم برقـم (١٠١٧). وَقَالَ أَيْضًا: **«لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأُولِيَّ كِفْلٌ مِّنْ دَمَهَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»**. متفق عليه.

إِذَا لَيْسَ فِي إِظْهَارِ الطَّاعَةِ عذرٌ إِلَّا لِلَا قَنْدَاءِ وَدُعْوَةِ النَّاسِ إِلَى فَعْلِ الْخَيْرَاتِ وَتَقْلِيدِ الصَّالِحِينَ فِي ذَلِكَ، وَأَمَّا الْأَعْذَارُ الثَّمَانِيَّةُ السَّابِقَةُ فَهِيَ لِسْتِ الزُّنُوبِ، وَلَكِنْ لَا يَطْلُبُ مِنَ النَّاسِ إِظْهَارَ الْوَرَعِ بِتَرْكِ الذَّنْبِ.

**وَهَنَا سُؤَالٌ: هَلْ يَجُوزُ لِلْعَبْدِ أَنْ يُحِبَّ وَصَفَ النَّاسَ لِهِ بِالصَّلَاحِ؟**

**جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَرَّ** فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ. فَقَالَ: **«اَرْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّ اللَّهُ، وَأَرْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّ النَّاسُ»**.

ابن ماجه برقم (٤٠٢)، والحاكم في المستدرك برقم (٧٨٧٣)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

**فُحْبُكَ - أَنْ يَحْبُكَ النَّاسُ - قَدْ يَكُونُ مِبَاحًا أَوْ مَذْمُومًا أَوْ مَحْمُودًا:**

**فَالْمَحْمُودُ:** أَنْ تُحِبَّ ذَلِكَ لَأَنَّهُ عَلَمَةٌ عَلَى حُبِّ اللَّهِ لَكَ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحَبَّهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا، فَأَحَبَّهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوَضِّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ». متفقٌ عَلَيْهِ.

**وَالْمَذْمُومُ:** أَنْ تُحِبَّ ذَلِكَ الْحُبُّ أَكْثَرَ مِنْ حُبِّكَ لِلأَعْمَالِ الصَّالِحةِ، فَكَأْنَكَ تَعْمَلُ صَالِحًا فَقَطَ حَتَّى يُحِبَّكَ النَّاسُ، وَهَذِهِ هِيَ الْمَرَأَةُ، فَكَأْنَكَ طَلَبْتَ أَجْرًا فِي الدُّنْيَا عَلَى عَمَلِ الْآخِرَةِ؛ وَفِي الْحَدِيثِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَعْلَمَ عِلْمًا مِمَّا يُيَتَّغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَتَعْلَمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَحِدْ عَرْفَهُ (أَيْ: رَائِحَة) الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». أَبُو دَاوُدْ بِرْ قَمْ (٣٦٦٤)، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ (تَحْقِيقُ الْمُشْكَاهَ) حَدِيثُ (٢٢٧).

**وَالْمَبَاحُ:** أَنْ تُحِبَّ أَنْ يُحِبُّكَ لِلصَّفَاتِ الْمَحْمُودَةِ فِيهِ، وَلَيْسَ لِعِنْ الطَّاعَاتِ، مُثْلِ حُبِّ الْإِنْسَانِ لِلْمَمَالِ، فَهُوَ مَبَاحٌ مَادَمَا لَا يَبْعُثُ عَلَى الْبَاطِلِ.

قال ابنُ عَطَاءِ اللَّهِ: إِلَهِي، إِنْ ظَهَرَتِ الْمَحَاسِنُ مِنِّي فِي فَضْلِكَ وَلَكَ الْمُنْتَهَى، وَإِنْ ظَهَرَتِ الْمَسَاوِيُّ مِنِّي فِي بَعْدِكَ وَلَكَ الْحَجَةُ عَلَيَّ.

وقال أيضًا: **السُّتُّرُ عَلَى قَسْمَيْنِ:** سُتُّرٌ عَنِ الْمُعْصِيَةِ، وَسُتُّرٌ فِي الْمُحْسَنَاتِ. وَالْعَامَةُ يَطْلَبُونَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى السُّتُّرَ فِيهَا خَشْيَةً سُقُوطِ مَرْتَبَتِهِمْ عَنِ الْخَلْقِ، وَالْخَاصَّةُ يَطْلَبُونَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى السُّتُّرَ عَنْهَا خَشْيَةً سُقُوطِهِمْ مِنْ نَظَرِ الْمَلَكِ الْحَقِّ.

وقال أيضًا: **مَنْ وَجَدَ ثُمَرَةً عَمِلَهُ عَاجِلًا فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِ الْقَبُولِ آجَلًا.**

\* \* \*

## ٢٩٠ - باب تحرير النظر إلى المرأة الأجنبية

### والأمرد الحسن لغير حاجة شرعية

قال الله تعالى: ﴿فَلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْنُمُوا مِنْ أَنْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُوَادُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْغُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تَخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِيَالْمِرْصَادِ﴾ [النجر: ١٤].

(أي: المرأة الأجنبية: هي كل امرأة ليست من محارم الرجل، ويحل له التزوج بها إذا خلت من الموانع الشرعية. والأمرد الحسن: هو كل شاب جميل خلا وجهه من الشعر).

(٢٩٠ / ١٦٢٢) وعن أبي هريرة رض: عن النبي صل قال: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبِهِ مِنَ الزِّنَةِ مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ: الْعَيْنَانِ زَنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأَذْنَانِ زَنَاهُمَا الْاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زَنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زَنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زَنَاهَا الْحُطَا، وَالْقَلْبُ يَهُوَيْ وَيَتَمَنِّي، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ». متفق عليه وهذا الفظ مسلم، ورواية البخاري مختصرة.

(٢٩٠ / ١٦٢٣) وعن أبي سعيد الخدري رض: عن النبي صل قال: «إِيَاكُمْ وَالْجُلُوسُ فِي الطُّرُقَاتِ!» قالوا: يا رسول الله، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدُّ، نَتَحَدَّثُ فِيهَا. فقال رسول الله صل: «إِذَا أَبْيَثْمَ إِلَّا الْمَجْلِسَ، فَأَعْطُوهُ الْطَّرِيقَ حَقَّهُ». قالوا: وَمَا حَقُّ الْطَّرِيقِ يَا رسول الله؟ قال: «غَضْنَ الْبَصَرِ، وَكَفْنَ الْأَدَى، وَرَدْنَ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهِيُّ عَنِ الْمُنْكَرِ». متفق عليه.

(٢٩٠ / ١٦٢٤) وعن أبي طلحة زيد بن سهل رض: قال: كُنَّا قُعُودًا بِالْأَفْنِيَةِ (أي: الأفنية: جمع فنا)، وهو المتسع أمام الدار) نَتَحَدَّثُ فِيهَا فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صل فَقَامَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا لَكُمْ وَلِمَجَالِسِ الصُّعْدَاتِ؟ اجْتَبِيوا مَجَالِسَ الصُّعْدَاتِ». فَقُلْنَا: إِنَّمَا قَعَدْنَا لِغَيْرِ مَا بَأْسَ، قَعَدْنَا نَتَذَاكِرُ، وَنَتَحَدَّثُ. قَالَ: «إِنَّمَا لَا فَادُوا حَقَّهُمَا: غَضْنَ الْبَصَرِ، وَرَدْنَ السَّلَامِ، وَحُسْنُ الْكَلَامِ». رواه مسلم. الصُّعْدَاتِ بضم الصاد والعين، أي: الطُّرُقَاتِ.

(٢٩٠ / ١٦٢٥) وعن جرير رض: سألهُ رَسُولُ اللهِ صل عن نَظَرِ الْفَجَاجِ فَقَالَ: «اصْرِفْ بَصَرَكَ». رواه مسلم.

(٢٩٠ / ١٦٢٦) وعن أم سلمة رض: قالت: كنتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صل، وعندَهُ مِيمُونَةُ، فَأَقْبَلَ ابْنُ أَمِّ مَكْتُومٍ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَمِّنَا بِالْحِجَابِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صل: «احْتَجِبَا مِنْهُ». فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَيْسَ هُوَ أَعْمَى؟ لَا يُصْرِنَا، وَلَا يَعْرِفُنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صل: «أَفَعَمْيَا وَإِنْ أَسْتُمَا تُبَصِّرَا نِهِيَةَ؟!». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢٩٠ / ١٦٢٧) وعن أبي سعيد رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُنْظَرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ، وَلَا يُنْفَضِي (أي: يلامس) الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَلَا يُنْفَضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ». رواه مسلم.

## ٢٩١ - باب تحرير الخلوة بالاجنبية

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَعَافِسُوا هُنَّ مِنْ وَرَاءِ جَبَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

(٢٩١ / ١٦٢٨) وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ! فَقَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ: أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: «الْحَمْوُ الْمَوْتُ». متفق عليه.

الْحَمْوُ: قَرِيبُ الرَّوْجِ كَأَخِيهِ، وَابْنِ أَخِيهِ، وَابْنِ عَمِّهِ.

(٢٩١ / ١٦٢٩) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَخْلُونَ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ». متفق عليه.

(٢٩١ / ١٦٣٠) وعن بُرِيَّة رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أَمَهَاتِهِمْ، مَا مِنْ رَجُلٍ مِّنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِّنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ، فَيُخُونُهُ فِيهِمْ إِلَّا وَقَفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شَاءَ حَتَّى يُرْضِي». ثُمَّ التَّفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا ظُنِّكُمْ؟». رواه مسلم.

## ٢٩٢ - باب تحرير تشبه الرجال النساء

### وتشبه النساء بالرجال في لباس وحركة وغير ذلك

(٢٩٢ / ١٦٣١) عن ابن عباس رضي الله عنهما: لَعَنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُخَشِّنَ (أي: يقصد: التشبه المذموم بالنساء) مِنَ الرِّجَالِ، وَالْمُتَرَجَّلَاتِ (أي: يقصد: التشبه المذموم بالرجال) مِنَ النِّسَاءِ.

وفي رواية: لَعَنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُشَبِّهَاتِ مِنَ السَّيَاءِ بِالرِّجَالِ. رواه البخاري.

(٢٩٢ / ١٦٣٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: لَعَنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجُلِ يَلْبِسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةِ تَلْبِسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٢٩٢ / ١٦٣٣) عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعْهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَأَسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ مُمِيلَاتٍ مَائِلَاتٍ».

**رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يُدْخِلُنَّ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدُنَّ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا».** رواه مسلم.

معنى **«كَاسِيَاتٌ»** أي: مِنْ نِعْمَةِ الله. **«عَارِيَاتٌ»** مِنْ شُكْرِهَا، وَقَيلَ: مَعْنَاهُ: تَسْتُرُ بَعْضَ بَكَنَهَا، وَتَكْشِفُ بَعْضَهُ إِلَهَارًا لِجَمَالِهَا وَتَحْوِرَهُ. وَقَيلَ: تَلْبِسُ ثُوبًا رَقِيقًا يُصِيفُ لَوْنَ بَكَنَهَا. وَمَعْنَى **«مَائِلَاتٌ»** قَيلَ: عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه. **«مُمْبَلَاتٌ»** أي: يُعْلَمُنَّ غَيْرُهُنَّ فَعَلَمُنَّ الْمَذْمُومَ. وَقَيلَ: مَائِلَاتٌ يَمْشِينَ مُتَبَخِّرَاتٍ، مُمْبَلَاتٌ لَا كُتَافِهِنَّ، وَقَيلَ: مَائِلَاتٌ يَمْتَسِطُنَ الْوُشْطَةَ الْمَيْلَةَ؛ وَهِيَ مُشَطَّةُ الْبَغَايَا. وَ**«مُمْبَلَاتٌ»**: يُمْشِطُنَ غَيْرُهُنَّ تِلْكَ الْمِشْطَةَ. **«رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ»** أي: يُكَبِّرُهَا وَيُعَظِّمُهَا بِأَلْفِ عِمَامَةٍ أَوْ عِصَابَةٍ أَوْ نَحْوِهِ.

## ٢٩٣ - باب النهي عن التشبه بالشيطان والكفار

(٢٩٣ / ١٦٣٤) عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «لَا تَأْكُلُوا بِالشَّمَالِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ وَيَشْرُبُ بِالشَّمَالِ».

(٢٩٣ / ١٦٣٥) وعن ابن عمر رضي الله عنه : أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدُكُمْ بِشَمَالِهِ، وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشَمَالِهِ وَيَشْرُبُ بِهَا».

(٢٩٣ / ١٦٣٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّاصَارَى لَا يَصْبِغُونَ فَخَالِفُوهُمْ». متفق عليه. المِرْأَةُ: خَصَابُ شَعِيرِ اللَّحْيَةِ وَالرَّأْسِ الْأَيْضِنِ صُفْرَةٌ أَوْ حُمْرَةٌ؛ وَأَمَّا السَّوَادُ، فَمَمْهِي عَنْهُ كَمَا سَنْدَكُرُهُ فِي الْبَابِ بَعْدَهُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى».



### (النهي عن التشبه بالشيطان والكفار)

أما التشبه بالشيطان، فيقصد به: أفعاله الدنيئة الخبيثة، وليس كما يظن البعض شكله، فهو مخفٍّ عننا وليس له ملامح نعرفها على وجه اليقين، وإنما هي تصورات تصورها البعض من أهل الكتب السابقة ورسموا للشيطان صورة ليس هناك دليل عليها؛ **﴿إِنَّمَا يَرَنُّكُمْ هُوَ وَقِيلُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تُرَوُنُهُمْ﴾** [الأعراف: ٢٧].

فالنهي متعلق بأفعاله الخبيثة، كالمكر والخداع والإيقاع بين الناس، والتفريق بين الصالحين والأزواج، وإشاعة الباطل، والترغيب في المعاصي، وتزيين فعل المحرمات... إلخ مما هو من أفعال إبليس.

أما النهي عن التشبه بالكافار، فيقصد به أيضاً ما تعلق بمظهر يدل على الكفر كلباس رهبان البوذية وغيرهم مما تعرف به ديانتهم. وهذا يختلف عن الشياط التي عممت بين عموم الدنيا ولم ترتبط بديانة خاصة حتى لو كان الأغلب والأعم فيها لغير المسلمين، طالما أنها ليست دليلاً على دين معين.

والنهي يشمل التشبه بأي فعل من أفعال الكفر، التي تخالف الشرع الحكيم، في العقائد والعبادات والمعاملات حسب ما بين أهل الفقه والشرع الكريم.

وإذا اتفقت بعض العادات الاجتماعية، بين الشعوب والأقوام أو حتى بين أصحاب الديانات المختلفة، وكانت على سبيل العادة، فلا بأس بها؛ لأنها لا تدل على دين معين إن كان ليس فيها شعار ديني، ويجب عند ذلك الرجوع فيها لأهل الفتوى المعتبرين.

\* \* \*

## ٢٩٤- باب نهي الرجل والمرأة عن خطاب شعرهما بسواه

(٢٩٤ / ١٦٣٧) عن جابر رض قال: أتى أبي قحافة والد أبي بكر الصديق رض، يوم فتح مكة ورأسمه ولحيته كالشمامي أي: الشمام: نوع من النبات أيض الزهر والثمر يشبه به الشيب، وقيل: هي شجرة تبيض كأنها الثلوج بياضاً. فقال رسول الله ص: «عِرُّوا هَذَا واجتنبوا السَّوَاد». رواه مسلم.

\* \* \*

### (صبغ الشعر للرجال)

إن صبغَ شعر الرجال جائز، بأيِّ لونٍ ما عدا الأسود؛ فقد اختلف أهل العلم في اللون الأسود، فمنهم من قال بالكرامة ومنهم من حرَّمه إلا أن يكون في جهاد العدو. وقد أجاز بعض العلماء ذلك للشباب دون غيرهم.

\* \* \*

## ٢٩٥- باب النهي عن القرع

وهو حلق بعض الرأس دون بعض، وإباحة حلقه كله للرجل دون المرأة

(٢٩٥ / ١٦٣٨) عن ابن عمر رض قال: نهى رسول الله ص عن القرع. متفق عليه.

(٢٩٥ / ١٦٣٩) وعن عنه قال: رأى رسول الله ﷺ صبياً قد حلق بعض شعر رأسه وترك بعضاً، فنهاه عن ذلك، وقال: «احلقوه كله، أو اتركوه كله». رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(٢٩٥ / ١٦٤٠) وعن عبد الله بن جعفر : أن النبي ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثة أيام فقام: «لا تكروا على أخي بعد اليوم». ثم قال: «ادعوا لي بني أخي». فجاءه بنا كانا أفرخ (أي: جمع فrex، وهو: ولد الطائر يشبه به الصغير) فقال: «ادعوا لي العلاق». فأمره، فتحقق رؤوسنا. رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(٢٩٥ / ١٦٤١) وعن علي قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ عَنْ تَحْلِقَ الْمَرْأَةِ رَأْسَهَا. رواه النسائي.

## ٢٩٦ - باب تحرير وصل الشعر والوشم واللوشم

قال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّهَا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَنًا مَرِيدًا ﴾ ﴿١٦﴾ لَعْنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا يَحْمِدَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١٧﴾ وَلَا يُضْلِلُهُمْ وَلَا مُنْتَهُهُمْ فَلَيَبْتَغِيَنَّ مِنْ إِذَا نَعْمَلَ وَلَا مِنْ هُمْ فَلَيَعْيَثُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٩ - ١١٧].

(٢٩٦ / ١٦٤٢) وعن أسماء: أن امرأة سألت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن ابنتي أصابتها الحصبة (أي: الحصبة: هي بئراث حمر تخرج في الجلد متفرقة)، فتمرق شعرها، وإن زوجتها، فأصل فيها؟ فقال: «لعن الله الواصلة والموصولة». متفق عليه.

وفي رواية: «الواصلة، والمُسْتَوِصلة». قوله: «فترق» هو بالراء ومعناه: انتشر وسقط. و«الواصلة»: التي تصل شعرها، أو شعر غيرها بشعر آخر. و«الموصولة»: التي يوصل شعرها. و«المُسْتَوِصلة»: التي تسأل من يفعل لها ذلك.

وعن عائشة تحوه. متفق عليه.

(٢٩٦ / ١٦٤٣) وعن حميد بن عبد الرحمن: أنه سمع معاوية بن أبي سفيان، عام حج على المني وتناول فصّةً من شعر (أي: خصلة من الشعر، وهي: الشعر المجتمع) كانت في يد حرسي (أي: نسبة إلى الحرس، وهم: خدم الأمير الذين يحرسونه، ويقال للواحد: حرسي) فقال: يا أهل المدينة أين علماؤكم؟! سمعت النبي ﷺ، ينهى عن مثل هذه، ويقول: «إنما هلكت بني إسرائيل حين آتَحَدَ هذه نساوُهُم». متفق عليه.

(١٦٤٤ / ٢٩٦) وعن ابن عمر : أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ لَهُ عَنِ الْوَاصِلَةِ وَالْمُسْتَوْصِلَةِ، وَالْوَاسِمَةِ وَالْمُسْتَوْشِمَةِ . متفق عليه.

(١٦٤٥ / ٢٩٦) وعن ابن مسعود قال: لَعْنَ اللَّهِ الْوَاسِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَنَمَّصَاتِ، وَالْمُتَنَفِّلَجَاتِ لِلْحُسْنِ (أي: فيه إشارة إلى أن الحرام هو المعمول لطلب الحسن، أما لو احتاجت إليه علاج أو عيب في السن ونحوه فلا بأس)، الْمُغَيَّرَاتِ خَلْقُ اللَّهِ، فَقَالَتْ لَهُ امْرُؤَةٌ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: وَمَا لَيْ لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ، وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ  
أَرْسَلُ فَخَذُوهُ وَمَا تَهْكُمُ عَنْهُ فَانْهُوا﴾ [الحشر: ٧]. متفق عليه.

المتفلجة هي: الَّتِي تَبِرُّ مِنْ أَسْنَانِهِ لِيَتَبَاعِدَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ قَلِيلًا، وَتُحَسِّنُهَا وَهُوَ الْوَسْرُ . وـ النامضة: الَّتِي تَأْخُذُ مِنْ شَعْرِ حَاجِبِهَا، وَتُرْفَعُهُ لِصَبِيرِ حَسَنَةٍ . وـ المتنمية: الَّتِي تَأْمُرُ مَنْ يَفْعَلُ بِهَا ذَلِكَ .

\* \* \*

## (وصل وزرع الشعر)

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن وصل الشعر بشعرٍ آدميٍّ حرام، سواءً كان شعر امرأة أو شعر رجل، وسواءً كان شعر محرم أو زوج أو غيرهما. وفي رأيٍ عند الحنفية وقولٍ عند الحنابلة بالكرابة فقط في أصل المسألة. وذهب الشافعية على الصحيح إلى حرمة الوصل إن لم تكن ذات زوج، أما إن كانت ذات زوج فثلاثة أوجه: أصحها إن وصلت بإذنه جاز. وفي قولٍ عند الحنابلة: يجوز وصل الشعر بشعر الآدمي إذا كان بإذن الزوج.

وذكرت هيئة الإفتاء الكويتية أنه يجوز عند الحاجة للرجل والمرأة زراعة الشعر إن كان ذلك من بصيلات شعر الإنسان نفسه أو من غيرها؛ لأنَّه نوعٌ من العلاج.

وإن كان بشعرٍ غير آدميٍّ، فإنه يجوز للحاجة ما لم يكن فيه تدليس أو خداع. كذا حكم الرموش الصناعية.

## (الوشم الثابت والموقت)

الوشم: هو تغيير لون الجلد عن طريق عَرْسٍ إبرة فيه حتى يسيل الدم ثم يوضع في المكان كحل أو أي مادة ملونة. فكل ما يغير لون الجلد بشكل دائم - وهي الزينة الثابتة الدائمة - يعتبر محرّماً؛ لأنَّه يُغَيِّر خَلْقَ اللَّهِ تبارَكَ وَتَعَالَى؛ والوشم محرم لأنَّه يغير لون الجلد. وسواء كان ذلك للنفس أو للغير.

أما الملوكات التي ترول مع الزمن - وهي الزينة المؤقتة - على ألا يكون فيها ضرر على الجلد أو الصحة ولا تحمل شعارات فيها تحقيّر لدين أو إنسان، مثل الحناء والمناكير وغيرها، فهي جائزة لمن يباح النظر إليها، على ألا تنكشف فيها عورة للغير.

### **(النامضة والتنمية)**

يجوز للمرأة المتزوجة أن تأخذ من حاجبها إذا كان ذلك بإذن الزوج؛ لأنّه من الزينة، والزينة مطلوبة لإعفاف الزوج، والمرأة مأمورة بها شرعاً لزوجها. أما المرأة المنهية عن استعمال الزينة، كالمعتدة في طلاق وغير المتزوجة بصفة عامة، فلا يجوز لها أن تتنمّص في حاجبها، إلا إذا احتاجت إليه لعلاج أو عيوب، بشرط ألا يكون فيه تدليس أو خداع على من أراد التزوج بها. أما شعر غير الحاجبين مما يظهر على وجه المرأة كشعر الشارب واللحية فلا يدخل في النهي، بل تستحب إزالته، وهو المعتمد والمفتى به في دار الإفتاء المصرية.

### **(تفلّج وتقويم الأسنان)**

ذكرت دار الإفتاء المصرية أن تقويم الأسنان لا يكون تغييراً لخلق الله، وبناء عليه فيجوز القيام به على أن يكون تحت إشراف طبيب ماهر أمين، كما يجوز القيام بتبييض الأسنان بالليزر كذلك. ويجوز أيضاً تفلّج الأسنان إن احتاج المرء إلى تفلّج أسنانه؛ لقبح منظرها أو لمرضٍ ألمَ بها.

\* \* \*

## **٢٩٧- باب النهي عن نتف الشيب من اللحية والرأس وغيرهما**

### **ومن نتف الأمرد شعر لحيته عند أول طلوعه**

**(٢٩٧ / ١٦٤٦)** عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رض: عن النبي ﷺ قال: «لَا تُتِنْفُوا الشَّيْبَ؛ فَإِنَّهُ نُورُ الْمُسْلِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». حديث حسن، رواه أبو داود، والترمذى، والنسائى بأسانيد حسنة، قال الترمذى: «هو حديث حسن».

**(٢٩٧ / ١٦٤٧)** عن عائشة رض قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ». رواه مسلم.

## ٢٩٨- باب كراهة الاستنماء باليمين

### ومس الفرج باليمين من غير عذر

(٢٩٨ / ١٦٤٨) عن أبي قتادة رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «إذا بالَّ أحدُكُمْ، فَلَا يَأْخُذَ ذَكَرُهُ بِيمِينِهِ، وَلَا يَسْتَنِجِ بِيمِينِهِ، وَلَا يَنْتَفَسْ فِي الْإِنَاءِ». متفق عليه. وفي الباب أحاديث كثيرة صحيحة. (أي: الاستنماء: هو تطهير القبل أو الدبر، وإزالة النجاسة عنهما، ويكون بالماء وأما الاستجمار فيكون بالحجارة أو ما ينوب عنها).

## ٢٩٩- باب كراهة المشي في نعل واحدة أو خف واحد لغير عذر

### وكراهة لبس النعل والخف قائماً لغير عذر

(٢٩٩ / ١٦٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «لَا يَمْشِي أحدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، لِيُسْعَلُهُمَا جَمِيعًا، أَوْ لِيُخْلَعُهُمَا جَمِيعًا». وفي رواية: «أَوْ لِيُحْفِهُمَا جَمِيعًا». متفق عليه.

(٢٩٩ / ١٦٥٠) وعنه قال: سِمعْتُ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: «إِذَا انْقَطَعَ شَسْعُ نَعْلٍ أَحَدِكُمْ (أي: وهو أحد س Fior النعل الذي يدخل بين الإصبعين)، فَلَا يَمْشِي فِي الْأُخْرَى حَتَّى يُصْلِحَهَا». رواه مسلم.

(٢٩٩ / ١٦٥١) وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه نهى أنْ يَتَسْعَلَ الرَّجُلُ قَائِمًا. رواه أبو داود بإسناد حسن.

## ٣٠٠- باب النهي عن ترك النار في البيت عند النوم ونحوه

### سواء كانت في سراج أو غيره

(٣٠٠ / ١٦٥٢) عن ابن عمر رضي الله عنه : عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «لَا تَتَرُكُوا النَّارَ فِي بُيوْتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ». متفق عليه.

(٣٠٠ / ١٦٥٣) وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: قال: احْتَرَقَ بَيْتُ الْمَدِينَةِ عَلَى أَهْلِهِ مِنَ اللَّيلِ، فَلَمَّا حُدِّثَ رَسُولُ الله صلوات الله عليه وآله وسلامه بِشَانِهِمْ، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ النَّارَ عَدُوُّكُمْ، فَإِذَا نَمْتُمْ، فَأَطْنِبُوهَا». متفق عليه.

(٣٠٠ / ١٦٥٤) وعن جابر رضي الله عنه: عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «غَطُوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا (أي: شدوا واربطوا) السَّقَاءَ، وَأَغْلَقُوا الْبَابَ، وَأَطْفَلُوا السَّرَاجَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحْلُ سِقَاءَ، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا، وَلَا يَكْسِفُ إِنَاءً. فَإِنْ لَمْ يَحِدْ أَحَدُكُمْ إِلَّا أَنْ يَعْرُضَ عَلَى إِنَاءِهِ عُودًا، وَيَذْكُرُ اسْمَ اللَّهِ، فَلَيُفْعَلَ، فَإِنَّ الْفُوِيسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ». رواه مسلم.

«الْفُوِيسِقَةُ»: الفَارَّةُ. وَ«تُضْرِمُ»: تُحرِقُ.

## ٣٠١- باب النهي عن التكاليف

### وهو فعل وقول ما لا مصلحة فيه بمشقة

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَنِ الْجُنُوبِ وَمَا أَنْهَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [٨٦] [ص: ٨٦].

(٣٠١ / ١٦٥٥) عن عمر رضي الله عنه قال: نهينا عن التكاليف. رواه البخاري.

(٣٠١ / ١٦٥٦) وعن مسروق، قال: دخانا على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال: يا أيها الناس، من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم، فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم.

قال الله تعالى لنبه رضي الله عنه: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَنِ الْجُنُوبِ وَمَا أَنْهَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [٨٦]. رواه البخاري.

\* \* \*

### (التكاليف)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: نهينا عن التكاليف. يقصد: نهينا عن كثرة السؤال بلا داع، والبحث عن الأشياء الغامضة التي لا يجب البحث عنها، بل علينا أن نأخذ بظاهر الشريعة ونقبل ما جاءت به. فالتكلف: هو تحمل الأمر على المشقة وخلاف العادة والطبع. والتكلف قد يكون محموداً: وهو ما يحاول به الإنسان أن يعود نفسه على الطاعات حتى تصبح سهلة ميسرة، تصدقأ القول الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعْطَنَا وَلَقَنَ ۝ وَصَدَقَ إِلَّا هُنَّ فَسَيِّسِرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝﴾ [٧-٥] [الليل: ٧-٥]. حتى يصير العمل الصالح محبوأ لديه، ويتعلق به قلبه، وتشتاق إليه جوارحه. ولهذا سميت العادات تكاليف، وإنما يقصد به معنى الكلف، وهو الولوع بالشيء مع شغل القلب وحدوث المشقة.

أما التكاليف المذموم: فهو ما يتحرى الإنسان فعله ليرأي به الناس، ويتباهي أمامهم بصلاحه. وهذا في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَنِ الْجُنُوبِ وَمَا أَنْهَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [٨٦] [ص: ٨٦]. وقوله رضي الله عنه: «أَنَا وَأَتَقِياءُ أُمْتِي بُرَاءُ مِنَ التَّكَلُّفِ» يعني من الرياء.

روى أنس رضي الله عنه أن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه رأى شيخاً يهادى (أي: يقام) بين ابنته، فقال: «ما بال هذا؟» قالوا: نذر أن يمشي. قال: «إِنَّ اللَّهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ» وَأَمْرَهُ أَنْ يرْكَبَ. متفق عليه.

وكان رسول الله ﷺ في سَرَّ فَرَأَى رَجُلًا قد اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَقَدْ ظَلَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا لَهُ؟» قَالُوا: رَجُلٌ صَائِمٌ. فَقَالَ ﷺ: «لَيْسَ مِنَ الْبَرِّ أَنْ تَصُومُوا فِي السَّفَرِ». متفق عليه.

فاعتبر النبي ﷺ ذلك تكليفاً، وتحمل الأمر بمشقة لا يجب على العبد؛ فقد قال ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ فَهُرِمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ». متفق عليه.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: يا أيها الناس، من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم. فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم. فإن الله يعْلَمُ قال لنبيكم ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَنِيهِ مِنْ أَخْرِ وَمَا أَنَا مِنْ أَنْتَكُلْفِينَ﴾ [٦٧] [ص: ٨٦].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في وصفبني إسرائيل لما طلب منهم موسى رضي الله عنه أن يذبحوا بقرة: لو أخذوا أدنى بقرة لاكتفوا بها، ولكنهم شدّدوا فشدّد عليهم.

وقال البخاري : باب: مدح النبي ﷺ صاحب الحكمة حين يقضي بها ويعلمها ولا يتتكلّف من قبله، ومشاورة الخلفاء وسؤالهم أهل العلم.

وقال ابن عقيل : قال لي رجل: أَنْغَمَسَ فِي الْمَاءِ مَرَارًا كثِيرًا وَأَشْكَ هَلْ صَحُّ لِي الغسل أَمْ لَا؟ فَمَا ترَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَلَّتْ لَهُ اذْهَبْ فَقَدْ سَقَطَتْ عَنْكَ الصَّلَاةَ. قَالَ: كَيْفَ؟ قَلَّتْ: لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «رُفِعَ الْقَلْمَنْ عَنْ ثَلَاثَةِ الْمَجْنُونَ حَتَّى يَفِيقَ، وَالنَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيقِطَ، وَالصَّبِيِّ حَتَّى يَلْعُغَ» [أحمد في «مسند» حديث (٩٤٠)]. وَمَنْ يَنْغَمِسَ فِي الْمَاءِ مَرَارًا وَيُشَكَّ هَلْ أَصَابَهُ الْمَاءُ أَمْ لَا فَهُوَ مَجْنُونٌ.

وقال أيضًا: لا يتعقب (أي: يتشدد) أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز (أي: صعب عليه الأمر) وانقطع (أي: فشل) فيُغلب (أي: لا يستطيع).

وقال أيضًا: الأخذ بالعزيمة في موضع الرخصة تنطع (أي: تشدد)، كمن يترك التيمم عند العجز عن استعمال الماء فيُفضي به استعماله (أي: الماء) إلى حصول الضرر (أي: يتسبب في إيذاء نفسه، خلافاً لمقصود الشرع).

قال ابن المنير : رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل تنطع (أي: تشدد في غير الموضع) في الدين ينقطع (أي: يعجز وتفتر همه).

وليس المراد من هذا منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة، بل المقصود منع الإفراط المؤدي إلى الملل، ومنع المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلى الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبه عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجمعة، أو إلى أن فاته الوقت المختار للصلاة، أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة.

وقيل في الأمثال: لا يكن حبك كَلَفًا (أي: حبًا مبالغًا فيه تصاحبه مشقة على المحبوب) ولا بُعْضُك تَكَلُّفًا (أي: يصاحبه الضرر على المبغض). وقيل: علامه المتتكلّف ثلات: أن يُصارع من فوقه في القَدْر (أي: المقام والرتبة) ويطلب ما لا ينال، ويقول ما لا يعلم. والتتكلّف أقرب للرياء منه إلى الحق، وقد يؤدي إلى إحباط عمل صاحبه؛ فيصبح هباءً مثوراً.

\* \* \*

### ٣٠٢- باب تحرير النياحة على الميت

#### ولطم الخد وشق الجيب وتنف الشعروحلقه والدعاء بالوليل والثبور

(١٦٥٧ / ٣٠٢) عن عمر بن الخطاب رض قال: قال النبي ﷺ: «المَيْتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نَحَى عَلَيْهِ».

وفي رواية: «مَا نَحَى عَلَيْهِ». متفق عليه.

(١٦٥٨ / ٣٠٢) وعن ابن مسعود رض قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْحُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَابَ بَدْعَوَى الْجَاهِلِيَّةِ». متفق عليه.

(١٦٥٩ / ٣٠٢) وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: وَجَعَ أَبُو مُوسَىٰ، فَغَشِيَ عَلَيْهِ، وَرَأَسُهُ فِي حِجْرٍ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ، فَاقْبَلَتْ تَصْبِحُ بِرِّنَّةٍ (أي: صوت) فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُرِدَ عَلَيْهَا شَيْئًا، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: أَنَا بَرِّيٌّ مِمَّنْ بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ الله ﷺ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَرِيءٌ مِنَ الصَّالِقَةِ، وَالحَالِفَةِ، وَالشَّافِةِ. متفق عليه. «الصالقة»: الَّتِي تَرْفَعُ صَوْتَهَا بِالْنِيَاحَةِ وَالنَّدْبِ. و«الحالفة»: الَّتِي تَحْلُقُ رَأْسَهَا عِنْدَ الْمُصِيَّةِ. و«الشافقة»: الَّتِي تَشْتُقُ تُوبَهَا.

(١٦٦٠ / ٣٠٢) وعن المغيرة بن شعبة رض قال: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ نَحَى عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُعَذَّبُ بِمَا نَحَى عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». متفق عليه.

(٣٠٢ / ١٦٦١) وعن أم عطية سبيحة - بضم النون وفتحها - قال: أخذ عائينا رسول الله ﷺ عند البيعة ألا ننوح . متفق عليه.

(٣٠٢ / ١٦٦٢) وعن التعمان بن بشير رضي الله عنه قال: أغمي على عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، فجعلت اخته تبكي ، وتقول : واجلأه ، واكذا ، واكذا : تعدد عليه . فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً إلا قيل لي أنت كذلك ؟! رواه البخاري .

(٣٠٢ / ١٦٦٣) وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: أشتكى سعد بن عبادة رضي الله عنه شكوى ، فأتاه رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، يعوده مع عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه . فلما دخل عليه ، وجده في غشية ( أي : إغماء ) فقال: «أقضى ؟ ( أي : هل مات ؟ ) ». قالوا: لا يا رسول الله . فبكى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، فلما رأى القوم بكم النبى صلوات الله عليه وآله وسلامه بكوا ، قال: «الآ سمعون ؟ إن الله لا يعذب بدموع العين ، ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهدا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم ». متفق عليه .

(٣٠٢ / ١٦٦٤) وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «النائحة إذا لم تُتب قبل موتها تُقام يوم القيمة وعلیها سربال ( أي : قميص أو ثوب ) من قطران ، وذرع ( أي : هو ما كان لاصقاً بالبدن ) من جريب ». رواه مسلم .

(٣٠٢ / ١٦٦٥) وعن أبي سعيد بن أبي سعيد التابعي رضي الله عنه، عن امرأة من المبايعات ، قال: كان فيما أخذ علينا رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، في المعروف الذي أخذ علينا، ألا تعصيه فيه: ألا تخمس وجهها، وألا ندعه ويلًا، وألا نشق جيماً، وألا ننشر شعراً . رواه أبو داود بإسناد حسن .

(٣٠٢ / ١٦٦٦) وعن أبي موسى رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «ما من ميت يموت فيقوم باكيهم ف يقول : واجلأه ، واسيدأه ، أو نحو ذلك إلا و كل به ملكان يلهمزانه : أهكذا كنت ؟ ». رواه الترمذى ، وقال: « الحديث حسن ». **اللَّهُمَّ الدَّفْعُ بِجُمِيعِ الْيَدِ فِي الصَّدِّ**.

(٣٠٢ / ١٦٦٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «اشتأن في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب ، والنياحة على الميت ». رواه مسلم . ( أي : ويقصد بهذا الكفر الأصغر الذي يستحق صاحبه العذاب إن بقي على ذلك دون توبة ، ولكن لا يخلد في النار ).

### ٣٠٣ - باب النهي عن إتيان الكهان والمنجمين والعرفاء

#### وأصحاب الرمل والطوارق بالحصى وبالشعر ونحو ذلك

(٣٠٣ / ١٦٦٨) عن عائشة رضي الله عنها قالت: سأله رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وبركاته وغسله أناساً عن الكهان، فقال: «لَيُسْوَا بِشَيْءٍ». فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدثونا أحياناً بشيء، فيكونون حقّاً؟ فقال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وبركاته وغسله: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطُفُهَا الْحِنْيُ فَيُقْرِرُهَا فِي أَذْنِ وَلِيٍّ، فَيَخْلِطُونَ مَعَهَا مَائَةً كَذْبَةً». متفق عليه.

وفي رواية للبخاري عن عائشة رضي الله عنها: أنها سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وبركاته وغسله يقول: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزَلُ فِي الْعَنَانِ - وهو السحاب - فَتَذَكَّرُ الْأَمْرُ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَيَسْتَرُّ الشَّيْطَانُ السَّمْعَ، فَيَسْمَعُهُ، فَيُوحِيهُ إِلَى الْكُهَانِ، فَيَكْتُبُونَ مَعَهَا مَائَةً كَذْبَةً مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ».

قوله: «فيُقرِّرُهَا» هو بفتح الياء وضم القاف والراء، أي: يُلْقيها. و«العنان» بفتح العين.

(٣٠٣ / ١٦٦٩) وعن صفية بنت أبي عبد الله صلوات الله عليه وسلامه وبركاته وغسله : عن النبي صلوات الله عليه وسلامه وبركاته وغسله قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا». رواه مسلم.

(أي: العراف: هو الذي يزعم معرفة الأمور بمقدمات وأسباب استدل بها).

(٣٠٣ / ١٦٧٠) وعن قيسة بن المخارق رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وبركاته وغسله يقول: «العيافة، والطّير، والطّرق، من الجبّت» (أي: السحر والكهانة). رواه أبو داود بإسناد حسن.

وقال: الطّرق هُو: الرّجُرُ الطّيرُ، وَهُوَ أَنْ يَسِمَّنَ أَوْ يَسْأَمَ بِطِيرَانِهِ، فَإِنْ طَارَ إِلَى جِهَةِ الْيَوْمِينَ تَيَمَّنَ، وَإِنْ طَارَ إِلَى جِهَةِ الْيَسَارِ تَشَاءَمَ. قال أبو داود: «الخط». قال الجوهرى في «الصحاح»: الجبّت كلامٌ تقع على الصنم والكافرين والساخرين ونحو ذلك.

(٣٠٣ / ١٦٧١) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وبركاته وغسله: «مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسْ شُعْبَةً مِنَ السّحْرِ زَادَ مَا رَآدَ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٣٠٣ / ١٦٧٢) وعن معاوية بن الحكم رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله إني حديث عهد بالجهالية، وقد جاء الله تعالى بالإسلام، وإن مِنَّا رجلاً يأتون الكهان؟ قال: «فَلَا تَأْتِهِمْ». قلت: وما رجالي يتطرّبون؟ قال: «ذلِكَ شَيْءٌ يَحْدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلَا يَصُدُّهُمْ». قلت: وما رجال يخطبون؟ قال: «كَانَ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَخْطُطُ، فَمَنْ وَاقَ حَطَّهُ، فَذَاكَ». رواه مسلم.

(١٦٧٣ / ٣٠٣) وعن أبي مسعود البَدْرِي رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَهَىٰ عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ، وَمَهْرِ الْبَغِيِّ (أي: أجرة الرانية)، وَحُلُونَانِ الْكَاهِنِ (أي: هو ما يعطيه من الأجر والرشاوة على كهانته). متفق عليه.

#### ٤- باب النهي عن التطير

فيه الأحاديث السابقة في الباب قبله.

(١٦٧٤ / ٣٠٤) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا عَدُوٌّ وَلَا طَيْرَةٌ، وَيُعْجِبُنِي الْفَالُ». قالوا: وَمَا الْفَالُ؟ قَالَ: «كَلْمَةٌ طَيْبَةٌ». متفق عليه.

(١٦٧٥ / ٣٠٤) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا عَدُوٌّ وَلَا طَيْرَةٌ، وَإِنْ كَانَ الشُّؤُمُ فِي شَيْءٍ فَقِيَ الدَّارِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالْفَرَسِ». متفق عليه.

(١٦٧٦ / ٣٠٤) وعن بُرِيَّةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَتَطَهَّرُ. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٦٧٧ / ٣٠٤) وعن عُروة بن عامر رضي الله عنه قال: ذُكِرَتِ الطَّيْرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: «أَخْسَنُهَا الْفَالُ. وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَيْتَ أَحَدَكُمْ مَا يَكْرُهُ، فَلَيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حُوَّلَ وَلَا قُوَّةٌ إِلَّا بِكَ». حديث صحيح، رواه أبو داود بإسناد صحيح.



#### (التطير)

ومما يروى في هذا الباب: «ثَلَاثٌ لَا يَسْلِمُ مِنْهُنَّ أَحَدٌ: الطَّيْرُ (أي: التشاوم)، وَالظُّنُونُ، وَالْحَسَدُ». قيل: وما المخرج منهـنـ يا رسول الله؟ قال: إِذَا تَطَيَّرْتَ فَلَا تَرْجِعْ (أي: عـما قصدت ولا يصدقـ التـشاومـ)، وَإِذَا ظَنَّتْ فَلَا تُحَقِّقْ (أـيـ: تحـكمـ بـظـنـكـ فـيـ الـوـاقـعـ)، وَإِذَا حَسَدَتْ فَلَا تَبْغِ (أـيـ: إذا وجدـتـ فـيـ قـلـبـ حـسـداـ وـيـغـضـاـ لـأـحـدـ فـلـاـ تـعـمـلـ بـهـ). ابن عبد البر في «التمهيد» (٦ / ١٢٥).

والتطير هو التشاوم من طير أو حيوان أو شيء كاتناً ما كان. وأصل التطير أنهـ كانواـ في الجاهلية يعتمدون علىـ الطـيرـ فيـ حـيـاتـهـمـ، فإذا خـرـجـ أحـدـهـ لأـمـرـ ماـ فإـنهـ يتـبعـ حـرـكةـ الطـائـرـ؛ فإنـ رـأـيـ الطـيرـ يـطـيرـ يـمـيـنـ بـهـ وـاستـمـرـ فيـ حـالـهـ، وإنـ رـأـهـ يـطـيرـ يـسـارـاـ تـشـاءـمـ وـرـجـعـ.

والتطير كما يقول ابن القيم : إنـماـ يـضـرـ مـنـ أـشـفـقـ مـنـ وـخـافـ، وأـمـاـ مـنـ لـمـ يـيـالـ بـهـ ولمـ يـعـبـاـ بـهـ شـيـئـاـ لـمـ يـضـرـ الـبـتـةـ، وـلاـ سـيـماـ إـذـاـ قـالـ عـنـ رـؤـيـةـ شـيـئـ يـتـطـيرـ مـنـ الـنـاسـ: اللـهـمـ لـاـ طـيـرـ إـلـاـ طـيـرـكـ، وـلـاـ خـيـرـ إـلـاـ خـيـرـكـ، وـلـاـ إـلـهـ غـيـرـكـ، اللـهـمـ لـاـ يـأـتـيـ بـالـحـسـنـاتـ إـلـاـ أـنـتـ، وـلـاـ

يذهب بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك.

والطيرة باب من أبواب الشرك، والشيطان يفسد على العبد بوسوسته دينه وينكد عليه عيشه، فالمتطير متعب القلب، متذكر الصدر، كاسيف البال، سيء الخلق، يتخوف من كل ما يراه ويسمعه؛ فيصير أشد الناس وجلاً، وأنكدهم عيشاً، وأضيقهم صدراً، وأخوفهم قلباً، وكم صرف نفسه بذلك عن حظوظها، ومنعها من رزق أو فائدة.

وقال رسول الله ﷺ: **«الطَّيْرُ شِرُّكُ، وَمَا مِنَ إِلَّا** (أي: إلا ويخطر له شيء من الشائم)، **وَلَكِنَّ اللَّهَ يُدْهِبُ بِالْتَّوْكِلِ**. أحمد في «مسند» (١١/ ٣٨٩) برقم (٣٦٨٧)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

وقال العلماء في الحديث: إن كلاً ممناً قد وقع في قلبه شيء من ذلك، ولكن الله تعالى يذهب ذلك عن قلب كل من يتوكل على الله.

وقال البخاري : إن قوله: «وَمَا مِنَ إِلَّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُدْهِبُ بِالْتَّوْكِلِ» هذا من قول ابن مسعود، والله أعلم.

وعموماً فترك السفر لأجل الطيرة من الكبائر، وينبغي لمن أصابه التطير أن يصرف نفسه عن دواعي الوسوسه الشيطانية، ولا يجعل له سلطاناً عليه في نقض عزائم وحركته في الحياة. ويعلم أن قضاء الله نافذ، وأمره غالب، وأن رزقه له طالب، والحركة سبب للحياة والرزق، ولا يعتقد أن خوار بقرة أو نعيب غراب يرد قضاء الله أبداً، فليمض على بركة الله واثقاً به ومتوكلاً عليه.

قال رسول الله ﷺ: **«الطَّيْرُ تَجْرِي بِقَدَرٍ**». وكان يعجبه الفأل الحسن. أحمد في «مسند» (أي: ٦/ ١٢٩) برقم (أي: ٢٥٠٢٦)، حسنة الألباني (أي: صحيح الجامع الصغير) حديث (أي: ٣٩٥٩).

وروى عن قبيصة مروعاً: **«العيافة** (أي: وهي تسييج الطير ليطير ويتفاءل به) **وَالطَّيْرُ وَالطَّرْقُ** (أي: الخط في الرمل لمعرفة الغيب) **مِنَ الْجِبْتِ**. أحمد في «مسند» (٥/ ٦٠) برقم (٢٠٦٢٣).

وقال رسول الله ﷺ: **«لَا طَيْرَةً، وَخَيْرُهَا الْفَالُ**». قالوا: وما الفأل؟ قال: **«الْكَلِمةُ الصَّالِحةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ**». متفق عليه.

قال عكرمة: كنا جلوساً عند ابن عباس رض فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير، خير. فقال له ابن عباس: لا خير ولا شر. أراد الإنكار عليه لثلا يعتقد أن له تأثيراً في الخير أو الشر.

وخرج طاووس مع صاحب له في سفر فصاح غراب؛ فقال الرجل: خير. فقال طاووس: وأي خير عنده، والله لا تصحبني.

والتطير ينافي الإيمان الصحيح، ويضاد التوكل، ولا يدفع مكروره، ولا يجلب محبوباً، وهو دليل على اضطراب النفس، وقلة الفهم والعقل، وكأنه دعوة للكفر بقضاء الله وقدره.

\* \* \*

### ٣٠٥ - باب تحرير تصوير الحيوان في بساط أو حجر

**أو ثوب أو درهم أو مخدة أو دينار أو وسادة وغير ذلك، وتحريم اتخاذ الصورة في حائط وسقف وسترو عمامة وثوب ونحوها والأمر بإتلاف الصور**

(٣٠٥) عن ابن عمر رض : أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّورَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا حَلَقْتُمْ». متفق عليه.

(٣٠٥) وعن عائشة رض قالت: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَفَرِهِ، وَقَدْ سَرَّتْ سَهْوَةً لِي بِقِرَامِ فِيهِ تَمَاثِيلٍ، فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَوَّنَ وَجْهُهُ، وَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَشَدُ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ!». قَالَتْ: فَقَطَّعْنَاهُ فَجَعَلْنَا مِنْهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ. متفق عليه. **«القرام»** بكسر القراءة، هو: **السترة**. و**«السهوة»** بفتح السين المهملة، وهي: الصفة تكون **يُنَيَّدِي الْبَيْتَ**، وقيل: هي الطلاق التافد في الحائط.

(٣٠٥) وعن ابن عباس رض قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوَّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ كُلُّ صُورَةٍ صَوْرَهَا نَفْسٌ، فَيُعَذَّبُ فِي جَهَنَّمَ». قَالَ ابن عباس: إِنْ كُنْتَ لَابْدَ فَاعِلاً، فَاصْنِعْ الشَّجَرَ وَمَا لَا رُوحَ فِيهِ. متفق عليه.

(٣٠٥) وعنه قال: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ صَوَرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلَّفَ أَنْ يَفْتَحَ فِيهَا الرُّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ». متفق عليه.

(٣٠٥) وعن ابن مسعود رض قال: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوَّرُونَ». متفق عليه.

(٣٠٥) وعن أبي هريرة رض قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخْلُقِي؟ فَلَيُخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيُخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيُخْلُقُوا شَعِيرَةً». متفق عليه.

(١٦٨٤) / ٣٠٥) وعن أبي طلحة رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام قَالَ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةً». متفق عليه.

(١٦٨٥) / ٣٠٥) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: وَعَدَ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام جَبْرِيلُ أَنْ يَأْتِيهِ، فَرَأَتِ الْمَلَائِكَةَ حَتَّى اشْتَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام، فَخَرَجَ فَلَقِيَهُ جَبْرِيلُ فَشَكَّا إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةً. رواه البخاري. (رات): أَبْطَأً، وهو بالثاء المثلثة.

(١٦٨٦) / ٣٠٥) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: واعدا رسول الله صلوات الله عليه وسلام، جبريل صلوات الله عليه وسلام، في سَاعَةٍ أَنْ يَأْتِيهِ، فَجَاءَتِ تِلْكَ السَّاعَةَ وَلَمْ يَأْتِهِ! قَالَتْ: وَكَانَ بِيَدِهِ عَصَماً، فَطَرَ حَمَّا مِنْ يَدِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «مَا يُحِلُّ لِلَّهُ وَعْدُهُ وَلَا رُسُلُهُ». ثُمَّ التَّفَتَ، فَإِذَا جِرْوُ كَلْبٌ (أي: كلب صغير) تَحْتَ سَرِيرِهِ. فَقَالَ: «مَتَى دَخَلَ هَذَا الْكَلْبُ؟». فَقَلَّتْ: وَاللَّهِ مَا دَرِيْتُ بِهِ. فَأَمَرَ بِهِ فَأَخْرَجَ، فَجَاءَهُ جَبْرِيلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام: «وَعَدْتَنِي، فَجَلَسْتُ لَكَ وَلَمْ تَأْتِنِي». فَقَالَ: مَنْعَنِي الْكَلْبُ الَّذِي كَانَ فِي بَيْتِكَ، إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةً. رواه مسلم.

(١٦٨٧) / ٣٠٥) وعن أبي الهِيَاج حَيَّانَ بْنَ حُصَيْنٍ، قال: قال لي عَلَيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: أَلَا أَعْثُكَ عَلَى مَا بَعْثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام? أَلَا تَدْعُ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرَفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ. رواه مسلم.

### ٣٠٦- باب تحريم اتخاذ الكلب إلا لصيد أو ماشية أو زرع

(١٦٨٨) / ٣٠٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتْ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام يقول: «مَنْ اقْتَنَى كَلْبًا إِلَّا كَلْبَ صَيْدٍ أَوْ مَاشِيَةٍ فَإِنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطًا». متفق عليه. وفي رواية: «قِيرَاطٌ».

(١٦٨٩) / ٣٠٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «مَنْ أَمْسَكَ كَلْبًا، فَإِنَّهُ يَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ عَمَلِهِ قِيرَاطٌ إِلَّا كَلْبَ حَرْثٍ أَوْ مَاشِيَةً». متفق عليه. وفي رواية لمسلم: «مَنْ اقْتَنَى كَلْبًا لَيْسَ بِكَلْبٍ صَيْدٍ، وَلَا مَاشِيَةً وَلَا أَرْضٍ، فَإِنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ قِيرَاطًا كُلَّ يَوْمٍ».

### ٣٠٧- باب كراهة تعليق الجرس في البعير وغيره من الدواب

#### وكراهيّة استصحاب الكلب والجرس في السفر

(٣٠٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تصحب الملائكة رفقة» (أي: جماعة من الناس) فِيهَا كَلْبٌ أَوْ جَرَسٌ. رواه مسلم.

(٣٠٧) وعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الجرس مزامير الشيطان». رواه مسلم.

### ٣٠٨- باب كراهة ركوب الجلالة

وهي البعير أو الناقة التي تأكل العذرة (أي: الغائط)، فإن أكلت علفا طاهرا فطاب لحمها، زالت الكراهة.

(٣٠٨) وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الجلالة في الإبل أن يركب عليها. رواه أبو داود بإسناد صحيح. (أي: والنهي عن ركوبها إنما هو لخوف أن تكون قد تلطخت أجسادها بالعذرة والنجاسات، فتنقل إلى ثياب المصلين، أو أن عرق الدابة الجلالة قد صار نتنًا ونجسًا، فكره الشرع الكريم ركوبها كراهة تزيه وليس للترحيم، أما إذا غلب على طعامها وعلفها الطهارة عفي عن قليل النجاسات التي تكون مختلطة بها، والعبرة دائمًا للأعم الأغلب، وتصير صالحة للطعام والركوب).

### ٣٠٩- باب النهي عن البصاق في المسجد

#### والامر بإزالته منه إذا وجد فيه والأمر بتنزيه المسجد عن الأقدار

(٣٠٩) عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «البصاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفعها». متفق عليه. والمراد بدفعها إذا كان المسجد ترباً أو رملًا ونحوه، فيواريها تحت ترابه. قال أبو المحاسن الروياني من أصحابنا في كتابه «البحر» وقيل: المراد بدفعها إخراجها من المسجد، أما إذا كان المسجد مبليطاً أو مجصصاً، فذلكها عليه بدماسه أو بغيره كما يفعله كثير من الجهال، فليس ذلك بدفع، بل زيادة في الخطية وتكثير للقدر في المسجد، وعلى من فعل ذلك أن يمسحه بعد ذلك بثوبه أو بيده أو غيره أو بغسله.

(٣٠٩) وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى في جدار القبلة مخططاً، أو بزاقاً، أو نحاماً، فحکمه. متفق عليه.

(٣٠٩) عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله تعالى وقراءة القرآن». أو كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

رواه مسلم.

## ٣١٠- باب كراهة الخصومة في المسجد ورفع الصوت فيه

### ونشد الضالة والبيع والشراء والإجارة ونحوها من المعاملات

**(٣١٠ / ١٦٩٦)** عن أبي هريرة رض: أنَّه سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ يقول: «مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً أَيْ: شَيْئًا ضَائِقًا وَمَفْقُودًا مِنْهُ» فِي الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ: لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبَنْ لِهَذَا». رواه مسلم.

**(٣١٠ / ١٦٩٧)** وعن: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ قال: «إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبْيَعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقُولُوا: لَا أَرْبَحَ اللَّهَ تِبْعَارَتَكَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ ضَالَّةً فَقُولُوا: لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

**(٣١٠ / ١٦٩٨)** وعن بُرْيَةَ رض: أَنَّ رَجُلًا نَشَدَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ: «لَا وَجَدْتُ، إِنَّمَا يُبَيِّنَ الْمَسَاجِدُ لِمَا يُبَيِّنُ لَهُ». رواه مسلم.

**(٣١٠ / ١٦٩٩)** وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رض: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ نَهَى عن الشراء والبيع فِي الْمَسْجِدِ، وَأَنْ تَنْشَدْ فِيهِ ضَالَّةً؛ أَوْ يُنْشَدْ فِيهِ شِعْرً. رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن».

**(٣١٠ / ١٧٠٠)** وعن السائب بن يزيد الصحابي رض قال: كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَحَصَبَنِي **(أَيْ: رَمَانِي بالحصباء)** رَجُلٌ، فَنَظَرَتُ فَإِذَا عُمُرُ بْنُ الْخَطَّابِ رض فَقَالَ: اذْهَبْ فَأَتَنِي بِهَذِينِ، فَجَهَّتُهُ بِهِمَا، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَتَمْتَا؟ فَقَالَا: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، فَقَالَ: لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلْدِ لَا وَجَعْنُكُمَا، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتُكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ! رواه البخارى.

## ٣١١- باب نهي من أكل ثوماً أو بصلأ أو كرااثاً

### أو غيره مما له رائحة كريهة عن دخول المسجد قبل زوال رائحته إلا لضرورة

**(٣١١ / ١٧٠١)** عن ابن عمر رض : أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ قَالَ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ (يعني: الثوم) فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا». متفق عليه. وفي رواية لمسلم: «مساجدنا».

**(٣١١ / ١٧٠٢)** عن أنس رض قال: قال النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا يَقْرَبَنَا، وَلَا يُصَلِّيَنَّ مَعَنَا». متفق عليه.

**(٣١١ / ١٧٠٣)** عن جابر رض قال: قال النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ: «مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَالًا فَلْيَعْتَزِلْنَا، أَوْ فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ، وَالثُّومَ، وَالْكُرَاثَ، فَلَا يَقْرِبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنَازَّلُ مِمَّا يَتَأذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ».

(٤) / ١٧٠٤) وعن عمر بن الخطاب: أَنَّهَ خَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةَ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ مَا أَرَاهُمَا إِلَّا خَيْشَيْنِ: الْبَصَلَ، وَالثُّومَ. لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ إِذَا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ فِي الْمَسْجِدِ أَمْرَ بِهِ، فَأَخْرَجَ إِلَى الْبَقِيعِ، فَمَنْ أَكَلَهُمَا، فَلَيُمِتُهُمَا طَبْخًا (أي: فليتم رائحتهما بالطبخ). رواه مسلم.

### ٣١٢- باب كراهة الاحتباء يوم الجمعة والإمام يخطب

**لأنه يجعل النوم فيفوت استماع الخطبة ويخالف انتقاض الموضوع**

(٥) / ١٧٠٥) عن معاذ بن أنس الجعفري: أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَهَىٰ عَنِ الْحُبُوةِ (أي: ضم الإنسان لرجليه إلى بطنه) يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ. رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن».

### ٣١٣- باب نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة وأراد أن يضحي

**عن أخذ شيء من شعره أو أظفاره حتى يضحي**

(٦) / ١٧٠٦) عن أم سلمة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ كَانَ لَهُ ذِبْحٌ (أي: حيوان يريد ذبحه) يَذْبَحُهُ، فَإِذَا أَهَلَّ هِلَالُ ذِي الْحِجَّةِ، فَلَا يَأْخُذَنَّ مِنْ شَعْرِهِ وَلَا مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا حَتَّى يُضَحِّيَ». رواه مسلم.

### ٣١٤- باب النهي عن الحلف بمخلوق

**كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والأباء والحياة والروح والرأس**

**وحياة السلطان ونعمته السلطان وتربيته فلان والأمانة، وهي من أشدها نهيًا**

(٧) / ١٧٠٧) عن ابن عمر : عن النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا، فَإِنَّهُ حَلِفَ بِاللَّهِ، أَوْ لِيَصُمُّ». متفق عليه.

وفي رواية في الصحيح: «فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفْ إِلَّا بِاللَّهِ، أَوْ لِيَسْكُنْ».

(٨) / ١٧٠٨) وعن عبد الرحمن بن سمرة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا تَحْلِفُوا بِالْطَّوَاغِيِّ، وَلَا بِآبائِكُمْ». رواه مسلم. **«الطَّوَاغِيِّ»**: جَمْعُ طَاغِيَّةٍ، وَهِيَ: الْأَصْنَامُ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «هَذِهِ طَاغِيَّةٌ دُوْسٌ (أي:

لم نقف عليه بهذا اللفظ). أي: **صَنُّوْهُمْ وَمَعْبُودُهُمْ**. وروي في غير مسلم: «بِالْطَّوَاغِيْتِ» جَمْعُ طَاغُوت، وهو الشيطان والصنم.

**(٣١٤ / ١٧٠٩)** وعن بريدة: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَلَّفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا». حديث صحيح، رواه أبو داود بأسناد صحيح.

**(٣١٤ / ١٧١٠)** وعنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَّفَ فَقَالَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِّنَ الْإِسْلَامِ، فَإِنْ كَانَ كَانِدِبًا، فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا، فَلَنْ يُرْجِعَ إِلَى الْإِسْلَامِ سَالِمًا». رواه أبو داود.

**(٣١٤ / ١٧١١)** وعن ابن عمر : أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَا وَالكَّعْبَةِ. فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَا تَحْلِفُ بِغَيْرِ اللَّهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ حَلَّفَ بِغَيْرِ اللَّهِ، فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن». وَفَسَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءَ قَوْلَهُ: «كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» عَلَى التَّغْلِيْظِ، كما روى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الرِّيَاءُ شُرُكٌ». أَخْرَجَهُ ابْنُ ماجَهَ بِرَقْمِ (٣٩٨٩) مِنْ حَدِيثِ معاذِ بْنِ جَبَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

## ٣١٥- باب تغليظ اليمين الكاذبة عمداً

**(٣١٥ / ١٧١٢)** عن ابن مسعود: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَلَّفَ عَلَىٰ مَالٍ أَمْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقِّهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ عَذْبَانُ». قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ ذِلْكُهُ: **إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُكُونَ بِعِهْدِ اللَّهِ وَآتَيْنَاهُمْ ثُمَّ نَأْكِلُهُمْ** إِلَى آخر الآية [آل عمران: ٧٧]. متفق عليه.

**(٣١٥ / ١٧١٣)** وعن أبي أمامة إِيَّاسَ بْنِ ثُعْلَبَةِ الْحَارَثِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ افْتَسَعَ حَقَّ أَمْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ (أَي: بِقَسْمٍ وَحَلْفٍ مِنْهُ)، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهَ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرْكَهِ». رواه مسلم.

**(٣١٥ / ١٧١٤)** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص : عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْكَبَائِرُ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ». رواه البخاري.

وفي رواية لَهُ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْكَبَائِرُ؟ قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ». قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الْيَمِينُ الْغَمُوسُ». قُلْتُ: وَمَا الْيَمِينُ الْغَمُوسُ؟ قَالَ: «الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ أَمْرِئٍ مُسْلِمٍ». يعني **يَمِينٌ هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ**.

## ٣١٦- باب ندب من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها

### أن يفعل ذلك المخلوف عليه ثم يكفر عن يمينه

(٣١٥) عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «وإذا حلفت على يمين، فرأيت غيرها خيراً منها، فأتى الذي هو خير وكفر عن يمينك». متفق عليه.

(٣١٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلام قال: «من حلف على يمين، فرأى غيرها خيراً منها، فليُنكِفْ عن يمينه، وليفعل الذي هو خير». رواه مسلم.

(٣١٧) وعن أبي موسى رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلام قال: «إنَّ شاء الله لا أحلف على يمين، ثم أرى خيراً منها إلا كفرت عن يميني، وأتيت الذي هو خير». متفق عليه.

(٣١٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «لأنَّ يَلْحَ (أي: يصر ويغدو ولو تبين له خطوه) أحذكم في يمينه في أهلِه أتم له عند الله تعالى من أن يعطي كفارته التي فرض الله عَلَيْه». متفق عليه. قوله: «يَلْحَ» بفتح اللام وتشديد الجيم، أي: يتندائي فيها، ولا يكفر. قوله: «أتم» هو بالباء المثلثة، أي: أكثر إنما.

\* \* \*

### (من حلف على يمين ورأى غيرها خيراً منها)

المراد: أن الرجل إذا حلف يميناً تتعلق بأهله أو بغير أهله كما ذكر أهل العلم، بحيث يتضرر المخلوف عليه من ذلك ومن عدم رجوعه وحيث أنه في الشارع الحكيم يريد منه أن يحيث ويكرر عن يمينه. فإن قال: لا أحيث، بل أتوّزع عن ارتكاب الحنث خشية الوقوع في الإثم. فهو مخطئ بهذا القول، بل إن استمراره على عدم الحنث وإقامة الضرر على من حلف عليه، أكثر إنما من الحنث. حيث جعل الله عرضة ليمينه، أي مانعاً من تنفيذ الخير، حيث يعتبر عند ذلك أن الحنث في اليمين عند الله أفضل من التمادي والتعلق بحلفه.

\* \* \*

## ٣١٧- باب العفو عن لغو اليمين وأنه لا كفارة فيه

وهو ما يجري على اللسان بغير قصد اليمين  
كتوله على العادة: لا والله، وبلى والله، ونحو ذلك

قال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرُهُمْ بِإِطْعَامِ عَشَرَةِ مَسَدِكَيْنِ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِكُمْ أَوْ كَسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقْبَةِ قَنْ آمِنَّهُمْ فَصَيَّامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَقْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

(٣١٧ / ١٧١٩) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أُنِرِّلتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ في قول الرجل: لا والله، وبلى والله. رواه البخاري.

## ٣١٨- باب كراهة الحلف في البيع وإن كان صادقاً

(٣١٨ / ١٧٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «الحلف مفقة للسلعة» (أي: مظنة وسبب لرواجها في ظن الحالف)، ممحقة للكسب (أي: سبب لذهب بركة المكسب). متفق عليه.

(٣١٨ / ١٧٢١) وعن أبي قتادة رضي الله عنه: أَنَّه سمعَ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةُ الْحَلْفِ فِي الْبَيْعِ؛ فَإِنَّهُ يُنْفِقُ (أي: يُرُوجُ السلعة) ثُمَّ يَمْحُقُ (أي: البركة)». رواه مسلم.

## ٣١٩- باب كراهة أن يسأل الإنسان بوجه الله عجل غير العينة

وكراهة منع من سأل بالله تعالى وتشفع به

(٣١٩ / ١٧٢٢) عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «لَا يُسْأَلُ بِوْجِهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةُ». رواه أبو داود.

(٣١٩ / ١٧٢٣) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ (أي: من توسل بالله في شيء) فَأَعْيُدُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، إِنْ لَمْ تَحِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ؛ فَادْعُوا اللَّهَ حَتَّى تَرُوا أَنْكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ». حديث صحيح رواه أبو داود والنسائي بأسانيد الصحيحين.

## ٣٢٠- باب تحرير قول: شاهنشاه للسلطان وغيره

**لأن معناه ملك الملوك ولا يوصف بذلك غير الله**

(٣٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلام قال: «إِنَّ أَخْنَعَ (أي: أُفْجِرَ، وقيل: أَقْبَحَ)، وقيل: أَكْذَبَ) اسْمٌ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسْمَى مَلِكُ الْأَمْلَاكِ». متفق عليه. قال سفيان بن عيينة: «مَلِكُ الْأَمْلَاكِ» مِثْلٌ: **شاهنشاه**.

## ٣٢١- باب النهي عن مخاطبة الفاسق والمتبدع ونحوهما بسيد ونحوه

(٣٢١) عن بريئ رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُونُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطُتُمْ (أي: أَغْضَبْتُمْ) رَبِّكُمْ رَبِّكُمْ». رواه أبو داود بإسناد صحيح. (أي: كره الشارع الحكيم أن نطلق على منافق معلوم النفاق إجماعاً سيداً، لثلا يكون تشريفاً وتعظيماً له، حيث إن مكانه هنا في السيادة قد يورطنا ويوجب علينا طاعته فيما قد يعصي الله فيه، وذلك مما يغضب الله تبارك وتعالى).

## ٣٢٢- باب كراهة سب الحمى

(٣٢٢) عن حابر رضي الله عنه: إنَّ رَسُولَ اللَّهِ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ -أوْ أُمِّ الْمُسَيْبِ- فَقَالَ: «مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ -أوْ يَا أُمَّ الْمُسَيْبِ -تُزَفِّفِينَ؟» قَالَتِ الْحُمَى لَا بَأْرَأَكَ اللَّهُ فِيهَا! فَقَالَ: «لَا تَسْبِي الْحُمَى فِيهَا تُذَهِّبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذَهِّبُ الْكِبِيرُ (أي: الرُّقُوقُ الَّذِي يُنْفَخُ فِي الْحَدَادِ) حَبَّتُ الْحَدِيدَ (أي: وسخه الذي تخرجه النار)». رواه مسلم.

**«تُزَفِّفِينَ** أي: تَسْحَرَكُنَ حَرَكَةً سَرِيعَةً، وَمَعْنَاهُ، تَرْتَدُ، وَهُوَ بِضمِّ التاء وبالزاي المكررة والفاء المكررة، وَرُوِيَ أَيْضًا بِالراء المكررة والقافين.

## ٣٢٣- باب النهي عن سب الريح وبيان ما يقال عند هبوبها

(٣٢٣) عن أبي المندبر أبي بن كعب رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «لَا تُسْبُوا الْرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرُهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الْرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أَمْرَتُ بِهِ. وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الْرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أَمْرَتُ بِهِ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٣٢٤) وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رضي الله عنه: قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلام يَقُولُ: «الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلَا تُسْبُوهَا، وَسَلُوا اللَّهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِدُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا». رواه أبو داود بإسناد حسن. قوله صلوات الله عليه وسلام: «مِنْ رَوْحِ اللَّهِ» هو بفتح الراء، أي: رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ.

(٣٢٣ / ١٧٢٩) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلوات الله عليه إذا عصقت الرّيح قال: «اللّهُمَّ إِنِّي أَسأّلُكَ حَيْرَهَا وَحَيْرَ مَا فِيهَا وَحَيْرَ مَا أُرْسَلْتُ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسَلَتُ بِهِ». رواه مسلم.

### ٣٢٤- باب كراهة سب الدين

(٣٢٤ / ١٧٣٠) عن زيد بن خالد الجهمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «لَا تُسْبِوا الدِّيَكَ؛ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

### ٣٢٥- باب النهي عن قول الإنسان: مطرنا بنوء كذا

(٣٢٥ / ١٧٣١) عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صلّى بنا رسول الله صلوات الله عليه صلاة الصّبح بالحديّة في أكثر سماءٍ كانت من الليل، فلما انصرفَ أقبلَ على الناسِ، فقال: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قالوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مِنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ». متفق عليه. والسماء هنا: المطر

### ٣٢٦- باب تحريم قوله لمسلم: يا كافر

(٣٢٦ / ١٧٣٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَأَءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ». متفق عليه.

(٣٢٦ / ١٧٣٣) وعن أبي ذر رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله صلوات الله عليه يقول: «مَنْ دَعَا رَجُلًا بالكفر، أو قال: عَدُوَ الله، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ». متفق عليه. حَارَ: رَجَعَ

\* \* \*

### (الكفر)

الكفر ضد الإيمان؛ لأن الكفر معناه الستر، فمن ستر شيئاً أو أخفاه فقد كفر؛ ولهذا كان الكفر هو ستر الإيمان؛ لقوله تعالى: ﴿وَنَفِيَ وَمَا سَوَّهَا﴾ فَلَمَّا هَمَّا غُبُورُهَا وَتَقَوَّنَهَا ٨ وَذَلِكَ مِنْ ذَكْنَهَا وَذَلِكَ مِنْ دَسَنَهَا ١١ [الشمس: ١٠-٧]، فمن دسّها فقد كفر بالإيمان والتقوى فيها، فصار كافراً للتغطية الحقّ فيها. وكفر ان النعمة هو جحودها أو

سترها أو ترك شكرها، وهو حُسن التعامل معها بما يرضي الله تبارك وتعالى. فكُفر النعمة هو نقيض الشكر، والإنسان الكافر هو المبالغ في كفر النعمة، كما في قوله تعالى: **﴿إِنَّ الْإِنْسَنَ لَكَافُورٌ﴾** [الحج: ٦٦]. والكافر هو المبالغ في اعتقاده الكفر. فالكافر إذن هو الإنكار المتعمد لما جاء به محمد رسول الله ﷺ أو حتى بعض ما جاء به الرسول، أما الكفران ففي سُرّ نعمة المُنْعِمِ وترك شكرها. وأعظم الكفر جحود الوحدانية أو جحود النبوة أو جحود الشريعة، ويُستعمل الكفر أكثر في هذا، أما الكفران فيُستعمل أكثر في جحود النعمة، أما الكافر فهو في كليهما.

**أنواع الكفر:** قسم بعض أهل العلم الكفر إلى أربعة أقسام:

**أولها: كفر الإنكار:** وهو أن يكفر الإنسان بقلبه ولسانه جميعاً، ولا توحيد له أبداً، كما قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** [آل عمران: ٦]. فهم كفروا بتوحيد الله عزوجل.

**الثاني: كفر الجحود:** وهو أن يعرف الإنسان بقلبه ولكن لا يُقرُّ بلسانه، فهذا كافر جاحد، كفر إبليس، وكفر أمية بن أبي الصَّلت الذي كان يقول لقومه: سيأتي في آخر الزمان، وسأكون أنا. فلما علم أن النبي لمحمد بن عبد الله رفض وجحد؛ لقوله تعالى: **﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ هُمْ مَاعَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾** [آل عمران: ٨٩] يعني جحدوا.

**الثالث: كفر المعاندة:** فهو يعرف بقلبه ويُعبّر بلسانه، ولكنه يأبى الانقياد، وذلك مثل من قال في ذلك شعراً، حيث يقول:

من خير أديان البرية دينا	ولقد علمتُ بأن دينَ محمِّدٍ
لو جدتني سمحًا بذاك مُبيِّنا	لولا الملامة أو حذار مسبة

**الرابع: كفر النفاق:** فيكفر بقلبه ولكن يُقرُّ ويُظهر الإسلام بلسانه. يقول ابن القيم : **الكافر نوعان: كفر أكبر وكفر أصغر، فالكافر الأكبر هو الموجب للخلود في النار: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشَرِّكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشَرِّكَ بِاللَّهِ فَقَدِ افْرَجَ إِنَّمَا أَعْظِيمًا﴾** [ النساء: ٤٨]. ومثال الكفر الأصغر حديث المصطفى ﷺ: «أَثْتَانٍ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفُرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنَّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ». مسلم برقم (٦٧).

وقوله: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رَقَابَ بَعْضٍ». متفق عليه.

فإنه يقصد بهذا الكفر الأصغر الذي يستحق صاحبه العذاب إن بقي على ذلك دون توبة، ولكن لا يخلد في النار.

**حكم الكفر:** أما الكفر الأكبر فهو نقض الإيمان، وقد أشار القرآن لحكمه، فقال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَلَمْ عُذْتُمْ عَذْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨]، وهذا مصيرهم في الآخرة، أما معاملتهم في الدنيا فتختلف على تفصيل مذكور في كتب الفقه. وأما الكفر الأصغر فهو كفران النعم.

وذكر ابن الجوزي : الكفر في القرآن على خمسة أوجه:

أولها: الكفر بالتوحيد: كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ هُنَذِرُهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

والثاني: كفران النعمة، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ذُرْفُونَ أَذْرَكُمْ وَأَشْكَرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، أي لا تكفروا بالنعمة فتصبحوا غير شاكرين.

والثالث: التبرؤ، كقوله تعالى: ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِعَضًا وَلَيَعْرِضَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ [آل عمران: ٢٥]، أي يتبرأ بعضكم من بعض.

والرابع: الجحود، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [آل عمران: ٨٩]، فهم يعرفون الحق ولكن جحدوه وأنكروه.

الخامس: التغطية، كقوله تعالى: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِمٍ﴾ [آل عمران: ٢٠] فالزراع حينما يسترون الحبوب في الأرض فهم يكفرون بها، أي يسترونها، فسمواهم القرآن كفاراً.

**الحكم على الناس:** إن الحكم على الناس في الدنيا يكون بحسب ما يظهر لنا، دون أن نُفْسِي سرائرهم، فُيُعتبر في هذا أمران: فمن كان ظاهره الإيمان حُكْمُ له به، ومن كان ظاهره خلاف ذلك حُكْمُ عليه به، والمعتبر في ذلك آخر حياته وخاتمتها.

**فالأول:** أتنا حكم بظاهر الأمر، ولا نظر في الباطن.

فقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاتِنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا، وَأَكَلَ ذِيْحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ دَمَةُ اللَّهِ وَدَمَهُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْرِفُوا اللَّهَ فِي دَمَتِهِ». البخاري برقم (٣٩١). وقال ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُوْمِرْ أَنْ أَنْقَبَ قُلُوبَ النَّاسِ وَلَا أَشْقَّ بُطُونَهُمْ». متفق عليه. ومما يدلّ على أصل قبول الظاهر قوله ﷺ: «إِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصْمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَرَحْسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ». متفق عليه.

وذلك لأن الإيمان الظاهر للناس والذي تُجرى عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان في الباطن حتى نحكم عليه بأحكام أخرى. بل لقد اتفق أئمة السنة على جواز أن نصلِّي خلف المسلم الذي لا نعرف له حال إيمان صحيح، بل يبدو لنا أنه صاحب إيمان وإسلام، فمن قال: لا أصلِّي جمعة إلا خلف من أعرف عقidente في الباطن. فهذا مبتدع مخالف للصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين الأربعـة وغيرهم.

**الثاني:** أن العبرة بختامة حياته ونهاية أمره؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا تُؤْمِنُمُ﴾ [آل عمران: ١٦١]، وقوله تعالى: ﴿كُفَّارُ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٢]، وقوله تعالى: ﴿يَسْتَأْلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَتَأْلِفُ فِيهِ قُلْ قَاتَلْ فِيهِ كَيْرٌ وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَرْ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَأَخْرَجَ أَهْلَهُ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفَتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَرَأُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّى يُرْدُوكُمْ عَنْ دِيْنِكُمْ إِنْ أَسْتَطِعُو وَمَنْ يَرْتَدِ دِمَنَكُمْ عَنْ دِيْنِهِ، فَيَمْتَهِنَ وَهُوَ كَاٰفِرٌ فَأُولَئِكَ حَرَكْتَ أَعْمَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُوكُمْ﴾ [آل عمران: ٢١٧].

وفي الحديث قال النبي ﷺ: «لَا عَلَيْكُمْ أَلَا تَعْجَبُوا بِأَحَدٍ حَتَّى تَنْظُرُوا بِمَا يُخْتَمُ لَهُ».

أحمد في مسنده (١٢٠) برقم (١٢٢٣٥)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيدين.

ونفس الأمر أيضاً أتنا لا نستطيع أن نجزم لإنسانٍ ما بأنه من أهل الجنة إلا بعد موته وخاتمتها، إلا من ورد في حقهم نصٌّ، كالعشرة المبشّرين بالجنة، والله هو علام الغيوب، حيث يقول: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٢١٦].

وقد نهى الشرع الحكيم أن ننسب إلى إنسانٍ بعينه الكفر أو الفسق أو المعصية إلا إذا قامت عليه حجة شرعية قطعية، فقد صح أن النبي ﷺ لعن شارب الخمر دون تعين شخصٍ باسمه [الطبراني في الكبير (٤٥١) برقم (١٣٦٤١)، فهو على وجه الإطلاق،

ولكن لما لعنت بعض الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً رجلاً كان يشرب الخمر كثيراً وينجد فيها كثيراً منها مم النبي ﷺ فقال: (لَا تَلْعُنُوهُ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ). البخاري برقم (٦٧٨٠).

وعلى العموم فمِن عقيدة أهل السنة أن يضع أهل العلم والفقه الضوابط للأحكام الشرعية على الناس، فلا يحكموا بکفر ولا فسق ولا بدعة إلا بعد قيام الحجة وظهورها تحقيقاً للعلم ونفياً للجهل وخطأ التأويل وعدم وجود إكراه.

10 of 10

٣٢٧- باب النهي عن الفحش ونذاء اللسان

(٣٢٧) / ١٧٣٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالظَّعَانِ أي: العياب للناس، وَلَا الْلَّعَانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءُ أي: الذي لا يستحب في فحشه قوله». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

(٣٢٧) / ١٧٣٥) وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ، وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ». رواه الترمذى، وقال: «حديث حسن».

三

(الفحش والبذاءة)

الفحش: هو كل ما ينفر عنه الطبع السليم ويُستنقصه العقل المستقيم.  
وهو أيضاً ما يكرهه الطبع من ردائل الأعمال الظاهرة، وينكره العقل ويستحبه  
الشرع؛ فهو مرفوض من الشرع والعقل والطبع.

ونستطيع أن نقول أيضًا: إن كل شيء تجاوز قدره فهو فاحش، فقد يطلق على البخيل جداً قول الفاحش، وكل أمر لا يكون موافقاً للحق فهو فاحش. والمفترس هو الذي يتكلّف سبّ الناس ويتعمّده، والذي يأتي بالفاحشة المنهيّ عنها.

والفحش كل ما يشتَّد قبحه من الذنوب والمعاصي، وكل ما نهى الله عنه، والزنا  
يسُمِّي فاحشة؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَآ أَنْ يَأْتِنَنِ يُفْحِشَةً مُبِينَ﴾ [النساء: ١٩].

وكل فحشاء ذكرت في القرآن فالمراد منها الزنا إلا في قوله **يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ**

**وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ** ﴿٢٦٨﴾ [البقرة: ٢٦٨]، فإن المراد البخل في إخراج الزكاة.

وقال رسول الله ﷺ: إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتَّقَاهُ فُحْشِيهِ. متفق عليه. ولم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، وكان يقول: إِنَّ مِنْ خَيَارِكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَافًا. متفق عليه.

وأما البداءة فهي أيضاً الفحش والقبح في المنطق، حتى لو كان الكلام صدقاً وليس بكذبٍ، فإذا اجتمع الفحش والقبح مع الكذب فهي الوقاحة، فالبذيء يُعبر عن الأمور المستقبحة بعبارات صريحة بذئبة.

فالوقاحة - وهي ترك الحياة - هي أصل الجهل ومنع الشر في الناس، وكلما اتصف الإنسان بالوقاحة والبداءة كان بعيداً عن الخير قريباً من الشر؛ لأن الحياة هو الحائل بينه وبين الشرور.

وقال ابن حبان : مَنْ ذَهَبَ حَيَاوَهُ ذَهَبَ سُرُورُهُ وَسُعادُتُهُ، وَمَنْ ذَهَبَ سُرُورُهُ هَانَ عَلَى النَّاسِ وَمُقِتَ وَكُرِهَ، وَمَنْ مُقِتَ أُوذِيَ، وَمَنْ أُوذِيَ حَزَنَ، وَمَنْ حَزَنَ فَقَدْ عَقَلَهُ، وَمَنْ أُصِيبَ فِي عَقْلِهِ كَانَ أَكْثَرَ كَلَامَهُ مَحْسُوبًا عَلَيْهِ لَا لَهُ، وَلَا دَوَاءَ لَمَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ، وَلَا حَيَاءَ لَمَنْ لَا وَفَاءَ لَهُ، وَلَا وَفَاءَ لَمَنْ لَا إِخْرَاءَ لَهُ، وَمَنْ قَلَ حَيَاوَهُ صَنَعَ مَا شَاءَ وَقَالَ مَا أَحَبَّ.

وأما أسباب الفحش والبداءة: فهي إما بسبب رغبة الفاحش في إيذاء الآخرين، وإما لتعوده على البداءة والفحش نتيجة مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم؛ لأن عادتهم السب والشتم، وسبب كل ذلك فساد النفس وأخلاقها، ومصدر ذلك الخبث واللؤم.

وعلى كل واحد أن يتلطف في ألفاظه ولا يصرح بالفحش والبداءة، وحتى عند ذكر العيوب التي يستحبها فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح اللفظ.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إِنْ رَجُلًا وَقَعَ فِي أَبِ للعباس (أي: ذكره بسوء أو شتم أو إهانة) كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ (أي: يعني أحد أجداده) فلطممه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لَا تَسْبُوا أَمْوَاتَنَا فَتُؤْذِنُوا أَحْيَاءَنَا. أحمد في مسنده (٣٠٠) برقم (٢٧٣٤).

وقال رسول الله ﷺ: **«الحياءُ، والعيُّ** (أي: السكوت عجزاً عن الرد على فيه إثم) **شُعْبَتَانِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْبَدَاءُ وَالْبَيَانُ** (أي: التصریح الوقح للعیوب) **شُعْبَتَانِ مِنْ شُعْبِ النفاقِ**. أحمد في مسنده (٥/٢٦٩) برقم (٢٢٣٦٦).

وقال رسول الله ﷺ أيضًا: **«الحياءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَدَاءُ مِنَ الْجَهَنَّمِ، وَالْجَهَنَّمُ فِي النَّارِ**. أحمد في مسنده (٢/٥٠١) برقم (١٠٥١٩).

وقال ﷺ: **«إِنَّ الْلَّاعَنِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**. مسلم برقم (٢٥٩٨). وروي أن رجلاً على عهد النبي ﷺ قد لعن الريح لأنها آذته في ردائها، فقال النبي ﷺ: **«لَا تَلْعَنْهَا؛ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَإِنَّ مَنْ لَعَنَ شَيْئاً لَيَسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ**. أبو داود برقم (٤٩٠٨)، صصحه الألباني (تحقيق المشكاة) حديث (٤٨٥١).

وقال رسول الله ﷺ: **«مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ** (أي: صار به معيناً) **وَلَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ**. الترمذى برقم (١٩٧٤)، وقال: حديث حسن غريب.

وقال ﷺ: **«لَا تُسْبِبُوا الدِّيْكَ؛ فَإِنَّهُ يُوْقَظُ لِلصَّلَاةِ**. أحمد في مسنده (٥/١٩٢) برقم (٢١٧٢٣).

وقال ﷺ: **«لَا يَنْبُغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَانًا**. مسلم برقم (٢٥٩٧). وقال ابن عمر رضي الله عنهما: **إِنْ أَبْغَضَ النَّاسَ إِلَى اللَّهِ كُلُّ طَعَانٍ لَعَانِ**.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: **الْأَمْ شَيْءٌ فِي الْمُؤْمِنِ مِنَ الْفُحْشَ**.

وقال الأحنف بن قيس : **أَلَا أَخْبِرْكُمْ بِأَرْدَأِ الدَّاءِ: الْلِّسَانُ الْبَذِيءُ، وَالْخُلُقُ الدُّنْيَاءُ**.

وقال عطاء : في تفسير قوله تعالى: **﴿وَاصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُمْ﴾** [الأيات: ٩٠]: كان في خلقها سوء، وكان في لسانها طول، وهؤلاء بذاء فأصلاح له ذلك منها.

ورأى أبو الدرداء رضي الله عنه امرأة سليطة اللسان فقال: لو كانت هذه خرساء كان خيراً لها.

وقال الفضيل بن عياض : **خَمْسٌ مِنْ عَلَامَاتِ الشَّقَاءِ: الْقَسْوَةُ فِي الْقَلْبِ، وَجَمْدُ الْعَيْنِ، وَقَلَةُ الْحَيَاءِ، وَالرَّغْبَةُ فِي الدِّنِّيَا، وَطُولُ الْأَمْلِ**.

والفاحش البذيء قليل أصحاب الخير، وهو سبب لانتشار وإشاعة الفاحشة في المجتمع، ويؤدي بسانه المسلمين.



## ٣٢٨- باب كراهة التعمير في الكلام والتشدق فيه وتكلف الفصاحة

### واستعمال وحشي اللغة و دقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم

(٣٢٨ / ١٧٣٦) عن ابن مسعود رض: أنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطَّعُونَ» (أي: المتعمق في الشيء المتتكلف للبحث عنه على مذاهب أهل الكلام، الداخل فيما لا يعني، الخائض فيما لا يبلغه عقله)». قَالَهَا ثَلَاثَةً. رواه مسلم. **«المُتَنَطَّعُونَ»**: المبالغون في الأمور (أي: المستشددون تكلفاً فيما لا ينبغي فيه التشدد).

(٣٢٨ / ١٧٣٧) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رض : أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُغْضِبُ الْبَلِيعَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَحَلَّ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَحَلَّ الْبَقَرُّ» . رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن». (أي: إنَّ اللَّهَ يُغْضِبُ مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَظْهُرَ بِمَظْهُرِ الْفَصِيحِ مُتَكَلِّفًا وَمَتَعَاظِمًا عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ؛ لِيَصُلُّ بِذَلِكَ إِلَى تَعْظِيمِ نَفْسِهِ وَتَصْغِيرِ وَتَحْقِيرِ مَنْ حَوْلَهُ مَمْنَ يَسْمَعُونَهُ).

(٣٢٨ / ١٧٣٨) وعن جابر بن عبد الله رض : أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرِبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضِكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدِكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّثَارُونَ وَالْمُتَسَدِّقُونَ وَالْمُتَنَاهِقُونَ» . رواه الترمذى، وقال: « الحديث حسن »، وقد سبق شرحه في باب حُسْنِ الْخُلُقِ. (الثرار: هو كثير الكلام تكلفاً. والمتصدق: المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فمه تقاصحاً وتعظيمًا لكلامه. والمتنهق: هو الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه، ويُغَرِّبُ به تكتراً وارتفاعاً، وإظهاراً للفضيلة على غيره).

## ٣٢٩- باب كراهة قوله : خبثت نفسي

(٣٢٩ / ١٧٣٩) عن عائشة رض: عن النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: حَبَّثْتُ (أي: ضعفت وفترت) نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُولُ: لَفِسْتُ (أي: ضعفت وفترت، ولكن كِرَهَ لفظ الخبر) نَفْسِي». متفق عليه. قال العلماء: معنى **«حَبَّثْتُ»**: غَثْتُ، وهو معنى: **«لَفِسْتُ»**، ولكن كِرَهَ لفظ الخبر.

## ٣٣٠- باب كراهة تسمية العنبر كرماً

(٣٣٠ / ١٧٤٠) عن أبي هريرة رض: قال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُسَمِّوَا الْعِنْبَ الْكَرْمَ، إِنَّ الْكَرْمَ الْمُسِلِمُ». متفق عليه، وهذا لفظ مسلم. وفي رواية: «فَإِنَّمَا الْكَرْمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ».

وفي رواية للبخاري ومسلم: «يَقُولُونَ الْكَرْمُ، إِنَّمَا الْكَرْمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ».

(٣٣٠ / ١٧٤١) وعن وائل بن حجر رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُولُوا: الْكَرْمُ، وَلَكِنْ قُولُوا: الْعَنْبُ، وَالْحَبَّلَةُ» (أي: وهي شجرة العنبر). رواه مسلم. «الْحَبَّلَةُ بفتح الحاء وبالباء، ويقال أيضًا ياسكان الباء. (أي: الكرم والسماء من صفات المؤمن ودليل على نقاء قلبه وشرف صفاته)، وأراد العرب أن يربطوا ذلك الأمر بما كانوا يقدمونه من الخمر المستخرج من العنبر إكراماً لأضيفاهم، فأطلقوا لفظ الكرم على شجرة العنبر، فأراد الشاعر أن يفصل لفظ الكرم عن شجرة العنبر ويرجع التسمية إلى أصلها أنها قلب المؤمن).

### ٣٣١- باب النهي عن وصف محسن المرأة لرجل

#### إلا أن يحتاج إلى ذلك لغرض شرعي كنكاحها ونحوه

(٣٣١ / ١٧٤٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه: قال: رسول الله ﷺ: «لَا تُبَاشِرِ الْمَرْأَةَ، فَصَفَّهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا». متفق عليه. (أي: لا تسمح امرأة لأمرأة أخرى أن ترى منها أو تلمس ما قد يورطها في أن توصف لرجلي آخر كأنه ينظر إليها).

### ٣٣٢- باب كراهة قول الإنسان: اللهم اغفر لي إن شئت

#### بل يجزم بالطلب

(٣٣٢ / ١٧٤٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ». متفق عليه. وفي رواية لمسلم: «ولَكِنْ لِيَعْزِمَ وَلِيَعْظِمَ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَتَعَاظِمُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ».

(٣٣٢ / ١٧٤٤) وعن أنس رضي الله عنه: قال: رسول الله ﷺ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ» (أي: فَلَيَلْجُّ فِي طَبَّهَا)، وَلَا يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ». متفق عليه.

### ٣٣٣- باب كراهة قول: ما شاء الله وشاء فلان

(٣٣٣ / ١٧٤٥) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فَلَانُ». ولَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شَاءَ فَلَانُ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

### ٣٣٤- باب كراهة الحديث بعد العشاء الآخرة

والمراد به الحديث الذي يكون مباحاً في غير هذا الوقت، و فعله وتركه سواء. فاما الحديث المحرّم أو المكروه (أي: مثل الحديث في الغيبة والنسمة والاستماع إلى اللهو والغناء ومشاهدة ما لا يحل مشاهدته) في غير هذا الوقت، فهو في هذا الوقت أشد تحريمًا وكراهة.

وأَمَّا الْحَدِيثُ فِي الْخَيْرِ كَمُذَكَّرِهِ الْعِلْمِ وَحِكَايَاتِ الصَّالِحِينَ، وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالْحَدِيثُ مَعَ الضَّيْفِ، وَمَعَ طَالِبِ حَاجَةٍ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَلَا كَرَاهَةُ فِيهِ، بَلْ هُوَ مُسْتَحْبٌ، وَكَذَا الْحَدِيثُ لِعُذْرٍ وَعَارِضٍ لَا كَرَاهَةُ فِيهِ. وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ عَلَى كُلِّ مَا ذَكَرْتُهُ.

(٣٣٤) / ١٧٤٦ عن أبي بَرْزَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه كَانَ يَكْرُهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا. متفق عليه.

(٣٣٤) / ١٧٤٧ وعن ابن عمر رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ: «أَرَيْتُكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؟ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ لَا يُقْنَى مِمْنَ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ إِلَيْوَمْ أَحَدٌ». متفق عليه.

(٣٣٤) / ١٧٤٨ وعن أنس رضي الله عنه: أَنَّهُمْ انتظروا النَّبِيَّ صلوات الله عليه، فَجَاءُهُمْ قَرِيبًا مِنْ شَطْرِ اللَّيلِ، فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَعْنِي: الْعِشَاءَ- ثُمَّ خَطَبَنَا فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ النَّاسَ قَدْ صَلَوُا ثُمَّ رَقَدُوا، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَرَوُوا فِي صَلَاتِهِ مَا انتَظَرْتُمُ الصَّلَاةَ». رواه البخاري.

### ٣٣٥- باب تحرير امتناع المرأة من فراش زوجها

**إذا دعاها ولم يكن لها عذر شرعاً**

(٣٣٥) / ١٧٤٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاسَتِهِ فَأَبْتَ، فَبَاتَ غَصْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَتَهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ». متفق عليه.

وفي رواية: «حَتَّى تَرْجَعَ».

### ٣٣٦- باب تحرير صوم المرأة تطوعاً وزوجها حاضر إلا بإذنه

(٣٣٦) / ١٧٥٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَرَوْجُهَا شَاهِدٌ (أي: حاضر) إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ». متفق عليه.

### ٣٣٧- باب تحرير رفع المأمور رأسه من الركوع أو السجود قبل الإمام

(٣٣٧) / ١٧٥١ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه قَالَ: «أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ، أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ صُورَتَهُ صُورَةً حِمَارٍ». متفق عليه.

### ٣٣٨- باب كراهة وضع اليد على الخاصرة في الصلاة

(٣٣٨ / ١٧٥٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله صلوات الله عليه وسلام نهى عن الخَصْرِ (أي: وضع اليد على وسط البدن) في الصَّلَاةِ. متفق عليه.

### ٣٣٩- باب كراهة الصلاة بحضره الطعام ونفسه تتوجه إليه

#### أو مع مدافعة الأخثين: وهم البول والغائط

(٣٣٩ / ١٧٥٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلام يقول: «لا صلاة بحضره طعام، ولا هو يدافعه الأخثان» (أي: البول والغائط). رواه مسلم.

(أي: نبه الشارع الحكيم على كراهة الصلاة بحضره الطعام الذي يشهيه، وذلك لاشتغال قلبه به، مما قد يذهب الخشوع من قلبه، كما كره له أن يتکلف المحافظة على الوضوء فيدافع نزول البول والغائط وهم الأخثان، مما قد يذهب كمال خشوعه، إلا إذا ضاق الوقت وخاف خروج وقت الصلاة، فلا يجوز له التأخير ول因地制宜 لصلاته حيتنه).

### ٣٤٠- باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة

(٣٤٠ / ١٧٥٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «ما باعُ أقوامٍ فَعُونَ أَبْصَارُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ!» فاشتدر قوله في ذلك حتى قال: «لَيَنْتَهُنَّ عَنِ ذَلِكَ، أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ!». رواه البخاري.

### ٣٤١- باب كراهة الالتفات في الصلاة لغير عذر

(٣٤١ / ١٧٥٥) عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله صلوات الله عليه وسلام عن الالتفات في الصلاة، فَقَالَ: «هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاتِ الْعَبْدِ». رواه البخاري.

(٣٤١ / ١٧٥٦) وعن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «إِيَّاكَ وَالالْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ الالْتِفَاتَ فِي الصَّلَاةِ هَلْكَةٌ، فَإِنْ كَانَ لَابدَ، فَفِي التَّطَوُّعِ لَا فِي الْفَرِيضَةِ». رواه الترمذى، وقال:

«حديث حسن صحيح».

### ٣٤٢- باب النهي عن الصلاة إلى القبور

(٣٤٢ / ١٧٥٧) عن أبي مَرْئِيْدِ كَنَّاْزِ بْنِ الْحُصَيْنِ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلام يقول: «لا تُصلُّوا إِلَى الْقُبُورِ، وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا». رواه مسلم.

## (الصلاة في المساجد التي بها أضرحة)

أما الصلاة في المساجد التي بها أضرحة، فالمفتي به أن الصلاة في المساجد التي يوجد بها أضرحة الأولياء والصالحين صحيحةً ومشروعة، بل إنها تصل إلى درجة الاستحباب؛ أي: يؤجر عليها المصلي، وذلك بالدليل من الكتاب والسنة وفعل الصحابة وإجماع الأمة الفعلي.

وقد أجمعت الأمة وأقر علماؤها بصلاحة المسلمين سلفاً وخلفاً في مسجد رسول الله ﷺ والمساجد التي بها أضرحةً من غير نكير، وأقرَّ العلماء من لُدن الفقهاء السبع بالمدينة المنورة الذين وافقوا على إدخال الحجرة النبوية الشريفة إلى المسجد النبوي سنة ثمانٍ وثمانين من الهجرة، في زمن ولادة عمر بن عبد العزيز : .

وقد اعرض فقط سعيد بن المسيب : ، لأنَّه كان يريد بقاء حجرات النبي ﷺ كما هي ليرى الناس رُحْده في الحياة وكيف كان يعيش نبيُّنا ﷺ، ولا يرى حرمة الصلاة في المساجد التي بها قبور.

وأما في قوله ﷺ: **«لَعْنَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**، فإنما فسره في حديثه المرفوع عن أبي هريرة رضي الله عنه: **«اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنَا، لَعْنَ اللَّهِ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**. والمعنى: اللهم لا تجعل قبري صنماً أو وثناً يسجد له الناس ويتعبدونه مثل الكعبة المشرفة، كما كان في الأمم السابقة الذين كانوا يسجدون لقبور الأنبيائهم تعظيمًا لهم.

أما من اتخذ مسجداً بجوار قبر صالح، أو صلى تبركاً لا تعظيمًا للقبر، فلا حرج، فالMuslimون يصلون في الكعبة المشرفة وقبر إسماعيل عليه السلام بالحطيم وهو أفضل الصلاة. والمفتى به من دار الإفتاء بمصر أن الصلاة في المساجد التي بها أضرحة الأولياء والصالحين جائزة ومشروعة، بل ومستحبة أيضاً، والقول بتحريمها أو بطلانها قول باطل لا يلتفت إليه ولا يعول عليه. والله أعلى وأعلم.



### ٣٤٣- باب تحرير المرور بين يدي المصلي

(٣٤٣ / ١٧٥٨) عن أبي الجعفَيْمِ عبد الله بن الحارث بن الصّمَّةِ الْأَنْصَارِيِّ رض قال: قال رسول الله ص: «لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ لَكَانَ أَنْ يَقْفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمْرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ». قال الرَّاوِي: لَا أَدْرِي قَالَ: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ سَنَةً. متفق عليه.



#### (سترة صلاة الجمعة)

قال رسول الله ص: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَلَا يَدْعُ أَحَدًا يَمْرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ». قال العلماء: إن ذلك مخصوص بالإمام في الجمعة أو الذي يصلى منفرداً، حيث إن المأموم لا يضره من مر بين يديه، ولا خلاف في هذا بين العلماء.

فالسترة وهي التي توضع أمام المصلّي على مسافة تسمح له بالسجود - مشروعة فقط للذي يصلى منفرداً أو للإمام في الجمعة إن كان يصلى في فراغ قد يمر أمامه الناس. فلا مانع إذاً من المرور بين يدي صفوف المأمومين، بناء على أن ستة الإمام تُعد شرعاً سترة للمأمومين، على أن يكون المرور بين الصفوف عند وجود الحاجة إليه، وأن لا يستطيع أحدهم الوصول إلى مكان الوضوء، أو إلى شيء من متاعه كالنعل وما شابهه، إلا أن يمر بين يدي المصلين، أو ليسد مكاناً خالياً أو فرجة في الصف الذي أمامه، أو غير ذلك. وهذا الضابط حتى لا يشغل المصلين بالحركة بغير حاجة معتبرة. هذا هو المفتقر به من دار الإفتاء بمصر. والله تعالى أعلى وأعلم.



### ٣٤٤- باب كراهة شروع المأموم في نافلة بعد شروع المؤذن

#### في إقامة الصلاة سواء كانت النافلة سنة تلك الصلاة أو غيرها

(٣٤٤ / ١٧٥٩) عن أبي هريرة رض: عن النبي ص قال: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةً إِلَّا المَكْتُوبَةَ (أي: المفروضة وهي الصلوات الخمس)». رواه مسلم.

## ٣٤٥- باب كراهة تخصيص يوم الجمعة بصيام

### أوليته بصلة من بين الليالي

(٣٤٥ / ١٧٦٠) عن أبي هريرة رض: عن النبي صل قال: «لا تُخْصُوا ليلة الجمعة بِصَيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلَا تُخْصُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصَيَامٍ مِنْ بَيْنِ الْأَيَامِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ بِصُومُهُ أَحَدُكُمْ». رواه مسلم.

(٣٤٥ / ١٧٦١) وعنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صل يقول: «لَا يَصُومُنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا يَوْمًا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ». متفق عليه.

(٣٤٥ / ١٧٦٢) وعن محمد بن عباد رض قال: سَأَلْتُ جَابِرًا رض: أَنَّهَا النَّبِيُّ صل عَنْ صَوْمِ الْجُمُعَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ. متفق عليه.

(٣٤٥ / ١٧٦٣) وعن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رض: أَنَّ النَّبِيَّ صل دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهِيَ صَائِمَةُ، فَقَالَ: «أَصْمِتِ أَمْسِ؟» قَالَتْ: لَا، قَالَ: «تُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غَدًا؟» قَالَتْ: لَا. قَالَ: «فَافْطِرِي». رواه البخاري.

## ٣٤٦- باب تحريم الوصال

### في الصوم وهو أن يصوم يومين أو أكثر ولا يأكل ولا يشرب بينهما

(٣٤٦ / ١٧٦٤) عن أبي هريرة رض وعائشة رض : أَنَّ النَّبِيَّ صل نَهَى عن الوصال (أي: تتابع الصوم من غير إفطار بالليل). متفق عليه.

(٣٤٦ / ١٧٦٥) وعن ابن عمر رض قال: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صل عَنِ الْوِصَالِ. قَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ؟ قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إِنِّي أَطْعُمُ وَأَسْقِي». متفق عليه وهذا الفظ البخاري.

## ٣٤٧- باب تحريم الجلوس على قبر

(٣٤٧ / ١٧٦٦) عن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله صل: «لَأْنَ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُهْرِقَ شِبَابُهُ فَتُخْلَسَ إِلَى حِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ». رواه مسلم.

## ٣٤٨- باب النهي عن تخصيص القبر والبناء عليه

(٣٤٨ / ١٧٦٧) عن جابر رض قال: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صل أَنْ يُجَصَّصَ (أي: يزين ويبني عليه) القبر، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَبْنَى عَلَيْهِ. رواه مسلم.

### ٣٤٩- باب تغليظ تحريم إبقاء العبد من سيده

(٣٤٩ / ١٧٦٨) عن جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا عَبْدٌ أَبَقَ (أي: هرب من سيده)، فَقَدْ بَرَأَتْ مِنْهُ الْذَّمَةُ». رواه مسلم.

(٣٤٩ / ١٧٦٩) وعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَبَقَ الْعَبْدُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةً». رواه مسلم.  
وفي رواية: «فَقَدْ كَفَرَ».

### ٣٥٠- باب تحريم الشفاعة في الحدود

قال الله تعالى: ﴿الرَّانِيَةُ وَالرَّانِيُّ فَأَبْلِدُوا كُلَّ وَجْهٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدٍ وَلَا تَأْخُذُكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَقْبِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النور: ٢].

(٣٥٠ / ١٧٧٠) وعن عائشة رضي الله عنها: أن قريشاً أهملهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: مَنْ يُكَلِّمُ فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ? فقالوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَكَلَمَهُ أَسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِّنْ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى؟!» ثُمَّ قَامَ فاخْتَطَبَ (أي: خطب خطبة بلاغة)، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلُكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقُ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقُ فِيهِمُ الْمُضَعِيفُ، أَقْامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا». متفق عليه.

وفي رواية: فَتَلَوَّنَ (أي: تغير لون وجهه إعظاماً لشفاعة أسماء في حد الله) وجده رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.  
فَقَالَ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِّنْ حُدُودِ اللَّهِ؟!» فَقَالَ أَسَامَةُ: استغفر لي يا رسول الله. قال: ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ فَقُطِعَتْ يَدُهَا.

### ٣٥١- باب النهي عن التغوط في طريق الناس

#### وظفهم وموارد الماء ونحوها

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَؤْذُنُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا أَكَلَتْ سَبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بِهِنَا وَلَمْ يَمْلِئُنَا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

(٣٥١ / ١٧٧١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اتقوا اللآعنين». قالوا: وما اللآعنان؟ قال: «الذِي يَتَخَلَّ (أي: يتغوط أو يقضي حاجته) في طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ في ظِلِّهِمْ». رواه مسلم.

## ٣٥٢- باب النهي عن البول ونحوه في الماء الراكد

(٣٥٢ / ١٧٧٧٢) عن جابر رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ. رواه مسلم.

## ٣٥٣- باب كراهة تفضيل الوالد بعض أولاده على بعض في الهبة

(٣٥٣ / ١٧٧٧٣) عن التعمان بن بشير رضي الله عنه: أَنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي نَحْلُتُ (أي: وهبت) ابْنِي هَذَا عُلَامًا كَانَ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكُلُّ وَلَدِكَ نَحْلَتُهُ مِثْلَ هَذَا؟» فَقَالَ: لَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَرْجِعُهُ». وفي رواية: فأرجعه

وفي رواية: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفَعَلْتَ هَذَا بَوْلَدِكَ كُلَّهُمْ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أُولَادِكُمْ». فَرَجَعَ أَبِي، فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ.

وفي رواية: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا بَشِيرُ، أَلَكَ وَلَدٌ سَوْيَ هَذَا؟» فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «أَكُلُّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَلَا تُشْهِدْنِي إِذَا، فَإِنِّي لَا أَشْهُدُ عَلَى جَوْرٍ».

وفي رواية: «لَا تُشْهِدْنِي عَلَى جَوْرٍ (أي: ظلم)».

وفي رواية: «أَشْهُدُ عَلَى هَذَا غَيْرِي!» ثُمَّ قَالَ: «أَيْسُرُكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟» قال: بَلَى، قال: «فَلَا إِذَا». متفق عليه.

(ينظر في «شرح حقوق الأبناء على الوالدين»، الحق الخامس: العدل بين الأبناء).

## ٣٥٤- باب تحريم إحداد المرأة على ميت فوق ثلاثة أيام

### إلا على زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام

(٣٥٤ / ١٧٧٧٤) عن زينب بنت أبي سلمة رضي الله عنها قالت: دَخَلْتُ عَلَى أُمّ حَيْبَةَ رضي الله عنها، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ تُوْفِيَ أَبُوهَا أَبُو سُفِيَّانَ بْنَ حَرْبٍ رضي الله عنه، فَدَعَتْ بِطِيبٍ فِيهِ صُفْرَةٌ خَلُوقٌ (أي: طيب مخلوط) أَوْ غَيْرِهِ، فَدَهَنَتْ مِنْهُ جَارِيَةً، ثُمَّ مَسَّتْ بِعَارِضِيَّهَا، ثُمَّ قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ، غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحَدَّ (أي: تترك التربين) عَلَى مَيْتٍ فَوْقَ ثَلَاثَ لَيَالٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا». قالت زينب: ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى زَينَبَ بْنِتِ جَحْشٍ رضي الله عنها حِينَ تُوْفِيَ

أَخْوَهَا، فَدَعَتْ بِطِيبٍ فَمَسَّتْ مِنْهُ ثُمَّ قَالَتْ: أَمَا وَاللَّهِ مَا لَيْ بِالْطِيبِ مِنْ حَاجَةٍ، غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيْتَ فَوْقَ ثَلَاثٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا». متفق عليه.

### ٣٥٥ - باب تحرير بيع الحاضر للبادي وتلقي الركبان والبيع على بيع أخيه والخطبة على خطبته إلا أن يأذن أو يرد

(٣٥٥ / ١٧٧٥) عن أنس بن الخطاب قال: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبْيَعَ حَاضِرٌ (أي: إنسان من أهل البلد) لِبَادٍ (أي: إنسان من البادية) وإنْ كَانَ أَخَاهُ لَأَيْهِ وَأَمْهِ. متفق عليه.

(٣٥٥ / ١٧٧٦) وعن ابن عمر قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَتَلَقَّوْا السَّلَعَ حَتَّى يُهَبَطَ إِلَيْهَا إِلَى الْأَسْوَاقِ». متفق عليه.

(٣٥٥ / ١٧٧٧) وعن ابن عباس قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَتَلَقَّوْا الرُّكْبَانَ، وَلَا يَبْيَعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ». فقال له طاووس ما قوله: لا يَبْيَعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ؟ قال: لَا يَكُونُ لَهُ سِمْسَارًا (أي: من يتولى البيع والشراء لغيره). متفق عليه.

(٣٥٥ / ١٧٧٨) وعن أبي هريرة قال: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبْيَعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَلَا تَنَاجِشُوا، وَلَا يَبْيَعَ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلَا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، وَلَا تَسْأَلُ الْمَرْأَةَ طَلاقَ أُخْتِهَا لِتَكْفَأَ مَا فِي إِنَاءِهَا (أي: لتنفرد به وحدها).

وفي روايةٍ قال: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ التَّلَقِيِّ، وَأَنْ يَتَنَاجَعَ الْمُهَاجِرُ لِلْأَعْرَابِيِّ، وَأَنْ تَشْتَرِطِ الْمَرْأَةُ طَلاقَ أُخْتِهَا، وَأَنْ يَسْتَأْمِ الرَّجُلُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ، وَنَهَى عَنِ النَّجَشِ وَالتَّصْرِيَّةِ (أي: جمع اللبن في الضرع حتى يعظم فيُخدع المشتري بكثرة اللبن). متفق عليه.

(٣٥٥ / ١٧٧٩) وعن ابن عمر : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَبْيَعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَلَا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَهُ». متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

(٣٥٥ / ١٧٨٠) وعن عقبة بن عامر : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، فَلَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَتَنَاجَعَ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ وَلَا يَخْطُبَ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَذَرَ (أي: يدع أو يترك) ». رواه مسلم.

## ٣٥٦- باب النهي عن إضاعة المال في غير وجهه التي أذن الشرع فيها

(٣٥٦ / ١٧٨١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْضِي لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا: فَيَرْضِي لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ». رواه مسلم، وتقديم شرحه.

(٣٥٦ / ١٧٨٢) وعن وراد كاتب المغيرة، قال: أَمَّا عَلَيَّ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فِي كِتَابِ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وسلام كَانَ يَقُولُ فِي دُبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطَى لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدْدِ (أي: الحظ والغنى والعظمة والسلطان) مِنْكَ الْجَدْدُ». وَكَتَبَ إِلَيْهِ: أَنَّهُ كَانَ يَنْهَا عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَكَانَ يَنْهَا عَنْ عُقُوقِ الْأُمَّهَاتِ، وَوَادِ الْبَنَاتِ، وَمَنْعِ وَهَاتِ. متفق عليه، وسبق شرحه.

\* \* \*

### (الإسراف)

الإسراف أو السرف: هو تجاوز الحد المعتبر شرعاً وعقلاً في كل نفقة أو فعل يفعله الإنسان، سواء في الكم أو الكيف، فما تم إنفاقه أو صُنعته في غير مصلحة البشر ومعاكساً لطاعة الله فهو إسراف، حتى وإن كان يبذلو قليلاً؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَعَبَّدُ إِلَيْنَاهُ كُلُّ مَنْ يَنْهَا عَنْ أَنْفُسِهِ﴾ [آل عمران: ٥٣].

والمسرف هو الذي غفل عن الحق والحد الواجب في النفقة أو الفعل، فهو إما أن يتجاوزه ويزيد على ما يجب ويعتبر، أو يقصر عنه وقد تجاوز القصد المطلوب. فالسرف أيضاً هو الإغفال والخطأ، ومن تعدى حدود الله سُمي مُسِرِّفاً؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمُسَرِّفِينَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [غافر: ٤٣].

والمسرف هو أيضاً الذي ينفق المال الكثير في شيء خسيس لا يستحق، كما يقال عن الذي يأكل مما لا يحل له أو يأكل مما يحل له ولكن فوق حد الاعتدال ومقدار الحاجة: إنه رجل مسرف. فمن تجاوز في النفقة أو الاستهلاك في الكم وجهل مقدار الحقوق

المعتبرة فيها فهو مسرف أيضاً؛ لأنَّه ابتعد عن الحدّ وجاؤه.

**مظاهر الإِسْرَاف:** الإنفاق عموماً نوعان: ممدوح ومذموم.

أما الإنفاق الممدوح: فهو ما امتدحه العقلاء والصالحون من الناس في كل زمان ومكان، وقد أوجبت الشريعة بذله في محله الضروري والمعتبر، كالنفقة على الأهل والعيال، وإخراج الزكوات والصدقات على الفقراء والمساكين والأرامل واليتامى، وعلى كل ما ينفع الناس عموماً من منشآت تصلح بها الحياة وتتفع صاحبها عند لقاء الله تعالى. فمن أنفق في مثل هذا مالاً كثيراً في موضعه المعتبر لم يُسمَّ مسرفاً ولا مبذراً.

وأما الإنفاق المذموم: فهو نوعان:

أولهما: الإِفْرَاطُ بِتَبْذِيرٍ وَإِسْرَافٍ، حيث يعطي وينفق أكثر مما يجب أو يتحمل الأمر الحال، أو في غير الموضع المطلوب والمعتبر.

فمن أعطى شخصاً فاجراً شيئاً بسيطاً ليشتري به خمراً أو مخدراً أو ما شابه ذلك، فهو عند الله مسرف. وقد قيل لبعضهم: متى يكون بذل القليل إِسْرَافاً مذموماً؟ ويكون بذل الكثير اقتصاداً محموداً؟ قال: إذا أنفق القليل في باطل وضرر على الناس فيكون مذموماً، وإذا أنفق الكثير في الحق ومنفعة الناس صار اقتصاداً ومموداً.

والثاني: هو التفريط، وهو الإمساك والتقتير والبخل، إما في الكيف أو في الكم.

والإِسْرَافُ لا يتعلّق بالمال وحده، بل بكل شيءٍ وُضع في غير موضعه اللائق به؛ فقد وصف الله تعالى قوماً لوطاً و معصيتهم بقوله تعالى: ﴿إِيَّاكُمْ لَتَأْتُرُوا لِرَجَالَ شَهْوَةٍ مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ [النمل: ٥٥]، وكان الأمر لا يتعلّق بالمال، وإنما يتعلّق بالفعل المنافي للشرع والفطرة، ووصف فرعون وظلمه وجبروته فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْسُّرْفِ فِي الدُّخَانِ﴾ [الدخان: ٣١].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال: إني فقير ليس لي شيءٍ، ولدي يتيم؟ قال: «كُلْ مِنْ مَالِ يَتِيمٍ كَعَيْرَ مُسْرِفٍ وَلَا مُبَذِّرٍ وَلَا مُتَأْثِلٍ» [أحمد في مسنده (٢/ ٢١٥) حديث (٧٠٢٢)]. متأثر؛ أي: جامعٌ للمال مُدَخِّرٌ له.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَخْرِقُونِي ثُمَّ أَطْحَنُونِي ثُمَّ ذَرُونِي فِي الرَّبِيعِ، فَوَاللهِ لَيْسَ

قدَرَ عَلَيْ رَبِّي لِيَعْذِنَنِي عَذَابًا مَا عَذَبَهُ أَحَدًا. فَلَمَّا ماتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، قَأْمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ. فَقَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبَّ، خَشِينِكَ. فَغَرَّ لَهُ». متفق عليه بنحوه.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُوا وَاشْرُبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبُسُوا في غير إسرافٍ ولا مخيلةٍ (أي: عجب وخيلاء)». أحمد في مسنده (٢٤١) برق (٦٦٩٥).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن قال: «إِيَّاكَ وَالْتَّنَعُّمِ؛ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيَسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ» [أحمد في مسنده (٥/٢٤٤) حديث (٢٢١٧١)]. يقصد به الترف الزائد عن حاجة والضرورة والعرف المعتبر الذي يغضض صاحبه في حب الدنيا وملاذها.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: «وَمَا أَنْفَقْتُ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يَحْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩)» [سبأ: ٣٩]: يعني: في غير إسرافٍ ولا تفتيت.

وقال عطاء بن أبي رباح : في معنى قوله تعالى: «وَمَا أَنْوَحْنَا حَقَّهُمْ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا شَرِيفُوا إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّونَ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)» [الأنعام: ١٤١]: نهوا عن الإسراف في كل شيء.

وقال السدي : في هذه الآية أيضاً: لا تعطوا أموالكم (أي: كلها) فتقعدوا (أي: فتصبروا) فقراء.

وقال ابن كثير : لا تُسرفو في الأكل؛ لما فيه من مضرة العقل والبدن.

قال إيساس بن معاوية : ما جاوزت به أمر الله تعالى فهو سرف.

وقال سفيان : ما أنفقته في غير طاعة الله تعالى فهو سرف وإن كان قليلاً.

قال ابن القيم : إن مجاوزة الحد في كل أمر يضر بمصالح الدنيا والآخرة، بل يفسد البدن أيضاً؛ إذ إنه متى زادت أخلاطه عن حد العدل والوسط ذهب من صحته وقوته بحسب ذلك، وهذا مضطرب أيضاً في الأفعال الطبيعية، كالنوم والشهر، والأكل والشرب... وغير ذلك.

وقال أيضاً : في قوله تعالى: «وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُفْرِطُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا» [الفرقان: ٦٧]

أي: ليسوا بمبذرین في إنفاقهم ويصرفون في غير الحاجة، ولا بخلاط على أهلיהם فيقصرون في حقهم فلا يكتفون، بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أو سلطها، لا هذا ولا هذا.

قال الفيلسوف آبادي : في قوله تعالى: «وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَبُ النَّارِ (٤٣)»

[غافر: ٤٣]: **هم المتتجاوزون في أمرِهم الحدّ.**

**وقال بعض السلف:** جمع الله الطبَّ كُلَّهُ في نصف آية؛ **﴿وَكُلُوا وَاشْرُبُوا وَلَا شُرِيفُوا إِنَّمَا لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾** [الأعراف: ٢١].

### (التبذير)

التبذير: هو إنفاقُ أو تفريقُ المال على وجه الإسراف؛ لأن المُبذِّر إنما يُبذِّر المال ويُفرِّقه بلا وَعْيٍ ولا إِدراكٍ ولا فائدة، وحتى الذي يُبذِّر كلامه بين الناس كَبَدِّرُ الحبوب متفرقَةً في الأرض، فهو لا يستطيع أن يمسك سِرَّه ولا يكتمه عن الناس؛ سُمي بذيرًا لأنَّه قد فرق سره وبَذَرَه على غيره. وفي حديث فاطمة رضي الله عنها عند وفاتها سُمِّي بذيرًا: **قالت عائشة رضي الله عنها: إِنِّي إِذَا لَبَذَرْتُهُ وَقَصَدْتُ إِفْشَاءَ السَّرِّ وَإِظْهَارَ مَا سَمِعَ.**

فالتبذير هو النفقَة في غير وجوه الخير والبر التي يتقرَّب بها إلى الله تعالى. والتبذير أيضًا هو تفريق المال بإسراف، فكُلُّ مَن ضيَّع ماله تفريقاً، وقد تشبَّه بمن ألقى بنوره وحبوبيه من غير أن يعرف مآلها ومكانها، فهو مبذِّر؛ قال مالك : **التبذير هو أخذ المال من حقه ووضعه في غير حقه.**

**وقال الشافعي :** **التبذير هو إنفاق المال في غير حقه... ولا تبذير في عمل الخير.**

### (الفرق بين التبذير والإسراف)

إذا اجتمع الإسرافُ والتبذير في جملةٍ كان لهما نفس المعنى أحياناً، وإن كان الإسراف هو الأعمُّ معنًى. **قال الماوردي :** **التبذير هو الإسراف المتألف للمال.**

**وروى عن الإمام مالك :** **أنه قال: إن التبذير هو الإسراف.** **وقال الكفووي :** **الإسراف هو صرف الشيء فيما لا ينبغي وزيادة على ما ينبغي أيضًا، والتبذير هو صرف الشيء فيما لا ينبغي.**

فالإسراف هو تجاوز في الكميات؛ لجهل الفاعل بمقادير الحقوق، أما التبذير فهو تجاوز في مكان وَضْع الحقوق. والتبذير من المحرمات كما قال الإمام مالك : **لقول**

الله تعالى: **إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِلَّا خَوَنَ الْشَّيَاطِينَ** [الإسراء: ٢٧].

قال القرطبي : مَنْ أَنْفَقَ دِرْهَمًا فِي حِرَامٍ فَهُوَ مُبَدِّرٌ، وَيُحَجَّرُ عَلَيْهِ فِي نَفْقَتِهِ فِي ذَلِكَ الْحِرَامِ، وَلَا يُحَجَّرُ عَلَيْهِ إِنْ بَذَلَهُ فِي الشَّهْوَاتِ، إِلَّا إِذَا خَيْفَ عَلَيْهِ النَّفَادُ.

وكذلك يرى الإمام الماوردي : أَنَّ الْمُبَدِّرَ يُحَجَّرُ عَلَيْهِ؛ لِلآيَةِ السَّابِقَةِ، حِيثُ يَقُولُ: إِنْ مَنْ وَاجَبَ الْإِمَامَ أَوْ الْمَسْؤُلَ عَنِ الْأَمْرِ أَنْ يَمْنَعَهُ مِنَ التَّبْذِيرِ، وَذَلِكَ بِالْحَجَرِ عَلَيْهِ وَالْحِيلَوَةِ بَيْنِهِ وَبَيْنِ الْمَالِ، إِلَّا بِقَدْرِ النَّفَقَةِ الْمُنَاسِبَةِ عَلَى نَفْسِهِ.

أما الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في روى : أَنَّ التَّبْذِيرَ حِرَامٌ وَمَنْهِيٌّ عَنْهُ، وَإِنْ كَانَ لَا يَرَى أَنْ يُحَجَّرَ (أي : وَالْحَجَرُ هُوَ مَنْعِ الْمَحْجُورُ عَلَيْهِ مِنَ التَّصْرِيفِ فِي مَمْتَكَانَتِهِ) عَلَى الْمُبَدِّرِ.

### ( الفرق بين الجود والتبذير )

الجود والكرم هو الذي يتوكى ويتحرى بماله أداء الحقوق الواجبة عليه، حسب مقتضى المروءة والإنسانية والعرف الكريم المتعارف عليه، والعادات الفاضلة، كإكرام الضيف، ومكافأة صاحب الهدية، وما يُنفقه اتقاءً لعرضه، من باب الكمال والرقة والنبل، طيئاً بذلك نفسه قاصداً بذلك وجه الله تعالى في الدنيا والآخرة.

أما المبدّر فهو الذي يُنفق بحسب شهوته وهوئ نفسه، دون مراعاة شرع ولا مصلحة بشر، ولا تقدير أمر، وحتى لا يريد بذلك أداء الحقوق الواجبة عليه.

فالفرق واضح بين الأمرين، في أن الجود شخص حكيم يضع العطاء في موضعه ويقدرها، بعكس المبدّر أو المسرف فإنه لا يصادف الموضع المناسب ولا القدر ولا الحق المناسب.

عن على بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما أنفقت على نفسك وأهل بيتك في غير سرف ولا تبذير، وما تصدقت به - فهو لك، وما أنفقت رباءً وسمعة فذلك حظ الشيطان.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا تُتفق في الباطل؛ فإن المبدّر هو المنافق في غير حق.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: الْمُرَآن (أي: جمع الْمُرَر): الإمساك في الحياة (أي: البخل والتقتير)، والتبذير عند الموت (أي: الإنفاق في غير حق قبل الموت).

**وقال قتادة :** التبذير: النفقة في معصية الله تعالى وفي غير الحق وفي الفساد.

وقال مجاهد : لو أنفق إنسانٌ ماله كله في الحق (أي: جميع أوجه الحق) لم يكن مبذراً، ولو أنفق مُدداً (أي: مقدار ملء اليد) في غير حقٍ كان مبذراً.

**وعن السُّدِّيْ : :** في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِرُ تَذَرِّفًا﴾ [الإسراء: ٢٦]: أي: لا تُعْطِ مالك كله.

وقال القرطبي : مَنْ أَنْفَقَ مَالَهُ فِي الشَّهْوَاتِ زَائِدًا عَلَى قَدْرِ الْحَاجَاتِ، وَعَرَّضَهُ بِذَلِكَ لِلنَّفَادِ، فَهُوَ مُبْنَدِرٌ، وَمَنْ أَنْفَقَ رِبْعَ مَالِهِ فِي شَهْوَاتِهِ وَحَفِظَ الرَّقْبَةَ (أَيْ: أَصْلَ مَالِهِ) فَلِيُسْ بِمُبْنَدِرٍ.

وقال أيضًا : في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرَنَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينَ﴾ [الإسراء: ٢٧]  
إنهم في حكمهم شرعاً؛ إذ المبدر سعى في إفساد الشياطين، أو أنهم يفعلون ما تسوّل لهم أنفسهم (أي: كما تسول الشياطين فعل الشر)، أو أنهم يقرّنون (أي: يجمّعون) بهم غداً في النار.

قال ابن الجوزي : العاقل يُدبر بعقله معيشته في الدنيا، فإن كان فقيراً اجتهد في كسبٍ وصناعة تكفله عن الذل للخلق، وقلَّ العلاقـ (أي: الارتباط بالشهوات والطموحات العالية)، واستعمل القناعة فعاش سليماً من مِن الناس عزيزاً بينهم، وإن كان غنياً فينبغى له أن يُدبر في نفقة خوفَ أن يفتقر فيحتاج إلى الذل للخلق.

ومن البلية أن يُبذر في النفقة ويباهي بها ليكمد أو يغيب الأعداء، وأنه يتعرض بذلك- إن أكثر- لإصابته بالعين (أي: الحسد)، وينبغي التوسط في الأحوال، وكتمان ما يصلح كتمانه، وإنما التدبير هو حفظ المال والتوسط في الإنفاق وكتمان ما لا يصلح إظهاره.

فمن مضار التبذير والإسراف أنه يبعد صاحبه من الجنة ويقربه من النار؛ حيث إن فيه إتلافاً للمال، وهو عصب الحياة، وتضييع له، فيؤدي بصاحبته إلى الفقر والذلة للخلق، وقد يعرضه للحسد والحقن عليه، وقد يشعر صاحبه إذا افتقر بالمرارة، خاصة إذا اقترب أجله، فقعد ملوّماً محسوراً.



## ٣٥٧- باب النهي عن الإشارة إلى مسلم بسلاح ونحوه سواء كان جاداً أو مازحاً والنهي عن تعاطي السيف مسلولاً

(٣٥٧) / ١٧٨٣ عن أبي هريرة رض: عن رسول الله ص قال: «لَا يُشْرِكْ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسَّلَاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَ الشَّيْطَانَ يَتْرُعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ». متفق عليه.  
وفي رواية لمسلم قال: قال أبو القاسم ص: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَبُهُ حَتَّى يَتْرُعَ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لَأَبِيهِ وَأُمِّهِ».

قوله ص: «**يتَرُعُ**» ضَبِطَ بالعين المهملة مع كسر الزاي، وبالغين المعجمة مع فتحها، ومعناهما مُتَقَارِبٌ،  
ومعناهُ بالمهملة يرمي، وبالمعجمة أيضاً يرمي ويُفْسِدُ. وأصل التَّرْعَ: الطَّعْنُ والفسادُ.

(٣٥٧) / ١٧٨٤ وعن جابر رض قال: نَهَى رَسُولُ اللهِ ص أَنْ يُتَعَاطِي (أي: يُتناول) السَّيْفُ مَسْلُولاً  
(أي: بدون غطاء الحماية). رواه أبو داود والترمذني، وقال: «حديث حسن».

## ٣٥٨- باب كراهة الخروج من المسجد بعد الأذان

### إلا لعذر حتى يصلى المكتوبة

(٣٥٨) / ١٧٨٥ عن أبي الشعثاء رض، قال: كُنَّا قُعُودًا مع أبي هريرة رض في المسجد، فَأَذَنَ الْمُؤْذِنُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمَسْجِدِ يَمْشِي، فَاتَّبَعَهُ أَبُو هُرِيرَةَ بَصَرَهُ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَبُو هُرِيرَةَ: أَمَا هَذَا فَقَدْ عَصَى أَبَا الْفَاقِسِ ص. رواه مسلم.



### حكم خروج المصلي من المسجد بعد الأذان

يحرُم الخروج من المسجد بعد الإقامة للمتظاهر من الحدث الأصغر والأكبر، إلا أن يكون قد صلَّى تلك الصلاة. أما إذا كان الخروج بعد الأذان بنية الرجوع إليه فهو مكرر ولا يصل إلى التحرير، وُبِياح له أن يتحرَّك من مسجد إلى مسجد آخر في داخل حيّه إن كانت هناك مصلحة في ذلك معتبرة كما أفتى بذلك الحنفية. أما في حال صلاة النفل أو التطوع، كصلاة العيدين وأمثالها، فيجوز له الخروج حتى قبل أدائه من غير كراهة.



## ٣٥٩- باب كراهة رد الريحان لغير عذر

(٣٥٩ / ١٧٨٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه: «مَنْ عَرَضَ عَلَيْهِ رِيحَانٌ أي: ما طاب من العطر وغلا منه، فَلَا يُرِدُهُ، فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمِلِ، طَيْبُ الرِّيحِ». رواه مسلم.

(٣٥٩ / ١٧٨٧) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وسلامه كَانَ لَا يُرِدُ الطَّيْبَ. رواه البخاري.

## ٣٦٠- باب كراهة المدح في الوجه لمن خيف عليه مفسدة

### من إعجاب ونحوه وجوازه لمن أمن ذلك في حقه

(٣٦٠ / ١٧٨٨) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سَمِعَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وسلامه رَجُلًا يُشَيِّ عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي الْمِدْحَةِ، فَقَالَ: «أَهْلَكُتُمْ أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهَرَ الرَّجُلِ». متفق عليه. وَالإِطْرَاءُ: الْمُبَالَغَةُ فِي الْمَدْحِ.

(٣٦٠ / ١٧٨٩) وعن أبي بكرة رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلامه، فَأَتَنَّى عَلَيْهِ رَجُلٌ خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وسلامه: «وَيْحَكَ! قَطَعْتَ عُنْقَ صَاحِبِكَ». يَقُولُهُ مِرَارًا: «إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ فَلَيُقْلِّ: أَحْسِبْ كَذَا وَكَذَا إِنْ كَانَ يَرَى اللَّهُ كَذِيلَكَ وَحَسِيبَهُ اللَّهُ، وَلَا يُرِكَّى عَلَى اللَّهِ أَحَدٌ». متفق عليه.

(٣٦٠ / ١٧٩٠) وعن همام بن الحارث، عن المقداد رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا جَعَلَ يَمْدُحُ عُثْمَانَ رضي الله عنه، فَعَمِدَ الْمِقْدَادُ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتِهِ، فَجَعَلَ يَحْثُو فِي وَجْهِهِ الْحَصْبَاءَ أي: الحصى الصغيرة. فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَا شَائِنَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلامه قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ». رواه مسلم. فهذه الأحاديث في النهي، وجاء في الإباحة أحاديث كثيرة صحيحة.

قال العلماء: وطريق الجمع بين الأحاديث أن يقال: إن كان الممدوح عندئذ كمال إيمان وبيان، ورياضة نفس، ومعرفة تامة بحيث لا يفتن، ولا يغتر بذلك، ولا تلعب به نفسه، فليس بحرام ولا مكروه، وإن خيف عليه شيء من هذه الأمور، كره مدحه في وجهه كراهة شديدة، وعلى هذا التفصيل تترتب الأحاديث المختلفة في ذلك. وممما جاء في الإباحة: قوله صلوات الله عليه وسلامه لأبي بكر رضي الله عنه: «أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ». أي: من الذين يدعون من جميع أبواب الجنة لدخولها.

وفي الحديث الآخر: «لَسْتَ مِنْهُمْ». أي: لست من الذين يسلون أزرهُم خيلاً.

وقال صلوات الله عليه وسلامه لعمراً رضي الله عنه: «مَا رَأَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًا إِلَّا سَلَكَ فَجًا غَيْرَ فَجَكَ».

والأحاديث في الإباحة كثيرة، وقد ذكرت جملة من أطروحها في كتاب «الأذكار».

## ٣٦١- باب كراهة الخروج من بلد وقع فيها الوباء

### فراراً منه وكراهة القدوم عليه

قال الله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْكُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْنِي كُلَّى الْهَنَاكَة﴾ [القرآن: ١٩٥].

(٣٦١) وعن ابن عباس: أن عمر بن الخطاب رض خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ (أي: قرية في طرف الشام مما يلي الحجاز) لقيه أمراء الآجناد - أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه - فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام. قال ابن عباس: فقال لي عمر: ادع لي المهاجرين الأولين، فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلقو، فقال بعضهم: خرجت لأمر، ولا نرى أن ترجع عنه. وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صل، ولا ترى أن تقدمهم على هذا الوباء. فقال: إنفعوا عنّي. ثم قال: ادع لي الأنصار، فدعوتهم، فاستشارهم، فسلكوا سبيلاً المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: إنفعوا عنّي. ثم قال: ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم، فلم يختلف عليه منهم رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس، ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر رض في الناس: إني مُصْبِحٌ على ظهر، فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة بن الجراح رض: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر رض: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! - وكان عمر يكره خلافه - نعم، يقر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إيل، فهبطت وادياً له عدوتان، إحداهمما خصبة، والأخرى جدب، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: في جاء عبد الرحمن بن عوف رض، وكان متعيناً في بعض حاجته، فقال: إن عندي من هذا علماً، سمعت رسول الله صل يقول: إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموها عليه، وإذا وقع بأرض، وأنتم بها فلَا تخرجوها فراراً منه». فحمد الله تعالى عمر رض وانصرف. متفق عليه. وـ «العلوة»: جانب الوادي.

(٣٦١) وعن أسماء بن زيد رض: عن النبي صل قال: «إذا سمعتم الطاغون بأرض، فلَا تدخلوها، وإذا وقع بأرض، وأنتم فيها، فلَا تخرجوها منها». متفق عليه.

## ٣٦٢- باب التغليظ في تحرير السحر

**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:** ﴿وَمَا كَفَرَ شَيْلَمَنُ وَلَكِنَّ الْشَّيْطَنَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ أَنَّهُمْ أَسْخَرُ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(٣٦٢ / ١٧٩٣) وعن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» (أي: المهلكات). قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الرزح، وقذف المحسنات المؤمنات الغافلات» (أي: العفاف الغافلات عن الفواحش وما قذف به). متفق عليه.

\* \* \*

### (السحر)

**السحر:** عمل يتقرب فيه الإنسان من الشيطان ليعاونه فيه؛ ليصرف الأشياء عن حقيقتها إلى شيء آخر. والسحر: هو محاولة الإتيان بأمور خارقة بقول أو فعل محرّم في الشرع، حيث يُزاول أصحاب النفوس الخبيثة أفعالاً وأحوالاً يترتب عليها أمور خارقة للعادة. وتعلم السحر حرام.

قال الذهبي: **الساحر ولا بد أن يكفر** (أي: ولا بد أنه سيصل إليه الكفر بسبب تعلم السحر); إذ ليس للشيطان الملعون غرض في تعليم الإنسان السحر إلا ليشرك بالله، وترى خلقاً كثيراً يدخلون في تعلم السحر، ويظلونه حراماً فقط، وما يشعرون أنه الكفر. ويرى الذهبي أنه يجب قتل الساحر؛ لأنّه كفر بالله، والسحر من السبع الموبقات، ولكن اعتبره الإمام ابن حجر من الكبائر.

قال ابن مسعود: مَنْ أَتَى عَرَافًا أو ساحرًا أو كاهنًا يُؤْمِنُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ  
على محمد ﷺ.

وقال النووي : عمل السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عده النبي ﷺ  
من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفراً، ومنه ما لا يكون كفراً بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كافر، وإنما تعلمه وتعلمه فهو حرام، والساحر لا يأتي منه خير، ولا يستعمل في جلب الخير.

ويحمي الإنسان نفسه من السحر والسحرة بتوسيع الله، والجلوس في مجالس تقوية الإيمان والتذكير بالأخرة، وتعلم العلم الشرعي الذي يجعل الإنسان بعيداً عن الحيل الشيطانية، ويفهم أحكام الله المتعددة في شؤون حياته، وأن يوازن على ذكر الله في كل حال، وقراءة القرآن، والاستعاذه بالله تعالى.

وعلى العبد أن يتوب من ذنبه، ويُحسن التوكل على الله والاعتماد عليه، ويستعمل الطرق المشروعة في إبطال السحر واستخراجها.

\* \* \*

### ٣٦٣- باب النهي عن المسافرة بالصحف إلى بلاد الكفار

#### إذا خيف وقوعه بأيدي العدو

(٣٦٣ / ١٧٩٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله صلوات الله عليه وسلامه أن يُسافر بالقرآن إلى أرض العدو. متفق عليه.

### ٣٦٤- باب تحريم استعمال إناء الذهب وإناء الفضة

#### في الأكل والشرب والطهارة وسائل وجوه الاستعمال

(٣٦٤ / ١٧٩٥) عن أم سلمة رضي الله عنها: أن رسول الله صلوات الله عليه وسلامه قال: «الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الْفِضَّةِ، إِنَّمَا

**يُجَرِّرُ جُرُّ** (أي: يُلقي) **فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ».** متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «إِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ أَوْ يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الْفِضَّةِ وَالدَّهَبِ».

(٣٦٤ / ١٧٩٦) وعن حذيفة رضي الله عنه قال: أن النبي صلوات الله عليه وسلامه نهانا عن الحرير، والديباج، والشرب في آنية

الذهب والفضة، وقال: «هُنَّ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَهِيَ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ».

وفي رواية في الصحيحين عن حذيفة رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلامه يقول: «لا تلبسو الحرير ولا

الديباج (أي: نوع من الحرير)، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحفها».

(٣٦٤ / ١٧٩٧) وعن أنس بن سيرين، قال: كنت مع أنس بن مالك رضي الله عنهما عند نفر من

المجوس؛ فجئ به بالوذج (أي: نوع من الحلوي) على إناء من فضة، فلم يأكله، فقيل له:

لَهُ: حَوْلَهُ . فَحَوَّلَهُ عَلَى إِنَاءٍ مِنْ خَلَنجٍ وَجَيْءَ بِهِ فَأَكَلَهُ . رواه البيهقي بإسناد حسن. **«الخلنج»**:

**الجُفْنَةُ** (أي: أعظم ما يكون من القصاع جمع قصعة).

## ٣٦٥-باب تحرير لبس الرجل ثوباً مزعفراً

(٣٦٥ / ١٧٩٨) عن أنس رضي الله عنه قال: نهى النبي صلوات الله عليه وسلام أن يتز عفرأ (أي: أن يصبح الرجل ثابه أو جسده بالزعفران) الرجل. متفق عليه.

(٣٦٥ / ١٧٩٩) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: رأى النبي صلوات الله عليه وسلام علّيَ ثوبين مغضفين (أي: مصبوغين بالزعفران، وهو صبغ أحمر)، فقال: «أمك أمرتكم بهذا؟» قُلْتُ: أَعْسِلُهُمَا؟ قال: «بَلْ أَحْرُقُهُمَا».

وفي رواية: فقال: «إِنَّ هَذَا مِنْ ثَيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبِسُهَا». رواه مسلم.

## ٣٦٦-باب النهي عن صمت يوم إلى الليل

(٣٦٦ / ١٨٠٠) عن علي رضي الله عنه قال: حفظت عن رسول الله صلوات الله عليه وسلام: «لا يُسْمَعَ بَعْدَ احْتِلامَ، وَلَا صُمَّاتَ (أي: سكوت) يَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ». رواه أبو داود بإسناد حسن. (أي: المراد: لا يطلق مسمى الitem على من بلغ واحتلم وجرى عليه حكم البالغين). قال الخطابي في تفسير هذا الحديث: كان من سُكِّ العَجَاهِلَيَّةِ الصُّمَّاتُ. فَنَهَا فِي الْإِسْلَامِ عَنْ ذَلِكَ وَأُمِرُوا بِالذِّكْرِ وَالْحَدِيثِ بِالْخَيْرِ.

(٣٦٦ / ١٨٠١) وعن قيس بن أبي حازم، قال: دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على أمراة من أحمس (أي: قبيلة من بجالة) يُقال لها: زينب، فرأها لا تتكلّم. فقال: ما لها لا تتكلّم؟ فقالوا: حgett مصمتةً (أي: ساكتة)، فقال لها: تكلّمي، فإنّ هذا لا يحلّ، هذا من عمل العَجَاهِلَيَّةِ، فتكلّمت. رواه البخاري.

## ٣٦٧-باب تحرير اتساب الإنسان إلى غير أبيه

### وتوليه إلى غير مواليه

(٣٦٧ / ١٨٠٢) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أن النبي صلوات الله عليه وسلام قال: «من ادعى (أي: اتساب ورضي أن ينسبه الناس) إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام». متفق عليه.

(٣٦٧ / ١٨٠٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلوات الله عليه وسلام قال: «لا تربعوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه، فهو كافر». متفق عليه.

(٣٦٧ / ١٨٠٤) وعن يزيد بن شريك بن طارق، قال: رأيت علّي رضي الله عنه على المتن يخطب، فسمعته يقول: لا والله ما عندنا من كتاب تقرؤه إلا كتاب الله، وما في هذه الصحيفة، فنشرها فإذا

فِيهَا أَسْنَانُ الْإِبْلِ، وَأَشْيَاءُ مِنَ الْجِرَاحَاتِ، وَفِيهَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ» (أي: عِيرٌ وثُورٌ: جبلان)، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبُلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا. ذَمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبُلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا. وَمَنْ ادْعَى إِلَى عَيْرٍ أَبِيهِ، أَوْ اتَّسَمَ إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ لَا يَقْبُلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا». متفق عليه. **«ذَمَّةُ الْمُسْلِمِينَ»** أي: عَهْدُهُمْ وَأَمَانَتُهُمْ. **«أَخْفَرُهُ»**: تَنَصُّصُ عَهْدِهِ. **«الصَّرْفُ»**: التَّوْبَةُ، وَقِيلَ: الْجِيلَةُ. وَ**«الْعَدْلُ»**: الْفِدَاءُ.

(٣٦٧) وعن أبي ذرٌ رضي الله عنه: أنَّه سمعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادْعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ، وَمَنْ ادْعَى مَا لَيْسَ لَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا، وَلَيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بالْكُفُرِ، أَوْ قَالَ: عَلَوْ اللَّهُ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ» (أي: رجع) عَلَيْهِ. متفق عليه، وهذا

لفظ رواية مسلم.

### ٣٦٨- باب التحذير من ارتكاب ما نهى الله عنه أو رسوله ﷺ عنه

قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَيَحْذِرَ الَّذِينَ يَخْالِفُونَ عَنْ أَسْرِيَهُ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقالَ تَعَالَى: ﴿وَمَعَذِيرُكُمُ اللَّهُ نَفْسُهُ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَشْرِيكُ بِهِ أَنَّمَا يَعْلَمُ بِمَا يَنْهَا إِنَّمَا يَنْهَا أَنَّمَا يَعْلَمُ بِمَا يَنْهَا﴾ [البروج: ١٢].

وقالَ تَعَالَى: ﴿فَوَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرْبَى وَهِيَ ظَلَمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [الإيمان: ١٢].

[هود: ١٤٢].

(٣٦٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْأْرُ، وَغَيْرُهُ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ الْمَرْءُ مَا حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ». متفق عليه.

### ٣٦٩- باب ما يقوله ويفعله من ارتكاب منهيا عنه

قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا يَزَّعَنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعَ فَأَسْتَعِذُ بِاللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَتَقْوَى إِذَا مَسَّهُمْ طَقِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُّبَصِّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَأَسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصْرِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [١٣٥] أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَعْفَرَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ بَمْجَرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلَدِينَ فِيهَا وَيَعْمَلُ أَجْرًا الْعَنِيمَلَى﴾ [آل عمران: ١٣٦، ١٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَتَوَبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيَّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٣]

[النور: ٣١]

١٨٠٧ / ٣٦٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «من حلفَ فَقَالَ في حلفِهِ: باللهِ العزِيزِ، فَلِيُقُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أَقْامِرُكَ فَلِيَصَدِّقْ». متفق عليه.

## ١٨ - كتاب المنشورات والمعلم

(جمع (ملحة)، وهي: ما يستلمح ويستعدب)

### ٣٧٠ - باب أحاديث الدجال وأشراط الساعة وغيرها

١٨٠٨ / ٣٧٠) عن التَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قال: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صلوات الله عليه والآله وآله وسلوا الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاءَ، فَخَفَضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ. فَلَمَّا رُحِنَا إِلَيْهِ، عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «مَا شَانُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَالَ الْغَدَاءَ، فَخَفَضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ (أي: هَوَتْ مِنْ أَمْرِهِ حِينَا وَهَوَلَتْ مِنْ أَمْرِهِ حِينَا أُخْرِي)، حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «عَيْرُ الدَّجَالَ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيْكُمْ، فَإِنَّ حِيجُونَهُ دُونَكُمْ؛ وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيْكُمْ، فَأَمْرُرُ حَجِيجُ نَفْسِي، وَاللَّهُ حَلِيقِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ. إِنَّهُ شَابٌ قَطْطُ» (أي: شديد خشونة الشعر) عَيْنِهُ طَافِيَةٌ (أي: جاحظة وبازة إلى الأمام)، كَانَيْ أَشْبَهُهُ بِعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ قَطَنَ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلَيَقِرِّأْ عَلَيْهِ فَوَاتَحَ سُورَةَ الْكَهْفِ؛ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَةً بَيْنَ الشَّامَ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَأَشْبِتوهَا». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا لُبْثَهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا: يَوْمٌ كَسْنَةٌ، وَيَوْمٌ كَشْهُرٌ، وَيَوْمٌ كَجُمُوعَةٍ، وَسَاعَرٌ أَيَامِهِ كَأَيَامِكُمْ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسْنَةٌ أَتَكْفِيَنَا فِيهِ صَلَاةً يَوْمٌ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا اللَّهُ قَدْرَهُ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ

الله، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ (أي: المراد: كالغيم) اسْتَدْبَرْتُهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ، فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَحِيُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطَرُ، وَالْأَرْضُ فَتُنَسِّتُ، فَتُرُوحُ (أي: ترجع آخر النهار) عَلَيْهِمْ سَارِحَتِهِمْ (أي: ما شيشهم) أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرَى (أي: أكبر ما يمكن أن تكونه في الحجم) وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا (أي: أكثر ما يمكن أن تكونه في اللين)، وَأَمْدَهُ حَوَاصِرًا (أي: أكثر ما يمكن أن تكونه في الشبع)، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمُ فَيَدْعُوهُمْ (أي: للإيمان به)، فَيُرِدونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ (أي: يرفضون دعوته)، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحَلِّينَ (أي: مجدين) لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِّنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمْرُّ بِالْخَرَبَةِ (أي: الأرض الخراب) فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُورَكِ، فَتَبْعَثُهُ كُنُورُهَا كَيْعَاسِيبُ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَنَأً شَبَابًا فَيُضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جَرْلَتَيْنِ رَمِيَّةَ الْغَرَضِ (أي: يرميه بشيء يشقه إلى جزأين)، ثُمَّ يَدْعُوهُ، فَيُقْبَلُ، وَيَتَهَلَّ وَجْهُهُ (أي: يستثير وَتَظَهُرُ عَلَيْهِ أَمَارَاتُ السَّرُورِ) يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذِيلُكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَسِيحَ ابْنَ مَرِيمَ عَلَيْهِ، فَيَنْزُلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءَ شَرْقِيَّ دَمَشْقَيَّ بَيْنَ مَهْرُوَدَيْنِ، وَاضْعَافًا كَفَّهُ عَلَى أَجْنِحةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطْرَ (أي: سال العرق)، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانُ كَالْلُؤُلُؤِ (أي: المراد: يتساقط منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفاته)، فَلَا يَجِدُ لِكَافِرٍ يَحْدُرُ بِرَحْنَفِسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَسْتَهِي إِلَى حَيْثُ يَسْتَهِي طَرْفُهُ (أي: بصره)، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بَيْابَانُ لُدُّ (أي: قرية قرب بيت المقدس، من نواحي فلسطين) فَيَقُولُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى عَلَيْهِ الْحَمْدُ، قَوْمًا قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذِيلُكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ: أَنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ (أي: لا قدرة وطاقة) لِأَحَدٍ بِقَنَالِهِمْ، فَحَرَرَ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ (أي: ضمهم واجعله لهم حرزاً). وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَسْلُلُونَ (أي: يسرعون)، فَيَمْرُّ أَوْاثِلُهُمْ عَلَى بُحِيرَةِ طَرَبَيَّةِ فَيُشَرِّبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمْرُ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهِنِّهِ مَرَّةً ماءً، وَيُحَصِّرُ تَبَيُّ اللَّهِ عِيسَى عَلَيْهِ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الشَّوْرِ (أي: مع قلة اللحم فيه) لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ (أي: المراد: أنهم يتعرضون لمجاعة تغلب فيها الأثمان غالوا فاحشاً)، فَيَرْغَبُ تَبَيُّ اللَّهِ عِيسَى عَلَيْهِ وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَيُرِسِّلُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ النَّفَّ (أي: دُودٌ يكون في أنوف الإبل والغنم) فِي رَقَاهِمْ (أي: في قبور أرواحهم)، فَيُصْبِحُونَ قَرْسَيًّا (أي: متوفي) كَمُوتٍ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ تَبَيُّ اللَّهِ عِيسَى عَلَيْهِ وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعًا شَيْرًا إِلَّا مَلَأُهُ زَهَمُهُمْ (أي: دسمهم ورائحتهم الكريهة) وَنَتَهُمْ، فَيَرْغَبُ تَبَيُّ اللَّهِ عِيسَى عَلَيْهِ وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَيُرِسِّلُ اللَّهُ تَعَالَى طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُختِ، فَتَحْمِلُهُمْ، فَتَطَرَّحُهُمْ حَيْثُ

شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرِسِّلُ اللَّهُ بِجَلَلٍ مَطْرَا لَا يُكِنُ مِنْهُ بَيْتٌ مَدَرٌ وَلَا وَبَرٌ (أي: لا يمنع من نزول الماء بيت)، فَيُغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يُرْكَهَا كَالزَّلَقَةِ، ثُمَّ يَقُولُ لِلأَرْضِ: أَنْتِ شَمَرْتِكِ، وَرُدْدِي بَرْكَتِكِ، فَيُوْمَنِدُ تَأْكُلُ الْعِصَابَةِ (أي: الجماعة) مِنَ الرَّمَانَةِ، وَيَسْتَطُلُونَ بِقَحْفَهَا (أي: مقعر قَحْفَهَا)، وَيُيَارِكُ فِي الرَّسْلِ حَتَّى إِنَّ الْلَّقَحَةَ مِنَ الْإِبْلِ لِتَكْفِي الْفِتَامَ مِنَ النَّاسِ؛ وَالْلَّقَحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لِتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَالْلَّقَحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لِتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ؛ فَبَيْمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى رِيحًا طَيْبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَنَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ؛ وَيَقْنِي شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارُ جُونَ فِيهَا (أي: يجتمع فيها الرجال والنساء علانية بحضورة الناس) تَهَارُجُ الْحُمْرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ». رواه مسلم. قوله: «خَلَةٌ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعَرَاقِ»: أي: طرِيقاً بينهما. قوله: «عَادٌ» بالعين المهملة والثاء المثلثة، والعَيْثُ: أشد الفساد. و«الذُّرَى» بضم الذال المعجمة، وهو: أعلى الأُسْيَمَةِ وهو جَمْعُ ذِرْوَةٍ بضم الذال وكسرها. و«الْعَيَّاصِبُ»: دُكُورُ التَّحْلُلِ. و«جَزَلَتِينَ» أي: قطْعَيْنِ. و«الْغَرْضُ»: الْهَدْفُ الَّذِي يُرْمَى إِلَيْهِ بِالنَّشَابِ، أي: يُرمِيهِ رَمَيَّةً كَمِيَ النَّشَابِ إِلَى الْهَدْفِ. و«الْمَهْرُودَةُ» بالدال المهملة والمعجمة، وهي: الشُّوبُ المَصْبُوغُ. قوله: «لَا يَدَانِ» أي: لا طاقةً. و«النَّغْفُ»: دُودٌ. و«فَرَسَى»: جَمْعُ فَرِيسٍ، وَهُوَ الْقَتِيلُ. و«الرَّلْقَةُ»: بفتح الزاي واللام وبالكاف، وروي: الْرُّلْفَةُ بضم الزي وإسكان اللام وبالفاء وهي اليمامة. و«الْعِصَابَةُ»: الجماعة. و«الرَّسْلُ» بكسر الراء: اللَّبَنُ. و«الْلَّقَحَةُ»: الْلَّبَوْنُ. و«الْفِتَامُ» بكسر الفاء وبعدها همزة ممدودة: الجماعة. و«الْفَخِذُ» مِنَ النَّاسِ: دُونَ الْقَبِيلَةِ.

(٣٧٠ / ١٨٠٩) وعن رَبِيعٍ بْنِ حَرَاشٍ قَالَ: انطلقتُ مع أبي مسعود الأنباري إلى حُديقةَ بنِ الْيَمَانِ (بَلِيَّة)، فقال له أبو مسعود: حَدَّثْنِي ما سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، في الدَّجَالِ، قال: إِنَّ الدَّجَالَ يَخْرُجُ، وَإِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا، فَإِنَّمَا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً فَنَارٌ تُحْرَقُ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَارًا، فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ. فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلَيَقِعُ فِي الَّذِي يَرَاهُ نَارًا، فَإِنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيْبٌ». فقال أبو مسعود: وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُهُ. متفق عليه.

(٣٧٠ / ١٨١٠) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص (بَلِيَّة) قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أَمْتَيْ فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ، لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَيَبْعَثُ اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فَيَطْلُبُهُ فَيُهَلِّكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاؤُهُ، ثُمَّ يُرِسِّلُ اللَّهُ بِجَلَلٍ، رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قَبْلِ الشَّامِ، فَلَا يَقِعُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ دَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبْضَتَهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ، لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ، فَيَقْنِي شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَةِ الطَّيْرِ (أي: كالطير في الحركة

**والسرعة)، وأحلام السباع** (أي: كالسباع في خبث العقول والفساد والعدوان)، لا يَعْرُفُونَ مَعْرِوفًا، ولا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَحِيُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْتَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارُ رِزْقِهِمْ، حَسْنُ عَيْشِهِمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ (أي: الصُّور): قَرْنٌ عَلَى هِيَةِ الْبُوقِ، دَائِرَةُ رَأْسِهِ كَعَرْضِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، إِسْرَافِيلُ وَاضْعُفُ فِيمَهُ عَلَيْهِ يَنْظَرُ نَحْوُ الْعَرْشِ أَنْ يَؤْذِنَ لَهُ حَتَّى يُنْفَخُ فِيهِ)، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيَتَا وَرَفَعَ لِيَتَا، وَأَوْلَ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلْوُطُ (أي: يطين ويصلح) حَوْضَ إِلَيْهِ فَيُصْبَعُ وَيُصْبَعُ النَّاسُ حَوْلَهُ، ثُمَّ يُرِسِّلُ اللَّهُ—أَوْ قَالَ: يُنْزِلُ اللَّهُ—مَطَرًا كَانَهُ الطَّلَّ أوِ الظَّلِّ، فَتَبَتَّتْ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أَخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظَرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلْمَ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوهَا بَعْثَ النَّارِ فَيُقَالُ: مَنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مَنْ كُلَّ الْفِتْنَةِ سَعْمَانَةً وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ؛ فَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شَيْيَاً، وَذَلِكَ يَوْمٌ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ». رواه مسلم.

**اللَّيْتُ**: صَفْحَةُ الْعُنْقِ. وَمَعْنَاهُ يَضْعُ صَفْحَةَ عُنْقِهِ وَيَرْفَعُ صَفْحَةَ الْأَخْرَى.

(١٨١١) / ٣٧٠ وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَّوْهُ الدَّجَالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ؛ وَلَيْسَ نَقْبُ (أي: طريق بين جبلين) مِنْ أَنْقَابِهِمَا إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافَّيْنَ (أي: تقف صفوفاً) تَحْرُسُهُمَا، فَيُنْزَلُ بِالسَّبَّحةِ (أي: مكان قرب المدينة)، فَتَرْجُفُ (أي: تهتز وتضطرب) الْمَدِينَةَ ثَلَاثَ رَجْفَاتٍ، يُخْرِجُ اللَّهُ مِنْهَا كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ». رواه مسلم.

(١٨١٢) / ٣٧٠ وعن هشام قال: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَتَبَعُ الدَّجَالُ مِنْ يَهُودٍ أَصْبَهَانَ (أي: هي مدينة معروفة من مدن إيران) سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةَ (أي: جمع طيسان، ثوب يلقن على الرأس ويغطي الكتفين)». رواه مسلم.

(١٨١٣) / ٣٧٠ وعن أم شريك رضي الله عنها قال: أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «لِيُنْفَرَنَ النَّاسُ مِنَ الدَّجَالِ فِي الْجِبَالِ». رواه مسلم.

(١٨١٤) / ٣٧٠ وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرٌ مِنَ الدَّجَالِ». رواه مسلم.

(١٨١٥) / ٣٧٠ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «يُخْرُجُ الدَّجَالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَيَتَلَقَّاهُ الْمَسَالِحُ: مَسَالِحُ الدَّجَالِ. فَيَقُولُونَ لَهُ: إِلَى أَيْنَ تَعْمَدُ فَيَقُولُ: أَعْمَدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ. فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوْ مَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بَرَبِّنَا خَفَاءً! فَيَقُولُونَ: إِقْتُلُوهُ. فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلِيَسْ قَدْ نَهَاكُمْ رَبِّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوْنَا أَحَدًا دُونَهُ، فَيَنْتَلِقُونَ بِهِ

إِلَى الدَّجَالِ، فَإِذَا رَأَهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذَا الدَّجَالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَيَأْمُرُ الدَّجَالُ يَهُوَ فَيُشَيْخُ (أي: يمد على بطنه)؛ فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَسُجُّوهُ (أي: الشج هو الجرح في الرأس). فَيُوَسِّعُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ ضَرْبًا، فَيَقُولُ: أَوَمَا تُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَابُ! فَيَقُولُ يَهُوَ: فَيُؤْشِرُ بِالْمُنْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رَجُلَيْهِ. ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَالُ بَيْنَ الْقِطْعَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ، فَيَسْتَوِي قَائِمًا. ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتَوْمَنُ بِي؟ فَيَقُولُ: مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً. ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ؛ فَيَأْخُذُهُ الدَّجَالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيَجْعَلُ اللَّهَ مَا بَيْنَ رَقْبَتِهِ إِلَى تَرْفُوْتِهِ (أي: هي العظم الذي بين شفة التحر والعائق) نُحَاسًا، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، فَيَأْخُذُهُ بِيَدِيهِ وَرِجْلِيهِ فَيَقْذِفُهُ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّهُ قَدْ فَهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أَقْرَى فِي الْجَنَّةِ». فقال رسول الله ﷺ: «هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين». رواه مسلم وروى البخاري بعضه بمعناه. المسالحة: هُمُ الْخَفَرَاءُ وَالظَّلَائِعُ.

(١٨١٦) / ٣٧٠) وعن المغيرة بن شعبة قال: ما سأله أحد رسول الله ﷺ عن الدجال أكثر مما سأله؟ وإنه قال لي: «ما يضرك» (أي: ما يشق عليك ويتعيك منه) قلت: إنهم يقولون: إن معه جبل خزي ونهر ماء. قال: «هو أهون على الله من ذلك». متفق عليه.

(١٨١٧) / ٣٧٠) وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وقد أذن ربه للأعور الكذاب، إلا إنه أعور، وإن ربكم عذلك ليس بأعور، مكتوب بين عينيه لك فر (أي: كافر)». متفق عليه.

(١٨١٨) / ٣٧٠) وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به النبي عليه السلام؟ إنه أعور، وإن الله يحيي معه بمثال الجنّة والنّار، فالتى يقول إنها الجنّة هي النّار». متفق عليه.

(١٨١٩) / ٣٧٠) وعن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس (أي: جالسا في وسط الناس)، فقال: «إن الله ليس بأعور، إلا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية» (أي: جاحظة وبارة إلى الأمام). متفق عليه.

(١٨٢٠) / ٣٧٠) وعن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمين اليهود، حتى يحتسي اليهودي من وراء الحجر والشجر. فيقول الحجر والشجر: يا مسلم هذا اليهودي خلفي تعال فاقتله، إلا الغرقد (أي: نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس) فإنه من شجر اليهود». متفق عليه.

(٣٧٠ / ١٨٢١) وعن **عنه** قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيدهِ لَا تَدْهُبُ الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَمْرَرُ الرَّجُلُ بِالقَبْرِ، فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانٌ صَاحِبٌ هَذَا الْقَبْرُ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ، مَا بِهِ إِلَّا الْبَلَاءُ». متفق عليه.

(٣٧٠ / ١٨٢٢) وعن **عنه** قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَحْسِرَ الْفُرَاتُ (أي: يقل ما واه حتى يكشف) عَنْ جَبَلٍ مِّنْ ذَهَبٍ يُقْتَلُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةُ وَتِسْعُونَ، فَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِّنْهُمْ: لَعَلِيًّا أَنْ أَكُونَ أَنَا أَنْجُو». متفق عليه.

وفي رواية: «يُوشِكُ أَنْ يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ كَنْزٍ مِّنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذُ مِنْهُ شَيْئًا». متفق عليه.

(٣٧٠ / ١٨٢٣) وعن **عنه** قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُتْرُكُونَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ خَيْرٍ مَا كَاتَتْ، لَا يَغْشَاها إِلَّا العَوَافِي - يريد عوافي السباع والطير (أي: العوافي جمع عافية وهي التي تبحث عن طعامها) - وَآخِرُ مَنْ يُحْشَرُ رَاعِيَانِ مِنْ مُرْبِيَّنَةٍ يُرِيدَانِ الْمَدِينَةَ يَنْعَقَانِ بِغَنِمِهِمَا (أي: يصيحان) فَيَحِدَّانِهَا وُحْوَشًا، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَا ثَنَيَّةَ الْوَدَاعِ خَرَّا عَلَىٰ وُجُوهِهِمَا». متفق عليه.

(٣٧٠ / ١٨٢٤) وعن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «يُكُونُ خَلِيفَةٌ مِّنْ خُلَفَائِكُمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَحْثُو (أي: الحثو: هو الحفن باليدين) الْمَالَ وَلَا يَعُدُّ». رواه مسلم.

(٣٧٠ / ١٨٢٥) وعن **أبي موسى الأشعري** رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ فَلَا يَحِدُّ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ، وَيَرِيَ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ يَسْتَعِيْهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلْدُنَ (أي: يتمين إليه، ليقوم بحوائجهن ويدب عنهن) بِهِ مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكُثْرَةِ النِّسَاءِ». رواه مسلم.

(٣٧٠ / ١٨٢٦) وعن **أبي هريرة** رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «اشترى رَجُلٌ مِّنْ رَجُلٍ عَقَارًا، فَوَجَدَ الَّذِي اشترى العَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشترى العَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ، إِنَّمَا اشترىتُ مِنْكَ الْأَرْضَ وَلَمْ أشترِ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الْأَرْضُ: إِنَّمَا بَعْتَكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي عَلَامٌ، وَقَالَ الْآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ قَالَ: أَنْكِحَا الْعَلَامَ الْجَارِيَةَ، وَأَنْفِقا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمَا مِمْنُ وَتَصْدِقَا». متفق عليه.

(٣٧٠ / ١٨٢٧) وعن عن سعيد: أنَّه سمعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كَانَتْ امْرَأَتُهُ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الَّذِئْبُ فَدَهَبَ بَابْنَ إِحْدَاهُمَا. فَقَالَتْ لِصَاحِبِهَا: إِنَّمَا دَهَبَ بَابْنَكَ، وَقَالَتِ الْأُخْرَى: إِنَّمَا دَهَبَ بَابْنَكَ، فَتَحَاَكَمَا إِلَى دَاؤِهِ فَقَضَى بِهِ لِكُبُرِيٍّ، فَحَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنَ دَاؤِهِ فَأَخْبَرَتَاهُ. فَقَالَ: أَتُؤْنِي بِالسَّكِينِ أَشْقَهُ بَيْنَهُمَا. فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لَا تَفْعَلْ! رَحِمَكَ اللَّهُ، هُوَ أَبُوهُمَا. فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى». متفق عليه.

(٣٧٠ / ١٨٢٨) وعن مِرْدَاسَ الْأَسْلَمِيِّ تَعَوَّذُهُ قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَذْهُبُ الصَّالِحُونَ الْأَوَّلُ فَالْآخِلُونَ، وَيَقْرَبُ حُثَّالَةُ كُحْثَالَةٍ» (أي: الحالة: الريء من كل شيء) الشَّعِيرُ أوِ التَّمَرُ لا يُبَالِيهِمُ اللَّهُ بَالَّةً (أي: لا يرفع لهم قدراً ولا يقيم لهم وزناً). رواه البخاري.

(٣٧٠ / ١٨٢٩) وعن رَفَاعَةَ بْنَ رَافِعِ الزَّرْقَى تَعَوَّذُهُ قال: جاءَ جَبَرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا تَعْدُونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيْكُمْ؟ قَالَ: «مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ». أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا. قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهَدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ. رواه البخاري.

(٣٧٠ / ١٨٣٠) وعن ابنِ عَمِّرٍ تَعَوَّذُهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا نَزَّلَ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْمٍ عَذَابًا، أَصَابَ الْعَذَابَ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بَعُثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ». متفق عليه.

(٣٧٠ / ١٨٣١) وعن جابرٍ تَعَوَّذُهُ قال: كَانَ جِذْعُ (أي: جذع نخلة) يَقُومُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يعني في الخطبة - فَلَمَّا وُضِعَ الْمِنْبُرُ سَمِعَنَا لِلْجَذْعِ مِثْلَ صَوْتِ الْعِشَارِ (أي: كصوت الناقة التي تالم في نهاية حملها)، حَتَّى نَزَّلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوُضِعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَسَكَنَ.

وفي رواية: فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبُرِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَحْطُبُ عِنْدَهَا حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَشَقَّقَ.

وفي رواية: فَصَاحَتْ صِيَاحَ الصَّبَّيِّ، فَنَزَّلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى أَخْذَهَا فَضَمَّهَا إِلَيْهِ، فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أَئِنَّ الصَّبَّيَ الَّذِي يُسَكَّتُ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ، قَالَ: «بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الْذُّكْرِ». رواه البخاري.

(٣٧٠ / ١٨٣٢) وعن أبي ثعلبة الحشني تَعَوَّذُهُ جُرْثُومَ بْنَ نَاثِرٍ تَعَوَّذُهُ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ قَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتُدوْهَا، وَحَرَمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَسْتَهِنُوهَا، وَسَكَّتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لِكُمْ عَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا». حديث حسن، رواه الدارقطني وغيره.

(٣٧٠ / ١٨٣٣) وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَ غَزَوَاتٍ نَأْكُلُ الْجَرَادَ.

وفي رواية: نَأْكُلُ مَعَهُ الْجَرَادَ. متفق عليه.

(٣٧٠ / ١٨٣٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا يُلْدُغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ». متفق عليه.

(٣٧٠ / ١٨٣٥) وعنده قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلُّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُنْظَرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُرِيكُهُمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَّةِ يَمْنَعُهُ مِنْ ابْنِ السَّيْلِ، وَرَجُلٌ بَايِعَ رَجُلًا سَلْعَةً بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ بِاللَّهِ لِأَخْذَهَا بِكَدًا وَكَدًا فَصَدَقَهُ وَهُوَ عَلَى عَيْرٍ ذَلِكَ، وَرَجُلٌ بَايِعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ». متفق عليه. (أي: خص وقت العصر بتعظيم الإثم فيه، وإن كانت اليمين الفاجرة محراماً في كل وقت؛ لأن الله عظم شأن هذا الوقت بأن جعل ملائكة الليل والنهار تجتمع فيه، وهو وقت ختام الأعمال).

(٣٧٠ / ١٨٣٦) وعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «بَيْنَ النَّفْحَتَيْنِ أَرْبَعُونَ». قالوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبِيتُ قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبِيتُ قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبِيتُ (أي: أَبِيتَ أَنْ أَجْزَمَ أَنَّ الْمَرَادَ أَرْبَاعُونَ يَوْمًا، أَوْ سَنَةً، أَوْ شَهْرًا، بَلِ الَّذِي أَجْزَمَ بِهِ أَنَّهَا أَرْبَاعُونَ مجْمَلَةً) «وَيَبْيَأِي كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجَبَ الدَّنَبُ (أي: الْعَظَمُ الَّذِي فِي أَسْفَلِ الْعُمُودِ الْفَقْرِيِّ، وَهُوَ رَأْسُ الْعَصْصَمِ)، فِيهِ يُرَكَّبُ الْحَلْقُ، ثُمَّ يَنْزَلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُوْنَ كَمَا يَنْبُوْتُ الْبَقْلُ (أي: كُلُّ بَنَاتِ الْخَضْرَاءِ بِهِ الْأَرْضُ»). متفق عليه.

(٣٧٠ / ١٨٣٧) وعنده قال: يَبْيَأِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابٌ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَصَى حَدِيثَهُ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟» قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». قَالَ: كَيْفَ إِصْبَاعُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ (أي: أَسْنَد) الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». رواه البخاري.

(٣٧٠ / ١٨٣٨) وعنده: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «...يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ، وَإِنْ أَخْطَلُوْنَا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ». رواه البخاري.

- (٣٧٠) / ١٨٣٩ وعنه: **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ** ﴿آل عمران: ١١٠﴾ قال: خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام.
- (٣٧٠) / ١٨٤٠ وعنه: عن النبي ﷺ قال: «عِبَابُ اللَّهِ وَجْهُكَ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَالِسِ». رواه البخاري. معناه: يُؤْسِرُونَ وَيُقْدِرُونَ ثُمَّ يُسْلِمُونَ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ.
- (٣٧٠) / ١٨٤١ وعنه: عن النبي ﷺ قال: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا». رواه مسلم.
- (٣٧٠) / ١٨٤٢ وعنه: سلمان الفارسي رضي الله عنه من قوله: قال: لا تكون إن استطعت أول من يدخل السوق، ولا آخر من يخرج منها، فإنها معركة الشيطان، وبها يتصب رأيته. رواه مسلم هكذا. ورواه البرقاني في «صحيحه» عن سلمان، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكون أول من يدخل السوق، ولا آخر من يخرج منها. فيها باضم الشيطان وفرخ». (أي: حذر النبي ﷺ من أن ينكب المرء على شئون دنياه لا يفرق فيها بين حلال وحرام، ويستعمل فيها أدوات الشيطان من الغش والخداع، منصرفًا بذلك عن أمور آخرته وفروض الله التي فرضها عليه، ومن هنا جاء النهي).
- (٣٧٠) / ١٨٤٣ وعنه:  العاصم الأحول، عن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، غفر الله لك، قال: «ولك». قال عاصم: فقلت له: أستغفر لك رسول الله رضي الله عنه? قال: نعم، ولك. ثم تلا هذه الآية: **وَأَسْتَغْفِرُ لِذَلِكَ وَلِمُؤْمِنِينَ وَلِمُؤْمِنَاتِ** ﴿محمد: ١٩﴾. رواه مسلم.
- (٣٧٠) / ١٨٤٤ وعنه: أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَىٰ: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ». رواه البخاري.
- (٣٧٠) / ١٨٤٥ وعنه: ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوْلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدَّمَاءِ». متقد عليه.
- (٣٧٠) / ١٨٤٦ وعنه: عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خَلَقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخَلَقَ الْجَاهَنَّمَ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ» (أي: مارج النار: لمجدها المختلط بسوادها)، وَخَلَقَ آدَمَ مِمَّا وُصِّفَ لَكُمْ». رواه مسلم.

(١٨٤٧) / (٣٧٠) وعنها صَحَّحَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قالت: كان خلق نبى الله عَزَّ وَجَلَّ القرآن. رواه مسلم في جملة حديث طويل.

(٣٧٠) / ١٨٤٨) وعنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ لِقَاءً، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرَهَ لِقَاءً». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكَرَاهِيَّةُ الْمَوْتِ؟ فَكُلُّنَا نَكْرُهُ الْمَوْتَ، قَالَ: «لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلِكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرَضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ فَأَحَبَّ اللَّهَ لِقَاءً، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخْطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهَ لِقَاءً». رواه مسلم.

**١٨٤٩ / ٣٧٠** وَعَنْ أَمْ الْمُؤْمِنِينَ صَفِيَّةَ بْنَتَ حُبَيْبَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَكِفًا، فَاتَّهَى إِزْوَارُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثَنَا ثُمَّ قَمْتُ لِأَنْتَلِبَ (أَيِّ: لِيَرْدِنِي إِلَى مَنْزِلِي) فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَعَ عَلَيْهِ. فَقَالَ وَسَيِّدُنَا: «عَلَى رَسُولِكُمَا» (أَيِّ: تَمْهِلَا عَلَيِّ هِيَتَكِمَا فِي الْمَشِيِّ)، إِنَّهَا صَفِيَّةَ بْنُتُ حُبَيْبَةَ . فَقَالَا: سَبَّحَ اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ أَبْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنَّ حَسِيْتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا - أَوْ قَالَ: شَيْئًا». مِنْقَعْدَةٍ عَلَيْهِ.

(٣٧٠) وعن أبي الفضل العباس بن عبد المطلب قال: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ يَوْمَ حُنَيْنَ (أَيْ: حنين: هِيَ اسْمَ مَكَانٍ غَزَا بِهِ النَّبِيُّ تَقِيفًا)، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنَ الْحَارِثِ بْنَ عبد المطلب رَسُولَ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَمْ نُغَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى، عَلَى بَعْلَةٍ لَهُ يَضَاءَ، فَلَمَّا التَّقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ، وَلَيْلَةُ الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفَقَ رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى، يَرْكُضُ بَعْلَةَ قِبْلَةِ الْكُفَّارِ، وَأَنَا أَخِذُ بِلِجَامَ بَعْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ تَعَالَى، أَكْفُهَا إِرَادَةً أَلَا تَسْرُعُ، وَأَبُو سُفْيَانَ أَخِذُ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى: «أَيُّ عَبَاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمْرَةِ (السمرة: هِيَ الشَّجَرَةُ الَّتِي بَاعَ الصَّحَابَةُ عِنْهَا رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْحَدِيدَةِ عَلَى أَلَا يَفْرُوا).» قَالَ الْعَبَاسُ - وَكَانَ رَجُلًا صَيْبَاً (أَيْ: شَدِيدُ الصَّوتِ) - فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمْرَةِ، فَوَاللَّهِ لَكَانَ عَطْفَتُهُمْ (أَيْ: إِقْبَالُهُمْ إِلَيَّ) حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةَ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَيْكَ يَا لَيْكَ، فَاقْتَلُوْهُمْ وَالْكُفَّارُ، وَالدُّعْوَةُ فِي الْأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، ثُمَّ قُصِّرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَرَاجَ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ عَلَى بَعْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ: «هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطَسُ»، ثُمَّ أَخِذَ رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى، حَصَيَّاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وَجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنْهَزُمُوا وَرَبُّ مُحَمَّدٍ»، فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَّاتِهِ، فَمَا زَلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ (أَيْ: بِأَسْهَمِ وَشَدِّهِمْ) كَلِيلًا (أَيْ: ضَعِيفًا) وَأَمْرُهُمْ مُدْبِرًا. رواه مسلم.

**«الوطئس»:** التئور، ومعناه: اشتَدَتِ الحَرْبُ. وقوله: «حَدَّهُمْ» هو بالحاء المهملة، أي: بأسهم.

(١٨٥١) / ٣٧٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «إِنَّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبِلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ. فَقَالَ تَعَالَى: {يَتَأْمِنُهَا الرَّسُولُ كُلُّهُ مِنَ الظَّبَابِتِ وَأَعْمَلُوا صَلَحًا} [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ تَعَالَى: {يَتَأْمِنُهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّهُمُ مِنْ طَبَابِتِ مَا رَزَقْنَاهُمْ} [البقرة: ١٧٢]». ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطْبِلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ (أي: مغرب الشعر ملبه) أَغْبَرَ يَمْدُدُ يَدِيهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرُبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبُسُهُ حَرَامٌ، وَعَدْدِي بِالْحَرَامِ، فَأَنِّي يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ رواه مسلم.

(١٨٥٢) / ٣٧٠) وعنده رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيْهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ (أي: رجل طاعن في السن) زَانٌ، وَمَلِكٌ كَذَابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ». رواه مسلم. **«العائل»:** الفقير.

(١٨٥٣) / ٣٧٠) وعنده رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «سَيْحَانٌ وَجِيَحَانٌ (أي: نهران من أنهار الجنة في بلاد الأرمن) وَالْفَرَاتُ وَالنَّيلُ كُلُّهُ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ». رواه مسلم.

(١٨٥٤) / ٣٧٠) وعنده رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه بيديه فقال: «خَلَقَ اللَّهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوْهَ يَوْمَ الْثَّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَ يَوْمَ الْحَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ صلوات الله عليه وآله وسلامه، بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُوعَةِ فِي آخرِ الْخَلْقِ فِي آخرِ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ». رواه مسلم.

(١٨٥٥) / ٣٧٠) وعن أبي سليمان خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: لَقِدْ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَهَةٍ تِسْعَةُ أَسِيَافٍ، فَمَا بَقَيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيفَةٌ يَمَانِيَةً. رواه البخاري.

(١٨٥٦) / ٣٧٠) وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أَنَّه سمع رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَصَابَ، فَلَهُ أَجْرٌ، وَإِنْ حَكَمَ وَاجْتَهَدَ، فَأَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ». متفق عليه.

(١٨٥٧) / ٣٧٠) وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «الْحُمَّى مِنْ فَتْحٍ (أي: شدة الحر والهب) جَهَنَّمَ فَأَبْرُدُوهَا بِالْمَاءِ». متفق عليه.

(١٨٥٨) / ٣٧٠) وعنها رضي الله عنها: عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صَوْمٌ، صَامَ عَنْهُ وَلِيَهُ». متفق عليه. وَالْمُخْتَارُ جَوَازُ الصَّوْمِ عَمَّنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صَوْمٌ لِهَذَا الْحَدِيثِ، وَالمراد بالولي: الْفَرِيبُ وَارِثًا كَانَ أَوْ غَيْرُ وَارِثٍ.

(١٨٥٩) / (٣٧٠) وعن عوف بن مالك بن الطفيلي: أن عائشة رضي الله عنها، حدثت أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة رضي الله تعالى عنها: والله لتنتهي عائشة أولاً لأحجرن عليها. قالت: أهوا قال هذا؟ قالوا: نعم. قالت: هو الله على نذر إلا أكلم ابن الزبير أبداً. فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهرجة. فقالت: لا، والله لا أشفع فيه أبداً، ولا أتحنث إلى نذري (أي: لا آثم فيه). فلما طال ذلك على ابن الزبير كلّم المسوّر بن مخرمة، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يعقوب وقال لهما: أشدكمما الله لـما أدخلتماني على عائشة رضي الله عنها، فإنّها لا يحل لها أن تندِّر قطيعتي، فأقبل به المسوّر، وعبد الرحمن، حتى استاذنا على عائشة فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل؟ قالت عائشة: ادخلوا. قالوا: كُلُّنا؟ قالت: نعم، ادخلوا كلّكم.

ولَا تَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُمَا ابْنَ الزَّبِيرِ، فَلَمَّا دَخَلُوا دَخَلَ ابْنُ الزَّبِيرِ الْحِجَابَ فَاعْتَنَقَ عائشة رضي الله عنها، وَطَفِقَ يُنَاشِدُهَا وَيَبْكِي، وَطَفِقَ الْمِسْوَرُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ يُنَاشِدُهَا إِلَّا كَلَمَتُهُ وَقَبَّلَتْ مِنْهُ، وَيَقُولُانِ: إِنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه نَهَا عَمَّا قَدْ عَلِمْتَ مِنَ الْهَجْرَةِ؛ وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخاهُ فَوقَ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا أَكْثُرُوا عَلَى عائشةَ مِنَ التَّذَكُّرِ وَالْتَّحْرِيجِ، طَفِقَتْ تُذَكِّرُهُمَا وَتَبْكِي، وَتَقُولُ: إِنِّي نَذَرْتُ وَالنَّذْرُ شَدِيدٌ، فَلَمْ يَزَالَا بِهَا حَتَّى كَلَمَتِ ابْنَ الزَّبِيرِ، وَأَعْتَقَتْ فِي نَذْرِهَا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَةً، وَكَانَتْ تَذَكِّرُ نَذْرَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَتَبَكَّيَ حَتَّى تَبَلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا. رواه البخاري.

(١٨٦٠) / (٣٧٠) وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه خرج إلى قتل أحده، فصلّى عليهم بعد ثماني سنين كالموعد للأحياء والأموات، ثم طلع إلى المنبر، فقال: «إنّي بين أيديكم فرط (أي: سابق ومتقدم) وأنا شهيد عليكم وإن موعدكم الحوض، وإنّي لأنظر إليه من مقامي هذا، إلا وإنّي لست أخشى عليكم أن تشرکوا، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا». قال: فكان آخر نظرها إلى رسول الله صلوات الله عليه. متفق عليه.

وفي رواية: «ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها، وتقتيلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم». قال عقبة: فكان آخر ما رأيت رسول الله صلوات الله عليه على المنبر.

وَفِي رَوَايَةِ قَالَ: «إِنِّي فَرَطْ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا نُنْظَرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيَتُ مَقَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، أَوْ مَقَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا».

وَالثُّرَادُ بِالصَّلَاةِ عَلَى قَتْلِي أَحُدُ الدُّعَاءِ لَهُمْ، لَا الصَّلَاةُ الْمَعْرُوفَةُ.

(٣٧٠) / ١٨٦١) وَعَنْ أَبِي زِيدِ عُمَرِ بْنِ أَخْطَبِ الْأَصْرَارِ قَالَ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنًا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهُورُ، فَنَزَّلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَّلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى عَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمَنَا أَحْفَظْنَا. رواه مسلم.

(٣٧٠) / ١٨٦٢) وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَأُفْلِيَتُهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَأَكَلَ يَعْصِيَهُ». رواه البخاري.

(٣٧٠) / ١٨٦٣) وَعَنْ أَمَّ شَرِيكِ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَهَا بِقَتْلِ الْأَوْزَاعِ (أي: نوع من الزواحف شبيهة بالسلحفاة، يسمى عند العامة «البرص») وَقَالَ: «كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ». متفق عليه.

(٣٧٠) / ١٨٦٤) وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَتَلَ وَرَغَةً فِي أَوَّلِ صَرْبَةٍ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً، وَمَنْ قَتَلَهَا فِي الصَّرْبَةِ الثَّالِثَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً دُونَ الْأُولَى، وَإِنْ قَتَلَهَا فِي الصَّرْبَةِ الثَّالِثَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً».

وَفِي رَوَايَةِ: «مَنْ قَتَلَ وَرَغَةً فِي أَوَّلِ صَرْبَةٍ كُتِبَ لَهُ مِائَةٌ حَسَنَةٌ، وَفِي الثَّالِثَةِ دُونَ ذَلِكَ، وَفِي الثَّالِثَةِ دُونَ ذَلِكَ». رواه مسلم. قال أهل اللغة: «الوراغ: العظام من سام أبرص».

(٣٧٠) / ١٨٦٥) وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ لَآتَصَدِّقَنَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصْدِقُ عَلَى سَارِقٍ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا تَصَدِّقَنَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ؛ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصْدِقُ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ! لَا تَصَدِّقَنَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصْدِقُ عَلَى غَنِيٍّ؟ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَةٍ وَعَلَى غَنِيٍّ! فَأَتَيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَا صَدَقْتَكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَ عَنْ سِرْقَتِهِ، وَأَمَا الرَّازِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَا الغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَعْتَبِرَ قِينِقَ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ». رواه البخاري بلفظه ومسلم بمعناه.

(١٨٦٦) / (٣٧٠) وعنـه قال: كـنا مـع رـسول اللـه ﷺ فـي دـعـوة (أـي: مـذـعـون لـطـعام وـلـيمـة)، فـرـفع إـلـيـه الـذـرـاع (أـي: ذـرـاع الشـاء)، وـكـانـت تـعـجـبـه، فـنـهـس مـنـهـا نـهـسـة (أـي: النـهـس: الـأـخـذ بـأـطـافـ الـأـسـنـان) وـقـالـ: «أـنـا سـيـدـ النـاسـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ، هـلـ تـدـرـوـنـ مـمـ ذـاكـ؟ يـجـمـعـ اللـهـ الـأـوـلـيـنـ وـالـأـخـرـيـنـ فـيـ صـعـيـدـ وـأـحـدـ، فـيـصـرـهـمـ النـاظـرـ، وـيـسـعـهـمـ الدـاعـيـ، وـتـدـنـوـمـنـهـمـ الشـمـسـ، فـيـلـغـ النـاسـ مـنـ الـغـمـ وـالـكـرـبـ مـاـ لـاـ يـطـيقـونـ وـلـاـ يـحـتـمـلـونـ، فـيـقـولـ النـاسـ: أـلـاـ تـرـوـنـ مـاـ أـنـتـمـ فـيـهـ إـلـىـ ماـ بـلـغـكـمـ، أـلـاـ تـنـظـرـوـنـ مـنـ يـشـفـعـ لـكـمـ إـلـىـ رـبـكـمـ؟ فـيـقـولـ بـعـضـ النـاسـ لـبعـضـ: أـبـوـكـمـ آدـمـ، فـيـاتـونـهـ فـيـقـولـونـ: يـاـ آدـمـ أـنـتـ أـبـوـ الـبـشـرـ، خـلـقـكـ اللـهـ بـيـدـهـ، وـنـفـخـ فـيـكـ مـنـ رـوـحـهـ، وـأـمـرـ الـمـلـائـكـةـ فـسـجـدـوـالـلـهـ، وـأـسـكـنـكـ الـجـنـةـ، أـلـاـ تـشـفـعـ لـنـاـ إـلـىـ رـبـكـ؟ أـلـاـ تـرـىـ إـلـىـ مـاـ نـحـنـ فـيـهـ وـمـاـ بـلـغـنـاـ؟ فـقـالـ: إـنـ رـبـيـ عـضـبـ الـيـوـمـ عـضـبـاـ لـمـ يـغـضـبـ قـبـلـهـ مـثـلـهـ، وـلـاـ يـغـضـبـ بـعـدـهـ مـثـلـهـ، وـإـنـهـ نـهـانـيـ عـنـ الشـحـرـةـ فـعـصـيـتـ، نـفـسـيـ نـفـسـيـ نـفـسـيـ، اـذـهـبـوـاـ إـلـىـ غـيرـيـ، اـذـهـبـوـاـ إـلـىـ نـوـحـ، فـيـاتـونـ نـوـحـاـ فـيـقـولـونـ: يـاـ نـوـحـ، أـنـتـ أـوـلـ الرـسـلـ إـلـىـ أـهـلـ الـأـرـضـ، وـقـدـ سـمـاـكـ اللـهـ عـبـداـ شـكـورـاـ، أـلـاـ تـرـىـ إـلـىـ مـاـ نـحـنـ فـيـهـ، أـلـاـ تـرـىـ إـلـىـ مـاـ بـلـغـنـاـ، أـلـاـ تـشـفـعـ لـنـاـ إـلـىـ رـبـكـ؟ فـيـقـولـ: إـنـ رـبـيـ عـضـبـ الـيـوـمـ عـضـبـاـ لـمـ يـغـضـبـ قـبـلـهـ مـثـلـهـ، وـلـنـ يـغـضـبـ بـعـدـهـ مـثـلـهـ، وـإـنـهـ قـدـ كـانـتـ لـيـ دـعـوـةـ دـعـوـتـ بـهـاـ عـلـىـ قـوـمـيـ، نـفـسـيـ نـفـسـيـ نـفـسـيـ، اـذـهـبـوـاـ إـلـىـ غـيرـيـ، اـذـهـبـوـاـ إـلـىـ إـبـراهـيمـ، فـيـاتـونـ إـبـراهـيمـ فـيـقـولـونـ: يـاـ إـبـراهـيمـ، أـنـتـ نـبـيـ اللـهـ وـحـلـيلـهـ مـنـ أـهـلـ الـأـرـضـ، اـشـفـعـ لـنـاـ إـلـىـ رـبـكـ، أـلـاـ تـرـىـ إـلـىـ مـاـ نـحـنـ فـيـهـ؟ فـيـقـولـ لـهـمـ: إـنـ رـبـيـ قـدـ عـضـبـ الـيـوـمـ عـضـبـاـ لـمـ يـغـضـبـ قـبـلـهـ مـثـلـهـ، وـلـنـ يـغـضـبـ بـعـدـهـ مـثـلـهـ، وـإـنـيـ كـنـتـ كـدـبـتـ ثـلـاثـ كـدـبـاتـ؛ نـفـسـيـ نـفـسـيـ نـفـسـيـ، اـذـهـبـوـاـ إـلـىـ غـيرـيـ، اـذـهـبـوـاـ إـلـىـ مـوـسـىـ، فـيـاتـونـ مـوـسـىـ فـيـقـولـونـ: يـاـ مـوـسـىـ أـنـتـ رـسـوـلـ اللـهـ، فـضـلـكـ اللـهـ بـرـسـالـاتـهـ وـبـكـلـامـهـ عـلـىـ النـاسـ، اـشـفـعـ لـنـاـ إـلـىـ رـبـكـ، أـلـاـ تـرـىـ إـلـىـ مـاـ نـحـنـ فـيـهـ؟ فـيـقـولـ: إـنـ رـبـيـ قـدـ عـضـبـ الـيـوـمـ عـضـبـاـ لـمـ يـغـضـبـ قـبـلـهـ مـثـلـهـ، وـلـنـ يـغـضـبـ بـعـدـهـ مـثـلـهـ، وـإـنـيـ قـدـ قـتـلـتـ نـفـسـاـ لـمـ أـوـرـ بـقـتـلـهـاـ، نـفـسـيـ نـفـسـيـ نـفـسـيـ، اـذـهـبـوـاـ إـلـىـ غـيرـيـ؛ اـذـهـبـوـاـ إـلـىـ عـيسـىـ. فـيـاتـونـ عـيسـىـ فـيـقـولـونـ: يـاـ عـيسـىـ، أـنـتـ رـسـوـلـ اللـهـ وـكـلـمـةـ الـقـاـهـاـ إـلـىـ مـرـيـمـ وـرـوـحـ مـنـهـ، وـكـلـمـتـ النـاسـ فـيـ الـمـهـدـ، اـشـفـعـ لـنـاـ إـلـىـ رـبـكـ، أـلـاـ تـرـىـ إـلـىـ مـاـ نـحـنـ فـيـهـ؟ فـيـقـولـ عـيسـىـ: إـنـ رـبـيـ قـدـ عـضـبـ الـيـوـمـ عـضـبـاـ لـمـ يـغـضـبـ قـبـلـهـ مـثـلـهـ، وـلـنـ يـغـضـبـ بـعـدـهـ مـثـلـهـ، وـلـمـ يـذـكـرـ ذـبـاـ، نـفـسـيـ نـفـسـيـ نـفـسـيـ، اـذـهـبـوـاـ إـلـىـ غـيرـيـ، اـذـهـبـوـاـ إـلـىـ مـوـحـمـدـ ﷺ).

وفي رواية: «**فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ**: يا مُحَمَّدُ أنتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتُمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ عَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبَكَ وَمَا تَأْخَرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَانْطَلَقَ فَاتَّيَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعْ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الشَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يا مُحَمَّدُ ارْفِعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطِهِ، وَاسْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعْ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمْتَيْ يَا رَبَّ، أُمْتَيْ يَا رَبَّ، فَيُقَالُ: يا مُحَمَّدُ ادْخُلْ مِنْ أَمْتَكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سَوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ». ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ (أي: أبواب) الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ (أي: موضع بالبحرين)، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى (أي: موضع بالشام)». متفق عليه.

(٣٧٠ / ١٨٦٧) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام بِأَمِ إِسْمَاعِيلَ وَبِإِيمَانِهِ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّى وَضَعَهَا عِنْدَ الْبَيْتِ، عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يُوْمَنِدُ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَاكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جَرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسَقَاءً فِيهِ مَاءً، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبَعَّتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذَهَّبُ وَتَرْكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ أَنْسُسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ مَرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، قَالَتْ لَهُ: اللَّهُ أَمْرَكَ بِهَذَا؟ فَأَلَّ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذْنَ لَا يُضِيعَنَا. ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام، حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الشَّيْةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهُؤُلَاءِ الدُّعَوَاتِ، فَرَفَعَ يَدِيهِ فَقَالَ: **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي رَزْعٍ** [ابراهيم: ٣٧].

وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشَرَّبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفَدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ، وَعَطِشَ أَبْنَاهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى - أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ (أي: يتمنغ ويضرب بنفسه الأرض) - فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَّةَ أَنْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلَ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الْوَادِي تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا. فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْوَادِي، رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعَهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ (أي: الذي أصابه الجهد) حَتَّى جَاوزَتِ الْوَادِي، ثُمَّ أَتَتِ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا، فَنَظَرَتْ هَلْ

ترى أحداً؟ فلم تر أحداً، فَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَاتٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «فَلَذِكَ سَعْيُ النَّاسِ بِيَنْهُمَا»، فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ : صَهْ - تُرِيدُ نَفْسَهَا - ثُمَّ تَسْمَعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ : قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ (أي: إغاثة وعون)، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِيهِ - أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ - حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ (أي: تجعله مثل الحوض) وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَعْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفْوِرُ بَعْدَ مَا تَعْرَفُ.

وفي رواية: بِقَدْرِ مَا تَعْرِفُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «رَحْمَ اللَّهِ أَمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكْتَ زَمْزَمَ - أَوْ قَالَ : لَوْ لَمْ تَعْرِفْ مِنَ الْمَاءِ - لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا (أي: ظاهرة جارية على وجه الأرض)».

قال: «فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ (أي: الهلاك) فَإِنَّ هَاهُنَا بَيْتًا لِلَّهِ يَبْنِي هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَهْلَهُ، وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْفَعًا مِنَ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَّةِ، تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذِلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةً مِنْ جُرْهُمْ (أي: قبيلة وحى من اليمن)، أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمْ مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءَ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ؛ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا (أي: يحوم على الماء)، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِيِّ وَمَا فِيهِ مَاءٌ. فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا (أي: رسولًا) أَوْ جَرِيَّنِ، فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ. فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ؛ فَأَقْبَلُوا وَأَمْ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ، فَقَالُوا: أَنَّا ذَيْنَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدِكِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ».

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «فَلَفَنِي ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، وَهِيَ تُحِبُّ الْأَنْسَ فَنَزَلُوا، فَأَرْسَلُوا إِلَيْ أَهْلِهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِهَا أَهْلَ أَيْيَاتٍ وَشَبَّ الْغُلَامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ (أي: فيه إشعار بأن لسان أمه وأبيه لم يكن عريئاً)، وَأَنْفَسُهُمْ (أي: من النفاسة، أي: كثُرت رغبتهم فيه) وَأَعْجَبُهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوْجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ: وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلَ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ (أي: يفقد حال ما تركه)، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ؛ فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا.

وفي رواية: يصيُّدُ لَنَا - ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عِيشِهِمْ وَهَيْسِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بَشَرٌ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ؛ وَشَكَّتْ إِلَيْهِ، قَالَ: إِذَا جَاءَ رَوْجُوكِ الْفَرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرُ عَتَبَةَ بَابِهِ. فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَانَهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَ كُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي: كَيْفَ عَيْشَنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَا فِي جَهَدٍ وَشِدَّةٍ. قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمْرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: غَيْرِ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكَ أَبِي وَقَدْ أَمْرَنِي أَنْ أَفْارِقَكِ الْحَقِيقِي بِأَهْلِكِ. فَطَلَّقَهَا وَتَرَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَحِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَ عَنْهُ. قَالَتْ: خَرَجَ يَتَبَغِي لَنَا قَالَ: كَيْفَ أَتُؤْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عِيشِهِمْ وَهَيْسِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بَحِيرٌ وَسَعَةٌ، وَأَنْتُ عَلَى اللَّهِ. فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتْ: اللَّحْمُ، قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتْ: المَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ». قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يُوْمَيْدٌ حَبٌّ وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ، قَالَ: فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ يُغَيِّرُ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَا» (أي: أن اللحم والماء لم يكونا من الأطعمة المحبية عند أحد غير أهل مكة)».

وفي رواية: «فجاءَ فَقَالَ: أَيْنَ إِسْمَاعِيلُ؟ فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ: ذَهَبَ يَصِيدُ؛ فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ: أَلَا تَنْزِلُ، فَتَطْعَمَ وَتَشْرَبْ؟ قَالَ: وَمَا طَعَامُكُمْ وَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتْ: طَعَامُنَا اللَّحْمُ وَشَرَابُنَا الْمَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ». قَالَ: فَقَالَ أَبُو القاسم ﷺ: «بَرَكَهُ دَعَوَةُ إِبْرَاهِيمَ». قَالَ: إِذَا جَاءَ رَوْجُوكِ الْفَرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمُرِيَهِ يُثِبِّتْ عَتَبَةَ بَابِهِ. فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْتَهُ، وَأَنْتُ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشَنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَا بِحِيرٍ. قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثِبِّتْ عَتَبَةَ بَابِكَ. قَالَ: ذَاكَ أَبِي، وَأَنْتِ العَتَبَةُ، أَمْرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ. ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا (أي: يقلمه) لَهُ نَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَأَهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَالِدِ وَالْوَالِدُ بِالْوَالِدِ (أي: من الاعتناق والمصافحة وتقبيل

**اليد ونحو ذلك.** قال: يا إسماعيل، إنَّ الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربك؟ قال: وتعيني، قال: وأعينك، قال: فإنَّ الله أمرني أنْ أبني بيئاً هاهنا، وأشار إلى أكمَةٍ مُرتفعةٍ على ما حولها، فعند ذلك رفع القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البيت، جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه، وهو يبني وإسماعيل يتأولُ الحجارة وهم يقولان: **﴿رَبَّنَا نَفَّلَ مِنْا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** [الفرقان: ١٢٧].

وفي رواية: «إنَّ إبراهيم خرج ياسماعيل وأم إسماعيل، معهم شنة» (أي: قربة قديمة) فيها ماء، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة فيدر لبنيها على صبيها، حتى قدم مكة، فوضعها تحت دوحة، ثم راجع إبراهيم إلى أهله، فاتبعهُ أم إسماعيل حتى لمَّا بلعوا كداء نادته من ورائه: يا إبراهيم إلى من تشركتنا؟ قال: إلى الله، قال: رضيت بالله، فرجعت وجعلت تشرب من الشنة ويدر لبنها على صبيها، حتى لما فني الماء قال: لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحداً. قال: فذهبت فصعدت الصفا، فنظرت ونظرت هل تحس أحداً، فلم تحس أحداً، فلما بلغت الوادي سعت، وأتي المروءة، وفعلت ذلك أشواطاً، ثم قال: لو ذهبت فنظرت ما فعل الصبي، فذهبت فنظرت فإذا هو على حاله، كان يشنع للموت، فلم تقر لها نفسها فقالت: لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحداً، فذهبت فصعدت الصفا، فنظرت ونظرت فلم تحس أحداً، حتى أتمت سبعاً، ثم قال: لو ذهبت فنظرت ما فعل، فإذا هي بصوت، فقالت: أغث إن كان عندك خير، فإذا جبريل فقال بعيقية هكذا، وغمز بعيقية على الأرض، فانبثقت الماء فذهبست أم إسماعيل، فجعلت تحفن» (أي: تعرف من الماء يدها). وذكر الحديث بطروله. رواه البخاري بهذه الروايات كلها. **«الدُّوْخَةُ: الشَّجَرَةُ الْكَبِيرَةُ، قَوْلُهُ: ﴿فَقَوِيَ﴾ أَيْ: وَلَى. وَالْجَرِيُّ: الرَّسُولُ. وَالْأَنْفَى﴾** معناه: وجداً. قوله: **«يَشْنَعُ** أي: يُشَهِّدُ.

**١٨٦٨ / ٣٧٠** وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: «الكماء» (أي: نبات يوجد في الأرض من غير أن يزرع) من المَنْ، وماهَا شفاء للعَيْنِ». متفق عليه.

## ١٩ - كتاب الاستغفار

### ٣٧١ - باب الأمر بالاستغفار وفضله

قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ وَلِمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿فَسَيِّدُنَا مُحَمَّدُ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا﴾ [النصر: ٣].

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَتَقْوَى عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَاحَتِهِ إِلَى قَوْلِهِ عَجَلَ﴾ [وَالْمُسْتَغْفِرُونَ ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَعِدُ اللَّهَ عَفْوًا رَّحِيمًا﴾ [آل عمران: ١٤٥ - ١٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ يُعَذِّبُهُمْ وَأَنَّتِ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأناشيد: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذَنْبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصْرِرُ عَلَى مَا فَعَلَوْا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

والآيات في الباب كثيرة معلومة.

**٣٧١ / ١٨٦٩** وعن الأغر المزني رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي (أي: يصيب قلبه ما يُلهميه)، وإنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةً». رواه مسلم.

**٣٧١ / ١٨٧٠** وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوْبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً». رواه البخاري.

**٣٧١ / ١٨٧١** وعنه رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَمْ تُؤْنِبُوا، لَذَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ تَعَالَى، فَيَغْفِرُ لَهُمْ». رواه مسلم.

(٣٧١ / ١٨٧٢) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنَّا نُعذِّل رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مَائَةً مَرَّةً: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ». رواه أبو داود والترمذى، وقال: «حديث حسن صحيح غريب».

(٣٧١ / ١٨٧٣) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَرِمَ الْاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضَيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هُمٍ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ». رواه أبو داود.

(٣٧١ / ١٨٧٤) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفرَتْ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ». رواه أبو داود والترمذى والحاكم، وقال: «حديث صحيح على شرط البخارى ومسلم».

(٣٧١ / ١٨٧٥) وعن شداد بن أوس رضي الله عنه: عن النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَيِّدُ الْاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ حَلْقَتِنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنَعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنَّتَ. مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُؤْنَثًا بَهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ، وَهُوَ مُؤْنَثٌ بَهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ». رواه البخارى. «أَبُوءُ بِبَيِّ مَضْمُونَةٍ ثُمَّ وَأَوْ وَهَمْزَةٍ مَمْدُودَةٍ، وَمَعْنَاهُ: أَغْرِي وَأَعْتَرْفُ».

(٣٧١ / ١٨٧٦) وعن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا انصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ». قيل للأوزاعي وهو أحد رواته: كيف الاستغفار؟ قال: يقول: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ. رواه مسلم.

(٣٧١ / ١٨٧٧) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكثِّرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ مَوْتِهِ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ». متفق عليه.

(٣٧١ / ١٨٧٨) وعن أنس رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغْتَ ذُنُوبَكَ عَنَّا السَّمَاءِ، ثُمَّ أَسْتَغْفِرَتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ حَطَّاً، ثُمَّ لَقِيَتِنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَا يَنْتَكُ بِقَرَابِهَا مَغْفِرَةً». رواه الترمذى، وقال: « الحديث حسن ». «عَنَّا السَّمَاءِ» بفتح العين، قيل: هُوَ السَّحَابُ، وَقَيلَ: هُوَ مَا عَنَّ لَكَ مِنْهَا، أي: ظَهَرَ. وَ«قُرَابُ الْأَرْضِ» بضم القاف، وَرُوِيَ بكسرها، والضم أشهـر. وَهُوَ مَا يُقَارِبُ مِنْهَا.

٣٧١ / ١٨٧٩) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «يا معاشر النساء تصدقن، وأكثرن من الاستغفار؛ فإني رأيتكم أكثر أهل النار». قالت امرأة ممن هن: ما لنا أكثر أهل النار؟ قال: «تُكثرون اللعن» (أي: التلفظ باللعن)، وَتَكْفُرُنَ الْعَشِيرَ (أي: تُنكِّرُونَ نعمة الزوج)، ما رأيت من ناقصات عقل وَدِين أغلب لذى لب (أي: اللب: العقل) مِنْكُنَّ». قالت: ما نقصان العقل والدين؟ قال: «شهادة أمرين بشهادة رجل، وتمكث الأيام لا تصلّى» (أي: لما ابتلاهن الله به من الحيض والنفاس)). رواه مسلم.

### ٣٧٢ - باب بيان ما أعد الله تعالى للمؤمنين في الجنة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَقِّينَ فِي جَنَّتِ وَعِيُونٍ﴾ ﴿٤٥﴾ أَدْخُلُوهَا سَلَمًا ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَّعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غُلٍ إِحْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُنْقَدِّلَيْنَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمْسِهِمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُحْرِجٍ﴾ ﴿٤٨﴾ [الحجر: ٤٨-٤٥].

وقال تعالى: ﴿يَعْبُادُ لَا حَوْقَنٌ عَلَيْكُمُ الْيَمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزُبُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِعِيَتنا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٥٠﴾ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَسْمَهُ وَأَزْوَاجُهُمْ يُحْبَرُونَ ﴿٥١﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكَابِرٍ وَفِيهَا مَا شَتَّهِيَ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْشَرَ فِيهَا خَلَدُورَنَ ﴿٥٢﴾ وَرِنَاكَ الْجَنَّةُ الْقِيَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ لَكُوْنُ فِيهَا فَلَكُهُمْ كَثِيرٌ مِنْهَا تَأْكُونَ ﴿٥٤﴾ [الزخرف: ٦٨ - ٧٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَقِّينَ فِي مَقَامِ أَمِينٍ﴾ ﴿٥٥﴾ فِي جَنَّتِ وَعِيُونٍ ﴿٥٦﴾ يُلْبِسُونَ مِنْ شَنَدَسٍ وَإِسْبَرِقٍ مُنْقَدِّلَيْنَ ﴿٥٧﴾ كَذَلِكَ وَزَوْجَتُهُمْ يُحْبَرُونَ ﴿٥٨﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَرِكَاهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٩﴾ لَا يَدْوُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَ الْأَوَّلَ وَوَقَنُهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٦٠﴾ فَضَلَّمُنَ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦١﴾ [الدخان: ٥١ - ٥٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيْرٍ﴾ ﴿٦٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكَ يَنْظَرُونَ ﴿٦٣﴾ تَعْرُفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضَرَةً الْتَّعِيْمِ ﴿٦٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَحْشُومٍ ﴿٦٥﴾ خَتَمْهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلَيَتَنَافَسَ الْمُنْتَفِسُونَ ﴿٦٦﴾ وَرَأَجُهُمْ مِنْ تَسْبِيْرٍ ﴿٦٧﴾ عَيْنَانِ يَسْرَبُ بِهَا الْمُقْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ [المطففين: ٢٢ - ٢٨].

والآيات في الباب كثيرة معلومة.

(١٨٨٠ / ٣٧٢) وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «يُأكِلُ أَهْلُ الْجَنَّةَ فِيهَا، وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَحِطُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلِكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءُ (أي: التجشوء: هو تنفس المعدة عند الاملاء) كَرْسِحُ الْمِسْكِ، يُلْهِمُونَ التَّسْبِيحَ وَالْتَّكْبِيرَ كَمَا يُلْهِمُونَ النَّفَسَ». رواه مسلم.

(١٨٨١ / ٣٧٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُدُنْ سَمِعَتْ، وَلَا حَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَأَفْرَعُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ فُرَّةٍ أَعْيُنٍ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾»

[السجدة: ١٧]. متفق عليه.

(١٨٨٢ / ٣٧٢) وعنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «أَوْلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوَنُهُمْ عَلَى أَشَدِ كَوَافِرِ دُرَّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِصْبَاعَةً، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتَفَلُّونَ، وَلَا يَمْتَحِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الدَّهْبُ، وَرَسُحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَاهِرُهُمُ (أي: مباهِرِهِم) الْأَلْوَةُ (أي: عُودُ الطِّيبِ)، أَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعَيْنُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذَرَاعًا فِي السَّمَاءِ». متفق عليه.

وفي رواية البخاري ومسلم: «أَيُّهُمْ فِيهَا الْذَّهَبُ، وَرَسُحُهُمُ الْمِسْكُ. وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ رُوْجَتَانِ يُرَى مُخْ سَاقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ الْلَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ، لَا احْتِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَلَا تَبَاغُضُ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بِكُرْةٍ وَعَشِيًّا».

قوله: «عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ». رواه بعضهم بفتح الخاء وإسكان اللام وبعضهم بضمها وكلاهما صحيح.

(١٨٨٣ / ٣٧٢) وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «سَأَلَ مُوسَى عليه السلام رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلَ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَحْيِي بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةَ الْجَنَّةَ، فَيَقَالُ لَهُ: أُدْخِلُ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: أَيْ رَبٌّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخْذُوا أَخْدَاتِهِمْ؟ فَيَقَالُ لَهُ: أَتَرَضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلَكَاتِ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّي، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَيَقُولُ فِي الْخَاتِمَةِ: رَضِيتُ رَبِّي، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اسْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ. فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّي. قَالَ: رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرْدَتْ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرِ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذْنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ». رواه مسلم.

(٣٧٢ / ١٨٨٤) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لِأَعْلَمُ أَخْرَجَ أَهْلَ النَّارِ حُرُوْجًا مِنْهَا، وَأَخْرَجَ أَهْلَ الْجَنَّةَ دُخُولًا الْجَنَّةَ». رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا (أي: الحبو: المشي على اليدين والجلتين)، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيَخْيَلُ إِلَيْهَا مَلَائِي، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَائِي! فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ؛ فَيَأْتِيهَا، فَيَخْيَلُ إِلَيْهَا مَلَائِي، فَيَرْجِعُ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَائِي، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَإِنَّ لَكَ مِثْلُ الدُّنْيَا وَعَشْرَةً أَمْثَالَهَا؛ أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشْرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: أَتْسَخْرُ بِي، أَوْ تَضَحَّكُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ». قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحَّكَ حَتَّى بَدَّتْ نَوَاجِدُهُ (أي: أَنِيابِهِ) فَكَانَ يَقُولُ: «ذَلِكَ أَذْنِي أَهْلُ الْجَنَّةَ مَنْزِلَةً». متفق عليه.

(٣٧٢ / ١٨٨٥) وعن أبي موسى رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا فِي السَّمَاءِ سِتُّونَ مِيلًا. لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضَهُمْ بَعْضًا». متفق عليه. الجمل: ستة آلاف ذراعٍ.

(٣٧٢ / ١٨٨٦) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْجَوَادُ الْمُضَمَّرَ (أي: الراكب على الفرس السريع المعتمد على حمل الأنفال) السَّرِيعَ مِائَةَ سَنَةٍ مَا يَقْطَعُهَا». متفق عليه.

وروياه في الصحيحين أيضاً من رواية أبي هريرة رضي الله عنه: «يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مائَةَ سَنَةٍ مَا يَقْطَعُهَا».

(٣٧٢ / ١٨٨٧) وعنه: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْعُرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرَّيَ الْغَابِرَ (أي: الذاهب) فِي الْأَفْوَقِ مِنَ الْمَسْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضِلِ مَا بَيْنَهُمْ». قالوا: يا رسول الله؛ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَلْعُغُهَا غَيْرُهُمْ قال: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رَجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ». متفق عليه.

(٣٧٢ / ١٨٨٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الْقَابُ (أي: مقدار) قُوسٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا تَطَلَّعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ تَغُرُّبُ». متفق عليه.

(١٨٨٩ / ٣٧٢) وعن أنس: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ سُوقًا (أي: المراد بالسوق) مجمع لهم يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق) يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمْعَةٍ. فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْشُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزَدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِهِمْ، وَقَدْ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوْهُمْ: وَاللهِ لَقِدْ ازْدَدْتُمْ حُسْنًا وَجَمَالًا! فَيَقُولُونَ: وَآتَنَا وَاللهِ لَقِدْ ازْدَدْنَا بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا!». رواه مسلم.

(١٨٩٠ / ٣٧٢) وعن سهل بن سعيد: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الْغُرْفَةِ فِي الْجَنَّةِ كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ فِي السَّمَاءِ». متفق عليه.

(١٨٩١ / ٣٧٢) عنه: شَهِدْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مَجْلِسًا وَصَافَ فِيهِ الْجَنَّةَ حَتَّى انتَهَى، ثم قال في آخر حديثه: «فيها مَا لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشري». ثم قرأ: ﴿تَجَافَ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ إلى قوله تعالى ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ فِرْءَأَعْيُنِ﴾ [السجدة: ١٦ - ١٧]. رواه البخاري.

(١٨٩٢ / ٣٧٢) وعن أبي سعيد وأبي هريرة: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يُنَادِي مُنَادِي: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيِوا، فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا، فَلَا تَبَأْسُوا أَبَدًا». رواه مسلم.

(١٨٩٣ / ٣٧٢) وعن أبي هريرة: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَدْنَى مَقْعِدٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: تَمَنَّ، كَيْمَنَّ وَيَتَمَنَّ فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَمَنَّتِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ لَهُ: إِنَّ لَكَ مَا تَمَنَّتِ وَمِثْلُهُ مَعَهُ». رواه مسلم.

(١٨٩٤ / ٣٧٢) وعن أبي سعيد الخدري: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَلَيْكَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَنَا، وَالْخَيْرُ فِي يَدِنَا، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبَّنَا وَقَدْ أَعْطَيْنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أَعْطِيْكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ (أي: أُنْزَل) عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا». متفق عليه.

(٣٧٢) / ١٨٩٥ وَعَنْ جَرِيرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ (أي): لَا تَنْضَرُونَ وَلَا يُشَقَّ عَلَيْكُمْ» فِي رُؤْيَايَتِهِ». متفق عليه.

(٣٧٢) / ١٨٩٦ وَعَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أَعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ». رواه مسلم.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ يَأْتِيهِمْ مِنْ تَجْرِي مِنْ تَحْنِيمِ الْأَنْهَارِ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ⑯ دَعَوْنَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحْيِيْهِمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ⑰﴾ [يونس: ٩-١٠].

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِهَدَى لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُمَّ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

قال مؤلفه:

فرغت منه يوم الإثنين الرابع عشر من شهر رمضان سنة سبعين وستمائة

بدِمشق

## الفهرس

٣	تقرير فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم
٦	تقرير فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الغفار حامد هلال
٨	تقرير فضيلة الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي <small>رحمه الله</small>
٩	تقرير فضيلة الأستاذ الدكتور سيد السيلي
١١	تقرير فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد ربيع يوسف
١٣	<b>مقدمة الشارح</b>
١٣	مقدمة الطبعة الرابعة
١٧	عملنا في الكتاب
٢٣	<b>مقدمة المؤلف (الإمام النووي)</b>
٢٥	١ - باب الإخلاص وإحضار الينية في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية
٢٨	<b>(الإخلاص)</b>
٣٢	حقيقة الإخلاص
٣٢	الفرق بين المخلص والمُخلص
٣٣	الأعمال المتعلقة بالنية
٣٧	٢ - باب التوبة
٤٦	<b>(التوبة)</b>
٤٧	شروط التوبة
٥٠	التوبة الناصحة
٥٠	الصفات المثيرة للذنب في الإنسان
٥١	الكبار
٥٢	أقسام الناس في الآخرة
٥٤	التوبة والإنابة والإياب
٥٥	٣ - باب الصبر
٦٣	<b>(الصبر)</b>

٦٤ .....	<b>أقسام الصبر</b>
٦٧ .....	<b>حُكْم الصبر</b>
٦٨ .....	<b>أنواع الصبر</b>
٦٩ .....	<b>الفرق بين الصَّبَر والرِّضا</b>
٧٩ .....	<b>كيفية الصبر</b>
٧١ .....	<b>الأمور التي تُعيَّن على الصبر</b>
٧٢ .....	<b>٤ - باب الصِّدْقِ</b>
٧٣ .....	<b>(الصدق)</b>
٧٥ .....	<b>معاني الصدق</b>
٨١ .....	<b>كلمات في حقيقة الصدق</b>
٨٢ .....	<b>قصة</b>
٨٥ .....	<b>٥ - باب المراقبة</b>
٨٨ .....	<b>(المُراقبة)</b>
٩٢ .....	<b>٦ - باب في التَّقْوَى</b>
٩٤ .....	<b>(التَّقْوَى)</b>
٩٥ .....	<b>الفرق بين التَّقْوَى والورع</b>
٩٥ .....	<b>الفرق بين الوقاية والتَّقْوَى</b>
٩٦ .....	<b>قصة</b>
٩٧ .....	<b>٧ - باب في اليقين والتَّوْكِل</b>
١٠١ .....	<b>(اليقين)</b>
١٠٣ .....	<b>أنواع اليقين</b>
١٠٣ .....	<b>درجات اليقين</b>
١٠٤ .....	<b>قصة</b>
١٠٥ .....	<b>(التَّوْكِل)</b>
١٠٦ .....	<b>التَّوْكِل والتَّوْاکل أو الاتِّکال</b>

١٠٩.....	<b>قصص في التوكيل</b>
١١١.....	- باب في الاستقامة
١١٢.....	<b>(الاستقامة)</b>
٩ - باب في التفكير في عظيم مخلوقات الله تعالى، وفناء الدنيا، وأهوال الآخرة وسائر أمورها، وتقدير النفس وتحذيرها وحيلتها على الاستقامة .....	١١٥.....
١١٦.....	<b>(عبادة التفكير في عظيم مخلوقات الله تعالى)</b>
١١٩.....	<b>الصفات المهلكة والصفات المنيحة</b>
١٠ - باب في المبادرة إلى الحسنات وحث من توجهه لخير على الإقبال عليه بالجذب من غير تردد .....	١٢١.....
١٢٣.....	- باب في المجاهدة .....
١٢٦.....	<b>(المجاهدة)</b>
١٢٦.....	مجاهدة النفس .....
١٢٧.....	<b>أنواع النفس</b> .....
١٢٧.....	<b>مراتب جهاد النفس</b> .....
١٢٨.....	مجاهدة الشيطان .....
١٢٨.....	مراتب مجاهدة الشيطان .....
١٣٠.....	<b>أعظم أبواب الشياطين</b> .....
١٣٤.....	١٢ - باب الحث على الازدياد من الخير في أواخر العمر .....
١٣٦.....	١٣ - باب في بيان كثرة طرق الخير .....
١٤١.....	<b>(كثرة طرق الخير)</b>
١٤٤.....	حال الكمال وحال الجواز .....
١٤٥.....	٤ - باب في الاقتصاد في العبادة .....
١٤٩.....	<b>(الاقتصاد في العبادة)</b>
١٥١.....	<b>(الرخص الشرعية: أحكامها وضوابطها)</b>
١٥٢.....	خصائص الشريعة الإسلامية .....

١٥٣	العِزَّةُ وَالرُّحْصَةُ .....
١٥٣	أقسام العزمة .....
١٥٣	أنواع الرُّحْصَة .....
١٥٤	الأسباب المُبِيحةُ لِلرُّحْصَةِ الشرعية .....
١٦٣	ملخص .....
١٦٤	١٥ - باب في الحافظة على الأعمال .....
١٦٤	١٦ - باب في الأمر بالمحافظة على السنّة وأدابها .....
١٦٧	<u>(السنّة النبوية الشريفة)</u> .....
١٦٧	• السنّة لغة .....
١٦٨	• السنّة شرعاً .....
١٧٩	مصادر التشريع .....
١٧٠	منزلة السنّة في الإسلام .....
١٧٠	واجب المسلمين نحو السنّة .....
١٧٢	شبهة أعداء السنّة .....
١٧٣	ما ليس تشريعاً من أقوال الرسول ﷺ وأفعاله .....
١٧٤	الخلاصة .....
١٧	١٧ - باب في وجوب الانقياد لحكم الله وما يقوله من دعى إلى ذلك وأمر معروف أو نهي عن منكر .....
١٧٥	
١٧٦	<u>(أقسام الحكم التكليفي للأمة)</u> .....
١٧٦	الوجوب .....
١٧٦	الندب .....
١٧٦	التحريم .....
١٧٦	الكرابة .....
١٧٧	الإباحة .....
١٧٧	١٨ - باب في النهي عن البدع ومحدثات الأمور .....

١٧٨.....	<u>(الابداع)</u>
١٧٨.....	أحكام البدعة
١٨٢.....	أسباب البدعة
١٨٧.....	١٩ - باب فيمن سئَ سُنّة حسنة أو سيئة .....
١٨٨.....	٢٠ - باب في الدلالة على خير والدعاء إلى هدى أو ضلاله .....
١٨٩.....	<u>(الدعوة إلى الله تبارك وتعالي)</u>
١٩٤.....	آداب الدعوة إلى الله .....
١٩٧.....	٢١ - باب في التعاون على البر والتقوى .....
١٩٧.....	<u>(التعاون على البر والتقوى)</u>
١٩٨.....	أقسام الأخوة .....
٢٠٠.....	٢٢ - باب في النصيحة .....
٢٠٠.....	٢٣ - باب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .....
٢٠٤.....	<u>(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)</u> .....
٢٠٩.....	٢٤ - باب تغليظ عقوبة من أمر بمعرفة أو نهى عن منكر وخالف قوله فعله .....
٢٠٩.....	٢٥ - باب الأمر بأداء الأمانة .....
٢١٢.....	<u>(الأمانة)</u> .....
٢١٥.....	قصة .....
٢١٥.....	قصة .....
٢١٦.....	٢٦ - باب تحريم الظلم والأمر برد المظالم .....
٢١٩.....	<u>(الظلم)</u> .....
٢٢٠.....	كيف يظلم العبد نفسه .....
٢٢٢.....	دواوين العباد يوم القيمة .....
٢٢٢.....	قصة .....
٢٢٤.....	٢٧ - باب تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم .....
٢٢٧.....	٢٨ - باب قضاء حوائج المسلمين .....

٢٢٧	- باب ستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة .....	٢٩
٢٢٨	(الستر) .....	
٢٢٩	الفرق بين الستر والغفران .....	
٢٣١	قصة .....	
٢٣٢	<b>(حقوق الأخوة والصحبة)</b> .....	
٢٣٣	قواعد الصحبة .....	
٢٣٣	حقوق الأخوة .....	
٢٣٩	٣٠ - باب الشفاعة .....	
٢٣٩	٣١ - باب الإصلاح بين الناس .....	
٢٤١	٣٢ - باب فضل ضعفة المسلمين والفقراء والخاملين .....	
٢٤٣	٣٣ - باب ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرین والإحسان إليهم والشفقة عليهم والتواضع معهم وخفض الجناح لهم .....	
٢٤٦	<b>(كفالۃ اليتیم)</b> .....	
٢٤٨	٣٤ - باب الوصیة بالنساء .....	
٢٥٠	<b>(حقوق الزوجة والوصیة بها)</b> .....	
٢٥٠	تعليم الإيمان والإسلام .....	
٢٥٢	النفقة .....	
٢٥٤	حسن الخلق .....	
٢٥٥	ملخص حقوق الزوجة والعشرة الحسنة .....	
٢٥٧	<b>(أدوار الحياة الزوجية)</b> .....	
٢٦١	٣٥ - باب حق الزوج على المرأة .....	
٢٦٣	<b>(حق الزوج على زوجته)</b> .....	
٢٦٣	حقوق الزوج .....	
٢٦٧	ملخص حقوق الزوج على زوجته والعشرة الحسنة .....	
٢٦٨	نصائح للزوجات .....	

٢٦٩ .....	<b>الوصية للزوجة .....</b>
٢٧٠ .....	٣٦ - باب النفقة على العيال .....
٢٧١ .....	٣٧ - باب الإنفاق مما يحب ومن الجيد .....
٢٧٢ .....	٣٨ - باب وجوب أمره أهله وأولاده المميزين وسائر من في رعيته بطاعة الله تعالى ونفيهم عن المخالفه وتأديبهم ومنعهم من ارتكاب منهيه عنه .....
٢٧٣ .....	<b>(حقوق الأبناء على الوالدين) .....</b>
٢٧٤ .....	٣٩ - حقوق الأولاد على آبائهم .....
٢٨٣ .....	٣٩ - ملخص حقوق الولد .....
٢٨٤ .....	٤٠ - باب حق الجار والوصية به .....
٢٨٥ .....	<b>(حق الجار) .....</b>
٢٨٨ .....	٤٠ - جملة حق الجار .....
٢٨٨ .....	٤٠ - باب بر الوالدين وصلة الأرحام .....
٢٩٣ .....	<b>(بر الوالدين) .....</b>
٢٩٤ .....	٤٠ - بر الوالدين .....
٢٩٤ .....	٤٠ - آداب التعامل مع الوالدين .....
٢٩٦ .....	٤٠ - تحريم العقوق .....
٢٩٦ .....	٤٠ - ما العقوق .....
٢٩٨ .....	٤١ - باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم .....
٢٩٩ .....	<b>(صلة الأرحام) .....</b>
٣٠١ .....	٤٢ - تنبیهات .....
٣٠١ .....	٤٢ - باب فضل بر أصدقاء الأب والأم والأقارب والزوجة وسائر من ينذر إكرامه .....
٣٠٣ .....	٤٣ - باب إكرام أهل بيته رسول الله ﷺ وبيان فضليهم .....
٣٠٤ .....	<b>(عقيدة أهل السنة في آل البيت رضوان الله عليهم) .....</b>
٣٠٥ .....	٤٤ - باب توقير العلماء والكتاب وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم ورفع مجالسهم وإظهار مرتبتهم .....

٣٧	<b>(آداب العالم والمتعلم)</b>
٣٨	آداب المتعلم أو طالب العلم
٣٩	آداب المعلم
٤٥	- باب زيارة أهل الخير ومحالستهم وصحبتهم ومحبتهم وطلب زيارتهم والدعاء منهم
٣١٠	زيارة الموضع الفاضلة
٤٦	- باب فضل الحب في الله والحمد عليه وإعلام الرجل من يحبه أنه يحبه، وماذا يقول له إذا أعلمه
٣١٤	
٣١٦	<b>(الحب في الله والبغض في الله)</b>
٣١٦	أولاً: الحب في الله
٣١٩	الفرق بين الزمالة في الدنيا والأخوة في الله
٣٢٠	أقسام الحب بين الأصحاب
٣٢١	قصة
٣٢٧	ثانياً: البغض في الله
٣٢٩	- باب علامات حب الله تعالى للعبد والحمد على التخلق بها والسعى في تحصيلها
٣٣٠	- باب التحذير من إيذاء الصالحين والضعفه والمساكين
٣٣٠	- باب إجراء أحكام الناس على الظاهر وسرائرهم إلى الله تعالى
٣٣٢	- باب الخوف
٣٣٦	<b>(الخوف)</b>
٣٤٠	<b>(الأمن من مكر الله تعالى)</b>
٣٤٠	أنواع المكر
٣٤٠	حكم المكر
٣٤١	حكم الأمان من مكر الله تعالى
٣٤٣	- باب الرجاء
٣٥١	<b>(الرجاء)</b>
٣٥١	الفرق بين الأمل والطمع والرجاء

٣٥١ .....	<b>الفرق بين الرجاء والتمني</b>
٣٥٣ .....	<b>الفرق بين الطموح وعلو المهمة</b>
٣٥٤ .....	٥٢ - باب فضل الرجاء .....
٣٥٤ .....	٥٣ - باب الجمع بين الخوف والرجاء .....
٣٥٦ .....	٤ - باب فضل البكاء من خشية الله تعالى وشوقاً إليه .....
٣٥٨ .....	<b>(البكاء من خشية الله تعالى)</b> .....
٣٥٩ .....	<b>(الخشية)</b> .....
٣٦١ .....	٥٥ - باب فضل الزهد في الدنيا والبحث على التقلل منها وفضل الفقر .....
٣٦٧ .....	<b>(الزهد)</b> .....
٣٦٨ .....	<b>أقسام الزهد</b> .....
٣٧٠ .....	<b>قصص في الزهد</b> .....
٣٧٢ .....	٥٦ - باب فضل الجوع وخشنونة العيش والاقتصار على القليل من المأكول والمشرب والملبوس وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات .....
٣٨١ .....	<b>(البذادة وحسن السمت)</b> .....
٣٨٣ .....	٥٧ - باب القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة والإنفاق وذم السؤال من غير ضرورة .....
٣٨٦ .....	<b>(القناعة)</b> .....
٣٨٧ .....	<b>(العفة والعفاف)</b> .....
٣٨٧ .....	<b>أنواع العفة</b> .....
٣٨٨ .....	<b> تمام العفة</b> .....
٣٩٠ .....	<b>قصة</b> .....
٣٩١ .....	٥٨ - باب جواز الأخذ من غير مسألة ولا تطلع إليه .....
٣٩١ .....	٥٩ - باب البحث على الأكل من عمل يده والتعرف به عن السؤال والتعرض للإعطاء .....
٣٩١ .....	<b>(آداب الکسب والمعاش)</b> .....
٣٩٧ .....	٦٠ - باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى .....
٤٠١ .....	<b>(الإنفاق والكرم والجود)</b> .....

٤٠١	أولاً: الإنفاق
٤٠١	ثانياً: الكرم
٤٠٤	ثالثاً: الجود
٤٠٤	مَرَاتِبُ الْجُودِ
٤٠٦	الفرق بين الكرم والجود
٤٠٧	٦١ - باب النهي عن البخل والشح
٤٠٧	<u>(البخل والحرص والطمع)</u>
٤٠٧	أولاً: البخل
٤٠٧	أسبابُ الْبَخْلِ
٤٠٨	مصيبة المال
٤٠٩	قصة
٤٠٩	ثانياً: الحرص
٤١١	أسبابُ دَمِّ المَالِ
٤١٢	ثالثاً: الطمع
٤١٢	قصة
٤١٤	٦٢ - باب الإيثار والمواساة
٤١٥	<u>(الإيثار)</u>
٤١٥	درجات الإيثار
٤١٦	الأسباب الممعينة على الإيثار
٤١٧	السخاء والجود والإيثار
٤١٨	قصص في الإيثار
٤١٩	٦٣ - باب التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك به
٤١٩	٦٤ - باب فضل الغني الشاكِر، وهو من أخذ المال من وجهه وصرفه في وجوهه المأمور بها
٤٢٠	<u>(الشُّكْرُ)</u>
٤٢١	حقيقة الشكر

أيهمَا أَفْضَلُ، فِضْلَةُ الصَّبْرِ أَمْ فِضْلَةُ الشَّكْرِ	٤٢٥
<b>دَرَجَاتُ الشَّكْرِ</b>	٤٢٦
<b>أَنْوَاعُ الشَّكْرِ</b>	٤٢٦
٦٥ - بَابُ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَقُصْرِ الْأَمْلِ	٤٢٧
<b>(الْغَرْوُرُ)</b>	٤٣٠
الْجَهْلُ وَالْغَرْوُرُ	٤٣٠
أَصْنَافُ الْمُغْتَرِبِينَ	٤٣٠
الثَّقَةُ بِاللَّهِ وَالْغَرْوُرُ وَالْعَجْزُ	٤٣١
٦٦ - بَابُ اسْتِحْبَابِ زِيَارَةِ الْقَبُورِ لِلرِّجَالِ وَمَا يَقُولُهُ الزَّائِرُ	٤٣٢
٦٧ - بَابُ كُرَاهَةِ تَمْنِي الْمَوْتِ بِسَبِيلٍ نَّزَلَ بِهِ وَلَا يَأْسُ بِهِ لِخَوْفِ الْفَتْنَةِ فِي الدِّينِ	٤٣٣
٦٨ - بَابُ الْوَرَعِ وَتَرْكِ الشَّبَهَاتِ	٤٣٣
<b>(الْوَرَعُ)</b>	٤٣٥
قَصْصَاتُ فِي الْوَرَعِ	٤٤٠
٦٩ - بَابُ اسْتِحْبَابِ الْعَزْلَةِ عَنْ فَسَادِ النَّاسِ وَالزَّمَانِ أَوْ الْخَوْفِ مِنْ فَتْنَةِ الدِّينِ وَوُقُوعِ فِي حَرَامٍ وَشَبَهَاتٍ وَنَحْوَهَا	٤٤٠
<b>(آدَابُ الْعَزْلَةِ وَآفَاتُهَا)</b>	٤٤١
فَوَائِدُ الْعَزْلَةِ	٤٤٣
فَوَائِدُ الْاِخْتِلاَطِ بِالنَّاسِ وَآفَاتُ الْعَزْلَةِ	٤٤٨
<b>آدَابُ الْعَزْلَةِ</b>	٤٥٢
٧٠ - بَابُ فَضْلِ الْاِخْتِلاَطِ بِالنَّاسِ وَحُضُورِ جُمُعِهِمْ وَجَمَاعَتِهِمْ، وَمُشَاهَدِ الْخَيْرِ، وَمُجَالِسِ الذَّكْرِ مَعَهُمْ، وَعِيَادَةِ مَرِيضِهِمْ، وَحُضُورِ جَنَائِزِهِمْ، وَمُواسَاةِ مُحْتَاجِهِمْ، وَإِرشَادِ جَاهِلِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِهِمْ مَلَى قَدْرِ عَلِيِّ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَقَمْعِ نَفْسِهِ عَنِ الإِيْذَاءِ وَصَبْرِ عَلَى الْأَذَى	٤٥٤
<b>(آدَابُ الصَّحَّةِ وَالْاِخْتِلاَطِ بِالنَّاسِ)</b>	٤٥٤
حَقُوقُ الْمَرْءِ عَلَى أَخِيهِ	٤٥٥

٤٥٦	آداب معاشرة الناس
٤٥٧	٧١ - باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين
٤٥٩	<u>(التواضع)</u>
٤٦٠	درجات التواضع
٤٦٠	التواضع لله
٤٦٢	قصة
٤٦٣	٧٢ - باب تحريم الكبير والإعجاب
٤٦٥	<u>(الكبير)</u>
٤٦٥	أقسام الكبر
٤٦٦	أسباب الكبر
٤٦٩	درجات الكبر
٤٦٩	بعض مظاهر التكبر
٤٧٢	<u>(العجب)</u>
٤٧٤	أنواع العجب
٤٧٥	٧٣ - باب حُسن الخلق
٤٧٧	<u>(حسن الخلق)</u>
٤٧٧	أقسام حسن الخلق
٤٧٨	أركان حسن الخلق
٤٨٠	أسباب تغير أخلاق الناس
٤٨١	<u>(كيف تعرف عيوب نفسك؟)</u>
٤٨٤	٧٤ - باب الحلم والأئنة والرفق
٤٨٥	<u>(الحلم)</u>
٤٨٦	أسباب الحلم الباعثة على ضبط النفس
٤٨٨	الفرق بين الغضب والحزن
٤٩٠	قصص في الحلم

٤٩١ .....	<b>أقسام الحلم</b>
٤٩٢ .....	<b>(الرفق)</b>
٤٩٤ .....	٧٥ - باب العفو والإعراض عن الجاهلين
٤٩٥ .....	<b>(العفو والصفح والغفران)</b>
٤٩٥ .....	الفرق بين العفو والصفح والمغفرة
٤٩٨ .....	قصة
٤٩٩ .....	٧٦ - باب احتمال الأذى
٤٩٩ .....	٧٧ - باب الغضب إذا انتهكت حرمات الشرع والانتصار لدين الله تعالى
٥٠٠ .....	<b>(الغضب)</b>
٥٠١ .....	الغضب المحمود والغضب المذموم
٥٠٣ .....	أسباب الغضب
٥٠٣ .....	علاج الغضب
٥٠٥ .....	قصة
٧٨ .....	٧٨ - باب أمر ولادة الأمور بالرفق برعاياهم ونصيحتهم والشفقة عليهم والنهي عن غشهم والتشديد عليهم وإهمال مصالحهم والغفلة عنهم وعن حوايجهم
٧٩ .....	٧٩ - باب الوالي العادل
٥٠٨ .....	٨٠ - باب وجوب طاعة ولادة الأمر في غير معصية وتحريم طاعتهم في المعصية
٥١٠ .....	<b>(اختيار الوالي العادل ووجوب طاعته)</b>
٥١٠ .....	أولاً: أداء الأمانات من قبل الحكم
٥١١ .....	ثانياً: الحكم بالعدل
٥١٢ .....	استعمال الأصلح
٥١٥ .....	المقصود بالواجب الشرعي على الوالي والحاكم في الولايات
٥١٦ .....	وجوب اتخاذ الإمارة أو الرياسة
٥٢٠ .....	٨١ - باب النهي عن سؤال الإمارة و اختيار ترك الولايات إذا لم يتعين عليه أو تدْعُ حاجة إليه

- باب حَثِّ السلطان والقاضي وغيرهما من ولاة الأمور على اتخاذ وزير صالح وتحذيرهم من قرناء السوء والقبول منهم ..... ٥٢٠	٨٢
- باب النهي عن تولية الإمارة والقضاء وغيرهما من الولايات لمن سألها أو حرص عليها فعرَض بها ..... ٥٢١	٨٣
<b>١- كتاب الأدب ..... ٥٢١</b>	
<b>(الأدب) ..... ٥٢١</b>	
٥٢١ ..... الفرق بين طلب العلوم الشرعية والتآدب	
٥٢٢ ..... أولاً: الأدب مع الله	
٥٢٦ ..... ثانياً: الأدب مع الرسول عليه الصلاة والسلام	
٥٢٦ ..... ثالثاً: الأدب مع الخلق	
<b>(الحياة) ..... ٥٢٩</b>	
٥٣٠ ..... أقسام الحياة	
٥٣٣ ..... أوجه الحياة في الإنسان	
٥٣٤ ..... - باب حفظ السر ..... ٨٥	
<b>(كتمان السر) ..... ٥٣٥</b>	
٥٣٨ ..... - باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد ..... ٨٦	
<b>(الوفاء) ..... ٥٣٩</b>	
٥٣٩ ..... أنواع الوفاء	
٥٤٠ ..... - باب الأمر بالمحافظة على ما اعتاده من الخير ..... ٨٧	
٥٤١ ..... - باب استحباب طيب الكلام وطلقة الوجه عند اللقاء وإياضاته للمخاطب وتكريره ليفهم إذا لم يفهم إلا بذلك ..... ٨٨	
<b>(أدب الكلام) ..... ٥٤١</b>	
٥٤٢ ..... شروط الكلام	
٥٤٤ ..... آداب المتكلم	

٥٤٦.....	<b>شروط ضرب الأمثال</b>
٩٠.....	- باب إصغاء الجليس لحديث جليسه الذي ليس بحram واستنصات العالم والوعاظ
٥٤٦.....	حاضری مجلسه
٥٤٦.....	- باب الوعظ والاقتصاد فيه
٥٤٧.....	(الوعظ)
٥٤٨.....	صفات الوعاظ
٥٤٩.....	- باب الوقار والسكينة
٥٤٩.....	(الوقار)
٥٥٠.....	(السكينة)
٩٣.....	- باب الندب إلى إتیان الصلاة والعلم ونحوهما من العبادات، بالسكينة والوقار
٥٥٢.....	(الخشوع)
٥٥٤.....	- باب إكرام الضيف
٩٥.....	- باب استحباب التبشير والتنهي بالخير
٥٥٧.....	- باب وداع الصاحب ووصيته عند فراقه لسفرٍ وغيره، والدعاء له وطلب الدعاء منه
٥٥٨.....	- باب الاستخاراة والمشاورة
٥٥٩.....	(الاستخارة)
٥٦٠.....	(الشوري)
٥٦٢.....	صفات المستشار
٥٦٦.....	الفرق بين الشوري والديمقراطية
٩٨.....	- باب استحباب الذهاب إلى العيد وعيادة المريض والحج والغزو والحنزة ونحوها من طریق والرجوع من طريق آخر لتکثیر مواضع العبادة
٥٦٨.....	٩٩.....
٥٦٨.....	- باب استحباب تقديم اليمين في كل ما هو من باب التکريم
٥٧٠.....	٢- كتاب أدب الطعام
٥٧٠.....	(آداب الاجتماع للطعام والضيافة)
٥٧٠.....	آداب الاجتماع على الطعام

آداب الضيافة .....	٥٧٢
آداب الحضور في المأدبة .....	٥٧٥
آداب إحضار الطعام .....	٥٧٥
١٠٠ - باب التسمية في أوله والحمد في آخره .....	٥٧٧
١٠١ - باب لا يعيي الطعام واستحباب مدحه .....	٥٧٨
١٠٢ - باب ما يقوله من حضر الطعام وهو صائم إذا لم يُفطر .....	٥٧٨
١٠٣ - باب ما يقوله من دُعَى إلى طعام فتبعه غيره .....	٥٧٨
٤ - باب الأكل مما يليه ووعظه وتأديبه من يسيء أكله .....	٥٧٨
١٠٥ - باب النهي عن القرآن بين التمرتين ونحوهما إذا أكل جماعة إلا بإذن رفته .....	٥٧٩
١٠٦ - باب ما يقوله ويفعله من يأكل ولا يشبع .....	٥٧٩
١٠٧ - باب الأمر بالأكل من جانب القصعة والنهي عن الأكل من وسطها .....	٥٧٩
١٠٨ - باب كراهة الأكل متكتئاً .....	٥٧٩
١٠٩ - باب استحباب الأكل بثلاث أصابع واستحباب لعق الأصابع وكراهة مسحها قبل لعقها واستحباب لعق القصعة وأخذ اللقمة التي تسقط منه وأكلها ومسحها بعد اللعق بالساعد والقدم وغيرها .....	٥٨٠
١١٠ - باب تكثير الأيدي على الطعام .....	٥٨١
١١١ - باب آداب الشرب واستحباب التنفس ثلاثة خارج الإناء، وكراهة التنفس في الإناء، واستحباب إدارة الإناء على الأئم فالأئم بعد المبتدئ .....	٥٨١
١١٢ - باب كراهة الشرب من فم القرية ونحوها وبيان أنه كراهة تنزيل لا تحريم .....	٥٨٢
١١٣ - باب كراهة النَّفْخ في الشراب .....	٥٨٢
١١٤ - باب بيان جواز الشرب قائماً وبيان أن الأكمل والأفضل الشرب قاعداً .....	٥٨٢
١١٥ - باب استحباب كون ساقي القوم آخرهم شريراً .....	٥٨٣
١١٦ - باب جواز الشرب من جميع الأواني الطاهرة غير الذهب والفضة، وجواز الكرع وهو الشرب بالفم من النهر وغيره بغير إناء ولا يد، وتحريم استعمال إناء الذهب والفضة في الشرب والأكل والطهارة وسائر وجوه الاستعمال .....	٥٨٣

<b>٣- كتاب اللباس</b>	٥٨٤
١١٧ - باب استحباب الثوب الأبيض وجواز الأحمر والأخضر والأصفر والأسود وجواز من قطن وكتان وشعر وصوف وغيرها إلا الحرير	٥٨٤
١١٨ - باب استحباب القميص	٥٨٦
١١٩ - باب صفة طول القميص والكم والإزار وطرف العمامة وتحريم إسبال شيء من ذلك على سبيل الخيلاء وكراحته من غير خيلاء	٥٨٦
١٢٠ - باب استحباب ترك الترفع في اللباس تواضعًا	٥٨٨
١٢١ - باب استحباب التوسط في اللباس ولا يقتصر على ما يزري به لغير حاجة ولا مقصود شرعي	٥٨٩
١٢٢ - باب تحريم لباس الحرير على الرجال، وتحريم جلوسهم عليه واستنادهم إليه وجواز لبسه للنساء	٥٨٩
١٢٣ - باب جواز لبس الحرير ملن به حكة	٥٨٩
١٢٤ - باب النهي عن افتراس جلود النمور والركوب عليها	٥٩٠
١٢٥ - باب ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً أو نعلاً أو نحوه	٥٩٠
١٢٦ - باب استحباب الابتداء باليمين في اللباس	٥٩٠
<b>٤- كتاب آداب النوم والاضطجاع والقعود والمجلس والجلisy والرؤيا</b>	٥٩٠
١٢٧ - باب ما يقوله عند النوم	٥٩٠
١٢٨ - باب جواز الاستلقاء على القفا ووضع إحدى الرجلين على الأخرى إذا لم يخفف انكشاف العورة وجواز القعود متربعاً ومحتباً	٥٩١
١٢٩ - باب في آداب المجلس والجلisy	٥٩٢
<b>(آداب المجلس والجلisy)</b>	٥٩٤
قصة	٥٩٧
١٣٠ - باب الرؤيا وما يتعلق بها	٥٩٩
<b>٥- كتاب السلام</b>	٦٠٠
٦٠٠ - باب فضل السلام والأمر بإفشاءه	٦٠٠
<b>٦١٣ - باب فضل السلام والأمر بإفشاءه</b>	٦٠٠

٦٠١ .....	١٣٢ - باب كيفية السلام
٦٠٢ .....	١٣٣ - باب آداب السلام
٦٠٢ .....	١٣٤ - باب استحباب إعادة السلام على من تكرر لقاوته على قرب بأن دخل ثم خرج ثم دخل في الحال، أو حال بينهما شجرة ونحوها
٦٠٣ .....	١٣٥ - باب استحباب السلام إذا دخل بيته
٦٠٣ .....	١٣٦ - باب السلام على الصبيان
٦٠٣ .....	١٣٧ - باب سلام الرجل على زوجته والمرأة من محارمه وعلى أجنبية وأجنبيات لا يخاف الفتنة بهن وسلامهن بهذا الشرط
٦٠٣ .....	١٣٨ - باب تحريم ابتدائنا الكفار بالسلام وكيفية الرد عليهم واستحباب السلام على أهل مجلس فيهم مسلمون وكفار
٦٠٤ .....	<b>(بعض آداب السلام)</b>
٦٠٥ .....	١٣٩ - باب استحباب السلام إذا قام من المجلس وفارق جلساه أو جليسه
٦٠٥ .....	١٤٠ - باب الاستئذان وآدابه
٦٠٥ .....	١٤١ - باب بيان أن السنة إذا قيل للمستأذن: من أنت؟ أن يقول: فلان، فيسمى نفسه بما يعرف به من اسم أو كنية وكراهة قوله: «أنا» ونحوها
٦٠٦ .....	١٤٢ - باب استحباب تشميّت العاطس إذا حمد الله تعالى وكراهة تشميته إذا لم يحمد الله تعالى وبيان آداب التشميّت والعاطس والثاؤب
٦٠٧ .....	١٤٣ - باب استحباب المصفحة عند اللقاء وبشاشة الوجه وتقبيل يد الرجل الصالح وتقبيل ولده شفقة ومعانقة القادر من سفر وكراهة الانحناء
٦٠٨ .....	<b>(آداب اللقاء)</b>
٦٠٩ .....	٦ - كتاب عيادة المريض وتشييع الميت والصلوة عليه وحضور دفنه والمكث عند قبره بعد دفنه
٦١٠ .....	٤ - باب عيادة المريض
٦١٠ .....	<b>(عيادة المريض)</b>
٦١١ .....	آداب عيادة المريض
٦١١ .....	آداب المريض

٦١٢.....	١٤٥ - باب ما يدعى به للمريض
٦١٣.....	١٤٦ - باب استحباب سؤال أهل المريض عن حاله
٦١٣.....	١٤٧ - باب ما يقوله من أليس من حياته
٦١٤.....	١٤٨ - باب استحباب وصية أهل المريض ومن يخدمه بالإحسان إليه واحتماله والصبر على ما يشق من أمره وكذا الوصية من قرب سبب موته بحد أو قصاص ونحوهما
٦١٤.....	١٤٩ - باب جواز قول المريض: أنا وجع، أو شديد الوجع، أو موعوك، أو وارأساه ونحو ذلك، وبيان أنه لا كراهة في ذلك إذا لم يكن على سبيل التسخط وإظهار المجزع
٦١٤.....	١٥٠ - باب تلقين المختضر: لا إله إلا الله
٦١٥.....	١٥١ - باب ما يقوله بعد تغميض الميت
٦١٥.....	١٥٢ - باب ما يقال عند الميت وما يقوله من مات له ميت
٦١٦.....	١٥٣ - باب جواز البكاء على الميت بغير ندب ولا نياحة
٦١٦.....	١٥٤ - باب الكف عما يرى من الميت من مكره
٦١٧.....	١٥٥ - باب الصلاة على الميت وتشييعه وحضور دفنه وكراهة اتباع النساء الجنائز
٦١٧.....	١٥٦ - باب استحباب تكثير المصلين على الجنازة وجعل صفوفهم ثلاثة فأكثر
٦١٨.....	١٥٧ - باب ما يقرأ في صلاة الجنائز
٦١٩.....	١٥٨ - باب الإسراع بالجنازة
٦٢٠.....	<b>(آداب الجنائز والعزبة)</b>
٦٢٠.....	آداب تشيع الجنائز
٦٢٠.....	آداب المُعرّي
٦٢١.....	١٥٩ - باب تعجيل قضاء الدين عن الميت والمبادرة إلى تجهيزه إلا أن يموت فجأة فيترك حتى يتيقن موته
٦٢١.....	١٦٠ - باب الموعظة عند القبر
٦٢١.....	١٦١ - باب الدعاء للموتى بعد دفنه والقعود عند قبره ساعة للدعاء له والاستغفار والقراءة
٦٢٢.....	١٦٢ - باب الصدقة عن الميت والدعاء له
٦٢٢.....	١٦٣ - باب ثناء الناس على الميت

٦٤ - باب فضل من مات له أولاد صغار .....	٦٢٢
٦٥ - باب البكاء والخوف عند المرور بقبور الظالمين ومصارعهم وإظهار الافتقار إلى الله تعالى والتحذير من الغفلة عن ذلك .....	٦٢٣
<b>٧- كتاب آداب السفر .....</b>	٦٢٣
<b>(السفر والاغتراب والتوديع والفارق)</b> .....	٦٢٣
أقسام السفر .....	٦٢٤
أنواع السفر .....	٦٢٥
صفات أمير السفر .....	٦٢٥
آداب السفر .....	٦٢٦
رخص السفر .....	٦٢٧
<b>(صلاة السفر)</b> .....	٦٢٨
مسافة السفر المعتبرة شرعاً .....	٦٢٨
قصر الصلاة في السفر .....	٦٢٩
٦٦ - باب استحباب الخروج يوم الخميس واستحبابه أول النهار .....	٦٣٢
٦٧ - باب استحباب طلب الرفقه وتأمیرهم على أنفسهم واحداً يطیعونه .....	٦٣٢
٦٨ - باب آداب السير والنزول والمبيت والنوم في السفر، واستحباب السرى والرفق بالدواب ومراعاة مصلحتها، وأمر من قصر في حقها بالقيام بمحفتها، وجواز الإرداد على الدابة إذا كانت تطبق ذلك .....	٦٣٣
٦٩ - باب إعانة الرفيق .....	٦٣٥
٧٠ - باب ما يقول إذا ركب دابة للسفر .....	٦٣٥
٧١ - باب تكبير المسافر إذا صعد الثنایا وشبهها وتسبیحه إذا هبط الأودية ونحوها والنهي عن المبالغة برفع الصوت بالتكبير ونحوه .....	٦٣٦
٧٢ - باب استحباب الدعاء في السفر .....	٦٣٧
٧٣ - باب ما يدعوه إذا خاف ناساً أو غيرهم .....	٦٣٨
٧٤ - باب ما يقول إذا نزل متولاً .....	٦٣٨

٦٣٨ - باب استحباب تعجيل المسافر إلى أهله إذا قضى حاجته.....	١٧٥
٦٣٨ - باب استحباب القدوم على أهله خارجاً وكراهته في الليل لغير حاجة.....	١٧٦
٦٣٩ - باب ما يقول إذا رجع وإذا رأى بلدته .....	١٧٧
٦٣٩ - باب استحباب ابتداء القادم بالمسجد الذي في جواره وصلاته فيه ركعتين .....	١٧٨
٦٣٩ - باب تحريم سفر المرأة وحدها.....	١٧٩
<b>٦٣٩ - كتاب الفضائل.....</b>	<b>٨</b>
٦٣٩ - باب فضل قراءة القرآن .....	١٨٠
<b>٦٤١ - تلاوة القرآن.....</b>	
٦٤١ القراءة والتلاوة والأداء .....	
٦٤٣ حكم قراءة القرآن.....	
٦٤٣ مقدار ما يُقرأ .....	
٦٤٣ الأوقات المستحبة لقراءة القرآن .....	
٦٤٥ - باب الأمر بتعهد القرآن والتحذير من تعريضه للنسبيان.....	١٨١
<b>٦٤٥ - هجر القرآن.....</b>	
٦٤٥ مظاهر هجر القرآن وأحكامها .....	
٦٤٨ - باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن وطلب القراءة من حسن الصوت والاستماع لها.....	١٨٢
٦٤٨ - باب الحث على سور وآيات مخصوصة .....	١٨٣
<b>٦٥١ - لطائف متعلقة بالقرآن الكريم.....</b>	
٦٥٨ - باب استحباب الاجتماع على القراءة .....	١٨٤
<b>٦٥٩ - آداب قارئ القرآن.....</b>	
٦٦٢ - باب فضل الوضوء.....	١٨٥
<b>٦٦٣ - الوضوء وآدابه.....</b>	
٦٦٣ حكمة الوضوء .....	
٦٦٤ مراتب الطهارة .....	

٦٦٥	فرايض الوضوء
٦٦٦	سنن الوضوء
٦٦٨	نواقص الوضوء
٦٦٩	كيف تتوضأ
٦٧٠	<u>(التييم)</u>
٦٧١	الأسباب المبيحة للتييم
٦٧١	كيفية التييم.
٦٧٢	نواقص التييم
٦٧٢	<u>(المسح على الخفين)</u>
٦٧٣	شروط المسح على الخفين
٦٧٣	كيفية المسح
٦٧٤	ما ينفع المسح
٦٧٤	الجبرة والعصابة والعضو المتضرر بالغسل
٦٧٤	<u>(الغسل)</u>
٦٧٤	موجبات الغسل
٦٧٥	فرايض الغسل
٦٧٦	سنن الغسل
٦٧٦	ما يحرم على الجنب
٦٧٧	ما يجوز للجنب
٦٧٧	- باب فضل الأذان
٦٧٨	- باب فضل الصلوات
٦٧٩	<u>(الصلاوة)</u>
٦٧٩	شروط صحة الصلاة
٦٨٠	كشف الرأس في الصلاة
٦٨١	استقبال القبلة

٦٨١	متى يسقط استقبال القبلة.....
٦٨١	<b>أركان الصلاة.....</b>
٦٨٣	<b>سنن الصلاة.....</b>
٦٨٨	<b>مبطلات الصلاة.....</b>
٦٨٩	ما يُباح في الصلاة.....
٧٩٠	ما يكره في الصلاة.....
٧٩١	السترة أمام المصلي.....
٧٩٢	قضاء الصلاة.....
٧٩٢	صلاة المريض.....
٧٩٢	<b>الجمع بين الصلاتين.....</b>
٧٩٣	سجود السهو.....
٧٩٥	سجود الشكر.....
٧٩٥	<b>كيفية الصلاة.....</b>
٧٠٣	١٨٨ - باب فضل صلاة الصبح والعصر .....
٧٠٤	١٨٩ - باب فضل المشي إلى المساجد.....
٧٠٥	١٩٠ - باب فضل انتظار الصلاة.....
٧٠٦	١٩١ - باب فضل صلاة الجمعة .....
٧٠٧	<b>(حكم الصلاة بين السواري.....)</b>
٧٠٧	<b>(صلاة المأموم متقدماً على الإمام في صلاة الجمعة.....)</b>
٧٠٨	١٩٢ - باب الحث على حضور الجمعة في الصبح والعشاء .....
٧٠٩	١٩٣ - باب الأمر بالمحافظة على الصلوات المكتوبات والنهي الأكيد والوعيد الشديد في تركهن.....
٧١٠	١٩٤ - باب فضل الصف الأول والأمر بإتمام الصنوف الأول وتسويتها والتراص فيها .....
٧١٢	١٩٥ - باب فضل السنن الراتبة مع الفرائض وبيان أقلها وأكملها وما بينهما .....
٧١٢	١٩٦ - باب تأكيد ركعتي سنة الصبح .....

١٩٧ - باب تخفيف ركعتي الفجر وبيان ما يقرأ فيهما وبيان وقتها .....	٧١٣
١٩٨ - باب استحباب الاضطجاع بعد ركعتي الفجر على جنبه الأيمن والحدث عليه سواء كان تهجد بالليل أم لا .....	٧١٤
١٩٩ - باب سنة الظهر .....	٧١٤
٢٠٠ - باب سنة العصر .....	٧١٥
٢٠١ - باب سنة المغرب بعدها وقبلها .....	٧١٥
٢٠٢ - باب سنة العشاء بعدها وقبلها .....	٧١٦
٢٠٣ - باب سنة الجمعة .....	٧١٦
٤ - باب استحباب جعل التوافل في البيت سواء الراتبة وغيرها والأمر بالتحول للنافلة من موضع الفريضة أو الفصل بينهما بكلام .....	٧١٦
٢٠٤ - باب الحث على صلاة الوتر وبيان أنه سنة مؤكدة وبيان وقته .....	٧١٧
٢٠٥ - باب فضل صلاة الضحى وبيان أقلها وأكثرها وأوسطها والحدث على المحافظة عليها .....	٧١٨
٢٠٦ - باب تحويز صلاة الضحى من ارتفاع الشمس إلى زوالها والأفضل أن تصلى عند اشتداد الحر وارتفاع الضحى .....	٧١٨
٢٠٧ - باب الحث على صلاة نحبة المسجد بركتين وكراهة الجلوس قبل أن يصلى ركعتين في أي وقت دخل وسواء صلى ركعتين بنية التحية أو صلاة فريضة أو سنة راتبة أو غيرها .....	٧١٩
<b>(حكم تحية المسجد)</b>	٧١٩
٢٠٩ - باب استحباب ركعتين بعد الوضوء .....	٧١٩
٢١٠ - باب فضل يوم الجمعة ووجوهاً والاغتسال لها والتطيب والتبرك وإليها والدعاء يوم الجمعة والصلاحة على النبي ﷺ فيه وبيان ساعة الإجابة واستحباب إكثار ذكر الله بعد ال الجمعة .....	٧٢٠
<b>(آداب الجمعة)</b>	٧٢٢
٢١١ - باب استحباب سجود الشكر عند حصول نعمة ظاهرة أو اندفاع بلية ظاهرة .....	٧٢٢
٢١٢ - باب فضل قيام الليل .....	٧٢٣

<b>(آداب قيام الليل)</b>	
٧٢٦..... بعض الأسباب التي يتيسر بها قيام الليل.	
٧٢٦..... ٢١٣ - باب استحباب قيام رمضان وهو التراويع	
٧٢٩..... ٢١٤ - باب فضل قيام ليلة القدر وبيان أرجى لياليها	
٧٢٩..... ٢١٥ - باب فضل السواك وخصال الفطرة	
٧٣٠..... ٢١٦ - باب تأكيد وجوب الزكاة وبيان فضلها وما يتعلق بها	
٧٣٤..... ٢١٧ - باب وجوب صوم رمضان وبيان فضل الصيام وما يتعلق به	
٧٣٥..... <b>(حكمة الصيام)</b>	
٧٣٨..... ٢١٨ - باب الجود و فعل المعروف والإكثار من الخير في شهر رمضان والزيادة من ذلك في العشر الأواخر منه	
٧٣٩..... ٢١٩ - باب النهي عن تقدم رمضان بصوم بعد نصف شعبان إلا ممن وصله بما قبله أو وافق عادة له بأن كان عادته صوم الإثنين والخميس فوافقه	
٧٣٩..... ٢٢٠ - باب ما يقال عند رؤية الملال	
٧٣٩..... ٢٢١ - باب فضل السحور وتأخيره ما لم يخش طلوع الفجر	
٧٤٠..... ٢٢٢ - باب فضل تعجيل الفطر وما يفتر عليه وما يقوله بعد الإفطار	
٧٤١..... ٢٢٣ - باب أمر الصائم بحفظ لسانه وجوارحه عن المحالفات والمشاتمة ونحوها	
٧٤١..... ٢٢٤ - باب في مسائل من الصوم	
٧٤١..... <b>(أحكام الصيام)</b>	
٧٤٢..... <b>تعريف الصوم</b>	
٧٤٣..... <b>أركان الصوم</b>	
٧٤٣..... <b>مبطلات الصوم (المفطرات)</b>	
٧٤٤..... <b>الأعذار المبيحة للفطر وحكم من أفتر لعذر منها</b>	
٧٤٥..... <b>مستحبات الصوم</b>	
٧٤٥..... <b>أشياء يباح للصائم فعلها</b>	
٧٤٦..... <b>مكرهات الصيام</b>	

٧٤٦	ما يتعلّق بهذا الشهـر الـكريم من طـاعـات
٧٤٨	<b>أحكام صدقة أو زكـاة الفـطـر</b>
٧٤٨	متى تجـب زـكـاة الفـطـر عـلـى الصـائم
٧٤٩	<b>(صـيـام سـت مـن شـوـال)</b>
٧٤٩	٢٢٥ - بـاب بـيان فـضـل صـوم الـمـحـرم وـشـعـان وـالـأـشـهـر الـحـرم
٧٥٠	٢٢٦ - بـاب فـضـل الصـوم وـغـيـره في العـشـر الـأـوـل مـن ذـي الـحـجـة
٧٥٠	٢٢٧ - بـاب فـضـل صـوم يـوـم عـرـفـة وـعـاـشـورـاء وـتـاسـعـاء
٧٥٠	٢٢٨ - بـاب اسـتـحـبـاب صـوم سـتـة أـيـام مـن شـوـال
٧٥٠	٢٢٩ - بـاب اسـتـحـبـاب صـوم الإـثـنـيـن وـالـخـمـيس
٧٥١	٢٣٠ - بـاب اسـتـحـبـاب صـوم ثـلـاثـة أـيـام مـن كـل شـهـر
٧٥٢	٢٣١ - بـاب فـضـل مـن فـطـر صـائـمـا وـفـضـل الصـائـمـا الـذـي يـؤـكـل عـنـه وـدـعـاء الـآـكـل لـلـمـأـكـول عـنـه
٧٥٢	<b>٩-كتـاب الـاعـتكـاف</b>
٧٥٢	٢٣٢ - بـاب فـضـل الـاعـتكـاف فـي رـمـضـان
٧٥٣	<b>١٠-كتـاب الـحجـ</b>
٧٥٣	٢٣٣ - بـاب وجـوب الـحجـ وـفـضـله
٧٥٤	<b>(حـكـمة الـحجـ)</b>
٧٥٩	<b>(سـلام عـلـى إـبـراهـيم)</b>
٧٦٣	<b>١١-كتـاب الـجـهـاد</b>
٧٦٣	٢٣٤ - بـاب وجـوب الـجـهـاد وـفـضـل الـغـدـوة وـالـرـوـحـة
٧٦٣	٢٣٥ - بـاب بـيان جـمـاعـة من الشـهـداء فـي ثـواب الـآـخـرـة يـغـسـلـون وـيـصـلـى عـلـيـهـم بـخـلـاف الـقـتـيل فـي حـرب الـكـفـار
٧٧٣	<b>(الـجـهـاد)</b>
٧٧٤	<b>أـقـسـام الـجـهـاد</b>
٧٧٦	<b>حـكـم الـجـهـاد</b>
٧٧٩	

٧٧٩ .....	<b>الرسالة الحمدية بالرحمة للعلميين</b>
٧٨٢ .....	٢٣٦ - باب فضل العتق .....
٧٨٢ .....	٢٣٧ - باب فضل الإحسان إلى الملوك .....
٧٨٢ .....	٢٣٨ - باب فضل الملوك الذي يؤدي حق الله وحق مواليه .....
٧٨٣ .....	٢٣٩ - باب فضل العبادة في المَرْجَ، وهو الاختلاط والفتن ونحوها .....
٧٨٣ .....	٢٤٠ - باب فضل السماحة في البيع والشراء والأخذ والعطاء وحسن القضاء والتقاضي وإرجاح المكيال والميزان والنهي عن التطفيف وفضل إنظر الموسر المعسر والوضع عنه ..
٧٨٥ .....	<b>١٢- كتاب العلم</b>
٧٨٥ .....	٢٤١ - باب فضل العلم .....
٧٨٧ .....	<b>(العلم)</b>
٧٩٤ .....	فضيل العلم على المال .....
٧٩٧ .....	فضيلة نقل العلم ودعوة الناس إليه وتعليمهم .....
٧٩٨ .....	العلم الواجب شرعاً .....
٨٠٠ .....	مراتب العلم .....
٨٠١ .....	العلوم الشرعية .....
٨٠٣ .....	العلوم الحمودة .....
٨٠٥ .....	آفات العلم .....
٨٠٩ .....	العلم للتدين والعلم للتخصص .....
٨١٥ .....	<b>١٣- كتاب حمد الله تعالى وشكراً</b>
٨١٥ .....	٢٤٢ - باب فضل الحمد والشكر .....
٨١٦ .....	<b>١٤- كتاب الصلاة على رسول الله ﷺ</b>
٨١٦ .....	٢٤٣ - باب الأمر بالصلاحة عليه وفضلها وبعض صيغها .....
٨١٧ .....	<b>(واجب الأمة نحو المصطفى ﷺ)</b>
٨٢٠ .....	<b>١٥- كتاب الأذكار</b> .....
٨٢٠ .....	٢٤٤ - باب فضل الذكر والحمد عليه .....

٨٢٦ .....	<u>(الذكر)</u>
٨٢٧ .....	أنواع القلوب
٨٣٠ .....	الذكر في القرآن
٨٣٣ .....	أنواع الذكر
٨٣٤ .....	درجات الذكر
٨٣٤ .....	القرآن والذكر والدعاة
٨٣٤ .....	آداب الذاكرين
٨٣٤ .....	فوائد الذكر
٢٤٥ - باب ذكر الله تعالى قائماً و قاعداً ومضطجعاً ومحمدًا وجنبًا وحائضاً إلا القرآن فلا يحل لجنب ولا حائض.....	٨٣٨ .....
٢٤٦ - باب ما يقوله عند نومه واستيقاظه .....	٨٣٨ .....
٢٤٧ - باب فضل حلق الذكر والندب إلى ملازمتها والنهي عن مفارقتها لغير عذر .....	٨٣٩ .....
٢٤٨ - باب الذكر عند الصباح والمساء.....	٨٤٠ .....
٢٤٩ - باب ما يقوله عند النوم .....	٨٤٢ .....
٢٥٠ - باب الأمر بالدعاة وفضله وبيان جمل من أدعيته ﷺ .....	٨٤٤ .....
٢٥١ - باب فضل الدعاء بظهور الغيب .....	٨٤٨ .....
٢٥٢ - باب في مسائل من الدعاء .....	٨٤٨ .....
٢٥٣ - باب كرامات الأولياء وفضلهم .....	٨٥٠ .....
٢٥٤ - باب الذكر ..... <u>(الدعاة)</u>	٨٥٢ .....
٢٥٥ - باب إخفاء الدعاء .....	٨٤٩ .....
٢٥٦ - باب الاعتداء في الدعاء .....	٨٤٩ .....
٢٥٧ - باب آداب الدعاء .....	٨٥٠ .....
٢٥٨ - باب الدعاء في القرآن الكريم .....	٨٥٢ .....
٢٥٩ - باب في مسائل من الدعاء .....	٨٥٣ .....
٢٦٠ - باب كرامات الأولياء وفضلهم .....	٨٥٣ .....

٨٦٠ .....	<b>١٧ - كتاب الأمور المنهي عنها</b>
٨٦٠ .....	٢٥٤ - باب تحريم الغيبة والأمر بحفظ اللسان
٨٦٣ .....	٢٥٥ - باب تحريم سماع الغيبة وأمر من سمع غيبة محمرة بردتها والإنكار على قائلها فإن عجز أو لم يقبل منه فارق ذلك المجلس إن أمكنه
٨٦٣ .....	٢٥٦ - باب ما يباح من الغيبة
٨٦٦ .....	<b>(الغيبة)</b>
٨٦٦ .....	٢٥٧ الفرق بين الغيبة والبهتان والشَّتم
٨٦٧ .....	٢٥٨ حد الغيبة وضابطها
٨٦٨ .....	<b>الأسباب الباعثة على الغيبة</b>
٨٦٩ .....	٢٥٩ - باب تحريم النميمة وهي نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد
٨٧٠ .....	<b>(النميمة)</b>
٨٧١ .....	٢٦٠ <b>(السعادة)</b>
٨٧١ .....	٢٦١ علاج النميمة
٨٧٢ .....	٢٦٢ قصص في النميمة
٨٧٣ .....	٢٦٣ - باب النهي عن نقل الحديث وكلام الناس إلى ولاة الأمور إذا لم تدع إليه حاجة كخوف مفسدة ونحوها
٨٧٤ .....	٢٦٤ - باب ذِمَّ ذي الوجهين
٨٧٤ .....	<b>(النفاق)</b>
٨٧٤ .....	٢٦٥ أنواع النفاق
٨٧٥ .....	٢٦٦ المداهنة
٨٧٦ .....	٢٦٧ التملق
٨٧٦ .....	٢٦٨ الصراحة
٨٧٦ .....	٢٦٩ <b>خلف الوعد</b>
٨٧٦ .....	٢٧٠ - باب تحريم الكذب
٨٨٠ .....	٢٧١ - باب بيان ما يجوز من الكذب

٢٦٢ - باب الحث على التثبت فيما يقوله وبحكيه ..... <b>(الكذب)</b>	٨٨١
الأسباب الداعية إلى الكذب ..... أنواع الكذب ..... <b>(شهادة الزور)</b>	٨٨٢ ٨٨٤ ٨٨٧
٢٦٣ - باب بيان غلط تحريم شهادة الزور ..... <b>كبائر شاهد الزور</b>	٨٨٧
٢٦٤ - باب تحريم لعن إنسان بعينه أو دابة ..... ٢٦٥ - باب جواز لعن أصحاب المعاصي غير المعينين ..... ٢٦٦ - باب تحريم سب المسلم بغير حق ..... ٢٦٧ - باب تحريم سب الأموات بغير حق ومصلحة شرعية ..... ٢٦٨ - باب النهي عن الإيذاء ..... ٢٦٩ - باب النهي عن التباغض والتقاطع والتداير ..... ٢٧٠ - باب تحريم الحسد ..... <b>(الحسد)</b>	٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩١ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٢
الحسد المحمود والحسد المذموم ..... أسباب الحسد ..... دواء وعلاج الحسد ..... الحسد والمنافسة ..... عقاب الحاسد إذا تمكّن الحسد منه ..... <b>(الإصابة بالعين)</b>	٨٩٣ ٨٩٣ ٨٩٥ ٨٩٧ ٨٩٧ ٨٩٧
٢٧١ - باب النهي عن التجسس والتسميع لكلام من يكره استماعه ..... <b>(التجسس)</b>	٨٩٨ ٨٩٩
التجسس والتحسّس ..... قصة ..... ٨٩٩	٨٩٩

٢٧٢ - باب النهي عن سوء الظن بال المسلمين من غير ضرورة ..... ٩٠٠	
٩٠٠ ..... ٩٠١	<u>(سوء الظن)</u>
٩٠١ ..... ٩٠١	أنواع سوء الظن
٩٠١ ..... ٩٠٢	أقسام سوء الظن
٩٠٢ ..... ٩٠٢	الظن المباح
٩٠٢ ..... ٩٠٤	قصة
٩٠٤ ..... ٩٠٤	- باب تحريم احتقار المسلمين
٩٠٤ ..... ٩٠٥	- باب النهي عن إظهار الشماتة بالمسلم
٩٠٥ ..... ٩٠٥	<u>(الشماتة)</u>
٩٠٥ ..... ٩٠٥	- باب تحريم الطعن في الأنساب الثابتة في ظاهر الشرع
٩٠٥ ..... ٩٠٦	- باب النهي عن الغش والخداع
٩٠٦ ..... ٩٠٦	<u>(الخداع والغش)</u>
٩٠٦ ..... ٩٠٧	أولاً: الخداع
٩٠٧ ..... ٩٠٧	ثانياً: الغش
٩٠٧ ..... ٩٠٧	أنواع الغش
٩٠٧ ..... ٩٠٨	<u>(المداراة والمداهنة)</u>
٩٠٨ ..... ٩١٠	الفرق بين المداراة والمداهنة
٩١٠ ..... ٩١٠	- باب تحريم الغدر
٩١٠ ..... ٩١٢	<u>(الغدر)</u>
٩١٢ ..... ٩١٣	- باب النهي عن المَنِّ بالعطية ونحوها
٩١٣ ..... ٩١٤	<u>(المَنُّ)</u>
٩١٤ ..... ٩١٤	- باب النهي عن الافتخار والبغى
٩١٤ ..... ٩١٤	<u>(البغى)</u>
٩١٤ ..... ٩٢٠	أنواع البغي
٩٢٠ ..... ٩٢٠	- باب تحريم الهجران بين المسلمين فوق ثلاثة أيام إلا لبدعة في المهجور، أو تظاهر

٩٦	بفسق أو نحو ذلك.....
٩٧	<u>(الهجر والهجران)</u>
٩٨	<u>أنواع المحر</u> .....
٢٨١	- باب النهي عن تناجي اثنين دون الثالث بغير إذنه إلا لحاجة وهو أن يتحدثا سرًا
٩١٩	بحيث لا يسمعهما وفي معناه ما إذا تحدثا بلسان لا يفهمه .....
٢٨٢	- باب النهي عن تعذيب العبد والدابة والمرأة والولد بغير سبب شرعي أو زائد على
٩٢٠	قدر الأدب.....
٢٨٣	- باب تحريم التعذيب بالنار في كل حيوان حتى النملة ونحوها .....
٩٢١	٢٨٤ - باب تحريم مطل الغني بحق طلبه صاحبه.....
٩٢٢	٢٨٥ - باب كراهة عود الإنسان في هبة لم يسلّمها إلى الموهوب له وفي هبة وهبها لولده
٩٢٢	وسلمها أو لم يسلّمها، وكراهة شرائه شيئاً تصدق به من الذي تصدق عليه أو أخرجه
٩٢٢	عن زكاة أو كفارة ونحوها ولا بأس بشرائه من شخص آخر قد انتقل إليه.....
٩٢٣	٢٨٦ - باب تأكيد تحريم مال اليتيم .....
٩٢٣	٢٨٧ - باب تغليظ تحريم الربا .....
٩٢٤	٢٨٨ - باب تحريم الرياء .....
٩٢٥	٢٨٩ - باب ما يتوجه أنه رباء وليس هو رباء .....
٩٢٥	<u>(الرياء)</u> .....
٩٢٧	٩٢٧ بيان حقيقة الرياء وما يُرَاءَى به .....
٩٢٧	٩٢٧ الفرق بين الرياء (الشرك الأصغر) والشرك الأكبر .....
٩٢٧	٩٣٠ أقسام الرياء .....
٩٣٠	٩٣٢ حكم الرياء .....
٩٣٢	<u>الإسرار والإظهار في الطاعات والمعاصي</u> .....
٩٣٩	٢٩٠ - باب تحريم النظر إلى المرأة الأجنبية والأمرد الحسن لغير حاجة شرعية.....
٩٤١	٢٩١ - باب تحريم الخلوة بال أجنبية .....
٩٤١	٢٩٢ - باب تحريم تشبه الرجال بالنساء وتشبيه النساء بالرجال في لباس وحركة وغير ذلك ..

٢٩٣ - باب النهي عن التشبه بالشيطان والكفار ..... ٩٤٢	
<u>(النهي عن التشبه بالشيطان والكفار)</u> ..... ٩٤٢	
٢٩٤ - باب نهي الرجل والمرأة عن خضاب شعرهما بسواد ..... ٩٤٣	
<u>(صبغ الشعر للرجال)</u> ..... ٩٤٣	
٢٩٥ - باب النهي عن القزع وهو حلق بعض الرأس دون بعض، وإباحة حلقه كله للرجل دون المرأة ..... ٩٤٣	
٢٩٦ - باب تحريم وصل الشعر والوشم والتوسر ..... ٩٤٤	
<u>(وصل وزرع الشعر)</u> ..... ٩٤٥	
<u>(الوشم الثابت والمؤقت)</u> ..... ٩٤٥	
٢٩٧ - باب النهي عن نتف الشيب من اللحية والرأس وغيرهما وعن نتف الأمرد شعر لحيته عند أول طلوعه ..... ٩٤٦	
٢٩٨ - باب كراهة الاستنجاء باليمين ومس الفرج باليمين من غير عذر ..... ٩٤٧	
٢٩٩ - باب كراهة المشي في نعل واحدة أو خف واحد لغير عذر وكراهة لبس النعل والخف قائماً لغير عذر ..... ٩٤٧	
٣٠٠ - باب النهي عن ترك النار في البيت عند النوم ونحوه سواء كانت في سراج أو غيره ... ٩٤٧	
٣٠١ - باب النهي عن التتكلف وهو فعل وقول ما لا مصلحة فيه بمتشقة ..... ٩٤٨	
<u>(التتكلف)</u> ..... ٩٤٨	
٣٠٢ - باب تحريم النياحة على الميت ولطم الخد وشق الجب ونتف الشعر وحلقه والدعاء بالوليل والثبور ..... ٩٥٠	
٣٠٣ - باب النهي عن إتيان الكهان والمنجمين والعرف وأصحاب الرمل والطوارق بالمحصى وبالشعر ونحو ذلك ..... ٩٥٢	
٤ - باب النهي عن التطير ..... ٩٥٣	
<u>(التطير)</u> ..... ٩٥٣	

٣٠٥ - باب تحريم تصوير الحيوان في بساط أو حجر أو ثوب أو درهم أو مخدة أو دينار أو وسادة وغير ذلك، وتحريم اتخاذ الصورة في حائط وسقف وستر وعمامة وثوب ونحوها والأمر باتفاق الصور.....	٩٥٥
٣٠٦ - باب تحريم اتخاذ الكلب إلا لصيد أو ماشية أو زرع .....	٩٥٦
٣٠٧ - باب كراهة تعليق الجرس في البعير وغيرها من الدواب وكراهة استصحاب الكلب والجرس في السفر.....	٩٥٧
٣٠٨ - باب كراهة ركوب المخلاف.....	٩٥٧
٣٠٩ - باب النهي عن البصاق في المسجد والأمر بإزالته منه إذا وجد فيه والأمر بتنزيه المسجد عن الأقدار.....	٩٥٧
٣١٠ - باب كراهة الخصومة في المسجد ورفع الصوت فيه ونشد الصالة والبيع والشراء والإجارة ونحوها من المعاملات.....	٩٥٨
٣١١ - باب نهي من أكل ثوماً أو بصلأ أو كراثاً أو غيره مما له رائحة كريهة عن دخول المسجد قبل زوال رايته إلا لضرورة.....	٩٥٨
٣١٢ - باب كراهة الاحتباء يوم الجمعة والإمام يخطب لأنه يجعل النوم فيفوت استماع الخطبة ويختاف انتقاض الموضوع.....	٩٥٩
٣١٣ - باب نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة وأراد أن يضحي عنأخذ شيء من شعره أو أظفاره حتى يضحي.....	٩٥٩
٣١٤ - باب النهي عن الحلف بمخلوق النبي والكعبة والملائكة والسماء والآباء والحياة والروح والرأس وحياة السلطان ونعمه السلطان وترية فلان والأمانة، وهي من أشدتها نهيا.....	٩٥٩
٣١٥ - باب تغليظ اليمين الكاذبة عمدا.....	٩٦٠
٣١٦ - باب تذبب من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها أن يفعل ذلك المخلوف عليه ثم يكفر عن يمينه .....	٩٦١
<b><u>(من حلف على يمين ورأى غيرها خيراً منها)</u></b>	
٣١٧ - باب العفو عن لغو اليمين وأنه لا كفارة فيه وهو ما يجري على اللسان بغیر قصد	

اليمين كقوله على العادة: لا والله، وبلى والله، ونحو ذلك.....	٩٦٢
٣١٨ - باب كراهة الخلف في البيع وإن كان صادقاً .....	٩٦٢
٣١٩ - باب كراهة أن يسأل الإنسان بوجه الله <small>عَزَّوجَلَّ</small> غير الجنة وكراهة منع من سأل بالله تعالى وتشفع به.....	٩٦٢
٣٢٠ - باب تحريم قول: شاهنشاه للسلطان وغيره لأن معناه ملك الملوك ولا يوصف بذلك غير الله <small>عَزَّوجَلَّ</small> .....	٩٦٣
٣٢١ - باب النهي عن مخاطبة الفاسق والمتبدع ونحوهما بسيد ونحوه.....	٩٦٣
٣٢٢ - باب كراهة سب الحُمَّى.....	٩٦٣
٣٢٣ - باب النهي عن سب الريح وبيان ما يقال عند هبوبها .....	٩٦٣
٣٢٤ - باب كراهة سب الديك.....	٩٦٤
٣٢٥ - باب النهي عن قول الإنسان: مطرانا بنوء كذا .....	٩٦٤
٣٢٦ - باب تحريم قوله مسلم: يا كافر .....	٩٦٤
<b>(الكفر)</b>	
أنواع الكفر .....	٩٦٥
حكم الكفر .....	٩٦٦
الحكم على الناس .....	٩٦٦
٣٢٧ - باب النهي عن الفحش وبناء اللسان .....	٩٦٨
<b>(الفحش والبذاءة)</b>	٩٦٨
٣٢٨ - باب كراهة التعير في الكلام والتشدق فيه وتكلف الفصاحة واستعمال وحشية اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العامة ونحوهم .....	٩٧١
٣٢٩ - باب كراهة قوله: خبشت نفسي .....	٩٧١
٣٣٠ - باب كراهة تسمية العنبر كرمًا.....	٩٧١
٣٣١ - باب النهي عن وصف محسن المرأة لرجل إلا أن يحتاج إلى ذلك لغرض شرعي كنكافحها ونحوه .....	٩٧٢
٣٣٢ - باب كراهة قول الإنسان: اللهم اغفر لي إن شئت بل يجزم بالطلب .....	٩٧٢

٣٣٣ - باب كراهة قول: ما شاء الله وشاء فلان.....	٩٧٢
٣٣٤ - باب كراهة الحديث بعد العشاء الآخرة.....	٩٧٢
٣٣٥ - باب تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها إذا دعاها ولم يكن لها عذر شرعي.....	٩٧٣
٣٣٦ - باب تحريم صوم المرأة تطوعاً وزوجها حاضر إلا بإذنه .....	٩٧٣
٣٣٧ - باب تحريم رفع المأمور رأسه من الركوع أو السجود قبل الإمام.....	٩٧٣
٣٣٨ - باب كراهة وضع اليد على الخاصرة في الصلاة .....	٩٧٤
٣٣٩ - باب كراهة الصلاة بحضور الطعام ونفسه تتوك إلية أو مع مدافعة الأخبين: وهما البول والغائط .....	٩٧٤
٣٤٠ - باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة .....	٩٧٤
٣٤١ - باب كراهة الالتفات في الصلاة لغير عذر.....	٩٧٤
٣٤٢ - باب النهي عن الصلاة إلى القبور .....	٩٧٤
<b>(الصلاحة في المساجد التي بها أضرحة)</b>	٩٧٥
٣٤٣ - باب تحريم المرور بين يدي المصلي .....	٩٧٦
<b>(سترة صلاة الجمعة)</b>	٩٧٦
٣٤٤ - باب كراهة شروع المأمور في نافلة بعد شروع المؤذن في إقامة الصلاة سواء كانت النافلة سنة تلك الصلاة أو غيرها .....	٩٧٦
٣٤٥ - باب كراهة تخصيص يوم الجمعة بصيام أو ليلته بصلوة من بين الليالي .....	٩٧٧
٣٤٦ - باب تحريم الوصال في الصوم وهو أن يصوم يومين أو أكثر ولا يأكل ولا يشرب بينهما .....	٩٧٧
٣٤٧ - باب تحريم الجلوس على قبر .....	٩٧٧
٣٤٨ - باب النهي عن تخصيص القبر والبناء عليه .....	٩٧٧
٣٤٩ - باب تغليظ تحريم إبقاء العبد من سيده .....	٩٧٨
٣٥٠ - باب تحريم الشفاعة في الحدود.....	٩٧٨
٣٥١ - باب النهي عن التغوط في طريق الناس وظلمهم وموارد الماء ونحوها.....	٩٧٨
٣٥٢ - باب النهي عن البول ونحوه في الماء الراكد.....	٩٧٩

٣٥٣ - باب كراهة تفضيل الوالد بعض أولاده على بعض في الهبة ..... ٩٧٩
٣٥٤ - باب تحريم إحداد المرأة على ميت فوق ثلاثة أيام إلا على زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام ..... ٩٧٩
٣٥٥ - باب تحريم بيع الحاضر للبادي وتلقي الركبان والبيع على بيع أخيه والخطبة على خطبته إلا أن يأذن أو يرد ..... ٩٨٠
٣٥٦ - باب النهي عن إضاعة المال في غير وجهه التي أذن الشرع فيها ..... ٩٨١
<u>(الإسراف)</u> ..... ٩٨١
٩٨٢ - مظاهر الإسراف ..... ٩٨٢
<u>(التبذير)</u> ..... ٩٨٤
٩٨٤ - الفرق بين التبذير والإسراف ..... ٩٨٤
<u>(الفرق بين الجود والتبذير)</u> ..... ٩٨٥
٣٥٧ - باب النهي عن الإشارة إلى مسلم بسلاح ونحوه سواء كان جاداً أو مازحاً والنهي عن تعاطي السيف مسلولاً ..... ٩٨٧
٣٥٨ - باب كراهة الخروج من المسجد بعد الأذان إلا لعذر حتى يصلى المكتوبة ..... ٩٨٧
<u>(حكم خروج المصلى من المسجد بعد الأذان)</u> ..... ٩٨٧
٣٥٩ - باب كراهة رد الريحان لغير عذر ..... ٩٨٨
٣٦٠ - باب كراهة المدح في الوجه لمن خيف عليه مفسدة من إعجاب ونحوه وجوازه لمن أمن ذلك في حقه ..... ٩٨٨
٣٦١ - باب كراهة الخروج من بلد وقع فيها الوباء فراراً منه وكراهة القدوم عليه ..... ٩٨٩
٣٦٢ - باب التغليظ في تحريم السحر ..... ٩٩٠
<u>(السحر)</u> ..... ٩٩٠
٣٦٣ - باب النهي عن المسافة بالمصحف إلى بلاد الكفار إذا خيف وقوعه بأيدي العدو ..... ٩٩١
٣٦٤ - باب تحريم استعمال إناء الذهب وإناء الفضة في الأكل والشرب والطهارة وسائر وجوه الاستعمال ..... ٩٩١
٣٦٥ - باب تحريم ليس الرجل ثواباً مزعمفراً ..... ٩٩٢

٣٦٦ - باب النهي عن صمت يوم إلى الليل .....	٩٩٢
٣٦٧ - باب تحريم انتساب الإنسان إلى غير أبيه وتوليه إلى غير مواليه .....	٩٩٢
٣٦٨ - باب التحذير من ارتكاب ما نهى الله عَنْكُمْ أو رسوله ﷺ عنه .....	٩٩٣
٣٦٩ - باب ما يقوله ويفعله من ارتكب منها عنه .....	٩٩٣
<b>١٨- كتاب المنشورات والمُلْحَج</b> .....	٩٩٤
٣٧٠ - باب أحاديث الدجال وأشراط الساعة وغيرها .....	٩٩٤
<b>١٩- كتاب الاستغفار</b> .....	١٠١٢
٣٧١ - باب الأمر بالاستغفار وفضله .....	١٠١٢
٣٧٢ - باب بيان ما أعد الله تعالى للمؤمنين في الجنة .....	١٠١٤
<b>الفهرس</b> .....	١٠١٩